التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

تاريخ اليمن قبل الإسلام

محمد يحيى الحداد

المجلد الأول



مكتبة الإرشاد
صنعاء

التاريخ العام لليمن

محمد يحيى الحداد

١

مكتبة الإرشاد

التاريخ
العام لليمن






التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

تاريخ اليمن قبل الإسلام

١

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

أودع بدار الكتب – وزارة الثقافة – صنعاء
برقم ٢٥ لسنة ٢٦ / ١ / ٢٠٠٨ م

مكتبة الإرشاد

شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - ص.ب: ٣٠١٩٠
هاتف: ٢٧٢١٩٠ - ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩
الجمهورية اليمنية

التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

تاريخ اليمن قبل الإسلام

محمد يحيى الحداد

المجلد الأول

مكتبة الإرشاد
صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الدارسين والمهتمين بتأريخ اليمن
كإحدى المحاولات للوصول الى الحقيقة التأريخيّة .

المؤلف

الكِتاب

تأريخ عامٌ لليمن ، شامل :

لتأريخه الحضاري القديم ،

فتاريخ اليمن في موكب الإسلام ، الشامل لتأريخ اليمن :

في صدر الإسلام ،

وفي التأريخ الوسيط ،

ولتأريخ اليمن الحديث ،

ولتأريخ اليمن المعاصر ،

وقد ركّز المؤلف فيه على الناحية السياسية بصورة رئيسية ، وعلى النواحي الاقتصادية والإجتماعية والثقافية والعمرانية بالقدر الذي سمحت به المصادر ، وأدى اليه تحليل المؤلف واستنتاجه للأحداث ،

ثم لخصها بعرض عام لكل دولة وإمارة ، ولكل فترة متميزة في نهايتها ،

عموماً ، فالكتاب فيما يرجو مؤلفه قد جاء أوفى مادةً ، وأشمل موضوعاً ، وأدق تحليلاً ، من الكثير مما كتب في موضوعه حتى اليوم ،

تاركاً الحكم للقارىء ، شريطة أن لا يتعجل الحكم حتى يقرأه جميعه قراءة تروٍ وتمعن ،

ومؤكداً أنه لا هدف له من تأليفه ومن المعاناة الكبيرة في تصيله إلا الإسهام في إثراء المكتبة العربية والمكتبة اليمنية (وفيما يخص تاريخ اليمن بالذات) وبحدود الإمكان .

الناشر

... وَالكاتِبُ



المؤلف من مواليد عام ١٣٤٣ هجرية ١٩٢٣ ميلادية .

قرأ القرآن الكريم في إحدى مدارس القرآن بمسقط رأسه مدينة إب مركز محافظة إب إحدى محافظات الجمهورية العربية اليمنية ،

فمبادىء العربية والرياضيات وغيرها في كُتَّابها ،

فعلوم العربية والفقه وأصول الفقه وأصول الكلام وأصول الحديث والمنطق وفرائض المواريث وغيرها على والده القاضي العلامة يحيى بن علي الحداد ، وعلى المؤرخ اليمني الكبير القاضي محمد بن علي الأكوع في هجرة المعاين الكائنة في الضاحية الغربية الشمالية لمدينة إب ، وعلى مفتي إب الأستاد العلامة محمد بن ناجي وهابي وعلى العلامة اسماعيل بن عبد الرحمن المنصور في علم القراءات السبع للقرآن الكريم ،

ثم واصل دراسته في المدرسة الأحمدية (دار العلوم) التي أنشأها ولي العهد أحمد حميد الدين عام ١٣٦٤ هجرية في مدينة تعز ، وكان من بين مدرسيها مفتي الجمهورية أحمد محمد زبارة وعبد الله عبد الكريم وزيد بن علي الموشكي ومحمد بن محمد بن إسماعيل المنصور وغيرهم ،

وقرأ في الحديث النبوي الشريف الأمهات الست وغيرها من كتب الحديث والكشاف في تفسير القرآن الكريم على يد مفتي الجمهورية المذكور في مدينة تعز أيضاً ،

وبعد مقتل الإمام يحيى حميد الدين وسقوط ثورة ١٩٤٨ ميلادية التحق المؤلف في السلك الوظيفي حيث عيّن عضواً في الديوان الملكي بتعز التي اتخذها الإمام أحمد حميد الدين عاصمة لمملكته ومركزاً لإقامته طيلة عهده ، حصر المؤلف عمله خلال الفترة بين ثورتي ٤٨ و١٩٦٢ م على خدمة بلده وعلى دراسة وتأليف تاريخ اليمن وألف قبل قيام ثورة سبتمبر عام ٦٢ الظافرة (تاريخ اليمن قبل الإسلام) وهو الجزء الأول من (تاريخ اليمن السياسي العام) ،

ومنذ قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ م المجيدة شغل المؤلف رئيساً للجنة المظالم في محافظة إب ، فوزيراً للأوقاف ، فعضواً لمحكمة إب الشرعية ، فوكيلاً لمحافظة إب ، فعضواً للمجلس الوطني (مجلس الشورى) ، فنائباً لرئيس لجنة التصحيح في محافظة إب ، حيث كان رؤساء لجان التصحيح يكوّنون اللجنة العليا للتصحيح في العاصمة صنعاء وشغل مع أعماله المشار اليها في محافظة إب مديراً عاماً لبلدية المحافظة ومديراً عاماً لأملاكها .

وألف خلال عمله الوظيفي وبعد قيام ثورة سبتمبر المجيدة (تأريخ اليمن السياسي) ، قبل الإسلام ، وبعد الإسلام ، وتأريخ اليمن المعاصر ، في طبعاته الثلاث ، ثم تفرغ في العشر السنوات الأخيرة لتأليف (التأريخ العام لليمن) هذا ،

كما ألف في الناحية الإجتماعية كتاب (صور من الواقع) عالج فيه الأمراض الاجتماعية السائدة في اليمن ، شخّصها ووضع الحلول لها ، وختم الكتاب المذكور بنبذة موجزة عن الذاتية اليمنية .

الناشر

أقسام الكتاب :

١ ـ اليمن قبل الإسلام ، ويشمل :

أ ـ تاريخ الأبحاث الأثرية في اليمن .

ب ـ ما قبل التأريخ وبدايات المدنية .

ج ـ الصلات التأريخية بين اليمن وغيره من الأمم .

د ـ دول اليمن قبل الإسلام ، من القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

٢ ـ اليمن بعد الإسلام ويشمل :

أ ـ اليمن في موكب الإسلام من صدر الإسلام القرن السابع للميلاد الأول للهجرة .

ب ـ اليمن الحديث من القرن السادس عشر للميلاد والعاشر للهجرة .

ج ـ اليمن المعاصر ، من بداية القرن العشرين للميلاد والرابع عشر للهجرة .

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

وبعد ، فهذا الكتاب (التاريخ العام لليمن) لا يختلف في مادته الأساسية عن كتابي (تأريخ اليمن السياسي) كما أنه لا يختلف عنه في فصوله وأبوابه ، ولا في تبويبه وترتيبه ، وفي نهجه التحليلي الموضوعي

ولكنه يفضله في شموله لنواحٍ أخرى غير سياسية ، وفي المزيد من التحقيق والتحليل ، وفي زيادة الكثير من المعلومات التأريخية في غضون الكتاب ، وفي فصول جديدة تزيد عن الستين فصلاً وبحثاً ، ومنها الفصول الآتية :

ما قبل التاريخ وبدايات المدنية .

وضع اليمن في تأريخه الحضاري القديم ،

وضع اليمن العام منذ صدر الإسلام وحتى بداية حركات الاستقلال من الحكم العباسي ؛

اليمن منذ بداية الدولة العباسية وحتى بداية حركات الاستقلال ،

أبرز حركات الاستقلال في اليمن ؛

نظرة عامة في إمارة آل زياد ومواليهم ؛

نظر عامة في إمارة آل يعفر الحواليين ؛

عرض عام في عهد الدولة الزيدية الأولى ؛

الحركة الفاطمية الاسماعيلية وعلاقتها بالحركة القرمطية ؛

نظرة عامة في أمر الدعوة الفاطمية ودولتها الأولى في اليمن ؛
نظرة عامة في عهد أبي الحسن علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الفاطمية الثانية في اليمن ؛
اسباب سقوط الدولة الصليحية ؛
نظرة عامة في إمارة آل نجاح ؛
نظرة عامة في إمارة آل حاتم الهمدانيين ؛
نظرة عامة في إمارة آل زريع الهمدانيين ؛
نظرة عامة في إمارة آل مهدي الرعيني ؛
وضع اليمن العام بين استقلاله عن العباسيين وحكم الأيوبيين فيه ؛
نظرة عامة في عهد الأيوبيين في اليمن ؛
نظرة عامة في عهد الدولة الرسولية ،
نظرة عامة في عهد دولة آل طاهر ؛
عرض عام في عهد الدولة الزيدية الثانية ؛
عرض عامفي الحكم العثماني الأول في اليمن ؛
انفصال جنوب اليمن عن شماله في عهد الدولة القاسمية ؛
جنوب اليمن ، من الإنفصال حتى الاستقلال ؛
استعمار عدن وحماية الامارات في الجنوب ؛
الحركة الوطنية في الجنوب ؛
التعريف الجغرافي والتقسيم الاداري والسياسي للجنوب قبل الاستقلال ؛
النفوذ المصري في اليمن تحت الراية العثمانية ؛
عرض عام في الحكم العثماني الثاني في اليمن ؛
عرض عام في الدولة الزيدية الثالثة والأخيرة ؛
مراحل النضال اليمني في الشمال ؛
ثورة السادس والعشرين من سبتمبر / أيلول المجيدة ؛

ولقد شمل القسم الخاص بتأريخ اليمن قبل الإسلام ؛ أهم ما توصل اليه الباحثون في الكتابات والنقوش اليمنية القديمة من معلومات تأريخية ، بعد

دراسة مستفيضة مقارنة قمت بها لمختلف آراء الباحثين فيها من مستشرقين وعرب ، تناول فصل (تأريخ الأبحاث الأثرية في اليمن) ، من هذا الكتاب اسماء معظمهم .

علماً بأن المؤرخين اليمنيين حتى اليوم عالة بصورة اساسية على الدراسات التي قام بها أولئك الرواد منذ أكثر من مائتي عام ، لأن اليمنيين (وللحقيقة) لم يضطلعوا بالتنقيب العلمي في الآثار اليمنية .

ولأن الكثير من الكتابات والنقوش التي عثر عليها أولئك الرواد قد ذهب معظمها واختفى من مكانه بعوامل الزمن ، وبسرق الكثير منها ، ونقلها الى متاحف ودور الآثار والمعاهد الأجنبية ، في مختلف بلدان العالم ، وبتكسير وتحطيم الكثير مما تبقى منها من قبل أبناء مناطق الآثار لمختلف الأغراض جهلاً وعبثاً .

ومع ذلك ، فما يزال لدى الكثير من الباحثين أمل في العثور على الكثير من المعلومات التأريخية الهامة في الكتابات والنقوش التي لم تستخرج من تحت الأتربة ومن بين الأنقاض في مختلف مناطق الآثار في اليمن .

وستظل استفادتنا من محصلات أولئك الباحثين على الأقل حتى يتم تنقيب علمي شامل في الآثار اليمنية من قبل متخصصين يمنيين .

أما بالنسبة لتأريخ اليمن بعد الإسلام ، فإنّ القسمُ الخاص به من هذا الكتاب جاء حصيلة دراسة مستفيضة ومقارنة بين مختلف آراء واتجاهات المؤرخين دون تعصب لرأي أو انحياز الى جهة .

ساعدني على كل ذلك تكريس جهودي لدراسة التأريخ اليمني في مختلف مصادره القديمة والحديثة منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً ، مع متابعة مستمرة وجادة لكل ما يجدّ من معلومات تأريخية .

علماً بأني أصدرت الجزء الأول من (تأريخ اليمن السياسي) والخاص بتأريخ اليمن قبل الإسلام في عام ١٩٦٠ م ، أي قبل ثورة السادس والعشرين

من سبتمر١٩٦٢ م بعامين .

لذلك كله ، فإنّ هذا الكتاب (التأريخ العام لليمن) نتيجة المعاناة والمثابرة والمتابعة المستمرة ، والتفرغ شبه الكامل في الماضي ، والكامل منذ سنوات في الدراسة والبحث ، جاء فيها أرجو أكثر شمولية وأوفى مادة وأوسع تحليلاً ، وأدق تحقيقاً وأكثر إفادة من كتابي (تأريخ اليمن السياسي) .

ومع ذلك ، فإني لا أدعي اني بلغت في كتابي هذا أعلا درجة ممكنة من الإجادة ، إذ أن بلوغ هذه الغاية يقتضي جهداً جماعياً ، وبعد تنقيب علمي شامل في الآثار اليمنية ، يضطلع به مؤهلون يمنيون تدعمه خبرات منظمات دولية واكاديميات متخصصة .

وإني لأكرر ما دعوت اليه في كتابي السابق ، وفي مختلف المناسبات من ضرورة قيام حكومتنا الرشيدة ، ممثلة بجامعة صنعاء ، وبالهيئة العامة للآثار ودور الكتب بتأهيل عدد من خريجي الجامعات (كلية الآداب قسم التأريخ والآثار) للتخصص في دراسة علم الآثار والتنقيب ، ودراسة ما توصل اليه الباحثون في قواعد اللهجة اليمنية القديمة ومصطلحاتها ومعجم مفرداتها ، واعدادهم علمياً للإسهام في التنقيب والدراسة والبحث في تأريخ اليمن بجميع مراحله ، على اساس اخضاع ما قد توصل اليه الباحثون والرواد الأوائل للمراجعة العلمية عند اعادة كتابة التأريخ اليمني ، بعد توفر الشروط والامكانيات اللازمة لإعادة كتابته .

كما أهيب بالهيئة العامة للآثار ودور الكتب بالقيام بتصوير المخطوطات اليمنية المتوفرة في العديد من المكتبات والمعاهد العالمية مما لم يتوفر في اليمن ، وتصوير كل ما يمكن تصويره من وثائق تاريخية في مختلف البلدان التي كانت لها صلات مع اليمن ، كإحدى المهمات الهامة والأساسية لتوفير وسائل وامكانيات اعادة دراسة وكتابة التأريخ اليمني بصورة أقرب الى الكمال ، وهذه المهمات الأساسية في هذا الخصوص لا مناص لهذه الجهات المتخصصة من الاضطلاع بها .

هذا ، ولقد كان لنفاد كتابي (تـأريخ اليمن السيـاسي) من المكتبات ، ولافتقار المكتبة العربية لكتاب شامل لتاريخ اليمن بصورة مفيدة دفعة جديدة لي لبذل الجهد ، ووضع هذا الكتاب (التأريخ العام لليمن) ، الـذي لا يعدو أن يكون إحدى المحاولات الجادة العديدة التي أبذلها ويبذلها غيري لإبراز تاريخ اليمن بطابع متميز ومفيد . واذا كنت قد اتَّبعت في التأريخ لبعض الدول والأمارات الطريقة التقليدية للمؤرخين من ذكر احداثها بتواريخ حدوثها ، إلا أني التزمت ذلك لأهم الأحداث مع تحليلها ، والاشارة الى أسبـابها ودوافعهـا والنتائج التي ادت اليها ، ثم قمت بعد ذلك بعرض عام لكل دولـة وامارة في نهايـة الفصـل الخـاص بتـأريخهـا ، تنـاولت فيـه مختلف النـواحي السيـاسيـة والاقتصـادية والاجتمـاعية والثقـافيـة والعمـرانيـة وغيـرهـا بقـدر الامكـان ، والأحداث عادة هي محور التأريخ في مسيرة الحياة عبر تأريخها الطويل .

ولذلك ، فإنه لا بدّ من استعراض احداث الماضي لأخـذ العبرة منهـا للحاضر والمستقبل ، وهذه هي الغاية من دراسةوكتابة التأريخ ، ارجو ان يحقق كتابي الغاية المرجوة من وضعه ، والله من وراء القصد ، وهو ولي التوفيق .

المؤلف .

تأريخ الأبحاث الأثريّة في اليمن

لا شكّ أنّ بحث التأريخ و (تأريخ اليمن بالذات) قديمه وحديثه لا يقلّ أهميّةً عن بحث أي سر من أسرار الحياة ، ففي التأريخ عبرة وعظة ، ودراسة التأريخ بعمق ، والغوص في أسرار احداثه ، وفهم أسبابها ومسبباتها يهدي الأمة الى مسيرة التأريخ ومنعطفاته ، ومواطن ضعفه وقوتّه ، والتي تتأثر وتؤثر بالإنسان .

لذلك اهتمّ رواد البحث من المستشرقين والعلماء بتأريخ اليمن والقديم منه بالذات ، وتجشموا المشاق ، وركبوا الأهوال ، وعبروا المحيطات في سبيل الوصول الى اليمن ، وأدّت رحلاتهم الى نتائج مفيدة ، وكثير منهم فقد حياته قبل الوصول الى غايته .

لذلك ، يجدر بنا قبل أن ندخل في صلب الموضوع التأريخي أن نعرج قليلاً على هؤلاء الروّاد من الباحثين مستشرقين وعرباً ، فنعرف ما قاموا به وما حقّقوه في ذلك ، ومن هؤلاء الروّاد :

الميجر ده لاجر لودير الفرنسي :

أول بعثة أجنبيّة الى اليمن بعثة « الميجر[1] ده لاجر لودير » الفرنسية في عام ١١٢٤ هـ ألف ومائة وأربعة وعشرين هجرية . وقد وصلت الى مدينة (المخا) (ميناء اليمن الرئيسي آنذاك) تحت ستار التجارة ، ولمّا علم الإمام

(١) المصدر (دتلف نيلسن) في الفصل الذي شمله كتاب (التأريخ العربي القديم) مطبعة مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٥٨ م ص (٥) .

(محمد بن أحمد بن الحسن) صاحب المواهب[٢] بوصولها طلب إليها عن طريق عامله على المخا بأن تبعث اليه بطبيب البعثة لمعالجته ، فأرسلت اليه البعثة الى قصره بالمواهب عدداً من أعضاء البعثة من بينهم الطبيب ، ونجح الطبيب في معالجته بعد إقامة شهر كامل في قصره ، كانت خلال إقامتها موضع حفاوته وتكريمه ، ثم عادت البعثة الى المخا ومنها الى فرنسا ، وقد اهتمّت البعثة بدراسة أحوال القصر الإمامي وما يجري فيه ، كما تعرّفت على عادات اليمنيين في ولائمهم وأفراحهم وأتراحهم ، ولم تهتم بتأريخ اليمن وكتابات الآثار فيه كما فعل غيرها من البعثات .

الرحّالة كارستن نيبور الدانمركي

تعدّ بعثة ملك الدانمرك (فردريك[٣] الخامس) إلى اليمن أول بعثة علميّة أهتمّت بدراسة النقوش والكتابات الأثريّة في اليمن ، وقد عُرفت البعثة ببعثة (نيبور) بين عامي ١٧٦١ ـ ١٧٦٧ م وقدّمت الكثير من المعلومات التأريخيّة القيّمة ، ولم يكن (نيبور) رئيس البعثة ، وإنما كان ضابطها ، إلا أنّه الوحيد في البعثة الذي قُدّر له أن يعيش وأن يقوم بالمهمة ، وأن يعود الى (الدانمرك) في عام ١٧٦٧ م بالمعلومات القيّمة .

وكانت البعثة تتألف من خمسة أشخاص وهم : (كارستن هافن) لعلوم الاستشراق ، و (بترفوا سكول) للعلوم الطبيعيّة ، و(كارستن نيبور) المذكور ضابط البعثة ، و(كارستن كارل كرامر) الطبيب ، و (جورج فلهلم بورنفيند) الرسام ، وقد توفوا جميعاً عقب وصولهم الى اليمن ، وقبل أن يؤدوا مهمتهم ، باستثناء ضابط البعثة (كارستن نيبور) الذي قُدّر له أن يعيش ، وأن يقوم بالمهمّة ، كما علمنا ، وقد ترك (نيبور) فيما ترك صوراً يدويّة ، ومنها

---

(٢) المواهب قرية اقرب مدينة ذمار على بعد عشرة كيلومتر شرقاً مدنها الإمام (محمد بن أحمد بن الحسن) واتخذها دار اقامته ومركز دولته ودفن بها بعد موته ، وقد اندثرت ولكن آثارها ما تزال باقية ا هـ . من اليمن الكبرى للسيد حسين بن علي الويسي ص ٥٤ .

(٣) دتلف نيلسن المصدر آنف الذكر ص ١ .

صورة لمدينة (تعز) كما كانت عليه في ذلك التأريخ رقم (٦) . وصورة مماثلة لمدينة (يريم) رقم (٧) ، ورسماً كروكياً لمدينة (صنعاء) وضواحيهـا ورسماً مماثلاً لمدينة (تعز) ورسماً يدوياً للإمام الحاكم لـ (صنعاء) في عهده ، وهو في مقابلة عامّة تحفّ به حاشيته وبعض جنوده ، صورة رقم (٨) وكان هو الإمام المهدي(العباس بن المنصور حسين) أحد أئمةبيت القاسم ، وسجّل (نيبـور) نتائج أبحاثه تلك في كتاب باللغة الألمانيَّة ، بعنوان (رحلة نيبور) ، وقد ظهر منه الجزء الثاني[٤] ، أو الجزء الثالث بعد موته كما جاء في الموسوعة العربية الميسرة .

الدكتور و . ي ستزون

وصل الدكتور (و . ي ستزون) الى اليمن في عام ١٨١٠ م ألف وثمانمائة وعشرة للميلاد ، وقد عثر بالقرب من مدينة (ذمار) على خمسة نقوش حميريّة كان (نيبور) قد أشار اليها ونسخها ، ولمّا كانت الأحوال السياسية أثناء زيارته لليمن في عهد الإمام المنصور (علي بن المهدي العباس) مضطربة وغير مستقرة سياسياً ، فإنّ هذا الرحالة لم يتمكن من التجوال في اليمن بحرية تامة ، واكتفى بنقل النقوش الخمسة المشار اليها ، إلا أنه ترك الى جانبها رسوماً وأوراقاً وكتباً ممهورة بتوقيعه ورسائل أخرى[٥] .

اللفتنانت الانكليزي / ولستد

وصل هذا الى اليمن والى حضرموت بالذات في تأريخ ١٨٣٤م أربعة وثلاثين وثمانمائة وألف للميلاد ، ثم وصل اليه للمرة الثانية والأخيرة في العام الذي يليه ، وتجوَّل في شرق (بالحاف) من (حضرموت) واكتشف فيه نقش (حصن الغراب) على الصخر الأسود الـذي بني عليه الحصن ، ويعتبر هذا النقش الأثري أول نص مكتوب من عشرة أسطر ، ويرجع تأريخه الى عام ٦٤٠ م ستمائة وأربعين ميلادية .

---

(٤) دتلف نيلسن المصدر المذكور ص ٣ .

(٥) دتلف نيلسن نفسه ص (٦) .

كما تجوّل (ولستد) في غرب (ميفعة) من (حضرموت) ، وعثر فيه على آثار مدينة (ميفعة) ، والتي سُميت أخيراً بمدينة (ثقب الهجر) ، ونقل منها نقشاً عرف لدى الباحثين بنقش (ثقب الهجر) .

وقد أثبتت دراسات العلماء أن هذه المنطقة من (حضرموت) كانت وطناً لحضارة رفيعة ، وأنّ بقايا الحائط الموجود فيها قد تكون بقايا تحصين قديم أُقيم في الماضي لحماية الطريق التجاري البري بين (الهند) و (حضرموت) ، وأنّ المدينةالتجاريةالقديمة والشهيرة باسم (كاني) يرجح أن بقاياها هي المعروفة اليوم باسم (حصن الغراب) ، أو هي في مكان قريب(٦) منه .

الرحالتان الانكليزيان هلتون وكرتندن

وصل هذان الرحالتان الى شواطىء اليمن على ظهر سفينة انكليزية من سفن قياس الشواطىء ، وذلك في عام ١٨٣٦ م (ألف وثمانمائة وستة وثلاثين ميلادية) ونفذا منها الى (صنعآء) ، وفيها توفي (هلتون) ، بينما عاد (كرتندن) إلى بلاده ، ونشر خمسة نقوش سبائيّة وجدها في صنعآء دون أن يحدد المكان الذي عثر فيه على النقوش المذكورة(٧) .

الرحالة أدولف فون فريده الألماني

وصل هذا الى (حضرموت) في عام ١٨٤٣ م (ألف وثمانمائة وثلاثة وأربعين ميلادية) ، حيث نفذ اليها من ميناء (مكّلأ) ، بعد أن اجتاز الصحراء المعروفة باسم (بحر الصافي) من صحراء (الأحقاف) عن طريق (دوعن) ، ووصل الى سهل (ميفعة) الشرقي ، وفي الوادي المعروف باسم وادي (أبنه) عثر على بقايا حائط قديم ، وعليه نقش حضرمي مؤلف من خمسة سطور ، ويعرف عند العلماء الأثريين باسم نقش (أبنه)(٨) .

---

(٦) المصدر نفسه ص (٧)

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٨) المصدر نفسه ص (٨) .

يوسف ارنود الفرنسي

وفي العام المذكور ١٨٤٣ م (ألف وثمانمائة وثلاثة وأربعين ميلادية) وصل الى صنعآء المستشرق الفرنسي (يوسف أرنود) كطبيب للسفارة التركيّة ، ومن (صنعآء) رافق قافلة كانت تتجر بالملح الماربي ، عائدة من صنعآء الى (مأرب) ، حيث وضع نفسه تحت حماية أحد أفرادها ، مقابل جعل مالي ، ووصل الى مأرب في ١٢ يوليو / تموز من العام نفسه ، وقد أحسن أمير (مأرب) استقباله ، وساعده في الوصول الى منطقة الآثار فيها ، عند سورها القديم ، والى معبد (المقه) (القمر) الذي يسميه الناس (محرم بلقيس) و(معبد بلقيس) ، وكان قبل أن يدخل مأرب قد رسم تخطيطاً للسد[٩] ، كما نسخ عدداً من النقوش ، ولدى عودته إلى (صنعآء) برفقة القافلة المذكورة عن طريق (صرواح)[١٠] ، استطاع أن ينقل منها عدداً من النقوش ، وقد وصل الى صنعآء عائداً من رحلته في ٢٥ يوليو من العام المذكور ، هذا ومجموع النقوش التي حصل عليها في (مأرب) و (صرواح) ٥٦ نقشاً ، ووصلت هذه النقوش الى القنصل الفرنسي في (جدّة) (فرسل) ، وهو بدوره أرسلها إلى المجلة الآسيوية (جورنال أزياتيك) التي نشرتها في عام ١٨٤٥ م (ألف وثمانمائة وخمسة وأربعين ميلادية)[١١] .

لوفتوس الإنكليزي :

وحدث أنّ خادماً للباحث الانكليزي (لوفتوس) الذي كان يعمل في حفريات بريطانيّة في بلاد (بابل) بالعراق ، كبا به جواده بالقرب من (ورقآء) هناك ، فوجد في القبر نقشاً عربياً جنوبياً هاماً لشخص يدعى (هنتشر بن عيسو) وذلك في عام ١٨٥٠ م (ألف وثمانمائة وخمسين ميلادية) ، وقد استفاد

---

(٩) المصدر نفسه ص (١١) .

(١٠) (صرواح) مدينة بين خولان الطيال (خولان صنعاء) ومأرب وهي من خولان ، وكانت العاصمة الأولى لـ (سبأ) قبل (مأرب) العاصمة الثانية لها .

(١١) دتلف نيلسن ص (١١) .

العلماء من هذا النقش[١٢] .

الضابط الإنكليزي كوجلان

كما[١٣] حصل هذا الضابط الإنكليزي على مجموعة من الألواح البرونزيّة السبائيّة ، وكان المتحف البريطاني قد حصل في نفس الوقت على بعض الأحجار من (مأرب) ، وعلى حوالي أربعين قطعة من الكتابات الأثرية ، وقد قام (ارنسيت أوسيندر) ، الإنكليزي بشرح هذه النقوش ونشرها بعد عام من وفاة (كوجلان) أي في عام ١٨٦٤ م (ألف وثمانمائة وأربعة وستين ميلادية) .

المستشرق يوسف هاليفي

وصل[١٤] الأستاذ الشهير المستشرق (يوسف هاليفي) الى اليمن منتدباً من قِبَل أكاديمية الفنون الجميلة في فرنسا ، وذلك في عام ١٨٧٠ م (الف وثمانمائة وسبعين ميلادية) وكان يهودياً ، ولمّا كان اليهود في اليمن يتمتعون بحرية تجوالهم داخل اليمن دون أن يتعرضوا لأي أذى لما تقتضيه الشهامة العربية من عدم اعتراض اليهود العزل من السلاح ، فإنّ (هاليفي) استغلّ هذه العادة الكريمةواتصل ببعض يهود اليمن وتزيّا بزي يهودي فقير ، واستطاع أن يتجوّل داخل اليمن بحرية تامة ؛ يرافقه يهودي من اليمن اسمه (حبشوش) . وأن ينقل معه كثيراً من النقوش الأثرية من (مأرب) و (الجوف) و (نجران) و(صرواح) ، وأن يعودا الى صنعآء[١٤] سالمين ، وقد عاد (هاليفي) إلى (فرنسا) بما لا يقل عن ستة وثمانين نقشاً ، جمعها من سبعة وثلاثين مكاناً من الأماكن المذكورة آنفاً ، ومن غيرها ، ونشرها مع تقرير

---

(١٢) المصدر نفسه والصفحة .

(١٣) المصدر نفسه ص ١١ .

(١٤) المصدر نفسه ص ١٢ .

عن رحلته وترجمة لها في عام ١٨٧٢ م (ألف وثمانمائة واثنين وسبعين ميلادية) .

كما نشر (هاليفي) في الأعوام التالية للعام المذكور بحثاً حول النقوش التي عثر عليها ، وراجع كثيراً من النقوش التي . كانت معروفة حتى ذلك العصر .

ولقد قال (دتلف[١٥] نيلسن) في الفصل الذي كتبه بعنوان (تأريخ العلم ونظرة حول المادة) والذي نشره مع اربعة فصول أخرى لأربعة من المستشرقين ذكروا آنفاً الدكتور (فؤاد حسنين) واستكمله في كتابه (التأريخ العربي القديم) ما نصه : « والقيمة العلميّة لهذه الرحلة يجب أن لا ينظر اليها من ناحية كمية النقوش التي اسفرت عنها ، بل من ناحية المعلومات الجديدة ، التي جاءت بها فقد علمنا بمقتضاها أنّ هناك حضارة رفيعة لشعب ضرب في المدنيّة بحظ وافر » .

رحلات المستشرق الكبير أدوارد جلازر الى اليمن

وفي[١٦] عام ١٨٨٢ م (ألف وثمانمائة واثنين وثمانين ميلادية) وصل الى اليمن العالم المستشرق النمساوي استاذ اللغة العربية وفلكي المراصد بـ (فيينا) في النمسا (ادوار جلازر) موفداً من قبل الأكاديمية الفرنسية في (باريس) ، واستطاع بين عامي ١٨٨٢ - ١٨٨٤ ان يقوم برحلات ثلاث في شمال اليمن ، الأولى الى بلاد السودة من بلاد حجة ، حيث رافق فيها حملة تركية اليها ، وفي هذه الرحلة القى نظرة عامة على المنطقة .

والثانية قام بها برفقة بعض اليمنيين الى (شبام) و(كوكبان) و(حجة) و(عمران) ، فحص في هذه الرحلة الخرائب الأثرية في هذه المناطق ونقوشها .

---

(١٥) المصدر نفسه ص ١٤ .

(١٦) المصدر نفسه ص ١٧ .

والرحلة الثالثة كانت له برفقة بعض قبائل أرحب ، وقد استطاع أن يوافي أكاديمية (فرنسا) بنتائج رحلاته الثلاث ، وتتلخص بأربعة نقوش سبائيّة كان قد عثر على ألواحها ،وما يقرب من مائتين وثمانين نقشاً استطاع أن ينسخها من كتابات شاهدها ، وقد نشر الدكتور (ينبورج) بعضها في المدونة الخاصة بالنقوش السبائيّة في (فرنسا) .

وفي عام ١٨٨٥ م (ألف وثمانمائة وخمسة وثمانين ميلادية عاد (جلازر) إلى اليمن للقيام برحلته الرابعة ، وحصل فيها على نقوش حميريّة في (ظفار يريم) ، وفي المنطقة الأثرية الواقعة بالقرب من (ذمار) ، وفي (رداع) ، وعلى نقوش أثرية معينيّة في (الجوف) وعدد النقوش التي حصل عليها في هذه الرحلة سبعة وثلاثون نقشاً ، وقد أضيفت هذه المجموعة الى المتحف البريطاني .

وقام برحلته الخامسة الى اليمن بين عامي ١٨٨٧ م - ١٨٨٨ (سبعة وثمانين وثمانية وثمانين وثمانمائة وألف ميلادية) ، ووصل الى (مأرب) بزي فقيه عربي ، وبرفقة أصدقاء من بينهم أحد أشراف (مأرب) ، وقد أقام في مأرب هذه المرة ستة أسابيع استطاع خلالها أن يرسم تخطيطاً لآثار القنوات القديمة في (سد مأرب) ، وتخطيطاً لموقع سدود المياه العظيمة التي كانت مصدر خصوبة (سبأ) ، وسبباً قوياً من أسباب حضارتها ورقيها ، وعاد (جلازر) من هذه الرحلة الى (أوروبا) بما يقرب من أربعين نقشاً سبائيّاً عدا القطع الأثرية الأخرى والنقود والخواتم ، وغيرها ، وقد ضمها جميعها (متحف المانيا ببرلين) ، ثم عكف (جلازر) بعد هذه الرحلة على دراسة النقوش وشرحها وفي عام ١٨٩٢ م (ألف وثمانمائة واثنين وتسعين ميلادية) عاد (جلازر) الى اليمن في رحلته السادسة والأخيرة بمساعدة اكاديمية (براغ) ، إلا أنّ الظروف السياسية في اليمن آنذاك لم تتح له حرية التجوال في اليمن بسبب ثورة اليمنيين على الأتراك ، ولكنه انتهج عملية (الاستنباج)، أي طبع الأوراق على النقوش عن طريق القبائل الذين كان يعلمهم ذلك ، ويزودهم بالمكافآت المالية للحصول على النقوش ، وبذلك حصل على كثير من النقوش المعينيّة من مدن

(الجوف) الأثرية .

كما حصل مع ذلك على نقش (صرواح) العظيم الذي يُعَرف عند علماء الآثار بنقش النصر ، والذي يشتمل على أكثر من ألف كلمة ، وعلى ما يقرب من مائة سطر .

ومن ثمرات هذه الرحلة لـ (جلازر) إلى (اليمن) أربعون نقشاً تقريباً ، ومجموعة من النقود اليمنية القديمة ، وقد اقتناها جميعها (المتحف الخاص بتأريخ الفنون بفيينا بالنمسا) ، ونشرت جميعها وصارت في متناول جميع الباحثين .

وبوجه عام فرحلات (جلازر) إلى (اليمن) أفادت الباحثين في تأريخ اليمن القديم أكثر من أي رحلة أخرى لأي رحّالة في بلاد العرب الجنوبية (اليمن) ، وذلك بفضل إعداده العلمي للمهمّة ، ثم تحديده لهدفه قبل البدء بعمله ، الى جانب مرونته وجلده وطول المدة التي قضاها في اليمن والتي اكسبته صداقة الكثير من اليمنين .

ولا تنس مع ذلك النتائج الكبيرة التي حققها الرحالتان (نيبور) الدانمركي ، و (هاليفي) الفرنسي ، وباحثون آخرون بالدرجة الثانية ، بعد هؤلاء ، وقد وهب الله المستشرق (جلازر) فسحة من الوقت منذ عودته من رحلته الأخيرة الى اليمن .

المستشرق سيجفرند لنجر النمساوي

كما[١٧] وصل الى (اليمن) في عام وصول (جلازر) اليه للمرة الأولى في عام ١٨٨٢ (ألف وثمانمائة واثنين وثمانين ميلادية) المستشرق الشاب أخصائي اللغة العربية في (فيينا) العاصمة النمساوية ، وقد عثر بالقرب من (جهران) على نقش حميري كبير .

---

(١٧) المصدر المذكور دتلف نيلسن ص ١٧ .

كما وصل الى منطقة الآثار بالقرب من (ضاف) (إحدى قرى ناحية جهران) ، وهي التي أشار اليها (نيبور) ومنها إلى صنعآء ، وفيها استطاع أن ينسخ نقشين ، ثم انتقل الى (عدن) عن طريق (الحديدة) وفيها نسخ عدداً من النقوش ، بينها نقش هام من الناحية اللغوية ، وباللهجة الحضرمية القديمة ، وبالرغم مما به من تلف ، ومن (عدن) تنكر وغامر بدخوله الى اليمن الشمالي للمرة الأخيرة ، ولكنه قُتل كما أثبتت تحريات (جلازر) وهو يسبح في نهر (وادي بنا) ، وكان قد تمكن من ارسال اثنين وعشرين نقشاً أثرياً الى (فيينا) نشرت بعد وفاته .

الرّحالة كلاسر

هذا وهناك الرحالة (كلاسر) الذي قام برحلته الى اليمن بين عامي ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م (ثلاثة وتسعين وأربعة وتسعين وثمانمائة وألف للميلاد) ، إلا أننا لم نعرف شيئاً عن نتائج رحلته ، بل ولم نعرف عن رحلته هذه إلا من العلاّمة الدكتور (فرتز هومل) عند بحثه للكتابات القتبانية في الفصل الذي كتبه بعنوان (التاريخ العام للبلاد العربية الجنوبية) والذي نُشر في كتاب (التأريخ العربي القديم) آنف الذكر .

الرحالتان النمساويان الدكتور هـ . مللر وك . لندبرج

وفي[١٨] عام ١٨٩٨ م (ألف وثمانمائة وثمانية وتسعين للميلاد) أوفدت أكاديمية (فيينا) النمساوية كلاً من الدكتور (هـ . ميللر) و(ك . لندبرج) لمواصلة البحث العلمي في الآثار الحضارية اليمنيّة ، واستأجرت الأكاديميّة الباخرة السويدية (جونفريد) خصيصاً للبعثة ، وأبحرت بها إلى شواطىء اليمن ، ولكن الإنكليز لم يسمحوا للبعثة بالدخول الى اليمن من (عدن) ، فأقلت الباخرة البعثة من (عدن) واتجهت شرقاً ، ونزلت البعثة منها في إحدى الموانىء الشرقية التي لم يكن الانكليز قد بسطوا أيديهم عليها ، ونفذت منها إلى

---

(١٨) المصدر المذكور (دتلف نيلسن) ص ٢٣ .

(حضرموت) ، وتمكنت من زيارة الخرائب الواقعة بالقرب من (شبوه) ، وطبع نقش (ثقب الهجر) و (نقش أوبنه) ونقش (حصن الغراب) السالفة الذكر .

وفي يناير / كانون الثاني من نفس العام وصلت البعثة الى جزيرة (سقطرة) ، وقامت فيها وفي (مهرة) وفي سائر المناطق المجاورة لها بدراسة اللهجات الموجودة فيها ، ونشرت فيها بعد أبحاثاً عنها .

كما نشر الدكتور (مللر) كثيراً من النقوش ، وعني بالقواعد ، وحاول ترتيب النقوش ترتيباً زمنياً .

وساهم[١٩] باحثون آخرون انكليز في زيادة المعلومات عن الآثار ومنهم : (فان دن برج) و (ج . ب . هريس) و (ليو هرش) و(كرلو لندبرج) و(بنت) و (ج . وبري) ، وذلك لأن الساحل الجنوبي (عدن) وموانىء (حضرموت) كانت آنذاك تحت النفوذ الإنكليزي ، مما ساعدهم على البحث والتجول بحرية تامة في الخرائب ومناطق الآثار ونقل النقوش ودراستها .

الرحالة الألماني برخردت

ووصل[٢٠] الرحالة الألماني (هرمن برخردت) الى اليمن بين عامي ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧ م (ألف وتسعمائة وستة وألف وتسعمائة وسبعة للميلاد) واستطاع أن يصوّر كثيراً من النقوش اليمنيّة القديمة ويرسلها الى (المانيا) .

العالم الدانمركي أولف هوير

ولما[٢١] نشبت الحرب العالميّة الأولى بين عامي ١٩١٤ م ـ ١٩١٨ م (أربعة عشر وثمانية عشر وتسعمائة وألف للميلاد) وتعذّر على العلماء الأجانب الاستمرار في رحلاتهم الى اليمن انتهز العالم الدانمركي (أولف هوير) فرصة

---

(١٩) نفس المصدر والصفحة

(٢٠) نفس المصدر ص ٢٤ .

(٢١) نفس المصدر والصفحة .

أغلاق مدرسته التبشيرية في (عدن) وعاد الى بلاده ومعه بعض النقوش الأثرية التي كان قد حصل عليها من اليمن أثناء إقامته في (عدن) ودرسها ، وقدّم بذلك خدمة جليلة للباحثين .

العالمان راتجينز وفون فيسمان

وفي[٢٢] عام ١٩٢٨ م ، وصل الى اليمن العالمان (راتجينز) و (فون فيسمان) ، وقد أحسن الإمام يحيى استقبالهما وكلفهما بالإشراف على أعمال الحفريات التي كانت تجري في بلاد حجة ، وتكللت أعمالهما بالتوفيق . وهذا ما ذكره عنهما الدكتور (فؤاد حسنين) في (استكمال التأريخ العربي القديم) .

أما الدكتور أحمد فخري فإنه ذكر في كتابه (اليمن[٢٣] ماضيها وحاضرها) عن رحلة هذين العالمين وعن أعمالهما في اليمن ، انهما قاما في عامي (٣١ و١٩٣٢ م برحلات متعددة الى الحبشة وحضرموت واليمن الشمالي ، وأضاف : انه كان لهما الفضل بالقيام بأولى حفائر في اليمن وذلك في (النخلة الحمراء) في بلاد الحدأ ، وفي (غيمان) بني بهلول ، وفي حجة وعلى نفقة ولي العهد ، أحمد في حينه (أحمد بن يحيى حميد الدين ،) ، ولكن هذه الحفائر كانت غير منتظمة ، وكانت على نطاق ضيق . وأضاف أيضاً : إنهما لقيا كثيرا من الصعوبات ، ولم يستطيعا الاستمرار .

ثم قال : « وقد نشرا نتائج ابحاثهما الجغرافية والأثرية في مؤلف يعد من خيرة ما كتب عن اليمن ، وهو في ثلاثة اجزاء خصصا الجزء الثاني منه للآثار » .

ثم تحدث الدكتور[٢٤] فؤاد حسنين عن رحلة ثانية قام بها (فون فيسمان) بمشاركة باحثين آخرين فقال : « ثم جاء (فان درموبلن) و (فون فيسمان) وقاما برحلة أخرى عام ١٩٣٧ م غير رحلتهما الأولى التي قاما بها عام

(٢٢) الاستكمال ص (٢٥٦) .
(٢٣) الاستكمال ص (٨٣) .
(٢٤) في استكماله آنف الذكر ص (٢٥٧) .

١٩٣١ م) . وقد تعاونـا في رحلتهما الثـانية مـع فون فـاسيلفسكي) . فأتـوا جميعهم لعلم اللغات السامية بفوائد كثيرة .

هـذا والمعروف أن التمثـال البرونـزي المعروف بـ (ذمـار عـلي يهبـار) (صـورة رقم ٩) ولولـده (ثارن يعب يهنعم) أخـرجـا من خـرائب النخلة الحمراء في مخلاف الكيم من بلاد الحدأ في عام ٣١ - ١٩٣٢ م ، وذكر أنه وجد الى جانب التمثالين المذكورين لوحتانٌ رسم على احداهما وجـه رجل ذكـر انه وجه (ذمار علي) المذكور ، وعلى اللوحة الأخرى رسم حذآء (الصورتان رقم ١٠ و١١) ولتمثالي ذمار علي وابنه ثارن يعب يهنعم نسختان موجودتان في الهيئة العامة للآثار ودور الكتب وصلا مع حطام تمثال ذمار علي من المانيا بعد ارسال التمثال اليها لترميمه والنسختان هما صورة رقم (١٢) ورقـم (١٣) .

الرحالات الثلاث: ج ـ كاتون طمسون وأ . جاردنر و ف . شِترك

وفي(٢٥) عام ١٩٣٧ م وصلت هؤلاء الرحالات الثلاث الى حضرموت وقمن باكتشافات اثريـة ومنها (معبـد الإله القمـر في موضـع (عمد) مقـابل (الحريضة) في بلاد حضرموت ، بعد ازاحة الأتربة عنه ، كما عثر عـلى عدد من النقوش وعلى وسيلة من وسـائل الـري القديمـة ، ونشرن نتـائج رحلتهن وابحـاثهن في عام ١٩٤٤ م ، ثم قـامت (ف . شترك) بمفـردهـا بعـدد من الرحلات في البلاد العربية السعيدة (اليمن) ونشرن الكثير عن رحلاتهن .

الرحالة فلبي

وقام(٢٦) الرحالة فلبي برحلته الأولى الى اليمن في عامي (٣٦ و١٩٣٧ م ، وكانت من أخطر وأنفع رحلاتـه التي قام بهـا الى اليمن ، وقد بـدأها من (جدة) ماراً بـ (عسير) فـ (نجران) إلى (شبوة) و (تريم) بحضرموت ، وواصل سيره في صحراء اليمن حتى وصل الى الشحر ، وقد نشر نتائج رحلته

---

(٢٥) و(٢٦) الاستكمـال آنف الـذكـر الصفحـات (٢٥٦) و(٢٥٧) و(٢٦١) ونفس الصفحة .

هذه في كتاب أصدره بلندن عام ١٩٣٩ م .

وقام[٢٧] برحلته الثانية على رأس بعثة علمية تتألف منه رئيساً ، و(ريكنز) وابن اخيه (ليبنز) ، اعضاء ، وذلك في عام ١٩٥١م وقد تحرك ركبهم من جدة أيضاً ، ماراً بالطائف وأبها عسير ونجران ، ومنها عبروا طريق (الربع الخالي) إلى (الرياض) ، وتقدموا بسيارتهم حوالي خمسة آلاف كيلومتر في أرض مجهولة ، وذكر الدكتور فؤاد حسنين في استكماله[٢٨] لكتاب (التأريخ العربي القديم) أنهم عادوا ومعهم مجموعة كبيرة من الكتابات والنقوش الخطية الأثرية ، ومنها نحو اثني عشر ألف كتابة أثرية ، استطاعوا نسخها ومن بينها تسعة آلاف كتابة ثمودية ، وثلاثة آلاف نقش سبائي ، وفيها عدد لا يستهان به من المخربشات ، والأخيرة تفيد الباحثين من ناحية معرفة تطور الخط ، وعثرت البعثة المذكورة بالقرب من عين ماء على نقش لأبرهة الحبشي يرجع الى عام ٥٤٧ م ، (خمسمائة وسبعة وأربعين للميلاد) .

وكذلك عثرت البعثة على نقش يرجع الى عام ٥١٨ م ، (خمسمائة وثمانية عشر للميلاد) ، وهو لـ (ذي نواس الحميري) الذي اضطهد النصرانيّة في اليمن كما تعرف ذلك في موضعه من هذا الكتاب .

وأضاف الدكتور فؤاد حسنين في استكماله لكتاب (التأريخ العربي القديم) آنف[٢٩] الذكر قائلاً : « واهتدت البعثة أيضاً الى عدد كبير من النقوش والخرائب ، وأضاف قائلاً[٣٠] أيضاً : « وقد نشر تقريراً مفصلاً عن هذه الرحلة والنتائج التي توصلت اليها » .

بعثة ويندل فيلبس الأمريكية :

وفيها[٣١] بين عامي ١٩٥٠ - ١٩٥٢ م (خمسين واثنين وخمسين

---

(٢٧) و(٢٨) نفس المصدر السابق .

(٢٩) المصدر نفسه ص ٢٦١ .

(٣٠) نفس المصدر والصفحة .

(٣١) نفس المصدر والصفحة ٢٥٩

وتسعمائة وألف للميلاد) ألفت مؤسسة دراسة الإنسان التابعة لجامعة (جون هوبكنز) الأمريكيّة بعثة علميّة تنقيبيّة برئاسة (ويندل فيلبس) وعلى نفقته ، وقامت البعثة برحلتين الى اليمن .

الرحلة الأولى ركزت البعثة فيها على التنقيب في (بيحان)، وغيرها من المناطق الجنوبيّة في اليمن .

أمّا الرحلة الثانية فانها ركزت فيها على التنقيب في (مأرب) في الشمال الشرقي من اليمن ، وقد ضمت البعثة العالم الجيولوجي (البرايت) استاذ الجامعة المذكورة .

وقال[٣٢] الدكتور (فؤاد حسنين) في استكماله آنف الذكر بعد شيء من تفاصيل أعمال البعثة المذكورة ما نصه : « ولمّا كان الهدف الأساسي لهذه البعثة هو (مأرب) ، فقد بلغتها واكتشفت لنا عن خرائب ترجع الى القرن السابع قبل الميلاد » .

فهناك كشفت عن معبد لإله القمر أو ما يسمونه بـ (محرم بلقيس) أو (عرش بلقيس) ، كما عثرت على كثير من الآثار البرونزية والرخاميّة وبعض النقوش السبائيّة ، وبالرغم من اختلاف وجهات النظر بين حكومة اليمن والبعثة ، فإنّ النتائج التي حققتها أغنتنا كثيراً في هذه الناحية من الدراسات العربية ، وذلك لأن هذه البعثة كانت مجهزة بأحدث الوسائل العلمية للكشف والتنقيب ، كما كان من اعضائها عدد مشهور في المحيط العلمي ، وما نشرته البعثة من نتائج يبشر بأنها توصلت الى ما كانت تبغي . فالمعروف أنه في ابريل / نيسان من عام واحد وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد عقدت البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان إتفاقاً مع امام اليمن أحمد صرّح بمقتضاه للبعثة بعمل حفائر في منطقة تقع حول مأرب ، ومحيطها حوالي خمسة وعشرين كيلومتر ، وفي أول نوفمبر / تشرين ثاني من عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين للميلاد

---

(٣٢) نفس المصدر والصفحة

بدأت البعثة حفائرها .

إلا أنها اضطرت في ١٢ فبراير / شباط من عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين للميلاد الى إيقاف أعمال الحفر ، نظراً لقيام بعض الخلافات بين البعثة ورجال الحكومة اليمنيّة ، وقد أدى هذا الخلاف الى ضياع الآثار القيّمة ، فالآثار القيّمة التي اهتدت اليها في (محرم بلقيس) ذات أهميّة بالغة .

وفي ظفار وطن البخور والواقعة شرقي حضرموت صرفت البعثة حوالي عشرة أشهر كشفت فيها عن هذه المنطقة تماماً ، كما قامت بحفائر في (البليد) و (خوربري) في حضرموت أيضاً .

والشيء الجدير بالملاحظة أن المعبد الذي يّعتقد (البرايت) انه لـ (عثتر) قد وجدت في فنائه مجموعة من الأحجار المستخدمة في رصفه ، وكل حجر يحمل حرفاً من الأبجدية العربية الجنوبية ، ومرتبة ترتيباً ولكن مع تجانس الشكل ، والفضل في ازدياد ثروتنا العلميّة عن بلاد العربية الجنوبية يرجع ولا شك في الأعوام الأخيرة الى هاتين الحملتين العلميتين ، وفصّل[٣٣] مرة أخرى وبصورة أوسع ما يتصل بأعمال البعثة في (قتبان) بمنطقة (بيحان) و (حريب) فقال : « غادرت البعثة (قتبان) بعد أن نقبت فيها موسمين كاملين أولهما امتدّ من ٤ مارس / آذار الى ١٨ ابريل / نيسان من عام خمسين وتسعمائة وألف للميلاد ، وفي هذا الموسم كشفت البعثة عن وادي (بيحان) ، والمدخل الجنوبي الشرقي ، و(حجر[٣٤] ابن حميد) و(حميد بن عقيل) ومنزل خاص .

أمّا الموسم الثاني فقد امتدّ من فبراير / شباط إلى ١١ مايو / أيار من عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين للميلاد وفيه واصلت البعثة عملها الذي بدأته في الموسم السابق ، وقد أغنتنا علماً ومعرفة عن بلاد العربية الجنوبية . فقد تعرفنا الآن على عدد من مفكريها وملوكها ، كما تعرّفنا الى بعض الأحداث التي

(٣٣) المصدر نفسه والاستكمال ص (٢٨٦) .

(٣٤) حجر ابن حميد هو هجر ابن حميد الواقع جنوبي مدينة (تمنع) عاصمة الدولة القتبانية ، ويبعد عنها بتسعة اميال ، وهو منطقة اثرية معروفة .

وقعت ابان حكم ملوك لم تصلنا من قبل إلا أسماؤهم .

ثم تحدّث عن دولة (قتبان) مما عني به الفصل الخاص به من هذا الكتاب .

هذا[٣٥] وثمة رحلات قام بها مستشرقون أجانب ركزوا فيها على الناحية الجغرافيّة ومن هؤلاء : (هارولد) و(انجرام) والصاغ (أ . هاملتون) ، وركزوا جميعاً مع ذلك على (حضرموت)، وقام الصاغ (تزيجر) بعِدَّة رحلات في العربية السعيدة ، تحدث عنها في الصحيفة الجغرافيّة .

الرحّالة العرب

كما قام روّاد عرب برحلات في بلاد العربيّة السعيدة (اليمن) أدّت إلى نتائج علميّة مفيدة ومن هؤلاء :

نزيه مؤيد العظم

قام الرحّالة[٣٦] (نزيه مؤيد العظم) السوري برحلته إلى (مأرب) و (صرواح) وبعض المناطق الأثريّة الشرقيّة في اليمن في عام ١٩٣٦ م (ألف وتسعمائة وستة وثلاثين للميلاد) ، ونشر المعلومات التي حصل عليها في كتابه (رحلة نزيه العظم الى اليمن) ، وذلك في عام ألف وتسعمائة وثمانية وثلاثين للميلاد .

بعثة الجامعة المصرية

وفي عام ألف[٣٧] وتسعمائة وستة وثلاثين للميلاد أيضاً أوفدت (جامعة فؤاد) سابقاً (الجامعة المصرية) حالياً بعثة أثرية برئاسة الدكتور (سليمان حزيّم) ، وأقامت هذه البعثة في اليمن حوالي ستة أشهر قضت معظمها في (ناعط) من بلاد حاشد ، وهي منطقة غنيّة بالآثار ، وقامت ببعض الحفريات

---

(٣٥) الاستكمال ص ٢٥٧ .

(٣٦) الاستكمال ص ٢٥٦ .

(٣٧) نفس المصدر والصفحة .

الأوليَّة ، ثم زارت (حضرموت) زيارة عابرة ، وقد نشر الدكتور (يحيى خليل نامي) أحد أعضاء البعثة رسالة عن النقوش اليمنية التي عثرت البعثة عليها أسماها (نقوش ساميّة قديمة من جنوب اليمن) ، وشرحها ، وذلك في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين للميلاد

الأستاذ محمد توفيق

كما عاد[٣٨] الاستاذ (محمد توفيق) عضو بعثة الجامعة المصرية المذكورة الى (اليمن) ، في عام ألف وتسعمائة واثنين وأربعين للميلاد ، ورجع إلى القاهرة) .

ثم عاد إلى اليمن في عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين للميلاد ، منتهزاً فرصة انتداب الحكومة المصرية له لدراسة موضوع هجرة الجراد الى اليمن ، فأستأذن الإمام (يحيى) حميد الدين بأن يزور (الجوف) ، فأذن له ، وفيها شاهد كثيراً من النقوش المعينيّة ، وأخذ صوراً فوتوغرافيّة لعدد منها ، وأصدر لدى عودته الى مصر كتاباً عن نتائج رحلته هذه باسم (آثار معين في جنوب اليمن) .

الدكتور أحمد فخري

وقام[٣٩] الدكتور (أحمد فخري) أستاذ الجامعة المصرية بزيارة اليمن في عام ١٩٤٧ م ألف وتسعمائة وسبعة وأربعين للميلاد ، وركّز اهتمامه على زيارة ثلاث مناطق أثريّة هي : (صرواح) و (مأرب) عاصمتا (سبأ) و (معين) في الجوف عاصمة الدولة المعينية وأحضر معه الى مصر عدداً من الرسوم الأثرية ، ومائة وثلاثين نقشاً أثرياً لم تنشر من قبل .

---

(٣٨) المصدر نفسه ص ٢٥٨ .

(٣٩) نفس المصدر والصفحة .

منشـورات العلماء والمتاحف والأكـاديميات
ودور النشـر عن الآثـار اليمنيّة

والى جـانب[٤٠] الرحـلات التي قام بهـا الرحّـالة الأجـانب والعرب في مناطق الآثار اليمانيّة ، نجد كثيراً من العلماء الذين تخصصّوا بنشر نتائج تلك الرحلات ، ومن هؤلاء :

القنصل الألماني في القسطنطينية الدكتور (ي . هـ . مـورتمان) يشـاركه بألمانيا الأستاذ (مارك ليدزبرسكي) ، وقد أسهـما مع ذلـك بدراسـة كثير من النقوش .

ومنهم العلماء الفرنسيون (يـوسف درنبورج) و (هـرتيج درنبـورج) و(ماير لمبرت) وكان هؤلاء ينشرون نتائج رحلات ودراسـات العلماء في (مدوّنة النقوش السبائيّة) .

كما قام[٤١] الأستاذ (فرتز هومل) بوضع كتاب في قواعد اللغة العربيـة الجنوبيَّة القديمة في معجم للمفردات ، وثبت للمراجع والنصوص .

وقام[٤٢] استاذ جامعة برلين (مارتن هارتمـان) بدراسـة حول الحيـاتين الرسميّة والاجتماعيّة في بلاد العرب الجنوبيّة ، معتمداً على الآثار ونشرها .

وفعل نحوه[٤٣] استاذ آخر لجامعة (برلين) أيضاً وهو (هوجوفنكلر) ، حيث قام بدراسة ونشر بعض النصوص العربيَّة الجنوبيَّة القديمة .

كما[٤٤] نشرت كثيراً من المتاحف والأكاديميات ودور النشر وغيرها مما كان يبرزه العلماء والباحثون من دراسات وأبحاث عن اليمن أولاً بأول .

---

(٤٠) دتلف نيلسن في كتاب (التأريخ العربي القديم) آنف الذكر ص ٢٥ .

(٤١) نفس المصدر والصفحة .

(٤٣) المصدر نفسه ص ٢٦ .

(٤٤) الأستكمال ص ٢٥٩ .

ونشرت[٤٥] صحيفة (التايمز) اللندنيّة بتأريخ ٢٤ فبراير / شباط من عام ألف وتسعمائة وخمسين للميلاد عرضاً موجزاً لرحلة أحد الرحّالة الأوروبيين على ظهر حصان في منطقة (بيحان) حتى (كحلان) عاصمة الدولة القتبانيّة .

هذا[٤٦] وثمّة كثير من المتاحف والأكاديميّات وغيرها قامت باحراز كثير من النقوش واللوحات الأثرية ، وحفظها ، ومنها : (المتحف الخاص بتأريخ الفنون بفيينا بالنمسا) الذي اقتنى ما يقرب من أربعين نقشاً على احجار مختلفة النحت والجسم ، كما اقتنى مجموعة العربية القديمة ، وهي جميعها مما حصل عليها الرحالة (ادوارد جلازر) ، وهذا المتحف هو غير اكاديميّة (فيينا) سالفة الذكر .

ومنها[٤٧] (المتحف التركي بالقسطنطينية) ، الذي أحرز مجموعتين يمنيتّين قديمتين تضمان خمسين قطعة أثرية سبائيّة ، وكان الأتراك قد حصلوا عليها أثناء وجودهم في اليمن ، وقد نشرها المتحف المذكور .

والجدير بالذكر ، في ختام هذا الفصل الخاص بتأريخ الأبحاث الأثريّة في اليمن ، أنّ جميع ما قام به الروّاد من تنقيب وبحث في تأريخ اليمن القديم ليس إلا مجرد محاولات للوصول الى ما يمكن الوصول اليه من معلومات عن تأريخ اليمن الحضاري القديم ، وليس ما تمّ الوصول اليه إلا غيضاً من فيض ، أمّا الوصول الى الكمال أو ما هو أقرب اليه فهو بحاجة الى تنقيب علمي شامل يضطلع به ابناء اليمن أنفسهم عن طريق متخصصين ومؤهلين ، مع الاستعانة بالهيئات العلميّة العربيّة والأجنبيّة والمنظمات المتخصصة كما أسلفت في مقدمة الكتاب .

---

(٤٥) نفس المصدر والصفحة .

(٤٦) دتلف نيلسن ص ٢٢ .

(٤٧) المصدر نفسه ص ١٦ .

ما قبل التأريخ وبدايات المدنية

اصطلح المؤرخون على تقسيم تأريخ اليمن بوجه عام الى قسمين :

تأريخ اليمن قبل الإسلام ، وتأريخ اليمن بعده كما سبق ، وهذا التقسيم هو للتأريخ المعروف .

أما[1] عن تأريخ ما قبل ذلك وهو ما يعرف بعصر ما قبل التأريخ فلم تسمح المعلومات بصورة قاطعة حتى بتحديد التأريخ الذي ينتهي به (العصر الحجري القديم) والتأريخ الذي يبتدىء به (العصر الحجري الحديث) أو ما يسمى بـ (العصر التأريخي) في بلاد العرب ، إذ أنّ ذلك مرهون بالأبحاث الأثرية المقبلة عن طريق التنقيب العلمي الشامل . ولكنه من المعلوم عند الباحثين انه ، كان في جنوب بلاد العرب (اليمن) ثقافة من العصر الحجري القديم ، وانها تشبه الى حد كبير ما عثر عليه الباحثون من ثقافة في افريقيا ، وسوريا والعراق في آسيا ، ولقد أصدرت منظمة(اليونسكو) التابعة للأمم المتحدة في عام (١٩٦٣ م) كتاباً للعالمين (ج . هاووكس) و (السير لونارد وول) بعنوان : (ما قبل التأريخ وبدايات المدنية) ، ترجم الدكتور (يسري عبد الرزاق الجوهري) ثلاثة فصول منه ونشرها بكتاب تحت عنوان (اضواء على العصر الحجري الحديث) اقتطف منه[2] ببعض تصرف ما يلي :

عصر ما قبل التأريخ ويشمل : العصر الحجري القديم ؛ والعصر الحجري المتوسط ، والعصر الحجري الحديث ، وقد مهد لدراسة العصر

---

(١) الدكتور احمد فخري في (اليمن ماضيها وحاضرها) ص (٥)

(٢) من ص (٥) من المقدمة .

الحجري القديم بدراسة المسرح الجغرافي الذي لعب الإنسان عليه أول فصول قصة انسانيته ، وبعبارة أخرى وجه الإهتمام لدراسة التطورات المناخية والفيزيوغرافية التي طرأت على سطح الأرض ، والأزمنة الجيولوجية المختلفة ، وعلى وجه الخصوص خلال الزمن الرابع ، أو عصر البلايستوسين ، وهو العصر الجليدي الذي بدأت فيه المظاهر التضاريسية المختلفة الموجودة في العالم تأخذ شكلها النهائي .

مميزات العصور الحجرية

مميزات العصر الحجري القديم :

أ ـ عاش الإنسان خلاله مرحلة الظعن والإرتحال .

ب ـ عرف الإنسان خلاله كيف يستخدم النار للطهو والإنارة والتدفئة من البرد القارس ، ولحماية نفسه وأطفاله من الحيوانات الضارية المفترسة ، ولاكتشاف الكهوف التي يأوي اليها ليلاً .

مميزات العصر الحجري المتوسط :

أ ـ مارس الإنسان فيه الحياة نصف رعوية ،

ب ـ تعلم فيه الصيد وجمع الطعام ،

مميزات العصر الحجري الحديث

أ ـ نشأت فيه المجتمعات المستقرة المرتبطة بالأرض والزراعة واستئناس وتربية الحيوان .

ب ـ استخدم فيه الأدوات الحجرية كالفأس وغيره ، الى جانب الأدوات الزراعية الحجرية كالمنجل وغيره ، واستخدم الطواحين الحجرية للحبوب .

ج ـ شيّد أولى المباني العمرانية من اللبن (الطين) والحجر ، كضرورة اقتضتها

ظروف الحياة المستقرة المرتبطة بالأرض والزراعة ونمو الرابطة العائلية ، والتعاون بين المجموعات البشرية .

وكان السلام من الصفات المميزة لحضارة العصر الحجري الحديث ، كما كانت صناعة الفخار (المدر) من المميزات الرئيسية لهذا العصر ، ثم صناعة (السّلال) من اليرَع وغيره والخُصُر ، فنسيج الكتان وهو نوع من الحرير ، وإمتلاك أدوات الزينة من الذهب والفضة والنحاس والعاج والأحجار الكريمة .

وفي العصر الحجري الحديث حدثت زيادة سريعة بين سكان العالم .

ولم يحدّد المصدر المذكور زمن العصر الجليدي ، ولا زمن العصر الحجري القديم . ولكنه حدّد زمن العصر الحجري المتوسط فقال(٣) :

« ويبدو أنّ صيادي السمك الذين عاشوا في العصر الحجري المتوسط في أواخر العصر الجليدي ، أي منذ أحد عشر ألف سنة ، إلى آخره »

كما حدّد زمن العصر الحجري الحديث فقال(٤) :

« وبطريق غير مباشر اعطيت الألف السابعة قبل الميلاد على أقل تقدير بداية للوجه الكامل للعصر الحجري الحديث » .

وكان قد تحدث عن تطور القدرات العقلية للإنسان ورقيه الى مستوى الانسانية الكاملة ، وحدّد ذلك فقال(٥) : « وظل الإنسان لفترة تقرب من مليون عام ، يعيش على الصيد ، غير انه خلال الأربعين ألف سنة الأخيرة تطورت بالتأكيد قدراته العقلية وتخيلاته ومهاراته ، الأمر الذي جعله يرقى الى مستوى الإنسانية الكاملة ، وقد ظلّ كغيره من الحيوانات التي تطورت وعاشت على سطح الأرض ، وفي هذه الفترة يعتمد في حياته اعتماداً كلياً على

---

(٣) المصدر المذكور (اضواء على العصر الحجري الحديث) ص (٣٠) .
(٤) نفس المصدر ص (٢٨) .
(٥) نفس المصدر أيضاً ص (٢٠) .

ما تقدمه الطبيعة اليه من مأوى وملبس ومأكل ، ومثل هذه المؤونات قليلة ونادرة لم تكن مستمرة ، رغم انها استطاعت أن تسد رمق الإنسان ، وقد كانت الممتلكات محدودة ، وعدد الأطفال أيضاً محدوداً ، ولم يحدث تغير جوهري في المجتمع إلا حينما تمكن الإنسان من أن يسيطر على البيئة ويستقر بها ، فظهرت بعض الممتلكات الكبيرة وشيدت المباني لتحتوي على بعض المرافق الهامة .

وقد تمكن أيضاً نتيجة لهذا الاستقرار من أن يعيش الأطفال في كنف آبائهم ، ومن ثم استطاعوا أن يرثوا عنهم حرفهم ، وبالتالي أخذت أعدادهم بالزيادة .

هذا ومع تحديد العالمين المذكورين لزمن العصر الحجري المتوسط والعصر الحجري الحديث ، فإنّ العلماء المتخصصين لم يتفقوا على زمن أي عصر منهما أو من غيرهما من عصور ما قبل التأريخ .

ولكن التحديد الذي ذكره العالمان المذكوران للعصرين المتوسط والحديث من العصور الحجرية قد يقرب من الحقيقة المنتظر وضوحها عن طريق التحليل الكربوني رقم (١٤) للآثار بعد تنقيب علمي شامل وجهود مكثفة من قِبَل العلماء المتخصصين في مختلف بقاع العالم .

ومع ذلك أيضاً ، فإنّ تحديد زمن أي عصر من العصور الحجرية يختلف من منطقة وأخرى ، لاختلاف الظروف والتطورات المناخية والفيزيوغرافية التي طرأت على سطح الأرض في الأزمنة الجيولوجية المختلفة .

الصِّلات التأريخية بين اليمن وغيره من الأمم

هناك[1] حقيقة هـامة وهي أنـه في الألف الرابـع قبل الميـلاد وصلت هجرات من جنوب بلاذ العرب (اليمن) الى مصـر ، وأنّ أولئك المهـاجرين كانوا على قدر غير قليل من الثقافة .

وانه ابتداء من حوالي ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، بدأت بعض القبائل السامية تهاجر الى العراق ، واستقرت في بابل[2] ولم تمض عليها إلا قرون قليلة حتى اصبحت صاحبة الأمر في البلاد ، وليس من المعقول أن يتمكن المهاجرون من فرض أنفسهم على شعب ذي حضارة « مثل الشعب السومري إلا اذا كان هؤلاء المهـاجرون قـد وصلوا الى مـرحلة من التقـدّم تجعلهم يعـرفـون كيف يستفيدون من غيرهم ، وتصبح لهم السيادة عليهم ، وأن تظلّ مع ذلك لغتهم الأصليّة وكثير من مظاهر ثقافتهم ملازمة لهم قروناً طويلة .

إن هذا التماسك وهذه المحافظة على المميزات دليل على أنّ الساميين (اليمنيين) الذين وصلوا الى العراق من جزيرة العرب قبل خمسة آلاف عام من

---

(١) الدكتور احمد فخري في (اليمن ماضيها وحاضرها) ص ٥ .

(٢) بابل مدينة اثرية في محافظة الحلة في العراق على بعد حوالي ٢١٠ كيلومتر، جنوب بغداد ، وقد زرتها في عام ١٩٧٣ م ووجدت من الآثار الباقية فيها ما يسمونه بشارع الموكب الذي كانت تمر فيه مواكب البابليين الدينية في ربيع كل عام ، وفي نهايته يوجد معبد (ال ماخ) وعلى الجهة الغربية من المدينة يقع ما يسمى بباب (عشتر) احد معبودات بابل ، وينتهي شمالاً بتمثال (اسد بابل) الحجري الذي فصل رأسه من جسده بضرب مدفع بريطاني (كما) ذكر هنـاك . كما يقـوم شمال الشارع المذكور بقايا قواعد الجنان المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع ، وقد بنيت قواعدها من الآجر ولم يبق إلا بعض تلك القواعد ، أما ما كان فوقها من سقوف وجنان فلم يعد لها وجود .

التأريخ ، لم يكونوا قوماً بدائيين ، وإنما كانوا ذوي ثقافة خاصّة ، ولهم أنظمتهم وحياتهم الاجتماعيّة .

بل إنّ قدماء المصريين وقدماء سكان بلاد الرافدين (العراق) كانوا على معرفة بسكان بلاد العرب الجنوبيين حتى قبل هجرتهم اليهم ، اذ كان هؤلاء اليمنيون همزة وصل بين (افريقيا) و(الهند) من ناحية ، وبين (العراق) و(سوريا) و(مصر) من ناحية أخرى ، وذلك في نقل تجارة كل فريق إلى الآخر ، ونقل منتجات (حضرموت) من البخور الذي كان مادةً أساسيةً للعبادات في جميع الديانات القديمة[٣] ، وكان لليمنيين بسبب نشاطهم التجاري أنظمة اقتصادية اتصلت بالتجارة العالميّة وأثرت فيها وتأثرت بها

ولم تفت هذه الحقيقة التأريخية الدكتور (دتلف نيلسن) في آخر الفصل الذي عقده بكتاب (التأريخ العربي القديم) آنف الذكر حيث قال[٤] : « ومن حسن الحظ أنّ التجارة العالميّة أثرّت في بلاد العرب أثراً بعيداً ، وذلك بفضل الطريق التجاري الذي كان يخترقها من الجنوب الى الشمال حتى (فلسطين) و(مصر) ، وبديهي انّ الذين خلفوا لنا هذه الأبنية الشامخة في بلاد العربية الجنوبية لم يكونوا من العرب الرُّحَل ، ولم يكونوا بدواً ، إلا أنّ الحياة العربية القديمة المشتركة التي عرفتها الجزيرة ظلت حيّة ، فخلعت على هذه الآثار هذه القيمة الثقافية الخاصة .

المميزات الطبيعية لليمن

ولقد اعتمد اليمنيون مع ذلك لإزدهار بلادهم على المميزات الطبيعية وأهمها :

احاطة البحار بها من ثلاث جهات وهي : بحر العرب في الجنوب ، و الخليج العربي في الشرق ، والبحر الأحمر في الغرب ، فاضطلعوا بوسيلة النقل البحري الى جانب وسيلة النقل البري التي كانت بأيديهم وتحت سيطرتهم

كما ساعدهم انتظام الأمطار الموسميّة في اليمن أيضاً ، فبنوا السدود في

---

(٣) اليمن ماضيها وحاضرها ص ٥٣ .

(٤) ص ٥٤ .

مختلف المناطق الجبلية ، وطوروا الزراعة التي كانت العمود الفقري لاقتصادهم القومي .

واليمنيون (وهم ملاحون موهوبون) هم الذين قاموا بإيصال حضارة وادي السند في الباكستان ببابل ومصر عن طريق التجارة والنقل البحري .

بل إن الأمر لم يقتصر على مجرد نقل حضارة بلد الى آخر ، وإنما كان لليمنيين نصيب في المدنيّة ربما وصل منها شيء إلى (بابل) وإلى(مصر) والى غيرهما .

كما عَبَرَ(٥) اليمنيون منذ أقدم العصور الى الشاطىء الأفريقي ، وتاجروا واستقرّت منهم جاليات في (اريتريا) و(الصومال) ، وكانوا يسيرون حذاء الشاطىء من ميناء الى آخر ، حتى وصلوا الى (القصير) في بلاد مصر ومن هنا كانت القوافل تنقل البضائع الى النيل . ولمّا كان اليمنيون قد اضطلعوا بمسؤولية النقل البري الى جانب مسؤولية النقل البحري ، فإنهم أسّسوا لهم مراكز تجارية كانت تقيم فيها جاليات منهم ، وحاميات على طرق القوافل البرية في وسط الجزيرة وشمالها ، وكانت جنسياتهم تلاحقهم ، فكانوا يعرفون في موطنهم الجديد باسم (المعينيين) أو (السبائيين) أو (الأوسانيين) ، وستعلم في فصل (تأريخ الوجود اليمني في الحبشة وأفريقيا) من هذا الكتاب قيام الأوسانيين باستيطان السواحل الأفريقيّة الشرقية في القرن السادس قبل الميلاد ، وأنهم توسعوا منها نحو السواحل الجنوبيّة ، وأسّسوا لهم فيها مراكز وحكومات مستقلة ، مع ربطها بالحكومات **العربيّة**الجنوبيّة اليمنيّة في وطنهم الأصلي اليمن ، ومنها حكومة (زنجبار)(٦) وحكومة (أكسوم)(٧) الحبشيّة

(٥) اليمن ماضيها وحاضرها ص ٦٠ .

(٦) زنجبار جمهورية في البحر الهندي تجاه ساحل (تنجانيقا) في شرق افريقيا ، سكانها حوالي نصف المليون ، وعاصمتها (زنجبار) وعدد سكان العاصمة يزيد على المائة والخمسين الفاً ، وقد استقلت زنجبار في عام ١٩٦٣ م ، وفي العام الذي تلا عام استقلالها خلع سلطانها (خمشيد في اعقاب ثورة شعبية أعلنت جمهوريتها ،واتّحدَتْ في نفس العام مع (تنجانيقا) .

(٧) اكسوم مدينة اثرية في محافظة (مغلي) من الحبشة وقد زرتها كما سيأتي تفصيل ما بقي من آثارها في موضعه .

وغيرهما ، وكـان في (اريتريـا) شمال الحبشـة ، وفي (الصومـال) مشيخات عربية ، وحكومة يرأسها حاكم يمني باسم الشعب (مخا) .

هذا ولم يقتصر النفوذ اليمني في هذه السواحل على الغزاة الأوسانيين .

قال الدكتور (نيكلوس رودوكاناكيس) في الفصل الـذي شمله أيضاً كتـاب (التأريـخ العربي القـديم) بعنوان (الحيـاة[٨] العامـة للدول العربيّـة الجنوبيّة) ما نصه : « لذلك نرى دولة السبائيين والحميريين (وهما آخر دولـة ظهـرت في الجنوب) تتـوسع في اتجـاه البحر الأحمـر والجنوب الشـرقي ، كـما اضطرّت تلك الظروف بعض الـدول العربيـة الجنوبيّـة الى استعمار الأقـاليم الواقعة شمال شرق افريقيا ؛ واستيطان قبائل وعشائـر يمنيّة في كثـير من تلك الجهات ، ولم يمض عليها زمن طويل حتى أصبحت صاحبة السلطان ، وبلغت قوّتها حداً مكنها من بسط سلطانها على وطنها الأصلي اليمن[٩] »؛وهو يشير بهذا الى حكم الأحباش لليمن للمرة الأولى كما سنعلم في موضعه من هذا الكتاب .

اليمن والرومان

أمّا العلاقة بين اليمن والرومان[١٠] فسـأكتفي بذكـر فقرات من كتـاب (اليمن ماضيها وحاضرها) حيث قال[١١] تحت عنوان (أقدم العلاقات بـين اليمن والرومان) ما نصه : « غزا الاسكندر الأكبر بعض بلاد آسيا ، وبعد أن هـزم الفرس سـارعت الشعوب بـإرسال الهـدايا اليـه لتخطب وده ، مقـدمـةً ولاءها ، إلا سكان الجزيرة العربيّة ، فإنهم أنفوا من ذلـك ، فأثّـر عملهم في نفسه وتوعدهم بغزو بلادهم ، ولكنه مات قبل أن ينفذ ما قـاله » . وأضـاف

---

(٨) ص ١١٤ .

(٩) وسيأتي المزيد من تأكيد حقيقة ان الأحباش الذين غزوا اليمن للمرة الأولى ينحدرون من أصل يمني في موضعه .

(١٠) الرومان هم مؤسسو دولة الرومانيين عام ٥٧٣ ق م وكان مقرهم الأول في ايطاليا ، ثم انتشروا في مناطق كثيرة في أوروبا وغيرها .

(١١) ص ٦٩ .

قـائلاً : « وأخـذ نجم الرومـان يعلو بعـد ذلـك ، فثبّتـوا أقـدامهم في مصـر وسوريا ، وأخذوا يشجعون التجارة في البحر الأحمر لنقل حـاصلات الهنـد ، ولكنهم رأوا في عرب جنوبي الجزيرة منافساً قوياً ، إذ كانت تجارة الطريق البري في أيديهم يتحكمون فيها كما يريدون ، كما كانـوا أيضاً منـافساً خـطراً شديـد الـوطأة يعمـل الملاحـون الـرومـان لـه ألف حسـاب عند اجتيـازهم (بـاب المندب)[١٢] ، أو عندما يرسون على بعض الموانىء ، وأراد (أليوس جللوس) الحاكم الروماني في مصر أن يغزو بلاد العرب مستعيناً بـ (النبط)[١٣] حلفاء الروم ، فأخذ معه الوزير النبطي (ساليوس) وجيشاً مكـوّناً من عشـرة آلاف جندي ، بينهم ألف من البدو ، وخمسمائة من اليهود ، كما صحبهم الجغـرافي الروماني الشهير (استرابو) الذي كان صديقاً حميماً لقـائد الحملة ، كـان ذلك عام ٢٤ قبل الميلاد ، ومن الوصف الذي تركه (استرابوا) نعرف ما تعرّض له الجنود الرومانيّون من صغاب مات بسببهـا أكثرهم ، إذ قضـوا أكثر من ستـة أشهر حتى وصلوا الى (نجران) وأرادوا التقدم إلى (مأرب) ، وهناك حدثت معركة حطمت جميع أطماع الرومان ، فعادوا أدراجهم ، أمـا القليلون الذين وصلوا الى مصر فقد عادوا اليها منهوكي القوى ».

اليمن والحبشة

أما علاقة اليمن بالحبشة فبالاضافة الى ما سبق للدكتور (نيكلوس رودو كاناكيس) ذكره في بـداية فصـل (الصِّلات التأريخيّة بين اليمن وغيرها من

(١٢) كان مضيق (باب المندب) والبحر الأحمر هما الشريان الرئيسي في تجارة العـالم القديم الـذي أعطى لجزيرة العرب أهمية خاصة في النواحي الاقتصادية والعسكرية والسياسية، وكان ذلك من جلة الدوافع للحاكم الروماني (اليوس جللوس) الى غزو اليمن ، محاولة منه ومن الـرومان في انتزاع الطريق البحري والبري معاً من أيدي اليمنيين ، ولكنه فشل كما علمنا من الأصل .

(١٣) كان (الأنباط) العرب قبائل بدوية موطنها شرق الأردن ، وقد نزحت منه في القرن السادس قبل الميلاد الى ارض الأدوميين في الأردن أيضاً حيث أسسوا مملكتهم المعروفـة بمملكة (النبط) وعاصمتها (البترا) في الأردن وهي المدينة الأثرية المعروفة هناك وشملت مملكة الأنباط اجزاء من الأردن وفلسطين وشبه جزيرة (سيناء) والحجاز ، من آثـارهم مدينـة (جرش) في الأردن عـلى الطريق بين دمشق وعمان وقد زرتهـا وهي تستحق الاهتمام . هذاوثمةرأي آخرلبعض المؤرخين ينفي عروبة الأنباط .

الأمم) نـذكـر مـا ذكـره الدكتـور (دتلف نيلسن)[١٤] حيث قـال عن (الحبشة) : «ليس الساميّـون الذين خلفـوا لنا في بـلاد الحبشة آثـاراً وآداباً ، والذين ما زالوا حتى اليوم يقيمون في البلاد هم العنصر الأصلي الذي يتكوّن منه السكان الأصليون ، بل هم فيها يُعتقَـد كغيرهم من السـاميين الشمـاليين قـد هاجروا اليها من بلاد (العرب الجنوبيين) . وذلك لأن لغتهم عبارة عن لهجة عربية جنوبية ، وما زالت الى اليوم قريبة الى العربية ، بالرغم من دخول بعض العناصر الحامية فيها ، « أمّا اللغة أمّا الخط أمّا الثقافة فسبائيـة منذ البـداية ، وذلك لأن بعض المهاجرين من بلاد العرب ا لجنوبيّة نزحوا الى البلاد فيها يظهر وفي قرون بعيدة قبل الميلاد ، وأسّسوا هناك مستعمرات ووضعوا الأساس لدولة الحبشـة التي أخضعت فيها بعـد في القـرن السـادس الميـلادي بـلاد العـربيـة الجنوبية » .

كما تناول الموضوع الدكتور (نيكلوس) مـرة أخرى فقـال[١٥] : « ومن الجدير بالملاحظة انه قامت في ذلك الوقت ثقافة عربية جنوبّية ، وانتشرت اللغة العربيّة الجنوبية في الجزء الأفريقي الذي عُرِف فيها بعد ببلاد الحبشة ، وهكذا نـرى الدول العـربيّة الجنـوبيّـة تشق طـريقهـا الى افـريقيـا ، وتؤسس وطنـاً جديداً » .

ونحو ما ذكره الدكتور (نيكلوس) عن علاقة اليمن بالحبشـة وأفريقيـا وأثرها فيهما ذكر الأستاذ (أدولف جرومان) في الفصل[١٦] الذي عقده بكتاب (التأريخ العربي القديم) آنف الذكر بعنوان : (الناحية الأثرية لبلاد العـربية الجنوبية) حيث قال : « فبفضل هؤلاء (يعني جلازر) و(هاليفي) و(بنت)

---

(١٤) من كتاب (التأريخ العربي القديم) ص ٣١ .

(١٥) في الفصل الذي عقده بعنوان (تأريخ العلم ونظرة حول المادة) والذي جمعـه الدكتـور فؤاد حسنين علي مـع ثلاثة فصـول اخرى لغيـره واستكمله بكتاب (التـأريخ العـربي القديم) ص ١١٤ .

(١٦) ص (١٥٠)

وأمثالهم نتبينّ أهميّة الحضارة العربيّة الجنوبيّة وقيمتها بالنسبة للحضارات السامية عامة ، وقد استطاعت البعثة الألمانيّة لأكسوم أن تكشف تحت اشراف (أتوليتمان) وتحت رعاية امبراطور اثيوبيا (منليك الثاني) عام ألف وتسعمائة وستة للميلاد عن كثير من الأشياء ، وشوّقت العلماء الى الآمال الجسام التي تنتظر العالم عندما تتاح الفرصة للعلماء ، ويكشفون عن كنوز الوطن الأصلي لهذه القبائل التي استعمرت البلاد والتي عُرِفت باسم (بلاد الحبشة) ، وكان ذلك بين القرنين الخامس والثاني للميلاد » .

وعاد الدكتور (دتلف نيلسن) في فصله[١٧] آنف الذكر فتناول الموضوع من جانب صلة الحضارة اليمنيّة بالحضارة الحبشيّة وأفريقيا وأثرها عليهما فقال : « والآثار الحبشية لا تبلغ في الكثرة كتلك التي وُجِدت في بلاد العرب الجنوبية ، وبالرغم من هذا فبلاد الحبشة الآن معروفة تماماً ، وفي صورة أوضح بكثير من تلك التي لدينا عن بلاد العرب الجنوبيّة ، والسر في ذلك هو الاضطرابات السياسيّة في بلاد العرب الجنوبيّة ، وكثيراً ما حالت هذه الاضطرابات دون ارسال البعوث العلميّة التي يتطلب أعضاؤ ها قبل كل شيء الأمن والنظام » .

وأضاف قائلاً[١٨] : « ونستطيع عن طريق هذه الآثار الحبشيّة التمييز بين عصور مختلفة في تأريخ الثقافة الحبشيّة القديمة ، فأقدم النقوش ما جاءنا في اللغة السبائية والخط السبائي ، وهي نقوش ترجع تقريباً الى منتصف الألف الأول قبل الميلاد ، ومن هذا العصر وصلتنا قطعة حجرية محفوظة في حائط كنيسة قائمة على قمة جبل (الأنباءبنتلون) بالقرب من مدينة (أكسوم) ، فهذا الحجر يتحدث عن مكان سبائي مقدس ما زالت بقايا بعض حيطانه قائمة ، وفيها ذكر للإله السبائي (ذات بعدان)[١٩] ، كذلك توجد بقايا بعض الأعمدة في (يح) شرقي (عدوة) ، وهي تدلّ دلالة واضحة على وجود

(١٧) ص (٣٢) .
(١٨) ص (٣٣) .
(١٩) (ذات بعدان) آلهة يمنية سبائية قديمة وقد بنى لها الملك السبائي (كرب آل وتر) معبداً في اليمن كما سنعلم في موضعه .

موضع مقدّس سبائي للإله (سين)[٢٠] . كما وُجِد جزء من نقش سبائي لتقديس الإله العربي الجنوبي (عثتر)[٢١] إلى آخر ما ذكره (نيلسن) عن الآثار والمعابد التي وُجدت في بلاد (أكسوم) الحبشيّة ، وكلها سبائيّة .

وأضاف نيلسن أيضاً قائلاً[٢٢] : « وقد نجح هؤلاء الساميون الجنوبيون الأفريقيون في أوائل العهد المسيحي في اقامة مملكة (اكسوم) التي تأثّرت بالنفوذ اليوناني ، وفي حوالي القرن الرابع للميلاد وَجَدت طريقها الى البلاد » . ويعني بهذا غزو الأحباش لليمن الأم ، على اعتبار أنّ الغزاة منحدرون من سلالات يمنيّة نزحت من اليمن الى افريقيا وأسّست فيها مملكة (أكسوم) في الحبشة وممالك أخرى في غير الحبشة كما أسلفنا ، وقد أكد هذا الدكتور (أحمد فخري : في كتابه (اليمن ماضيها وحاضرها) آنف الذكر في فصل (اليمن والحبشة)[٢٣] فقال : « في القرن الأول الميلادي استقرّ بعض المهاجرين اليمنيين والحضارمة في افريقيا في أرض (كوش)[٢٤] حيث وضعوا أساس الحضارة الحبشية ، ثم المملكة الحبشيّة التي بلغت شأناً كبيراً بين القبائل الزنجية في تلك المناطق ، فعَبَر اليمنيون بحضارتهم الحميريّة الى الحبشة ، وغرسوا النواة التي ترعرعت منها مملكة (أكسوم) ، ومنذ ذلك العهد لم تنقطع صلة الحبشة باليمن ، بل إنّ لغتهم وكتاباتهم ليستا إلا الكتابة واللغة الحميرية اللتين كانتا منتشرتين في جنوب اليمن عند الهجرة ، ومن المحتمل أن تكون هجرة اليمنيين الى الحبشة جاءت عقب اضطرابات داخلية في مملكة حمير ، وكان أحد المطالبين بالملك على رأس أولئك المهاجرين ، أو أنّ ملكاً غلب ملكاً آخر على أمره فهاجر إلى الحبشة ، وأنه بمجرد استقرار الأمر في مملكة (أكسوم)

---

(٢٠) (سين) معبود حضرموت .

(٢١) (عثتر) معبود سبأ .

(٢٢) في الفصل المذكور ص.(٣٤).

(٢٣) ص (٧٠) .

(٢٤) تشمل ارض كوش قديماً لدى المحققين،جميع الأرض الواقعة على الشاطىء الغربي الجنوبي للبحر الأحمر أي انها تشمل أرض الصومال واريتريا والحبشة وربما غيرها .

الجديدة بدأت توجّه نظرها الى غزو اليمن ، وذلك في القرن الثاني للميلاد ، وأصبحت ألقاب هؤلاء الملوك هكذا (ملك اكسوم وحمير وريدان وسلحين)» . هذا ومدينة (أكسوم) هذه هي مدينة أثرية ، كانت عاصمة للدولة الحبشية القديمة والتي أسّسها اليمنيون كما علمنا ، أمّا الآن فهي من أعمال محافظة (مغلي) إحدى محافظات (أثيوبيا) (الحبشة سابقاً) . وقد زرت مدينة اكسوم ضمن زيارتي لأثيوبيا في عام ألف وتسعمائة وثمانية وستين للميلاد ، وأخذت بعض الصور الفوتوغرافية لآثارها الباقية وأهمها المسلة (الصورتان رقم ١٤ و١٥) وثمة مسلة أكبر منها ارتمت على الأرض ولكن الأحباش حافظوا عليها مرميّة بشكلها الحقيقي ودون أن تتبعثر أعمدتها وأحجارها) .

وتحدث (دتلف نيلسن) في فصل (بلاد العربية[٢٥] الشمالية) وفي معرض مقارنته بين الثقافتين الجنوبية والشمالية ، منوهاً باستقلال الثقافة الجنوبية من المؤثرات الخارجية فقال : « كانت الثقافة العربية الجنوبية قاصرة على اقليم غاص بالسكان ، قامت فيه دول تُعَتَبر أكبر ما رأتها بلاد العرب قاطبة قبل الإسلام ، وذلك لأن القبائل العربية الجنوبية أجمعت أمرها على أن تتحد وتكوّن دولاً لها لغاتها الخاصة (لهجتها الخاصة) وكتاباتها الخاصة ودياناتها الرسميّة الخاصة . وهذه الثقافة هي ثقافة سامية جنوبية خالصة بعيدة عن المؤثرات الأجنبية ، وذلك بفضل الصحاري الواسعة الممتدة في الشمال ، والشمال الشرقي ، ووجود تهامة برمالها الشاطئةالممتدةعلى طول البحر الأحمر ، كذلك في بلاد الحبشة النائية وعلى قمم جبالها العالية نجد دولة كبرى موحّدة ، وثقافة سامية موحدة ، كما ظلت أختها في بلاد العرب الجنوبية طاهرة نقيّة من المؤثرات الأجنبية ، وذلك لبعد الحبشة واليمن عن دولتي العالمالقديم العالميتين ألا وهما (بابل) و(آشور) من ناحية ، والدولة المهيمنة على البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى .

---

(٢٥) ص (٣٩) .

وتحـدّث أيضاً (دتلف نيلسـون)[٢٦] عن النقوش التي عُـثر عليهـا في شمال بلاد العرب وقلبها ، وذكر بأنّ تلك النقوش ما هي إلا طـلائع للثقـافة التي طلعت بها علينا آثار بلاد العرب الجنوبية والآثار الحبشية القديمة التي هي أيضاً عربية جنوبية ، مثلها في ذلك مثل النقـوش (القرطـاجنيّة) التي هي في نفس الـوقت فينيقية أيضـاً ، فكما أنّ (قـرطاجنـة)[٢٧] مستعمـرة فينيقيـة في افـريقيا ، كـذلك الحـال مع الحبشـة فهي مستعمرة عـربية جنـوبية في القـارة الأفريقية .

وتحـدث (دتلف نيلسن)[٢٨] أيضـاً عن أثـر الحضـارة الجنـوبيـة عـلى الحضارة الشمالية ، فقال : « وهناك ملاحظات أخرى حول نواحٍ متعددة من نواحي الحضارة لا نستطيع إدراكها إلا اذا رجعنا الى هذه الأصول التي نجدها في الحضارة الجنوبية القديمة التي تُعتَبَر بمثابة الخطوة السابقة والممهدة للحضارة الزراعيّة السامية الشمالية الراقية » .

---

(٢٦) ص (٥٢) في المصدر آنف الذكر .

(٢٧) (قرطاجنة) مدينة فينيقية على سواحل تونس ، اسست في عـام ٨٤٠ ق . م . ومعنى كلمة (قرطاجنة) المدينة الجديدة وقد أحرقها الرومانيون سنة (١٤٠ ق . م) بعد حروب طويلة بين القرطاجنيين والرومانيين .

موجز أنساب اليمنين ومساكنهم وبعض آثارهم

يجدر بنا قبل أن ندخل في صميم الموضوع لهذا الفصل أن نتعرف على الأمور التالية :

١ ـ إنّ هذه الأنساب التي شملها هذا الفصل لليمنيين لم تدل عليها الكتابات الأثرية ، وإنما اعتمدت فيها على الأكليل لأبي محمد (الحسن بن أحمد الهمداني) في الأجزاء الثلاثة الأول والثاني والعاشر التي تمّ طبعها ، (الأول وشمل من الأنساب نسب قضاعة الحميرية ، والثاني وشمل منها أنساب حمير ابن سبأ ، والعاشر وشمل أنساب كهلان بن سبأ) وكذلك الجزء الثامن فيما استند اليه القاضي حسين بن أحمد السياغي في كتيبه (معالم الآثار اليمنية) على التعريف ببعض الآثار .

وللهمداني مستنده في الإكليل وهو ما سمعه من مشايخه ، وعن علماء الأنساب من معاصريه ، وعن السجل الذي كثيراً ما استند اليه .

٢ ـ إنّ التعريف بالأماكن التي شملها هذا الفصل من مساكن اليمنيين الذين ذكروا فيه ، أو المنسوبة اليهم ، أو المسماة بأسمائهم اعتمدت فيه على كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني ايضاً ، وعلى مجموع القاضي محمد ابن أحمد الحجري (مخطوط) وعلى كتاب السيد حسين بن علي الويسي (اليمن الكبرى) وعلى تحقيق استاذي المؤرخ الكبير القاضي محمد بن علي الأكوع على ما تمّ له نشره وتحقيقه من كتب التراث للهمداني وغيره ، وعلى مؤلفه (اليمن الخضراء) .

٣ ـ ما ذكرته في هذا الفصل من انساب اليمنيين ومساكنهم أو المساكن المنسوبة

اليهم أو المسماة بأسمائهم انما هو للمشهور من الانساب ، ولمن بقي لهم نسل معروف حتى اليوم ، وبقيت لهم أيضاً مساكن معروفة منسوبة اليهم أو مسماة بأسمائهم ، وعليه فما ذكر في هذا الفصل نسباً وسكناً ليس حصراً شاملاً لذلك .

٤ ـ بما أن المصدر لما ذكر في هذا الفصل من الأنساب وأسمائهم ليس الكتابات الأثرية ، فمن المؤكد أن التنقيب العلمي الشامل في الآثار اليمنية كفيل بتعديل الكثير مما ذكره الهمداني ، في ذلك ، ومما ذكره غيره من المؤرخين وعلماء الأنساب الذين اعتمدوا على النقل والسماع والإستقراء .

٥ ـ عرّف الهمداني بعد ذكر المادة بعض سلالات اليمنين وبعض مساكنهم ، ولذلك فقد حرصت على أن لا أغفل ذلك في هذا الفصل ، وذكرت اضافات الهمداني من التعريف والتوضيح بقولي : « قال الهمداني مضيفاً » وأسرد ما ذكره عن ذلك للمزيد من الإفادة .

٦ ـ إن التعريف بالأماكن التي تتوفر فيها الآثار اليمنية في هذا الفصل هي (كما أشرت) استناداً الى الأخ القاضي حسين بن أحمد السياغي في كتيبه (معالم الآثار اليمنية) التي استند فيها الى الجزء الثامن من الأكليل للهمداني والى غيره من مؤلفات الهمداني وغيره والى السماع والاستقراء وبعض مشاهداته كما يبدو.

٧ ـ شمل هذا الفصل مع ذلك لمحة جغرافية عن اليمن الطبيعي والسياسي بتقسيماته الإدارية ، وعلى الكثير من ملامحه ومعالمه ، ولو لم يقتصر هذا الفصل إلا على هذه الناحية الجغرافية لكان في غاية الأهمية والفائدة .

هذا ، ولقد تضافرت آراء المؤرخينْ على أن (قحطان) بن عابر (هود عليه السلام)ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح هو جد واصل اليمنيين الذين فرعوهم من (كهلان) و (حمير) ابني (سبأ) بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وعلى الوجه الآتي :

نسب كهلان بن سبأ

فمن كهلان بن سبأ (ازد) و (همدان) و(بجيلة) و (خثعم) و(آنس) ، وهؤلاء من نسل مالك بن زيد بن كهلان ، و (الأشاعر) و(مذحج) و(طي) و(المعافر) و(خولان) و(ذوجرة) و(لخم) و(جذام) و(كندة) ، وهؤلاء من نسل عريب بن زيد بن كهلان .

فأمّا الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، فقد تفرعت بعد هجرتها من مسكنها الأول في بلاد مأرب والبلاد المجاورة لها الى (ازدعك) في واديي مور وسهام بتهامة اليمن ، والرماة ، والحجبا ، والربضة ، والرقابا ، والمغالسة ، والعبسية ، والقحري ، والجرابح ، وصليل ، والواعظات ، والبعجية ، والزعلية ، وبنو جامع ، ومور ، والزيدية ، وعبس ، وجبال دهنة ، ودابر السبعة ، وسوق بجيلة ، وذوآل ، والضحى ، وهي من الزيدية شمال تهامة الوسطى ، والزيدية ، هي قبائل بلاد الزيدية في وادي سردد ، لا الزيدية اتباع المذهب الفقهي الذي جاء به الى اليمن الإمام الهادي يحيى بن الحسين والمعروف بالمذهب الزيدي نسبة الى زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

ومن (ازدعك) أيضاً قبائل في بلاد رازح من بلاد صعدة .

وإلى (ازد السراة) و (ازد نجد) وهم الذين اقاموا في كثير من جبال السراة الممتدة بين اليمن ونجد وفي نجد أيضاً .

والى (ازد الحجاز) وهم (خزاعة) بمكة ومر الظهران ، و (أوس) و (الخزرج) انصار رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة .

ومن الأزد (الغساسنة) الذين اقاموا لهم دولة على مشارف الشام قبل الإسلام ، والتي دامت حتى مبعث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة

والتسليم ، وكان اخر ملوكهم (جبلة بن الأيهم) .

ومن الأزد أيضاً (دوس) عشيرة ابي هريرة الصحابي المشهور وأحد رواة الحديث .

وأما (همدان) وهو أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار ابن مالك بن زيد بن كهلان ، فقد تفرعت منه قبيلتا (بكيل) و(حاشد) بكيل في الشمال الشرقي لصنعاء ، وهمدان في الشمال الغربي لها ، ومع ذلك ففي كل قسم منهما قبائل قليلة من القسم الآخر ، فمن (بكيل) بن جشم بن حاشد بن جبران بن نوف بن همدان المذكور (برع) بن عمرو بن سوران بن ربيعة بن بكيل المذكور ، قال الهمداني مضيفاً : « والى برع ينسب جبل برع في أسفل سهام ، ويعني به جبل برع الشامخ الذي يطل على بلاد المنصورية وغيرها ، والذي يشكل مديرية تابعة للواء الحديدة ، وهو يتصل من شماليه بوادي سهام الفاصل بينه وبين القحري من قضاء باجل ، ومن شرقيه الجنوبي ببلاد الطعام من أعمال ريمة ، ومن غربيه ببلاد العبسية من ناحية المراوعة ، ومن جنوبه الغربي ببلاد الرامية من ناحية المنصورية وناحية السخنة حمام الشفا ، ومن (بكيل) (ذو لعوة) محلم أو عامر بن مالك بن معاوية بن دومان ابن بكيل ، وأضاف الهمداني قائلاً : « واليه ينسب بيت لعوة من وطن الظاهر الى جنب خمر » .

ومن بكيل (نقم) بن أشوع بن نمران بن محلم المذكور ، ويطل على مدينة صنعاء ، من الجهة الجنوبية الشرقية (جبل نقم) الحارس لها بتحصيناته الطبيعية[٣] .

ومن بكيل (خمر) بن دومان بن بكيل ، قال الهمداني مضيفاً : « وكان خمر ملكاً ، ابتنى قصوراً في ظاهر همدان ، فسمي الموضع بعده خمراً ، على معنى موضع أولاد خمر » . وخمر اليوم مدينة حاشدية ، وهي مركز قبائل بني صريم الذين هم أحد الأقسام الأربعة لحاشد كما سيأتي عند الكلام عنها ،

---

(٣) مصدرنا لبلاد همدان بكيل وحاشد الهمداني في الأكليل ج ١٠ . من ص ١١١ .

وعليه فاسم خمر بكيلي والأرض التي تسمت به حاشدية ، وستذكر آثار خمر عند ذكر بلاد حاشد لأن المنطقة كما أشرنا حاشدية .

(نشق) بن عمرو بن مانع بن صهلان بن زيد بن ثور بن مالك بن معشر ابن مرثد بن شهاب بن مالك بن معاوية بن دومان بن بكيل ، وأضاف الهمداني قائلاً : « والنشقيون بيت شرف كانوا ملوكاً ، لهم قصر روثان في الغائط بين الجوف ومأرب ، والسوداء والبيضاء وعمران بالجوف ومأرب » . هذا ومدينة (نشق) هي إحدى المدن الأثرية في دولة (معين) بالجوف ، ومن مدن معين هنالك (براقش) و(معين) و(السوداء) و(البيضاء) و(كمنا) و(الخربة) كما سيأتي عند ذكر دولة معين ، وبلاد الجوف حالياً بكيلية ارضاً ونسباً ، إذ أن سكانها كلهم هم من (ذو محمد) و(ذو حسين) البكيليتين ، وآثارها أشهر من أن تعرف وأكبر من أن يحويها هذا الموجز.

ومن بكيل (ذيبان) بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل ، وقال الهمداني مضيفاً : « واليه ينسب جبل ذيبان بن حبش » وأضاف أيضاً : « والى حبش ينسب وادي حبش » ،ووادي حبش هو أحد الأودية الأربعة التي تسيل مياهها الى بلاد الجوف ، ويقع جبل ذيبان المذكور في أرحب ، وتدعى ذيبان أرحب .

ومن بكيل (أرحب) وهو مرة بن الدعام الأصغر بن مالك بن ربيعة بن الدعام الأكبر بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل ، وتشكل ارحب مديرية تابعة للواء صنعاء مركزها (الحيفة) التي ينسب اليها السادة بنو الحيفي ، ومن بلدان أرحب المشهورة (شوابة) و(هران) و(أتوة) و(ريام) و(مدر) و(صرواح) وهي غير صرواح خولان العاصمة الأولى لسبأ .

وتنقسم (أرحب) الى قسمين (زهيري) و(ذيباني) ، فالزهيري خمسة أخماس ، هي : خمس زيدان ، وخمس الخميس ، وخمس عيال عبد الله ، وخمس بني علي ، وخمس شاكر وبني مران ، والذيباني خمسة أخماس أيضاً هي : خمس المنصور وخمس عيال أبي الخير ، وخميس مرة ، وخميس بني حكم والزبيرات وحبار وبني سليمان ، وخميس خسان وهم شغب وهزم والثلث ،

ومن بني حكم منابع غيل وادي الخارد في الجوف .

وبلاد أرحب غنية بالآثار اليمنية القديمة ومنها : في محل مدر من بني زهير ، ففي شرقيه بركة عظيمة تسمى صوار لجميع أرحب ، وفيه مآثر حميرية ومنها قبة عرش به دعائم (اسطوانات) من البلق كبيرة مضلعة (ذات أركان) جلها قائم ، وبعضها قد سقط ، وقد نقل الإمام يحيى حميد الدين منها بعض دعائم البلق الطويلة الى القبة التي عمرها للصلاة بباب السبح بصنعآء ، وتعتبر اكثر بلاد همدان مآثر ومحافد بعد ناعط ، وفيها أربعة عشر قصراً على أروع بناء ، ومنا (أتوة) في خمس عيال أبي الخير من ذيبان فيها آثار يمنية قديمة .

وفي (هزم) خرابة قديمة بين جبلي ضرب والأحقوب تسمى المدينتين بها آثار ضخمة ، وفي الشمال الشرقي منها أكمة عالية ، وفي رأسها حصن به آثار وأحجار منقوشة بالمسند ، وبرك للماء ، وأهل هزم ينقلون الأحجار الأثرية المكتوبة بالمسند ويكسرونها للبناء بها في قريتهم الجديدة المسماة الحميرآء ، للأسف الشديد .

كما تتوفر الآثار القديمة في محل بيت عبيدة من بني زهير ومحل بني علي من بني زهير أيضاً في محل ثريان ، وفي محل العرش من خمس بني زندان ، وفي محل حجيلة ومنها سمسرة اثرية مبنية الى عرض الجبل ومسقوفة بأحجار بيضاء منجورة طول كل حجر نحو ثلاثة أمتار في عرض نصف متر ، وفوق المحل المذكور من جهة شرق حصن مطل على عين الجارود ويسمى القاصرة فيه آثار قديمة ، وفي محل شرع من خمس زندان حصن به قصر يسمى سعلة فيه بئر عظيمة وحجر معقاب ، باب منحوت على باب وادي الحجري ، وهو مكان واسع منقور في عرض الجبل ، وفي داخله رفوف متسعة ثمانية عشر رفاً ، يسع الإنسان أن يضطجع في احداها ، وكان صعب المرتقى ، وأمّا الآن فقد عمرت له درج من خارج للتوصل اليه وغيره . وفي محل ريام من خمس عيال أبي الخير ، واليه ينسب (تالب ريام) وهو في رأس جبل اتوة (معبود همدان قديماً) ، وفي محل مخلاف شعب محل الجنات (غير جنات عمران) وموقعه تحت

جبل الصمع الذي يطل على الرحبة مطار صنعآء ،وفي رأس هذا الجبل خرائب يسميها الأهالي المدينة ، وأنها كانت صنعآء ، وأنّ صنعآء الحالية هي ازال ، وتحت جبل الصمع من أعمال بني الحارث محل رحابة الأثرية ومآثر حدقان وغيرهما ، مما سيذكر في آثار بني الحارث ، وفي خمس شاكر مغارة عظيمة ذات غرف وأبواب لا يتأتى الإنتهاء الى نهايتها إلا بوسائل إنارة لا تنطفىء من فقدان الأوكسجين ، وغير ذلك كثير في بلاد أرحب وهي كغيرها بحاجة الى تنقيب علمي شامل .

ومن أهمها محل صرواح أرحب ، وفي مدينة الخضراء الأثرية في خمس عيال عبد الله ، فتخطيط الشوارع فيها ظاهر ، وأبوابها مستقيمة وفيها الكثير من كتابات المسند .

ومن بكيل (سفيان) بن أرحب المذكور ، وسفيان تشكل مديرية تابعة للوآء صنعآء مركزها (الحرف) ومن سفيان قبائل شاطب ، ومدينة عيان التي نسب اليها الإمام قاسم بن علي العياني المتوفي سنة ٣٩٣ هـ ، وتتصل ببلاد سفيان من شماليها ببلاد دهمة وبلاد خولان بن عمرو في بلاد صعدة ، ومن شرقيها ببلاد دهمة أيضاً من ناحية بلاد برط والجوف ، ومن جنوبيها ببلاد أرحب ، ومن غربيها ببلاد حاشد ومرهبة ، وقد دخل ضمن هذه الحدود العمشية جنوب صعدة .

ومن بكيل (مرهبة) بن الدعام الأصغر المذكور ، وتعتبر (عيال سريح) و (عيال يزيد) في النسب من مرهبة كما سنعرف في نسبيهما ، ومن مرهبة أيضاً قبائل في بلاد ذي بين ، وفي بلاد نهم سكناً لا نسباً ، ومن مرهبة ايضاً بدرمرة في بلاد حضرموت ، ويقع وادي مرهبة في الشرق الجنوبي من خمر ، وبالشمال من ذي بين ، وينحدر الوادي المذكور الى الجوف .

ومن بكيل (عيال يزيد بن شولة) بن صاع بن معا ن بن رهبة المذكور ، وجبال عيال يزيد يشكل (مديرية) تابعة لقضاء (عمران) لوآء (صنعاء) مركزها (جبل السود) ، وتتصل من شماليها ببني عبد وبلاد حاشد وبلاد السودة ، ومن شرقيها بناحية (ريدة) والبون ، ومن جنوبيها ببلاد عمران وبلاد

ثلا ، ومن غربيها ببلاد ثلا أيضاً ومن مناطق الآثار اليمنية القديمة فيها (جبل دعان) وفيه قصر شهير ما يزال قائماً ومسكوناً ، وخراب قاع القصرين بين الخدرة والطلعة ، وخراب شير تحت محل دعان مما يلي البون الداخلي ، وخرائب ناهرة مقابل محل ذرحان من عيال حاتم .

ومن بكيل (عيال سريح) بن سهل بن صاع بن معان بن مرهبة المذكور ، وبلاد عيال سريح تشكل (مديرية) تابعة لقضاء عمران لواء صنعآء أيضاً مركزها (بيت الضلعي) ، وتتصل من شماليها ببلاد حاشد ، ومن شرقيها ببلاد أرحب ، ومن جنوبيها بناحية همدان صنعآء ، ومن غربيها ببلاد عمران وثلا ، ومن عيال سريح ميمون ، وحمدة ، واليها ينسب القضاة بيت الحمدي ، وقهال ، وينسب اليها بيت القهالي ، وغولة عجيب ، والبون .

ومن جبال عيال سريح (جبل ضين) الذي ورد ذكره في الحديث الشريف وهو أمر الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم ببناء جامع صنعآء ببستان باذان ، وبأن تجعل قبلته الى (ضين) والجبل المذكور مسامت فعلاً لقبلة صنعآء ، وتنقسم عيال سريح الى ستة مكاتب وهي : مكتب ذيفان ، ومكتب حمدة ، ومكتب عيال مفلح ، ومكتب حجاف ، ومكتب الخميس ، ومكتب غيثان ، وفي كل مكتب عدة قرى ، ومياه جبل عيال سريح تنحدر الى الجوف .

ومن مناطق الآثار اليمنية القديمة في بلاد عيال سريح محل ذيفان وجبل ضين والمشطور، والغولة ، وجبل نجر ، ومن بكيل (عليان) بن أرحب المذكور ، ومن آل عليان أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني من أولاد ربيعة بن عبد بن عليان بن أرحب .

ومن بكيل (عمران) بن ضياف بن سفيان بن أرحب ، قال الهمداني مضيفاً : « ولم يولد ضياف إلا عمران » . وبطون ضياف منتشرة في بلاد عمران ، ومن قرى عمران : الجنات ومأخذ وغيرهما ، وعليه فاسم عمران

بكيلي ، والأرض التي تحيط به حاشدية ، مثلها مثل خمر بن دومان بن بكيل ، ومدينة عمران مسورة وارضها خصبة ، ومياهها الجوفية متوفرة وبلاد عمران تشكل قضاء تابعاً للوآء صنعاء ، وتتبعه ادارياً مديريات (عيال يزيد) و(عيال سريح) و (السودة) و(ريدة) و(ذي بين وخمر) وسيأتي ذكر مناطق الآثار فيها عند ذكر حاشد ، لأن الأرض حاشدية . وحكامها في التاريخ القديم هم من ملوك سمعى الحاشدية .

ومن بكيل (شاكر) بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان ابن بكيل ، ومن شاكر (دهمة) بن شاكر ، ومن دهمة (ذوغيلان) أهل برط والجوفين وخب (محمدي) و(حسيني) و(آل سليمان) و(بنو نوف) و(المهاشمة) ومن قبائل دهمة بن شاكر أيضاً : (آل سالم) و(العمالسة) و(آل عمار) من قبائل بلاد صعدة سكناً في بلاد صعدة لا نسباً الى قبائلها القضاعية الحميرية ، و(آل الذوى) في بلاد مارب سكناً كذلك لا نسباً .

وتشكل كل من الجوف الأعلا والجوف الأسفل ، وخب مديريات من لواء الجوف الذي منه أيضاً الزاهر والغيل والخلق والصلوب وحصن بن سعد ، أمّا برط فقد صارت في التشكيل الأداري الأخير مرتبطة ادارياً بلواء صنعاء .

ومن بكيل (نهم) بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل ، وتشكل (نهم) مديرية تابعة للواء صنعاء ، وتتصل نهم من شماليها ببلاد الجوف ومن جنوبيها ببلاد بني حشيش وبلاد خولان العالية (خولان صنعاء) ومن غربيها ببلاد أرحب .

وتنقسم بلاد نهم الى (غفيري) و (محلفي) ، فمن (الغفيري) (غفير) و(الحنشات) و(الجدعان) .

أما (المحلفي) فهم (منصوري) و(صيادي) ، فمن (المنصوري) (مرهبة) و(بنو منصور) ومن (الصيادي) (عواضي) و(فهدي) .

وفي بلاد نهم جبل يام وهو متسع متصل بالجوف ، وهو بلد يام القديم ،

ومياه بلاد نهم تسيل الى الجوف ، ومن مناطق الآثار في بلاد نهم (جبل التويع) وفيها جبل (الرضراض) الغني بمعدن الفضة .

انتهت ابرز القبائل المتفرعة من بكيل بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن ثور بن كهلان .

أمّا (حاشد) بن جشم أخو بكيل بن جشم فأبرز القبائل المتفرعة عنه :

(خارف) وهو مالك بن عبد الله بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد و(خارف) أحد بطون حاشد الأربع (بنو صريم) و (العصيمات) و(خارف) و(عذر) ، وتنقسم (خارف) الى ثلاثة أقسام وهي (الصَّيَدَ) و(الكلبيون) و(بنو جُبَر) فبنو الصيد متصلة بالبون ، ومن آثارها المشهورة مدينتا (ناعط) و(كانط) وفي كل منها آثار يمنية قديمة . وقد زرت (ناعطاً) ووجدت فيها بقايا مباني قديمة ، بنى الأهالي لهم فيها بيوتاً فوق أساساتها وجدرانها ، كما بقي فيها من الآثار الحضارية عدة سدود كبيرة منحوتة في الصخور نحتاً بديعاً ورائعاً ، وبأشكال هندسية مختلفة ، ومسلتان قائمتان ارتمت احداهما على الأخرى . لعل أنّ مسلة ثالثة كانت قائمة بينهما ، ازيلت من مكانها ، مما سبب ميلان احداهما على الأخرى ، وكثير من آثار ناعط دفنت بالأتربة وتحت الأنقاض وبحاجة كغيرها الى تنقيب وكشف اسرارها التأريخية .

ومن آثار (ناعط) البنآء المرتفع بمقدار أربعة سقوف ، ويسميه الأهالي بخانوق أسعد ، وفيه مراق من خارجه يصعد بها إلى أعلاه . ومن السدود الكبيرة في ناعط سد تقدر مساحته بمائة لبنة ، وأخرى تقدر مساحتها بخمسين لبنة ، ولا يدرك لها قعر ، وقد وصف الهمداني ناعطاً وصفاً شيقاً ، وذكر فيه عدة قصور كبيرة وصغيرة كانت ما تزال قائمة .

أما (كانط) فهو جبل رافع ، وفيه حصن وخربة يسميها الناس بمدينة عاد ، والجبل وغيره من الآكام المحيطة به وبناعط لا تخلو من الآثار .

ومن آثار خارف أيضاً محل القرية من خمس القايفي ، ففيه آثار قديمة يسميها الناس أيضاً خرائب عاد ، وأشهرها كولة هلال التي يوجد في ذروتها بناء قديم خرب شطر منه .

هذا والمعروف تأريخياً أن مدينة (ناعط) كانت عاصمة امارة (سمعى) الحاشدية القديمة ، التي عاصرت دولة (سبأ) كما هو موضح عند الكلام عنها من هذا الكتاب .

وتقع ناعط في جبل (ثنين) الغني نفسه بالآثار ، وكان الجبل المذكور محاطاً بالسور من جميع جوانبه ، وما زالت بقاياه قائمة الى اليوم .

ومنطقة ثنين من الصيد أحد أقسام خارف كما عرفنا ، وهي وكذلك بلاد الكلبيين وبنو جبر الخارفية من أعمال مديرية ريدة ، وفي الكلبيين جبل غني بالآثار اليمنية القديمة ، وفيه هجرة القضاة بيت العلفي .

وجبل (ثنين) يسامت جبل (تلفم) المشرف على مدينة ريدة .

وفي جبل تلفم البئر والقصر اللذان ذكرهما الله في كتابه العزيز بقوله : ﴿ **وبئر معطلة وقصر مشيد** ﴾ كما عليه الكثير من المفسرين ، وقد تهدم ، ولم يبق إلا آثاره وخرائبه وانقاضه المبعثرة هنا وهناك .

أمّا بنو (جبر) (بضم الجيم وفتح البآء) وهو القسم الثالث والأخير من أقسام قبيلة (خارف) فمنهم قبائل بلاد (ذي بين) و(ورور) .

وتشكل (ذي بين) مديرية تابعة لقضاء عمران مركزها (ذي بين) وتقع في الشمال الشرقي لمنطقة عمران ، وهي محاطة بالجبال ، ويحدها من الشمال مرهبة ، ومن الشرق وادي شوابة وهران من مديرية سفيان ، وجنوباً بلاد أرحب ، ومن مراكزها الهامة (ظفار) المسمى ظفار داود ، تمييزاً له عن ظفار خبان عاصمة الدولة الحميرية .

ويشكل ظفار داود ستة حصون احداها القفل المحصن من جميع الجهات ، وفيه آثار يمنية قديمة ، ويقابله غرباً (جبل الطفة) ومن جهة الشمال

جبل عظيم يقال له (تعز) وفي وسط هذا الجبل (الهجرة) هجرة علم والجامع العظيم الذي بناه الإمام عبدالله بن حمزة المتوفي سنة (٤٦٤ هـ) . وفوق الهجرة المذكورة (القاهرة) وهي غنية بالآثار القديمة والإسلامية ، ومن جبال ذي بين جبل (الذروزة) وفيه آثار يمنية قديمة وكذلك حصن (قنة) وفيه وفي جبله آثار يمنية قديمة .

ومن حاشد (ظليمة) وهو ظالم بن أنعم بن خارف المذكور .

وبلاد (ظليمة) تشكل مديرية تابعة للوآء حجة ، مركزها مدينة (حبور) من المدن اليمنية العامرة بالعلوم العربية والشرعية والفقه الزيدي ، وتقع بلاد ظليمة في الشمال الغربي من صنعآء ، وتتصل من شماليها ببلاد الأهنوم ، ومن شرقيها ببلاد السودة وحاشد ، ومن غربيها ببلاد بني عرجلةمن حاشد ، ومن جنوبيها ببني جديلة ، ومن أعمال مديرية ظليمة بنو دهس ثم الخميس ، ومنه بنو سوط الذي ينسب اليه القات السوطي ، ومياه بلاد ظليمة تسيل الى وادي مور في تهامة ثم تفضي الى البحر الأحمر .

ومن حاشد (خيوان) وهو مالك بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد ، وحيوان هي الحد بين سفيان من بكيل شرقاً وحاشد غرباً، ولكن عداد خيوان في أرجح آراء المؤرخين والنسابين في حاشد ، ومياه بلاد خيوان مع ما ينضم اليها من مياه جبال حوث وحرف سفيان وغيرها تسيل الى الجوف . وفي خيوان آثار يمنية قديمة .

ومن حاشد (بنو عمرو بن مالك بن جشم بن حاشد) ومنهم الأعشى الشاعر الجاهلي المعروف بأعشى همدان .

ومن حاشد (عذر) بن سعد بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد ، وتعرف عذر هذه بعذر شعب ، ومنها عذر مطرة في بلاد نهم ، وتعتبر مدينة (القفلة) سوق عذر ومدينتهم الكبرى ، وعذر كما عرفنا هي إحدى البطون الأربع لحاشد (خارف) ومركزها (ريدة) و(بنو صريم) ومركزها (خمر) و(عذر) هذه ومركزها (القفلة) و(العصيمات) ومركزها (حوث) .

وعذر شعب هذه ثلاث لحام (غيثاني) و(قاسمي) و(عرجلي) ، وفي عذر هذه ما يعرف بعذر العصيمات التي منها البطنة الأرض الخصبة الواسعة ، وليست من عصيمات البطن الرابع من بطون حاشد .

ومن حاشد (العصيمات بن عذر المذكور ، والعصيمات اربعة أقسام : (جبري) و (فضلي) و(غنيني) و(قيصي) ، فذو جبر (جوادي) و (سلامي) ، ومن الجوادي (آل الأحمر) ، والفضلي (عناشي) و(دقيمي) ، ومساكن ذو عناش قرب حوث ، و(الغنيني) ذو محمد وذو منصور وذو مطر ، أمّا القيصي بكسر القاف فهم قليلون لا يتجاوزون عشرين بيتاً ، ومساكنهم شرقي وادي هبة ، وسوق العصيمات ومدينتهم (حوث) وهي من المدن العامرة بعلوم العربية والشريعة والفقه الزيدي ، وكل قسم من أقسام العصيمات لحام عديدة .

ومدينة حوث اثرية وفيها آثار يمنية قديمة كثيرة وغنية بالسدود القديمة الواسعة ، وفي شرقيها حصن رميض المنيع الغني بالآثار القديمة والإسلامية .

ومن حاشد (يام) بن أصبا بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد ، وكانت يام تسكن الجبال المعروفة بجبال يام من نهم ، بينها وبين الجوف كما سبق ، ولكنها تفرقت في نجران وغيرها .

ومن حاشد : (دوآل) بالدال المهملة بن جشم بن يام المذكور ، ودوآل واد في تهامة بين واديي رمع وسهام ، تنحدر اليه المياه من بلاد ريمة ، ثم يفيض الى البحر الأحمر من ساحل الطائف بين الواديين المذكورين سهام ورمع ، وينطق (ذو آل) بالذال المعجمة ، ولعله لم يبق لكلا الاستعمالين اليوم وجود في تهامة ، وكان ما يزال يستعمل الى ايام بني رسول ، هذا وسبق للهمداني عد ذوآل في ازد عك كما رأينا ، ولعل في الأمر خلافاً بين النسابين .

ومن حاشد (الحارث) بن أصبا بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد ، ومن آل الحارث بن أصبا هذا بنو الحارث الذين يشكلون مديرية

تـابعة للوآء صنعـاء مركـزها الـروضة أحـد منتزهـات صنعـاء في ارجـح آراء النسابين .

أمـا الرأي الآخـر فهـو أنها مـذحجيـة من نسـل الحـارث بن كعب بن عمـرو بن علم بن جلد بن مذحـج ، مثلهـا مثـل بنـو الحـارث بن كعب بن عبد المدان في بـلاد نجران ، ومن هؤلاء بنـو الحارث أهـل عزلـة (جبل بني الحـارث في بلاد يـريم ، و(آل الحارث) من قبـائل مخـلاف الحبشية في بـلاد رداع ، ومن هؤلاء (بنــو الحيـدري من مشـايـخ رداع أيضـاً) وقبـائـل (بالحارث) في بيحان .

وتتصـل مديـرية بني الحـارث (إحدى نـواحي صنعاء) المـذكـورة من شماليها ببـلاد نهم وأرحب ، ومن شرقيها ببني حشيش ، ومن غربيهـا بهمدان صنعاء وناحية البستان (بني مطر) ومن جنوبيها ببلاد سنحان .

وتنقسم مـديـريـة بني الحـارث الى ستـة أقسـام أو ستـة أسـداس ، السـدس الأول الروضـة ، والجراف ، وصـرف ، وشعوب ، والسـدس الثاني قـرى القابـل ومذبـح والسنينة وذهبـان وثقبـان وعـطان ، والسـدس الثـالث محـلات الملكة وبنـو زياد ، والعـروق والمحجل وشبام الغراس ، والسـدس الـرابـع الحصـا وبيت الـدَّم وبيت الحللي ، وبيت الـذيب ، وبيت هـارون ، والسـدس الخامس بيت دغيش وبيت الأوزي وبيت الـوشـاح والغـولـة وبنـو جرموز، والسدس السادس والأخير بيت حنظل وجدر وبنو حوّات .

وتعرف مدينة الروضة بروضـة حاتم وهـو السلطان الهمداني حـاتم بن أحمد اليامي الذي مدنها ، وكانت قرية صغيرة تسمى الـدرب ، وفي المديـرية المـذكـورة ارض الـرحبـة التي نهى الـرسـول الكـريم عن عضـد شجـرهـا ، وجعلها للحاملة والعاملة وللشاة مراعي ، وفيها اليوم مطار الرحبة الدولي .

وبـلاد بني الحارث هـذه غنيـة بـالآثـار اليمنيـة القـديمـة ومنهـا مـدينـة (حـدقان) وتقـع في أرض سهلية وغنيـة بآثـار القصور ومنهـا قصر حـدقـان

الشهير ، ومنها آثار الحسينين في بني جرموز الغربي والشرقي ، وفي محل بيت الأوزري ، وبيت الوشاح ، وبيت البتات ، والحبابيين وبني مسلم ، وبيت دغيش ، وبمحل بيت حنظل ، وفي مدينة غراس سخيم التي تعرف اليوم بغراس شبام ، وبالقرب منها آثار مدينة (عبلة) الشهيرة ، ويطل عليها جبل (ذي مرمر) الشهير الذي نحتت فيه الحروف وحفرت فيه الآبار وعمر جاهلية واسلاماً ، ويرجع هو الى ناحية بني حشيش كما سيأتي .

وفي مدينة الغراس جامع الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم وفيه ضريحه ، وفي مدينة الروضة جامع كبير بني على غرار جامع صنعاء ، وقد بناه الأمير أحمد بن القاسم بن محمد ، والذي قال عنه بعض الشعراء :

لا تحسب الجامع في روضة وإنما الروضة في الجامع

ومن حاشد (وادعة) بن عمرو بن عامر بن ناشح بن دافع بن مالك ابن جشم بن حاشد ، ومنها (وادعة حاشد) و (وادعة صعدة) في بلاد صعدة سكناً ونسباً ، ووادعة عسير في بلاد عسير شمال نجران بغرب ، وتقع وادعة حاشد على مقربة من خمر ، والوادعيون (صبيحي) و(مقبلي) ، وفي وادعة حاشد حصن الهرابة الذي تحصن فيه الأمير القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني) من الملك أبي الحسن (علي بن محمد الصليحي) كما سيأتي بإذن الله .

والى وادعة حاشد ينسب السادة بيت الوادعي من أولاد أحمد بن المؤيد بن القاسم بن محمد ، وبنو الوادعي عزلة في مخلاف نقذ في بلاد وصاب العالي .

وفي بلاد وادعة آثار يمنية قديمة ومنها في جبل الخراز ، وفي حصن (عقود) الكائن فوق حصن الهرابة المذكور ، وفي حصن الهرابة نفسه أيضاً .

أما المناطق الجبلية من لواء حجة فهي :

١ ـ جبال مدينة حجة والمنطقة القريبة منها .

٢ ـ سلسلة جبال مسور الواقعة بالجنوب من حجة ، وترتبط بها جبال الشراقي ونجرة وعولي والشغادرة .

٣ ـ سلسلة جبال كحلان وبني موهب وقيدان والأشمور وهي بالشرق الشمالي من حجة .

٤ ـ سلسلة جبال الشرفين وحجور وهي بالشمال الغربي من حجة .

٥ ـ سلسلة جبال وشحة وكشر وهي بشمال الشرفين .

٦ ـ سلسلة جبال الأهنوم وهي بالشمال من حجة ، وترتبط بها من الغرب والجنوب جبال بني جديلة والجميمة ، ويشتمل لواء حجة على ستة قضوات وهي :

قضاء (حجة) ومركزه حجة ، وهي مركز اللواء ، ويتبعه من المديريات (نيسة) و(مبين) و(الجُبَر) و(وضرة) و(الجميمة) و(بني قيس) و(حجور) .

وقضاء (مسور) ومركزه (بيت عذاقة) ويتبعه من المديريات (بنو العوام) و(نجرة) و(الشغادرة) .

وقضاء (الشرفين) ومركزه (المحابشة) وتتبعه من المديريات (الشاهل) و (الشرف الأسفل) و (كحلان) و(القفل) و(شمرّ) و(أسلم) .

وقضاء (الأهنوم) ومركزه مدينة (شهارة) وهي من المدن العامرة بعلوم العربية والشريعة وبالفقه الزيدي بالذات ، وفي قضاء الأهنوم مراكز أخرى عامرة بالعلوم ومنها (معمرة) و (علمان) و(المدان) . هذا وقد ادخل بعض التعديل على هذا « التقسيم الأداري » .

وتكوّن مدينة شهارة شهـارة الفيش ، في أحد جبليهـا ، وشهارة الأمـير في الجبـل الآخر ، وهـذه نسبت الى الأمير محمـد بن جعفر بن الإمـام قـاسم ابن‌علي العياني ، وقد رُبط بين الجبلين بالجسر القائم اليوم .

أما قبائل الأهنوم فهي قبائل : (هِنْـوم) وهـم ثلاث بـطون (نسري) و(عـولي) و(نـوفي) ، ثم قبـائـل (سيـرانّ) الشـرقي والغـربي ، وقبـائـل (دوزي) وهـم (حسني) و(زريبي) و(كـاحشي) و(قتـامي) و(خلتي) و(حكمي) و(كرشي) ، وكل قبيلة ممن ذكر تشتمل على عدة لحام .

ومناطق الآثار اليمنية القديمـة كثيرة ومنهـا في (جبل شـويكة) الكـائن شمال الجبل الغربي ، وفي محل هجرة (معمرة) : وغيرها .

هـذا وثمـة بـطون أخـرى لحـاشـد لم أذكـرهـا في هـذا المـوجـز لعـدم شهرتها ، وبطون أخرى متفرعة من البطون التي ذكرتها .

ومن حـاشد أيضـاً ما يعـرف اليـوم بـ (همـدان صنعـاء) أو (همـدان الـدنيا) وهي تشكـل مديـرية تـابعة للواء صنعـاء ، مركـزها (الـروض) ، وهي أربعـة أربـاع (ربـع جشم) والى جشم ينسب الهمـدانيـون الجشميـون الـذين منهم السلاطـين (آل حاتم) ، والسـلاطين (آل زريـع) ، و(ربع مكرم) و(ربع وادعـة) وهي من وادعة حـاشد كـما سلف ، و(ربع مـاذن) ومنه وادي ظهر والحصون المطلة عليه كطيبة وفدة وغيرهما .

وتتصـل همدان صنعـاء هذه من شمـاليها بعيـال سريـح وبلاد عمـران وبلاد ثلا ، ومن شـرقيها بنـاحية أرحب ونـاحية بني الحـارث ، ومن جنوبيهـا بناحية بني مطر (بلاد البستان) ، ومن غربيها بناحية شبام كوكبان .

والأماكن الأثريـة في بلاد همـدان صنعاء كثيـرة ومنها : مـدينة (حـاز) في ربع جشم شمال غرب بلاد همـدان ،ومن آثارها ساقية الماء التي كانت توصله الى ريعـان من محـل مسيب في بـلاد البستـان عـلى مسـافـة خمس سـاعـات للماشي ، و(الحقة) و(المعمر) و(ضلاع همـدان) و(وادي ظهر) ويلحقـه

ومن حاشد (صريم) بن مالك بن حرب بن عبد ود بن وادعة المذكور .

وبنو صريم هم أحد البطون الأربعة لحاشد كما سبق ، عاصمة بلادهم (خمر) وهم تسعة اتساع عرف منها ثمانية فقط وهي : تسع الظاهر ومنه مدينة خمر مركز المديرية ، وتسع غشم وهو غربي خمر متصل بغربان ، وتسع الجراف والسنتين وغيل معدن ، والجراف هذا هو غير جراف بني الحارث ، وتسع أهلاب الحسين ، وتسع بني عثيمة ، وتسع بني مالك ، وتسع بني قيس ، ومنهم دماج ، ومنه محل (أثافت) الذي قال عنه الأعشى :

أحب أثافت وقت القطاف ووقت عصارة أعنابها

والتسع الثامن (خيار) . ومنه الحبلة .

وبلاد صريم غنية بالآثار ومنها آثار خمر ، وفيها آثار قصرها الشهير ، والذي قال عنه الهمداني بأنه يقاس بناعط بل أوسع منه ، وحدد مكانه بأنه يقع في ظاهر عجيب ، كما ذكر قصوراً أثرية أخرى ومنها قصر (السخر) في بلاد الظاهر وقصر بيت لعوة ، وقصر بيت زود ، إلا أنه من بلد الكلبيين من خارف حدود بني صريم ، وغيرها .

ومن حاشد (أسلم) بن عليان آنف الذكر ، وأسلم تشكل مديرية من قضاء الشرفين لواء حجة سيأتي تفصيلها عند ذكر (حجة بن أسلم) .

ومن حاشد (حجور) بن أسلم المذكور ، ومن نسل حجور هذا (بنو الصليحي) من أولاد حجور الأصغر بن عبد ود بن أدد بن حجور الأكبر المذكور .

وتتصل بلاد حجور من شماليها ببلاد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة من أعمال صعدة ، ومن شرقيها ببلاد حاشد ومن جنوبيها ببلاد حجة ونواحيها ، ومن غربيها ببلاد عبس وبني بشر وبني مروان

والواعظات .

وتشمل (حجور) (حجور الشام) و (حجور اليمن) و (حجور البشرى) ، ويقال له (حجور أبو منصر) .

فمن (حجور الشام) بلاد (أفلح) و (حيران) وهذه تشكل مديرية من قضاء ميدي لواء حجة ، وتقع هذه المديرية بالشرق الجنوبي من مدينة ميدي .

(ووشحة) وهي مركز قضاء وشحة ، و (كشر) (مديرية) من قضاء وشحة ، (والقفل) (مديرية) من قضاء الشرفين .

ومن(حجور اليمن) (كعيدنة) وهي مركز ناحية حجور اليمن من قضاء حجة لواء حجة .

ومن (حجور البشرى) (الشرف الأسفل) ويشكل (مديرية) من قضاء الشرفين ، و(جبل المحابشة) وفيه مركز قضاء الشرفين .

ومن حصون الشرف (القاهرة) في المحابشة ، و(كحلان) في الشرف والذي يعرف بكحلان الشرف ، تمييزاً له عن كحلان تاج الدين (كحلان عفار) ، ومعظم جبال بلاد حجور بأقسامها وبلاد الشرفين وبلاد المحابشة غنية بالآثار اليمنية المطمورة .

ومن حاشد (حجة) بن أسلم المذكور ، و(حجة) مركز لواء حجة ، ويقع هذا اللواء في الشمال الغربي من صنعاء ، ويحده من الشمال لواء صعدة وجيزان من بلاد عسير ، وشرقاً قضاء عمران وحاشد وسفيان ، وجنوباً بلاد كوكبان والمحويت والطويلة ، وغرباً قضاء اللحية من لواء الحديدة والبحر الأحمر .

ومعظم لواء حجة منطقة جبلية ، والقليل منها كقضاء ميدي منطقة تهامية .

علماء الآثار بالنخلة الحمراء ويبينون لكثرة الآثار فيه ، و(قلعة طيبة) المطلة على وادي ظهر من جهة الغرب ، و(جبل فدة) المنتصب وسط الوادي ، (وثقبان) وفيها عين ماء كانت تجري في أعماق الأرض بممرات بنيت على شكل فخم ، و(ريعان) وفيه السد الحميري القديم وكان فوق غيل لؤلؤة ، تنحدر اليه السيول من جبال بلاد البستان ، و(دار الحجر) في الوادي والبناء الأسفل فيه قديم .

ومن همدان أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار ابن مالك بن زيد بن كهلان ، قبيلة (همدان صعدة) وتشمل مديريتين : مركز الأولى منهما (الصفراء) ومركز الأخرى ؛(كتاف) ، وتقع الصفراء على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً جنوب شرق صعدة ، كما تقع (كتاف) على بعد اربعين كيلومتراً شرق صعدة .

وبلاد همدان صعدة عموماً في شرق بلاد صعدة ، وهي واسعة حيث تمتد من حدود الجوف جنوباً الى عسير شمالاً ، ومن رملة الجهمين في غرب الربع الخالي شرقاً ، الى صعدة غرباً .

ومن (كهلان) (بجيلة) و(خثعم) وقد نزحتا قبل أمد بعيد من اليمن الى جبال السراة في (الحجاز) ، و(بجيلة) أيضاً بطن من (مذحج) الكهلانية أيضاً ، ولكنهم من سعد العشيرة ، ومن هؤلاء (جرير ابن عبد الله البجلي)الصحابي المشهور .

ومن (كهلان) (آنس) بن الهان و(مقري) ، الجانب الشمالي (الهان) ، والجانب الجنوبي (مقري) ، وفي بلاد آنس جبل (أشيح) ويعرف حالياً بـ (ظفار) في مخلاف بني سويد ، وكان مقر الملك (أحمد بن سبأ الصليحي) الذي شاطر الملكة(أروى بنت أحمد بن محمد الصليحي) مُلك اليمن بعد وفاة زوجها (المكرم أحمد بن علي بن محمد الصليحي) كما سنعرف ذلك في موضعه من هذا الكتاب .

وبلاد (آنس) تشمل تسعة مخاليف: منها ثلاثة مخاليف تكوّن مديرية جبل الشرق من قضاء آنس ، وهي : مخلاف (جبل الشرق) ومخلاف (بني أسعد) ومخلاف (بني قشيب) ، وفي هذا المخلاف معدن العقيق المشهور ، وستة مخاليف تكون مديرية (آنس) وهي : مخلاف (ضوران) وفيه مدينة (ضوران) مركز القضاء ، ومخلاف (ابن حاتم) ومخلاف (حمير) ومخلاف (بني خالد) ومخلاف (المنار) ومخلاف (بني سلامة) .

ومياه آنس تسيل الى وادي رمع الذي يسقي أودية الزرانيق في بلاد (الحسينية) من تهامة ، ثم يصب في البحر الأحمر كما تسيل الى وادي (سهام) الذي يسقي المراوعة والقطيع من تهامة ثم يصب في البحر الأحمر .

وتصب مياه الجبال الشرقية من بلاد آنس في بلاد (جهران) الناحية المكملة لقضاء آنس ، ثم تلتقي مع مياه بلاد الحدأ ومياه بلاد ذمار ، وتنحدر جميعها الى بلاد مأرب .

وتتوفر الآثار اليمنية القديمة في جبل الدامغ (جبل ضوران) الذي يقوم مركز القضاء (ضوران) في منتصفه تقريباً وفي وادي (موتا) بمخلاف حمير ، وفي عزلة المنار .

ومن (كهلان) (الأشاعر) وهم من نسل الأشعر نبت بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ، ومساكن الأشاعر في بلاد زبيد وفي بلاد حيس وفي رمع وفي جبل راس من قضاء زبيد ، وفي هذه الأماكن قبائل من غير الأشعريين ، ومن الأشاعر : (أبو موسى الأشعري) الصحابي المشهور واحد عمال الرسول الكريم في اليمن ، ومن أولاده (ابو الحسن الأشعري) صاحب علم الكلام (التوحيد) والذي عرف مذهبه بمذهب (الأشعرية) ، المقابل لمذهب (المعتزلة) في علم التوحيد أيضاً ، واسمه علي بن اسماعيل بن أبي بشر اسحق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري ، المتوفي

عام نيف وثلاثين وثلاثمائة للهجرة .

ومن (كهلان) (مذحج) وهو مالك بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان .

وفروع (مذحج) كثيرة ومن أشهرها : (الحَكَم بن سعد العشيرة) و (بنو الحارث بن كعب) و(بنو عبد المدان) و(جنب) و(عبيدة) و(النخع) و(زُبَيد) بضم الزاي وفتح الباء ، و(مراد) و(عنس) .

فقبائل (الحَكْم بن سعد العشيرة) تقع في شمال تهامة ، وتعرف منطقتها بالمخلاف السليماني نسبة الى الأمير سليمان بن طرف الحَكْمي ، وبمخلاف طَرْف ، وببلاد الحَكْم أيضاً ، ومن المخلاف السليماني (جيزان) و(صبيا) و(أبو عريش) و(القنفذه) و(حلي بن يعقوب) وغيرها .

وقبائل (بني الحارث بن كعب) في نجران ، ومنهم قبائل (بالحارث) في بلاد بيحان ، في أرجح آراء النسابين و(بنو عبدان) في بلاد نجران أيضاً ، وقد شغل عدد منهم إمارة اليمن في عهد العباسيين .

و(جنب) في بلاد صعدة ، ومنها : (منبه) و(سنحان) و(شمران) ومن جنب هذه بلاد الجنبيين في ناحية (مغرب عنس) من قضاء ذمار ومنها (جنب) في بلاد البستان إحدى مديريات لواء صنعاء .

وأما (سنحان جنب) فهي (سنحان عسير) لا (سنحان المجاورة لصنعاء) ، والتي هي من مخلاف (ذي جرة بن يكلي) كما سيأتي ، وجميعها كهلانية .

و(عبيدة المذحجية) المراد بها (عبيدة رهم) في بلاد عسير ، لا (عبيدة ابراد) في بلاد مأرب والتي تعدّ من (مراد) وإن كانت مراد نفسها فرع من مذحج كما عرفنا .

و(النخع) وقد عرفها الحجري في مخطوطه بأنها في جهة دثينة وابين ما بين عدن وحضرموت .

و(زُبَيد) بضم الزاي وفتح الباء من نسل زُبَيد بن ربيعة بن صعب بن سعد العشيرة المذكور ، ومساكنهم الأولى شمال نجران ، وفي بلاد عسير ، ولهم مسكن حتى اليوم في بلاد صعدة ، في وادٍ يحمل اسم زُبَيد بينه وبين ساقين مسافة ست ساعات للماشي غرباً ، وفي مديرية السبرة من لواء آب عزلة زُبَيد أيضاً ، ومن زُبَيد (عمرو بن معديكرب الزُبَيدي) أحد الأبطال الفاتحين في الإسلام .

و(مراد) ومساكنهم في (الحدأ) و(مأرب) و(الجوبة) و(حريب) .

فأمّا الحدأ بن مراد فتشكل مديرية تابعة للواء ذمار مركزها زراجة ، ومن مخاليفها : (الكميم) و(ثوبان) و(الأعماس) ومنهم : اعماس خبان ، و(الصَّهْيَدَ) و(عَبِيدة) - (عبيدة الحدأ) غير (عبيدة رهم) المذحجية وغير (عبيدة أبراد) في بلاد مأرب - المرادية ، وكلها مع ذلك كهلانية مذحجية ، و(مخلاف العباسية) ومنها العمارية التي ينسب اليها القضاة بنو العَمْري ، ومخلاف (زراجة) الذي فيه مدينة زراجة مركز الناحية ، ومخلاف (بني زياد) ومخلاف (بني بخيت) ومنها قرية (الجربتين) التي منها الشاعر الحِكَمي الزراعي علي وَلْد زايد على رأي ، أمّا الرأي الآخر فيذهب الى انه من مدينة منكث في بلاد يريم ، ومخلاف (كومان) ومخلاف (بني حديجة) .

وبلاد الحدأ غنية بالآثار اليمنية القديمة ومنها (النخلة الحمراء) في مخلاف (الكميم) و(بينون) في مخلاف (ثوبان) و(العقم) في مخلاف (بني زياد) و(الهَجَر) في مخلاف (بني بخيت) وغيرها .

وأمّا (مأرب) المرادية فلا تتعدى مديرية مأرب لا جميع لواء مأرب لأن فيه من المديريات ما هو مرادي وهو (الجوبة) و(حريب) ، وفيه ما ليس

مرادياً وهو بقية اللواء .

وتقوم مدينة (مأرب) على أنقاض مدينة مأرب القديمة العاصمة الثانية لدولة (سبأ) ، وفي مأرب آثار سبائية عظيمة ، ومنها (سد مأرب) و(محرم بلقيس) (معبد بلقيس) وغيرهما مما سيأتي تفصيله في فصل دولة سبأ .

ومن قبائل مراد في بلاد مأرب (عبيدة ابراد) و(آل صيّاد) و(آل مسلي) و(آل بحيح) و(بنو سيف) من بني (طليّة) ، ومنهم (المفالحة) و(آل كثير) ، وفي بلاد مأرب (أشراف مأرب) من ذرية الإمام عبد الله بن حمزة ، وأمّا (الجوبة)، فهي كما عرفنا أيضاً (مديرية) من لواء مأرب في الشرق الجنوبي لصنعاء .

ومن قبائل (مراد) في بلاد (الجوبة) (آل نمران) و(آل القردعي)و(آل العواضي) وغيرهم ، ومركز مديرية الجوبة مدينة (الجوبة) ، وبلاد الجوبة غنية بالآثار ومنها (معبد معربم) معبد المساجد في التعريف حالياً كما سيأتي . وأمّا (حريب) فهي أيضاً مديرية من لواء مأرب مركزها (درب علي) .

ومن قبائل (مراد) في بلاد حريب (آل جناح) و(آل أبو عشة) و(الصعاترة) و(المطاوعة) و(الربيعيون) و(الحلفيون) و(العذريون) وغيرهم ، وفيها قبائل أخرى غير مرادية ، وفيها اشراف حمزات أيضاً ، عموماً فقبائل مراد دون النظر الى مساكنهم هم :

(آل طلية) و(ولد جميل) ، فمن آل طلية (بنو سيف) و(آل بحيح) و(الصعاترة) و(بنو سيف) و(آل صيّاد) و(آل مسلي) و(آل نمران) ، ومن (الصعاترة) (آل أبو عشة) ، ومن (ولد جميل) (آل جناح) و(القرادعة) و(آل كثير) و(آل عطيف) ، ومن هؤلاء (آل صالح) و(المفالحة) ، ومن آل عطيف أيضاً (فروة بن مسيك المرادي) الصحابي المشهور واحد عمال اليمن في صدر الإسلام ، وأحد أبطال اليمن الفاتحين في الإسلام .

ومن (مذحج) (عنس)، وهي غير عنس بن مالك الحميرية كما سيأتي

عند ذكر أولاد (الهميسع بن حمير بن سبأ) قال الهمداني عند ذكره لعنس بن مالك الحميري « وعنس بن مالك هذا هو غير عنس بن مذحج » .

ومن قرى عنس مذحج : يام ، والقرية ، وكبر ، ونهد ، وميس صغر أربعة أبيات ، ومن أولاد عنس مذحج لصلبه جشم ، رهط الأسود العنسي عوف بن كعب ، وجشم هذا هو غير جشم الحاشدي جد السلاطين آل حاتم والسلاطين آل زريع ، والذين عاصروا الملكة أروى بنت أحمد الصليحي وكانوا قبل استقلالهم بالحكم نواباً للصليحيين كما سيأتي ،ومن (عنس مذحج) ما يعرف بـ (سرو مذحج) في بلاد رداع وفي بلاد البيضاء ، وفي البلدين المذكورين أيضاً ، قبائل قليلة حميرية ، وقد عرفت سرو هذه بسرو مذحج تمييزاً لها عن سرو حمير في بلاد يافع كما سيأتي أيضاً .

وفي بلاد عنس مذحج آثار يمنية كثيرة .

ومن (كهلان) (طي) ولها عدة فروع ومنها : (جديلة) و(الغوث) وقد نزحت هي وما تفرع منها الى نجد وغيرها .

ومن (كهلان) (المعافر) بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد ابن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ، ويعرف المعافر الكهلاني هذا بالمعافر الأكبر ، تمييزاً له عن المعافر الأصغر بن حضرموت الحميري الذي سميت به بلاد المعافر (الحجرية) كما سيأتي عند ذكر الحميريين .

ومن (كهلان) (خولان) بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ، والمراد بخولان هذه (خولان العالية) والتي تسمى بخولان الطيال وبخولان صنعاء ، تمييزاً لها عن خولان ابن عمرو بن عامر القضاعية الحميرية والتي تنزل بلاد صعدة كما سيأتي ، قال الهمداني عند تدريجه لنسب كهلان ، وأولد عمرو بن مالك (يكلي) و(خولان) خولان العالية .

وتتصل بلاد خولان العالية من شماليها ببلاد بني حشيش بن خولان ، وببلاد نهم ، ومن غربيها ببلاد بني بهلول ، وبني سنحان ، ومن جنوبيها ببلاد

الحدأ ، ومن شرقيها ببلاد مأرب .

ومن خولان العالية (صرواح) العاصمة الأولى لدولة سبأ ، وهي الحد الشرقي لخولان ، وتعرف صرواح هذه بصرواح خولان ، تمييزاً لها عن صرواح أرحب ، وصرواح بني بهلول .

وتشكل خولان العالية مديرية تابعة للواء صنعاء مركزها (جحانة) .

وقبائل خولان العالية كثيرة وهي : (الأعروش) واليها ينسب القضاة بنو العرشي ، ونسب الأعروش أصلاً في حاشد ، ولعلهم انتقلوا منها الى خولان ، ثم (بنو سحام) ويدخل في عدادهم السهمان . ثم (اليمانيتان) العليا والسفلى ، وهما في الأصل من مخلاف (ذي جرة بن يكلأ) الذي يشملهما ويشمل بلاد سنحان وبلاد الروس وبني بهلول على رأي بالنسبة لبني بهلول ، أما الرأي الآخر فيرى انها حميرية ، ومن اليمانيتين (جحانة) مركز مديرية خولان ، ثم (بنو جبر) ثم (بنو شداد) ثم (بنو ضبيان) .

فأمّا (الأعروش) فهم وهبي ومسلمي .

وأمّا (بنو سحام) فهم قسمان : قسم يشمل (وادي عاشر) و(الحصنين) و(شقف) و(السهمان) ، وقسم يشمل (جبل اللوز) و(السحامية) و(بني خيشنة) ، ومن السحامية (شاحك) وفيها (سد شاحك الأثري الشهير ، ويحيط بالسد المذكور جبل اللوز من جميع جهاته ، إلا من جهة تنعم حيث كان السد بين جبلين متقاربين ، ولا تزال آثار السد باقية الى اليوم ، أمّا مخزن الماء فيه فهو واسع حيث يبلغ طوله ساعة للماشي تقريباً وعرضه في الأكثر نحو ميلين وفي البعض دون ذلك ، وجبل اللوز هو المعروف بجبل تنعمة . ويجري حالياً عادة بناء سد شاحك المذكور .

وأمّا (اليمانيتان) فبطونها كثيرة ، ويتفرع من كل بطن عدة لحام ، ومن حصونها حصن (كنن) المنيع الذي يرتفع عن سطح البحر بنحو ثلاثة آلاف متر .

وأمّا (بنو جبر) فهم حسني ووضاحي ، فالحسني قرواني وسعيدي ، والوضاحي قرموش وجهمي ، ومن جبال بني جَبْر جبل الطيال الذي نسبت اليه خولان فسميت بخولان الطيال .

وأمّا (بنو شداد) فهم عمري ومحرزي ، ويتفرع من كل عدة لحام .

وأمّا (بنو ضبيان) فهم : بنو سعد وبنو وافي ، ويتفرع من كل عدة لحام .

وفي خولان مناطق غنية بالآثار اليمنية القديمة ، ومنها : منطقة أسناف ، في اليمانية السفلى وفيه مسجد اثري شهير . وفي (الهجرين) باليمانية العليا ، وفي صرفة ، ودحة، وبيت عقب ببني سحام ، وفي تنعم ، وشاحك ، وجبل اللوز فيها أيضاً .

ويُلحق النسابون بخولان الطيال (بني حشيش) بن خولان بن عمرو المذكور .

وتتصل بلاد بني حشيش من شماليها ببلاد نهم ، ومن شرقيها وجنوبيها ببلاد خولان الطيال المذكورة ، ومن غربيها بصنعاء وبني الحارث ، وتشكل بلاد بني حشيش مديرية تابعة للواء صنعاء مركزها (بيت السيد) نسبة الى السيد (محمد العفيف) وزير الإمام عبد الله بن حمزة وجد آل الوزير .

وتنقسم مديرية بني حشيش الى ثمانية أقسام : وهي : سعوان ، والرونة ، ورجام ، والشرفة ، وذي مرمر ، وعيال مالك ، والأبناء ، وبيت السيد مركز الناحية المذكور .

ومناطق الآثار في بني حشيش تقع في أوديتها الثلاثة الكبار : سعوان ، ورجام ، والسر ، وفيه مركز الناحية (بيت السيد) المذكور .

ومن جبالها : جبل ذباب ، وفيه معدن الجبس (الجص) وجبل ذي مرمر ، ويعرف هذا بشبام الغراس وبشبام سخيم ، وهو يطل على مدينة الغراس إحدى قرى ناحية بني الحارث من لشمال الشرقي ، وللسيد صلاح

الوزير ثلاثة أبيات لطيفة قال فيها :

لله أيامي بذي مرمر وطيب أوقاتي بسفح الغراس
والجنس منظم الى جنسه واحسن النظم نظام الجناس
والشكل معروف بأشكاله والسر فيه السر والناس ناس

كما يُلحق النسابون بكهلان (بني شهاب) أحد مخاليف مديرية (بني مطر) التابعة للواء صنعاء ، انتقلوا اليها من صعدة ، مركزها (متنة) وتتصل من شماليها ببلاد همدان صنعاء (همدان الدنيا) سالفة الذكر ، ومن شرقيها بحقل صنعاء وبلاد سنحان ، ومن جنوبيها ببلاد الروس وآنس ، ومن غربيها ببلاد الحيمتين ، ومن جبال مديرية بني مطر : (جبل حضور) أعلا جبال اليمن ، وفي قمته قبر يذكر انه قبر النبي شعيب بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدم بن حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ ، وهذا النبي شعيب هو غير النبي شعيب صاحب موسى عليهم السلام ، ويسمى الجبل بجبل النبي شعيب . وثمة جبل آخر بهذا الاسم . من اليوسفيين من بلاد القبيطة لواء تعز.

أمّا مخاليف مديرية بني مطر (بلاد البستان) فهي : مخلاف بني شهاب المذكور ، وهو أقرب المخاليف الى صنعاء ، ومخلاف دايان ، ومخلاف بني مطر ، وبه سميت المديرية والتي تسمى أيضاً بلاد البستان ، ومخلاف بقلان ، ومخلاف بني قيس ، ومخلاف الحدب ، ومخلاف الثلث ، ومخلاف الأسدي ، ومخلاف الراعي ، وكثير من هذه المخاليف حميرية ،وفيها عدد من منتزهات صنعاء ومنها : منتزه حدة ، و منتزه سناع ، وفي أعلا منتزه حدة مكان يسمى العين ، ينبع فيها ماء غزير ، وللسيد الأديب عبد الله ابن محمد الوزير في عين حدة هذه قوله :

ولما جئت حدة اكرمتني وخلّت بين من أهوى وبيني
فقلت لها أتيتك من أزال فأين أقيم قالت فوق عيني

ومنتزه بيت سبطان ، وجميع المتنزهات الثلاثة المذكورة في مخلاف بني شهاب المذكور ، ومنتزه أرتل ومنه غيل آلاف الذي شق مجراه الى صنعاء أمير اليمن (محمد بن برمك) في عهد الخليفة (هارون الرشيد) .

وفي بني مطر مناطق آثار يمنية قديمة ومنها : في بيت بوس في جبل الفرضة منها ، وفي جبل عيبان ، وكان فيه حصن (يَهر) المشهور ، وتحته حصن بيت حنبص المشهور أيضاً ، ويليه في الشرق الجنوبي بيت محفد ، ورهقة ووقش في مخلاف بقلان وغيرها .

وفي الطرف الجنوبي لقاع السهمان أحد حقول المديرية المذكورة قرية متنة مركز الناحية ، على الطريق العام للسيارات بين صنعاء والحديدة .

ومن كهلان (مخلاف ذي جرة بن يكلي) بن عمرو بن مالك بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان .

ويشمل مخلاف (ذو جرة) بلاد سنحان ، وبلاد الروس ، واليمانيتين من خولان ، وبني بهلول في بعض آراء النسابين بالنسبة لبني بهلول ، أما الرأي الآخر فيرى أنها حميرية كما سبقت الإشارة الى ذلك .

وقد حدد الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) مخلاف ذي جرة فقال ، ويتصل بمخلاف خولان مخلاف ذي جرة بن يكلي من جنوبيه الى ما يحادد بلاد بلد عنس والحدأ من مراد .

فأمّا (سنحان) فتشكل مديرية تابعة للواء صنعاء ، وتتصل من شماليها بـ (بني حشيش) وجبال صنعاء (نقم) و(براش) ، ومن شرقيها بـ (بني بهلول) و(خولان العالية) ، ومن جنوبيها بـ (بلاد الروس) ، ومن غربيها بـ (بني مطر) ، وتشمل (سنحان) قرى كثيرة ومنها ، حزيز ، ودبّر ، ودار عمرو ، وريمة حميد ، ودار سلم ، وبيت حاضر ، وسامك ، وسيان ، وشعسان ، وشيعان ، وبيت الشاطبي ، وبيت الأحمر ، ومن هذا المحل رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام علي

عبد الله صالح ، والى قرية ذبر قصد الإمام الشافعي القاضي أبا يعقوب (اسحق بن ابراهيم الذبري) لأخذ العلم عنه وقال فيه بيته المشهور :

لا بدّ من صنعاء وإن طال السفر ونقصد القاضي الى هجرة ذبر

وما يزال المكان هذا معروفاً كأثر في المنطقة .

ومن أشهر أوديتها : وادي سامك ، ووادي سيّان ، ووادي حزيز ، وغيرها ، والى سيان ينسب السادة بيت السياني .

وبلاد سنحان غنية بالآثار اليمنية ومنها في محل مقولة ، ومحل سيان في رأس الأجبل الأسود فيه (مدينة ذي جرة : من السرين الى نعظ على مسافة ساعة ونصف للماشي ، وفي حصنها القريب من بيت الأحمر ، وفي محل نعظ نفسه في سفح جبل كنن الغربي ، وفي جبل كنن أيضاً ، وفي جبال بيت حاضر : الريد وعلسان ، والشعوبية وحجالة ، وغيرها .

وأمّا (بلاد الروس) فتشكل مديرية كذلك تابعة للواء صنعاء ، وتتصل من شماليها ببلاد سنحان ، وبلاد بني مطر ، ومن شرقيها ببلاد خولان العالية وبلاد الحدأ ، ومن جنوبيها ببلاد جهزان وبلاد آنس ، ومن غربيها ببلاد بني مطر وبعض بلاد آنس ، ومركزها (وعلان) .

ومن قرى بلاد الروس وعلان المركز المذكور ، وخدار ، وعافش ، والعُبَّس ، ووادي الحار ، وذي يسان محل السادة بيت اليساني الذين يلتقون بنسبهم مع بيت الوزير أهل السر ، ولا تخلو بلاد الروس من الآثار اليمنية القديمة .

وأمّا (اليمانيتان) فهي وإن كان عدادها أصلاً من مخلاف (ذي جرة بن يكلأ) إلا أنها حالياً تعدّ من خولان العالية وقد ذكرت قبائلها عند ذكر عموم خولان .

وأما بني بهلول فتشكل مديرية تابعة للواء صنعاء مركزها (غيمان) الغنية بالآثار الحميرية ، ومن قراها (صرواح) وهي غير صرواح خولان وصرواح أرحب .

ومن كهلان (لخم) وقد هاجرت فيمن هاجر من اليمن الى الحجاز

ونجد والشام والعراق وغيرها .

ومن (لخم) (المناذرة) الذين أسسوا لهم امارة في مشارف العراق كما سيأتي تفصيل ذلك في آخر القسم الخاص بتاريخ اليمن قبل الإسلام .

ومن كهلان (جذام) ومنها : (غطفان) وقد هاجرت جذام بجميع فروعها فيمن هاجر من اليمن الى الحجاز وغيره .

ومن كهلان (كندة) بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان، وكانت لكندة إمارة ذات شأن في (بلاد حضرموت) وسيأتي ذكرها .

ومن كندة (الصَّدَف) و(تجيب) والصدف هذه بفتح الصاد والدال الكهلانية هي غير الصُّدُف بضم الصاد والدال الحميرية كما ضبطها الهمداني ، ومن قبائل الصدف الكندية الكهلانية (ريدة الدوم) و(آل مهدي) بقيضين ، والمشايخ (آل باراس) بدوعن وحجر والجبال ، وآل باسودان ، وآل بابقي بدوعن وبالشحر ، وبغيرهما ، والأتماز بحجر ، وآل مخاشن بالقارة وباكثير وباحنين وابن حميد قريش وباقيس بدوعن وزهر ، وباصعر بدوعن ، وباكرمان بالجربة ، وباسبيت بمبخوت ، وغيرهم ، وكلها قبائل معروفة بحضرموت الى اليوم ومعظمها كما عرفنا بدوعن .

ومن (تجيب) : قبائل بهنين ، وبنومرتع ، وآل محفوظ ، وآل عفيف ، وآل القحر بالمنيظرة ، وآل سعد بالهجرين وهذه أيضاً قبائل معروفة ببلاد حضرموت ، ومن قبائل كندة بحضرموت أيضاً (الكرب) (والصيعر) في بلاد (شبوة) من الصيعر (أهل ريدة الصيعر)تمييزاً لها عن ريدة الدوم من الصدف ، وعن ريدة البون من حاشد . ومن كندة (السكاسك) و(السكون) ابني اشرس بن كندة المذكور .

فأمّا (السكاسك) فتشمل كثيراً من بلاد الجند وبلاد صبر وبلاد الحجرية والصلو وغيرها ، قال الهمداني في كتابه (سفة جزيرة العرب) عند ذكر السكاسك « جبال السكاسك : جبل الصردف (بالقرب من جبل سورق

في بلاد ماوية) وجبل السودان من ظهر أديم (السودان جبل ووادي معروفان بين الجند والقاعدة) وجبال الأشعوب (في بلاد الحجرية) والصلو (ويشكل مديرية تابعة للواء تعز) ، وسامع (من بلاد الحجرية) ولحج وهي غير لحج عدن التي هي أصبحية ، وجبل صبر (ويشكل ثلاث مديريات من لواء تعز وهي : مديرية المسراخ ومديرية حدنان ومشرعة ومديرية الموادم) .

وقال في موضع آخر من المصدر نفسه : « قرى السكاسك الجند والدم والشرر (لعله شرر بني يوسف في بلاد الحجرية) وذات السمكر (في الجند) والشفاهي والسودان وندبة وذات المعاقيم والمحابير والصراهمة ، وعدَّ الهمداني أيضاً في المصدر المذكور (ورزان من بلاد السكاسك) و(ورزان بين خدير والراهدة من أعمال تعز وفيه غيل ورزان المشهور) .

وأما السكون فهي في معظمها في بلاد ماوية من أعمال تعز ، ولم يفصل الهمداني أماكنها .

انتهى أشهر انساب الفرع الأول من فرعي (سبأ) وهو كهلان بن سبأ .

أما الفرع الثاني لسبأ : وهو حمير بن سبأ فأشهر بطونه : (قضاعة) و(الهميسع) .

فأمّا (**قضاعة**) بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ فقد افتتح (أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني) نسبها في الجزء الأول من الاكليل ببيت نسبه الى تبّع ، للتدليل منه على أنّ (قضاعة) من حمير وهو :

وبنو مالك قضاعة حولي   جدها حمير أبو الأجداد

ومن **أشهر بطون** (قضاعة) ومن أولاد ولده الثلاثة (عمران) و(أسلم)و(عمرو)أبناء (الحاف بن قضاعة) .

(**ريّان**) وهو (علاف) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، و(الرّيان) من أشهر جبال صعدة ، وبلاد (علاف) معروفة في سحار من بلاد

صعدة ومحتفظة باسمها هذا الى اليوم .

(**سنحان**) بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن سعد بن أسد بن كعب بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وتُعَرف (سنحان) هذه بسنحان عسير ، تمييزاً لها عن سنحان (ذي جرة) الكهلانية آنفة الذكر والتي تُكوّن مديرية تابعة للواء صنعاء .

ومن (سنحان عسير) القضاعية الحميرية (جنب) في بلاد صعدة ومنها (جنب) في بلاد مغرب عنس من أعمال لواء ذمار . ومع هذا فقد سبق للهمداني عند تفريعه لأولاد (كهلان عَدَّ (سنحان عسير) هذه من جنب لمذحجية الكهلانية ، وعليه فيكون له في (سنحان عسير) ومنها (جنب) أو العكس رأيان في نسبتها الى (مذحج الكهلانية) أو الى (قضاعة الحميرية) . وعلى كلا الرأيين فإن (سنحان) صنعاء ليست منها ، لأن هذه من (ذي جرة بن يكلي) وتتصل بكهلان لا عن طريق مذحج كما عرفنا .

ومن قضاعة (**جهينة**) بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، ومساكن جهينة اليوم منتشرة في الحجاز .

و (**عذرة**) بن سعد بن زيد بن ليث المذكور ، ومن بني (عُذْرة) (جميل بثينة) ، والى (عُذْرة يُنَسب الهوى العُذْري) .

و(**بنو مجيد**) من قضاعة ، ومساكن (بني مجيد) في بلاد موزع وفي بلاد المخا وفي بلاد المندب وغيرها .

(**وحيدان**) بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وبلاد (حيدان) معروفة في بلاد خولان بن عمرو في بلاد صعدة ، وفي حيدان سوق خولان

(**وخولان**) بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ومساكن (خولان) هذه في بلاد صعدة جنوب بلاد رازح وغرب صحار (سحار) .

وبلاد (خولان) منطقة جبلية ، وهي تشكل (مديرية) تابعة للواء صعدة مركزها (ساقين) على بعد ثلاثين كيلومتر من صعدة غرباً ، ويتبعها

اداريا محل (الظاهر) على بعد أربعين كيلومتر بالغرب الشمالي من ساقين ، ومن خولان قضاعة هذه (حيدان) سوق خولان آنف الذكر .

و(مَهْرة) بن حيدان المذكور ، وبلاد (مهرة) تشكل مجموعة جزر على ساحل حضرموت ، ومنها جزيرة (سُقْطرة) على ساحل حضرموت مما يلي البحر العربي ، وهي جزيرة واسعة تقدّر مساحتها بمائة كيلومتر طولاً ، في عرض ثلاثين كيلومتر ، وتتبعها الجزر الواقعة بالغرب منها ، هذا وما يزال في لهجة بلاد (مهرة) كثير من اللهجة الحميرية القديمة .

ويحد (مَهْـرَة) من الشرق (عُمَـان) ومن الغرب وادي المَسِيلة من حضرموت ، ومن الشمال المناهيل والربع الخالي ، ومن الجنوب البحر العربي فبحر الهند ، أمّا موانىء (جزيرة سُقَطْرة) فأشهرها (رَأس فَرتك) و(قـطن) و(سيحوت) ، وأكثر سكانها يعيشون على الصيد .

و(رازح) بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة) ، وبلاد (رازح) تكوّن أكثر من خمس (خولان صعدة) ، ومركز بلاد (رازح) (النظير) ، ومن جبال رازح (جبل غيلان) الذي يُستخَرَج منه الحرض ، ويتبعه اداريـاً (جبل غَمْرو) و(الضيعة) ويكوّنان سلسلة (جبال غمرو) في الشرق ، و(جبال الضيعة) في الغرب و(جبال رازح) في الوسط وهي أعلى جبال السلسلة كلها ، ويحد بلاد رازح شمالاً وادي (جيزان) ، وجنوباً سامطة ، وشرقاً جُمَاعة ، وغرباً لواء جيزان .

و(صحـار) بن خولان بن عمـرو المذكـور ، وتُنطَق اليـوم (سحـار) بالسين ، ومساكن (سحار) في القلب من بلاد صعدة ، ومنها مدينة (صعدة) وهي مـركز (سحـار) الى جانب كـونها مـركـز اللواء ، واغلب بـلاد سحـار سهلية ، وتمتد من حدود بلاد (العمشية) في الجنوب ، الى حد (جماعـة) في الشمال .

ومن قبائل (سحار) (بنو فـطيمة) في العشة على بعـد ساعـة واحدة للماشي شمال صعدة .

ومن جبال سحار (تلمص) وفيه حصن تلمص الشهير غرب صعدة ، وفي احضان الجبل المذكور كانت تربض مدينة صعدة الحميرية ، القديمة وذلك في الجنوب الشرقي من المدينة الحالية ، وقد تهدمت خلال الحرب الطويلة التي قامت بين أولاد الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، وبنيت مدينة صعدة الحالية بعد ذلك . ومن مناطق الآثار في بلاد صعدة حصن (العبلاء) فوق حصن السنارة ، وفي وادي علاف من بلاد سحار الجبل المسمى (المتمان) شرقي محل شوح ، وحصن (المنمار) شرقي ساقين ، وفي ساقين السد المعروف بسد الخانق بناه (نوالَ بن عتيك) مولى الملك الحميري (سيف بن ذي يزن) وعامله على بلاد صعدة ، وقد هدمه ابراهيم بن موسى ابن جعفر الداعية لمحمد بن طباطبا في اليمن والملقب بالجزار لكثرة ما سفك فيه من دماء . وكان السد المذكور يسقي وادي العبيديين المشهور بأعنابه وفواكهه ، و(أم ليلى) في بلاد جماعة وغيرها .

ومن أشهر مساجد صعدة جامع الهادي وهو الجامع الصغير المستطيل أمام القباب التي فيها ضريحه رحمه الله . أما الجامع الكبير المتصل به فبناء الأمير شمس الدين ابن الإمام شرف الدين في القرن العاشر للهجرة .

(حي) بن خولان المذكور ، مساكن بني حي معروفة غرب صعدة ،

(كليب) بن محكم بن عمرو ، من أولاد سعد بن ربيعة بن سعد بن خولان المذكور ، ومساكن بني كليب في وادي علاف بسحار .

(مران) بن الأزمع بن خولان المذكور ، وقبيلة (مران) من أكثر قبائل خولان بعد قبيلة رازح ، ومساكنها غرب صعدة ويمتد جبل مران غرباً فيكوِّن سلسلة جبال حتى يصل إلى تهامة، ومن قبائل (مران) (الرعاء) و(الشمر) وغيرهما ، وتعتبر مرّان من (رازح) .

(حرض) بن خولان قال الهمداني عند ذكره مضيفاً : « واليه ينسب وادي حرضَ وهو اليوم بين همدان وخولان ، يسكنه من همدان عاصم بن حجور ، والجندب بن خولان ، وعشا بن خولان ، وباقر بن خولان ، وحرض

ابن خولان ، وبلاد حرض تقع في شمال تهامة ، وتكّون حرض مديرية تابعة لقضاء ميدي من لواء حجة .

وتصب مياه حرض الى اراضي (ميدي) ، وفرع منها الى ارض (المُوَسَّم) ، الواقع بين ميدي وجيزان .

(منبّه) بن يعلى بن عمرو ، من أولاد أسعد بن ربيعة القضاعي ، بنو منبه حي كبير في الشمال الغربي لصعدة من بلاد رازح .

(جُمَاعة) بضم الجيم بن شرحبيل الأصغر بن هلال بن شرحبيل الأكبر ابن هلال بن هاني بن خولان المذكور ، وقبيلة جماعة من كبريات قبائل بلاد صعدة ، ومساكنها في الشمال الغربي من صعدة ، وتبدأ على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً منها ، وتتكوّن من جبال وسهول ، وتشكل قضاء تابعاً للواء صعدة ، مركزه (مجز) ، ويتبعه ادارياً مركز (باقم) ، وفي بني جماعة هجرة (رغافة) .

أما لواء صعدة عموماً فيقع في الشمال من صنعاء على بعد حوالي ثلاثمائة كيلومتر منها ، ويحده من الشمال لواء عسير ، ومن الجنوب العمشية وبلاد سفيان وبلاد الجوف وبلاد وشحة ، ومن الشرق جبل برط الرملة ونجران ، ومن الغرب لواء عسير ، ومركز اللواء مدينة (صعدة) . وكانت مدينة صعدة الحميرية تقع في سفح جبل (تلمص) في الجنوب الغربي للمدينة الحالية كما سلف ، وكان لمدينة صعدة شهرة في صناعة الحديد ، لتوفر مادة الحديد الخام في بلاد صعدة ، ولا سيما في بلاد جماعة التي ما يزال أهلها يستخرجونه من الجبال ويصهرونه في افران بدائية ، ويستخرجون منه الحديد لحاجاتهم .

ولصعدة الحالية ثلاثة أبواب في سورها ، وهي : باب اليمن وباب نجران وباب المنصورة ، وصعدة عامرة بالمساجد وأكبرها المسجد المسمى بجامع الهادي ، والذي يرجع تأريخ بنائه الى القرن العاشر الهجري ، وقد بناه الأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين كما سبق ، وفي الجامع المذكور

مدرسة تدرس فيها العلوم العربية وفقه الزيدية وغيرها .

ويتكوّن لواء صعدة قبلياً من خمسة أقسام هي :

١ ـ همدان صعدة ، ومركزه الصفراء ، وتقع بلاد همدان في الجهة الشرقية من صعدة ، وهي تمتد من الجوف جنوباً الى عسير شمالاً ، ومن رملة الجهميين غرب الربع الخالي شرقاً الى مدينة صعدة غرباً ، ويتبعه مركز (كتاف) على بعد اربعين كيلومتراً شرقاً من صعدة .

٢ ـ صحار ، وينطق بالسين ومن بلاد سحار مدينة صعدة نفسها ، وهي في قلب بلاد صعدة ، وأغلب بلاد سحار سهلية ، وتمتد من العمشية جنوباً الى حدود جماعة شمالاً ، وفيها سوق الطلح الأسبوعي الكبير .

٣ ـ خولان بن عمرو بن عامر ، وهي منطقة جبلية بالغرب من سحار ، ومركزها (ساقين) على بعد ثلاثين كيلومتراً من صعدة غرباً ، ويتبعه ادارياً مركز (الظاهر) و(حيدان) وهو سوق خولان .

٤ ـ جماعة ، وهي بالشمال الغربي من صعدة ، وتتكوّن من جبال وسهول ، مركزها (مجز) وهو بالشمال الغربي من صعدة ، على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً منها ، ويتبعه مركز (باقم) بالشمال من مجز ، كما يتبعه (قطابر) و(شدا) و(العر) .

٥ ـ رازح ـ وبلاد رازح بالغرب الشمالي من صعدة على بعد ستين كيلومتراً منها ، ويتبعها ادارياً (جبل غمرو) و(الضيعة) ، وتكوّن جميعها مجموعة من الجبال سبق إيضاحها عند ذكر (رازح بن خولان) .

انتهى الفرع الأول من فرعي (حمير) ، وهو (قضاعة) بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ .

أمّا الفرع الثاني لحمير وهو (الهميسع) بن حمير بن سبأ فأشهر بطونه : (يامن) و(أيمن) و(أبين) و(لحج) أبناء الهميسع بن حمير المذكور ، ومن (يامن) أو (أيمن) اشتق اسم اليمن في أغلب الظن .

و(يامن) عزلة في بلاد كسمة من قضاء ريمة لواء صنعاء .

أمّا بلاد (أبين) فهي إمّا سميت باسم (أبين بن الهميسع) هذا ، أو باسم (ذي أبين) بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس الآتي ذكره ، وكلاهما حميريان ، وبلاد أبين هذه في الجنوب اليمني ، وهو مخلاف خصب تسقي اراضيه من المياه النازلة اليه من جبال شمال اليمن وبالذات من بعض لواء اب ، والتي تلتقي بمياه (مكيرس) ثم تنزل جميعها الى بلاد الفضلي ، وتعتبر (أبين) مركز بلاد الفضلي الرئيسي ومركز المحافظة الثالثة من محافظات جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وقد نسبت (عدن) ميناء اليمن الجنوبي الى أبين ، تمييزاً لها عن (عدن لاعة) في بلاد مسور من لواء حجة في الجمهورية العربية اليمنية (اليمن الشمالي) .

وأما (لحج) فهي تشكل المحافظة الثانية من محافظات (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) مركزها (الحوطة) وأراضي لحج خصبة أيضاً ، وتنحدر المياه اليها من بلاد اب ، ومن جنوب بعدان وغيرهما في لواء اب أيضاً ، وذلك عن طريق وادي (تبن) عبر اراضي بلاد (ميتم) في ناحية اب .

(نخلان) و(الأشروع) و(عنة) و(الثجة) ابناء (مثوب بن زهير) ابن أيمن بن الهميسع بن حمير ، وقد سميت بأسمائهم أماكن معروفة في لواء اب ، فـ (نخلان) منطقة خصبة من أعمال مديرية السياني من قضاء ذي السفال لواء اب ، و(خلان) أيضاً وادٍ في المخلاف السليماني شمال تهامة ، و(نخلاك) أيضاً وادٍ في سرو مذحج من بلاد البيضاء .

و(الأشروع) محل في بلاد العاقبة من بلاد فرع العدين لواء اب .

وأما (الثجة) فكانت مدينة قديمة في الجانب الشرقي لجبل المسواد بينه وبين جبل التعكر التابع لبلاد جبلة من لواء اب ، وفي المنطقة هذه قرية تدعى (حيتجة) من عزلة المسواد مديرية جبلة يعتقد انها محرفة بالاستعمال من (حي الثجة) ومؤشر أيضاً الى موقع مدينة الثجة المذكور ، والتعريف

السابق لها هو للقاضي محمد بن أحمد الحجري في مجموعه (مخطوط) . وقد اكد هذا التعريف للمدينة المذكورة القاضي حسين بن أحمد السياغي في كتيبه (معالم الآثار اليمنية) ، وزاده ايضاحاً بقوله : « مدينة الثجة وكانت قبل أن تعرف مدينة اب الحالية ، وقد صارت الآن خراباً ، وكان موقعها في أكمة فوق اب المدينة الحالية في جبل التعكر ، وتشرف من ناحية الشمال على (وادي ميتم) ومن الجنوب على (وادي نخلان) ، وفي المدينة الحالية دار مسماة بهذا الإسم (دار الثجة) لعله نقل اليه من احجار تلك فسميت بها ، وبهذين التعريفين يكون موقع مدينة الثجة القديمة هو في عرض جبل المسواد من أعلاه ، بينه وبين المحمول ، يطل على وادي ميتم ، من الغرب ، وعلى وادي نخلان من الجنوب الغربي ، وفي منطقتها حيتجة المذكورة المحرفة بالإستعمال من حي الثجة فيما يعتقد .

ومع ذلك فمدينة (اب) الحالية هي أيضاً قديمة من قبل الإسلام ، اذ لم يُعرف من اختطها ولا تأريخ اختطاطها ، ومن الجائز ان تكون قد سميت باسم احد الملوك اليمنيين قبل الإسلام (كأب يثع) و(اب كرب أسعد) ، نحوها نحو مدينة ذمار ومدينةيريم وغيرهمامن المدن اليمنيةالقديمة المسماة بأسماء ملوك يمنيين قدامى .

ومدينة (اب) هي مركز لواء اب الذي يتكون من القضوات الآتية : (قضاء اب) ويشمل مديريات (اب) و(بعدان) و(جبلة) ، وقضاء (النادرة) ويشمل مديريات (النادرة) مركز القضاء ، و(الشعر) و(قعطبة) ، و(قضاء المخادر) ويشمل مديريات (المخادر) مركز القضاء ، و(حبيش) ، و(قضاء يريم) ويشمل مديريات (يريم) مركز القضاء ، و (الرضمة) و(القفر) ، و(قضاء العدين) ويشمل مديريات (العُدين) مركز القضاء ، و(مذيخرة) و(الحزم) و(الفرع) ، و(قضاء ذي السفال) ويشمل مديريات (ذي السفال) مركز القضاء ، و(السياني) و(السبرة) ، ومن هذا القضاء مدينة القاعدة المركز التجاري في المنطقة على الطريق الرئيسية بين تعز واب . ويعرف لواء اب باللواء الأخضر لأن امطاره

موسمية منتظمة ، ولأن كل شبر فيه زارع ، ويذكر بأن اليونان سموا اليمن باسم اليمن السعيد (ارابيا فلكس) بفضل خضرة لواء اب المذكور .

وتربض مدينة اب في السفح الغربي لجبل بعدان الشامخ ، وتطل هي نفسها على وادي السحول من جهة الجنوب ، وهي طيبة الهواء معتدلة صيفاً وشتاء ، غزيرة الأمطار وغنية بالآثار الاسلامية ، ومنها الجامع الكبير الذي يذكر أن المؤخر الشرقي من البنية بني بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وانه كان يعرف بالجامع الخطابي ، وفي الجامع الكبير المذكور زيادات معروفة ومنها في شمال البنية للوزير حسن احد ولاة الأتراك في الفترة الأولى من حكمهم في اليمن ، واسمه مكتوب في لوحة خشبية واضحة في واجهة المصلين من الجهة الغربية القبلية ، والوزير المذكور من أعظم ولاة العثمانيين وقد حكم في اليمن خمسة وعشرين عاماً ، ومنها الزيادة الجنوبية وفي مؤخرة الصوح للملك عامر عبد الوهاب آل طاهر واسمه مكتوب في احدى اخشاب المؤخر الجنوبي الملاصق للمنارة ، ومنها الزيادة الشرقية المتميزة التي زادها القاضي أحمدبن أحمدالسياغي نائب اب في عهد الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين من أموال الأوقاف وغيرها .

ومن الآثار الإسلامية في مدينة اب جامع الأسدية ، وهو اكبر جامع في المدينة بعد الجامع الكبير ، وموقعه في اعلى سوق مدينة اب ، وقد بناه الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول ، نائب الملك المظفر على صنعاء ، وغيرهما من المساجد الكبيرة العامرة مما لا يتسع هذا لسردها .

وذكر القاضي حسين بن أحمد السياغي في كتابه (معالم الآثار اليمنية) بعض الآثار الإسلامية في مدينة اب فقال : « ومن آثارها الإسلامية في نفس المدينة ما عملته الملكة الصليحية (اروى بنت أحمد الصليحي) من عمارة الطرقات الباقية آثارها الى الآن ، وكذا ما أجرته من العمل الجبار الذي يلحق بأعمال الأوائل ، وهو عمارة العقود المتواصلة عقد في اثر عقد ، من جبل بعدان أي من أسفل جبل بعدان مما يلي جامع المشنة ؛ الى المدينة ،

وجعلت فوقها ساقية للماء أجرتها من أصل المشنة الى المدينة للشرب وللمساجد. صورة (رقم ٧٢) . وكان ذلك آية في القدرة على الأعمال الجبارة في البناء ، ولكن للأسف تعدى عليه بعض من له تعلق بالحكومة من الأهالي (مكتب أوقاف لواء اب) وتصدى الى خرابها وتأجيرها وأخذ احجارها ، في بداية عهد الثورة والحكومة مشغولة بالدفاع عن الثورة والجمهورية من أعدائها . عقب قيام الثورة اليمنية المباركة .

إلا أن القاضي اسماعيل بن علي الأكوع ذكر في كتابه (المدارس الإسلامية في اليمن) بأن تلك الساقية والعقود تحتها إنما هي من آثار آل طاهر ، وهذا هو الظاهر .

وقد عاد القاضي حسين بن أحمد السياغي في كتيبه (معالم الآثار اليمنية) المذكور فأكد ما ذهب اليه الأكوع وذلك عند ذكره أي السياغي لآثار (عامر عبد الوهاب آل طاهر) بقوله : « ومنها اجراء الماء الذي انزله من بعدان وأوصله الى ازقة المدينة (اب) وشوارعها ومساجدها ، وجعل له دبباً من تحت السور الى السائلة العظمى لدخول الماء الى المدينة (اب) لئلا ينقطع أو يتحيل عليه عدو ويقطعه .

والمشروعان هما مشروع واحد متكامل للملك عامر عبدالوهاب آل طاهر المذكور رحمه الله .

ثم ذكر السياغي في المصدر المذكور آثاراً أخرى في مدينة اب للملك عامر عبد الوهاب كرصف شوارع المدينة (القديمة المحاطة بالسور) بالأحجار ، وبناء الحمام فيها وهو ما يزال عامراً ، ومازالت كثير من شوارع المدينة مرصوفة بالأحجار إلا أنه تهدم بعضها بسبب إهمالها وصيانتها .

(دايان) بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ .

مخلاف (دايان) في بلاد حضور من مديرية بني مطر (لواء صنعاء ، و(دايان) أيضاً من بلاد حراز إحدى مديريات لواء صنعاء أيضاً .

(وائل) بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع المذكور .

والى وائل هذا فيما يبدو ينسب بنو وائل في بلاد الحزم وبلاد العدين وبلاد وصاب وغيرها .

(ردمان) بن وائل المذكور .

تطلق بلاد ردمان قديماً على منطقة في بلاد السوادية من أعمال قضاء رداع لواء البيضاء ، وتبتدىء بلاد ردمان في بلاد السوادية من (نجد الجاح) شرقي مدينة رداع ، وتنتهي حدود الأملوك من ردمان أيضاً بحدود بلاد حريب . وتشمل بلاد ردمان بلاد سارع الواقعة شمال شرقي مدينة رداع ، ولا تزال بلاد سارع وبلاد ردمان في هذه المناطق محتفظتين باسميهما الى اليوم ، وأهلهما ذو عزة وكرم وممن يرحبون بالضيف ، وفي بلاد ردمان هذه مدينة (وعلان) في المعسال من ناحية السوادية ، وفي وعلان هذه قصر ردمان الشهير والمعروف بقصر (ذي معاهر) والذي اسماه الهمداني في الأكليل بقصر (شحرار) ، وقال عنه انه كان مشيداً ببلاط أحمر ، وليست وعلان هذه وعلان بلاد الروس ، ولا بلاد السارع في هذه المنطقة بلاد سارع في بلاد المحويت كما قد يتوهم .

(الأملوك) و(قتبان) ابنا ردمان بن وائل المذكور .

فأمّا بلاد الأملوك فهي معروفة ومتصلة ببلاد ردمان مما يحادد بلاد حريب ، وقد عرفت هذه الأملوك بأملوك ردمان ، تمييزاً لها عن أملوك رعين في بلاد النادرة من أعمال لواء اب .

وأما (قتبان) فكانت لها دولة ذات شأن ومن كبريات دول اليمن قبل الإسلام كما سيأتي ذكرها بفصل خاص بها .

(الصدف) بضم الصاد والدال مالك بن عمرو بن الغوث بن حيدان ابن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير .

وقد ضبط الهمداني الصدف هذه بضم الصاد والدال ، تمييزاً لها عن الصدف بفتح الصاد والدال أخت تجيب الكندية الكهلانية .

ومساكن الصدف الحميرية في بلاد حضرموت ، ولا يزال لها بقية معروفة بهذا الإسم، ومنها : وادي الصدف وحي الصدف ، ودار الصدف .

أبناء (عبد شمس) بن وائل بن الغوث بن حيدان المذكور ، وهم : (الصوار) و(موكف) و(قفاعة) و(الصهيب) و(الحصيب) من ابناء عبد شمس المذكور ، وممن بقي لهم نسب معروف .

فأما أولاد (الصوار) فسيأتي ذكرهم .

وأما (موكف بن عبد شمس) فقد عرف من نسله (الموكفيون) ولهم وطن يعرف بالموكف سافلة بلد الكلاع مما يلي وادي نخلة .

و(القفاعة) من مخلاف حاتم المعروف ببلاد التعزية ، وهي المنطقة المحيطة بتعز ، والقفاعة أيضاً من نواحي بلاد صعدة ، ويسكنها بنو محمر من خولان بن عمرو بن عامر بن الحاف بن قضاعة ، ويذكر أن فيها معدن الذهب .

و(الصهيب) منطقة معروفة في بلاد القطيب بالجنوب الشرقي من قعطبة .

أما (الحصيب) فقال الهمداني عنها : وسكن الحصيب بن عبد شمس أسفل وادي زبيد ، فسميت زبيد بهم الحصيب (يهبر ذي المرعلي يهبار) بن ينكف بن عبد شمس ، لعل هذا هو (ذمار علي يهبار) الملك الثاني لدولة حمير من الحميريين ، والذي اكتشف تمثاله وتمثال ولده (ثارن يعب يهنعم) في النخلة الحمراء من بلاد الكسيم في الحدأ .

(موزع) و(رديعة) ابنا القفاعة بن عبد شمس المذكور .

فبلاد موزع تشكل مديرية من قضاء المخا لواء تعز ، ومعظم سكانها من

بني مجيد القضاعية كما سبق عند ذكر انساب قضاعة الحميرية .

وأما (رديعة) فقال عنها الهمداني عند ذكره لها في الجزء الثاني من الأكليل (رديعة وهو رداع ، ومنه خولان في رداع . وسيأتي للهمداني أيضاً اسم (رداع) بن كعب بن ربيعة بن الحارث بن عمرو ذي صرواح، والذي سميت رداع باسمه ، وهذا انسب من نسبتها الى رديعة بن قفاعة المذكور .

(حذيفة) و(شفعة) ابنا زرعة ذي المناخ بن عبد شمس ، في بلد الكلاع الحميري بلواء اب قبيلة تدعى بنو حذيفة .

أما (شفعة) فقال عنهم الهمداني في الجزء الثاني المذكور : عند ذكره ذلك : « ومن بني شفعة الجعافر ملوك الكلاع في الاسلام » .

(بينون) و(فرع ينهب) ابنا منياف بن شرحبيل بن ينكف بن عبد شمس المذكور ، فأما بينون فقد سميت به منطقة أثرية في مخلاف (ثوبان) من بلاد الحدأ ، وأما (فرع ينهب) فقد ورد ذكره في الكتابات الأثرية التي اكتشفت في اليمن كما سنعرف ذلك في موضعه من هذا الكتاب .

(الأهجر) و(بوسان) ابنا شهر بن بينون المذكور ، الأهجر وبوسان بلدان من عنس حمير ، ولكن عدادهما اليوم من الحدأ ، وقد خربت الأهجر ولم يبق إلا آثارها ، والأهجر أيضاً في بلاد كوكبان .

(هكر) بن ذي ذرانح بن بينون المذكور ، وهكر أحد محافد اليمن الأثرية في بلاد عنس حمير .

(بعدان) و(ريمان) و(عروان) و(حملان) و(سعوان) و(شعوب) و(الهان) ابناء عبد شمس المذكور . فـ (بعدان) مخلاف جبلي واسع في الشرق من مدينة اب ، وهو يشكل مديرية تابعة لقضاء اب من لواء اب ، ومن بعض عزله القريبة من مدينة اب والمطلة عليها تعود ادارياًالى مديرية اب لا مديرية بعدان ، وهي عزل ريمان والمقاطن والموية ، أما عزل مديرية بعدان فهي الحرث ، وسير ، والحيث ، والمنار ، وفيها قرية (نوآذة) قال صاحب

القاموس في اللغة : « ونوادة على وزن قتادة قرية باليمن ذكر أن فيها قبر سام بن نوح) . وحيسان ، بالقرب من المنار ولعلها مصحفة بالإستعمال من (حي سام) ، وذي أقحم ، ومنقذة ، والعذارب ، وبني منصور ، وبني عواض، ودلال ، والقرية ، وفي هذه مركز المديرية الذي يعرف بعزلة الدعيس ، والمشكي وجرانة وضابي .

وجبل بعدان غني بالآثار اليمنية القديمة في عزلة سيروعزلة المنار وفي عزلة المقاطن ، ومن عزلة سير حصن حب الشهير ، وفي عزلة المنار مخازن الماء العظيمة والخندق الفاصل بين الحصن والجبل من اعلى الجبل الى اسفله وطريقه منحوت من أصل الجبل ، الى غير ذلك من الآثار الجديرة بالتنقيب عنها .

وأما (ريمان) فهي كما سبق عزلة من مديرية اب ، وهي وبعدان التي عناهما اعشى همدان بقوله :

ألم تر أني جلت ما بين مأرب ... الى عدن فالشام والشام عائد
وذا فائش قد زرت في متمتع ... من النيق فيه للوعود موارد
ببعدان أو ريمان أو رأس سلبة ... شفاء لمن يشكو التمائم بارد
وبالقصر من أرياب لو بتّ ليلة ... لجائك مثلوج من الماء جامد
ونادمت فهداً بالمعافر حقبة ... وفهد سماح لم تسده المواعد
وقيساً بأعلى حضرموت انتجعته ... فنعم أبو الأضياف والليل راكد

هذا ورأس سلبة المذكور حصن برأس جبل بني الحارث فوق قرية مابه من بلاد يريم مما يلي بلاد الشعر ، وأما(عروان) فهي عزلة من مديرية السبرة من قضاء ذي السفال لواء اب والتي تتكوّن من عزلة (عروان) المذكورة وعزل بلاد الشعيبي العليا والسفلى ، ومطاية ، وبلاد الجماعي ، وفيها مركز المديرية (نجد الجماعي) . وعينان بكسر العين ، والأخلود ، وزبيد بضم الزاي وفتح الباء ، والأبروة ، واليه ينسب القضاة بنو البريهي ، والتربة ، والمساعدة ، وبني عاطف .

و(حملان) في بلاد همدان سكناً لا نسباً .

و(سعوان) في بني حشيش كذلك سكناً لا نسباً .

(و(شعوب) في ضاحية صنعاء المتصلة ببني الحارث سكناً أيضاً لا نسباً ، وقد نزل كثير من الحميريين في مناطق معظم أهلها كهلانيون ، كما نزل كثير من الكهلانيين في مناطق معظم أهلها حميريون كما سلفت الإشارة الى ذلك في بداية هذا الفصل .

وأمّا (ألهان) بن عبد شمس فقال الهمداني عنها في المصدر المذكور : « وبطون ألهان هذه على قول الأبرهي هي : « الأيورس ، والأظلوم ، والأسموح، والأحلول ، والأخمور ، وآل شرحبيل ، والأحقول ، والتماس ، ومعظم هذه الأماكن في بلاد آنس ، علماً بأن بلاد آنس نفسها كهلانية ، ولم تُعرف منطقة أخرى تسمى بألهان غير ألهان آنس ، وعلى هذا فتكون آنس كهلانية وألهان حميرية وكلاهما في منطقة واحدة .

(شَرِس) بن عامر بن مخمر بن يهبر ذي المرعلي آنف الذكر بن ينكف بن عبد شمس ، وقد سمي به (وادي شرس) في الشرق من مدينة حجة ، على الطريق المؤدية من حجة الى صنعاء ، وفيه سوق كبير يقام يوم السبت من كل اسبوع ، ووادي شرس هذا يفصل بين حجة وجبال كحلان .

(ذو رعين الأكبر يريم) و(شرعب) و(ذو الشعبين حسان) أبناء سهل ابن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ، ومخلاف (ذو رعين) كما عَرَّفه الحجري في مجموعه يشمل من بلاد يريم قرى (خاو) و(ماور) و(مليان) و(سَنَفَان) (ومرس) و(رمساس) و(حتفل) و(الأسلاف) و(قعيقعان) و(المقداحة) و(الواسطة) و(القدمة) وغيرها ، كما يشمل مخلاف رعين محلات عديدة في بلاد خبان وفي بلاد النادرة وفي بلاد الشعر ، مضيفاً الى ذلك ما ذكره الهمداني عن مساكن رعين في (صفة جزيرة العرب) ثم قال الحجري بعد ذلك : « قلت وقد دخل فيما حكاه الهمداني من مخلاف ذي رعين بلدان لا يطلق عليها اسم ذي رعين في

الوقت الحاضر ، وإن كانت في الأصل رعينية ، مثل (مثوة) في بلاد عنس ، و (شَخَب) و(كهال من عمار النادرة) ، وحصن (كحلان) و(كبر) و(ذي الصولع) في بلاد خبان و(الأملوك) في بلاد الشعر (وشرعة) من بلاد عنس وغير ذلك » .

وأضاف الحجري قائلاً : « وممن نسب الى (رعين) الشيخ أبو القاسم الشاطبي صاحب كتاب الشاطبية في القراءات السبع » .

أمّا (**شرعب**) بن سهل فقد سمي به بلاد شرعب التي تشكل (مديرية) تابعة للواء تعز على بعد حوالي أربعين كيلومتر من تعز بالشمال الغربي منها ، والشرعب أيضاً في بلد الكلاع ، وفي لواء حجة ، وفي بلاد ريمة .

وأما « **ذو الشعبين** حسان بن سهل » المذكور فقد تفرعت منه بطون سيأتي ذكرها .

(**شعبان**) بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ، ولبني (شعبان) بقية في بلد الكلاع من لواء اب ، وفي (المعافر) (الحُجر) وغيرهما ، ومنهم بنو الشعبي في الكلاع ، ثم عزلة الحود من أعمال ذي سفال من لواء اب ، ومنهم المؤرخ (الشعبي) .

(**ذو حولان**) بن عمرو بن مالك بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ، في ضواحي ذمار الشرقية بلدة وحصن تسمى كل منهما بذي حولان .

(**أعلل**) بن ذي حولان المذكور في جبل الدار من عنس بلدة تسمى بـ (ذي أعلل) .

(**سخيم**) بن يدع بن ذي حولان المذكور ، قال الهمداني في المصدر المذكور : « والى سخيم بن يدع ينسب (شبام سخيم) وهو من ممالك اليمن » وسنرى في فصل امارة (سَمْعي) الحاشدية من هذا الكتاب

أنهانزلت في سخيم شبام ، أو أنّ سخيماً نزلت في بلاد سمعي . ولسخيم الحميرية هذه بقية في بني حشيش في قرية (القرضة) بجوار شبام سخيم (شبام الغراس) سكناً لا نسباً .

أولاد الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ .

إلْ شرح يحضب بن الصوار المذكور ، وهذا هو غير (إلْ شرح بن يحصب) بالصاد المهملة بن دهمان والذي نسبت اليه أرض يحصب كما سيأتي .

ذو غمدان عمرو يثأر بن آل شرح يحضب المذكور ، قال الهمداني مضيفاً في المصدر (الثاني من الاكليل) : « ذو عمرو يثأر أول من شرع في تشييد (غمدان) بعد بنائه القديم ، وغمدان هو القصر الشهير الذي كان في مدينة صنعاء وسيأتي المزيد من التعريف بقصر غمدان .

ذو ابين بن ذي يقدم بن الصوار المذكور ، وقد سميت باسمه أو باسم ابيَن بن الهميسع بن حمير أبين عدن كما سبقت الاشارة الى ذلك عند الكلام عن (ابين بن الهميسع) .

ظهر بن سعد بن عريب بن ذي يقدم بن الصوار ، قال الهمداني مضيفاً : « واليه ينسب وادي ظهر من أرض صنعاء ، وهو أحد منتزهات صنعاء ، ولبعض الشعراء قوله :

يا حبذا أنت يا صنعاء من بلد وحبذا واديك الظهر والضلع

ويعني بالضلع ضلع همدان لا ضلع كوكبان .

سخط بن زرعة بن الحارث بن ذي نواس ، من نسل ذي أبين بن ذي يقدم بن الصوار المذكور ، قال الهمداني مضيفاً : « وهم السخطيون بمنكث ، ولم يبق استعمال لاسم السخطيين في منكث ، أما منكث فما تزال قرية عامرة محاطة بالجبال من ثلاث جهات حتى قيل (سكث حراسها

جبالها) ، وفيها جامع صغير ذكر ان الإمام الهادي يحيى بن الحسين هو الذي بناه ، أما سورها فقد تهدم بسبب توسع البناء فيها ، وتقع منكث في الجنوب الشرقي لمدينة يريم ، وتتفرع الطريق اليها من كتاب ، وتستمر الى ظفار عاصمة الدولة الحميرية ، وكثيراً ما اتخذ ولاة اليمن قرية منكث مركزاًلإقامتهم ولادارة شؤون اليمن منها لتوسطها بين اليمن الأعلى والأسفل .

ذو ماور بن ياسر بن عمرو بن يعفر بن شرحبيل بن عمرو ذي أبين المذكور ، وماور بكسر الواو بلدة في ذي رعين مرّ ذكرها عند الكلام عن ذي رعين ، وماور أيضاً قرية في بلاد رداع ، وثالثة في بلاد آنس ، وماور بفتح الواو مخلاف في بلاد ريمة ولعلها سميت كذلك باسم ذي ماور المذكور تغيّرت حركة الواو بالاستعمال ، وقرية ماور الرعينيّة في بلاد يريم .

المنتاب بن عمرو بن زيد بن علاف بن عمرو ذي أبين المذكور ، واليه نسب مسور حجة فقيل له مسور المنتاب ،

شمر ذي الجناح بن العطاف بن المنتاب المذكور ، ومن آل الجناح (يزيد ابن‌منصور الحميري) خال الخليفة المهدي العباسي ، وعامله على اليمن .

ذخار وسردد ابنا معدي كرب بن شرحبيل بن ينكف بن شمر ذي الجناح . قال الهمداني مضيفاً : « فنسب جبل شبام بيت أقيان الى ذخار ، فقيل جبل ذخار ، ونعب وادي المهجم وهي حراز بقول بعضهم الى سردد فقيل وادي سردد » .

هذا وجبل ذخار هو جبل ضلع كوكبان وليس جبل كوكبان كما توهم بعض المؤرخين .

وأماكن الآثار كثيرة في هذه المنطقة ومنها : في حصن الناصرة شمال حصن ثلا ، وفي جبل خضران من بلاد ثلا ، وفي حصن مدع ، وفي حصن تعز جنوب محل بيت الفليحي ، وفي جبل ذخار (ضلع كوكبان المذكور) ، وغيرها .

(مسور) و(تخلى) و(المصانع) ابناء عمرو بن معدي كرب بن شرحبيل بن ينكف بن شمر ذي الجناح المذكور . مسور جبل معروف في بلاد حجة وتعرف منطقته الواسعة ببلاد مسور ، وتكوّن قضاء من لواء حجة سبق ايضاحه عند ذكر حجة ، وكان جبل مسور يعرف قديماً بجبل تخلى ، وهو جبل واسع في قمته عدد من القرى ، ولا يدخل اليه إلا من أحد ابوابه الثلاثة ، وفي قمته حصن (المنتاب) ، وفي جوانب الجبل تجري جداول المياه ، وفيه الكثير من الآثار الحميرية القديمة عليها كتابات المسند الحميري .

أمّا (المصانع) فهي سراة جبال تعرف بجبال المصانع من لواء حجة أيضاً ، ويعرّف بعض المؤرخين المصانع هذه بأنها مصانع ثلا لاتصالها بها من جهة الغرب ، ومنها حبابة والقرى المجاورة لها ، وتسمى بمصانع حمير ، وهي غنية بالآثار الحميرية ،

(أزاد)ابن المصانع المذكور ، قال الهمداني مضيفاً : « واليهم ينسب حضور بن أزأد بن المصانع المذكور ، وتسمى حضور المصانع بحضور الشيخ تمييزاً لها عن حضور بني شهاب في بلاد بني مطر (بلاد البستان)إحدى نواحي صنعاء السالف الذكر .

(وفا بن أزأد) المذكور ، وأضاف الهمداني قائلاً : « وهم الوفائيون يسكنون بيت الأبذر من وطن مسور » .

(يحبس بن ذخار) المذكور ، وأضاف الهمداني قائلاً : « وهو فرع ينسب اليه وطنه فسمي يحبس ، ثم نزله (شبام) وهو سعيد بن عبد الله بن أسعد بن جشم ، فغلب على يحبس باسمه ، وغلب بنو يحبس على اعقابه الى اليوم ، وإن يكن شبام أقدم من يحبس ، فقد ذهب شبام بالإسم . وذهبت بنو يحبس بالأعقاب ، ويظهر من كلام الهمداني هنا أنّ القبائل المقيمة في بلاد شبام من نسل يحبس لا من نسل شبام ، وأنّ شبام غلب على اسم المنطقة التي كانت تعرف باسم يحبس ، وكان حظ شبام ذلك لا سوى ، كما سميت عدة مدن باسم شبام ، ومنها شبام حضرموت .

(بخسان) بن نوف بن أزأد المذكور قال الهمداني مضيفاً : « بخسان بن نوف فرع ينسب اليهم وطنهم » هذا وبخسان بلدة عامرة بالسكان في بلاد مسور قرب بيت عذاقة مركز قضاء مسور ، و(بخسان) أيضاً محلة في قرية القابل احد منتزهات صنعاء .

(ذو عرار) و(صيعان) ابنا نوف بن شرحبيل بن ينكف بن شمر ذي الجناح بن العطاف بن المنتاب المذكور ، أمّا (ذو عرار) فمحل معروف في همدان سكناً لا نسباً ، وأمّا (صيعان) فقرية في بلاد شبام .

(عذاقة) و(فائسْ) ابنا مسور المذكور ، فعذاقة هي مركز قضاء مسور وتدعى ببيت عذاقة ، وهي قرية جميلة ذات غيول ومنابع مياه غزيرة ، وأما (فائسْ) بالسين المهملة فهي بيت ومحل اعلى مسور ، وتنطق حالياً بـ (فائز) بالزاي لا بالسين .

(الضلع) بن زيد بن نوف المذكور ، في ناحية همدان صنعاء (جبل الضلع) و(قاع الضلع) وفي جبل الضلع ووادي الضلع قرى ومزارع كثيرة ، ويعرف هذا الضلع حالياً بضلع همدان تمييزاً له عن ضلع كوكبان ، وفي وادي الضلع مزارع شاهرة وقف الأمير اسعد بن أبي يعفر على جامع صنعاء ، كما سيأتي في موضعه .

(الأعذار) بن العذر بن مانع بن زيد بن نوف المذكور ، (الأعذار قبيلة ووطن في الغرب الشمالي من شبام ، وقد عرفوا مع أهل الضلع بالثراء من زمن بعيد) .

(يازل) و(الأحداق) و(القليس) ابناء شرحبيل بن عمرو ذي غمدان بن آل شرح يحضب بن الصوار بن عبد شمس ، قال الهمداني مضيفاً : « فإلى القليس ينسب قصر القليس بصنعاء وهو بناء قديم » وقال المحقق الأكوع على المصدر المذكور : « وهذا القصر هو الذي حَوَّله (ابرهة الحبشي) الى كنيسة ومعبد ليصرف الناس عن الكعبة المشرفة والقصة المذكورة مشهورة ، ويعرف اليوم بغرقة القليس ، ولم يبق منه إلا حفير صغير توضع فيه القمامات ، وعليه

حائط في حارة القطيع بقرب مسجد نصير اعلى صنعـاء ، والقليس أيضاً قرية اعلى جبل حضور ، أمّا (يازل) فقريـة من بلاد حضـور ، وأمّا (الأحـداق) فإليها تنسب آثار قصور أحداق أو الحدقـان في منتهى الرحبـة من بني الحارث إحدى مديريات لواء صنعاء ، ووردت الأحداق في الكتابات الأثرية التي عثر عليها في منطقة الحدقان ببني الحارث ، واذا كانت الأحداق هي الحدقان فتكون الأسرة حميرية نزلت في بني الحارث الحاشدية الكهلانية ، والمـزيد من التنقيب العلمي سيرفع اللبس عنها وعن غيرها .

(ينـاع) بن السميـدع بن الصـوار بن عبـد شمس ، قـال الهمـداني مضيفاً : « وقد توطن بعض بني يناع بلداً من بلد ذي جرة وخولان وسمي ذلك البلد بهم ينـاعاً » . ولا تـزال قريـة (يناع) تحمـل هـذا الإسم الى اليـوم في المخلاف المذكور ، والذي سبق تعريفه عند الكلام عنه ، وحصن (يناع) في بـلاد الحيمـة من لـواء صنعـاء ، وسيـأتي ذكـره في فصـل (الصليحيـون وآل نجاح) .

بنو سبأ الأصغر

بنو سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جشم بن عبـد شمس هم : (حضرمـوت) و(زرعة) ابنـا سبأ الأصغـر المذكور .

فأما (حضرموت) فقد سميت باسمه بلاد حضرموت ، وتشكل حالياً احدى محافظات (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبيـة) وهي خمسة أقسـام : (المكـلا) على السـاحل ، وتشمـل مقاطعـة باوزيـر ، وشحـير ، ورِوكب ، والحرشيات . والقسم الثاني (الشحر) في السـاحل أيضـاً ، ويمتّد من حـدود جبال دمخ حساي شرقاً ، الى وادي المعنية غرباً ، وتسكن هذه المنطقة قبائـل الأحموم .

والقسم الثالث (حجر) ويحتوي على وادي حجر بمدنه وقراه من ميفـع الى رأس كلب ومن المناطق التابعة له (ميفع) والصدارة) و(كنيسة) .

أما القسم الرابع من أقسام حضرموت (دوعن) ، ويحتوي على وادي دوعن الأيمن والأيسر ، ومنطقة المشهد ، والهجرين ووادي عمد ، ووادي العين ، وفي هذا القسم قبائل العمودي وسيبان وآل محفوظ .

وأما القسم الخامس فهو (شبام حضرموت) تمييزاً له عن شبام كوكبان ، ومن قبائل شبام حضرموت : الكرب والصيعر ونهد وآل مخاشن ، ومعظم هذه القبائل في حدود صحراء الأحقاف .

ومن المدن الكبرى لحضرموت شبام ، وسيئون ، وتريم ، ودمّون ، وعندل ، وهاتان المدينتان للصدف من حضرموت ، وموطن الشاعر (امرىء القيس بن حجر الكندي) القائل :

كأني لم ألهو بدمّون ليلة ولم أشهد الهيجاء يوماً بعندل

ومن بيوت حضرموت الشهيرة بالنشاط العلمي والتجاري آل الحداد ، وآل عقيل ، وآل شهاب ، وآل المحضار ، وآل السقاف ، وغيرهم .

ومناطق الآثار اليمنية القديمة في بلاد حضرموت كثيرة تناولت بعضها في الفصل الخاص بدولة (حضرموت المستقلة) من دول اليمن قبل الإسلام . كما أن كثيراً من مدن حضرموت غنية بالآثار الإسلامية ومنها مدن شبام حضرموت وتريم وسيئون وغيرها .

بنو حمير الأصغر

بنو حمير الأصغر وهو زرعة بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل ، منهم :

صيفي ، و(سداد) ، و(السلف) و(الفياض) و(ذواقيان) ابناء حمير الأصغر المذكور .

فأمّا (صيفي) و(سدد) و(السلف) و(الفياض) فإنه تفرع من كل منهم بطون سيأتي ذكرها .

وأمّا (ذو اقيان) فقد سمي باسمه مخلاف (ذو أقيان) والذي يسمى

بمخلاف (شبام كوكبان) تمييزاً له عن شبام حضرموت وبمخلاف حمير ، وذو الأقيان وتدعى ذلقيان قرية في المعافر (الحجرية) يسكنها آل النعمان ، و(ذو اقيان) في رعين .

(ذو أسبال) و(الباخة) و(ذو عامل) و(حلملم) و(الشرف) ابناء ذي اقيان المذكور .

فأما (ذو أسبال) فقد عرفها الهمداني بقوله : « واليه تنسب ذو اسبال بشبام أقيان (شبام كوكبان) وتعرف اليوم في وادي الأهجر من بلاد شبام كوكبان ، وينطق اسبال بدون اضافة (ذو) وهي بالقرب من شبام كوكبان) .

هذا وبلاد الأهجر غنية بالآثار اليمنية الحميرية ، ومنها بقايا طريق جبلي معبد بالحجر تعبيداً دقيقاً ، يذكر العارفون من أهل المنطقة انه بقايا طريق حميري تصعد الى المشرق ، وتنزل الى تهامة ، وانها كانت تسمى طريق العجل ، وانّ ثمة قطعة ظاهرة على نحوها في ناحية سفيان .

وأمّا (لباخة) فكانت في بلاد شبام أيضاً وقد صارت اطلالاً .

ومن (ذي عابل) (الأعبول) في المنطقة أيضاً .

وأمّا (حلملم) فهي قرية آهلة بالسكان ، من عزلة الأشمور في الشرق الشمالي من حجة ، وهي قريتان (حلملم العليا) و(حلملم السفلى) .

وأما (الشرف) فهو معروف في بلاد شبام كوكبان ، ويعرف بشرف (ذي أقيان) ، تمييزاً له عن شرف حجة .

(كوكبان) بن ذي أسبال المذكور ، قال الهمداني مضيفاً : « واليه ينسب قصر كوكبان في رأس جبل (ذخار) ، أمّا القاضي محمد بن أحمد الحجري فقد عرف (ذخار) في مجموعه بأنه الجبل المطل على مدينة شبام والذي يعرف بضلع كوكبان ، أي انه على رأيه وهو الأوضح غير جبل كوكبان الذي تقع في اعلاه مدينة كوكبان ، والتي كانت تعرف من قبل بقصر كوكبان ، وكلاهما جبل

كوكبان وجبل ذخار يطلان على مدينة شبام ، كوكبان في الجنوب الشرقي ، وذخار في الجهة الشمالية الغربية ، ونحو الحجري ذهب القاضي حسين السياغي في كتيبه (معالم الآثار اليمنية) في تعريف جبل ذخار ، هذا ومدينة كوكبان عامرة مسورة لا يدخل اليها إلا من باب واحد ، جدّد بناءه الأتراك على نحو بديع ، وفي عهد الثورة المجيدة شقت اليها طريق للسيارات من جانب غير الجانب الذي فيه الباب المذكور .

(ثلا) و(حبابة) و(صيعان) ابناء لباخة المذكور .

أمّا (ثلا) فقد سميت به مدينة (ثلا) الواقعة في السفح الشرقي لجبل ثلا في منطقة شبام كوكبان وبالقرب من مدينة شبام .

وأما (حبابة) و(صيعان) فقريتان معروفتان بالقرب من مدينة ثلا ، وفي حبابة واديها المشهور ، وتعرف منطقة حبابة والقرى المجاورة لها بمصانع حمير وبلاد المصانع ، وهو اسم له مدلوله الصناعي من الناحية الأثرية ، وتوجد الآثار القديمة في مخلاف وتار من بلاد مصانع حمير في المنطقة المذكورة .

(الجريب) بن الشرف المذكور، وقد سمي بالجريب عدة أماكن في منطقة شرف حجة ،وبلاد حجة ،وغيرهما، ومنها مدينة (الجريب) مقر السلطان (الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري) الهمداني احد دعاة الفاطمية في عهد الملكة اروى بنت أحمد الصليحي ، وهي بلدة من سراة قدم في بلاد حجة وسوقهم الأعظم يتسوقه يوم وعده ما يزيد على عشرة آلاف شخص ، والجريب أيضاً من بلاد حجور ، وهي أيضاً سوق لأهل تهامة وعثر (المخلاف السليماني) ولجميع أهل همدان .

(الورد) و (الرشح) ابنا ذي عابل المذكور .

فـ (بنو الورد) في ثلا ، وفي الكلاع ، وفي عزلة الأشمور من حجة .

وأمّا (الرشح) فقد سمي به محل في بلاد سارع من (بني سعد) في لواء

المحويت .

(سارع) بن الرشح المذكور ، وقد سمي به بلد (سارع) في بني سعد لواء المحويت المذكور .

(الزياحي) بن حبابة المذكور ، وكان بنو الزياحي من كبار رجال الدولة الصليحية ، وينطقون (الزواحي)بالواوبدلاً من الياء .

بنو صيفي بن زرعة (حمير الأصغر) المذكور :

(ذو اصبح) الحارث بن مالك بن زيد بن قيس بن صيفي المذكور ، والى (ذي أصبح) هذا تنسب قبيلة (الأصابح) في بلاد جبلة ، وبلاد الشعر ، وبلا الحجرية ، ومنها الصبيحة التي تنتشر من باب المندب الى حدود بلاد الفضلى وحتى بلاد الحواشب ، وتشمل هذه المنطقةمن الأصابح (لحجا) و(العقارب) وهي اصلاً من بلاد لحج ومركزها دار سعد ، أمّا مركز لحج فهي مدينة الحوطة .

كما تشمل الصبيحة أيضاً (العبادل) والمنصوري والشجيعة والعطيفة وغيرها ، وتسكن العبادل بلاد لحج . ومن بلاد الصبيحة (عدن ابين) تمييزاً لها عن عدن لاعة في بلاد مسور من بلاد حجة ، وتعتبر عدن ابين الميناء الرئيسي بعد المخا عبر التأريخ ، وقد بنى اسلافنا صهاريج عديدة لخزن مياه الأمطار والسيول النازلة من الشمال ، لتأمين ماء الشرب ، ما تزال الصهاريج التي تشاهد اليوم تشهد على عظمة حضارة الإنسان اليمني . (الصور رقم٦٦)

وتقع عدن في فوهة بركان تحيط بها وتحرسها جبال ترتفع سبعمائة متر عن سطح البحر ، وأكبرها (جبل شمسان) (جبل حديد) ثم جبل صيرة ، كما شق الأسلاف في جبل شمسان نفقين للمرور عبرهما من داخلها الى خارجها دون تسلق الجبل والهبوط منه ، وكانا ما يزالان معبراً للمشاة والسيارات الى عهد قريب ثم حوّلا الى مستودعات حكومية في عهد (جمهورية اليمن

الديمقراطية الشعبية) .

وقد اتسعت مدينة عدن فصارت خمس مناطق هي : (عـدن) المدينـة التجـاريـة ومـركـز تجمـع السكـان الأول ، و(المعـلا) الـرصيف للمينـاء ، و(التـواهي) مرسى البـواخر ، و(خـور مكسـر) وفيـه المطار ، و(الشيـخ عثمان) شمال التواهي ، ومركز رئيسي للسكان بعد عدن .

وتبعد الشيخ عثمان عن عدن بنحو عشرة كيلومتر ، ويفصل بين الشيخ عثمان والتواهي حوض النفن ، والبريقة ، وفيها مصافي البترول ، وهي تبعد عن عدن بنحو عشرين كيلومتر .

(ذو غيمان) بن اخنس بن كبر بن هامن (آمن) بن اصبح بن زيد بن قيس بن صيفي بن زرعة (حمير الأصغر) المذكور وباسمـه سميت (غيمان) المدينة الأثرية ومركز مديرية بني بهلول إحدى مديريـات لواء صنعـاء ، ويرى بعض النسابين نسبة بني بهلول الى مخلاف (ذي جـرة بن يكلى) التي تشمـل الروس وسنحان واليمانيتين في بلاد خولان .

وغيمان من أهم المناطق الأثرية وللأسف فإن كثيراً من مبانيهـا الأثريـة صارت اصطبلات للمواشي لأهل القرية ، وبني عليها مساكن للأهالي كما هو الحال في ناعط وصرواح وغيرهما من المناطق الأثرية في اليمن ، وفي ضـواحي غيمان عدة سدود للمياه طمرت بالأتربة ، ومنها سد يعرف بسد (أسعد تبع) لم يبق ظاهراً إلا بعض معالمه . ومن بعض مناطق الآثار في غيمان استخرج تمثال رأس امرأة مصنوع من البرونز بدقة وابداع في قسمات الوجه وشعر الحاجبـين وأهداب العينين ، وقد اهداه الإمام يحيى للملك جورج السادس ملك بريطانيا في عـام ١٩٣٦ م بمناسبـة الاحتفال بتتـويجه ، ومثـل الإمام في اهـدائه ولـده الحسين ، واحرزت تلك الهدية الدرجة الأولى ، وماكان أحراه لوحفظ التمثال في متحف الآثار اليمني ، وفي مدينة غيمان قصر غيمان الشهير وقد تهدم ، وفيها مقبرة الحميريين .

(ذو سبـلان) بن يعفـر بن اخنس المـذكـور ، ومن ذي سبــلان بيت

السبلاني في مخلاف حمير من بلاد آنس .

(ذو الصولع) و(أحور) ابنا الأخنس بن الحارث بن اصبح بن زيد بن قيس بن صيفي المذكور ، وقد سمي باسمه محل (ذي الصولع) في بلاد خبان ذي رعين ، وأما (أحور) فصقع في منتهى ابين عدن في الشرق من أبين .

(رمع) بن عمرو بن الحارث ذي اصبح المذكور ، وباسمه سمي (وادي رمع) في تهامة ، وقد عرّفه الحجري في مجموعه فقال : « رمع بكسر الراء وفتح الميم ثم عين مهملة من الأودية المشهورة التي تصب في البحر الأحمر ، وهو فيما بين وادي زبيد ووادي سهام ، وهو الى زبيد أقرب ، ووادي رمع هذا هو الفاصل بين جبال وصاب وجبال ريمة ، ومأتاه من غربي ذمار وجهران ، وتجتمع فيه أودية كثيرة من جنوبي بلاد آنس وشمالي بلاد مغرب عنس وعتمة ووصابين وجنوبي بلاد ريمة ، وينفذ ما بين وصاب وريمة ، فيسقي بلاد الزرانيق في بيت الفقيه ، وبلاد البدو والقراشية من تهامة ، ثم يصب في البحر الأحمر وفي بلاد الجعفرية من قضاء ريمة عزلة تسمى رمع .

(العود) بن عبد الله بن الحارث بن ذي أصبح المذكور ، قال الهمداني مضيفاً : « واليه ينسب جبل العود بناحية سحلان » لعل الأسم القديم نسب اليها ، على أن مخلاف العود وجبل العود عند الكثير من علماء الأنساب من ذي رعين ، وكلاهما (الأصابح) و (ذي رعين) حميريان .

آل سدد بن زرعة حمير الأصغر

(قتاب) و(وصاب) و(ذو مقار) و(عنس) أولاد مالك بن زيد بن سدد بن زرعة (حمير الأصغر) المذكور . فـ (قتاب) حقل في بلاد يريم لواء اب ، وينطق به كتاب بالكاف بدلاً عن القاف .

و(وصاب) بلاد واسعة تشكل مديريتين تابعتين للواء ذمار ، وهما (وصاب العالي) و(وصاب السافل) مركز العالي الدن ومركز السافل المضباح . وكانت بلاد وصاب جميعها تعرف قديماً بجبلان العركبة ، نسبة الى مدينة العركبة القديمة التي كانت بين مخلافي القائمة والجبجب من بلاد وصاب

العالي ، جنوب عزلة المنار ، وقبلي عزلة بني الموت ، وما تزال آثارها تحتفظ باسم العركبة الى اليوم ، وتتصل بلاد وصاب بمديريتها من شماليها بوادي رمع الفاصل بينها وبين بلاد حبيش وبلاد العدين ، ومن شرقيها بناحية عتمة وقفر حاشد (قفر رحاب) ، وبلاد يريم ، ومن غربيها ببلاد زبيدة ، ومن مخاليف بلاد وصاب العالي مخلاف الحداد وفيه حصن نعمان بفتح النون ، واليه ينسب مخلاف الحداد فيقال له مخلاف نعمان ، وفيه مركز الناحية (الدن) ، ثم مخلاف بني مسلم ، ومن حصونه حصن الشرف ويسمى الآن بالمصنعة ، ثم مخلاف جعفر ، ثم مخلاف كبود ، ثم مخلاف نقذ ، وفيه حصن الشابة ، ثم مخلاف القائمة ، مخلاف بني شعيب ، ومخلاف الجبجب ، وفي كل مخلاف عدة قرى وعدة حصون .

وتتوفر الآثار اليمنية في جبل الدكن من مخلاف نعمان الذي يعلوه الحصن الشامخ المسمى نعمان ، وفي جبل السدة بمخلاف بني مسلم ، وفي الجبل المتوسط بين نعمان وبني مسلم ، وفي قلعة جبل الظاهر ، وفي مخلاف جعر عدة حصون غنية بالآثار ، ومنها : حصن جعر وحصن الدكن وفي جبل معهومة في السيف ، وفي حصون مخلاف نقذ آثار قديمة ، ومنها حصن الشابة وحصن الحذهي ، وحصن صبر وجبل بني ربيعة وحمير وغيرها .

أما وصاب السافل فيشمل عزلة بني حطام وعزلة بني سوادة وعزلة جربان ، وعزلة العارس ، وعزلة قرضان ، وعزلة المصباح ، وفيها مركز المديرية ، وعزلة بني حسن ، وعزلة بني عبد الله ، وعزلة قوّر ، وعزلة بني الحسام ، وفيها حصن نباخ ، وعزلة بني سلمة السافلة ، وعزلة بني سلمة العالية ، وعزلة الأجراف ، وعزلة بني غليس ، وعزلة بني مرجف ، ومخلاف بني خي ، وهو يشمل عزلة بني أحمد ، وعزلة بني الشماخ ، وعزلة بني مزيح ، وعزلة بني وصاب ، وفي كل عزلة عدة قرى كالمخلاف ، إلا أن المخلاف أوسع من العزلة ، ومياه بلاد وصاب تسيل الى وادي زبيد ، والى وادي رمع .

أما الأماكن الأثرية في بلاد وصاب السافل فهي في جبل بني عباس ، وجبل بني غشيم وجبل المصباح ، وجبل «واريـر»وفي بني الحسام وفي مدينة

العركبة القديمة على مقربة من وادي سحمل بين وصاب العالي ووصاب السافل ، وفيه مدن قديمة تهدمت احداهما كانت بين حصني جعر ومدنن ، وأخرى كانت بين جعر وظفران في موضع يسمى الزراعي ، ومدينة ثالثة كانت بالصيفر غربي جعر .

أما (ذو مقار) فقد تفرعت عنه بطون ومنها (ذو حوال) الذين منهم (آل يعفر الحواليون) حكام اليمن في القرن الثالث الهجري .

وأما (عنس) فقد قال عنها الهمداني « وعنس بن مالك هو غير عنس مذحج ، واليها أي عنس حمير (يعني عنس بن مالك) ينسب بلد عنس ، وهي متوسط بين حمير ، وفيها من مآثر حمير (بينون) و(هكر) و(موكل) و(فيق) و(فيد) وبطون عنس هذه (يعني عنس حمير) (يسران) و(طبيان) و(لبوّة) و(اذنة) والذي في هذا الوطن اليوم (عنس مذحج (يام) و (القريّة) و(كبر) و(نهد) و(ميس صغر) أربعة أبيات ، ومن أولاد عنس مذحج لصلبه : (جشم) رهط الأسودالعنسي عبهلة بن كعب) ومنهم : يام والقرية ، والآثار اليمنية متوفرة في كلا العنسين الحميرية والمذحجية ، وقد ظهرت في قرية حمة كلاب من بلاد عنس بالمقادشة أربعة دور كانت مدفونة لعلها من قرية أو مدينة طمرتها الأتربة حتى صارت أكمة تراب قائمة ، ومن تلك البيوت بيت مبني بالحجرة السوداء المعروفة بالحجرة الحبش ، محكم البناء مدرج يبدو ان الذي ظهر منه هو الطابق الثاني ، وعلى الأبواب والنوافذ رسوم الزهرة والقمر ، وفي بعض البيوت الأربعة ما هو صالح للسكنى ، وهناك أحجار منقوشة ورسوم شجر العنب ، وأحجار محفورة بالمسند الحميري ، على اعمدة طويلة وسبب ظهور هذه البنايات هو قيام بعض المواطنين بحفر اساسات لبناء أراد أن يقيمه في الأكمة فاكتشفت ، فأعيد التراب اليها حفاظاً عليها ، وما خفي أكثر في جميع مناطق الآثار اليمنية وهذا هو الذي يبعث الآمال الجسام للباحثين بالعثور على الكثير من المعلومات التأريخية في اليمن ، هذا وبالقرب من قرية (حمة كلاب) المذحجية في بلاد (المقادشة) قرى اثرية أخرى ومنها : حمة سليمان وحمة قارون وغيرهما وكانت الأكمة تدعى باللهجة الحميرية

بحمة .

(ذويهر) الأكبر يعفر بن الحارث بن سعد بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة المذكور ، وقد سمي باسمه قصر يهر الأثري الشهير الـذي كان في بيت حنبص في بلاد بني مطر (بلاد البستان) إحـدى مديـريات لـواء صنعاء وقـد تهدم ،

(حنبص) بن يعفر ذي يهر الأصغر بن زيد بن سمـر بن شرحبيـل بن شمر بن زرعة بن شرحبيل ، من نسل يعفر.

(ذي يهر الأكبر) المذكور ،وإليه تنسب قرية بيت حنبص آنفة الذكر .

(حضور) و(كهلان) و(حمـر) من ابناء عـدي بن مالـك بن زيد بن سدد بن زرعة .

فـالى حضور نسب مخـلاف حضور من بـلاد البستان المـذكورة ، وهـو مخلاف واسع وغير حضور الشيخ الذي يسمى بحضور المصانع في بلاد حجـة غرب بلاد ثلا آنف الذكر ، وفي مخـلاف حضـور بـني مطـر جبل حضـور والذي يسمي بجبل النبي شعيب وهو اعلى جبل في اليمن ، لارتفاعه وارتفاع موقعه ، وثمة جبل في بلاد اليوسفـين من ناحية القبيطة من لـواء تعز يسمى بجبل النبي شعيب أيضاً كما نسب الى كهال مصنعة كهال في بلاد رعين من بلاد النادرة في لواء إب ومنها القضاة بيت الكهالي .

أما (حمر) ففي بلاد ماوية من أعمال تعز محل يدعى (حمر) لعله سمي باسم (حمر بن عدي المذكور) .

(يحصب) بن دهمان بن مالك بن سعد بن عـدي بن مالـك بن زيد بن سـدد بن زرعـة المـذكـور ، وبـه سميت بـلاد يحصب من بـلاد يـريم وذمـار وجهران ، وهو قسمان يحصب العلو ويشمل بـلاد جهران وبـلاذ ذمار ومـدينة يريم ، ومعظم منطقتها . ويحصب السفل وهو يشمـل منطقـة سمارة (جبـل صيد) والى السحول من ارض ذي الكلاع ، وقد ذكر الحجري أنّ من يحصب

العلو قرى : (كتاب) و(منكث) و(ماور) و(يريم) وغيرها ، كما ذكر الهمداني أن من يحصب السفل (الواديان الصنع وشيعان ، وغيرهما) ومن يحصب السفل أيضاً (قفر الوحش) قفر رحاب والمسمى بقفر حاشد وهو يشكل مديرية من قضاء يريم لواء اب ، ويشمل العزل الآتية : بني سيف العالي وبني سيف السافل ، وبني مبارز ، وبني مهدي ، ومذحج العالي ومذحج السافل والنخلة والكرابة وبني ساور وبني مرغم وغيرها ، هذا ويعزى لأسعد تبع قوله :

وفي الربوة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تقذف الماء سائلا

وقد ذكر القاضي محمد بن أحمد الحجري في مجموعه بعضاً من تلك السدود فقال : « قلت ومن أشهر اسداد يحصب سد (قتاب) (كتاب) غربي حقل يحصب ما بين قرية الحزة وقرية كتاب من عزلة أرياب ، وهو اليوم خارب إلا بقية جداره ، ومنها سد شحزان من بني منبه شمال قاع الحقل على مقربة من دخلة عويدي من عزلة بني منبه أيضاً ، ومنها سد (قصعان) في الشرق الشمالي من الحقل ، ما بين قرية صارف من عزلة عراس وقرية ذي شحزان ، وسد (لحج) وهو سد (عراس) في الشمال الغربي من ذي صارف على طريق يريم ، ومنها سد (هران) وسد (المهيبد) وسد (سجن) وسد (يهجل) وسد (النواسي) وغيرها وهي جميعها مشهورة في بلاد يريم ، ما بين قاع الحقل وعراس ، وبلاد الأعماس بخبان وبعزلة أرياب ، ومنها سد (الشعباني) بقرية العرافة جنوبي ظفار من بلاد خبان ، وأكبر سدود يحصب مساحة سد (شحزان) آنف الذكر ، إذ أن مساحة مخزن الماء نحو عشرة آلاف لبنة ، كل لبنة اثنا عشر ذراعاً طولاً ومثلها عرضاً ، وزاد السياغي في معالم الآثار اليمنية عدة سدود في بلاد يريم ومنها : سد ذي شريع قريباً من غيل المريمة وسدود أخرى .

هذا وبلاد يريم غنية بالآثار اليمنية القديمة ، وكذلك جميع يحصب العلو

والسفل ، كما يأتي في مواضعه ، وتربض مدينة يريم في سفح جبل يصبح الذي يطل عليها من الجهة الشمالية الشرقية ، ويقال بأن المدينة القديمة كانت فيما يعرف اليوم بآكام المرايم ، والناس يحفرون فيها للبناء ويستخرجون منها الأحجار الضخمة المنجورة ، ومن أغنى الأماكن بالآثار اليمنية القديمة مدينة ظفار عاصمة الدولة الحميرية ، وفيها قصر ريدان الشهير وقد تهدم وطمرت معظم الآثار ، ونقل الكثير من احجارها المنجورة المكتوبة بالمسند وبني بها جامع يريم ، والكثير من بيوت قرية بيت الأشول وغيرها للأسف الشديد . (حفاش) و (ملحان) ابنا عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة المذكور ، وقد سمي بهما كل من حفاش وملحان التي تشكل كل منهما مديرية من لواء المحويت ، وتطل جبال الناحيتين على تهامة ، وتتكون بلاد حفاش من سلسلة جبال كبرى وفيها مركز الصفقين وتحاذيها جبال ملحان من الغرب ، وتتوفر الآثار اليمنية في جبل القفل من حفاش ، وفي حصن الشايم من بني سعد من حفاش أيضاً ، وفي جبل الصباح من عزلة القبلة وفي حصن شاهر وكلاهما في بلاد ملحان .

(قيهمة) و(مرواح) و(جرابي) ابناء حفاش المذكور ، فـ (قيهمة) مديرية كذلك تابعة للواء المحويت مركزها قيهمة .

و (جرابي) جبل فيه قرى ومزارع في المنطقة ، ومرواح خبت بسافلة حفاش وملحان .

و(حاظة) و(مدع) ابنا سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة المذكور .

فأمّا (وحاظة) فمصنعة أثرية وكانت تشكل منطقة بين بلاد الحزم وحبش من اعمال لواء اب ، ومنها جبل (يريس) بعزلة (شباع) وكانت مقر بني وائل الحميري الذين منهم (اسعد بن وائل) الذي عاصر الملك الكامل (أبا الحسن علي بن محمد الصليحي) . وأمّا (مدع) فحصن يطلّ على مدينة (ثلا) ذو شهرة تأريخية .

(**شهال**) بن وحاظة المذكور .

(شهال) عزلة تُدعى بالشهلي من مديرية (جبلة) التابعة للواء اب .

(**الأخروج**) و(**حراز**) و(**هوازن**) و(**واضع**) و(**المعلل**) و(**سهمان**) و(**الرحبة**) و(**مجيح**) و(**سيَّان**) **أبناء الغوث بن سعد بن عوف** .

فـ(الأخروج) هي بلاد الحيمتين الداخلية والخارجية ، وكل منهما تشكل (مديرية) تابعة للواء صنعاء . مركز الحيمة الداخلية (العرّ) . ومركز الحيمة الخارجية (مفحق) . وكلا الحيمتين غنيتان بالآثار اليمنية القديمة في جبل العر وجبل يتاع وفي حصن الكامل من بني مهلهل وغيرها . و(حراز) تشكل كذلك مديرية تابعة للواء صنعاء ، مركزها (مناخة) . ومنها : مخلاف (هوازن) ومخلاف (مسار) ومن حصن (مسار) ثار علي بن محمد الصليحي ، ومخلاف (لهاب) ، ومخلاف (بني مقاتل) ، و(الثلث) ، ومخلاف (بني اسماعيل) ، ومن بلاد حراز بلاد (صعفان) غرب مسار ، وتتصل بلاد (حراز) من شماليها ببلاد (سردد) ، ومن غربيها بتهامة في بلاد (القحري) من أعمال (باجل) ، ومن جنوبيها بـ (وادي سهام) الفاصل بين (حراز) وبلاد (آنس) وبلاد (ريمة) ، ومن شرقيها بالحيمة وبلاد البستان الفاصلة من ناحية أخرى بين بلاد حراز وصنعاء . قال الهمداني في (صفة جزيرة العرب) : « مخلاف حراز وهوازن سبعة أسباع : حراز ، وهوازن ، وكراز ، وصعفان ، ومسار ، ولهاب ، ومجيح ، وشبام » .

و(هوازن) سبع من اسباع حراز كما عرفنا .

(واضع) و(المعلل) من ملحقات بلاد حضور من بلاد بني مطر (بلاد البستان) .

و(السهمان) قاع من بلاد البستان وفيه مركز المديرية (متنه) ، والسهمان أيضاً عزلة في بلاد حفاش .

أمّا (الرحبة) فقاع من مديرية (بني الحارث) إحدى مديريات لواء

صنعاء ، وقد انشيء فيه مطار الرحبة الدولي للعاصمة صنعاء .

وأمّا (مجيح) فهو سبع من اسباع حراز كما عرفنا .

و(سيّان) محل في بلاد سنحان إحدى نواحي صنعاء واليه ينسب السادة بنو السيّاني .

(ماذن) أو (ذو ماذن) و(بقلان) و(ضروان) و(ذو رضوان) أبناء الرحبة المذكور .

فـ (ماذن) يشمل (وادي ظهر) و(ضلع) و(ريعان) من بلاد همدان الدنيا (همدان صنعاء) وفي (ريعان) سد ريعان الشهير ، وقد تهدم .

و(بقلان) مخلاف وقبيل من بلاد حضور من ناحية البستان .

أما (ضروان) فمحل في ناحية همدان صنعاء ، ذكر بعض المفسرين أن الجنة التي اقسم أصحابها أن لا يدخلنها عليهم مسكين والتي ذكرها الله عز وجل في سورة (ن والقلم) هي في محل **ضروان** هذه .

وأمّا (ذو رضوان) فمحل من بلاد حضور أيضاً .

(**سهام**) و(**كحلان**) ابنا سهمان المذكور .

فـ (سهام) وادٍ مشهور في تهامة ، قال القاضي محمد بن أحمد الحجري رحمه الله في مخطوطه « سهام وادٍ مشهور من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر ، ومأتاه من جبال حضور بالقرب من صنعاء ، ومن جنوبي بلاد البستان ونقيل السود وبقلان وسنحان وبلاد الروس وخدار ووعلان وقحازة ، وتلاقيها أودية بلاد آنس الشمالية ، وأودية جنوبي الحيمة وحراز ، وأودية شمال بلاد ريمة ، وشرقي جبل برع وشماليه ، وأودية الحجيلة ، وتجتمع هذه الأودية في جنوبي عبال ، وتمرّ من بلاد **القحري**، ثم تظهر في بلاد العبسية بالمرواعة في تهامة ، فتسقي تلك الأراضي ثم تفضي الى البحر الأحمر من جنوبي الحديدة .

أمّا (كحلان) فقد سمي به عدة أماكن وحصون منها : حصن كحلان

في بلاد حضور من بـلاد بني مطر احـدى نواحي صنعـاء ، وكحلان الشـرف معروف في بلاد الشرف من بلاد حجة ، وكحلان تاج الدين ويسمى بكحلان عفار من بلاد الأشمور لواء حجة أيضاً ، وكان أسمه القديم (موتـك) ، أما عزلة كحلان في بلاد خبان من أعمال لواء اب والتي فيها حصن كحـلان مقر الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي فهـو منسوب الى كحـلان بن نمران بن هعـان الرعيني .

والآثار اليمنية القديمة متوفرة في حصن كحلان عفار وفي ناحيته ، ومنها شمر ، في بني موهب من ناحية كحلان عفار في موضع يعرف بخرائب شـايع وغيرها .

(جرش) وهو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث آنف الذكـر ، في بلاد عسير مدينة قديمة تسمى جرش ، و(جرش) قبيلة يمنية كانت من أسبق القبائل اليمنية تلبية لنداء الجهاد في سبيل نشر الإسلام ، وقد نزلت في الأردن ، وثمة في منتصف الطريق تقريباً بين دمشق وعَمَّان الأردن مدينة قديمة آثارها رومانية أو نبطية عـلى اختلاف بـين المؤرخين اسمهـا جرش وبـالقرب منهـا مدينـة آهلة بالسكان اسمها جرش أيضاً، وقد تكون للقبائل اليمنية التي هاجرت الى الأردن في بداية الفتح الإسلامي اثر في تسمية المدينة المذكورة بجرش ، أو لقبائل يمنية أسبق هجـرة الى الأردن من اليمن ، والتنقيب العلمي الشامـل كفيل بكشف الحقيقة عنها وعن غيرها ، لأن الأنباط البدو العرب الرحل الذين تركوا آثارهم في جرش الأردنية هذه على قول بعض المؤرخين وفي مدينة البتـراء الأثريـة في الأردن ايضاً عاشوا في القرن السادس للميلاد .

(علمـان) بن شمايـر بن الـوهـاب بن الفيّـاض بن زيـد بن الغـوث المذكور . قال الهمداني مضيفاً : « واليه ينسب علمـان في المصانـع » ولا تزال علمان معروفة في اعلى المصانع من بلاد حجة ، و(علمان) أيضاً بلدة اسفل وادي ظهر ، وهي من أول حدود همدان صنعاء ، وعلمان ايضاً في بلاد الأهنوم الحاشدية الكهلانية ، وفيها هجرة تدرس فيها علوم الشريعـة والعربيـة تعرف بهجرة علمان .

(البرار) و (تيس) و(نضار) ابناء الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث المذكور .

(البرار وتيس ونضار محلات معروفة في مغارب حمير من بلاد المحويت ، وتعرف تيس ونضار حالياً ببني حبش من بلاد المحويت .

(مقري) بن سميع بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث المذكور . عرف المحقق القاضي محمد بن علي الأكوع (مقري) بأنه مخلاف في بلاد مغرب عنس ، بينما عرفه الحجري بأنه المخلاف الجنوبي من بلاد آنس .

(ذي يزن) عامر بن اسلم بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث المذكور .

ومن نسل ذي يزن هذا الملك الحميري (سيف بن ذي يزن) الذي أخرج الأحباش من اليمن بمساندة الفرس كما سنعرف في موضعه ، واسمه الكامل سيف بن النعمان بن عفير الأوسط بن زرعة بن عفير الأكبر بن الحارث ابن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن عامر ذي يزن المذكور ، فسيف بن النعمان نسب الى جده (ذي يزن مباشرة) ،

(ذو الكلاع) يزيد بن يعفر بن يزيد بن النعمان بن زيد بن شهال بن وحاظة آنف الذكر ، وتشمل بلد الكلاع منطقة السحول ، وبلاد حبيش ، وبلاد اب ، وبلاد العدين ، وبلاد ذي السفال (القضاء) وكثيراً من بلاد بعدان ومن بلاد الشعر ، كما عرّف ذلك كثير من المحققين .

(حفان) وهو (ذو حيفان) بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن شهال ابن وحاظة المذكور . وتشكل بلاد حيفان عزلة من مديرية القبيطة احدى مديريات قضاء الحجرية لواء تعز ومن أسواق المديرية المذكورة (المفاليس) على بعد نحو ثلاثين كيلومتراً من مركز الناحية في الناحية الجنوبية منها .

(بكال) بن دعمي بن عوف بن عدي بن مالك آنف الذكر . بكال عزلة من بلاد ريمة .

(الأوزاع) بن جبلة بن زيد بن مالك المذكور ، قال الهمداني مضيفاً : « الأوزاع بن جبلة قبيلة منهم الأوزاعي العالم » .

(ذو الملبد) بن زيد بن مالك المذكور .

(ذو الملبد أهل قياض شمال مدينة تعز وهي مصاقبة للكلاع ، وكانت لهم قرية تسمى الملبد قد اندثرت ، ولهم مسجد بصنعاء مندرس أيضاً نسب الى علي بن داود الملبدي ، ويقع في أسفل زقاق الغول بحارة داود .

(ذو صرواح عمرو بن الحارث بن مالك المذكور ، قال الهمداني مضيفاً : « ويقال انّ الذي ابتنى صرواح ولقب به هو (عمرو بن الحارث القيل ذو صرواح) والمعروف تأريخياً ان مدينة صرواح هذه هي العاصمة الأولى لدولة سبأ ، وتعرف بصرواح خولان تمييزاً لها عن صرواح بني بهلول وعن صرواح أرحب .

(خدير) بن شرحبيل بن الحارث المذكور ، خدير مديرية تابعة لقضاء تعز لواء تعز ، ومنها خدير البدو ، وخدير السلمي ، وخدير البريهي ، إلا أن خدير البريهي يرجع ادارياً الى مديرية ماوية من أعمال تعز أيضاً .

(رداع) بن كعب بن ربيعة بن الحارث بن عمرو ذي صرواح المذكور ، وقد نسبت اليه أو الى (رديع بن القفاعة بن عبد شمس) مدينة رداع العرش ، مركز قضاء رداع من لواء البيضاء وكلاهما (رداع بن كعب) و(رديع بن القفاعة) حميريان . ويشكل قضاء رداع ثلاث مديريات هي مديرية مركز القضاء ومديرية جبن ومديرية السوادية ، وجميع المديريات الثلاث غنية بالآثار اليمنية القديمة ، وتمتاز مدينة رداع العرش بطيب هوائها وخصب أرضها التي تسقى من نهرين ، أحدهما يعرف بغيل الدولة ، والثاني يعرف بغيل المحجري . وبعض الأراضي تسقى من مياه جوفية ، وفي مدينة رداع مساجد اسلامية عديدة ، ومنها عامرية الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر ، (الصورةرقم ٦٤ و٦٥) وله عامرية أخرى في مدينة جبن أيضاً ، وتشمل مديرية قضاء رداع على مخاليف العرش ، واليه نسبت رداع ، وبلاد قيفة ،

وفيها حصن ساق الغراب الأثري ، وبلاد صباح ، ومخلاف الرياشية ، ومخلاف الحبيشية ، وغيرها .

وتتصل بلاد رداع من شماليها ببلاد عنس الحدأ وبلاد مراد ، ومن شرقيها ببلاد البيضاء وبلاد مراد ، من جنوبيها ببلاد البيضا وبلاد يافع (سرو حمير) ومن غربيها ببلاد خبان وبلاد عمار ووادي بنا وناحية مريس ، والحد الغربي لرداع كان على أساس أن بلاد دمت كانت من أعمال رداع ، وكانت كذلك قبل ضمها الى لواء اب .

ومن قرى بلاد ردَاع الشهيرة (ثات) وينطق بها (ثاه) بالهاء في آخرها بدلاً عن التاء ، وفي غربيها الخرابة الحميرية بالقرب من بني سكران ، وقرية (ملاح) وقرية (المصلي) وقرية (ماور) وقرية (نجد الجاح) وقرية (ريام) ، ومن مخلاف العرش مدينة رداع نفسها والمنسوبة اليه كما سبق ، ومن قرى بلاد صباح قرية (موكل) وفيها قصر موكل الشهير ولم يبق إلا آثاره ، ومن مخلاف الرياشية بلاد دمت ، والتي صارت الى لواء اب ، وفي دمت الحمامات الطبيعية ، وفي مخلاف الرياشية أرض الخلقة ، أما الغراس التي فيها مدينة المقرانة عاصمة آل طاهر وقد تهدمت ولم يبق إلا أطلالها ، التي تغطي قمة وجوانب جبل يطل على قاع الغراس الفسيح . فتُعَدّ من مخلاف حجاج .

ومن آثار مدينة رداع قلعتها المنسوبة الى الملك الحميري (شمر يرعش) (الصورة رقم ٦٦) وقلعة أخرى بالواسطة شمال المدينة المذكورة ومقابل قلعة شمر يرعش ، ومدينة الخضراء الأثرية في الغرب الشمالي من جبل حرام في الآكام القائمة شرقي مدينة رداع ، وكانت العاصمة الأولى لصاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن قبل انتقاله منها الى مدينة المواهب شرقي ذمار ، وفي جبل ريام مدينة اثرية كانت تُعرف بالركبة ما تزال آثارها واضحة .

(ذو ردم) و(القشيب) ابنا غلس ذي حزفر بن أسلم بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة المذكور ، قال الهمداني مضيفاً : « وكان من الردمانيين بصنعاء بيت ، ومنهم بيت الردمي ، وقال : « ومن

القشيب غير من بمأرب المعاجل بيبحان ، والصرفيون بالهجمة من ناحية رداع » والهجمة قرية عامرة آهلة بالسكان في قيفة شمال غرب رداع ، وبيت ردم محل معروف في بلاد البستان (بني مطر) .

(بريل ذو سحر بن شرحبيل بن الحارث المذكور) .

توجد بلدتان تسميان بذي سحر ، احداهما ذو سحْر بسكون الحاء المهملة وهي في ضاحية ذمار ، والأخرى بفتح الحاء في بلاد سنحان ، ومن آل ذي سحر العلامة المؤرخ (نشوان بن سعيد الحميري) الصعدي منشأً ، .

(ثقبان) و(ذهبان) ابنا نوف ذي ثعلبان بن شرحبيل بن الحارث المذكور ، وباسميهما سمي محلا ثقبان وذهبان التابعان ادارياً لمديرية بني الحارث لواء صنعاء .

(بُحر بن عمرو بن بحر بن زيد بن كرب بن نوف بن غريب ، بن ذي خليل بن شرحبيل بن الحارث المذكور .

(بُحر) بضم الباء في الإسمين ، قال الهمداني مضيفاً « فمن ولد بحر ابن عمرو بن بحر بن زيد(الهيصم وعبد المجيد ابنا عبد الصمد البحريان ، وفي همدان أيضاً آل ذي بحر من ناعط ، وأضاف قائلاً « والهيصم بن عبد الصمد الذي حارب (حمّاد البربري) غلام هارون الرشيد ، » كما هو موّضح بالتفصيل في موضعه من هذا الكتاب . هذا ولآل (ذي بحر) بقية في مخلاف أقيان شبام (شبام كوكبان) .

(يريم ذي الرمحين) بن يعفر بن عجرد بن سليم بن شرحبيل المذكور . وباسمه سمي جبل وحصن ذي الرمحين بيحصب في قاع الحقل قرب قرية (منزل الأصم) (منزل لصب) .

(ذو ترخم بن يريم ذي الرمحين) المذكور .

التراخم لهم بقية الى اليوم ، والى التراخم ينسب حصن وجبل التراخم الذي تقع على سفحه قرية (خاو) في بلاد يريم ، وفي الجبل المذكور آثار حميرية

كما يذكر ، ومن التراخم (آل العطاب) وكان للتراخم سيادة وشـأن حتى قام الأمـير (محمد بن يعفر) بقتل جماعة من أشـرافهم واذلال بقيـة الأسـرة حتى اضطرّها الى النزوح الى زبيد ثم الى مكة ، وفي أثناء ذلك كتب أحد رؤسائهم الى الأمير محمد بن يعفر يعاتبه فيها على ما ارتكبه فيهم من ظلم فردّ عليه محمد ابن يعفر برسالة جاء منها قوله : « وذكرت اني لك ظالم ، فإن يكن ذلك كذلك فقد قال ربنا عز وجل في كتابه العزيز : ﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** ﴾ » وقد توسط الموفق (طلحة العباسي) لدى الأمير محمـد بن يعفر للتراخم لدى لجوئهم الى مكة وعادوا الى اليمن آمنين .

(حَبَه) بفتح الحاء وبفتح الباء المخففة بن زرعـة بن سبأ بن وائـل بن سدد آنف الذكر . قال الهمداني مضيفاً : « واليه ينسب وادي حَبَه بـالسرو » والمراد به سرو حمير (بلاد يافع) وفي قبائل يافع الى اليوم آل حَبَـه ، وفي بلاد يافع أيضاً وادي حَبَه ، وجبل حَبَهوهويقع من بلاد يافع غرب البيضاء وهو يرى من البيضاء كما ذكر ذلك المحقق استاذنا الأكوع .

(الأبيض بن حمَّال) بن مرثد ، من أولاد سعد بن عوف آنف الذكر ، وقد وفد الأبيض بن حمال على رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب .

(**عفير بن الناسك بن زرعة**) بن عامر بن سيف أبي مرة بن النعمان ، من أولاد (سيف بن ذي يزن) ، وقد راسله الرسول الكريم فيمن راسلهم من أقيال اليمن يدعوهم الى الاسلام كما ترى ذلـك مفصلاً في مـوضعه من هـذا الكتاب .

آل ذي سحر (بريل بن شرحبيل)

(**ذو بوس**) بن ذي سحر (بريل) بن شرحبيل آنف الذكر . وقد سمي باسمه محل بيت بوس في جنوب صنعاء .

(**بلقيس**) بنت الهدهاد بن شرح بن بريل ذي سحر المذكور ، والرأي

الراجح أن (بلقيس) هذه هي غير (بلقيس) الكبرى ملكة اليمن التي زارت النبي (سليمان بن داود) الى الشام وآمنت به ، والتنقيب العلمي الشامل كفيل بكشف تأريخ كل منهما ، وستعلم مزيداً من تأريخ (بلقيس) الكبرى في فصل دولة سبأ من هذا الكتاب ، علماً أنه لم يرد اسم اي منهما في الآثار حتى الآن .

(الذارحي) وضوران) إبنا ذي ذران بن نوف بن حسان بن بريل ذي سحر المذكور . الذراحي محل في بلاد حبيش من لواء اب ، أمّا (ضوران) فقد سميت به عدة أماكن ومنها ضوران مركز آنس وضوران مركز مديرية الحشا من أعمال تعز .

آل ذي جَدَن علقمة الأكبر

(ذو الملاحي) بن علقمة ذي جدن الأصغر بن أسلم بن أغلس بن علقمة ذي جدن الأكبر بن سبأ بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة .

(ملاح) محل معروف من مخلاف العرش بلاد رداع وبالقرب من مدينة رداع ، الصورة رقم ١٤ .

(ذو قيفان) بن شرحبيل بن أساس بن الغوث بن علقمة ذي جدن الأصغر المذكور . سميت بذي قيفان محلات كثيرة ومنها : ذو قيفان بالضاحية الشمالية لمدينة اب ، وقيفان في بلاد حضور وغيرها .

(الشوافي) معديكرب بن عندس بن شرحبيل بن أساس بن الغوث ابن علقمة ذي جدن الأصغر المذكور .

مخلاف الشوافي من أعمال مديرية إب لواء اب ومن بلد الكلاع ، ويقع في المرتفعات الغربية لمنطقة السحول وفيه قرية الشوافي التي صارت اليوم ادارياً من عزلة الصدر مديرية حبيش قضاء المخادر لواء اب ، ومخلاف الشوافي يشمل سبع عزل جميعها من مديرية اب وهي : جبل معود ، وشعب يافع ، وبلاد

الروس ، وبني محرم ، والبحريين ، وثوب أعلى ، وثوب أسفل ، و من حصون المخلاف المذكور حصن الدنوة التي ثار منها الفقيه سعيد بن يسين الهتار على حكم الأئمة في القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر للميلاد كما سيأتي في موضعه بإذن الله ، ومن جباله الشهيرة جبل نعمان فوق الدنوة من الجهة الجنوبية الغربية ، وحصن المجمعة بالشمال من الدنوة وهذا هو مقر آل قاسم .

(السامك) بن نوف بن مخمر بن النخيل بن أساس بن الغوث بن علقمة (ذي جدن الأصغر) . في بلاد سنحان وادٍ يحمل اسم سامك الى اليوم .

(ذو عرار) و(ذو سبطان) إبنا ذي قيفان المذكور ، وفي بلاد البستان محل ذي عرار ومحل بيت سبطان وما يزالان يحملان اسميهما الى اليوم .

آل سوادة بن عمرو :

(السحول) ويسمى (السحيل) بن سوادة بن عمرو بن سعد بن عوف ابن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة وهو (حمير الأصغر) المذكور ، (السحول حقل واسع من أرض ذي الكلاع ، ويبدأ من سفح جبل صيد (سمارة) من الشمال وينتهي عند سفح عقبة مدينة اب في الجنوب ، وأرضه خصبة غنية بالمياه الجوفية ، وفيه عدة أنهار صغيرة تسقى الأرض منها إلا أنه غاض بعضها بسبب إهمال مجاريها ، وكان السحول قديماً يشتهر بصناعة النسيج ، قال طرفة بن العبد :

وبالسفح آيات كأنّ رسومها ثيابٌ وشتها ريدة وسحول

وجاء في كتب السنة النبوية أنّ رسول الله ﷺ كفن من ثياب سحولية ، كما أن قرية التّبان التي ذكر العلماء ان الرسول الكريم كفن منها ما تزال موجودة الى اليوم وآهلة بالسكان وتحمل اسمها ، وكانت من منطقة السحول ، إلا أنها صارت اليوم تتبع ادارياً عزلة جبل معود من ناحية اب ، وهي أقرب الى

السحول منها الى مرتفع العزلة المذكورة .

آل يحصب بن دهمان

(جهران) و(ذمار) و(ذو سفل) و(آل شرح) و(الحصين) ابناء يحصب بن دهمان .

يشمل جهران ، وذمار ، وذو سفل ، منطقة يحصب بقسميها (يحصب العلو) و(يحصب السفل) .

أمّا يحصب العلو فيشمل بلاد جهران ، وبلاد ذمار ، وحتى يريم وقتاب ومنكث كما سبق ايضاحه عند الكلام على (يحصب بن دهمان) .

وأمّا (يحصب السفل) فيشمل بلاد سمارة حتى اسفله عند منطقة السحول ، ومن يحصب السفل بلاد (قفر الوحش) الذي يسمى قفر حاشد وقفر رحاب ، وهو يشكل مديرية القفر من قضاء يريم مركزها (رحاب) ، كما تشكل بلاد جهران مديرية من قضاء آنس لواء صنعاء ، أمّا بلاد ذمار فتشكل مديرية من قضاء ذمار أحد قضوات لواء ذمار ، وفي بلاد ذمار ما ليس من يحصب .

و(إلْ شرح يحصب) بالصاد المهملة بن دهمان ، وهو غير (إلْ شرح يحضب) بالضاد المعجمة بن الصوّار بن عبد شمس .

وأمّا (الحصين) فقد سميت به بلاد زبيد ، وفيها قرية الحصين ، التي ما تزال تحمل هذا الإسم الى اليوم .

(يكار) و(حسم) و(تراحب) و(قباتل) و(ذو حشران) ابناء جهران المذكور ، وبأسماء هؤلاء الأبناء الخمسة لجهران بن يحصب بن دهمان ، سميت محلات معروفة ومحتفظة بأسمائها هذه اليوم في بلاد جهران نفسها .

وبلاد جهران كبلاد يريم وبلاد ذمار غنية بالآثار اليمنية القديمة كما سيأتي في مواضعه .

(جيشان) بن عامر بن حصين بن يحصب المذكور ، جيشان مدينة كانت في أسفل مخلاف العود بينه وبين بلاد قعطبة ، وقد اندثرت ولم يبق إلا آثارها ، وهي منسوبة إما إلى جيشان بن عامر بن الحصين هذا ، أو الى جيشان ابن عبدان بن حجر بن يريم ذي رعين ، ونسبتها الى هذا أقرب لأنها في مخلاف العود ، ومخلاف العود رعيني .

(حُبير) بضم الحاء المهملة ، و(ذو قينان) ابنا إلْ شرح بن يحصب بن دهمان المذكور .

(حبير) عزلة من أعمال مديرية قضاء ذي سفال لواء اب وينطق بكسر الحاء . وأمّا (ذو قينان) فقرية في سحول اب بالقرب من رفود من بلاد المخادر لواء اب ، وتنطق قينان ، وقد ذكر المؤرخون أن البغدادي الذي قَتَلَ بالسم علي بن الفضل وفرّ أُدرك في قرية قينان هذه وقُتل حيث أُدرك .

(ذو تَبْع) بن الحارث بن مالك بن إل شرح بن يحصب بن دهمان المذكور .

من ذيَ تَبْع بسكون الباء هذا التَّبْعيون بفتح التاء وسكون الباء في بلاد الشعر وبعدان ومنهم : (أبوعبد الله الحسين التَّبْعي) الذي عاصر الصليحيين ، ولهم بقية في عزلة الشرف من بلاد بعدان حتى اليوم، ومن التَّبْعيين السلطان (ناجي التَّبْعي) صاحب السحول وولده الذي بنى جامع المخادر وأوقف عليه أوقافاً كثيرة وأجرى اليه الغيل ، وكان فيه ضريحه قبل اخراج رفاته ودفنها خارج الجامع المذكور .

(شرحبيل) و(نضير) ابنا ذي تَبْع المذكور ، قال الهمداني مضيفاً : « فأمّا بنو شرحبيل فيسكنون بجبل بعدان ، وأمّا ولد نضير بن ذي تبع ففي أرض رعين وبحوره من أرض السكاسك » .

آل حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة

تقدم الكلام على مساكن حضور عند الكلام عليه وهي في بلاد البستان

(بني مطر) احدى نواحي لواء صنعاء .

(ماضخ) و(يناع) و(وشم) و(يريس) و(نعيم) و(برّة) أولاد حضور بن عدي المذكور .

فماضخ ووشم محلان معروفان في الشمال الغربي من بلاد حضور ، وأمّا يناع يريس فمحلان في الحيمة الخارجية المحاددة لبلاد حضور وفي يناع حصن يناع الشهير والذي كان من أولى المعاقل التي استولى عليها أبو الحسن علي بن محمد الصليحي .

وأمّا نعيم وبره فمحلان في بلاد حضور وتعرف بره بالبروية إحدى المحلات الكبيرة في بلاد حضور ، قال الهمداني عن نعيم وبره مضيفاً : « ونعيم من حضور ومنهم الأنعوم بحراز وبهم سمي وطنهم الأنعوم بحراز » . « وبرة من حضور واليه تنسب هجرة برة وصقعها البروية » .

(قملان) و(ذو ظلمان) ابنا برة بن حضور .

فقملان بلدة وحصن من حضور ، والحصن قريب من الطريق العام ، وظلمان وطن وحي من بلاد حضور أيضاً .

(سمع) بن سارع بن حضور .

في الشمال الغربي من بلاد المحويت وادي سمع ، وينطق بضم السين وكسر الميم ، وفي بلاد سارع من بلاد السوادية محل سمع إلا أنه ينطق بفتح السين والميم ، ومثله محل سمع من بلاد ريمة ، ولعل الاختلاف في النطق بالاستعمال من بلد الى آخر .

(سوار) و(نمر) ابنا قملان بن برة بن حضور المذكور .

فبنو سوار حي كبير في بلاد حضور ، وبنو النمري حي كذلك في بلاد الأخروج (الحيمة الخارجية) المجاورة لبلاد حضور كما أشرنا .

(ذو سناع) بن يناع بن حضور .

سناع أحد منتزهات صنعاء . بالقرب من حده وكلاهما من مديرية بلاد البستان التي منها مخلاف حضور .

(**شعيب**) بن مهدم بن ذي مهدم آنف الذكر .

في رأس جبل حضور أعلى الجبال اليمنية قبر يذكر أنه قبر النبي شعيب ابن مهدم كما سبق هذا . وبجانب القبر مسجد قديم ومعين ماء ، ويسمى رأس الجبل المذكور ببيت خولان ، ولعلها تسمية متأخرة لقبيلة من خولان سكنته ، لأن بلاد حضور ليست من بلاد خولان .

آل ذي مقار بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة

(**ذو حوال الأصغر**) بن عوسجة بن إل زاد بن الشرمخ ذي حوال الأكبر بن يريم بن ذي مقار المذكور ، وقد تفرّع من عامر ذي حوال الأصغر الحواليون الذين منهم (آل يعفر) أمراء اليمن في القرن الثالث الهجري،وقد عقدت لتأريخ دولتهم فصلاً خاصاً من هذا الكتاب .

(**عوسجة**) بن عوسجة بن إلّ زاد المذكور .

للعواسج بقية غربي بلاد حيدان من بلاد صعدة ، وهم مشايخ العزلة التي يقطنونها .

(**قشيب**) بن عوسجة بن إل زاد المذكور .

للقشيب أيضاً بقية في خولان صعدة ، وبقية في بلاد مأرب ، وفي حمير آنس ، وفي همدان أيضاً سكناً لا نسباً في جميع ذلك ، وقشيب بن عوسجة هذا هو غير قشيب بن غلس بن ذي حزفر آنف الذكر .

آل ذي الكلاع : يزيد بن يعفر :

سبق تعريف منطقة الكلاع عند الكلام عنه ، وهو ذو الكلاع يزيد بن يعفر بن زيد بن النعمان بن زيد بن شهال بن وحاظة بن عوف بن زيد بن سدد ابن زرعة آنف الذكر .

(**رمّان**) بن غانم بن زيد بن شرحبيل بن الأسود بن عمرو بن مالك بن زيد بن ذي الكلاع المذكور .

الرمانيون بيت بملاح ، وبناحية (ثات) من بلاد رداع ، وتقع ثات شمال ملاح ، وكلاهما (ملاح) و(ثات) من مخلاف (العرس) من بلاد رداع كما عرفنا عند الكلام على رداع بن كعب بن الحارث بن عمرو بن ذي صرواح .

(**علقان**) بن شرحبيل بن الأسود بن عمرو بن مالك بن زيد ذي الكلاع .

في السحول قرية تدعى (علقان) غربي المخادر .

(**ثمامة**) بن الأسود بن عمرو بن مالك بن زيد بن ذي الكلاع المذكور .

ومن ثمامة بنو الكرندي حكام المعافر منذ آخر عهد أبي الجيش اسحق بن إبراهيم آل زياد وحتى عهد أبي الحسن علي بن محمد الصيحي .

(**يحير**) بن رسيان بن سعد بن معد يكرب بن زرعة بن ثمامة المذكور .

ومن آل يحير هذا آل الحبَّاك المنجمون في وادي مور .

بنو حضرموت بن سبأ الأصغر

(**تريم**) بن حضرموت ، وباسمه سميت مدينة تريم في حضرموت وهي من مراكز العلم في حضرموت .

(**ذو أوسان**) بن وائل بن معاوية بن يعفر بن مرة بن حضرموت .

كوّنت أوسان دولة لها من كبريات الدول اليمنية الحضارية القديمة قبل الإسلام ، وقد عقدت لها فصلاً خاصاً في هذا الكتاب

(**صُدى**) وهو المعافر بن الفهد بن القيل بن يعفر بن مرة بن

حضرموت .

صُدى هذا هو غير صدي المذحجي السالف الذكر ، والمعافر هذا هو المعافر الأصغر الحميري الذي نسبت اليه بلاد المعافر (الحجرية) كما عليه أكثر المحققين ، وهو غير المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد ابن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان سالف الذكر عند الكلام على أنساب كهلان .

(شبا) و(شبام) ابنا الحارث بن حضرموت .

فأمّا (شبا) فقال الهمداني عنه مضيفاً) « وهم الأشباه بطن » وذكر في صفة الجزيرة العربية أنّ مدينة (شبوه) نزلتها الأشباه ولعل تسميتها بشبوة نسبة اليهم ، وأمّا (شبام) فقد سميت به عدة أماكن ومنها مدينة شبام بحضرموت وشبام أقيان في بلاد كوكبان وغيرهما .

(وائل بن حجر) من نسل شبيب بن حضرموت ، وقد وفد على الرسول الكريم كما ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب .

آل السلف بن سدد بن زرعة

(ذو شرفان بن السلف) المذكور .

وبنو الشرفان هم بقية اليوم في مخلاف الرياشية من بلاد رداع .

(صَبُل) بفتح الصاد وضم الباء بن الحارث بن ذي يامن بن ذي ذرحان ابن ذي شرفان بن السلف المذكور ، (الصَّبُليون) حي في بلاد آنس ، واليهم ينسب محل الصَّبُل في عزلة المنار من بلاد آنس .

(منعين) بن عامر بن صنّاعي بن ذي شرفان بن السلف المذكور ، واليه ينسب بيت منعين في ظاهر ضلع كوكبان من مخلاف شبام أقيان (شبام كوكبان) .

آل الفيّاض بن سدد بن زرعة :

(حطبان) ابن بلد بن الفيّاض المذكور ، في مخلاف نعيمة (صهبان) محل اسمه حطبان معروف ويحمل هذا الاسم الى اليوم .

(الصردف) و(العردف) ابنا حطبان المذكور .

ذكر القاضي محمد بن أحمد الحجري في مجموعه : بأنّ ثمة قرية مباركة شرقي الجند تحت جبل سورق تدعى الصردف ، وقرية أخرى في بلاد وصاب العالي تحمل هذا الأسم وقد خربت ، أمّا (العردف) فثمة قرية في (السكاسك) (منطقة الجند) وأخرى في عزلة يريس من مخلاف الجبجب في بلاد حبيش من أعمال قضاء المخادر لواء اب وكلاهما يحملان هذا الاسم ، وسبق عند ذكر السكاسك الكهلانية ذكر جبل الصردف فيها ، وعليه فالاسم حميري والسكن كهلاني .

آل حسان ذي الشعبين

(الصنابر) بن ذي نصبان بن ذي ثابت بن حسان ذي الشعبين المذكور ابن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس المذكور ، ومن الصنابر بطون في بلاد رداع وفي بلاد حراز .

(تنوخ) و(كومان) و(السبك) ابناء ذي ثابت ذي نصاب المذكور .

فمن (تنوخ) الحميرية بيت يسكنون في بيداء صنعاء (الصافية) ، وهم غير تنوخ قضاعة الذين يسكنون في بلاد صعدة ، أمّا كومان فمخلاف في بلاد الحدأ ، ولعل كومان بن ذي ثابت المذكور نزل بلاد الحدأ بن مراد المذحجية فسمي المخلاف الذي نزل فيه باسمه ، ومن المحتمل أنّ ثمة كومان حميرية قد اندرست ، ولم يبق وجود لغير كومان المذحجية التي في بلاد الحدأ ، وأمّا « السبك » بضم السين والباء فلهم بقية في وادي سردد من تهامة .

آل ذي رعين الأكبر يريم بن سهل

سبق تعريف ذي رعين الأكبر هذا عند الكلام عنه ، وهو يريم بن سهل

ابن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس المذكور .

(الحيس) بن ذي رعين المذكور ، وبه سميت مدينة حيس من بلاد الركب بفتح الراء وسكون الكاف من تهامة ، وبلاد حيس تشكل مديرية من قضاء زبيد لواء الحديدة ، مركزها مدينة حيس هذه جنوب زبيد ، ومن أعمالها ميناء الخوخة على البحر الأحمر .

(ذو حرث) بن سفيان بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رعين المذكور .

ذو حرث هو ما يسمى بالحرث بفتح الحاء والراء عزلة في مديرية بعدان قضاء اب ، فالحَرَث بناء على هذا رعينية حميرية كبعض عزل بعدان الأخرى ، أمّا البعض من عزل بعدان فكلاعية حميرية كما مرَّ بنا .

(يحير) و(دلال) و(الأملوك) ابناء الحارث بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رعين المذكور . سميت ثلاث عزل بأسماء هؤلاء الأخوة الثلاثة (يحير) عزلة في بلاد خبان ، و(دلال) عزلة في بلاد بعدان ، و(الأملوك) عزلة في بلاد الشعر ، جميعها في المديريات الثلاث (خبان) و(بعدان) و(الشعر) من لواء اب ، وتعرف الأملوك هذه بأملوك رعين ، تمييزاً لها عن أملوك ردمان في بلاد السوادية آنفة الذكر .

(ذو ثات) القيل بن عريب بن ايمن بن الحارث بن شرحبيل بن الحارث ابن زيد بن يريم ذي رعين المذكور . سبق تعريف (ثات) بأنها من مخلاف العرش في بلاد رداع ، وهي منطقة غنية بالآثار وتعتبر منتزه أهل رداع لكثرة مياهها وطيب هوائها .

(يافع) بن السرو بن قاول بن زيد بن ناعتة بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رعين المذكور .

سميت باسم يافع هذا بلاد يافع التي تشمل يافع العليا ويافع السفلى والتي تعرف بسرو حمير ، تمييزاً لها عن سرو مذحج في بلاد البيضاء ،

وتتصل بلاد يافع بقسميها من شماليها ببلاد رداع ، ومن غربيها بوادي بناء ، ومن شرقيها بوادي مكيرس ، ومن جنوبيها ببلاد الفضلي ، كما تشمل بلاد يافع بقسميها أيضاً بلاد المفلحي ، وآل هرهرة وآل عيدروس ، وآل النقيب وأماكن وقبائل أخرى عديدة .

أمّا مركزها الرئيسي فهو (الموسطة) ، وثمة مركز آخر فيها يسمى (زارة) ، وفي زارة مسجد النور الذي بناه الإمام (أحمد بن الحسن بن القاسم) ،الذي وصل الى بلاد يافع في خلافه مع عمه الإمام المؤيد محمد بن القاسم وأثناء اعادته نفوذ الدولة القاسمية الى الجنوب في عهد المتوكل اسماعيل ابن القاسم كما سيأتي .

(منبه) بن حجير بن قاول المذكور .

بنو منبه في بلاد يريم وغيرها ، وبنو منبه هؤلاء هم غير بني منبه بن يعلى ابن عمرو من أولاد سعد بن ربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، والذين يقطنون في بلاد رازح ببلاد صعدة كما مرّ بنا عند الكلام على نسب أولاد قضاعة .

(ثَرَةَ) و(خاو) ابنا منبه بن حجير المذكور .

والى ثَرَة ينسب وادي وعقبة (ثَرَةَ) من (دَثِينة) في الجنوب اليمني ، وفي بلاد الحدأ قرية (ثِرَة) وتنطق بكسر الثاء ، أما خاو ففي بلاد يريم قرية اسمها (خاو) وكانت من مساكن التراخم كما عرفنا ، والى قرية (خاو) ينسب العلامة الفاضل (احمد بن علوان الخاوي الرعيني) المقبور في مدينة يفرس من أعمال الحجرية والذي عاصر الملك المظفر الرسولي في القرن السابع الهجري .

(ماور) بن بكيل بن منبه المذكور . ينطق (ماور) بالهمز وبدون همز وهو اسم لقرية في رعين تحمل هذا الاسم الى اليوم .

(ذُبحان) بن دوم بن بكيل بن منبه المذكور . وإليه ينسب بلد (ذبحان) من بلاد المعافر (الحجرية) من لواء تعز ، وفي بلاد ذبحان مدينة التربة مركز

قضاء الحجرية المذكور .

(**حصبان**) بن حذيفة بن حجير بن قاول آنف الذكر ، وباسمه سمي بلد حصبان في بلاد المسراخ من صبر لواء تعز والذي يشمل حصبان اعلى وحصبان أسفل ، وحصبان أيضاً في بلد الكلاع ببلاد العدين وفي بلاد حراز ، وتنطق بحركات مختلفة وبفتح الحاء وسكون الصاد لاختلاف الاستعمال .

(**بنا**) **بن حصبان** المذكور . وبه سمي وادي بنا المشهور من بلاد خبان ، وهو من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر من ساحل أبين . وتبدأ مياه (وادي بنا) من جبال بني مسلم المشرفة على حقل كتاب ، ومن جبال بني سبأ الشرقية ، وشرق جبل ارباب وبني الحارث في حقل كتاب وكلها من بلاد يريم ، من وادي هلال الفارق بين جبال خبان وأرباب ، ويلاقيها سيل الدلالي النازل من رأس جبل الشعر ، وتمر بين بلاد خبان ومخلاف الشعر ، ثم بين مخلاف عمار ومخلاف العود ، ثم تلاقيها المياه النازلة من يريم ورعين وكحلان وجبال خبان الشرقية ومن وادي زُبَيد بضم الزاي وفتح الباء من بلاد عنس والشَّلَالة وغربي بلاد صباح وبلاد الحبيشية من اعمال رداع وشرقي بلاد عمّار كل هذه المياه تجتمع مع وادي بنا في دمت ، ومنها تمرًّ ما بين غربي بلاد رداع وناحية جبن وشرقي ناحية النادرة وبلاد مُرَيس من قعطبة ، وينضم اليها ما سقط من الجانبين ، ثم تمر ما بين بلاد يافع من غربي يافع وشرقي بلاد الشعيب والضالع وتفضي جميعها الى ناحية أبين ثم يصب الفائض منها في البحر الأحمر .

وفي وادي بنا قرى ومزارع كثيرة ، ومن أشهر قراه (السَّدَّة) وهي مركز ناحية خبان ، و(النادرة) وهي مركز ناحية النادرة ، و(دمت) وهو مركز ناحية دمت وجميعها من أعمال لواء اب .

(الذراحن) و(شعيب) و(كَلَدَ) أبناء يافع بن السرو المذكور .

فمن الذراحن قبيلة الذراحن في يافع العليا ، وفي جبن رداع ، ومن الشُّعيَب قبيلة الشعيب التي لها مخلاف مستقل في بلاد يافع ، يحكمه المشايخ (آل المفلحي) وهو يحادد بلاد قعطبة ، وأمّا (كَلَد) بفتح الكاف واللام فقرى

عديدة من بلاد يافع أيضاً منها سوار والأبقور .

(**هدوان**) بن يسر بن مخمر بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رعين المذكور . في سافلة يحصب السفل محل اسمه (هدوان) .

(**نها**) بن ذي ذرانح بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رعين المذكور . واليه ينسب وادي النها الذي يدعى وادي النهائي من مزارع المجرث في بلاد المخادر بالسحول .

(**خبان**) بن همّان بن ينكف بن قاول آنف الذكر . واليه ينسب مخلاف خبان من ذي رعين والذي فيه وادي بنا آنف الذكر .

(**كحلان**) بن نمران بن هعّان آنف الذكر. سمي باسم كحلان الرعيني هذا،منطقة كحلان وحصن كحلان في بلاد خبان آنف الذكر .

(**ثوّبة**) و(**شراحة**) ابنا شرحبيل بن يريم بن سفيان ذي حرث آنف الذكر . وادي ثوّبه من الأجعود في بلاد يافع ، أمّا (شراحة) فمنهم الشراحيون في بلاد وصاب ، وكانت مدينة العركبة بوصاب العالي مقر عزهم .

(**ذو ساور**) بن يريم بن سفيان ذي حرث المذكور . في بلاد وصاب أيضاً قبيلة تعرف بذي ساور .

(**حجر**) بن ذي رمد بن ذي حرث المذكور . من حجر ذي رمد حجر بني وهب بناحية ابين ، وحجر ذي رعين من حجر بدر ، وهو حجر الأكبر واليه ينسب القضاء بنو الحجري .

(**الرعادة**) بن أرعد بن شرحبيل بن يريم بن سفيان ذي حرث المذكور . الرعادة لها بقية في سافلة السكون بحمر من بلاد ماوية .

(**ثريد**) بن النوام بن يحير بن شرحبيل آنف الذكر . وادي ثريد في سافلة وادي عمّار من بلاد النادرة ، وهو مشهور بالمياه المعدنيّة الطبيعيّة .

(**سبَّان**) بن لهيعة بن الحارث بن شرحبيل المذكور . وادي سبّان مشهور في بلاد خبان من أسافل الحمضي الى الأجلب ، وكله يسقى بالغيل .

(**شُكُع**) بضم الشين والكاف بن مالك بن الحارث بن شرحبيل المذكور . في بلاد المفلحي من يافع السفلي بلدة وحصن يسميان شُكُع ، ويقوم الحصن على مصنعه صخرية، ولعل ما يسمى بالشقع والشقعة بجوار المنطقة المذكورة هما من الشكع حرفاً بالإستعمال .

(**الحارث**)**بن أبين** بن شرحبيل المذكور . ومن الحارث هذا الحَرْث بضم الحاء وسكون الراء الذين على ضفة وادي ثريد آنف الذكر في سافلة وادي عمَّار من الجانب الشرقي .

(**شمير**) **بن صعب** بن الحارث من نسل يريم ذي رعين ، بلاد شمير في ناحية مقبنة من أعمال تعز .

(**ماذن**) **بن جيدان** بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رعين المذكور .

مخلاف ماذن والذي يشمل وادي ظهر وريعان وضلع من أعمال همدان صنعاء منسوب الى ماذن هذا ، أو الى ذو ماذن بن الرحبة بن الغوث بن سعد ابن عوف آنف الذكر كما مرّ بنا ، وكلاهما حميريان فمنطقة ماذن هذه منطقة حميرية أو منسوبة الى الحميريين في منطقة همدانية حاشدية كهلانية ، وكثيراً ما رأينا مثل ذلك والعكس .

(**صائد**) و(**ذو عذران**) ابنا ماذن بن جيدان المذكور . فأمّا صائد فقال عنها الهمداني مضيفاً : «وهم الصَّيَدَ بحضور» والصيد بفتح الصاد والياء ، وأمَّا عذران فاليه ينسب بيت عذران من ضواحي صنعاء الغربية في مخلاف ماذن المذكور .

(**مسيب**) بن زيد بن عوف بن يريم بن ذي ماذن بن ذي جيدان المذكور ، ومسيب من مخلاف عيّاش في حدود بلاد حضور .

ميتم بن مثوة بن يريم ذي رعين المذكور .

بلاد ميتم في بلد الكلاع من بلاد اب ، وفيه وادي ميتم الذي يصب في وادي لحج ، ومنبع مياهه من جنوب مدينة اب ومن بلاد جبلة ومن جنوب بلاد بعـدان ومن أودية صهبـان والسبرة ، وتنحـدر جميعها الى تبن فلحـج فالبحـر الأحمر .

عَبَـدان بن مـالـك : من أولاد ذي رعـين ، وهي بفتـح العـين والبـاء الموحدة ، وقد سميت بعبدان محلات عديـدة ، ومنها عبـدان صبر ، وعبـدان القفر ، وفيها حمام طبيعي ، وعبدان العوالق .

جـوب بن ظـالم بن الأخنس بن حجـر ، بن يـريم ذي رعـين ، قـال الهمداني مضيفاً : « واليه ينسب جوب غيمان بطن » وجـوب غيمان لا زالت عامرة في بلاد سنحان المجاورة لبلاد غيمان بني بهلول .

ذو بارق عريب بن شـرحبيل بن زيـد بن نوف بن حجـر بن يريم ذي رعين . بارق حمير في بلاد رعين ، وفي بلاد بني شهاب من بلاد البستان سكناً لا نسباً .

شمّر تنعم بن شرحبيل معدى كرب بن الغوث بن يعرب بن جيدان بن لهيعة بن مثوب بن يريم ذي رعين . قال الهمداني مضيفـاً : « وهو الـذي بنى مدينة حَصِي وبها قبر » ومدينة حَصِي شرق مدينة البيضاء وقد صارت اطلالاً ، وهي على بعد ساعة للماشي وبها آثار حميريـة ، وتنسب اليها مـدينة البيضـاء فيقال لها : بيضاء حصي ، وما زال استعمالها بهذا الاسم الى عهد بني طاهر في القـرن التاسـع الهجـري كما هي في كتب مؤرخيهم كبغيـة المستفيـد للديبـع وغيره .

الحارث وعريب ابنا عبد كلال بن نصر من نسل ذي رعين المذكور ، وهما اللذان كتب اليهما الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم كما سيأتي في موضعه ، ووفد الحارث بن عبد كلال الى رسول الله وفرض الرسول له رداءه واكرمه كما سيأتي أيضاً .

ثمر بن شرحبيل بن مثوب بن يريم ذي رعين المذكور . ثمر قبيل في بلاد يافع العليا لا يزال محتفظا باسمه إلى اليوم .

شَعِر بفتح الشين المعجمة وكسر العين المهملة بن عدي بن الحارث بن شرحبيل بن مثوب بن يريم ذي رعين المذكور . مخلاف الشعر معروف واليه نسبت مديرية الشعر من قضاء النادرة لواء اب ، ومعظم بلاد الشعر رعينية .

عدي وسحلان : ابنا غلس بن شعر المذكور . عدي وسحلان محلان من مخلاف الشعر المذكور ، وقد سبق ذكر (سحلان) عند ذكر العود بن عبد الله ابن الحارث ذي أصبح ، وأنّ ثمة قرية مهدمة في بلاد العود تسمى سحلان .

الأقطون ، بن زيد بن سيبان بن الحيس بن يريم ذي رعين ، في ناحية اب من جبل بعدان عزلة اسمها المقاطن ، لعلها نسبت الى الأقطون المذكور .

ذو ناخب ، **والأهجر** من ذي رعين المذكور .

ذو ناخب لهم بقية في يافع السفلى ، ولهم صوت مسموع ، وكذلك الأهجور ومقرهم قرية الخضراء في بلاد يافع السفلى ،

دول اليمن قبل الإسلام

اصطلح المؤرخون لليمن على تقسيم تاريخه كما سبق الى :

١ ـ تاريخ اليمن قبل الإسلام .

٢ ـ وتاريخ اليمن بعده .

ولقد اتبعت هذا التقسيم مع ادخال بعض التفريغ عليه كما يرى القارىء في ظاهر الصفحة الأولى من الكتاب ، وهذا هو القسم الأول ، ومنه (دول اليمن قبل الإسلام) أي في تاريخه الحضاري القديم ، وهي في المشهور ثلاث دول كبرى : (معين) و(سبأ) و(حمير) .

وهناك دول وإمارات أقل شأناً منها ، ومنها :

(قتبان) و(أوسان) و(حضرموت المستقلة) أي في عهد استقلالها وقبل اندماجها في دولة حمير ، و(سمعى) و(اربع) و(جبا) و(تفيد) و(مرائد) و(رعن) وغيرها كما سيأتي .

وقد آل أمر هذه الدول والأمارات الى الانضمام الى غيرها من الدول الكبرى ، حيث شملت (سبأ) معظمها ، ثم جاءت دولة (حمير) التي اتسعت رقعتها فشملت جميع الدول والامارات التي كانت قائمة في اليمن الطبيعي بما فيها دولة (سبأ) وما اشتملت عليه .

ولقد كانت عصور هذه الدول اليمانية القديمة (والكبرى منها بالذات) مزدهرة عمّ فيها الرخاء ، وساد الأمن والاستقرار ربوع اليمن ، ونبغ اليمنيون

فيهـا بعلوم الزراعـة والري وهنـدسة البنـاء ، فأنشـأوا السدود وبنـو المحافـد والقصور ، وحفروا القنوات والترع ، وشقوا الطرق في الصحاري والأنفاق في الجبال ، وبنوا مدرجات المزارع ، وقاموا بما تستلزمـه كل تلك المنشآت من تعدين وتصنيع .

الى جـانب سن التشريعـات ، ووضـع القـوانـين في الشؤ ون الادارية والعسكرية والتجاريـة والزراعية وشؤ ون الري ، كما وضعوا نظم التعاون بين الأفراد في وحدات مجمعة ، وبين المجمعات فيما بينها ، بهدف تحقيق التكـامل الانشائي والاقتصادي بين مختلف الوحدات .

وبفضل ذلك التعاون تمّ لهم بناء حضـاراتهم ومنشآتهـا الكبيرة التي مـا تزال آثارها ماثلةً للعيان في الكثير من المناطق اليمنية .

كما نشطوا في التجارة وأمنوا طريق المواصـلات البريـة والبحريـة داخل حدود اليمن وخارجه لحمايتها ، وحمايـة وسيلة النقل البـري والبحري الـذي اضـطلعوا بمسؤ وليتـه بين مختلف البلدان الآسيـوية والأفـريقية . ولـما طمعت الدول الكبرى اليمنية بتوسيـع رقعتها عـلى حساب الـدول والأمارات اليمنيـة الأخرى قامت الحروب واضطرب الأمن وساءت احوال اليمنيين وشغلت الدول المتحـاربة مـع ذلك عن تعهـد وصيانـة السدود (وقـد كانت منتشـرة في جميع انحاء اليمن) فقـلت مواردهـم مـن الزراعـة واضعفهم ، وأتاح للأجـانب من الرومان والأحباش والفرس غزو اليمن وانتزاع طريق التجارة البحري من أيديهم ،وافقدوا اليمنيين مورداً آخر من أهم مواردهم أيضاً . واضطر كل ذلك اليمنيين الى الهجرات المتتالية الى خارج اليمن .

وظـل الحال كـذلك من السـوء والتدهـور وتتابـع الهجرات الى خـارج اليمن . حتى جاء الاسلام ولبى اليمنيون نداءه طواعية ، لاستعدادهم النفسي بما اعتنقوه من إيمـان بالله تعـالى منذ دخلت (اليهـودية) فـ (المسيحيـة) الى اليمن ، وكانتا دين الله الواحد الأحد قبل تحريفهما وللخروج من متاهات النزاع والحروب فيما بينهم وفيما بينهم وبين الفرس ، ولحسم النزاع الذي كان قائماً بين

المسيحية التي كان الكثير من اليمنين ما يزال يعتنقها ، وبين وثنية الفرس الحاكمة في اليمن عند مجيء الإسلام .

ولبى اليمنيون نداء الخليفة الأول أبي بكر ، فنداء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ومن تبع الخلفاء من الأمويين للإسهام في نشر لواء الإسلام في مختلف انحاء المعمورة .

وبذلك عاد لليمن اطمئنانه واستقراره في ظل وحدته الدينية والسياسية التي قامت على الولاء للدولة الإسلامية ، ولا سيما في صدر الإسلام في عهد الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم ، وخلفائه الأربعة ، باستثناء فترة خلافة علي بن أبي طالب ، وذلك بسبب خلاف معاوية بن أبي سفيان عليه ، وانفاذ معاوية لـ (بسر بن أرطاة العامري) الى اليمن، وقيام (بسر) بسفك الدماء فيه ، واشاعة الخوف والاضطراب ، وبرغم اقامته في اليمن عاماً كاملاً غزا فيه البر والبحر ، محاولا توطيد الحكم في اليمن لمعاوية ، إلا أنه سرعان ما أندحر في وجه قوات (علي) بفضل تعاون اليمنيين معها ، ولم تفلح سياسة القوة التي انتهجها (بسر بن أرطاة) .

وكذلك كل غاية تتخذ القوة وسيلة لتحقيقها ، مآلها الى الفشل في اليمن وغير اليمن عبر التاريخ .

دولة معين

ذهب اكثر الباحثين الى ان (قحطان بن عابر (هود عليه السلام) بن شالخ بن ارفخشذ بن سام[1] بن نوح هو اصل اليمنيين ، وأن أول حكم سياسي معروف هو حكم (معين) ، وربما يكشف التنقيب العلمي الشامل أن دولة (سبأ) اقدم وجوداً من المعينيين ، وهو ما يراه بعض الباحثين .

كما ذهب أولئك الباحثون الى أن حكم (معين) بدأ في القرن الرابع عشر قبل الميلاد على أساس أن أقدم كتابة أثرية عثر عليها تعود الى هذا التأريخ وهي معينية .

ولقد كان (الجوف) بالشمال الشرقي من صنعاء هو المنطقة الأولى والرئيسية للمعينيين .

وقد عرف (أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني الجوف بأنه يقع في منفهق من الأرض تحيط به الجبال (برط) و(الشغف) و(اللوذ) من الشمال ، و(سلبام) ثم (يام) من الجنوب .

وتفضي الى الجوف اربعة أودية هي (الخارد) وهو أهمها و (مذاب) و(حبش) و(منبح) ولكل واد مساقيه الخاصة به .

أما عاصمة الدولة المعينية فهي مدينة (معين) وقد سميت في عصور متأخرة لمعين بـ (قرنا) .

---

(١) والى سام ينسب الساديون ومنهم عرب الجزيرة العربية والأكاديون والبابليون والكلدانيون والأشوريون والكنعانيون والفينيقيون والأراميون والعبرانيون والأحباش .

ومن مدن الدولة المعينية الباقية معالمها الى اليوم (البيضاء) وكانت تعرف بمدينة (نشق) ، والسوداء ، وكانت تعرف بمدينة (نشان) وكانت[٢] مدينة صناعية لعثور الباحثين بين أنقاضها على خامات المعادن ، وعلى ادوات تستعمل في التعدين وفي تحويل المعادن الى أدوات ، و(براقش) وكانت تعرف بمدينة (يثل) و(الهرم) و(كمنة) و(رشا) و(روثان) وهذه بعيدة عن منطقة المدن الأخرى ، التي تجمعت في سهل الجوف الأسفل قريباً من مركز (الحزم) (مركز الجوف الأسفل) ببضع كيلومترات ، في خط واحد تقريباً من الشرق الى الغرب .

(معين) في منتصف المسافة تقريباً بين جبلي اللوذ ويام ، عند منبسط فسيح يؤدي الى رمال الربع الخالي في الشرق وبقية المدن الى الجانب الغربي منها قريباً من جبل يام .

وبالرغم من ان المنطقة التي بنيت فيها مدن (معين) رملية ، إلا أن المدن بنيت على ربوات صناعية من التراب ، ما زالت كما كانت ، وما زالت خرائب تلك المدن قائمة عليها منذ آلاف السنين .

هذا وثمة مدن في الجوف أقل شهرة من هذه المدن طمرت معالمها بالأتربة ، ومنها[٣] (بيحان) و(سراقة) و(ابنة) و(مقعم) و(بكبك) و(لوق) وغيرها ، و(بيحان) المعينية هي غير بيحان المعروفة اليوم والتي كانت ضمن مناطق (قتبان) .

كما أن الجبال المحيطة بالجوف غنية بالآثار اليمنية ، ومنها جبل (سام) و(جبل اللوذ) و(جبل ميهر) وغيرها ، ومن ابرز وأقدم الباحثين في آثار (معين) المستشرق (هاليفي) الموفد من قبل اكاديمية الفنون الجميلة في باريس حوالي عام ١٨٧٠ م حيث اكتشف انقاض مدينة معين في الجوف ، وقرأ اسمها

---

(٢) الدكتور جواد علي في (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) ج ٢ ص (١١٨)
(٣) نفس المصدر والجزء ص ١١٩ .

عليها بالحرف (المسند) الـذي كان يكتب بـه في عهد (معـين) ، وقد بلغت الكتابات التي عثر عليها (هاليفي) في بلاد الجـوف سبعمائـة نقش ، منها في مدينة معين وحدهـا تسعة وسبعـون نقشاً ، وفي مـدينة بـراقش مائـة وأربعة وخمسين نقشاً ، وفي مدينة السوداء سبعون نقشاً .

وقد وصفت اطلال معين بأن في بقاياها رمزاً لمجد الدولة المعينية ، وتقع مدينة (معـين) بالتحـديد عـلى بعد سبعـة كيلومتر ونصف شـرقاً من مـدينة الحزم ، وتربض على أكمة من الطين منحدر الجوانب ، تعلو عن سطح الأرض بنحو خمسة عشر متراً ، وهي مستطيلة الشكل من الشرق الى الغرب ، طـولها أربعمائة متر في عرض مائتين وخمسـين متراً ، أو أن طـولها عـلى حد مـا جاء عند[٤] (دتلف نيلسون) (سبعمائة متر وثمانين متراً في عرض مائتين واربعين متراً ، يحيط بها سور عظيم كثير الأبراج ، ولها بابـان أحدهمـا شرقي والآخـر غربي ، أما سورها فقد قدر ارتفاعه بخمسة عشر متر ، وقد زرت آثار معين في مدنها العديدة ومنها عاصمتها (معين) هذه ضمن زيارتي لمناطق الآثار في عام ١٩٦٢م ، ووجدت سور مدينة معين مبنياً بالحجر الأحمر المنجور والمنقـول من جبال بعيدة عنها ، والسور في غاية الـروعة والـدقة والمتـانة ، وقـد بني بشكل دائري يميل الى الاستطالة ، ذي ابراج مربعة في اصل السور ، مساحة كل برج تقريباً مثـل المساحـة بين البـرج والآخر من السـور ، وقد زاد في روعتـه تلك الكتابات المعينية التي نقشت في الأبراج وما بينها من السور بشكل متوازٍ دقيق ، وقد غطت الرمال النصف الأسفل تقريباً من السور وغطت كذلك الأبواب كما تراكمت داخل المدينة الخرائب والأنقاض ، وغطت أبوابها من الداخل أيضاً ، ولم يتأت الدخول اليها إلا عن طريق التسلق فوق الرمال من خارجه ، ثم فوق بقية السور والهبوط من أعلاه الى اكوام الخرائب داخل المدينة ، ويوجد داخل المدينة كثير من آثار البناء القديم وأعمدة المعابد المعينية القديمة ، كما يوجد فيها بئر للماء وجامع إسلامي ،الأمر الذي يدل على انها سكنت في عصور اسلاميـة

---

(٤) في الفصل الذي عقد له بكتاب (التأريخ العربي القديم) ص ١٤ .

متأخرة .

وليس في كل بلاد العرب على قول (هاليفي) مكان ينافس الجوف في كثرة ما فيه من آثار . وخرائب غير عادية ، ولذلك فإنّ الباحثين عن التأريخ القديم يرون فيه أملاً عظيماً وكنزاً ثميناً ، وقد يكشف لهم عن صفحات مطوية من تأريخ تلك البلاد ، وربما يكشف عن تأريخ بلاد أخرى كانت لها صلات وعلاقات باليمن ، وفيه مدن مهمة كان لها شأن وصيت في تأريخ العالم القديم .

ولقد زار الجوف الأستاذ (محمد توفيق) منتدباً من جامعة (فؤاد الأول) (الجامعة المصرية) حالياً في عام ١٩٤٤ م لدراسة هجرة الجراد ومناطق توالدها كما سلفت الإشارة الى ذلك في فصل (تأريخ الأبحاث الأثرية في اليمن) ، وانتهز تلك الفرصة فزار مناطق الآثار في الجوف ، كما زارها للمرة الثانية والأخيرة في العام الذي تلا العام المذكور ، فدرس سطح تلك المنطقة ، وأخذ صوراً فوتوغرافية لزخارف وكتابات ونقوش آثار الجوف ، ونشرها له في البحث الذي كتبه عنها (المعهد العلمي الإفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة) بعنوان (آثار معين في جوف اليمن) ، ومما قاله الأستاذ (محمد توفيق) في كتابه المذكور عن الكتابات في آثار معين ما نصه (وقد اثبتت دراسات حفر النقوش على أنها صنعت بعد اقامة الأحجار في البناء ، وأظهر البناء أنها صُنِعت على أيدي عمال مهرة جداً ، وبواسطة آلات دقيقة أيضاً ، فإنّ أحجام الحروف متناسقة ، وأستقامتها متوازية ، وقياس الأبعاد بينها متناسب ، وعمق الحفر فيها جميعاً متساوٍ ، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على مقدار ما وصل اليه أهل معين من الفن الرفيع والذوق السليم ، ولا بدّ أنهم لم يصلوا الى هذا التطوّر من الاتقان البديع للكتابة إلا بعد أن مرّوا بمرحلة طويلة في سالف الزمن للتمرين على الكتابة » .

ثم اضاف الأستاذ (محمد توفيق) يصف البناء اليمني القديم بصفة عامة فقال : « واحجار البناء بصفة عامة خالية من الألوان بأي نوع من انواع الطلاء المعروف » .

المعينيون خارج أرض معين

أما عن نفوذ المعينيين خارج حدود اليمن الطبيعية ، فقد ذكر (هملر) أحد الباحثين في تأريخ اليمن القديم أنّ نفوذ (معين) امتدّ في أبّان عهدها الى شواطىء البحر الأبيض المتوسط ، وإلى شواطىء ايران في الخليج العربي وبحر العرب ، وأنه شمل أعالي الحجاز ، بدليل النقوش والكتابات المعينية التي عَثر عليها الباحثون في (العلاء) قرب وادي الفرات في الحجاز ، وفي الصفا وفي حوران الشام ، كما ذكر الأستاذ (دتلف نيلسن) في الفصل الذي عقده بكتاب[٦] (التأريخ العربي القديم) والذي استكمله الدكتور (فؤاد حسنين) أنّ مركز الثقافة العربية قبل الإسلام كان يقع في الجنوب (اليمن) وأنّ ذلك ليس لأسباب جغرافية فحسب ، بل ولعوامل أخرى تجارية واقتصادية عرف بها الصقع العربي الجنوبي ، وذلك أن بضائع الهند ومحصولات محلية كالعطور والبخور وغيرها كانت تُحمل الى شعوب البحر الأبيض المتوسط على ظهور قوافل العربية الجنوبية (اليمن) عن طريق الحجاز ، على امتداد شواطىءالبحر الأحمر ، مخترقة (مكة) و(المدينة) و(العلاء) و(معان) إلى (بطرة) ،وكان هذا الطريق في حاجة الى من يحرسه ويعمل على ضمان حفظ الأمن وسلامة التجارة فيه ، فاستلزم ذلك قيام المستعمرات المعينية التي نجدها في العلاء بالحجاز شمال المدينة ، والتي كان يتمركز فيها جنود معينيون مسلحون .

وقد[٧] اكتشف (أويتنج) خمساً وعشرين قطعة كبيرة من نقوش معينيّة ، وما يقرب من خمسين مخربشة نسبت للمعينيين في الشمال في مستعمرتهم المعروفة باسم (معين مصران) أي (معين مصر) التي جاء ذكرها في النقوش العربية الجنوبية .

---

(٦) ص ٤١ .

(٧) (التأريخ العربي القديم) فصل (دتلف نيلسن) ص ٤٢ .

ويستدّل من هذه النقوش أن المعينيين الشماليين كانوا يستخدمون الكتابات المعينية والديانات المعينية التي عرفها المعينيون الجنوبيون واستخدموها في وطنهم الأصلي ، ونفس الثالوث (عثتر) و (ود) و(نكرح) الذي نجده في معبوداتهم .

وأكد نفوذ المعينين خارج اليمن الدكتور (فؤاد حسنين) في استكماله لكتاب (التأريخ[٨] العربي القديم) حيث قال : « وسواء كانت بلاد العرب السعيدة هي الوطن الأصلي للساميين أم لم تكن فالشعب المعيني شعب جنوبي ، وان انتشر فيها بعد في بلاد العرب وخارجها ، فنجده في مصر وفي بعض الجزر اليونانية » .

كما أكد ذلك الدكتور (جواد علي) في كتابه المفصل[٩] آنف الذكر حيث قال : « وقد أمدتنا الكتابات التي عثر عليها في (الجوف) وفي (ديدان) التي كانت مستوطنة معينية في طريق (البلقاء) من ناحية (الحجاز) والكتابات المعينية التي عثر عليها في مصر في (الجيزة) .

والكتابات المعينية الأخرى التي عثر عليها في جزيرة (دبلوس) من جزر اليونان ، والتي يعود تأريخها الى القرن الثاني قبل الميلاد أمدتنا بأكثر معارفنا التي سنبسطها هنا ، ومنها أستخرجنا في الأغلب أسماء (ملوك معين) ولولاها لكانت معارفنا عن المعينيين قليلة جداً » .

وأضاف الدكتور (جواد علي) في كتابه (المفصل[١٠] في تأريخ العرب قبل الإسلام) قائلاً : « ويرى اكثر الباحثين في دولة معين أن هذه المنطقة (منطقة الديدان) وما صاقبها من أرض كانت جزءاً من تلك الدولة (معين) ، وأرضاً خاضعة لها ، وأنّ ملوك معين كانوا يعينون حكاماً عليهم باسمهم ، وأن درجتهم كانت درجة (كبر) أي كبير على طريقتهم في تقسيم

---

(٨) ص ٣٦٩ .

(٩) ج ٢ ص ٧٦ .

(١٠) في الجزء الثاني منه ص (١٢١) .

مملكتهم الى (محافد) أي أقسام ، يكون على كل محفد أي قسم (كبر) يتولى الحكم باسم الملك في المسائل العليا ، وفي جمع الضرائب التي يبعث بها الى العاصمة ، وفي المحافظة على الأمن .

وقد عثر على كتابات ذكرت فيها أسماء (كبراء) حكموا باسم ملوك معين ، ومعنى هذا أن دولة معين كانت تحكم من معين كل ما يقال له الحجاز في عرف هذا اليوم الى فلسطين ، وأنّ هذه الأرضين كانت خاضعة لها آنذاك .

وأضاف قائلاً : « لكن القائلين بالرأي المذكور يرى أن حكم معين لها كان في أوائل عهد معين أي قبل أكثر من ألف سنة قبل الميلاد ، فلمّا ضعف ملوكها تقلص سلطان المعينيين على الحجاز ، وبقي نافذاً في المنطقة التي عرفت بـ (معين مصران) أي (معين المصرية) ، ثم ضعف سلطان المعينيين الشماليين على هذه الأرض بتغلب السبائيين على معين »

ولقد ضرب المعينيون في اليمن بسهم وافر في الحضارة ، وبرهنوا على مقدرة فائقة في عصرهم لاستخدام نهر (الخارد) في (الجوف) والاستفادة منه بتنظيم الري فيه ، تنظيماً صيّر جنان الجوف مفخرة من مفاخر عصرهم .

ملوك معين

أما ملوك معين فإنه عثر من أسمائهم على سبعة وعشرين ملكاً . وكان الملك يُلقب في بداية الدولة المعينية بلقب (مزواد) ، ثم تلقب بلقب (ملك) .

وقد اختلف الباحثون في بعض الأسماء والألقاب الأخرى الاضافية وفي ترتيبهم ، ولذلك فإنه ليس من الصواب الأخذ بأي عدد أو ترتيب مأخذ اليقين حتى يتمّ التنقيب العلمي الشامل الذي يمكن الاطمئنان اليه في ذلك .

وسأكتفي بذكر قائمة (فلبي) لملوك (معين) الذين نظمهم بخمس سلالات في ثلاثة وعشرين ملكاً فقط وهي :

السلالة الأولى :

١ ـ (إلـ يفع وقه) ومعنى وقه المجيب والمطيع ، وقد ورد اسمه في كتابة عـثر عليها في مـوضع مـدينة (السـوداء) (نشـان) إحـدى مـدن (معـين) بالجوف ، وذكر فيها أنّ الملك (ال يفع وقه) ملك معين وشعب معين قَدَّ ما بأيديهما الى معبد الإله (عم) نذوراً وهدايا وقرابين تقرباً اليه بها ، وأنّ (رشو) أي كاهن المعبد والقيّم عليه تسلم تلك الهدايا وتقبـلها بـاسم المعبد . وورد اسمه في كتابة عثر عليها في (براقش) (يثل) وذلك عند بناء بناية في عهده ، فذكر هو وابنه (وقه إلْ صدق) تيمناً باسميهما وتثبيتاً لتأريخ البناء .

٢ ـ (وقه إلْ صدق أو صديق) بن إلْ يفع وقه ، ومعنى صديق الصادق والعادل والصدوق ، وقد عثر على اسمه في كتابة وجدت في قرنا .

٣ ـ (اب كـرب يثـع) بن وقـه إلْ صـدق ، ومعنى يثـع المنقـذ أو المخلص ، وقد عثر على اسمه في كتابة وجدت بالعلا بالحجاز كتبها رجل من آل (غريت) عند شرائه أرضاً من شخص اسمه (أوس بن حيو) (حي) ، وتيمناً بذلك قدم نذوراً الى الإله (نكرح) وآلهة معين ، وذكر بهذه المناسبة اسم الملك (اب كرب يثع) ، وجعل الملك في رعايتها وحمايتها لتقيه أعـين الحساد وكل من يحاول الأعتداء عليه ، ودعا آلهة معـين أن تُنزِل نقمتهـا على كـل من يحاول رفع تلك الكتابة أو يتلفها أو يلحق بها أذى .

٤ ـ (عم يثع نبط) بن أب كرب يثع ، ومعنى نبط المضيء ، وقد ورد اسمه في كتابة دوّنت بمناسبة حبس أرضٍ لآلهة (معين) لتكون وقفاً على معبد الإله (عثتر شرقن) بمدينة (يثل) إحدى مدن (معين) .

فجوة لا يَدرَي من حكم فيها قدرها (فلبي) بعشرين عاماً على عادتـه حيث جعـل متوسط فتـرة حكم كل ملك عشـرين عامـاً ، وذلك بـين عامي ١٠٤٠ ـ ١٠٢٠ ق . م .

السلالة الثانية

٥ ـ (صدق ال) وقد جمع هذا في شخصه بين عرشي (معين) و(حضرموت) ، وحكم حوالي ١٠٢٠ ق . م . وهو من ملوك حضرموت .

٦ ـ (ال يفع يثع) بن صدق ال وقد انفرد هذا بحكم معين حوالي عام ١٠٠٠ ق . م وأنفرد أخوه (شهر علان) بحكم حضرموت .

٧ ـ (حفن ذرح) بن ال يفع يثع ، ومعنى ذرح الوضاح والمنير والمشرق ، وكان له شقيق اسمه (معديكرب) ولي عرش حضرموت ، وقد حكم (حفن ذرح حوالي عام ٩٨٠ ق . م .

٨ ـ (ال يفع ريام) بن ال يفع يثع ، ومعنى ريام العالي ، وقد حكم حوالي عام ٩٦٥ ق . م . وجمع بين عرشي (معين) و(حضرموت) لأن أولاد (معديكرب) بن (ال يفع يثع) لم يحكموا حضرموت بعد والدهم .

٩ ـ (هوف عثت) بن ال يفع ريام ، وقد تولى الحكم عام ٩٥٠ ق.م .

١٠ ـ (اب يدع يثع بن ال يفع ريام) حكم حوالي عام ٩٣٥ ق . م ، وقد ورد اسمه في كتابة مصدرها مدينة (معين)وسمت بـ(جلازر ١٥٥٠)وهليفي ١٩٢)وكتبت بمناسبة قيام جماعة من اشراف مدينة (قرنا) باصلاح خنادق هذه المدينة وترميم أسوارها وانشاء محلة جديدة فيها ، وقد قاموا بهذا العمل تقرباً الى آلهة (معين) (عثتر دو قبضن) و(ود) و(ثكرح) وتقرباً الى ملك (معين) وذكرت الكتابة تفاصيل الأعمال التي تمت ، ومواضعها ومقدارها وغير ذلك مما يذكر عادة في وثائق البناء ، وان القرابين ذبحت للآلهة المذكورة بعد الانتهاء من العمل .

وهناك كتابة أخرى عثر عليها في (قرنا) وهي الكتابة التي أُشير اليها بعلامة (هلفي رقم ١٩٣) ورد فيها اسم الملك (اب يدع يثع) وهي من الكتابات المهمة التي تشير الى الصلات السياسية التي كانت في هذا العهد بين

مملكة (معين) ومملكة (حضرموت) ، وقد جاء فيها : ان (معديكرب) ملك حضرموت وقف حصن (خرف) وقدمه الى ابن اخيه (اب يـدع يثع) ملك معين وشعبه شعب معين .

ومن[15] الكتابات المعينية المهمة كتابة رقمت بـ (هليفي ٥٣٥) و(جلازر ١١١٥) و(هلفي ٥٧٨) ترجع الى ايام الملك (اب يدع يثع) وهي تتحدث عن حرب وقعت بين (ذيمنت) و(ذشامت) ، أي بين الجنوب والشمال ، وقد دونت الكتابة بمناسبة نجاة قافلة كبيرة ضخمة من غزو تعرضت له ، وقد ذهب (ونكلر) الى ان المـراد بالجنـوب حكومـة (معين) وإن المقصود من الشمال حكومة عـربية كـان يمتد سلطانها اليهـا إذ ذاك ، إلى ارض دمشق ، وقد أمـر بتدوين هذه الكتابة (عم صدق) بن (حم عثت) و(سعد بن ولك) ، وكانا كبيرين على (مصران) في منطقة العلا) شمال الحجاز شكراً للآلهة ، على أن سلّمت أمـوال المعينيين في هـذه المنطقـة ، وحفـظت أرواح رجـال القـافلة ، وشملتها برحمتها وحمايتها الى ان ابلغتها حدود مدينتهم (قرنا) .

ورود كلمة يمنت لأول مرة

هـذا ولعل ورود كلمـة (يمنت) في هذا النص هـو أول مرة عـثر عليه الباحثون بهذا اللفظ في الكتابات المعينية وغيرها من الكتابات اليمنية القديمة ، وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد ، وهذه حقيقة تاريخية غاية في الأهمية ، لأنها تنفي زعم من يقول بأن كلمة (يمنت) لم يسمع بها إلا منذ استعملت في اضافة لقب ملوك حمير في عصور متأخرة عن هذا التاريخ .

١١ - (وقه إلْ يام) بن هوعثت ، على رأي (جون فلبي) أو ابن اب يدع علي رأي (البرايت) كبير جيولوجيي بعثة (ويندل فلبس) .

١٢ - (حفن صـدق بن هـو عثت) ، أو ابن وقـه إلْ ريـام عـلى رأي البرايت ، أو ابن يدع يثع على رأي آخر لالبرايت .

---

(١٥) المفصل ج ٢ ص ٨٨ .

١٣ - (إلّ يفع يفش) بن حفن صدق ومعنى يفش الفخور أو المتكبر أو المتعالي .

فجوة قدرها (فلبي) على عادته بعشرين عاماً ، بين عامي (٨٧٠ - ٨٥٠ ق . م .) .

وبهذه السلالة الثانية من سلالات حكام معين ، فقدت (معين) استقلالها ، واندمجت في مملكة حضرموت ، لأن حكام هذه السلالة من اسرة حضرمية ، وبالأحرى من ملوك دولة حضرموت المستقلة ، وقد امتدت فترة هذه السلالة الثانية على رأي فلبي من عام (١٠٢٠ ق . م . الى عام ٨٧٠ ق . م) .

ثم تلت الأسرة الثانية هذه فجوة لا يدري فلبي من حكم فيها ، وقدرها بعشرين عاماً على عادته .

ثم بدأت السلالة الثالثة ، وكل حكامها معينيون وهذا أوضح مما ذكره بعض الباحثين من ان العلاقة في عهد السلالة الثانية من سلالات ملوك معين كانت علاقة حلف بين معين وحضرموت معللين تلك العلاقة بأنها كانت علاقة تجارة منسقة بين المملكتين ، اسهمت حضرموت فيها بانتاج وتوفير البخور والمر والعطور (المادة الأساسية للعبادة في ذلك العهد) ، وأسهمت معين فيها بالتسويق الى مستوطناتها في العَلا شمال الحجاز ، والمنطقة المجاورة لها ، وفي الشام ومصر وغيرهما ، لأنه حتى مع قيام هذا التعاون بين المملكتين فإن كون ملوك دولة معين في هذه السلالة الثانية هم من أصل حضرمي ومن أسرة مالكة في حضرموت منحدرة من (صدق إلّ) الحضرمي رأس الأسرة الثانية يرجح أن (معين) في فترة الأسرة الثانية هذه فقدت استقلالها وحكمها ملوك من حضرموت .

على ان الدكتور جواد علي لم يتأكد من ان (صدق ال)أول حكام هذه الأسرة الثانية لمعين حضرمية[١٦] ، واذا اتضح انه ليس حضرمياً فمعين في هذه

(١٦) المفصل ج ٢ ص ٨٢ .

الفترة حكمت نفسها ولم تفقد استقلالها .

أما[17] البرايت فله رأي عن معين بشكل عام بعيد جداً عن آراء جمهرة الباحثين وهـو ان ملوك (حضرمـوت) هم الذين أسّسـوا مملكة (معـين) في حوالي السنة (٤٠٠ ق . م) والتنقيب العلمي الشامل هو الذي يحسم الخلاف في هذه القضية وغيرها من قضايا التاريخ اليمني القديم(معين) وغيرها .

١٤ - (يثع ال صدق) (صديق) ذكر اسمه في كتابة ذكر فيهـا انه بنى حصبن يشبم وانه والد (وقه إل يفع) .

١٥ - (وقع إلْ يثع) بن يفع إلْ صدق .

١٦ - (ال يفـع يشرِ) بن وقـه إلْ يثـع ، ومعنى يشـر المستقيم ، وقـد ضعفت حكومة (معين) في عهده كما يظهر ذلك من كتابة كتبها أهل (ذمران) بمنـاسبة وقفهم وقفـاً على معبـدهم ، فقد ورد في الكتـابة : أنّ الـسوقف أيـام سيدهم (وقه ال يثع) وابنه (ال يفع يشر) ملك معين ، وباسم سيده (شهر يجل يهرجب) ملك (قتبان) ، لأنه اعتـرف بذلـك ملك (معين) (ال يفـع يشـر) بسيـادة ملك (قتبـان) عليـه ، ولكنّ هـذا لا يعني أن معـين فقـدت استقلالها ، بل بقيت مدة طويلة بعد هذا العهد محافظةً على كيانها ، هذا وورد اسم الملك المعيني (ال يفع يشر) في كتابات أخرى ومنها الكتابة الموسومـة بـ (جـلازر ١١٤٤) و(هلفي ٣٥٣) وقد دُوّنت بـأمر جمـاعة بمنـاسبـة قيـامهم بترميمات واصلاحات في الأبراج ، وحفر قنوات ومسايل للمياه تقرباً الى آلهة معين ، ومنها كتابة كتبها أعيان وكبراء معينيون يقيمون في الشمال في (ددن) و(العلا) شمال الحجاز .

١٧ - (حفن إلْ ريام بن إلْ يفع يشر) .

١٨ - (وقه إلْ نبط) بن إلْ يفع يشر) .

فجوة قدّرها (فلبي على عادته بعشـرين عامـاً بين عـامي ٧٧٠-٧٥٠

(١٧) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠١ .

ق . م . لا يدري من حكم فيها .

السلالة الرابعة

١٩ ـ (اب يدع ريام) وقد عُثر[١٨] على نقد معيني كتب عليه (دراخما) (درهم) وعليه صورة ملك جالس على عرشه وقد وضع رجليه على عتبة ، وهو حليق الذقن متدل شعائره ضفائر ، وقد امسك بيده اليمنى وردة وامسك بيده اليسرى عصا طويلة ، وَخَلْفَهُ اسمه وقد طُبع بحروف واضحة بارزة بالمسند وهو (اب يثع) لعله (اب يدع) المذكور .

٢٠ ـ (خل كرب صدق)، (خالكرب صديق) وقد ورد اسمه في كتابات عديدة ، ومنها كتابة وجدت في مدينة (قرنا) المعينية بمناسبة تدشين معبد لـ (عثتر ذو قبضن) .

٢١ ـ (حفن يثع) بن خال كرب صديق ، ومن الجائز ان يكون شقيقه (أوس) قد اشترك معه في الحكم على رأي (فلبي) .

فجوة على رأي فلبي لا يدري من حكم فيها قدرها على عادته بعشرين عاماً انتهت في عام ٦٧٠ ق . م .

السلالة الخامسة والأخيرة من سلالات ملوك معين

٢٢ ـ (يثع إلْ ريام) وقد حكم حوالي عام ٦٧٠ ق . م .

٢٣ ـ (يثع كرب) بن يثع ال ريام ، وهو آخر ملوك معين على رأي (فلبي) وقد حكم بين عامي ٦٥٠ ـ ٦٣٠ ق . م .

نظام الحكم في معين

يرى الاستاذ (ملر) وغيره[١٩] من الباحثين بعد دراساتهم للكتابات

---

(١٨) المفصل ج ٢ ص ١١٢ .

(١٩) نفس المصدر والجزء ص ١٠٨ .

المعينية التي تمَّ لهم العثور عليها أنّ نظام الحكم في (معين) كان ملكياً وراثياً ينتقل من الأب الى الأبن ومن الأخ الى أخيه ، وكثيراً ما اشترك شخصان أو ثلاثة مع الملك في حمل لقب الملك ، اذا كان حامل ذلك اللقب من أقرباء الملك الأدنين ،ولم يعرف سرٍّ هذا الأشتراك في اللقب ، أكان مجرد مجاملة وحمل لقب ؟ أم كان لمشاركة حقيقية ؟

وإذا كان الحكم في معين ملكياً فإنه ليس تعسفياً بحيث تكون السلطة مركّزة في يدالملك ، بل كان الحكم فيها معتدلاً استشارياً ، يستشير الملوك أقرباءهم ورجال الدين وسادات القبائل ورؤساء المدن ، ثم يُبرمون أمرهم ويُصْدِرون أحكامهم على شكل أوامر ومراسيم ، وتُعْلَن كتابة ليطلع عليها الناس .

وكان الحكم في (معين) أشبه بالحكم المركزي ، أي أنّ لكل مقاطعة أو مدينة حكومتها الخاصة بها ، ولها مع ذلك من يمثلها في الحكومة المركزية ، ويقدّم لها الاقتراحات ، وبصُورة خاصة فيما يختص بمقاطعته أو مدينته ، وفي كل مناسبة ، وفي السلم والحرب على السواء .

كما كان لكل مقاطعة أو مدينة آلهتها الخاصة بها وتسمى باسمها ، ولكل مقاطعة أو مدينة ايضاً هيئتها الدينية ، ومجتمع يُقَال له (عم) بمعنى امة أو قوم أو جماعة ، ولكل منطقة أو مدينة مجلس استشاري يدير شؤونها في السلم وفي الحرب ، وهو الذي يفصل فيما يقع بين الناس من خصومات وينظر في شؤون الجماعة[٢٠] .

وكان لرؤساء القبائل دُورٌ يجتمعون فيها لتمضية الأوقات والبتّ في الأمور والفصل في الخصومات ، وكانوا يسجلون فيها أيام تأسيسها وبنائها وترميمها ، وتُعَرَف هذه المراكز بـ (مزواد) باسم لقب الملك في بداية عهد معين[٢١] .

---

(٢٠) المفصل ج ٢ ص ١٠٩ .

(٢١) نفس المصدر والجزء والصفحة

وكما كان لكل منطقة أو مدينة من يمثلها في الحكومة المركزيـة فإنـه كان للملك من يمثله في المقاطعة أو المدينة ، ويُعَرَف ممثل الملك باسم[٢٢] (كبر) .

ويظهر أن ممثل الملك كان لا يتدخل إلا في السياسة التي تخص المسـائل العليا المتعلقة بحقوق الملك وشعب (معين) .

وكان يرد اسم (كبر) بعد اسم الملك في النصوص على عادة أهل معين وغيرهم من ذكر آلهتهم أولاً ، ثم الملوك ثم الكبراء في كتاباتهم التي يدونـونها ليطلع عليها الناس[٢٣] .

وذكـر الدكتـور (نيكلوس رودو كانـاكيس) في الفصل الـذي عقد لـه بكتاب (التأريخ العربي القـديم) بعنوان (الحيـاة[٢٤] العامـة للدول العربيـة الجنوبية) أنّ الملك في دولة (معين) لم يكن مطلق التصرف ، اذ كان يُوجَد الى جـانبه مجلس يضم ممثلي الموظفـين الذين كـان لهم نفوذهم الخـاص في دوائـر اختصاصهم ، وأنّ هذا المجلس هو غير المجلس الـذي يضم ممثلي المنـاطق ، وأن رؤساء العشائر وأصحاب الأملاك كانوا من كبار الموظفين ، وأن الملك هو الذي يعيّن الموظفين ، وخاصة أولئك الذين يقومون بجبـاية الضـرائب وادارة الأقاليم مع موافقة اصحاب الأملاك (مسود) ، وانه كانت توجد طبقتان من الموظفين كان من حقهم الفصل في شؤون المياه وتوزيعها على المناطق المختلفة .

ويظهر[٢٥] مما كتب عن نظم دولة (معين) انه كان نظاماً دينيـاً في أبرز مـظاهره ، ويتجـلى هذا في النقـوش التيتتحدثعن نـظام الضرائب الخـاصة بالمعبد ، والتي يُحتَمل انها كانت في أول الأمر عبارة عن تبـرعات ، ومن ثمـة فُرِضت على الأراضي ، وكانت تُستخَدم كتعـويض تُعفِي دافعيها عن أعمـال السخرة .

---

(٢٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢٣) نفس المصدر المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام والجزء الثاني والصفحة .

(٢٤) ص ١٤١ مطبعة لجنة البيان .

(٢٥) نيكلوس نفسه ص ١٤٢ .

وكانت العشائر تتعاون في إقامة المباني العامة ، وكان الأفراد يُجَنّدون في أعمال البناء هذه ، وكان عملهم يُحسَب لهم كضرائب تُسَدَّد ، والآلهة هي التي تقرر هذا العمل ، والمراد بالآلهة هنا أولئك الذين كانوا يقومون على المعابد (الكهان) ، وعن طريق هذا النظام نتبيّن هذا النفوذ الديني ومدى تغلغله في (معين) .

وأضاف الدكتور (نيكلوس)[٢٦] قائلاً : « ونتبين من النقوش أيضاً أن سائر الأبنية العامة كالمعابد والطرقات والحصون والسدود وما اليها كانت تدخل في بلاد العربية الجنوبية (اليمن) في الأعمال التي يُسَخَّر لها الأفراد لإنجازها ، ونقرأ أيضاً أنّ عملية بناء تمّت في سور المدينة ، وقدم هذا السور هدية للآلهة ، وقد يكون هذا البناء تجديداً لا جديداً ، وكانت المعابد تُسْتَخدم أحياناً كحصون للدفاع عن المدينة الى جانب العبادة .

ايرادات الدولة المعينية

أما ايرادات[٢٧] الدولة المعينية (وهي غير ايرادات المعابد) فكانت من الضرائب على التجارة والزراعة ، ومن أجور الأراضي التي تمتلكها الدولة ومن الضرائب التي وردت أسماؤها في الكتابات ضريبة (فرعم) أي (فرع) في الضرائب العامة ، وضريبة (عشرم) أي العشر ، وتؤخذ هذه من الخاصلات بنسبة العشر ، فهي كالعشر في الإسلام .

وأما ايرادات المعابد فهي التي يقدم لها بشكل تبرعات أو نذور ، وتقدم هذه باسم (آلهة معين)[٢٨] عند شفاء شخص أو رجوعه سالماً من سفر أو غزو أو حرب ، وعند حصول غلة وافرة من مزرعة ، أو مكسب كبير من تجارة ، وكان يعبر عن هذه النذورات أو الهبات بلفظي (كبرت) أو (أكرب) (أقرب) أي ما يتقرب به الى الآلهة .

---

(٢٦) نفس المصدر ص ١٤١ .
(٢٧) المفصل ج ٢ ص ١١٠ .
(٢٨) المفصل ج ٢ ص

وكان في دولة معين نظام التلزيم في استحصال عائدات الدولة ، وهو تفويض الملك أو المعبد الى رئيس أو سيد[٢٩] القبيلة أو الى غني باستغلال مقاطعة أو منجم أو أي مشروع آخر في مقابل شروط تدون ، وتحدد الدولة وتعين المعالم وفقاً لذلك ، فيتعهد الكبراء ورؤساء القبائل أو غيرهم بجمع الضرائب ودفع حصة الحكومة ،وكانت الاتفاقيات تكتب في محضر ، ثم تدوّن على الحجر في موضع ظاهر ليراه الناس ، بحيث يسجل فيه اسم المتعاقد واسم الإله واسم الملك واسم الكبيرالحاكم الذي تم التعاقد معه في منطقةعمله ،وكانت معبودات[٣٠] معين هي (عثتر) ويرمز به الى نجم (الزهرة) وقد يوصف بـ (عثتر ذو قبضن) أي القابض وبـ (عثتر ذو شرقن) أي الشرقي أو المشرق ، و(ود) ويرمز به الى كوكب (القمر) وهو يقابل في سبأ (المقه) و(نكرح) وهو يرمز به الى الشمس وتقابل في سبأ (ذات حميم) .

أما الكاهن أو القيم على المعبدفكانيدعى (شوع) كما ورد جميع ذلك في نصوص معينية ، ويقابل (شوع) (رشو) في النصوص القتبانية والسبائية ، وقد كان على المعابد[٣١] أي من حاصلاتها كما يشعر من الكتابات اداء بعض الخدمات العامة للشعب ، مثل انشاء مباني عامة أو تحصين المدن ومساعدة الحكومة في التخفيف عن كاهلها ، لأنها كانت مثلها تجبي الضرائب من الناس ، وتتلقى اموالاً طائلة من الشعب ، وتتاجر في الأسواق الداخلية والخارجية ، فكانت المعابد تقوم بتلك الأعمال مقابل إعفائهامن الضرائب .

نظام التبادل في معين

كان[٣٢] التعامل بين قدماء المعينيين وقبل انتشار سك النقود بالقدر الكافي للتعامل يتمّ بالمقايضة بالمواد العينية ، وكأي بلد قديم في العالم ، وكانوا يسددون ما عليهم للدولة وللمعابد مواداً عينية أيضاً .

---

(٢٩) و(٣٠) المفصل ج ٢ ص ١١٠) .

(٣١) و(٣٢) نفس المصدر والجزء ص (١١٢)

وبالمثل كانت الدولة والمعابد تدفع للموظفين والمستخدمين والعمال مستحقاتهم مواداً عينية أيضاً . وقد استمر هذا التعامل العيني حتى في الأيام التي ظهر فيها سك النقود من الذهب والفضة بسبب قلة المسكوكات ، وقد علمنا عند ذكر الملك المعيني (اب يدع) انه عثر على قطعة نقد (دراخما) أي درهم عليه صورته بهيئته وهيئة جلوسه والحرف الأول من اسمه .

نهاية الدولة المعينية

اختلف الباحثون حول تأريخ نهاية الدولة المعينية ، فمن أرّخ قيامها بالألف الثانية قبل الميلاد ، أرخ نهايتها بين المائة السابعة والمائة السادسة ق . م ، ومن أرّخ قيامها بالقرن السابع قبل الميلاد أو بعده حدد نهايتها بين السنة المائة والسنة الخمسين ق . م. ودليل[٣٣] هؤلاء أن أقدم كتابة في المسند اليمني أو الفينيقي الذي يعتبرون أنّ الخط المسند مشتق منه لا يتقدم في الوجود على الألف سنة قبل الميلاد ، وبأن نشاط المعينيين في التجارة ظل الى ما بعد الميلاد ، على أن الدكتور جواد علي[٣٤] رجح أنّ نهاية الدولة المعينية كانت بعد الميلاد ، وذلك لورود اسمها مملكة الى ما بعد الميلاد ، والتنقيب العلمي الشامل في آثار معين وغيرها هو الكفيل بتحديد تأريخ بدايتها ونهايتها .

هذا ولا خلاف بين اصحاب الرأي الأول في ان نجم الدولة المعينية بدأ في الأفول منذ أواخر القرن السابع ق . م . حيث قام آخر مكربي سبأ وأول ملوكها (كرب ال وتر) بمحاربة المعينيين في هذا العهد والاستيلاء على مدنهم الواحدةتلو الأخرى، وكانت مدن معين في أواخر دولتها على هذا الرأي الأول قد استقلت بشؤونها عن الدولة المركزية ، وساعد هذا التجزؤ الملك المكرب السبائي على ابتلاعها ودمجها في حكومة سبأ ، وقد تحدث الدكتور جواد علي[٣٥] عن هذا فقال : « وفي خلال الفترة التي انصرمت بين أواخر حكومة معين

---

(٣٣) نفس المصدر والجزء ص (٧٨) .

(٣٤) نفس المصدر والجزء ص (١٠٦)

(٣٥) نفس المصدر والجزء ص ١٠٦ .

واندماجها نهائياً في مملكة سبأ ظهرت حكومات صغيرة يمكن أن نشبهها بحكومات المدن انتهزت فرصة ضعف ملوك معين فاستقلت بشؤونها ، ثم اندمجت بعد ذلك في سبأ ، ومن هذه الحكومات التي استقلت في أيام معين (هرم) و(نشان) و(كمنت) وغيرها ، ويمكن اعتبار مملكة (لحيان) التي كان مركزها في (الديدان) في (العلا) بشمال الجزيرة العربية من الحكومات التي استقلت في ايام ضعف المعينيين ، وقد كانت في الأصل جزءاً من ارض هذه المملكة يحكمها (كبر) ، وقد عرفنا من الكتابة الموسومة بـ (هاليفي) رقم (١٥٤) ملكاً من ملوك (الهرم) يسمى بـ (يذمر ملك) ، وقد غزا مدينة (نشان) ودمرها تنفيذاً لطلب الملك (كرب ال وتر) ملك (سبأ) الذي كان معاصراً له ، وقد وهب له (كرب ال وتر) في مقابل هذه الخدمة جزءاً من ارض نشان عرف بخصبه ، وبوجود الماء فيه ، وقد ورد اسمه في عدد آخر من الكتابات » .

ثم ذكر الدكتور جواد علي[٣٦] اسم ملك جلس على عرش مدينة (الهرم) اسمه (بعثتر بن يذمر) ، واسم ملك آخر جلس على العرش نفسه وهو (معد يكرب ريدان) ، ثم ذكر ملك مملكة مدينة (كمنة) المعينية واسمه (نبط علي) الذي ملك بعد والده (الـ سمع نبط) ، وذكر انه كان تابعاً لحكومة (سبأ) ولـ (مأرب) عاصمة (سبأ) ، بدليل تقربه لإله السبائيين (المقه) في الكتابة التي تركها الملك (ال سمع) بن نبط علي المذكور .

---

(٣٦) نفس المصدر المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ١٠٦ .

دولة قتبان

مملكة (قتبان) إحدى الممالك ذات الشأن في تأريخ اليمن قبل الإسلام .

وقد[1] عاصرت (قتبان) (معين) وكانت لهجتها أقرب الى اللهجة المعينية منها الى اللهجة السبائية .

فهي تشترك مع المعينية مثلاً في اضافة حرف (السين) الى أول الفعل بدلاً من حرف (الهاء) الذي يلحق أول الفعل في اللهجة السبائية ، وكلاهما (السين) و(الهاء) يقابلان في لهجتنا همزة (أفعل) .

فَفِعْل (أَحْدَثَ) ينطقه المعينيون والقتبانيون (سَحْدَثَ) ، بينما ينطقه السبائيون (هَحَدْثَ) .

ومع ذلك فالكتابة القتبانية تشارك الكتابة المعينية بل وغيرها من الكتابات في العربية الجنوبية القديمة (اليمن) في أن غالبيتها قد كتبت في أغراض شخصية ، كالحديث عن اصلاح ارض أو شرائها أو بناء عمارة أو تقديم نذر لإحدى معبوداتهم أو ما شابه ذلك ، وفي خلوها من صيغة المتكلم أو المخاطب واقتصارها على صيغة الغائب ، وتشاركها أيضاً في خلوها من نصوص أدبية من شعر ونثر ومن نصوص دينيّة ومن أدعية وصلوات ، وهو أمر يبدو غريباً ، ولكننا لا نستطيع ان نحكم حكماً قطعياً في مثل هذا ، فما وصل الينا مما

(١) المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ من ص ١٧١ .

تمّ العثور عليه من الكتابات قليل ، وما لم يصل الينا أكثر ، والحكم للمستقبل المقرون بالتنقيب العلمي الشامل .

ومع ذلك فما وصل الينا من كتابات قتبانية تمتاز عن غيرها من الكتابات الأخرى في العربية الجنوبية القديمة بكثرة ما فيها من نصوص رسمية تتعلق بالضرائب وقوانين التجارة وغيرها ، وبالكثير من التشريعات الأخرى .

أما عن تحديد موقع (قتبان) فالذي يظهر من مجموع آراء الباحثين انها امتدّت من الجنوب الغربي لليمن عند باب المندب ، الى الجنوب في (عدن) والى الشرق الجنوبي لليمن حتى (بيحان) .

أما نسب قتبان فقد ورد ذكرها كبطن من (رعين) الحميرية كما عرفنا في فصل (موجز انساب اليمنيين ومساكنهم) ومع ذلك فالنسب في انساب اليمنيين متروك للمستقبل المقرون بالتنقيب العلمي الشامل .

وحينما انقرضت دولة (معين) وقامت على انقاضها دولة (سبأ) ظهرت دولة (قتبان) كمنافس جديد لـ (سبأ) وقامت بين الدولتين (سبأ) و(قتبان) حروب كثيرة ، ومنها حرب قامت بين الدولتين في عهد الملك السبائي (سمه علي ينوف) في القرن السابع قبل الميلاد ، كما جاء خبر ذلك في نقش (صرواح) المعروف بنقش (النصر) والذي يعود عهده الى المكرب الملك السبائي (كرب ال وتر) بن ذمار علي شقيق الملك (سمه علي ينوف) المذكور .

ولقد[٢] كانت الفترة الواقعة بين عامي ٣٥٠ ـ ٥٠ ق . م . هي أزهى عصور (قتبان) ، إذْ دلت النقوش والكتابات على أن (قتبان) في تلك الفترة كانت أهم مملكة في بلاد العربية الجنوبية (اليمن) حيث أخضعت (قتبان) لسلطانها كلاً من (معين) و(سبأ) .

---

(٢) الإستكمال لكتاب (التأريخ العربي القديم) ص ٢٨٨ .

ونظراً لوجود حكومة سبائية في الفترة المذكورة معروفة بملوكها وهم الذين عرّفهم الباحثون بملوك الجمهرة الثالثة والجمهرة الرابعة من جمهرات ملوك (سبأ) وشطراً من جمهرة ملوك (سبأ وذي ريدان) فالظاهر أن معنى اخضاع (قتبان) لـ (سبأ) هو انها اضطرتها الى الاعتراف بسيادتها واستقلالها بممتلكاتها ، لا الاخضاع المعروف بمعناه الحقيقي .

كما ذكرت كتابة عثر عليها في (حرم بلقيس) بـ (مأرب) أن حرباً قامت بين الدولتين (قتبان) و(سبأ) واستمرت خمسة أعوام ، وأن (قتبان) كانت هي البادئة بالحرب ، وكانت هي الظافرة بالرغم من مساعدة مملكة (رعن) الصغيرة ، لـ (سبأ) التي كانت متحالفة معها ضد قتبان . وأنّ (قتبان) أخذت بعد ذلك من أرض (رعن) (ذبحان) و(صبر) .

وأن حرباً أخرى تجددت بين (قتبان) و(سبأ) وحكومة أخرى لعلها (حضرموت المستقلة) أدّت الى إنهاك (قتبان) واضعافها حتى فقدت سيادتها ، واندمجت أخيراً في دولة (سبأ وذي ريدان) .

وأيّد ذلك الدكتور (فؤاد حسنين) في استكماله[٣] لكتاب (التأريخ العربي القديم) فذكر أن دولة (سبأ ذي ريدان) لم تكن الوريثة الوحيدة لدولة (قتبان) ، بل أن (حضرموت) شاركتها الغنيمة وضمت الى رقعتها جزءاً من مملكة (قتبان) ، وأنها أي (حضرموت)هي التي أخربت مدينة (تمنع) عاصمة مملكة (قتبان) في الفترة الممتدة بين ٢٥ ـ ١ ق . م .

وأضاف الدكتور (فؤاد حسنين) أن ملوكاً قتبانيين استطاعوا المحافظة على الجزء الغربي من مملكتهم مدة من الزمن ، وانهم اتخذوا مدينة (حريب) بيحان عاصمةً لهم ، مستنداً الى المعلومات التي ادت اليها اكتشافات بعثة (ويندل فليبس) الامريكية .

---

(٣) ص ٢٨٨ .

ذهب الدكتور (هومل)[٤] مما درسه من الكتابات القتبانية التي حصل عليها (كلاسر) عند قيامه برحلته الى اليمن بين عا مي ١٨٩٢ - ١٨٩٤ م إلى أن (قتبان) كمملكة عاشت بين القرن العاشر والقرن الثاني قبل الميلاد ، وأن علماء الآثار لم يتفقوا على زمن بداية الدولة القتبانية ولا نهايتها بصورة قاطعة .

كما جاء في التقويم[٥] التأريخي لـ (ألبرايت) كبير جيولوجي بعثة (ويندل فيلبس) الامريكية ما يلي :

(التأريخ التقريبي لأقدم نقش عرف في قتبان القرن العاشر قبل الميلاد) .

وقال الدكتور (فؤاد حسنين) في استكماله[٦] لكتاب (التأريخ العربي القديم) ما نصه : « وأمّا التأريخ الذي يستطيع المؤرخ الأخذ به والاعتماد عليه فيرجع الى القرنين العاشر والحادي عشر قبل الميلاد ، وهو التأريخ الذي قد يرجع اليه النقش المخربش الذي حلّ رموزه (جام) ، هو يعتبر أقدم نص جاءنا من بلاد العربية الجنوبية .

واذا كان بعض الباحثين (كما عرفنا) قد ذهب الى ان (حضرموت) قد أخربت عاصمة قتبان مدينة (تمنع) بين عامي ٢٥ - ١ ق . م . وأن ملوكاً قتبانيين استطاعوا المحافظة على الجزء الغربي من مملكتهم مدة من الزمن ، وانهم اتخذوا مدينة (حريب) أو (حجر بن حميد) عاصمةً لهم فمن المؤكد أن قتبان كمملكة (ولو في حدود أقل مما كانت عليه في عهد ازدهارها) عاشت الى ما بعد حادث احراق عاصمتها الأولى (تمنع) ، في التأريخ المذكور .

---

(٤) المفصل ج ٢ ،ص ١٧٤ .
(٥) الاستكمال ص ١٨٣ ..
(٦) ص ٢٨٦ .

قائمة ملوك (قتبان)

وردت لدى الباحثين في تأريخ اليمن القديم عدة قوائم لملوك (قتبان) .

وقد اكتفيت هنا بذكر قائمة (جون . ب . فلبي) التي ضمنها ذيل كتابه (سناد الإسلام) والتي رتبها بحسب صلة القربى والنسب .

والجدير بالذكر أن أي قائمة لملوك (قتبان) أو غيرهم من ملوك دول اليمن قبل الإسلام) لا تعني حصرهم ولا ترتيب فترات عهودهم . وإنما يعني ذلك حصر من عرف منهم ، ومع ذلك فكل القوائم قابلة للزيادة بل وربما للنقص منها وذلك عند توفر وسائل البحث العلمي والتنقيب الشامل في الآثار اليمنية .

هذا وكان ملوك (قتبان) يُلَقَّبون في بادىء أمرهم بلقب (مكرب) كالسبائيين ، وهو اللقب الديني ، لأن معنى (مكرب) (مقرب) أي أنه يقرب من الآلهة ، وأنه الواسطة بينها وبين الناس .

وفي اثناء حكمهم اضافوا الى لقبهم الديني لقب (ملك) السياسي ، وذلك بحكم جمع الملك القتباني في يديه السلطتين الدينية والسياسية وكما كان يُفْعَل في اليمن الى ما قبل عهد الثورة وفي غير اليمن الى اليوم من الجمع بين لقب (إمام) الديني ولقب (ملك) السياسي .

أمّا قائمة ملوك (قتبان) على رأي (فلبي)(٧) فهي على النحو الآتي :

١ ـ سمه علي وتر بن عم ، وسقط لقب والده من الكتابة بسبب كسر أو تلف .

٢ ـ هوف عوف يهنعم ، بن سمه علي وتر .

٣ ـ شهريجل يهرجب بن هوف عوف يهنعم .

---

(٧) المفصل ج ٢ ص ١٨٠ .

ولدينا نص[٨] مهم هو قانـون أصدره الملك (شهـريجل) هـذا باسمـه وبـاسم شعب (قتبـان) لقبـائـل قتبـان في كيفيـة الاستفـادة من الأرضـين واستثمارها ، قـال الدكتـور (جواد عـلي[٩]) مضيفاً : « ويـظهر أنّ رؤسـاء القبائل وأعيان المملكة قد عقدوا اجتماعات عديدة وتداولوا الرأي في استثمار الأرض وقسمتها على القبائل والعشائر والفلاحين ، وبعد أن اتفقوا على الأسس رفعوها الى الملك ، فأصدر أمره باقرارها ، كما أقرها الكهان ، وكانت لمعابدهم أوقاف جسيمة يستغلها الفلاحون ، فلا بدّ أن يكون لهم رأي مهم في صدور أمثال هذه القوانين » .

كما وردت في نص[١٠] من النصوص المعينية عبارة مهمة جداً لها علاقة بقتبـان وبشخص ملكها (شهـريجل يهرجب بن هوف عـوف يهنعم) هذا ، وبالحالة السياسية في حكومة (معين . ورد فيهـا ما تـرجمته : « في يـوم سيده (وقه إلْ يثع) وابنه (اليفع يشـر) ملك معين وبسيـده (شهريجـل يهرجب) ملك قتبان ، وهذا يعني اعتراف ملك معين (وقه أل يثع) بسيادة قتبان عليه في عهد ملكها (شهريجل) المذكور » .

كـما يـرى (رودو كنـاكيس) أن نص (هلفي ٥٠٤) يشـير الى أحـد أمرين : تحالف بين معين وقتبان في عهد ملك قتبـان (شهريجـل) هذا أو أن حكومة (معين) كانت حقاً خاضعة لسيادة قتبان في عهد ملكيهما المذكورين .

هذا والى أيام (شهريجل هذا تعود الأسود المصنوعة من البرونز والتي عثر عليها في انقاض (تمنع) وكتابتا الباب الجنوبي للعاصمة[١١] وبيت بفش .

٤ ـ وروال غيلان بهنعم بن شهريجل يهرجب .

وقد وجد اسمه منقوشاً على نقود ذهبية عـثر عليها مضـروبة في مـدينة حريب[١٢] .

---

(٨) و(٩) المفصل ج ٢ ص ٢٠٨ .

(١٠) المفصل ج ٢ ص ٢٠٧ .

(١١) المفصل ج ٢ ص ١٨٥ .

(١٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

كما عثر[١٣] على كتابة ترجع الى عهد الملك القتباني (وروال غيلان) المذكور ، سجلتها امرأة اسمها (برأت) من بيت (رثدالْ) من عشيرة (شحز) بمناسبة تقديمها تمثالاً من الذهب يمثل امرأة تقرباً الى الآلهة ، (ذات حميم عثتر) لحفظها وحفظ أملاكها ، ووفاء لما في ذمتها .

٥ ـ فرع كرب يهوضع بن هوف عوف بهنعم .

٦ ـ شهر هلال بن ذرأ كرب .

وقد عُثر على كتابة في كحلان عليها اسم (شهر هلال بن ذرأ كرب) هذا ، وقد افتتحت[١٤] الكتابة المذكورة بما يأتي : « قانون أصدره وأمر به (شهر بن هلال بن ذرأ كرب) ملك (قتبان) لشعب قتبان وذي علشن ومعين وذي عثتم أرض شدو ، وقد نظم هذا القانون واجبات هذه الشعوب الأربعة في كيفية استغلال الأرض ، وعيّن الأعمال المترتبة عليها ، وأنذر المخالفين بفرض العقوبات عليهم ، وأشار الى الموظف الذي خُوِّل حق تنفيذ ما جاء فيه وهو كبر تمنع ، وأمر الملك باعلان الأمر ونشره على باب (شدو) وختم النص بفقرة (وتعلماي يد شهر) أي وقد علمته (وقعته) يد شهر أي وقد وقعه الملك (شهر) بنفسه . وما زال يقال للتوقيع (علامة) الى اليوم) . كما حدد هذا الأمر الوقت الذي يجب فيه على المزارعين تنفيذ التزاماتهم فيه ، فذكر انه من أول شهر (ذو فرعم) (ذو فرع) ، الى السادس من (ذي فقهو) يجب دفع الضرائب يوماً فيوماً وشهراً فشهراً ، ويرى (رودو كناكيس) أن شهر (ذو فرعم) هو الشهر الأول من السنة عند زراع قتبان ، وأن شهر (ذو فقهو) هو الشهر الأخير من السنة ، وعلى هذا التقويم الذي يستند الى الزراعة والبذر والحصاد كانت تُدَفع الضرائب .

ويظهر من ذكر أسماء هذه الشعوب (أشعبن) الأربعة في هذا القانون

---

(١٣) المفصل ج ٢ ص ٢١١ .

(١٤) المفصل ج ٢ ص ٢١٢ .

أنها كانت تحت حكم هذا الملك ، وأن قسماً من شعب (معين) بل ربما كل شعب (معين) كان يخضع له ، ويرى (رودو كناكيس) أن في هـذه الكتابـة دلالة على أن شعب (معين) كان تابعاً لحكومة (قتبـان) في عهد هـذا الملك (شهر هلال بن ذرأ كرب) كما كـان تابعـاً لقتبان في أيـام الملك (شهر يجـل يهرجب) ولكن هذا لا يعني في نظره أن شعب (معين) كان قد فقد استقلاله نهائياً .

٧ ـ يدع اب ذبيان يهرجب بن شهر ، ويرى البرايت[١٥] انه آخر مكربي قتبان وأول ملوكهم . وقد ترك عدداً من الكتابات ومنها كتابة عثر عليها خارج الباب الجنوبي لمدينة (تمنع) العاصمة الأولى لقتبان . ومنها[١٦] الكتابة الموسومة برقم (١٦٠٠ جلازر) وقد جاء فيها أن (اب يدع ذبيـان بن شهر) مكـرب قتبان وكل أولاد عم في (قتبان) وأوسان (قبل أن تُكوِّن دولتها) وكحّد النازلة في منطقة (دثينة) ودهس (يافع) وتبنى لحج فتحوا طريقـاً وانشأوا (مبلقـة) بين موضعي (برم) و(حرب) (حريب) ، وجددوا بيت (ود) و(عثتر) وذكر عدداً من أسماء آلهة (قتبان) و(معين) .

قال الدكتور جواد[١٧] علي مضيفاً : « والكتابة وثيقة مهمة تتحدث عن عمل هندسي مهم خطير هو فتح طريق جبلي في مناطق وعرة وفي ارضين جبلية فاستوجب العمل تمهيد الأرض وتسـويتها ، واحـداث ثغر في الصخـور وفتح أنفاق ليمر بها الطريق .

وجاء[١٨] في نص آخر انه شق طريقاً وثنايـا في مواضـع جبلية وعـرة ، وحفر أنفاقاً تمرُّ السابلة منها .

ومن الجائز ان تكون الأنفاق هذه هي الموجودة الى اليوم في جبل حديد في

---

(١٥) المفصل ج ٢ ص ١٨٣ .
(١٦) نفس المصدر والجزء ص ١٨٨ .
(١٧) نفس المصدر والجزء ص ١٨٩ .
(١٨) المفصل ج ٢ ص ١٩٠ .

عدن ، علماً أن عدن كانت من صميم أرض قتبان ، وأنفاق جبل حـديد هي عبارة عن نفقين كبيرين تمر فيهما السيارات ويعبرهما المشاة ، وبين النفقين أرض مفتوحة بين جبلين هما معاً من جبل حديد نفسه .

ومن الكتـابات التي[19] تعـود الى الملك المكـرب (يـدع اب ذبيـان بن شهر) القتباني كتابة تتحدث عن فتح وتعبيد طريق (مبلقة) عقبة في (وادي بيحان) لعلها الطريق التي اشارت اليها الكتابة آنفة الذكر المـوسومـة برقم (١٦٠٠) .

وقد[20] وصف (ويندل فيلبس) عقبـة (مبلقة) هـذه فقال : « وكنـا نركب مرةً ونترجل أخرى ونحن نعبر الممر الذي كان يتضاعف اعجاباً به كلما أوغلنا فيه ، فهو عبارة عن طـريق صناعيـة شقها الإنسـان بالفعـل بين وادي بيحان ووادي حريب ، فعلى امتداد هـذا الممر (ويبلغ ثـلاثة أميـال) ترتفـع جدران الى مسافة ألف قدم في انحناءات خطرة أنشئت على غرار الشرفات ، ولها جدرات واطئة للوقاية من الجهة الخارجية ، أما طريق الممر فيتراوح عرضها بين خمسة عشر قدماً واثني عشر قدماً ، وقد عبّدت بقطع من الحجارة الصغيرة بعضها على شكل درجات في الأماكن شديدة الانحدار ، ولما صعدنا الى المرتفع وعند أخطر منحنى نظرنا الى الأسفل الى الحجارة غير المشذبة ، واستغرقنـا في تفكير عميق ، فقد كان ممر (مبلقة) (عقبة مبلقة) هو حلقة الاتصال بين عدة طرق في غابر الأزمان ، وكان يُعتَبر من الطرق الرئيسية التي بواسـطتها كـانت خيرات الشرق تصل الى الغرب ، تنقلها خفاف الجمال وأخفافها » .

وأضاف : فذكر أن الدافع للقتبانيين الى شق ذلك الطريق الجبلي الشاق هو السيطرة على قوافل نقل التجارة التي تعبره ومنـع تهريبهـا ، كما ذكـر نحوه الدكتور جواد علي[21] ، فقال : ويظهر أن الذي حمل (يدع اب ذبيان) على

---

(١٩) المفصل ج ٢ ص ١٩٢ .
(٢٠) كنوز بلقيس ص ١٨٦ .
(٢١) المفصل ج ٢ ص ١٩١ .

الاقدام على شق الطرق في المرتفعات وفي الجبال وعمل الأنفاق وتبليط الطرق بالأسفلت هو عدم اطمئنانه من الطرق الممتدة في السهول ، اذ كانت هدفاً سهلاً للأعداء ، فاذا اجتازته قواته هاجمها الغزاة ويكون من الصعب عليها الدفاع حينئذٍ عن نفسها ، أما الطرق التي أنشأها فإنها وان كانت صعبة وفي السير بها مشقة إلا أنها آمنة لأنها تمر في أرض خاضعة لحكمه ، وهي أقصر من الطرق المسلوكة في الأرض السهلة ، ثم أن الدفاع عنها أسهل من الدفاع عن الطرق المفتوحة ، فبهذا التفكير الحربي أقدم على فتح تلك الطرق .

ويرى(٢٢) بعض الباحثين ان ملك قتبان كان قد توسع في عهد (يدع اب ذبيان) هذا فصار يشمل كل (أوسان) و(قتبان) و(مراد) حتى بلغ حدود (سبأ) ، ولحماية أرضه أقام حواجز وفتح طرقاً في الهضاب والجبال ليكون في امكان جيشه اجتيازها بسهولة في تحركه لمقاتلة أعدائه ، أقامها في شمال أرضه وفي جنوبها لمنع اعدائه من الزحف على مملكته ، وتعبيراً عن فتوحاته هذه في شمال وفي جنوب (قتبان) استعمل جملة (أيمنن وأشأ من) أي (الجنوبيون والشماليون) وهو لقب يُعبِر عن هذا التوسع الذي تم على يديه ، واستعمال (يمنا) بمعنى (جنوباً) و (شاماً) بمعنى (شمالاً) ما يزال في اليمن الى اليوم ولعل ذلك أخذ من موقع اليمن في الجنوب والشام في الشمال .

وللملك(٢٣)(يدع اب ذبيان بن شهر) وثيقة على جانب كبير من الأهمية لأنها قانون من القوانين الجزائية المستعملة في مملكة (قتبان) . بل في الواقع من الوثائق القانونية العالمية ، ترينا أصول التشريع وكيفية اصدار القوانين عند العرب الجنوبيين قبل الميلاد ، فيها روح التشريع الحديث ، وفلسفة التقنين ، وترينا أن الملك هو المرجع الأعلى للدولة ، وهو وحده الذي يملك حق اصدار القوانين ، ونشرها والأمر بتنفيذها ، وترينا ايضاً أن مجالس الشعب وهي المجالس المسماة بـ (المزواد) وتتكوّن من ممثلي المدن ، ومن رؤساء القبائل

---

(٢٢) المفصل ج ٢ ص ١٩١ .

(٢٣) المفصل ج ٢ ص ١٩٢ .

والشعاب ، هي التي تقترح القوانين وتضع مسودات اللوائح ، فاذا وافقت المجالس عليها عرضتها على الملك لامضائها ، ولنشرها بصورة ارادة أو أمر ملكي ، ليطلع الناس على احكام الأمر الملكي ، ويعملوا به .

وهذه الوثيقة هي قانون في عقوبات القتل العمد أو الخطأ ، وفي العقوبات التي يستوجبها من يصيب إنساناً بجرح أو جروح قد تحدث آفات وعطلاً في الشخص .

ويتبين من هده الوثيقة أن القتبانيين كانوا يحكمون ايضاً (الردمانيين) في هذا العهد ، ومخلاف ردمان كان من المخاليف المهمة في اليمن في ذلك العهد (محتفظاً بوحدته القبلية على اتساعه وهذا سر أهميته) ، ويُعَد موضع (وعلان) حاضرة مخلاف (ردمان) من أماكن ردمان (رداع) و(كدار) وهو مكان قريب من (وعلان) وقد ورد اسم (وعلان) في الكتابات ، اذ جاء (وعلن ذو ردمان) (وعلان ذو ردمان) .

فراغ على رأي فلبي لا يدري من حكم فيها من أولاد (يدع اب ذبيان) .

٨ ـ شهر هلال يهنعم بن اب يدع ذبيان .

ورد[٢٤] اسم الملك (شهر هلال يهنعم) واسم ابنه (نبط عم) في كتابة دونها رجل اسمه (نبط عم بن يقه مَلْك) بمناسبة حفره بئراً في حصن له لإرواء ارضه وأملاكه ، وجعلها في رعاية آلهة (قتبان) وحمايتها ، لتبارك له ولذريته .

وجاء[٢٥] اسم الملك (شهر هلال يهنعم) بن أب يدع (ذبيان) أيضاً في قانون اصدره للمقيمين في (تمنع) أي العاصمة وللمقيمين في الخارج ، وذلك لتنظيم التجارة ولتعيين حقوق الحكومة في ضرائب البيع والشراء والأماكن التي يكون فيها الإتجار ، وفي هذا القانون مصطلحات تجارية مهمة ترينا مبلغ تقدم

---

(٢٤) المفصل ج ٢ ص ١٩٥ .

(٢٥) المفصل ج ٢ ص ١٩٦ .

القتبانيين في اصول التشريع التجاري بالقياس الى تلك الأيام .

وجاء اسمه[٢٦] في كتابة قتبانية هي قانون لتنظيم التجارة وكيفية دفع الضرائب ، وقد صدر هذا القانون في عهده ، ولم يذكر المصدر نفس القانون .

٩ ـ يدع أب ينوف بن يدع اب ذبيان أو ابن ذمار علي على رأي آخر .

وقد[٢٧] عثر على نقود ذهبية له ضربت في (حريب) .

فراغ لم يَعرف (جون . ب فلبي) من حكم فيها من القتبانيين .

١٠ ـ سمه وتر لم يذكر اسم ابيه في النص الذي ورد فيه اسمه ، ومن المحتمل[٢٨] ان يكون هو الذي هزمه (يثع امر وتر) مكرب سبأ) .

١١ ـ ورwال بن سمه وتر ، ولم يذكر لقبه في النص الذي ورد فيه اسمه .

وقد[٢٩] كان تابعاً لـ (كرب أل وتر) أول ملك من ملوك (سبأ) . عند بعض الباحثين .

فجوة لم يعرف فلبي من حكم فيها .

١٢ ـ اب شبم لم يُعْرَف اسم ابيه في النص الذي ذُكِر فيه اسمه .

١٣ ـ اب عم بن أب شبم .

١٤ ـ شهر غيلان بن أب شبم .

وقد اندمجت (قتبان) على رأي (فلبي) بعده في مملكة (سبأ) وصارت جزءاً منها ، وذلك في عام ٥٤٠ ق . م .

وقد [٣٠] عثر على كتابات عديدة من أيامه ، ومنها كتابة عُثِر عليها عند

(٢٦) نفس المصدر والجزء ص ١٩٦ .
(٢٧) نفس المصدر والجزء ص ١٨٥ .
(٢٨) نفس المصدر والجزء ص ١٨٢ .
(٢٩) نفس المصدر والجزء ص ١٨٢ .
(٣٠) نفس المصدر والجزء ص ١٨٤ .

الباب الجنوبي لمدينة (تمنع) العاصمة .

هذا وثمة ملوك قتبانيون لم ترد أسماؤهم في قائمة (جون . ب فلبي) مع أنه لا اشكال في كونهم ملوكاً دلت عليهم النقوش والكتابات القتبانية وكان لهم أثر في تأريخ الدولة القتبانية ، ومن هؤلاء : بحسب قائمة[٣١] هومل وبحسب قائمة (البرايت)[٣٢]

(نبط عم بن شهر هلال يهنعم) . و(ذمار علي) ولم يذكر اسم ابيه . و(يدع اب يجل) بن ذمار علي المذكور .

وبحسب قائمة (البرايت[٣٣]) فقط: الملك (بي عم) بن شهر غيلان ، (وديدع اب يجل) بن شهر غيلان ، و(ذرأ كرب) ولم يذكر نعته ولا اسم أبيه . و(شهر هلال يهقبض) بن ذرأ كرب .

ويرى (البرايت[٣٤])انه هو الذي بنى البيت المسمى بيت (يفعم) (بيت يفع) الذي عُثِر على اطلاله واسسه عند باب المدينة الجنوبي .

عاصمة الدولة القتبانية

كانت العاصمة الأولى لقتبان مدينة (تمنع) وقد عُرفت أخيراً باسم مدينة (كحلان) و(بهجر كحلان) وكانت كلمة هجر تعني (مدينة) في اللهجات العربية الجنوبية ، وقد تستعمل بلفظ (هَكَرَ) ومنه (هكر عنس لحميرية) في الحدا أما اليوم فقد صارت (الهجر) و(الأهجر) أسماء بذاتها لعدة أماكن في اليمن ، ومنها الأهجر في بلاد ثلا ، ومحل الهجر في بلاد الحدا وغيره .

---

(٣١) المفصل ج ٢ ص ٢٣٢ . و(فرتز هومل) في الفصل الذي عقد له بكتاب (التأريخ العربي القديم) ص ١٠١ .
(٣٢) المفصل ج ٢ ص ١٨٣ .
(٣٣) المفصل ج ٢ ص ٢٣٢ .
(٣٤) المفصل ج ٢ ص ١٨٥ .

وقد بنيت مدينة (كحلان) عاصمة الدولة القتبانية في عام ١١٠٠ ق . م . ويرى[٣٥] (فون وزمن) انها احرقت حوالي عـام ٩٠ الى ١٠٠ ق . م . وذلك في عهد الملك القتباني (شهر هلال يهقبض) ومن قبل دولة (حضرموت المستقلة) .

وانتقلت العاصمة الى مدينة (حريب) أو الى (حجر ابن حميد) (هجر بن حميد)[٣٦] (ذات غيلم) في وادي بيحان .

وقد وصف (ويندل[٣٧] فيلبس)ساحة خرائب مدينة (كحلان) فقال : « لم أجد في نفسي القدرة على أن أثير اهتمامي في تل هائل من التراب والرمال يعرف باسم (حجر كحلان) ، وكان هذا التل عبارة عن خرائب كانت فيـما مضى مدينة كبيرة تمتد مسـافة نصف ميـل طولاً وألف قـدم عرضـاً ، فتغطي مساحة ما يقرب من ستين فداناً » ومدينة[٣٨] (تمنع) (حجر كحلان) تبعـد مسافة سبعـة عشر ميـلاً الى الشمال من بيحـان كما[٣٩] ذكـر (بليني) مدينـة (تمنـع) فقال : انّ بهـا خمسة وستـين معبداً ، الأمـر الذي يصـور لنـا مـدى اتساعها .

وكـانت (تمنع) تقـع في منطقـة عرفت قـديماً بِخْصْبهـا وكثرة بسـاتينها ومزارعها في وادي (بيحان) وما تزال آثار نظم الري تشاهد في هذه المنطقة الى اليوم .

كـما[٤٠] وصف (وينـدل فيلبس) قنـاة من تلك القنوات التي بنـاهـا

---

(٣٥) بافقيه في تأريخ اليمن القديم ص ٤٣ .
(٣٦) مجلة ريدان العدد الأول ص ٧٧ في تسمية (هجربن حميدبذات غيلم) .
(٣٧) في كتابه (كنوز بلقيس) ص ١٣ .
(٣٨) كنوز بلقيس ص ٥١ .
(٣٩) بافقيه في (تأريخ اليمن القديم) ص ٤١ .
(٤٠) كنوز بلقيس ص ١٤٠ .

القتبانيون لتنظيم الري وتصريفه في الأرض الزراعية في وادي بيحان فقال : « هذا وقد استطاع (ديك) أحد أعضاء بعثته في بيحان) أن يتتبع أثر قناة رئيسية كانت تمتد زمن القتبانيين من مدينة (بيحان القصبة) حتى خمسة أميال الى الشمال من (حجر بن حميد) ، ويبلغ طولها على وجه التقريب ١٥ ميلاً ، وكانت هذه واحدة من عدة أقنية كانت منذ القدم تنظم تدفق المياه من روافد الوديان بعد هطول الأمطار الغزيرة ، كما انه اكتشف خزانات مياه مشيدة بالحجارة وبين الحجارة نوع من الأسمنت المقاوم للماء ، نعم الأسمنت، وكان يوجد لأول مرة في جنوب شبه جزيرة العرب ، وفي تلك الخزانات كانت هنالك فتحات نحتت بمهارة كي تتحكم بتدفق المياه ، وعلاوةً على كل هذا وجد (هوني مان) عدة مصارف تتفرع وتمتد نحو مختلف الاتجاهات بقصد نقل المياه الى الحقول ، كانت قنوات للري ، وبهذا يكون أهل (حجر بن حميد) قد عرفوا وحسنوا نظام الري بالقنوات وكذلك نظام تصريف المياه الزائدة ، ومن الضروري أن نقول لا بد أنّ وادي بيحان كان في ذروة ازدهار الحضارة القتبانية جنة وارفة الظلال ، تنتج كميات وافرة من الحبوب والخضار والفاكهة ، ذلك لأن أقنية الري التي تم اكتشافها كانت كافية لارواء مساحات شاسعة من الأراضي ، وقد رتبت بمهارة وبهندسة بديعة ، وقد غدا بوسعنا أن نحدد تأريخ بناء هذا الجهاز بكل دقة من نقوش وجدت على احد المصارف القديمة عرفنا منها أن القنوات شيدت في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد .

كما وجدنا نقشاً آخر على مصرف شيد فيما بعد ،ومنه عرفنا أن شبكة الري قد تمت في القرن الأول بعد الميلاد .

وهذا التأريخ الأخير يوضح انه على الرغم من ان مملكة (قتبان) قد انتهى امرها بتدمير مدينة (تمنه) (تمنع العاصمة) بعد سنة ٣٥ قبل الميلاد إلا أن اعمال الري في وادي بيحان يجب ان تكون قد استؤنفت بواسطة الحكام الذين خلفوا القتبانيين ، ولعلهم أولئك الحكام من حضرموت وسبأ وذو ريدان ، ويبدو أنّ ذلك النظام البديع من القنوات قد ظلّ صالحاً الى ان انهارت آخر الممالك في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وحينئذٍ اندثرت آثار هذا المشروع

الكبير » .

وعلى كل فقد اثبتت آثار نظم الري التي بناها القتبانيون ، والنقود والتماثيل الذهبية التي عثر عليها والنظم والقوانين التي سنوها وشرّعوها انهم ضربوا بسهم وافر في المدنية والثقافة والرخاء .

وفي جملة الأشياء الثمينة التي عثر عليها في مدينة (تمنع) تمثالان(٤٠) لأسدين صُنِعا من البرونز أثرت فيهما طبيعة الأرض فحولّت لونهما الى لون أخضر داكن ، وقد ركب أحدهما راكب يظهر كأنه طفل بدين بإحدى يديه سهم وباليد الأخرى سلسلة قد انفصمت تنتهي بطوق يطوّق عنق الأسد ، يشعر أنه كان متصلاً بالسلسلة التي انفصمت ، أما الأسد الآخر فقدْ فَقِد راكبَه ، وبقي من غير فارس ، إلا أن موضع ركوبه بقي على ما كان عليه ، ليقدم دليلاً على أن شخصاً كان فوق ذلك الأسد ، وقد تبين أنّ التمثالين كانا على قاعدتين مكتوبتين ، وقد سبق أن الأسدين يرجعان الى عهد الملك القتباني (شهريجل يهرجب بن هوف يهنعم) .

وفي(٤١) جملة ما عثر عليه في آثار (قتبان) من أشياء ذات قيمة اثرية كبيرة من الوجهة الفنية رأس فتاة منحوت من رخام أبيض ، وقد تدلى شعرها على شكل خصلات مجعدة وراء رأسها ، وكانت أذناها مثقوبتين لتُوضَع حلق الزينة فيهما ، ووجد أن عنقها محلى بعقد ، وكانت عيناها من حجر اللازورد الأزرق ، وقد نحت التمثال باتقان وذوق يدلان على مهارة وفن .

كما عثر على بقايا ملابس وأخشاب متآكلة ، وعلى حلي بعضه من الذهب .

نظام الحكم في قتبان

عرفنا في بداية هذا الفصل أنّ حكام قتبان كانوا يلقبون أنفسهم في بداية

---

(٤٠) المفصل ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٤١) المفصل ج ٢ ص ٢٣٠ وكتاب كنوز بلقيس ص ١٢٩ .

عهدهم بلقب (مكرب) اللقب الديني الذي كان حكام سبأ يلقبون به أنفسهم في بداية عهدهم أيضاً ، وتترجم هذه الكلمة بكلمة (مقـرب) أي أن الملك المكرب يقرب من الآلهة والواسطة بينها وبـين الناس ، وأنـه لما تـوسع سلطان المكرب وتجاوز حـدود المعبد ولم يعـد حكماً دينيـاً فقط بل انصـرف الحكـم الى خـارج المعبد وصـار حكماً زمنيـاً ايضاً لقب نفسـه بلقب (ملك) ، ومن هنا صارت طبقة الملوك متأخرة عن طبقة المكربين .

وكانت الكتابة في عهد مكـربي (قتبان) تتم بشكـل حلزوني ، أي أنها تبدأ في السطر الأول من اليمين الى اليسار كالعربية اليوم ، وفي السـطر الثاني تبدأ من اليسار الى اليمـين كاللاتينيـة وهكذا ، أمـا في عهد ملوك (قتبـان) المتأخر فإنها تبدأ فقط من اليمين الى اليسار ، وكانت القاعدة الأولى ترمـز الى دوران الثور ، وهذا يعطينا دليلاً على أهمية الزراعة عندهم حتى صارت تأخذ الكثير من رموزهم اليها في الكثير من أعمالهم وتماثيلهـم .

وكان نظام (قتبان) نظاماً وراثياً ينتقل من الآباء الى الأبناء ، وقد ينتقل في بعض الأحوال الى الأخوة مع وجود الأبناء ،

وتتـألف المملكة القتبـانية من (حَضَـر) وهـم سكان المـدن والقـرى ، ويُنسبـون الى مدنهم وقـراهم ، ومن أَشْعُب أي قبـائـل . ويكـون للمجتمـع كـالمدينـة أو القريـة أو القبيلة (دار ندوة) يجتمـع فيهـا للمشـاورة وتصـريف الأمـور ، وفي السلم والحرب ، وكـانت هذه المجـالس تساعـد الملك بتقـديم مشورتها ورأيها في المسائـل الخطيـرة في السلم وفي الحرب ، كـما كانت تبتّ في المسائل الأخـرى التي لا مساس لهـا بالقضـايا العـامة كـالحكم بين النـاس ، والفصل في الخصومات والمنازعات .

وهذه[٤٢] المجالس هي غير (مجالس الشعب) المسماة بـ (المزواد) والتي كانت تتكوّن من ممثلي المدن ومن رؤساء القبائل والشعاب ، وهي التي كانت تقترح

---

(٤٢) المفصل ج ٢ ص ١٩٢ .

القوانين وتضع مسودات اللوائح لعرضها على الملك للموافقة عليهـا وتوقيعهـا واعلانها للناس بصورة ارادة أو امر ملكي كما يُعمَل الآن باسم الملك أو باسم الدولة أياً كان نوعها .

وكانت[٤٣] العادة في (قتبان) تقضي بأن يُذكَر عند اصدار القوانين والأوامر أسماء أعضاء (المزواد) والرؤساء وكبار الموظفين كما تفعل الدول الحديثة في هذا اليوم من ذكر اسم رئيس الدولة الذي يصدُرُ القانون باسمه وبأمره ، واسم رئيس الوزراء والوزراء أصحاب الاختصاص ، وذلك لاظهار موافقة المذكورين على القانون ، ودلالةً على اكتسابها على الصفة القانونية بنشر اسمائهم مع اسم الملك أو الرئيس .

كما وضعت دولة قتبان الأنظمة الخاصة بشؤون الجباية والضرائب ، وفرضت نفسها على التجارة فجعلت أمر الاستيراد والتصدير في يدها ، ونظَّمت العلاقة بين الدولة والناس ، ثم بين الناس بعضهم مع بعض ، فوضعت التعليمات الدقيقة التي تكفل سلامة اموال الدولة واموال الناس على حد سواء .

وحتّمت على بعض التجار ولا سيما التجار الآتين من خارج (قتبان) أن يتبادلوا التجارة مع مقاطعة (شَمَّر) التي كانت فيها يُعتقَد مركز استيراد وتصدير للتجارة الداخلية والخارجية ، وأن يضع كل تاجر تأميناً لتجارته لدى خزانة حكومته ، لتقوم كل حكومة بدفع الضرائب الناتجة عن هذا الاتجار الى الدولة الأخرى وتسوية الحسابات بينهما .

وقد[٤٤] جاء في ترجمة النص الخاص بهذا الموضوع والذي يعود الى الملك القتباني (شهر هلال بن يدع اب) ما يأتي :

« ومن يتجر تجارة بـ (تمنع) فعليه أن يُقدِّم (عربوناً) إلى (تمنع) وأن

---

(٤٣) نفس المصدر والجزء ص ١٩٣ .

(٤٤) المفصل ج٧ ص ٢٣١ . .

يكون مقيماً بـ (شمر) ، وان آثر (قتبان) محلاً لإتجاره وأراد أن يتجوّل ليشتري فعليه أن يشتري من (شمَّر) .

كما جاء في النص جملة مصطلحات والفاظ لها معانٍ تجاريـة الى اليوم ، مثل (يشط) أي يتاجر ، إلا أنها تستعمل اليوم بلفظ يشتاط أي يشتري ، وفي شراء الحبوب خاصة ، ومثل (يُعرِب) أي يقدم عربوناً .

وقد[٤٥] سجل الملك القتباني قوانينه التجارية هذه وغيـرها عـلى نصب حجري في وسط مدينة (تمنع) ما يزال قائماً تغطيه الكتابة من جهاته الأربع غير أن جهتين منها اختفت كتاباتها تقريباً ، وقد قـام (بيستون) مؤخـراً بدراسـة جديدة للنقش المذكور اقتضت منـه اعادة تـركيب بعض اجزائـه وتقسيمه الى فقرات ومواد بلغت الأثني عشر وتدور حول قاعدتين عامتين :

الأولى : تركيز التجارة وحصرهـا في الموضـع المسمى (شمر) وحضـر عمليـات البيع والشـراء ليلاً ، كـل ذلك لضمـان جبايـة الضرائب والـرسوم المفروضة على التجارة .

والقاعدة الثانية ، تفضيل التجار ، من ابناء قتبان الأصليين على غيرهـم ، وفرض رسوم اضافية على غير القتبـانيين ، وكـما ذكر[٤٦] الـدكتور (نيكلوس رودو كاناكيس) أنّ نقش الباحث (جلازر) رقم (١٦٠٦) يرجع الى العصر الملكي القتبـاني ، وذلك النقش هـو الذي قـدّم لنا بعض المعلومـات الخاصـة بالتشريع والإدارة في تلك البلاد ، مضيفاً الى ذلك قوله : « والحقيقة التي يجب أن نسـلم بهـا مقدماً هي أن تلك البلاد عرفت نـظاماً يتكـوّن من مجالس تمثـل الشعب تمثيلاً نيابياً » . ثم ذكر نحو ما سبق ذكره عن المجالس القبلية التي تمثل القبائل المختلفة في الهيئات التشريعية المتعددة ، وإن ادارة البلاد كانت بيدها ،

---

(٤٥) بافقيه في (تأريخ اليمن القديم) ص ٤٤ .

(٤٦) في الفصل الذي عُقد له بكتاب (التأريـخ العربي القـديم) بعنوان (الحيـاة العامـة للدول العربية الجنوبية) ص ١٣٢ .

وانه ربما كان المَجْمَع القبلي يعقد جلساته مرتين في العام وفي عاصمة الدولة ، وأنه كان يُوجَد ممثلون لأصحاب الأراضي الخصبة ، والقبائل المنضمة اليها وسكان المزارع والمراعي ، وأنه كانت تمثلها طبقة السادة صاحبة الامتياز (مسود) . وعدد كبير من بين أصحاب الأملاك (طبن) .

وذكر ان المجالس الاستشارية كانت مكونة من سائر القبائل ، ولم يحرم منها إلا الرقيق ، الذين كانوا يعملون في الأرض (أدوم) ، وأنّ المشاورات كانت تنتهي عادةً بالموافقة على المواضيع المعروضة ، وأن القرارات التي تُتَّخذ تُبَلَّغ عادة الى القبائل ، كما ان تلك القرارات تستتبع اصدار قوانين خاصة بتنظيم استئجار الأراضي والعقارات ودفع الضرائب ، وهذه القوانين الزراعية ، كانت الأساس الذي بُني عليه نظام الدولة فيما بعد .

أما الاجتماع الآخر للقبائل فكان الغرض منه الموافقة على هذه القوانين.

وأضاف الدكتور (نيكلوس[٤٧] رودو كاناكيس) انه كان يُوجَد الى جانب هذه النظم التشريعية نظم اخرى ادارية كانت تعالج ادارة الأرض وتأجيرها ، والشروط اللازمة عند كل حالة أو مجموعة من الحالات، وأن جميع القرارات كانت تصدر اجابةً لرغبة ملكيةٍ ومتفقةً مع توجيهاته الخاصة . وأن اجتماع ممثلي القبائل كان يقرره مرسوم ملكي ، وانه لذلك من الصواب ان نطلق على هذا المجلس الاستشاري لفظ (المجلس الاستشاري للدولة) وهو يتكوّن من الملك ويُذكَر في الصدر ويشترك في المشاورات ، ومن أشراف أصحاب الأملاك (مسود) ومن طائفتين أخريين قد تمثلان أصحاب الأملاك أو موظفين ، وهذا المجلس الاستشاري له حق اصدار القوانين باسم الملك ، سواء القانون الذي يصدر ويشترك الملك في اصداره ، أو تلك القوانين التي يصدرها المجمع القبلي (مجلس القبائل) .

وقال : « فهذا نوع من الرسميات التي يفرضها حاكم البلاد عن طريق

---

(٤٧) التاريخ العربي القديم ، ص ١٣٤ .

المجلس الاستشاري للدولة الذي كان له الحق في الهيمنة على الدولة ، بخلاف المجلس الذي يعقده ممثلو القبائل ».

ولاحظ ان صدور القوانين من مجلس القبائل ومجلس الدولة الاستشاري باسم الملك عامل من عوامل تقوية الروابط بين الملك والشعب ، كما لاحظ أيضاً ان المجلس الاستشاري للدولة كان من حقه أيضاً الى جانب اصدار القوانين استغلال القوانين القديمة ومراعاتها ، وتنظيم استخدامها ، وكان يُعلنها باسم الملك ، ويحل المجلس الاستشاري محل المجلس القبلي ، ويشرف على تطبيق القوانين على الأرض واقرارها ، كما كان من حقه أيضاً اصدار العفو عن المحكوم عليهم ، وكان هذا العفو كلياً أو جزئياً .

وبهذا نتبينّ أنّ (المجلس الاستشاري) الذي كان يتكوّن من الملك ومن كبار الملاك ومن عامة الملاك والموظفين عن طريق ممثليهم كانت له اختصاصات هامة في الدولة ، بل وكان هو المهيمن على الدولة ، وكان يتمتع بصلاحيات واختصاصات واسعة ، وغالباً ما كان دور الملك معه دور الموجه والذي لا يملك غالباً إلا ان يوافق على ما يقره المجلس الاستشاري ، وليس ذكر (الملك) في صدر القوانين الصادرة من المجلس إلا نوع من الرسميات وعامل من عوامل تقوية الروابط بين الملك والشعب الذي يمثله المجلس الاستشاري ويمثله المجلس القبلي الذي كان يُعنَى بصفة خاصة بشؤون الأرض والزراع واصدار القوانين الخاصة بذلك ، ويشترك في الأمور التي تتصل بسياسة البلاد الخارجية أو غيرها مما يتحتم على جميع المجالس التشريعية أن تشترك في بحثها واتخاذ القرارات اللازمة بشأنها ، وهذا ما اشار اليه الدكتور[٤٨] (نيكلوس) استناداً الى وثيقة (جلازر) التي نحن بصددها من انه ظهر أن (مجالس القبائل) كانت تجتمع عندما يظهر في الجو السياسي أسباب تتصل : بسياسة البلاد الخارجية ، أو اظهار رغبة في ادخال تغيير شامل على النظام الاقتصادي للدولة ، وانه

(٤٨) نفس المصدر ص ١٣٥ .

ضماناً لسرعة تنفيذ قرارات مجلس القبائل فإنه بمجرد انتهاء جلسات مجلس القبائل كان اعداد القوانين أو تنفيذها يُوكَل الى هيئة أخرى أعضاؤ ها أقل عدداً من اعضاء الهيئة السابقة (وقدرتهم على الصياغة والتنفيذ بالطبع أكبر) .

ثم أجمل[٤٩] (نيكلوس رودو كاناكيس) ما ذكره عن تلك الهيئات بقوله : « وهكذا نجد (العرش) و(مجلس الدولة) (الرأي)و(المجلس الاستشاري) و(مجلس القبائل) يكوّنون جميعهم الحكومة » . وأضاف قوله[٥٠] : « ونتبينّ من الوثائق التي بأيدينا انه لم تكن هناك هيئات خاصة بالتشريع وأخرى بالإدارة وثالثة بالقضاء مستقلة » .

هذا وسنعرف المزيد من نظم وقوانين (قتبان) في فصل الأحوال العامة في الدول العربية الجنوبية والذي سيأتي في آخر هذا القسم الخاص بتأريخ اليمن قبل الإسلام .

---

(٤٩) نفس المصدر ص ١٣٦ .

دولة حضرموت المستقلة

وكما عاصرت دولة « قتبان » (معيناً) كذلك عاصرتها دولة (حضرموت المستقلة) أي في عهد استقلالها وقبل اندماجها في دولة (سبأ وذي ريدان) كما سنعلم .

وإن دولة(حضرموت)لتفخر على غيرها من دول العربية الجنوبية القديمة بخلود اسمها دون تغيير حتى اليوم .

أما المعلومات التأريخية عنها لدى الباحثين فإنها ما تزال ضيقة بسبب عدم الظفر بكتابات واسعة عنها ، لأنّ معظم ما عُثِر عليه من كتابات حضرمية قديمة إنما تذكر الأسماء القديمة للأفراد والقبائل ، وتتحدث عما قام به رؤساء القبائل الحضرمية وأفرادها من نذور لمعبوداتهم ، ومن ذلك مثلاً[1] : « ما كتب في اللوح النحاسي المحفوظ في المتحف البريطاني والذي عثر عليه في (شبوةْ) العاصمة الثانية لحضرموت من أنّ شخصاً وهب لإله القَمر (سين) ذهباً وبخوراً ووهبه روحه وحواسه وأبناءه وممتلكاته وذاكرة قلبه ، وكان (سين) هو لقب معبود (حضرموت) كما ان (عم) هو لقب معبود (قتبان) و(المقه) معبود (سبأ) و(ود) لقب معبود (معين) و(أوسان) و(تالب ريام) معبود (همدان) ممثلةً بمملكة (سمعى) الحاشدية الهمدانية بأقسامها كما سيأتي كل ذلك تفصيلا في موضعه من هذا الكتاب بأذن الله .

---

(١) دتلف نيلسن في التأريخ العربي القديم ص ٢٢٨ .

كما تحدثت الكتابات القديمة لحضرموت عن اسماء معبوداتهم الأخرى وما ترمز اليه من كواكب مثلها مثل غيرها من دول اليمن القديمة وتتحدث قليلاً عن اسماء ملوكهم ، دون ان يتفق الباحثون على عددهم ولا على ترتيبهم ولا على مُدَد حكمهم بل ولا على تأريخ بداية الدولة ونهايتها ، وإنّ المستقبل المقرون بالتنقيب الشامل هو وحده الكفيل بافادة الباحثين والمؤرخين عن تأريخ هذه الدولة وغيرها من دول اليمن الحضاري القديم .

وكان الملك من ملوك حضرموت كالملك من ملوك سبأ يُلَقب في بداية أمر الدولة بلقب (مكرب) الديني ، ثم تلقب بلقب (ملك) السياسي ، وكانت[٢] عاصمة دولة (حضرموت) الأولى مدينة (ميفعة) التي كانت تقع غرب (الخربة) المعروفة حالياً بـ (ريدة الرشيد) بين (ميفع) القرية الساحلية و(احور) من بلاد حضرموت وبين (ميفع) والساحل مسافة مرحلة تقريباً .

وقد عثر على كتابات عديدة تتحدث عن تحصين (ميفعة) وتسويرها ، وعن الأبراج التي اقيمت فوق السور ، ويبدو أنّ الخراب حلّ بها في القرن الرابع بعد الميلاد فيما ذهب اليه بعض الباحثين ، ولكن وجود شبوه كعاصمة ثانية لحضرموت قبل هذا التأريخ قد يدلّ على أن خراب العاصمة الأولى (ميفعة) حدث قبل ذلك .

أما العاصمة [٣] الثانية لدولة (حضرموت) فهي مدينة (شبوة) المعروفة خرائبها اليوم في منطقة شبام من بلاد حضرموت . وقد ذكرت الباحثة (جاكلين بيرين) رئيسة البعثة الإفرنسية التي نقبت في (شبوة) أن موقعها اجمل من موقع (مأرب) و(تمنع) بسبب المرتفعات التي تحيط بها كما جاء ذلك في مجلة (ريدان) العدد الأول ص (٧٥) .

كما وصفها الباحث (جاك فرانسوا-بروتون) وصفاً اكثر دقة وتفصيلاً كما

---

(٢) المفصل ج ٢ ص ١٥٨ وج ٧ ص ٢٧٤ .
(٣) المفصل ج ٢ ص ١٥٧ وص ٢٧٤ .

جاء في المجلة نفسها من صفحة (٨٩) .

ومن موانىء[٤] (حضرموت) ميناء (قنا) الذي يطل على المحيط الهندي والذي بُني على انقاضه ميناء (بير علي) في بلاد حضرموت بـالقرب من قـرية (ميفع) الساحلية آنفة الذكر ، وكـان (حصن الغراب) (عـرمويت) (عـر ماوية) قديماً هو الحصن الحارس لميناء (قنا) وكان الحصن يقوم عـلى مرتفـع يطلّ على المدخل الجنوبي للخليج الذي أُقيم فيه الميناء المذكور .

ومن[٥] موانىء حضرمـوت القديمـة ميناء (سمهـرم) المعروف اليـوم بـ (خور روري) في ظفار (عُمَان) والذي كان إحدى الأمـاكن التي نقبت فيها بعثة (مؤسسة دراسة الانسان الامريكية) برئاسة (ويندل فيلبس) .

ومن[٦] مدن (حضرموت) الشهيرة مدينة (مذاب) المعروفة اليوم باسم (الحيضة) ومن الأماكن الشهيرة في (حضرموت) حصن (انود) والذي كان يقوم بموضـع (عقلة) وكان الملك من ملوك حضـرموت لا يتـوج عند تـربعه العرش إلا في الحصن المذكور وهو يشرف على وادٍ يتصل بتلال شبوة .

أمّا بداية عهد الدولة الحضـرمية المستقلة فـالأرجح لـدى الباحثـين انها كانت في حدود عام ١٠٢٠ ق .م . وهذا ما ذهب اليه (جـون ب . فلبي) والدكتور (فريتز هومل) وغيرهما .

أما نهايتها كدولة مستقلة فإنه تكرّر فقدانها لاستقلالها ، ذلك أنه حدث أن اندمجت في مملكة (معين) بعد موت الملك الحضرمي (معديكرب) بن (أل يفع يثع) بن صدق ال) أول ملوك حضرموت على رأي (فلبي) ، وقد تولى (معديكرب) المذكور حكم حضرموت عـلى رأي (فلبي) في عام ٩٨٠ ق‌م .

---

(٤) المفصل ج ٢ ص ١٦٠ .
(٥) المفصل ج ٢ ص ١٦٤ وج٧ ص ٢٧٤ .
(٦) المفصل ج ٢ ص ١٦١ .

والذي ساعد على اندماج مملكة (حضرموت) في مملكة (معين)، بعد موت الملك الحضرمي (معديكرب) هو أنّ أولاد (معد يكرب) لم يحكموا بعده حضرموت ، وإن الملك المعيني الذي اندمجت حضرموت في معين في عهده هو (اب يدع يثع) بن (أل يثع ريام) بن (أل يفع يثع) بن (صدق أل) أي ابن أخي (معديكرب) المذكور ، واستمرت حضرموت مندمجةً في (معين) على هذا الرأي حوالي ثلاثة قرون ، وعندي أن اندماج (معين) في (حضرموت) هو الصحيح وذلك منذ عهد الملك الحضرمي (صدق الـ) أول ملوك حضرموت ورأس السلالة الثانية من سلالات ملوك (معين) لأنه وكل افراد السلالة الثانية هم حضرميون وليسوا معينيين ، الا اذا صدق تشكك[٧] الدكتور (جواد علي) في كون (صدق أل) حضرمياً فإنّ رأي اندماج حضرموت في معين سليم .

وقد عادت حضرموت الى الاستقلال في عام ٦٩٠ ق . م . واستمرت مستقلة الى عام ٥٩٠ ق . م . حيث حكمها في الفترة المذكورة مستقلين كل من (أل سمع ذبيان) بن (ملكي كرب) و (يدع أل بين) بن (سمه يفع) .

وفي عام ٥٩٠ ق . م . اندمجت (حضرموت) في (قتبان) أو (سبأ) على اختلاف بين الباحثين واستمرّت كذلك الى عام ٥٤٠ ق . م وفي هذا التأريخ اندمجت في حكومة (سبأ) وأصبحت جزءاً منها واستمرت كذلك الى عام ١٨٠ ق . م .

وفي[٨] هذا العام عادت الى الاستقلال حيث حكمها الملك الحضرمي (يدع أل بين) بن (رب شمس) الذي كوّن اسرة ملكية جديدة في (حضرموت) وأسّس مملكة حضرمية جديدة عاصمتها شبوة .

---

(٧) استكمال التأريخ العربي القديم) ص ٢٨٦ .

(٨) المفصل ج ٢ ص ١٤٨ .

ولم[٩] يكن (يدع أل بين) بن رب شمس هذا ابن ملِك ، ولا من الطبقة الارستقراطية ولا من الأذواء والكبراء ، وإنما كان من أحرار قبيلة (يهبار) ثار على السبئيين وحاربهم ، تساعده قبائل حضرمية وغير حضرمية وأخرجهم من (حضرموت) ومن مدينة (شبوة) وأقام بها ، وأعاد بنائها واتخذها عاصمةً له ، بعد أن أعلن نفسه ملكاً على حضرموت .

وقد[١٠] تحدثت كتابة وسمت بـ (فلبي ٨٤) : « أنّ (يدع أل بين) بن (رب شمس) من أحرار (يهبار) عمر مدينة (شبوة) وأقام بها بعد ان تهدمت خلال الحرب فيما يعتقد بينه وبين السبئيين ، وبنى المعبد بالحجارة ، وذلك بعد الخراب الذي حلّ به أيضاً ، وعمَّر ما تهدّم وتساقط من سورها ، وانه احتفالاً بهذه المناسبة امر بتقديم القرابين فذبح (٣٥)ثوراً و(٣٢) خروفاً و(٢٥) غزالاً و(٨) فهود وذلك في حصن (أنود) ، وتحدثت الكتابة أيضاً انه كسا جدار المعبد بطبقة من القار أو غيره ليكون أملساً من أساساته إلى شرفاته .

وقد حكم (حضرموت) مستقلة بملوكها الحضرميين من هذا التأريخ الى عام ٢٧٠ ب . م ، حيث فقدت استقلالها بصورة نهائية وذلك[١١] باندماجها في مملكة (سبأ وذي ريدان) منذ عهد الملك (شمر يرعش) رأس الطبقة الثانية من طبقات ملوك (سبأ وذي ريدان) الحميريين ، ومن ثمة صار الملك (شمر يرعش) يلقب بلقب ملك (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) وصارت المملكة تعرف بمملكة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) وبمملكة (حمير) .

قائمة ملوك حضرموت

وضع[١٢] هذه القائمة الباحث (جون . فلبي) ، كما وضع تواريخها ،

---

(٩) المفصل ج ٢ ص ١٠١ .

(١٠) المفصل ج ٢ ص ١٤٧ .

(١١) المفصل ج ٢ ص ١٤٩ .

(١٢) المفصل ج ٢ ص ١٦٧ .

وكان (فلبي) قد زار (حضرموت) وزار مناطق الآثار فيها ولا سيما موقع (شبوة) وذلك في ٨ أغسطس / آب من عام (١٩٣٦ م) .

١٠٢٠ ـ صدق الـ (أي صديق إلْ ، وهو كما عرفنا في فصل دولة (معين) أول ملوك السلالة الثانية من سلالات ملوك معين ، فهو إذاً على رأي (فلبي) ملك معين وحضرموت ، وهو ما أكده الدكتور (فؤاد حسنين في استكماله لكتاب (التاريخ[١٣] العربي القديم) .

١٠٠٠ ـ شهر علن بن صدق إلْ ، وقد انفرد اخوه الأكبر (إلْ يفع يثع) على رأي (فلبي) وغيره من الباحثين بعرش معين مستقلاً .

٩٨٠ ـ معد يكرب بن أل يفع يثع ، وقد اندمجت مملكة حضرموت في مملكة معين بعد موته ، ومرّت ثلاثة قرون وهي مندمجة في معين ، وملوكها ملوك معين وحضرموت ، وقد وردت كتابة حضرمية من أيام (معديكرب) هذا ذكر فيها اسمه واسم الملك (شهر علن بن صدق إل) ملك حضرموت ، واسم الملك المعيني (اب يدع يثع) تقرّب فيها صاحبها الى الإله (عثتر ذو قبضن) (عثتر القابض) ببناء برج موضع (خرف) وتيمّن فيها أيضاً بذكر الإله (عثتر شرقن) (عثتر الشارق) و(ود) و(نكرح) ، وتشير هذه الكتابة الى الروابط المتينة التي كانت بين العرشين ، (عرش حضرموت) و(عرش معين) وقد كان (معد يكرب) ملكاً على (حضرموت) ، وشقيقه (اب يدع يثع) ملكاً على (معين) كما عرفنا ، والصواب عندي كما أسلفت ان مملكة (معين ، هي التي اندمجت في مملكة حضرموت في هذه العصور الثلاثة اذا كان ملوكها منذ الملك (صدق إلْ) من أسرة حضرمية ، والعكس اذا كانت هذه الأسرة من سلالة معينية .

فراغ في الثلاثة القرون التي اندمجت (حضرموت) في (معين) لم يذكر الباحث ملوكاً خلالها ، اكتفاء بورود أسمائهم في تأريخ دولة (معين) .

---

(١٣) ص (١٧٤) .

٦٥٠ ق . م . أل سمع ذبيان بن ملكي كرب ، وقد عادت حضرموت في عهده الى الاستقلال ، وخلفه على حضرموت مستقلاً أيضاً الملك (يدع إلْ بين) بن سمه يفـع ، وانتهى حكمه عـلى رأي (فلبي) في عام (٥٩٠ ق . م) .

ثم اندمجت (حضرموت) بعد مـوته في (قتبـان) أو في (سبأ) (عـلى اختلاف بين الباحثين) ، واستمرّ ذلك الانـدماج حتى سنـة (١٨٠ ق . م ، ولكنه بقي ملوك حضرميون لحضرموت اصحاب نفوذ محلي .

١٨٠ ق . م ـ يد ع إلْ بين ، بن رب شمس ، ومعنى بـين المضيء ، وهذا الملك هو المؤسس لأسرة ملكية جديدة في حضرموت ، ولمملكة جديـدة عاصمتها (شبوة) ، وقد بنى[١٤] فيها قصره الملكي (بيتن شقر) بيت شقير) وجعل[١٥] (الباحث فون وزمن) (وزمان) (رب شمس) بين السنة ١٠٠ ـ ١٢٠ ق . م ، وصيّره من معاصري أوسلة رفشان) ملك (همـدان) ، وقد عرفنا في فصـل (موجـز انساب اليمنيـين ومساكنهم) ان اسم (همـدان) هو (اوسلة بن مـالـك بن زيـد) ، فـالملك (رب شمس) عـلى رأي (فـون وزمن) هـو إذاً من الملوك الحضـارمـة الـذين لم تشملهم قـائمـة (فلبي) ، ويـرى الـدكتـور (جـواد عـلي[١٦] أنـه إبن الملك (يـدع إلْ بـين بن رب شمس) .

١٦٠ ق . م ـ ال يفع ريام بن يدع إلْ بين .

١٤٠ ق . م ـ يدع اب غيلان الأول بن يدع إلْ بين .

١٢٠ ق ـ م ـ إلْ عز بن أب يدع اب غيلان .

١٠٠ ق . م ـ يـدع اب غيـلان الثـاني بن امينْمْ (امـين) ، ولم يَعُـدّ

(١٤) تاريخ اليمن القديم ص ١٤٩ .
(١٥) المفصل ج ٢ ص ١٤٧ .
(١٦) المفصل ج ٢ ص ١٥٣ .

(فلبي) والده ملكاً ، وإنما عدَّه كذلك الدكتور (فرتز هومل) في قائمته .

٨٠ ق . م - يدع الـ بين بن يـدع اب غيلان ، وقـد[١٧] ورد اسمه في كتابة ذكرت انه بنى وحصَّن سور مدينة (شبوة) ابتغـاء وجه الآلهتـين (ذات حشول) و(ذات حميم) .

فجوة على رأي (فلبي) من عام (٦٠ ق . م إلى ٣٥ ق . م . لم يعرف من حكم فيها .

٣٥ ق . م - عم ذخر ، ولم يرد اسم ابيه في الكتابات ،

١٥ ق .م - أل عـزيلط بن عم ذخر ، وكان حليفاً للملك الحميري[١٨] (ثارن يعب يهنعم) كما جاء في احد نقـوش (العقلة وقد ورد اسمه في كتابة عرفت بـ (فلبي ٨١) وجدت في عقلة كتبت بمناسبة زيارة الملك المذكور لموضع (عقلة) في طـريقـه الى حصن (انـود) ليعلن نفسـه ملكـاً عـلى عـادة ملوك حضرموت عند توليهم الملك ، وكانت الفقرة التي ذكرت الملك المذكور هكذا : (العز يلط ملك حضرموت بن عم ذخر سيراد جندلن أنـود هسلقب) أي : (العز يلط ملك حضرموت بن عم ذخر سار الى حصن انود ليتلقب بلقبه) .

٥ ق . م - علهان أو سلفان بن إلْ عز يلط .

٢٥ - ٦٥ م - (إلْ عز يلطبن الهان) وقـد[١٩] يكون هو الملك (اليازوس) الذي ذكره صاحب كتاب (بريبليس ماريس اريتريا) والذي ألف كتابه حوالي منتصف القرن الأول الميلادي ، وقد ذكر أنه ملك بلاد البخور والطيب ، وهو يعيش في عاصمته (سـابتا) (شبـوة) ويمتد سلطانـه الى (قنا) (بـير علي في حضرموت حالياً) وامتدّ كذلك إلى جزيرة (سقطرة) ، فمن الواضح ان طريق تجارة البخور الممتدّ بين (قنا) و(شبوة) كانت تحت سيطرة ملوك حضرموت ،

---

(١٧) المفصل ج ٢ ص ١٤٦ .

(١٨) تأريخ اليمن القديم ص (٥٠) .

(١٩) (فؤاد حسنين . في (الاستكمال) ص ٢٧٥ .

ويذكر (و ـ هـ . شف) ناشر هـذا الكتاب أن الملك (اليـازوس) كان بـين عامي ٣٥ ـ ٥٥ م ، وكان يعاصر (ملك سبأ وذي ريدان كرب الـ) وذلك في الفترة الممتدة بين عا مي ٤٠ ـ ٧٠ م .

٦٥ م ـ (اب يـزع) لم يذكـر اسم والده في الكتـابات التي ذكـر فيهـا اسمه .

٨٥ م ـ (يرعش اب يزع) لعله (يرعش) بن (اب يزع) .

١٠٥ م ـ (علهان الهان) ويرى (فلبي) انه منذ سنة ١٢٥ م وهي نهاية فتـرة حكم (علهـان ألهـان) وحتى سنـة ٢٩٠ م كـان الـوضـع غـامضـاً في حضـرموت ، فـلا يُعرف من حكم فيهـا ، غير انها أُخضعت نهائيـاً في العـام المـذكور ٢٩٠ م لحكم (سبـأ وذي ريدان) في عهـد ملكها (شمر يهرعش) (شمر يرعش) وصار ملوك (سبأ وذي ريدان) يُعْرَفون منذ ذلك الحين بملوك (سبـأ وذي ريدان وحضـرمـوت ويمنت) أو انها لم تنـدرج تحت لـواء (شمـر يرعش) إلا في عا م ٣٠٠ م على اختلاف بين الروايات ، ومع ذلك[٢٠] فإنه بقي نفوذ محلي للملوك حضرميين تحت حماية (شمر يرعش) المذكور ، وقـد[٢١] أدت حروبه مع حضرموت الى نزوح الكثير من أهلها عنها وإلى تهدم الكثير من مدنها ومعابدها .

هذا والملك (علهان ألهان) هو آخر ملوك حضرموت على رأي فلبي ، ولكنه ثمة ملوك حضرميون آخرون غير من ذكرهم (فلبي) ومنهم :

(صدق ذخر برن) بن ال شرح ، وقـد ورد اسمه في اللوح النحـاسي المحفـوظ في المتحف البـريـطاني والمشـار اليـه في بـدايـة هـذا الفصـل ،

---

(٢٠) المفصل ج ٢ ص ١٥٣ .

(٢١) المفصل ج ٢ ص ١٥٤ .

و(شرحب[٢٢] إل) إلا انه كان قد دخل تحت حماية ملك سبأ وذي ريدان (شمر يرعش) .

نظام الحكم في حضرموت

بالرغم[٢٣] من ان الملك في حضرموت (كغيره من ممالك اليمن القديم) كان يستمد نفوذه وقوته من حقه المقدس إلا انه كان يحكم حكماً دستورياً شورياً ، فالى جانب الملك في (حضرموت) كان يُوجَد مجلس عام ، كما أن المدن الحضرمية كانت تحكمها حكومات محلية تشبه نظام العمد في مصر ، وكان هؤلاء العمد يُعيِّنون بالانتخاب يُعاونهم مجلس من شيوخ المدينة ، أي بتعبير آخر مجلس بلدي .

أما الشعب فكان في مجموعه شعباً أرستقراطياً يؤيد نظام الطبقات ويقرّ الرق ، وكان متديناً متسامحاً يحترم المرأة ، ويقدس نظام الأسرة مخلصاً لمليكه ووطنه ، قال الدكتور فؤاد حسنين في استكماله[٢٤] لكتاب (التأريخ العربي القديم) « ويرجح أن هذا النظام الذي كان سائداً في بلاد العربية السعيدة قد نقله المعينيون الى الشمال حيث تجده عند الفينيقيين ، وعن هؤلاء أخذه بعض شعوب البحر الأبيض المتوسط ، وكثير من المدن اليونانية » .

وهذا خلاصة ما عثر عليه الباحثون من معلومات تأريخية عن مملكة (حضرموت) المستقلة وعنها اثناء فقدانها المتكرر لاستقلالها ، وحتى فقدانها النهائي للاستقلال واندماجها في مملكة سبأ وذي ريدان في عهد (شمر يرعش) كما رأينا ، وسيكشف التنقيب العلمي الشامل في آثارها معلومات أكثر عنها .

---

(٢٢) نفس المصدر والجزء ص ١٥٣ .

(٢٣) الاستكمال ص ٢٧٩ .

(٢٤) ص ٢٧٩ .

دولة أوسان

عرّف[1] الباحثون الأثريون من كتابات (قتبان) وغيرها اسم شعب يقال له (أوسان) وكانت ارضه تكوّن جزءاً من (قتبان) مثل (دهس)[2] (يافع) و(دثينة) المعروفة ، و(تبنو) و(تبنى) بلاد لحج ومناطق أخرى كانت تابعة لقتبان ، وقد كوّن شعب اوسان لنفسه حكومات مستقلة امتدت من جنوب قتبان في اتجاه البحر الأحمر حتى حضرموت ، وكانت[3] مملكة اوسان ذات أهمية ، اذ كانت تمتلك الساحل الأفريقي وتتاجر مع سكانه ، وقد كان ميناء عدن من جملة الأماكن التابعة لها .

وذكر بعض الباحثين ان عاصمة[4] اوسان قد تكون في مكان الخرائب الواسعة التي تعرف بهجر الناب في (مرخة) ، أو في مكان لم يعلم بعد في وادي مرخة ، أو تكون (المعادية) الموجودة اطلالها بالقرب من (مكيراس) في منطقة العواذل ، ويحتمل أن تكون (يشبم) في (العوالق) .

---

(١) (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) آنف الذكر ج ٢ ص ٤٩٨ .

(٢) عرف المحقق الأستاذ محمد بن علي الأكوع كما حكى ذلك عنه الأستاذ محمد عبد القادر بافقيه في كتابه (تأريخ اليمن القديم) . ص ١٨ . كلا من (دهس) و(تبني) بأنهما موضعان متاخمان لمرخة شرقي مسورة سرو مذحج ببلاد البيضاء ، وذكر بأن ثمة رأياً آخر يرى بأن (دهس) هي يافع ، و(تبني) هي لحج ، والاختلاف هو بسبب عدم استعمال هذه الأسماء دهس وتبني اليوم وإن كان وادي لحج النازل من الشمال يعرف حتى اليوم بوادي تبن ، أي ربما ان هذه التسمية له جاءت بسبب تسمية بلاد لحج قديماً بتبني وانها مشتقة منه .

(٣) المفصل ج ٢ ص ٥٠٢ .

(٤) تأريخ اليمن القديم وغيره .

أما الدكتور[٥] (فرتز هومل) فذكر شعب أوسان عند ذكره للحميريين فقال : « والحميريون هم الذين يطلق عليهم الكتّاب الكلاسيكيون اسم (هومريتيين) أي (حميريين) وهم فيما يظهر شعب أوسان القديم الذي جاء ذكره أيام المكربين (الشعب الذي نجح في القضاء على دولة الملك جدرت (جدرو) بـ (حبشتان) وهم الحبش الذين يذكرهم (أورانيوس) وكانوا يقيمون على الشاطىء الذي تنمو عليه انواع البخور ، وبلادهم هي الوطن الأصلي للحبش الأفريقيين ، وقد استوطنه السبائيون من قبل ، فالأوسانيون بناء على هذا هم من الحميريين ،وهو ما ذكره الهمداني في الجزء الثاني من الاكليل ، وهو ما سبقت الإشارة اليه في فصل (موجز انساب اليمنيين ومساكنهم) من هذا الكتاب بأنهم من نسل (ذو اوسان بن وائل بن معاوية بن يعفر بن مرة بن حضرموت بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو ابن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ) .

وكان لأوسان[٦] نشاط تجاري ، اذ كانت تتاجر مع افريقيا ، وتحكم ارضين اخرى ليست في الأصل من أوسان مثل (دهس) و(تبنو) وغيرهما مما سبقت الاشارة اليه ، وأضاف المصدر قائلاً : « واستدلّ بعض الباحثين من اطلاق مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) على الساحل الأفريقي الواقع شمال يمين (زنجبار) اسم الساحل الأوساني عليه .

على أن الأوسانيين كانوا قد حكموه ونزح بعضهم اليه فسكنه وصار تابعاً لأوسان ، ولا يمكن حدوث ذلك بالطبع لو لم يكن الأوسانيون أقوياء لهم أرض واسعة في العربية الجنوبية (اليمن) ذات عدد كبير من السكان بحيث يسمح بالاستيلاء على الساحل الأفريقي .

ويرجح العلماء زمن حكم الأوسانيين لذلك الساحل الإفريقي الى ما قبل

---

(٥) (التأريخ العربي القديم) ص ٩٣ .
(٦) المفصل ج ٢ ص ٥٠٢ .

السنة (٤٠٠ ق . م) " .

أما زمن عمر هذه المملكة فقد ذكر الباحثون بأنه لم يدم اتساع وقتها طويلاً، وان بقيت ذات كيان حتى عهد الملك (أل شيرح يحضب) ملك سبأ وذي ريدان كما سنعلم . ومع ذلك فإن المكرب الملك السبائي (كرب إل وتر) قام بمساندة حليفتيه (قتبان) و(حضرموت) في محاربة (اوسان) واستعادة المناطق التي كان الأوسانيون قد اغتصبوها منهما ، واعادتها اليهما ، والمعروف ان (كرب أل وتر) قد عاش في القرن السادس ق . م . وهذه الحقيقة بدورها تفيدنا في التقريب من تحديد بداية زمن الأوسانيين كدولة ذات قوة ونفوذ ، استطاعت الوقوف ولو لفترة محدودة من الزمن في وجه ثلاث دول تحاربها هي : (حضرموت) و(قتبان) و(سبأ) في عز مجد (سبأ) ، واستطاعت ان تقتطع قبل ذلك مناطق من مناطق نفوذ حضرموت وقتبان وتضمهما الى نفوذها ، والمستقبل المقرون بالتنقيب العلمي هو وحده الكفيل بتحديد زمن بداية ونهاية دولة اوسان ، وبالمعلومات التأريخية عنها .

ولقد بقيت (أوسان) محتفظةً بشعبها وبقليل من المناطق الأخرى بعد اندماجها في (سبأ وذي ريدان) في عهد ملكها (ال شرح يحضب) وقد حكم (أل شرح) هذا منذ عام ١٠٥ ق . م . كما سنعلم

وقد(٧) ذكر الدكتور (فرتز هومل) هذه الحرب التي [illegible]مت بين (أوسان) وبين (قتبان وحضرموت) و(سبأ) استناداً الى نش ([illegible]رواح) المعروف بنقش (النصر) والذي يرجع الى المكرب الملك السبائي (كرب إل وتر) الذي ساند قتبان وحضرموت ضد أوسان ، لما [illegible] ه النقش المذكور من الانتصارات الكبيرة التي تحققت له في حربه مع الدول والإمارات [illegible]مية المناوئة له والتي لم تخضع لحكمه ، وذلك في سبيل توحيد اليمن تحت رايته ، ومن هذه الدول (أوسان) ومن القبائل (دثينة) وغيرها من القبائل التي كانت تساند أوسان .

---

(٧) في التأريخ العربي القديم ص ٨٢ .

(نيكلوس[8] رودو كاناكيس) وأضاف : ان الدول الثلاث المتحالفة قادت حرباً ضد (أوسان) التي كانت في ذلك الوقت مستقلة ، وكانت حدودها تمتدّ من جنوب (قتبان) حتى (حضرموت) وأنّ (سبأ) تقدمت لتحطيم (أوسان) تجاه الجنوب حتى بلغت البحر الأحمر وخليج (عدن) حيث استسلمت لها (دثينة) حليفة (أوسان) وغيرها من القبائل التي كانت متعاونةً مع (أوسان)

وتحدثت[9] كتابة وسمت بـ (جلازر ١٦٠٠) عن حملة قام بها الملك (كرب الـ وتر) المذكور على جملة قبائل وامارات وحكومات صغيرة ، وانه بعد ان استولى على مدينة (شرجب) بين (نجران) و(الجوف) ساق جيوشه الى (أوسان) فقتل منها ستة عشر ألف رجل وأسر أربعين ألفاً ، واحتل اماكن أخرى لأوسان منها (دثينة) وغيرها .

ملوك أوسان

عثر الباحثون[10] الأثريون على اسماء عدد منهم وعلى تماثيل بعضهم ، بعض تلك التماثيل من الرخام ، كتب على قاعدة كل تمثال اسم الملك الذي يمثله ، وتُعَدّ تلك التماثيل من أولى تماثيل الملوك التي عُثِر عليها في اليمن ، ومن أنفس ما عُثِر عليه في شبه الجزيرة العربية ، ومن تلك التماثيل يمكن التعرف على نماذج ملابس ملوك الأوسانيين وعلى زينتهم وكيفية تنظيم شعر رؤسهم ، وعلى غير ذلك مما له علاقة بمظهر الإنسان ، وبالفن من حيث الجودة والخَلْق والتعبير عن النفس والإتقان .

والتماثيل التي عُثر عليها هي للملك الأوساني (يصدق إل فرعم) بن

---

(٨) في (التأريخ العربي القديم أيضاًص ١١٦ .
(٩) المفصل ج ٢ ص ٥٠٢ .
(١٠) المفصل ج ٢ ص ٤٩٨ .

معد إل، وللملك (زيدم) (زيد) سيلان بن معد ال) وللملك (ال سلحن) بن يصدق أل وللملك) يصدق ال فرعم شرح عث) بن معدال سلحن .

والملوك الذين[11] عثر الباحثون على اسمائهم هم :

(مرتو) وهو الذي عاصر الملك السبائي (كرب ال وتر) والترتيب كما سبقت الاشارة اليه ليس أمراً متفقاً عليه . (يصدق ال فرعم) ، بن معدال ؛ (زيدم سيلان) بن معدال ، (معدال سلحان) بن يصدق ال ، (يصدق ال فرعم شرح عث بن معدال سلحان) ، ويرى (فون وزمن) ان هذا الملك هو الملك الثاني ؛ (معد ال سلحان) بن يصدق ال فرعم شرح عث ، (يصدق ال فرعم عم يثع بن معد ال سلحان) ،(فرعم زحمين ال شرح) بن يصدق ال فرعم ، (عم يثع غيلان لحي) بن فرعم زحمين ، (يصدق ال فرعم زحمين ال شرح) .

يصدق[12] ال فرعم شرح عث بن (ودم) بن (ود) ، وقد ورد[13] اسمه في كتابة أوسانية أمرت بكتابتها امرأة اسمها (رثدت) رثدة) ، وقد جاء فيها : انها قدمت الى سيدها الملك المذكور تمثالاً من الذهب ليُحْفَظ في معبد نعمان) (المعبد الرئيسي لأوسان) ، ولا بد أن تكون هذه المرأة من الأسر الرفيعة التي كان لها شأن ومكانة ، ولعلها كانت من أسرة الملك .

وذكر اسم الملك الأوساني (يصدق إلْ فرعم شرح عث) المذكور في كتابة أوسانية أخرى تحطم اسم صاحبها ، وقد ذكرت الكتابة انه قدم تمثالاً من ذهب الى سيده (يصدق إلْ فرعم شرح عث) .

وكتابة ثالثة أمرت بكتابتها أخت الملك المذكور ، وذكرت فيها انها قدمت اليه صنماً من الذهب (صلم ذهبم) ولم تذكر المناسبة التي دعتها لتقديم ذلك .

---

(١١) المفصل ج ٢ ص ٤٩٩ ، والاستكمال ص ٢٩٨ .
(١٢) المفصل ج ٢ ص ٤٩٩ .
(١٣) نفس المصدر والجزء ص ٥٠٠ .

هذا ، وهذا التعداد لا يعني اكثر من حصر من عرف من اسمائهم دون احاطة أو ترتيب لهم أو تحديد لفترات حكمهم ، وقد يكشف التنقيب العلمي كما أشرنا عدداً آخر من ملوكهم وعن الكثير من تأريخهم وعن نظمهم وأحوالهم ، لأن دولة ذات شأن كبير كأوسان لا بدّ أن يكون لها نظام وقوانين وتأريخ حضاري مجيد .

أما الكتابات الأوسانية التي عُثِر عليها فمعظم ما جاء فيها هو نذورات الملوك والأغنياء من أفراد الشعب الأوساني لآلهتهم ، وعن اهتمامهم بالتجارة ولا سيما تجارة البخور الذي كان مادة اساسية للعبادة في ذلك العهد .

كما تحدثت كتابات أوسانية عن مذابح ومباخر ذهبية كا نت تُصنعَ من الرخام والحجر وتُغَشَّى من ظاهرها بالذهب ليُحَرَق فيها البخور قرباناً للآلهة وارضاء لها لتدرّ عليهم الخير والبركة فيما يحسبون .

وكان معبود أوسان القومي (ود) وهو اسم (معبود (معين) واسم معبدهم (نعمان) في وادي نعمان من أرض أوسان ولم يُعرف السر في تسمية معبود أوسان باسم معبود معين .

تأريخ دولة أوسان

لم يتفق الباحثون في تأريخ العربية الجنوبية (اليمن) عن تأريخ لبداية الدولة الأوسانية ، وقد علمنا أن المكرب الملك السبائي (كرب ال وتر) الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد قد حارب الأوسانيين انتصاراً لحليفتيه (قتبان) و(حضرموت) وعليه فيكون بداية الدولة الأوسانية قبل ذلك التأريخ ، علماً بأن أوسان قد اقتطعت مملكتها من مملكة (قتبان) وأنّ (قتبان) كما علمنا ايضاً قد عاشت بين القرن العاشر والقرن الثاني قبل الميلاد في اكثر آراء الباحثين .

أما نهاية الدولة الأوسانية فقد تظافرت آراء الباحثين على أن أوسان انتهت كدولة على يد ملك (سبأ وذي ريدان) (ال شرح يحضب)الذي حكم

منذ عام ١١٥ أو ١٠٥ ق . م وضمها الى مملكته[١٤] والتنقيب العلمي الشامل كفيل بتحقيق تأريخ بداية الدولة الأوسانية ونهايتها وبتأريخ الشعب الأوساني كشعب ذي حضارة ونفوذ داخل اليمن وخارجه .

تفاصيل حملات (كرب ال وتر) ضد (أوسان)

يجدر بنا أن نختتم هذا الفصل بالمزيد من تفاصيل حملات الملك السبائي (كرب أل وتر) ضد أوسان) كما نصّ على[١٥] ذلك نقش (صرواح) المعروف بنقش النصر للمزيد من التعريف بأماكن ومناطق (أوسان) فذكر النقش عن حملات (كرب أل وتر) في أوسان وغيرها انه هاجم أو ضرب (أوسان) فكان قتلاهم ستة عشر الفاً ، والسبي منهم (أو الأسرى) أربعين الفاً ، ونهب (وأسر من الجأتم الى حمن) واحرق كل مدن (أنفم) وكل مدن « جنسان) و(ذيب) ونهب أوديتها ، ونهب (نسم ذهب) (أرض مروية) (رشاي) و(جردان) ، وهاجم (دثينة) وأحرق كل مدنها ، وهاجم (تفض) ودمّرها وأحرقها ونهب أذهبها ، وهاجمهم حتى بلغ البحر وأحرق كل مدنهم التي على البحر .

وضرب (بوسر) حتى اكتسح (أوسان) و(مرتوم) ملكهم واستعبد رؤوس (مسود) أوسان . وأعمل فيهم قتلاً وسبياً وأخذ رياش (خرش) بيته أي (مرثوم) (مسور) ، وطمس كل كتابة نالت من (كرب أل) من بيته (مسور) وكتابات بيوت آلهتهم .

وأضاف المصدر[١٦] قائلاً : « هذه حملة تبدأ من ديار الأوسانيين الأصلية وهي (وسرم) كما يظهر من تكرار ذكرها والتي يُعتقد انها في نواحي وادي

---

(١٤) نفس المصدر والجزء ص ٥٠٥ .
(١٥) بافقيه في (تأريخ اليمن القديم) ص ٦٩ .
(١٦) نفس المصدر والجزء وا لصفحة .

(مرخة) (فلجأتم) التي تكون (لجية) التي ذكرها (الهمداني) في (الصفة) (ص ٩٥) . ضمن مناطق مرخة وقال عنها انها وادٍ كثير النخل والعلوب » .
وكذلك (حمان) بفتح الحاء المهملة والميم آخره نون أنقاض موضع بأعلى (مرخة) ، و(حبان) وادٍ معروف بهذا الأسم الى اليوم ساكنيه أيضاً بالمحافظة الرابعة (من محافظات دولة الشطر الجنوبي من اليمن) ، وكذلك (ذيبيه) قبيلة حميرية تسكن الى جوار (حبان) ، ولا نعرف موقع (أنفم) وكذلك (نسم) ، أمّا نسم الجوف فليست هي المقصودة ، و(رشاي) هي وادي (رشاي) الذي يصب في (وادي جردان) ، أمّا (جردان) فوادٍ معروف بين مرخة وحبان ، و(دثينة) معروفة الى اليوم بالمحافظة الثالثة ، ومنها ينطلق (كرب ال وتر) مكتسحاً المناطق الساحلية حتى نواحي (أبين) ليعود ثانية لتسوية حسابه مع (مرتوم) ملك (أوسان) فيكتسح (أوسان) القبيلة وملكها (مرتوم) ويستذلّ رقاب رؤ ساء الطبقة العليا (المسود) ، ويسلب ما حواه قصر الملك المسمى (مسور) من رياش ثمين ، ويحرص على ان يطمس كل الكتابات التي تعرّضت له (أي كرب ال وتر) بالانتقاص ، وهذه اشارة هامة لعلها تعني هزيمة سابقة ألحقتها (أوسان) بـ (كرب ال) نفسه فكان هذا الانتقام الرهيب » .

ثم ذكر نقش (النصر) الذي تحدث فيها تحدث عنه عن حملات وغزوات (الملك السبائي (كرب ال وتر) في اوسان وغيرها حملته على (دهسم) (يافع) و(تبني) و(لحج) كما سبق تعريف الأكوع لهما .

ثم ذكر النقش أيضاً حملة (كرب ال) على (كحد ذسوطم) لأنهم خانوه أو غدروا به ، و(كحد) صاحبة سوط هي غير (كحد) صاحبة (حضن) والمعروف أن الهضبة التي تشقها أودية كثيرة من بينها (وادي عرمة) تسمى (السوط) ولعل (كحد ذسوطم) كانت تسكن بتلك المنطقة كما أن لفظة (حضنم) (حضن) توحي بأن مساكن (كحد) الأخرى كانت المنخفضات التي في السهول الى الغرب من السوط ، ومن المعروف ان القبائل الكبرى تنقسم عادة الى (عليا) و(سفلى) وفقاً لأماكن اقامتها .

ومهما يكن من أمر فإن (كرب إلْ وتر) فرغ بهذه الحملة من أمر المناطق الجنوبية الوسطى والشرقية والتي عُرِفت فيما بعد بأنها ضمن مناطق حمير وولـد عم (قتبان) .

ثم ذكـر[١٧] النقش المذكـور توزيـع الملك السبـائي (كـرب ال وتـر) للمناطق التي استولى عليها في اوسان وضمهـا الى مملكته (سبـأ) والى مملكتي حليفتيه (حضرموت وقتبان) .

---

(١٧) نفس المصدر ص ٧١ .

امارة الجبانيين

ورد في تأريخ[1] (بلينوس) اسم شعب من الشعوب العربية الجنوبية ، وقال ان له عدة مدن أكبرها (ناجية) (نجية) ، و(تمنة) وانه كان في (تمنة) خمسة وستون معبداً . وقد يكون في هذا العدد شيء من المبالغة ، إلا انه يدل على ضخامة هذه المدينة وسعتها بدليل وصول اسمها الى اليونان ، بلد المؤرخ (بلينوس) المذكور ، ومبالغة هذا المؤرخ في عدد معابدها ، وذكر أن ملك (الجبانيين) لم يكن ليسمح بتصدير اللبان إلا بواسطته وبعد دفع ضريبة اليه ، وذكر ان عاصمتها تبعد عن (غزّة) بمسافة يقطعها الإنسان على ظهور الجمال في خمس وستين مرحلة ، وأنه كان يأخذ لنفسه ربع غلة المر وأنّ بيع القرفة كان محصوراً بالملك وحده .

وأضاف المصدر قائلاً[2] : « ومعارفنا عن هذا الشعب قليلة ، ويظن انه كان من الشعوب التي كانت تؤلف مملكة (قتبان) وانه استقلّ في زمن ربما لا يبعد كثيراً عن أيام (بلينوس) ، وكانت مواطِنُه بعد استقلاله في جوار القتبانيين في الجنوب الشرقي منهم بين (قتبان) و(سبأ) على بعض الآراء ، أو في غربهم على رأي (كلاسر) ويرى (كلاسر) انه عشيرة أو طائفة من القتبانيين » .

---

(١) المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٥٠٦ .

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

وأضاف المصدر[٣] ايضاً قائلاً : « ويظن بعض الباحثين انهم (جبا)، وقد ذكر الهمداني[٤] موضعاً سماه (جَبَأ) وقال فيه : « جبأ مدينة المعافر ، وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر » .

وقال : أي الهمداني[٥] : « أنّ (جبا) وأعمالها هي كورة المعافر وهي في فجوة بين جبل (صبر) وجبل (ذخر) (جبل حبشي) في وادي الضباب » .

ولم يمل (الدكتور جواد علي) في المصدر المذكور (المفصل[٥] في تاريخ العرب قبل الإسلام) الى الرأي القائل بأن امارة (الجبانيين) هي التي تعرف (بجبا) كورة المعافر والتي تقع بالقرب من مركز مديرية (المسراخ) احدى نواحي (صبر) من أعمال لواء (تعز) . ولذلك دعاهم (الجبانيين) انتظاراً للمستقبل الذي قد يرشدنا الى اسم يرد في النصوص العربية الجنوبية يكون مرادفاً للفظة المذكورة هذا ، ولم يعَرف الباحثون كيف انتهت مملكة الجبانيين ، ولكنهم يظنون انها انتهت على نحو ما انتهت به مملكة (قتبان) حيث استولت عليها (حضرموت) ثم تغلبت عليها جميعها مملكة (سبأ وذي ريدان) ولكن حتى هذا الرأي فإنه لا يستند الى دليل علمي أثري تطمئن النفس اليه ، والتنقيب العلمي كفيل بإفادتنا بالحقيقة عن ذلك .

---

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٤) في صفة جزيرة العرب ص ٥٤ .
(٥) المفصل ج ٢ ص ٥٠٧ .

أسر وقبائل يمنية

يشمل هذا الفصل عدداً من الأسر والقبائل التي كانت تكوّن مشيخات بل وامارات في ايام السبائيين ثم اندمجت جميعها في سبأ منذ انتهج المكرب الملك السبائي (كرب الـ وتر) سياسة التوسع وتوحيد اليمن والذي تم له ذلك بعد حروب كثيرة ، مع الكيانات العديدة التي كانت تتمتع بنفوذ محلي ، ويبدو انه حتى بعد دمج الملك السبائي المذكور لها في مملكته فإنه ما زال لها نفوذها المحلي المحدود إلا أنه صار أقل مما كان عليه قبل اندماجها في (سبأ) .

ولقد كانت قبيلة (فيشان) هي قبيلة السبائيين ، ولكن قبيلة (مرثد) البكيلية هي التي طغت على قبيلة (فيشان) وتكوّن من (مرثد) معظم ملوك (سبأ) وقليل منهم حاشديون كما سنعلم .

ومن[1] هذه الأسر والقبائل اليمنية التي كونت مشيخات وامارات في اليمن قبل اندماجها في (سبأ) :

سخيم ، ذو مليح ، خسا ، عقرب ، خولان وردمان، جدن ، أربعن ، بتع ، سمعى ، حملان ، يرسم ، بنو سمع ، رمس ، رأبان ، وسقران .

فأمّا قبيلة[2] (سخيم) فكانت تتمتع بمنزلة محترمة ومكانة مرموقة وكان لها ارضون تؤجرها لمن دونها من القبائل . وتعد منطقة (شبام سخيم) (شبام

---

(١) المفصل ج ٢ ص ٣٩٠ .

(٢) نفس المصدر والجزء ص ٣٩٤ .

الغراس) الموطن الرئيسي لـ (بني سخيم) وكان حصنه هو (ذو مرمر) الذي يطل على شبام الغراس وهو من بني حشيش إحدى مديريات لواء صنعاء .

وكان لبني (سخيم) سلطان واسع في شبام سخيم ، ولهم فيه (مزود) (دار ندوة) يجتمعون فيه في تصريف امورهم في السلم والحرب وكان منهم (أقوال) (اقيال) حكموا قبائل أخرى ، وقد قام رجالهم بأعمال عمرانية مثل شق الطرق وحفر قنوات ومسايل المياه ، وقد عثر على عدد من الكتابات الأثرية التي ترجع الى عهد مشيخة (سخيم هذه) في الغراز (الغراس) وغيرها ذكر فيها عدد من رؤ سائهم .

وكان لسخيم سلطان على فرع من قبيلة (سمعي) وهو الفرع الذي استقر في (حجر) من بلاد حاشد كما سيأتي عند الكلام عن (سمعي) وقد استمرّ نفوذ (سخيم المحلي) الى ايام (إل شرح يحضب) ملك سبأ وذي ريدان كما دلت على ذلك كتابة تعود الى عهد الملك المذكور .

وكان لملوك (سخيم) قصرهم الشهير في حصن ذي مرمر آنف الذكر ورد اسمه في عدد من الكتابات وقد ظلّ القصر قائماً الى عام ١٥٨٣ م حيث هدمه الوالي العثماني وبنى بحجارته مدينة جديدة (لم يذكر المصدر اسمها) .

كما كان لسخيم قصر آخر اسمه (بيت ريمان) ورد اسمه في عدد من الكتابات ، ومن سادات (بيت ريمان) القيل (شرح عثت اشوع) وابنه (مرثدم) وهما من سخيم وكانا قيلين على بطن (يرسم) من بطون سمعى الآتي ذكرها ، وقد عاصر القيلان المذكوران الملكين (ثاران يهنعم) و(ملككرب يهأمن) ملكي (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) أي ان النفوذ المحلي للسخيميين استمر الى فترة دولة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) وهي تلي فترة دولة (سبأ وذي ريدان) آنفة الذكر .

وكان (وهب أوم باذف) (وهب أوام بأذف) وشقيقه (ويدوم) من أصحاب (بيت ريمان) ومن أقيال (يرسم) التي هي من (سمعى) المكوّن لثلث (حجرم) (حجر) (كما سيأتي أيضاً عند الكلام عن (سمعى) .

وأمّا[٣] (ذو مليح) : فقد كانت قبيلة تابعة لـ (سخيم) وتقيم في (الغراز) (الغراس) من (بني الحارث) والتي يطل عليها حصن (ذي مرمر) ، ويبدو ان قبيلة (ذو مليح) كانت في الأصل من المعينيين ثم هاجرت الى (شبام سخيم) في الغراس .

وأمّا (خسا)[٤] فهي كذلك من القبائل التي ذكرت في عدد من الكتابات وكانوا نزولاً على (بني سخيم) الذين كانوا يعدونهم سادة عليهم لأنهم أصحاب الأرض .

وأمّا (عقرب)[٥] : فقد كانت أيضاً قبيلة تابعة لـ (بني سخيم) وحليفة لهم ونازلة في جوارهم ، عرف ذلك من كتاباتهم الدالة على خضوعهم لبني سخيْم مثل (ادم بن سخيم) أي (خول وخدم واتباع بني سخيم) .

ولعلّ (العقرب) هي (العقارب) التي تقيم في الجنوب اليمني ، وكانت أصلاً من أرض لحج وتابعة لها ، ثم صارت مشيخة مستقلة كسائر المشيخات والسلطنات والأمارات قبل استقلال الجنوب ، ومن العقارب (البريقة) وغيرها ،

وأمّا (خولان) و(ردمان)[٦] فهما من القبائل الكبيرة القوية وقد ذكرتا في عدد من الكتابات العربية الجنوبية ، ولمع اسماهما في عهد المعينين ، ويبدو من كتابة عثر عليها انهما كانا حليفين لسبأ ضد معين ، أو من القبائل التي عاونت سبأ ضد معين اثناء حركة (سبأ) للقضاء على (معين) .

وقد ذكرت القبيلتان معاً برغم استقلال كل عن الأخرى لاقترانهما في كثير

---

(٣) نفس المصدر والجزء ص ٣٩٧ .

(٤) نفس المصدر والجزء ص ٣٩٨ .

(٥) و(٦) الدكتور جواد علي في (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) الصفحات (٣٩٩) (٤٠٠) الجزء (٢) .

من الكتابات والنصوص ، والمراد بخولان هذه (خولان العالية) (خولان صنعاء) لا خولان قبيلة قضاعة الحميرية التي تقيم في بلاد صعدة ، كما يدل اقتران خولان وردمان في الكثير من النصوص على وجود روابط وثيقة بينهما ، ومواطن خولان هؤلاء متصلة بوطن سبأ ، والمعروف ان (صرواح) العاصمة الأولى لسبأ هي من خولان ومتصلة بها من جهة الشرق ومنطقة (مأرب) العاصمة الثانية للسبائيين من جهة الغرب .

ومن (ردمان) و (وعلان) وفي وعلان قصره الشهير بقصر (ذي معاهر) اقيال (ردمان) أو الأقيال الذين حكموا كلا من خولان وردمان في فترة من فترات عهودهم كما دلت على ذلك الكتابات .

وقد ذكر أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني في الأكليل قصر ذي معاهر وسماه (شحرار) وقال عنه : انه كان مشيداً ببلاط أحمر .

وعرّف المحققون (ردمان) هذه بأنها في بلاد السوادية من أعمال قضاء رداع لواء البيضاء ، وان عاصمتها (وعلان) ، وهي في المعسال من بلاد السوادية المذكورة وليست وعلان بلاد الروس كما قد يتوهم .

ومن اقيال (ذي معاهر) القيل (كرب اسرع) وكان من أسرة غنية لها أرضون زراعية خصبة تسقى بمياه الآبار عنيت اسرته باصلاحها وباروائها من عدة آبار حفرتها في هذه الأماكن ، وكتبت ذلك على الحجارة تسجيلاً لعملها وليكون وثيقة شرعية بامتلاكها ، كما وردت اسماء أخرى لأقيال (ذي معاهر) الذين حكموا القبيلتين (خولان) و(ردمان) ومنهم القيل (كرب اسار) والقيل (نصر يهحمد) (ناصر يحمد) ، وقد ذكر هذا في كتابة دونت بمناسبة قيامه باصلاح ارض حفر فيها آباراً وأنشأ سدوداً وزرع فيها اشجاراً اثمرت ، وبذرت حبوباً ، وسجل ذلك ملكاً خاصاً بـ (آل معاهر) وباسمه ، واعلنه للناس في شهر صيد من سنة ٤٤ من التقويم السبائي والتي تقابل سنة (٢٩ بعد الميلاد) . كما يبدو في ذكر الملك الحضرمي (العزيلط) في النص المذكور ان القيل (ناصر يحمد) قد عاصر الملك الحضرمي المذكور .

ويظهر من عدد من الكتابات المدونة في أيام (ال شرح يحضب) ملك سبأ وذي ريدان ان ارض (ردمان) وقسماً من أرض (خولان) كانت تابعة لملك حضرموت في ذلك العهد ، وأن قسماً من (خولان) كان تابعاً في نفس ذلك العهد لأقيال (جدن) أهل (حبب) (حباب) عند (صرواح) ، ومعنى هذا ان القسم الشرقي من أرض خولان الواقع جوار (اذنة) كان هو القسم التابع لـ (حضرموت) في ذلك الزمان ، وان القسم الأكبر وهو القسم الشمالي الغربي من أرض (خولان) كان تابعاً في نفس الزمان لملك سبأ وذي ريدان (ال شرح يحضب) المذكور .

أمّا (جدن)[٢٧] فإن الكتابات التي ورد اسمها فيها تدل على انها كانت قبيلة ذات حكم وسلطان ، بدليل ورود جملة (ادم جدنم) (ادم جدن) أي (خدم جدن) وذلك في كتابات دونها أُناس كانوا في خدمتهم وولائهم، وورد اسم (ذي جدن الأكبر) و(ذي جدن الأصغر) من أحفاده في انساب الحميريين أولاد الهميسع بن حمير بن سبأ كما سبق في فصل (موجز انساب اليمنيين ومساكنهم وبعض آثارهم) من هذا الكتاب ، وقد علمنا أن منطقة (خولان) عند (حباب) كانت خاضعة لـ (جدن) .

وأما (أربع) (اربعن) فقد جاء ذكرها كقبيلة كان يحكمها سادات منها ، لقب الواحد منهم بلقب (ملك) وعرف منهم (نبط ال) ذكر في نص وسم بـ (هليفي ٥) وسجله الملك السبائي (يكرب ملك يدع ال. بين) الصادر في كيفية جمع الضرائب من القبائل .

كما عرف من اسماء ملوك (اربعن) الملك (لحي عث بن سلحان) والملك (عم امن بن نبط ال) وكان هذا معاصراً للملك السبائي (يثع أمر بين) .

ولم يكن ملوك (أربع) ملوكاً كباراً بالمعنى المفهوم وإنما كانوا امراء قبيلة

---

(٢٧) نفس المصدر ج ٢ ص (٤٠٥)

وسادات قبائل تمتعوا بشيء من الاستقلال في حدود ارض قبيلتهم .

وأمّا (بتع)[8] : فقد حكمت (سبأ وذو ريدان) في فترة من فترات حكم هذه الدولة ، أي أن ملوكاً منهم حكموا (سبأ وذي ريدان) منازعين قبيلة (مرثد البكيلية) في حكمها كما سنعلم ، وبتع هذه (حاشدية همدانية)، ولذلك فإن معظم الكتابات التي تعود الى (بني بتع) عثر عليها في ارضين هي من مواطن همدان ، مثل (حاز) و(بيت غفر) و(حجت) (حجة) وغيرها من صميم أرض (بتع) في همدان وقد ذكر الهمداني مدينة (حاز) في (صفة جزيرة العرب) فقال عنها : « وحاز قرية عظيمة وبها آثار جاهلية » . وذكر أنّ (سد بتع) (الخشب) مما يصالي (حاز) » وتقع حاز في الوقت الحاضر ضمن مديرية (همدان الدنيا) (همدان صنعاء) احدى نواحي لواء صنعاء . وكانت (بتع) على ما يتبين من النصوص تتمتع بنفوذ واسع ومكانة ظاهرة ولها ارضون واسعة تؤجرها للأفخاذ والابطون من بتع ومن غير بتع ، وكان اجراؤهم يعتبرون أنفسهم اتباع (بتع) ويعبرون عن ذلك في كتاباتهم بجملة (ادم بتع) أي خول وخدم بتع ، وكان هؤلاء يذكرون أسماء اقيال (بتع) في كتاباتهم ، ومن القبائل التي كانت تابعة لـ (بتع) قبيلة (سمعى) الحاشدية كما سنعلم وقد جمع (هارتمن) اسماء أقيال بتع الذين وردت اسماؤهم في الكتابات وهم (برقم) (بارق) و(ذرح الـ يحضل) و(هوف عثت) و(لحي عثت أوكن) و(مرثد علي سعد) (مرثد عيلان اسعد) و(نشأ كرب أوتر) (ورب شمس نمران) و(سعد أوام نمران) و(سخمان يهصبح) وآخرون .

وأمّا (سمعى)[9] فكانت قبيلة حاشدية ومن اتباع قبيلة (بتع) كما عرفنا ، وقد كوّنت (سمعى) امراء لقبوا انفسهم بالملوك على نحو ما فعلت قبيلة (اربعن) ، ويظن بعض الباحثين ان (سمعى) لم تكن أصلاً

---

(٨) المفصل ج ٢ ص ٤٠٧ .

(٩) المفصل ج ٢ ص ٤٠٩ .

قبيلة حاشدية همدانية ، وإنما كانت فرقة تجمع افرادها عبادة الإله (تالب ريام) معبود همدان ، ثم اصبحت عشيرة من العشائر التي نزلت في همدان توسعت وسكنت بين (حاشد) وهو ما يعرف من (سمعي) بثلث حاشد ، وبين (حملان) وهو ما يعرف من (سمعى) بثلث حملان ، وبين (حجر) وهو ما يعرف من (سمعى) بثلث (حجر) ، وكانت سمعى تستغل الأرض التي يملكها البتعيون ، وصاروا بذلك يُعرفون بـ (سمعى حشدم) (سمعى حاشد) ، و(سمعى حملان) و (سمعى حجر) ، وكان استقلال (سمعى) بأقسامها الثلاثة استقلالاً ذاتياً مقيداً بسياسة الحكومات التي كانت خاضعة لها كدولة (سبأ وذي ريدان) .

ومن الملوك السمعيين الذين وردت أسماؤهم في الكتابات التي تم العثور عيها (يهعن ذبيان) بن يسمع ال بن سمه كرب (يهعان ذبيان) بن يسمع ال بن سمه كرب) و(سمه افق بن سمه يفع) وقد جاء اسم هذين الملكين في النص المعروف بـ (جلازر ٣٠٢) الذي افتتحه الملك (يهعان) بالدعاء الى الإله (تالب ريام) بأن ينعم عليه وعلى أولاده وعدّدهم ، وأن يبارك لهم في بيتهم (يَعُد) (يعود) وفي الأوض التي ورثوها عن الملك (أفق بن سمه يفع) وجاء في النص اسماء قبائل واسم (أملك مريب) (ملوك مأرب) و(شعبن سمع) أي قبيلة (سمعى) و(كرب ال وتر) ملك سبأ .

اماكن سمعى

كوّنت (سمعي) كما عرفنا (سمعى ثلث حاشد) القسم الشمالي أو الثلث الشمالي من امارة (سمعى) وهو القسم الذي نزل من (سمعى) في حاشد ، وعاصمتهم مدينة (ناعط) في بلاد البون من بلاد حاشد ، و(ناعط) مدينة اثرية لا تزال معالمها باقية الى اليوم . وكوّنت (سمعى) أيضاً (سمعى ثلث حملان) وهي التي نزلت في حملان في القسم الغربي من حاشد وهو يكوّن الثلث الغربي من (حاشد) يدلّ على ذلك ما ذكره الدكتور

(جواد علي)[١٠] بقوله : « ونجد بني بتـع » وهم يحكمون الثلث الغربي من دولة (سمعى حملان) وعاصمته (حـاز) وكذلـك (ماذن) ، و(مـاذن اليوم ضمن همـدان صنعاء الحـاشدية ايضاً ، ويشمـل وادي ظهر وغيـره ممـا سبق تفصيله عنـد الكـلام عن (مـاذن في فصـل (مـوجـز انسـاب اليمنيـين ومساكنهم) .

وكوّنت[١١] (سمعى) أيضاً (سمعى ثلث حجـر) وهي التي نزلت في (شبام سخيم) التي تتوفر الأدلة عـلى انه يقـع في بلاد (بني حشيش) وثمـة مـوضع في شمـال بني حشيش ما يـزال يعرف حتى اليـوم باسم (شبـام) ولما كـانت شبام سخيم تشمـل الغـراز (الغـراس) وتشمـل (حـدقـان) مـوطن اليرسميين من بني سخيم و(حدقان اليـوم كذلك من بني الحـارث المجاورة لبني حشيش ، فسمعى (ثلث حجـر) شملت أمـاكن هي اليـوم من الثـلاث المـديريـات المتجاورة ، والتي هي جميعهـا من لـواء صنعـاء : (بني حشيش) و(بني الحارث) و(همدان الدنيا) (همدان صنعاء) التي هي نسباً من حاشد الهمدانية ، وفي حاشد جمهرة (سمعى) بأقسامها الثلاثة كما عرفنا .

وأمّا (حملان)[١٢] فهم من اتباع قبيلة (بتع) ذكروا ذلك في كتـاباتهم حيث دوّنوا جملة (أدم بتع) وكذلك سمعى التي هي أصلاً من اتباع (بتـع) والتي نزل قسم منها في (حملان) في القسم الغربي من حاشد وعرف منذ ذلك بـ (سمعى حملان) أو (بثلث سمعى حملان) كما سبق قبل هذا .

وأمّا (يرسم)[١٣] : فهم من (بني سخيم) ومن (ثلث ذي حجـر) بالذات ومن (حدقان) أي ان جزءاً من (يرسم) نزل في (ثلث حجر) من (بني سخيم) وجـزءاً منها نـزل في (حدقـان) من بلاد بني الحـارث دل على هـذا ما ورد في احـدى الكتابـات من جملة (يرسم ثلث ذحجـرم) ومن اسم

(١٠) المفصل ج ٢ ص ٤٩٤ .

(١١) المفصل ج ٢ من ص ٣٩٦ .

(١٢) نفس المصدر والجزء ص ٤١١ .

(١٣) نفس المصدر والجزء ص ٤١٢ وص ٣٩٧ .

(قول) (قيل) يدعى (عم شفق بن سروم) وكانت أرضه عند (حدقان) والقيل المذكور هو من أقيال (يرسم) .

وأمّا (بنو سمع)[١٤] (بنو سميع) فقد كانوا من أتباع قبيلة (بتع) (ادم بتع) كما يفهم من الكتابة (كاي ٣٤٣) وقد ورد فيها اسم الإله (تالب ريام) معبود (همدان) .

وأمّا (رمس)[١٥] فيظهر من الكتابات التي ورد فيها اسم هذه القبيلة انها كانت ذات شأن ورئاسة وأنها كانت تجاور قبيلة (سميع) وأنها كانت تمتلك أرضاً تؤجرها لغيرها وأن أرضها كانت تجاور ارض (سميع) .

وأمّا (رابن)[١٦] (رأبان) التي ورد اسمها في النص الموسوم بـ (جلازر ٣٠٢) وهو نص الملك (يهعان) ملك (سمعى) فهم عشيرة قديمة كانت في أيام مكربي (سبأ) وملوك (سبأ) وكانت مواطنها أرض (نهم) وأعالي الخارد ، ولكنهم تنقلوا الى مناطق اخرى بعد ذلك .

وأمّا (سقران)[١٧] فهم عشيرة تابعة لقبيلة (بتع) وتقع منازل (سقران) في منطقة (حاز) المدينة الأثرية المشهورة ، وكما وردت كتابة تدل على ان عشيرة (سقران) هم من اتباع (بتع) فقد وردت كتابة تدل على انه كان لـ (سقران) اتباع يستأجرون منهم أرضهم أو الارض التي يستأجرها السقرانيون من قبيلة (بتع) أو أن (سقران) على هذا تابعين ومتبوعين أي أن لهم منزلة اجتماعية دون (بتع) وفوق أتباعهم .

---

(١٤) نفس المصدر المفصل ج ٢ ص ٤١٣ .
(١٥) نفس المصدر والجزء ص ٤١٤ .
(١٦) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(١٧) نفس المصدر والجزء ص ٤١٥ .

دولة سبأ

علمنا في بداية فصل (موجز انساب اليمنيين ومساكنهم) من هذا الكتاب ، ان آراء المؤرخين تظافرت على ان (قحطان) بن عابر (هود) بن شالخ بن ارفشخذ بن سام بن نوح هو أصل اليمنيين الذين فرّعهم النسّابون والمؤرخون من (كهلان) و(حمير) ابني (سبأ) بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وكان أسم (سبأ) (عبد شمس) وذكروا ان لفظة (سبأ) لقب له لأنه أول من سبى في الحرب .

ولم يرد شيء في النصوص العربية الجنوبية عن اسم (سبأ) كرجل ولا عن لقبه ، وكل ما ورد فيها أن (سبأ) شعب كوّن له مملكة وترك عدداً كبيراً من الكتابات ، وانه كان يتعبّد لآلهة خاصة به ، وله حكام حاربوا غيرهم .

كما ورد ذكر (سبأ) كشعب في القرآن الكريم ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** ﴾الآية .

نعم ، نشرت[1] في كتاب (ريب ايبج) REP EPIG صورة كتابة ذكر انها حفرت على نحاس هي في مجموعة ب . لامير P. LAMARE جاء فيها

(١) المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٢٥٩ .

(عبد شمس سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) .

وأضاف المصدر(٢) قائلاً : « ولم تنشر الصورة الفوتوغرافية لأصل الكتابة ، وإنما نُشِرت كتاباتها بالأحرف اللاتينية والعبرانية ، ولم يبد المتخصصون رأياً في هذا اللوح وفي نوع كتابته وزمان الكتابة ، لذلك لا أستطيع أن أبدي رأياً فيها ما لم أقف على ذلك اللوح » وربما يكشف التنقيب العلمي عن اسم سبأ ولقبه وعن نسب ومساكن من تسلسل منه من اليمنيين مما قد يكون له صلة بما ذكره النسابون ، والمؤرخون ، من أمثال الهمداني وغيره مما نشر الكثير منه في فصل (موجز انساب اليمنيين ومساكنهم) آنف الذكر .

أمّا (سبأ) كدولة يمنية عريقة فإنها في رأي بعض الباحثين أُولى كل الدول اليمنية القديمة بما فيها (معين) . مدللين على ذلك بأن (سبأ) عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان هو جد اليمنيين بعد (قحطان) . ولورود أسم (سبأ) في القرآن الكريم دون غيره .

واذا(٣) اثبت مع ذلك التنقيب العلمي صحة ما ذهب اليه هذا الفريق من أنّ كلمة (سابا) و(سابام) الواردة في النصوص السومرية والتي تعود الى حوالي ٢٥٠٠ ق . م . تعني (سبأ) اليمنية فإنّ السبائيين يكونون أول شعب عربي جنوبي يصل خبره الى الباحثين ، ويكون الباحثون قد ارتقوا بسلالم تأريخهم الى الألف الثالثة قبل الميلاد .

أما اكثر الباحثين فيرون ان دولة (سبأ) قامت على انقاض دولة (معين) وعلى انقاض كثير من الدول اليمنية الأخرى التي عاصرت معيناً والتي قضت (سبأ) عليها وأدمجتها في دولتها ، وذلك منذ انتهجت (سبأ) سياسة التوسع كما سنعلم .

ويرى هذا الفريق ان السبائيين أول ما خلفوا المعينيين في نقل التجارة

---

(٢) و(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق ، وفي تصدير منتجات اليمن من اللبان والمر والطيب وهي المواد الأساسية للعبادة في ذلك التأريخ ، فاتسعت ثروة السبائيين ، وامتدت سيادتهم ، وتمكنوا من أن يخلفوا المعينيين في الحكم .

وقد قامت حروب بين الدولتين (سبأ) في إبّان فتوّتها ، و(معين) في مرحلة شيخوختها ، وكانت الحرب أولاً سجالاً بينهما ، ثم أتت الأيام والحوادث على (معين) وداهمها الهرم ، في حين زادت (سبأ) فتوّة وقسوة ، فشدّدت من حملتها على (معين) وسرعان ما سقطت مدن (معين) بيدها مدينة تلو أخرى ، وأخيراً سقطت الدولة المعينية في مركزها كدولة معينية موحدة ذات سيادة ونفوذ .

ولقد لاقت سياسةالتوسع التي انتهجتها (سبأ) مقاومة عنيفة من الملوك والأمراء ورؤساء الاقطاعيات الذين اصطدمت سياسة التوسع بمصالحهم واستقلالهم ، وقامت حروب لم تُخمدَ إلا بعد تضحيات جسيمة وأضرار لحقت بالجانبين ، ولكن السبائيين وحدوا اليمن تقريباً في ظل راية واحدة ومنعوا بذلك مطامع الأحباش والرومان وغيرهم مدة طويلة من الزمان .

وقد بدأت الحرب بين المعينيين والسبائيين في عهد المكرب السبائي (يثع امر وتر) . ولكنها اتسعت واستعر لهيبها بين الدولتين في عهد المكرب الملك (كرب ال وتر) آخر مكربي سبأ وأول ملوكهم ، وهو الذي انتهج سياسة التوسع ، وصاحب نقش (صرواح) الكبير المعروف بنقش (النصر) والذي سجل فيه انتصاراته في حروبه مع الدول والامارات التي كانت معاصرة له .

وكانت الحرب الحاسمة مع (معين) حينما تغلب (كرب ال وتر) على الأوسانيين انتصاراً لحليفتيه (قتبان) و(حضرموت) ، ثم اتجه ببصره (كما يظهر من النص المذكور) نحو ثلاث مدن من مدن (معين) وهي : (نشان) (الخربة السوداء) و(كمنة) و(الهرم) فسقطت هذه المدن الثلاث بيده الواحدة تلو الأخرى .

وقد ساعد السبائيين على الانتصار على المعينيين تفكك هؤلاء حيث صار يحكم كل مدينة من مدن (معين) حاكم لقب نفسه بلقب ملك ، وأصبحت الدولة المعينية عدة حكومات لامركزية ، لم يعد للحكومة المركزية نفوذ عليها ، ويظهر ان العاصمة المعينية (قرنا) احتفظت لنفسها بالاستقلال مدة بعد سقوط المدن الثلاث المذكورة مع الاعتراف منها لملك (سبأ) بالسيادة عليها ، وتسليم الأتاوة اليه ، ثم سقطت هي اخيراً بيد السبائيين ، وقد استفيد من آثار ملك (سبأ) (كرب الـ وتر) المذكور انه كان رجل فتح وحرب ، كما كان رجل دولة وانشاء وتعمير .

أما نقش (النصر) المذكور فإنه يغطي وجهي جدار شيد من المرمر في بهو معبد (صرواح) في منطقة (الخربة) احدى المناطق الأثرية الثلاث في صرواح ، وهو النقش الذي يُعدّ أطول وأهم نقش أثري للسبائيين وغيرهم عثر عليه حتى اليوم ، وبعض هذا النقش ظاهر معرض للعبث به وقد طمس أوله ، والبعض الآخر داخل اصطبل للمواشي ، واتفق العلماء على تسميته بنقش النصر لما ورد فيه من حديث مسهب عن انتصارات المكرب الملك السبائي المذكور ، وورد في النقش المذكور أيضاً بيان بأعمال التحصينات التي قام بها (كرب ال وتر) المذكور لجعل مدن مملكته قوية منيعة ، وبيان باصلاحات اخرى في الري والعمران ، حيث عدّد فيه خزانات المياه والسدود التي شيدها وأصلحها ، وحدائق النخيل التي غرسها ، وأسماء الملوك الذين دانوا لطاعته ، والممتلكات التي صادرها ، الى غير ذلك مما هو مسجل في النص المذكور .

ويبدو[٤](**كرب ال وتر**) **المكرب** الذي اصبح ملكاً بأمر الآلهة منتشياً من أول سطر في النقش الذي يسجل فيه « أحدث انتصاراته العديدة الواسعة وحدود اقطاعياته المترامية ، وذلك بعد افتتاحية قصيرة في السطرين الأول والثاني من النص يقول فيها : « إنّ الآلهة أوحت لكرب ال وتر بن ذمار علي

(٤) تأريخ اليمن القديم ص ٦٦ .

مكرب سبأ بملكه للمقة (معبود سبأ) ولسبأ يوم ان وحـدت الشعب » ويعدد ما تقرب به الى (عثتر) و (هوبس) ثم يتحدث عن تجديده لـرابطة سبـأ ، ليكونوا يداً واحدة (كأحد) ، ويشكـر الآلهة التي جـادت عليهم بالأمـطار ، ويصف الأعمال الزراعية التي قام بتنفيذها .

وكل ذلك رغم الايجاز يبين بصورة جلية وقوية شخصيـة ذلك المكـرب الملك ، وسعة نفوذه في قومه ، وإمسـاكه بـالسلطتين الـدينية والـزمنية بيـدين ثابتتين ، وإهتمـام قـومه بـالزراعـة ، وسطوة النـظام الاقطاعي القبـلي آنذاك وازدهاره .

أمّـا بقية النقش فعبـارة عن وصف لغزوات وحمـلات شنها ذلـك الملك على مناطق واسعة امتدت من (المعافر) (الحجـرية) في الغـرب (قريبـاً من البحر الأحمر) الى عرمة في الشرق من أودية حضرموت اليـوم ، ومن ساحـل أبين في الجنوب الى اطراف نجران في الشمال ،

ويمكن تقسيم النقش الى الأقسام الآتية :

حملات المكرب الملك كرب ال وتر :

١ ـ الحملة عـلى المعافـر (الحجـريـة) الأسـطر (٢ ـ ٤) في النص المعـروف بنقش النصر .

٢ ـ الحملة على أوسان الأسطر (٤ ـ ٧) .

٣ ـ الحملة على دهسم (دهس) (يافع) الأسطر (٧ ـ ٨)

٤ ـ تقسيم المناطق الأسطر (٨ ـ ١٢) .

٥ ـ الحملة عـلى كحـد ذسـوطم : من دثينـة أو جـوارهـا الأسـطر من النص المعـروف بنقش النصـر (١٣ ـ ١٤) . وهي في وادي عــرمـة مـن أوديـة حضرموت .

٦ ـ الحملة على نشن ونشق المعينيتين الأسطر (١٤ ـ ١٧) .

٧ ـ الحملة على سبل وهرم وفنن (هرم من مدن معين) الأسطر (١٨) .

٨ ـ الحملة على مهامرم وامرم وكلاهما في نجران الأسطر (١٩ ـ ٢٠) .

ولا يعبأ النص بذكر أي مبرر لهذه الحملات ، غير اننا ندرك بوضوح منذ البداية أن كرب ال وتر سعى أول ما سعى الى السيطرة على ارض المعافر في الطرف الجنوبي الغربي ، وفي الطريق الى شواطىء البحر الأحمر ، وأنّ ذلك كان قصاً لأجنحة (أوسان) التي كانت تسيطر على منافذ التجارة البحرية ، وتمهيداً لهجماته على المناطق الأخرى التي امتدت اليها أوسان بصورة أو بأخرى .

وللمكرب[٥] الملك السبائي (كرب ال وتر) المذكور نص آخر وسم بـ (ف ٣٩٤٥ ب) ذكر فيه اعماله الإنشائية والعمرانية بعد انتصاراته التي حققها ، ومنها انه سوّر عدداً من المدن من بينها : (يثل) المعينية (براقش) وباصلاح مسايل الماء حول (تمنع) في مملكة (قتبان) ، وسوّر عدداً من المدن هناك ، وانه اعطى (لولد عم) يعني (قتبان) كل مدنهم لأنهم حالفوا (المقة) (معبود سبأ القمر) و(كرب ال وتر) و(سبأ) وانه احتفظ لنفسه بمناطق زراعية واسعة ادخلها ضمن اقطاعاته ، واشترى عبيد بعض كبار الأقطاعيين ، ووسع املاك قبيلة (فيشان) (القبيلة الحاكمة في سبأ) واتمّ تعلية قصره (سلحين) في مأرب ، واضاف اصلاحات جديدة الى المساقي المتفرعة من سد مأرب من ناحية (يسرن) من وادي (اذنة) ، كما واصل الحديث عن الأراضي التي انتزعها من اصحابها الأقطاعيين ، واضافها الى اقطاعاته الكثيرة ، والأراضي الكثيرة الأخرى التي اضافها الى قبيلة (فيشان) ، وعما قدمه للإله (عثتر) في احدى المناسبات .

هذا ولقد بذّ السبائيون المعينيين في الاستفادة من الطبيعة ومياه الامطار فانشأوا السدود ، ومنها (سد مأرب العظيم) ، وحفروا الترع ، وحوّلوا الرمال الى تربة خصبة وجنان زاهرة ، كما بنوا المحافد والقصور ، وشقوا

(٥) تاريخ اليمن القديم ص ٧٥ .

الـطرق والأنفـاق ، وبـرهنـوا عـلى مقـدرة الإنسان عـلى الإبـداع ، متى اراد واستعمل عقله وسخر يده .

دوافع بناء السدود في اليمن

أما دوافع قيام اليمنيين بشكل عام ببناء السدود فمنها : عدم توفر انهار كبيرة وثابتة ، كنهر النيل في مصر ونهر بردى في سوريـا ، ونهرا دجلة والفرات في العـراق وغيرهـا في البلاد العـربية لـري الأرض الزراعيـة ، وعدم امكـان استغـلال المياه الجـوفية للري في ذلـك التأريـخ ، الى جـانب انتظام مـواسم الأمطار في اليمن ، وملائمة طبيعة الجبال في اليمن لبناء السـدود في سفوحهـا وبين مضايقها لحجز مياه الأمطار لحين الحاجة للري ، وكان بنـاء السدود هـو الحل العملي لضمان ري الأرض ، (والزراعـة في اليمن هي العمود الفقـري في الدخل القـومي) ، ولذلـك فإنّ تهـدم السدود بسبب اهمـال صيانتهـا من جراء الحروب الداخلية والخـارجية كـان من أهم عوامـل الهجرات الجمـاعية لليمنيين الى خارج اليمن لطلب الرزق ، ومن أهم عوامل انهيـار الاقتصاد في اليمن بالتالي ، وسوء الأحوال فيه ، والاستقرار هـو من ابرز عـوامل الـرخاء والأزدهار كما نعلم .

تأريخ دولة سبأ :

عرف الباحثون من النقوش التي عثروا عليها في آثار (سبأ) عن بـداية دولتهم انها كـانت في عـام (٨٠٠ ق . م) حيث ظهـر أول مكـربيهم وهـو (سمه علي) (سمهو عليا) على رأي فلبي .

انه طلع(٦) علينا (وينـدل فيلبس) بكتـاب في عـام ١٩٥٥ م حـول اعمـال البعثـة الآمـريكيـة التي رأسهـا الى اليمن ، وعن بعض النتـائـج التي توصلت اليها في دراستها لما عثرت عليه في تنقيبهـا في مأرب ومنهـا : التقويم التأريخي للعلامة الأثري كبير جيولوجيي البعثه المـذكورة (البـرايت) وجاء في التقويم ما يلي :

---

(٦) الدكتور فؤاد حسنين في استكماله لكتاب (التأريخ العربي القديم) ص ٢٨٣ .

(تأريخ ملكة سبأ التي ذكرها الكتاب المقدس (بلقيس) حوالي عام ٩٥٠ ق . م . الى آخر التقويم المذكور) .

وبناء على هذا فيكون تأريخ بداية دولة (سبأ) هو قبل عام ٨٠٠ ق . م . بل قبل تأريخ وجود الملكة (بلقيس) على اساس أنها ليست أول ملك سبائي .

وقد تناول الموضوع الدكتور (فؤاد حسنين) في استكماله[٧] لكتاب (التأريخ العربي القديم) آنف الذكر فقال : « واذا تركنا (ابن خلدون) الى التأريخ العربي لنتبينّ عصر حكم (سليمان) انتهينا الى النتائج الآتية :

(إنّ سليمان بن داود جلس على عرش اسرائيل حوالي عام ٩٩٧ ق . م . ومن ثمّ شيّد معبده فقصره فعلا صيته وذاعت شهرته فأقبل الزائرون يتحققون ما ترامى اليهم من عظمة (سليمان) وحكمته ، ويذهب المؤرخون الإسرائيليون في تقديرهم الزمن الذي صرفه سليمان في معبده وقصره بعشرين عاماً ، أي حوالي عام ٩٧٥ ق . م . فتكون (بلقيس قد جلست على عرش مملكة (سبأ) حوالي عام ٩٦٨ ق . م . »

وهذايفتح لنا باباً للوصول الى تأريخ عهد الملكة (بلقيس) التي لا سبيل الى انكار وجودها والتي ذكرها القرآن الكريم ولو لم يُكتشف اسمها في آثار (سبأ) حتى الآن ، والتنقيب العلمي الشامل كفيل بذلك وبالكثير من المعلومات عن تأريخها وتأريخ (سبأ) بشكل عام .

ومع هذا فإن ما ذهب اليه العلامة (البرايت) عن تأريخ ملكة (سبأ) (بلقيس) يقرّب من آراء بعض الباحثين القائلة بأنّ دولة (سبأ) عاصرت أو سبقت دولة (معين) ولَم تقم على انقاضها ، والذي استدلّ عليه اصحابه بأنه عُثِر على آثار للسبائيين متقدم على الزمن الذي حدّده أصحاب الرأي الأول لبداية دولة (معين) ولأدلة أخرى ذكرت في بداية هذا الفصل .

---

(٧) ص ٢٦٤ .

واذا كان قد ورد اسم (سبأ) في نقش سومري يرجع الى الألف الثالث قبل الميلاد (وهو المشار اليه في بداية الفصل) علمنا أن (سبأ) كشعب أو قبيلة وربما كدولة قد عاشت قبل الزمن الذي حدد كبداية لدولة (سبأ) بما يقرب من ألفي عام .

أما أول مكرب سبائي حارب (معيناً) فعلاً فهو المكرب (يثع أمر وتر) حوالي عام ٧٤٠ ق . م . وهو ثالث مكربي سبأ الذين علمت أسماؤهم وفترات حكمهم كما نعلم مما دلت عليه الكتابات السبائية التي عثر عليها حتى الآن ، ومن أبرز مكاربة سبأ الذين حاربوا (معيناً) هو المكرب (يثع امر بين) المكرب الذي بنى الجزء الثاني من جزئي (سد مأرب) .

كما انه لا خلاف بين الباحثين في ان دولة (معين) انتهت قبل نهاية دولة سبأ ، بل لقد انتهت معين كدولة و(سبأ) ما تزال في أوج عزتها ومجدها .

عموماً فإن تحديد بداية أي دولة يمنية قديمة وكذلك تحديد نهايتها بصورة قطعية لن نحصل عليه إلا من تنقيب علمي شامل يضطلع به مؤهلون يمنيون تساعدهم خبرات علمية وجهات متخصصة عالمية نرجو ان يتم ذلك في المستقبل باذن الله .

ميزة الكتابات السبائية

الكتابات السبائية التي عُثِر عليها اكثر عدداً من الكتابات المعينية والقتبانية والحضرمية وغيرها ، وهي تشاركها في قلة عدد المؤرخ منها ، ولكنه من الممكن اثبات بعض الخصائص والعلامات التي جعلت لبعض الكتابات من تأريخ بعض الحوادث السبائية بالحادث المعروف وهو حادث تلقب ملوك (سبأ) بلقب (ملوك سبأ وذي ريدان) والذي كان في عام ١١٥ ق . م ، وقد صار هذا التأريخ مبدأ للتقويم العربي ، ومع هذا فتأريخ السبائيين بالحادث المذكور لم يكن إلا في القليل من الحوادث ، أما أكثرها فما زال على الطريقة التي ألفتها دولة (سبأ) ومن سبقها من الدول ، وهو تأريخ الحادث

بشخص أو اشخاص لم يعرف الباحثون من أمر بعضهم شيئاً .

وتتميز الكتابات التي ترجع الى عهد مكربي سبأ الأوائل عن غيرها من كتابات سبأ المتأخرين بأنها حلزونية الشكل ، اي أنها تبدأ في السطر الأول من اليمين كالعربية ، وتبدأ في السطر الثاني من اليسار كاللاتينية وهكذا ، وتعرف هذه الطريقة بحلزون الثور رمز الزراعة ، كدليل على اهتمامهم بالزراعة ، كما سبق .

العاصمة الأولى صرواح

اتخذ مكاربة سبأ مدينة صرواح[٨] عاصمة لهم ، أي انها العاصمة الأولى لدولة سبأ ، وقد زارها (نزيه مؤيد العظم) في عام ١٩٣٦ م وتحدث عن رحلته تلك الى اليمن في كتاب اسماه (رحلة في بلاد العربية السعيدة) ونشره بجزأين في عام ١٩٣٨ م ، وذكر عن مدينة (صرواح) بأنها يوم زيارته لها اصبحت خربة بنيت على انقاضها قرية صغيرة ، وانه يشاهد فيها بقايا القصور القديمة والأعمدة الحجرية المنقوشة بالمسند ، وأشار الى أنّ القسم الأعظم من المباني القديمة مدفون تحت الأنقاض ، خلا أربعة قصور أو خمسة لا تزال ظاهرة على وجه الأرض ، ومنها قصر يزعم الأهلون انه كان لبلقيس وكان به عرشها ، ولذلك يعرف عندهم بقصر بلقيس .

كما زار (صرواح) الدكتور (احمد فخري) موفداً من قبل (المتحف المصري) في القاهرة ، وذكر في كتابه (اليمن ماضيها وحاضرها) ان المناطق الأثرية في وادي صرواح المستدير الشكل والمحاط بالجبال (جبال بني ضبيان من خولان الطيال) ، هي في ثلاث مناطق ، منطقة البناء وهي التي كان في مكانها السد القديم ، والمنطقة المسماة بالقصر وهي قرية حديثة العهد ، استخدموا في عمارة بعض منازلها احجار المعابد واحاطوها بسور ، والثالثة

---

(٨) تقع مدينة صرواح في سفح جبل هيلان من بلاد خولان ، على بعد نحو اربعين كيلومتر من مأرب غرباً ، وتعد صرواح من خولان ، وتعرف هذه صرواح بصرواح خولان تمييزاً لها عن صرواح ارحب وعن صرواح بني بهلول .

هي المنطقة المسماة بالخربة وفيها الآثار المهمة ، وذكر ان سكان الخربة يسكنون المعبد القديم ، وانه اينما يتجه الإنسان يرى بقايا المعبد ذات الأعمدة الجرانيتية ، وأن بعض تلك المعابد مثل (دار بلقيس) ما زال سليماً محتفظاً بسقفه الحجري ، ولا يحتاج الا الى رفع ما تكدس فوق بابه من اتربة ليصل الإنسان الى داخله » وأضاف الدكتور احمد فخري فذكر ما لاحظه لدى زيارته للمنطقة من الآثار الموجودة فيها وعن اشكالها ونقوشها .

وقد قمت بزيارة منطقة صرواح ضمن زيارتي للكثير من الآثار اليمنية في صرواح ومأرب والجوبة وحريب والجوف وغيرها في عام ١٩٦٢ م ، وتجولت داخل المعبد الكبير في صرواح ، واخذت صوراً فوتوغرافية له من خارجه (الصور ارقام ١٦ و١٧ و١٨) له وللمعابد ذات الأعمدة من داخله ، والتي ما زالت بثباتها وصمودها تتحدى الأنواء عبر آلاف السنين .

ولقد بنيت داخل المعبد الكبير هذا والذي بقي سوره المرتفع الرائع عدة بيوت سكنية للجنود وبعض الموظفين في مركز صرواح من الأحجار الأثرية ، وقد دخلت بعض تلك البيوت وصعدت الى اعلاها ، ولاحظت ان كل درجة من سلالم البيوت تلك تتكون من حجرة واحدة من الأحجار الأثرية القديمة .

العاصمة الثانية مأرب

وكما اتخذ مكاربة سبأ مدينة صرواح عاصمة أولى لهم ، فقد اتخذوا بعدها مدينة مأرب عاصمة ثانية لدولة سبأ ، وتتميز مأرب عن صرواح بموقعها الذي يتوسط طرق القوافل البرية التي تنقل التجارة من (شبوة) وميناء (قنا) (بير علي حالياً) وكلاهما من حضرموت ، ومن (عدن) و(المخا) في الجنوب ، الى (الجوف) فشمال الجزيرة العربية فالشام وغيرها .

وتقوم مدينة مأرب الحالية (صورة رقم ١٩) في سهل فسيح على مرتفع

يعتقد انه كانت تقوم عليه مدينة مأرب القديمة ،أي أن (مأرب) الحديثة بنيت في مكان مأرب القديمة ، وعلى انقاضها ، بدليل وجود آثار المدينة القديمة ، داخل وجوانب المدينة الحالية ، ومنها الأسطوانات القديمة التي كانت لبعض معابد مأرب القديمة ثم صارت في خلال العهد الإسلامي ضمن جامع اسلامي يعرف حالياً بجامع سليمان ، صورة رقم (٢٠) .

وفيها أي مأرب الحديثة بقايا سور من اللبن (الطين) كان له أربعة أبواب (الباب الرئيسي) منها في الجهة الغربية ويسمى باب المدينة ، وما زالت بقاياه موجودة ، وعلى جانبه بقايا برجين من الحجر .

أما مأرب القديمة فإن الكتابات الأثرية تحدثت بأنه كان لها بابان فقط ، في سور قوي حصين ذي ابراج يتحصن فيها المدافعون عنها ، وقد تهدم كما تهدمت هي أيضاً .

ولقد كانت مأرب[٩] في ماضيها البعيد في أوج مجدها مركز حضارة راقية وثقافة عالية ونقطة ارتكاز تجارية ومحطة استراحة لرحلات القوافل اليمنية البرية للتصدير والتوريد بين اليمن وغيره من الأمم .

ومن أهم ما كانت تصدره القوافل اليمنية منتجات اليمن من البخور والمر والعطور وغيرها من المواد التي كانت أساسية للعبادة في الزمن القديم كما أسلفت .

---

(٩) ذكر جرجي زيدان في كتابه (تأريخ التمدن الاسلامي) الجزء الأول ص (٢٧) ما نصه : (ذكر استرابو الرحالة اليوناني في القرن الأول قبل الميلاد ان مأرب كانت في زمانه مدينة عجيبة ، سقوف ابنيتها مصفحة بالذهب والعاج والأحجار الكريمة ، وفيها الأبنية الثمينة المزخرفة مما يبهر العقول ، وذلك يهوّن علينا سماع ما ذكره العرب عن (ارم ذات العماد) وأضاف (جرجي زيدان) قائلاً : « وفي اعتقادنا انهم لو بحثوا في انقاض مأرب وصنعاء وغيرهما من عواصم ملوك سبأ وحمير لعثروا على دفائن ثمينة تكشف للعالم عن تأريخ جديد لم يتوصل اليه بعد ، كما كشفت آثار وادي النيل في تأريخ الفراعنة ، وكما كشفت آثار وادي الفرات في العراق ، عن اخبار آشور وبابل ، ولا يتأتى ذلك إلا بإرسال الوفود العلمية للحفر والتنقيب » .

وكان في (مأرب) لدى زيارتي لها عام ١٩٦٢ م الكثير من التماثيل محفوظة في متحف خاص ذكر انها رميت في قعر بئر بعد سقوط (مأرب) بأيدي الملكيين بعد قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر المجيدة في العام المذكور ، وقبل استعادة الجمهورية العربية اليمنية لها .

كما يقوم في مأرب حتى اليوم الكثير من المعابد والآثار بما عليها جميعها من كتابات ونقوش سبائية وحميرية ، ومنها : آثار الدار البيضاء التي كانت تقوم الى جانب الميدان ، وهو المبنى الذي اعتقد الرحالة والباحث (جلازر) انه بني مكان قصر (سلحين) الشهير ، وآثار تلك الدار الباقية عبارة عن بعض احجار كبيرة منحوتة ما زالت تحتفظ لنفسها بالخلود وتحفظ ما عليها من كتابات ونقوش . ومنها الأعمدة الجرانيتية الكبيرة التي سدوّا ما بينها ببناء وجعلوا منها المسجد المعروف بمسجد سليمان آنف الذكر ، وعلى بعد حوالي خمسة كيلومتر جنوبياً من مأرب يقوم النصب الحجري الذي رسم عليه صورة (القمر) وهو يرمز الى معبود سبأ (المقة) أي القمر ، ويرتفع النصب نحو سبعة أمتار صورة رقم (٢١) .

وفي جنوب مأرب وعلى بعد نحو خمسة كيلومتر أيضاً يقوم معبد (العمايد) ويسمى معبد (المقة) والقائم منه خمسة أعمدة حجرية ، وبقية عمود سادس كسر القسم الأكبر منه ، ويرتفع كل عمود منها حوالي ٣٠ قدماً أي نحو عشرة امتار ، ويبلغ سمك كل عمود ٨٣ في ٦٣ سم صورة (رقم ٢٢) .

كما يربض في نفس منطقة (مأرب) وعلى بعد نحو خمسة كيلومتر أيضاً من مأرب ما يسمونه بعرش (بلقيس) أو (محرم بلقيس) صورة رقم (٢٣) .

ولدقته فسأرجع في وصفه الى ما ذكره الدكتور أحمد فخري في كتابه (اليمن ماضيها وحاضرها) استناداً الى ما كتبه عنه (ويندل فيلبس) في الكتاب الذي نشره باسم (قتبان وسبأ) وكان هو على رأس البعثة التي نقبت

في المعبد المذكور ، والتي حصرت عملها في الموقع الكائن بين الأعمدة الثمانية التي أمام المعبد وبين مدخله .

قال الدكتور[10] أحمد فخري : « محرم بلقيس يكاد يكون بيضاوي الشكل ، ولكنه منبعج قليلاً ، وأمام مدخله الرئيسي في الناحية الشمالية البحرية (الغربية) بهو ذو أعمدة على جوانبه ، وعلى بعد عشرة امتار من المدخل تقوم أعمدة ثمانية كبيرة في صف واحد ، وذلك عدا الأعمدة الصغيرة الأخرى التي كشف عنها هي وما حولها في عام ١٩٥٢ م ، وفي الجهة الشرقية من البناء نرى هيكلاً صغيراً من الحجر ذا أعمدة أربعة يظن انه كان جوسقاً (منصة) ليجلس فيها الملك اثناء الاحتفالات الدينية ، ولكن المعتقد الآن انه كان على الأرجح هيكلاً قائماً فوق بعض المقابر في ذلك المكان ، والسور الخارجي لهذا المعبد مشيداً بالأحجار المنحوتة ، وهي تتفاوت في أحجامها » الى آخر ما ذكره عن وصف السور .

وأضاف الدكتور أحمد فخري قائلاً : « وللمعبد باب جانبي آخر من الناحية الغربية ، وهو مواجه للمدينة القديمة ، وربما كان هناك طريق موصل بين الاثنين ، ومن المحتمل ان تكون هناك أبواب جانبية اخرى مغطاة الآن بالرمال التي تملأ المعبد وتغطي اسواره من الخارج ، وربما كان داخل السور حجرات أو هياكل .

وأضاف قائلاً أيضاً : « وبناء على أقدم النقوش المسطرة على الجدار الخارجي لهذا المعبد ، وهو الذي يدور تحت الإفريز في الجهة الشرقية فإنّ (يدع ال ذرح) بن سمه علي مكرب (سبأ) هو الذي بنى سور هذا المعبد المسمى (معبد أوام) ، وانه قد شيّده لإله القمر (المقة) و(يدع ال ذرح) وهو ثاني مكرب معروف حكم سبأ وعاش في القرن الثامن قبل الميلاد ، وانه هو نفسه الذي شيد المعبد الكبير في صرواح للإله نفسه ، وفي الناحية الغربية

---

(١٠) ص ١٢٥ .

من السور يوجد نقش آخر يسجل أنّ (ال شرح) بن سمه علي ذرح ملك سبأ الذي حكم في القرن السادس قبل الميلاد حوالي عام ٥٧٠ ق . م .) و(يثع امر بين بن يكرب ملك وتر) الذي حكم حوالي عام ٥٢٠ ق . م قد أتمّا بناء المعبد » .

وهناك نقوش اخرى من عصور احدث لملوك قاموا بأعمال خاصة في ذلك المعبد » وأضاف أيضاً قائلاً : « ولكن من الجدير بالذكر أن كثيراً من النقوش التي كشفت عنها حفائر البعثة الأمريكية برئاسة (ويندل فيلبس) ووجدتها قائمة في اماكنها على مقربة من باب المعبد انما يرجع تأريخها الى عصور متأخرة ، وبعضها الى القرنين الثالث والرابع م أي ان هذا المعبد ظل يؤدي وظيفته في عبادة الإله (المقة) (القمر) في مأرب مدة تقرب من ألف عام » .

ومن آثار سبأ التي عثر عليها التماثيل التي ترى صورها الفوتوغرافية بالأرقام من ٢٥ حتى ٣٨ وغيرها ، هذا وعلي ذكر انّ (يدع ال ذرح) ثاني مكاربة سبأ هو باني سور معبد أوام في مأرب ، (واذا أثبتت الأبحاث المقبلة أنّ (يدع ال ذرح) هو (حقاً) ثاني مكاربة سبأ الذين قرر الباحثون انهم سبقوا ملوك سبأ) فإنه يتبين بوضوح انّ باني هذا المعبد في مأرب يكون مكرباً قبل المكرب الثاني المذكور ، وأنّ مأرب كانت قد اتخذت عاصمة ثانية لدولة سبأ بعد صرواح منذ عهد مكاربة سبأ كما هو الراجح وليس في عهد ملوك سبأ الذين هم بعد مكاربتها ، وكما يذهب الى ذلك بعض الباحثين ، ويؤيد الرأي الأول الراجح ذكر (مأرب) في الكتابة التي ذكر فيها اسم أول مكرب (سمه عليا) (سمه علي) كما سيأتي عند ذكره في قائمة مكربي سبأ . »

بل واذا اثبتت الابحاث المقبلة في آثار سبأ أن (بلقيس) ملكة سبأ تربعت على عرشها في مأرب ، ومنه تحرك موكبها الى الملك النبي سليمان في فلسطين استجابة لدعوته في عام (٩٥٠ ق . م . كما مرّ بنا) فإن مأرب تكون قد اتخذت عاصمة ثانية لسبأ قبل عهد العشرة المكاربة لسبأ الذين عثر

على اسمائهم ، وأنّ ثمة مكاربة لسبأ قبلهم لم يعثر على اسمائهم في الكتابات الأثرية لسبأ ومنهم الملكة (بلقيس) التي لم يعثر على اسمها في كتابة اثرية حتى الآن ، والتي ذكرها القرآن دون أن يذكر هو اسمها أيضاً بقوله تعالى : ﴿ إني وجدت امرأة تملكهم ﴾ الآية .

بل ومتى اكتشف اسمها وأملكة هي أم مكربة ؟ فإن الباحثين حتماً سيعيدون النظر في لقب مكرب وملك ، وهل لقب مكرب هو حقاً قبل لقب ملك ؟ أم أنهما كانا يستعملان معاً في وقت واحد (مكرب) لقباً دينياً و(ملك) لقباً سياسياً ؟ والذي دعا الى هذا التريث هو ما دلت عليه آية ﴿ إني وجدت امرأة تملكهم ﴾ من أن لقب بلقيس هو ملكة على تقدم تأريخ وجودها على تأريخ وجود مكاربة سبأ الذين عثر على اسمائهم . وحدد الباحثون فترات عهودهم .

نظام المكربين

ان النظا م السياسي الذي كان في عهد المكربين السبائيين كان نظاماً دينياً اكثر منه سياسياً ، وكان مكوناً من قبائل ومدن وقرى ، ولكل قبيلة أو مدينة أو قرية أو أي وحدة مشابهة الهها الذي يحميها ويجمع شملها فيما يزعمون ، وعلى كل مدينة أو نحوها (كُبَر) أي كبير يقوم بجباية الضرائب العائدة للدولة وللآلهة المحلية من أهل مدينته أو منطقته ، يؤدي ما للدولة للدولة ، وما للآلهة للآلهة ، ويقوم (الكبر) ايضاً بتقديم الجنود الى الحكومة(١١) .

هذا وقد تغيّر لقب حاكم المدينة من (كبر) الى (قول) أي (قيل) في عهد ملوك (سبأ) كما تغيّر اسم المكرب في هذا العهد الى ملك .

قائمة مكربي سبأ

شغل مكاربة سبأ الذين عثر على اسمائهم ، من تأريخ بلاد العربية

(١١) سنعرف مزيداً من هذه النظم في فصل (الحياة العامة للدول العربية الجنوبية) من هذا الكتاب .

الجنوبية (اليمن) ما يقرب من قرنين من الزمان ، ثم جاء بعدهم ملوك سبأ المتقدمون والذين سبقوا ملوك سبأ وذي ريدان .

وقد وقع اختياري على قائمة (جون فلبي) التي نشرها في مؤلفه (سناد[١٢] الاسلام) وفي مجلة (ليمسون) مع اختلاف قليل بينهما سأنبه عليه في مكانه .

وقد جعل فلبي مبدأ تاريخ أول مكاربة سبأ حوالي عام ٨٠٠ ق . م . وقدر لكل مكرب على عادته عشرين عاماً في الحكم ، أي ان مدة حكم كل مكرب على رأيه تقريبي وليس على وجه التحديد ، والقائمة هي :

١ ـ[١٣] (سمهو عليا) (سمه علي) بدون لقب وبدون ذكر لأبيه . وقد جاء ذكره في كتابة وسمت بـ (١١٤٧ جلازر) ، وفي كتابة أخرى وسمت بـ (٦٢٦ جلازر أيضاً) وكلاهما كتبا على الطريقة الحلزونية التي يبدأ فيها السطر الأول من اليمين ، والسطر الثاني من اليسار وهكذا ، وتعرف هذه الطريقة بدوران الثور ، وقد ورد في الكتابة الأخيرة اسم (سبأ) و(مرب) (مأرب) و(فيشن) (فيشان) اسم قبيلة (سبأ) ولفظة (فراهو) أي سيده أي ملكه ، والضمير في لفظة (ملكه) يعود الى واضع الكتابة الذي هو غير المكرب .

وقد وردت هذه اللفظة قبل اسم (سمه علي) ، كما ورد فيه من اسماء الآلهة (عثتر) و(المقة) و(ذات بعدان) ، وذكر (مأرب) مع أول مكاربة (سبأ) دليل على انه ليس أول مكاربة سبأ ، وان الترتيب قابل للتعديل ، أو ان ثمة مكاربة قبله لم يقف الباحثون على اسمائهم ، والتنقيب العلمي الشامل كفيل بافادة الباحثين بالحقيقة الحاسمة في هذا الصدد وغيره .

٢ ـ (يدع[١٤] ال ذرح) بن سمه علي ، ومعنى ال اله أو رب أو ملك بكسر اللام .

---

(١٢) الدكتور فرتز هومل في الفصل الذي عقد له بكتاب (التأريخ العربي القديم) ص (٧٧) .
(١٣) المفصل ج ٢ ص (٢٧٢)

(١٤) نفس المصدر والجزء ص (٢٧٣) .

وهـذا المكرب هـو الذي سـوّر معبد الإلـه (المقه) في صـرواح ، لعله سور المعبد الكبير بصرواح ، وآخر في مأرب ، وقد عثر على عدد من الكتابات تـرجع الى عهـده ، ومنها الكتـابة التي وجـدت في (حـرم بلقيس) بمـأرب ، وميـزت عن غيرهـا بعلامـة (٤٨٤ جلازر) ، وتشـير جميعها الى المعـابد التي بنـاها ، وزاد فيهـا ، ومنها معبـد (اوام) (حرم بلقيس) في مـأرب ، وكون الكتابة التي وجدت في (حرم بلقيس) بمأرب في عهد هذا المكرب الثاني دليلاً آخر على انـه ليس من أوائل مكـربي سبأ ، لأن مـأرب هي العاصمـة الثانيـة لمكربي سبأ ، وأن الترتيب قابل للتعديل ، على أن تـربع الملكـة بلقيس (التي يرجع تـاريخها الى عهـد النبي (سليمان) في القـرن العاشـر ق . م .) على عرش سبأ في مأرب كما تضافرت على ذلك آراء المؤرخين دليل ايضـاً على ان هذين المكـربين الأول والثاني في رأي فلبي ليسا من أوائل مكاربة سبأ ، أو ان التاريخ الذي حدده فلبي وغيـره لحياتهـما وهو القـرن الثامن قبـل الميلاد ليس تاريخاً يقينياً ، والتنقيب العلمي الشامل هو الذي يحدد تأريخ عهدهما وغيرهما بصورة قاطعة .

والى هـذا المكرب الثـاني يرجـع معبد (معـربم) في الجوبـة ، والـذي يعرف عند أهالي المنطقة بمعبد المساجد . (صورة رقم (٣٩) .

٣ - (سمه علي ينوف)بن يدع ال ذرح ،هذا أورد اسمه (جـون فلبي) في مجلة (ليمسون) ولم يورده في (سناد الإسلام) .

٤ - (يثـع أمر وتـر) بن يدع ال ذرح ، ورد اسمـه في عـدة نصـوص كتبت على الطريقة الحلزونية في عهد مكاربـة سبأ ، ومنهـا كلمة تشـير الى انه جدد معبد الإله (هوبس) وقد وجدت الكتابة في موضع (دبـر) والكـائن في منتصف الطريق تقريباً بين مأرب ومعين في الجوف جنوب شرق (براقش) ، وهـذا يدل عـلى ان نفوذ سبـأ كان قـد تغلغل في معين في عهد هـذا المكرب المذكور ، والمعروف ان (يثع امر وتر) كان محارباً ، وانه كان من مكربي سبـأ الذين وسعوا مملكتهم على حساب مملكة معين .

٥ ـ يدع ال بين بن يثع ال وتر ، ومن أهم أعماله : تحصين وتقوية ابراج مدينة (نشق) المعينية كما دلت على ذلك الكتابات التي تعود الى عهده ، وهذا يؤكد ان السبائيين منذ عهدهم الأول كانوا قد وضعوا خطة للتوسع بالتدريج في مملكة معين حتى قضوا عليها .

٦ - يثع امر وتر بن سمه علي ينوف ، عاصر هذا المكرب الملك الآشوري (سرجون) الثاني ، ورد ذلك في كتابة تعود الى الملك سرجون المذكور ٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق . م ، وقد أفادت الكتابة انه تلقى الهدايا من عدد من الملوك ومنهم (يدع امر وتر) الملك السبائي هذا ، ولم يتوسع يدع أمر وتر) المذكور في الفتح ، بل كرس حياته مع والده المكرب (كرب ال بين) في المحافظة على السلام في البلاد التي كانت قد أمتد نفوذ الدولة السبائية اليها ، واشتهر عهدهما بالازدهار والتقدم .

٧ ـ (كرب[١٦] ال بين بن يثع امر وتر) ومن أعماله : توسيع وتحسين مدينة (نشق) المعينية آنفة الذكر . وهو[١٧] الذي دلت عليه كتابة آشورية بأنه قدم للملك الآشوري (سنحريب) الهدايا ومن جملتها احجار كريمة وعطور وغيرها .

٨ ـ (ذمار علي وتر بن كرب ال بين) وقد زاد بدوره في حدود مدينة (نشق) وأصلح أرضها المحيطة بها ، وزاد في تحسين نظم الري فيها ، وجعل ذلك وقفاً على شعب سبأ[١٨] .

٩ ـ (سمه علي ينوف بن ذمار علي وتر) . هذا المكرب هو باني سد

---

(١٥) المفصل ج ٢ ص (٢٧٥) و(٢٧٦) .

(١٦) المفصل ج ٢ ص (٢٧٩) و(٢٨٠) .

(١٧) الدكتور (فرتز هومل) في الفصل الذي عقد له في كتاب (التأريخ العربي القديم) ص ٨٧ . والدكتور جواد علي في (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) ج ٢ ص ٢٧٩ .

(١٨) المفصل ج ٢ ص ٢٨٠ .

(رحـاب) احد جـزئي (سـد مـأرب العـظيم)[19] ، كـما دلت عـلى ذلـك الكتابات التي ترجع الى عهـده ، ومنها الكتـابة الموسومـة بـ (٥١٤ جلازر) وهي وثيقة ترجع بناء هذا الجزءمنالسد الى حوالي عام ٧٥٠ ق . م .

١٠ - (يثع امر بين بن سمه علي ينوف) وهذا[20] المكرب هو باني سد (حبابض) الجزء الآخر من جزئي (سد مأرب) كما دلت على ذلك الكتابات التي ترجع الى عهده ، ولهما أعمال عمرانية أخرى ، ومنها ما دل عليـه النص الموسوم بـ (٧٧ فلبي) من أن (سمه علي ينوف بن ذمار عـلي وتر) المـذكور حصن قلعـة (حرب) (حـريب) ، وما دلت عليـه نصـوص اخـرى من ان (يثع امر بين بن سمه علي ينوف) المذكور حصن مدينة (مأرب) ببناء عـدد من الأبـراج من البلق ، وببناء بـابين للمـدينة ، وعـدد من المعابـد ، وسدي (مقران) و(متعان) واوصل مياههما الى ابين .

سد مأرب العظيم

وعلى ذكر قيام المكربين (سمه علي ينوف بن ذمار علي) وابنه (يثع امر بين) ببناء (سد مأرب العظيم) يجدر بنا ان نتعرف على شيء من طبيعة هذا السد ، وعن مسايل المياه التي تنحدر اليه ، وعـما كان عليـه بعد بنـائه وقبـل تهـدمه مستـدلين عـلى ذلك من آثـاره الدالـة عليـه ، ومن وصف الكثـير من الباحثين الذين زاروه ودرسوا ماضيه من حاضره ، أي من الآثار الباقية فيه .

تنحـدر الى بلاد مـأرب عبر مضيق اذنـة (سائلة اذنـة) بين جبـلي بلق الشمـالي والجنوبي ، ميـاه الأمطار من أوديـة بلاد رداع الشـرقية ، وبـلاد ذمار الشـرقية ، ومن جميـع بلاد الحـدأ ، ومن بلاد جهـران الشرقيـة ، ومن بـلاد خولان العالية (خولان صنعاء) وكانت تلك المياه قبل حجزها بالسد تغور في أرض مأرب الفسيحة فلا تفيد زرعـاً ولا ضرعـاً . فقام المكرب (سمه عـلي

---

(١٩) نفس المصدر المفصل ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٢٠) نفس المصدر والجزء ص ٢٨١ .

ينوف بن ذمار علي) بحجز ما بين الجبلين عند نهايتها مما يلي بلاد مأرب ، أي من الجهة الشرقية للوادي بالبناء ، فبنى ما سمي بـ (سد رحب) (رحاب) وهو البوابة اليمنى أي القائمة على يمين وادي اذنه ، حيث بني جداراً موازياً لجدار الجبل ليكون صدفاً ثانياً للبوابة اليمنى التي جعل لها عدة فتحات ، تنفذ منها المياه عند الحاجة للري ، وذلك بعد بناء الجدار الذي يسد مجرى ما بين الجبلين وهو ما عرف بسد العرم بعد اجتياح سيل العرم له .

وقد أحدث ذلك العمل الجليل للمكرب (سمه علي ينوف) المذكور تطوراً خطيراً في وسائل الري ، وجعل الأراضي صالحة لإنتاج الغلال طوال العام ، وتعرف هذه البوابة باليمنى ، لأنها قائمة في الزاوية اليمنى بين جبل بلق الجنوبي القائم على يمين وادي أذنه وبين الجدار الذي بني لحجز الماء عن المرور الى الأرض إلا من البوابة المذكورة .

ولّما لم يف هذا السد بحاجة جميع الأرض الصالحة للزراعة ، والتي كانت تعرف بأرض (يسرن) (يسران) على يمين السد وشماله والتي تمتد عشرات الكيلومترات ، فإن المكرب (سمه علي ينوف) قرر اقامة سد آخر بالزاوية الأخرى من السد ، وترك أمر تنفيذه الى ابنه (يثع امر بين) الذي أقام السد الجبار المعروف بـ (سد حبابض) من سد مأرب أيضاً ، وهو الجزء الشمالي القائم على يسار وادي أذنه المذكور الصور من رقم ٤٠ حتى ٤٣ . فمكن هذا السد كثيراً من الأراضي من الاستفادة من أكبر كمية من المياه . وبذلك حقق المكربان المذكوران أكبر عمل هندسي للري في الجزيرة العربية تأريخها .

وكلا السدين (رحاب)و(حبابض) يكوّنان (سد مأرب) .

ويرجع تأريخ بنائه الى الفترة الواقعة بين عامي[٢١] (٦٥٠ ـ ٦٣٠

---

(٢١) الدكتور فؤاد حسنين في استكماله لكتاب (التأريخ العربي القديم) ص (٢٩١) .

ق . م) أو الى تـأريخ (٧٥٠ ق . م .) كـما دلت على ذلـك الوثيقـة المهمة الموسومة عند العلماء بـ (٥١٤ جلازر) المشار اليها آنفاً .

ومع ذلك فإن المكرب (يثع امر بين) لم يشيد فقط (سد حبابض) من سد مأرب ، بل وزاد في سد رحاب طولاً وعرضاً وارتفاعاً .

واحسن وصف لـ (سد مأرب) هو ما ذكره الدكتـور (أحمد فخـري) في كتابه (اليمن[٢٢] ماضيها وحاضرها) أورده بنصه لأن في آثار السد بجزئيه (رحب)و(حبابض) مالم يعد كماكان عند زيارته له في بداية الخمسينات ، قال الدكتور أحمد فخري تحت عنوان (وصف السد) :

« تسقط كميات كبيرة من الأمـطار في مناطق كثيـرة في شـرق اليمن ، وتسـير سيولهـا في الوديـان المختلفة حتى تصـل الى منطقـة قريبـة من مأرب ، فتدخل هذه السيول متدفقة في فجوة بين الجبال ، وتعرف هـذه المنطقـة باسم جبل (بلق) والفتحة بين الجبلين باسم الضيقـة ، ولكل من جهتيهـا اسم ، فيقال بلق الأيمن ، وبلق الأيسر كما يعرف الـوادي الذي تسير فيـه تلك السيول باسم وادي اذنة » .

ويرتفع جبل بلق في تلك المنطقة ـ وهو جبـل ذو صخور بـركانيـة ـ الى علو ٣٠٠ متر تقريباً ، ويبلغ متوسط اتساع الضيقة ٢٣٠ متراً ، ولكنها تتسع في الوسط فيصبح اتساعها ٥٠٠ متر تقريباً ، ثم تضيق بعد ذلـك فلا تـزيد عن ١٩٠ متـراً تقريبـاً ، ثم تستمر النـاحيـة الشمـاليـة (أي التي عـلى يسار وادي أنـه في امتـدادهـا ، بينـما تنفـرج النـاحيـة الأخـرى ، وقـد اختار السبئيون القدماء هذا المكان لتشييد السد ، فبنـوا جداراً قـوياً يعتـرض الوادي ويوقف مياه السيول المتدفقة ، وجعلوا في النـاحيتين فتحتين احداهمـا الى اقصى اليمين ، واستغلوا ذلك الجبـل المرتفـع فلم يبنوا إلا جـداراً ضخماً واحداً ليكون صدفاً ثانياً للبوابة ، أما البوابة التي في الناحية اليسرى (الجهـة

---

(٢٢) من ص (١٣٦)

الشمالية) فهي أكبر وأعظم ، وتنقسم الى قسمين وبنوا لها جدارين كبيرين ويسيران مسافة غير قليلة ، ثم ينتهيان بحوض كبير مبني بالحجر ترى في جهاته المختلفة فتحات متعددة ، يخرج من كل منها قناة تسير لري ناحية من نواحي الوادي الفسيح .

وقال : (البوابة اليمنى) : يطلق الأهالي على هذه البوابة اسم مربط الدم ، وكانت تروي الناحية اليمنى التي ما زالت بقايا كثير من قراها ظاهرة حتى اليوم ، وكلها على يمين وادي اذنة ، وربما كان الأسم في حد ذاته ما يثبت ان تهدم السد قد حدث في هذه الناحية القريبة من مدخل الضيقة .

ونرى من الرسم المنشور هنا ان أحد جانبي الفتحة هو في صخر الجبل ، أما الناحية الأخرى فمشيدة من الحجر ، ونرى في صدفي تلك الفتحة المكان الذي كانوا يزلقون فيه كتل الأخشاب لتصريف الكميات اللازمة من المياه ، وتسير بعد ذلك في قناة عادية ، واذا نظرنا الى الرسم التقريبي (شكل رقم ٩ ، أو الى الصورة الفوتوغرافية (لوحة رقم ١٦) فإننا نرى بروزاً مثلثاً في ذلك الجدار الحجري ، وقد كان هذا البروز داخلاً في جدار السد الكبير ، وهو الجدار الذي تهدم وسبب ذلك الخراب .

وعلى الجدار الصخري لهذه الفتحة عدة نقوش ، أهمها اثنان نعرف منهما أن اسم السد هو (رحب) وان بانيه هو (سمهو علي ينوف) بن (ذمار علي) مكرب سبأ ، وانه بنى ذلك السد لأجل تسهيل الري ، وفي نص آخر نقرأ ان ابن هذا الحاكم وكان يسمى (يثع امر بين) بن سمهو على ينوف بن ذمار علي قد قام أيضاً بعمل فتحة في جبل بلق من اجل الري .

ونعرف ان كلا من سمهو علي ينوف وابنه يثع امر بين قد عاشا في القرن السابع قبل الميلاد ، ونعرف ان ثانيهما قد بنى السد المسمى (هبّاد) (حبابض) وهو اكبر من سد (رحب) وهو على الأرجح البوابة الأخرى التي على اليسار .

وما من شك في ان السد قد تهدم مرات كثيرة خلال الفترة الكبيرة التي

مضت بين تشييده في منتصف القرن السابع قبل الميلاد (حوالي عام ٦٥٠ ق . م) وبين آخر مرة أصلح فيها في عام (٥٤٢ م) ، في عهد الملك ابرهة الحبشي ، أي خلال ما يقرب من ألف ومائتي عام .

ولهذا فليس في استطاعتنا على اساس معلوماتنا الحالية ان نؤكد ان تلك المباني القائمة عند الفتحتين ترجع في تاريخها الى عهدي هذين المكربين ، أي انهما تقومان في مكانهما منذ اكثر من ٢٦٠٠ سنة ، ولكن اذا قارنا مبانيهما ومباني معبد صرواح ومعبد محرم بلقيس وكلاهما من هذا العهد ، ووضعنا في ذهننا ان تهدم ذلك السد يحدث من تصدع جداره الكبير الذي كان بين البوابتين نرى انفسنا ميالين الى الأخذ بالرأي القائل بأن مباني البوابتين القائمتين هما من ذلك العهد ، (مع افتراض حدوث بعض ترميمات فيهما) اللهم إلا اذا ظهر من الوثائق القديمة ما يثبت غير ذلك وهو ما لم يحدث حتى الآن » واضاف أيضاً قائلاً :

« وهاهي مقاييس الفتحة اليمنى :

	سم متر
عرض بوابة دخول المياه	٤,٥٥ متراً
عرض الجدار	١٢,٤٠ متراً
طول الجدار	٧٨,٨٠ متراً
اقصى ارتفاعه	١١,٠٠ متراً

البوابة اليسرى :

لتلك البوابة عينان ووراءها قناة مبنية الجوانب طولها اكثر من كيلومتر ، تنتهي بحوض كبير تتفرع منه عدة قنوات ، ونرى على مقربة من هذه البوابة انهم سدوا الناحية الجنوبية بجدار يرتكز على صخر الجبل ، ثم جعلوا في مكان مرتفع من الجدار اربع فتحات ، وذلك لتصريف أي كميات زائدة من المياه حتى لا يرتفع منسوب المياه امام السد الى حد لا يريدونه أو يؤثر على سلامة الفتحات ، أو يتعارض مع النظام المقرر لها ، وتخرج تلك المياه الزائدة الى الخارج وتنزل الى باطن الوادي .

وفي وقت من الأوقات رأوا انه لا حاجة للعينين فسدّوا واحدة منهما واكتفوا بالأخرى ، وكان يخرج من الحوض المبني بالحجر في آخر القناة الكبرى قنوات متعددة ، تبلغ فتحات بعضها نحو ثلاثة امتار ، وكلها مبنية بالحجر ، وكانت مثل البوابتين الكبيرتين تغلق بوضع كتل من الأخشاب تنزلق في فتحتين في جانبي كل بوابة .

واينما سار الانسان في اراضي وادي مأرب التي كانت منزرعة وكانت ترويها هذه القنوات العديدة ، نرى احجاراً (مباني مربعة صغيرة) يسميها الناس في الوقت الحاضر مناسح ، وهي ما بقي من آثار القناطر الصغيرة التي كانت فوق تلك القنوات أو من مباني السواقي القديمة ، ونرى من دراسة المباني التي ما زالت قائمة عند البوابتين تقدم السبائيين القدماء في فن البناء ، تقدماً يحسدهم عليه كثير من الشعوب القديمة التي كانت معاصرة لهم ، ويجب ان لا ننسى انه لكي يبنوا مثل هذه المباني قد احتاجوا الى قرون كثيرة من المران والتطور حتى وصلوا الى تلك الدرجة من السيطرة على البناء بالحجر .

وكانوا يربطون الأحجار ببعضها بواسطة قضبان قصيرة قوية من النحاس أو الرصاص ، وذلك للاستزادة من قوة البناء ، وكثيراً ما يذهب الأهالي حتى الآن ليحطموا بعض تلك الأحجار عند اللحامات ليستخرجوا تلك القضبان المعدنية لحاجتهم اليها في بعض أغراضهم ، وقد رأيت واحداً منها ، وكان اسطواني الشكل مستديراً في ناحيته وطوله ١٦ سم وقطره ٣,٥ سم ، أما المونة المستخدمة فهي في منتهى الصلابة ، ونرى بعضها عند البوابة اليسرى» . وقد[٢٣] اكد ذلك الاستاذ (أدولف جرومان) في الفصل الذي عقد له في (التأريخ العربي القديم) آنف الذكر بعنوان (الناحية الأثرية لبلاد العربية الجنوبية) حيث قال) « وكانت تتماسك عن طريق بعض

---

(٢٣) ص (١٥٢) .

الأوتاد الرصاصية التي كانت تربط المداميك عن طريق ثقوب كما لاحظ ذلك جلازر في سد مأرب » وقال أيضاً : كما كان يصب الرصاص إمعاناً في تدعيم البناء وتثبيته » .

أما[٢٤] العرم(عـرمن) كما يسمى في النصـوص وهو القسم المجتاح من السد (والذي عرف نفسه بالعرم في كتابات متأخرة فكـان عرضـه بعرض مـا بـين جبلي بلق عنـد نهاية مضيقهـما ، وكان ذلـك يبلغ ١٩٠ متراً بمـا في ذلك السدين في الزاويتين (رحب) و(حبابض) كما سلف .

قائمة ملوك سبأ

انتهى العهد الأول من عهود سبأ وهو عهد مكربي سبـأ الذين شغلوا حوالي القرنين من تاريخ سبأ بالنسبة لمن عرفت اسماؤهم وفترات عهود حياتهم بصورة تقريبية .

وكان المكرب الملك (كرب ال وتر) هو آخر المكربين وأول ملوك سبأ ، إذ أنه جمع بين لقب (مكرب) الديني ، ولقب (ملك) الدنيوي الذي اقتضاء مسلكه في توسيع بقعة سبأ على حسـاب العديـد من الممالـك والإمارات التي كانت قائمة في اليمن في بداية عهده .

أما العهد الثاني من عهود سبأ فهو العهد الذي نحن بصدد التأريخ له وهو عهد ملوك سبأ . ويبدأ هذا العهد بآخر مكربي سبـأ وأول ملوكهم (كرب ال وتر) المذكور ، وينتهي بالعهد المعروف بعهد (سبأ وذي ريدان) ، وقد استمر هذا العهد الثاني حوالي خمسة قرون ، اي انه بدأ في القرن السادس قبل الميلاد وانتهى في عام(١١٥ ق م) وهذا العام هو العام الذي حدد لبدايـة حكم الملك (ال شرح يحضب) كملك لسبأ وذي ريدان .

---

(٢٤) المفصل ج ٢ ص٢٨٧ .

ويبدأ العهد الثاني المذكور من عهود دولة سبأ بالمكرب (كرب ال وتر) كما أسلفنا ، وكان هذا المكرب الملك رجل حرب وفتح ، كما كان رجل دولة وتعمير ،وهو صاحب النص الكبير المعروف بنقش (النصر) القائم على احد اعمدة معبد صرواح ، ويعد النقش المذكور من أخطر وأهم الوثائق التأريخية القديمة التي تتعلق بأخبار (سبأ) وبأعمال هذا المكرب الملك الحربية والانشائية ، وقد افتتح النص بعبارة (هذا ما أمر بتسطيره (كرب ال وتر) بن (ذمار علي) مكرب سبأ عندما صار ملكاً ، وذلك لآلهة (المقة) (القمر) ولشعبه (شعب سبأ) ، ثم انتقل بعد فقرة الإفتتاح هذه الى تمجيد آلهته التي وحدت صفوف شعبه بأن جعلت اتباعه كتلة واحدة كالبنيان المرصوص ، فأدى واجبه على احسن وجه ، وقام بما عليه خير قيام ، لا فرق في ذلك بين كبير وصغير وبين طبقة وطبقة » .

ثم فصّل اعماله الحربية والانشائية مما ذكر قبل هذا في بداية فصل سبأ .

٢ ـ (سمه على ذرح) وربما يكون ابن المكرب الملك (كرب ال وتر)

٣ ـ (كرب ال وتر) بن سمه علي ذرح .

وقد[٢٥] ورد اسمه في النص الموسوم عند العلماء بـ (٣٧٤ كاي) ، وجاء في هذا النص ذكره وذكر اخيه الملك .

٤ ـ (ال شرح) بن سمه علي ذرح الذي اقام جدار معبد المقة من موضع الكتابة الى اعلاها ، ورمم ابراج هذا المعبد وحفر الخنادق ، ووفى بجميع النذور التي نذرها لآلهة (المقة) على ان اجاب دعاءه ، كما شكر في النص المذكور بقية آلهة سبأ وهي (عثتر) و(هوبس) و(ذات حميم) و(ذات بعدان) ،(وبعدان جبل عالٍ وواسع وبارد شتاء ويطل على مدينة اب من الشرق ، وتمجيداً لاسم والده (سمه علي ذرح) وأمر بتدوين هذه الكتابة ليطلع عليها الناس)

---

(٢٥) نفس المصدر والجزء ص (٣١٦) .

٥ ـ (يدع ال بين) بن كرب ال وتر ، وهذا[٢٦] ورد اسمه في النص الموسوم بـ (١٠٥ جلازر) وقد حمد فيه كاتبه الإله المقة (بعل أوام) أي إله معبد أوام في مأرب ، لأنه ساعده وأجاب طلبه ، كما ذكرت فيه قبيلة (فيشان) وهي قبيلة الأسرة السبائية الحاكمة كما دلت على ذلك عدة كتابات سبائية .

٦ ـ (يكرب ملك وتر بن يدع ال بين) ، وقد ورد اسمه في النص الموسوم بـ (٥١ هاليفي) جاء فيه تأييده لقانون كان قد أصدره بحياة أبيه لقبيلة سبأ وغيرها يقضي بمنحهم حق استغلال اراضي (لعلها كانت للدولة أو للمعبد) وذلك مقابل ضرائب معينة يدفعونها للدولة ، ومقابل تقديم الجنود الى الدولة في السلم والحرب .

٧ ـ (يثع امر بين) بن يكرب ملك وتر ، وقد ورد اسمه في كتابة سجلها رجل اسمه (تبع كرب) كان كاهناً وقائداً عسكرياً ، سجل فيه شكره لآلهة (سبأ) (المقة) و(عثتر) و(هوبس) و(ذات حميم) و(ذات بعدان) و(ذات غضران) لأنها أنعمت عليه ووفقته في عقد صلح بين (سبأ) و(قتبان) بعد حرب بينهما دامت خمس سنوات انتصرت فيها (قتبان) أولاً ، ثم انتصرت (سبأ) اخيراً واستعادت ارضها من (قتبان) .

٨ ـ (كرب ال وتر) بن يثع أمر بين : واليه تعود الكتابة الموسومة بـ (١٥١٧ جلازر) وهي أمر ملكي اصدره هذا الملك الى كبار الموظفين وسادات القبائل خوّلهم حق جمع الضرائب من الشعب . وبالطبع فإنهم سيكونون معينين من بين كبار الموظفين وسادات القبائل لا جميعهم .

٩ ـ (سمه علي ينوف) وقد جعله الدكتور (فرتز هومل) ابن الملك السبائي (كرب ال وتر بن يثع امر بين) وورد اسمه في النص الموسوم بـ (٤٢٢٦ ريبلج) وصاحب النص رجل اسمه (عم أمر بن معد يكرب) وقد تيمن فيه بالآلهة (المقة) و(عثتر) و(ذات حميم) و(ود) و(ذات بعدان) ،

---

(٢٦) المفصل ج ٢ ص ٣١٧ .

وذكر بعد أسماء هذه الآلهة اسمي (كرب ال وتر) و(سمه علي) .

١٠ - (ال شرح) بن سمه علي ينوف .

١١ - (يدع ال وتر بن ذمار علي بين) .

١٢ - (ذمار علي بين) بن يدع ال وتر ، وقد ورد اسمه في الكتابة الموسومة بـ (٤١٩٨ ريبلج) وصاحبها رجل من ريمان (عشيرة من (سبأ) نزحت من بلاد سبأ الى ارض معين فسكنت بالقرب من نشق في مدينة (نمران) التي تُعَرف اليوم بـ (بيت نمران) هذا وبيت نمران في بلاد الجوبة من مراد وهو بيت ذو رئاسة في القبيلة لعل لهم علاقة بـ (بيت نمران) المعينية في الزمان القديم .

وذكر في هذا النص اسماء عدد من آلهة سبأ ومن آلهة معين لاختلاط ولئك مع هؤلاء في أرض معين .

١٣ - (كرب ال وتر) بن ذمار علي بين .

١٤ - (ال كرب يهنعم) وقد ورد اسمه في الكتابة الموسومة بـ (٢٩١ جلازر) والتي ذكر فيها انه كان ملكاً على (سبأ) وان اسم ابيه (هم تسع) .

١٥ - (كرب ال وتر) وقد ورد اسمه في الكتابة الموسومة بـ (٣٠٢ جلازر) والكتابة من حدقان (في همدان الدنيا) المعروفة بهمدان صنعاء الحاشدية .

١٦ - (وهب) وربما يكونه من (سرو) وجاء اسمه في نص (٥١٧ كاي) (وهب ال يحز) ولكن ملكاً سبائياً بهذا الاسم سيأتي وهو في هذا الترتيب العشرون ، وربما يكشف المستقبل المقرون بالتنقيب العلمي المزيد عن هذا الملك السبائي (وهب) الذي نحن في صدد التأريخ له ، لأن المصادر التي بين ايدينا لم تسعفنا بالكثير من المعلومات عنه .

١٧ - (أنمار يهأمن) (يهنعم) بن وهب الـ وقد[٢٧] ورد اسمه في الكتابة

(٢٧) الدكتور جواد علي في (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) ج ٢ ص ٣٢٥ .

الموسومة بـ (٤٢٢ كاي) والتي سقط منها اسم صاحبها الذي تضرع الى الآلهة بأن تمنّ عليه بالصحة وان تبارك له في نفسه وامواله وان ترفع من منزلته ومن مقامه ومقام ملكه في أيام الملك (أنمار يهأمن) ملك سبأ بن الإله (تالب) ، ويبدو ان صاحب الكتابة كان من همدان الحاشدية التي كانت تتعبد للإله (تالب ريام) معبود همدان ، بل ربما ان الملك (انمار يهأمن) المذكور كان نفسه من قبيلة حاشد التي اغتصبت عرش سبأ من الريدانيين البكيليين في فترات قليلة من حكم دولة (ملوك سبأ) كما سيأتي ، ويؤيد هذا أنه عثر على كتابة ترجع إلى عهد الملك السبائي (أنمار يهأمن) المذكور في مدينة (حاز) وهذه المدينة تقع في همدان صنعاء الحاشدية بين عمران وثلا ، وهي مدينة أثرية فيها الكثير من الخرائب والدفائن والكتابات والنقوش وجديرة من الباحثين بالاهتمام والتنقيب ، وقد زارها السائح الألماني (راتجن) ووصف خرائبها القديمة ، وذكر بأن سكان المدينة قد استعملوا في بناء بيوتهم ومدينتهم حجارة المدينة القديمة ، وتطاولوا على آثار آبائهم وأجدادهم شأن المدن الأخرى ، وأضاف أن تلك الآثار تمثل عصوراً مختلفة مسخها الإنسان ، فقضى على كنوز ثمينة نحن في أمس الحاجة اليها .

ثم ذكر ان المدينة كانت محاطة بسور تهدم واستعملت حجارته في بناء السور الجديد والبيوت .

وقد أوردت هنا ما قاله السائح الألماني المذكور ليعرف اخواننا اليمنيون ما يقوله المستشرقون ساخرين ممن يعبث بآثار أسلافه ، ومدى تقدير الأجانب لهذه الآثار .

١٨ ـ (ذمار علي ذرح) .

١٩ ـ (نشأ كرب يهأمن) بن ذمار علي ذرح ، وقد[٢٨] ورد اسمه في كتابة جاء فيها انه قدم الى تنف (تنوف) (بعلة ذغضرن) أي الشمس النائفة في (ذي غضران) اربعة وعشرين وثناً لسلامته وسلامة بيته (سلحن) (سلحين) (قصر الدولة في مأرب) ولعافيته وعافية أهله ، ولتبعد عنه الشر

---

(٢٨) نفس المصدر والجزء ص ٣٢٧ .

وكل شر يريده له الشائنون وذلك بحق (عثتر) و(المقه) وبحق (شمسهوتنف) بعلة (ذغضرن) ، وجاء اسمه أيضاً في نص دوّنه (بنو جرت) (بلاد سنحان وبلاد الروس واليمانيتين من خولان) تقرباً الى الإله المقه (بعل أوام) (أوام معبد مأرب المسمى أيضاً محرم بلقيس وحرم بلقيس) حمداً له وشكراً على نعمه وأفضاله ، لأنه أي (المقه) الذي أسعده ومنّ عليه بالشفاء ووفى لسيدهم (نشأ كرب يهأمن) ملك سبأ بن (ذمار علي ذرح) ووفقه وانعم عليه بحاصل وافر وغلة جزيلة ، قدمت الى قصر (سلحين) في الضر (الحرب) وفي السلم ، وقدموا من أجل ذلك تمثالين من البرونز ، ووضعوهما في معبده (معبد أوام) ودعوا (المقه) بأن يبارك له ولسيدهم دوماً ، وأن يمنحه الصحة والعافية والقوة ، وأن يسعد قصره (سلحين) وكل (آدم) اتباع ملك(بني جرت) وأقيالهم ، وذلك بحق الآلهة(عثتر شرقن) (وعثتر ذي بين) و(هوبس) و(المقه) و(ذات حميم) و(ذات بعدان) وشمس ملك تنف ، وبعثتر (عزيز) و(ذات غظران) .

٢٠ ـ (وهب ال يحز) وأضاف المصدر[٢٩] المذكور بأنه ينتمي الى عشيرة (مرثد) البكيلية . وقد تربع على عرش (سبأ) في حدود عا م ٨٠ ق . م . كما ذهب الى ذلك (فلبي) ، وفي عهده قامت الحرب بينه (يساعده الأمراء الحاشديون اقيال سمعى) وبين الريدانيين الحميريين الذين هدفوا من وراء حروبهم للسبائيين الى انتزاع العرش منهم ، كما جاء ذلك في النص المعروف بـ (١٢٢٨ جلازر) ، ولم يتمكن الريدانيون في هذا العهد من انتزاع عرش سبأ منهم ، بل ان الهمدانيين الحاشديين تمكنوا هم من انتزاع العرش من السبائيين المرثديين البكيليين ، حيث[٣٠] انتزع العرش منهم (يريم ايمن الأول)

(٢٩) (التاريخ العربي القديم) ص ٨٩ . والمفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام المذكور ج ٢ ص ٤٣٤ .

(٣٠) وقد دلّ على ان (يريم ايمن) همداني حاشدي نقش جلازر الذي استند اليه الدكتور (فرتز هومل) في الفصل الذي عقد له بكتاب (التأريخ العربي القديم) ص ٩٣ . حيث قال عند كلامه عن الملك السبائي (كرب ال وتر يهنعم) ما نصه : « وكان معاصراً ليريم ايمن) ذلك لأن هذا الهمداني من قبيلة (حشد) (حاشد) يفتخر بأنه نجح وأقام سلماً مع أخيه (يهرجب) بين ملوك (سبأ وذي ريدان) و(حضرموت) و(قتبان) .

الحاشدي بن (كرب ال وتريهنعم) البكيلي ، وقد استولى الريدانيون الحميريون على الحكم من السبائين البكيليين والحاشديين فيها بعد كما سنعلم .

ذكر صنعاء في الكتابات الأثرية لأول مرة

وقد ورد في النص المذكور فقرة (ذو جرت) بمدينة (صنعو) (صنعاء) وهي المرة الأولى التي يرد فيها اسم (صنعو) في الكتابات الأثرية في حدود علمنا ، هذا وقد يكتشف التنقيب العلمي صحة ما ذكره الأخباريون [٣١] من ان (سام بن نوح) هو الذي اختط مدينة صنعاء بين جبلي نقم وعيبان ، والمعروف انّ (نقم) في الشرق من صنعاء ، و(عيبان) في الغرب منها ، بينهما ستة أميال تقريباً .

٢١ ـ (انمار يهنعم بن وهب ال يحز) . وقد [٣٢] ورد ذكره بمناسبة غزوه لبيت غيمان ، وعودته الى قصر (سلحين) في (مأرب) وذلك في النص الموسوم عند العلماء بـ (**٥٢٢** جام) .

٢٢ ـ (كرب ال وتر يهنعم) بن وهب ال يحز أيضاً ، وقد جاء ذكره في كتابات عديدة ، وقد عاش حوالي عام ٦٠ ق . م . وهو آخر ملوك سبأ المرثديين البكيليين ، وورد لأول مرة في عهده ذكر الإله (سموي) أي إله السماء ، وفي هذا دلالة على حدوث تطور خطير من الوجهة الدينية تقرب من التوحيد ، وذلك قبل مبعث السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ولكن بعد بعثة النبي موسى بن عمران عليه السلام ، ومجيء اليهودية الى اليمن عن طريق التبشير بها ،وكانت تدعو الى عبادة الله الواحد الأحد قبل تحريفها .

---

(٣١) تأريخ مدينة صنعاء للرازي تحقيق للدكتور حسين عبد الله العمري (الطبعة الثانية) ص ١٢٦ .

(٣٢) الدكتور جواد علي في (المفصل) ج ٢ ص ٣٣٨ .

وهذا الملك (كرب ال وتر يهنعم) المرثدي البكيلي هو الذي شاركه في الحكم اغتصاباً (يريم ايمن) بن اوسلت ارفش الحاشدي ، وقد ساعد يريم ايمن على ذلك قيامه بالتوسط بين (كرب ال وتر يهنعم) وبين مناوئيه من ملوك اليمن بموجب التكليف من (كرب ال وتر) ، وافلح (يريم ايمن) في وساطته ، وأقام صلحاً بين الفريقين المتحاربين (كرب ال وتر يهنعم) وخصومه ، وذلك قبل ان ينال (يريم ايمن) التاج أو يطمع به ، لأن تلك الوساطة اطلعته على مواطن الضعف في ملك سبأ (كرب ال وتر يهنعم) ، وعلى الثغرات التي امكنه النفوذ منها للنيل منه ، ومهدت له السبيل لأن ينازعه التاج ويظفر به ، ولكن استيلاءه على عرش سبأ لم يكن (كما قلنا) كاملاً ، وإنما كان مجرد مشاركة لـ (كرب ال وتر يهنعم) في الحكم ، بدليل ورود لفظة (أملك) أي ملوك سبأ وذكرهما معاً في نص (جام) ، كما دلت النصوص بأنّ (يريم ايمن) المذكور لم يكن قبل ملكاً ، وإنما كان من اقيال (سمعى) الحاشدية . ولما توفي الملك الحاشدي (يريم ايمن) بن اوسلت ارفش خلفه ولده (علهان نهفان) مشاركاً كذلك في الحكم للملك المرثدي البكيلي (كرب الـ وتر يهنعم) أيضاً ، ويعتبر الملك (علهان نهفان) ثاني ملك حاشدي شارك (كرب ال وتر يهنعم) في حكم سبأ ، وآخر ملك اغتصب عرش سبأ ، ولو انه ليس اغتصاباً كاملاً من قبل الحاشديين وهو الاغتصاب الحاشدي الأول كما سنرى .

وقد عقد (علهان نهفان) معاهدة صداقة مع ملك (حضرموت المستقلة) (يدع اب غيلان) واستفاد من هذا التحالف ، اذ تعاون معه على حرب الحميريين الذين كانوا فيما يبدو قد بدأوا يتمركزون في (ظفار يريم) .

وقد تحدث الدكتور جواد علي عن هذا التحالف فقال : « وكان فرح (علهان) بنجاح مفاوضته مع ملك حضرموت ، واتفاقه معه كبيراً ، وقد نجح فعلاً في عقد ذلك الحلف ، فتراه يحارب الحميريين ويهاجمهم ، يؤيده في ذلك ملك حضرموت (يدع اب غيلان) .

ولقد هاجمهم من الشمال ، وهاجمهم الحضارمة من الشرق ، وانتصر على الحميريين في (ذات عرمن) (ذات العرم) ، (منطقة سد مأرب فيما يبدو) .

وهذا يدل ايضاً على ان نفوذ الحميريين في ذلك الوقت كان قد وصل الى (مأرب) لأن المعركة بينهم وبين الحلفاء كانت في منطقة (سد مأرب) (ذات عرمن) كما عرفنا .

وأضاف المصدر الدكتور (جواد علي) قائلاً : « وقد كان الحميريون من المقاتلين المعروفين ، ومن المغيرين على غيرهم ، فانتصار (علهان) عليهم هو ذو مغزى عظيم .

كما عقد (علهان نهفان) حلفاً مع الحبشة أيضاً ، وذهب (فون وزمن) ان الحبشة ساعدوا (علهان نهفان) أيضاً في الحرب التي شنها على الحميريين ، وربما اخضعهم مؤقتاً ، وهذا يفسر ما ورد في الكتابة المعروفة بـ (١٣٧١ جلازر) من ذكر اسم (علهان نهفان) وتلقيبه بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) و(بمملكة حمير) كما سنرى ، ولكن عهد دولة (سبأ وذي ريدان) لم يبدأ رسمياً إلا في عا م (١١٥ ق . م) ومنذ عهد الملك (ال شرح يحضب) بن فرعم ينهب كما سنعلم .

أما مدة اغتصاب الملكين الحاشديين (يريم ايمن) وابنه (علهان نهفان) فهي ثلاثون عاماً ، بين عا مي ١٤٥ ـ ١١٥ ق . م على رأي بعض الباحثين ، أو بين عامي ١٥٥ ـ ١٢٥ ق . م على رأي آخر وهو الأرجح ، ويعرف هذا الاغتصاب بالاغتصاب الحاشدي الأول ، وقد استعاد الحكم منهما أو بالأصح من (علهان نهفان) الملك السبائي المرثدي البكيلي (فرعم ينهب) في عام (١٢٥ ق . م . ودام حكمه في الراجح الى عام ١١٥ق . م . ثم خلفه ولده (ال شرح يحضب) أول ملوك (سبأ وذي ريدان) كما سنعلم ، وكان والده هو آخر ملوك دولة سبأ الذين اقتصر حكمهم عليها بحدودها السياسية .

أما ما ورد من اضافة لقب (ذي ريدان) على اسم الملك الحاشدي

(علهان نهفان) آنف الذكر فهو لا يعدو ان يكون مجرد محاولة منه لمد سلطانه الى (ريدان الحميرية) .

هذا[٣٣] وثمة من ملوك سبأ ملك اسمه (وهب شمم) ورد اسمه عند بعض الباحثين دون تحديد لمكانه بين ملوك (سبأ) على ان أي قائمة لأسماء ملوك (سبأ) أو (مكربيهم) بل وللملوك ما قبل الإسلام في اليمن من سبأ أو غيرها بوجه عام لا تعني اكثر من حصر من عرف منهم في الكتابات الأثرية ، دون الجزم بحصرهم ؛ بل ولا بترتيبهم ، والمستقبل المقرون بالتنقيب العلمي هو وحده الكفيل باثبات الحقيقة التأريخية عنهم حصراً وترتيباً .

---

(٣٣) الدكتور جواد علي في (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) ص ٣٤١ .

مملكة سبأ وذي ريدان

يبدأ هذا العهد الثالث من عهود (سبأ) وهو العهد الأول من عهود دولة (حمير) باضافة جملة (وذو ريدان) الى لقب ملك (سبأ) عند اتساع رقعة الدولة بانضمام (ريدان) اليها ، منذ عهد (ال شرح يحضب) بن (فرعم ينهب) في عام (١١٥ ق . م .) على ارجح الآراء ، وعليه فالتأريخ المذكور (١١٥ ق . م .) يعتبر بداية تأريخ دولة (سبأ وذي ريدان) أو دولة (حمير) آخر ابرز دول اليمن الحضاري القديم .

ولقد استمرّ هذا العهد الى عام (٢٧٠ ب . م ، حيث وسّع الملك (شمر يرعش) بن (ياسر يهنعم) رقعة المملكة الحميرية على حساب (حضرموت) وذلك بضمها الى الدولة الحميرية ، وصار لقب (شمر يرعش) وفقاً لذلك (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) .

وكان قد اتّسم عهد (ال شرح يحضب) مؤسس العهد الثالث من عهود (سبأ) وهو عهد (سبأ وذي ريدان) بما اتّسم به عهد المكرب الملك (كرب ال وتر) آخر مكربي سبأ وأول ملوكهم ومؤسس العهد الثاني من عهود سبأ ، وهو عهد (مملكة سبأ) من توسيع رقعة مملكة سبأ على حساب الأمارات والمشيخات التي كانت قائمة في عهديها قبل تربعه أي (كرب ال وتر) على عرش سبأ .

ومن الطبيعي ان ذلك لم يتم لكل منهما إلا بعد معارك وحروب بين الجانبين .

فكما حارب (كرب ال وتر) كل أو معظم الأمارات والمشيخات التي كانت قائمة في عهده وضمها الى مملكته ، فقد[1] حارب (ال شرح يحضب) كلا من (ريدان) و(حضرموت) وتمكن من اخضاع (ريدان) أو التحالف معها وضمها الى مملكته ، دون ان يتمكن من اخضاع (حضرموت)أو التحالف معها ، وذلك هو سر اضافة فقرة (وذي ريدان) الى لقب (ال شرح يحضب) .

كما دلت[2] الكتابتان اللتان وسمتا بـ (جام ٥٧٤) و(٥٧٥) على قيام حرب بين الملكين الأخوين (ال شرح) و(يازل بين) وبين الأحباش ومن تحالف معهم من اليمنيين .

وان الملكين المذكورين انتقما من الأحباش في مقرهم الذي كانوا قد تسللوا اليه في وادي سهام شمال تهامة الوسطى وأنزلا بهم خسائر فادحة .
وانّ (ال شرح) قاد جيوشه اثر فلول (احزب حبشت) (عصابات الأحباش) ، وانه التقى بهم في وادي سردد شمال وادي سهام وانزل بهم خسائر فادحة ايضاً ، وغنم غنائم كبيرة ، ثم عاد الى (هجرن صنعو) (مدينة صنعاء) . ثم جهز لتعقب فلولهم ومن والاهم من قبيلة (عك) التهامية ومن قبائل بكيل .

اخضاع ال شرح يحضب واخيه يازل بين لريدان الحميرية

جاء[3] في النصوص التي وسمها العلماء بـ (جام ٥٧٨ ، و٥٨٠ و٥٨١ و٥٨٦ و٥٨٩) ان الملكين (ال شرح يحضب) وأخاه (يازل بين) ابني (فرعم ينهب) حاربا (كرب ال ذي ريدان) وكل من كان معه أو حالفه من الحميريين والقتبانيين ، وأنّ قوات الملكين المذكورين فاجأت قوات الريدانيين الحميريين

---

(١) الدكتور جواد علي في (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) من ص ٤٢٤ .
(٢) ودل على ذلك ايضاً النص الموسوم بـ (جلازر ١١٤) نفس المصدر أيضاً .
(٣) المفصل ج ٢ ص ٤٢٩ .

ومن حالفها أو تعاون معها عند (أساي) و(قرنهن) وحتى (عروشتن) و(ظلمن) و(هكربم) مواضع بعضها غير معروفة ولعل (عروشتن) هي عرش رداع ، و(هكربم) هي هكر حمير في بلاد عنس بالقرب من بلاد رداع ، وانه بالرغم من انهما الحقا بها خسائر فادحة إلا ان قوات الريدانيين ومن حالفهم بقيت منشقة على الملكين تباغت قواتهما بين الحين والحين ، الأمر الذي حمل الملكين على مواصلة حربهم والاشتباك معهم عند مدينتي (يكلا) و(أبون) (لعلهما يكلا أخت ذي جرت في بلاد سنحان وبلاد الروس وبلاد البون في بلاد حاشد) وكأنّ قوات الريدانيين وحلفائهم كانت لها عدة معسكرات وتجمعات) وان الملكين اضطرا كثيراً من القوات المتجمعة الى الخضوع للملكين واعلان الطاعة لهما بينما لجأ (كرب ال ذي ريدان) الى مدينة (هكربم) (هكر) آنف الذكر والتحصن بها وان الملكين تعقباه الى المدينة المذكورة حتى اقتحماها ونهباها واضطرا (كرب ال ذي ريدان) الى الاستسلام وإعلان طاعته وخضوعه للملكين وهذا هو سر اضافة الملكين المذكورين الى لقبهما كلمتي (ذي ريدان) حتى صار لقبهما ملكي سبأ وذي ريدان كما عرفنا .

وقد سجل الملكان اخبار انتصاراتها هذه وغيرها براً وبحراً ومنها انتصاراتها على ملك (كدت) (كندة) وذلك في النص رقم (٥٧٦ جام) كما تحدثا فيه ايضاً عن حملات تأديبية قاما بها على (احزب حبشت) (عصابات الأحباش) التي كانت قد تسللت الى اليمن وتركزت في تهامة وعلى (شمر ذي ريدان) وهو (غير شمر يرعش) أول ملك (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) كما سيأتي ، وقد طالت الحرب بين الملكين المذكورين و(شمر حمير) ومن يساندها من الحميريين وغيرهم ومن الأحباش وأنّ (ذمار) كانت من المراكز التي كان يتحصن بها الريدانيون الحميريون ومن يعاونهم من القتبانيين والأحباش وغيرهم ، وقد تمخض صمود الريدانيين الحميريين الى قيام دولة (حمير) منذ الملك (ياسر يهصدق) والذي جاء بعد الملكين المرثديين البكيليين (إلْ شرح يحضب) وأخيه (يازل بين) والملكين (نشأكرب) و(وترم يهأمن)

ابني (ال شرح يحضب) و(سعد شمس أسرع) على رأي جام كما سنعلم ، أما الأحباش فإنه ظهر من مجرى الأحداث التي قامت في عهد الملكين (ال شرح) و (يازل بين) انهم (اي الأحباش) كانوا يغيّرون سياساتهم بتغير الأحوال ، فتارة كانوايتحالفونمع الريدانيين الحميريين ، وتارة عليهم ، وتارة يتحالفون مع (شعر وتر) الملك الحاشدي المنافس لـ (ال شرح يحضب) وتارة يكونون على علاقة حسنة مع (ال شرح يحضب) ، وورد في النصوص آنفة الذكر ذكر (هجرن صنعاء) و(هجرن الرحبة) مدينتي صنعاء والرحبة كما ورد فيها ذكر قصري (غندن) (غمدان) في صنعاء و(سلحان) (سلحين) في مأرب .

وعلى[٤] العموم فإن (ال شرح يحضب) رجل محارب ، حارب الحبشة وحارب حمير وحارب حضرموت وحارب قبائل أخرى ، وكان لا يكاد يعود الى احدى عاصمتيه (صنعاء) أو (مأرب)ليستقرّ في احد قصريه (غمدان) أو (سلحين) وليستريح بعض الوقت حتى تشتعل ثورة هنا أو هناك تدفعه الى ترك راحته والاسراع نحوها للقضاء عليها حتى لا يمتد لهيبها الى مكان آخر حتى انهكته الحروب واعترته الأمراض اكثر من مرة ، كماأخربت تلك الحروب كثيراً من المناطق والحقت فيها كثيراً من الدمار والخراب .

وبمناسبة ذكر (غمدان) في بعض النصوص التي تعود الى الملك (ال شرح يحضب) يحسن ان نذكر ما أضفى (الحسن بن أحمد الهمداني) على قصر غمدان من وصف في كتابيه (الأكليل) و(صفة جزيرة العرب) فقال : « انه كان يتكوّن من عشرين طابقاً بين كل طابقين عشرة اذرع ، وإن بانيه أطبق آخر طبقة بقطعة شفافة من الرخام يميز الطائر من خلالها عند مروره من فوق سطح القصر ، وانه كان على اركانه أربعة تماثيل اسود من النحاس مجوفة ثابتة على أزجلها ،اما يداها وصدرها فكانت بارزة من القصر ، وكانت الريح إذا هبتّ دخلت الى جوف التماثيل فسمع لها زئير كزئير الأسود ، وكان الطابق الأعلى من

---

(٤) نفس المصدر والجزء ص ٤٥٣ .

القصر يرى من جبل عجيب في قاع البون ببلاد حاشد » .

وقد عرف القاضي حسين بن أحمد السياغي في كتابه[٥] (معالم الآثار اليمنية) موقع قصر غمدان فقال : « وكان ممتداً شرقاً من شرق الجامع الكبير الى حد مسجد الحميدي المعمور الآن كما يظهر من بعض وثائق الوقف القديمة ، وفي الطول من الجنوب من قرب باب اليمن الى حد مسجد الشهيدين ، ولم تزل العرصة التي شرقي الجامع مرتفعة بالتراب الذي هو بقية آثار خراب القصر المذكور ، فيما يسمى بحارة قندة ، بالرغم من ارتفاع المباني عليها ، فارتفاعها لم يزل ظاهراً ، وكذلك في الناحية الشمالية مما يسمى الآن بلكمة سوق القضب ، الارتفاع فيها ظاهر ، ولو جرى عليها الحفر لظهرت بعض الحقائق » .

وذكر ان قصر غمدان هدم في عهد الخليفة عثمان بن عفان وبأمره ووسع باحجاره جامع صنعاء الكبير .

تجدد النزاع بين بيتي سبأ البكيلي والحاشدي

لم ينعم ملوك (سبأ وذي ريدان)المرثديون البكيليون طويلاً باتساع رقعة مملكتهم بعد ضم (ريدان) الحميرية اليها ، اذ انهم ما ظفروا بذلك حتى تجدد النزاع بينهم وبين منافسيهم التقليديين الهمدانيين الحاشديين ، وقد كان على رأس البكيليين الأخوان (ال شرح يحضب) و(يازل بين) ابنا (فرعم ينهب) ابن كرب ال وتر بن وهب ال يحز ،وعلى رأس الحاشديين الأخوان (شعر وتر) و(يريم ايمن الثاني)ابنا (علهان نهفان) بن يريم ايمن الأول بن اوسلت ارفش) .

ويريم ايمن الأول هو الذي سبق له اغتصاب عرش سبأ في ما عرف بالاغتصاب الحاشدي الأول كما عرفنا .

ولم يستفد من هذا النزاع أي الجانبين المتنازعين ، وإنما استفاد منه

---

(٥) ص (١١) .

(الريدانيون الحميريون) الذين استغلوه وعملوا منذ حدوثه على توسيع شقته لإضعاف الجانبين معاً ، وفعلاً تم لهم انتزاع الملك منهما معاً ، واقامة حكمهم الريداني الحميري منذ الملك (ياسر يهنعم) في عام (٦٠ ق م) كما سنعلم ؛ وصبغوا الدولة بالصبغة الحميرية واتخذوا مدينة ظفار يريم عاصمة لهم .

مؤسسو مملكة سبأ وذي ريدان من المرثديين البكيليين

أما مؤسسو مملكة (سبأ وذي ريدان) من المرثديين البكيليين فهم (إلْ شرح يحضب) وأخوه (يازل بين) ابنا (فرعم ينهب) ، ولما توفي (ال شرح) خلفه ابنه (نشأ كرب يهأمن يهرجب) يشاركه كما جاء في بعض النصوص عمه (يازل بين) ثم خلف (نشأ كرب) اخوه (وترم يهأمن) (وتر يامن) بن ال شرح يحضب ، ثم خلف وترم يهأمن على رأي (جام) (سعد شمس اسرع) بن (ال شرح يحضب) ، ثم (مرثد يحمد) بن سعد شمس اسرع .

ثم جاء إلى الحكم (ياسر يهصدق) (ياسر يصدق) مؤسس الدولة الريدانية الحميرية من الحميريين كما عرفنا ولم يعرف اسم ابيه ، على رأي اكثر الباحثين كما سنعلم .

فأما (نشأ كرب) بن (ال شرخ) فقد عثر الباحثون على عدد من الكتابات التي ذكر فيها ، ومنها(٦) :

الكتابة الموسومة بـ (جام ٦١٩) وصاحبها رجل اسمه (رب أل اشوع) ، وكان (عقبت) الملك على مدينة (نشقم) (نشق) اي نائب الملك على المدينة المذكورة المعينية ، وقد ذكر فيها الملك (نشأ كرب) المذكور .

ومنها كتابة وسمت بـ (جام ٦٢٢) دوّن فيها اصحابها شكرهم للإله (المقة) (القمر) الذي اغناهم وانعم عليهم بغنائم حرب ارضتهم ، ولكي يمن عليهم بتنفيذ أوامر يكلفهم بها الملك (نشأ كرب) ولكي يبارك في زرعهم

---

(٦) الدكتور جواد علي في (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) ج ٢ ص٤٥٨).

وفي حاصلهم الشتوي وحاصل الخريف وحاصل الصيف ، ولكي يمنحهم البركة في ارضهم ، ويوفر لهم الأمطار لإسقاء مزارعهم ، ويبعد عنهم كل بأس ، ويبعد الأرق عنهم وكل مكروه وكل اذى وحسد البعيدين والقريبين .

ومنها نص وسم بـ (جام ٦١٦) ذكر خبر معارك اشترك فيها اصحاب النص وهم من بني (سخيم) سادات (بيت ريمان) وكانوا أقيالاً على عشيرة (سمعى) التي تؤلف ثلث قبيلة (حجر) في (حاشد) كما كانوا من كبار ضباط (مقتوي) الملك (نشأ كرب) المذكور ، وقد نشبت تلك المعارك من امتناع عدد من القبائل عن دفع ما استحق عليهم من ضرائب ، مما حمل الملك (نشأ كرب) على ارسال حملة عسكرية اليها تمكنت من تأديبها واخضاعها ، واضطرت عشائر (خولان) المتمردة الى ارسال ساداتها واشرافها الى مدينة (صنعو) (صنعاء) لمقابلة الملك وعرض طاعتهم عليه وخضوعهم له ، وقد رضي الملك عنهم وأدوا ما استحق عليهم .

وأما الملك (وترم يهأمن) فقد ذكر في نص وسم بجام (٦٠١) تحدث عن معارك وقعت في ارض (خولن) (خولان) تولى قيادتها (ال ريام يجعر) وكان قيلاً على (سمعى) التي تكّون ثلث قبيلة (حجرم) (حجر) ، وهذا القيل هو صاحب النص ومدوّنه ، وقد ذكر فيه اسم الملك (وترم يهأمن) ملك (سبأ وذي ريدان) بن (ال شرح يحضب) ملك (سبأ وذي ريدان) ، وأنه امر القيل المذكور بأن يغزو عشائر (خولان) ويؤدبها لأنها عصت الملك وشجعت قبائل اخرى على العصيان ، فانضمت اليها ، وقد استطاع هذا القيل أن يحطم معاقلهم وأن يعود بغنائم كثيرة سرّت الملك فشكر الإله (المقة) لأنه وفقه ونصره ، وأنه قدم اليه تمثالين تعبيراً عن شكره .

هذا وثمة نصوص تفردت بذكر ملكين آخرين من ابناء (إلْ شرح يحضب) وهما (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يحمد) وتلك النصوص هي التي وسمت عند العلماء بـ (جام ٦٢٦ و٦٢٧ و٦٢٨ و٦٣٠) وقد لقب كل منهما بلقب ملك (سبأ وذي ريدان) .

وقد فسر غير جام من الباحثين البنوّة التي وردت في هذه النصوص بأنها بنوة تَبَنٍّي لا بنوّة نسب ، وقال بعض الباحثين بأن هذين الملكين من احفاد الملك (الـ شرح يحضب) لا من ابنائه ، وأنّ البنوّة التي وردت في النصوص المذكورة مجازيّة ، بل ان بعض الباحثين نسبهما الى قبيلة (جرت) بن (بكلي) ونفى نسبتهما كليةً الى (ال شرح يحضب) المرثدي البكيلي ، والمستقبل المقرون بالتنقيب العلمي هو وحده الكفيل بحسم هذا الخلاف وغيره في تأريخ اليمن القديم .

نماذج من النصوص التي تعود الى عهد مملكة سبأ وذي ريدان :

أورد هنا نصين وهما النص الأول والنص الثالث من النصوص التي نشرها الأستاذ (مطهر بن علي الأرياني) في كتابه (في تأريخ اليمن)[٦] وشرحها وعلق عليها .

النص رقم (١)

هوترعثت / يشكر / بن/كبسيم/أقول/ شعبن/ تنعم وتنعمت/ هقني / المقة / ثهون / بعل / أوم / صلمن / حجن / وقههو / بمسألهو / وحمدم / بذت / صدقهو / بأملا / ستملا / بعمهو / ولوزا / المقة / صدق / وهوفين / عبدهو / هوتر عثت / بكل / املأ / يستملأن / بعمهو / ولسعدهمو / رضو / مرأهمو / ذمر علي / وتر / يهنعم / ملك / سبأ / وذي ريدتن / بم / سمهو علي / ذرح / ولسعدهمو / المقة / نعمتم / ومنجت / صدقم / ولخربنهو / بن بأستم / ونكيم / ونضع / وشصي / شنأم / بالمقة / .

الشرح كما جاء في المصدر المذكور :

---

(٦) من ص ٢ .

هذا هو القيل (هوتر عثت يشكر) من بني كبسي آقيال تنعم وتنعمة ، وقد تقرّب للإله (المقة) ثهوان بعل أوام بصنم واحد ، طبقاً لما أوحى به إليه آمراً له بذلك ، وحمداً له لأنه حقق له آمالاً أملها منه ، ولكي يستمرَّ (المقة) في التحقيق والوفاء لعبده (هوتر عثت) بكل أمل سيؤمله عنه ، ولكي يسعدهم بمنحهم الرضا عند سيدهم الملك (ذمار علي وتار يهنعم) ملك (سبأ وذي ريدان) بن (سمه علي ذرح) وليمنحهم (المقة) نعمه وطوالع يمن ، وليجنبهم من البأساء والنكاية وشرور كل عدو وحاسد بحق (المقة) .

وأضاف المصدر اثناء تعليقاته على النص قوله : « ولاقيال بني كبسي عدد من النقوش فيما بين يديّ من الوثائق منها رقم (٧) من مجموعة الكهالي هذه (يعني التي نشرها في الكتاب المذكور) ومنها أرقام ٦١٨ و٦٢٧ و٦٢٨ و٧٤٦ من مجموعة المستشرق (البرت جام) بعنوان (نقوش سبائية من محرم بلقيس بمأرب) . وأضاف المصدر قائلاً : « ومما نلاحظه على نقوش اسرة (بني كبسي) انه لا يوجد فيها أي ذكر للحرب أو للقضايا السياسية العامة ، بل إنها كلها تتحدث عن شؤونهم وشؤون تابعيهم الخاصة ، وذلك بالتقرب الى الآلهة حمداً لها بما منّت عليهم ، من الغلال الوافرة ومن تحقيق الآمال ، ومن الأولاد الذكور الصالحين الخ ، وجميع ما لدينا من نقوشهم (ما عدا نقشنا الذي نحن بصدده) تتحدث عن مرفقهم الزراعي الهام ، ومصدر رخائهم واستقرارهم ، ألا وهو ما يسمونهم في نقوشهم غالباً باسم (مأخذ ذي يفيد) وأحياناً باسم (مناخة ذي يفيد) وهو يعرف الآن باسم (سد شاحك) ومكانه معروف على بعد نحو من ثلاثة كيلومترات شمالي قرية (تنعم » .

وأضاف قائلاً : « وقد زرته ورأيت ما تبقى من آثاره ، وتقع بداخله الآن قرية (شاحك) ومزارعها ، وبنو (كبسي) يذكرون سدهم (ذي يفيد) في نقوشهم سائلين من الآلهة أن تجري اليه السيول ، وأن تملأه بالمياه ، وان تصونه من كل (عطب) الخ ، مما يكشف عما كان لهذا المرفق من الأهمية .

و(تنعم) لا تزال معروفة بهذا الاسم الى اليوم ، وهي قرية كبيرة تقع شرقي صنعاء مباشرة على بعد نحو عشرين كيلومتر في اراضي قبيلة (بني

سحـام) من قبائل (خولان العالية) ٠

وأضـاف قائـلاً : « وأما تنعمـه فقد سـألت عنها واكـد لي بعض ابنـاء (سنحان) انها قرية لا تزال معروفة اليـوم بهذا الاسم وتقـع في اراضي قبيلة (سنحان) جنوبي صنعاء » وسنحان متصلة بخولان كما هو معروف »

وأضاف المصدر قائلاً : « جـاءت صيغة (المقـة) مع تـوابعه في اصـل نسخة النقش المسندي بالفواصل بعد (المقة) وبعد (ثهوان) وبعد (بعـل) (سيد) وبعد اسم معبده بـ (مأرب (أوام) ، وكتابة اسم الإله (المقه) مع صفتيه ومقر معبده الرئيسي بهذه الفواصل هو من الأمور التي تعود الى الـزمن الأقدم من العصر السبائي الثالث (عصر ملوك سبأ وذي ريدان) ، فاذا كان الناسخ للنقش قد تحرى في وضع هذه الفواصل (ولديَّ ثقة في تحـريه) فـإن ذلك يشير الى ان حكم الملك (ذمار علي وتار يهنعم ملك سبأ وذي ريدان بن سمه علي ذرح) يعود الى بداية العصر السبائي . ولم يحدد المصدر هذه البداية مع علمنا بأن كل الباحثين تقريباً يرون ان عصر (ملوك سبأ وذي ريدان) بدأ بالملك (الـ شرح يحضب) مؤسس هذا العصر ولو انه ما يزال مرثديـاً بكيلياً وليس (ريـدانياً حميـرياً) وانـه خلفه اثنـان من أولاده أو اربعة أو خمسـة على ختلاف بين الباحثين كما أسلفت .

أما النص الثالث وهو النص الثاني من النصين اللذين أوردتهما هنـا فهو كالآتي :

شرح عثت / اريم / ورثد ثون / بني حلملم / هقنيو / المقة / تهون / بعـل أوام / صلمن / ذذهبن / حمـدم / بـذت / هوفي / المقـة / عبدهـو / شرح عثت / بكل / أملأ ستملأ / وتضعن / بعمهو / ولذن يزأن / المقة / هوفين / عبدهو / شرحثت / بكل / أملأ / وتضع / يستملأن / وتضعن / بعمهو / ولسعدهمو / المقة / نعمتم / ورضو / وحظي / مرأهمو / ال شرح / يحضب / ملك / سبأ / وذريدن / وبنهو / وترم / ولسعدهمو / المقة / .

محتوى النص كما في المصدر .

هذان كبيران من كبار القوم وهما (شرح عثت اريم الحلحلي) و(رثد ثوان الحلحلي) يتقربان الى الإله (المقة) ثهون بعل أوام) بصنم ذهبي اللون من البرونز ، تعبيراً عن الحمد له لأنه حقق لعبده (شرح عثت) كل الآمال التي « املها منه واعراباً عن الرجاء بأن يستمر الإله (المقة) في تحقيق كل ما قد يعلق عليه من الآمال ، ولكي يمنَّ عليهما (شرح عثت) ورثد ثوان) لإله (المقة) بدوام النعمة ، وبالرضي والحظوة عند سيديهما (ال شرح يحضب) ملك (سبأ وذي ريدان) وابنه (واترم) وليمنّ عليهما (المقة) .

الريدانيون الحميريون ومساكنهم

لم يكن الريدانيون الحميريون قبيلة واحدة ، وانما كانوا جمهرة قبائل يسكنون الهضبة التي عرفت بـ (ريدان) ، والممتدة في الجنوب (جنوب وادي بيحان) الى منطقة الساحل البحري .

وكان يحكم هذه المنطقة الريدانيون انفسهم حكماً محلياً مستقلاً ، حتى جاء الملك (ال شرح يحضب) واستطاع أن يضم (ريدان) الى مملكة (سبأ) عن طريق الاتحاد معهم ، وبعد حروب كبيرة قامت بينهم وبينه كما اسلفنا ، وكان البادىء في الحرب في تلك الحروب هم الريدانيون ، محاولة منهم في انتزاع الملك من السبائيين وتأسيس دولة حميرية ، يعاونهم فيها سائر افخاذ (حمير) وهو ما تم للحميريين ابتداء من الملك الحميري الريداني (ياسر يهصدق) منذ عام (٦٠ ق . م) كما سنعلم .

أو كان البادىء في الحرب التي قامت بين الريدانيين و(ال شرح يحضب) المرثدي البكيلي هو (ال شرح) نفسه كما يرى بعض الباحثين ، طلباً منه في توسيع رقعة مملكة (سبأ) بضم منطقة (ريدان) اليها ، وهو ما تم له ولعدد من أولاده فقط كما عرفنا .

وصارت مملكة سبأ منذ عهد (ال شرح يحضب) تعرف بمملكة (سبأ وذي

ريدان) .

أما العلامة الباحث (وزمن) فيرى أن (ريدان) قصر أو مدينة ملوك حمير في (ظفار) الواقعة في بلاد يريم . والحقيقة ان مساكن الريدانيين هي في الهضبة المذكورة الممتدة من جنوب حضرموت في الشمال الشرقي للمنطقة ، وحتى الجنوب الغربي على الساحل البحري ، ولكن (الريدانيين) حينما استتب لهم الأمر و أقاموا مملكتهم على انقاض مملكة (سبأ وذي ريدان) التي كان ملوكها من قبائل (سبأ) المرثدية البكيلية أو الحاشدية نقلوا عاصمة دولتهم الى بلاد (رعين) في بلاد يريم ، وأسموها بـ (ظفار) ، كما اسموا قصر العاصمة بـ (ريدان) كل ذلك تخليداً لاسم بلدهم الأصلي (ظفار) وحصنه الشهير (ريدان) .

وقد اكد هذا الدكتور (جواد علي) في كتابه (المفصل[٧] في تأريخ العرب قبل الإسلام) فقال : « وقد كان الحميريون يسيطرون على القسم الجنوبي الغربي يعني (ظفار رعين) أيام مؤلف كتاب (الطواف البحري الأريتري)[٨] ولا سيما في مدينة (ظفار) وحصنها المشهور المعروف بـ (ريدان) والذي يرمز الى ملك (حمير) الذي يحمي العاصمة من غارات الأعداء ، وهو بيت الملوك وقصرهم ايضاً ، وقد كانت منازل (حمير) في الأصل الى الشرق من هذه المنازل التي ذكرها مؤلف الكتاب المذكور ، وانها كانت جزءاً من أرض (قتبان) وتتصل بحكومة (حضرموت)وتقع في جنوب (ميفعة) وتؤلف أرض (يافع) المسكن القديم للحميريين ، وذلك قبل نزوحهم قبل عام (١٠٠ ق . م .) الى موطنهم الجديد » .

واضاف الدكتور (جواد علي) في المصدر[٩] المذكور قائلاً : « وقد أخذ حصن (ريدان) في (رعين) اسمه من حصن اقدم عهداً منه كان في (قتبان) بني عند ملتقى أودية في جنوب العاصمة (تمنع) عرف بـ (ذي ريدان) يؤدي

(٧) ج ٢ ص ٥١٦ .
(٨) الذي الفه بين عامي (٤٠ - ٧٠ م)
(٩) في (المفصل) ج ٢ ص ٥١٧ .

الى (جدنم)(جدن) ، ولما كان الحميريون يقيمون في هذه الأرض المعروفة بـ (ذي ريدان) وذلك حينما كانوا اتباعاً لمملكة (قتبان) لذلك اطلقوا على الحصن الذي بنوه في (رعين) اسم (حصن ذي ريدان) ، تيمناً باسم قصرهم القديم واطلقوا (ذي ريدان) على وطنهم الجديد الذي اقاموا فيه بعد ارتحالهم من (قتبان) ليذكرهم باسم وطنهم القديم » .

أما الدكتور (فرتز[10] هومل) فقد عرّف الحميريين بأنهم (شعب أوسان القديم) ، وقد علمنا عند الكلام عن الأوسانيين بانهم كوّنوا مملكتهم جنوب اليمن الشرقي من مملكة (قتبان) ، وانهم ينحدرون من (حمير بن سبأ) .

كما تحدث الدكتور (فؤاد حسنين)[11] عن الريدانيين فقال : « أما (ذو ريدان) فقد يعني انه جبل ريدان القديم في جنوب (وادي بيحان) فالتعريف بمساكن الريدانيين الحميريين قبل انتقالهم الى بلاد رعين متفق عليه عند جميع الباحثين كما عرفنا .

ملوك سبأ وذي ريدان من الحميريين

أول ملوك هذه الدولة الريدانية الحميرية من الحميريين هو (ياسر يهصدق) (ياسر يصدق) وذلك حوالي عام (٦٠ ق . م) ولم يعرف اسم ابيه ، وعهد هذه الدولة يعتبر العهد الثاني لدولة (سبأ وذي ريدان) ، أما العهد الأول لهذه الدولة فهو العهد الذي بدأ بالملك (ال شرح يحضب) في عام (١١٥ ق . م . أو عام ١٠٥ ق . م) على اختلاف بين المؤرخين كما علمنا .

ولقد ذكر (ياسر يهصدق) بنص وسم عند العلماء بـ (كاي ٤١) دونته جماعة من (مهاتفم) مهاتف) (قاع جهران) .

(١٠) في الفصل الذي عقد له بكتاب (التأريخ العربي القديم) ص ٩٣

(١١) في استكماله لكتاب التأريخ العربي القديم ص ٢٨٨ .

وأضاف المصدر (جواد علي)[١٢] عند ذكره للنص المذكور ما نصه : « والكتابة المذكورة من ضاف بقاع جهران شمال ذمار ، وقاع جهران هو مهاتفم في كتابات المسند » وأضاف ايضاً : « وَيُعد النص المذكور من أقدم النصوص الحميرية التي وصلت الينا ،» .

ويرى (فون وزمن) انه أول نص وصل الينا لُقب فيه ملك من ملوك حمير بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) ، ومعنى هذا ان ملوك حمير كانوا قد نافسوا الأسرة السبائية الشرعية ، ونازعوها على العرش ، وتلقبوا بهذا اللقب الذي هو من ألقاب ملوك سبأ الشرعيين . وقد أقام (ياسر يهصدق) في قصر ريدان ، في ظفار رعين في بلاد يريم بعد اعتلائه العرش واتخذه عاصمة سياسية لدولته ، والأرجح انه أول من اتخذ ظفار عاصمة لدولة حمير بحكم انه أول ملك حميري لها .

وليس معنى هذا ان الحميريين كقبيلة ذات شأن لم ينزلوها قبل ذلك ، فقد اثبتت الدراسات انهم كانوا قد انتقلوا اليها من مساكنهم في الجنوب وفي الجنوب الشرقي لليمن في القرن الثامن قبل الميلاد ، وقد عرفنا ان ال شرح يحضب حاربهم في عدة اماكن ومنها ظفار رعين هذه وفي موطنهم الأصلي ايضاً .

وقد جاء في النص الموسوم بـ (جلازر ٦٩٣) والذي يعود عهده الى حوالي السنة (٢٠٠ ق . م) ان (رعين) كانت مملكة اذ ذاك ، وفي ارض (رعين) اقام الحميريون دولتهم حيث اتخذوا ظفار عاصمة لهم ، وكانوا قد زحفوا الى هذه الأرض ، وعلى (دهس) (بلاد يافع) وعلى (المعافر) (بلاد الحجرية) واستقروا بها وتغلبوا على سكانها الأصليين ، وأقاموا حكومة حمير التي اخذت تنافس (سبأ) وتتوسع في ارض (القتبانيين) متوخية انتزاع السلطة من السبائيين .

---

(١٢) المفصل ج ٢ ص ٤٨٣ .

وأضاف قائلاً « ويظهر من وصف (بلينوس) ان القسم الجنوبي من ساحل البحر الأحمر كان تابعاً لملك حمير صاحب (ظفار) ، ويظهر من الكتابة (كاي ٤١) ان مملكة حمير كانت تضم (رعين) و(ذمر) (ذمار) والأرض التي تقع في الشمال المسماة بـ (قاع جهران) في الوقت الحاضر » .

وكل هذه المناطق حميرية سكناً ونسباً ، هذا واقتصار امتداد حكم الحميريين على هذه المناطق مع مناطق الجنوب في المعافر وبلاد يافع وغيرها ، هو في بداية تكوين الحميريين لدولتهم ، وفي الوقت الذي كان السبائيون ما يزالون يحتفظون بمناطق نفوذ لهم في الشمال وفي الشمال الشرقي ، وكانت مأرب عاصمة السبائيين ما تزال تارة بيد السبائيين ، وتارة يتغلب عليها الحميريون .

ولما تم للحميريين ترسيخ اقدامهم وتوطيد دعائم حكمهم قضوا على كل نفوذ للسبائيين وغيرهم من الممالك والامارات والمشيخات اليمنية ، وأسس الحميريون دولتهم في عموم اليمن الطبيعي وخارجه ، وذلك منذ عهد الملك الحميري (شمر يرعش) ، بن ياسر يهنعم ، ولقب ملوك حمير منذ عهد شمر بلقب (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) كما سنرى ، أما الملوك الحميريون بعد (ياسر يهصدق) مؤسس الدولة الحميرية من الحميريين فهم :

(ذمار علي يهبأر الأول) بن ياسر يهصدق وقد حكم على رأي (فلبي) حوالي عام (٤٠ ق . م) وقد أقام هذا الملك مع ابنه الملك (ثارن يعب يهنعم) السد المسمى (ذو أمر) في أبين) والذي كان قد تهدم كما استفيد من الكتابات الأثرية فأعادا باقامته الحياة لمساحة واسعة من الأرض الموات ، ولذمار علي وابنه ثارن يعب المذكورين تمثالان من البرونز كتب اسماهما على تمثال الأب ، وهما مودعان عند كتابة هذا في الهيئة العامة للآثار إثر عودته من المانيا وبعد محاولة ترميمه ونسختان له ولابنه صورة رقم (٤) وصورة رقم (٥) .

وورد في الكتابة الموسومة عند العلماء بـ (٤٧٠٨ ريب ايبج) مع اسمي الملكين المذكورين اسماء اصحابها وهم قوم من (آل ذرنح) ورد فيها معبد

(صنع) (صنعاء) .

كما[١٣] ذكر (ذمار علي) الأول هذا مع اسم ابيه (ياسر يهصدق) في الكتابة التي وسمت عند العلماء بـ (كاي ٣٧٥) وجاء فيها : انه انشأ حرباً ضد الأسرة السبائية التي توارثت العرش (عرش سبأ) ، وانه استولى على بعض الحصون وعلى (مأرب) في تلك الحرب ، ومعنى هذا ان السبائيين احتفظوا بمراكز لهم وبمأرب ايضاً في عهد مؤسس الدولة الحميرية وأول ملوكها من الحميريين (ياسر يهصدق) وان ابنه (ذمار علي يهبأر الأول) الملك الثاني من الحميريين هو الذي بسط نفوذ الدولة الحميرية على (مأرب) عاصمة السبائيين لأول مرة في تأريخ الحميريين .

(ثرن يعب يهنعم) (ثارن يعب ينعم) بن ذمار علي يهبأر الأول ، وقد ورد اسمه في كتابة وسمت (٤٩٠٩ ريب ايبج) سجلها رجلان من اشراف حمير أوفدهما ملكهما (ثارن يعب) الى الملك (العز يلط) ملك (حضرموت) لتهنئته باعتلائه العرش وتلقبه بلقب الملوك بحصن (انود) بحضرموت .

(ذمار علي يهبأر الثاني) ، وقد ذكر اسمه في نص ارخ بشهر (ذنسور) (ذو نسور) وقد سقط اسم السنة التي ارخ بها النص .

(ذمار علي بين) وقد وضعه الباحث (جون فلبي) بعد اسم (ذمار علي يهبأر الثاني) ووضع علامة استفهام امامه ، دلالة على انه غير متأكد من اسم ابيه ، وربما كان ابن اخ (ذمار علي يهبأر الثاني) .

أما (ريكمنس) و (جام) فقد جعلاه على رأس أسرة جديدة حكمت بعد زوال حكم ابناء (ال شرح يحضب) ، أي انهما اعتبراه أول ملوك سبأ وذي ريدان من الحميريين .

(كرب ال وتر يهنعم) بن ذمار علي بين ، وقد ورد اسمه في نص وسم بـ (كاي ٣٧٣) أمر الملك المذكور بتدوينه عند تقديمه نذراً للإله (المقة) ليوفي

---

(١٣) المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام ، آنف الذكر من ص ٤٨٤ . ج ٢ .

له ، وليبارك عليه وعلى قصره (سلحان) (سلحين) وعلى مدينة (مريب) (مأرب) وذكر مع اسمه ابنه (هلك أمر) .

كما وصل الى الباحثين نقد ضرب عليه اسم (كرب ال وتر يهنعم) ، وأول من أشار الى هذا النقد (بريدو) الذي بيّن الـ (مودجرام) أي الحروف المتشابكة المضروبة على النقد تشير الى نعت هذا الملك ، وبحث (موردتمن) كذلك في هذا الموضوع ، ويظهر من ورود الأسم المذكور (كرب ال وتر يهنعم) وحده في بعض النصوص ملقباً بـ (ملك سبأ وذي ريدان) أن هذا الملك حكم وحده في بادىء الأمر لم يشاركه أحد ، ثم بدا له فأشرك معه ابنه (ذمار علي ذرح) ، وذلك في العهد الثاني وهو العهد الأخير من حكمه ، لورود اسم (ذمار علي ذرح) من بعد اسم ابيه منعوتاً بنعت ملك ، أو أنّ (ذمار علي ذرح) لم يبلغ السن التي تؤهله لحمل لقب الملوك إلا في العهد الثاني من عهد أبيه ، وكان أبوه مع كبر سنه قد صار بحاجة الى عونه ومنحه اللقب الملكي مكافأة وتقديراً له .

(هلك امر) بن كرب ال وتر يهنعم) . وقد لوحظ ورود اسمه في كتابات الدور الأول من دور حكم ابيه ، إلا انه لم يلقب فيها بـ (ملك سبأ وذي ريدان) أما كتابات الدور الثاني من أدوار حكم (كرب الـ وتر يهنعم) فلم يجّد الباحثون فيها اسمه ، ؛ وإنما وجدوا فيها اسم شقيقه (ذمار علي ذرح) وقد تلقب هذا بملك (سبأ وذي ريدان) دلالة على انه كان يحكم مع أبيه حكماً ملكياً مزدوجاً .

كما يعني ذلك احتمال وفاة (هلك امر) في أيام حكم ابيه ، وذلك لاختفاء اسمه من الكتابات .

هذا وقد قدّر (البرايت) حكم (كرب الـوتر يهنعم) وابنه (هلك أمر) في منتصف القرن الثاني للميلاد .

(ذمار علي ذرح)[١٤] بن كرب ال وتر يهنعم ، ذكر هذا في عدد من

(١٤) المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ مز ص ٤٧٦ .

الكتـابات ، ومنهـا الكتابـة التي وسمت عند العلماء بـ (ريب ايبج ٤٣٩١) REP EPIG 4391 والتي لقب فيها بـ (ملك سبأ وذي ريدان).

(كـرب ال بين بن ذمـار علي ذرح) دلّ عـلى ذلك نص (جـام ٦٤٢) وقد جعل(جام) حكمه بين السنة والثمانين والسنة الخامسة والتسعين ب . م .

كما ذكر (كرب ال بين) بن ذمار علي ذرح في نص وسم بـ (جام ٦٤٣) ودوّنه مع تكملتـه رجلان من عشيـرة (جرت بن يكـلي) اسم احدهمـا (نشأ كرب) واسم الآخر ثوبان) وقـد دوّنا فيهـما اخبار معـارك خاضـاها ، وكـانا (مقتويين) (قائدين) من قادة الملك المذكور ، وقد أمرهما الملك بقيادة كتائب من جيشه وفرسانه لمحاربة ملك حضرموت (يدع ال) ومن انضم اليه .

ويظهر من النص ان مناوشات ومعارك كانت قد وقعت بين حكومة (سبأ وذي ريدان) في عهد الملك (كرب ال بين) المذكور وحكـومة حضـرموت ، وأتعبت الطرفين حتى اضطرا في الأخير الى عقد صلح بينهما ، وأخذا الأيمان على انفسهما بوجوب المحافظة على ما اتفقا عليه ، ولكن هذا الاتفاق لم يدم طويلاً كما يذكر النص ، وأنه سرعان ما نكث ملك حضرموت بعهده وخالف وعده ، أدى الى ذلك اختلافهـما على مـدينة (حنـان)[(١٥)] (الواقعـة) بين الحكـومتين السبائية الريدانية والحضرمية) والتي كان ملك حضرموت يـطمع بـأن يفرض سلطانه عليها ، بل انه كان قد استولى عليها ومنع قوة مكونة من ثلاثمائة مقاتل من (سمهرم) انفذهم الملك (كرب ال بين) لاستعادتها من الـدخول اليهـا ورفض قبول الأمر الذي حمله (نشأكرب) قائد القوة المذكورة ، والذي عرضه على ملك حضرموت (يدع ال) المذكور ، ولم يكتف ملك حضرموت بما فعله بالمدينة المذكورة ولكنه بعد ذلك توجه الى مدينة (يثل) المعينية والـواقعة تحت نفوذ ملك (سبأ وذي ريدان) المذكور ، ولما وصل الى أبوابها فتحت له ولجنوده واستقر بها مدة ، ثم اتجه منها نحو مدينتي (نشقم) (نشق) و(نشن) و(نشان)

---

(١٥) لعـل هذه المـدينة هي مـدينة (حبـان) التي ذكـرهـا (جـواد عـلي) في المفصـل أيضـاً ص ٥١١ . من الجزء الثاني وعرفها بأنها تقع غـرب ميفعة عـلى الطريق المؤديـة الى شبوة العـاصمة القديمة لحضرموت .

وهما ايضاً من مدن (معين) القديمة المهمة والواقعة تحت نفوذ ملك (سبأ وذي ريدان) ايضاً فحاصرهما واخذ يهاجم مواضع التحصين والدفاع فيهما ، الأمر الذي حمل ملك (سبأ وذي ريدان) (كـرب ال بين) المـذكور عـلى الاسراع بارسال نجدات اليهما تمكنهـا من مقاومـة الحضارمـة ومن الصمود امـامهم ، وكانت تلك القوة تحت قيادة (نشأ كـرب) المذكـور و(سمهو يفـع) من بتع الحاشدية ، وتتألف من كتائب مشاة ومن فرسان،ولما وصل خبر وصول المدد الى المدينتين ابلغ ملك حضرموت بـه (منذر) (أحد) رجال الاستـطلاع في عرف اليوم) اسرع الملك فترك حصار المدينتين وعاد الى يثل ليتحصن بها .

ثم قرر (كرب ال بين) مهاجمة خصمه بنفسـه فسار عـلى رأس قوةمن جيشه من عاصمته(مأرب) (لعلها كانت ما تزال عاصمة للحميريين الى جانب ظفار رعين) واتجه نحو (يثل) وأمر قائديه (آنفي الذكر) بالزحف مع قواتها نحو (يثل) أيضـاً ، فطوقت قـواتها وقـوات الملك (كرب ال بـين) ملك حضرموت المتحصن في يثل من ناحيتين ، فانهزمت قوات هذا ثم انسحب هو من (يثل) نحو (حنان) .

ويكمل النص الثاني تكملة النص الأول آخـر خبر ورد في النص الأول فيقول : « ان قوات اضافية وصلت من مـأرب الى الملك وقائـديه ، وعنـدئذٍ اتخـذت هـذه القـوات خـطة المهـاجمـة ، فهـاجمت ملك حضـرمــوت وجيش حضرموت وأنزلت به خسائر فادحة فتكت بألفي جندي من جنود حضرموت ، واستولى السبئيون على كل ما كان عند ملك حضرموت من خيل وجمـال وحمير ومن كل حيوان(جرح) (جارح) عند ملك حضرمـوت ، وبذلـك ختم هذا النص بالنص على انتصار (سبأ وذي ريدان) على ملك حضرموت»

وهكذا كانت اليمن مشتعلة بالحروب بـين مختلف ملوكها العـديدين ، واذا خبت نارها لا تلبث ان تشتعل من جديد للأسف الشديد .

(يدع ال وتر) بن ذمار علي على رأي (فلبي) ، ويظن انـه الشخص المسمى بهذا الإسم في النص (كاي ٧٧) هذا وقد جاء في عدد من الكتابات

الأثرية اسم (حمير) بلفظ (حميرم) بالحاق حرف الميم في آخر الإسم على عادتهم ، كما جاء ورود (حمير) بلفظ (ذي ريدان) ودعوا ملوكهم بـ (ذمار علي ذي ريدان) و(شمر ذي ريدان) وإن الحوادث التأريخية التي ترجع الى عهود ملوك (سبأ وذي ريدان) على كثرتها لم تؤرخ الحوادث كغيرها ، بل أنّ كثيراً من ملوك (سبأوذي ريدان) ذكروا منفردين دون ان تذكر اسماء آبائهم وأبنائهم ، لذلك فإنّ جميع القوائم التي وضعها الباحثون لملوك (سبأ وذي ريدان) (وكما هو الحال بالنسبة لغيرهم من ملوك دول ما قبل الإسلام) لا نعني اكثر من حصر من عرفت أسماؤهم ، ومن الصعب مع ذلك ترتيبهم ترتيباً زمنياً يقينياً ، والتنقيب العلمي الشامل هو وحده الكفيل بتحقيق ما أجمل أو جُهل من تأريخ اليمن القديم .

ملوك سبأ وذي ريدان من الحاشديين

ذهب[١٧] الباحث (جون فلبي) إلى أن الحكم في الدولة الريدانية (الحميرية) انتقل من الريدانيين الحميريين الى الحاشديين وذلك من عام (١١٥ الى عام ٢٤٥ ب . م) . وكان هؤلاء الحكام الحاشديون من أسرة (بتع) الحاشدية ، وقد بلغ عددهم عنده اثني عشر ملكاً جمعهم في ست مجموعات ، وقد رتبهم على ما ادى اليه اجتهاده ، ولم يقدر ازمنة لحكمهم كما فعل مع غيرهم ممن حكم قبلهم ، لأنه كما بيّن هو نفسه غير واثق من معرفة ذلك ، والملوك هم :

(شمدر يهنعم) . وقد عرف اسم هذا الملك من نقود ذهبية عثر عليها ضربت في ريدان ورسم وجهه على احد وجهيها وكتب اسمه تحت الصورة .

(غمدان بين يهقبض) كماعرف اسم هذا الملك ايضاً من نقد ذهبي ضرب

---

(١٦) نفس المصدر والصفحة .

(١٧) جواد علي في المفصل أيضاً ج ٢ من ص ٤٨٨ . والدكتور فؤاد حسنين في استكماله لكتاب (التأريخ العربي القديم) ص ٢٩٤ .

في ريدان في (ظفار رعين) كتب اسمه عليها تحت صورة وجهه ، وقد بدا وجهه حليقاً وضفائررأسه متدلية على رقبته ، وأول من لفت انظار الباحثين الى هذا النقد (مودرتمن) و(بريدو) .

كما ورد اسمه في النص الموسوم بـ (جلازر ٥٦٧) وفي نص عثر عليه في (حرم بلقيس) لقب فيه بـ ملك (سبأ وذي ريدان) كما ذكر فيه اسم الإله (عثتر) .

(نشأ كرب يزن) ، (وهب عثت يفد) ، وقد ورد اسما هذين الملكين في النص (كاي ٣٣٦)،إلا أنهما لم يلقبا فيه بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) وأضاف (فلبي) ان والدهما هو (نصح بن يهزحم) .

(هوتر عثت يشف) ، و(كرب عثت يهقبل) ، و(نشأ كرب أوتر) (وشهر أيمن) .

و(رب شمس نمران) وقد ورد اسمه في النص الذي وسم بـ (٣٦٢١ ريب ايبج) وهو نص عُثر عليه في (مأرب) واستدل (فلبي) من وجود هذا النص في (مأرب) على بلوغ سلطانه وسلطان قومه (الـبتع) هذا المكان ، علماً بأن منطقة نفوذهم الرئيسية انما هي منطقة (سمعي) ومعظمها في بلاد حاشد ، وعاصمتهم فيها هي مدينة (حاز) (بين عمران وثلا) ،

كما ورد اسم (رب شمس نمران) في النص (٤١٣٨) ، REPEPIG وهو نص مهم وردت فيه اخبار حروب وتمردات قام بها (عبد عشتر) وأخوه (سعد ثون) ابنا (جدنم) (جدن) بأمر من سيدهم (رب شمس) نمران) ملك (سبأ وذي ريدان) ، فلما عادا الى موطنهما سالمين دونا شكرهما وحمدهما للإله (المقه) (القمر) الذي منَّ عليهما بالعافية ، وحفظهما وأعادهما بصحة جيدة ، وانقذهما المقة بعل (حروان) من الوباء الذي عمَّ كل الأرض ، وبارك عليهما في مدينة (نعض) (لعلها مدينة ناعط الأثرية) في بلاد حاشد ، انعم عليهما سيدهما (رب شمس نمران) ، ودعوا في هذه الكتابة (المقه ثهوان) ، و(ثوران بعلم) (بعل حروان) بأن يبارك عليهما ويحفظهما ويمن عليهما بالعافية

وبالأولاد الذكور ، وبثمارٍ كثيرة وجني جيدة ، وذلك بحق الإله (عثتر) (وهوبس) و(المقه) و(ذات حميم) و(ذات بعدان) و(شمس) ، ويظهر ان صاحبي النص كانا مقتويين أي قائدين من قادة هذا الملك الذي كلفهما بغزو أعدائه ومحاربتهم ، ودوّن في النص اسم قبيلة (جرش) ولعل اسم (جرش) هو اسم موضع في اليمن ببلاد عسير له علاقة باسم هذه القبيلة ، كما ورد اسم الملك (رب شمس نمران) في نصوص اخرى .

(سخمن يهصبح) وقد ورد اسمه في كتابتين وسمتا عند العلماء بـ (جلازر ١٣٦) و (جلازر ٢٠٨) غير انه لم يلقب فيها بلقب ملك (سبأ وذي ريدان) ، وإنما استدل على انهما ملكان ، من ورود كلمة (مراهمو) أي سيدهم ، الواردة قبل اسمه .

(اجرم يهنعم بن سخمان) وسخمان هذا يحتمل انه (سخمان يهصبح) الملك الوارد اسمه قبله .

(سعد أوم نمران) وقد ذكر هذا في النص (جلازر ٢١٠) وهو من النصوص التي عثر عليها في المدينة الحاشدية الهمدانية (حاز) ، ويرى (هومل) انه الذي ذكر في النص (جلازر ٥٧١) والذي لم يبق فيه من اسمه إلا نعته (نمران) ؛ كما يحتمل انه نعت للملك (رب شمس نمران) آنف الذكر .

وبالملك (سعد أوم نمران) اختتم (جون فلبي) الأسرة الحاشدية التي حكمت الدولة الريدانية بعد الريدانيين الحميريين .

ملوك سبأ وذي ريدان من الحميريين للمرة الثانية

أول من حكم من هذه السلالة هو الملك الحميري (العز نوفن يهصدق) (العز نوفان يهصدق)ولم يعرف اسم أبيه، فقد[18] ذكر (فون وزمن) ان السبئيين تمكنوا من الاستيلاء على (حمير) وأنها بقيت خاضعة لهم الى ان ثارت عليهم (حمير)

(١٨) الدكتور جواد علي في (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) من ص ٥٢٢ .

بزعامة(العز نوفان يهصدق) حيث ولي عليهم ولقب بملك (سبأ وذي ريدان) وقد ورد اسم (العز نوفان يهصدق) في الكتابة الموسومة بـ (جلازر ٩٣١) والتي لقب فيها بملك(سبأ وذي ريدان) ، إلا انه ورد في الكتابة اسم ملكين من ملوك (سبأ وذي ريدان)من غير الحميريين وهما (شعر أوتر) و(لحعيثت يرخم) ولقب فيه كل منهما باللقب نفسه (سبأ وذي ريدان) ، وقد سجل هذه الكتابة احد القادة السبئيين ، ويظهر ان السبئيين والحميريين كانوا قد كوّنوا جبهة واحدة لمحاربة الحبش الذين هاجموا اليمن في عهد (جدرت) (جدرة) ملك الحبشة آنذاك .

وقد وقعت اضطرابات في هذا العهد دامت حوالي قرن ونصف القرن ، لم تنعم اليمن في خلال هذه المدة بالراحة والاستقرار ، وأضاف في المصدر المذكور ما نصه : « فنجد في الكتابات التي وصلت الينا في هذا العهد ذكر فتن وحروب وأوبئة وغزوات وغارات ، ونجد ملوكاً واقطاعيين يحارب بعضهم بعضاً ، ويعزو (ريكمنس) سبب ذلك الى ادخال الخيل في الحروب ، وحلولها محل الجمل ، مما ساعد على حركة القتال ، وفي نقل الحروب بصورة اسرع الى جبهات كان الجمل يقطعها ببطء ، كما يرى (دوستل) أنّ لتحسين السروج التي كان يستعملها المحاربون الفرسان دخلاً في هذه الاضطرابات .

أي ان استعمال الخيل في الحروب وتحسين سروجها على رأي الباحثين ادى الى احداث تطور خطير في اسلوب القتال ، وشجع على استمرار الحرب .

ثم[١٩] خلف (العز نوفان يهصدق) مؤسس الدولة الحميرية الثانية من الحميريين والتي جاءت بعد فترة حكم الحاشديين وهي العهد الثالث لدولة (سبأ وذي ريدان) الملك (ياسر يهنعم) يشاركه في الحكم ابنه الملك (شمر يرعش) ، ولم يعرف اسم والد (العز نوفان) وفي عهدهما احتل الحميريون (مأرب) وصارت (سبأ) تابعة لهم ، وكان ذلك على رأي الباحث (فون

(١٩) المفصل ج ٢ ص ٥٢٤ .

وزمن) في حوالي السنة (٢٠٠) م ، ويرى الباحث المذكور ايضاً ان الكتابات العربية الجنوبية انقطعت فجأة عن ذكر ملوك (همدان) ويعزو ذلك الى تـألق نجم الأسرة الحميريـة الحاكمـة التي تمكنت على مـا يظهـر من الاستيلاء عـلى عاصمة سبأ (مأرب) وعلى نجاد سبأ ، وقد انفرد (فون وزمن) بتحديد فتـرة حكم (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يرعش) بنهاية القرن الثاني للميـلاد وانفرد ايضاً بما ذهب اليـه من ان (ياسـر يهنعم) وابنـه (شمر يـرعش) ليسا همـا الوحيدين باسميهما من ملوك (سبأ وذي ريدان) .

بينما يخالفـه الكثير من البـاحثين ، ويـذهبون الى ان (يـاسر يهنعم) كذلك ابنه (شمر يرعش) هما الوحيدان اللذان تسميا بهذين الاسمـين من الحميـريين ، وأن (شمـر يرعش) هـو أول من تلقب بلقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) حيث صارت حضرموت تابعة لحكمه .

وكلمة (يمنت) في رأي (كلاسـر) تشمل الأرضـين في القسم الجنوبي الغربي من جزيرة العرب ، (اليمن) يحكمها اقيال وأذواء مستقلون استقلالاً ذاتياً مرتبطاً بـ (ظفار) عاصمة الدولة الحميرية ، و (ميفعة) عاصمة الدولة الحضرمية المستقلة وقبل اندماجها بدولة حمير .

وتعني يمنت في الاستعمال القديم (الجنوب) وهو اليمن بشـطريه لأنـه واقـع في جنوب الجـزيرة العـربية ، ثم صـارت اليمن الـطبيعيـة اسماً لليمن الطبيعي ، الذي يشمل (كما عرَّفه في صبح الأعشى) ارضاً واسعة يحدها من الغرب البحر الأحمر ، ومن الجنوب البحر العربي وبحر الهند ، ومن الشرق البحر العربي ، أمّا حدوده الشمالية فتتصل الى حـدود مكة حيث المـوضع المعـروف بطلحة الملك .

وقد ورد اسم (ياسر يهنعم) في جملة نصوص ، ومنها نص رقمه العلماء بـ (٤٦ كاي) عثر عليه في موضع (يكر) (يكار) من بلاد جهـران ، أرخ بشهـر (ذو محجة) (ذو الحجـة) من سنة (٣٨٥) من التـاريخ الحميـري ، الموافقة لسنة (٢٧٠ م) وهذا على اعتبار ان بداية التـاريخ الحميـري كان في

عهد (ال شرح يحضب) مؤسس دولة (سبأ وذي ريدان) الأولى ، وذلك في عام (١١٥ ق . م ..) وجاء في النص المذكور اسم قبيلة (مهاتف) وهي بلاد جهران كما عرفنا وورد اسم (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يرعش) في نص آخر مؤرخ كذلك في شهر (مذرن) (البذر)من سنة (٣١٦) من التاريخ الحميري ، ولعل هذه الكتابة الأخيرة تمت في عهد الملك الإبن (شمر يرعش) ، حتى تتلاءم مع تاريخها ، وقد سجل هذه الكتابة رئيسا قبيلتين بمناسبة بنائهما ماجلين (خزانين) لخزن الماء فيهما ، لإسقاء ارض لهما مغروسة بالكروم (الأعناب) .

وورداسم (ياسر يهنعم) واسم ابنه (شمر يرعش) في النص (٦٤٦ جام) وهو نص دونه (مقتوي) ضابطان كبيران من ضباط الملكين المذكورين بمناسبة ولادة مولودين لهما (ولدم) ، وقد شكرا فيه الإله (المقه) و (بعل أوام) على هذه النعمة ،وتوسلا اليه بأن يمن عليهما بأولاد آخرين ، وبأن يرفع من مكانتهما عندسيديهما الملكين ، وبأن ينصر جيشهما ويرفع مكانة قصر (سلحين) مقر الملوك في (مأرب)ومن منزلة قصر (ريدان) بظفار رعين وتوسلا اليه بأن يبارك في كل ما قام به الملكان من أعمال ، وبأن يبارك في كل مشروعوضعوه في خلالالسنين السبع في أي مكان كان في (مأرب) أو في (صنعاء) أو في (نشق) أو في (ريشان) وفي كل مكان يجتمعون به في ارض البدع الخمس ، ولكي يحفظهما من كل بأس وأذى ، وبأن يبعد عنهما حسد الحاسدين .

ولـ (شمر يرعش) قصص لدى الإخباريين فاق ما لوالده من ذلك بكثير ، ، وأنه لم يقم للعرب قائم أحفظ لهم منه ، فكان جميع العرب (بنو قحطان وبنو عدنان شاكرين لأيامه وكان أعقل من ورائه من الملوك وأعلاهم همة وأبعدهم غوراً وأشدهم مكراًلمن حارب ، فضربت به العرب الأمثال ، الى آخر ما حكاه عنه (وهب بن منبه) وغيره .

وقد قسم الباحثون كتابات المسند التي تعود الى أيامه الى قسمين :

كتابات الدور الأول من حكمه وهي التي اقتصرت على لقب ملك (سبأ وذي ريدان) .

وكتابات الدور الثاني وهي التي أُضيف فيها على لقبه زيادة (وحضرموت ويمنت) .

ومن[٢٠] كتابات الدور الأول الكتابة التي وسمها العلماء بـ (جلازر ٥٤٢) والتي سقطت منها بعض سطورها ، والكتابة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لمن يريد الوقوف على التشريع عند اليمنيين في العهد السابق على الإسلام ، اذ انها ترينا قانوناً سنَّه الملك (شمّر) لشعب سبأ (أهل مأرب) وما والاها في تنظيم البيوع بالمواشي والرقيق ، فحدّد المدة التي يعد فيها البيع تاماً ، وهي امد شهر ، والمدة التي يجوز فيها رد المبيع الى البائع ، وهي بين عشرة أيام وعشرين يوماً ، كما بيّن حكم الحيوان الهالك في اثناء المدة التي يحق للمشتري فيها رد ما اشتراه الى البائع فحدّدها بسبعة أيام ، فإن مضت هذه الأيام وهلك الحيوان في حوزة المشتري وجب عليه دفع الثمن كاملاً الى البائع ، ولا يحق له الاعتراض عليه والاحتجاج بأنّ الحيوان قد هلك في أثناء مدة اجاز له القانون فيها فسخ عقد الشراء .

ويعد النص[٢١] الموسوم بـ (كاي ٤٠٦) من النصوص المهمة من الأيام الأولى من أيام حكم (شمر يرعش) ، وهو يتحدث عن حرب قام بها جيش (شمر يرعش) في شمال غربي اليمن امتدت رقعتها حتى بلغت اليم (البحر الأحمر) ، شملت ارض (عسير) و(صبية) بين وادي (بيش) ووادي (سهام) وهي ارض تهامة اليمن ، قام بها ضد قبائل (سهرت) (سهرة) و(عكم) (عك) وغيرها ، وصاحب النص رجل اسمه (أبو كرب) وهو في

---

(٢٠) المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٥٤٠ .

(٢١) نفس المصدر والجزء ص ٥٤١ .

درجة (مقتوي) (ضابط) أي قائد في جيش شمر ، وقد ابلي في هذه الحرب بلاء حسناً ، وقدم من أجل ذلك إلى الإله (المقه ثهون بعل أوم) تمثالين من الذهب وتمثالاً من الفضة ، لأنه منَّ عليه فأنقذه من مرض أصابه في مدينة (مأرب) مدة ثمانية أشهر ، ولأنه منَّ عليه في الحرب التي اشتعلت في وادي (ضمد) وامتدت حتى موضع (العكوتين) (عكوتنهن) وساحل البحر ، وقد انتصرت فيها جيوش شمر على جمع من قبائل تهامة عسير ، ومن القبائل التي ورد اسمها في هذا النص (ذسهرتم)أي(ذو سهرت)و(صحرم)(صحار)و(جرت) (جره) و(عكم) (عك) فتبين من هذا النص أن الملك (شمر يرعش) سير حملة عسكرية إلى جملة قبائل من قبائل عسير وتهامة حتى ساحل البحر الأحمر ، فانتصرت الحملة عليها وتعقبت القبائل في البحر ، وجرت معارك في وسطه ، وانزلت بالمنهزمين وهم على أمواج البحر خسائر فادحة ، وقد استدل بعض الباحثين من اشارة (أبي كرب) الى الخسائر التي مني بها المنهزمون وهم في البحر الى أن أولئك المنهزمين كانوا من الحبش الذين كانوا قد تسللوا الى ساحل تهامة وتمركزوا فيها وأنّ المعركة قد وقعت في البحر الأحمر .

ويقع موضع (عكوتن) (العكوتان) شمال وادي (ضمد) ، وأما (صحار) صحرم) فيقيمون اليوم حوالي صعدة وينطقون (سحار) ، وأما (سهرتم)(سهرة)فقبيلة تقع منازلها في تهامة ، وربما كانت منازلها في (وادي بيش) في الشمال الى (وادي سردد)،وقد كانت هذه القبيلة على صلات قوية بالحبش في أيام (ال شرح يحضب) وقد أدت فتوحات (شمر يرعش) في هذه الأرضين التي بلغت سواحل البحر الأحمر الى دخوله في نزاع مع الحبش الذين كانوا قد تسللوا الى مواضع في الساحل وتمركزوا فيها ، ويؤيدون بعض القبائل لوجود احلاف عقدوها معها ، و(عكم) (عك) وهي القبيلة المعروفة في تهامة أيضاً والتي سبق تعريفها في فصل (موجز انساب اليمنيين ومساكنهم) من هذا الكتاب .

كما تعود الى الملك (شمر يرعش) هذا عدة كتابات اخرى استوفاها

الدكتور جواد علي في (المفصل[٢٢] في تأريخ العرب قبل الإسلام) فليرجع اليه من اراد التوسع في الموضوع ، وهي تتحدث في معظمها عن معارك الملك وقادته مع القبائل التي كانت تثور عليه وتعلن تمردها على دولته ، والقليل منها تحدثت عن قيام عسكره بأعمال غير حربية ، كبناء حصون وأسوار ، ومنها سور مدينة(مأرب) أي إعادة بنائها وترميمها وشق المصارف والمجاري للسيول بغية تحويلها عنها والحيلولة دون اكتساحها ، وفي انشاء مبانٍ واحواض في موضع (طمحان) في (مأرب) وفي مواضع غيرها ، كما ذكرت ان الملك المذكور لمنع المسخرين من الفرار من الأعمال الانشائية الوقائية رتّب جيشاً تحت تصرف احد قادته لذلك .

ويقع النصف الثاني من حكم (شمر يهرعش) (يرعش) في رأي (فون وزمن) ما بين (٢٨٥ـ ٢٩١ب. م) أو (ما بين ٣١٠ ـ ٣١٦ ب . م .) ، ويعني هذا في رأيه ان (شمر يرعش) كان معاصراً لـ (امرىء القيس بن عمرو) ملك الحيرة المذكور في نص (النمارة) المتوفي سنة (٣٢٨ ب . م) والذي حارب واخضع قبائل عديدة ووصل الى (نجران) عاصمة (شمر) وقد يعني ذلك ان حروباً نشبت بين الملكين .

ويرى بعض الباحثين أنّ (مريقس بن عمرم) ملك (خصصتن) والذي ورد اسمه في النص (ريكمنس ٥٣٥) هو (امرؤ القيس) ملك الحيرة ، ويرى ايضاً ان (شمر ذي ريدان) المذكور في النص ايضاً هو (شمر يهرعش) ، وبناء على ذلك يكون ملك (كدت) (ملك كندة) من المعاصرين لأمرىء القيس ولشمر يرعش أيضاً .

ولا يوجد نص صريح بحدوث قتال بين الملكين (شمر يرعش) و(امرىء القيس) ، وإنما هناك نص عرف بـ (جام ٦٥٨) يشير الى حرب نشبت بين قواتهما .

---

(٢٢) في الجزء الثاني من ص (٥٤٨) .

كما ظهر من نص عثر عليه في عهد قريب أنّ قائداً من قواد (شمر) كان قد غزا بهم ملك (اسد) وأرض (تنوخ) وذكر ان ارض تنوخ كانت تحت حكم مملكتين يقال لإحداهما (قطو) ،وللأخرى (كوك) أو (كوكب) ، وأن اعراب شمر انزلوا بها خسائر فادحة ، وقد قصد بأرض (تنوخ) (الأحساء) في الزمن الحاضر ، وكانت هي من منازل قبائل تنوخ في ذلك الزمن ، وقصد بأرض (قطو) (قطوف) (القطيف) وفي اشارة غزو (شمر) لأرض (تنوخ) التي كانت ضمن نفوذ (فارس) الساسانيين تأييد لما ذكره الأخباريون من غزو (شمر يرعش) لفارس .

أما بالنسبة لحرب شمر يرعش لحضرموت واستيلائه عليها وقضائه كليةً على كل نفوذ لملوكها حتى استطاع ان يضيف الى لقبه (وحضرموت) فقد اشار النص جام ٦٥٦) الى الآتي :

اعلن (هشتا) (ملكا حضرموت)(شرح ال) و(رب شمس) الحرب على الملك (شمر يرعش) ولم يتحدث النص عن اسباب ذلك ، وكانت عاقبة الحرب سيئة بالنسبة لملكي حضرموت ، اذ خسراها ، وكانت الحرب في وادي (سررن) (وادي السر) على بعد سبعة كيلومترات من مدينة (شبام) .

وذكر نص آخر عرف عند العلماء بـ (جام ٦٦٢) أنّ الملك (شمر يرعش) عينّ (يعمر اشوع) حاكماً على مدينة (شبوة) عاصمة حضرموت ، وكان هذا (وزع) (سيد) من سادات (سبأ) ،ولم يؤرخ النص متى تمّ ذلك التعين ، وأنّ شمر يرعش منذ استولى على شبوة اضاف الى لقبه تلك الاضافة الجديدة وهي (ويمنت وحضرموت) ، ولكنه حين كان قد استولى على (شبوة) فانه لم يكن قد استولى على حضرموت جميعها .

كما تبين من النص (كاي ٩٤٨)الذي امر الملك شمر يرعش بتدوينه انه حارب الملك (شرح ال) ملك حضرموت وانتصر عليه انتصاراً كاسحاً ، ولم يذكر في النص المذكور الملك الآخر (رب شمس) لحضرموت .

وقد لوحظ من النص المذكور انه سمي الملك بـ (شمر يرعش) بدلاً

من (شمر يهرعش) كما ورد في كل النصوص الأخرى ، كما ظهر من النص المذكور أنّ الملك (شمر يرعش) اضطر الى قيادة حملة جديدة على حضرموت ، لأن الحضارمة انتهزوا فرصة عودة الملك (شمر)الى سبأ وعودة معظم جيشه معه سوى الحاميات التي تركها في بعض المدن والمواضع مثل (شبوة) فثاروا على السبئيين بقيادة الملك (شرح ال) .

وكما يظهر من النص المذكور ومن النصوص الأخرى أنّ الحضارمة وان اندحروا واصيبوا بهزائم في هذه المعارك إلا انهم لم يتركوا النضال في سبيل الاستقلال وفي سبيل التخلص من حكم سبأ .

ولوحظ من النص المذكور ايضاً انه اغفل ذكر (رب شمسم) (رب شمس) الملك الثاني لحضرموت ، ولم يعرف الباحثون سر اغفال ذلك من النص .

ولمّا عاد[٢٣] الملك (شمر يرعش) من حملته على (حضرموت) قاد حملة اخرى على ارض (خولن الددن) (خولان الدودان) ، وقد كلف احد قادة جيشه بأن يعسكر بـ (هجرن صعدتم) (مدينة صعدة) وان يضع بها حامية ثم يقوم بقطع الطريق على بعض فلول (خولان) ونفذ القائد ما طلب منه .

ولمّا أنهى الملك الحرب التي قام بها في أرض (خولان الدودان) حارب جيشه فلول (سنحن)(سنحان)لعلهم كانوا منضمين الى (خولان) والمراد بخولان هذه وبسنحان خولان وسنحان صعدة . ثم عاد الملك (شمر يرعش) فأصدر أمره بالزحف على (سهرتن) (سهرتان) و(حرتن) (حرتان) ، وانه لما انتهت قواته من مقاتلتها في تهامة اتجهت نحو الشمال لمحاربة فلول (نشدال) في وادي (عتود) الذي يصب في البحر الأحمر والذي يقع على مسافة (٨٥) كيلومتراً الى الشمال الغربي من (جيزان) .

وقد وضع الباحث (جون فلبي) بعد (شمر يرعش) الملك (يريم

---

(٢٣) المفصل ج ٢ ص ٥٥٥ .

يهرجب) وقال أنّ من المحتمل ان يكون احد ابناء (شمر) وجعل حكمه في حوالي السنة (٣١٠ ب . م) .

وقد جاء في بعض النصوص الأثرية اسم ملك بعد (شمر يرعش) اسمه (ياسر يهنعم) اختلف الباحثون في نسبه ، والأرجح انه ليس ابناً لـ (شمر) ولا أباه استعاد الحكم بعد ابنه .

وهنا سأقف عند الملك (يريم يهرجب) لأتناول بالبحث موضوع الوجود الحبشي في اليمن ، وهو الوجود الذي حدث بعد الملك (يريم يهرجب) المذكور مباشرةً ، على أن آتي على من بقي من الملوك الحميريين وغير الحميريين بعد ذلك .

وعلينا ايضاً ان نعرف قبل الوجود الحبشي في اليمن ما سبقه من ملابسات ومن وجود يمني في الحبشة ربما كان الغزو الحبشي لليمن رداً عليه ، أو كان الغزو الحبشي من قبل يمنيين تناسلوا في الحبشة وغزواأبناء عمومتهم في اليمن على اختلاف في آراء الباحثين .

ما قبل غزو الأحباش لليمن

يجدر بنا قبل أن نعرف شيئاً عن غزو الأحباش الأول لليمن أن نعرف ما سبق ذلك من ملابسات بين الجانبين اليمني والحبشي ، والعلاقات التي كانت قائمة بين اليمنيين وبين سكان المنطقة التي عرفت بالحبشه ، وعن غـزو اليمنيين لهذه المنطقة ، وهو الغزو الذي سبق الغزو الحبشي لليمن ، ومن هم هؤلاء الذين جاؤوا من الحبشة الى اليمن ؟ وما هي البواعث التي حملتهم على هذا الغزو ؟

لقد قرّر علماء التـأريخ والآثـار أنّ الأحباش الـذين غزوا اليمن للمـرة الأولى هم من أصـل يمني هاجـروا الى الحبشة من اليمن في عصـور سحيقة ، وأسسوا دولة كانت النواة لدولة (اكسوم) في الحبشة ، فذكر (دتلف نيلسن) في الفصـل الذي عقـد له بكتـاب (التأريـخ العربي القـديم) بعنوان تـأريخ العلم[1] ونظرة حول المادة) ما نصه : « ليس الساميون الذين خلفوا لنا في بلاد الحبشة آثاراً وآداباً ، والذين ما زالوا حتى اليوم يقيمون في البـلاد هم العنصر الأصلي الذي يتكوّن منه السكان الأصليون ، بل هم فيـما يُعتقَد كغيرهم من الساميين الشماليين قد هاجروا اليها من بلاد العرب (اليمن) وذلك لأن لغتهم عبارة عن لهجة عربية جنوبية (يمنية) ، وما زالت الى اليوم قريبة الى العربيـة بالرغم من دخول بعض العناصـر (الحاميـة) فيها ؛ أمّا اللغة أمّا الخط أمّا الثقافة فسبئية منذ البداية . وذلك لأن بعض المهاجرين من بلاد العرب الجنوبية

---

(١) ص ٣١ .

(اليمن) نزحوا الى البلاد فيما يظهر في قرون بعيدة قبل الميلاد ، وأسّسوا هناك مستعمرات ، ووضعوا الأساس لدولة الحبشة التي اخضعت فيما بعد في القرن السادس الميلادي بلاد العرب الجنوبية لسلطانها » .

وذكر نحو ذلك الدكتور (نيكلوس رودوكاناكيس)[٢] في الفصل الذي عقد له ايضاً بكتاب (التأريخ العربي القديم) بعنوان (الحياة العامة للدول العربية الجنوبية) فقال : « وهذه الدولة الأفريقية التي نشأت اصلاً من جاليات يمنية ، نجحت مع توالي الزمن وقوتها في تأسيس هذه الدولة الافريقية (الحبشة) التي اضطرت الى اقامة حاميات عسكرية على الشاطىء العربي المطل على البحر الأحمر للدفاع عن أملاكها الخارجية ، لذلك كانت بحكم مركزها تستطيع التدخل في أي وقت شاءت في شؤون بلاد العرب الجنوبية ، وأن تؤثر وتتحكم في طريق العرب التجاري الثاني ، هذا الطريق الذي كان يبدأ من الموانىء الجنوبية للبحر الأحمر محاذياً للشاطىء العربي ، متجهاً شمالاً حتى (بطره) في (الأردن) أو بحراً على قوارب صغيرة تمخر البحر بحذاء الشاطىء حتى الموانىء الشمالية » .

وأضاف (نيكلوس)[٣] مؤكداً علاقة حكام العربية الجنوبية (اليمن) بابناء عمومتهم حكام (اكسوم) فقال : « ويظهر أنّ السادة الجدد في بلاد العربية الجنوبية ارادوا بمناسبة هذا الطريق التجاري ومصالحهم الخاصة عقد معاهدة مع ابناء أعمامهم وجيرانهم تأميناً لهذه المصالح وضماناً لسلامة المواصلات » .

وتحدث الدكتور (جواد علي)[٤] عن صلة القرابة قديماً بين الجانبين اليمني والحبشي فقال : « ويرى بعض الباحثين أنّ أصل الحبش من عرب اليمن من سفوح الجبال ، وفي اليمن جبل يسمى حبيش(لعله جبل جبيش في

---

(٢) ص ١١٨ .

(٣) المصدر نفسه (التأريخ العربي القديم) والصفحة نفسها .

(٤) المفصل ج ٣ ص ٤٤٩ .

لواء اب أو جبل حبشي في لواء تعز وكل منها يكوّن مديرية مستقلة) قد يكون لأصله صلة بالحبش الذين هاجروا الى افريقيا واطلقوا اسمهم على الأرض التي عرفت باسمهم أي (حبشت) أو (الحبشة) ويرون ايضاً أنّ الجعز هم الذين وضع (بليني) منازلهم على مقربة من عدن ، فهم من أصل عربي جنوبي هاجر الى الحبشةوكوّن مملكة هناك ، والى هؤلاء نسبت لغة الحبش حيث عرفت بالجعزية أي لغة الجعز » مع اختلاطها ببعض اللغة القديمة للمنطقة والاحتفاظ ببعض مفرداتها وقواعدها ».

تأريخ الوجود اليمني في الحبشة وافريقيا

أما عن تأريخ هجرة العرب الجنوبيين (اليمنيين) الى (الحبشة) فلم يقف الباحثون على تحديد يقيني لأول هجرة لهم اليها ، وأول ما عرف عن ذلك أنه كان في القرن السادس قبل الميلاد ، ذكر ذلك الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل [٥] في تأريخ العرب قبل الإسلام) حيث قال : « وقد نبيّن أنّ السبئيين كانوا قد استوطنوا في القرن السادس قبل الميلاد المناطق التي عرفت باسم (تعزية) من أرض (ارتريا) (أو نجد الحبشة) ، وكوّنوا لهم حكومة هناك ، وأمدّوا الأرضين التي استولوا عليها بالثقافة العربية الجنوبية ، ولم يقطع هؤلاء السبئيون صلاتهم بوطنهم القديم ، بل ظلت انظارهم متجهة نحوه في تدخلهم في هذا الوطن بشؤونه ، وارسالهم حملات عليه ، واحتلالهم له في فترات من الزمن ، ولعل ما جاء في احد النصوص (مصر الحبشة) قصد به هؤلاء الذين كانوا قد استوطنوا تلك المنطقة من افريقيا » .

وفي القرن السادس قبل الميلاد كان (الأوسانيون) قد نزحوا الى السواحل الأفريقية الشرقية ، فاستوطنوا الأرضين المقابلة لـ (بمبا) (زنجبار) (زنزبار) وهي عزانيا ، وتوسعوا منها نحو الجنوب ، وقد عرف هذا الساحل في كتاب (الطواف حول البحر الأريتري باسم (أوسانيتيا) وهو اسم يذكرنا بـ

---

(٥) المفصل ج ٣ ص ٤٥٠ .

(أوسان)،وقد ذكر مؤلف الكتاب (المذكور) انه كان خاضعاًفي أيامه (القرن الأول بعد الميلاد) لحكام (سبأ وذي ريدان) .

كما تناول الباحث (دتلف نيلسون)[٦] موضوع امتداد نفوذ السبئيين الى الحبشة في منتصف القرن السادس قبل الميلاد فقال : « ونستطيع عن طريق هذه الآثار التمييز بين عصور مختلفة في تأريخ الثقافة الحبشية القديمة ، وأقدم هذه النقوش ما جاءنا في اللغة السبئية والخط السبئي ، وهي نقوش ترجع تقريباً الى منتصف الألف الأول قبل الميلاد ، ومن هذا العصر وصلتنا قطعة حجرية محفوظة في حائط كنيسة قائمة على قمة جبل الأنباء بـ (نتلون) بالقرب من (اكسوم) فهذا الحجر يتحدث عن مكان سبائي مقدس ما زالت بقايا بعض حيطانه قائمة ، وفيها ذكر للإله السبائي (ذات بعدان) ، كذلك توجد بقايا بعض الأعمدة في (يحا) شمال شرق عدوة، وهي تدلّ دلالة واضحة على وجود موضع مقدس سبائي في ذلك المكان ، كذلك عُثر على مذبح صغير مقدم للإله (سين) كما وجد جزء من نقش سبائي لتقديس الإله العربي الجنوبي (عثتر) .

وتناول الدكتور (جواد علي) موضوع صلة اليمنيين بالأحباش وتأثر هؤلاء باليمنيين[٧] فقال «وفي جملة ما يُستدلّ به على تأثير العرب الجنوبيين في الحبش هو الأبجدية الحبشية المشتقة من الخط العربي الجنوبي وقرب لغة الكتابة والتدوين عندهم من اللهجات اليمنية وبعض الخصائص اللغوية النحوية التي تشير الى انها قد اخذت من تلك اللهجات ، ثم عثور العلماء على اسماء آلهة عربية جنوبية ومعروفة في كتابات عثر عليها في الحبشة والصومال ، ووجودها في هذه الأرضين هو دليل على تأثر الافريقيين بالثقافة العربية الجنوبية ، أو على وجود جاليات عربية في تلك الجهات » .

---

(٦) في الفصل الذي عقد له بكتاب (التأريخ العربي القديم) ص ٣٣ .
(٧) المفصل ج ٣ ص ٤٥٢ .

تأريخ الوجود الحبشي في اليمن

نعني بهذا الوجود تمركز الأحباش في السواحل اليمنية لا احتلالهم لليمن كحكام فيه ، لأن هذا الاحتلال سيتناوله الفصل الذي يلي هذا .

« أمّا تمركز الأحباش في سواحل اليمن الذي نحن بصدد بحثه وامتداد نفوذهم الى الداخل في بعض الأحيان فقد حدث ذلك في القرن الأول للميلاد بل ومنذ القرن الأخير قبل الميلاد ، حيث بدأوا يتمركزون في سواحل اليمن بمحاذاة البحر الأحمر وبدأوا يتدخلون في اليمن بشكل تحالف مع فريق يمني ضد فريق يمني آخر ، ومن ثمة بدأوا يتسللون الى الداخل وحتى ظفار رعين بهذه الوسائل من معاونة فريق ضد فريق والتحالف مع هذا أو ذاك كما علمنا ونعلم بعد هذا .

وأما الاحتلال الحبشي الفعلي لليمن (ومهما كان أولئك الأحباش منحدرين من سلالات حبشية افريقية أو من سلالات يمنية استوطنت الحبشة وتناسلت فيه) فانه انما كان حوالي عام ٣٤٠ ب . م .

وقد[٨] تحدث النص الموسوم بـ (جام ٥٧٤) عن حرب أعلنها ملك (سبأ وذي ريدان ال شرح يحضب) على (أحزب حبشت) ، والمعروف أنّ هذا الملك أسس ملكه في عام ١١٥ ق . م ، وتدل كلمة (احزب) على جماعات أو جاليات تمركزوا على السواحل اليمنية لا على دولة حبشية احتلت اليمن ، وقد علمنا عند ذكر الملك (ال شرح) هذا قيام الحرب بينه وبين الأحباش الذين تحالفوا آنذاك مع مغتصبي عرش سبأ الهمدانيين الحاشديين من السبائيين المرثديين البكيليين ، وكان هدف (أل شرح) من تلك الحرب هو استعادة العرش من مغتصبيه الحاشديين لا من الأحباش .

وكان هؤلاء الأحزاب الأحباش الذين كانوا قد تمركزوا في الشواطىء اليمنية وفي بعض الأماكن الأخرى بالداخل قد تحالفوا مع الحاشديين ، بينما

---

(٨) المفصل ج ٢ ص ٤٢٦ .

تحالف البكيليون المرثديون مع الريدانيين الحميريين ، وكان كل من الأحباش والحميريين يهدف من مساندته لأحد الفريقين المتخاصمين ضد الفريق الآخر هو توسيع شقة الخلاف بينهما واضعافهما معاً والاستيلاء على الحكم لنفسه ، وقد تمّ للحميريين الاستيلاء على الحكم في اليمن من كل من البكيليين والحاشديين كما علمنا .

وتحدث الدكتور (جواد علي) مرةً اخرى في كتابه (المفصل(٩) في تأريخ العرب قبل الاسلام) عن تمركز الأحباش في السواحل الغربية اليمنية فقال : « ويظهر من الكتابات الحبشية أنّ الأحباش كانوا في العربية الجنوبية (اليمن) في القرن الأول للميلاد ، وقد كانوا فيها للقرن الثاني أيضاً ، ويظهر انهم أي الأحباش كانوا قد استولوا على السواحل الغربية وهي سواحل قريبة من الساحل الإفريقي ومن الممكن للسفن الوصول اليها وانزال الجنود بها » .

احتلال الأحباش الأول لليمن

اما احتلال الأحباش الفعلي لليمن فإنما كان في عام ٣٤٠ م .

وقد كان الباعث لهم لاحتلال اليمن هو السيطرة على الطريق التجاري البحري الذي كان بأيدي اليمنيين بين بحر الهند والبحر الأبيض المتوسط عبر البحر الأحمر ، عن طريق الموانىء والشواطىء اليمنية ، والسيطرة أيضاً على الموارد الاقتصادية الزراعية والتجارية في اليمن ، لأن اليمنيين كانوا قد بلغوا شأواً عظيماً في ميدان الزراعة والتجارة آنذاك .

ومن البواعث لغزو الأحباش لليمن هو نشر المسيحية فيه ، والتي كانت قد انتشرت في الحبشة ، وذلك بدليل مساندة قيصر الروم للأحباش في ذلك الغزو ، ومساندة النبط العرب المسيحيين حلفاء الروم للأحباش أيضاً .

ومن البواعث لغزو الأحباش لليمن أيضاً ، الجواب على الغزو اليمني

(٩) المفصل ج ٣ ص ٤٥٢ .

للحبشة والذي قام به الملك الحميري (شمر يـرعش) في نهاية القـرن الثالث وبداية القرن الرابع للميلاد كما علمنا عند الكلام على هذا الملك .

وقد جاء احتـلال الأحباش لليمن في آخـر عهد الملك الحميـري اليمني (يـريم يرحب) أو بعـد موتـه وذلك في عـام ٣٤٠ م ، ودام احتلالهم لليمن حوالي خمسة وثلاثين عاماً ، كـان ذلك في عهـد ملكين من ملوك الحبشـة وهما (الأعميـدا) وابنه (عيـزان) ، ثم ثار عليهم الملك الحميـري (ملك كـرب يهأمن) وأخرجهم من اليمن وذلك في عام ٣٧٥ م .

هذا ولم يتوصل الباحثون الى وثائق تأريخية يمكن الاستدلال بها على كيفية حكم الأحباش لليمن ، وهل كان اليمن في ايديهم فعلاً ؟ وكان لهم نفوذ كامل فيـه ؟ أم كان اليمنيـون يؤدون فقط للأحبـاش أتاوة رمـزية ؟ ويعتـرفون لهم بالولاء دون ان يكون للأحباش نفوذ فعلي .

عودة الحكم في اليمن الى الحميريين

وقد دلّ على أنّ الملك الحميري (ملك كرب يهأمن) هو الذي طرد الأحباش من اليمن وقضى على نفوذهم فيه،نقش عربي قديم[1] عثر عليه في (مأرب) وورد في بعض النصوص قبل اسمه كلمة (حسان) وصار اسمه (حسان ملك كرب يهأمن) بن ثارن يهنعم ، وقد حكم بين عامي ٣٧٥ - ٤٠٠ م .

هذا[2] ولم تذكر معظم قوائم ملوك (حمير) (ثأرن يهنعم) والد الملك (ملك كرب يهأمن) ولكنّ نص (جام ٦٦٩) ذكر الأب (ثارن يهنعم) (ينعم) والابن (ملك كريب يهأمن) (يأمن) وبلقبيهما الكاملين (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) .

والملك (ملك كرب يهأمن) هو الذي أقام أول معبد للإله (ذي سموي) أي إله السماء ، تحدث عن هذا الدكتور (فرتز هومل[3]) حيث قال : « لكن لم يمض زمن بعيد حتى نجد السبائيين (يعني الحميريين) حكام سبأ وذي ريدان وحضرموت) كما يتبينّ لنا من نقش (ملك كرب) يتحررون من (الأكسوميين) ، وقد كان ذلك حوالي عام ٣٧٥ م ، كذلك نجد تعبيراً آخر من نوع ديني يظهر في النقوش التي دوّنت في عصره وعصر الذين جاؤ وا بعده يعني (ملك كرب) هذا التغير هو الذي يتجلى في اختفاء الآلهة الوثنية

---

(١) الاستكمال للتأريخ العربي القديم ص ٣٠٢ .

(٢) المفصل ج ٢ ص ٥٦٤ .

(٣) في الفصل الذي عقد له بكتاب (التأريخ العربي القديم) بعنوان (التأريخ العام لليمن) ص ١٠٨ .

أمام رب السماوات » .

وتحدث الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل)[٤] عن اعتناق الملك الحميري (ملك كرب يهأمن) لديانة التوحيد أيضاً فقال : « أمّا الكتابة التي ورد فيها اسم الإله (ذي سموي) (رب السماء) فتعود الى الملك (ملك يكرب يهأمن) وهو ابن الملك (ثأرن يهنعم)، وقد عثر عليها في (منكث)[٥] خارج خرائب (ظفار) وقد ورد فيها مع اسمه اسم ولدين من أولاده هما (اب كرب أسعد) (أبو كرب اسعد) و (ذرأ أمر أيمن) ، وكانا يشاركانه في الحكم ، لورود لقب الملوكية الكامل بعد اسميهما ، وقد تقربوا بها الى الإله (ذي سموي) أي اله السماء ، وذلك في سنة ٤٩٣ من التأريخ الحميري المقابل لسنة ٣٧٨ أو ٣٨٤ م . وهذا الاختلاف في التأريخ الميلادي هو لاختلاف العلماء في بداية حكم (إلْ شرح يحضب) الذي هو بداية التأريخ الحميري أكان في عام ١٠٥ ق . م . أم ١٠٥ ق . م . وهذا النص وغيره من النصوص المماثلة له ترينا تطوراً خطيراً طرأ على اليمن في هذا العهد ، يدلّ على إعراض الملوك لأول مرة عن آلهتهم القديمة وعبادتهم الهاً واحداً هو (ذي سموي) أي (رب السماء) .

وقد يكون للنصرانية التي جاء بها الأحباش الى اليمن ولأعمال التبشير التي قام بها المبشرون النصارى للنصرانية دخل في انتشار عبادة رب السماء . ولم يترجح أنّ التأثير في ذلك كان لليهودية التي اعتنقها الملك (أب كرب اسعد) وخلفه ، لأن (اب كرب) لم يعتنق اليهودية إلا في عام ٤٠٠ م أي في بداية توليه الحكم منفرداً بعد موت أبيه .

ومع ذلك فلم يكن هذا الاتجاه نحو ديانة التوحيد خاصاً باليمن

---

(٤) المفصل ج ٢ ص ٥٦٨ .

(٥) (منكث بعيدة عن ظفار وليست خارج خرائبها وهي محصنة بالجبال من ثلاث جهات وفي منتصف الطريق تقريباً بين (كتاب) و(ظفار) .

والحبشة ، وإنما كان اتجاهاً عاماً ظهر في كثير من بلدان العالم ، مثل تطوراً عاماً في عقلية الانسان وفي تفكيره في العبادة وفي خالق الكون ، وتصفية الحساب مع العقيدة الوثنية القديمة التي تعترف بآلهة عديدة مع الآلهة المحلية والاعتقاد بوجود إله واحد قاهر هو رب السماء .

كما أنّ اعتناق الملك الحميري (ملك كرب يهأمن) لديانة التوحيد واعتناق ولده الملك (اب كرب اسعد) (أبو كرب اسعد) لها في حياة والده وبعد موته ليس انتهاجاً جديداً ، وإنما هو تجديد للنهج الديني الذي انتهجه لأول مرة الملك السبائي (كرب الـ وتر يهنعم) الذي حكم حوالي ١٦٠ ق . م . كما علمنا عند الكلام عنه .

ويرى بعض[٦] الباحثين احتمال حدوث هذا التحوّل في عهد الملك (ثأرن يهنعم) ويرون (تأكيداً لما سبق) أنّ هذا التحول يتناسب كل التناسب مع الرواية المعزوّة الى (فيلستورجيوس) عن كيفية تنصير الحميريين ، اذ زعم ان (ثيو فيلوس) كان قد تمكن من اقناع ملك حمير بالدخول في النصرانية فدان بها ، وأمر ببناء كنائس في (ظفار) و(عدن) ، وكان (قسطنطين الثاني) (٣٥٠ ـ ٣٦١ م) هو الذي ارسله الى العربية الجنوبية ليدعو الى النصرانية بين أهلها ، ويؤيدون رأيهم هذا بالكتابة المذكورة التي يرجع عهدها الى سنة (٣٧٨ م) أو (٣٨٤ م) فهي غيربعيدة عن أيام (ثأرن يهنعم) ، ويحتمل لذلك ان يكون هو الملك الحميري الذي بدّل دينه الوثني ودخل في ديانة التوحيد ، ويدل ذكر الملك الحميري (ثأرن ينعم) باسم ملك انه احتفظ بلقبه الملكي اثناء نفوذ الاحباش الأول حتى قام ولده (ملك كرب يهأمن) بطرد الأحباش كما علمنا .

هذا[٧] وقد ورد اسم الملكين (ثأرن يهنعم) وابنه (ملك كرب يهأمن) في نص وسم بـ (٦٦٩ جام) وهو نص دوّنه جماعة من عشيرتي (عبلم)

---

(٦) المفصل ج ٢ ص ٥٦٧ .

(٧) المفصل ج ٢ ص ٥٦٤ .

(عبال) و(فترن اتون) (فتران اتوان) حمدوا فيه الإله (المقه) لأنه انعم عليهم فوهبهم مولوداً ذكراً الى آخر ما ذكر في النص الذي يبدو انه كتب في بداية عهد (ثارن يهنعم) وحينما كان ما يزال يؤمن بالمقه إلهاً .

وورود[8] اسميهما أيضاً في النص الذي وسم (٦٧٠ ام) وقد دوّنه (شرحعثت اشوع) وابنه (مرثدم) (مرثد) وهما من (سخيم) سادات بيت ريمان (ابعل بيت ريمن) وأقيال عشيرة (يرسم) من قبيلة (سمعى) التي تكوّن (ثلث حجرم) (حجر) الى آخر ما جاء في النص .

سد مأرب مرة أخرى

والملك الحميري (ملك كرب يهأمن) ووالده (ثأرن يهنعم) (ثأرن ينعم) هما اللذان اعادا ما تهدم من (سد مأرب) بقسميه (رحاب) و(حبابض) دلّ[9] على ذلك نص (جام ٦٧١) الذي كتبه جماعة من (سخيم) سادات (بيت ريمان) و(اقولن) (اقيال) (يرسم) من عشيرة (سمعى) ليكون معبراً عن حمدهم وشكرهم للإله (المقه): الذي منَّ عليهم بنعمه وساعدهم بالقيام بالعمل الذي كلفهم به سيداهم (ثأرن يهنعم) و(ملك كرب يهأمن) ملكا (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) وهو ان يتقدموا ويقودوا (لقتدمن) جيش الأعراب (خمس يعرب) ويتجهوا الى السد) (عرمن) الذي تهدم (يكن ثبرت) (عرمن بحببض) عند موضع حبابض وموضع (ارحبتن) (الرحبة (رحاب) فتداعت جدرانه ومبانيه واحواضه وسدوده الفرعية ومصارفه (مصرفن) الواقعة بين (حبابض) و(الرحبة) وخرب منه ما مقداره سبعون (شوحطم) (شوحطا) ، وقد حمدوا الإله (المقه) وسبحوه لأنه أجاب دعوتهم فحبس الأمطار والأمواج والسيول عنهم حتى تمّ العمل ، وأقام الأسس والجدران والسد ، ولأنه وفقهم في خدمة سيديهم (ثأرن يهنعم)،و(ملك كرب يهأمن) .

---

(٨) المفصل ج ٢ ص ٥٦٥ .

(٩) الدكتور جواد علي في (المفصل) آنف الذكر من ص ٥٦٥ ج ٢ .

والنص فيما يبدو كتب قبل تحول الملكين المذكورين أو الملك الأبن (ملك كرب يهأمن) الى عبادة (ذي سموي) (رب السماء) وذلك لذكر (المقه) معبود سبأ فيه .

ولعل النصوص الموسومة بـ (جام ٦٦٩ و٦٧٠ و٦٧١) هي آخر النصوص التي نقرأ فيها معبود سبأ (المقه) وهي النصوص التي عثر عليها الباحثون في معبده في مأرب (المعبد المعروف بـ (اوم) (أوام) وقد كتبت في عهد (ثأرن يهنعم) وذكر ابنه (ملك كرب يهأمن) معه ولقب بلقبه (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) على عادة كثير من الملوك من ذكر ابنائهم معهم وتلقيبهم بألقابهم .

واذا كان (سد مأرب) بقسميه قد بني في القرن السابع قبل الميلاد على ارجح الآراء كما علمنا عند الكلام على بانيه المكربين السبائيين (سمه علي ينوف) وولده (يثع امر بين) ، وتهدم للمرة الأولى في هذا العهد في القرن الرابع بعد الميلاد ، فإنه يكون قد عمل بصورة سليمة ومنظمة اكثر من ألف عام ، لأنه لم يعرف حتى الآن من الكتابات الأثرية انه قد تهدم قبل عهد الملكين (ثأرن يهنعم) و(ملك كرب يهأمن) المذكورين ، واللذين حكما حتى عام ٣٨٤ م على الأقل .

هذا ولعل الأحباش في حكمهم الأول في اليمن والذي استمرّ خمسة وثلاثين عاماً لم يتعهدوا سد مأرب بالصيانة وكانوا مع ذلك قد سيطروا ومن ورائهم دولة الأحباش في الحبشة نفسها ، ومن ورائها الرومان،على الطريق التجاري البحري الذي كان بأيدي اليمنيين ، وعلى سائر الموارد القومية اليمنية الأخرى ، الأمر الذي افقد اليمنيين اثناء احتلال الأحباش لليمن ، القدرة على تعهد السد بالصيانة ، مما أدى الى تهدمه للمرة الأولى كما علمنا ، وقام الملك (ملك كرب يهأمن) وربما ووالده الذي ربما كان ما يزال على قيد الحياة باعادة بنائه بعد طرد الملك (ملك كرب يهأمن)المذكور للأحباش كما علمنا ، وقد دلّ على قيام هذا الملك باعادة بناء السد نص (جام ٦٧١) آنف

الذكر .

ولقد تهدم السد مرة ثانية في عهد الملك الحميري (شرحب ال يعفر) في عامي (٤٥٠) أو (٤٥١ م) كما سنعلم عند الكلام عنه ولمرتين في عام واحد .

أي أنّ السد ظلّ يعمل بعد اصلاحه الأول حوالي مائة وخمسين عاماً فقط ، وتهدم للمرة الثالثة والرابعة في عهد الحكم الثاني للأحباش في اليمن كما علمنا من الكتابة التي تركها (ابرهة الحبشي) على جدار السد بعد اعادة بنائه وذلك حوالي عام (٥٤١ م) اي انه ظَل يعمل بعد اصلاحه الثاني حوالي مائة عام فقط ، ولْم يعرف كم عمل بعد الإصلاح الثالث الذي قام به (ابرهة الحبشي) وفي تحديد اصلاح ابرهة للسد بالإصلاح الثالث تسامح ، اذ أنّ الحقيقة أنّ الإصلاح الثالث لم يلبث أن تهدم واضطر ابرهة الى ان يقطع غزوه لقبائل كندة بحضرموت وان يعود لتكريس جهوده لإعادة بناء السد وعرف ذلك البناء والاصلاح عند المؤرخين بالبناء للمرة الرابعة .

وقد ادى التهدم المتكرر للسد مع سيطرة الأحباش في حكمهم الثاني لليمن على الموارد القومية لليمنيين ، والحروب التي قامت بينهم وبين الأحباش في كلتا المرتين اللتين حكموا فيهما اليمن،الى الهجرات الجماعية المتتابعة لليمنيين الى خارج اليمن .

الحميريون أيضاً :

أما الحكم بعد وفاة الملك (ملككرب يهأمن) فإنه[١٠]انتقل الى ولده الملك (اب كرب اسعد) (أبو كرب اسعد)،ويرى المستشرقون والأخباريون انه التبع (اسعد الكامل) أو (اسعد تبع) ، ويرى الأخباريون انه الذي ذكره الله عز وجل بآية ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ ، وقد تولى الحكم منفرداً في عام (٤٠٠ م). وهو[١١] أول من أضاف الى اللقب الرسمي للملك اضافة جديدة وهي (واعرابهم في الجبال وتهامة (اعرابهمو طودم وتهامتم) حتى صار هكذا (ملك

(١٠) نفس المصدر والجزء الثاني نفسه ص .(٥٦٩) . (١١) نفس المصدر والجزء ص (٥٧١) .

سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طودهم وتهامتم) ، ويعني هذا أنّ حكم (اب كرب اسعد) امتدّ فشمل التهائم باعرابها وقراها ، أو اليمن بجبالها وتهامتها . وشمل حكمه أيضاً قبائل (معد) التي تمتد منازلها من أرض الحجاز .

وقد عثر (جون فلبي)[١٢] على كتابة دُونّ فيها اسم (اب كرب اسعد) واسم ابنه (حسان يهأمن) في وادي (ماسل جمح) في موضع على طريق بين (مكة) و(الرياض) ما يزال يُعرف الى اليوم باسم (جمح) ، وهذا يدلّ على أنّ هذا الموضع كان من جملة الأرض التي خضعت لحكم ذلك الملك ، وأنّ نفوذه كان قد جاوز اليمن حتى بلغ (نجداً) وبلغ هذه الأرض المهمّة التي تجتازها قوافل التجارة حتى اليوم ، وكانت من منازل قبائل (معد) في ذلك الحين ، وهذه الكتابة التي عثر عليها (فلبي) هي الموسومة بـ (فلبي ٢٢٧) ، وقد دونت عند اقامة حصن في وادي (ماسل جمح) ، وقد افتتح هذا النص بجملة (اب كرب اسعد) وبنهو (ابنه) حسن يأهمن) (حسان يأمن) ملكي (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهمو طودم وتهامتم) .

كما يتبين من هذا النص ان الملكين (اب كرب اسعد) وابنه حسان يهأمن) كانا قد غزوا (كسبار) أرض (مودم ضمو) وهو المكان المسمى اليوم (دودمي) كما فسر ذلك (فلبي) الذي زار المنطقة وحققها) ، وذلك بجمع من أهل حضرموت وسبأ وبني مأرب أي أهل مأرب وبأصاغر الناس كما ورد في النص (صغرم) ، وكان في جيشهما (لمقتوين) (مقتو تهمو) أي القادة (قادة الجيش) وأشير في النص الى اعراب كندة (باعربهمو كدت) .

وعثر الباحثون على كتابة وسمت بـ (ريكمنز ٥٣٤) ورد فيها اسم الملك (اب كرب اسعد) واسماء ستة من أولاده وهي كتابة مؤرخة بسنة (٥٤٣)

---

(١٢) المفصل ج ٢ ص ٥٧٣ .

من التأريخ الحميري المقابل لسنة ٤٢٨ م أو ٤٣٤ م .

وكتابة اخرى وسمت بـ (ريكمانز ٥٣٤) رأى الباحثـون انها قد كتبت بعد السنة ٤٣٣ م أو ٤٣٩ م ، ومعنى هذا أنّ حكم (اب كرب أسعد) قد جاوز السنة ٤٢٨ م أو السنة (٤٣٤ م .

ويظهر أنّ حكم (اب كرب اسعد) كان طويلاً وأنّ عمره كـان طويلاً ايضاً ، وانه استطاع ان يوسـع ملكه حتى بلغ البحـر الأحمر والمحيط الهنـدي والأقسام الجنوبية من نجد والحجاز ، وفي روايات الأخباريين عن فتوحاته وعن غزواته شيء من الصحة ، وان دخل فيها عنصر المبالغة القصصية ، ولا بد انه كـان ذا شخصية قوية ، وانه كان يتمتع بكفاءة مكنته من احراز انتصاراته التي تركت اثرها وخبرها يتنقل بين الأجيال .

وهذا شأنه وشأن امثاله من الملوك المؤسسين لعهود جـديدة اوسـع مدى وابلغ نفوذاً من العهود التي سبقتها ، كالمكـرب الملك (كرب ال وتـر) الذي انتقل بدولة سبأ (من عهد المكاربة الديني الى عهد الملوك السياسيين ، و(ال شـرح يحضب) الذي انتقـل بها الى مملكـة (سبـأ وذي ريـدان) ، و(شمـر يـرعش) الذي انتقـل بها الى مملكـة (سبأ وذي ريـدان وحضرمـوت ويمنت) و(أب كـرب اسعـد) هـذا الـذي انتقـل بهـا الى مملكـة (سبـأ وذي ريـدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الجبال وتهامة) .

أي أنّ توسيع نفوذ الدولة على حساب المماليك والامارات المعاصرة لها انما يتم بحروب ومعارك تتوج لصالح الملوك الغزاة الأقوياء كالملوك المذكورين في عهود اليمن القديم المشار اليها ، ولما توفي الملك (اب كرب اسعد) خلفـه شقيقه (ورو أمر أيمن) على رأي (فلبي) .

وجاء بعد (ورو أمر أيمن) الملك (شرحب ال يعفر) (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الجبال وتهامة) وقد[٢٣] ترك هذا نصاً مهماً وسم بـ (جـلازر ٥٥٤) وهو وثيقـة تتعلق بتصدع (سـد مأرب) في ايـامـه واعادته لبنائه ، ويتألف النص من مائـة سطر جـاء فيه ان (شـرحب ال يعفر

(١٣) نفس المصدر والجزء ص ٥٧٩ .

ملك سبأ وذي ريدان ويمنت وحضرموت واعرابها في النجاد وتهامة) قام بتجديد (سد مأرب) وترميمه على مقربة من موضع (رحب) (رحاب) وعند (عبرن) (عبران) ، وقام باصلاح اقسام منه حتى موضع (طمحن) (طمحان) كما قام بحفر مسايل المياه وبناء القواعد والجدران بالحجارة وقوّى فروعه ، وبنى اقساماً جديدة وأوصل بعضها ببعض ، بين (غيلان) و(مفلول) ، وجدّد سد (يسران) (فرع من فروع سد مأرب) الخاص بري منطقة (يسران) في (مأرب) ، وقام باعاشة العمال ومن اشتغل ببنائه، وتمت هذه الأعمال في شهر (ذي داون) من سنة (٥٦٤) من التأريخ الحميري المقابل لسنة (٤٤٩) للميلاد ، كما سبق .

ويظهر من هذا النص أنّ السد قد تهدم بعد مدة قصيرة ، وذلك في شهر (ذ ثبتن) (ذو الثبت) من سنة ٥٦٥ من التأريخ الحميري ، المقابل لسنة (٤٥٠) للميلاد، وأن ذلك أثّر تأثيراً سيئاً فيمن كان ساكناً بجواره حتى اضطرَّ من كان في الرحبة الى الفرار الى الجبال خوفاً من الموت ، وأن الملك اسرع الى الاستعانة بـ (حمير) و(حضرموت) لاعادة بنائه،وانه اجتمع لديه زهاء عشرين ألف رجل ، اشتغلوا بقطع الحجارة من الجبال وحفر الأسس ، وتنظيف الأودية ، وانشاء خزانات لخزن المياه ، وعمل أبواب ومنافذ لمرور الماء والسيطرة عليه ، حتى تم ذلك في شهر (ذي دأو) (ذي داون)من السنة نفسها ، وذكر النص ما انفقه الملك على العمال وما قدمه من طعام وما ذبحه من بقر وأغنام ، وما صرفه من دبس وخمر الى غير ذلك مما ذكر في النص المذكور ، وقد افتتح بعبارة (بنصر ورد الهن بعل سمن وأرضن) (بنصروعون الإله رب السماء والأرض) الأمر الذي يدل على تأصل عقيدة التوحيد التي ظهرت عند أهل اليمن بعد مبعث المسيح (عيسى عليه السلام) .

ومنذ هذا التأريخ بدأ نجم (صنعاء) يتألق على حساب (مأرب) وصارت صنعاء مقراً للحكام الذين اقاموا في قصر (غندن) (غندان) (غمدان) .

وقد يكون لتصدع سد مأرب المتكرر دخل في هذا التحول ، حيث أجبر المزارعين والمنتفعين بالسد وغيرهم على ترك (مأرب) واراضيهم التي كانت تروى من السد ، بسبب ما أصابها من الجفاف والتلف بعد تهدم السد، الى الهضاب والجبال والى خارج اليمن ، وأدى بالتالي الى التحول السياسي ، وانتقال مركزالدولة من (مأرب) الى (صنعاء) .

وفي تصدع السد بعد مدة ليست طويلة من ترميمه وتجديده وبعد انفاق الأموال الطائلة واشتغال آلاف العمال في بنائه امر يثير التساؤ ل عن سبب سقوطه ، أو سقوط جزء منه بهذه السرعة ، وهل تهدم من جراء سقوط امطار غزيرة جداً في ذلك العام لم يكن في طاقة السد احتمالها ؟ أم انّ اعادة بنائه لم يكن قد كمل عند سقوط الأمطار الغزيرة التي سبّبت انهيار الأجزاء الضعيفة منه ؟ أو أنّ تهدمه كان بفعل كوارث طبيعية مثل زلزال أو بركان ؟ كما يميل الى هذا فلبي في كتابه (سناد الإسلام) .

على أن تهدمه غالباً ربما كان بسبب اشتغال اليمنيين بحروبهم مع الأحباش، الى جانب تحول الطريق التجاري البري والبحري الذي كان اليمنيون يسيطرون عليهما، الى طريق بحري سيطر عليه الأحباش والرومان ، الأمر الذي سلب اليمنيين مورداً مالياً من أهم مواردهم، وأعجزهم بالتالي عن تعهد وصيانة السد ، وادى الى تهدمه، ولم يتمكن اليمنيون من اعادة بنائه بصورة تضمن اداء عمله على الوجه الأكمل ، اضف الى ذلك العوامل التي ادت الى تهدمه ، عوامل الاضطرابات التي أدى اليها تنافس الحكام اليمنيين وحرب بعضهم لبعض ، مما اضطر الكثير من اليمنيين الى هجرة المناطق غير المستقرة وفي مقدمتها منطقة (مأرب) الى الجبال الآمنة والى خارج اليمن .

هذا وتهدم السد في نفس عام اعادة بنائه هذه المرة هو نفس ما حدث في عهد (ابرهة الحبشي) من تهدمه في نفس عام اعادة بنائه ، وربما ولنفس الأسباب من تهدمه ، اي أنّ تهدمه كان كذلك قبل اكتمال بنائه وبفعل الأمطار الغزيرة التي لم تتحملها الأجزاء الضعيفة التي لم يتم بناؤ ها ، أو قبل تبين

منسوب الأمطار ، وانه تمّ اعادة بنائه بصورة سمحت للسد باختزان اكبر كمية من الأمطار) .

ولم يشر النص الى اسماء القبائل التي غادرت بلاد (مأرب) ، ولكن ذكر النص لفرارهم من (مأرب) وتفرقهم وتشتتهم دليل على وجود اصل تاريخي للروايات التي رواها الأخباريون عن تفرق (سبأ) حتى ضرب بذلك المثل القائل : (تفرقت ايدي سبأ) ، اكد كل ذلك ما جاء في الكتاب العزيز عن تمزقهم وتفرقهم بالآيات التالية من سورة (سبأ) وهي : ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال * كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور** ﴾ ﴿ **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ، ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فأتبعوه ألا فريقاً من المؤمنين** ﴾ .

كذلك فانه لم يتضح من الكتابات الأثرية الوقت الذي نزحت فيه قبيلة (الأزد) (وهي جمهرة قبائل بلاد مأرب قديماً) الى خارج اليمن ، وهل كان ذلك عند تهدم السد هذا ؟ ام كان عند تهدم سابق له ؟ اذا كان قد حدث ذلك فعلاً) أم عند تهدمه المتكرر حتى حكم ابرهة الحبشي وذلك في المرة الثانية من حكم الأحباش لليمن ؟ كما سنعلم .

والمستقبل المقرون بالتنقيب العلمي الشامل كفيل بافادتنا بالحقائق الكاملة عن هذا وغيره من احوال واحداث تأريخ اليمن القديم .

أمّا الحكم فإنه انتقل بعد الملك (شرحب ال يعفر) الى شخص اسمه (عبد كلال) .

وقد كان حكمه على رأي (فلبي) من سنة ٤٥٥ م وحتى سنة ٤٦٠ م .

واختلف الباحثون في (عبد كلال) هذا أكان ملكاً ؟ أم كاهناً ؟

ومنشأ الخلاف ورود اسمه واسم ابنيه (هنأم) (هاني) و(همل) في النص الموسوم بـ (جلازر ٧) وورود عبارة (آلهة قولم) بعد اسمائهم ، فكلمة (آلهة قولم) تعني انه كان كاهناً وسيد قبيلة عند بعض الباحثين . أما غير[١٤] هؤلاء ومنهم (فلبي) فيرون أنّ (عبد كلال) كان كاهناً وسيد قبيلة كذلك ، ولكنه ثار على ملكه طمعاً في الملك أو اخماداً للثورة التي أجّج الملك نيرانها على آلهة قومه فغلبه (وتربع على العرش وملك أمر حمير) .

ولقد كان عبد كلال يدين بالوحدانية ، بدليل ورود فقرة (برد رحمنن أي بقوة وعون الرحمان في النص المذكور ، وهذا يعني انه تحوّل عن الكهانة التي كان يعتنقها على رأي بعض الباحثين الى عبادة الله وحده) ، متأثراً بالمسيحية التي كانت قد انتشرت بين اليمنيين . هذا وسنعلم في بداية القسم الثاني من هذا الكتاب والخاص بتأريخ اليمن بعد الاسلام انه عليه افضل الصلاة والسلام حينما بعث (المهاجر بن أُمية المخزومي) الى اليمن لدعوة اهله الى الاسلام أمره بأن أول من يدعو قيل اليمن (الحارث بن عبد كلال الحميري) ، وأنّ المهاجر فعل ذلك،وأن الحارث لبى الدعوة لأن أسرته وجمهرة اليمنيين كانوا قد نبذوا عبادة الأصنام وآمنوا بالله متأثرين بالمسيحية أو باليهودية ، منذ انتشرت هاتان الديانتان في اليمن وفي مختلف انحاء العالم .

والحارث بن عبد كلال هذا ليس ابناً لعبد كلال ، وإنما هو من احفاده ، نسب اليه بالبنوة تجاوزاً ، لأن الفترة الزمنية بين عبد كلال والحارث تؤكد هذا .

ثم شاهدت اليمن في سنة ٤٦٠ للميلاد أو قبل ذلك بقليل ملكاً جديداً اسمه (شرحب ال يكف) وكانت نهاية حكمه في سنة ٤٧٠ م . على تقدير (فلبي) و(هومل) .

---

(١٤) المفصل ج ٢ من ص ٥٨٢ .

وقـد جاء اسم (شـرحب ال يكف) في كتابـة مؤرخة بسنة ٥٧٥ من التقويم الحميري ، المقابلة لسنة ٤٦٠ للميلاد .

وورد في الكتابة المذكورة (فقـرة) (رحمنن وبنهو كـرشتش غلبن) (أي الرحمن وابنه المسيح الغالب) . وذلك دليل على اعتناقه للمسيحية وايمانه بالله ونبـذه عبادة الأوثـان أيضاً ، وكلمـة (كرشتش) تعني كلمـة (كـرستس) أو (كرستان) : الدالة على ان صاحبها نصراني نطقها اليمنيون كذلك ، وقد ذُكر بعد تلك الجملة اسم الملك ونعته الذي هو (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في النجاد وتهامة) وقد بقي من تأريخ النص اسم الشهر وهو (ذحجت) (ذو الحجة) والعدد الأول من اسم السنة وهو (خمسة) ويرى (فلبي) احتمال كون السنة (٥٨٥ أو ٥٧٥) من التأريخ الحميري ، المقابلة لسنة (٤٧٠) أو ٤٦٠ للميلاد) .

ووجد مدّوناً في إحدى الكتـابات اسـماء ثلاثـة من أولاد (شرحب ال يكف) وهـم : (نـسوف) (نـسائف)و(لحيعثت ينف) (لحيعثت يـنـوف) و(معديكرب ينعم) وقد نُعتوا جميعاً بالنعت الملكي المعروف مما يدل على انهم جميعا قد اشتركوا في الحكم .

وحكم بعـد (شـرحب ال يكف) في رأي (هـومـل) ولـداه (لحيعثت ينوف) و(معديكرب ينعم) ، وذلك من حوالي سنة (٤٧٠) وحتى سنة ٤٩٥ م .

أمـا (فلبي) فقد وضـع اسم (ينوف) بعـد اسم والده (شـرحب ال يكف) واسم (لحيعثت ينـوف) بعد اسم شقيقـه (ينـوف) و(معـديكـرب يهنعم) بعد اسم شقيقه (لحيعثت ينوف) .

أما الذي حكم بعد الأخوين (لحيعثت ينـوف) و(معديكـرب يهنعم) على رأي (هومل) فهو (مرثد ألن) وقد حكم على رأيه من عام ٤٩٥ م حتى عام ٥١٥ م ، وقد ورد اسمه في نص وسم بـ (كاي ٥٩٦) ونعت فيه بالنعت المعروف وهو (ملك سبأ وذي ريدان وحضـرموت ويمنت واعـرابها في الجبـال

وتهامة) ، وذكر في النص أنّ هرجاً وقع في البلاد في عهده ، ولكنّ النص أصيب بأضرار منع من فهم كيف قامت الفتنة ، ومن الذي قام بها ولأي سبب قامت .

ووضع (هومل) بعد الملك (مرثد الن) اسم الملك (ذي نواس) وقد حكم على تقديره من عام ٥١٥ م حتى عام ٥٢٥ م ، وبه انتهت في رأيه سلسلة ملوك (حمير) باستيلاء الحبشة الثاني والأخير على اليمن ، وهذا باستثناء الملك الحميري (سيف بن ذي يزن) الذي أجلى الأحباش من اليمن بمساعدة الفرس ومؤازرة اليمنيين وتكاتفهم ثم تربع على عرش اليمن كما سنعلم ، هذا وقد عثر على نص وسم بـ (٢٢٨ فلبي) ورد فيه اسم ملك من ملوك (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في النجاد وتهامة وهو (معديكرب يعفر) ، وأرخ النص بشهر (ذ قيضم) ذو (القيض) أي (الحر) . من سنة ٦٣١ من التأريخ الحميري المقابل لسنة ٥١٦ للميلاد ، ومعنى هذا ان هذا الملك قد عارض (ذي نواس) في الحكم ولم يعلم الباحثون الكثير عن الملك ، (معديكرب يعفر) المذكور .

وقد لعبت العاديات ببعض كلمات النص وحروفه فأضاع معاني تتعلق بأسماء اعلام وقبائل ذكرت فيه ، وهي (سبأ) و(حمير) و(رحبة) و(كـدة) (كندة) و(مذحجم) (مذحج) وغيرها .

وفهم من هذا النص مع ذلك أن حرباً أو فتنة كبيرة قد حدثت في أيام هذا الملك لسهمت فيها القبائل المذكورة وذلك قبل احتلال الأحباش الأخير لليمن .

وقد سبّب اضطراب الأحوال في اليمن وتقاتل الملوك والأقيال بعضهم مع بعض في تدخل القبائل في الشؤون السياسية واضعاف جانب الدولة اكثر ، مما أتاح للأحباش أن يتدخلوا في شؤون اليمن وأن يدخلوه ويحتلوه ويقيموا دولتهم فيه .

فظهور الروح القبلية الضيقة التي لا تعرف في الغالب التعاون ووحدة

الصف في سبيل مصلحة اليمن ودرء الغزاة إلا بعد استفحال الأمر عامل فعّال في تحقيق الغزاة الطامعين لمطامعهم وأغراضهم .

الملك ذو نواس الحميري

ملك (زرعة ذو نواس الحميري) بعد الملك (مرثد الن) على رأي الدكتور (فرتز هومل) أو بعد الملك (معديكرب يعفر) على رأي (فلبي) مستنداً الى النص الذي وسم بـ (٢٢٨) فلبي) آنف الذكر .

وعثر[١٥] الباحثون على نصين وسما بـ (ريكمانز ٥٠٧ و٥٠٨) أُشير فيهما الى حروب وقعت بين الأحباش وبين (يوسف اسار) ولم يلقب (يوسف اسار) فيهما باللقب الملكي الطويل المعروف وهو (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها بالنجاد وتهامة) وإنما ذكر هكذا (ملكن يسف اسار) أي (الملك يوسف اسار) تأكيداً لما سبق من أن ملكه لم يشمل اليمن كله كأسلافه من الملوك الحميريين ، وإنما ملك اجزاء من اليمن ، وقد ارخ النصان بسنة واحدة وهي سنة ٦٣٢ من التأريخ الحميري ، الموافقة لسنة ٥١٨ للميلاد ، إلا انهما كتبا في شهرين مختلفين ، فكتب احدهما في شهر (ذمذرن) أي شهر البذر ، وكتب الآخر في شهر (ذقيضن) أي شهر القيض .

كما نصّ النص الثاني على قيام حروب بين الملك (يوسف اسار) (ذي نواس) المذكور ومن كان يؤيّده وبين أقيال اليمن وهم الذين اعتنقوا الدين المسيحي ، وتعرضوا لاضطهاد ذي نواس .

كما اشار النص المذكور ايضاً الى ان الملك (يسنف اسار) (يوسف اسار) هاجم (ظفار) مقر وعاصمة الدولة الحميرية والتي كان الأحباش قد تمركزوا فيها ، ؛ واستولى على (القليس) أي كنيسة (ظفار) التي كان اليمنيون بعد اعتناقهم المسيحية قد بنوها وبنوا غيرها من الكنائس في أماكن أخرى من اليمن .

---

(١٥) نفس المصدر المفصل والجزء ٢ من صفحة ٥٩٥ .

ثم سار (ذو نواس) (يـوسف اسار) المـذكور بعـد ذلك بقـواته عـلى (اشعرن) (الأشاعـر) احدى القبـائل الكبـرى في تهامـة ، ثم الى (مخون) (المخا) فحارب وقاتل وقتل كل سكانها (حورهو) ، واستولى عـلى كنيستها كذلك ، وقد احصى النص عدد من قتل في هذا الهجوم وعدد من اسر وما وقع في يده من غنائم ، فكان عدد من قتل ثلاثة عشر الف قتيل ، وعدد من أسر تسعة آلاف وخمسمائة أسـير ، وانه استـولى على (٢٨٠) ألف رأس من الإبل والبقر والماعز (عنز) وغنائم أخرى عديدة .

ثم اتجه بعد ذلك بجيشه الى (نجران) وفي صعيد هذه المدينـة (أقوام بني أزأن) وقبائل (همـدان) واعرابهم واعـراب (كدة) (كنـدة) و(مردم) (مراد) و(مذحجم) (مذحج) فأنزلت جيوش الملك خسائر بالأحباش الذين كانوا قد تحصنوا بالمصانع (الحصون) وبمن ساعدهم من القبائل وبمن كان قد تجمع في نجران لمساعدتهم . وكان مع الملك (ذي نواس) في جيشه (اقولن) (الأقيال) (لحيعت يرخم) و(سميفع أشوع) و(شرحب ال اسعد) اقيـال وسادات (يزن) ومعهم قبائلهم ، وجاء في النص فقرة (سلت مدبن) وتعني حصن المندب أي ما يسمى اليوم بـ (باب المندب) ، هذه جملة المعلومات التي تضمنها النصان المذكوران .

وكأني بأسـر (ذي يزن) وقـد كفرت عن خـطئها هـذا والذي أدى الى احتـلال الأحباش لليمن ، وذلـك بقيـامهم بـزعـامـة (سيف بن ذي يـزن) باخراجهم كما سنعلم .

واننا لنرى من خلال قراءتنا للنصين المذكورين ان الوضع في اليمن كان قلقـاً ، وان الأمـور كـانت مضـطربــة ، وان الفتن كـانت تعم اليمن ، وان الأحباش كانوا قد دخلوا اليمن لمساندة اليمنيين معتنقي المسيحية ضـد (ذي نواس) والقبائل اليمنية التي كانت معه وعلى ولاء له ، وان الأحباش كانوا قد تمركزوا في عاصمة الدولة الحميرية (ظفار رعين) في بـلاد يريم ، وقـد تمكن الأحباش ومن سانـدهم من اليمنيين وبمسـاعدة دولـة الحبشة ودولـة الروم من

القضاء على (ذي نواس) وذلك سنة (٥٢٥ م) والاستئثار بالحكم في اليمن حتى اجلاهم منه الملك الحميري (سيف بن ذي يزن) بمساندة الفرس كما سنعلم .

هذا وقد ختم النص الثاني من النصين المذكورين بعبارة (رب هود برحمنن) أي (بالرحمن رب هود) الأمر الذي يدل على ان صاحب النص وهو (ذو نواس) كان من العرب المتهودة .

اما الأخباريون العرب فقد ذكروا عن (ذي نواس) بأنه تهود وتسمى بيوسف ، وانه اضطهد المسيحية واليمنيين الذين كانوا يدينون بالمسيحية ، ولا سيما نصارى نجران ، وعلى رأس هؤلاء زعيم نجران (الحارث بن كعب) الأمر الذي حمل أحد زعماء اليمنيين المضطهدين ويدعى (دوس ثعلبان) على الفرار الى قيصر الروم (جوستنيان) مستنجداً به من (ذي نواس) وان قيصر الروم طلب من ملك الحبشة ان يجهز جيشاً للقضاء على ذي نواس ، وان القيصر اعان ملك الحبشة بالسفن .

أو ان (دوس ثعلبان) سار الى ملك الحبشة يشكو اليه اضطهاد (ذي نواس) مستصحباً معه انجيلاً محرقاً ، وان ملك الحبشة بعثه مع الأنجيل المحرق الى قيصر الروم ، وطلب منه إعانته بالسفن ، ففعل القيصر ذلك ، وجاء الأحباش بالسفن الى بعض موانىء اليمن ، واستقبلهم اليمنيون المسيحيون وناصروهم حتى تم القضاء على ذي نواس بمقتله ، او انه فر الى البحر واقتحمه بفرسه ومات ، واضطلع بالحكم (ابرهة الأشرم) وذلك في عام (٥٢٥ م) على ارجح الروايات ، وانزل الله تعالى في ذلك آيات الأخدود من سورة البروج ، هذا وسنعلم مزيداً عن الموضوع وعن النصوص الأثرية عنه في الفصل الآتي بعد هذا .

احتلال الأحباش الثاني والأخير لليمن

الى جانب ما هدف اليه هذا الاحتلال الحبشي لليمن من السيطرة على الطريق التجاري البحري الى الشرق عبر البحر الأحمر وبحر الهند وهو الهدف الرئيسي فإنه هدف ايضاً الى الانتصار للمسيحية والمسيحيين من اليمنيين والأحباش الذين كانوا قد تسللوا الى اليمن من (الملك الحميري ذي نواس) الذي اعتنق اليهودية واضطهد المسيحية كما سبق ودل على ذلك النصان الأثريان آنفا الذكر .

ومما دلّ على تلك الأحداث النص المعروف بنص[1] (حصن غراب)[2] والموسوم عند العلماء بـ (ريب ايبج ٢٦٣٣) وما ورد فيه ان الأحباش فتحوا أرض (حمير) وقتلوا ملكها وأقياله الحميريين والأرحبيين ، ولم يذكر النص اسم هذا الملك . ويعود تأريخ النص الى سنة (٦٤٠) من التأريخ الحميري الموافقة لسنة (٥٢٥) للميلاد .

ويرى (انكلر) أحد الباحثين فيالتأريخالقديم مستنداً الى النص المذكور أن (ذا نواس) كان هو البادىء بالحرب ، وأن (الـ سميفع أشوع) وأولاده أصحاب النص كانوا في معية الملك (ذي نواس) في حملته على الحبشة (الذين كانوا قد تسللوا الى اليمن) غير انه لن يكتب له التوفيق وأصيب بهزيمة اذ سقط

---

(١) المفصل ج ٣ ص ٤٥٩ .

(٢) حصن العرب في جزيرة من الساحل بلاد حضرموت .

فهزم جمعه ، وعندئذٍ غزا الحبشة ارض اليمن واستولوا عليها ، فأسرع (ال سميفع اشوع) وأولاده بالذهاب الى (ماوية) (حصن غراب) المذكور للتحصن فيه ولتقوية وسائل دفاعه ، ولم تكن قلوب هؤلاء مع (ذي نواس) وإنما اكرهوا على الذهاب معه ، وبقوا في حصنهم هذا الى ان دخل الحبشة اليمن فتفاهموا معهم ، وتحوَّل (ال سميفع أشوع) عن مناصرة (ذي نواس) الى الأحباش واليمنيين الموالين للأحباش وحارب في صفوفهم حتى تم القضاء على (ذي نواس) .

ثم[٣] اسند الأحباش امر اليمن الى (الـ سميفع أشوع) ليكون ملكاً على ان يدفع للأحباش أتاوة سنوية .

وأضاف (الدكتور جواد علي) في المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام قائلاً : « ويظهر ان (ال سميفع أشوع) كان من أهل (نصاب) وكان قد هاجر لسبب لا نعرفه هو وأولاده الى الحبشة فأقام بها ، ثم عاد فاستقر في (عرمويت) (حصن ماوية) (حصن الغراب) المذكور ، وأخذ يوسّع من هذا الحصن أرضه ويفتح ارضين جديدة ، ويتقدم نحو الأرضين التي حكمها (ذو نواس) . فلما جاهر (ذو نواس) بمناصبة النصرانية والحبش والروم العداء كلفه (الحبش) و(الروم) بمهاجمة (ذي نواس) ، وقدّموا له المساعدة المادية من عون عسكري ومالي ليستعين بها في مشروعه هذا ، وأخذ يشتري القبائل ويفرض عليها نفوذه بالقوة والمال حتى انهى الأمر بزوال ملك (ذي نواس) فعيّن (ال سميفع) حاكماً على اليمن ونائباً عن ملك الحبشة عليها ، إلا أن ثورة وقعت فيها قضت على حكمه فولّى الأحباش شخصاً آخر في مكانه وذلك بعد السنة (٥٣١ م)»وهذا الشخص هو (أبرهة الأشرم) كما سيأتي .

و(ال سميفع أشوع) هو صاحب النص الموسوم بـ (كاي ٦٢١) والذي دوّنه مع اولاده (شرحب ال يكمل) و(معديكرب يعفر) وجماعة سادات القبائل ، وقد دوّنوا النص المذكور بمناسبة ترميمهم واصلاحهم لأسوار ودروب

(٣) نفس المصدر المفصل والجزء من ص ٤٧٢ . (٤) نفس المصدر والجزء من ص ٤٧٥ .

ومنافذ وصهاريج (عرمويت) أي حصن (ماوية) وتحصنهم فيه بعد ان جاء الحبشة الى ارض حمير ففتحوها وقتلوا ملكها وأقياله الحميريين والأرحبيين وذلك في (ذحجت) (ذي‌الحجة) من سنة (٦٤٠) من التأريخ الحميري ، المقابلة لسنة (٥٢٥) للميلاد كا سبق . والملك الذي قتلوه هو (ذو نواس) الحميري .

أمّا (شرحب ال لحي عث يرخم) والد (ال‌سميفع‌أشوع) فإنه لم يكن ملكاً ، وإنما كان من أقيال (ذي الكلاع) و(ذي يزن) و(ذي جدن) و(حب) وغيرها، ذكر ذلك النص المذكور (كاي ٦٢١) وفي متحف (استامبول بتركيا) نص ترجمه ونشره (ريكمانس) في مجلة (ليمسون) ورد في مطلعه « نفس قدس سميفع‌أشوع ملك سبأ » وفي آخره عبارة (رحمنن وبنهو كرشتش غلبن) أي (باسم الرحمن وابنه المسيح الغالب) وفي ذلك دلالة صريحة على ان (ال سميفع أشوع) كان ملكاً على (سبأ) وانه كان مسيحياً .

وورد نص آخر لعله قبل هذا النص وقبل ان يعتنق (ال سميفع أشوع) المسيحية بل كان ما يزال موحداً على دين اسلافه منذ نبذ الحميريون عبادة الأوثان وعبدوا الله الواحد القهّار كما سبق ايضاح ذلك عند الكلام عن الملك السبائي (ملك كرب يهنعم) . أما هذا النص الذي نحن بصدده فقد عرّفه العلماء بـ (ريب أيبج٤٠٦٩) ووردت فيه أسماء عدد من الأقيال الى جانب الملك (الـ سميفع أشوع) وهم (شرحب ال يكمل) و (شرحب ال يقبل) و(مرثد علن احسن) والملك (ال سميفع أشوع) وجميعهم ابناء (شرحب ال لحي عث يرخم) اقيال (ذو يزن) و(جدنم) و(ذو جدن) وغيرهم ، وفي نهاية النص جملة (الرحمن رب السماء والأرض) وهذه العبارة هي الدالة على اعتناق الملك المذكور ومن معه من الأقيال لعقيدة التوحيد ودون ان يفهم منهم أن يكونوا يهوداً أو نصارى ، وكل ما نستطيع أن نقوله هو أن اصحاب هذا النص كانوا على دين التوحيد وكفى .

لما تمكن الأحباش بمساندة الكثير من اليمنيين من القضاء على الملك الحميري (ذي نواس) انتصاراً للمسيحية والمسيحيين من اليمنيين الذين اضطهدهم (ذو نواس)في محاولة منه لارغامهم على اعتناق اليهودية التي اعتنقها هو، أناب الأحباش عنهم في اليمن قيل ذي الكلاع (ال سميفع أشوع) ولاه قائد جيش الأحباش (ارياط) وظل في منصبه ذلك من عام ٥٢٥ الى عام ٥٣٥ م حيث ظهر في هذا التأريخ (ابرهة الأشرم)[٤] الحبشي .

ويبدو أنه قامت في العام المذكور (٥٣٥ م) ثورة ضد (إل سميفع أشوع) قد يكون الأحباش هم الذين دبروها تمهيداً لاستقلالهم بحكم اليمن والاستئثار بالسلطة دون اليمنيين ، وقد نجحوا في ذلك ونصبوا (ارياط) آنف الذكر .

ولكن (ابرهة) قام بحركة مضادة لارياط وتغلب عليه واستقل بحكم اليمن لنفسه وسمى نفسه كما جاء في النص الذي تركه على جدار (سد مأرب) بمناسبة ترميمه له (كما سيأتي) (عزلي ملكن جعزن) أي نائب ملك الجعزيين ، و(الجعزيون) هم : « الأحباش » و(ابرهة) هذا هو الذي قام بغزو الكعبة الفاشل بغية تحويل السوق التجاري من (مكة) الى (صنعاء) ، كما سنعلم أيضاً .

أما النص الذي تركه (ابرهة) بمناسبة ترميمه للسد والذي وسم عند العلماء بـ (جلازر ٦١٨) و(كاي ٥٤١) فهو ثاني نص طويل يصل الى الباحثين بعد نقش (كرب ال وتر) آخر مكربي سبأ وأول ملوكهم) والذي عرف بنقش النصر ، ويتألف نص (ابرهة) الذي نحن بصدده من (١٣٦) سطرومن حوالي (٤٧٠) كلمة ،وقد تناول النص ترميم (ابرهة) لسد (مأرب) وتجديده مرتين ، المرة الأولى في شهر (ذو المدرح) من سنة (٦٥٧) من التأريخ الحميري المقابلة لسنة (٥٤٢) للميلاد ، والثانية في شهر (ذو معان) (ذو معن) من سنة (٦٥٨) من التأريخ الحميري المقابلة لسنة

(٥) المفصل ج ٣ من ص ٤٨١ .

(٥٤٣) من التأريخ الميلادي .

وقد افتتح النص بالعبارة الآتية : « بخيل ورد ورحمت (رحمنن) ومسحو روح قدس سطرو ذن مزندن ان ابرهة عزلي ملكن اجعزن رمحز زبيمن ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهموا طودم وتهمت » (أي بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطروا هذه الكتابة ان ابرهة نائب ملك الجعزيين رمحز زبيمان ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في النجاد وتهامة) .

ويلاحظ ان ابرهة قد لقب نفسه في هذا النص باللقب الرسمي الذي كان يتلقب به ملوك حمير قبل سقوط دولتهم ، مع انه كان (عزلي ملكن اجعزن) اي نائب ملك الجعزيين ، والواقع انه كان قد استأثر بالحكم في اليمن ، وحصر السلطة في يديه ، وصار الحاكم المطلق ، ولم يترك لنجاشي (اكسوم) غير الاسم ، حتى انه دعاه في هذا النص ملك الجعز وحسب .

وفي النص حديث عن ثورة قام بها (يزيد بن كبشت) (يزيد بن كبشة) من السادات البارزين في اليمن ، وكان ابرهة قد أنابه عنه وجعله خليفته على قبيلتي (كدت) (كندة) (خلفتهو على كدت) (السطر الحادي عشر من النص) غير انه ثار عليه لسبب لم يذكر في النص ، واعلن العصيان وانضم اليه (أقول) (الأقيال) (سبأ) و(اسحرن) وهم : (ذو سحر) و(مرة) وثمحت) و(ثمامة) و(حنش) (حنشم) و(مرثد) و(حنفم) (حنيف) و(ذخلل) (ذو خليل) و(الأزان) و(القيل معديكرب بن سيمفع) وغيرهم من القبائل الذين ذكرهم النص ، وانه لما بلغ (ابرهة قيام هذه الثورة سيّر اليه جيشاً بقيادة (جرح ذو زنبر) (جراح ذو زنبور) فلم يتمكن ان يفعل شيئاً ، وهزمه (يزيد) واستولى على حصن (كدر) (كدار) وجميع من أطاعه من (كدت) ومن (حرب) (حريب) حضرموت ، وهاجم (هجن اذمرين) (هجان الذماري) وهزمه واستولى على أملاكه ، وحاصر موضع (عبرن) (عبران) (العبر) عندئذٍ قرر (ابرهة) معالجة الموقف بارسال قوات كبيرة لرتق الخرق قبل اتساعه .

فجهز في شهر (ذقيضن) (ذو القيض) (ذو قيضان) من سنة (٦٥٧) من التأريخ الحميري أي سنة (٥٤٢) من التأريخ الميلادي جيشاً لَجِباً من الأحباش والحميريين وجهه نحو أودية (سبأ) و(صرواح) ثم (نبط) على مقربة من (الوادي) (عبران) وفي (نبط)جعل أهل (ألو) (الوى) و(لمد) و(الحميريين) في المقدمة ، اما القيادة فكانت بأيدي القائدين (وطح) (وطاح) و(عودة) (ذو جدن) ، وبينما كان الجيش في طريقه لحرب (يزيد بن كبشة) اذ به يظهر مع عدد من أتباعه أمام (ابرهة) يطلب منه العفو والصفح ، اما الباقون فقد تحصنوا في مواضعهم وابوا الخضوع والاستسلام .

وبينما كان (ابرهة) يفكر في امر بقية الثائرين اذ به يسمع بخبر سيىء جداً هو تصدع (سد مأرب) وتهدّم بعض توابعه ، وذلك في شهر (ذمذرن) (ذو المذري) (البذر) من سنة(٦٥٧) من تقويم حمير ، أي سنة (٥٤٢) للميلاد ، فأمر مسرعاً بتحضير مواد البناء والحجارة ، وحدّد أجل ذلك (أي الشروع في اعادة البناء) بشهر (ذحـــرين) (ذو الصرب) (الحصاد) من السنة نفسها ، وفي اثناء مدة التحضير هذه افتتح (ابرهة كنيسة في مدينة (مأرب) يظهر انه هو الذي امر ببنائها ورتب لخدمتها جماعة من متنصّرة (سبأ) ولما انتهى من ذلك عاد الى موضع السد لوضع اسسه واقامته مستعيناً بـ (حمير) وبجنوده الحبش ولكنه اضطر بعد مدة الى السماح لهم باجازة ، ليهيئوا لأنفسهم الطعام وما يحتاجون اليه ، وليريحهم مُدَّةً من هذا العمل المضني الذي تبرموا منه ، وليقضي بذلك على تذمر العشائر من مثل هذه الأعمال الطويلة الشاقة ، ورجع ابرهة في اثنائها الى (مأرب) (يبدو انه عسكر في مكان العمل طيلة فترة العمل الماضي) فعقد معاهدة مع اقيال (سبأ) وتحسنت الأحوال وأرسلت اليه الغلات والمواد اللازمة للبناء ، ووصلت اليه جموع من الفعلة وابناء العشائر ، فعاد الى العمل بهمة وجد ، فأنجزه على نحو ما أراد ، فبلغ طوله خمسة واربعين (أمماً) وبلغ أرتفاعه خمسة وثلاثين (أمماً) أما عرضه فكان أربعة عشر ذراعاً ، وبُني بحجارة حُمْرٍ من (البلق) ، وأُنجزت اعمال قنواته واحواضه والمشروعات الفرعية المتعلقة به في (خبشم) (خبش) وفي (مفلم)

(مفلول) .

ودوّن ابرهة في نهاية النص ما انفقه على بناء هذا السد من اموال وما قدمه الى العمال والجيش الذي اشترك في العمل من طعام واعاشة من اليوم الذي بُدِىء فيه بالانشاء حتى يوم الإنتهاء منه في شهر (ذمعن) (ذو معا ن) من سنة (٦٥٨) من تقويم حمير الموافقة لسنة (٥٤٣) للميلاد .

ويظهر من النص ان ثورة (يزيد بن كبشة) كانت ثورة عنيفة قوية ، وأنها شملت (حضرموت) و(حريب) و(ذو جدن) و(حباب) عند (صرواح) ولكنها فشلت وتغلب عليها (ابرهة) بمساعدة قبائل يمانية ذكرها في النص .

ويبدو ان حكم (ابرهة الأشرم) الحبشي لليمن كان مستقلاً عن الأحباش إلا من انتماء شكلي كما سلف لمجرد اضفاء الصبغة الشرعية على حكمه بانتمائه اليهم .

وبناؤه للسد مرتين بعد قيام الأحباش بالانتصار لليمنيين الذين اضطهدهم (ذو نواس) أرضى اليمنيين وحمل الكثير منهم على مساندته ضد (يزيد بن كبشة) الثائر اليمني آنف الذكر ، وغيره من اليمنيين الذين ساندوا يزيد بن كبشة في ثورته ضد الأحباش في اليمن .

وقد اكد (ابرهة) ولاءه لليمنيين بالأعمال التي قدمها لليمن إلا أن تهوّره بغزوه الكعبة بغية تحويل السوق التجارية عن (مكة) الى (صنعاء) عن طريق محاولة هدم الكعبة وتحويل الحجيج الى كنيسة القلّيس التي بناها بصنعاء قضى عليه .

اما اذا شاع بين اليمنيين في عهده بأنه ينحدر من سلالة من تلك السلالات اليمانية التي غزت الحبشة ونقلت اليها حضارتها ، وبسطت فيها نفوذها ووضعت الأساس لدولة (اكسوم) القديمة في الحبشة ، فإن التعاون بين ابرهة واليمنيين اكبر ، ومساندتهم له اكثر ، وان الأعمال الوطنية التي قام بها

(ابرهة) في اليمن وفي مقدمتها اعادته لبناء (سد مأرب) مرتين لتدلّ على شعوره بيمنيته وشيوع ذلك بين اليمنيين ، ومنها قتله لأول حاكم حبشي لليمن (ارياط) بعد قتل هذا لنائب الأحباش في اليمن الملك اليمني (ال سميفع أشوع) ، كما وان تسمية (ابرهة) لأول مولود له في اليمن بـ (يكسوم) لتأكيد منه امام اليمنيين بصلته وقرابته لليمنيين لما علمنا من ان (اكسوم) دولة يمنية في الحبشة أقامها يمنيون أو أحباش منحدرون من سلالات يمنية كما اثبتت ذلك الدراسات والأبحاث التأريخية كما سلف تحقيقه في موضعه من هذا الكتاب .

وأياً كان رأي (اليمانيين) بـ (ابرهة) وأياً كانت دوافع اليمنيين لمناصرته ضد الثائر اليمني (يزيد بن كبشة) فمن المسلم به ان اليمنيين اختلفوا حوله واختلفت مواقفهم بالتالي بالنسبة له ولحكمه في اليمن وانهم ليسوا على وفاق في امر من الأمور التي تتعلق به .

هذا[٦] ومما ذكر في النص آنف الذكر ان (ابرهة) في اثناء وجوده في (مأرب) قضى على عصيان الأقيال الذين انضموا الى ثورة (يزيد بن كبشة) وأبوا الخضوع والاستسلام لحكمه بعد استسلام (يزيد) كما ذكر النص القبائل اليمانية التي آزرته ضد الثائرين ومنهم : (ذو همدان) و(ذو الكلاع) و(ذو يزن) و(كبر حضرموت) (كبير حضرموت) وغيرهم وان هؤلاء كانوا على ود وصداقة معه ، وذكر النص ايضاً انه في اثناء وجود (ابرهة) في مأرب وفدت اليه وفود من النجاشي ومن ملك الروم (ملك رمن) ومن (الحارث بن جبلة) (رسل حرثم بن جبلت) ومن (أب كرب بن جبلة) (أبكرب بن جبلت) ومن رؤساء القبائل ، ويلاحظ ان النص قد قدم النجاشي على ملك الروم ، كما قدم ملك الروم على ملك فارس ، ثم ذكر بعد ملك فارس اسم المنذر الحارث بن جبلة وأبي كرب بن جبلة ، وذلك الترتيب لأن نجاشي الحبشة له

(٦) المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام ج ٣ ص ٤٨٨ .

السيادة على ابرهة ولو بالاسم وتقديم ملك الروم على ملك الفرس لصلة الدين والسياسة بين الحبشة والروم واليمن في ذلك التأريخ .

كما يلاحظ من النص ايضاً انه قد استعمل كلمة (محشكت) للوفد أو الرسل الذين جاؤوا الى (ابرهة) من النجاشي ومن ملك الروم وتعني كلمة (محشكت) رسل أو سفراء ، لأن كلمة (محشكت) في اللغة السبائية تعني زوجة ، فاستعمالها في النص بمعنى رسول أو سفير تعبر عن ود وصداقة الحكومة التي استعمل وفده بهذه الكلمة ، فهي لها اذن معنى دبلوماسي خاص ، اما بالنسبة الى رسل ملك (فارس) فقد اطلق عليهم كلمة (تنبلت) أي وفد ، ولهذه الكلمة معنى خاص في العرف السياسي يختلف عن المعنى الأول ، اي ان وفد فارس وغيره ليس بمنزلة وفد الحبشة والروم وفي درجته .

ولقد أحدث مجيء تلك الوفود الى اليمن اثراً كبيراً في نفوس اليمنيين زاد من اهمية وشأن (ابرهة) عندهم ولو مؤقتاً ، ولم يكن مجيء هؤلاء المبعوثين الى أبرهة لمجرد التهنئة أو التسلية أو المجاملة ولكن ربما ولجرّ ابرهة (وهو في موقعه الهام ويملك مضيّق البحر الأحمر (باب المندب) الى هذا المعسكر أو ذاك ، وقد كان العالم يوم ذاك ينقسم كاليوم الى معسكر شرقي يمثله الفرس ومعسكر غربي يمثله الروم ، ولكل من المعسكرين حلفاؤه واتباعه من الدويلات الصغيرة والامارات وسادات القبائل ورؤساء العشائر ونحوهم ، وكان كل من المعسكرين الرئيسيين يطمع في استمالة مملكة اليمن الى جانبه والسير في فلكه .

(ولابرهة)[٧] نص آخر كتبه بعد النص الطويل المتقدم وذلك بمناسبة غزوه لـ (معد) في شهر (ذثبتن) (ذي الثبت) من سنة (٦٦٢) من تأريخ حمير المقابل لسنة (٥٤٧ للميلاد) ، وقد عثر (ريكمانس) على هذا النص مدوناً على صخرة بالقرب من بئر (مريغان) فوسم عند العلماء بـ (ريكمانس ٥٠٦) ، ترجم النص الى الفرنسية ومنها الى لغات أخرى ، ومنها العربية ،

---

(٧) نفس المصدر والجزء ص ٤٩٣ .

وهو نص قصير لا يتجاوز العشرة أسطر واختصر وصف الحوادث حتى صيّره وكأنه برقية تلغراف ولكنه ذو خطر بالغ لأنه وصف الأوضاع السياسية في ذلك التأريخ ، وأشار الى اتصال ملوك الحيرة بالأحباش ، والى سلطان حكام اليمن على القبائل العربية مثل (معد) مما يؤيد روايات أهل الأخبار من انه كان لليمن نفوذ على قبائل (معد) وغيرها وان تبابعة اليمن كانوا يعينون الحاكم على تلك القبائل .

وقد تلقب (ابرهة) في هذا النص بما تلقب به في نص (سد مأرب) وهو اللقب الذي كان يلقب به ملوك اليمن ، كما افتتحه بما افتتح به ذلك النص أيضاً .

وقد أورد النص بكامله في المصدر (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) هذا ولم يُعرف المكان الذي وُجد فيه النص المذكور حتى الآن .

وقد ذهب بعض الباحثين ان غزو ابرهة لـ (معد) كان قبل غزوه لـ (مكة) تمهيداً لها ، بينما ذهب البعض الآخر الى انه كان اثناءها ، لكن باحثون آخرون ذهبوا الى ان غزو ابرهة لمعد لا علاقة له بغزوه للكعبة ، لأن هذا الغزو كان في عام ٥٦٣ م ، بينما كانت غزوته لقبيلة (معد) في عام ٥٤٧ م .

وقد ظهر من النص ان ابرهة غزا (معداً) بنفسه وانتصر عليها ، كما غزا بنفسه مكة بغية هدم الكعبة وفشل في هدمها . كما اشار النص القصير المذكور الى ان ابرهة (غزا) قبيلة بني عامر) من القبائل الكبرى ، ولكنه جهز لها قبيلة (كندة) وقبيلة (عل) وقبيلة (سعد) ، والقبيلتان الأخيرتان لم تعرف هويتهما وحقيقتهما اليوم .

وقد(٨) توفي (ابرهة) بعد عودته من غزوه الفاشل لمكة اذ اصابه الوباء الذي اصاب رجاله اثناء الغزو كما يظهر من الروايات العربية ، وذلك في عام (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد وفي صنعاء أثر وصوله اليها .

---

(٨) المفصل ج ٣ ص ٥٠٤ .

يكسوم بن ابرهة الأشرم الحبشي

وخلفه[٩] ابنه الأكبر (يكسوم) وكان أبوه كما يرى (كلاسر) قد عينه في حياته على ارض (المعاهر)(معهرن) وفي المعاهر (عر وعلن) (حصن وعلان) المعروف ، وقد ذكر مؤرخو العرب انه اسوأ سيرة من ابيه ، وانه حكم في اليمن تسعة عشر عاماً ، لم يترك نصاً اثرياً يمكن الرجوع اليه .

مسروق بن ابرهة الأشرم

ولما توفي[١٠] يكسوم بن ابرهة خلفه اخوه (مسروق بن ابرهة) ، وكان ايضاً كما ذكر المؤرخون العرب اسوأ سيرة من ابيه واخيه ، وانه حكم اليمن ثلاث سنوات على اختلاف في الروايات .

وفي عهده جاء الفرس الى اليمن تلبية لطلب اليمنيين الذين مثلهم لدى الملك كسرى (سيف بن ذي يزن) كما سنعلم في الفصل بعد هذا وقضى اليمنيون بمساعدة الفرس على حكم الأحباش في اليمن وملك (سيف بن ذي يزن) المذكور .

غزو ابرهة لمكة

وقبل[١١] أن أنهي الكلام عن غزو الأحباش وحكمهم لليمن يجدر بنا ان نعرف ما ذكره المؤرخون العرب عن غزوه الفاشل لمكة ، فقد تحدث كثير من المؤرخين والمفسرين عن ذلك الغزو الذي قام به ابرهة لمكة بغية هدم الكعبة وتحويل حج الناس منها الى كنيسة (القلّيس) التي بناها في صنعاء على أمل انه بذلك سيوفر لمملكته في اليمن الرخاء الاقتصادي والاستقرار الديني اللذين اعتبرهما الأساس للاستقرار السياسي ، ولكنه لما وصل الى (مكة) تفشى في

---

(٩) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١٠) نفس المصدر والجزء ص ص ٥٠٥ .

(١١) نفس المصدر والجزء ص ٥٠٧ .

جيشه الوباء الفتاك الذي اعجزهم عن مواصلة التقدم نحو مكة، (وقد احدث الوباء طير رماهم بحصى صغيرة كانت الحصاة لا تخطىء الواحد منهم) . وعاد من سلم منهم من الموت الى اليمن بما فيهم (ابرهة) منهوكي القوى ، كما ان ابرهة نفسه مات بعد مدة وجيزة من رجوعه من رحلته المشؤومة .

وذكر ان (عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف) قابل ابرهة خارج مكة فسأله هذا عن حاجته فرد عليه (حاجتي الى الملك ان يرد عليَّ مائتي بعير أصابها لي) فعجب ابرهة منه وقال له : (اتكلمني في مائتي بعير قد أصبتها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه لا تكلمني فيه) فقال له عبد المطلب : (انا رب ابلي وإنّ للبيت رباً يحميه) .

كما ذكر ايضاً ان عبد المطلب أخذ بحلقة باب الكعبة وتوسل الى ربه في دفع الغزاة عن بيته وقال :

يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع منهمو حماك
ان عدو البيت من عاداك فامنعهمو ان يخربوا قراك

وانه قال :

لاهم أن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبّن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

هذا وقد كان غزو (ابرهة) لمكة في عام ٥٧٠ أو ٥٧١ م وهو عام ميلاد الرسول الكريم محمد عليه افضل الصلاة والتسليم والذي عرف بعام الفيل ، وقبل مبعث الرسول الكريم بأربعين عاماً ، وقبل هجرته من مكة الى (المدينة) باثنين وخمسين عاماً ، وعلى هذا فتكون هجرة الرسول الكريم في عام ٦٢٣ للميلاد .

الملك (سيف بن ذي يزن) الحميري

لم يعثر الباحثون للأسف على كتابات اثرية تحكي قصة استنجاد (سيف بن ذي يزن) ووالده من قبله بقيصر الروم ، ثم بكسرى فارس ضد الأحباش وما تم من طردهم ثم ما حدث من مقتل (سيف بن ذي يزن) .

ثم استيلاء الفرس على الحكم في اليمن حتى آخرهم (باذان) الذي لبىّ دعوة الإسلام واستمر في الحكم باليمن في عهد الإسلام الى موته ، وكل ما لدى الباحثين والمؤرخين عن هذه الفترات الأخيرة هو مؤرخو العرب الطبري والمسعودي وغيرهما وهو ما استند اليه مصدرنا وهو (الدكتور جواد علي) العراقي في كتابه (المفصل[1] في تأريخ العرب قبل الإسلام) الذي أبدى هو بدوره اسفه لخلو تلك الفترات من نصوص وكتابات اثرية ، وما كتبه مؤرخو العرب عن تأريخ اليمن منذ بداية حركة (سيف بن ذي يزن) بعد والده وحتى بعثة الرسول الكريم وتلبية اليمنيين لنداء الاسلام وتلبية (باذان) لندائه ايضاً منذ العام السادس للهجرة يتلخص بالآتي :

لقد عجلّ مسلك الأحباش السيىء في اليمن بنهايتهم برغم ما بلغوه من قوة وما شادوه من مجد وابهة وسلطان، فقام اليمنيون بمحاولات عديدة للتخلص من حكمهم ، منذ أول حاكم منهم وهو (ابرهة الأشرم) وحتى آخر حاكم منهم وهو (مسروق) بن ابرهة والذي كان كما ذكر اخا (مسروق) من امه (ريحانة ابنة علقمة) من آل (ذي جدن) الحميريين .

---

(١) من صفحة (٤٢١).

إلا أن ثورات اليمنيين وانتفاضاتهم ضد الأحباش كانت ثورات وانتفاضات متفرقة وغير منسقة ولا متكافئة ، بل ولم تقم على تعددها وتفرقها في زمن واحد حتى يعجز الأحباش عن اخمادها جميعها ، وقد ادى ذلك التفرق بين اليمنيين وتنافسهم وتناحرهم وحتى اثناء ثوراتهم على الأحباش الى ان يقضي الأحباش على حركات اليمنيين ضدهم وأن يخمدوا ثوراتهم الواحدة بعد الأخرى ، ولكن (آل ذي يزن) الحميريين وفي مقدمتهم (أبو مرة النعمان) بن عقير بن زرعة بن ذي يزن ، ثم ولده من بعده وهو الأمير (سيف بن النعمان بن ذي يزن) الذي اشتهر بـ (سيف بن ذي يزن) نسبة الى جده ، سعوا للحصول على العون الخارجي لنصرتهم ومساندتهم في طرد الأحباش من اليمن ، فلجأ (أبو مرة الفيّاض النعمان بن عفير) المذكور الى قيصر الروم طالباً منه نجدته ضد الأحباش ولكنه لم ينجح في طلبه للتعاطف الديني والسياسي بين الروم والأحباش .

فتحول أبو مرة الى كسرى فارس لنفس الغاية ، ولكنه مات في سوحه قبل بلوغ غايته .

ثم نهض (سيف بن ذي يزن) وحذا حذو أبيه ، ومما قاله لكسرى : « أنا ابن الشيخ (ذي يزن) الذي وعدته أن تنصره ، فمات ببابك وحضرتك ، فتلك العِدَةْ حق لي ، وميراث يجب عليك الخروج لي منه » فرّق له كسرى وأمر له بمال ، فخرج (سيف) من عنده وجعل ينثر الدراهم فانتهبها الناس ، فأرسل اليه ملك كسرى وقال له : « ما الذي حملك على ما صنعت ؟ » فقال له : « اني لم آتك للمال ، وإنما جئتك للرجال ولتمنعني من الذل » فاعجب ذلك كسرى وقال له : « أقم حتى انظر في امرك » .

ثم استشار (كسرى) وزراءه في الأمر ، فقال له (الموبذان) : « ان لهذا الغلام حقاً بنزوعه وموت أبيه بباب الملك وحضرته وما تقدّم من عدة لك إياه ، وفي سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس ، فلو أنّ الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وان هلكوا كان قد استراح واراح أهل مملكته منهم ، ولم

يكن ببعيد الصواب » قال كسرى : « هذا الرأي » وعمل به وأمدّ (سيف بن ذي يزن) بثماني سفن في كل سفينة مائة مقاتل ، ووصلت السفن بما عليها الى عدن في عام ٥٣٣ م يقودها (وهرز الديلمي) و(سيف بن ذي يزن) ، وذكر أنّ وهرز احرق السفن بعد انزال الجنود منها لييأسوا من الفرار اليها .

ولّما علم (مسروق بن ابرهة) بمقدمهم ، تقدّم بجيشه نحوهم ، ولدى التقاء الجمعين بادر (وهرز) (مسروقاً) بسهم ارداه قتيلاً ، وانهزم الأحباش ، وقتل كثير منهم وفر شاردهم ، ودخل وهرز وسيف بن ذي يزن صنعاء اليمن ، وأمعن وهرز في الأحباش قتلاً وأسراً ، وتشريداً ، ثم استخدم من البقية الباقية خولاً ومنهم عدد بين يديه .

ثم كتب (وهرز) الى كسرى فارس (انوشروان) يخبره بالانتصار ، فأمره بتمكين الأمير (سيف بن ذي يزن) من ملك اليمن والقفول اليه ففعل وهرز ذلك وعاد الى الملك الفارسي الى عاصمته (طيسقون) (المدائن) عاصمة الأمبراطورية الفارسية آنذاك .

واستقل بحكم اليمن الأمير (سيف بن ذي يزن) يحمل اتاوة سنوية الى فارس كل عام .

والى صنعاء أتته الوفود العربية والأجنبية تهنّئه بالنصر وتشيد بظفره ، وكان في وفد قريش (عبد المطلب بن هاشم) و(أبو زمعة) جد (أُمية بن أبي الصلت) و(أُمية بن عبد شمس) و(خويلد بن اسد بن عبد العزى) وقد ارتجل (عبد المطلب) خطاباً بين يدي (سيف بن ذي يزن) ذكر المسعودي نصه ، وقال الأصفهاني في كتابه (الأغاني) : « فأتوا سيف بن ذي يزن في قصر له يقال له (غمدان) ، ولّما دخلوا عليه وجدوه على شرابه ، وعلى رأسه غلام واقف ينثر المسك في مفرقه ، وفي يمينه وفي يساره الملوك والأقيال،ثم قام بين يديه (أُمية[٢] بن أبي الصلت) الثقفي ينشده قصيدة منها :

---

(٢) في المفصل كما عرفنا ان الذي وفد في قريش هو ابو زمعة جد امية بن ابي الصلت لا أمية بن أبي الصلت نفسه .

لا يطلب الوتر إلا كابن ذي يزن	في البحر خيّم للأعداء احوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته	فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انتحى عند كسرى بعد عاشرة	من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتى ببني الأحرار يقدمهم	تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
لله درهمو من فتية صبروا	ما أن رأيت لهم في الناس أمثالا
بيض مرازبة غلب اساودة	اسد تربت في الغيضان اشبالا
فالقط من المسك إذ شالت نعامتهم	واسبل اليوم في برديك اسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً	في رأس غمدان دار منك محلالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن	شيباً بماء فعادت بعد أبوالا

مقتل الأمير سيف بن ذي يزن وحكم الفرس في اليمن

ثم ذكر المؤرخون عن مقتل الأمير (سيف بن ذي يزن) بأنه بينما كان يسير في موكبه ، اذ برجل من بقايا الأحباش يرميه بحربة مات على أثرها أو ان جماعة من الأحباش وثبوا عليه وقتلوه على اختلاف في الروايات وذلك بعد سنوات من حكمه .

وأضاف المؤرخون بأن ذلك شجع بقايا الأحباش على الفساد ومحاولة التسلط في اليمن بعد تنصيب رجل منهم . ولكن كسرى لما علم بمقتل (سيف بن ذي يزن) بعث القائد الفارسي (وهرز) الى اليمن على رأس قوة قوامها أربعة آلاف مقاتل في عدد من السفن ووصل (وهرز) الى اليمن للمرة الثانية في عام ٥٩٨ م وقضى بمساندة اليمنيين على البقية الباقية من الأحباش ، واستقرّ في صنعاء حاكماً يبعث الى ملك كسرى بالأموال والهدايا . وكأني باليمنيين قد استبدلوا استعماراً باستعمارولكنهايسر الشرينوأخفالضررينولا خيار لهم ازاء وطأة الحكم الحبشي في اليمن ، وتفكك اليمنيين إلا الاستعانة بالفرس ، ولقد جاء الاسلام فقضى على الاستعمار والمستعمرين في جميع الأقطار التي خفقت فيها الوية الاسلام ، كما قضى الإسلام على تمركز اليهودية والنصرانية معاً وعلى تناحر اليهود والنصارى في اليمن وغيره ، وقضى على كل ديانة وثنية وعلى كل حكم

اجنبي غير ديانة وحكم الإسلام ، ووحّد بين ابنائه ،لا سلطان لغير الإسلام عليهم ، وجعل الناس الذين دخلوا في الاسلام بنعمة الله اخواناً اكرمهم عند الله أتقاهم .

حكام الفرس في اليمن بعد وهرز الديلمي

ولما توفي (وهرزالديلمي) خلفه ابنه (المرزبان) ، ولما توفي (المرزبان) خلفه ابنه (البينجان) .

ولما توفي (البينجان) خلفه ولده (خرّخرة) ، وقد غضب ملك فارس على هذا واستدعاه اليه وبعث الى اليمن خلفاً له (باذان) وفي عهده بُعث الرسول الكريم محمد عليه افضل الصلاة والسلام ولبى (باذان) نداء الإسلام كما سيأتي في القسم الثاني من هذا الكتاب وهو الخاص بتأريخ اليمن بعد الإسلام .

وفي[٣] أثناء حكم (باذان) الفارسي وقبل مبعث الرسول الكريم حدث تمرد الكثير من اليمنيين وفي مقدمتهم الحميريون بقيادة (ذي الكلاع الحميري) و(النعمان بن عبد كلال الحميري) على السلطة المركزية الفارسية في صنعاء ، وانضم اليهم[٤] عمرو بن معد يكرب الزبيدي) و(عنبسة بن زيد الخولاني) و(الحصين بن يزيد الحارثي) و(زيد بن عبد المدان) و(شهان بن الحصين) في جموعهم .

مما اضطر (باذان) ازاء ذلك التجمع الحميري الى التحالف مع همدان ممثّلةً بقسميها بكيل وحاشد ، وقد وقع المعاهدة عن (الفرس) (باذان) وعن (حاشد) من (همدان) (عمرو بن يزيد بن الربيع الحاشدي) ؛ وعن (بكيل) من(همدان) (عمرو بن الحارث بن الحصين الشاكري) ، وكان نص المعاهدة كما جاء في الوثائق[٥] السياسية كالآتي :

---

(٣) الإكليل الجزء الثاني من ص (١٠٢) .

(٤) تأريخ مدينة صنعاء الطبعة الثانية ص (٣٧) .

(٥) للقاضي محمد علي الأكوع ص ١٤٥ . وتأريخ صنعاء آنف الذكر ص (٣٨) .

(باسمك اللهم ولي الهدى والرحمة ، هذا كتاب ما أجمعت عليه همدان وفارس باليمن ، بمحضر (باذان بن ساسان) ، ومشاهدة (عمرو بن الحارث) و(عمرو بن يزيد بن الربيع) من بكيل وحاشد ، ورضى من حضر ، وكفالة بعضهم لبعض عمن غاب من الحيين ، أنّا تحالفنا جميعاً على عهد الله وميثاقه واجتماع الهدى واتفاقه ، وقتال العدو وفراقه ، وعلى أنّ كل واحد منا من الحيين جميعاً فيما عقد وحالف ، ان نكث أو خالف ، فيما عقد ، وشدد واكد ، فعليه العهد من الله تعالى المكرر الوثيق ، المؤكد الشديد ، أبد الأبد ما دام والد وولد ، عهداً مؤكداً ، ما أظلت السماء وأقلت الغبراء ، وجري الماء ، ونزل المطر ، وأخضرّ الشجر ، وأكل الثمر ، وبقي البشر ، وما بقي في البحار رنق وفي الأشجار ورق ، وفي الأيام رمق ، وما بقيت الرواسي الشامخات في مواضعها ، وظهرت النجوم السابحات في مطالعها ، وسرحت الأنعام المسخرّة الى مراتعها ، عهداً تؤكده العهود ، وحلفاً تشدّده العقود ، بعقد مبرم محكم شديد ، لا يضمحل أمره ، ولا يبيد خبره .

هذا وسيأتي في القسم الثاني من هذا الكتاب الخاص بتأريخ اليمن بعد الإسلام المزيد من الأحداث التي كانت في عهد باذان وخلفه من الفرس والأبناء في عهد الإسلام .

اليهودية والمسيحية في اليمن

كانت[1] ديانة اليمنين قبل دخول اليهودية ثم المسيحية الى اليمن تقوم على عبادة الكواكب كما هي في غير اليمن ، وكانت في اليمن تقوم في الغالب على أساس ثالوث من الكواكب ، الإله الأب (القمر) والإله الأم (الشمس) والإله الأبن (الزهرة) ، وكان إله (القمر) يعرف باسم (المقه) في دولة (سبأ) وباسم (سين) في دولة (حضرموت) وباسم (ود) في دولة (معين) و(قتبان) وغيرها ، وكانت الشمس (غالباً ما تبدأ بلفظ (ذات) كـ (ذات حميم) و(ذات بعدان) و(ذات غضران) و(ذات تنوف) ، وكما سلف فإنهم كانوا يطلقون على الشمس (ذات حميم) في فصل الصيف ، و(ذات بعدان) في فصل الشتاء ، أما (ذات تنوف) فمعناها الشمس النائفة أي العالية ، وكان كوكب (الزهرة) يعرف باسم (عثتر) وباسم (عشتر) على اختلاف في الاستعمال .

وفي مأرب نصب حجري قائم يرمز الى معبود سبأ الإله (المقه) وفيه رسم القمر وهو هلال ، صورة رقم (٢٨) .

وكانت توجد الى جانب هذه المعبودات الرئيسية الثلاثة آلهة أخرى محلية ،

---

(١) اليمن ماضيها وحاضرها وقد أضاف مؤلفه (الدكتور احمد فخري قوله : « وهذا الثالوث هو (المقه) أي القمر ، و(ذات حميم) و(ذات بعدان) حسب الصيف والشتاء . قلت (وبعدان) مخلاف جبلي كبير يطل على مدينة اب من الشرق ، وهو بارد في الشتاء لعل لمناخه الشتوي البارد مناسبة لتسمية الشمس بـ (ذات بعدان) في الشتاء . كما كانوا يسمونها بـ (ذات حميم) في الصيف ، والكوكب الثالث هو الزهرة وكان يرمز اليه عندهم بـ (عشتر) كما سيأتي هذا .

يبني لها أهلها المعابد ، ويقدّمون لها القرابين من مذبوحاتهم وتماثيلهم من الذهب والفضة وغيرهما ، وكان لكهنتها نفوذ كبير وامتيازات خاصة ، وكان هناك ارقاء يعملون في حقول المعابد وحدائقها ، كما كان يقيم في المعابد طائفة خاصة من النساء تنقطع في ممارسة الطقوس الدينية وكانت هذه المعابد وخاصة ما بني في العصور القديمة على درجة عظيمة من الفخامة ، ومنها ما يزال أثره باقياً حتى اليوم ، وما تزال أعمدتها بل ومبانيها قائمة كمعبد (صرواح) الكبير صورة (رقم ٢٩) ، وفي داخله فيما يعتقد عدد من المعابد القائمة أعمدتها الى اليوم (الصورتان رقم (٣٠) ورقم (٣١) ، وكمعبد(العمايد) في (مأرب) صورة رقم (٣٢) ومعبد (أوام) والذي يطلق الناس عليه اليوم اسم عرش بلقيس ، صورة رقم (٣٣) وكمعبد (معربم) في (الجوبة) والذي يطلق الناس عليه اليوم اسم (المساجد) الصورة رقم (٣٤) ويعود بناء هذا المعبد إلى الملك السبائي (يدع ال ذرح) ثاني مكاربة سبأ كما هو موضح في موضعه .

ومع ذلك فإن ديانة اليمنيين كانت تتميز بسذاجتها بالنسبة لديانة الشماليين في الجزيرة العربية أشار الى ذلك الدكتور (دتلف[٢] نيلسن) بقوله : « بالرغم من المباني العظيمة والسلطان السياسي والثقافة العالية التي نجدها عند شعوب بلاد العرب الجنوبية (اليمن) إلا أن ديانتهم كانت ساذجة في كثير من عناصرها ، فالدين العربي الجنوبي دين تطور من الديانات السامية الشمالية ، في الوقت الذي كان فيه اصحابها يحترفون الزراعة ، وهذه السذاجة الدينية لا نلمسها في الطقوس ودور العبادات وعدم وجود صور وأصنام للإله فقط ، بل وفي نظر هذه الديانات للآلهة أيضاً » .

ولما جاءت اليهودية ثم المسيحية الى اليمن كما سيأتي إيضاحه تطورت العقلية اليمنية من الناحية الدينية ، وأعرض اليمانيون عن آلهتهم القديمة ، وعبدوا إلهاً واحداً هو في تعبيرهم (ذو سموي) أي رب السماء ، وأقاموا المعابد التي ترمز اليه وحده ، وقد علمنا أن أول ملك دلت الآثار على توحيده ونبذه عبادة الكواكب هو الملك السبائي (كرب إلْ وتر يهنعم) الذي حكم حوالي عام (١٦٠

(٢) في الفصل الذي عقد له بكتاب (التأريخ العربي القديم) ص ٢٣١ .

ق . م) كما علمنا عند ذكره ، وعلمنا قبل ذلك إيمان بلقيس وكثير من قومها منذ لبت نداء دين الله الوحيد آنذاك وهو اليهودية بعد زيارتها للنبي (سليمان) في القرن العاشر قبل ميلاد المسيح عيسى عليهما السلام ، ﴿ **قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ (سورة النمل)

أما مصدر مجيء اليهودية والمسيحية الى اليمن وتأريخ ذلك فمن الثابت أن كلتا الديانتين جاءتا الى اليمن من الشمال ، وقد كان الشمال هو مهد أغلب الديانات السماوية .

وأما تأريخ ذلك فإن الدكتور (جواد علي) قال في كتابه (تأريخ العرب قبل الإسلام) في الجزء السادس[٣] عن تأريخ دخول اليهودية الى اليمن ما نصه: « غير اني أرى أن دخول اليهودية الى اليمن مرده ايضاً الى اتصال اليمن في عهد قديم بطرق القوافل التجارية البحرية والبرية ببلاد الشام ، وفي قصة (سليمان) وملكة (سبأ) اشارة الى تلك الصلات والى هجرة جماعات من اليهود الى هذا القطر عن طريق الحجاز بعوامل متعددة ، منها التجارة والهجرة الى الخارج ، وهربهم من اضطهاد الرومان لهم ، وعوامل اخرى جعلتهم يتجهون من الحجاز الى اليمن فأقاموا هناك » .

وأكد المصدر المذكور ذلك بما جاء عن المؤرخ (تيودور لكتور) من رجال النصف الأول للقرن السادس للميلاد وهو ان الحميريين كانوا في بادىء امرهم على دين يهود دخلوا فيه أيام ملكة (سبأ) المعروفة بقصتها مع (سليمان) .

ثم اشار الى احتفاظ اليهود في اليمن بكيانهم (ولعلهم اليهود المهاجرون الى اليمن من الشام) ومن تناسل منهم في اليمن ، فقال : « واليهودية وان ضعفت في اليمن بدخول الحبشة فيها بقيت مع ذلك محافظة على كيانها فلم تنهزم ولم تُجتث من أصولها ، وبقيت قائمة في هذه البلاد في الإسلام كذلك فلم يجل عنها أهلها كما أُجلي أهل خيبر ، وظلّت بقيتهم هناك الى سنيّات قريبة حيث غادروها على أثر حوادث فلسطين » .

---

(٣) ص (٥٣٨) .

هـذا وقد علمنـا في فصل دولـة (سبأ) ان العـلامة (البـرايت) كبـير جيولوجي بعثة (ويندل فيلبس) الأمريكية طلع علينا بتقويم تأريخي ومما جاء فيه :

(تأريخ ملكة سبأ التي ذكـرها الكتـاب المقدس (بلقيس) حـوالي عام (٩٥٠) ق . م) .

وعليه فيكون التقاء الملكة بسليمان وأخذ اليهودية عنه والعودة بها الى اليمن في القرن العاشر قبل الميلاد .

وأما عن تأريخ دخول المسيحية الى اليمن فمن المرجّح أن يكون ذلك في القرن الرابع للميلاد ، وذلك عن طريق الحبشة .

وذكر الدكتور (محمد أمين صالح) في كتابه (تأريخ[٤] اليمن الاسلامي) : أن (قسطنطين) ارسـل الى اليمن عا مي ٣٤١ - ٣٤٦ م) بعثـة على رأسهـا (ثيوفيلوس) مصحوباً بهدايا الى حمير وذلك للتبشير بالمسيحية على مذهب (آر لوس) ، وكان الصراع آنذاك على أشده بين اثنين من كبار اساقفة الأسكندرية وهما (آرلوس) المذكور و(اثناسيوس) الذي كان قد أرسل من قبل بعثة للتبشير بالمسيحية الى الحبشة في عام (٣٣٠ م) وكانت المنافسة شديدة بين المذهبين في كل من اليمن والحبشة .

ومع ذلك فقد أخذت الديانـة الجديـدة (المسيحية) تنتشـر في اليمن ، وبنيت كنائس كثيرة في مدن عديدة من اليمن ، وأهمها كنيسة (القلّيس) في صنعاء التي بناها (ابرهة الأشرم) والتي حاول أن ينافس بها الكعبة المشرفة وفشل في ذلك ، والكنيسة التي بناها أيضـاً في (مأرب) وكنـائس أخرى في نجـران وغيرها ، ولقد ازدهرت المسيحية في بلاد نجران ، وكان من الطبيعي ان يتنافس اليهود والمسيحيون في اليمن ، وأن يحدث بينهم العداء ، وفعلاً حدث تنافس وعداء ديني بين اليمنيين فكك من وحدتهم ، وحارب بعضهم بعضاً ، وكان على

---

(٤) ص ٢٦ .

رأس المتهودين من اليمنيين المتعصبين الملك الحميري (ذو نواس) كما سلفت الإشارة الى ذلك عند الكلام عنه .

وكانت قصة الحرب وقصة الأخدود التي حكاها الله في كتابه العزيز كما أوضحت ذلك في موضعه عند ذكر الملك الحميري (ذي نواس) ولّما جاء الإسلام سرعان ما استجاب له اليمنيون كما سيأتي ولأسباب عديدة ومنها :

استعدادهم النفسي للإسلام باعتناق دين الله اليهودية أولاً ثم المسيحية ثانياً ، قبل تحريفهما ونبذهم لعبادة الأوثان .

ومنها حسم التنافس الذي كان قائماً في اليمن بين اليهود والمسيحيين ، مع انهيار اليهودية بالمسيحية ، والمسيحية بدخول الفرس الوثنيين الى اليمن ، وفراغ النفس اليمنية وتشوقها لدين يحل محل الديانتين معاً اليهودية والمسيحية ، وكان الإسلام هو الدين المنتظر والحاسم وكلمة الله الاخيرة والخالدة على العالم .

ومع هذا فقد ذهب بعض الباحثين مستدلاً ببعض النقوش الدينية اليمنية القديمة الى ان اليمانيين حينما كانوا يعبدون الكواكب ، إنما كانوا يعبدونها كآلهة متعددة وعلى اختلاف ما ترمز اليه من ظواهر الكون لتقربهم الى الله زلفى ، وهو الله الذي ترمز اليه كل الظواهر الطبيعية على اساس أن وراء هذه الظواهر قوى غيبية هي التي أوجدت ونسّقت بين جميع هذه الظواهر ووحدت مغالمها ، ورتّبت أوقاتها ، ونظّمت سيرها وتحركها ، وكانت المعاناة الحضارية واكتشاف اسرار الوجود هي من حوافز استكناه الحقيقة الغيبيّة ، ودوافع الجزم بوجودها ، وجعل كل ما هو ملموس ومحسوس من كواكب وغيرها آلهة دالة عليها ، وواسطة بينهم وبينها ، وهذه الحقيقة الغيبية الثابتة هي الله الواحد الأحد ، والذي عرف عندهم في عصور متأخرة من عصورهم الحضارية القديمة بـ (ذي سموي) أي رب السماء .

الحياة العامة للدول العربية الجنوبية

يجدر بنا ان نخصص للحياة العامة لدول العربية الجنوبية (اليمن) فصلاً مستقلاً ، اضافة الى ما ورد عن ذلك في كل فصل ولكل دولة على حدة ، لنكون على إلمام أكثر بنظم دول اليمن الحضارية السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وبما أنّ فصل الدكتور (نيكلوس رودو كاناكيس) وبنفس هـذا العنوان والذي عقد له بكتاب (التأريخ العربي القديم) آنف الذكر هو المصـدر الرئيسي لهذا الفصل من هذا الكتاب فإني سأقدم فقرات مختارة منه ، بنصه وترتيبـه ، مقدماً لكل جزء من اجزاء الموضوع بشرح يبيّن سلفاً ما يعنيه ذلك الجزء ، تنبيهاً للقارىء اليه وتسهيلاً لفهمه وادراك معناه .

اثر الأنظمة الاقتصادية اليمنية القـديمة عـلى كثير من الأقـطار وعلى التجارة العالمية

ذكـر الدكتـور (نيكلوس) هذا فقـال[1] : « ولكن الحقيقـة التي يجب تقريرها هي أنّ أنظمة تلك الدول العربية الجنوبية الاقتصادية لم تقتصر على جنوب الجزيرة العربية بل امتدت خارجها ، واتصلت بالتجارة العالمية وأثّرت فيها زمناً بعيداً ، فبلاد العربية الجنوبية كانت بلاد تصدير وتجارة مرور للبخور والعطور ، كما كانت مركزاً هاماً للإتصال التجاري بين المحيط الهندي والبلاد الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط ، وأهم الـدول العربيـة الجنوبيـة (معان) (معـين) و(قتبان) و(سبأ) و(حضرموت) .

(١) في التـأريخ العـربي القـديم المـذكـور في الفصـل الـذي عقـد فيـه للدكتـور (نيكلوس) ص ١١٣ .

ولم تكن هذه هي الدول الوحيدة التي قامت في بلاد العربية الجنوبية ، والتي عرفها من المتقدمين أمثال (استرابو) و(ارانو ستونيس) بل قامت هناك دول اخرى لشعوب عربية جنوبية اخرى ، مثل (اوسان) وإن كان ذكرها لم يرد إلا قليلاً .

ويذكّرنا (الشعب الحميري) بآخر دولة عربية جنوبية عظيمة » .

ثم ذكر الدكتور (نيكلوس) تمركز اليمنيين عن طريق التجارة والسيطرة على الطريق التجاري وعن طريق نشر الثقافة واللغة العربيتين الجنوبيتين في شمال شرق افريقيا (الصومال) و(اريتريا) و(الحبشة) وبسط سلطانهم عليها ، ثم منها على وطنهم الأصلي (اليمن) فقال[٢] : « ومن الجدير بالملاحظة انه قامت في ذلك الوقت ثقافة عربية جنوبية ، وانتشرت اللغة العربية الجنوبية في الجزء الإفريقي الذي عرف فيما بعد ببلاد الحبشة ، وهكذا نرى الدول العربية الجنوبية تشق طريقها الى افريقيا وتؤسس وطناً جديداً » .

أمّا العوامل الأساسية التي تتجلى في تأريخ الدول العربية الجنوبية فهي الاقتصادية والمواصلات ، وخاصةً اشرافها على الطريق البحري الممتدّ بين المحيط الهندي والبلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، وكانت بلاد العرب هي القنطرة الموصلة بينها . ومن المعروف أنّ بلاد العرب كانت ترد اليها بضائع من الأبنوس والسن والبخور من الأقطار المقابلة لها على الشاطىء الافريقي . ومن فترة الى اخرى كانت تصدر اليها حاصلات شمال شرق افريقيا ، وهي ترسلها الى البلاد الهندية والعربية والواقعة على البحر الأبيض المتوسط » . أي انً انتشار البضائع كان في المركز الرئيسي في بلاد العرب الجنوبية الى مختلف الجهات .

وأضاف الدكتور (نيكلوس) قائلاً : « لذلك نرى دولة السبائيين والحميريين وهي آخر دولة كبرى ظهرت في الجنوب تتوسع تجاه البحر الأحمر والجنوب والشرق ، كما اضطرت تلك الظروف أيضاً بعض الدول العربية

(٢) المصدر المذكور ص ١١٤ .

الجنوبية الى استعمار الأقاليم الواقعة شمال شرقي افريقيا ، واستيطان قبائل وعشائر يمنية في كثير من تلك الجهات ، ولم يمض عليها زمن طويل حتى اصبحت صاحبة السلطان ، وبلغت قوّتها حداً مكنها من بسط سلطانها على وطنها الأصلي (أي بلاد اليمن) ، وكان طريق تجارة البخور يمتد من (قنا) (بير علي في حضرموت حالياً) ماراً بـ(ظفار حضرموت) في (مهرة) وشبه حضرموت و(تمنع قتبان) و(مأرب سبأ) إلى (الجوف) (معين) اعني (أنّ الطريق كان) يخترق العواصم الأربع للدول التي كانت قائمة في بلاد العرب الجنوبية (حضرموت) و(سبأ) و(قتبان) و(معين) ويعبر اربعة حدود ، وكان هذا الوضع من الأسباب التي قد تؤدي الى تعطيل هذا الطريق التجاري في حالة قيام تنافس أو تنازع بين هذه الدول الأربع » .

أمّا قوانين وانظمة الدول العربية الجنوبية التي توصل اليها الباحثون في نقوش هذه الدول فقد أجملها الدكتور (نيكلوس)(٣) بقوله :

« والمصادر الوطنية التي تحدثنا عن الحياة الاقتصادية والتشريعية والادارية للدول العربية الجنوبية عبارة عن نقوش ونقوش فقط ، وقد اطلعت هذه النقوش العالم على قوانين وأنظمة ومعلومات عامة ووثائق تتصل بالاهداء والبناء والعمل ، كما وصلتنا ايضاً وثائق أخرى تتصل بالزراعة وجباية الأموال ، وتحدثنا حديثاً غير مباشر عن التشريع والأنظمة التي كانت سائدة في تلك البلاد ، ومنها يتبيّن أنّ الزراعة كانت هي العمود الفقري للحياتين الاقتصادية والسياسية للدولة ، وان تنظيم الشعوب يجب ان يكيف والحياة الاقتصادية للبلد ، ونجد في هذه النقوش أيضاً اخباراً تتصل بالحاجة الى العناية بالمسائل العسكرية ، كما نقرأ شيئاً عن اللاهوت وأثر الآراء الدينية على الحياة العامة في الدولة » .

الدولة والمجتمع

هذا العنوان للدكتور (نيكلوس) وقد بدأ فيه بالإشارة الى التكوين الهرمي

---

(٣) نفس المصدر ص ١٢٢ .

الاقتصادي للدولة والمجتمع اليمني القديم ، والى الترابط بين الأفراد والجماعات بروابط العمل لا بروابط القرابة والدم فقال[٤] : « كانت تتكوّن كل طائفة أو فئة في الدول العربية الجنوبية من أسر متساوية في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية ، فكل بطن من هذه البطـون وتلك القبائل مجموعة الشعب التي كانت لها انظمتها الخاصة التي ارادتها الدولة لها ، ومن هنا كانت الرابطة التي تربط سائر الأفراد رابطة اجبارية ، وليست اختيارية وعلى كل جماعة أو طبقة أن تعيش في الحدود المرسومة لها ، وتأتمر بالأوامر التي يقيّدها بها المجتمع .

وطبقاً لهذا الوضع كان أيضاً النظام الاقتصادي للدولة ، فقد كان نظاماً فيه شيء من التدرج وعلى شكل هرمي ، قمته الملك ، وإن لم يكن مطلق التصرف » .

ثم ذكر أنّ السلطة الدينية كانت هي المهيمنة على البيئة العربية الجنوبية ، وانه كانت للمعبد ممتلكاته الخاصة وكيانه الخاص ، وكان هو القائم على الإشراف عليها .

ثم ذكر الدكتور (نيكلوس) تدرج النظام الحكومي القديم من النظام الثيوقراطي الديني الى النظام الملكي الدينوي فقال : « فجميع رعايا الدول الأربع التي كانت موجودة في بلاد العربية الجنوبية وهي شعوب (معين) و(قتبان) و(حضرموت) و(سبأ) عرفت هذا النظام وأخذت به ، كما أنها أخذت تتدرج من النظام الثيوقراطي (الديني) الى النظام الملكي الدنيوي ، ونعلم ايضاً ان الحاكم الديني الثيوقراطي كان يحكم بمفرده ، وكان يلقب بلقب خاص غير هذا اللقب الدنيوي لرئيس الدولة ، فالحاكم القديم اعني الحاكم الديني كان يلقب بلقب كهنوتي هو (مكرب) أي امير الكهنوت تقريباً أو أمير القربان ، ولكن هذا اللقب لم يبق كما هو بل ساير تطوّر نظام الحكم ، وأصبح فيما بعد دنيوياً ، فاختفى اللقب الديني (مكرب) وحلّ محله لقب (ملك) وقد ظهر

---

(٤) نفس المصدر (التأريخ العربي القديم) ص ١٢٣ .

هذا اللقب الدنيوي الجديد متأخراً في (سبأ) عنه في (قتبان) . أما فيما يتصل بالمعينين فما جاء عنهم إلا هذا اللقب الدنيوي ملك ، إلا أنه كان يستعمل في بداية عهد (معين) بلفظ (مزواد) أو (مزود) .

التعاونيات

ثم ذكر الدكتور (نيكلوس[٥] رودو كاناكيس) أنّ القبائل اليمنية كانت تنقسم الى قبيلة حاكمة تدل عليها عندهم كلمة (شعب) ، والى قبائل محكومة تسمى (قبيلة) ؛ وذكر أنّ اساس تكوين القبيلة هو روابط العمل كما سلف » لا أواصر القرابة والدم ، وأن الجماعة التي يجمع افرادها العمل تسمى (قبيلة) ، وانه حتى القبيلة الحاكمة فإنها مكلفة بالعمل في سبيل الصالح العام وخدمة الدولة ، أي انها لم تخرج عن اعتبار أنّ رابطة العمل هو اساس تكوينها ، أو انها على الأقل مكلفة بالإسهام في العمل الذي تقوم به القبائل الأخرى في خدمة الصالح العام ، وانه لم يعفها مركز الزعامة عن ذلك فقال : « فكلمة الشعب تتكوّن في اعتقادهم من القبيلة التي استطاعت قيادة القبائل الأخرى التي لم تبلغ نضجها السياسي ، وهذا الشعب (القبيلة الحاكمة) يملك ارضه وارض الآخرين الذين تحت زعامته » .

وكذلك نجد اسم الشعب هو عبارة عن اسم القبيلة الزعيمة ، هكذا في لقب ملك (سبأ) و(سبأ وذي ريدان) وملك (قتبان) و(معين) وهلّم جرّا ، أما الكلمة الدالة على (قبيلة) فهي في الأصل كانت تستخدم للتعبير عن نظام خاص ، هذا ما نفهمه من النصوص التي وصلتنا ، ويجب ألا يتبادر الى اذهاننا أنّ لفظ قبيلة عبارة عن لفظ يدلّ على جماعة تجمع بينها صلة القرابة والدم ، ليست القبيلة هي فروع وأغصان من أسر وأجناس ، ليست هي جدول نسب ، فالحالة الاقتصادية السياسية هي التي تقرر وظيفة وعمل الجماعة ، وهذه تسمى أيضاً « قبيلة » ، وأضاف قائلاً : « وكما هو مع القبيلة الدنيوية كذلك الحال مع القبيلة

---

(٥) التاريخ العربي القديم ص (١٢٧) .

التي لها الزعامة ، فـ (سبأ) مثلاً مكلفة بالعمل في سبيل الصالح العام وخدمة الدولة ، ولكن مركزها بالرغم من كل ذلك هو مركز الزعامة ، ويستطيع ان يتصور الانسان أنّ القبيلة في العصور القديمة كانت عبارة عن الجماعة التي تربط بين أفرادها الروابط الاقتصادية أو روابط العمل » .

وأضاف (نيكلوس) مؤكداً ارتباط القبائل بالأرض والعمل وترتيب تقسيمها وتكوينها على ذلك ، أي أنّ صلة افراد القبيلة بعضهم ببعض صلة عمل لا صلة قرابة ودم فقال : « ويتصل بالنظام المكان المخصص للإقامة وصلة القبيلة بالقرية التي يراد اصلاحها واستغلالها ، ويتصل بالمكان ايضاً صلاحيته للعمل ، وبتعبير أدق فقدانه للحرية ، فالقبيلة التي ليست في حقيقتها عبارة عن جماعة تربط بين افرادها رابطة الدم من السهل جداً تقسيمها الى بطون وافخاذ ، حسب حاجة العمل وطبيعة القرية والظروف السياسية والإدارية المحيطة بها ، فهي تنقسم الى اثلاث وارباع ، لذلك وجب عليها أن تتحد مع قبيلة اخرى تفرضها عليها الظروف وتدعو اليها الحاجة ، وهذا يذكرنا بالنظامين المصري والاسلامي ، وفي سبأ القديمة نجد نفس هذا النظام يتطوّر حتى ينجح في تكوين قبائل مدنية » قلت وما يزال تقسيم القبائل الى أثلاث وارباع معروفاً الى اليوم .

وبالرغم من تلك الروابط الاقتصادية وروابط العمل إلا أنّ روابط النسب كانت ما تزال قائمة وكانت هي النواة لتكوين الدولة اشار الى ذلك الدكتور (نيكلوس) في نفس المصدر بقوله : « لذلك نستطيع ان نتصور في القبائل البذرة الأولى لتكوين الدولة ، وان اقوى هذه القبائل هي التي تصير المحور الذي تدور حوله القبائل الأخرى ، والمركز الذي تتركز فيه القوى الادارية والاقتصادية والسياسية وهي جميعها تكوّن الدولة وفي كثير من الحالات نرى القبائل الأخرى تفنى في القبيلة التي لها الزعامة ، وهكذا مع بعض الفروق تطورت الأمور في أوائل العهد الملكي للدولة السبائية القديمة ، فقد عظم نفوذها تدريجياً ، وامتدّ حتى ضمّ جيرانها اليها ، واصبحت هي مع مرور الأيام سيدة بلاد العرب الجنوبية قاطبة » .

السيف والفدان حق لكل فرد

وقال الدكتور (نيكلوس رودو كاناكيس) عن هذا ما نصه[٦] : « في بلاد العرب الجنوبية نجد السيف الى جانب الفدان ، وهما حق لكل فرد من افراد القبيلة ، وذلك لأنه يلاحظ ان كثيرين من أصحاب الأملاك وربما بنسبة اكبر من تلك التي نجدها في بلاد (بابل) بالعراق) و(مصر) البطلموسية كانوا للجندية » .

وقال أيضاً في فصل (الإقتصادالقومي)[٧] ما نصه : « ولما كان الفلاح مطالباً بالتزامات عسكرية ايضاً اصبح لزاماً على قانون الضرائب أن يبحث عمن يخلف الفلاح في استثمار الأرض اثناء قيام الفلاح بواجباته العسكرية وفي حق تمثيله في الهيئات الاستشارية القبلية » .

الدستور ، التشريع ، الادارة :

ويبحث الدكتور نيكلوس هذه المواضيع الثلاثة تحت هذا العنوان بالنسبة لدولة (قتبان) ، وابتدأ بحثه ذلك بالمجالس النيابية التي كانت لهذه الدولة وهي المجالس المتمثلة بما يأتي :

المجلس القبلي والمجلس التشريعي :

فقال[٨] : « الى العصر الملكي القتباني وربما قبل تأسيس الدولة السبائية الكبرى يرجع النقش (١٦٠٦ جلازر) ، وهذا النقش هو الذي يقدم لنا بعض المعلومات الخاصة بالتشريع والادارة في تلك البلاد ، والحقيقة التي يجب ان نسلم بها مقدماً هي ان تلك البلاد عرفت نظاماً يتكوّن من مجالس تمثل الشعب تمثيلاً نيابياً ، فقد يكون مجلس قبلي الى جانب العرش ، كما كانت تُمثِّل القبائل المختلفة

---

(٦) نفس المصدر ص ١٢٩ .

(٧) التاريخ العربي القديم ص ١٤٥ .

(٨) نفس المصدر ص ١٣٢ .

في الهيئات التشريعية المتعددة ، وكانت ادارة البلاد بيدها ، وربما كان المجمع القبلي يعقد جلساته مرتين في العام ، وفي عاصمة الدولة ، ومن جهة الترتيب كانت (قتبان) هي الأولى (في قبائلها) ، ويعني بالترتيب هنا ترتيب القبائل حسب موضع اقامة القبيلة التي بيدها الزعامة من العاصمة (تمنع) .

كما كان يوجد ممثلون لأصحاب الأراضي الخصبة والقبائل المُنْضَمَّة اليها ، وسكان المزارع والمراعي ، وكانت تمثلها طبقة السادة صاحبة الامتياز (مسود) وعدد كبير من بين أصحاب الأملاك (طبن) .

أما المجالس الاستشارية فقد كانت مكونة من سائر القبائل ولم يحرم منها إلا الرقيق الذين كانوا يعملون في الأرض (أدوم) ، وكان يكوّن هؤلاء العبيد طبقة وضيعة اجتماعياً واقتصادياً ، ولم يكن لها حقوق سياسية » .

اختصاصات المجلس القبلي ، واختصاصات المجلس الاستشاري ، ودور الملك وحقه من الاجتماعين

كان (المجلس القبلي) يُعْنَى يسن القوانين الزراعية فيما يتعلق بتنظيم استثمار الأرض والعقار وتنظيم ضرائبها ، كما كان يقوم بأعمال ادارية تنفيذية تعالج ادارة الأرض وتأجيرها ، فهو كيان تشريعي تنفيذي في وقت واحد ، ولكن فيما يُعنى بالأرض واستثمارها والقوانين الخاصة بها ، إلا أنّ القوانين التي يسنها تتوقف على اقرار وموافقة (المجلس الاستشاري) لها ، وهذا المجلس هو الذي بدوره له حق اصدار القوانين وسنها ، الى جانب اختصاصات اخرى ، اوسع من اختصاصات (المجلس القبلي) وقد اشار الى كل ذلك الدكتور (نيكلوس) فقال[٩] : « وكانت تنتهي هذه المشاورات عادةً بالموافقة على المواضيع المعروضة ، وكانت هذه القرارات التي تُتَّخذ تُبَلَّغ عادة القبائل ، كما ان تلك القرارات كانت تَستتبع اصدار قوانين خاصة بتنظيم استثمار الأرض والعقار ودفع

(٩) نفس المصدر ص ١٣٣ .

الضرائب ، وهذه القوانين الزراعية كانت الأساس الذي بُني عليه نظام الدولة فيما بعد .

أما الاجتماع الآخر للقبائل (اجتماع المجلس الاستشاري) فكان الغرض منه الموافقة على هذه القوانين » .

وأضاف قائلاً : « والى جانب هذه النظم التشريعية توجد نظم اخرى ادارية ، كانت تعالج ادارة الأرض وتأجيرها والشروط اللازمة عند كل حالة أو مجموعة من الحالات ، كل هذا حدث عن طريق المجتمعين الذين كانوا حريصين على تنفيذ أوامر الملك وطاعته ، فنحن نجد فوق النظام الديمقراطي نظاماً آخر أقوى يصدر القوانين وهو سلطان الأمير ، ومن هذه الطاعة ، وهذا الحرص على تنفيذ رغبة الملك يتبين لنا ان الملك هو الذي كان يدعو الأعضاء الى الاجتماعين (اجتماع المجلس القبلي) و(المجلس الاستشاري) ،وهكذا يصير الاجتماع والانفضاض قانونيين ، والجدير بالملاحظة ان جميع القرارات كانت تصدر اجابة لرغبة ملكية ، ومتفقة وتوجيهاته الخاصة » .

اختصاصات اخرى للمجلس الاستشاري

ثم أشار الدكتور (نيكلوس) الى هذه الاختصاصات قائلاً[١٠] : « أمّا اجتماعات ممثلي القبائل فكان يقرره مرسوم ملكي ، لذلك من الصواب ان يطلق على هذا المجلس لفظ (المجلس الاستشاري للدولة) ، وهو ان يتكوّن من الملك ويُذكَر في الصدر ، ويشترك في المشاورات ، ومن اشراف اصحاب الأملاك (مسود) ، ومن طائفتين اخريين لا يمكن تحديدهما بالضبط ، وقد تمثلان أصحاب الأملاك (مسود) ، أو موظفين ، وهذا المجلس الاستشاري له حق اصدار القوانين باسم الملك ، سواء القانون الذي يصدر ويكون الملك مشتركاً في اصداره ، أو تلك القوانين التي يُصدرها المجمع القبلي (المجلس القبلي) ، فهذا نوع من الرسميات التي يفرضها حاكم البلاد عن طريق (المجلس الاستشاري)

---

(١٠) التأريخ العربي القديم ص ١٣٤ .

للدولة الذي كان له الحق في الهيمنة على الحكومة ، بخلاف المجلس الذي يعقده ممثلو القبائل (المجلس القبلي) ، فالوثيقة التي نعتمد عليها هنا عبارة عن مرسوم صادر عن (المجلس الاستشاري) للدولة ، ومن هذا المرسوم نتبين كيف أنّ القوانين ، والاجراءات الادارية في مجلس القبائل ومجلس الدولة الاستشاري تصدر باسم الملك ، فهي عامل من عوامل تقوية الروابط بين الملك والشعب ، ويُلاحظ أنَّ المجلس الاستشاري للدولة كان من حقه ايضاً الى جانب اصداره القوانين ، استغلال القوانين القديمة ومراعاتها ، كما كان له الحق ايضاً في استخدامها ، وكان يعلنها باسم الملك ، ويحل المجلس الاستشاري محل مجلس القبائل ويشرف على تطبيق القوانين على الأرض واقرارها ، كما كان من حقه أيضاً اصدار العفو عن المحكوم عليهم ، وكان هذا العفو كلياً أو جزئياً » .

لجنة الصياغة والتنفيذ

وقال الدكتور (نيكلوس) عن هذه اللجنة ضمن بحثه موضوع اعمال (مجلس القبائل) و (المجلس الاستشاري للدولة) ما نصه[11] : « اذ جرت العادة انه بمجرد انتهاء جلسات (مجلس القبائل) كان اعداد القوانين أو تنفيذها يوكل الى هيئة اخرى اعضاؤ ها أقل عدداً من الهيئة السابقة ، وذلك ضماناً للتنفيذ وسرعته ، وهكذا نجد العرش و(مجلس الدولة) و(المجلس الاستشاري) و(مجلس القبائل) يكوّنون جميعهم الحكومة ويتبين من الوثائق التي بأيدينا أنه لم يكن هناك هيئات خاصة بالتشريع ، وأخرى بالإدارة وثالثة بالقضاء » .

التمثيل النيابي في العصر السبائي القديم

أما عن التمثيل النيابي في العصر السبائي القديم فقد اكتفى الدكتور (نيكلوس) عن هذا بقوله[12] : « وقد عرفت الدولة في العصر السبائي القديم

---

(١١) نفس المصدر ص ١٣٦ .

(١٢) نفس المصدر ص ١٣٧ .

التمثيل النيابي ، إلا أن ما بأيدينا من وثائق لا يكفي للحديث عنه ، بخلاف الحال عند القتبانيين والدستور القتباني » .

وكان قد تحدث عن انظمة السبائيين القدامى فيما يختص بالضرائب فقال[١٣] : « أمّا فيما يتصل بجباية الضرائب فقد كان هذا موكولاً الى جماعة صغيرة تحت اشراف الملك ، وهي تختلف باختلاف الأقليم ، وهذه الجماعة باختيارها من قبائل خاصة ومن طبقة من الشعب خاصة تقابل (مجلس الرأي) القتباني ، فقد كان عمل الجماعتين واحداً تقريباً ، وكان هذا المجلس يُشرف على الأنظمة الإدارية في حدود القوانين الموضوعة له ، وكان كثيراً ما يُستخدم في الدوائر المختلفة لجباية الضرائب » .

الاقتصاد القومي

كان الاقتصاد القومي في العصور اليمنية القديمة اقطاعياً أو ملك الدولة أو تحت سيطرتها وعن طريق نظام اشبه ما يكون بالنظم التعاونية الاجبارية ، اوضح ذلك الدكتور (نيكلوس) تحت عنوان : « الاقتصاد القومي ، المعبد والدولة »[١٤] فقال : « بعد الفتوحات العظيمة التي قام بها الأمير السبائي (كرب ال وتر) اصبح من الضروري احداث نظام سياسي ، وآخر اقتصادي يتفق والوضع الجديد للبلاد ، خاصة وقد اصبحت مترامية الأطراف بعد ان ضمت اليها الأقطار الجديدة المفتوحة ، وأصبحت ادارتها في يد السبائيين ، كما عادت اقاليم أخرى الى اصحابها الأولين ، فأصبحت مستقلة خاضعة لحلفاء السبائيين ، ومن هذه الأقاليم اقليم (كوستوس) الذي كان مشهوراً بصناعة النسيج ، وفيما بعد نقرأ كيف أنّ الدولة السبائية استطاعت شراء بعض الأقطاعيات وما عليها ، وضمها الى املاكها كأملاك حكومية ، فأصبح من حق الأمير السبائي ان يدخل الزراعة الخاصة كالنخيل مثلاً ، أو يضم الاقطاعية بمن عليها الى قبيلته (فيشان) ومن هذا يتبين لنا انه كانت توجد الى جانب الأراضي

---

١٣) نفس المصدر والصفحة .

(١٤) نفس المصدر ص صفحة ١٤٣ .

الحكومية اراضي أخرى اقطاعيات تابعة للتاج مباشرة » .

وأضاف قائلاً : « ونستطيع ان نتبين طريقة استغلال الأراضي التي كانت ملكاً للدولة السبائية عن طريق وثيقتين ، ففيهما نقرأ شيئاً عن قانون الضرائب ، فاستصلاح الأراضي كان يتم على يد قبائل باشراف السبائيين .

أما تحصيل الأموال المقررة فكان ينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ ثمن الشراء (شرء م ت) ؛ ٢ ـ اجرة الأرض (م ث و ب) (ومنه الثواب) ؛ ٣ ـ ضريبة الأرض للأغراض العسكرية (سرء ل ت) ؛ وجميع هذه الأموال كانت تحصل عادة من الدخل .

وقال ايضاً : « ويطلقون عادة على الدفع نقداً (ورقم) ومنه الورق (النقد) أو (النقد الخاص بالفضة) ، وعلى الدفع بضاعة (دعتم) ، وعلى المحصول المستولى عليه (رزم) ، ولم يكن من حق الفلاح ان يقوم بعملية الحصاد أو الاشراف عليه ، بل كان ذلك يتمّ تحت اشراف الدولة ، وما يحصل عليه الفلاح هو في الواقع اجره ، وكان يختلف من عام الى آخر حسب المحصول ، وهذا بالنسبة للأرض التي تعود ملكيتها الى الدولة ، وقد استتبع هذا النوع من الحياة قيام نظام اقتصادي حكومي دقيق ، فكان لا بدّ من توافر المخازن ، ورجال التجارة والمالية لتقديم اثمان المحصول » .

وأردف نيكلوس قائلاً : « أما نسبة هذه الضرائب فلم يصلنا ما يعاوننا على معرفتها معرفة دقيقة ، وكل ما نعلمه عنها انها كانت تُجبىَ من القبيلة كوحدة ، وكانت تختلف الكمية باختلاف المحاصيل من حيث الكثرة والغلة ، كما أنّ ضريبة الكم هذه التي كانت تُفرض على القبيلة كانت توزع على الفلاحين بعد أخذ رأي مجلس الشورى (المجلس الاستشاري) وموافقة القبيلة » .

وهذه الوحدة الانتاجية المسماة بالقبيلة كانت عامة في جميع الدول والإمارات اليمنية القديمة ، وقد علمنا ان تركيب القبيلة في عرف الدول اليمنية القديمة كان على اساس العمل والانتاج ، لا على اساس القرابة والدم .

هذا وقد ذكر الدكتور (نيكلوس) نظام التعاونيات في عصور (سبأ) المتأخرة فقال : « وفيما يتصل باستعمار الأرض وأعمال الفلاحة فقد جاءتنا أخبارها عن طريق نقوش سبائية متأخرة ترجع الى عهد حكم الأسرات ، وهي النقوش المعروفة باسم (وتف) ، ومن هذه الوثائق نتبين كيف أنّ المعاهدات جمعت بين الأسرات (الأسر) والقبائل ، وجعلت منها جماعات مستقرة تعمل متحدة في سبيل اغناء الدولة والقضاء على السلطات الداخلية ، وقد كان هذا تطوّراً سياسياً عظيماً » .

الخدمة العسكرية

كما تحدث الدكتور (نيكلوس) عن الخدمة العسكرية التي كان يلزم بها الفلاح مع الاحتفاظ له بأرضه وبحقه في التمثيل النيابي ، واستنابة من يقوم عنه في ذلك اثناء عمله في الخدمة العسكرية فقال : « ولما كان الفلاح مطالباً بالتزامات عسكرية أيضاً اصبح لزاماً على قانون الضرائب أن يبحث عمن يخلف الفلاح في استثمار الأرض اثناء قيام الفلاح بواجباته العسكرية ، وفي حق تمثيله في الهيئات الاستشارية القبلية » أما ادوات القتال التي كان يحتاجها المحارب السبائي فكانت تُشترَى من مبلغ يُمنحَ له ، لا كمكافأة بل كعهدة » .

وجوب العمل ومعاقبة المهملين

وحدث الدكتور (نيكلوس) عن وجوب العمل ومعاقبة المهملين فقال : « وبالرغم من اننا نقرأ احياناً شيئاً عن الإهمال في جباية الأموال إلا اننا نقرأ كثيراً عن الاخبار التي نتبين منها الحرص على وجوب العمل ومعاقبة المهملين الذين لا يصيبون أنفسهم بأضرار البطالة فحسب ، بل والاقتصاد القومي أيضاً ، وقد جاءتنا هذه المعلومات عن دستور الأراضي القتبانية » .

الحاجة الى المزيد من التنقيب ودرس النقوش

تلك ابرز المعلومات التي أوردها الدكتور (نيكلوس رودو كانـاكيس) وغيره عن الحياة العامة للدول العربية الجنوبية (اليمن) في الفصل الذي عُقد لـ

(نيكلوس) في كتاب (التأريخ العربي القديم) .

وقد قال في آخر الفصل المذكور ما نصه : « أما فيما يتصل بتأريخ الثقافات السامية خاصةً فيما يتعلق بالقانون والعادات والدستور والإدارة فما زلنا نقرأ عنها على الأحجار القديمة ، ونستطيع أن نكتسب منها صورة واضحة » . أي أنّ ما بقي مكتوباً على المباني والاحجار بارزاً أو مطموراً تحت الأتربة ، والأنقاض شيء كثير ، وبحاجة الى المزيد من التنقيب والدرس » .

الفنون اليدوية

كتب الأستاذ (ادولف جرومان) في الفصل الذي عُقد له أيضا في الكتاب المذكور (التأريخ العربي القديم) والذي خصصه للناحية الأثرية لبلاد العرب الجنوبية ؛ تحت عنوان : (الفنون اليدوية والفنون الدقيقة)(١٥) بحثاً ذكر فيه ما توصل اليه الباحثون من معلومات عن الفن اليدوي الدقيق الذي تركه الجنوبيون اليمنيون وما أمكن له مشاهدته وأخذ الصور الفوتوغرافية له ، ومنها قطع برونزية فنية يمنية ، وجدها ضمن المجموعة الفنية التي نجحت البعثة الأكاديمية النمساوية في الحصول عليها واحضارها الى (فيينا) عاصمة (النمسا) ، والى متاحف اخرى .

ومن هذه القطع مصباح من البرونز ارتفاعه (٣٤ سم) ، وتنتهي قاعدته بجسم (أيْل) (وعل) متهيء للقفز ، وقد أُحضرت هذه القطعة الجميلة من بلاد العرب الجنوبية (اليمن) بعثة الأكاديمية العلمية الفنية الى (فيينا) من (شبوة) في (حضرموت) ، ومنها مما هو ضمن المجموعة المحفوظة بفيينا عصوان من البرونز ، احدهما تنتهي برأس (تنين) (ثعبان) ، والأخرى تنتهي برأس ثعبان أيضاً ، وقال الأستاذ (أدولف) عنهما : « وقد أحضرت البعثة الأكاديمية العلمية القطعتين من بلاد العرب الجنوبية الى فيينا ، ومنها قطعة تمثل حصاناً وعليه نقش معناه (جبهة سيدة بعدان) هدية (لحيعط) وهي محفوظة في (شيللي

---

(١٥) من صفحة ١٦٨ .

كيوشك) في (القسطنطينية) وقد نشرها (ي . هـ . مورد تسمان) .

ومنها قطعة تمثل جملاً من البرونز ٦ في ٨ سم ، جلبه (جلازر) من بلاد العرب الجنوبية ، وغيرها ، الصور رقم (   )

الخط المسند

حاول بعض[1] العلماء أن يربطوا بين لفظ (مسند) وشكل الكتابة ، فهذا (اسرائيل ولفنستون) يقرر أنّ لحضارة جنوب بلاد العرب عقليـة تنحو نحـو الأعمدة في عمارة القصور والمعابد والأسوار والسدود وأبواب المدن ، ومن أجل ذلك يوجد عندهم ميل شديد لإيجاد حروف على هيئة الأعمدة ، وقد تنبّه العلماء الى شكل هذه الكتابات ، وأطلقوا عليها لفظ (المسند) لأن حروفها تُرَسم على هيئة خطوط مستندة الى اعمدة .

والقلم[2] المسند من الأقلام العتيقـة ، وأقدم من القلم النبـطي العربي وغيره من الأقلام التي عرفت بالجزيرة العربية ، وقد عُثر على كتابات بالمسند في الخليج العربي وفي فلسطين والشام والعراق واليونان ومصر والحجاز والحبشة وفي السواحل الأفريقية المقابلة للجزيرة لعربية ، أمّا بالنسبة للحبشة فالخط المسنـد اليمني هو في معظم حروف الكتابة الحبشية التي ما تزال مستعملة الى اليوم ، وقد نقله الى الحبشة من اليمن (الأوسانيون) و(السبائيون) الذين هاجروا اليها قبل الميلاد ، وأقاموا لهم حكومات هناك ، وأثروا في الأحباش ومن تأثيرهم فيهم اللغة والخط .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أنّ الخط المسند الذي اطلق على كتابة العربية الجنوبية (اليمن) منذ عهد (معين) مقتبس من الكتابة الفينيقية ، واستـدلّ اصحاب هذا الرأي بشهرة الكتابة الفينيقية وقدمها ، وردّ المعارضـون لذلـك

---

(١) تاريخ اليمن القديم ص ٢٠١ .

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٢١٤ .

الرأي بأن الشبه بين (المسند) و(الفينيقية) ليس كبيراً ، كما أن ابجدية المسند تزيد على أبجدية الفينيقية بسبعة أحرف ، ولكن أصحاب هذا الرأي يقولون بأن الكتابتين تفرعتا من أصل واحد . وذهب غير هؤلاء وأولئك إلى أنّ المسند مشتق من الكتابة الكنعانية . ولكن باحثين غيرهم لم يقبلوا بهذا الرأي ، مستدلين بأن الخط المسند أقدم عهداً من الأبجدية الكنعانية ، وبأن هذه ينقصها من الحروف ذ ض ظ ث غ ، وأنهما يختلفان في بعض الحروف اختلافاً كبيراً ، ولكنهم لا يستبعدون أن يكونا قد تفرعا من أصل واحد أيضاً ، وذلك بسبب اشتراكهما في بعض الحروف وهي : ج ط ل ن ع ش ق ت و .

ويميل بعض العلماء ومنهم الدكتور (جواد علي) في كتابه (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) الى ارجاء البت في اصل المسند وصلته بغيره من الأبجديات العربية القديمة حتى يكشف التنقيب العلمي ما تطمئن النفس اليه ، وقد علل (جواد علي) رأيه بأن ابجدية مسند العربية الجنوبية تمثل مجموعة خاصة تفرعت من أصل لم يعرف من أمره اليوم شيء ، لأن شكل حرف المسند لا يشبه شكل حروف الأبجديات المعروفة ، ولا يُعقل بالطبع ان يكون أهل العربية الجنوبية قد أوجدوا خطهم من العدم ومن غير استعانة بقلم مسبق على الحروف والأبجديات ، بل لا بد ان تكون ابجديتهم قد أُخذت من ابجدية أخرى ، ومن فرع من فروع الخط الذي أوجدته البشرية ، ودليل ذلك أنّ اسماء الحروف الأساسية التي ترد في كل ابجدية هي واحدة ، وفي وحدة الأسماء دلالة على وجود اصل واحد تفرعت منه الخطوط والمسند ، وذهب الى أنّ المسند واللحيانية والثمودية والصفوية ، جميعها ابجديات من فصيلة واحدة رأسها المسند ، أمّا ما قبل المسند فلا يعرف من أمره شيئاً .

ولليمنيين قديماً لهجتان لهجة (السين) ولهجة (الهاء) ، فلهجة السين كانت لدى المعينيين والحضرميين والقتبانيين ، أي أنّ حرف السين يكثر وروده في لهجة هؤلاء فيأتي بدلاً من ضمير الغائب مثل (مبنيسم) أي مبانيهم بحذف الألف بعد الباء على عادتهم في الكتابة ، وبابدال الهاء بالسين ، كما يستعمل هؤلاء السين في أول بعض الأفعال بدلاً من الهاء التي يستعملها أصحاب لهجة الهاء

مثل(سقنى) بمعنى أقنى أي اعطى ، بينما تنطق في لهجة الهاء (هقنى) ، وكانت لهجة الهاء هذه هي لهجة السبائيين والحميريين .

هذا وقد اصبحت لهجة (المسند) العربي ومصطلحاته وكتاباته وكثير من مفرداته مجهولة ، لدى اصحابها لتوقف استعمالها وتداولها منذ امتزجت بلهجة الشمال بعد الهجرات المتتابعة التي قام بها اليمنيون منذ تكرر تهدم سد مأرب وغيره من السدود بسبب اشتغال اليمنيين بالحروب فيما بينهم وبحروبهم مع الغزاة من خارج اليمن ، وا حتكار الروم الطريق البحري الذي كان يشكل مورداً هاماً من الموارد القومية في اليمن ، ثم نزول القرآن الكريم بلهجة الشمال وانتشار السنة النبوية بلهجة الشمال الأمر الذي ساعد هذه اللهجة الشمالية على ان تطغي على لهجة الجنوب العربي في اليمن ، لأنه كان على الناس في شمال الجزيرة العربية وجنوبها ان يتكلموا بلهجة الشمال التي نزل بها القرآن وجاءت بها السنة .

على أنّ كثيراً من مفردات اللهجتين العربيتين الشمالية والجنوبية التي لم تعد تستعمل هي كذلك أصبحت مجهولة وغريبة ايضاً ، لأنها لم تعد حية بالاستعمال ، وذكر (أبو الحسن الهمداني) أنّ جماعة من اليمنيين ظلوا يكتبون بالمسند وهم في الاسلام ، ولكنه لم يلبث ان أهمل بسبب انتشار الخط الشمالي الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة المحمدية كما أسلفت ، والذي تمّت به لا بغيره صلات الشعوب الإسلامية بمركز الرسالة في (مكة) ثم في (المدينة المنورة) .

وهاك ابجدية الخط المسند مرتبة على حروف الهجاء المعروفة ، لأنه لم يرد في النقوش ترتيب لحروف هجاء الخط المسند حتى اليوم ، وقد رسمت أبجدية المسند بالزنكوغراف كما يراها القارىء صورة رقم (   ) . أمّا الأعداد فكانوا يكتبونها من الواحد الى الأربعة بخطوط عمودية متوازية ، الواحد خط عمودي واحد (ا) والاثنان خطان عموديان (اا) والثلاثة ثلاثة خطوط عمودية (ااا) والأربعة أربعة خطوط عمودية (اااا) ، وكانوا يكتبون الخمسة الأعداد (بحرف (خ) الذي هو أول كلمة (خمس) أي (خمسة) في استعمالهم ، فاذا أرادوا عدد ستة وضعوا خطاً عمودياً من الجانب الأيسر لحرف الخاء هكذا (خ ا) وخطان كذلك

لعدد سبعة (خ اا) وثلاثة خطوط كذلك لعدد ثمانية (خ ااا) واربعة خطوط كذلك من الجانب الأيسر لحرف الخاء لعدد تسعة (خ اااا) . أمّا عدد عشرة فإنهم كانوا يرمزون له بحرف (ع) الذي هو الحرف الأول من كلمة (عشرة) ، ويرمزون لعدد (احد عشر بخط عمودي واحد من يسار حرف العين هكذا (ع ا) وهكذا كما سبق الى عدد خمسة عشر فيرمزون له بحرف ع من يسار حرف خ هكذا (خ ع) وبخطوط عمودية من الجانب الأيسر لحرفي (ع) و(خ) لما زاد على عدد خمسة عشر الى العشرين ويرمزون لعدد (عشرين) بحرف (ع) مرتين هكذا (ع ع) ويرمزون للثلاثين بحرف (ع) ثلاث مرات وكذلك الى المائة يكررون حرف العين ، أما المائة فيرمزون لها بحرف الميم الذي هو أول حرف لكلمة (مائة) ، ويكررون حرف الميم بعدد المئات من الأعداد الى الألف ، أما الألف فيرمزون اليه بحرف (أ) الذي هو الحرف الأول من الكلمة (الف) ، ووضعه عندهم كوضع الألف الأول من أبجدية الخط المسند ، وإنما يفهم من سياق الكلام .

امارات اليمنيين خارج اليمن

علمنا كيف كانت القبائل تهاجر من اليمن وتستقرّ خارجه ، وخاصة على الطرق التجارية الهامة ، وسواء كانت تلك الهجرة راجعة الى اضطرابات داخلية ، أو نتيجة لتهدم (سد مأرب) المتكرر وغيره من السدود بسبب عدم صيانتها لمختلف الأسباب التي سبق ان أشرنا اليها ، أو الى تحول الطريق التجاري البري والبحري من أيدي اليمنيين الى ايدي الرومان ، أو الى الرغبة في المزيد من بسطة العيش وسعته عن طريق استيطان مناطق خارج اليمن ، أو اليها مجتمعة والى غيرها من الأسباب التي قد لا نعلمها .

ومن الأماكن التي اسس اليمانيون لهم فيها مراكز وامارات خارج اليمن (السواحل الافريقية) و(الحبشة) و(اريتريا) و(مكة) التي اسست خزاعة لها فيها مركزاً مرموقاً ، و(يثرب) (المدينة المنورة) التي أسس الأوس والخزرج لهم فيها كذلك مركزاً مرموقاً أيضاً ، وقد تناسلت هاتان القبيلتان (أوس) و(الخزرج) من (ثعلبة بن عمرو بن عامر) أول نازح من اليمن الى (يثرب) كما يقول الأخباريون ، و(ثعلبة بن عمرو) هذا غساني أزدي من (كهلان بن سبأ) كما سيأتي بعد هذا ، وكما سبق في فصل (أنساب اليمنيين ومساكنهم وبعض آثارهم) في بداية هذا الكتاب .

أمّا (خزاعة) فقد تناسلت من حارثة بن عمرو بن عامر اخي (ثعلبة ابن عمرو بن عامر) المذكور .

ومن الإمارات اليمنية الشهيرة خارج اليمن امارة (غسان) من (الأزد)

الكهلانيين على مشارف الشام ، وهم من نسل (جفنة بن عمرو بن عامر) .

وامارة (لخم) الكهلانية أيضاً على مشارف العراق .

وامارة (كندة) الكهلانية في شمال الحجاز .

وامارة (طي) الكهلانية في وسط الحجاز .

أمّا اليمنيون الذين أسسوا لهم امارات في سواحل افريقيا والحبشة واريتريا فهم (السبائيون)و(الحميريون) ومن هؤلاء (الأوسانيون) .

كما تولت هجرات اليمنيين في الفتوحات الاسلامية منذ صدر الإسلام ، حيث اضطلع اليمنيون بنصيب كبير في نشر لواء الاسلام منذ عهد الخليفة الأول (أبي بكر الصديق) وعهد امير المؤمنين (عمر بن الخطاب) وأسسوا لهم حيث اقاموا مراكز ممتازة في (الشام) و(العراق) و(مصر) و(الأندلس) في (اسبانيا) وغيرها ، وما تزال اماكن وقلاع تحمل أسماء يمنية معروفة حتى اليوم في بلاد الأندلس وغيرها .

امارة الغساسنة في الشام

لم[1] يظفر الباحثون في النصوص الأثرية على اسم (غسان) ، وانما ذكره مؤرخو العرب اليمنيين وغيرهم ، وقالوا ان اصلهم من الأزد ، الذين خرجوا من اليمن بعد خراب سد مأرب ، ولم يذكروا في أي مرة من تهدمه المتكرر كان خروج الأزد من اليمن ، وذكروا انهم سموا باسم ماء نزلوا عنده في بلاد (عك) من بلاد تهامة ، وهم في طريقهم من مأرب الى الحجاز والشام . كما سمي الغساسنة بأبناء (جفنة) نسبة الى جد لهم كان يدعى بـ (جفنة) بن عمرو بن مزيقيا بن عامر ، وأضاف مؤرخو العرب ان الذي قاد الغساسنة عند خروجهم من اليمن هو (عمرو) المعروف بمزيقيا بن عامر (ماء السماء) بن حارثة الغطريف بن أمرىءالقيس ، البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث ، وأنّ الذي نزل من الغساسنة في المدينة هو رهط ثعلبة بن عمرو بن عامر ومنهم (الأوس والخزرج) ونزل (مكة) رهط حارثة بن عمرو بن عامر وهم (خزاعة) ونزل (الشام) رهط جفنة بن عمرو بن عامر وهم (الغساسنة) ونزل (لخم) في العراق ومنهم المناذرة وآل نصر ، واللخميون عند هؤلاء أزديون وليسوا من قضاعة الحميرية كما يرى أكثر المؤرخين ، وقد استقر الغساسنة الذين نزلوا في الشام في الجنوب الشرقي منه ، وسرعان ما كوّنوا لهم مراكز ممتازة وأقاموا لهم امارة بمساعدة (الروم) ليكونوا درئاً للروم من اخوانهم أو ابناء عمومتهم (اللخميين) ومن وراء هؤلاء (الفرس) ، وقد اعتنق

---

(١) جواد علي في (المفصل ج٣) من ص٣٨٧ .

الغساسنة (المسيحية) وبلغوا أوج ازدهارهم في القرن الخامس للميلاد ، وأول ملوكهم على مشارف الشام هو (الحارث بن جبلة) الملقب بالأعرج والذي لقب بجفنة ونسبت اليه الغساسنة على رأي آخر ، ومن مولكهم أيضاً ملك اسمه أيضاً (الحارث بن جبلة) والذي كان ضمن الوفود على (ابرهة الأشرم الحبشي) في عام (٥٤٢) للميلاد عند الاحتفال بتجديد (سد مأرب) ، أمّا آخر ملوك الغساسنة فهو (جبلة بن الأيهم) الذي شهد الإسلام واعتنقه ثم تنصر في عهد (عمر) بن الخطاب رضي الله عنه . أما دولهم في الشام فكانت في المكان الذي يُعرف اليوم بـ (البلقاء) و(حوران) ولكن دولتهم كانت تمتد في كثير من الأحيان الى (فلسطين) و(لبنان) وغيرهما، وقد ساعدهم الروم كما أسلفت على اقامة دولتهم في الشام للاستعانة بهم على حماية الطريق التجاري البري ، وحماية حدودهم ضد توسع الفرس .

امارة اللخميين في مشارف العراق

أول[٢] ملوك (اللخميين) هو (عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر اللخمي) ، وهو ابن اخت (جذيمة الأبرش) صاحب القصة المشهورة مع (الزباء) ملكة (تدمر) السورية ، و(جذيمة الأبرش) هو ابن (مالك بن فهم) من (آل تنوخ) الذين هم فرع من (قضاعة) الحميرية كما سلف عند الكلام على الغساسنة ، على قول ، فاللخميون على هذا كهلانيون، وتنوخ حميريون . وقد جمع هذا الرأي بين القولين وكلاهما تنوخ ولخم كوناً لهما امارة في مشارف العراق تنوخ أولاً واللخميون ثانياً .

وقد ذكر الأصفهاني ان (سلمة بن مالك بن فهم) رمى والده بالنبل خطأ ، ولمّا علم (مالك بن فهم) بأن راميه هو ولده ، انشأ قصيدة منها :

جزاني لا جزاه الله خيراً سليمة انه شراً جزاني
اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتدّ ساعده رماني

(٢) المفصل ج ٣ من ص ٣٨٧ .

ولما مات (جذيمة) ولا ولد له خلفه ابن اخته (عمرو بن عدي) اللخمي المذكور أول ملوك اللخميين ومؤسس دولتهم كما عرفنا ، وكانت دولتهم تُعرف بدولة (اللخميين) وبدولة (آل نصر) وبدولة (ملوك الحِيرة) بكسر الحاء ، نسبة الى العاصمة (الحِيرة) في الجزيرة بـ (العراق) وبدولة (المناذرة) لكثرة من تسمى من ملوكهم بـ (المنذر) .

وقد تولى (عمرو بن عدي) المُلك في القرن الثالث للميلاد ، ودام الملك في عقبه الى الفتح الإسلامي كما كان الحال مع الملوك الغساسنة ، وعدد ملوك اللخميين اثنان وعشرون ملكاً ، وجميعهم من نسل (عدي بن عمرو) إلا ستة منهم فهم دخلاء عليهم ، ومنهم وهو خامسهم : (النعمان بن امرىء القيس) باني قصر (الخورنق) و(السدير) وهو الملقب بالأعرج وبالسائح ، وقد لقب بالسائح لِما ذُكر انه اشرف يوماً من قصره (الخورنق) ورأى امتداد ملكه وعظمته ففكر وقال : « أيُّ دَرَكٍ هذا الذي قد ملكته اليوم ويملكه غيري غداً » ثم امر حجابه بالتنحي عن أبواب قصره ، ولمَّا جنَّ الليل خرج من قصره وساح في الأرض متنكراً ، ولم يره احد من أهل مملكته بعد ذلك ، وفيه قال (عدي بن زيد) يخاطب (النعمان بن المنذر) :

(وتذكر رب الخورنق إذْ أشرف يوماً وللهدى تفكير

سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير

فأرعوى قلبه وقال وما غبطة حي الى الممات يصير)

أمّا آخر ملوك المناذرة فهو (المنذر بن النعمان) الملقب بالمغرور ، وهو لذي قتل في (البحرين) في حروب الردة في عهد الخليفة (أبي بكر الصديق) .

ثم خضعت (الحِيرة) للجزية على يد القائد المظفر (خالدبن الوليد) في عهد الخليفة (أبي بكر الصديق) أيضاً وسقطت دولتهم وكما ساعد الروم دولة الغساسنة لحماية حدودهم من الفرس، كذلك ساعد الفرس دولة اللخميين لحماية حدودهم من الروم ، وكانا يشتبكان في حرب لا يستفيد منها إلا قيصر

الروم وكسرى فارس ، وكذلك تفعل السياسة والمصالح ،رغم انهما أي الغساسنة واللخميين من موطن واحد هو (اليمن) ، ومن أرومة واحدة يمنية هي السبائية القحطانية .

امارة الكندانيين في حضرموت

كلامنا[٣] على امارة (الكندانيين) داخل اليمن في (حضرموت) ، وقد انتقلوا اليها من مكان آخر في اليمن أيضاً وأسّسوا لهم امارة ذات شأن في (حضرموت) .

وينسب الكندانيون الى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد ابن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، و(ثوربن عفير) هو أول من تسمى بـ (كندة) ، وهو أول من هاجر من الشمال في اليمن الى حضرموت ، وذلك الى منطقة معروفة عاصمتها (دمّون) ، وكانت جمهرة قرى هذه المنطقة في حضرموت هي بـ (وادي دوعن) و(وادي الفوهة) الذي سماه الهمداني بـ (وادي العبر)وقد امتدّ الكندانيون الى اسفل حضرموت والى ساحلها ايضاً .

ولم يعثر الباحثون على اسم (كندة) في مسند الكتابات الأثرية اليمنية حتى اليوم ، غير انه ورد اسم (كدت) (كدة) في نص (ابرهة الأشرم الحبشي) وفي نصوص اخرى قبل هذا العهد ، ومنها ما جاء في نص وسم بـ (جام ٦٣٥) والذي ورد فيه اسم (كدت) وفسره الباحثون بـ (كندت) (كندة) ويرجع النص المذكور الى العهد الثاني من القرن الأول قبل الميلاد .

وكان يحكم (كندة) رجل اسمه (ربعت ذثورم) (ربيعة ذي ثور) ذكر في النص المذكور ، وبنسبة هذا الى (ثور) نتبيّن انه من صميم (كندة) آل (ثور بن عفير) آنف الذكر .

---

(٣) المفصل ج ٣ من ص ٣١٥ . وكتاب جني الشماريخ (جواب اسئلة في التاريخ) للسيد علوي بن طاهر الحداد وكتاب (تاريخ حضرموت) للبكري .

أمّا تحديد موطن (الكندانيين) في الشمال من اليمن قبل انتقالهم منه الى حضرموت وتأسيس ملكهم فيها فلم يتحدث الباحثون ولا المؤرخون عن ذلك حتى الآن ، ولكن المؤرخ (اليعقوبي) تحدث عن حرب وقعت بين (كندة) و(حضرموت) طال امدها وهلك فيها جمع من رؤساء الفريقين ، وانه ملك حضرموت بعدها (علقمة بن ثعلب) وهو يومئذٍ دون البلوغ ، فلان الكندانيون بعض اللين وكرهوا محاربة الحضرميين ، وكوّن الكندانيون لهم كياناً في ارض (معد) من (الحجاز) ، وملكوا رجلاً منهم كان هو أول ملوكهم المعروفين يقال له (مرتع بن معاوية بن ثور) ، ولعله هو الذي انتقل فعلاً كملك معترف به الى حضرموت .

ثم تسلسل الملك في خلفه حتى انتهى الى (حجر بن عمرو) المعروف بآكل المرار الشهير .

وقد انقذ (حجر بن عمرو) هذا ملك الكندانيين من ايدي اللخميين بعد ان كانت قد امتدت ايديهم اليه ، ويرى مؤرخو العرب أنّ (حجر بن عمرو) هو اول ملوك كندة في حضرموت حوالي عام (٤٥٠ م) وعلى خلاف الرأي الأول القائل بأن (مرتع بن معاوية بن ثور) هو أول ملك كندي في حضرموت .

ولّما مات (حجر بن عمرو) خلفه ابنه (عمرو) وخلف (عمراً) ابنه (الحارث) وفي عهد هذا اتسعت المملكة وامتدّت الى قبائل اخرى ، وقد خلفه ابنه (شرحبيل) على (قيس) و(تميم) وابنه الثاني (معد يكرب) جد (الأشعث بن قيس) على (ربيعة) وابنه الثالث (حجر) والد (أمرىء القيس) الشاعر المشهور على بني اسد و(كنانة) ولم تذكر المصادر منطقة من مناطق نفوذهم في بلاد (حضرموت) في هذا العهد .

وقد قُتل (حجر) في بني اسد وخلفه ابنه (امرؤ القيس) وهو آخرهم ، وبه انتهت دولتهم في حضرموت وغيرها ، ولعلها انتهت في حضرموت قبل انتهائها في غيرها من المناطق المذكورة خارج اليمن ، في (دومة الجندل) بين

الشام والمدينة المنورة من آخر اعمال الحجاز ، وفي (البحرين) و(نجران) وهذه هي بحدود العراق وغير نجران اليمن ، وفي (غمر ذي كندة) ، وهذه وراء وجرة بينها وبين مكة مسيرة يومين للماشي[٤] ، وانتهت دولة (كندة) في جميع هذه الأعمال التي كانت قد بسطت نفوذها عليها وذلك بظهور الإسلام كما انتهى غيرها من الدول والأمارات التي كانت في البلدان التي انتشر الإسلام فيها .

هذا وقصة استنجاد (امرىء القيس) على (بني اسد) بالقبائل الأخرى ثم بملك الروم اثر مقتل والده معروفة في موضعها من كتب التأريخ .

امارة آل راشد

آل[٥] راشد بطن من (حمير) هاجروا من مساكنهم في شمال اليمن فيمن هاجر من القبائل اليمنية ، وأول موضع نزلوا فيه هو (الشحر) ، ثم انتقلوا منه الى (عندل) و(هنين) في (حضرموت) ثم إلى (شبام) و(تريم) في حضرموت أيضاً .

وبدأ أمرهم كقضاة يتصدرون للحكم ، وبالرغم من قلة اموالهم فإنه ذاع صيتهم في ايحاء بلاد حضرموت ، وتولوا الامارة فيها حتى ظهور الاسلام ، وما زاليوا اصحاب نفوذ بعد ذلك حتى تغلب على حضرموت (عثمان بن علي الزنجبيلي) نائب السلطان (توران شاه الأيوبي) على عدن وأعمالهاوضم حضرموت الى ولايته ، منذ غادر (توران شاه) اليمن عائداً الى مصر (كما سنعلم في فصل الأيوبيين) وحتى قدم على الزنجبيلي السلطان (الطغتكين بن أيوب) .

وكان الزنجبيلي قد أناب عنه في حضرموت منذ استيلائه عليها (آل راشد) اثناء ولايته .

---

(٤) القاضي محمد بن علي الأكوع في كتابه (اليمن الخضراء)

(٥) جني الشماريخ جواب اسئلة في التأريخ للسيد علوي بن طاهر الحداد (كتيب صغير مطبوع .

ومن سلاطين ال راشد بعد الاسلام السلطان الجليل (عبد الله بن قحطان) المولود في تريم عام (٥٥٣) للهجرة . وقد قتل هذا السلطان وهو سائر للإصلاح بين قبيلتين متخاصمتين ، وبقتله تضعضع الأمر في خلفه وتلاشت سلطتهم وتداعت اركان دولتهم ، وآل الأمر الى قبيلة (نهد بن زيد بن ربيعة) وغيرهم في سائر أعمال حضرموت .

هذا وقد حدّد السيد (علوي بن طاهر الحداد)[٦] مدة ولاية آل راشد في حضرموت بثلثمائة عام ، وذكر انه بدأ ملكهم بعد (كندة) وانه ملك بعدهم (آل تميم) ولعلهم من قبيلة (نهد) .

ثم (آل كثير) في الداخل و(آل القعيطي) في الساحل ، وظل هؤلاء هم السلاطين على حضرموت حتى قيام (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) التي وحدت الجنوب اليمني في ظل رايتها ، وانهت حكم السلاطين في الجنوب) .

وبهذا ينتهي القسم الأول من هذا الكتاب والخاص بتأريخ اليمن قبل الإسلام .

وسيليه بعد (الوضع العام للتأريخ اليمني القديم) القسم الثاني والخاص بتأريخ اليمن بعد الإسلام .

---

(٦) (جني الشماريخ) آنف الذكر .

وضع اليمن العام في تأريخه الحضاري القديم

هذا تلخيص لأهم ملامح العهد اليمني الحضاري القديم ، ومجملٌ لأبرز احداثه التي امكن لي تقديمها للمهتمين بتأريخ اليمن وذلك في القسم الأول من هذا الكتاب والخاص بتأريخ اليمن قبل الإسلام .

الحياة السياسية

كان اليمن محكوماً في الغالب من عدة دول وإمارات يمنية . ولم تحكمه دولة أو دول متعاقبة حكماً موحداً يشمله جميعه إلا في القليل من الدول، وعلى فترات قليلة نسبياً .

كما كانت كل دولة وامارة تقيم حكمها وتبسط نفوذها في منطقة محدودة من اليمن ، وتحارب الدول والامارات الأخرى بغية اخضاعها وامتلاك ارضها .

وقد اضعف ذلك التفكك والاضطراب كل الدول والامارات اليمنية القديمة المتنافسة ، وأعطى الأجانب الأحباش والروم ثم الفرس المبرر لغزو اليمن .

ولعلّ الدول الثلاث الكبرى (المعينية في أبان حكمها) و(السبائية في عهد ازدهارها) و(الحميرية قبل انقسام ملوكها على أنفسهم) هي التي شمل حكمها اليمن جميعه تقريباً ، وامتدّ مع ذلك الى مناطق أخرى خارج اليمن ، وان كان كثير من الباحثين يفسرون هذا النفوذ الخارجي بأنه نفوذ اقتصادي اكثر

منه سياسياً ..

ولما قام الصراع بين بيتي حكام (سبأ) (البكيلي) و(الحاشدي) بدأ التدخل الحبشي ، وتسلل الأحباش من مراكزهم الى السواحل اليمنية ثم الى الداخل ، حتى وصلوا الى (ظفار رعين) عاصمة الدولة الحميرية فيما بعد ، واستطاعوا أن يكوّنوا لهم مراكز ذات نفوذ محدود في اليمن ، ثم صاروا يوسعون شُقة الخلاف بين الفريقين المتنافسين ابناء العمومة (بكيل وحاشد) ، وتعاهدوا فعلاً مع (حاشد) ضد (بكيل) ، وعملوا مع ذلك على تمديد الحرب بين الفريقين لإضعافهما معاً ، بهدف الاستيلاء على حكم اليمن لأنفسهم ، وهو ما تمّ لهم في حكمهم لليمن في المرة الأولى (وهذا مع غض النظر عما ذهب اليه الكثير من الباحثين من انحدار الأحباش من سلالات يمنية سبق لها أن غزت الحبشة وأقامت فيها دولة (اكسوم) وتركت فيها آثارها من لغة وكتابة وحضارة وبناء) .

وقد تكاتف اليمنيون واخرجوا الأحباش من اليمن .

ولّما قام الصراع العقائدي بين الحميريين في عهد الملك الحميري (ذي نواس) تدخل الأحباش في شؤون اليمن للمرة الثانية بحجة الانتصار للمسيحية المضطهدة من قبل (ذي نواس) الذي اعتنق اليهودية ، واضطهد المسيحيين وحفر لهم الأخدود في نجران ، وقد اعطى هذا التدخل الحبشي في اليمن المبرر للفرس في التدخل ايضاً باسم نصرة اليمنيين الذين استنجدوا بهم ضد الأحباش وفي مقدمة اليمنيين (سيف بن النعمان بن عفير بن ذي يزن) والشهير بـ (سيف بن ذي يزن) .

وكانت قبيلة (ذي يزن) الحميرية بزعامة (النعمان بن عفير) ثم بزعامة ولده (سيف بن ذي يزن) هي ابرز القبائل اليمنية التي تصدت آنذاك لمقاومة الأحباش في حكمهم الثاني والأخير لليمن واستعانت بالفرس كما عرفنا وذلك لتقاعس الروم عن نصرة اليمنيين ضد الأحباش حلفاء الروم وابناء دينهم المسيحي .

وكان (الروم) في الغرب و(الفرس) في الشرق هما الدولتان العالميتان في ذلك التأريخ القديم وحتى فجر الإسلام ، (وما أشبه الليلة بالبارحة) ، وكانت منطقة (سحول أب) هي مكان تجمع الحميريين وغيرهم من القبائل اليمنية خلال تصديهم ومقاومتهم للأحباش ، ولقد كان للقبائل اليمنية كياناتها المتعددة ، وكان لـلأقيال والأذواء اليمنيين نفوذهم المحلي الذي كان يغريهم بالتحرك ضد الحكم القائم والحكومة المركزية أياً كان نوعها يمنية أو اجنبية .

فكما قاوم اليمنيون كلا من الأحباش والروم والفرس ، فقد دخل بعض اليمنيين في صراع مع (سيف بن ذي يزن) نفسه ، كقبيلة (آل ذي مناخ) و(قبيلة الأشباه والصدف) الحضرميتين ، إلا انه استطاع ان يصالح (آل ذي مناخ) وأن يتغلب على (الأشباه والصدف) ، في حرب عرفت بحرب غيمان .

وكان هذا الصراع بين اليمنيين بدوره قد شجع بقايا الأحباش على اغتيال (سيف بن ذي يزن) في محاولة لاستعادة حكمهم لليمن ، أو انتقاماً وحقداً لما حلّ بهم من نكال على يده أو بسببه .

أو أنّ ذلك الصراع اليمني الداخلي شجع الفرس على تدبير اغتيال (سيف بن ذي يزن) للاستئثار بالسلطة في اليمن بصورة كاملة كما يرى بعض المؤرخين .

ولكن : هل نعم الفرس بحكم اليمن بعد مقتل (سيف بن ذي يزن) دون مقاومة من اليمنيين ؟

وهل اجمع اليمنيون مع ذلك على مقاومتهم ؟

الجواب : لا ، في كلا الأمرين .

ذلك انه بالرغم من أنّ حكم الفرس في اليمن لم يكن كاملاً ولا شاملاً ، وإنما كان محصوراً في صنعاء وما والاها ، وفي بعض المدن والموانىء التجارية ، فقد تكتلت قبائل يمنية لمقاومة حكم الفرس ، ومن هذه القبائل قبيلة (ذي

الكلاع) بزعامة (ذي الكـلاع الحميري) ، وقبيلة (عبـد كلال الحميـري) بزعامة (النعمان بن عبد كلال) قيل رعين والمعافر وحضـرموت آنـذاك ، مما اضطر الفرس ازاء هذا التجمع الحميري (كما سبق) ، الى عقد معاهدة تعاون عسكري مع قبيلة (همدان) ممثلة بفرعيهـا (حاشـد) و(بكيل) ، وقـد وقع المعـاهدة عن الفـرس (بـاذان الفـارسي) عـامـل الفـرس في اليمن ، وعن (بكيل) (عمرو بن الحارث بن الحصين الشاكري) البكيلي ، وعن (حاشد) عمرو بن يزيد بن الربيع الحاشدي) ، وهذه المعاهدة بين الفرس وبين بعض اليمنيين ضد بعضهم هي النتيجة الحتمية لتعـدد الكيانـات اليمنية ، وعـامل من عوامل تفكك وحدة البلاد، (والوحـدة الوطنيـة كما نعلم هي أهم عـوامل القوة والرخاء والاستقرار والسلام) .

الحياة الاقتصادية

وكانت دول اليمن الحضارية الكبرى قد أدركت مسـاوىء تعدد الكيـانات القبلية ذات النفوذ المحلي ، وضررها على وحـدة البلاد ، فحـاولت أن تتلافى خطر ذلك التفكك بأن أقامت روابط اجتماعية على أسس اقتصادية.، وذلـك بأن قسمت القبائل اليمنية أو بالأصح قسمت المناطق الى وحدات مجمعة زراعية وصناعية ومهنية وغيرها ، وربطت بينها بروابط العمل والإنتاج بدلاً من أواصر القرابة والـدم ، وكانت تلك الـوحدات المجمعـة هي أساس العمـل الجماعي التعاوني ، وبفضل هذا (التعاون) استطاعت تلك الدول الحضارية ان ترسي قواعد بنـاء السدود ، وانشـاء المحافـد والمدن والقصـور ، وبناء المدرجـات الزراعية ، وشق الطرقات والأنفاق في الجبال تيسيراً لسبل المـواصلات فيهـا ، وان تقيم في مختلف المناطق مستوطنات حضارية ، تنوع فيها النشاط الزراعي والصناعي والعمراني ، وأن تسنّ ما استلزم ذلك من تشريع وتنظيم ، غيرّ جميع ذلك من نظرة القبيلة الضيّقة ، ووسّع من دائـرة تفكيرهـا ونشاطهـا في نطاق العمل الجماعي الحضاري الواسع للأمة جمعاء .

ولكن تنـاحـر اليمنيين وحـرب بعضهم لبعض ظـلّ أثـره السيء هـو

السائد ، وشجع الأحباش والروم ثم الفرس كما أسلفت الى التدخل في شؤون اليمن ، كما مكنّ الروم من السيطرة على الخط التجاري البحري الذي كان في ايدي اليمنيين .

شغل كل ذلك وأعجز اليمنيين عن تعهد وصيانة (سد مأرب) وغيره من السدود ، فتهدمت ، وفقد اليمنيون بذلك أهم مواردهم في الزراعة والنقل ، وأضطرّ الكثير منهم الى جانب الاضطرابات التي احدثتها الحروب الداخلية ومع الغزاة الى الهجرات الجماعية المتتابعة ، وادى ذلك بالتالي الى تدهور الاقتصاد القومي في اليمن .

حتى جاء الإسلام ولبى اليمنيون نداءه ، ودخلوا فيه طواعية ، وذلك بسبب استعدادهم النفسي بما اعتنقوه عبر تأريخهم من وحدانية اليهودية فالمسيحية قبل تحريفهما ، وللخروج من الصراع القائم في اليمن بين اليهود والمسيحيين ، ثم بين المسيحية ووثنية الفرس ، وللخروج من الحروب والنزاعات الأهلية بين اليمنيين .

كما استجاب اليمنيون لدعوة الخليفة الأول ابي بكر ، والخليفة الثاني عمر ابن الخطاب للإسهام في نشر الإسلام ، وأسهموابنصيب كبير في نشره . واستبدلوا أرضاً بأرضهم في الشام والعراق وافريقيا والأندلس وغيرها ، ورفع الإسلام من شأنهم ، وأعطاهم المكانة الاجتماعية التي تليق بهم كسلالات حضارة عريقة ومجد تليد في ظل الإسلام وفي اطار تعاليمه ومبادئه .

كما وجد اليمنيون في الاسلام مجالاً كبيراً لملء فراغهم النفسي ، فاستغلوا مواهبهم ، وأقبلوا عليه بالدرس والبحث وألفوا في مختلف الفنون ، وطبعوا لهجتهم العربية الجنوبية بلهجة القرآن الكريم والسنة النبوية العربية الشمالية ، حتى اندثرت لهجتهم وصارت غريبة عن ابنائهم وأحفادهم .

ولقد تحسن وضع اليمنيين داخل اليمن ايضاً في ظل الإسلام بسبب الاستقرار الذي وفره الاسلام حتى قال عامل اليمن للخليفة (عمر بن الخطاب) حينما عاتبه على ارسال ما جمعه من اموال الزكاة إلى المدينة : « والله

لو وجدت من يأخذ الصدقة في اليمن ما بعثت بها اليك » ، وسنعلم مزيداً من هذا في فصل (وضع اليمن العام منذ صدر الإسلام وحتى بداية حركات الاستقلال) من هذا الكتاب .

هذا ولا يفوتني في الختام أنّ اشير الى ان طابع الوضع الاقتصادي في اليمن القديم كان اقطاعياً ، اي أنّ الملكية في الأرض كانت لرؤساء العشائر وللمعابد وللدولة ، وكان الزراع في معظمهم اجراء ، ولكن بشكل أقرب الى النظام التعاوني الجماعي كما سلفت الإشارة الى ذلك آنفاً .

الحياة الاجتماعية

كانت الحياة الاجتماعية في اليمن القديم تتسم بطابع القبلية ، حيث كانت القبيلة هي أبرز وأقوى فئات المجتمع الديني ، يدل على ذلك تسميته الدول والامارات بأسماء القبائل الحاكمة فيها ، كدولة (سبأ) بن يشجب ، ودولة (حمير) بن سبأ ، ودولة (حضرموت) بن حمير ، ودولة (أوسان) بن حضرموت ، ودولة (قتبان) بن الهميسع بن حضرموت وغيرها كما يدل على ذلك أيضاً تسمية المناطق والأماكن بأسماء القبائل التي نزلتها ، وقد نزلت كل قبيلة في منطقة معينة دون ان تخالطها قبيلة اخرى إلا في القليل ولظروف طارئة .

فبكيل الهمدانية في الشمال الشرقي من اليمن ، وحاشد الهمدانية في الشمال الغربي من اليمن ، وحمير لها منطقتها الواسعة بين صنعاء شمالاً وعدن جنوباً ، وبالتحديد من حدود بلاد الروس جنوباً ، حيث تبدأ منطقة حمير ببلاد يحصب العلو (بلاد جهران) ، وفي خولان بن عمرو بن عامر بن الحاف بن قضاعة في بلاد صعدة وفي حضرموت وسواحلها والجزر المجاورة لها ، وفي العديد من مناطق الشطر الجنوبي من اليمن ، وفي الكثير من مغارب اليمن في بلاد حجة ، ومذحج لها مع ماتفرع منها وهي عنس وزُبيد بضم الزاي وفتح الباء ومراد والحدأ وجنب وغيرها منطقتها في بلاد البيضاء وبعض بلاد رداع ، وبعض بلاد عنس ن ذمار والحدأ وفي بلاد الجوبة ومأرب وحريب وبيحان وغيرها ، ومن زبيد أحد أبطال الاسلام الفاتحين (عمرو بن معدي يكرب الزُّبيدي

ومع ذلك فهناك مناطق كثيرة يسكنها خليط من الكهلانيين والحميريين كانت تعرف بالجماع ، كجماع خولان في بلاد (صعدة) حيث سكنها خليط من الهمدانيين الكهلانيين ومن الحميريين ، ومنها فيما يبدو اسم (جماعة) في المنطقة المذكورة ،وهناك قبائل تحولت عن مساكنها لسبب أو لآخر كقبيلة(مراد) التي اضطرتهاهمدان الى النزوح عن بلاد الجوف الى بلاد الجوبة وما جاورها ، بعد حرب بينهما عرفت بحرب (الرزم) أو (رزم ملاحا) والتي صادفت يوم بدر الكبرى وكـ (سرو حمير) التي تحولت عنها لـ(مذحج)وعرفت المنطقة في بلاد البيضاء وبعض بلاد رداع من يوم ذلك التحول بـ(سرو مذحج) ، وصارت بلاد (يافع) وما جاورها التي تحولت اليها القبائل الحميرية النازحة تعرف بـ(سرو حمير) ، وكان التنظيم الاجتماعي يقوم على عمق وقوة النظام القبلي ، فالقبيلة القوية هي الحاكمة ، وبيدها السلطة ، وحتى القبائل الأخرى الأقل شأناً فإنه كان لها أيضاً نفوذها المحلي ، وهذا النفوذ القبلي المتعدد يختلف قوة وضعفاً تبعاً لقوة الدولة وضعفها ، فحيث يكون نفوذ الدولة قوياً فإن النفوذ القبلي يضعف والعكس بالعكس .فقد أقامت الفئات الحاكمة التي تتسم هي نفسها بالقبلية ، الروابط الاجتماعية بين مختلف القبائل المحكومة على أسس اقتصادية كما سلف ، وذلك لتذويب عصبية القبلية المتعددة وللتقليل من نفوذها المحلي ، إزاء النفوذ المركزي للدولة .

الحياة التشريعية

ازدهرت في اليمن القديم حضارة تُعَدّ من أرقى وأقدم الحضارات في العالم .

وكما كانت حضارةً ماديةً تتمثل بانشاء السدود وبناء المحافد والقصور ، وما استتبع ذلك من طرق ومواصلات ، وما واكبها من تعدين وتصنيع ، فقد كانت حضارةً معنويةً تمثلت بالمجالس النيابية والتشريعية ، وفي سنّ النظم والقوانين التي شملت المجالات الاقتصادية والتجارية والري وغيرها ، تشريعاً كفل لجميع المواطنين كل الحقوق بما فيها حقوق الفلاح والرقيق والمرأة .

كما اضطلعت اليمن الحضارية القديمة بمسؤولية النقل البري والبحري ،

عَبْر طرق القوافل البرية التي كانت تحرسها مستوطنات ومعسكرات يمنية داخل اليمن وخارجه في النقل البري ، وعَبْر مضيق باب المندب في البحر الأحمر في النقل البحري ، حيث كانت البواخر اليمنية تمخر عباب البحر الأحمر ، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ، والبحر العربي ، وبحر الهند جنوباً ، وقد كان اليمنيون ملاحين موهوبين ، يساعدهم في كل ذلك موقع اليمن الجغرافي ، وامتداد نفوذ اليمنيين في مناطق عديدة خارج اليمن ، وأياً كان ذلك النفوذ سياسياً أو تجارياً .

الحياة العمرانية

وبالرغم من أنّ الوضع المالي القومي في اليمن القديم كان في مجمله ، ذا طابع اقطاعي إلا ان تكوين التعاونيات قلّل من الأثر السيىء للاقطاع وساعد اليمنيين مع ذلك على بناء حضارة مجيدة ربما كانت من أرقى حضارات العالم في تأريخها .

ومن ابرز منجزاتهم العمرانية بناء مدن العواصم وقصورها ومنها قصر (سلحين) في مأرب ، وقصر (غمدان) في صنعاء ، وقصر (ريدان) في ظفار رعين من بلاد يريم ، وقصر (بينون) في الحدأ وغيرها من القصور والعواصم كـ (مأرب) العاصمة الجديدة لسبأ والتي بنيت على انقاضها مأرب الحالية ، وصرواح (العاصمة القديمة لسبأ) ، ومدن معين في الجوف ، ومدينة شبوة عاصمة الدولة الحضرمية المستقلة ، ومدينة تمنع عاصمة قتبان ، ومدينة ظفار رعين عاصمة الدولة الحميرية ومدينة ناعط عاصمة دولة سمعى الحاشدية ومدينة حاز وكانط وهما في بلاد همدان حاشد وغيرها من العواصم والمدن مما هو موضح في مواضعه في غضون القسم الأول من هذا الكتاب .

وأنّ من منجزات اليمنيين في تأريخهم الحضاري القديم بناء السدود وشق الترع والقنوات والأحواض ومختلف وسائل الري في مختلف مناطق اليمن ، يساعدهم ويدفعهم الى ذلك وجود الجبال التي توفر امكانية بناء السدود بينها ، الى جانب انتظام موسم الامطار ، وعدم وجود انهار كبيرة ثابتة ودائمة ، وعدم

وجود امكانيات استغلال المياه الجوفية في تلك العهود السحيقة في القدم .

ومن السدود الشهيرة والباقية آثارها الى اليوم : (مجموعة السدود في بلاد يحصب من بلاد يريم والسدة وما جاورهما والتي قال عنها الشاعر :

وفي الربوة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تقذف الماء سائلا

ومن أكبر سدود يحصب هذه (سد قصعان) في الشرق الشمالي من حقل يريم بين قرية ذي صارف من عزلة عراس وقرية ذي شميران من عزلة بني منبه ، اذ تبلغ مساحة خزان الماء فيه عشرة آلاف قصبة (لبنة) كل قصبة ستة عشر ذراعاً مربعاً بذراع اليد ، ومن أشهر السدود في اليمن (سد مأرب) في مأرب وسد (الخارد) في الجوف ، و(سد ريعان) في مخلاف ماذن والذي كان يسقي مزارع وبساتين وادي ظهر احد منتزهات صنعاء و (سد حبرة) بقربه أضرعة من بلاد عنس في بلاد ذمار والذي يعرف اليوم بسد اضرعة ، و(سد الخانق) في بلاد صعدة وقد بناه (نوال بن عتيك) مولى (سيف بن ذي يزن ونائبه في المنطقة وهدمه (ابراهيم بن موسى) الملقب بالجزار وداعية (محمد بن طباطبا) العلوي قبل مقدم الإمام الهادي يحيى بن الحسين .

و(سد شاحك) في بلاد خولان ، و(سدود عدن) المعروفة بالصهاريج ، وغيرها كثيرة ذكرت في مواضعها من القسم المذكور من هذا الكتاب .

الناحية التعاونية

وأثبتت الدراسات والأبحاث الأثرية أن اليمنيين انشأوا في عصورهم الحضارية تعاونيات بنظم وقوانين تُعَدّ من أحدث وأرقى نظم وقوانين التعاونيات في العالم ، وتتلخص تلك النظم والقوانين بالآتي :

١ ـ قيام وحدات انتاجية زراعية وصناعية تربط بين أفراد كل تعاونية وبين كل وحدة تعاونية وأخرى بروابط العمل والانتاج لا بأواصر القرابة والدم .

٢ ـ وحتى الأسرة الحاكمة فإنها كانت مكلفةً بالاسهام بالعمل الجماعي ، في سبيل الصالح العام ، وضمن وحدة من وحدات الانتاج . وكانت وحدة الأسرة الحاكمة في دولة (سبأ) مثلاً هي وحدة صناعة النسيج التي كانت تضطلع بها وحدة(كوستوس) السبائية أي ان مركز الزعامة الذي كانت تتمتع به الأسرة الحاكمة لم يعفها من الإسهام في العمل الجماعي .

٣ ـ وكان الهدف من انشاء هذه المجمعات التعاونية الزراعية والصناعية هو اغناء الدولة بالموارد وزيادة الدخل القومي والقضاء على السلطات الداخلية المتمثلة بالاقطاع ، وقد كان هذا تطوّراً سياسياً واقتصادياً عظيماً .

٤ ـ ولما كان اساس تكوين القبيلة هو روابط العمل والانتاج لا أواصر القرابة والدم ، فإن ذلك سهّل عليهم تقسيم كل قبيلة الى اثلاث واربـاع وأخماس حسب حجم القبيلة المراد بها الوحدة الانتاجية كما علمنا ، وما يزال لهذا التقسيم وجود الى اليوم ، أي ان الحالة الاقتصادية السياسية هي التي تقرّر وظيفة الوحدة التي تُسمى القبيلة ، وتتحكم في مسلكها وتحدد دورها في الانتاج .

٥ ـ أوجب العمل التعاوني في عصور اليمن الحضارية أن تتحد كل قبيلة (وحدة انتاجية) مع قبيلة اخرى (وحدة انتاجية اخرى) تفرض هذا الاتحاد ظروف العمل وتدعو اليه الحاجة ، وكنوع من التكامل الاقتصادي .

٦ ـ ولما كانت الخدمة العسكرية في عصور اليمن الحضارية واجبة ، وكانت الخدمة العسكرية الإلزامية تشمل الفلاح أيضاً فإن قانون العمل التعاوني كان يعمل على ايجاد من يخلف الفلاح في استثمار ارضه اثناء قيام الفلاح بواجباته العسكرية ، وفي تمثيله في الهيئات السياسية ، أمّا أدوات القتال التي يحتاج اليها المحارب فكانت تُشترَى له من وحدة الإنتاج الصناعية ، وتُسلَّم له كعهدة لا كمكافأة ، وهذا يعمِّق معنى العمل الجماعي ،وتكاتف الأمة وتكافلها وتكامل وحداتها في العمل والإنتاج وعلى اختلاف نوع العمل وطبيعته .

٧ ـ وكانت التعاونيات في عصور اليمن الحضارية زراعيةً في أغلبها ، وصناعيةً في القليل منها ، وكانت الوحدات الصناعية تقوم بصناعة النسيج ، كما تقوم بصناعة الأدوات الزراعية ، والأدوات الحربية وغيرها من الصناعات ، وكل وحدة صناعية مستقلة عن الوحدة الصناعية الأخرى إلا فيما يستلزم التعاون والتكامل الصناعي فيما بينها .

٨ ـ وحتى الضرائب الحكومية فإنها كانت تُجبَى من القبيلة كوحدة انتاجية ، لا من الأفراد ، وكانت كمية الضرائب تختلف باختلاف المحاصيل من حيث الكثرة ونوع الغلة ، وباختلاف كمية الانتاج الصناعي .

٩ ـ كما أثبتت الدراسات والأبحاث الأثرية في تأريخ اليمن الحضاري انه كان هناك حرص من الدولة على وجوب تطبيق نظام العمل الجماعي ومعاقبة المهملين الذين لا يصيبون انفسهم بأضرار البطالة فحسب ، بل والاقتصاد القومي أيضاً .

١٠ ـ وقد استلزم قيام التعاونيات في عصور اليمن الحضاري قيام نظام مالي واداري دقيق ، كما استلزم الانتاج الزراعي الجماعي في الوحدات الانتاجية التعاونية انشاء المخازن ووضع الأنظمة الخاصة بها .

وهكذا اثبتت الدراسات والأبحاث الأثرية اصالة التعاون اليمني وبمثل هذه النظم الدقيقة ، وبتلك التعاونيات الانتاجية والخدمية استطاع اليمنيون ان يتعاونوا في البناء والتعمير وفي انشاء السدود ومدرجات المزارع وشق الأنفاق والطرقات في الجبال كما أسلفنا .

الناحية الدينية

بالرغم من اعتناق اليمنيين في عهودهم الأولى للوثنية بعبادة ثالوث من الكواكب هي : الأب (القمر) والأم (الشمس) والأبن (الزهرة) إلا انها كانت ديانةً ساذجةً كما أشار الى ذلك الباحث (دتلف نيلسن) بقوله : « بالرغم من المباني العظيمة » والسلطان السياسي والثقافة العالية التي نجدها عند شعوب بلاد العرب الجنوبية (اليمن) إلا أنّ دياناتهم كانت ساذجة في كثير

من عناصرها ، فالدين العربي الجنوبي دين بدوي تطوّر من الديانات السامية الشمالية ، في الوقت الذي كان أصحابها يحترفون الزراعة . وهذه السذاجة الدينية لا تلمسها في الطقوس ودور العبادات وعدم وجود اصنام وصور للآلهة فقط ، بل وفي نظر هذه الديانات للآلهة أيضاً » .

ومع ذلك فقد ذكر بعض الباحثين المعاصرين أنّ اليمنيين حينما كانوا يعبدون الكواكب إنما كانوا يعبدونها كآلهة متعددة ، ترمز الى إله تدل عليه كل الظواهر الطبيعية ، على أساس أنّ وراء هذه الظواهر قوة غيبية ، هي التي أوجدت ونسّقت بين جميع هذه الظواهر ووحدت معالمها ، ورتّبت اوقاتها ، ونظّمت سيرها وتحركها .

وكانت المعاناة الحضارية لاكتشاف اسرار الوجود هي من حوافز استكناه الحقيقة الغيبية ، ومن دوافع الجزم بوجودها ، ويجعل كل ما هو ملموس ومحسوس من كواكب وغيرها آلهة تدل عليها وواسطة بينهم وبينها .

وهذه الحقيقة الغيبية الثابتة هي الله الواحد الأحد والذي عُرف عند اليمنيين في عصور لا تزال من عصورهم الحضارية القديمة (بذي سموي) أي إله السماء .

وانه سرعان ما نبذ اليمنيون عبادة الكواكب ، وآمنوا بدين الله الذي جاء به (موسى) نبي الله وهو (اليهودية) وكان آنذاك دين الله الواحد حقاً ، الدين الذي يدعو الى عبادة الله وحده ، وزارت (بلقيس) ملكة (سبأ) النبي (سليمان) الذي بعثه الله تعالى مجدِّداً للدين الذي جاء به (موسى) وآمنت به ، ثم عادت الى قومها تدعوهم الى الإيمان به وآمن الكثير منهم ، ﴿ **قالت إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ ، صدق الله العظيم .

ولّما حرّف اليهود التوراة وغيّروا في دين الله ولم تعد لليهودية التي أرادوها على هواهم قدسيتها ومكانتها وأثرها ، وجاءت (المسيحية) التي بعث الله بها الرسول (عيسى بن مريم) آمن بها اليمنيون ، وكل ذلك طلباً وسعياً وراء البحث عن الله في الوهيته ووحدانيته الذي تدل عليه كل ظواهر الكون وأسرار الوجود .

ثم جاء الاسلام واستجاب له اليمنيون بفضل استعدادهم النفسي ، ونضجهم العقلي ، ووعيهم الحضاري ، ولحسم التنافس الديني الذي كان قائماً بين الديانتين (اليهودية) و(المسيحية) أو بالأصح بين اتباعهما الذين حرّفوهما وشوّهوا حقيقتهما ، مع انهيار مكانة كل من اليهودية في اليمن بالمسيحية ، والمسيحية بدخول الفرس الوثنيين الى اليمن ، وفراغ النفس اليمنية وتشوّقها لدين يحل محل الديانتين المتصارع أهلهما ، ومحل وثنية الفرس الجديدة ، وكان الإسلام هو الدين المنتظر والحاسم وكلمة الله الأخيرة والخالدة على العالم .

والخلاصة أنّ اليمنيين كانت عبادتهم للوثنية ساذجةً ، وعبادتهم للكواكب كرموز لقوّةٍ غيبيّةٍ هي (رب السماء) الله الواحد الأحد ومع ذلك فسرعان ما نبذوا عبادة الكواكب وعبدوا الله تلبيةً لدعوة رسل الله (موسى) فـ (عيسى) فـ (محمد) بدون حرب تُشَنّ عليهم من رسل الله أو دعاتهم ، وانما بدافع ذاتي منهم بسبب نضجهم ووعيهم وسلامة ادراكهم وفهمهم ، ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّاباً** ﴾ الناس هنا هم أهل اليمن عند اكثر المفسرين .

وصدق الرسول الكريم القائل : « الإيمان يمان والحكمة يمانية » . هذا وما احرانا ان يكون اعتزازنا بحضارة اسلافنا حافزاً لنا نحن اليمنيين على العمل والمثابرة ومضاعفة الجهود في اللحاق بركب الحضارة ومواكب تطورها في ظل وحدة يمنية عربية اسلامية شاملة وما ذلك على الله بعزيز .



١ – الرحالة العظيم كارستن نيبور
(عن كتاب التأريخ العربي القديم)

١- The great Nomad Carston Naibur (from the book of Ancient Arabic Historiography).



٢ – و. ي. ستزن
(عن كتاب التأريخ العربي القديم)

٢- W. E. Citzen (from the book of Ancient Arabic Historiography).



٣- يوسف هاليفي

(عن كتاب التأريخ العربي القديم)

٣- Joseph Helivy (from the book of Ancient Arabic Historiography).



٤- ادوارد جلازر

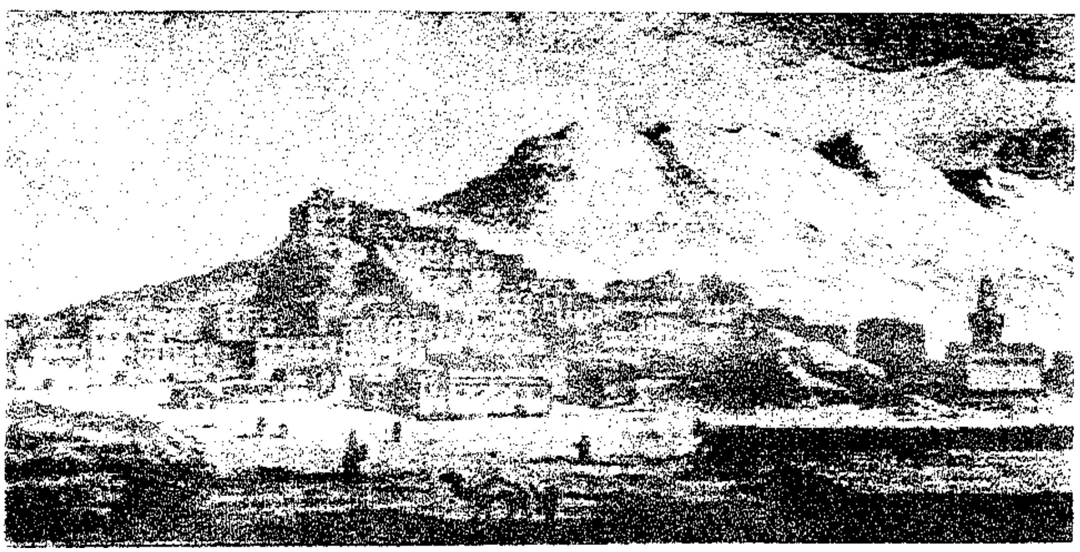
(عن كتاب التأريخ العربي القديم)

٤- Edward Glaser (from the book of Ancient Arabic Historiography).



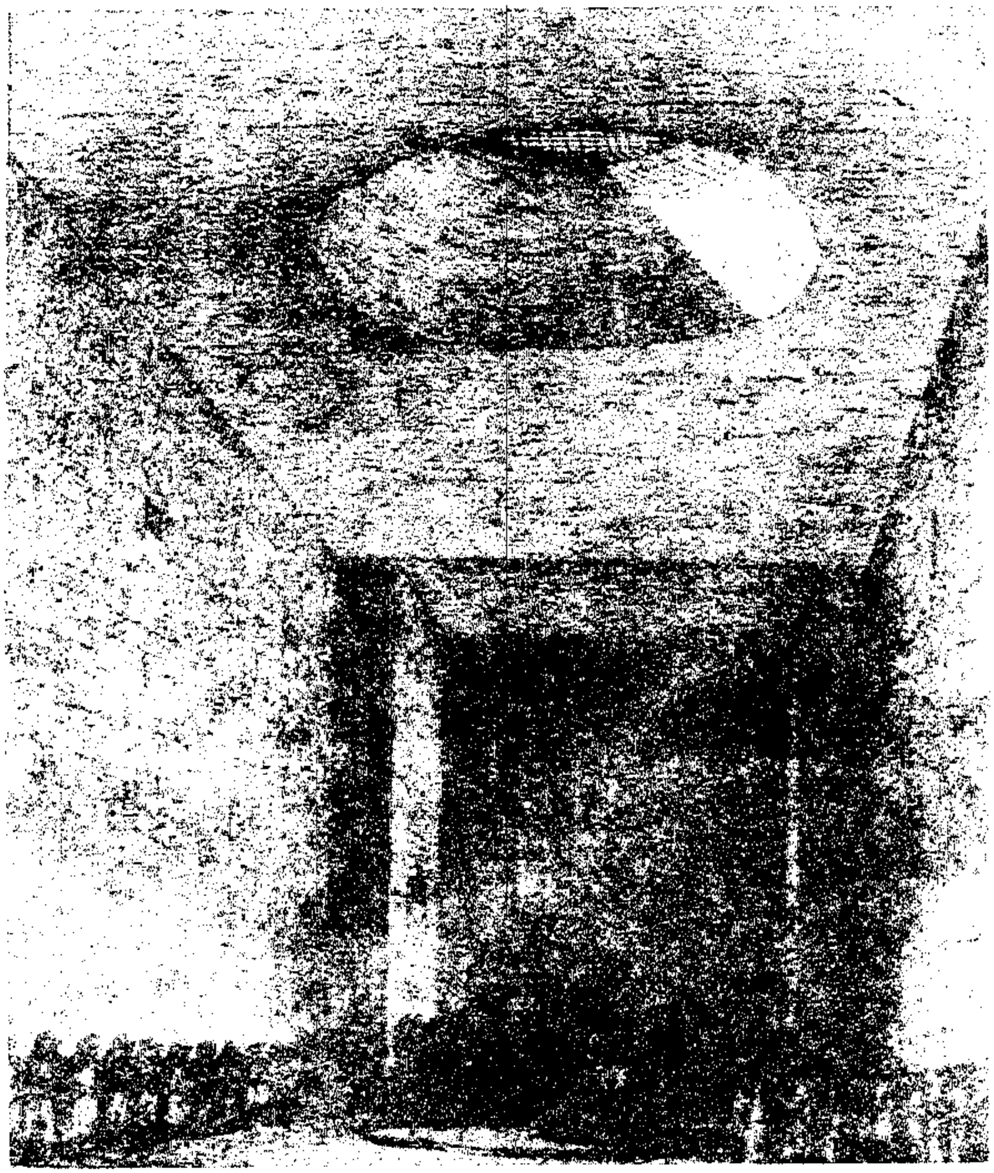
٥- يوليوس أويتنج
(عن كتاب التأريخ العربي القديم)

٥- Julius Oiting (from the book of Ancient Arabic Historiography).



٦- صورة لمدينة يريم في عام ١٧٦٣م من مخلفات الرحالة نيبور وبريشته .

٦- A view of the city of Yarim in the year ١٧٦٣ A. D. Painted by the Nomad Naibur.



٧- رسم بريشة عضو البعثة الدانمركية (نيبور) للإمام المهدي العباس بن المنصور حسين في مقابلة عامة تحف به حاشيته وبعض جنوده .

٧- A Paint done by the member of the Danish committee (Naibur) of the Imam Al Mahdi Al Abbas bin Al Mansour Hussein in a public interview of his servants and some of his soldiers.



٨- التمثال البرونزي لـــ (ذمار علي يهبار) الملك الثاني لدولة حمـــير - متحـــف صنعاء ودار مصلحة الآثار .

٨- Bronze statue of (Zummar Ali Yahbar) the second king of the Himyarite king dom – Sana'a Museum and the committee of Archeological preservation.



٩– وجه ذمار علي يهبار وجد مع تمثاله ومع تمثال ولده ثارن يعب يهنعم في النخلـــة الحمـــراء
ببلاد الحدا .

٩- The face of Zummar Ali Yahbar found along with his statue and the statue of his son Tharen Yaab Yuhanaam in the El-Nakhla el-Hamra in the Al-Hadda Country.



١٠- وجدت لوحة هذا الحذاء بجانب تمثال ذمار علي وولده ثارن .

١٠- The Painting of this shoe was found near the statue of Zummar Ali and his son Tharen.



١١– صورة بدون زنكوغراف للدمار علي يهبار الملك الثاني لدولة حمير .

١١- A Photo without Zincograph of Zummar Ali yahbar the second king of the Himyarite kingdom.



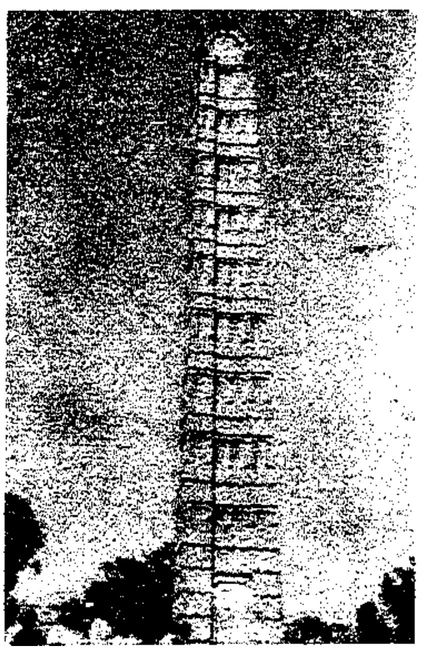
١٢– صورة بدون زنكوغراف للملك ثارن يعب يهنعم بن ذمار علي .

١٢- A Photo without Zincograph of the king Tharen yaab yuhanaam son Zummar.



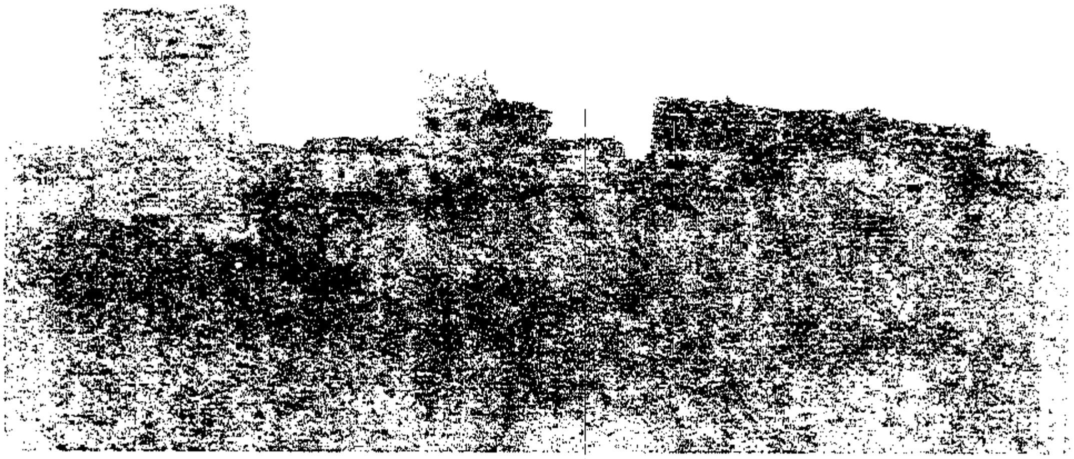
١٣- مسلة اكسوم في مدينة اكسوم (اثيوبيا) ويبلغ طولهـا ٢١ متراً ، ويرى المؤلف بجانبها .

١٣- The Aksum obelisk in the city of Aksum (Ethiopia) it is ٢١ meters high, and the author is seen standing near it.



١٤- صورة لمسلّة أكسوم رقـم ٦ بأثيوبيا طولها ٢١ متراً ويوجد في المنطقة بجانبها عدة مسلاّت أخرى أصغر منها ومسلة أكبر منها مكسورة ، ملقـاة علـى الأرض .

١٤- This obelisk of Aksum in Ethiopia is ٢١ meters high near which there are other smaller obelisks and another bigger one with some of its fragments scattered on the ground.



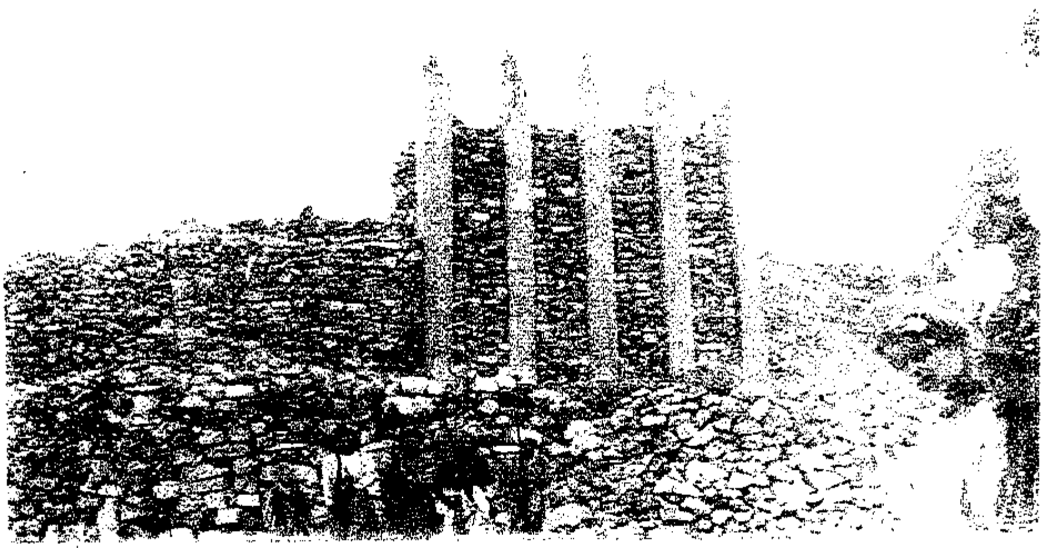
١٥– المعبد الكبير في صرواح وهو من أهم المعابد في اليمن وأقدمها وأكثرها احتفاظاً بطابعه ومبانيه القديمة ويعرف بمعبد (المقه) أي القمر . وقد شيّده ثاني مكاربة سبأ (يدع ال درخ) وهو الذي سيّد سوراً (لمحرم بلقيس ومعبد (معربم) في المساجد بالجوبة .

١٥- The big temple in Sarwah, one of the most important and temples in Yemen, preserving its natural style and old buildings and is known as the Al-Macca temple which means the moon, built by the second Makareba in Sabaa (yadaa el Tharkh) who built A big wall (Mahram Balkis) and the temple of Maarabam in the Almassaged at Al-Jouba.



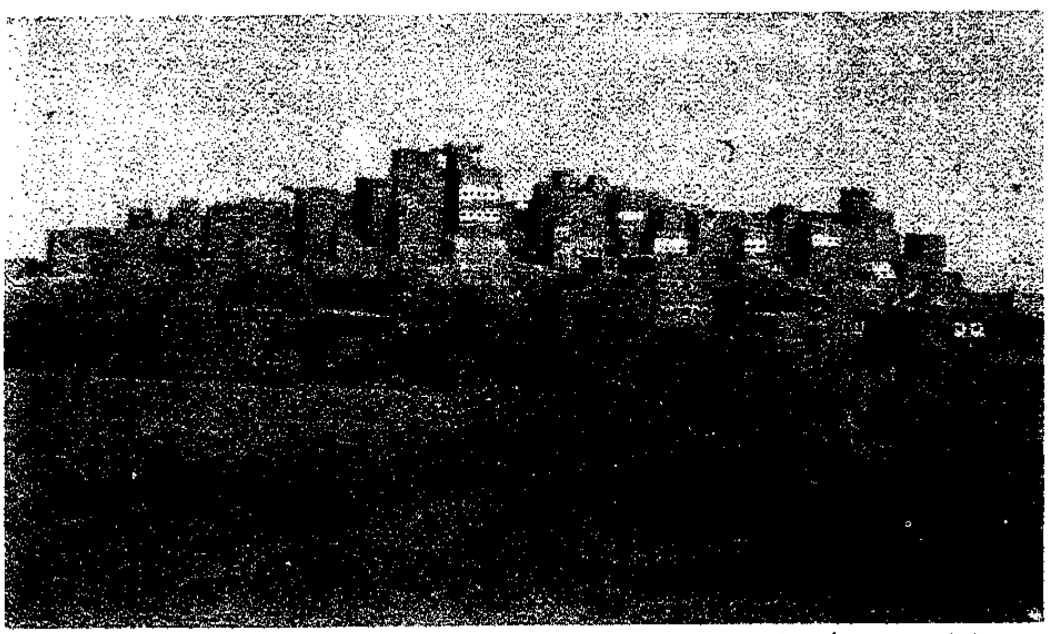
١٦– من المعابد السبأية القديمة ذات الأعمدة الجرانيتية داخل المعبد الكبير بصرواح .

١٦- A view of the old Sabaa temples with granite columns inside the big temple in Serwah.



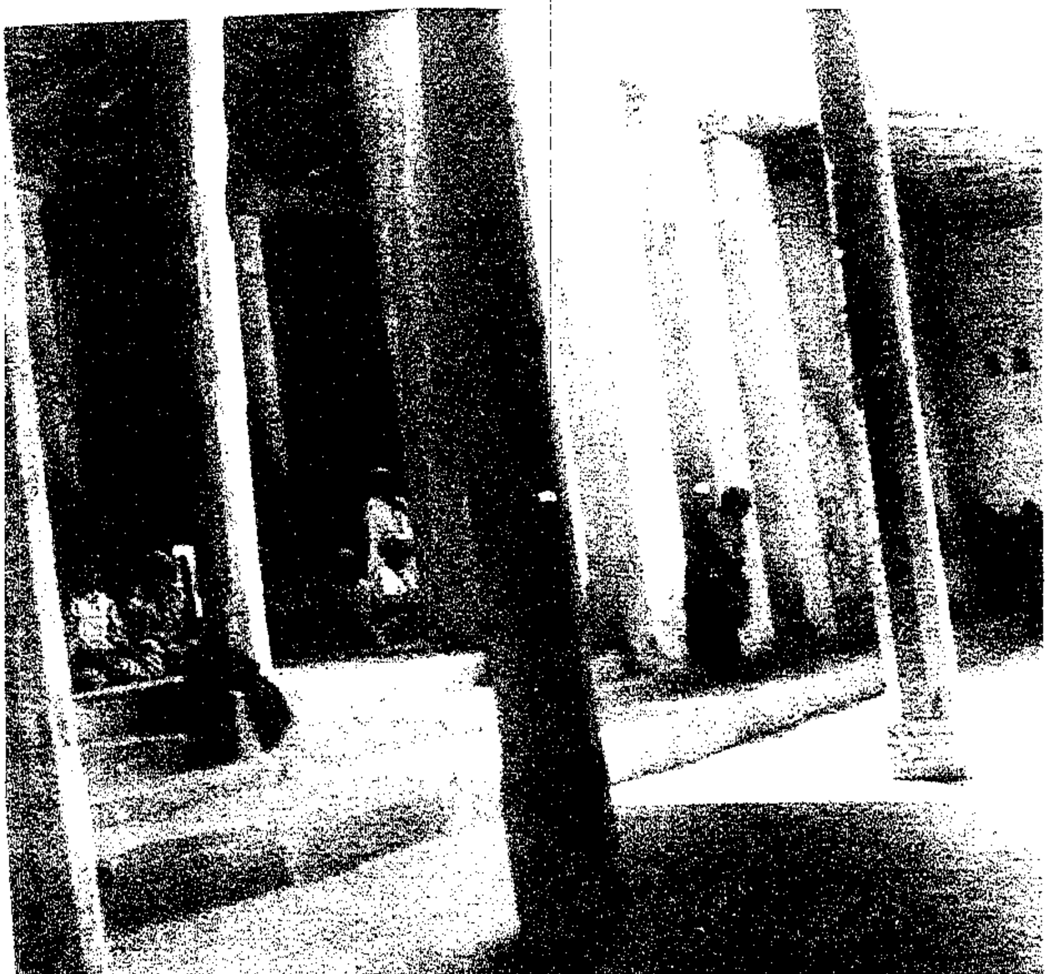
١٧- من المعابد السبأية القديمة داخل المعبد الكبير بصرواح .

١٧- A view of the Sabaa temples, inside the big temple in Serawh.



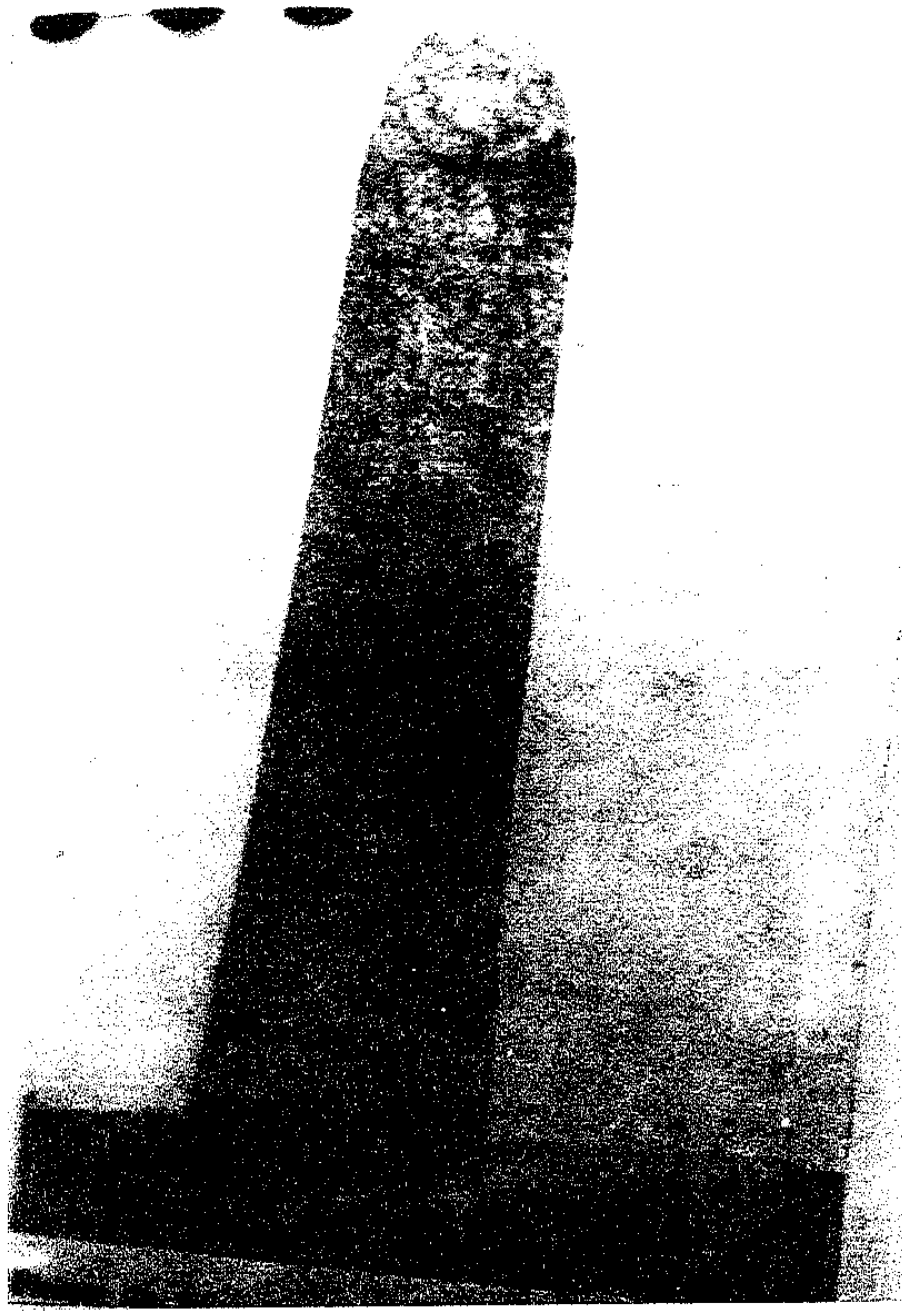
١٨- مدينة مأرب كما هي عليه اليوم .

١٨- A view of the city of Maareb as it stands today.



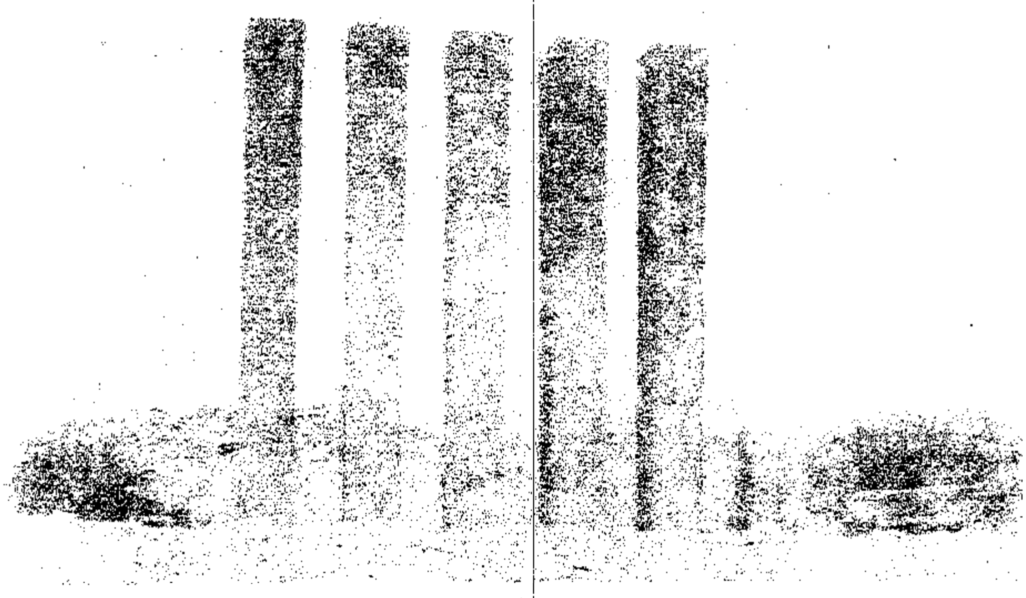
١٩- جامع مأرب الذي بني داخل معبد يمني قـــديم ويعـــرف الآن باســـم جـــامع سليمان .

١٩- Maareb Mosque, built inside an old Yemen Temple known today as Soleiman Mosque.



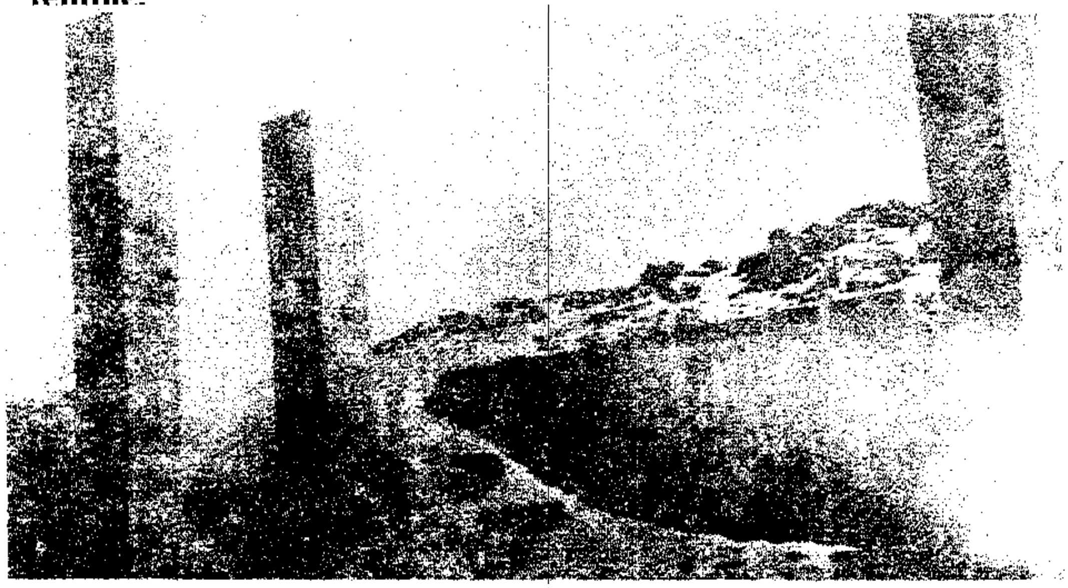
٢٠- النصب الحجري للمقه (القمر) في مأرب معبود سبأ .

٢٠- The Stone statue of Al-Macca (The moon) in Maareb idol of Sabaa.



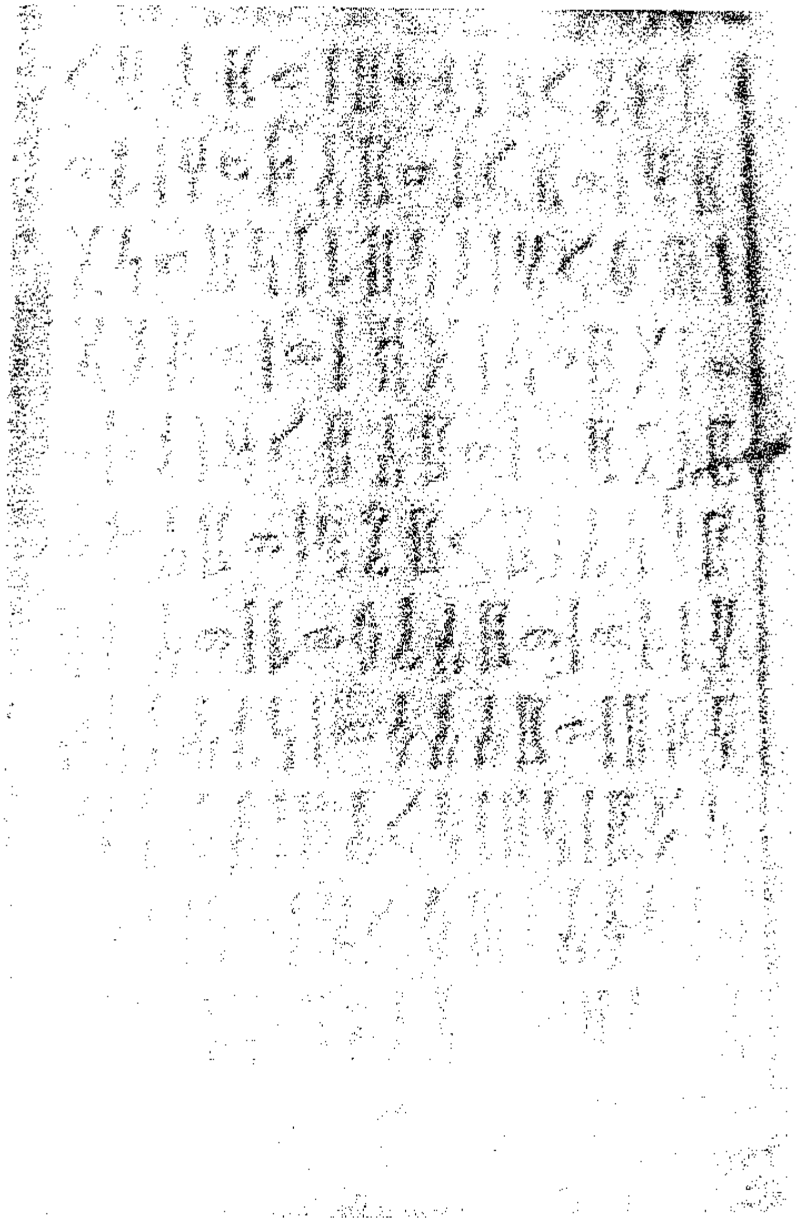
٢١- معبد العمايد على بعد ١٤٠٠ متراً من محرم بلقيس .

٢١- The temple of El- Amaied ١٤٠٠ meters away from balkis temple.



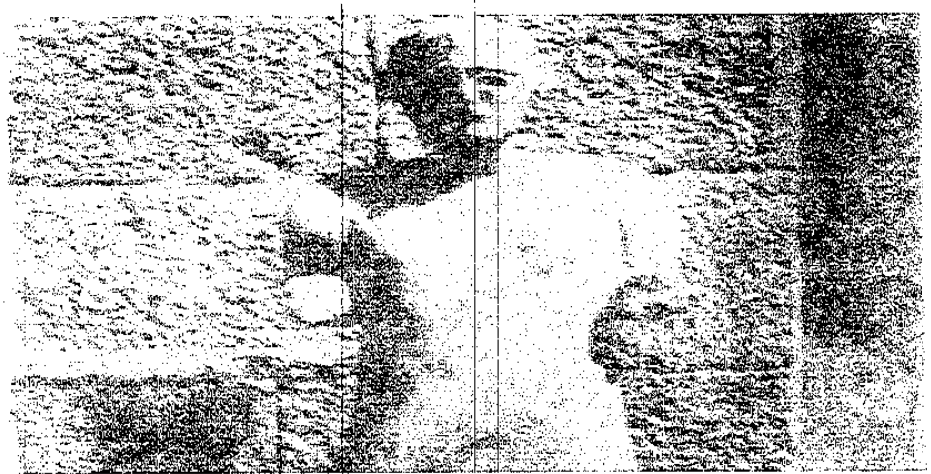
٢٢- جانب من معبد بلقيس في مأرب ويعرف المعبد بحرم بلقيس أو عرش بلقيس .

٢٢- A side view fo Balkis temple. The temple is known as the sacred temple of Balkis or the throne of Balkis.



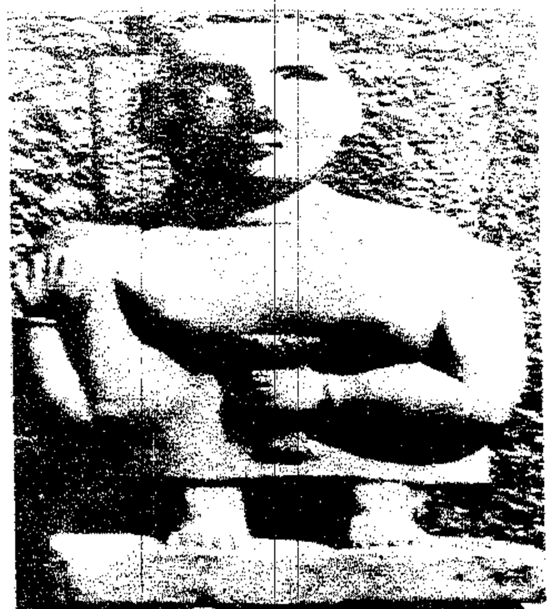
٢٣- نقش كبير موجود في معبد بلقيس . وقد نص النقش أن اثنين مـــن رؤســـاء شبان وغيمان اهدوا تماثيلهم إلى معبد المقه .

٢٣- A large inscription that exists in the Balkis temple – The inscription states that ٢ Leaders from shban and Ghayman have donated their statues to the Al-Macca temple.



٢٤- تمثال سبأي من الرخام – متحف مأرب .

٢٤- A Sabaaen marble statue – Maareb Museum.



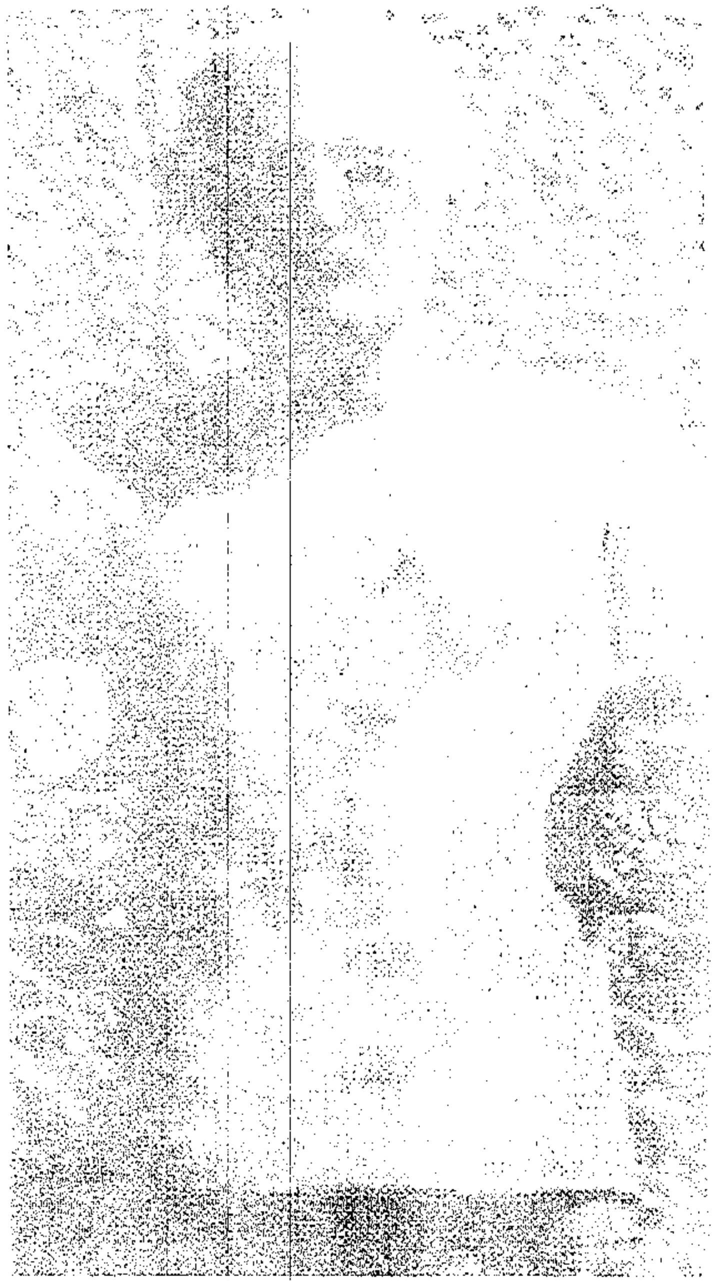
٢٥- تمثال رخامي لسيدة سبئية وُجد في الجوبة عام ١٩٦١م (متحف مأرب) عن كتاب أحمد شرف الدين ، بالانكليزية (اليمن العربية السعيدة) .

٢٥- A marble statue of a Sabaaen woman found in Al-Jouba in the year ١٩٦١ A. D. (Maareb Museum) from Ahmad sharaf Eddine's book in English (The Happy Arab Yemen).



٢٦- تمثال رخامي لفتاة سبئية وُجـد في الجوبة عام ١٩٦١م (متحف مأرب) عن كتاب أحمد شرف الدين ، بالانكليزية (اليمن العربية السعيدة) .

٢٦- A marble statue of a Sabaaen girl found in Al-Jouba in the year ١٩٦١ A. D. (Maareb Museum) from Ahmad sharaf Eddine's book in English (The Happy Arab Yemen).



٢٧- تمثال سبأي رخامي – متحف مأرب . عن كتـــاب أحمـــد شـــرف الـــدين ، بالانكليزية (اليمن العربية السعيدة) .

٢٧- A Sabaaen Marble statue – Maareb Museum – from Ahmad sharaf Eddine's book in English (The Happy Arab Yemen).



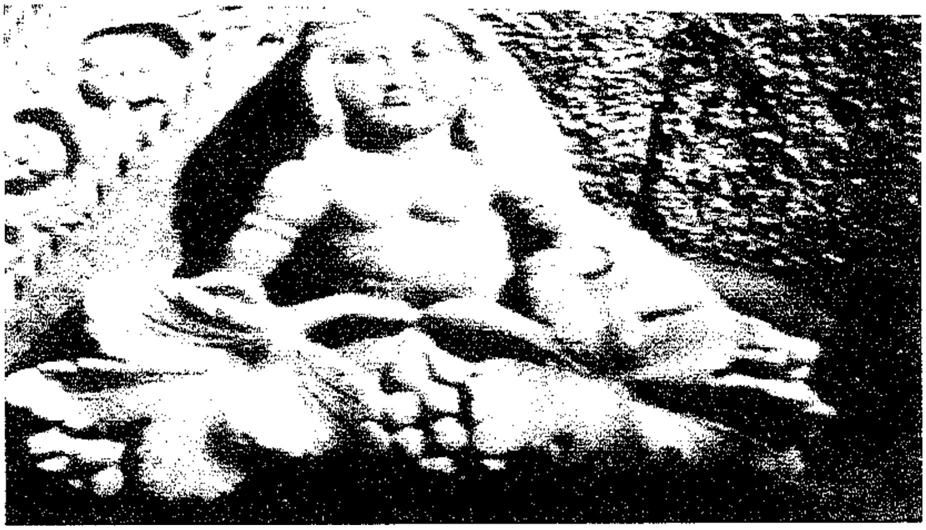
٢٨- رأس رخامي للملك السادس عشر من ملوك سبأ اسمه (وهب إل) . متحف صنعاء – عن كتاب أحمد شرف الـــدين ، بالانكليزيـــة (الـــيمن العربيـــة السعيدة) .

٢٨- A Marble head of the ١٦th King of Sabaa (His name is Wahab-El) – Sana'a Museum. from Ahmad sharaf Eddine's book in English (The Happy Arab Yemen).



٢٩– تمثال برونزي لطفل ربما وجد بدون يدين ولا رجلين – متحف مأرب .

٢٩- **A bronze statue of a child may be Found without hands and feet – Maareb Museum.**



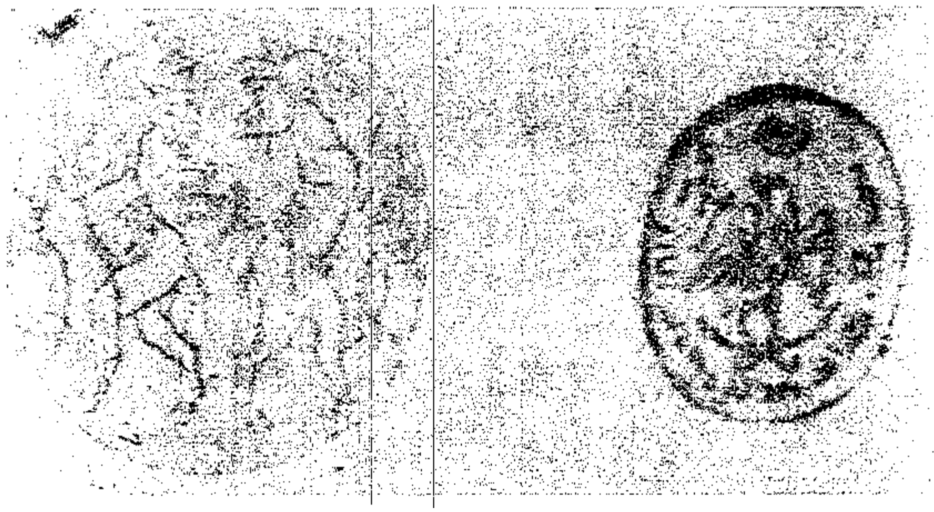
٣٠- تمثال رخامي لسيدة (متحف مأرب) عن كتـــاب أحمـــد شـــرف الـــدين ، بالانكليزية (اليمن العربية السعيدة) .

٣٠- A Marble statue of a woman (Maareb Museum) from Ahmad sharaf Eddine's book in English (The Happy Arab Yemen).



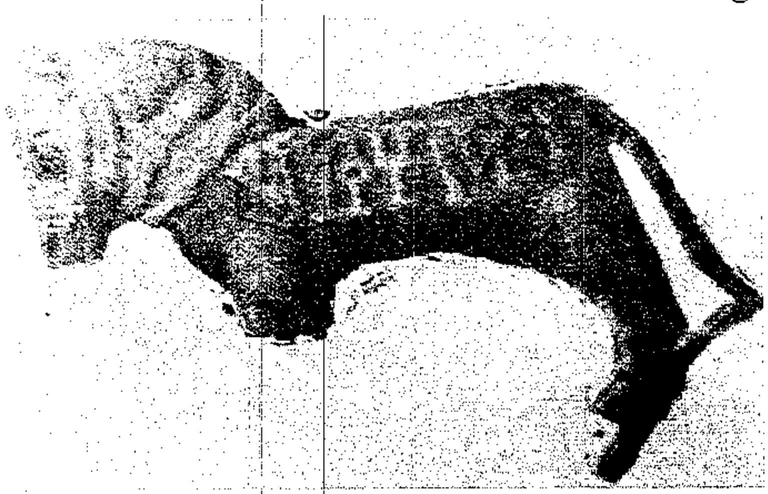
٣١- قطعة سبأية من البرونز من المجموعة الفنية التأريخية – عن كتاب (التـــأريخ العربي القديم) .

٣١- A Sabaaen bronze Piece from the historical art collection? from the book (The Ancient Arabic Historiography).



٣٢- حجرين كريمين سبأيين بالمتحف البريطاني بلندن – عن كتاب (التأريخ العربي القديم) .

٣٢- Two Precious Sabaaen stones in the British Museum in London. From the book (The Ancient Arabic Historiography).



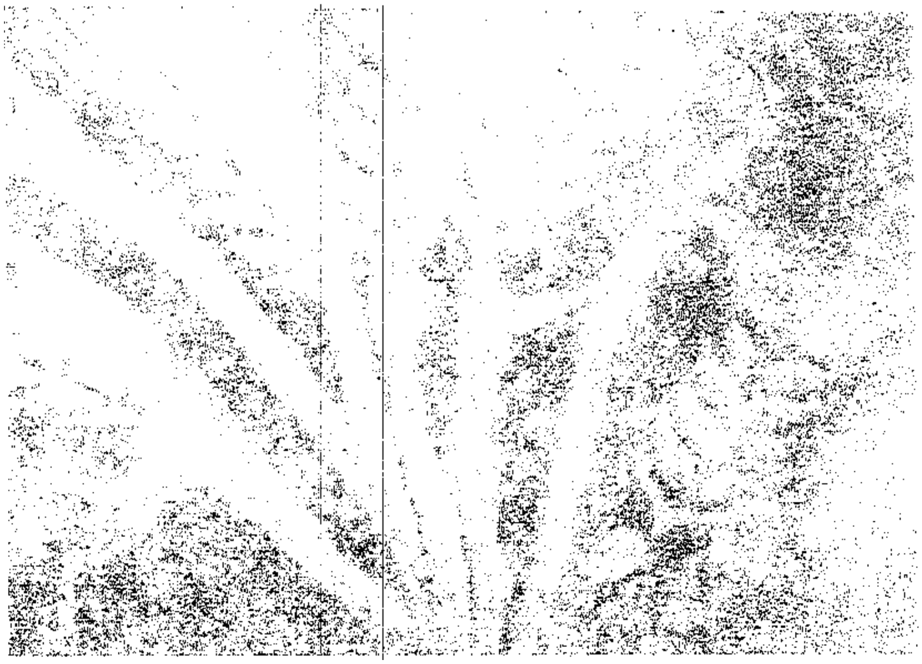
٣٣- حصان سبأي من البرونز محفوظ في استنبول (تشيلي كيوشك) . عن كتاب (التأريخ العربي القديم) .

٣٣- A Sabaaen Bronze horse Kept in Istanbul (Chili Kioshk). From the book (The Ancient Arabic Historiography).



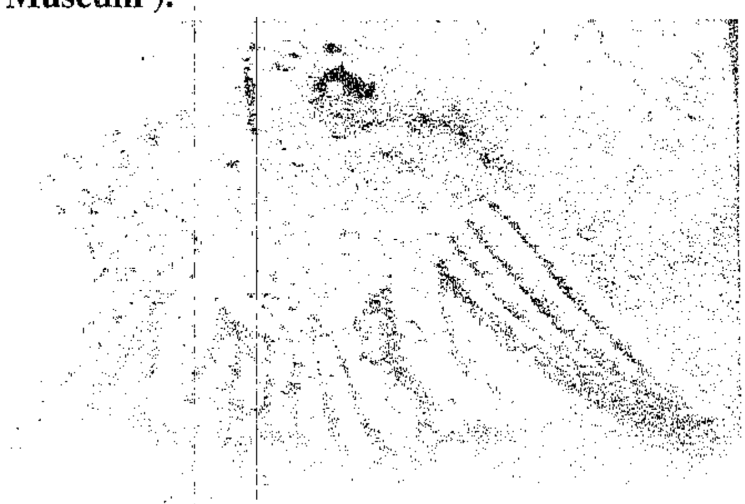
٣٤- نحت سبأي رخامي – متحف مأرب – عن كتـــاب أحمـــد شـــرف الـــدين بالانكليزية (اليمن العربية السعيدة) .

٣٤- A Sabaaen Marble sculpture – Maareb Museum – from Ahmad sharaf Eddine's book in English (The Happy Arab Yemen).



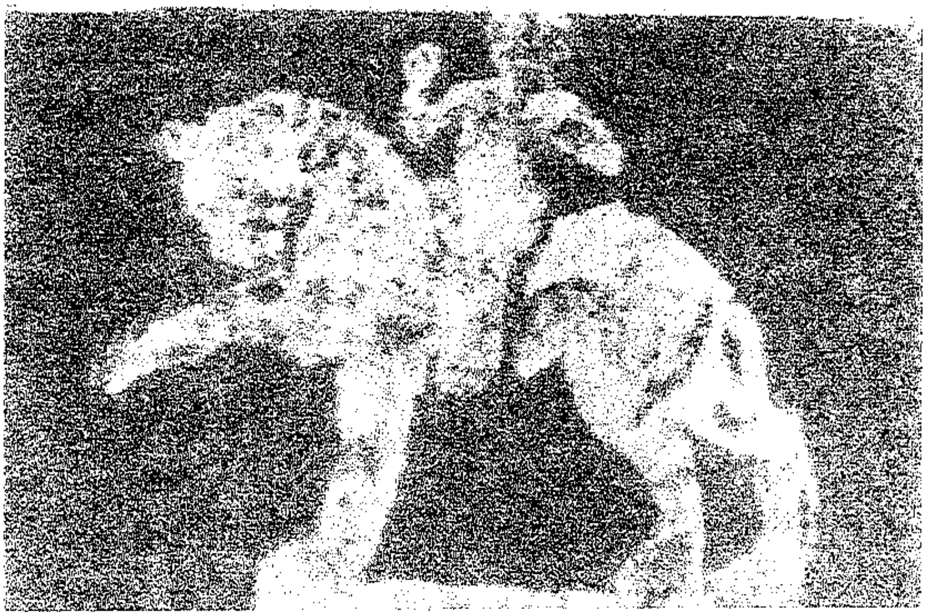
٣٥- تمثال نحت سبأي من الرخام لشجرة القمح المثمر يرمز على الزراعة (متحف مأرب) .

٣٥- A Sabaaen carved marble statue representing the festile wheat (Maareb Museum).



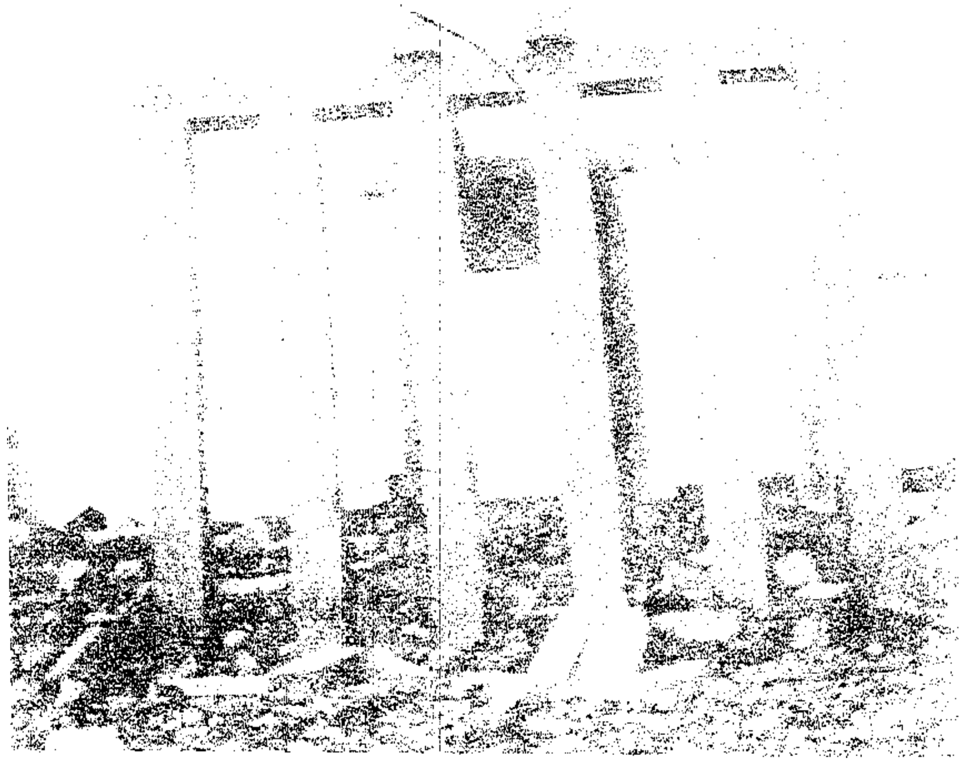
٣٦- تمثال طير النسر رمز القوة وهو من آثار سبأ .

٣٦- An Eagle Statue symbol of power, found in Sabaa.



٣٧- تمثال من شبوة (بحضرموت) تعريف الأستاذ زيد عنان .

٣٧- A statue from Shubwa (in Hadramawt) identified by the profferssor Zeid Anan.



٣٨- جانب من معبد المساجد من أعمال الجوبة على بعد ٤١ كيلو متراً جنـــوب غرب مأرب . ويعرف المعبد المذكور في النصوص بمعبد (معربم) أي العرب وارتفاع كل عمود فيه ٢٥ قدماً وسمك ٥٢ × ٤٢ سم . وقـــد ذكـــر في النقش المكتوب على العمود الأعلى الأفقي أن بانيه هو (الملـــك يـــدع آل ذرع) ثاني مكربيي سبأ .

٣٨- A side view of the Al-Massaged Temple from the works of Al-Jouba, which lies ٤١ Kms. South-West of Maareb. This temple is known in the texts as the temple of Maaraabm, that is, the Arabs. The height of each column in it, is ٢٥ feet and the diameter ٥٢ × ٤٢ cms. The words inscribed on the horizontal column tell that its builder was the king Yada el-Tharah the second of Makariba of Sabaa.



٣٩- البوابة اليُمنى لسد مأرب .

٣٩- The right gate for the Maareb dam.



٤٠- الجزء الشرقي من البوابة اليمنى لسد مأرب .

٤٠- The eastern part of the right side gate of the Maareb dam.



٤١- مخارج القنوات من الحوض الذي في نهاية القناة التي تخرج من البوابة اليسرى لسد مأرب .

٤١- **Exists of the channels from the basin at the end of the channel which emerges from the left side gate of the Maareb dam.**



٤٢- البوابة اليسرى لسد مأرب وكانت في الأصل ذات مدخلين ويرى المدخل الأيمن مسدوداً بالأحجار أما البناء المرتفع فقد شيد للمراقبة وقد استخدم للسكن في عصور متأخرة .

٤٢- **The Left side gate of the Marareb dam. which originally had two entrances. The first entrance can be seen to be obstructed with stones. As for the high building, it was constructed for watching and it was much later used as habitation.**



٤٣- تمثال لملك أوساني (عن التأريخ العربي القديم) .

٤٣- A statue of an Osanic King (From The Ancient Arabic Historiography).

الفهرس

التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن في موكب الإسلام

محمد يحيى الحداد

المجلد الثاني

مكتبة الإرشاد
صنعاء

التاريخ العام لليمن

محمد يحيى الحداد

٢

مكتبة الإرشاد

التاريخ
العام لليمن









التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن في موكب الإسلام

٢

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

أودع بدار الكتب ــ وزارة الثقافة ــ صنعاء
برقم ٢٥ لسنة ٢٦ / ١ / ٢٠٠٨ م

مكتبة الإرشاد

شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - ص.ب: ٣٠١٩
هاتف: ٢٧٢١٩٠ - ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩
الجمهورية اليمنية

التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن في موكب الإسلام

محمد يحيى الحداد

المجلد الثاني

مكتبة الإرشاد
صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل تأريخي جغرافي عام *

أطلق (اليـونان) و(الـرومـان) القـدمـاء صفـة (أرابيـا فلكس) أي (العربية السعيدة) على (اليمن) بحدوده الطبيعية ، والتي تشمل (الجمهورية العـربية اليمنيـة) في الشمال ، و(جمهـورية اليمن الـديمقراطيـة الشعبية) في الجنوب ، وهما وحدة طبيعية لا تتجزأ .

ويشمل اليمن الطبيعي مع ذلك (الربع الخالي) و(عُمَان) بضم العين وفتح الميم مخففاً ، وذلك في بعض آراء المؤرخين والجغرافيين ، كما يشمل كثيراً من جزر البحر الأحمر المحاذية للسواحل اليمنية في الغرب والجنوب الغربي ومنها جزيرة (مصيرة) التابعة لعُمان في جنوب الخليج العربي .

ومن[1] أهم الجزر اليمنية جزيرة (كمران) المحاذية من الغرب للصليف والتي تبعد عنه بنحـو ثلاثـة كيلومترات ، وهي من كبـريات الجـزر اليمنية في البحر الأحمر ، والى الشمال الغربي والجنوبي من الجزيرة تقع قـريتا (مكـرم) و(يمن) ويسكنهـما صيادو الأسمـاك من أهل كمـران ، وفي منخفض جزيـرة كمران وعلى بعد ثلاثة كيلومترات تقريباً الى الشرق منها توجد بقايا قرية فارسية على ما يعتقد .

---

* هذا هو القسم الثاني من الكتاب ، وهو ثلاثة فصول : اليمن في موكب الإسلام ؛ اليمن الحديث ؛ اليمن المعاصر .

وقد اطلقت على الفصل الأول من هذا القسم اسم (اليمن في موكب الإسلام) لتمييزه عن الفصلين الثاني والثالث منه وهما : (اليمن الحديث) و (اليمن المعاصر) .

(١) الأستاذ حمزة علي لقمان في كتابه (تأريخ الجزر اليمنية) من ص ٧ بتصرف .

وجـزيرة (زقـر) المحاذيـة لساحـل بلاد زبيـد من الغرب ، والتي يبلغ ارتفاعها في شمالها بنحو (٦٢٤) قدماً عن سطح البحر ، ونحو (٨٦٧) قدماً في جنوبيها .

وجزيرة (بريم) (ميّون) المحـاذية لمضيق بـاب المندب من الغـرب ، وتقسـم الجزيرة المذكورة المضيق قسمين : (المضيق الصغير) شرق الجزيرة مما يلي باب المنـدب ، وعرضـه نحو ثـلاثة كيلومتـرات و(المضيق الكبير) غـرب الجزيرة وعرضه واحد وعشرون كيلومتراً ، وتمخر السفن المضيق الصغير لخلوه من الجزر الصغيرة المـوجودة في المضيق الكبـير ، والمعروفـة بالأخـوات السبع وبالجزر السبـع ، وقد اعـطى اقتصار السفن في عبـورها عـلى المضيق الصغير الأهمية الكبيرة لباب المندب كممر وحيد بين البحر الأحمر والبحر العربي فبحر الهند .

وجزيرة (صيرة) الواقعة تجاه مدينة عدن) وتربطها بعدن طريق بـري يتسع لعربة واحدة ، وفي وسطها جسـر تمر من تحتـه قوارب صيـد السمك ، ويرتبط تأريخ الجزيرة بتأريخ عدن ، لأنها المركز الأمامي في الدفـاع عن ميناء صيرة التابع لعدن ، وعلى مر الزمن شيدت الحصون والأبراج على قمة جبلهـا وسفحه لتسيطر على مساحة واسعة من البحر ، وعلى السفن الداخلة الى الميناء والخارجة منه ، وفي بعض فترات تأريخ عدن كانت صيرة جمركها ، وكان فيها سجن لحكـام عدن ، وقـد لعبت الجزيـرة دوراً هاماً خلال الغـزو البرتغـالي والمصري والعثماني والبريطاني ، وشاهدت كثيـراً من المآسي والانتصـارات ، ومنهـا تمكن البريـطانيون من الإستيـلاء على عـدن واستعمارها في عام ١٨٣٩ والسيطرة منها على الجنوب باسم الحماية كما سنعلم ،وجزيرة (سقطرة) من بلاد مهرة احدى محافظات (جمهورية اليمن الديمقراطيـة لشعبية) ، حيث تتكـون بلاد مهرة من قسمين : القسم الأول ويشمل جـزيرة سقـطرة وفيها كـان مقر سلطان مهرة وعاصمتها (حديبو) ، أمّا القسم الثاني فيقع داخل حضرموت مما يلي الساحل حيث كان نائب السلطان في العاصمة الساحلية (قشن)

وجزيرة سقطرة اكبر الجزراليمنية في خليـج عدن والبحـر العربي وتبعـد

نحو ثلاثمائة ميل عن الساحل الغربي ، مساحتها نحو (١٤٠٠) ميل مربع ، وفي الجزيرة ثلاثة أماكن يمكن أن توصف بأنها مدن وهي غير « العاصمة حديبو وتدعى تماريد وقصوب وقلنسية ، ويقع الأول على الساحل الشمالي للجزيرة في سهل عرضه اربعة أميال ، وللمدينة منظر رائع جذاب بمنازلها المشيدة بين النخيل ، وفي هذا المكان كانت تقع العاصمة القديمة التي بقيت اطلالها والتي كانت تسمى (السوق) ،(مهرة) في النسب هو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة من ولد الهميسع بن حمير بن سبأ .

وسكان (سقطرة) حوالي ثلاثين ألف نفس، أمَّا بقية (مهرة) في الداخل فعدد سكانه سبعون ألفاً .

وجزيرة (كوريا موريا) وهي خمس جزر محاذية لمهرة من الجنوب الغربي ، وتتكوّن جميعهامن صخور ترتفع قممها المخروطية بشكل واحد تقريباً ، وللجزر الخمس التي تتكون منها (كوريا موريا) أسماء خاصة بها وهي : (سودة) و(جبلية) و(حاسكية) و(غرزوت) و(حلانية) ، وهذه أكبرها والأهلة بالسكان ، ويبلغ عدد سكانها حوالي (١٥٠) نسمة فقط ، يعملون في تربية الأغنام ، وفي جمع سماد الطيور الذي يباع على بلدان الخليج العربي وحضرموت ، وقد كانت هذه الجزر تحت حكم حاكم بلاد (الشحر) التي كانت بدورها تابعة لـ (مهرة) ، أماً في الوقت الحاضر فجميعها تابعة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . وضمن محافظة مهرة .

وتبعد هذه الجزر عن الشاطىء الجنوبي الشرقي لعُمَان بنحو خمسة وعشرين ميلاً ، ولغتها تشبه لغة مهرة التي يعتقد انها من بقايا اللهجة اليمنية القديمة المعروفة بالحميرية ، كما يعتقد انها تأثرت بكلمات ومصطلحات قليلة من لغة الساحل المجاورة لها بعامل الإختلاط عبر السنين .

وجزيرة (دهلك) وتقع جنوب البحر الأحمر مقابل (اريتريا) وهي الى اليمن اقرب ، وكانت منفى للعباسيين ، وملجأ لآل نجاح حينما يضطرهم الصليحيون الى الانسحاب من تهامة كما سنعلم في فصل (الصليحيون وآل

نجاح) ، وجزيرة (فرساي)المحاذية لـ (جيزان) من الغرب ، وغيرها جزر كثيرة عدَّدها وفصلها الأستاذ حمزة لقمان في (تأريخ الجزر اليمنية) .

أما حدود اليمن الطبيعية غير جزره المذكورة فهي من الشمال (وادي تثليث) و(وادي الدواسر) عند بيشة وتبالة ، ومن الشرق (الخليج العربي) ومن الجنوب (البحر العربي) ومن الغرب (البحر الأحمر) .

وقد كانت الدول التي تعاقبت على اليمن تتقسمه في عدة دول وامارات متناحرة متحاربة في اغلب تأريخها .

وأول حكم يمني شمل اليمن جميعه بحدوده الطبيعية هو حكم (حمير) والذي اتخذ مدينة (ظفار رعين) ، في بلاد يريم عاصمة له ، وفي فترة محدودة من حكمه ، وامتد نفوذه مع ذلك الى خارج اليمن ، وقد تكون كل من دولتي (معين) في إبَّان عهدها ، و(سبأ) في عهد ازدهارها واللتان سبقتا دولة حمير قد أرستا قواعد حكم يمني موحد أيضاً ، ثم جاء (الإسلام) فوحد اليمن في عهد الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وفي عهد الخلفاء الأربعة من بعده (أبي بكر) و(عمر) و(عثمان) و(علي) .

ثم في عهد الدولة الأموية ، وشطر من عهد الدولة العباسية الى خلافة المأمون .

ومنذ هذا العهد بدأت الاضطرابات في اجزاء عديدة من اليمن ، محاولةً منها في الاستقلال عن العباسيين ، الأمر الذي حمل المأمون على ان يبعث (محمد ابن عبد الله بن زياد) لتكوين امارة في تهامة عرفت بامارة (آل زياد) بهدف ضبطها بالوالي المذكور ، وضبط بقية اجزاء اليمن بوالٍ أو واليين ، كما حدث منعاً للإضطرابات وتحقيق سيطرة الدولة الأموية على اليمن جميعه .

وبالرغم من ذلك فإن الاضطرابات استمرت وتكونت امارة آل يعفر في نجد اليمن وحضرموت في بعض فترات حكمهم ، وتعتبر هذه الإمارة هي أول امارة يمنية مستقلة عن العباسيين إلا من انتماء شكلي بهم لإضفاء الصبغة

الشرعية عليها .

وفي غضون حكم الإمارتين المذكورتين (آل زياد) و(آل يعفر) جاء الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) من جبل الرس في الحجاز الى صعدة وأسس فيها أول حكم للأئمة الزيدية ، وفي بعض مناطق القسم الأعلى من اليمن كما امتد في هذا العهد نفوذ الفاطميين من الشام ومصر الى اليمن ، وقد حمل راية دعوتها وحكمها في اليمن الداعيتان (علي بن الفضل الخنفري اليمني) و(الحسن بن حوشب الكوفي) ، إلا أنّ علي بن الفضل حينما وطّد اركان دولته في اليمن وارسى قواعدها اعلن استقلاله عن الفاطميين ، والتخلي عن الدعوة الفاطمية ، واعلن في اليمن حكماً يمنياً مستقلاً عن الفاطميين والعباسيين معاً ، ووحّداليمن جميعه تقريباً في ظل علم ظلّ خفاقاً قرابة عشرين عاماً حتى دبر منافسوه اغتياله كما سنعلم عند التأريخ للدعوة الفاطمية الأولى في اليمن .

وقد عادت الدول والامارات التي كانت قبل ظهوره الى البروز من جديد بعد مقتله ، وكان نفوذ الإمام الهادي بالذات ينحسر في بلاد صعدة أو يمتد الى غيرها في القسم الأعلى من اليمن ، وذلك بحكم العوامل التي تحيط به وبالدول المنافسة له .

وقامت امارة (آل نجاح) خلفا (لآل زياد) اتسمت إمارتهم بالسنية ، وانتمت كذلك الى العباسيين ، ولكنه انتماء شكلي أيضاً .

كما عاصرتها ونافستها دولة (الصليحيين) التي تعتبر تجديداً لنفوذ الفاطميين الشيعة في اليمن ، واستطاع الملك الكامل أبو الحسن علي بن محمد الصليحي ان يوحد اليمن جميعه تقريباً في ظل حكمه . حتى تمكن الأمير (سعيد الأحول بن نجاح) امير تهامة من اغتياله .

وخلف (علي بن محمد الصليحي) ولده (المكرم احمد) الذي اتخذ (صنعاء) عاصمة لدولته ومركزاً لإقامته ، مستنيباً عنه زوجته الملكة (أروى بنت أحمد بن محمد الصليحي) في المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية وتهامة ، واتخذت مدينة (جبلة) مركزاً لإقامتها وعاصمة لإمارتها .

وفي آخر أيام الملك المكرم وبعد ان استفحل فيه مرض الشلل اثرت عليه الملكة أروى بالانتقال اليها الى جبلة وأناب عنه في صنعاء القاضي (عمران بن الفضل اليامي الهمداني) .

ومن ثمة صار الهمدانيون هم نـواب الملك (سبأ بن أحمـد الصليحي) الذي شاطر الملكة أروى الحكم بعد وفاة الملك المكرم ، حيث اتخذ هو حصن اشيح (ظفار مخلاف بني سويد) في بلاد آنس مكاناً لإقامته ومركزاً لدولته حتى وفاته ولما توفى الملك (سبأ) تجزأ اليمن ، واستقلّ الياميون الهمدانيون بحكم صنعـاء وأعمالهـا ، واستقلوا مع ذلـك حتى عن الفاطميين، وكان أول هؤلاء السلاطين هو (حاتم المغلسي) .

كما استقل (بنو زريع) الجشميون الهمدانيون أيضاً بحكم عدن وأعمالها ، واستقلوا عن الملكة أروى في آخر عهدها ، ولكنهم لم يستقلوا عن الانتماء الى الفاطميين ، وكانوا هم نواب الصليحيين بعد (بني معين) كما سيأتي كل ذلك تفصيلاً .

ثم جاء الأيوبيون الى اليمن بعد ان قضوا على دولة الفاطميـين في مصر والشـام ، وقضوا عـلى امـارتي آل مهـدي وآل زريـع وكـانت هـذه هي الامارة الوحيـدة التي ما زالت تنتمي الى الفـاطميين ، بعـد وفاة الملكـة أروى ، كما قضى الأيوبيـون على غـير آل زريع من الـدول والامارات في اليمن ، ووحــدوا اليمن تقـريبــاً تحت رايتهم . إلا من نفــوذ محــدود لـلأئمة الـزيديـة معـاصـريهم ، ثم خلف الأيـوبيـين (بنـو رسـول) ، ووجدوا اليمن كذلك إلا من نفوذ محدود لأئمة الزيديـة في عهد الـدولة الرسولية الأول والذي انتهى بـالملك المؤيد داود بن يـوسف بن عمر بن علي رسول .

في حين اتسع نفوذ الأئمة منذ عهد الملك المجـاهد عـلي بن داود بسبب اشتغـاله بـالثـورات التي قـامت ضـده من أسـرتـه ومن الجيش، كـما سنعلم تفصيلاً .

ولما انتهى حكم (بني رسول) خلفهم وزراؤ هم (بنو طاهر) .

حتى جاء المماليك وقضوا على امارتهم بسبب مساندة منافسي آل طاهر لهم من الأئمة ومن اليمنيين ، وبسبب تفوق المماليك بالأسلحة النارية التي لم يكن لليمنيين آنذاك عهد بها .

وجاء الأتراك الى اليمن في اعقاب حكم المماليك بعد قضاء الأتراك على حُكم المماليك في مصر والشام بعد مقتل ملكهم (قانصوه الغوري) في مرج دابق ، وحكموا اليمن فيما يعرف بالحكم العثماني الأول في اليمن ،وقد بدأ حكم العثمانيين الأول في اليمن في منتصف القرن السادس عشر للميلاد ، القرن العاشر الهجري ، وفي القرن السابع عشر للميلاد القرن الحادي عشر الهجري استطاع الإمام القاسم بن محمد ان يبسط نفوذه في اليمن بعد دعوته ، وجاء ولده الإمام المؤيد الكبير (محمد بن القاسم) واستطاع بمساندة اليمنيين أن يخرج الأتراك من اليمن ، وأن يبسط أخوه المتوكل اسماعيل نفوذ دولة بيت القاسم في اليمن جميعه ، لفترة من الزمن ، حتى انفصل الجنوب عن حكم الأئمة منذ عهد المؤيد الصغير (محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم) .

وجاء الأتراك الى اليمن في حكمهم الثاني له وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد (القرن الثالث عشر للهجرة) ، وبسطوا نفوذهم في أماكن كثيرة منه ، في حين احتفظ الأئمة الزيدية بنفوذ محدود لهم خلال ذلك وجاء الانكليز واحتلوا عدن في ٦ يناير من عام ١٨٣٩ م ١٢٥٥ هـ واستطاعوا بعد ذلك ان يبسطوا نفوذهم عن طريق الحماية على سائر مناطق الجنوب وعلى فترات مختلفة .

كما استطاع الأئمة اثر انسحاب الأتراك من اليمن بعد انهزام (المانيا) وحليفاتها ومنها (تركيا) في الحرب العالمية الأولى ان يبسطوا نفوذهم في جميع مناطق الشمال من اليمن ومن ثمة صار شمال اليمن يعرف بالمملكة المتوكلية اليمنية ، وصار الجنوب تحت نفوذ الانكليز ، مع احتفاظ السلاطين بنفوذ محدود في مناطقهم ، وظل الأمر كذلك في الشمال والجنوب ، حتى قامت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الظافرة في الشمال عام ١٩٦٢ م ١٣٨٢ هـ .

وبـدأت شرارة الثـورة في الجنـوب من ردفـان في ١٤ أكتـوبـر من عـام (١٩٦٣ م ١٣٨٣ هـ ، والتي نجحت باستقلال الجنوب من حكم الاستعمار البريطاني ، ومن حكم السلاطين وذلك في ديسمبر من عام (١٩٦٧ م ١٣٨٧ هـ) وصار شمال اليمن يعرف بالجمهورية العـربية اليمنيـة ، وجنوبـه يعرف بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ،وإننا لننتظر اليـوم الذي يعود فيـه اليمن شماله وجنوبه الى وحدته الطبيعية والسياسية والطبيعية والاجتماعية وفي إطار الوحدة العربية والإسلامية وما ذلك على الله بعزيز .

اليمن في مــوكب الإســلام*

اليمن في صدر الإسلام

بُعث رسول الله ﷺ واليمن خاضع لحكم الفرس ، وإن كان حكمهم لم يكن تاماً ولا شاملاً لليمن ، وإنما كان محصوراً في صنعاء والمنطقة المجاورة لها ، وفي بعض الموانىء التجارية وبعض المدن الكبرى .

أمّا الأطراف والمدن الأخرى فكان الحكم والنفوذ فيها لسادات اليمن من الأقيال والزعماء ، حيث كان كل قيل وزعيم قبيلة يتمتع بنفوذ محلي لا سلطان لحكومة صنعاء عليه .

ولّما عاد عليه الصلاة والسلام من صلح الحديبية الذي عقده مع قريش مكـة في شهر ذي الحجـة من العام السـادس للهجـرة بثّ رسله ورسـائله الى مختلف الملوك والقبائل في الاقطار العربيـة ، والى ملكي فارس والـروم ، ومن البلدان العربية التي بعث الرسول الكريم دعوته اليها (اليمن) حيث بعث اليه في شهر المحرم من العام السابع للهجرة عدداً من المبعوثين ، وكانت أول رسالة بعثها الرسول الكريم الى اليمن هي الى اقيال اليمن الحميريين آنذاك (النعمان والحارث ونعيم وعريب ومروح ابناء عبد كلال الحميري) ، وكانوا[1] يقيمون آنذاك في (ذي أبين) ، وقـد وصفوا بـأنهم أقيال رعـين ، ومعافـر وهمدان ، ويبدو من هذا الوصف بأنهم كانوا الأقيال البارزين في اليمن آنـذاك ، إلا ان النعمان[2] كان يسكن يوم ذاك في حصن حب بجبل بعـدان (من لواء اب) ،

* هذا العنوان هو مجرد اصطلاح للقسم الأول من تاريخ اليمن بعد الاسلام لتمييزه عن القسم الثاني منه وهو (تاريخ اليمن الحديث) والقسم الثالث منه وهو (تاريخ اليمن المعاصر) .

(١) الدكتور محمد امين صالح في كتابه (تأريخ اليمن الاسلامي) ص ٤١ .

(٢) الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي في (اليمن في ظل الإسلام) ص (١٦) .

وذكرت الروايات انه كان يجبي من بلاد الحبشة وزيلع وجزيرة بربرة وغيرها ، وكان المبعوث اليهم هو (المهاجر بن أمية المخزومي) ، وقد أمره الرسول الكريم بأن يدعو أول مايدعو هؤلاء الأقيال الحميريين، وأن يقرأ عليهم سورة ﴿ ألم يكن الذين كفروا ﴾ وأن يسلم اليهم كتابه الذي جاء فيه : « سِلْمٌ انتم ما آمنتم بالله ورسوله ، وانَّ الله وحده لا شريك له ، بعث موسى بآياته ، وخلق عيسى بكلماته ، وقالت اليهود عزيز بن الله ، وقالت النصارى الله ثالث ثلاثة وعيسى ابن الله » .

ولقد اهتمّ الرسول الكريم بالحميريين في اليمن قبل غيرهم من القبائل اليمنية على اعتبار انهم آنذاك القوة الأساسية التي يجدر التفاهم معها في اليمن واصحاب النفوذ الواسع فيه .

كما راسل الرسول الكريم اساقفة (نجران) و(بني معاوية من كندة في بلاد حضرموت) و(بني ربيعة بن ذي المراحب) من حمير بحضرموت أيضاً ، يدعوهم جميعاً الى الإسلام .

وفادات اليمنين الأولى

ولقد جاءت الى الرسول الكريم في عامي (٩) و(١٠) للهجرة وفود اليمنيين ومبعوثيهم ، يعلنون إسلامهم وإسلام من وراءهم من اليمنيين ، ومن هؤلاء مبعوث (زرعة بن عامر بن سيف بن ذي يزن) وهو (مالك بن مرة الرهاوي) الذي حمل الى الرسول الكريم كتاب (زرعة بن عامر) المذكور ، اعلمه فيه بإسلامه و إسلام اقيال اليمن (الحارث بن عبد كلال وأخوته المذكورين ، وأنهم فارقوا الشرك وأهله ،) .

وأضاف (الخزرجي)(٣) قائلاً : « فكتب لهم رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبي الى الحارث بن عبد كلال ونعيم

---

(٣) في العسجد المسبوك ص ١٣ .

ابن عبد كلال وإلى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان(٤) ، أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعـد فإنه قـد وقع بنـا رسولكم منقلبنا من ارض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم ، وخَبّـر ما قِبَلكم وأتـانا بإسلامكم وقتلكم المشـركـين ، وإن الله قـد هـداكم بهـداه ، وإن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصّلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنـائم الخمس وسهم النبي وصفيه ، وما كتب على المسلمين من الصدقة من العقار عشر مـا سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وإنّ في الإبل الأربعون لبون ، وفي ثلاثين من الإبل لبون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل اربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة واحدها شاه ، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقـة ، فمن زاد خيراً فهـو له ، ومن أدى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، ومن كـان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد منها ، وعليه الجزية ، على كـل حالم ذكـر أو انثى حراً أو عبداً ديناران من قيمة المعافر أو عَرَضُهُ ثياباً فمن أدى ذلك الى رسول الله ﷺ فإنّ له ذمة الله وذمة رسوله ، فإن منعها فإنه عدوٌ لله ولرسوله .

اما بعد فإن رسول الله محمداً النبي ﷺ أرسـل الى (زرعة ذي يزن) إذا أتاكم رسلي فـأوصيكم فيهم خيراً ، (معـاذ بن جبل) و(عبـد الله بن زيـد) و(مـالـك بن عبـاد) و (عقبـة بن نمـر) و(مـالـك بن مـرارة) وأصحابهم ، وإن أجمعوا ما عندكم من الصدقة من مخـاليفكم وأبلغوهـا إليَّ ، وإنَّ آمركم معاذ بن جبل فلا ينقلبنّ إلا راضياً .

أما بعد فإنّ محمد يشهد أن لا إله إلا الله وانـه عبده ورسـوله ، ثم إنّ مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني انك اسلمت من أول حمير وقتلت المشركـين

---

(٤) هـذا الشمول إما لنفوذ الحميـريين يـوم ذاك الى همدان أو لتحـالف بين حمـير وهمدان اعـطى الحميريين اللقب المذكور .

فأبشر ، وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا فإنّ رسول الله ﷺ هو مولى غنيكّم وفقيركم ، وإنّ الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيتـه ، إنما هي زكـاة يزكـي بها على المسلمين وإبن السبيـل ، وإنّ (مالكـاً) يعني (مالكاًبن مرارة الرهاوي) قد بلّغ الخبر ، وحفظ الغيب وآمركم به خيراً فإنـه منظور اليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

والرسل الذين بعثهم الرسولالكريم الى اليمن هم : (معاذ بن جبل) (وكان من خيرة شباب الأنصار) على رأس مجموعـة من الصحابـةمن بينهم : (عبد الله بن زيد) و(مالك بن عبادة) و(عقبة بن نمر) و(مالك بن مرارة) آنفي الذكر لتعليم الناس وتفقيههم ، ولجمع الزكاة من المسلمين ، والجزية من اليهود والمسيحيين ، وحمّل الرسول الكريم (معاذاً) خطابين احدهما الى بني (عبد كلال) يقرهم فيه على ما تحت نفوذهم في اليمن ، ويطلب اليهم تنفيذ احكام الإسلام ، والثاني الى (زرعة بن عامر بن ذي يزن) يوصيه خيراً برسله الذين بعثهم الى اليمن ، وهم معاذ بن جبل ورفاقـه المذكورون ، في الكتاب المذكور قبل هذا .

وروي أنّ الرسولالكريم قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن : « بم تحكم يا معاذ ؟ فقال : بكتاب الله ، فقال لـه الرسـول : فإن لم تجـد ؟ فقال : بسنـة رسول الله ، فقال له : فإن لم تجد ؟ قال معاذ : اجتهد رأيي ، فقال الرسول الكريم : الحمد لله الذي وفّق رسول رسوله على الهدى » . ثم(٥) أوصاه بتقوى الله وأداء الأمانة وتوقي الخيانة ومجالسة المساكين والفقراء ، وأن يكون للأرملة كالزوج الصالح ، ولليتيم كالأب الرحيم ، وان يعلم الجاهل الخَيْر ، ويأمـر بالمعروف ، وينهي عن المنكر ، وأن يصبر على البلاء ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وأن ييسر ولا يعسر ، ويبشر ولا ينفر .

ومما قاله الرسول الكريم لمعاذ : « وقد بعثتـك الى قوم رقيقـة قلوبهم ، فقـاتل بمن أطـاعك من عصـاك ، واذا قدمت عليهم فـزيّن الإسلام بعـدلك

---

(٥) اليمن في ظل الإسلام ص ٢٩ .

وحلمك وصفحك وعفوك » .

والراجح أنّ تولية معاذ كانت عامة في اليمن ، بدليل انه لما قدم على بعض ولاة اليمن لتفقد المنطقة عرض عليه واليها رجلاً ارتدّ عن الاسلام ، فاستتابه معاذ فلم يتب فأمر بضرب عنقه ، وضربت قبل أن ينزل من على راحلته .

ولما قدم(٦) (معاذ) على صعدة أول مقدمه من المدينة الى اليمن أمر أهلها ببناء مسجد لهم ثم ودعهم وانصرف الى صنعاء ، ولما قدم اليها اجتمع بأهلها وألقى عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، وقبل أن يغادر صنعاء أمر أهلها ببناء جامع لهم في بستان (باذان) وهو الجامع الكبير المعروف ، (ومن المعروف انه قد زيدت في الجامع المذكور عدة زيادات ومنها زيادة الوليد بن عبد الملك وزيادة الأمير محمد بن يعفر الحوالي وزيادة الملكة اروى بنت أحمد الصليحي من الجهة الشرقية من الجامع مما سيذكر في موضعه) ، ولما قدم معاذ الى الجند في أواخر جمادي الأولى اوائل رجب بنى فيه مسجده المعروف وقبل الزيادات التي أُلحقت به ، وبعد اكماله اقيمت فيه صلاة الجمعة والتي صادفت أول جمعة من شهر رجب ، وقد فرح الناس واستبشروا بأن أعزهم الله بالإسلام وحررهم من الكفر والشرك ، لذلك اتخذ أهل اليمن الجمعة الأولى من كل شهر رجب عيداً لهم ، والف الناس اتيان جامع الجند في أول جمعة من شهر رجب للصلاة والذكرى .

ولقد(٧) كانت (بكيل) من (همدان) من أولى القبائل اليمنية إسلاماً ، ذلك أنّ رسول الله ﷺ كان في مكة قبل الهجرة يعرض نفسه على القبائل العربية الوافدة في مواسم اسواق (المجنة) و(عكاظ) و(ذي المجاز) يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلّغ رسالة ربه ، فقال (قيس بن مالك بن سعد بن لؤي)

---

(٦) نفس المصدر بتصرف ص (٣)..

(٧) تاريخ اليمن الإسلامي ص ٤٢ .

من بني سفيان بن عليّان بن أرحب للرسول الكريم : « أتيتك لأؤمن بك وأنصرك » فقال الرسول الكريم : « مرحباً بك ، أتأخذوني بما فيَّ يا معشر همدان » قال : « نعم بأبي وأنت وأمي » قال الرسول : « فاذهب الى قومك ، فاذا فعلوا فارجع فأذهب معك » ، وعاد قيس الى قومه فأسلموا ، ثم جاء الى الرسول وقال له : « قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك » فقال الرسول : « نِعْمَ وفد القوم قيس ، وفيت وفي الله بك » ومسح ناصيته ، وكتب عهده على قومه (همدان) احمورها وعربها وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا ، وأن لهم ذمة الله ورسوله ، ما اقاموا الصلاة وأتوا الزكاة ، وأطعمه ثلاثمائة فرق ، من خيوان مائتين زبيب وذرة نصفين ، ومن عمران مائة فرق ، جاريةً ابداً من مال الله ، ثم هاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة بوحي اوحاه اليه .

ثم قدم(٨) وفد همدان الكبير بعد الهجرة يضم خيارهم، وكان مؤلفاً من مائة وعشرين رجلاً منهم (ذو المشعار أبو ثور مالك بن سمط) و(مالك بن ايفع) و(عميرة بن مالك الخارفي) يؤكدون انتشار الاسلام في مخلاف (خارف) و(يام) و(شاكر) ، فأطعمهم الرسول ارضه وثماره وكان قدوم الوفد المذكور على رسول الله لدى مرجعه من تبوك ، وعليهم مقطعات الحِبْرات والعمائم العدنيّة برحال (مهرية) و(ارحبية) ، وقد قام (مالك بن نمط) بين

---

(٨) نفس المصدر والصفحة ، (الحيرات) هي الثياب اليمانية من قطن أو كتان مخطط واحدها حبرة ، (المهرية) هي نجائب الخيل المنسوبة الى (مهرة) وما يزال استعمال كلمة (مهر) و (مهرة) في الخيل الذكر والأنثى الى اليوم ، و(الأرحبية) نسبة الى ارحب . (الأنصية) الأخيار والأشراف ، (القلص) جمع قلوص وهو الفتى من الإبل ، (نواج) جمع ناجية بمعنى السريعة (لأنها تنجو بصاحبها) . (أهل السود والقود) أهل الإبل والخيل ، (لعلع) اسم جبل ، (اليعفور) الضبي ، (الضلع) القوة والشدة . (الأبدال) الأولياء (الأوتاد) الرؤساء ، (الفراع والوحاط والعزاز من الأرض) أعاليها ومنخفضها وأطرافها (العلاف) ما تعلفه الدواب ، (العافي) النبات الكثير الدفيء ، (الصرام) قطع النخل والمراد الزكاة ، (الثلب) الجمل الذي تكسرت انيابه من الهرم ، (الناب) الهرمة من الإناث (الفصيل) الصغير من الإبل ، (الفارض) المسن والهرم ، (الداجن) الحلوبة الملازمة للإنسان ، (الصالغ) البقر والغنم الذي كبر سنه ، (القادح) من الخيل في السنة الخامسة .

يدي رسول الله ﷺ فقال : « يا رسول الله أنصية من همدان من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مخلاف (خارف) و(يام) و(شاكر) أهل السَّود والقود ، أجابوا دعوة الرسول ﷺ وفارقوا آلهة الأنصاب ، عهدهم لا ينقض ، ما أقامت(لعلع) وما جرى اليعفور بـ (ضلع) ، فقال الرسول الكريم : « نعم الحي همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد ، ومنهم أبدال ، وفيهم أوتاد الإسلام » .

ثم كتب لهم كتاباً جاء فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف ، وأهل خارف الهضب ، وحقاف الرمل ، مع وافدها (ذي المشعار مالك بن نمط) ، ومن أسلم من قومه ، على أنَّ لهم فراعها ووهاطها وغرازها ، يأكلون علافها ، ويرعون عافيها ، لنا منهم من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحموري ، وعليهم الصالغ والقارح ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسول الله عليه السلام وشاهدهم المهاجرون والأنصار) .

ثم بعث الرسول الكريم بعد حجة الوداع (علي بن أبي طالب) الى اليمن ومعه (بردة الأسلمي) و(البراء بن عازب) فوصل (علي بن أبي طالب) الى صنعاء واستدعى ممثلي همدان فجاءته جموعهم ، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ، فأسلموا ، فكتب للرسول يعلمه بذلك ، وروي انه سجد لله شكراً ، وقال (سلام على همدان) ثلاثاً ، وقدم (علي) بعد ذلك الى الرسول مع العديد من وفودهم ، ووافى الرسول في حجة الوداع .

وفي(٩) عام عشرة للهجرة والذي عُرف بعام الوفود تواردت الى المدينة وفود اليمن وغيره تعلن اسلامها واسلام من وراءها ، وتعود من عند رسول الله ومعها المرشدون والمعلمون من الصحابة لتفقيه الناس وارشادهم وتعليمهم امور

---

(٩) تأريخ اليمن الإسلامي من ص ١٠ .

دينهم ، وأخذ الزكاة من الأغنياء وصرفها في مصارفها الشرعية ، وكانت وفود اليمن اكثر عدداً لتعدد قبائلها ، ولأن اليمنيين أسلموا جميعهم في عهد الرسول الكريم ، ومن تلك الوفود اليمانية وفد (الأشعريين) من رِمَع وتهامة وفيهم (أبو موسى الأشعري) وأخواه (أبو بردة) و (أبو رهم) ، وكانت وفادتهم في السنة العاشرة للهجرة ، وقد صادفوا رسول الله وهو في (خيبر) فأسهم لهم الرسول من الغنيمة ولم يسهم لغيرهم ممن حضر القسمة ولم يحضر الوقعة ، وقد قال الرسول الكريم مخاطباً الصحابة عند قدوم وفد الأشعريين : « أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق افئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية » .

ومنها وفد (حمير) برئاسة (مالك بن مرارة الرهاوي) والذي قدم الى المدينة سنة تسع للهجرة موفداً من قبل (زرعة بن عامر بن سيف بن ذي يزن) ورؤساء حمير كما سبق قبل هذا .

ووفد (مراد) يتقدمها (فروة بن مسيك المرادي) وقد بايع الرسول وتعلم القرآن وفرائض الاسلام وشرائعه ، وأجازهُ الرسول باثني عشر اوقية (لعلها من الذهب) وأعطاه حلةً من نسيج (عُمَان) واستعمله على (مراد) و(زُبَيد) (بضم الزاي وفتح الباء) و(مذحج) ، وبعث معه (خالد بن سعيد ابن العاص) على الصدقات ، كما كتب له كتاباً بيَّن فيه فرائض الزكاة ، وكان الرسول قد قال لفروة بن مسيك عند مقدمه اليه : « يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم ؟ فقال : يا رسول الله : « من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الرزم ولا يسوؤه ذلك ؟ فقال الرسول : « أما إنَّ ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً » ويوم الرزم معروف كانت فيه حرب بين (همدان) و(مراد) أخرجت فيه همدان (مراداً) من ارض الجوف الى حيث تقيم اليوم فيما يعرف ببلاد مراد (الجوبة) وغيرها .

ومن (زُبَيد) قدم الى الرسول الكريم (عمرو بن معديكرب الزبيدي) (بضم الزاي وفتح الباء) أيضاً ، يتقدم مجموعة من قومه وأسلموا جميعاً ، ومن (مذحج) قدم وفد (عنس مذحج) وأعلنوا اسلامهم جميعاً وكان منهم رجل

يدعى (ربيعة) لعله (زعيمهم) ، تناول عشاءه مع رسول الله واعلن إسلامه ، فقال له الرسول الكريم : « أراغباً جئت أم راهباً ؟ » فقال : « أمّا الرغبة فوالله ما في يديك مال ، وأمّا الرهبة فوالله إني لببلدٍ ما تبلغه جيوشك ، ولكني خُوّفت (أي من الله) فخفت ، وقيل لي آمن بالله فآمنت » .

وقدم وفد (الرهاويين) من (مذحج) أيضاً وعددهم خمسة عشر رجلاً ، وأهدوا لرسول الله هدايا منها فرس يقال له المرواح واجرى بين يدي الرسول فأعجبه وتحدث اليهم الرسول طويلاً ، فأسلموا وتعلموا الفرائض وأجازهم الرسول الكريم كما يجيز الوفود (أرفعهم اثنا عشر اوقية وأخفضهم خمس أواق) ثم عادوا الى بلدهم .

وقدم وفد (النخع) من مذحج أيضاً .

ومن (كندة) وفد (الأشعث بن قيس الكندي) في ثمانين راكباً وهم في احسن زينة واجمل لباس ، وأجازهم الرسول عند عزمهم على العودة بعشر أواق لكل فارس وأجاز الأشعث باثني عشر أوقية .

كذلك[10] قدمت (تجيب) (بطن من كندة) في ثلاثةعشر رجلا ، ومعهم صدقات أموالهم ، فُسُرَّ بهم الرسول ورحب بهم واكرم منزلتهم وأعطاهم أكثر مما يجيز به .

وقدم مع وفد (كندة) الى المدينة (بنو ربيعة) من ملوك (حضرموت) فأسلموا .

ووفدت (الصُّدُف) من بلاد حضرموت في بضعة عشر رجلاً ، فجلسوا في مسجد رسول الله ﷺ ولم يسلّموا ، فقال لهم الرسول الكريم : « أمسلمون أنتم ؟ فقالوا : « نعم ، فقال لهم : « أفلا سلّمتم ؟ » فقالوا : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » فقال : « وعليكم السلام اجلسوا » فجلسوا

---

(١٠) الدكتور نزارعبداللطيف الحديثي في كتاب (أهل اليمن في صدر الاسلام) من صفحة ١٠١ .

وسألوا الرسول عن أوقات الصلاة ، فأخبرهم .

ومن (حضرموت) قدم الى الرسول الكريم (وائل بن حجر) قَيْل حضرموت وملكها ، وقد بشّر النبيُّ اصحابه بقدومه قبل أن يصل بأيام بأن قال : « يأتيكم (وائل بن حجر) من أرض بعيدة من (حضرموت) طائعاً راغباً ، وعند منصرفه من المدينة كتب الرسول معه كتاباً جاء فيه : « هذا كتاب من محمد النبي لـ (وائل بن حجر) قيل حضرموت انك اسلمت ، وجعلت لك ما في يدك من الأرضين والحصون وأن يُؤْخَذ من كل عشرة واحداً ، ينظر في ذلك ذو عدل ، وجعلت لك ألا تظلم فيها ما قام الدين ، والنبي عليه الصلاة والسلام عليه أنصار » وكان الرسول قبيل مقدم (وائل بن حجر) قد أمر معاوية بأن يستقبله وأن ينزله في منزل أُعدَّ له بالحرة في ظاهر المدينة ، وأمر بأن يُنادى في الناس ليجتمعوا تعبيراً عن ابتهاجهم بمقدمه ، وأن يستقبلوه .

واكمل (ابن سعد) في الطبقات)[11] القصة فذكر أنَّ معاوية لما قام بمرافقته الى الحرة مشى (معاوية) و(وائل) راكب ، فقال معاوية مخاطباً له : « الق إليَّ نعلك أتوقَّ بها من الحر » فقال له وائل : « لا يبلغ أهل اليمن أنَّ سوقة لبس نعل ملك » فقال له معاوية : « اردفني » فقال له وائل : « لست من أرداف الملوك ، ولكن ان شئت قصرتُ ناقتي فسِرت في ظلها فأتى معاوية النبي وأخبره بما دار بينه وبين وائل ، فقال النبي ﷺ :«إنّ فيه لعُبيَّة من عبيّة الجاهلية » .

ومن (حضرموت) جاء ايضاً الى الرسول الكريم (طارق بن سويد الحضرمي) وسأل الرسول عن أعناب بأرضهم يعصرونها ويشربونها شفاء بها ، فقال النبي : « ليس ذلك شفاء ولكنه داء » .

وبالمثل سأل (أبو وهب الجيشاني) رسول الله ﷺ حينما قدم عليه على رأس وفد جيشان عن أشربة لهم ، وسمّوا النبيذ من العسل ، والمزر من الشعير يسكر اذا اكثرها من شربها فقال الرسول : « حرام قليله ما اسكر كثيره » وقال

(١١) الجزء الأول صفحة ٢٨٧ .

الرسول الكريم : « كل مسكر حرام » .

ومن (مهرة) قدم وفد برئاسة (مهري بن الأبيض) فأسلموا على يد رسول الله ﷺ ، وكتب لهم : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا الكتاب من محمد رسول الله لمهري بن الأبيض على من آمن به من مهرة ، وعليهم إقامة شعائر الاسلام ، فمن بدّل فقد حارب ، ومن آمن به فله ذمة الله وذمة رسوله) .

أمّا (نجران) فكان فيها المسيحيون والمشركون ، ولذلك اختلفت سياسة الرسول إزاءهم ، فأمّا نصارى نجران فإنهم وفدوا على رسول الله في أربعة عشر رجلاً ، وفيهم (العاقب) أمير القوم وصاحب رأيهم ومشورتهم ، و(السيد) صاحب رحلهم ومجتمعهم ، و(الأسقف) (أبو الحارث) صاحب مدارسهم، وقبل الرسول الكريم بقاءهم على دينهم نظير دفعهم الجزية .

ويظهر[١٢] من الصلح الذي عقده الرسول مع نصارى نجران انه اعترف لهم بمكانة خاصة اقرب الى حالة الاستقلال الذاتي ، بدليل انه ترك لهم حاصلهم الزراعي والمعدني والصناعي والتجاري ، وترك لهم الرقيق ، واعترف لهم بادارة شؤون نجران وحاشيتهم ، وأمنّهم على اموالهم وأنفسهم ، واعترف لهم بحق ممارسة دياناتهم ، وأعفاهم من كل دم الجاهلية ، لا يحشرون ولا يعشرون ولا تطأ أرضهم خيل .

وبالمقابل فقد اشترط عليهم الرسول الكريم الفي حُلة تُدفع على وجبتين ، الأولى في رجب ، والثانية في صفر ، ومع كل حلة أوقية من الفضة ، ومؤونة رسل النبي ، ومتعتهم لغاية عشرين يوماً ، وفي حالة تعرض المسلمين لكيد أو تمرد باليمن فعلى أهل نجران اعانتهم بثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً ، ومنع الرباء ، وأنّ الصلح مرهون ببقاء أهل نجران ناصحين صالحين ، وأنّ الصلح مؤقت حتى يأتي الله بأمره ، وكأنّ الرسول الكريم بالفقرة الأخيرة قد هيّأ لمن بعده لإخراجهم من نجران ومن الجزيرة العربية وهو ما فعله (عمر) .

(١٢) د . نزار عبد اللطيف الحديثي في (أهل اليمن في صدر الإسلام) ص ١٠٣ .

وأمّا المشركون من أهل (نجران) فإن رسول الله ﷺ أرسل اليهم (خالد بن الوليد) يدعوهم الى الاسلام باعذار ثلاثة أيام أو القتال ، فأسلموا دون قتال ، وبقي (خالد بن الوليد) بينهم فترةً يعلمهم الدين ، ثم قدم بوفدهم من (بني عبد المدان بن الحارث بن كعب) وفيهم (ذو الغصة قيس بن الحصين بن يزيد) على رسول الله ، وأقرّوا جميعهم أمام الرسول بالإسلام ، فعينّ عليهم (قيس بن الحصين) أميراً ، وأجازه باثني عشر اوقية ، والباقين بعشر أواق لكل منهم ، وبعث معهم (عمرو بن حزم الأنصاري) يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ، ويبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويأخذ الحق كما أمر به الله ، وينهى عن المعاصي ، ولا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر و(بأي مادة كتب بها) من جريد نخل أو غيره) ويخبر الناس بالذي لهم وبالذي عليهم ، ويشتدّ على الناس في منع الظلم ، ويلين للناس في الحق ، فإنّ الله كره الظلم ونهى عنه ، ويعلمهم الفرائض ، ويجبي الزكاة من المسلمين والجزية من الذميين ويصرفها في مصارفها الشرعية .

وكان وفد نجران طوال القامة كثيفي اللحى ولّما رآهم الرسول قال : « من هؤلاء الذين هم كرجال الهند ؟ » .

كما وفدت على الرسول الكريم وفود (ازد السراة اليمنيين المنتقلين الى (غافق) و(ثمالة) و(غامد) في شمال الجزيرة العربية) وأعلنوا اسلامهم ، وبايعوا الرسول عن قومهم .

أمّا وفادات العشائر التي تمثل نفسها فقط وكذلك الوفادات الفردية فكثيرة ولا مجال هنا لحصرها ، ومنها وفادة (الأبيض بن حمال بن مرثد) من بني عوف بن عدي ، و(ابرهة بن شرحبيل بن ابرهة الأصبحي) ، و(عبد الله بن عامر) من بني معمر من وادعة حاشد ، و(ضمام بن زيد بن خارف) و(أبو رهم بن مطعم بن المعمر) من أرحب وغيرهم كثيرون ، وقد أقطع الرسول (الأبيض بن حمال) ملح مأرب ، فقال الأقرع بن حابس لرسول الله : « وردتُ هذا الملح في الجاهلية وانه مثل الماء العذب من ورد منه أخذ منه »

فاستقال الرسول (الأبيض) فقال الأبيض لرسول الله : « قد اقلتك يا رسول الله على أن تجعله صدقة مني » (والأبيض بن حمال هوجد (بني الكرندي) ملوك المعافر الذين اقتطعوها من امارة (آل زياد) وكانوا نواباً لهم عليها كما سنعرف في موضعه من هذا الكتاب .

ولم يتأخر عنصر (الأبناء الفرس المولودين) في اليمن عن تلبية نداء الإسلام والدخول فيه ، وإن لم يكونوا من السابقين اليه ، فقد ذكرت المصادر عن اسلام كبيرهم (باذان بن التيجان) عامل الفرس على صنعاء في قصة ملخصها : (إن كسرى لما وصلته دعوة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والتسليم له للدخول في الإسلام عام سبعة للهجرة كلف كسرى عامله على اليمن (باذان) المذكور بأن يبعث برجلين جلدين الى الحجاز ليأتياه بخبر الرسول ، فأنفذهما باذان ومعهما خطاب منه سلماه الى الرسول ، فأمرهما بالانتظار حتى الغد ، وفي الغد أتيا الرسول فأنبأهما بأن (كسرى) قد قتل على يد ابنه (شيرويه) في تلك الليلة ليلة الثلاثاء من جمادي الأولى عام سبعة للهجرة ، فرجعا الى باذان وأبلغاه بما أخبر به الرسول ، ولما تحقق لباذان الخبر وتبينّ صدقه أسلم وأسلم معه الأبناء ، وأقره الرسول على عمله في اليمن ، وما زال كذلك الى موته سنة عشر للهجرة ، هذا وقد[١٣] صدقت الرواية الساسانية الفارسية بأن (كسرى) قتل في عام (٦٢٨ م) وهي توافق عام سبعة للهجرة .

ومن[١٤] الأبناء السابقين في الإسلام (عبد الرحمن بن بزرج) امام أهل صنعاء في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق) ، وكذلك اخته (ام سعد ابنة بزرج) زوجة (داذويه) اذ أسلما وغيرهما على يد (وبر بن يُحَنّس) الذي بعثه الرسول الكريم مع (أبان بن سعيد بن العاص) الى صنعاء .

ولقد كان الرسول الكريم يستقبل الوفود جماعات وفرادى في مسجده

---

(١٣) الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ٢٥ .
(١٤) تأريخ صنعاء للرازي (الطبعة الثانية) ص ١٩٤ .

بالمدينة ويرحب بهم ويقطعهم الأرض في بلدانهم ، ويقرهم على ما في أيديهم وتحت نفوذهم ، ويكتب العهود في ذلك ، كما يقابل كبراءهم بما يستحقونه من الإجلال والاعزاز ، ويدني بعضهم منه ويفرش له رداءه مبالغة منه في اكرامهم واحترامهم ، ومن هؤلاء (الأبيض بن حمال) آنف الذكر ، و(الحارث بن عبد كلال الحميري) و(ابرهة بن شرحبيل) و(جرير بن عبد الله البجلي) و(وائل ابن حجر الحضرمي) وقد وفد جميعهم كما عرفنا وعلى فترات مختلفة .

وهكذا لبّى اليمنيون نداء الإسلام طواعيةً ودون حرب او اكراه ، هيّأهم لذلك نضج عقولهم وسلامة ادراكهم ومعرفتهم واعتناقهم لدين الله اليهودية فدين الله المسيحية وكانا دين الله الواحد قبل تحريفهما من أتباعهما ، ودين الله واحد في اصوله ومقاصده ، وللخروج من وثنية الفرس الذين جاء الإسلام واليمن يرزح تحت حكمهم ، وللخروج ايضاً من تناحر وتقاتل مختلف الزعامات اليمنية التي كانت قائمة عند مبعث الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم .

ولقد حسم الاسلام كل تلك النزاعات ، ووضع حداً للفوضى ، ووحّد اليمن في ظل رايته .

كما لبى اليمنيون نداء الجهاد في عهد الخليفة (أبي بكر) وأمير المؤمنين (عمر) في سبيل نشر الإسلام بل وفي عهد الدولة الأموية فالعباسية كما سنعلم في مواضعه .

عمال اليمن في عهد الرسول الكريم
(٦ - ١٠ هـ - ٦١٥ - ٦١٩ م)

لّما توفي (باذان) عامل اليمن وذلك في السنة العاشرة للهجرة ، قسم الرسول الكريم اليمن الى ثلاث ولايات :

ولاية صنعاء وأعمالها وأسندها الى (شهر بن باذان) .

وولاية الجند وأعماله وأسندها الى (معاذ بن جبل) وأعطي مع ذلك

صلاحية عامة في عموم اليمن ، لعلمه وفقهه وورعه .

وولاية حضرموت وأعمالها وأسندها الى (المهاجر بن أمية المخزومي) ولكنه مرض في المدينة قبل أن يسافر الى حضرموت ،فأمر الرسول (زياد بن لبيد البياضي) عامل فرع (كندة) من بلاد حضرموت بالقيام بأعماله .

ولمّا ثار (عبهلة بن كعب بن عوف العنسي) المعروف بالأسود العنسي من بلاد (خب) شرقي الجوف استولى على (حضرموت) و(صنعاء) وقتل (شهر ابن باذان) ولما قتل بعث الرسول الكريم الى صنعاء عاملاً عليها (ابان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس) وأمره بأن يبني في صنعاء جامعاً في بستان باذان وأن يجعل قبلته الى جبل ضِينْ في ضاحية صنعاء الشمالية ، فبناه هو أو (وبر بن يحنس) الذي رافقه الى اليمن أو (فروة بن مسيك المرادي) أو (معاذ ابن جبل) كما سبق وعلى اختلاف في الروايات ،ويرى الرازي في كتابه (تأريخ صنعاء)[١٥] أنّ الراجح أنّ بانيه هو (فروة بن مسيك المرادي) وبنى مع ذلك مسجده الذي عرف بمسجد فروة خلف الجبانة ، ويروى أنَّ معاذاً باشر بناء جامع صنعاء ، ثم أناب عنه فروة لإكماله وغادر صنعاء إلى الجند .

هـذا وثمة ولاة للفروع في اليمن غير هؤلاء وهم : (عمرو بن حزم الأنصاري) على نجران ، و(خالد بن سعيد بن العاص) على ما بين نجران وزبيد ، و(عامر بن شهر) على همدان و(الطاهر بن أبي هالة) على الأشاعر وعك ، و(أبو موسى الأشعري) ، على مأرب ، و(زياد بن لبيد البياضي) على كندة ، و(عكاشة بن ثور) على السكاسك (بلاد الجند) والسكون (بلاد ماوية) و(فروة بن مسيك) على مراد .

حركة عبهلة بن كعب

لمّا ثار (عبهلة بن كعب بن عوف العنسي) من بلدهِ في (خب) شرق

(١٥) ص ٥١٩ وأضاف بأن الزيادات التي أُلحقت بالجامع وهو جامع صنعاء الكبير المعروف اليوم زيادة (ايوب بن يحيى الثقفي) عامل الوليد بن عبد الملك وبأمره ، وكانت تلك الزيادة في جهة القبلة ، وزيادة اخرى للأمير (محمد بن يعفر الحوالي) لعلها في الجهة الشرقية كما بنى منارتي الجامع الأمير (وردسار) في عهد الأيوبين) .

الجوف في العام العاشر للهجرة ، تقدم بجموعه الى (نجران) وأخرج عاملها (عمرو بن حزم الأنصاري) منها ، كما تقدم من اتباعه (قيس بن عبد يغوث ابن مكشوح المرادي) في جموعه الى (مراد) وأخرج منها عاملها (فروة بن مسيك المرادي) ، ثم واصل (عبهلة) تقدمه الى صنعاء وقتل عاملها (شهر ابن باذان) واستولى عليها في معركة قامت بين الجانبين في شعوب الضاحية الغربية لصنعاء وتزّوج (عبهلةُ) بأرملة (شهر بن باذان) ، واستقر في صنعاء وولى (عمرو بن معديكرب) الزُّبيدي على (مذحج) و(قيس بن مكشوح) على (الجند) ، وبذلك استفحل أمر عبهلة وعظم خطره ، أمّا الرسول الكريم فإنه ازاء حركة عبهلة وخروجه على الدولة الإسلامية راسل اقيال اليمن وأذواءه يأمرهم بقتال عبهلة والقضاء على حركته ، وقامت حركة معارضة قوية لعبهلة تزعمها (ذو الكلاع الحميري) و(عامر بن شهر الهمداني) وغيرهما كما انضم الى[١٦] المعارضة (قيس بن عبد يغوث بن مكشوح المرادي) بعد ان سمع كتاب الرسول الكريم ، واستطاع هذا بالتعاون مع زوجة (عبهلة) ارملة شهر ابن باذان أن يقتل عبهلة في مخدع نومه ، وكان ذلك آخر عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه . وبذلك انتهت حركة عبهلة في اليمن ، وقد اسند الرسول الكريم ولاية صنعاء بعد مقتل (عبهلة) الى (أبان بن سعيد بن العاص) خلفاً لـ (شهر بن باذان) .

ولكنه تجددت حركة تمرد جديدة تزعمها (قيس بن مكشوح المرادي) وذلك في بداية عهد الخليفة الأول (أبي بكر الصديق) ، ساند (قيساً) كل من (الأشعث بن قيس الكندي) و(عمرو بن معديكرب الزُّبيدي) كما حدثت ردة وتمرد في بعض المناطق اليمنية في بداية عهد ابي بكر وفي غير اليمن ، واجهها (أبو بكر جميعها بعمق إيمانه وقوة شكيمته حتى قضى عليها جميعها كما سنعلم بعد هذا)

---

(١٦) تاريخ صنعاء المذكور ص ٧٣ .

اليمن في عهد الخلفاء الأربعة وحكاية الردة في اليمن
(١١ - ٤٠ هـ)
(٦٢٠ - ٦٦١ م)

لما استُخلف (أبو بكر الصديق) بعد وفاة الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم أقر عمال الرسول على اليمن .

ولكنه انتفضت في بداية عهد ابي بكر كثير من الأقطار الإسلامية ومنها (اليمن) حيث انتفضت بعض المناطق،أجمل ذلك الخزرجي في بداية الفصل الثالث من كتابه (العسجد السبوك) بقوله : « لما توفي رسول الله ﷺ ارتد بعض أهل حضرموت وقوم من أهل صنعاء وطائفة من أهل تهامة ، وكان عمال رسول الله يومئذٍ (أبان بن سعيد بن العاص) على صنعاء وأعمالها ، و(معاذ بن جبل الأنصاري) على الجند ومخاليفها ، و(زياد بن لبيد البياضي) على حضرموت وأعمالها ، وقيل استعمل رسول الله ﷺ (المهاجر بن أُمية المخزومي) على كندة بحضرموت ، فمرض في المدينة فلم يطق الذهاب الى حضرموت ، فكتب رسول الله الى (زياد بن لبيد) ليقوم على عمل المهاجر ، فلما توفي رسول الله أقره أبو بكر على عمله ، وأمره بأن يقاتل المرتدين في اليمن ، مع بقاء عمال رسول الله ﷺ ، فسار المهاجر الى اليمن ، وسار معه عبد الرحمن بن العاص وجرير بن عبد الله البجلي ، فلما سار الى نجران انضم اليه (فروة بن مسيك المرادي) فيمن معه من مراد ، فقسم المهاجر خيله فرقتين ، فترك عنده فرقة ، وأرسل أخاه عبد الله بن أُمية في الفرقة الأخرى الى من ارتد من عك بتهامة ، ولما دخل المهاجر بن أُمية صنعاء كتب معاذ الى أبي بكر يستأذنه في القفول ، وكذا سائر العمال ، فكتب اليهم أبو بكر انّ رسول الله

ﷺ بعثكم لما بعثكم من أمره ، فمن كان منكم انفذ ما أمره بـه رسول الله ، وأحبّ أن يرجع فليرجع ويستخلف على عمله من أحب ، ومن أحب أن يقيم فليقم ، فاستخلف معاذ على عمله (عبد الله بن أبي ربيعـة المخزومي) والـد عمر بن أبي ربيعة (شاعر الغزل المشهـور) ، واستخلف (أبان بن سعيـد بن العاص على عمله (يعلي بن أمية التميمي) حليف بني نوفل بن عبد مناف ، فأقر أبو بكر رضي الله عنه (عبد الله بن ربيعة المخزومي) على الجند ومخاليفه وأقر (يعلي بن أمية) على صنعاء ومخاليفها » .

ولقد شمّر (أبو بكر) للقضاء على الفتنة في مهدها في كل بقعـة امتدت عدواها اليها ، مردداً قوله المأثور : « والله لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه » وممن حشد الخليفة أبو بكر الى اليمن للقضاء على حركات الردة والتمرد فيه : (المهاجر بن أمية المخزومي وغيره) كما عرفنا ووصل هذا بالفرقـة التي احتفظ بها لديه الى صنعاء ، ولما أطمأنّ الى استقامة أهلها ، كتب الى أبي بكر يعلمـه بذلك ، فأمره أبو بكر بالمسير بقوّاته الى حضرموت ، وانضم اليه (عكرمة بن أبي جهل) بجموعه وقصد (كندة) في بلاد حضرموت يستحثه كتاب (زياد بن لبيد البياضي) الـذي شرح لـه ما يجـري بينه وبـين المنتقضين من كنـدة وعلى رأسهم (الأشعث بن قيس الكندي) .

ولمّا علم الأشعث بوصول المهاجر على رأس جيشه لجأ مع كبار اتباعه في حصن (النُجَير) في بلاد كندة ، فحاصـرهم المهاجـر فيه حتى اضـطرهم الى التسليم ، وقتـل وأسر الكثير منهم إلا الأشعث بن قيس فإنه طلب الأمان لنفسه ولتسعة من أتباعه فأعطاهم المهاجر الأمان ، ولما تم للأشعث الحصول على ما طلب قام أحد المحاصرين في الحصن المذكور (معدان بن الأسود) وطلب من الأشعث أن يدخله في عداد من شملهم الأمان ، فلم يسع المهاجر إلا أن يضع اسم (معدان) مكان اسمه ، أو ان الأشعث نسي ان يضع اسمه في القائمة على اختلاف في الروايات .

فقبض عليه (المهاجر) وارسله الى أبي بكر الذي عاتبـه أو حاكمـه كما تذكر بعض الروايات .

كما أرسل (المهاجر) كلا من (قيس بن مكشوح المرادي) و(عمرو بن معديكرب الزبيدي) من كبار المنتقضين الى الخليفة (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه فعاتبهما ثم عفى عنهما كذلك وردهما الى قومهما ، وكانا قد سلما انفسهما الى المهاجر بغير أمان وهو في نجران عقب وصوله اليها أول مقدمه الى اليمن .

ثم واصل المهاجر وغيره من الزعماء والقادة اليمنيين وغير اليمنيين جهادهم في المناطق التي انتقضت في اليمن حتى استأصلوا الفتنة واقتلعوها من جذورها ، كما تمّ ذلك في سائر الأقطار الاسلامية بفضل حزم الخليفة أبي بكر وعمق إيمانه وقوة شكيمته ،

ولقد عفى الخليفة (أبو بكر) عن الأشعث بن قيس وردّ عليه زوجته (أم فروة) أخت الخليفة أبو بكر ، التي كان قد تزّوجها (الأشعث) لدى مقدمه الأول في حياة الرسول الكريم ، وأسهم الأشعث بنصيب كبير في الفتوحات الاسلامية وأبلى فيها بلاء حسناً كما فعل ذلك غيره من زعماءوقادة اليمنيين ، مما هو معروف في كتب التأريخ الإسلامي ، ومن أولئك (عمرو بن معدى كرب الزُّبيدي) و(قيس بن عوف بن مكشوح المرادي) بعد أن أطلق (أبو بكر)سراحهما وغيرهما من الزعماء .

وبعودة الخارجين من اليمنيين الى حضيرةالإسلام عادت لليمن وحدته ، ولبى اليمنيون دعوة الخليفة أبي بكر التي وجهها اليهم عن طريق مبعوثه (أنس بن مالك) خادم وصاحب الرسول الكريم ، للإسهام في نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله ، وجاؤ وا الى أبي بكر بالذراري والأموال ، كما لبوا نداء الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) لنفس الغرض ، وأسهموا إسهاماً كبيراً في نشر الإسلام في مختلف انحاء المعمورة كما سنعلم .

وقد أشار (الدميري) في منظومته الى حادثة الوليمة التي اقامها (الأشعث بن قيس) حينما أعاد اليه الخليفة أبو بكر زوجته (أم فروة) فقال :

حادثة بالأشعث بن قيس قد ... سارت بها الأمثال ما لا ينتقد
لأنه أبدع في الوليمة ... إذ خصه الصديق بالكريمة

وابتـــاع فـيـهــا أنـعـم المــديـنــة جـمـيـعـهــا بـقـيـمـة ثـمـيـنــة
وأشـبـع الــوارد والــذي قــطن ولم يـكـن لــديـه مـن قبــل وطـن

هذا وهناك من الباحثين المعاصرين من يذهب الى ان حركة (عبهلة بن كعب) والتي بدأت في حياة الرسول الكريم ، ثم حركة (قيس بن مكشوح المرادي) التي تلتها والتي تعتبر امتداداً لها ومن ساند كلتا الحركتين وهم (الأشعث بن قيس الكندي) و(عمرو بن معدى كرب الزبيدي) و(معاوية بن قيس الجنبي) و(يزيد بن محرم) و(يزيد بن حصين الحارثي) و(يزيد بن الأفكل الأزدي) وغيرهم من الزعماء المتقضين ليست ردة عن الإسلام ، وإنما كانت :

١ ـ تعبيراً عن استياء اليمنيين من عودة الحكم الى الفرس والى الأبناء المولدين من الفرس ، وعلى رأسهم (باذان بن التيجان) وولده (شهر) في مطلع الإسلام الذي كان اليمنيون يطمعون منه ان يمكنهم من حكم أنفسهم كما فعل في كثير من الولايات الإسلامية الأخرى .

٢ ـ ومنعاً عن تسليم الزكاة الى الحكام من غير اليمنيين ، على اساس قيام الزعماء اليمنيين المتقضين بأخذها من اغنياء اليمنيين وردها الى فقرائهم عملاً بالحكم الشرعي الخاص بذلك .

ومن هؤلاء الدكتور (نزار عبد اللطيف الحديثي) في كتابه (أهل اليمن في صدر الإسلام)(١٧) حيث قال ما نصه : « اتضح من دراسة الحالة السياسية لليمن قبل الإسلام ان حركة (عبهلة) لم تكن في البداية موجهة نحو الإسلام ونحو سياسة الرسول ﷺ ، وإن الجماعات التي تزعمها كانت تخاصم الساسانيين الفرس وحلفائهم من همدان » .

كما دلّل غيره(١٨) على ما ذهبوا اليه بكتاب (عبهلة) الى (معاذ) عامل

---

(١٧) ص ١١٣ .

(١٨) تأريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٩ .

الرسول الكريم على الجند ، والذي جاء فيه قوله : « أيها المتوردون أمسكوا علينا ما أخذتم من ارضنا ووفروا ما جمعتم ، فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه » .

وبما جاء[١٩] في رسالة (قيس بن مكشوح المرادي) عند اضطلاعه بالحركة بعد مقتل (عبهلة بن كعب) الى (ذي الكلاع الحميري) وأصحابه وهوقوله : « ان الأبناء نزّاع في بلادكم وثقلاء عليكم ، وأن تتركوهم لن يزالوا عليكم ، وقد أرى ان اقتل رؤوسهم وأخرجهم من بلادنا » . وطلب (قيس بن مكشوح من (ذي الكلاع) مساندته ضد الأبناء ، ولكن ذا الكلاع رفض المساندة التي طلبها منه (قيس) وجاء في رده عليه قوله : « لسنا مما ها هنا في شيء أنت صاحبهم وهم أصحابك » .

وقد كانت رسالة (قيس بن مكشوح) الى (ذي الكلاع) كرد على[٢٠] رسالة الخليفة (أبي بكر) الى ذي الكلاع نفسه والتي جاء فيها قول (أبي بكر) « أعينوا الأبناء على من ناوأهم ، وحوطوهم وأسمعوا من فيروز وجدوا معه ، فإني قد وليته » .

وأورد الدكتور (جواد علي)[٢١] أن أبا بكر كاتب (عمير ذي مران) و(سميفع ذي الكلاع) وغيرهم يأمرهم بالتمسك بالإسلام وبمقاومة (قيس) والمرتدين فكاتب قيس تلك الفالّة « السيارة اللحجية » (انصار عبهلة بن كعب) الذين خرجوا من صنعاء بعد مقتله فصاروا يقطعون الطريق ويُصَعِّدون الجبال ويُصَوِّبون محاربين لجميع من خالفهم وأمرهم (قيس بن مكشوح) بأن يتعجلوا اليه ، ويكون امره وأمرهم واحداً ، وليجتمعوا على نفي الأبناء من اليمن » .

وأضاف الدكتور (جواد علي) قائلاً : « فاستجابوا له ودنوا من صنعاء ،

---

(١٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ١٩٣ .
(٢٠) الطبري ج ٣ ص ٥٣٦ .
(٢١) في المفصل ج ٤ ص ١٩٣ .

وعمد (قيس) الى الحيلة لقتل (فيروز) و(داذويه) و(جشيش) (وجميعهم من الأبنـاء) وتمكن (قيس) من(داذويه) فقتله ، فـأحسّ فيـروز وجشيش بالمكيدة فهربا الى (خولان) وهم اخوال فيروز ، وامتنع فيروز بأخواله ، وثار قيس في صنعاء » .

ويبدو أن (قيس بن مكشوح) انقلب ضد الأبناء بعد ان تعاون معهم في القضاء على (عبهلة بن كعب) لأنه لم يجد العون والسند اللذين كان ينتظرهما منهم لخلافة عبهلة في الحكم .

وقد أُقصى (قيس) أُسر الأبناء من اليمن بحراً ، حيث حملوا من عدن الى بلاد فارس وبراً أيضاً قائلاً للجميع : « الحقوا بأهلكم » ومهما تكن الغاية من حركة الزعماء اليمنيين في آخر عهد الرسـول الكريم عليـه افضل الصـلاة والتسليم وفي بداية عهد الخليفة الأول أبـو بكر الصـديق رضي الله عنه فقـد اعتبرت حركتهم خروجاً على الدولة الإسلامية ، وعلى وحـدة الإسلام ، كـما أُعتبرت حركة غيـرهم في غير اليمن كذلك .

ولذلك[٢٢] بعث الرسول الكريم في اخر حياته (وبر بن يحنس) وهو من الأبناء الى زعماء الابناء في اليمن (فيروز الـديلمي) و(داذويه الأصـطخري) و(جشيش الـديلمي) ، كـما بعث (جـريـر بن عبـد الله البجـلي) الى (ذي الكلاع الحميري) ، وبعث غيرهما الى كثير من زعماءاليمن الذين لم ينضموا الى حركة المتمردين يدعـوهم الى القضاء عـلى حركـة (عبهلة بن كعب) ، وقتل (كعب) في آخر عهد الرسول الكريم .

وأضاف الطبري[٢٣] في تأريخه فذكر انه لّما تمّ للمتآمـرين ذبح الأسود العنسي (عبهلة بن كعب) في مخدع نومه نادى (داذويه) أحد المتآمرين في الصباح بالشعار المتفق عليه مع انصارهم ، فأحاط بهم حراس عبهلة فألقي

---

(٢٢)الطبري في تأريخه ج ٣ ص ١٨٧ وص ٢٢٧ .
(٢٣) ج ٣ ص ٢٣٩ .

اليهم برأس عبهلة ، وتجمع الأنصار ، وبدأت مطاردة عجيبة خطف فيها الحراس عيال الأبناء ، ولجأ الأبناء وأنصارهم الى أَسْر الحراس ، ثم اتفق الطرفان على فكّ الرهائن والأسرى وخروج اتباع الأسود من صنعاء يترددون مصعدين مصوبين دون أن يظفروا بشيء ، حتى كاتبهم (قيس بن مكشوح) للانضمام اليه لمحاربة الابناء وطردهم من اليمن (وحراس عبهلة هم الذين عرفوا بالفالة السيارة اللحجية) كما أسلفنا .

وبدأ (قيس بن مكشوح) المرادي حركة تمرد جديدة في بداية عهد (أبي بكر) ساند قيساً فيها كل من (الأشعث بن قيس الكندي) ، و(عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي) وغيرهما ممن ذكروا آنفاً .

ولكن (أبا بكر) واجهها وغيرها من حركات التمرد في سائر الولايات الإسلامية برباطة جأشه وعمق إيمانه وقوة شكيمته حتى تمّ له القضاء عليها جميعها ، وقد ساعده في القضاء على حركات التمرد في اليمن كثير من اليمنيين الذين لم يوافقوا المتمردين على تمردهم ومنهم (السميفع ذي الكلاع الحميري) و(شهر بن عامر الهمداني) وغيرهما .

ومما[٢٤] جاء في خطاب (االسميفع ابن ناكور ذي الكلاع الحميري) لقومه حاثاً لهم على نصرة الحق قوله : « أيها الناس إن من رحمة الله إياكم ونعمته عليكم أن بعث فيكم نبياً ، أنزل عليه الكتاب ، فأحسن البلاغ وعلمكم ما يرشدكم ، ونهاكم عما يفسدكم حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ورغبّكم في الخير فيما لم تكونوا ترغبون ، وقد دعاكم أخوانكم الصالحون الى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم ، فلينفر من اراد النفر الساعة معي » .

وقامت معركة خارج صنعاء بين (ذي الكلاع) وقومه وبين (قيس بن مكشوح) المرادي واتباعه انتهت بهزيمة (قيس بن مكشوح) وتشرده مع اتباعه بين صنعاء ونجران .

وأضاف (الخزرجي) في تأريخه : ان قيس بن مكشوح وعمرو بن

(٢٤) تاريخ اليمن الإسلامي ص ٦٥ .

معدي كرب الزُبيدي أتيا الى (المهاجر بن أُمية المخزومي) (مبعوث الخليفة أبي بكر الى اليمن لإصلاح أهله) وسلّما نفسيهما بغير أمان ، فأوثقهما (المهاجـر) وبعث بهما الى أبي بكر ، فعاتبهما أبو بكر وحقن دمائهما واستبقاهما وردهما الى قومهما ، وحسن اسـلامهما بعـد ذلك وأسهـما مع غيـرهما من زعـماء اليمن في الفتوحات الاسلامية كما علمنا .

ومهما[٢٥] فشلت حركة (عبهلة بن كعب) وحركـة (قيس بن مكشوح المرادي) إلا انهما نجحتا في اضعاف مركز الأبناء الـذين بقوا في اليمن ، كـما تمكنت حركة (قيس) من ترحيل سواد الأبناء الى بلادهم (فارس) ، وافادت الحركتان في تعديل موقف الخلفاء الراشدين من الابناء فلم يولوهم بعدهمـا ، ووطدوا علاقتهم مع اقيال اليمن ، وكان الخليفة (أبو بكر) يتصل بهم في كل ملمة ، وصار اليمنيون هم السباقين الى نصرة الإسلام في عهده وفي عهد أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) ومن بعدهما كما سنرى .

ولم يعد لتولية الأبناء في اليمن إلا (معاوية بن أبي سفيان) حيث ولى على اليمن (فيروز الديلمي) ثم ابنـه (الضحاك بن فيـروز) ولكن معظم أقيـال اليمن وزعمائه كانوا قد استقروا في عدد من الأماكن خارج اليمن في الشام وفي العـراق وفي مصر وغيرهـا بعد فتحهـا ونشر الاسلام فيهـا . هذا ولعـل معـاوية قـدر لفيروز رده طلب عـامل عـلي في اليمن مسانـدته ضـد بسر بن ارطاة يقول فيروز : « ما عندنا قتال فأحزر لنفسك كما سيأتي » .

دور اليمنيين في الفتوحات الإسلامية

بدأ الإسلام ينتشر في اليمن منذ العام السادس للهجرة ، واتسع انتشاره في العامين التاسع والعاشر للهجرة .

وفي العام العاشر للهجرة وهو آخر أعـوام حياة الـرسول الكـريم كانت حركة (الأسود العنسي عبهلة بن كعب) في اليمن كما عرفنا ولكنه قُضي عليها

(٢٥) الأستـاذ علي بن عـلي صبرة في (الملحمـة الشعبية) التي نشـرها في مجلة (المصبـاح) العـدد السادس .

وفي حياة الرسول الكريم .

وفي العام الحادي عشر للهجرة حدثت حركة تمرد (قيس بن مكشوح) وعدد آخر من زعماء اليمن كما أسلفنا ، وحدثت حركات ردة وتمرد في غير اليمن وذلك في بداية عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، ولكنه لم ينته العام الحادي عشر للهجرة المذكور حتى كان قد قُضي عليها جميعها واستقر الإسلام في عموم انحاء الجزيرة العربية ، واتجه (أبو بكر) الى نشر الإسلام في الشام والعراق منفذاً ما كان قد عزم الرسول الكريم على تنفيذه كإحدى الخطوات الجادة في سبيل نشر الإسلام في الناس كافة .

وقد جمع (أبو بكر) الصحابة من المهاجرين والأنصار معلناً اليهم ما اعتزم ، ومما جاء في خطابه اليهم قوله[٢٦] : « إن الله فضلكم بالاسلام ، وجعلكم أُمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وزادكم إيماناً ويقيناً ، واعلموا ان رسول الله ﷺ كان عوّل ان يصرف همته الى الشام ، فقبضه الله اليه ، واختار له ما لديه ، ألا وإني عازم أن أوجه ابطال المسلمين بأهلهم وأموالهم فإن رسول الله ﷺ أنبأني بذلك قبل موته » .

فأستجاب الصحابة لنداء الخليفة وقالوا له : « مُر بأمرك ووجهنا حيث شئت » .

وقد دعا أبو بكر أهل اليمن للجهاد فيمن دعا اليه من غير اليمن .

وكان[٢٧] مبعوثه الى اليمن لهذه الغاية هو (أُنس بن مالك) الصحابي المشهور وخادم رسول الله ﷺ . ولقد كان (أُنس بن مالك) يقرأ على الناس في اليمن كتاب (أبي بكر) وكان نصه كالآتي :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من خليفة رسول الله ﷺ الى من قرىء عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن ، سلام عليكم ، وإني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد فإن الله تبارك وتعالى كتب على المسلمين

---

(٢٦) الواقدي في كتابه (فتوح الإسلام) ج ١ ص ٢ .

(٢٧) تأريخ اليمن الإسلامي ص ٦٤ .

الجهاد ، وأمرهم أن ينفروا فيه خفافاً وثقالاً ، فقال جل ثناؤه ﴿ **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ﴾ فالجهاد فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قِبَلنا من المسلمين الى جهاد الروم والشام ، وقد سارعوا الى ذلك وخرجوا وعسكروا وحسنت في ذلك نيتهم ، وعظمت حسنتهم ، فسارعوا عباد الله الى فريضة ربكم وسنة نبيكم ، وإلى إحدى الحسنيين ، إمّا الشهادة وإمّا الفتح والغنيمة ، إنَّ الله جل ذكره لم يرض من عباده بالقول دون العمل ، ولا يترك أهل عدوانه حتى يدينوا بالحق ، ويقروا بحكم كتاب الله أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، حفظ الله لكم دينكم ، وهدى قلوبكم ، وزكى أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين والسلام) .

وكان (أُنس بن مالك) يضيف الى ذلك قوله : « الحمد لله واشهد ألا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ ، أما بعد فإني رسول خليفة رسول الله اليكم ورسول المسلمين ، ألا وإني قد تركتهم معسكرين ليس يمنعهم عن الشخوص الى عدوهم إلا انتظاركم ، فتعجلوا الى اخوانكم بالنصر رحمة الله عليكم أيها المسلمون » .

وكان (أُنس) يَلْقَى هنا وهناك وبلا استثناء حسن الرد والقبول ، وليس فقط من جانب هؤلاء الذين ثبتوا على الإسلام ، وإنما أيضاً استجاب من سبق ان تمرّد وأناب ، وقدمت اليمن جموعها وذراريها .

وهنا قال(الواقدي) في تأريخه : « فما مرّت أيام حتى قدم (أُنس بن مالك) الى أبي بكر يبشره بقدوم القوم ، وقال له : « قد أتاك شعثاً غبراً أبطال اليمن وشجعانها ، وقد ساروا اليك بالذراري والأموال » ، فَسُرَّ أبو بكر بذلك ، وأقام يومه ، حتى اذا كان من غده وقد لاحت غبرة القوم ، ركب أبو بكر وأمر الناس بالركوب لاستقبالهم ، ولما أدرك اليمنيون أبا بكر ومن معه في استقبالهم رفعوا الألوية وأشرقت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضاً ، قوم في أثر قوم ، وقبيلة في أثر قبيلة ، وكانت أول قبيلة ظهرت قبيلة (حمير) وهم

بالدروع البيض والقسي العربية يتقدمهم (ذو الكلاع الحميري) ، ثم سائر القبائل كـ (مذحج) أهل الخيل العتاق والرماح يتقدمهم (قيس بن هبيرة المرادي) وغيرهم ، ونزل القوم حول المدينة ، وتزايدوا والخليفة لم يأمرهم بالمسير الى الشام ، مما أضرّ بهم ، ولا سيما مع قلة الزاد وعلف الخيل ، فأقبل رؤساؤهم الى (ابي بكر) وقالوا له ، انه قد تكامل جيشنا وفرغنا من أهلنا ، والمقام أضرّ بنا ، لأن بلدك ليس ببلد خف ولا حافر ، وليس فيه عيش لنازل ، فإن لم يكن قد بدا لك ما عزمت عليه فمرنا بالرجوع الى بلدنا ، فقال أبو بكر : يا أهل اليمن ومن حضر من غيرهم والله ما أردت إلا تكاملكم وما أريد الإضرار بكم ، فقالوا انه لم يبق وراءنا احد فاعزم على بركة الله ، فجمع أبو بكر الناس بما فيهم الأوس والخزرج ومن وصل من غيرهم وأمّر عليهم (خالد ابن الوليد) وساروا الى الشام وكانت لليمنيين مواقف مشرفة . هذا وذكرت روايات اخرى أنّ الذين قدموا من اليمن في اليوم الأول كانوا زهاء واحد وعشرين ألفاً ، وأنّ أبا بكر جهّز أهل اليمن الى الشام والعراق ، فجهز قبيلتي (عك) و(الأشاعر) و(حمير) الى (الشام) ، ثم الحق بجيش الشام من اليمنيين أيضاً (عمرو بن معد يكرب الزبيدي)، و(الأشعث بن قيس الكندي) ومن معهما ، كما ألحق به (عكرمة بن أبي جهل) والجيش الذي قدم معه من اليمن بعد اصلاحه ، واقرار الأمن والاستقرار في ربوعه ، وجهّز قبائل (همدان) و(مراد) و(مذحج) الى (العراق) وألحق به (قيس بن مكشوح المرادي) ومن معه ، وكان اليمنيون في طليعة جيوش المسلمين في موقعتي (اليرموك) في الشام و(القادسية) في العراق وغيرهما .

وعلى الجملة فقد تضافرت كتب المؤرخين على ان اليمنيين اسهموا منذ ظهور الإسلام بنصيب كبير في الدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل نشره وتوطيد دعائمه ، وإن كثيراً من العرب الذين استقروا في الشام وفي العراق وفي شمال افريقيا وفي الأندلس هم من أصل يمني لعب اسلافهم دوراً كبيراً وهاماً في نشر الإسلام في تلك الربوع .

ولقد بلغ عدد اليمنيين في الاسكندرية بعد فتح بلاد مصر سبعة وعشرين

ألفاً في عهد (معاوية بن أبي سفيان) كما حكى ذلك المقريزي في كتابه : (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب) ، بل لقد ذكر أنّ قيام الدولة الأموية تم على أيدي اليمنيين ، وما يزال في (الأندلس) جنوب (اسبانيا) أماكن وقلاع ما تزال تحتفظ بأسمائها اليمنية منذ شارك اليمنيون في فتحها في عهد الأمويين ، ومنها قلعة (همدان) بالقرب من (غرناطة) ، وقلعة (خولان) بين (الجزيرة الخضراء) و(اشبيلية) ، وقلعة (يحصب) في (اشبيلية) وحصن (مراد) بين (اشبيلية) و(قرطبة) وقلعة (بني سعيد) المشهورة في مقاطعة (غرناطة) ، وأشهر مدن الأندلس (قرطبة) و(اشبيلية) و(غرناطة) و(طليطلة) وغيرها وجميعها تكوّن مقاطعات الجنوب في بلاد (اسبانيا) وهي المقاطعات التي استقر الحكم الأموي فيها منذ فتحها القائد (طارق بن زياد) قائد جيوش (موسى بن نصير) أحد كبار الفاتحين في عهد (الوليد بن عبد الملك بن مروان) وذلك بين عامي ٨٤ ـ ٩٤ هجرية .

ومن مشاهير قادة الفتح الإسلامي في الأندلس وفي افريقيا من اليمنيين (عبد الرحمن الغافقي العكي) و(السمح بن مالك الخولاني) ، وكانت أول راية تُنْشرَ لعبد الرحمن الأول الأموي والمعروف بعبد الرحمن الداخل في اشبيلية هي عمامة خضراء لزعيم اليمانية (أبي الصباح يحيى اليحصبي الحميري) وذلك حينما أراد عبد الرحمن الداخل فتح (قرطبة) ولم يكن لجيشه آنذاك راية .

وقد[٢٨] حاول البعض التشكيك في اسباب خروج اليمانية للفتح وقالوا : « انهم خرجوا بحثاً عن الغنائم ومستوى معيشي أفضل » وهذا قول بعيد عن الحقيقة ، ولا تؤيده الأدلة التاريخية ، ذلك أنّ أهل اليمن منذ عصور تأريخية قديمة موغلة في القدم يحبون الهجرة ويتطلعون اليها ، ولم تكن هذه الهجرة أول هجرة لهم ، بل سبقتها هجرات وهجرات ، والبلاد التي دعت الخلافة الى فتحها كالشام والعراق كلها بلاد طرقها اليمانية ، وعاشوا فيها

---

(٢٨) الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ٤٥ .

بجاليات كبيرة ، بل كوّنوا بها دولاً كدولة الغساسنة في جنوب الشام ، والمناذرة في جنوب العراق ، إذاً لم يجد اليمانية في نداء الخلافة بالجهاد فرصة للهجرة الى هذه البلاد ، لأنهم يهاجرون اليها بسهولة ويسر ، وبدون حاجة الى نداء الخلافة ، ولكن اليمانية أمنوا بالإسلام الذي يدعو المسلم الى الجهاد ، وكان للحماسة الدينية التي بثها النبي والصحابة في نفوس العرب عامة اثر كبير في دفعهم الى الفتح ، فرأوا في أعناقهم عهداً يجب أن يفوا به وهو تبليغ الدعوة الإسلامية الى من لم تُبلغ له ، ومن ثم عملوا على توجيه جهودهم الى العمل على احياء كلمة الإسلام في غير بلاد الإسلام .

وشجعهم على تحقيق هذه الغاية ما ورد في القرآن الكريم من الآيات البينات التي توضح أنّ الإسلام لم يبعث للعرب فقط ، وإنما بعث للناس كافة ، ومن هذه الآيات :

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾ .

وآية : **﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** .

ولكننا لا نغفل العامل الاقتصادي وأهميته في دفع العرب اليمانية الى الاسراع بالانضمام الى حركة الفتوح ، وهذا أمر طبيعي جداً ، فقد تطلعوا كما تطلع غيرهم الى غنائم الحرب التي قد يحصلون عليها من ميدان القتال ، فالمؤمن يضحي بنفسه في سبيل دينه ، وفي نفس الوقت يعمل لدنياه ، ويسعى الى الحياة في رغد من العيش .

والدور الذي قام به اليمنيون في حركة الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين يعتبر بحق أجمل فترات تأريخهم وأحلى أيامهم ، فقد ساهموا بدور كبير في فتح البلاد وتمصير الأمصار ، واستقروا في البلاد الإسلامية الجديدة بأعداد كبيرة وانتشروا في بقاع الأرض ينشرون الإسلام ويذودون عنه .

ولما توفي الخليفة الأول (أبو بكر الصديق) وخلفه أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) واصل مسيرة الفتح ناشراً راية الجهاد في سبيل نشر الإسلام ، مركزاً كذلك على الشام والعراق مفتاحي الدولتين الكبيرتين الروم وفارس .

واستدعى[٢٩] (عمر) اليمنيين كما استدعاهم (أبو بكر) عن طريق مبعوثه الى اليمن (سعيد بن قيس بن زيد الحاشدي الهمداني) وذلك لتعزيز جيوش الفتح التي كان فيها الكثير من اليمنيين ، وقد عاد (سعيد بن قيس) من اليمن الى المدينة بجيش يمني قوامه اربعة آلاف مقاتل ،فجهزه عمر مع من انضم اليه من غيره الى العراق بقيادة (سعد بن أبي وقاص) وفي العراق انضم اليه (المثنى بن حارثة الشيباني) و(جرير بن عبد الله البجلي) ومن معهما من المقاتلين .

كما تتابعت الأمدادات الى العراق من (عمر بن الخطاب) وفيها قبائل يمنية من (كندة) الحضرمية بقيادة (الحصين بن نمير السكوني) وكانوا أربعمائة مقاتل ، و(معاوية بن حديج السكوني) في ستمائة مقاتل ، و(الأشعث بن قيس الكندي) في سبعمائة مقاتل ، كما سحب من الشام وعزز به جيش العراق كلًّا من (قيس بن مكشوح المرادي) و(سعيد بن نمران المرادي) وجموعهما .

وكان عمر[٣٠] اثناء إرسال الإمدادات الى الشام والعراق يردد قوله : « والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب » فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي وشرف ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به ، وسجلت جميع تلك الجيوش النصر في الشام وفي العراق ، وكان بلاء (الأشعث بن قيس) و(قيس بن مكشوح) و(عمرو ابن معدي كرب الزبيدي) (وشرحبيل بن السمط الكندي) وغيرهم من ابطال المسلمين في القادسية حسناً وعظيما ، ثم تتابعت الانتصارات لجيوش الفتح الإسلامي حتى سقطت فارس وثلّ عرش الروم وتقلص ظله .

---

(٢٩) تأريخ اليمن الإسلامي ص ٧٤ .

(٣٠) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٤٧ .

ولقد أسهمت المرأة في مساعدة جيوش الفتح الاسلامي في حدود قدراتها وصلاحياتها ، وجاء من النساء الى معركة القادسية وحدها حوالي الألف وسبعمائة امرأة فارغات من الأزواج وجميعهن من المهاجرات ، فصاهر النخع منهنّ سبعمائة امرأة ، وصاهرت بجيلة منهنَّ الفاً ، وسميت النخع وبجيلة من يوم ذاك بأصهار المهاجرين .

أما عمال اليمن في عهد امير المؤمنين (عمر بن الخطاب) فهم عماله في عهد الخليفة الأول (أبي بكر الصديق) ومنهم : (يعلي بن أمية) على صنعاء ، و(عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي) على الجند وغيرهما .

وفي عهد (عمر) تم لعامله (يعلي بن أُمية) اجلاء نصارى نجران عنها تنفيذاً لوصية الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم بأن لا يُترَك في جزيرة العرب دينان . وعملاً بحث أبي بكر عند موته على ذلك ، وذلك لعدم تمكنه هو من تنفيذ وصية الرسول بسبب تزاحم الأحداث ، الأعظم أهميةً في عهده القصير ، وكانت[٣١] تعليمات (عمر) لعامله في اليمن في ذلك أئتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم اجل من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح ارض كل من تجلّى منهم ، ثم خيرّهم البلدان ، ثم تعطيهم ارضاً كأرضهم ، اقراراً لهم بالحق على أنفسنا وفاء بذمتهم فيما أمر الله به من ذلك بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن فيما صار لجيرانهم بالريف » .

وزاد في كتاب(اليمن[٣٢] في ظل الإسلام) الأمر إيضاحاً فقال : « أمّا أهل نجران فقد مارسوا الرباء وزاد ثراؤهم وقوي بأسهم وسيطرواعلى البلاد اقتصادياً وضعف أمر المسلمين في هذا البلد ازاء هؤلاء النصارى ، فخاف عمر مغبة ذلك ، فأجلاهم عنها ، ونزل بعضهم بالشام ونزل بعضهم بالنجرانية بناحية الكوفة وبهم سميت ، وكتب عمر الى نصارى نجران عهداً بذلك جاء فيه : « فمن وقّعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم في حرث الأرض ، وما

(٣١) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٠٦ .
(٣٢) ص ٥١ .

اعتملوا من شيء فهو لهم مكان ارضهم بـاليمن ، فتفرقـوا وبذلـك عوّضهم (عمر بن الخطاب) عن أرضهم بنجران التي هجروها أرضاً بالشام والعراق ، وجدير بالذكر انهم ندموا بعد ذلك وأتوا (عمر بن الخطاب) وقالوا له : أَقِلْنا فـأبى ذلك ، فلما استخلف (عـلي بن أبي طالب) طلبـوا منه أن يعيـدهم الى بلادهم ، ولكنه رفض وقال : إنّ عمر كان رشيد الأمر وأنا اكره خلافه » .

ولقد كان عمر حازماً مع عمـاله ولـه امثلة كثيرة مـع عامله عـلى مصر (عمرو بن العاص) وغيره ، من عمال الولايات الاسلامية والذي يهمنا هنـا سرد بعض الأمثلة مع عامله في اليمن (يعلي بن أُمية) ، فقد استقدمه اليه الى المدينة في القضيتين التاليتين :

كما استقدمه في قضية ثالثة ، ولكن (عمر) توفي و(يعلي) ما يزال على مراحل من صنعـاء في طريقـه الى المدينـة ، ولما اتفق بـه رسول امـير المؤمنين (عثمان) يحمل اليه اقراره له على عمله عاد الى صنعاء .

أما الثلاث القضايا التي استقدم فيها أمـير المؤمنين (عمـر) (يعلي بن أُمية) الى المدينة فتتلخص بالآتي :

(القضية الأولى) أنّ رجلاً من أهل (خفاش ملحان) في اليمن اتى الى يعلي بن أُمية يشكوه مقتل ابنه ، فأمر يعلي نائبه في حفاش وملحان بـأن يحضر اليه القاتل ، ولّما أحضر اليه وتبينّ وجوب القصاص عليه احضر وجوهَ الناس ودفع الى والد المقتول سيفاً وقال له : « اقتله وهؤلاء الشهود » فضربه بالسيف حتى سقط ، وظن الرجل وغيره انه قد مات ، فأخذه أهله ليدفنوه ، فوجدوا فيه رمقاً من الحياة فعالجوه حتى برىء ، وبينما هو ذات يوم يرعى غنماً له ، إذ مر به والد المقتول فعرفه ، فذهب الى (يعلي) وقال له : « إني وجدت قاتل ابني يـرعى غنماً » فكتب يعـلي الى نائبـه في حفاش وملحـان (سعيـد بن عبـد الله الكندي) بأن يحضـره اليه ، فأرسله الى يعلي حياً وبه أثر جراحات ضـرب السيف ، فأمر يعلي بتقدير أروشها ، فبلغت الدية ، فقال لوالد المقتول : « إن شئت ان تقتله وعليك الدية وإلا فدعه » فغضب الرجل وسار الى عمر يستعديه

على يعلي شاكياً انه حال بينه وبين قاتل ابنه ، فغضب عمر وانفذ (المغيرة بن شعبة) الى صنعاء ، وأمره بأن يبعث اليه بيعلي ، فأتى المغيرة الى يعلي وأشخصه الى عمر بوجه غير مستحسن ، فلما قدم على عمر وشرح لـه القضية ، استفتى عمرُ علياً عما حكم به يعلي ، فقال له علي : « لقد افتى يعلي بالحق » فرده عمر على عمله في اليمن ، وقال المغيرة حين عاد من اليمن الى المدينة : « اقسم ان يعلي خير مني حين عزل وحين ولي » .

أما القضية الثانية : التي استقدم فيها عمرُ يعلي بن أُميَّـة من اليمن الى المدينة فهي ان عبد الرحمن بن أمية أخا يعلي بن أمية اشترى فرسـاً انثى بمائـة قلوص من الإبل ، ولمّا تمّ البيع والشراء بينهما ندم البائع ، على فرسه وجاء الى عبد الرحمن بن أمية يستقيله في ذلك ، فلم يقله ، فسار الرجل الى عمر وقال له انّ يعلي واخاه غصباني فرسي ، فكتب عمر الى يعلي يأمُره بالقدوم اليـه ، ولمّا قدم عليه ، وشرح له القضيـة كما حـدثت قال لـه عمر : « وهـل تبلغ الخيل عنـدكم هذا الثمن ؟ فقـال له يعـلي : « نعم » فقال عمـر : « نأخـذ من كل اربعين شاة ولا نأخذ من الخيل شيئاً ، خذ عن كل فـرس ديناراً » وردّه عـلى عمله .

وأما القضية الثالثة التي استقدم فيها عمر يعلي من صنعاء الى المدينة فهي ان نفراً من موالي يعلي ضربوا رجلاً ، فسار الرجل الى عمر وقال له : « يا أمير المؤمنين ان موالي يعلي ضربوني » فقال عمر حتى مه ؟ فقـال الرجـل : « حتى احدثت » فكتب عمر الى يعلي ان يأتيه ماشياً ، فخرج يعلي من صنعاء ماشياً ، حتى اذا صار على مراحل منها لقيه رسـول امير المؤمنـين (عثمان بن عفـان) بكتاب منه يخبره فيه بموت عمر ويقره على عمله في اليمن كما سلف . فعاد يعلي الى صنعاء راكباً ، ولم يزل على عمله بصنعاء حتى قتل (عثمان) كما أقر عثمان سـائر عمـال اليمن على أعمـالهم ومنهم عامـل الجند (عبـد الله بن أبي ربيعة المخزومي) والد (عمر بن أبي ربيعة) شاعر الغزل المشهور .

وكانت[٣٣] الفتوحات الاسلامية قد امتدت خلال عهد عمر والسنوات

(٣٣) تاريخ اليمن الإسلامي بتصرف ص ٧٨ .

الأولى من عهد عثمان الى اراضي (الجزيرة) بالعراق و(اذربيجان) و(ارمينية) شمالاً ، والى خراسان وسجستان شرقاً ، والى (برقة) في طرابلس وافريقيا غرباً ، الى بلاد (النوبة) بين مصر والسودان جنوباً ، وتأسست مدن ومعسكرات كمراكز وثغور امامية لجيوش الفتح الإسلامي ، ومنحت للجيوش اقطاعات وممتلكات ليرتبط بها المسلمون الفاتحون ، وتنقطع صلتهم بأوطانهم البعيدة ، ولينطلقوا في التوسع والفتح من مراكزهم الجديدة ، حتى لقد أصدر امير المؤمنين (عثمان بن عفان) في عام ثلاثين للهجرة قراره التأريخي والذي يقضي : « بتملك الفاتحين للأراضي الجديدة في المناطق التي استقروا بها بدلاً عن ممتلكاتهم في أوطانهم التي نزحوا عنها ولم يعودوا يفكرون في العودة اليها بعد ذلك القرار ، وذلك الى جانب الأعطية والأرزاق التي كانت تأتيهم سنوياً منذ عهد (عمر) ، والى جانب اموال الفيء من غنائم الفتوحات .

وأخذت العناصر اليمنية حظها في الاقطاع والاستقرار ، بل لقد تزعم بعض اليمنيين امر تعديل القبائل وتوزيعها في المناطق الجديدة ، كما أُقطع كل من (أبي موسى الأشعري) و(جرير بن عبد الله البجلي) و(الأشعث بن قيس الكندي) في الكوفة اقطاعات واسعة تقديراً لجهودهم وبلائهم في الجهاد .

واخْتُطت (البصرة) ووُزعت اراضيها على نحو ما وُزعت به اراضي الكوفة ، وحظي اليمنيون بقدر وفير في اراضيها تقديراً لبلائهم في الجهاد في سبيل نشر الإسلام » .

أما الشام(٣٤) فقد تفرقت العناصر اليمنية في أجنادها ،فكان جند أهل مدينة حمص جميعهم يمنيون من كندة وحمير وهمدان وغيرهم من بطون القبائل اليمنية، كما كان أغلب جند أهل دمشق من أهل ليمن ،وكان الأشعريون هم اغلبية جند طبريا في الأردن ، وغلبت العناصر اليمنية في خطط الفسطاط على غيرها من العرب ، فكان هناك خطط الصدف وتجيب والسكون من كندة ، وحضرموت

---

(٣٤) نفس المصدر ص ٧٧ .

وخولان ومذحج ويحصب ورعين والكلاع والمعافر من حمير ومهرة وبلي من قضاعة وغيرهم ، وكان معاوية بن حديج السكوني وعمرو بن قحزم الخولاني وجبير بن ناشرة المعافري ضمن من أقامهم عمرو بن العاص على انزال القبائل في خطط الفسطاط .

ولما قتل امير المؤمنين (عثمان بن عفان) وولي امير المؤمنين (علي بن أبي طالب) عزل كلاً من (يعلي بن أمية) عامل صنعاء وأعمالها ، و(عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي) عامل الجند وأعماله بـ (عبيد الله بن العباس) على صنعاء وأعمالها و(سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري) على الجند وأعماله ، وغادر (يعلي بن أمية) اليمن على خوف ووجل من (علي) وكان معه من اليمن أموال كثيرة ، أعان منها (طلحة بن عبيد الله) و(الزبير بن العوام) و(السيدة عائشة بنت أبي بكر) بستمائة ألف دينار وبستمائة بعير من بينها الجمل (عسكر) الذي نسب اليه يوم الجمل المشهور بين علي وعائشة ، وكان (يعلي) قد التقى بهم في مكة اثر منقلبه من اليمن وقد عزموا على الخروج على (علي) وهم في طريقهم الى (البصرة) ، وما أعانهم به هو مال الدولة من الزكوات وغيرها والتي كان عليه أن يدفعه الى علي .

كما عارض (علياً) معاوية بن أبي سفيان في الشام الذي كان والياً عليه منذ عهد (عثمان) ، ونازعه الأمر في سائر الولايات الاسلامية ومنها (اليمن) الذي انفذ اليه (معاوية)(بسر بن أرطاة العامري) والياً عليه من قبله على رأس جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل من الشام .

ولّما[٣٥] كان (بسر بن أرطاة) قريباً من صنعاء جمع (عبيد الله بن العباس) وجوه صنعاء وغيرها وخطبهم حاثاً لهم على القتال وصد عامل معاوية ، فتقاعسوا عن نصرته ، وردّ عليه (فيروز الديلمي) بقوله : « ما عندنا قتال فأحترز لنفسك » ولّما آيس (عبيد الله بن العباس) عن نصرتهم حزم

---

(٣٥) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص (٢٠ .

حقائبه وأناب عنه (عمرو بن اراكة الثقفي) ووضع طفليه (عبد الرحمن) و(قثم) عند اخواله من بني عبد المدان وعاد الى (علي) .

أما (بسر) فبسط نفوذه في اليمن باسم (معاوية) وسفك الدماء ، وكان أول من سفك الدماء في اليمن ، في الاسلام بعد القضاء على حركة الردة والتمرد التي حدثت في اليمن في بداية عهد (ابي بكر) ، وقتل (بسر) النائب (عمرو بن اراكة الثقفي) وطفلي (عبيد الله بن العباس) الذين بُني على قبريهما جامع في صنعاء سُمي بجامع الشهيدين ما يزال عامراً الى اليوم ، كما قتل (بسر) من بني عبد المدان (عبد الله بن عبد المدان) وابنه (مالكاً) وسبعين رجلاً من الأبناء وصادر اموالاً كثيرة ومنها اموال (شرحبيل بن ابرهة بن شرحبيل) جزاء رفضه مصاهرته .

ومن(٣٦) الغريب قيام (همدان وانصار امير المؤمنين (علي بن أبي طالب) بمساندة وعون (بسر بن أرطاة العامري) في اليمن،بحجة أنَّ (علياً) حوّل راية همدان عن أبي معيد بن حمزة من بني رافع من حاشد الى سعيد بن قيس من آل مرب من حاشد أيضاً ، وقد أرسل (علي) الى اليمن لطرد (بسر) منه (حارثة بن قدامة السعدي) على رأس جيش قوامه أربعة آلاف فارس من البصرة والكوفة وبسط حارثة نفوذه في اليمن باسم امير المؤمنين علي ، وفرّ بسر بن ارطاة من اليمن ، وقبض حارثة على عدد من أنصاره واتباعه وقتل عدداً منهم .

كما(٣٧) ادرك اليمنيون ولدين لبسر بن أرطاة قرب مكة وقتلوهما قصاصاً بطفلي عبيد الله بن العباس اللذين قتلهما بسر .

وكان جمهرة أهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان هم أنصار علي ، بينما كان الشام هم انصار معاوية .

---

(٣٦) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٠٨ .

(٣٧) نفس المصدر والصفحة .

أمـا اليمنيون خـارج اليمن فقد انقسمـوا بين عـلي ومعاويـة ، فهمدان ومذحج تقريباً في صفوف علي ، بينما حمير وعك والأشاعـر في صفوف معـاوية بحكم انهم كانوا في الشام الذي كان معاوية والياً عليه ومنه انطلق لمعارضة علي باسم المطالبة بدم عثمان .

وكان (الأشتر النخعي) قائد ميمنة جيش علي ، وقد قتل بالسم الذي دُسّ له وهو في طريقه الى مصر ، بينما كان (ذو الكلاع السميفع بن ناكـور) الحميري قائد ميمنة جيش معاوية وقد قتل في احدى المعارك التي دارت بين علي ومعاوية .

وبهـذا الانقسام بـين اليمنيين صـار يقتل بعضهم بعضـاً (عـلي) يثـير أصحابه على أساس أحقيته بالخلافة ، و(معاوية) يثير اصحابه باسم المـطالبة بدم عثمان وأخذ الثأر له ذريعة للوصول الى الحكم ، وما زالت الحرب بين علي ومعاوية حتى أُرغم علي على التحكيم لكل من أبي موسى الأشعري وعمرو بن العـاص ، وقد قـرأ (الأشعث بن قيس الكندي) صحيفـة التحكيم في شهر صفر من عام (٣٧) للهجرة ، وكان من شهودها التسعة ستة من اليمنيين منهم الأشعث بن قيس المذكور وسعيد بن قيس الهمداني وحجر بن عدي الكنـدي وجابر بن يحيى البجلي وعصمة بن زياد الحضرمي ، وقد تفكك جيش علي على أثر التحكيم وانفصل عنه الفريق الذي لم يرض بـالتحكيم الى قريـة حروراء بالقرب من الكوفة وعرفوا من ذلك اليوم بالخـوارج وبالحـرورية ، ثم استشهـد (علي) على يد (ابن ملجم) المرادي الخارجي ، في عام (٤٠) للهجرة .

اليمن في عهد الأمويين وعبد الله بن الزبير
(٤١ - ١٣٢ هـ - ٦٦١ - ٧٥٣ م)

استقل بالأمر (معاوية بن أبي سفيان) منذ استشهد امير المؤمنين (علي بن أبي طالب) عام (٤٠) للهجرة (٦٦٠ م) ثم تنازل (الحسن بن علي) لمعاوية ، وقد بعث معاوية ولاته الى جميع الولايات الاسلامية ومنها (اليمن) ، وحتى موته في عام (٦٠) للهجرة ، ٦٨٠ م ، وهم[١] في اليمن على الترتيب :

(عثمان بن عفان الثقفي)

فأخوه (عتبة بن أبي سفيان) وقد جمع له ولايتي (صنعاء) و(الجند) وأعمالها ، وقد أقام (عتبة) في الجند وأناب عنه في صنعاء ، ودامت ولايته سنتين أو ثلاث سنين على اختلاف في الروايات .

ثم لحق بأخيه (معاوية) وأناب عنه في اليمن (فيروز الديلمي) الذي دامت نيابته ثمان سنين ، وكانت لفيروز الديلمي سابقة محمودة بالنسبة لمعاوية منذ خذل عامل علي (عبيد الله بن العباس) إثر وصول عامل معاوية بسر بن ارطاة العامري كما عرفنا ، ولما توفي (عتبة بن أبي سفيان) خلفه معاوية على اليمن بـ (النعمان بن بشير الأنصاري) .

ثم عزله بعد عام واحد بـ (بشير بن سعيد الأعرج) .

فـ (سعيد بن داذويه الفارسي) .

---

(١) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر من صفحة ٢١ .

ولما توفي بعد تسعة أشهر خلفه معاوية بـ (الضحاك بن فيروز الديلمي) ، ودامت ولايته الى موت معاوية .

ولما ولي الأمر (يزيد بن معاوية) ولي على اليمن بمخلافيه صنعاء والجند (بحير بن ريشان الحميري) الذي اقطعه (يزيد) اليمن بمال معلوم يؤديه كل عا م ، وكان بحير من كرام الولاة، كما كان جباراً عاتياً ، كان بحير يأنف ان يُسأل شيئاً يسيراً ، وربما عاقب من يسأله القليل ، فقد ذكر أنّ رجلاً قصده من الحجاز وامتدحه بقصيدة منها قوله :

بحير بن ريشان الذي ساد حمَيراً ونائله مثل الفرات غزير
وإني لأرجو من بحير وليدة وذاك من الحر الكريم كثير

فغضب عليه (بحير) وقال له : « ترحل إليّ من الحجاز لا ترجو إلا وليدة لأودبنّك » ثم أمر به فضُرب أسواطاً ، ثم بعث له بعشر ولائد وبجائزة سنية ، وقد دامت ولايته في اليمن طيلة الثلاث السنوات التي عاشها (يزيد بن معاوية) .

ولما استولى على الأمر في الحجاز والعراق واليمن (عبد الله بن الزبير) بعد تنازل معاوية بن يزيد بن معاوية عن الحكم عام (٦٤) للهجرة (٦٨٤ م) ولي على اليمن (الضحاك بن فيروز الديلمي) .

ثم عزله بعد عام واحد بـ (عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وولاه المخلافين (صنعاء) و(الجند) وأعمالها فيما يبدو لأنه لم يذكر معه إلا (عمارة بن عمرو بن حزم الأنصاري) على (حضرموت) .

وبعد مدة خلف (عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد) بـ (عبد الله بن عبد المطلب بن وادعة السهمي) وبعد اكثر من عام عزله (عبد الله بن الزبير) بأخيه (عبيدة بن الزبير) ، ولم يلبث في ولايته اكثر من خمسة أشهر حتى خلفه بـ (حسن بن عبد الله الفقيه) ولم يلبث هذا بدوره حتى خلفه بـ (قيس بن يزيد السعدي التميمي) وبعد عشرة أشهر عزله واستعمل ولاةً كان الوالي منهم لا يدوم في ولايته اكثر من أربعة أشهر حتى يخلفه بغيره ، ومن

هؤلاء (الضحاك بن فيروز) مرةً أخرى و(خلاد بن السائب الانصاري) وأخيراً (أبو النجود) مولى عثمان بن عفان ، وفي عهده قدمت الحرورية الخوارج الى صنعاء ، فجمع القاضي وهب بن منبه قاضي صنعاء الشرعي الناس لقتالهم ، فقالوا له : لا طاقة لنا بقتال الخوارج ، ونحن نخشى أن يستحلوا دماءنا ، فصالحهم القاضي وهب واعيان صنعاء على مائة ألف دينار مقابل انصرافهم عن صنعاء واستعان أهل صنعاء لتوفير المال باهل المخاليف فأعانوهم ، ثم اضطربت الأمور في اليمن من يومئذٍ ، وما زال الأمر في اليمن مضطرباً كذلك حتى قتل (عبد الله بن الزبير) سنة (٧٣) للهجرة بعد ان استولى على امور المسلمين خليفةً عليهم حوالي تسع سنوات ، وقد قتل عبد الله بن الزبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفي قائد جيش عبد الملك بن مروان الذي ولي الحكم بين عامي ٦٥ ـ ٨٦ للهجرة ، وجعل عبد الملك بن مروان لليمن في ولاية الحجاج وهو ولي على اليمن من قبله اخاه (محمد بن يوسف الثقفي) وأعمالها . و(واقد بن سلمة الثقفي) على الجند وأعماله ، و (الحكم بن أيوب الثقفي) على حضرموت وأعماله ، وبعد عام واحد جمع لأخيه (محمد بن يوسف الثقفي مخلافي (صنعاء) والجند ولما مات (محمد بن يوسف الثقفي) خلفه (الحجاج بن يوسف) بإبن عمه (أيوب بن يحيى الثقفي) ودامت ولاية هذا بقية عهد (عبد الملك بن مروان) وطيلة عهد ولده (الوليد بن عبد الملك) .

وهو الذي زاد في جامع صنعاء الكبير بأمر الوليد بن عبد الملك ، وشملت الزيادة الجهة الشمالية بدليل[٢] تكليفه لوهب بن منبه قاضي صنعاء الشرعي بالإشراف على تأسيس القبلة ، قائلاً له : « يا أبا عبد الله اقعد معهم حتى يؤسسوا القبلة » . ولما مات (الوليد بن عبد الملك بن مروان) في عام (٩٦) للهجرة وخلفه (سليمان بن عبد الملك) خلف (أيوب بن يحيى الثقفي) بـ (عروة بن محمد السعدي) واستمرّ عروة في ولايته على اليمن طيلة

---

(٢) تأريخ صنعاء ص ٨٢ .

عهد (سليمان بن عبد الملك) وعهد (امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) الذي خلف (سليمان بن عبد الملك) في ولاية امور المسلمين بعد وفاته في عام (٩٩) للهجرة (٧١٧ م) .

ولما توفي (عمر بن عبد العزيز) في عام (١٠١ للهجرة) وخلفه (اليزيد بن عبد الملك بن مروان) خلف (عروة بن محمد السعدي) على اليمن بـ (مسعود بن عوف الكلبي) ، وقد استمرّ هذا في ولايته على اليمن طيلة عهد (اليزيد بن عبد الملك) وشطراً من عهد (هشام بن عبد الملك) الذي خلف أخاه (اليزيد) بعد موته في عام (١٠٥) للهجرة ، (٧٢٤م) .

ثم خلف هشام (مسعود بن عوف الكلبي) بـ (يوسف بن عمر الثقفي) وجمع له مخاليف اليمن الثلاثة (صنعاء) و(الجند) و(حضرموت) وأعمالها ، وولى (يوسف بن عمر الثقفي) على حضرموت من قبله .

كما أسند الخليفة (هشام بن عبد الملك) القضاء في اليمن الى (الغطريف بن الضحاك بن فيروز الديلمي) .

وفي عهد الخليفة (هشام بن عبد الملك) ثار في اليمن على الدولة الأموية القيل (عباد الرعيني) وامتدّت ثورته الى عدة نواحٍ في اليمن ، وقامت بينه وبين والي اليمن (يوسف بن عمر الثقفي) عدة معارك تغلبت الدولة في نهايتها ، وانسحب (عبّاد) من المعركة ، ولكنّ ثورته كانت البذرة الأولى لثورات تلتها في اليمن في عهد الأمويين والعباسيين نجحت في اكثرها كما سنرى .

هذا وبعد ثلاثة عشر عاماً من ولاية (يوسف بن عمر الثقفي) في اليمن أمره الخليفة (هشام بن عبد الملك) بالعودة الى العراق والتصدي لخالد بن عبد الله القسري الذي خرج على الدولة الأموية ، فاستناب (يوسف بن عمر) عنه في اليمن ولده (الصلت) وعاد الى العراق ، وقد أقام (الصلت بن يوسف ابن عمر الثقفي) في نيابته على اليمن الى موت الخليفة (هشام بن عبد الملك بن مروان) في عام (١٢٥) هجرية . ولما ولي (الوليد بن اليزيد بن عبد الملك)

ولى على اليمن جميعه (مروان بن محمد بن يوسف الثقفي) ابن أخي الحجاج ابن يوسف الثقفي وهكذا ما زالت الأسرة الثقفية تحكم اليمن في معظم عهد الدولة الأموية وحتى آخر ملوكهم (مروان بن محمد) كما سنرى .

وكأن الأمويين دانوا لهذه الأسرة في تأسيس دولتهم فكافأوهم وسلطوهم عليه .

وللحقيقة التأريخية فإنّ لليمنيين دوراً كبيراً في قيام وتوطيد دولة الأمويين .

ولكنّ نزوح الكثير والكثير من زعماء ورؤساء اليمنيين عن اليمن ، واستيطانهم مواطنهم الجديدة والعديدة في البلدان التي اسهموا في افتتاحها ونشر الإسلام فيها في العراق والشام ومصر وافريقيا وغيرها قلّل من أهمية اليمن في نظر الأمويين وأضعف من هيبة اليمنيين داخل اليمن في نفوسهم ، فسلطوا على اليمن الثقفيين وغيرهم من عتاة الولاة وجبابرتهم لإخماد الحركات المناهضة فيه ، ولكنه أدى الى نتيجة عكسية وزاد في الحركات المناهضة للأمويين وولاتهم في اليمن ، ومنها حركة القيل (عباد الرعيني) الحميري وثورة طالب الحق (عبد الله بن يحيى الكندي) الحضرمي وغيرهما كما سنعلم .

ولما قتل (الوليد بن اليزيد بن عبد الملك) في عام (١٢٥) للهجرة وخلفه (اليزيد بن الوليد بن عبد الملك) ولي على اليمن (الضحاك بن واصل السكسكي) وولى على القضاء في اليمن (يحيى بن شرحبيل بن أبرهة) .

وقد[٣] قتل (الوليد بن اليزيد) في الحرب التي قامت بينه وبين (اليزيد ابن الوليد) والتي ناصر العنصر المصري فيها (الوليد) . وناصر العنصر اليمني فيها (اليزيد) .

ولما استولى على الأمر (مروان بن محمد) آخر خلفاء بني أمية عام(١٢٧) هـ (٧٤٤ م) ولى على اليمن بمخلافيه (صنعاء) و(الجند) وأعمالهما (القاسم بن عمر الثقفي) ، وولى على (حضرموت) (ابراهيم بن جبلة

---

(٣) اليمن في ظل الإسلام ص ٧٢ . استناداً الى الطبري حوادث عام ١٢٩ للهجرة .

الكندي) .

وقد لقب الخليفة الأموي (مروان بن محمد) بمروان الحمار لكثرة اسفاره وغزواته في سبيل الذود عن الدولة الأموية ومحاربة الخارجين عليها الذين كانوا قد كثروا ، ومنهم الخارج في (حضرموت) وفي اليمن جميعه (طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي) آنف الذكر .

وكان (مروان بن محمد) من أكفأ خلفاء بني أمية ، ومن أقدرهم في الإدارة والسياسة والحرب ، ولكنه جاء وصرح الدولة الأموية منهار ، والثورات والحركات المناهضة للدولة الأموية قائمة في اكثر من ولاية اسلامية من الولايات التابعة للدولة الأموية ، وقد انتهت به الدولة الأموية وقتل هو في (بوصير) من قرى (الفيوم) في (مصر) على ايدي الجنود العباسيين عام ١٣٢ هـ . (٧٥٠ م) وقامت على انقاضها الدولة العباسية .

ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي في اليمن

أما هذه[٤] الثورة والتي تزعمها (عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي) الملقب بطالب الحق فقد قامت في اليمن ضد الدولة الأموية مستقلةً بحركتها عن العباسيين ، وكان (عبد الله بن يحيى) المذكور زعيم الأباضية الخوارج في اليمن ، وفرع للحركة الأباضية المتمركزة في البصرة ، وقد استأذن (عبد الله بن يحيى) زعماءها في البصرة بالقيام بحركته ، فأذنوا له وبعثوا اليه لمساندته جماعة من زعمائهم ومنهم (أبو حمزة بن المختار بن عوف الأزدي الأسلمي) و(بلج بن عقبة السقوري) .

ولنا[٥] ان نتساءل عن سبب انضمام الحضارمة بالذات الى الخوارج الأباضية ؟ وفي اعتقادي ان بلاد اليمن بما فيها حضرموت لم تتحسن احوالها الاقتصادية في العهد الأموي ، فتطلعوا الى مناصرة الأحزاب المعارضة للحكم

---

(٤) حمزة علي لقمان في كتابه (معارك حاسمة في التاريخ) ص ٣٣ بتصرف .

(٥) اليمن في ظل الإسلام ص ٦٥ .

الأموي ، ووجدوا في مبادىء الخوارج ضالتهم المنشودة ، فالخوارج يرون ان الخلافة حق لكل مسلم حر ، وبذلك فالفرصة متاحة لكل مسلم في توليه لها ، وقد يكون يمنياً ، قد يخلصهم من ظلم وجور بني أُمية ، ويسعى جاهداً الى رفع مستواهم الاقتصادي ، ومهما يكن من امر فقد قال (عبد الله بن يحيى) لأبي حمزة المختار : « اسمع كلاماً حسناً لذاك تدعو الى الحق ، فأنطلق معي فاني رجل مطاع في قومي » . فاستجاب أبو حمزة لدعوة ابن يحيى ، وصحبه الى حضرموت ، ودعا الناس الى مذهبه والى مبايعة عبد الله بن يحيى الكندي بالخلافة وخلع مروان بن محمد ، فاستجاب الحضارمة لدعوته - وبايعوا ابن يحيى خليفة ولقبوه بطالب الحق وخلعوا واليهم الأموي ابراهيم بن جبلة الكندي) (ولا تعارض فيما جاء في المصدرين لهذا الموضوع) .

وقد بدأ طالب الحق حركته في عام (١٢٩) للهجرة بالاستيلاء على حضرموت ، فهجم على دار الإمارة فيها واسر والي حضرموت للأمويين (ابراهيم بن جبلة الكندي) ثم طرده الى صنعاء ، وما لبث (طالب الحق) ان زحف بجموعه نحو صنعاء واستولى عليها بعد ان انهزم منها واليها للأمويين (القاسم بن عمرو الثقفي) وقتل ابن اخيه (الصامت بن يوسف الثقفي) ثم بسط نفوذه على اليمن جميعه تقريباً وبعث ولاته على مخاليفه ، ودام حكمه لليمن عاماً واربعة أشهر .

وقد ألقى في منبر[٦] صنعاء اثر استيلائه عليها خطبة جاء منها قوله : « ايها الناس اننا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيّه ، واجابة من دعى اليهما ، الاسلام ديننا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال لا نبتغي به بديلاً ، ولا نشتري به ثمناً قليلاً ، وحرّمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ، ندعوكم الى فرائض بينات ، وآيات محكمات ، وآثار مقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ، وعدل فيما حكم ، وندعو الى توحيد الرب ، واليقين بالوعد والوعيد ، والعداوة لأعداء الله ، أيها الناس أن من رحمة الله ان جعل في

(٦) المصدر السابق حمزة لقمان في كتابه (معارك حاسمة) والصفحة نفسها .

كل فترة بقايا من العلم يـدعون من ضـلّ عن الهدى ، ويصبرون على الألم في جنب الله ، ويقتلون على الحق شهداء ، فما نسيهم ربهم وما كان ربك نسياً ، وأوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به ، فأبلوا لله بلاء حسناً في امره وذكره ، أقول هذا واستغفر الله لي ولكم .

ثم جهّز (عبد الله بن يحيى الكندي) من اليمن جيشاً الى (مكة) بقيادة (ابي حمزة المختار) بن عوف الأزدي آنف الذكر ، وقدّر له ان يصل بحملتـه (عرفة) يوم عرفة ، وأن يرتفـع على النـاس ناشـراً مع حملتـه أعلامهم عـلى رؤوس الرماح ، معلنين ثورتهم على الأمويين ، وفعلاً قـام أبو حمـزة بما رسم له ، الأمر الذي اضطر والي مكة والمدينـة (عبد الـواحد بن سليمـان بن عبد الملك)الى عقد هدنة معه حتى آخر أيام التشريق .

وفي اليوم المحدد لانتهاء الهدنة دخل (أبو حمزة المختار) (مكة) بعد ان غادرها واليها المذكور الى المدينة .

ومن المدينة جهّز قوة لمواجهة (المختار) وقامت حرب بين الجانبين انتهت بانهزام والي مكة والمدينة المذكور .

وفي شهر صفر من عام (١٣٠) للهجرة أناب أبوحمزةالمختار عنه في مكة (ابرهة بن الصباح بن عبد الرحمن الصدفي) وتقدم هو عـلى رأس قواتـه نحو المدينة ودخلها بعد أن خرج منها الوالي (عبد الواحد بن سليمان) المذكور .

ولقد ارتقى (أبو حمزة المختار) منبـر مسجد رسـول الله ﷺ في المدينـة والقى فيه خطبة اوضح فيها سياسة وهدف الثورة التي قام بها الأباضيون ضد الأمويين ، وحكم المدينة أربعة أشهر أحسن فيها معاملة الناس .

ثم جهز أبو حمزة المختار من المدينة جيشـاً بقيادة (بلج بن عقبة) نحـو الشام بغية الاستيلاء على (دمشق) عاصمة الدولة الأموية ، وهو بهذا التصرف قد تهوّر ولم ينتظر ما تسفر عنه الأيام المقبلة ، ومع ذلك فإنّ الخليفة الأموي لم ينتظر تقدم قوات أبي حمزة المختار ، بل كان قد جهز جيشاً كبيراً بقيادة (عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي) لطرد ابي حمزة المختار والأباضيين من مكة

والمدينة ، ولقيت قوة الدولة الأموية قوة الأباضيين في وادي القرى بين المدينة والشام وتغلبت عليها ، ثم واصلت تقدمها نحو مكة ودخلتها بعد ان تغلبت على ابي حمزة المختار وقتلته ، وأقرّت نفوذ الدولة الأموية في مكة والمدينة ، ثم واصلت تقدمها نحو اليمن للقضاء على نفوذ الأباضيين فيه واعادة نفوذ الدولة الأموية اليه ، وصادف ان التقت بعبد الله بن يحيى الكندي في نواحي الطائف وكان قد تقدم من اليمن على رأس جيشه للأخذ بالثأر لأبي حمزة المختار وقامت حرب بين الفريقين انتهت بمقتل (عبد الله بن يحيى) وانهزام جيشه ، وواصل عبد الملك بن عطية السعدي تقدمه نحو اليمن ودخل صنعاء دون ان يجد مقاومة تذكر وذلك في العام نفسه (١٣٠) للهجرة ، وأقرّ نفوذ الدولة الأموية فيها ، ثم أناب عنه في صنعاء ابن اخيه (عبد الرحمن بن يزيد بن عطية) وتقدم هو على رأس جيشه نحو بلاد حضرموت مركز الأباضية في اليمن ، وأعاد فيها أيضاً نفوذ الدولة الأموية ثم عاد الى صنعاء ، وأقام فيها حتى أمره الخليفة (مروان بن محمد) بالمسير الى الحجاز والحج بالناس فأناب عنه[٧] في صنعاء ابن اخيه المذكور وغادر صنعاء نحو الحجاز ، ولما كان ببلاد مراد في اليمن فاجأته جماعة من الأباضية ، منهم (جمانة) و(سعيد ابني الأخنس) وتمكنوا من قتله أخذاً بالثأر لعبد الله بن يحيى الكندي ولأبي حمزة المختار ولغيرهما من الأباضية الذين قتلهم (عبد الملك بن عطية) المذكور.

ولما علم ابن عطية نائب صنعاء بمقتل عمه ثارت ثائرته وعهد[٨] الى (شعيب البارقي) أحد مشاهير فرسان أهل الشام بقتل الأباضية اينما وجدوا والثأر لمقتل عمه (عبد الملك بن عطية) فمزق البارقي الأباضية ولم يجد احداً منهم إلا قتله ، ولم ينج من بطشه أحد حتى الأطفال والنساء ، واستولى على اموالهم والحق الخراب والدمار بقراهم ، وجعل يتتبع الخوارج اينما وجدوا ويقتلهم ، ولم ينج من بطشه من الأباضية إلا من امعن في التخفي .

---

(٧) تأريخ اليمن الإسلامي ص ٦٩ .

(٨) نفس المصدر والصفحة .

وقد أقام النائب ابن عطية المذكور في صنعاء حتى قدم عليه (الوليد بن عروة) والياً على اليمن من قبل (الخليفة (مروان بن محمد) .

وفي عهد (عروة بن محمد) هذا قتل الخليفة (مروان بن محمد) في قرية (بوصير) إحدى قرى الفيوم من أرض مصر على ايدي جنود العباسيين ، وبه انتهت الدولة الأموية ، وقامت على انقاضها الدولة العباسية ، وصار اليمن ولاية اسلامية تابعة لمركز الدولة الجديدة (بغداد) في العراق كسائر الولايات الاسلامية .

هذا والأباضية فرقة من فرق الخوارج العديدة وأكثرها اعتدالاً ، وتنسب الى مؤسسها (عبد الله بن اباض الخارجي) المتوفي في عام (٨٥) للهجرة ، وقد كوّنت هذه الطائفة لها مراكز في البصرة واليمن وعمان والجزيرة بالعراق وكرمان وسجستان وغيرها ، وسميت فرق الخوارج بالخوارج لخروجهم على علي بعد التحكيم ، وقد حاربهم علي وأوقع بهم في وقعة يوم (النهروان) وشتّت جموعهم كما هو معروف ، ومن يومئذٍ تفرّقت وكوّنت فرقها ومراكزها في كثير من الأقطار الاسلامية .

اليمن منذ بداية الدولة العباسية وحتى بداية حركات الاستقلال عن الحكم العباسي

تميّزت سياسة العباسيين في اليمن منذ بداية الدولة العباسية في عام (١٣٢) للهجرة (٧٥٠ م) وحتى بداية حركات الاستقلال عن الحكم العباسي في اليمن في عهد الخليفة المأمون ، بانتهاج سياسة كثرة وسرعة تغيير الولاة ، ومن الملاحظ انهم كانوا يعتبرون ذلك عامل ارضاء لليمنيين ، وعامل قمع متجدد للحركات المناهضة لحكمهم في اليمن ، ووسيلة يقظة لهم أي خلفاء بني العباس ، وحائلاً دون تشبث الولاة بولاياتهم .

ولقد كانت الحركات المناهضة في اليمن للحكم العباسي هي البذور الأولى لحركات الاستقلال التي نجحت في القرن الثالث الهجري كما سنعلم .

أمّا ولاة[١] العباسيين في اليمن فهم على الترتيب :

(داود بن عبد المجيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي) وقد وُلِّيَ اليمن من قبل (داود بن علي بن عبد الله بن العباس) الذي جعل (أبو العباس السفاح) أول خلفاء بني العباس اليمن في ولايته ، والوالي[٢] (داود بن عبد المجيد) المذكور هو الذي بوّب جامع صنعاء ولم يكن له من قبل أبواب غير الباب الرئيسي للدخول اليه .

وقد توفي أو قتل (داود بن عبد المجيد) بعد خمسة أشهر فقط من توليه في

(١) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر من صفحة ٢٤ .
(٢) المصدر المذكور والصفحة نفسها .

اليمن .

وخلفه (أبو العباس السفاح) بـ (محمد بن يزيد بن عبد الله بن زيد بن عبد المدان الحارثي النجراني) على صنعاء وأعمالها ، وأخ له على (عدن) وأعمالها ، وقد ذكر المؤرخون انهما أساآ السيرة وتوفيا معاً في يوم واحد في ظروف غامضة ، وخلفهما السفاح بـ (عبد الله بن مالك الحارثي) ، الذي لم يلبث ان خلفه السفاح بعد أربعة أشهر بـ (علي بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي النجراني) ، وله زيادة في الجامع الكبير بصنعاء ، وقد كتب[٣] على حجر محفوظ بخط كوفي ما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أمر المهدي عبد الله (يعني أبا العباس عبد الله السفاح) باصلاح المساجد وعمارتها على يد الأمير علي بن الربيع أكرمه الله ، في سنة (١٣٦) للهجرة ، أكمل الله له اجر المهدي) .

وفي[٤] عهد الأمير (علي بن الربيع) هذا حدث خلاف بين الأبناء وأهل صنعاء حول حمى الرحبة وكان في جمهرة مُلاَّك الأرض التي حول الرحبة (بنو عبد المدان) النجرانيون المذحجيون الذين انتقلوا من نجران الى صنعاء في الوقت الذي جاء فيه الأبناء من الفرس تلبيةً لطلب اليمنيين بزعامة (سيف بن ذي يزن) وهو نفس الوقت الذي جاء فيه بنو شهاب الحميريون من بلاد صعدة الى بلاد صنعاء والذين اشتركوا مع بني عبد المدان في خلافهم مع الأبناء حول حمى الرحبة المذكور وقد دافع الأبناء عنه مستدلين بحديث الرسول الكريم انه جعله حمى للعاملة وللحامله ثم للشاة ، وبما روي عنه صلوات الله عليه انه نهى عن عضد عضاه ، وكان المسلمون الأوائل يتوقون ذلك ثم اخذ الناس في قطعها وحطبها .

(٣) اليمن في ظل الإسلام ص ١٣٢ .
(٤) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١١٧ .

وهذا الخلاف بين الأبناء الفرس وبين بني الحارث بن كعب المذحجيين الذين منهم بنو عبد المدان وبني شهاب الحميريين هو امتداد للخلاف القائم بين الفريقين منذ فترة طويلة من الزمن ، حتى لقد ساند بنو كعب وبنو شهاب (قيس بن مكشوح) المرادي في حملته ضد الأبناء في بداية عهد ابي بكر كما علمنا في موضعه ، ولم يُسكن الخلاف عبر التأريخ الا تولي الأبناء الحكم كما حدث في عهد معاوية بن أبي سفيان وبعض خلفاء بني أمية ، أو تولي المضربين أعمال اليمن وقيام هؤلاء بحفظ التوازن بين الجانبين المذكورين .

ولذلك فإنه تجدد الاحتكاك بين الجانبين الأبناء وبني عبد المدان وبني شهاب حينما تولى (علي بن الربيع) من بني عبد المدان ، وحصل الخلاف بين الجانبين حول حمى الرحبة كما عرفنا .

ومع ذلك فالأبناء لم يكونوا من ملاك الأرض ولا من هواة الزراعة في اليمن وإنما اشتغلوا بالتجارة والتعدين وبالحكم في الولاية أو القضاء ، ولقد تجدد الخلاف بين الجانبين في اثناء ولاية (حماد البربري) في اليمن في عهد الخليفة العباسي (هارون الرشيد) وكان سبب هذا الخلاف مقتل أحد الأبناء من قبل رجل من بني الحارث بن كعب ، وقيام قاضي صنعاء آنذاك هشام بن يوسف الأبناوي بأخذ الثأر للأبناوي .

ولما توفي (أبو العباس السفاح) عام ١٣٦ هـ وخلفه أخوه (أبو جعفر المنصور) أقرّ (علي بن الربيع) خمسة اشهر فقط ، ثم خلفه بأخيه (عبد الله بن الربيع) ، وقد غادر[٥] هذا اليمن الى العراق بسبب فشله في اخماد الثورات التي قامت ضد العباسيين في اليمن وأناب عنه في اليمن ابنه الذي أقام في نيابته حتى قدم عليه . (معن بن زائدة الشيباني) الذي أرسله (أبو جعفر المنصور) والياً على اليمن ولإخماد الحركات المناهضة للحكم العباسي ، في اليمن ، ولقمع الخوارج الذين صارت لهم مراكز في بلاد حضرموت .

---

(٥) اليمن في ظل الإسلام ص ٧٣ .

إلا أنّ الدكتور[٦] (محمد أمين صالح) ذكر أنّ المنصور العباسي ارسل معن بن زائدة الشيباني الى اليمن والياً عليه ولقمع الثائرين في اليمن ، وأمره مع ذلك بأن يقبض على (عبد الله بن الربيع) ومصادرة أمواله لأنه خشي عصيانه عليه ، وأنّ معناً وصل الى صنعاء في عام (١٤٢) للهجرة وفعل ذلك .

وقد أمعن (معن بن زائدة الشيباني) في ظلم اليمنيين وعسفهم ، ومن أولى[٧] سيئاته بعد القبض على عبد الله بن الربيع ومصادرته هو محاربة (عمرو بن زيد الغالبي) من بني سعد بن خولان بن عمرو في بلاد صعدة وقتله عند المنضج في بلاد وادعة شمال صعدة ، دون أن يُعرَف سبب لذلك الحدث الذي فتح باب الخلاف عليه من خولان جميعاً ، وممن تصدر لحرب (معن بن زائدة) في بلاد صعدة بسبب مقتل الغالبي المذكور (محمد بن أبان الخنفري الحميري) الذي كان العدو الأول للغالبي وكذلك بنو ربيعة برغم الخلاف التقليدي بين بني ربيعة وبني سعد بن خولان ، وكان خلاف أهل صعدة هؤلاء هي أول اشارة البدء لإنتفاض اليمن على سلطان ولاة العباسيين فيه ، وقد ضاعف من أسباب انتفاضات اليمنيين ضد معن وولاته في الفروع تعيينه ولاةً من اسرته عاملوا الناس بالقسوة والشدة ، ومن أبرز تلك الانتفاضات عليه قتل أهل (المعافر) الحجرية لعاملهم (سليمان الشيباني) ابن عم (معن بن زائدة الشيباني) وانتفاض أهل الجند ، فأهل حضرموت وقتلهم لعامل معن عليهم ، وقد قام معن ازاء كل تلك الانتفاضات بغزو المعافر والجند وحضرموت والتنكيل بأهل هذه المناطق ، وظلّ يحكم اليمن بالعسف والظلم ست سنوات .

ثم نقله (أبو جعفر المنصور) من اليمن الى سجستان ، وفيها تمكن (محمد بن عمرو بن عبد الله بن محمد) وأخوه من أهل حضرموت من اللحاق

---

(٦) في كتابه (تأريخ اليمن الإسلامي) ص ١١٢ .

(٧) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١١٣ .

به الى سجستان ومن قتله في داره أخذاً بالثأر لأبيهما الذي قتله (معن) فيمن قتل من أهل حضرموت .

كما تمكن الرجلان المذكوران من العودة الى اليمن واستقبلهما أهل حضرموت استقبال الأبطال ، وأقاموا (محمد بن عمرو) قيلاً بحضرموت ولقد استنتج المؤرخون رضى الخليفة (أبو جعفر المنصور) بما فعله (معن بن زائدة) بأهل اليمن من العسف والجور وذلك من القصة التي أوردها الخزرجي[8] وهي أنّ حضرموت انتفضت على (معن) ، فسار اليهم فمرّ بزبّاب (مجفف الزبيب من العنب) في وادي مسور (لعله في بلاد حضرموت) فعظم في عينه ما رأى ، فقال لنائبه لا تقبل منهم إلا عشرة آلاف ذهباً عن الزبيب ، فلم يزالوا به حتى حطّ لهم ألفا ذهباً ، فجمعوا أعشارهم فجاءت عشرة آلاف ، فأعطوا عامله تسعة آلاف وبنو مساجدهم بألف ، ولمّا وصل معن الى حضرموت أوقع بهم عدة وقعات حتى بلغت قتلاهم خمسة عشر ألفاً ، فأعظم الناس ذلك فتحدثوا به ، حتى قال رجل من قريش لأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي : « ألا ترى يا أمير المؤمنين ما فعل (معن) بأهل حضرموت كاد أن يأتي عليهم » فقال له المنصور « يا ابن أخي خبرني عن قوم نُسّاك من قومك من الأنصار كنت أعرفهم بملازمة السواري في مؤخرة مسجد رسول الله ﷺ وقد أصفرّت ألوانهم من العبادة » قال : قتلهم الخوارج يوم قديد » قال المنصور : « فأخبرني عن الرجل الصالح الذي كان يلازم السارية الفلانية حتى كأنه خشبة من العبادة » قال الرجل : « قتل يوم قديد » قال المنصور : « فأخبرني عن أهل البيت الصالح بني فلان ما فعل الدهر بهم ؟ » قال الرجل : « قتلوا يوم قديد » فجعل المنصور يسأله عن قتلى يوم قديد من المهاجرين والأنصار من وجوه أهل المدينة ، وعبادهم ونسّاكهم وساداتهم ، وهو يقول : « قتلوا يوم قديد » أي على أيدي الخوارج ، فقال له المنصور : « يا ابن اخي أفتعيب على معن من قتل من أهل حضرموت ؟ وقد أخذ بثأركم » (يعني

(٨) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٦ .

من الخوارج) فسكت القرشي .

فأبو جعفر المنصور في هذه القصة قد رضي لمعن بن زائدة الشيباني عامله على اليمن ما فعله بأهل حضرموت ان لم يكن قد أمره بأن يفعل بهم ذلك ، ولا ذنب لأهل حضرموت إلا انهم حملوا المبادىء التي يحملها الخوارج في مختلف بقاع الولايات الاسلامية وليسوا من خوارج قديد ، ومع ذلك فليس كل أهل حضرموت حملوا مبادىء الخوارج ، ولا ذنب لهم أيضاً إلا أنهم ثاروا على عامل معن عليهم لظلمه لهم وعسفه وجوره فيهم ،

وقد وليَّ (أبو جعفر المنصور) في اليمن خلفاً لمعن بن زائدة الشيباني (الحجاج بن منصور) ، ثم خلفه بـ (الفرات بن سالم العنسي) أو (العبسي) .

ثم خلف هذا بـ (يزيد بن منصور بن عبد الله بن شمر بن يزيد الحميري) خال ولده (المهدي) .

ولما توفي (أبو جعفر المنصور) في عام (١٥٨) للهجرة وخلفه ولده (المهدي) أقرّخاله (يزيد بن المنصور) المذكور عاماً واحداً ، ثم استدعاه الى العراق ليحج بالناس ، وأناب (يزيد بن منصور) عنه في اليمن (عبد الخالق بن محمد الشهابي) .

ولما توفي (يزيد بن منصور) بعد شهر ونصف من مغادرته لليمن ولى (المهدي) عليه (رجا بن روح الجذامي) .

ثم خلفه بعد احد عشر شهراً بـ (علي بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن العباس) الذي غادر اليمن بعد عام واحد عائداً الى العراق مستنيباً عنه في اليمن (واسع بن عصمة) الذي خلفه (المهدي) بعد احد عشر شهراً بـ (عبد الله بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس) ، ثم خلفه المهدي بعد سبعة أشهر بـ (منصور بن يزيد الحميري) .

ثم خلف هذا بعد عام بـ (عبد الله بن سليمان النوفلي) ، قال

الخزرجي[٩] : « وكان خيّراً يروي الحديث عن الزهري عن عروّة عن عائشة ، ويروي عن يزيد بن يزيد عن جابر عن مكحول » .

ثم خلفه بعد عام وعشرة أشهر بـ (سليمان بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي) .

ولما توفي الخليفة (المهدي) عام ١٦٩ هـ وخلفه ولده (الهادي) ولي على اليمن(عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) لمدة عام .

ثم خلفه بـ (ابراهيم بن سليمان بن عقبة بن مسلم الباهلي) .

ولّما توفي (الهادي) وخلفه ولده (هارون الرشيد)[١٠] في عـام (١٧٠ للهجرة) ولى على اليمن خاله (الغطريف بن عطا) .

وبعد ثلاث سنوات عاد الى العراق مستنيباً عنه في اليمن (عباد بن محمد الشهابي) الذي[١١] يعتبر الرجل الأول في بني شهاب في ذلك التأريـخ ، وله حسنة بناء سقاية جامع صنعاء التي كانت تسقي خلقاً كثيراً من أهل صنعاء ولا سيما بعد ان اشترط (عبّاد بن الغمر الشهابي) الذي يعتبر الرجل الثاني في بني شهاب في عهد العباسين على عامل اليمن (محمد بن خالد بن برمك) حـين اخرج غيل البرمكي ومرّ بأملاكه أي (عبّاد بن الغمر الشهابي) أن يختزل منه شفرة (أي قناة صغيرة) تصب في سقاية (عباد بن محمد الشهابي) المذكور ،

---

(٩) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٧ .

(١٠) وفي عهد هارون الرشيد وصـل الى صنعاء الإمام الشافعي وأخـذ عن قاضي صنعـاء هشام بن يوسف وعن مطرف بن باذان وعن اسحق بن راهويـة وعن عبد الـرزاق بن همام الصنعـاني وعن ابي يعقوب الدبري والذي قال الشافعي عنه :

(لا بـد من صنعاء وإن طـال السفر ، ونقصـد القـاضي الى هجـرة دبر)

وهذه الهجرة كانت في بلاد سنحان ولم يبق لها اليوم وجود ، بشكل معروف .

(١١) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١١٧ .

وكان أهل صنعاء يقولون ان مكرمة (محمد بن خالد) لم تتم إلا بعباد ، أي بالسقاية التي بناها في الجامع ووصلتها قناة من النهر .

ثم خلف (الرشيد) الغطريف بن عطا) بـ (الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي) .

وبعد عام واحد خلفه بـ (عاصم بن عتبة الغساني) .

ثم خلف هذا بعد عام أيضاً بـ (أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي) .

وبعد عام خلف (أيوباً) بكل من (الربيع بن عبد الله الحارثي) على الحرب والصلاة ، و(العباس بن سعيد) مولى بني هاشم على جباية الزكاة ، ثم خلفهما (الرشيد) بعد عامين بـ (محمد بن ابراهيم الهاشمي) وضمّ اليه ولاية الحجاز ، وأقام محمد بن ابراهيم في الحجاز وأناب عنه في اليمن ابنه (العباس) .

ولمّا شكاه الناس الى (الرشيد) خلفه على اليمن بعد ستة أشهر بـ (عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير) ، قال الخزرجي[١٢] : « وكان رزق عمال صنعاء (أي الراتب الشهري لعامل اليمن) ألف دينار ، فجعل الرشيد له (أي عبد الله بن مصعب) ألفي دينار فقال له (يحيى بن خالد) « هذا يفسد عليك من توليه بعده من أهل بيتك » فرّد رزقه الى ألف دينار ووصله بصلة جمة » .

وبعد عام خلفه بـ (أحمد بن اسماعيل بن علي الهاشمي) .

ثم خلف (الهاشمي) بعد عام بـ (ابراهيم بن عبد الله بن طلحة بن أبي طلحة) من بني عبد الدار .

ولم يلبث بدوره ان خلفه الرشيد بعد عام بـ (محمد بن خالد بن برمك)

---

(١٢) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٨ .

الأعرج الذي وصل الى صنعاء في عام (١٨٣) هـ وكانت اقامته في الغالب بقرية (منكث) من بلاد يريم لتوسطها بين مخلافي صنعاء والجند .

وكان[١٣] من خيرة ولاة العباسيين في اليمن وهو الذي جرّ الى صنعاء الغيل الذي عرف بغيل البرمكي ، ولما فرغ من اخراجه وشق قنواته ، جمع أهل صنعاء وحلف لهم انه لم يصرف في عمارته شيئاً من مال السلطان ولا من مال حرام ولا شبهة ، ثم أوقفه على المسلمين ، وبنى جامعاً عند سوق اللساسين في صنعاء ، وكان كثير الصدقات من أمواله ، كثير التفقد لأحوال الرعية ، محباً مشفقاً عليهم ، ويحكى انه خرج يوماً الى سواد صنعاء فرأى أهل ذلك السواد عليهم الشمال السوداء فظن انهم سؤالاً ، فقال لخدمه : « تصدقوا على هؤلاء المساكين » فقيل له : إنَّ هؤلاء هم الرعية الذين تؤخذ منهم الزكاة ، فتألمّ لحالهم وقال : « ما ينبغي ان يؤخذ من هؤلاء شيء » فلم يزل يتلطف بهم حتى اراد بعضهم الخروج عليه ، وخرج عن طاعته أهل تهامة ، فبعث الى الرشيد يشكو بأنّ أهل اليمن خالفوا ، فمكث هارون الرشيد يجهّز عليهم ، ثم بعث[١٤] الى مولاه (حماد البربري) ودفع اليه كتاب (محمد بن خالد) وقال له : « قد بعثتك على أهل اليمن فأسمعني أصواتهم » وجهزّه[١٥] بقوة عسكرية وقدم حماد الى اليمن في شوال سنة (١٨٤) للهجرة ، فعامل الناس بالعسف والشدة ، وقتل جماعة من روسائهم ، وشرّد جمعاً كثيراً منهم حتى دانوا له وأطاعوا وسلموا ما يجب عليهم من الزكاة المعتادة وزيادة ، وعمرت اليمن في أيامه وخاصة صنعاء ، وأمنت السبل ورخصت الأسعار وأخصبت اليمن ، إلا أنّ ذلك الخصب أفسده بطش حماد وعسفه ، بالناس ، وامتدّ ظلمه الى الآمنين ، فحجوا الى مكة وشكوه الى الرشيد الذي أدّى نسك الحج في ذلك العام ، فلم يسمع منهم ، فأغلظوا له في الكلام فلم يجبهم الى

---

(١٣) نفس المصدر والصفحة .

(١٤) نفس المصدر ص ٢٩ .

(١٥) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١١٤ .

شيء مما سألوه ، فقامت ضده عدة ثورات[١٦] أهمها ثورة (الهيصم بن عبد الحميد البحري الحميري) الذي أعتصم بجبل مسور وانضم اليه (عمر بن أبي خالد الحميري) وكذلك (الصباح) بحراز ، وتضامنوا وتعاضدوا على مقاومة الوالي العباسي (حماد البربري) ومحاربته وطرده من البلاد ، وتخليص اليمن من ويلاته ، وظلمه وجوره ، واشتبكوا معه في عدة معارك قتل فيها الوف الناس ، وظلت المعارك قائمة بين حماد واليمانية والثوار تسع سنوات إلى ان دخل الهيصم وادي بيش من مخلاف الحَكْم بن سعد العشيرة (المخلاف السليماني)وقبض عليه حماد ، وأسر وسيق الى الرشيد ، (وأوحى حماد الى الهيصم بأن يعترف لدى الرشيد حتى يخفف من عقوبته وذلك لئلا يكشف الهيصم للرشيد السبب الأول لثورته هو اغتصاب (حماد البربري) لجارية مولدة حسناء على أخته أي (الهيصم) ، فأجرى الرشيد محاكمة عاجلة كعادته للهيصم ورفاقه فأعترف الهيصم عملاً بوصية (حماد) فأمر الرشيد بقتله)

كما قبض حماد على (الصباح) وعلى ستمائة من رجاله ورجال الهيصم وسيقوا الى الرشيد ونكل بهم ، وبذلك هدأت الأحوال في اليمن ولكن الى حين ، وظل (حماد البربري) يستبد باليمانية ، ويسوم معارضيه سوء العذاب حتى تطلع اليمانية الىالتخلص منه ، وصاح قوم من اليمانية « بالرشيد وهو بمكة ، لإداء فريضة الحج سنة (١٩٢) للهجرة طالبين منه ان يمنع عنهم ظلم وجور حماد ، وقالوا له : « نعوذ بك يا أمير المؤمنين اعزل عنا حماد البربري إن كنت تقدر » .

وبالرغم من لجوء اليمنيين بالرشيد فإنه لم يُزل جور حماد ولم يرفعه عنهم إلا ولده (الأمين) الذي خلف الرشيد بعد موته عام ١٩٣ هـ وبعد[١٧] توسط اليمنيين بوزيره (الفضل بن الربيع) ،حيث خلفه (الأمين) بـ (محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي) الذي[١٨] أحسن السيرة في اليمن وصادر عمال سلفه

(١٦) اليمن في ظل الإسلام ص ٧٧ .
(١٧) اليمن في ظل الإسلام ص ٧٨ .
(١٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر من صفحة ٢٩ .

(حماد البربري) وأخذ منهم اموالاً جليلة ، وقد أحبه الناس واستقرت الأحوال اثناء ولايته في اليمن ، ولكن (الأمين) خلفه بعد عام واحد بـ (محمد بن أبي السرح الكناني) .

وفي اثناء ولاية هذا في اليمن استولى (المأمون) على الحكم بعد مقتل اخيه (الأمين) وذلك في عام (١٩٨) للهجرة .

وجعل (المأمون) اليمن في ولاية وزيره وقائد جيوشه (طاهر بن الحسين) وهو ولى عليه (يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري) .

ولّما شكاه اليمنيون الى (المأمون) خلفه بـ (عمر بن ابراهيم بن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وجاء الى[19] صنعاء من عند اخواله في أرحب في شهر صفر من عام (١٩٨) للهجرة وقام باعتقال (يزيد ابن جرير القسري) .

ثم لم يلبث (عمر بن ابراهيم) ان خلفه المأمون بـ (اسحق بن موسى ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) وقد أساء السيرة في الناس باليمن ، واثناء ولايته في اليمن ظهر فيه دعاة الطالبيين وعلى رأسهم (ابراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) وتلقب بالجزار لكثرة ما سفك في اليمن من دماء ، وقد وصل الى اليمن يدعو لمحمد بن ابراهيم الملقب بطباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي ظهر في الكوفة يدعو للرضا من آل علي ، واستطاع (محمد بن ابراهيم) ان يتغلب على الكوفة وعلى سواد العراق بمساندة (أبي السرايا السري بن منصور بن ربيعة بن ذهل الشيباني) يشجعه وغيره من الطالبيين على الظهور والدعوة لأنفسهم دون ما تستر أو حرج ، تسامح الخليفة (المأمون) معهم ، وتغييره شعار العباسيين (السواد) الى شعار الطالبيين (الأخضر) ، بل لقد كان عمل بمشورة وزيره (الفضل بن سهل) واسند

(١٩) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١١٩ .

ولاية العهد الى (الرضا علي بن موسى) اخو (ابراهيم بن موسى) المذكور ، اقتناعاً منه بأنه احق بالخلافة بعده من كل العباسيين ، ولكنه لمّا وجد معارضةً شديدةً من العباسيين ومن أهل بغداد ومن كثير من قادة جيوشه ، بل وخروج بعض الأقاليم على دولته عدل عن فكرة اسناد ولاية العهد الى الرضا المذكور وتخلص منه ، وأعلن للناس ذلك ، الأمر الذي اعاد له مركزه وجمع الناس على الولاء له .

وكان عامل اليمن (اسحق بن موسى) قد غادر اليمن بعد قدوم (ابراهيم بن موسى) الأمر الذي أتاح لأبراهيم بن موسى ان يبسط نفوذه في اليمن ويولي على كثير من مخاليفه وفروعه تسانده[٢٠] قبيلة بني فطيمة من سحار ابن خولان وبنو سعد بن خولان وعلى رأس هؤلاء (يعلي بن عمرو بن يزيد) بهدف استعانة هاتين القبيلتين به على اعدائهما التقليديين من الأكيليين بني ربيعة من خولان بن عمرو أيضاً ، وهو الأسلوب الذي قام به أيضاً (بنو فطيمة) و(بنو سعد بن خولان) مع الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) كما سنعلم .

وقد قام (ابراهيم بن موسى) بالقبض على مائة وخمسين رجلاً من الأكيليين ومن حلفائهم من (آل أبان الحميريين) و(بني شهاب) ولمّا كان في صنعاء قتلهم جميعاً ولم ينج منهم إلا (أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن القشيري) الذي استطاع ان يفلت من الأسر .

أمّا المأمون فإنه بعد تحوّل موقفه مع الطالبيين ارسل الى اليمن جيشاً بقيادة (حمدويه بن عيسى بن ماهان) لمحاربة (ابراهيم بن موسى) وطرده من اليمن ، وقد احسن منافسو (ابراهيم بن موسى) استقبال (حمدويه بن ماهان) وساندوه في حربه لابراهيم بن موسى ، وقامت عدة معارك بينهما كانت آخر معركة عند قرية جدر في الضاحية الشمالية لصنعاء انهزم ابراهيم بن موسى على اثرها ، ولم يستقم له أمر بعدها ، ثم صار يتردد بفلول جيشه ، من العلويين ومناصريه من اليمنيين بين المدن والقرى يقتل ويدمر وأخرب أثناء

---

(٢٠) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٢١ .

ذلك سور مدينة صعدة وبساتينها وسد الخانق فيها والذي يرجع بناؤه الى (نوال بن عتيك) عامل الملك (سيف بن ذي يزن) في المنطقة ، وكان ابراهيم بن موسى اثناء نفوذه في اليمن قد جهّز جيشاً من اليمن الى الحجاز بغية الاستيلاء على مكة، ولكن أهلها صدوه عن دخولها ومع ذلك فقد جهزت الدولة العباسية جيشاً بقيادة (أبي إسحق بن هارون الرشيد) الذي قدم[21] في وقت عسكرت فيه قوات ابراهيم بن موسى في بستان ابن عامر بالقرب من مكة ، وتعرّضوا لقوافل الحجيج بالسلب والنهب ، بل استولوا على كسوة الكعبة ، وقدم الحجيج الى مكة في اسوأ حال عراة جائعين ، فأرسل القائد العباسي جنداً نكل باليمانيين (يعني جيش ابراهيم بن موسى القادم من اليمن) وأسر أكثرهم واستردّ كسوة الكعبة ، واموال التجار والحجيج ، وأنزل بانصار ابراهيم بن موسى اشد انواع العقاب ، وخلى سبيلهم ، فعادوا الى اليمن في أسوأ حال ، يستطعمون في الطريق حتى هلك معظمهم جوعاً وعرياً .

وقدكان لانهزام جيش ابراهيم بن موسى الذي جهزه الى الحجاز اثره في انهزامه في اليمن ، الى جانب صمود (ابن ماهان) في وجهه ، باليمن ، والى جانب تحرك مناوئيه من اليمنيين ضده ، كما ساعد على انهزامه أيضاً موت (محمد بن طباطبا الذي كان يدعو له ، وقتل المأمون لخلفه (محمد بن زيد) .

وقد غادر (ابراهيم بن موسى) اليمن حيث انضم الى (ابي السرايا) في خراسان وقتل هنالك كما تذكر احدى روايات المؤرخين ، أو أنّ (علي الرضا) استأمن له (المأمون) فأمنه وعاد الى بغداد حيث عاش فيها الى موته عام (٢١٠) للهجرة كما تذكر رواية اخرى .

وقد ولى (المأمون) بعد قضاء ابن ماهان على ابراهيم بن موسى (عيسى ابن زيد الجلودي) .

---

(٢١) اليمن في ظل الإسلام بالنص ص ٢١

ولم يرق لابن ماهان تولية الجلودي بدلاً عنه ، فجهّز جيشاً بقيادة ابنه (عبد الله بن حمدويه بن ماهان) لصد الجلودي عن الوصول الى صنعاء ، ولكنّ الجلودي هزمه ودخل صنعاء وقبض على ابن ماهان وأودعه السجن ، ثم وزّع عماله على المخاليف .

ولّما استقرّت الأحوال في اليمن غادره عائداً الى العراق مستنيباً عنه في اليمن (الخضر بن منهال) من بني عبد المدان الحارثيين المذحجيين .

وأقام نائبه حتى قدم عليه (ابراهيم الأفريقي الشيباني) والياً على اليمن من قبل (المأمون) .

وفي عهده اضطربت الأحوال في تهامة وغيرها الأمر الذي حمل المأمون على التفكير بفصل تهامة اليمن عن نجده بوالٍ مستقل يحزم أمرها ويقرّ الأمن والاستقرار في ربوعها ، وفعلاً بعث الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) والياً على تهامة وما استولى عليه من الجبال (أي المحيطة بتهامة) كما جاء في مرسوم توليته ، ووصل ابن زياد الى تهامة في عام (٢٠٥) للهجرة وأسس فيها امارة آل زياد التي تعتبر أول امارة شبه مستقلة في اليمن كما سنعرف في الفصل الخاص بتأريخها .

وبالرغم من انفصال تهامة اليمن عن نجده بامارة (آل زياد) فإنّ الأمر في نجد اليمن لم يستتب لعامله (ابراهيم الأفريقي الشيباني) الأمر الذي حمل المأمون على ان يقسم نجد اليمن الى ولايتين بواليين وهما (نعيم الوضاح الأسدي) على صنعاء وأعمالها ، و(المظفر بن يحيى الكندي) على الجند وأعماله ، وقدم الأميران معاً الى اليمن في عا م (٢٠٦) للهجرة .

ولكنّ (المظفر الكندي) مات عقب توليه واضطلع (نعيم الوضاح) بالولايتين حتى خلفه (المأمون) بـ (محمد بن عبد الله بن محرز) مولى المأمون . ولّما تمرّد عليه أهل الجند عاد الى العراق مستنيباً عنه في اليمن (عباد بن الغمر الشهابي) الذي يعتبر الرجل الثاني في بني شهاب في عهد العباسيين بعد (عباد

ابن محمد الشهابي) الذي أنابه الغطريف بن عطا خال هارون الرشيد وعامله على اليمن كما عرفنا . وقد أقام (عباد بن الغمر الشهابي) في نيابته حتى قدم عليه (اسحق بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) والياً على اليمن للمرة الثانية ، وقد أساء السيرة كعادته . قال الخزرجي[٢٢] عنه « فأساء السيرة وظلم الناس وغشمهم ، وظهرت منه اخلاف منكرة وعظيمة ونال من اليمانية كل منال ، وتغضب عليهم تغضباً لم يفعله أحد قبله ، وكان لا يسأل احداً عن نسبه فينتسب اليهم (أي اليمانية) إلا قتله » (وقد يكون في هذا شيء من المبالغة ولكنه لا يخلو من الحقيقة في بعضه) وأضاف الخزرجي قائلاً : « ولم يترك لحمير ذكراً حتى أمر بقلع الخوخ الحميري بما أسرف في التحامل عليهم » .

وذكر نحوه (تاج الدين عبد الباقي بن عبد[٢٣] المجيد اليماني) فقال : « فأساء السيرة وظلم الناس ونال من التهامية كل منال ، فكان لا يسأل أحداً عن نسبه فينتسب إلا ضرب عنقه حتى كان من سأله بعد ذلك عن نسبه قال : مولى بني العباس ، ولم يترك بحمير ذكراً ولا رسماً ، ولم يزل كذلك حتى مات سنة ست عشرة ومائتين » أي أنه أقرّ من قبل المأمون على عمله في اليمن لظلمه وجوره حوالي تسع سنوات وهو ثالث ولاة العباسيين الذين أقروا على اعمالهم في اليمن مدداً طويلة ، لقسوتهم وظلمهم .

أما الأول فهو والي أبي جعفر المنصور (معن بن زائدة الشيباني) الذي أقام على ولايته ست سنوات ، وأما الثاني فهو (حماد البربري) مولى المأمون وعامله على اليمن والذي أقام في اليمن تسع سنوات ، وهذا الثالث كما علمت .

---

(٢٢) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣١ .

(٢٣) في كتابه (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ٣٢ .

وأضاف المؤرخ تاج الدين الى ما ذكره عن (اسحق بن موسى) قوله : « وقيل انّ أهل صنعاء شكوه الى المأمون فأمر باشخاصه فلما مثل بين يديه قال له المأمون : « ضع يدك على رأسي » ففعل قال : « قل وحياتك رأسك لا ضربت عنقاً » ، فقال ، فقال له : « عد الى عملك » فعاد فكان بعد ذلك يوسط الناس أي يضرب أوساطهم فيقطعهم نصفين » .

وبالرغم من عسفه وجبروته فإنه اقام على عمله الى موته في عام (٢١٠) للهجرة .

ثم خلفه بابنه الذي عامل الناس في اليمن بالشدة كأبيه ، فحاربه أهل الجند ، كما حاربه أهل صنعاء وهزموه الى ذمار فخلفه المأمون بـ (عبد الله بن عبيد الله) من أولاد العباس ، وقد أقام في اليمن والياً على نجده حتى توفي (المأمون) في عام (٢١٨) هـ ، فعاد الى العراق مستنيباً عنه في ولايته باليمن (عبّاد بن الغمر الشهابي) ، آنف الذكر والذي أقره المعتصم لمدة عامين ، ثم خلفه بـ (عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي) ، وهو أناب عنه في اليمن (عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالي) جد آل يعفر الحواليين الذين استقلوا بحكم نجد اليمن منذ الأمير (محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) كما سنعلم .

أو أن (الهاشمي) أناب عنه في اليمن (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) بعد[٢٤] ان تصافى معه على حساب (عبّاد بن الغمر الشهابي) وأولاده لتسهيل القبض عليهم واعتقالهم لديه في (بيت منعين) برأس جبل (ذخار) (ضلع كوكبان) .

وفي عا م (٢٢٥) للهجرة) جعل الخليفة المعتصم ولاية نجد اليمن بقسميه (الجند وأعماله وصنعاء وأعمالها ، الى مولاه (جعفر بن دينار) ، وهو

(٢٤) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٠ .

أناب عنه في اليمن (منصور بن عبد الرحمن التنوخي) .

وقد[٢٥] جهّز (يعفر بن عبد الرحيم) حليفه (طريف بن ثابت الكباري) لصده عن دخول صنعاء ، ولكن حامية صنعاء صمدت فيوجه قوة الأمير يعفر ، وقام التنوخي مع ذلك بضرب قوة الأمير (يعفر) ، وقتل وأسر عدد من افرادها ، واضطر الأمير يعفر الى تسوير مدينة شبام للدفاع عنها .

ثم قدم الى اليمن (عبد الله بن عيسى بن ماهان) واشترك مع التنوخي في الولاية .

وبعد عامين نقل (المعتصم) ما كان بنظر مولاه (جعفر بن دينار) في نجد اليمن الى مولى له آخر هو (ايتاخ التركي) (وكان العنصر التركي قد سيطر على مقاليد الأمور في الخلافة العباسية منذ عهد المعتصم) .

وقد أقرّ (ايتاخ التركي) النائبين المذكورين على نيابتهما في نجد اليمن حتى توفي (المعتصم) في عام (٢٢٧) هـ ولّماولى (الواثق) خلفاً للمعتصم أقر (ايتاخ التركي) على ولايته في اليمن ، وخلف ايتاخ النائبين المذكورين (بأبي العلاء أحمد بن العلاء العامري) ، وما ان وصل هذا الى صعدة حتى كان الأمير (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) قد جهز جيشاً بقيادة مولاه (طريف ابن ثابت الكباري الحاشدي) نحو صنعاء بغية الاستيلاء عليها ، قبل وصول العامري اليها ، ولكنّ النائب (منصور التنوخي) وحامية صنعاء صمدوا في وجه جيش الأمير يعفر وصدوه عن دخول صنعاء بعد حرب قامت بين الجانبين ، ووصل العامري صنعاء وأقام والياً فيها حتى توفي وخلفه أخوه(عمرو ابن العلاء العامري) .

ولكنه ما لبث ان خلفه (ايتاخ التركي) بـ (هرثمة بن بشير) احد موالي المعتصم ، وقدم هرثمة الى صنعاء في أواخر المحرم من عام (٢٣٠) للهجرة .

---

(٢٥) نفس المصدر ص ١٤١ .

وفي أثناء ولايته حدث بينه وبين (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) قتال في وادي ضلع بالقرب من شبام كوكبان مقر الأمير يعفر لم تسجل انتصاراً حاسماً لأيهما .

ويدل قيام الحرب بين الجانبين في منطقة (شبام كوكبان) مقر الأمير (يعفر) على ان الوالي (هرثمة بن بشير) هو الذي انشأ الحرب وغزا الأمير يعفر بغية حسم الموقف لصالح الدولة العباسية في اليمن ووضع حد لمطامع الأمير يعفر في زعم الأمير هرثمة ، ولكنه لم يحقق الغاية التي هدف اليها ، الأمر الذي حمل الخليفة العباسي (الواثق) على ان يعيد امر اليمن الى (جعفر[٢٦] ابن دينار) احد موالي المعتصم آنف الذكر ، وأمره بالمسير الى اليمن على رأس قوة قوامها اربعة آلاف فارس وألفا راجل ضمها الى قوة والي اليمن للعباسيين ، وفعلاً قامت الحرب بين الجانبين ومع ذلك فلم يحسم الموقف لصالح الدولة العباسية في اليمن ، بل لقد أدرك (جعفر بن دينار) قوة الحواليين وضعف مركز العباسيين في اليمن ، فصالح الأمير يعفر على ان يستقل أي الأمير يعفر ببلاد كوكبان وغيرها مما هو تحت نفوذه ، ثم استقرّ (جعفر بن دينار) في صنعاء ولم يحارب آل الحوالي بعد ذلك .

كما أنّ الأمير يعفر الحوالي أدرك في نفس الوقت ان الوقت لم يحن بعد لمناجزة ولاة العباسيين على نجد اليمن صنعاء وأعمالها والقضاء على نفوذهم عليها فجنح للصلح واكتفى بنفوذه على ما هو بيده ، بل وقبل[٢٧] اتاوة سنوية للعباسيين كدليل على بقاء ارتباطه بهم وعدم الخروج نهائياً عليهم .

ولّما توفي الخليفة العباسي (الواثق) في عام (٢٣٢) هـ وخلفه المتوكل العباسي أقرّ (جعفر بن دينار) على ولايته في اليمن صنعاء وأعمالها والجند

---

(٢٦) نفس المصدر ص ١٤٢ .

(٢٧) نفس المصدر والصفحة .

وأعماله وهذا ما أجمعت عليه روايتا المؤرخين (الجندي) و(الخزرجي) في تاريخيهما ولكنهما اختلفا فيما تلا ذلك من احداث .

فأمّا الجندي فذهب الى أنّ (المتوكل العباسي) إنما أقرّ (جعفر بن دينار) على ولايته في اليمن مدة ، ثم خلفه بـ (حمير بن الحارث) ، وانه لم يستتب الأمر لهذا في اليمن بسبب انتقاض الصلح الذي عقده (جعفر بن دينار) مع الأمير (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) ، ولقوة جانب الأمير يعفر ، مما اضطر (حمير بن الحارث) الى العودة الى بغداد واستيلاء الأمير يعفر على صنعاء بعد ذلك ، وأنه صادف مع ذلك حدوث مقتل الخليفة (المتوكل) العباسي وذلك في عا م (٢٤٧ هـ) مما وطد مركز الأمير يعفر في اليمن ، ولم يذكر (الجندي) أنّ احداً من العباسيين الذين خلفوا (المتوكل) ولوا احداً على اليمن .

وإنما ذكر أنّ الخليفة العباسي (المعتمد) عند توليه امر الدولة العباسية بعث بمرسوم النيابة على نجد اليمن صنعاء وأعمالها للأمير (محمد بن يعفر) لما قام به هذا من أخذ البيعة له في اليمن ، وأن الأمير (محمد بن يعفر) كان يوالي (ابن زياد) حاكم تهامة لشرعية ولايته من قبل العباسيين .

وأمّا (الخزرجي) فذهب الى أنّ (المتوكل العباسي) أقرّ (جعفر بن دينار) على ولايته في اليمن ولم يعزله ، وأنّ (جعفر بن دينار) استمر في ولايته في اليمن حتى قتل (المتوكل العباسي) في العام المذكور ، وخلفه ولده (المنتصر) العباسي الذي أقرّ (محمدبن جعفر بن دينار) الى وفاته أي المنتصر عام توليه ، وخلفه ابن عمه (احمد المستعين) الذي أقرّ كذلك (محمد بن جعفر بن دينار) حتى خلع (المستعين) في عام (٢٥١) هـ ، وخلفه ابن عمه (المعتز بن المتوكل) الذي أقرّ كذلك (محمد بن جعفر بن دينار) الى ان خلع (المعتز) وقتل في عام (٢٥٥ للهجرة) وخلفه ابن عمه (محمد المهتدي) الذي أقرّ كذلك (محمد بن جعفر بن دينار) على ولايته في اليمن ، الى ان قتل

(المهتدي) في عام (٢٥٦ هـ)، وخلفه ابن عمه (المعتمد) الذي أقر كذلك (محمد بن جعفر بن دينار) .

ولكنه لّما كانت السلطة الفعلية في عهد المعتمد العباسي (احمد بن جعفر ابن المتوكل) هي بيد ابن عمه (الموفق طلحة بن المتوكل) فإنه أي الموفق ولى الأمير (محمد بن يعفر) على صنعاء وأعمالها وذلك في عام (٢٥٦ هـ) أو في عام (٢٥٨ هـ) على اختلاف في الروايات ، ووجّه (محمد بن يعفر) عماله على الأعمال التابعة لصنعاء ، وأخضع حضرموت التي كانت قد امتنعت على من قبله منذ وفاة الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) حاكم تهامة .

وقد[٢٨] استقرت الأمور وهدأت الأحوال في نجد اليمن صنعاء وأعمالها منذ قدوم (جعفر بن دينار) المعروف بالخياط) الى اليمن في عام (٢٣١ للهجرة) وحتى عهد للأمير (محمد بن يعفر بأمر النيابة في نجد اليمن في عا م (٢٥٦) للهجرة ومهما اختلفت روايتا أو رأيا (الجندي) و(الخزرجي) فإنهما تؤديان حقيقة واحدة وهي :

أنّ مركز العباسيين في اليمن كان قد ضعف منذ عهد المتوكل (العباسي) ، وأنّ نفوذ (آل يعفر) بنجد اليمن صنعاء وأعمالها قوي منذ ذلك الحين ، وانّ الأمير (محمد بن يعفر) اصبح أميراً معترفاً به لدى الدولة العباسية منذ عهد الخليفة المعتمد الذي انتهت اليه الخلافة العباسية في عام (٢٥٦) للهجرة .

هذا ويعتبر الأمير (يعفر بن عبد الرحيم) هو المؤسس لدولة (آل يعفر) في نجد اليمن صنعاء وأعمالها وفي حضرموت وهي أول دولة مستقلة في اليمن إلا من انتماء شكلي الى العباسيين ، لأنه هو الذي صمد في وجه العباسيين ومهد لخلفه الاستقلال بالحكم وهيّأ لفرض اعتراف هؤلاء بآل يعفر كما عرفنا .

---

(٢٨) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٢ .

وضع اليمن العام منذ صدر الإسلام
وحتى بداية حركات الاستقلال

الوضع السياسي

كان اليمن منذ صدر الإسلام وحتى بداية حركات الاستقلال من الحكم العباسي في القرن الثالث الهجري ينتمي الى الدولة الاسلامية كسائر الولايات الاسلامية في مركزها (الحجاز) في عهد الرسول وعهد خلفائه الثلاثة (أبي بكر) و(عمر) و(عثمان) و (عبد الله بن الزبير) أو في (الكوفة) في عهد أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) ، أوفي (الشام) في عهد (معاوية بن أبي سفيان) و(الأمويين) أو في (العراق) في عهد (العباسيين) .

ولقد ساد الهدوء والاستقرار والرخاء مختلف ربوع اليمن في عهد الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم وعهد خلفائه الأربعة (أبي بكر) و(عمر) و(عثمان) و(علي) ، ، حتى لقد عاتب امير المؤمنين (عمر بن الخطاب) احد ولاته في اليمن على ارساله الى المدينة لواجبات اليمن ، فردّعليه بقوله : « والله لو وجدت من يأخذها في اليمن ما بعثت بها اليك » .

وذلك الاستقرار الذي ساد اليمن في عهد الرسول وعهد خلفائه الأربعة هو باستثناء فترات قليلة حدث فيها بعض التمرد والاضطراب في اليمن كحركة التمرد التي قام بها الأسود العنسي (عبهلة بن كعب) في آخر عهد الرسول .

وحركة (قيس بن مكشوح المرادي) التي قام بها في بداية عهد ابي بكر والتي تعتبر امتداداً لحركة الأسود العنسي .

وحركة التمرد والردة التي قام بها بعض اليمنيين في عهد أبي بكر أيضاً .

وحركة خلاف (معاوية بن أبي سفيان) على أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) اثناء توليه وإرسال معاوية الى اليمن (بسر بن أرطاة العامري) عاملاً عليه فسفك الدماء وأقلق الأمن فيه كما عرفنا كل ذلك في مواضعه من هذا الكتاب .

إذاً فاليمن ساده عموماً الأمن والاستقرار والرخاء منذ دخل ابناؤه في الإسلام طواعية ودون حرب تشنّ عليهم ، ووحّد الإسلام بين ابنائه في جميع مناطقه ، وقضى على الطبقية وحكومات الأقاليم والأقيال فيه ، واشتغل اليمنيون مع ذلك عن خلافاتهم الداخلية بتلبية نداء الرسول الكريم ، ونداء أبي بكر وعمر بن الخطاب للإسهام في القضاء على التمردات الطارئة التي حدثت في اليمن في آخر عهد الرسول وفي بداية عهد أبي بكر ، ثم للإسهام في نشر الإسلام في الشام والعراق ومصر وافريقيا وغيرها كما عرفنا أيضاً .

وما زالت جحافل اليمنيين تفد الى مراكز الدولة الاسلامية طيلة عهود الفتح في العصرين الأولين من عصور الإسلام .

ولقد أتسّم اليمن منذ صدر الإسلام بالوحدة الدينية ، عزّز من ذلك قيام أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) باخراج نصارى نجران عن طريق عامله على صنعاء (يعلي بن أمية) ، تنفيذاً لوصية الرسول الكريم عند موته بأن لا يُترك في جزيرة العرب دينان ، وحث أبو بكر عند موته على ذلك ، لتعذر قيامه بذلك بسبب تزاحم الأحداث الأهم من ذلك في عهده القصير ، وكما عرفنا عند بحث الأوضاع في اليمن أثناء عهد (عمر) .

كما اتّسم اليمن في عهد الخلفاء الأربعة وبالذات في عهد (عمر) وكغير اليمن من الولايات الإسلامية بالعدل مع الرعية والحزم مع الولاة ، ولنا امثلة مرّت بنا لعمر مع عامله في اليمن (يعلي بن أمية) وله امثلة مع غيره من العمال في غير اليمن كعمرو بن العاص عامله على مصر وغيره مما هو معروف في التواريخ الإسلامية .

ولقد كان في اليمن وكأي ولاية اسلامية اخرى في صدر الإسلام في عهد الرسول وعهد خلفائه الأربعة ولايات عامة يجمع الوالي بموجبها كافة الصلاحيات من امامة الناس في الصلاة ، وحشد الجيوش وتمويلها ، وتسيير المواكب للحج ، والنظر في الأحكام الشرعية واقامة الحدود ، وجمع الزكاة والصرف منها في مصارفها الشرعية ، وفي أوجه الإنفاق الأخرى التي استلزمها قيام الدولة واتساع شؤونها ، وولايات خاصة توزع فيها تلك الصلاحيات على عدد من الولاة في البلد الواحد وفي وقت واحد ، فيكون كل والٍ ذا ولاية خاصة .

ولقد قسم الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم اليمن بعد موت (باذان الفارسي) الى ثلاث ولايات ، وتبعه في ذلك الخلفاء الأربعة ، وهي ولاية (الجند) وهي أكبرها ، وولاية (صنعاء) و(حضرموت) ، ولكل ولاية من هذه الولايات الثلاث أعمالها وفروعها .

أما اليمن في عهد (الأمويين) فانه اتسم بالاضطراب وعدم الاستقرار ، وبتدهور اقتصاد البلاد ، أدى الى ذلك قسوة وعنف ولاة الأمويين في اليمن ، والذين جلهم من الثقفيين ، واهتمامهم فقط بفرض الضرائب على المواطنين وظلمهم ، وأدى بالتالي الى قيام الحركات اليمنية المناهضة للحكم الأموي ، والتي كان من ابرزها حركة (القيل عبّاد الرعيني) وحركة طالب الحق (عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي) كما عرفنا .

وقد أجمل[1] ذلك الدكتور (عصام الدين عبد الرؤوف) فقال : « وقد قاسى اليمنيون من الولاة الثقفيين الكثير من الشدائد ، فعامل هؤلاء الولاة الأهلين معاملة تنطوي على الجور والظلم ، وتطلع اليمنيون الى الخلاص من الحكم الأموي وولاته الجبابرة العتاة ، لذلك اصبحت اليمن أرضاً خصبة للحركات المناهضة للحكم الأموي » .

---

(١) في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ٦٠

ونحو ذلك كان حال اليمن في العهد العباسي من الإضطراب وعدم الاستقرار ، وبسبب عسف وجور ولاة العباسيين ، باستثناء عدد قليل جداً من الولاة المصلحين امثال (محمد بن خالد بن برمك) الذي نهج في اليمن منهج الاصلاح والعدل .

كما تميّز الحكم العباسي في اليمن بسياسة سرعة تغيير الولاة فيه كعامل قمع متجدد للحركات المناهضة لحكمهم دون جدوى فكان الوالي في العهد العباسي كما علمنا لا يقيم في ولايته أكثر من عام واحد حتى يُستَبَدَل بغيره . وهذا باستثناء ثلاثة من الولاة طال امد حكمهم في اليمن وهم : (معن بن زائدة الشيباني) عامل اليمن في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور وقد دامت ولايته في اليمن ست سنوات ، و(حماد البربري) مولى الخليفة العباسي (هارون الرشيد) وعامله على اليمن ، وقد دامت ولايته في اليمن تسع سنوات ، و(اسحق بن موسى العباسي) في ولايته الثانية في اليمن للعباسيين وقد دامت ولايته تسع سنوات أيضاً ومات وهو في ولايته باليمن ، وقد اطال مدد ولايات هؤلاء الولاة الثلاثة في اليمن جورهم وعسفهم اللذان مارسوهما في اليمن كوسيلة لإخضاع اليمنين وقمع الحركات المناهضةلحكم العباسيين في اليمن ، ولم تفلح سياستهم تلك بل وجاءت بنتيجة عكسية ، واستمرّت الحركات المناهضة للحكم العباسي في اليمن حتى فكر (المأمون) بفصل تهامة اليمن عن نجده بوالٍ يحزم امرها ويقرّ الأمن والاستقرار في ربوعها ، فأقام لذلك امارة (آل زياد) في تهامة، ومع ذلك وبعد أن أقرّ (محمد بن عبد الله بن زياد) أمور تهامة بعد حروب شديدة مع أهلها دامت ثلاث سنوات ، قامت الاضطرابات في نجد اليمن (الجند) وأعماله و(صنعاء) واعمالها فقسم العباسيون نجد اليمن الى ولايتين بواليين ، ولم تستقر الأمور للعباسيين مع ذلك واضطروا الى الاعتراف بآل يعفر كولاة على صنعاء وأعمالها ، وكانت دولة آل يعفر في اليمن أول دولة يمنية مستقلة عن حكم العباسيين إلا من انتماء شكلي لإضفاء الصبغة الشرعية لحكمهم .

الوضع الإجتماعي

احتفظ اليمنيون في الداخل والخارج ، بعد دخولهم في الإسلام وإسهامهم في نشره بوضعهم القبلي ، وليس احتفاظ معظم المناطق والأماكن والدول بأسماء القبائل إلا دليل على قوة النظام القبلي وعمق جذوره ، بالرغم من انتشار الإسلام ومبادئه ، وبالرغم من تطور اليمنيين اقتصادياً بما ملكوه خارج اليمن اثناء الفتوحات الاسلامية ، ذلك انهم احتفظوا بأنسابهم وبتقسيمهم القبلي الى بطون وعشائر تنتمي الى أصولها ، وان انتقلت عن مساكنها الأصلية في اليمن ، وتغيرت ظروفها ، وتعددت طبقاتها وفئاتها بتطور وعيها وثقافتها ، كطبقة الزراع والصنّاع ، وطبقة الفقهاء والأدباء ، وطبقة التجار ، والمهنيين ، واليمنيون مع كل ذلك التنوع والتطوّر حملة سلاح وجنود حرب قبل الإسلام وبعده لم يزدهم التجنيد العام في أي ظرف وأي زمان إلا مضاء وعزيمة ، يزيد من روعتهما وكفاءتهما التدريب بما يتلاءم وتطوّر فنون القتال .

واليمنيون يتمسكون دائماً بتقاليدهم وأعرافهم التي بعضها موروثة عبر تأريخ اليمن الطويل ولم يمحها الإسلام من نفوسهم بصورة نهائية كالأخذ بالثأر ، وبعضها موروثة أيضاً زاد الإسلام في ترسيخها وتعميقها في النفوس كالمروءة والوفاء والكرم والنجدة والدفاع عن العرض والشرف والكرامة والممتلكات والحقوق ، ومن ثمة بالنسبة لعادة الأخذ بالثأر كثرت في اليمن حوادث القتل ولا سيما في فترات غياب الدولة أو ضعفها ، ولذلك اتخذ اليمنيون للحد من اراقة الدماء عادة تهجير بعض القرى ليلجأ اليها الخائف ويأمن فلا يؤخذ إلا بحكم شرعي أو عرفي ، وعادات الترفيق للمسافر الغريب وعادات الاجارة وغيرها وبما لا يبعد عن مبادىء الإسلام .

ولقد نبغ في اليمنيين في ظل الإسلام وبالذات في العصرين الأولين من عصور الإسلام علماء مبروزن اخذ عنهم كبار الأئمة كالشافعي واحمد بن حنبل

وغيرهما ، ومن أولئك العلماء القاضي أبـو يعقوب الـدبري ، والقـاضي عبد الرزاق بن هشام بن نافع الحميري ووهب بن منبه وطاووس بن كيسان وعطاء ابن أبي رباح وغيرهم كثيرون من اليمنيين والأبناء المولدين من فرس ويمنيين .

كما نبغ في الفترة نفسها ادباء وشعراء ومؤ رخون ومنهم (عُبيد بن شربة) نديم معاوية ، وصاحب كتاب التيجان الذي يُعتبر من أول ما ألّف في اليمن في موضوعه ، وعلقمة بن ذي جدن الحميري الشاعر المخضرم والذي عده الهمداني احد شعراء ثلاثة يمنيين وهم علقمة هذا ومحمد بن أبان وأحمد بن يزيد القشيري اشعر شعراء حمير وغيرهم .

ولقد منح الاسلام اليمنيين المكانة الاجتماعية التي تليق بهم كجند من جند الإسلام الذين آمنوا به طواعيةً ولبوا نداءه وضحوا في سبيل نشره ، وكأبناء حضارة عريقة صقلتهم مع ذلك حضارة الإسلام ومبادؤه السامية ، كما أُعطي اليمنيون الفاتحون المراكز الهامة في المجتمعات الجديدة التي اسهموا في نشر الإسلام فيها في الشام والعراق ومصر وافريقيا وغيرها .

فتأسست[٢] مثلاً مدينة (البصرة) في العراق عام (١٦) للهجرة ومدينة (الكوفة) في العراق أيضاً عا م (١٧) للهجرة و(الفسطاط) في مصر عام (٢١ للهجرة) كمراكز أو ثغور امامية يعسكر فيها الجند العرب للجهاد فيما يليهم من أرض العدو ، واختطت كل قبيلة معسكرها بعد أن منحت اراضيها وأخذت العناصر اليمنية نصيبها في الاستقرار وامتلاك الأرض كما مُنح لهم العطاء من بيت المسلمين .

ففي الكوفة مثلاً قام نساب العرب وذو الرأي فيهم (سعيد بن نمران الهمداني) بتعديل القبائل وجعلهم اسباعاً ، فكانت بجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد سبعاً ، وصارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً ،

---

(٢) تاريخ اليمن الإسلامي ص ٧٦ .

وكان العطاء يمنح الى امراء الأسباع ، فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والأمناء ، فيدفعونه الى أهليهم وذويهم ، وأقطع من أرض الكوفة أبـو موسى الأشعري وجرير بن عبد الله البجلي ، والأشعث بن قيس الكنـدي ، واختطت البصـرة على نحو ما اختطت الكوفة به ، وتولى أبو الجرباء عاصم بن الـدلف من تميم انزال القبائل فكان كعب بن سـور الأزدي (من كبار سـادات اليمن) بجوار المنذر بن ربيعة من ربيعة والأحنف بن قيس من مضر .

أمّا الشام فقد تفرقت العناصر اليمنية في اجنادها ، فكان معسكر مدينة حمص جميعاً يمنيين من كندة وحمير وهمدان وغيرهم من بطون القبائل اليمنية ، كما كان الأغلب في معسكر مدينة دمشق أهل اليمن ، كذلك كان الأشعريون الأغلبية في معسكر مدينة طبريا من جند الأردن وكندة وقيس وكنانة ، وغلبت العناصر اليمنية في خطط الفسطاط في مصر عن غيرها من القبـائل العـربية ، فكان هناك خطط الصدف وتجيب والسكـون من كندة ، وحضـرموت وخـولان ومذحج ثم يحصب ورعين والكلاع والمعافر من حمير ، ومهرة وبلي من قضاعة ، وبني يشكر وبني عبد ربه وبني راشدة من لخم وغافق ، وبني بحر وبني سلامات من الأزد ، وكان معاويـة بن حديـج السكوني وعمرو بن قحزم الخـولاني ، وحيوة بن ناشرة المعافري ضمن من أقامهم عمرو بن العاص على انزال القبائل خطط الفسطاط .

« ثم إنّ سـائر العـرب سكان تلك الأمصـار حـازوا لأنفسهم الأمـلاك العقارية في جهات استقرارهـم ، وكان البدء في ذلـك هو القـرار (التأريخي) الذي أصدره أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) عام (٣٠) للهجرة بـالسماح لهم باستبدال أملاكهم القديمـة في بلاد العـرب بأخرى جديـدة من تلك التي تملّكها كبار المهاجرين والأنصار في الأمصار ، وفيـما يخص أهل اليمن لم يـذكر الطبري غير مثال واحـدهوشراء الأشعث بن قيس الكنـدي بما كـان يملكه في حضرموت املاك طلحة بن عبيـد الله في نواحي (طبـرنا بـاذ) وهذا لا يعني اقتصار الأمر على الأشعث فقط دون سائر أهل اليمن بـالأمصار المختلفـة التي

ربطوا أنفسهم وارتبطوا بها ، فهو (أي قرار عثمان) قرار عام استفاد به العرب جميعاً داخل بلادهم وخارجها ، وفتح عليهم باباً لم يكن في حسبانهم .

ونخلص من ذلك ان العناصر اليمنية وكذا مضر وربيعة المنطلقة من بلادها لقيت مناطق استقرار جديدة لها ، وحازت نصيبها من الغنيمة ، مالاً وعقاراً ازداد باطراد الفتح الإسلامي الذي امتدّ طوال عهد عمر بن الخطاب والسنوات الأولى من حكم عثما ن بن عفان الى خراسان وسجستان شرقاً ، والى برقة وافريقيا غرباً ، والى أرض الجزيرة واذربيجان وارمينية شمالاً ، والى النوبة جنوباً ، هذا بجانب ما كان يأتيهم من اموال الفيء من عطاء سنوي ، وأرزاق شهرية لهم ولنسائهم وذراريهم حسب النظام الذي وضعه عمر بن الخطاب ودوّن الدواوين

الوضع الاقتصادي

لمّا كانت الزراعة هي العمود الفقري في الاقتصاد القومي في اليمن عبر التأريخ فإنّ اليمنيين ظلوا حتى بعد الاسلام ونزوح الكثير منهم الى خارج اليمن للإسهام في نشره، يعتمدون على الزراعة بصورة اساسية ، الى جانب تربية المواشي ، وموارد الرزق الأخرى ، كالتجارة والصناعة والتعدين وبما يتلاءم وازمنتهم .

إلا[٣] أن أسر الفرس كاسرة باذان واسر بني سردويه وبني مهرويه وبني زنجويه وبني بزرج وبني فيروز وغيرهم كانوا جميعاً في صنعاء واقتصر نشاطهم على التجارة والتعدين ، ولم يشتغلوا بالزراعة إلا قليلاً ، كما انتشرت اسر أخرى فارسية في المدن الرئيسية والمراكز الاقتصادية ، مثل عدن والجند ورداع وثات ، كما انتشروا في ذمار والبون وفي صعدة ونجران ، وقد سميت قرى في بلاد بني حشيش احدى النواحي التابعة لصنعاء بأسماء فارسية كقرية الفرس وغيرها .

---

(٣) اليمن في ظل الإسلام بتصرف ص ٨٥ .

والاسلام لم ينزع ملكية الأرض عن اليمنيين لأنه لم يعتبرها ارضاً خراجية وانما اعتبرها ارضاً زراعيةً بسبب دخولهم الطوعي في الإسلام،واليمنيون كما هو معروف شديدو الارتباط بأراضيهم برغم ما تكلفهم زراعتها وبناء مدرجاتها ولا سيما عند خرابها من جراء الأمطار من نفقات باهظة في الحرث والري وبناء السدود الذي استلزمه انتظام الامطار،في بعض المناطق وعدم وجود أنهار دائمة وكبيرة في اليمن ، أمّا الذميون فاعتبر الرسول الكريم ارضهم خراجيّة ، ومنعوا مع ذلك في صدر الإسلام من شراء ارض المسلمين في اليمن لئلا تزيد ثروتهم عما كانت عليه .

ولكنهم(٤) من عهد الأمويين وبداية عهد العباسيين استطاعوا ان يشتروا كثيراً من الأرض ، ولمّا جاء الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) الى اليمن وأسّس فيه حكم الأئمة ، كما سنعرف اعتبر أرض الذميين بين الأرض العُشْرية والأرض الخراجية ، وسنّ فيها التسع من حاصلاتها .

وبفضل الإستقرار الذي نَعِمَ به اليمن في عهد الرسول الكريم وخلفائه الأربعة فانّ اليمن عمّ فيه الرخاء ، ولقد علمنا ما ردّ به احد عمال اليمن في عهد عمر بن الخطاب عليه حين عاتبه على ارسال واجبات الدولة من اليمن الى المدينة وهو قوله : « والله لو وجدت من يأخذها لما بعثت بها اليك » .

ولقد كان(٥) (عمر بن الخطاب) هو أول من أسّس دواوين العطاء للمسلمين في كافة الولايات الإسلامية ، ومنها اليمن ، حيث فرض لأهله لكل رجل قادر على الحرب ما بين الألفين الى الف الى تسعمائة الى خمسمائة الى ثلاثمائة ، ولم يُنقِص احداً عن الثلاثمائة ، وقال : لئن كثر المال لأفرضنّ لكل رجل أربعة آلاف ، ألف لسفره ، وألف لسلاحه ، وألف لفرسه ، وألف يخلفه

(٤) علي بن محمد العباسي العلوي في (سيرة الهادي) ص ٧٢ .
(٥) اليمن في ظل الإسلام ص ٥٣ .

لأهله ، ولم يوضح المصدر أكان ديناراً ام درهماً .

وكان[٦] في شروط اثبات اسم الشخص في الديوان ان يكون حراً ، فلا يُثْبَت في الديوان عبد تابع لسيده داخل في عطائه ، ولا يجوز اثبات الصبي في الديوان بل يكون جارياً في جملة عطاء الذراري ، والشرط الثالث الإسلام ليدافع عن الدِّين باعتقاده ، والرابع السلامة من الآفات المانعة من القتال ، والخامس ان يكون فيه اقدام على الحرب ، فاذا ضعفت همته على الإقدام أو قلّت معرفته به حذف اسمهُ من الديوان ، وكان على أهل العطاء أن يجهّزوا انفسهم بالأسلحة

ويذهبـوا للقتال حينما يؤمَرون بـذلك ، واذا لم يلبـوا الدعـوة للقتال فـإن أسمهم يُحَذَف من الديوان .

ومَنَحَ الإسلام اليمنيين الفاتحين مع ذلك (وكما عرفنا) ملكيات خارج اليمن في الأرض التي أسهموا في افتتاحها ، وبالطبع فإنّ أهلهم المقيمين داخل اليمن وبالذات آباءهـم والمسنين من قرابتهم لم يحرموا من الخير العميم الـذي أصابهم خارج اليمن .

ولضمـان انعاش التجـارة في موانىء ومـدن اليمن فإنّ بعض الـولاة في العصرين الأولين من عصور الإسلام أنشأوا معسكرات الحراسة لقوافل التجارة في جميع المدن والموانىء ، وفي طرق القوافل البرية ، ومراكب النقل البحرية ، وان كان عدم الاستقرار في العهدين الأموي والعباسي قـد أثرّ تـأثيراً سيئـاً في الأوضاع الاقتصادية في اليمن ، كما بنوا في الكثير من المراحل البرية بيوتاً لإيواء المسافرين ، وحفروا الآبار وبنوا المساجد ، وعيّنوا المحتسبين في الأسواق لمراقبة الأسعار والمكايل والموازن وحركة التجارة ونشاطها ، ومنع الغش والمغالاة وكل ما يفسد التعامل التجـاري ، وضمنوا بـذلك الى جـانب انتعاش التجـارة في الداخل حسن التبادل التجاري مع الخارج ، وكـان اليمن يصدر الى الخـارج منتجاته من الحبـوب بأنـواعها والتمـر والزبيب والمرُ وأنواع البخـور والعطور

(٦) اليمن في ظل الإسلام ص ٥٣ .

والصمغ ، ويستورد منتجات البلدان الأخرى ، ولقد كانت هناك أسواق دائمة في صنعاء وحضرموت والجند وعدن والموانىء اليمنية في تهامة ، وكانت عدن ملتقى تجارة البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، وبحر الهند والمحيط الهندي ، وزاد من ازدهار التجارة البحرية قيام امير المؤمنين (عمر بن الخطاب) بحفر القناة التي أوصلت النيل بالبحر الأحمر ، والتي عرفت بقناة عمر ، وقد تهدمت منذ زمن بعيد بسبب عدم صيانتها والمحافظة عليها .

أمّا الصناعة في اليمن في الفترة المذكورة فقد ازدهرت صناعة الأدوات الحربية اليدوية من رماح وسيوف وخناجر وأقواس وغيرها واشتهرت السيوف اليمانية بجودتها ، وتميّز اليمن بالخناجر التي يحملها اليمنيون وحتى اليوم لا للقتال فقط بل وللزينة .

كما ازدهرت صناعة النسيج في اليمن واشتهرت[٧] في اليمن الثياب السحولية والمعافرية والشرعبية والحضرمية والجيشانية (نسبة الى مدينة جيشان التي كانت في سفح جبل العود بينه وبين بلاد قعطبة وقد تهدّمت) وبز صنعاء والعمائم العدنية والقلانس اليمنية ، والثياب النجرانية وغيرها ، كما اشتهرت منسوجات تهامة وبالذات (بيت الفقيه) التي اشتهرت فيها اللحف والأغطية وغيرها ، وقد علمنا أنّ الرسول الكريم اشترط على نصارى نجران في الاتفاق الذي عقده معهم الفي حلة تدفع على وجبتين الأولى في رجب والثانية في صفر كما سبق في موضعه .

كما ازدهرت في اليمن صناعة الجلود والأثاث والمفروشات والمجوهرات ومختلف السلع الأخرى التي ضعفت صناعة الكثير منها اليوم لعدم حمايتها باستيراد مثيلاتها من الخارج .

وبناء على ذلك فإن موارد الدولة في الفترة المذكورة اعتمدت أساساً على

---

(٧) نفس المصدر ص ٥٥ .

الزراعة وعلى التجارة وعلى التعدين المحدود بالنسبة لليمن ، ولذلك كان كل همّ ولاة الأمويين والعباسيين هو فرض الضرائب الزكوية وغيرها وظلم اليمنيين لتغطية مصروفاتهم ولإخضاع وقمع الثورات في الداخل ، ولإرضاء مراكز الدولتين وخلفائهما ووزرائهما بما يبعثونه من اليمن من اموال وهدايا ومن نفائس ومجوهرات حفاظاً على مراكزهم فيه .

أبرز حركات الاستقلال في اليمن

يعتبر القرن الثالث الهجري عصر ابرز حركات الاستقلال عن حكم العباسيين في اليمن ، وإن كا نت قد احدثت صراعاً عقائدياً بين السنة والشيعة ، أحدث ذلك الصراع حروباً مريرةً سيأتي تفصيل ذلك في فصل (وضع اليمن العام بين استقلاله وحكم الأيوبيين فيه) ، فمن تلك الحركات الاستقلالية ما هو يمني بحت ، ومنه ما هو غير يمني في نبعه ولكنه وجد في اليمن التربة الخِصْبة لنشأته ، والمناخ الصالح لنموه وترعرعه .

ولقد ساعد اليمنُ ارضاً وبشراً على قيام الحركات التحررية من حكم العباسيين ، سواء ما كان يمنياً ، أو ما كان مصدره قد وفد عليه من خارج اليمن .

فأمّا الأرض فلطبيعة اليمن الجبلية في معظمها فإنّ الدعاة وقادة حركات الاستقلال يتمركزون في قممها العالية حيث يصعب على العباسيين الوصول اليهم ، ومنها ينطلق الدعاة لنشر دعوتهم وتوطيد دعائم حكمهم في أوسع رقعة يمكنهم من اليمن ، فاذا ما تقدمت جيوش ولاة العباسيين ، أو مدد العباسيين وقواتهم ، انسحب الدعاة وقادة حركات الاستقلال الى الجبال وامتنعوا بها ، وصمدوا منها للدفاع عن أنفسهم ، وليس للدولة العباسية الوسائل التي تمكنهم من الوصول اليهم كما هي اليوم ، وأمّا البشر فبسبب إيمان اليمنيين وقيام الدعاة ببناء دعواتهم على أساس من الدين فإنّ اليمنيين يلبون دعاتهم ويلتفون حولهم ويجاهدون في صفوفهم حتى يمكنوهم من نشر دعواتهم ومن بسط نفوذهم ،

وحسب مـا يمكنهم ويتلاءم مـع الظروف المحيـطة بهم ، ولا أدلّ عـلى هـذين الأساسين لنجاح حركة الدعاة في اليمن من وصية الإمام (احمد بن الحسين) لداعيته (الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) حين بعثه مع زميله (علي بن الفضل اليمني) للدعوة لابنه (عبيد الله) الفـاطمي وهي قولـه : « الى عدن لاعة » (ذات الجبال العالية في بلاد مسور حجة) فأقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تعزّ دولتنا ، ومنها يفترق دعاتنا » .

وقـوله بعـد ذلك : « واجمـع المال والـرجال ، والـزم الصـوم والصـلاة والتقشف » ثم قوله للداعيتين المذكورين معاً : « انني ابعثكما الى اليمن تدعوان لأبني هذا فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وانّ الله قسم لليمانيين أن لا يتمّ أمر في هذه الشريعة إلا بنظرهم » . وفعلاً تمركز احد الداعيتين وهو (الحسن ابن حوشب) في عدن لاعة بجبال مسور العالية المنيعة في الشمـال الغربي من اليمن ، وتمركز زميله في الدعوة الفـاطمية (عـلي بن الفضل) في جبـال يافـع العالية المنيعة كذلك في الجنوب الشرقي تقريباً من اليمن ، وانطلق كل منهما في الدعوة بعد استمالة ابناء المنطقة أولاً بملازمة العبادة والصوم والصلاة والزهـد والتقشف حتى اقاما دولـة الإمام (عبيـد الله بن الحسين) الفـاطمي في اليمن والتي حـافظ الداعيـة(منصور اليمن الحسن بن حـوشب) المذكـور عليها الى موته ، بينما تخلى الداعية الثاني (علي بن الفضل) عنها ، واستقلّ بحكم اليمن كما سنعرف تفصيلاً في الفصل الخاص بتأريخ (دعاة الفاطميين في اليمن) .

أمّا مجمل الحركات التحررية من حكم العبـاسيين والتي استـطاعت أن تنشيء حركاتها وتقيم حكمها في اليمن فهي :

حركة آل يعفر .

وحركة الإمامة الزيدية .

وحركة دعاة الفاطمية .

فأمّا آل يعفر فقد بدأت حركتهم بالأمير (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي الحميري) وذلك في عهد الخليفة (الواثق) العباسي الذي خلف (المعتصم) العباسي في عام (٢٢٧) للهجرة ، وقد لاقت حركة (آل يعفر) مقاومة شديدة من العباسيين عن طريق ولاتهم في اليمن ، وجحافل جيوشهم التي سَيَّروها الى اليمن لتعزيز قوات ولاتهم لإخضاع ما كانوا يسمونه بحركات التمرد وبحركات الخارجين في اليمن ، ولم يرضخ (العباسيون) للأمر الواقع ويعترفوا بحكم (آل يعفر) في اليمن إلا في عهد الخليفة (المعتمد) العباسي الذي اسند أمر النيابة على نجد اليمن (صنعاء) وأعمالها للأمير (محمد بن يعفر) في عام (٢٥٦) للهجرة .

وقد تلافى الخليفة (المعتمد) الأمر باصدار مرسوم النيابة للأمير (محمد ابن يعفر) حفاظاً على نفوذ العباسيين في اليمن ولو الى حد ما ، ومنعاً من تسرب عدوى التحرر والإنفصال كليةً عن بغداد في اقطار اسلامية اخرى .

وقبل الأمير (محمد بن يعفر) أمر النيابة كانتماء شكلي الى خلافة اسلامية هي الخلافة العباسية ، لإضفاء الصبغة الشرعية على حكمه في عرف ذلك العهد الذي كان فيه بقية اعتبار للخلافة ولو أنها لم تعد خلافة اسلامية بمضمونها الحقيقي .

وعليه فإنّ أمارة (آل يعفر) في نجد اليمن صنعاء وأعمالها ثم في (حضرموت) والجند وأعمالها تُعَتبر أول امارة يمنية مستقلة في اليمن ، وحركتها أسبق الحركات التحررية الثلاث آنفة الذكر ، وأبرزها نشاطاً في بدايتها بالنظر الى قوة مركز العباسيين نسبياً عند قيامها ، أما مواقف (آل يعفر) إزاء الحركتين الأخريين (حركة ائمة الزيدية) و(حركة الفاطمية) فقد كانت مناهضةً لكل منهما ، ولو أنّ الأمير (اسعد بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد ابن يعفر) قد أذعن مرغماً لـ (علي بن الفضل) بعد انفصاله عن الفاطميين واستقلاله بحكم اليمن كما سنعرف ، ولكنه أي الأمير (اسعد بن أبي يعفر) ما

أن نجحت مؤامرة قتل علي بن الفضل بالسم حتى جمع قواته وزحف بها نحو المركز الرئيسي لعلي بن الفضل ومعقله المنيع في المذيخرة وحاصره عاماً كاملاً حتى استولى عليه وقبض على اتباعه وقضى فيه وفي عموم اليمن على كل أثر له كما سنعلم أيضاً .

وأمّا (الإمامة الزيدية) فقد بدأت حركتها في اليمن بالإمام الهادي (يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم) الذي قدم الى بلاد صعدة من مقره في جبل الرس بالحجاز بالقرب من المدينة المنوّرة عام (٢٨٤) للهجرة ، تسانده قبيلتا (سعد بن سعد بن خولان) ، و(آل أبي فطيمة) ، وكلاهما من سحار من ابرز قبائل خولان بن عمرو القضاعية في بلاد صعدة) .

وكان الإمام الهادي قد وصل الى (الشَّرفَة في بلاد نهم) عام (٢٨٠) للهجرة في رحلة استطلاعية عرض نفسه خلالها على القبائل اليمنية في المنطقة يدعوهم الى مساندته في دعوته لإقامة الحق ونصرة المظلوم وتنفيذ احكام الشريعة (كما جاء في خُطَبِهِ التي كان يلقيها ويراسل القبائل بها) ولكنه لم يلق الاستجابة التي كان ينتظرها فعاد الى الحجاز ، حتى دعته القبيلتان المذكورتان للمرة الثانية في عام (٢٨٤) هـ كما علمنا .

وأمّا (دعاة الفاطمية) في اليمن فقد بدأت بالداعيتين (علي بن الفضل الخنفري الحميري) و(حسن بن حوشب بن زادان الكوفي) الذي لقب بمنصور اليمن ، واللذين أوفدهما من الكوفة الى اليمن الإمام (أبو عبيد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) للدعوة لابنه الإمام (عبيد الله محمد ابن الحسين الفاطمي) وذلك في عام (٢٦٤) للهجرة ، ولكنهما لم يبدآ نشاطهما العسكري إلا في عام (٢٩١) للهجرة .

ولقد سارت كل حركة من الحركات الثلاث (اليعفرية) و(الزيدية) و(الفاطمية) في طريقها الذي رسمته لنفسها ، وفي اتجاهها الخاص بها ،

وحدثت حروب فيما بينها غذتها الزعامات المحلية الأقل شأناً منها كـ (آل الضحاك الحاشديين) و(آل الدعام الأرحبيين) و(آل الروية المذحجيين) و(آل طريف) بن آل ذي كبار الحاشديين) حلفاء آل يعفر وغيرهم من القبائل ذات النفوذ المحدود في الساحة اليمنية ، والتي كان لها أثرها في ترجيح كفة هذا الفريق أو ذاك من الفرقاء الثلاثة السالف ذكرهم .

وقد كانت حركة (آل يعفر) (أولى الحركات الثلاث) هي وحدها التي واجهت المقاومة العنيفة من العباسيين كما أشرنا ، وبما أنّ حركة (الفاطمية) هي آخر الحركات بروزاً ونشاطاً فإنّ الزعيم اليمني (علي بن الفضل) احد داعيتيها صار ابرز وأقوى منافسيه من قادة الحركات الثلاث ، واستطاع أن يُخضع الأمير اسعد بن ابراهيم بن محمد بن يعفر لحكمه ، وأن يردّ الإمام الهادي عن صنعاء الى صعدة ، ويحصر نشاطه فيها ، ثم استقلّ أي (علي بن الفضل) حتى عن الفاطميين الذين كان يدعو لهم ، وحارب زميله في الدعوة (منصور اليمن الحسن بن حوشب) وحاصره في معقله بجبل مسور في بلاد حجة عاماً كاملاً ، وأضطرّه الى ان يرهن عنده ابنه لضمان دوام ولائه له ، وعدم القيام بحركة مناوئة له ، وأقام (علي بن الفضل) في عموم اليمن تقريباً حكماً يمنياً موحداً دام الى موته بالسم اكثر من عشرين عاماً .

واذا كانت هذه الحركات الثلاث هي ابرز حركات التحرر في اليمن والتي كتب لها النجاح ، فإنّ هناك حركات تحرر سبقتها إلا انها كانت أقلّ شأناً منها ، ولم يكتب لها النجاح لظروف خاصة بها ، ولكنها كانت البذور الأولى لحركات التحرر الناجحة التي تلتها ، وقد رأينا شيئاً من تأريخ تلك الحركات الأولى في فصلي الأمويين والعباسيين .

هذا وقد عقدت لكل من (آل يعفر) و(الزيدية) و(دعاة الفاطمية) فصلاً مستقلاً ، وبحسب هذا الترتيب بعد فصل (امارة آل زياد ومواليهم) ، وذلك لتقدم قيام هذه الإمارة على قيام دول تلك الحركات الثلاث ، ووفقاً لما التزمته من ترتيب فصول الكتاب .

امارة آل زياد ومواليهم

٢٠٤ - ٤١٢ هـ (٨٢٩ - ١٠٢١ م)

لما اضطرب الأمر في تهامة واختلّ أمنها بخروج عك والأشاعر فيها ، واستعصى على عامل المأمون في اليمن (ابراهيم الأفريقي الشيباني) اقرار أمورها ،أمر المأمون وزيره (الفضل بن سهل) بأن ينظر له من يبعثه الى اليمن لسد خللها ، وأقرار الأمن والاستقرار في ربوعها ، وكان المأمون قد قبض على (محمد بن عبد الله بن زياد) من أولاد زياد بن أبيه ، وعلى (محمد بن هارون التغلبي) و(سليمان بن هشام بن عبد الملك) حين وشي بهم اليه بأنهم يحاولون الخروج عليه ، ثم عفى عنهم ، وأمر الفضل بن سهل بأن يضمهم اليه .

ولما طلب المأمون من الفضل بن سهل بأن ينظر له من يبعثه الى اليمن والياً على تهامة فيه ، اثنى الفضل على هؤلاء الثلاثة وقال : يكون (ابن زياد) اميراً ، و(ابن هشام) وزيراً ، و(التغلبي) قاضياً فوافقه المأمون على ذلك .

ولمّا[1] أتمّ ابن زياد الدور الذي طلب منه في مساندة الخليفة المأمون الذي سار على رأس جيشه من (مرو خراسان) الى بغداد لاستعادتها من (ابراهيم ابن المهدي)[2] ، غادر (اي ابن زياد) بغداد على رأس القوة التي جهزها معه

(١) اليمن في ظل الإسلام ص ٨٨ .

(٢) كان العباسيون قد بايعوا (ابراهيم بن المهدي العباسي) وخلعوا المأمون بسبب اسناده ولاية العهد الى الرضاء على بن موسى العلوي) وقد الغى المأمون ولاية العهد للمذكور وتمكن من طرده من بغداد ، واستعاد هو مركزه واجمع الناس على الولاء له بعد ذلك .

المأمون الى اليمن ووصله في عام (٢٠٣) أو (٢٠٤) للهجرة ، (على خلاف بين المؤرخين) ، وبسط نفوذه باسم العباسيين في تهامة ، بعد حروب شديدة مع أهلها استمرت ثلاث سنوات ، واختطّ مدينة زبيد في وادي زبيد في عام (٢٠٤) للهجرة ، واتخذها عاصمة لإمارته التي تعتبر أول امارة شبه مستقلة في اليمن عن العباسيين .

وفي عام (٢٠٦) للهجرة تلقى من المأمون مدداً عسكرياً يتألف من الفي فارس عرباً وخراسانيين ، بناء على طلبه الذي وجهه ابن زياد مع هدية جليلة واموال عظيمة صحبة مولاه جعفر في عام (٢٠٥) هـ ، فتمكن ابن زياد من مواصلة حربه للخارجين على الدولة العباسية في تهامة اليمن ، حتى وصل الى (حلي بن يعقوب) في شمال تهامة ، والى عدن وابين ، والى الشحر وحضرموت ونجران ، كما اخضع لنفوذه بيحان والجنوب ، ومخلافي الجند وجعفر من بلاد اب ، وولى على مخلاف جعفر مولاه جعفر الذي نسب[٣] المخلاف المذكور اليه ، واختط فيه في جبل ثومان مدينة المذيخرة ، وكان فيه كفاءة ودهاء ، حتى لقد كان يقال (ابن زياد بجعفره) ، ووالى امراء صنعاء (ابن زياد) وخُطب له فيها بعد العباسيين .

أمّا الخزرجي[٤] فذكر أنّ ابن زياد ملك فيما ملكه في اليمن صنعاء والحجاز ، والظاهر ان نفوذه على صنعاء والحجاز كان نفوذاً أدبياً بحكم الولاية الشرعية التي اسندها اليه العباسيون والتي جاء في مرسومها النص على تهامة وما استولى عليه من الجبال بدليل أنّ ولاة العباسيين ظلوا يتتابعون على نجد اليمن صنعاء وأعمالها والجند وأعماله ، حتى استقلّ به بنو يعفر ، وقد عظم نفوذ آل زياد وامتد سلطانهم أكثر منذ بدأ بنو العباس ينقسمون على أنفسهم بعد موت

(٣) بينما يرى الجندي ان مخلاف جعفر انما نسب الى الأمير جعفر بن ابراهيم المناخي لا الى غيره ، وهذا اصح لأن جعفر المناخي استقر فعلاً في بلاد المذيخرة واتخذها دار اقامته ومركز ولايته اثناء نيابته عن آل زياد حتى غزاه اليها علي بن الفضل وقتله اثناء حرب قامت بينهما ، واستولى على المنطقة . فيما استولى عليه في اليمن ، كما سيأتي تفصيله عند التأريخ له .

(٤) في (العسجد المسبوك) مخطوط قامت وزارة الاعلام والثقافة بتصوير فوتوغرافياً ولنسخ محدودة.

الواثق عا م ٢٣٢ هـ .

ويبدو أنّ الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) بسبب العون المادي والمعنوي له من الدولة العباسية ، وبسبب طول فترة امارته الى موته في عام ٢٤٥ للهجرة ، أقام دولة قوية مزدهرة بسطت نفوذها على معظم اجزاء اليمن الطبيعية ، بما فيها حضرموت والشحر ومهرة وغيرها .

يدل على ذلك ضخامة موارد دولة آل زياد برغم تقاصرها في عام (٣٦٦ هـ) والتي اشار اليها الخزرجي(٥) استناداً الى عمارة في المفيد حيث قال : « رأيت مبلغ ارتفاع اعمال ابن زياد بعد تقاصرها وذلك في سنة ٣٦٦ هـ من الدنانير الف ألف دينار » . وهذا مبلغ كبير بالنسبة لذلك العهد ، اضافة الى ما ذكره المصدر المذكور بقوله : « خارجاً عن ضرائبه على مراكب الهند من الأعواد المختلفة ، والمسك والكافور والسنبل وما أشبه ذلك ، وخارجاً عن ضرائب السواحل من باب المندب الى الشحر ، وخارجاً عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ ، وعن ضرائبه على جزيرة دهلك وهي خمسمائة وصيف وخمسمائة وصيفة من النوبة والحبش في العام » .

ولمّا توفي محمد بن عبد الله بن زياد في التأريخ المذكور خلفه ولده (ابراهيم) الى موته عام ٢٨٩ هـ . وقد استغلّ هو انقسام العباسيين على انفسهم فحدّ من علاقته بهم ، وركِب بالمظلة وتشبه بالملوك ، وشهدت الإمارة في عهده أيضاً ازدهاراً ونمواً .

ثم خلفه بعد موته في التأريخ المذكور ولده (زياد) الى موته في عام (٢٩١) هـ . وهذا خلفه اخوه (أبو الجيش اسحق بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد) ، والذي طالت مدة حياته الى عام (٣٧١ هـ) .

ومنذ آخر عهده الطويل وبسبب عجزه عن الحركة والنهوض للذب عن الإمارة استقلّ عنه كثير من نوابه بما في أيديهم ، ومنهم : (بنو معن

---

(٥) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٩٩ .

الحميريون) نوابه على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت ، ومنعوا الأتـاوة التي كانوا يؤدونها اليه و(سليمان بن طرف الحَكْمي) الذي استقل بالمخلاف السليماني المنسوب اليه في شمال تهامة ، وكان يعرف قبله بمخلاف (الحَكْم بن سعد العشيرة) من مذحج ، وبمخلاف (عَثَر) ، وهو يمتدّ من (الشرجة) في جنوبه حتى (حلي بن يعقوب) في شماله ومعظمه في لواء جيزان .

واستقلّ كذلك الأمير يعفر بن أحمد (الكرندي)[٦] بمخـلاف المعافـر ، وذو المثلة جعفر بن ابراهيم بن ذي المنار المناخي بمخلاف جعفر المنسوب اليه .

ولمّا لم يكن للأمـير أبي الجيش عند مـوته إلا ابنـه الطفـل عبد الله فـإنه اضطلع بالأمر عنه مولاه (رشيد) ، ولكنه توفي عقب ذلك فخلفه بادارة شؤون دولة آل زياد مولاه (الحسين بن سلامة) من عبيد النوبـة احسن مولاه رشيـد تربيته منـذ صغره ، فنشـأ عفيفاً مستقيـاً ، واضطلع بـالأمر بكفـاءة وحزم ، واستطاع ان يعيد للأمارة هيبتها ، وأن يسترجع الأقاليم التي كانت قد انفصلت عنها ، فغزا المتغلبين من الولاة وقادة الحصون حتى دانوا للأمـارة بالـطاعة ، وحملوا اليها الأتاوة التي كانوا يؤدونها اليها في عهد عزتها .

ودامت[٧] ولاية الحسين بن سلامة الى موته في عام (٤٠٢ هـ) .

ثم استقلّ النواب مرة ثانية بمافي ايديهم بعد موت الحسين بن سلامة ،

---

(٦) بنو الكرندي من نسل (الأبيض بن حمال) الذي وفد على رسول الله كما عرفنا في موضعه .

(٧) للحسـين بن سلامـة مآثـر عمرانية كبيرة، فقـد ذكر المؤرخـون انه بنى عـلى طريقي السـاحل والجبال بين اليمن ومكـة في نهاية كـل مرحلة مسجـداً وبيتاً يـأوي اليه المسـافرون ، وانـه حفر فيها بئراً ، وانه أول من جدد عمارة الجند ووسعـه ، وأول من سور مـدينة زبيـد ، وانه الـذي اختط مدينة الكـدراء في وادي سهام بـين مدينتي المنصـورية والمـراوعة ومـدينة (المهجم) . في وادي سـردد من قضاء الـزيديـة . ومدينة القحمة بـالقـرب من جبـل القحمة المعـروف في بلد المحاملة شمال بيت الفقيه على مسافة ساعة للمـاشي ومدينـة المعفر في وادي دوال وجميعها في تهامة ، ولـه مسجد في جبـل الرحمـة بعرفات ، وبنى عقبة الـطائف في الحجاز بحيث تمشي في عرضها ثلاثة اجمال باحمالها وانه جدد في جامع عمر بن عبد العزيز في عدن .

ولم يبق في ايدي موالي آل زياد إلا تهامة فقط ، حيث قام بالأمر عنهم مولى آخر من مواليهم ويدعى مرجان كما سيأتي .

قال المؤرخ (تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تأريخه[٨] «وقد كان حين توفي(الحسين بن سلامة) واختلف عبيده وهرب ملوك الجبال من سجنه ولحقوا ببلادهم ، تغلب (بنو معن) على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت ، وغلب (بنو الكرندي) وهم قوم من حمير كانت لهم سلطنة قاهرة ومكارم ظاهرة ، وتفاخر على (السوى)[٩] و(السمدان) و(الدملوة) و(حصن صبر) و(حصن ذخر) ومخاليفها (المعافر) و(الجندية) و(الجعفرية) (مخلاف جعفر في لواء اب) آنف الذكر . وتغلب على (حب) و(حصن الشعر) رجل يعرف بالحسين التبعي (هو أبو عبد الله الحسين التبعي) . و(بنو عبد الواحد) على (برع) .

كما تغلب قوم من بكيل على حصون آنس ووصاب وعتمة ، وتغلب بعد موت (الحسين بن سلامة) أيضاً (بنو وائل الحميريون) على وحاظة وحصونها وأعمالها في بلاد حبيش وبلاد الحزم من لواء اب . وقد غزا هؤلاء جميعهم الملك الكامل أبو الحسن (علي بن محمد الصليحي) عند تملكه ووحد اليمن تقريباً تحت راية حكمه كما سيأتي .

وكان الدافع لكل النواب على الانفصال عن الدولة الزيادية والاستقلال بما تحت أيديهم هو نزعة الاستقلال لدى اليمنيين ، والرغبة الجامحة لديهم لحكم أنفسهم بأنفسهم ، كما هي عادة اليمنيين كلما سنحت لهم فرصة المحاولة والاستقلال ، أمّا موالي آل زياد الذين احتفظوا بتهامة فقط من إمارة (آل زياد) ، بعد موت الأمير الجليل (الحسين بن سلامة) فهم : أولاً :

---

(٨) بهجة الزمن في تأريخ اليمن ص ٣٠ .

(٩) حصن السوي في ناحية جبل حبشي من اعمال قضاء الحجرية لواء تعز ، ويعرف الحصن المذكور بقلعة خولان . والسمدان حصن عال في بلاد الرجاعية من الشمايتين قضاء الحجرية ايضاً ، والدملوة قلعة منيعة فوق قرية المنصورة من بلاد الصلو من اعمال قضاء الحجرية ، وهو اليوم ادارياً يتبع قضاء تعز مباشرة .

(مرجان وكان له عبدان حبشيان أحدهما اسمه (نفيس) وكان يعمل عنده في زبيد في ديوان الإمارة ، والآخر نجاح وكان يعمل والياً على أعمال (الكدراء) و(المهجم) و(مور) وغيرها في شمال تهامة الوسطى جنوب المخلاف السليماني ، وكانت بين نفيس ونجاح منافسة شديدة ، عمقها ميول الأمير (عبد الله بن أبي الجيش اسحق بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد) وعمته الى الأمير (نجاح) ، وميول (مرجان) الى (نفيس) الذي استغلّ قربه من مرجان ، وبُعْد نجاح عن الأمير عبد الله الذي لم يكن مع ذلك يتمتع بشيء من النفوذ فأغرى نفيس مرجاناً على الأمير عبدالله وعلى عمته فقبض عليهما وبنى عليهما جداراً وهما حيان يستغيثانه ويناشدانه الله حتى ختمه عليهما ، وكان ذلك آخر العهد بهما .

ولّما بلغ ذلك (نجاح) استنفر الناس اسودهم وأبيضهم ، وتقدم بمن التفّ حوله نحو زبيد معلناً حربه لمولاه مرجان ولمنافسه نفيس شريك نجاح في الجريمة البشعة التي لم يسبق لها في التأريخ مثيل ، وما زال يضم اليه الجموع من القبائل التي يمر بها حتى دنا من زبيد ، وبدأت الحرب بينه وبين مرجان ، واستمرت ثلاث سنوات ، أسفرت في نهايتها عن انتصار الأمير (نجاح) ومقتل نفيس على أبواب زبيد ،ودخل (نجاح) زبيد دخول الظافر المنتصر ، وقبض على مرجان ، وذكر المؤرخون ان نجاحاً أخرج جثتي الأمير عبد الله آل زياد وعمته وأمر بدفنهما ، وبنى عليهما مشهداً خارج زبيد ، ووضع جثة نفيس ومرجاناً حياً مكانهما وبنى عليهما الجدار حتى ختمه عليهما ، وكان مرجان يستغيثه فيجيب نجاح عليه بقوله : « وأين مولاك عبد الله وعمته ؟ » وأسس الأمير نجاح امارة (آل نجاح) في تهامة على انقاض امارة (آل زياد) كما سنعلم في الفصل الخاص بذلك .

نظرة عامة في امارة آل زياد ومواليهم

لّما خرجت عك والأشاعر في تهامة اليمن على عامل اليمن للعباسيين (ابراهيم الأفريقي الشيباني) انشأ الخليفة العباسي (المأمون بن هارون الرشيد) في تهامة امارة (آل زياد) بهدف حزم امورها ، واقرار الأمن

والاستقرار في ربوعها .

ووصل الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) الى اليمن في عام (٢٠٣) أو (٢٠٤) هـ . وبفضل العون المادي والمعنوي المستمرين له من قبل الدولة العباسية ، وطول فترة حكمه الى موته لأكثر من اربعين عاماً ، وكفاءة وجهود مولاه (جعفر) ، استطاع ان ينشيء امارة شبه مستقلة عن العباسيين ، مرهوبة الجانب ، قوية النفوذ امتدّ سلطانها في اليمن حتى لواء جيزان في الشمال الغربي ، وحتى نجران في الشمال الشرقي ، وفي الجنوب حتى عدن وأبين ولحج وأعمالها وسائر مناطق الجنوب اليمني ، وحتى حضرموت والشحر ومهرة وغيرها من مناطق وجزر جنوب اليمن الشرقي .

ولم تخرج عن امارة (آل زياد) في اليمن إلا بلاد صعدة بعد قدوم الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) في عام (٢٨٤ هـ) والتي دعا فيها واتخذها المقر الرئيسي لحكمه .

وإلّا بلاد حجة التي تنازعها (آل يعفر الحواليون) ودعاة الفاطمية (منصور اليمن الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) و(علي بن الفضل الخنفري اليمني) ، والذي استطاع مع ذلك وبعد ان بدأ الضعف والوهن يدب في جسم امارة آل زياد ، منذ آخر حكم آخر امرائهم (أبي الجيش اسحق ابن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد) ان يتغلب على بعض نوابه ، كآل الكرندي في مخلاف الجند وجعفر ، وجعفر بن ابراهيم المناخي في المخلاف نفسه وفي بلاد المذيخرة بالذات ، وكمحمد بن ابي العلاء في عدن وأبين ولحج وأعمالها ، وأن يحصر نفوذ ابي الجيش آل زياد في تهامة ، وأن يغزو مع ذلك مدينة زبيد عا صمة امارته مرتين كان أبو الجيش يبتعد عنها أثناءهما ، وولى علي ابن الفضل عليها في المرتين من قِبله ، ولكن أبا الجيش كان لا يلبث ان يعود الى عاصمة امارته ، وظلت امارة آل زياد هي القوة الوحيدة التي استطاعت الصمود امام القوى المختلفة ، والموئل الوحيد لآل يعفر الذين والوا الأمير أبا الجيش يخطبون وده ويخطبون له في منابرهم ، واستطاع أبو الجيش ان يصمد

امام القوة العاتية الفتية الجديدة المتمثلة بدعاة الفاطمية ، وأن يقنع (بتصميمه على استرجاع عاصمة امارته زبيد مرتين) علي بن الفضل بالعدول عن فكـرة الاستيلاء الدائم عليها ، وأن يكتفي بغزوها المتكرر لمجرد تحذيـر آل زياد من مساعدة القوى الأخرى في الساحة اليمنية في حربه معها .

ولقد سلك آل زياد مسلكاً شبه مستقل عن العباسيين منذ انقسام هؤلاء على أنفسهم بعد وفاة الخليفة (الواثق العباسي في عـام (٢٣٢) هـ ، وذلك بسبب سيـطرة العنصر التـركي على شؤون الـدولة العبـاسيـة ، واستئثـارهم بالسلطة والنفوذ والتركيز على عاصمة الدولة العباسية وملحقاتها المرتبطة بها دون الاهتمام بالأقاليم البعيدة عنها ، وصار انتهاء (آل زياد) بالعباسيـين شكلياً ، كل حظ العباسيين منه هو ذكر اسمائهم في الخطبة ، ونقشها في السكة (العملة النقدية) .

ومع ذلك فإن ضعف ارتباط آل زياد بالعباسيين كان عامل اضعاف لآل زياد امام القوى الجديدة والمتعددة التي ظهرت في اليمن والتي لم ينتم معظمهـا الى العباسيين اصلاً ، كدعاة الفاطميـة والإمام الهـادي ، أوكان لها انتـماء لهم ولكنه انتماء شكلي كآل يعفر الذين كانت لهم نزعة قوية للإستقلال باليمن عن العباسيين اكثر من آل زياد ، منذ بـدأوا النضال في سبيـل ذلك ، وذلـك بسبب يمنيتهم التي لا يتمتع بها آل زياد .

أمّا النواحي الأخرى الاقتصادية والعمرانية وغيرهـا فإن مـا بأيـدينا من مصادر لم تسمح بالمعلومات التفصيلية عنها ، سوى ما سبقت اليه الاشارة ممـا ذكره عمارة في مفيده عن ارتفاع دخل الإمارة الـزياديـة في عهد تقـاصرهـا ، والذي يعطينا دليلاً على وفر دخل الامارة في عهد ازدهارها ، ووفرة الدخل القومي بالتالي بحكم ذلك .

ومن قيام الأمير الجليل (الحسين بن سلامة) نائب الإمارة والقائم على شؤونها بعد موت مولاه رشيد ، مولى آخر امـراء آل زياد (أبي الجيش اسحق ابن ابراهيم) المذكور ، من عمران واصلاح على طول طريقي الجبال والساحل

بين اليمن ومكة والطريق التجاري بين عدن وموانىء الحجاز ، وفي مناطق كثيرة اخرى في اليمن والحجاز ، والذي يعتبر مدداًللإصلاح الذي قام به أبو الجيش آل زياد .

وكان الأمير الحسين بن سلامة بحزمه وكفاءته قد أعاد للإمارة هيبتها ، واستعاد اليها ما كان قد انفصل عنها ، وكانت امارته التي دامت ثلاثين عـاماً عامرة بالحزم والعدل والإصلاح بمثابة صحوة الموت لإمارة آل زياد .

امـارة آل يعفـر الحـواليـون
(٢٥٦ - ٣٩٢ هـ)-(٨٧٠ - ١٠٠٢ م)

بدأ أمر (آل يعفر الحواليين) في نجد اليمن (صنعاء وأعمالها) بالأمير (يعفر بن عبد الرحيم بن كريب بن ثابت الحوالي) من آل (عامر ذي حـوال الأصغر الحميري) .

وكان (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) في بداية عهده زعيماً محلياً في بلده شبام كوكبان ، وكان من أكرم رجال حمير ، في الإسلام ، فقد[1] ذكر مثلاً ان قبيلة كندة قصدته لمساعدتها في دفع عشر ديات لزمها من ثلاثين دية لحضرموت في حرب بينهما ، فبالغ في اكرام الوفد ، وتحمل الثلاثين دية جميعها ، ومثل هذا الكرم هو الذي امال اليه القلوب وجمع الناس حوله ، وساعده على مقاومة ولاة العباسيين في سبيل تحقيق الاستقلال باليمن عنهم ، حتى حصل عليـه إلا من انتماء شكلي كما سنرى .

كما كان والده (عبد الرحيم بن كريب الحوالي) قد ولي للعباسيين في عهد الخليفة المعتصم العباسي صنعاء وأعمالها كما مرّ بنا ، ولعلّ ذلك كـان الحافـز الأول لأبنه الأمير (يعفر) في محاولته الوصول الى الحكم وتحقيق الاستقلال عن العباسيين .

وقد بدأ الأمير يعفر محاولته الجادة لإقامة حكم مستقل عن العباسيين في صنعاء واعمالها في عهد الخليفة العباسي (الواثق) الذي ولي الخلافـة بعد

---

(١) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٠ .

موت المعتصم عام (٢٢٧) هـ .

ولكن العباسيين لم يعترفوا لـ (آل يعفر) بالنفوذ إلا في عهد الخليفة العباسي (المعتمد) احمد بن المتوكل جعفر الذي خلف ابن عمه (المهتدي) محمد ، وذلك باسناد (الموفق طلحة بن المتوكل) صاحب النفوذ الفعلي في دولة ابن اخيه (المعتمد) المذكور ، أمر النيابة على نجد اليمن صنعاء واعمالها ، الى الأمير (محمد بن يعفر) في عام (٢٥٦ هـ) وأضفى على ولايته الصبغة الشرعية ، فانتمى الى العباسيين وخطب لهم ، وللأمير (ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد) حاكم تهامة ، بحكم ولاية هذا الشرعية المستمدة من العباسيين ، ولعدم قدرته على مقاومته ، واضطلع (محمد بن يعفر) بالأعباء في حياة أبيه الذي كان قد ترك لولده مهمة المضي في مهمة محاولة الاستقلال عن العباسيين ، أو انه ارغم من قبل ولده على التخلي عن نشاطه ، وربما قبل ان ينال (محمد بن يعفر) امر النيابة من العباسيين .

وقد يستأنس لهذا الفرض بما حدث بعد ذلك من مقتل الأمير (محمد بن يعفر) واخيه (أحمد بن يعفر) من قبل الأمير (ابراهيم بن محمد بن يعفر) بأمر جده الأمير يعفر بن عبد الرحيم كما في بعض روايات المؤرخين كما سيأتي .

وقد(٢) استعان (محمد بن يعفر) في امارته بكثير من رجال حمير وهمدان ، فكان نائبه على صنعاء (احمد بن حفص) من الأصابح من حمير ، وكان صاحب شرطته (أبو قبيح محمد بن يونس) من الأصابح أيضاً ، وكان شاعراً جواداً ، وكان ابنه (الأشعث) وزيراً لـ (اسعد بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر) ومن كبار رجاله أيضاً : (عبد الله بن محمد بن اسماعيل) من آل ذي أوسان من حمير ، و (ابراهيم بن يوسف بن محمد بن اسماعيل) من (آل ذي لعوة) ، من بكيل همدان و (الدعام بن ابراهيم) كبير ارحب وسيد همدان ، و(طريف بن ثابت) وبنوه من آل ذي كبار الحاشديين

---

(٢) نفس المصدر ص ١٤٣ .

وغيرهم .

ثم اعتزل الأمير (محمد بن يعفر) الأمر بدوره ، واضطلع به ابنه الأمير (ابراهيم أبو يعفر) آنف الذكر ، وذلك منذ عام (٢٦٥ هـ) ، ومال (محمد بن يعفر) الى النسك والعبادة ، وسمع كتب (عبد الرزاق الصنعاني) وغيره ، وجدّد عمارة جامع صنعاء الكبير بعد أن هد م السيل الكبير الذي نزل في عام (٢٦٢ هـ) جانباً منه ، واسمه مكتوب على بعض ألواح سقفه ، وقد[٣] ذكر المؤرخ (الخزرجي) أنّ ذلك السيل يعتبر ثاني سيل كبير نزل بصنعاء في الإسلام ، وانه نزل في شهر ذي الحجة من العام المذكور ، وانه هدم نحواً من ستة آلاف منزل في صنعاء .

كما تفرغ الأمير (محمد بن يعفر) لبناء جامع شبان كوكبان على نحو فخم وكما هو عليه اليوم ، وفي عام (٢٧٠ هـ) حدث مقتله ومقتل اخيه (احمد بن يعفر) في حياة أبيهما بجامع شبام بعد صلاة المغرب ،ويعزو الهمداني[٤] ذلك العمل من الأمير ابراهيم بن محمد بن يعفر الى عربدة سكر .

وأكد الخزرجي[٥] صدور ذلك الفعل من الأمير ابراهيم المذكور ، مضيفاً أنّ جده الأمير يعفر هو الذي أمره بذلك ، بينما ذكر الحادث في زمانه ومكانه يحيى بن الحسين في أنباء الزمن (مخطوط) ولكنه ذهب الى ان الأمير (ابراهيم بن محمد بن يعفر) هو الذي أمر جده بذلك ، والرأي الأول اقرب الى المعقول ، لأن الأمير ابراهيم هو صاحب النفوذ يومئذٍ ، وبيده السلطة والحكم ، وأقل ما تدل عليه الروايات المختلفة حول مصدر الحادث هو التواطؤ عليه بين الأمير ابراهيم وجده الأمير يعفر بن عبد الرحيم ، ولا يستبعد المتأمل ذلك اذا عرف ان الأمير (محمد بن يعفر) استبدّ بالحكم لنفسه في حياة أبيه ، وأنّ الأمير ابراهيم اضطلع بالحكم في حياة أبيه كذلك ، وربما يكون ذلك لا

---

(٣) في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ١٤٣ .

(٤) في الاكليل ج ٢ ص ٦٧ .

(٥) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص٣٤ .

عن رضى واقتناع من أبيه مما احدث الوحشة بينهما ، نحو ما حدث بين الأمير محمد بن يعفر وأبيه ، وأن الولاة خالفوا على الامير ابراهيم بسبب ما ساد من تواطؤه مع جده على قتل ابيه وعمه ، فخالف عليه (الفضل بن يونس المرادي) في الجوف ، و(الدعام بن ابراهيم بن عبد الله الأرحبي) البكيلي في ارحب ، و(ابراهيم) و(يوسف) ابنا طريف بن ثابت الكباري الحاشدي في بلاد يحصب وذي رعين ، و(المكرمان) ببيحان ، وغيرهم ، ومالوا الى الأمير (جعفر بن ابراهيم بن ذي المنار المناخي) نائب آل زياد في (ريمة الأشاعر ببلاد المذيخرة) من بلاد العدين والحاكم الفعلي لها ، ولم يتمكن الأمير ابراهيم بن محمد بن يعفر من اخضاع الخارجين عليه ، في الحروب التي قامت بينه وبينهم ، كما انضم الى الدعام بن ابراهيم في الحرب التي قامت بينهما في ورور حاشد ، وفي بلاد خيوان وخمر قبيلتا بكيل وحاشد ، وكتب النصر للحلفاء .

وقد(٦) اثار قبيلة حاشد على الأمير ابراهيم آل يعفر مقتل رئيسهم (محمد ابن الضحاك بن العباس المعيدي الحاشدي) من رؤساء بلاد ريدة على يد مسعود غلام الأمير ابراهيم غيلة وبأمره .

ويبدو من قيام الحرب في بلاد حاشد ان الأمير ابراهيم آل يعفر هو الذي غزاهم اليها ، حينما علم بتجمعهم ضده ، ولكن الحرب كما عرفنا انتهت لصالح الحلفاء ، واستولى (الدعام بن ابراهيم) بعدها على صنعاء ، وساعده مع ذلك الأبناء وبنو شهاب المقيمون في صنعاء ، والذين كانوا قد خرجوا على الأمير ابراهيم وطردوا عامله على صنعاء وأحرقوا بيت الأمير ابراهيم فيها ، وبذلك فيما يبدو تكون قد قامت ثورة عارمة ضدهُ بسبب مسلكه العنيف والمستمر ، وبسبب قتل ابيه وعمه .

وقد أغضب الدعام بن ابراهيم عليه الى جانب حادث القتل المذكور أنّ الدعام وصل اليه الى شبام كوكبان معزياً ، وانه لما دخل عليه صادفه مخموراً ،

---

(٦) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٥ .

فعاتبه على قتل أبيه وعمه وحدثت بينهما مشادة كلامية لطم الأمير ابراهيم الدعام أثناءها ، فخرج الدعام من عنده غاضباً وقد عزم على الخلاف عليه ، ولم يثنه عن ذلك اعتذار الأمير ابراهيم اليه في اليوم التالي عما صدر منه قائلاً : « لن ترفع كرامة اليوم هوان الأمس ، ولن تعلق قادمة الخير ذنابة الشر » ثم تظاهر بالرضى حتى يخرج من صنعاء ، ولما وصل الى بلده همدان اظهر الخلاف ، واجتمعت اليه بكيل وحاشد كما عرفنا .

وفي خلاف الدعام واستيلائه على صنعاء قال شاعر ارحب :

غلبنا من حوال الملك قسراً بلطمة شيخ كهلان الدعام

ويستفاد[٧] مما ذكره الخزرجي عن حادثة القتل تلك وما سرده من الأحداث التي تلتها ان العباسيين فور علمهم باضطراب الأمور في صنعاء على الامير ابراهيم بن محمد بن يعفر واعتزاله ، حاولوا تدارك الموقف ، فأسند ذو الوزارتين (صاعد بن مخلد) وزير المعتمد العباسي الأمر الى الأمير (يعفر بن ابراهيم) فأفسد الأمير ابراهيم خطة العباسيين لإصلاح الأمور ، وتظاهر بقبول اسناد الأمر الى ولده يعفر فترة ، ولكنه لم يلبث ان عزله بولده الآخر (عبد الواحد بن ابراهيم بن يعفر) الذي لم يلبث ان عزله ، ووصل الى صنعاء من مقره بشبام كوكبان ، مثبتاً بذلك تمسكه بحقه الشرعي في الحكم ، وذلك حوالي عام (٢٧٢ هـ) الأمر الذي حمل أهل صنعاء والأبناء وبني شهاب على الهجوم على عامله على صنعاء ، وقتله بعد مغادرة الأمير ابراهيم لها ، ثم نهب دار الأمير ابراهيم واحراقه كما علمنا .

ودخل الدعام بن ابراهيم الأرحبي صنعاء مستولياً عليها ، وظل الحال كذلك الى مقتل الأمير ابراهيم في شبام عام (٢٧٩ هـ) ولما قتل الأمير (ابراهيم بن محمد) بن يعفر في التاريخ المذكور اضطلع بالأمر الأمير (عبد القادر بن أحمد بن يعفر) الذي دعمه اليمنيون بسبب مقتل ابيه على يد الأمير

---

(٧) في العسجد ص ٣٤ .

(ابراهيم بن محمد) المذكور ، كما أيدته الدولة العباسية بقوة على رأسها الأمير (علي بن الحسين) الملقب بـ (جفتم) ، وقد هدف العباسيون من ذلك الدعم العسكري مع ذلك الى الحفاظ على نفوذهم في اليمن ومنع خروجه عنهم ، ووصل (جفتم) الى اليمن في نفس العام (٢٧٩ للهجرة) ، واستطاع بالقوة التي وصل بها من بغداد وبدعم القبائل اليمنية المنافسة لـ (الدعام بن ابراهيم الأرحبي) كآل الروية المذحجيين وعلى رأسهم (محمد بن الروية) وغيرهم ان يدخل صنعاء بعد خروج الدعام منها الى خيوان في بلاد حاشد ، واقتصر نفوذه عليها وعلى بلاد البون من حاشد أيضاً ، بينما استقر الأمير (عبد القادر آل يعفر) في شبام كوكبان كأسلافه ، وقد ركز الأمير (جفتم) اثناء اقامته في صنعاء على اعادة الأمن والنظام اليها ، حتى كان كما ذكر (الخزرجي)[٨] لا ينام الليل بل يكون بارزاً ومفاتيح ابواب صنعاء بين يديه ، والعسس تختلف اليه ، وأصحاب الحاجات يترددون عليه ، ويقضون حوائجهم حتى يطلع الفجر ، فيصلي الصبح ثم يقعد للناس الى وقت الغداء (الفطور) فيتغذى مع خاصته ونوابه ، ثم ينام الى الظهر ، فإن استيقظ عند الاذان لصلاة الظهر ، وإلا اجتمع الصبيان وكبروا حتى يستيقظ ، وقد اقام في صنعاء الى عام (٢٨٢) للهجرة ، ثم غادرها عائداً الى العراق تاركاً في صنعاء عسكره الذين عرفوا بالجفاتم ، واستولى الأمير (أبو حسان اسعد بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر) على الأمر يعاونه ابن عمه (عثمان بن أبي الخير احمد بن يعفر) وتأيد الأمير اسعد بمرسوم النيابة من (نجح بن نجاح) الذي اسند اليه الخليفة (المكتفي بن المعتضد) العباسي أمر الإشراف على شؤون اليمن ، وأقام (أسعد)[٩] في (شبام كوكبان) مستنيباً عنه في صنعاء حليفه (ابراهيم بن خلف بن طريف الكباري الحاشدي) .

ولكن الخليفة (المكتفي) اعاد الأمير (جفتم) الى اليمن ، ولما كان في

---

(٨) في العسجد ص ٣٤ .

(٩) ابن عبد المجيد في (بهجة الزمن) ص ١٥ .

بني شهاب احدى نواحي صنعاء في طريقه الى صنعاء ، وصل اليه (ابراهيم بن خلف) وغيره متظاهرين بالولاء له واستقباله والسلام عليه ، وكا ن (جفتم) في قلة من عسكره ، الأمر الذي مكن (ابراهيم بن خلف) من القبض عليه وعلى عدد من اتباعه واعتقالهم في بيت بوس من بني شهاب ناحية بني مطر صنعاء .

وقد قام الأميران (اسعد بن ابراهيم) و(عثمان بن أبي الخير احمد بن يعفر) بالإفراج عنهم ، ولكنهما ظلا يترددان على (جفتم) في الظاهر للسلام عليه ، ولمراقبة تحركاته ولقاءاته وما سيبدر منه في سبيل استعادة نفوذه في حقيقة الأمر ، وغادر (ابراهيم بن خلف) بعد الإفراج عن جفتم المنطقة الى مدينة الكدراء في امارة (آل زياد) مستاءً من الإفراج عن (جفتم) ، بل[10] لقد قام بالزحف بقوة من الكدراء نحو جبل ذخار (ضلع كوكبان) بغية الاستيلاء عليه ، وذلك في عام (٢٩٢) للهجرة ، ولما كان في طرف الجبل في موضع يقال له (الجراني) لقيه عبيد لعدنان صاحب الموضع المذكور وقتلوه وهزموا من كان معه وبعث (الجراني) برأسه الى مواليه (لعلهم آل يعفر) ، ولما تحرك (جفتم) بمن التف حوله من اتباعه ومن القبائل المنافسة لآل يعفر نحو صنعاء بغية استيلائه عليها واستعادة نفوذه فيها تصدى له (آل يعفر) وقامت معركة بين الجانبين اسفرت عن مقتل (جفتم) وانهزام قوته ، واستتب الأمر للأميرين (اسعد بن ابراهيم) و(عثمان بن أبي الخير) المذكورين في نجد اليمن صنعاء وأعمالها ، ومناطق اخرى امتد نفوذهما اليها ، واستقر الأمير اسعد في حصن[11] كحلان يريم ، بينما استقر الأمير (عثمان) في مدينة (شبام كوكبان) ، وأنابا عنهما في صنعاء ، وظلّ الحال بينهما من التعاون عاماً كاملاً ، تخوّف الأمير (اسعد) بعده من تمركز الأمير عثمان في حصن كوكبان المنيع والمسيطر على شبام وعلى المنطقة بأسرها ، ففاجأه وقبض عليه واستولى على كوكبان واستقل بالأمر لنفسه ، وتلقى مرسوم النيابة من الخليفة العباسي

---

(١٠) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٧٩ .

(١١) الاكليل ج ٢ ص ١٦٨ .

(المقتدر) والذي جاء فيه ما نصه : « وقلدناه اعمال الحرب والأحداث بصنعاء وأعمالها ، والمذيخرة واعمالها ، وعدن وأبين ولحج وما اتصل بها » وهذا المرسوم هو تأكيد للمرسوم الذي تلقاه الأمير (اسعد) من الخليفة العباسي (المكتفي بن المعتضد) كما سلف ، إلا ان هذا المرسوم نص على تولية الأمير اسعد لمناطق عديدة مما هو تحت نفوذ (آل زياد) ولعلّ هذا ناشيء عن عدم رضى العباسيين عن الأمير (ابي الجيش اسحق بن ابراهيم آل زياد) الذي استغل ضعف الدولة العباسية فاستقلّ عنها إلا من انتماء شكلي كل حظ العباسيين منه ذكر اسمائهم في الخطبة ونقشها في السكة (العملة) كما أسلفت في فصل (آل زياد) قبل هذا .

وقد أقام الأمير (اسعد) بعد استقلاله بالأمر في مدينة (شبام) كوكبان متنقلاً بينها وبين حصن كحلان يريم ، وأناب عنه في صنعاء ، وفي عهده استطاع الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) أن يدخل صنعاء بمساعدة عامل الأمير اسعد عليها (أبي العتاهية عبد الله بن بشر بن الروية المذحجي) ، كما سنعلم تفصيل ذلك ومزيداً من الأحداث التي قامت بين الإمام وأسعد في الفصل الأول من فصول (حكم الأئمة في اليمن) .

وفي عهد الأمير (اسعد) أيضاً أظهر دعاة الفاطمية في اليمن حركتهم واستطاع احد الداعيتين (علي بن الفضل) بعد ان تخلى عن الدعوة للفاطميين ان يبسط نفوذه في معظم انحاء اليمن بما في ذلك صنعاء ، وأن يخضع الأمير أسعد لحكمه الى موته أي علي بن الفضل بالسم كما سنعلم تفصيل ذلك ومزيداً من الأحداث التي جرت بين الجانبين في فصل (دعاة الفاطمية في اليمن) .

ولما توفي (أبو حسان اسعد بن أبي يعفر) بكحلان[١٢] يريم عام (٣٣٢ هـ) خلفه ابنا اخيه (أبو الخير) و(أبو الخطاب) آل يعفر الى عام (٣٥٢ هـ)

---

(١٢) ونقل جثمانه في تابوت الى (شاهرة) في ضلع همدان ودفن فيها ، وهي التي اوقف اراضيها على جامع صنعاء ، وقد وصف الأمير اسعد معاصره الهمداني في الاكليل (بحسن السياسة وعظم الدهاء وبعد الغور وكتمان ما في النفس ، وانه اذا غضب غضب واذا رضي رضي ، ولا بعدة له على قومه ولا عصبية له .

وقد[١٣] اتسم عهدهما بالضعف وسيطر (احمد بن محمد بن الضحاك) على صنعاء في فترتين : « احداهما باسم الإمام (المختار بن الناصر بن الهادي) ، والثانية باسم (آل زياد) بعد ان قطع الخطبة للإمام المذكور وذلك في عهد آخر امراء آل زياد (أبي الجيش) ، (اسحق بن إبراهيم) .

ومنذ عام (٣٥٢ هـ) استولى على الحكم في امارة آل يعفر الأمير (عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن يعفر) ، وقد أعاد للإمارة هيبتها ، وكانت له نزعة قوية بالاستقلال عن العباسيين وحتى عن مجرد الانتماء الشكلي اليهم ، ذلك انه ارتبط بهم في بداية عهده تبعاً لأسلافه ، ثم لم يلبث ان انفصل عنهم وقطع الخطبة لهم وارتبط بالخليفة الفاطمي في مصر (العزيز بن المعز الفاطمي) وخطب له لإضفاء الصبغة الشرعية لحكمه ، ريثما ترسخ اقدامه في الحكم ، ولما دعا الإمام قاسم بن علي العياني في اليمن وقوي جانبه انتمى اليه شكلياً وخطب له وقطع الخطبة للإمام الفاطمي المذكور ، وبعد فترة قطع الخطبة للعياني ولم يخطب لغيره ، ولم ينتم الى احد .

وهذا يرد ما ذهب اليه بعض المؤرخين من ان تنقله في الانتماء إنما هو تردد ، وليس وسيلة ضرورية واجراء آنياً استلزمته الظروف للاستقلال بالحكم .

كما كان للأمير (عبد الله بن قحطان) طموح واسع لمد سلطانه على رقعة اوسع في اليمن ، وفعلاً فإنه وسع نفوذه على حساب نفوذ (آل زياد) فاستولى على مخلافي (الجند) و(جعفر) وأناب عنه فيهما (آل الكرندي) الذين كانوا هم النواب فيهما لآل زياد ، وقد شجعه على ذلك اطمئنانه الى عدم قدرة الدولة العباسية على مساندة آل زياد التابعين لهم بسبب ما كان العباسيون يعانونه من انقسام واختلاف ، ولم يكتف الامير عبد الله بن قحطان باقتطاع المخلافين المذكورين من الإمارة الزيادية ، وإنما قام بغزو مدينة (زبيد) عاصمة الإمارة في عام (٣٧٩ للهجرة) بعد ان ابتعد عنها القائم فيها الحسين بن سلامة) وقد

---

(١٣) يحيى بن الحسين في (غاية الأماني) ص ٢٣٢ .

دخـل زبيد بعـد معركـة قامت بينهـما في (حجرة حـراز) بين حـراز والحيمـة الخارجية وكان (أبو الجيش قد توفي ، وأقام الأمير (عبـد الله بن قحطان) في زبيد ستة أيام غادرها بعدها الى مخلاف جعفر في لواء اب وكان ضمن مناطق نفوذ (آل زياد) وبسط نفوذه عليه ، ودخل مدينة اب عاصمة المخلاف المذكور يومئذٍ (عاصمة اللواء المذكور اليوم) في مستهل عام (٣٨٠) للهجرة ، وضمه الى امارته منذ ذلك التـأريخ ، وأناب فيه عنه (بني الكرنـدي) وكانـوا هم نواب آل زياد فيه، أيضاً مكتفياً بذلك عن الإستيلاء على زبيد أو غيرهـا في تهامـة المنطقة الرئيسية لآل زياد .

وصـار مخلافـا الجنـد وجعفـر همـا الحـد بـين الأمـارتـين (الـزيـاديـة) و(اليعفرية) ومسرح الخلاف والحرب أحياناً بين الأمارتين ، ثم انصرف الأمير (عبد الله بن قحطان) الى حصن كحلان في بلاد يريم واتخذه مـركزاً رئيسيـاً لإقامته لتوسطه بين مخلافي صنعاء وجعفر ، وكان أسلافـه قد عمـروه وسكنوه قبله منذ الأمير (اسعد بن أبي يعفر) ، كما علمنا ، وأناب عنه في صنعاء ، كما ولى الشيـخ (اسعد بن أبي الفتـوح الخولاني) حصن الهـان وأعمالـه في بـلاد آنس ، وكان هذا عُدّة الأمير عبد الله بن قحطان وساعده الأيمن وكبـير أعوانـه للذود عن امارته ، وقد أقام الأمير عبد الله بن قحـطان في (حصن كحلان) المذكور الى موته في عام (٣٨٧) للهجرة .

واختلف المؤرخون فيمن خلفه بعد موته ، فذهب الكثير منهم الى انه لم يخلفه احد من امراء (آل يعفر) وأنّ امارتهم انتهت بموته .

بينـما ذهب القليل من المؤرخـين ومنهم (الخـزرجي) و(الـديبـع) في تأريخيهما الى انه خلفه ابنه (اسعد) الثاني وأنه والى الإمام العياني وخطب له ، وأضاف الخزرجي[١٤] أنّ امـر صنعاء اضطرب منذ عهـده فتارة كـان يغلب عليها (آل الضحاك الحـاشديـون) ، وتارة كـان يغلب عليها الإمـام (قاسم

---

(١٤) في العسجد المسبوك ص ٤٨ .

العياني) يسانـده ابن ابي الفتوح الخـولاني ، وأضاف أيصـاً قائـلاً : « وكانت العرب من همدان وحمير وخولان وبني شهاب مفترقة بينهما من كـثر جمعه غلب على صنعاء » ، وأن الأمير (اسعد بن عبد الله قحطان) توفي في (كحلان) أي كحلان يريم آنف الذكر وذلك في عا م (٣٩٢ للهجرة) .

وخلفه الأمير (احمد بن يعفر) وهو آخر من عُرِف من امراء آل يعفر .

هذا وفي الوقت الـذي كان فيـه (آل يعفر) يحكمـون صنعاء وأعمـالها ومخلافي الجند وجعفر واعمالهما كان نفـوذ (آل زياد) محصـوراً في تهامـة ، ثم خلفهم الأمير نجاح احـد موالي مـواليهم وأسّس فيها امـارة (آل نجاح) كـما سنعلم ، وكان نفوذ الأئمـة محصوراً في صعـدة وأعمالهـا ، وفي بعض اعمال صنعـاء في بعض فترات حكمهم ، واستقـل مع ذلـك آنـذاك امـراء آخـرون استقلالاً مزعزعاً كما عرفنا ، ومن أولئك الأمراء (بنو الكـرندي) في مخـلاف جعفر ومخلاف الجند ومخلاف المعافر (الحجرية) .

و(بنو وائل بن عيسى الحميريون) في وحاظة وأعمـالها في بـلاد حبيش والحزم في مخلاف جعفر أيضاً ، ولما برز (علي بن الفضل) الخنفري الحميري أحد داعيتي الفاطمية في اليمن وانفصل عنهم واستقلّ بالحكم لنفسه استطاع ان يوحد اليمن تقريباً تحت راية حكمه وان يقضي على استقلال أولئك الأمراء وأن يضيق حكم الإمام الهادي في صعدة كما سنعلم .

وقد عاد أولئك الأمراء الى ما كانوا عليه من النفوذ على المناطق المذكورة بعد موت (علي بن الفضل) بالسم ، وبسبب ضعف وعجز آخر امراء آل زياد (ابي الجيش اسحق بن ابراهيم) في آخر عمره الطويل ، ثم بموت القائم على امارة آل زياد (الحسين بن سلامة) واستمر خلفهم مسيطرين عليها حتى ثـار (أبو الحسن) علي بن محمد الصليحي ، وقضى على كل الامارات القائمة في اليمن ، ووحد اليمن من جديد تحت راية حكمه كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخه .

نظرة عامة في إمارة آل يعفر

ناضل اليمنيون في سبيل الاستقلال عن العباسيين بنجد اليمن صنعاء وأعمالها بعد انشاء هؤلاء امارة آل زياد في تهامة اليمن ، في عهد المأمون .

وقد هدف المأمون من فصل تهامة اليمن عن نجده الى فرض سيطرة الدولة العباسية على اليمن جميعه ، ولكنه لم يحقق الغاية المرجوة من ذلك ، بل ولم يُجْدِهم حتى تقسيم نجد اليمن الى ولايتين بواليين ، واستمرت الاضطرابات فيه .

وقام آل يعفر بمواصلة نضال اليمنيين في سبيل الاستقلال المذكور ، حيث اضطلع الأمير يعفر بن عبد الرحيم الحوالي بمسؤولية النضال منذ عهد الخليفة العباسي الواثق الذي ولي في عام ٢٢٧ للهجرة .

وقد استمرت الإضطرابات حتى اضطر العباسيون الى الاعتراف بنفوذ آل يعفر في عهد الخليفة العباسي المعتمد وذلك باسناد نيابة صنعاء وأعمالها الى الأمير محمد بن يعفر في عام ٢٥٦ هـ . بهدف ابقاء شيء من نفوذهم في القسم الأعلى من اليمن دون ان ينفصل كلية عنهم ، يدفعهم الى ذلك انقسام العباسيين واختلافهم فيما بينهم ، ولئلا تسري عدوى محاولة الانفصال الى ولايات اخرى من الولايات التابعة للدولة العباسية ، وعلى أمل أن والياً يمنياً سيكون اقدر من غير اليمنيين على حسم الاضطرابات في اليمن، وإقرار الأمور فيه .

ومع انحسام الاضطرابات بين آل يعفر والعباسيين بإسناد امر النيابة الى الأمير محمد بن يعفر ، فإن ذلك لم يحسم التنافس بين آل يعفر فيما بينهم ، والذي أدى الى حرب بل والى قتل بعضهم لبعض ، وكان لمراكز القوى القبلية كآل الضحاك الحاشديين ، وآل أبي الفتوح الخولانيين وآل الدعام الأرحبيين ، أثر على الأحداث بشكل عام .

كما صارت تلك المراكز تغذي النزاعات التي قامت بين آل يعفر ،

وزعامات الحركات الجديدة المتمثلة بائمة الزيدية ودعاة الفاطمية ، وكانت صنعاء هي بالطبع مسرح تلك النزاعات التي كانت عقائدية وسياسية معاً .

عقائدية بين السنية المتمثلة بآل يعفر ، والشيعية المتمثلة بالزيدية وبالفاطمية ، وكانت هناك مع ذلك نزاعات بين الفريقين الشيعيين المختلفين ، شيعة العلويين ، وشيعة الفاطميين ، ودعاتهم في اليمن .

ولقد حاول العباسيون وضع حد للاضطرابات القائمة في صنعاء والتي سبّبها تعدد الزعامات مختلفة الاتجاهات ، فأرسلوا اليها الأمير علي بن الحسين الملقب بجفتم ، على رأس قوة من الفرسان في الظاهر كمساعد لآل يعفر الذين ينتمون اليهم ، ولو انه مجرد انتهاء شكلي كما أسلفنا ، ولتوطيد نفوذ دولة العباسيين في اليمن ، والحد من نفوذ مراكز القوى الأخرى في حقيقة الأمر ، وركز جفتم على حفظ الأمن وتوفير الاستقرار في العاصمة صنعاء بأن فرض على نفسه نظاماً خاصاً يتمثل بالسهر في الليل وبروزه للناس حتى الصباح .

وفعلاً أقرّ الأمور ووفر الأمن والاستقرار فيها ، وكان لذلك تأثيره على المنطقة التابعة لها ، لأن العاصمة كانت دائماً محور الاضطرابات والتقلبات .

ولكن ذلك لم يرض آل يعفر ، لأن وجود (جفتم) بقوته اشعرهم بضعف نفوذهم بل وهدد مركزهم في اليمن ، فما أن عاد جفتم الى بغداد بعد عامين من وصوله اليمن حتى استعادوا نفوذهم ، وحدوا من نفوذ اتباع جفتم الذين تركهم في صنعاء والذين كانوا يُعرَفون بالجفاتم ، وأناب الأمير اسعد بن أبي يعفر عنه في صنعاء (ابراهيم بن طريف بن ثابت الكباري الحاشدي) .

وقد أعاد الخليفة العباسي المكتفي الأمير جفتم الى اليمن بعد فترة ، كمحاولة أخرى لتوطيد نفوذ دولته في اليمن ولكن الأمير اسعد بن أبي يعفر دبّر (في ارجح الروايات) خطة للقبض على الأمير جفتم عن طريق نائبه أي الأمير أسعد (ابراهيم بن خلف) وتمكن هذا من القبض على جفتم وعلى عدد من اتباعه واعتقالهم في قلعة بيت بوس من بلاد بني مطر احدى النواحي التابعة

لصنعاء .

ثم قام الأمير اسعد بعد فترة بالافراج عنه مظهراً ولاءه للعباسيين ، وظل مع ذلك يرقب تحركاته .

ولما ادرك عزمه على استعادة نفوذه جهز قوة لصده وقامت حرب بين الجانبين اسفرت عن مقتل جفتم ، ولم يقم الخليفة العباسي بأي عمل ضد آل يعفر ازاء ذلك ، للضعف الذي كان قد دبّ الى الخلافة العباسية بسبب سيطرة العنصر التركي عليها ، وقد كان همهم السيطرة على مركز الخلافة دون سائر الأقاليم التابعة لها ، الى جانب قوة مركز آل يعفر في عهد الأمير اسعد المذكور .

وقد ضعفت امارة آل يعفر بعد موت الأمير اسعد .

ولكنها استعادت مكانتها وقوتها في عهد الأمير (عبد الله بن قحطان) بن عبد الله بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر) .

ولما توفي هذا ضعفت من جديد ، وقوي نفوذ مراكز القوى القبلية على حسابها ، حتى ثار (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) مجدد الدعوة الفاطمية ودولتها الثانية في اليمن ، وقضى على كل مراكز القوى وعلى جميع الزعامات والامارات ووحد اليمن تحت راية حكمه كما سيأتي .

عموماً فإنّ عهد آل يعفر من اصعب عهود الحكم في اليمن ، لأن آل يعفر أول اسرة فرضت وجودها كقوة ذات شأن في نجد اليمن بعد فصل تهامة بإمارة آل زياد ، وأجبرت العباسيين على الاعتراف بمركزهم ونفوذهم ، مع وجود نائبهم الشرعي على تهامة الأمير محمد بن عبد الله بن زياد ، ووجود نائب ونائبين في بعض الفترات في نجد اليمن صنعاء وأعمالها ، ولأن آل يعفر فرضوا استقلالهم بحكم المنطقة وليس مجرد نيابة عن العباسيين ، وكان انتماؤهم بالعباسيين شكلياً ، وقد تطلب منهم ذلك جهداً كبيراً وتضحيات جساماً كما عرفنا في غضون الفصل الخاص بتأريخهم . بدليل قيامهم بحرب

الأمير جفتم ممثل الدولة العباسية في صنعاء في عهد الخليفة المكتفي وغيره من نواب العباسيين في اليمن .

ولأن آل يعفر وقعوا في محنة الخلاف فيما بينهم ، مما أدى الى حرب بل وقتل بعضهم لبعض كما عرفنا . ولأنهم صادفوا منذ بداية عهدهم تقريباً قيام حركات كبيرة وقوية نافسوها في نفس المنطقة ودخلت معهم في حروب مريرة وقاسية ، ومنها حركة الزيدية بزعامة الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، وحركة دعاة الفاطمية بزعامة الزعيم اليمني علي بن الفضل ، ومنصور اليمن الحسن ابن حوشب بن زاذان الكوفي كما عرفنا ايضاً ، حتى لقد اذعن (اسعد بن يعفر) مرغماً لعلي بن الفضل الى موته كما سنعلم)

ومع كل تلك النزاعات التي واجهها آل يعفر اثناء حكمهم ، ومع تلك الحركات الجديدة ، فقد واجهوا زعامات قبلية قوية عانى آل يعفر منها الكثير وكان آل زياد النواب الشرعيون للعباسيين في تهامة وما تغلبوا عليه من الجبال (كما جاء في مرسوم النيابة من الخليفة المأمون لمؤسس امارة آل زياد محمد بن عبد الله بن زياد) كانوا قوة لا يستهان بها وكثيراً ما واجهوا آل يعفر بالحرب بصورة مباشرة أو غير مباشرة كما عرفنا ذلك أيضاً .

وعلى كل فقد كان الفضل لآل يعفر بتأسيس أول امارة مستقلة في اليمن من الحكم العباسي ، إلا من انتماء شكلي لإضفاء الصبغة الشرعية على حكمهم ، كما كان متبعاً في ذلك العهد .

وقامت على اثرها امارات ودول يمنية بحتة مستقلة عن كل نفوذ خارجي .

لأن ما كان يسمى بالخلافة الإسلامية لم يعد له مكانته التي كانت الخلافة تتمتع به في صدر الإسلام . ولأن تلك الخلافة لم تحكم سائر الأقاليم والولايات الإسلامية بالعدل .

وقد علمنا نوعية الولاة الذين كان الأمويون وكذلك العباسيون يرسلونهم

الى اليمن ، لفرض سيطرة الخلافة الإسلامية عليه ، وكذلك غير اليمن من الولايات الإسلامية .

ولذلك قامت الانتفاضات ، وثارت الشعوب في جميع الولايات الاسلامية ومنها اليمن ، ضد الدولتين الأموية والعباسية .

وكان العصر الثالث من عصور العهد الإسلامي هو عصر ابرز حركات التحرر والاستقلال .

وكانت حركة آل يعفر هي من ابرز حركات التحرر والاستقلال في اليمن في العصر المذكور .

الناحية الاجتماعية والاقتصادية

أمّا الناحية الاجتماعية في عهد آل يعفر فإنها لا تختلف عنها في عهود مماثلة سبقتها أو تلتها في تلك العهود الوسطى ، وقد كانت البيئة الاجتماعية قبلية في معظمها وبالذات في الريف ، ومن فئات العلماء والتجار وأصحاب المهن الحرة وهذه كانت تتمركز وتبرز في المدن والتي ربما تلاشت فيها العصبية القبلية .

وكان المستوى الثقافي وفي المدن غالباً يتمثل بتعلم علوم الشريعة الإسلامية في الفقه والحديث ، وكان الفقه في القسم الأعلى من اليمن هو فقه الزيدية بعد دخول المذهب الزيدي عليها منذ اسس الإمام الهادي يحيى بن الحسين حكمه ومذهبه الهادوي الزيدي فيه ، الى جانب علم أصول الفقه وأصول الدين (التوحيد) وكان في المنطقة هو المذهب المعتزلي ، وعلوم العربية من نحو وصرف وبيان وبديع ، وعلم تفسير القرآن وغيره .

أمّا الناحية الاقتصادية فحيثما يتوفر الأمن والاستقرار ينمو الاقتصاد وتزدهر التجارة والزراعة ، ويتوفر الرخاء .

وحينما تضطرب الأوضاع ، وتكثر الحروب ، فإن الاقتصاد يتدهور وتكسد التجارة ، وتتخلف الزراعة ، وتنقطع الطرق وتسوء الأحوال .

وكذلك كان الحال في عهد دولة آل يعفر ، في الحالتين .

وكثيراً ما ساءت الأحوال في عهد هذه الدولة وصنعاء بالذات ، بسبب الاضطرابات التي اصابتها منذ بداية صراع آل يعفر مع نواب العباسيين ، أثناء نضالهم في سبيل الإستقلال باليمن عن حكمهم وأثناء صراع آل يعفر فيما بينهم .

وأثناء صراعهم مع مراكز القوى القبلية ، ومع مختلف الزعامات التي نافستهم في المنطقة ، وبالذات في عهد الزعيم اليمني علي بن الفضل الذي عانى منه أهل صنعاء قسوة وعنفاً بالغين بسبب تعاونهم مع آل يعفر ومع الإمام الهادي ، ولأنه أشاد حكمه بدون قاعدة شعبية فإنه انهار عقب وفاته بالسم كما سنعلم .

ومن أفضل فترات حكم آل يعفر ، الفترة التي كانت بين وفاة علي بن الفضل ووفاة الأمير اسعد بن أبي يعفر ، ذلك أنّ الأمير اسعد بن أبي يعفر قضى على اتباع علي بن الفضل بعد موته ، في عام ٣٠٣ هـ ، وأقام حكماً يمنياً مستقراً الى موته في عام ٣٣٢ هـ .

الفصـل الأول من تأريـخ حكم
الأئمـة الـزيـديـة في اليمن
(٢٨٤ - ٤٤٤ هـ) (٨٩٨ - ١٠٥٣ م)

عقدت لحكم الأئمة الزيدية في اليمن عدة فصـول ، وهذا هـو الفصل الأول منها .

ويبـدأ هذا الفصـل بالإمـام الهادي (يحيى بن الحسـين بن القـاسم بن ابراهيم بن اسماعيـل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طـالب) مؤسس الدولة الزيدية الأولى في اليمن .

وكـان[1] العلويون قـد نـاضلوا في سبيـل الـوصـول الى الإمـامـة عبـر تـأريخهم كحق شرعي ورثـوه من الإمـام (عـلي بن أبي طـالب) الـذي قُتـل إماماً ، ومن ابنه (الحسين) الـذي قُتل كـذلك ولم يعتبـروا تنازل (الحسن ابن علي) شرعياً .

وادعى الإمامة عـدد من الشخصيات الـطموحـة في عهدي الـدولتـين الأمـوية والعبـاسية ، وكـان آخرهم قبـل الإمام الهـادي هـو جـده (القـاسم الـرسي بن ابراهيم) ، ولكنـه تخلى عن دعـوتـه اثـر اعـلانها واقـام في جبـل الرس بالقرب من المدينة المنورة ، الى موته في عام (٢٤٦) للهجرة .

وقد نشأ حفيـده الإمام الهـادي متأثـراً متطلعـاً الى الدعـوة ، وجاء الى

---

(١) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٧ بتصرف .

اليمن في عام (٢٨٤) للهجرة وأسس فيه حكم الأئمة الزيدية في اليمن كما سنعلم .

كما ادخل الى اليمن المذهب الهادوي في فروع الفقه والذي نسب اليه ، كما يسمى بالمذهب الزيدي نسبة الى الإمام (زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) لموافقته أي المذهب الهادوي له أي المذهب الزيدي في أصول الفقه ، وفي آرائه السياسية في الإمامة وتتلخص في خمس نقاط اساسية هي[1] :

١ ـ جواز ولاية المفضول مع ولاية الأفضل اذا كان في ذلك مصلحة عامة للمسلمين ، وقد أباح هذا الرأي جواز تعدد الولاة من الأئمة في البلد الواحد والزمن الواحد ، ولو كان احدهما أقلّ صلاحية من الآخر ، اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك ، ولكنه فتح أو شجع على الأقلّ النزاع بين الدعاة ، كما اتاح للطامعين في الحكم استغلاله، ولو لم يكن هنالك مصلحة عامة ،ولا موجب ولا ضرورة ولا كفاءة أكثر من كفاءة القائم في الأمر .

٢ ـ اشترط في الإمام ان يكون علوياً فاطمياً ، مخالفاً بذلك رأي (الكيسانية) التي تحصر الإمامة في أولاد (محمد الحنفية) (محمد بن علي بن أبي طالب) ، ولرأي الإمامية التي تحصر الإمامة في أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب) خاصة .

٣ ـ عدم عصمة الأئمة ، مخالفاً بذلك رأي الإمامية التي تجعل الإمام معصوماً من الخطأ .

٤ ـ جواز دعوة إمامين في وقت واحد ، وذلك نظراً لامتداد البلاد الإسلامية ، وهذا قريب من الشرط الأول ومسوّغ لتعدد الأئمة في البلد الواحد لأن الشرط هذا لم يحدّد البلد الذي لا يسوّغ فيه دعوة إمامين في

(١) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٧.

وقت واحد .

٥ ـ جواز الخروج على الظلمة ، وهذا من أفضل أسس المذهب الزيدي ، لأنه يسوّغ الخروج على الولاة الظلمة ، ولكنّه يتيح فرص تعدّد الولاة ، والخروج على غير الظالم بزعم انه ظالم .

٦ ـ عدم الاعتراف بنظرية المهدي المنتظر التي يؤمن بها (الاثنا عشرية) إحدى فرق (الإمامية) آنفة الذكر ، وعدم الإعتراف بالإمام المستور كما هو عند الأسماعيلية (احدى فرق الإمامية) أيضاً .

وقد كا ن مقدم الإمام الهادي الى اليمن من مقره في جبل الرس بالحجاز وللمرة الأولى في عام (٢٨٠ هـ) حيث وصل الى (الشرفة) من بلاد (نهم) في لواء صنعاء في رحلة استطلاعية ، عرض خلالها نفسه على القبائل اليمنية في المنطقة طالباً منهم مساندتهم في دعوته لنصرة الحق ، وإقامة العدل على حد ما جاء في رسائله ، ولكنه لم يلق الاستجابة التي كان ينتظرها لمبايعته ومتابعته ونصرته فعاد الى مقره في جبل الرس المذكور .

وفي عام (٢٨٤) للهجرة عاد الى اليمن مع وفد من بني (سعد بن سعد بن خولان) و(آل فطيمة) من نسل (سعد بن حاذر بن صحار) (سحار) بن خولان بن عمرو الذين وصلوا اليه الى مقره في جبل الرس المذكور لدعوته معربين له عن استعدادهم لنصرته (في الظاهر) وللاستعانة به (في الحقيقة) للنكاية بأعدائهم التقليديين (الأكيليين) سادة (بني ربيعة) من خولان صعدة أيضاً ، والذين ظلوا على ولائهم للعباسيين ، وهو نفس ما فعله (بنو سعد بن سعد) و(آل فطيمة) عند قدوم (ابراهيم ابن موسى) الملقب بالجزار الى اليمن من قبل الهادي في عهد الخليفة (المأمون العباسي) ، كما سلف في موضعه .

ووصل الهادي الى اليمن مع وفدهم لستة أيام خلون من شهر صفر من العام المذكور ، تمكن فور وصوله الى صعدة من حسم خلافات الفريقين وأخذ العهد من بعضهم لبعض ، ثم أخذ منهم البيعة له على

طـاعته ونصـرته ، وبـدأ في صعدة بتـأسيس أول حكم للأئمـة الـزيـديـة في اليمن ، بفضل :

١ ـ قيامه بحسم الخـلافات المحليـة التي كانت قـائمة بـين القبائـل المتنافسـة والمتنـاحرة في المنـطقة ، والتي سببت قيـام حروب كثيـرة بينها ، وأطـاحت بـالكثير من رجـالها دون ان تفلح الـدولة العبـاسيـة ولا آل يعفـر بـانهائهـا وحسمها .

٢ ـ ضعف مـركز الـدولة العبـاسيـة بشكـل عـام وفي اليمن بصـورة خـاصـة وذلك منذ عهـد (المعتصم) بسبب سيطرة العنصـر التركي في الجيش وفي المراكز القيادية والسياسية في الـدولة العبـاسية ، وإن كـانت قد استعـادت نفوذها بصورة افضل نسبياً في عهد (المعتمـد) وأخيه (المـوفق) (٢٥٦ ـ ٢٧٩) للهجـرة ، ثم (المعتضـد) (٢٧٩ ـ ٢٨٩) لـلهجـرة ، إلا أنّ الثورات التي قامت ضـدها في عـدة أماكن كثـورة الزنـج في البصرة وثـورة القرامطة في البحرين وغيرهما في مصر وفارس وأماكن اخـرى لم تسمح لهـا أن تمنع قيام دولة ائمة الزيدية في اليمن .

كـما أن قيـام دولـة (آل يعفـر) في نجـد اليمن صنعـاء وأعمـالهـا وفي غيـرها دون ان يسـطوا نفوذهم في بـلاد صعدة بصـورة ثابتـة ساعد ايضـاً الإمام الهادي على تأسيس دولته فيها واتخـاذها المنـطلق الرئيسي لحكمـه ، ووفرّت كل تلك الأسباب المناخ الملائم له لذلك .

ومن بـلاد صعدة بثّ الإمـام الهادي رسله ورسـائله الى مختلف منـاطق القسم الأعــلى من اليمن ، وولى عــلى الأمــاكن الـتي والتــه في الـقســم المذكور .

وكان (نص)(٢) عهده لولاته كالآتي :

« بسم الله الـرحمن الـرحيم ، هـذا مـا عهــده الهـادي الى الحق أمـير

(٢) علي بن محمد العباسي العلوي في سيرة الهادي ص ٤٤ .

المؤمنين (يحيى بن الحسين) ابن رسول الله ﷺ وعلى أهل بيته، لفلان ابن فلان اني وليتك جبايات قرية كذا وكذا ، وضمّ ما أوجب الله علينا ضمه من اعشارهم ، واستأمنتك على ذلك ، وقلدتك إياه بأمانة الله تبارك وتعالى ، وأمانة رسول الله ﷺ ، فأنظر أعانك الله وأحاطك اذا وصلت الى البلد الذي وجهتك اليه ان تدخله بالسكينة والوقار ، والذكر لله الواحد الجبار ، وأمر بمنزل يكتري لك بكراه فاسكن فيه ، ولا تجشمنّ احداً من أهل البلد من مؤونتك شيئاً قليلاً ولا كثيراً ، ولا تقبلنّ لأحد منهم هدية ، فمن قبل من احد ممن يستعمل عليه فتلك الهدية لبيت مال المسلمين ، لأنها أهديت له في عمله وعلى ولايته ، وبذلك مضى الحكم من امير المؤمنين علي بن أبي طالب رحمة الله عليه وصلواته ، فاذا قرّ قرارك فليكن أول ما تبتدىء به ان شاء الله من العمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس اقامة صلواتهم والاتمام لركوعهم وسجودهم ، ومن علمت منهم من بواديهم ممن يرّد عليك أو ممن معك في البلد انه لا يفهم من القرآن ما يصلي به فعلّمه ما قدر عليه وقوي من مفصل القرآن ، وعلمهم ما قدرت عليه من أصول الدين ، وفضل الجهاد والمجاهدين ومعرفة الحق والمحقين ، والولاية لمن امر الله تعالى بولايته من أهل بيت نبيه المطهرين ، ثم انظر في عملك فما كان من الزرع يسقى سيحاً أو بماء السماء فخذ عشره كاملاً ، وما كان من ذلك يسقى بالسواني والدوالي فخذ نصف عشره ، وكذلك اذا كان العثري (ما يسقى بماء المطر وبالسيول النازل من مياه الأمطار بكلام أهل اليمن) ثلاثة وثلاثون فرقاً وثلث الفرق وهو خمسة أوسق كاملة ، فإن قصرّ شيئاً مما يجب فيه العشر أو نصف العشر عن هذه الثلاثة والثلاثين فرقاً وثلث فسلمه الى صاحبه ولا تأخذ منه عشراً ولا نصف عشر ، فإنّ الله تبارك وتعالى لم يوجب في ذلك شيئاً .

وانظر ان كان للرجل أقلّ مما سمينا من الكيل شعيراً أو أقلّ من الكيل براً فسلم الصنفين جميعاً لصاحبها ، ولا تضمّ احدهما الى صاحبه

فــإنــه لا يجب في شيء من ذلــك زكـاة حتى يبلغ كــل صنف من هــذه الأصنــاف هذه المكيلة المسمـاة » . (وقد أبـطل العمـل بـالنصـاب بيت القـاسم من الأئمـة الـذين حكمـوا في اليمن منــذ القـرن الحــادي عشـر للهجـرة وأوجبوا الـزكاة في القليـل والكثير واستمـر عليه العمـل حتى قيام الثورة اليمنية) وما يزال العمل به ايضاً في عهد الثـورة إلا انه بنـاء على أمانة المزكي ودون خرص و تخمين) .

وأضاف النص : « وانظر أن تسأل عن اشراك النـاس فمن علمت له شركاء في قِطَع متفرقة كَثُر ذلك أو قلَّ فَلُمَّ بعضه الى بعض ، فإن كان جميع ما أخرج الله سبحانه وتعالى لصاحب هذا الـطعام في مـوضع واحـد أو مواضـع مختلفة يبلغ الخمسة الأوسق ، وهي ثـلاثة وثـلاثون فـرقاً وثلث الفـرق الذي ذكرت لك فخذ منه زكاته عـلى ما شـرحت لك ، وإن لم يفِّ فـلا سبيل لـك عليه .

فإذا ضممت جميع ما قبلك ان شاء الله تعالى من حق الله تبارك وتعالى فقدم في ذلك وفي حفظه النية والأمانة ، واعلم ان الله تعالى المطلع عـلى فعل كل فاعل ، والمجازي على عمل كل عامل وذلك في قوله تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ .

وأخرج مما تحتاج اليه من مؤ ونتك وأسبابك ومؤ ونة من تحتاج الى معونته وقيامه معك ، فإن الله تعالى قد جعل لك اخراج ذلك بالمعروف .

ثم انظر ان تكتب أسماء فقراء البلد الذي انت به ومساكينـه ولا تكتب من أهله إلا كل من لا حيلة له الى التحرف والاستغناء عن ذلك فإنك ان كتبت جميع من يحتاج ومن له حيلة اضررت بمن لا حيلة له ، فآثر أهل المتربة ، وأهل المتربة من لا حيلة له .

وازح من كانت له حيلة في الرزق حتى يوسع الله علينا وعليه فنُصيِّر ما أمرنا الله بتصييره اليهم من اموال الله تبارك وتعالى إن شاءالله تعالى ، فـإذا أثبتَّ عِدتهم فأعزل لهم رُبع جباية بلدهم ، ثم اكتب اليَّ بعددهم ، وبكل ما جعل

الله لهم حتى اكتب اليك برأيي وكيف تفرقه ان شاء الله تعالى .

وانظر ان جاز بك ابن سبيل وشكا اليك حاجة أن تُقَـوي أمره وتلمّ شعثه ، وتجري في جميع امورك ما يقربك الى الله تعالى ، فإنّ ذلك انفع لك في الدين والدنيا والسلام عليك) .

أمّا نص[٣] دعوته فكان كالآتي :

« أيها الناس ادعوكم الى ما أمرني الله ان ادعوكم اليـه ، الى كتاب الله وسنة رسوله ، والى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر ، فما جـاءنا بـه الكتاب اتبعناه ، وما نهانـا عنه اجتنبنـاه ، والى أن نأمـر نحن وأنتم بالمعـروف ونفعله وننهى نحن وانتم عن المنكر جاهدين ونتركه .

وإني اشترط لكم على نفسي اربعاً : الحكم لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والأثـرة لكم عـلى نفسي فيـما جعله الله بيني وبينكم ، أؤثـركم ولا أتفضّـل عليكم ، وأقدّمكم عند العطاء قبلي ، واتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي ، واشترط لنفسي عليكم اثنتين : النصيحـة لله سبحانـه والِيَّ في السر والعلانية ، والطاعة لأمري على كل حالاتكم ما أطعت الله ، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم ، وإن مِلتُ أو عدلتُ عن كتاب الله وسنة رسوله فلا حجـة لي عليكم ﴿ قل هـذه سبيلي ادعـو الى الله على بصيـرة أنـا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

وكان الإمام الهادي معتداً بنفسه مبالغاً في ذلك قال مؤلف سيرته وأحد اتبـاعـه منـذ خـروجــه الى اليمن : (عـلي بن محمــد بن عبيـد الله العلوي العبـاسي)[٤] ما نصـه : « وسمعته مـا لا أحصيه اذا اجتمـع عنده النـاس يقول : والله لئن اطعتموني لا فقدتم من رسول الله ﷺ إلا شخصه » .

وقــد ظــل حــتى في اقوى فترات حكمه في حرب مع (آل يعفر)

---

(٣) سيرة الهادي ص ٤٨ .

(٤) نفس المصدر ص ٤٩ .

و(آل طريف) حلفاء آل يعفر و(آل الروية) باستثناء (أبي العتاهية عبد الله بن بشر بن الروية المذحجي) عامل آل يعفر على صنعاء كما سيأتي ، ومع الخارجين عليه كالأكيليين في بلاد صعدة وعلى رأسهم (احمد بن عبد الله بن محمد بن عبّاد) الأكيلي ومع آل الضحاك في بلاد حاشد وعلى رأسهم (احمد بن محمد الضحاك الحاشدي) ومع بني عبد المدان وبني الحارث في بلاد نجران ، و(ابن بسطام) و(حنيش الوادعي) في بلاد نجران أيضاً ، ومع (آل الدعام الأرحبيين) وعلى رأسهم (الدعام بن ابراهيم) في بلاد حاشد أيضاً .

وكانت حروبه مع كل أولئك المخالفين والثائرين عليه وغيرهم من أهل برط وبلاد وشحة وغيرهم سجالاً قبل دخوله صنعاء في عام (٢٨٨ للهجرة) بمساندة عاملها لآل يعفر (أبي العتاهية) آنف الذكر وبعد دخوله اليها حتى اضطرّ اخيراً بسبب تخلي أهل صنعاء عن مساندته وبسبب شدة وطأة (علي بن الفضل) وقوة جانبه ان ينصرف عن صنعاء كلية وأن يعود الى صعدة ، ولقد اصيب في بعض حروبه مع الخارجين عليه بجراحات أثرت في نفسيته ، كما أثر في معنويته اكثر أسرُ ابنه المرتضى والتشهير به في صنعاء ، ولم يفرج عنه إلا الأمير اسعد بن أبي يعفر وأرفقه اليه الى صعدة ولم يحاول العودة بعدها الى صنعاء ، كما سيأتي تفصيل ذلك .

وقد كان يقطع اعناب الخارجين ويهدم مزارعهم ومنازلهم مبرراً فعله ذلك بما فعله[٥] الرسول الكريم مع يهود بني النضير في قطع نخيلهم ، وأن الله انزل عليه قوله : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فبأذن الله وليجزي الفاسقين ﴾ ولقد أسرف في التشبيه وفي الفعل سامحه الله .

ولقد كان بنو فطيمة وسعد بن سعد بن خولان بن عمرو وبنو حي واليرسميون وكذلك الطبريون القادمون من طبرستان هم جمهرة جيش الإمام الهادي وعدته طيلة عهده .

---

(٥) سيرة الهادي ص ١٣٠ .

أما زعيم الأكيليين (أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبّاد) أكبر خصومه فقد سافر الى بغداد مستنجداً بالخليفة العباسي (المكتفي) الذي بويع في شهر ربيع الثاني من عام ٢٨٩ هـ طالباً نجدته على الإمام الهادي وقد قابل الخليفة(٦) وأقام في بغداد عاماً كاملاً ينتظر تجهيز قوة كبيرة معه لحرب الإمام واخراجه من اليمن كما كان يأمل ، وقد قصّ (ابن عبّاد) خبر مقابلته للخليفة فقال : « دخلت على الخليفة فبثثت له خبري ، وأعلمته بما قصدته من نجدته لي ، فقال : « أثْبِتَ على حاجتك وبلغت أقصى مرادك » ثم دخلت عليه بعد ذلك ليتأكد عليَّ في بعثه الذي يبعثه معي وألَّحُ في ذلك له فقلت له : « يا أمير المؤمنين انهم خدمك يصيرون الى بلدك والى جوار رعيتك وطاعتك » فقال الخليفة : « انَّ لأهل اليمن وثبات كوثبات السباع النهمة » فما اقمت أياماً حتى أتى كتاب (عج) بن حادج والذي جعل الخليفة أمر الإشراف على شؤون اليمن اليه ، يذكر فيه للخليفة اخراج العلوي (يعني الإمام الهادي) من صنعاء ، فقال لي الوزير : « كيف رأيت امير المؤمنين » فقلت : « الله اعلم حيث يجعل رسالته » .

وتوقف الخليفة عن تجهيز قوة لحرب الهادي بعد وصول خبر خروجه من صنعاء .

دخول الإمام الهادي صنعاء وما تلا ذلك من احداث

تمكن الإمام الهادي الى الحق (يحيى بن الحسين) من دخول صنعاء في المحرم من عام (٢٨٨) للهجرة بمساعدة عاملها لآل يعفر (أبي العتاهية عبد الله بن بشر بن الروية المذحجي) وقد عمل (أبو العتاهية) الحيلة لدخول الإمام صنعاء بأن أظهر لكبار معاونيه ومعظمهم من (آل الروية) انه خارج لحرب الإمام ، وأمرهم بالخروج الى (السر) في بني حشيش ككمين له ضد الإمام ، ثم خرج هو لملاقاة الإمام الى (حدقان) من بلاد (همدان صنعاء) ، وألحَّ على الإمام أن لا يبيت يومه إلا في صنعاء لئلا تنكشف حيلته ، وفعلاً

(٦) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٦١ .

دخل الإمام معه صنعاء ، وسلمه أبو العتاهية مقاليد الأمور فيها ، ومكنه من التصرف بكل ما يريد التصرف فيه وجاء الكمين من بني حشيش في اليوم الثاني لدخول الإمام وقصدوا مع من انضم اليهم من أهل صنعاء والجفاتم وغيرهم الإمام الى الجامع وصادفوه وهو يخطب للجمعة وتظاهروا ضده وكانوا يصيحون : « لا نريد العلوي[7] يدخل بلدنا»وكذلك كان قول بني طريف وغيرهم ونهبوا اثقال الإمام وحاربوه ولكنه تغلب على الموقف بالترهيب والترغيب والعطاء من خزائن صنعاء ، وأقام في صنعاء أياماً غادرها بعدها الى شبام كوكبان مقر آل يعفر وارتفع منها الى مدينة كوكبان المطلة عليها وبسط نفوذه فيها وولى عليها ثم عاد الى صنعاء وأقام فيها أياماً ثم غادرها الى المنطقة الوسطى بعد أن أناب عنه في صنعاء أخاه (عبد الله بن الحسين) ووصل الى ذمار فمنكث فمدينة جيشان فبلاد رداع ثم عاد الى صنعاء ، وتعتبر هذه الفترة هي ازهى فترات حكمه .

ولما كان فيها استجمع (آل طريف) و(آل يعفر) قواهم وقصدوا بجموعهم الإمام الى صنعاء لحربه واضطروه الى مغادرتها الى مدينة كوكبان ، فساروا بإثره اليها وساعدهم أهلها وأهل شبام وغيرهم في المنطقة واضطروه الى الانسحاب الى بلاد حاشد ، ولما كان في البون من بلاد حاشد تصدى له أهلها واضطروه الى مواصلة انسحابه الى (درب صريم) من بلاد حاشد ايضاً وفيها انـزل أهله ، ثم انتقل منها الى (ريدة) في بلاد حاشد أيضاً ، فقصده المتحالفون ضده اليها ايضاً وفتحوا الحرب عليه وكانت كفتهم هي الراجحة ، وكان (ابن محفوظ) قد استولى على صنعاء بعد خروج الإمام الأخير منها وأخرج من كان فيها في السجون من آل يعفر وآل طريف ممن اعتقلهم الإمام .

ولما وصل للإمام مدد من الطبريين ومن الحجاز عزز من قواته التي كان فيها الدعام بن ابراهيم وأبو العتاهية واستطاع الإمام ان يعود الى صنعاء في العام نفسه (٢٨٨) للهجرة وأن يكسب المعركة .

---

(٧) سيرة الهادي ص (٢٠٧) .

ومع ذلك فلم يستتبّ الأمر للإمام فيها اذ قصدته جموع (آل طريف) و(آل يعفر) بعد ان نصبوا الأميرين (اسعد بن أبي يعفر) وابن عمه (عثمان بن أحمد بن يعفر) وأستمرت الحرب بين الفريقين بقية عام (٢٨٨) للهجرة ، وكانت الحرب سجالاً بينها ، وكان لكل مقر يرجع اليه ، الإمام يرجع الى صنعاء وخصومه يرجعون الى بيت بوس من بني شهاب احدى نواحي صنعاء ، وقد قتل في هذه الحرب الكثير من اليمنيين الذين هم للأسف وقود الحرب بين المتنافسين والطامعين في الحكم والنفوذ ، وممن قتل من انصار الإمام (أبو العتاهية) ونائب الإمام على صنعاء الشريف (علي بن سليمان) وغيرهما .

ولما وصل للإمام مدد آخر من طبرستان التي كان العلويون قد تمركزوا فيها واصل الإمام حربه لمناوئيه وامتدت الحرب الى عام ٢٨٩ هـ وكان على رأس جيش الإمام أخوه (عبد الله بن الحسين) و(الربيع بن الروية المذحجي) ، وكان عسكر الإمام يرجعون الى (صل) أو (صبل) في بني بهلول ، وخصومه يفيئون الى (غيمان) في بني بهلول ايضاً ، ولّما لم تسجل تلك الحرب النصر الذي كان يرجوه الإمام لقواته خرج من صنعاء ليقود جيشه بنفسه ، وقامت معركة بين الجانبين اسفرت عن انهزام جيشه وسقوطه هو من على فرسه من جراء ضربات اصابته ، ولكن عدداً من الطبريين صمدوا بجانبه وأعادوه على فرسه ثم عادوا به الى صنعاء وقتل الكثير من اتباعه .

ومع ذلك فإن الحرب استمرت بين الجانبين وكان على رأس جيش الإمام ابنه (المرتضى) وأخوه عبد الله بن الحسين ، وأبو العشيرة بن الروية وغيرهم ، وظلت الحرب بينهما سجالاً بين الجانبين ، ثم رجحت كفة خصوم الإمام بسبب كثرة جموعهم وتناقص انصار الإمام ، وتتابعت الهزائم على جيش الإمام حتى اضطرّ الى مغادرة صنعاء قافلاً الى صعدة ، وذلك في شهر جمادي الآخرة من العام المذكور ، (٢٨٩ هـ) ، وقد أقام الإمام فيها أياماً ثم غادرها الى نجران ، ثم صار يتنقل بين صعدة ونجران ، وحارب في كل منهما المخالفين عليه ، ثم تقدم الى البون من بلاد حاشد عاقداً العزم على مواصلة تقدمه الى صنعاء لإستعادتها ، ولكن ابراهيم بن خلف آل طريف حليف (آل يعفر)

تقدم بجموعه لصد الإمام عن دخوله صنعاء وقامت حرب بين الجانبين سجلت النصر في معظمها لإبراهيم بن خلف، الأمر الذي منع الإمام من مواصلة تقدمه نحو صنعاء ، وظل يتردد في بلاد حاشد محاولاً تجميع أنصاره الذين تفرقوا عنه وملوا الحرب دون جدوى ، ثم استأذنه من بقي منهم بجانبه العودة الى مناطقهم في همدان وخولان صعدة ونجران فأذن لهم ، وانتقل هو إلى أتوه من بلاد أرحب وذلك في شهر رجب من عام (٢٩٠) للهجرة .

واليها قصده أعداؤه التقليديون من (آل طريف) وهو في قلة من عسكره وأحاطوا به ولكنه أفلت باعجوبة بعد أن استبسل الطبريون في الدفاع عنه ، وأسروا عدداً من انصاره كما أسروا ابنه (المرتضى) ودخلوا بالأسرى الى صنعاء وطافوا بهم في شوارعها تشهيراً بهم ، ثم اعتقلوهم في صنعاء فترة ثم نقلوهم الى قلعة بيت بوس في بني شهاب ، وكان لاعتقالهم أثر سيىء في نفس الإمام ضاعف من ذلك قلة انصاره وانسحاب الكثير منهم وانقطاع المدد له من الأمير جعفر بن ابراهيم المناخي عامل المذيخرة ومخلاف جعفر لآل زياد ، ثم وصول الأمير (علي بن الحسين جفتم) من بغداد للمرة الثانية ، وأضطرّ الى الرجوع الى صعدة ، وكان (ابراهيم بن خلف) قد سيطر على صنعاء بعد عودة جفتم الى العراق .

وقد ظل الأمير المرتضى بن الإمام ومن اليه في الأسر حتى تمكن الأمير (اسعد بن أبي يعفر) بعد استيلائه على امر آل يعفر من الإفراج عنهم ونقلهم الى سجن شبام ، ثم أفرج عنهم وساروا محفوظين من قبله الى بلاد الدعام بن ابراهيم في بلاد حاشد ، حيث ارفقهم هو بدوره مع ابنه محمد بن الدعام الى الإمام الهادي بصعدة وذلك في أوائل المحرم من عام (٢٩١ هـ) . ويرى[٨] بعض المؤرخين ان افراج الأمير (اسعد بن أبي يعفر) عنه ربما كان عن اتفاق مسبق بينه وبين الإمام الهادي بعدم عودة الإمام الى صنعاء وعدم التعرض لحكم آل يعفر ، وهو ما حافظ عليه الإمام حتى وفاته في عام (٢٩٨) للهجرة

(٨) تأريخ اليمن الإسلامي ص ٢٦٣ .

مكتفياً بسيادته على بلاد صعدة وبلاد نجران .

إلا أن له[٩] عودة الى صنعاء في جمادي الآخرة من عام (٢٩٣ هـ) حينما استدعاه أهل صنعاء للصمود بجانبهم ومنع عودة (علي بن الفضل) الى صنعاء ، ودخل الإمام صنعاء في التاريخ المذكور مع آل يعفر والدعام بن ابراهيم وولده وأبناء جعفر بن ابراهيم المناخي ووجوه اليمن ، ومن صنعاء بعث الإمام ابنه المرتضى الى ذمار لبسط نفوذه على المنطقة كجبهة امامية ضد ابن الفضل ، ولكن المرتضى انسحب من ذمار الى ابيه في صنعاء حينما قصده (عيسى بن المعان اليافعي) على رأس جيش ابن الفضل ، وانسحب الإمام كذلك من صنعاء حينما قصده (ابن كيالة) على رأس جيش (آل يعفر) وعاد الإمام وابنه الى صعدة ، واستدعى ابن كيالة وجراح بن بشر بن الروية الأمير اسعد بن أبي يعفر الى صنعاء للسيطرة عليها ، ووصل اسعد اليها ولكنه انسحب من وجه (علي بن الفضل) الذي قصد صنعاء لاستعادتها بجيش لا قبل لآل يعفر به ، وأقام (ابن الفضل) في صنعاء ثلاث سنوات متوالية شدد وطأته على أهل صنعاء اثنائها وذلك بسبب خروجهم عليه وإخراج قواته من صنعاء كلما غاب عنها .

وفي شهر شعبان من عام (٢٩٧ هـ) لبى الإمام طلب أهل صنعاء للقدوم اليها مرة أخرى لمساندتهم ضد عودة ابن الفضل اليها ، ولكنه لم يصل اليها بنفسه وإنما بعث اليها قوّة من خولان صعدة وهمدان بقيادة ابنه المرتضى اثر خروج ابن الفضل منها ، كما بعث الإمام قبل ابنه المذكور (علي بن محمد ابن عبيد الله العباسي العلوي) في جماعة من عسكره ودخل صنعاء مع الدعام ابن ابراهيم في شهر رجب من العام المذكور وأخرجوا من صنعاء من بقي من أصحاب ابن الفضل .

ولكن (ابن كيالة) جهز قوة من حراز باسم (آل يعفر) اضطرت الأمير

---

(٩) سيرة الهادي ص ٣٩١ .

المرتضى ومن معه الى الخروج من صنعاء وجاء اسعد بن أبي يعفر اليها يسانده ابن كيالة في صنعاء وجراح بن بشر بن الروية في ذمار .

أما الإمام الهادي فإنه بعد رجوعه الأخير من صنعاء الى صعدة صار يتردد بينها وبين نجران ، وكانت له حرب في نجران مع الخارجين عليه وفي مقدمتهم (بنو الحارث بن كعب)(١٠) بزعامة (الحارث بن حميد) و(مرزوق بن محمد) و(علي بن الربيع المداني) و(يزيد بن الأسود الكعبي) و(منصور بن هشام الدهمي) وغيرهم ، وكان سلاح الإمام الأخير لكسر شوكتهم وقمع تمردهم هو قطع أعنابهم ونخيلهم وهدم مزارعهم ومنازلهم . وآخر حرب له معهم كانت في عام (٢٩٨) للهجرة ، وكان هو آنذاك في بلاد نجران ، ولّما كان في قرية الحضن منها اقعده المرض عن الخروج ، وحدث ان حمل المخالفون على جنوده وهزموهم وقتلوا عدداً كبيراً منهم أضطره ذلك الى الخروج وجمع فلولهم وتقوية عزائمهم والعودة بهم الى صعدة ، وفيها اشتد مرضه الذي توفي فيه ، وذلك في اليوم العشرين من شهر ذي الحجة من العام المذكور (٢٩٨) للهجرة عن عمر لم يتجاوز الثالثة والخمسين ، وكان له من الأولاد الذكور عند موته : (المرتضى أبو القاسم محمد) و(الناصر محمد) و(حسين) .

وقد وصف الإمام بالعزم والصبر والجلد والنهضة ومشاركة رجاله في الحرب ، كما وصف بالتواضع والبساطة ، كما كان مثالاً للإستقامة والعفة والنزاهة ، وقد وصفه مؤلف سيرته (علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي من أولاد العباس بن علي بن أبي طالب) في السيرة بأوصاف جمة منها قوله(١١) : « وحدث محمد بن سعيد قال : لّما نزل الهادي الى الحق صلوات الله عليه صعدة وكان محله دار الإمارة ، فكان يصلي بالناس الصلوات بالجماعة ، فلا يقطع ليلاً ولا نهاراً ، ويجلس ما بين الصلوات فيعظ الناس ويعلمهم فرائض الدين وفرائض المواريث ، ويتحاكمون اليه ، ويبين لهم في رفق ، ثم

(١٠) سيرة الهادي ص ٣٣٠ .

(١١) السيرة ص ٣٨٦ .

ينهض فيدور في الأسواق، والسكك ونحن معه، فإن رأى جداراً مائلاً أمر أهله باصلاحه أو طريقاً فاسداً أمر بتنقيته ، أو خلفاً مظلماً أمر أهله أن يضيئوا فيه بالليل للمارة والسالك الى المساجد وغيرها ، وإن رأى امرأة امرها بالحجاب ، وإن كانت من القواعد امرها بالتستر ، وهو الذي أحدث البراقع للنساء باليمن وأمرهنّ بذلك ، وكان يقف على أهل كل بضاعة فيأمرهم بأن لا يغشوا بضائعهم ، ويأمرهم بتنقيتها من الغش ، وتفصيل ما يبيعون ، وإيفاء ما يسمون ، فقالوا له : « اليس التسعير حراماً ؟ فقال : أوليس الظلم والغش حراماً ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنما نهى عن التسعير على أهل الوفاء وأهل التقوى ، فاذا ظهرت الظلامات في البيوع وجب على أولياء الله ان ينهوا عن الفساد كله ، ويردوا الحق الى مواضعه ، ويزيحوا الباطل من مكانه ، ويأخذوا على يد الظالم في ظلمه » .

وكان يقف على الحبس ثم يدخله فيأمر بتنقيته ، ويأمر من كان فيه قارئاً بأن يعلّم من كان فيه لا يقرأ ، ويسأل عن ذنوبهم وحبسهم ، فمن كان في دين نظر في جِدَته وإفلاسه ، ومن كان في ذنب تفقد حرسه وأمره ، ويفحص عن احوالهم ، ثم يرجع وقد امر ونهى في جميع القرية ، وأقام على ذلك وقتاً لم يتغير مع مواعظ وصدقات وعيادة للمرضى ومداواة للقلوب ، ودعاء الى الله في السر والعلانية .

ثم ذكر حدوث محاولة لاغتيال الإمام ثم رميه بالنبل وهو داخل المسجد الأمر الذي جعله ينقبض عن الناس قائلاً : « اللهم إني ملت أن اسير فيهم بسيرة الاختلاط بهم ، وأن أصل بنفسي ولاية امرهم حتى اكون فيهم كأحدهم ولا احتجب عنهم ، ولا أغيب شخصي عن محاضرتهم ، ولا أترك صلاة بهم ولا أكلهم الى غيري ، فبدأوا في المكيدة فيَّ ، وأرادوا النفس ، وإني ضارب الحجاب ، ومتحرز عنهم حتى يحكم الله بيني وبينهم »

الإمام المرتضى بن الإمام الهادي وتخليه

وقد بويع (أبو القاسم محمد المرتضى بن الإمام الهادي) عقب موت أبيه

إماماً بعده . ولم يكن في مستوى ابيه في القدرة والصلابة والعزم وقوة الاحتمال .

وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر ذي القعدة من عام (٢٩٩) للهجرة جمع (المرتضى) الناس وأعلمهم بتخليه عن الأمر ، ولزم منزله في مدينة صعدة حتى توفي في عام (٣١٠) للهجرة وكانت وفاته عن اثنتين وثلاثين سنة من العمر .

وقد خطب الناس[١٢] عند ابلاغهم تخليه عن الأمر ومما جاء في خطبته تلك قوله : « إنكم معاشر المسلمين اقبلتم إليَّ عند وفاة الهادي رضي الله عنه ، وأردتموني على قبول بيعتكم فامتنعت مما سألتموني ودافعت ولم أؤ يئسكم من اجابتكم الى ما طلبتم مني خوفاً من استيلاء القرمطي (يقصد علي بن الفضل) على بلادكم) وتعرضه للضعفاء والأيتام والأرامل منكم ، فأجريت أموركم على ما كان الهادي يجريها ، ولم أتلمس بشيء من عرض دنياكم ، ولم اتناول قليلاً ولا كثيراً من اموالكم ، فلما اخزى الله القرمطي وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً تدبرت امري وأمركم ، ونظرت فيما أعرضه من خلالكم ، فوجدت أموركم تجري على غير سننها ، وألفيتكم تميلون الى الباطل وتنفرون عن الحق ، وتستخفون بأهل الصلاح والخير والدين والورع منكم ، لا تتناهون عن منكر تفعلونه ، ولا تستحيون من قبيح تأتونه ، وذنب عظيم ترتكبونه ، ولا تتعظون بوعظ الواعظين ، ولا تقبلون نصح الناصحين، بل تجرون في غيكم » .

وأضاف قائلاً : «فلمّا لم أجد فيكم من يعين الصادق المحق ، ويأمر بالمعروف ويرغب في الجهاد ، ويختار رضاء الله على رضاء المخلوقين ، إلا القليل من القبيلة واليسير من الجماعة ، انزلت هذه الدنيا من نفسي اخس المنازل وآثرت الآخرة ، واخترت الباقي الدائم على الفاني الزائل » الى قوله : « وايقنت مع الأحوال التي وصفتها ، والموانع التي ذكرتها أنّ السلامة عند الله

---

(١٢) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ٥٦ .

في الـزهد في الـدنيا والاشتغـال بعبـادة رب العـالمين ، والاعتـزال عن جميـع المخلوقين ، وذلك بعد رجوعي الى كتـاب الله تعالى » إلى آخـر خطبتـه ، ثم صرف عماله عن بلاد همدان ونجران وغيرهما .

الإمام الناصر احمد بن الإمام الهادي

كـان (احمـد بن الإمـام الهـادي) عنـد اعتـزال اخيـه (المـرتضى) في الحجاز ، ولما عاد الى اليمن بويع إماماً وذلك في شهر صفر من عـام (٣٠١) للهجرة ، ولقب بالناصر واتخـذ مدينـة صعدة مـركزاً رئيسيـاً لإقامتـه ، وكان انصاره الدائمون هم انصار ابيه (الهمدانيـون) و(بنو فـطيمة وبنـو سعد بن سعد بن خولان بن عمرو) في بلاد صعدة .

وكـانت له حـروب مع (عبـد الحميـد بن محمـد بن الحجـاج المنتـاب المسوري) قائد جيش (عبد الله بن عباس الشاوري) خليفـة منصور اليمن (الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) احد داعيتي الفاطميين في اليمن) وكان مركز هذا الداعية وخليفته في بلاد مسور حجة كما سنعلم في الفصـل الخاص بتأريخ دعاة الفاطميين في اليمن .

وأهم تلك[١٣] المعـارك معركـة (نغـاش) في بـلاد الأشمـور من لـواء حجـة ، والتي وقعت في عام (٣٠٧ هـ) . ووقعـة المصانـع في بلاد كـوكبـان بعدها ، وكانت الغلبة فيها للإمام .

ودخل[١٤] عدن بثمانين الفاً من المقاتلين ودانت له منطقتها في الجنوب ، ولم يدخل صنعاء لقوة جـانب الأمير (اسعـد بن أبي يعفر الحـوالي) فيها ولأن العلاقة بينهما كانت حسنة ، حتى لقد كان الأمير اسعد يلتزم جـانب الحياد في النزاع الذي كان يقوم بين الإمام الناصر وبين الأمير (حسان بن عثمان بن احمد آل يعفـر) الذي كـان يمارس نفـوذاً مستقلاً في القسم الأعـلى شمـال صنعـاء

---

(١٣) ائمة اليمن ص ٦٣ . وسيرة الهادي ص ٤٠٤ .

(١٤) ائمة اليمن ص ٦١ .

وأنشأ (احمد بن المختار قصيدة بتلك المناسبة جاء منها قوله[١٦] :

عــلام الــلوم يــا سلمى عــلامــا ... عــداني اللوم فاطّـرحي الملامــا
ألمّــا تـعلمـي فـتـكـي جـهــاراً ... عشيــة لم تهـب نفسي الحـمـامـا
وطـعني غــير مــا وجــل وضــربي ... كــلا وطــلاً وأحـشـــاء وهــامـا
بــردت الغــل ثم شـفيـت نفسي ... بـقتـلي لــلأولى قـتـلوا الإمــامــا
فتى في السلم كــان هــدى ونــوراً ... وسيفــاً في الـوغى ذكــراً حسامــا

الى آخرها .

هذا[١٧] وكان لسان اليمن (أبو محمد الحسن بن أحمد الهمـداني) رفيقاً حميماً لمحمد بن احمد بن الضحاك المذكور في السلم وفي الحرب ، حتى لقد ذكر انه شهد معه مائة وقعة وست وقعات في الحروب التي خاضها ابن الضحاك ، ولقـد سجن الهمداني مـرتين الأولى في صعـدة سجنه فيهـا الإمام النـاصر بن الهادي ، والثانية في صنعاء سجنه الأمير (اسعد بن أبي يعفر) بإيعاز من الإمام الناصر الذي كان على علاقة حسنة مع الأمير اسعد ، وانشأ الهمداني قصيدته الرائية التي اسماها قصيدة (الجار) وعددها تسعة وتسعون بيتاً ، ومطلعها :

خــليــليّ اني مخـبــر فـتــخـبّــرا ... بــذلــة كـهــلان وخَيْــرة حمـيــرا

ومنها :

ويـسقط مــني ذاك عــن حـي حمـــير ... وسيـدهــا المنظور فيهـا ابن يعفــرا
انخت بـه خـوف العـداة وغـدرهم ... فــألفيتـه فيهم عــلى الأمن أغــدرا
ولكنـــه أغضى عـــلى الــذل عينــه ... وفــرّط في حــق الجــوار وقصّــرا
وأصلح بي مـا كـان من قبــل بينـه ... وبــين قــريش الأكــرمــين تغيّــرا
وقـد ذل من جـاري بـذمـة جــاره ... وأســلمــه ممــا يخــاف وقـصــرّا
وكــل فـعــال مــا ولاخفــر ذمّــة ... لمن لاذ مــذعـوراً بــركنـك منفــرا

(١٦) محمد بن محمد زبارة في تأريخه (ائمة اليمن) ص ٦٦ .

(١٧) القاضي محمد بن علي الأكوع في مقـدمته عـلى الجزء الأول من الأكليـل للهمداني الـذي قام بنشره وتحقيقه .

الإمام يوسف الداعي بن المنصور وأثر الزعامات القبلية في الأحداث

دعا[١٨] (يوسف بن المنصور يحيى بن الناصر احمد بن الهادي يحيى بن الحسين) في مدينة ريدة من بلاد البون من حاشد عام (٥٦٨) للهجرة وتلقب بالداعي .

وقامت بينه وبين الشيخ قيس بن محمد بن احمد الضحاك حروب كانت صنعاء مسرحاً لها ، وكان اليمنيون هم وقودها في الجانبين ، وكان ابن الضحاك أقوى في الغالب بسبب الدعم الذي كان يتلقاه من (آل زياد) ومن الشيخ (اسعد بن الحسن بن أبي الفتوح الخولاني) ، وكان الإمام الداعي اذا استولى على صنعاء لا يلبث ان يغادرها .

ولمّا فسد ما بين الحليفين (ابن الضحاك) و(ابن ابي الفتوح الخولاني) انحاز هذا الى الإمام الداعي ، كما انحاز اليه الشريف (الحسن بن يحيى بن الحسين بن الهادي) قائد مدد (آل زياد)ورجحت كفة الإمام ، واستولى على صنعاء من عام (٣٦٩) الى سنة (٣٧١) للهجرة .

وفي هذا التأريخ خالف على الإمام يوسف الداعي أهل همدان ، وكان مع ذلك قد فسد ما بينه وبين اسعد بن أبي الفتوح الخولاني مما أضعف جانبه واضطرّه الى الاتفاق تارة مع ابن أبي الفتوح وتارة مع ابن الضحاك ، وجعل شطر حاصلات صنعاء لمن كان على اتفاق معه ، ثم بنى له بيتاً في مدينة حوث من بلاد حاشد ونقل اليه اهله واستقرّ فيه ، وكان اذا غادره رجع اليه .

هذا وفي فترة من فترات التحالف بين الإمام الداعي وبين ابن ابي الفتوح دخل هذا صنعاء وخطب فيها للداعي وللأمير (عبد الله بن قحطان آل يعفر) فلامه الداعي على ذلك فقطع الخطبة عنهما معاً ، الأمر الذي يدلّنا على ضعف مركز الإمام وقوة الزعامات المحلية في عهده .

ولما وصل الإمام العياني الى صعدة وأعلن دعوته لنفسه إماماً وأجابه

(١٨) زبارة في تأريخه (ائمة اليمن) من ص ٧١ .

الناس كما سنعلم بعد هذا،خلد الإمام الى السكينة محتفظاً بدعوته .

الإمام القاسم بن علي العياني

قدم[١٩] القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد من أولاد القاسم الرسي الى صعدة من تبالة في بلاد عسير في شهر المحرم من عام (٣٨٩) للهجرة ، وأعلن نفسه إماماً وتلقب بالمنصور بالله .

وكان رجال من البون والخشب في بلاد حاشد وغيرهم قد مهدّوا للدعوة له وجمع الزكاة من الناس ونقلها اليه الى بلاد عسير ، الأمر الذي شجّعه على الإنتقال منها الى بلاد صعدة ، ومنها الى مدينة (عيان) في بلاد سفيان واتخذها مركزاً رئيسياً لإقامته ومنطلقاً لدعوته ، وكان اذا غادرها عاد اليها ، ولذلك نسب اليها .

وأول عمل قام به في سبيل مدّ نفوذه داخل اليمن هو تحرّكه الى بلاد نجران واخضاعها والتولية عليها ، ثم العودة الى تبالة في بلاد عسير .

وفي اثناء وجوده فيها خالف عليه أهل صعدة مساندة للإمام الداعي يوسف بن المنصور ، فأسرع العياني الى مدينة عيان وجمع قوّاته وتقدم الى صعدة والحق بها الخراب والدمار واضطرّ الداعي الى الخروج منها ، ثم عزز فيها نفوذه بتولية ابنه (جعفر) عليها ، وجعل بنظره نصف حاصلات بلاد صعدة .والنصف الآخر جعله لأولاد الهادي بما فيهم الإمام الداعي لإصلاح احوالهم ، واشترط عليهم انتزاعه منهم اذا استغنوا عنه ، وكان ذلك مقابل تنحي الإمام الداعي له عن دعوته ومناصرته، والإقامة في مدينة صعدة ، كما خالفت عليه بلاد نجران مراراً وغزاهم هو مراراً وقتل الكثير منهم واقتلع أعنابهم وهدم مزارعهم ومساكنهم وكان ذلك هو السلاح الذي يلجأ اليه بعض الأئمة في حالة عجزهم عن اخضاع الخا رجين عليهم من اليمنيين،ومع ذلك فلم تكن تلك الوسيلة القمعية فعّالة ،بدليل تكرر خروج أهل نجران على الإمام بعد اصلاح

(١٩) نفس المصدر من ص ٧٥ .

منازلهم ومزارعهم ، وكانوا هم المنطقة التي عانى منها هو وغيره من الأئمة اكثر من غيرها ، بل وقتل العديد من العمّال فيها .

وفي عهد ازدهار نفوذه وهو العام الذي تلا عام قدومه من بلاد عسير الى صعدة (أي عام (٣٩٠) للهجرة ،امتدّ نفوذه الى بلاد المغارب في بلاد حجة وولى عليها ، واستدعاه أهل صنعاء ووصل اليها وولى عليها ، كما والته بلاد ذمار وبلاد عنس وولى عليها الشريف قاسم الزيدي ، ووالاه الأمير (اسعد بن قحطان آل يعفر) وخطب له كما عرفنا في الفصل الخاص بتأريخ آل يعفر .

تقلص نفوذ الإمام العياني وانعزاله وموته

بدأ جانب الإمام العياني يضعف منذ خالف عليه أولاد الإمام الهادي في بلاد صعدة وذلك بسبب قطع الإمام عنهم لما كان أجراه لهم وهو نصف حاصلات بلاد صعدة ، وعزلهم عما كان بنظرهم في بلادها ، وقامت حرب بينه وبينهم كانت سجالاً بينهما ، لتكافؤ قوتي الجانبين ، وبسبب تخلي الكثير من اليمنيين عن الإمام العياني .

ومع ذلك فقد استطاع أولاد الهادي ان ينقلوا المعركة بينهم وبين الإمام الى بلاد نجران ، حيث انضم اليهم اهلها المعروفون بعدائهم الشديد للإمام العياني ، وبذلك قوي جانب خصومه ، وانهزم جيش الإمام بعد ان قتل فيه الكثير .

وحدث مع ذلك ان الحّ أهل همدان على الإمام في طلب ارزاقهم ، فأمر لهم الإمام الى ابن أبي الصيح عامله على صنعاء بذلك ، ولما لم يجدوا عنده ما يطلبونه انحازوا الى (اسعد بن أبي الفتوح الخولاني) و(يحيى بن أبي حاشد ابن العباس بن الضحاك الحاشدي) وحالفوهما ضد الإمام ودخلوا بهما صنعاء وأخرجوا منها عامل الإمام المذكور ، وكان ذلك في عام (٣٩١) للهجرة .

ومنذ هذا التأريخ بدأ نجم الشريف (قاسم الزيدي) عامل الإمام على ذمار وأعمالها يلمع ، وجانبه يقوى على حساب الإمام ، ذلك أنّ (الزيدي) لمّا

علم باستيلاء (ابن أبي الفتوح) و(ابن الضحاك) على صنعاء قام بعمل ضغط عليهما لخروجهما من صنعاء بأن قام على رأس جموعه بغزو قرية (نَعِض) في بلاد سنحان وهدمها وكانت مما يقع تحت نفوذ ابن أبي حاشد واضطره الى الخروج من صنعاء،وغزى لابن أبي الفتوح الخولاني بلاداً في جنوب صنعاء، وقطع ما كان له من أعناب فيها واضطره الى عقد صلح معه ينص على اعتراف الخولاني بالولاء للإمام العياني ، و ن تكون بلاد خولان من جملة بلاد الإمام وغير خارجة عن طاعته ، وأن يحمل الى الإمام مبلغاً من المال تأكيداً لولائه للإمام وأن يخرج مع ذلك من صنعاء ، ووفى كل للآخر بما صالحه عليه .

قال الخزرجي[٢٠] : « وحمل اسعد بن أبي الفتوح الخولاني الى الشريف الزيدي خمسة وسبعين ألف درهم ،وعاد عامل الإمام الى صنعاء » .

ثم وصل الشريف الزيدي الى صنعاء ، وبدأ يخالف أوامر الإمام ، وجرت مراسلات بينه وبين الإمام تمّ التقاؤهما في (مدر) من أرحب واعتذر للإمام ، ولكنه أصابه الغرور وبدأ خلافه للإمام يبرز بصورة علنية ، وكانت صنعاء مسرحاً للخلاف بينهما .

اذ كان الإمام يولي عليها ، فيعارضه الزيدي ويخرج عامل الإمام منها ويولي هو عليها من قبله .

وقد أراد الإمام حسم خلافه مع الشريف الزيدي ووضع حد لمعارضته له فأنفذ ابنه الأمير جعفر الى صنعاء والياً عليها ، وأمره بأن يعيد الى ابن أبي الفتوح الخولاني نفوذه على ما كان في خولان وغيره وان يتعاون معه على منع تطاول الشريف الزيدي ومدّ نفوذه من ذمار الى صنعاء .

ولكنّ الزيدي كان اسرع وأقوى من الإمام ومن ابنه وادرك نوايا الإمام نحوه ، فما ان وصل الأمير جعفر بن الإمام الى صنعاء حتى غزاه الشريف الزيدي اليها وقبض عليه وعلى اخوته واعتقلهم في قلعة بني شهاب من بلاد

---

(٢٠) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٤٩ .

البستان ، احدى نواحي صنعاء ،وخطب للإمام الداعي يوسف بن المنصور بن الناصر بن الهادي بالإمامة ولنفسه بالإمارة ، ويكون الزيدي بـذلك قـد اعلن خروجه عن الإمام العياني وولائه للإمـام الداعي ، وهـدف مع ذلك الى شق العصى بين الإمامين ، والحيلولة في نفس الوقت دون استعانة العياني بالداعي في حربه للزيدي لو أراد أن يشنّ حرباً عليه ، ثم قصد الزيدي بـلاد ابن أبي الفتوح الخولاني مرة اخرى وهدم بعضها ، الأمر الذي اضطر الإمام العياني الى مراسلة الزيدي وان ينزل على حكمه ، واتفق معه اتفاق الضعيف مـع القوي بعد ان اجتمعا في مدينة ريدة ، وولى الإمام العياني الشريف الزيدي ولاية عامة من نقيل عجيب في بلاد حاشد الى عدن بما فيها عدن وصنعاء وكان ذلك عام (٣٩١ هـ) العام المذكور .

وتبينّ للإمام العياني تغيّر الأحوال عليه وقلة الأنصار حوله ، ثم انتقل الى مقره في مدينة (عيان) ببلاد سفيان ، واعتـزل الأمر وخلد الى السكينـة حتى وافاه اجله فيها في شهر رمضان من عام ٣٩٣ هـ عن عمر دام ثمانية وسبعين عاماً ، وعن حكم دام حوالي ثلاثة أعوام فقط .

عودة الإمام الداعي الى الظهور

ولما توفي الإمام قاسم العياني عاد الإمام الداعي (يوسف بن المنصور بن الناصر بن الهـادي يحيى بن الحسين) الى الـظهور ، وتجـوّل في مختلف مناطق القسم الأعلى من اليمن ينشر دعوته ويبثّ دعـاته عـلى ضعف ، وذلك بسبب تنافس الزعامات القبلية القوية وتأثيرها على الأحداث في المنطقة .

وحدث مع ذلك ان دعا لنفسه كل من الشريف قـاسم الزيـدي آنف الذكر ، والأمير حسين بن قاسم العياني ، واعلن كـل منهما معـارضته لـلإمام الداعي ، ومعارضة كل منهما للآخر .

الإمام قاسم بن حسين الزيدي ووفاته

وكانت دعوة هذا في عام وفـاة الإمام العيـاني وهو عـام (٣٩٣ هـ) ،

وكانت علاقته مع الإمام الداعي حسنة ، وقد والى الإمام قاسم الزيدي (ابن أبي حاشد) ، ودخل صنعاء باسم الزيدي وخطب له فيها ، ولكنه وجد مقاومة من أهل صنعاء فغادرها ، وتوفي الزيدي في العام الذي تلا عام دعوته ، أي في عام ٣٩٤ هـ ، وكان قد وصل الى اليمن من مقره في الطائف بالحجاز في عهد الإمام قاسم العياني كما عرفنا ، وهو الذي اخرج غيل الاف جنوبي صنعاء في عهد الإمام العياني المذكور .

الإمام حسين بن قاسم العياني

كما كانت دعوة هذا لنفسه بعد موت والده الإمام العياني في عام ٣٩٣ هـ ولقب نفسه المهدي ، وادعى انه المهدي[٢١] المنتظر الذي بشرّ به الرسول على حد زعم مختلقي احاديث المهدي المنتظر ، والراجح انّ ما زعم للحسين بن قاسم العياني انما هو من قبل غلاة شيعته لا من قبله هو ، والذين أشاعوا عقب مقتله انه لم يقتل ، وانه ما يزال حياً يرزق ، وانه سيبعث لتجديد الدين الإسلامي ، وقد[٢٢] رد عليهم مؤلف (الحدائق الوردية) برسالة اسماها (الزاجرة في النهي عن الغلو في ائمة الهدى) ، كما ردّ عليهم القاضي احمد بن صالح أبو الرجال في كتابه (مطلع البدور ومجمع النحور) والسيد صارم الدين الوزير في (البسامة) وغيرهم .

وقد اجابت الإمام حسين العياني قبائل همدان وحمير والمغارب في بلاد حجة ، وبلاد شبام وكوكبان ومسور بلاد حجة ايضاً .

وكان حكم اتباع داعية الفاطميين (منصور اليمن الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) قد انهار من المنطقة في ذلك التأريخ .

الإمام محمد بن قاسم الزيدي

ودعا هذا بعد موت والده الشريف(قاسم الزيدي) في عام (٣٩٤ هـ) .

---

(٢١) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٤ .

(٢٢) ائمة اليمن ص ٨٥ . والخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥١ .

فهو قد عارض في دعوته الإمام (حسين بن قاسم العياني) .

وقد بايع الإمام محمد بن قاسم الزيدي أهل بلاد ذمار ، وكانت هذه المنطقة هي منطقة نفوذ والده منذ ولاه فيها الإمام قاسم بن علي العياني ، ثم بعد دعوته أي الإمام قاسم الزيدي . كما عارض الإمامان المتعارضان (حسين بن قاسم العياني) و(محمد بن قاسم الزيدي) الإمام الداعي (يوسف بن منصور بن الناصر بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين) الذي احتفظ بدعوته كما علمنا منذ تصالح مع الإمام قاسم العياني بعد دعوة هذا ، ثم جدد دعوته بعد موته أي العياني .

ولكن الإمام محمد بن قاسم الزيدي استطاع ان يجدد العلاقة الحسنة التي كانت قائمة بين والده وبين الإمام الداعي وكوّنا جبهة واحدة واستوليا على صنعاء .

ومع ذلك فقد غادراها بعد نصف شهر تقريباً ، بسبب زحف القبائل الموالية للإمام حسين العياني ، نحوها ، ووصل اليها الإمام العياني المذكور وذلك في عام ٣٩٤ هـ .

ثم ولى[٢٣] عليها اخاه الأمير (جعفر بن قاسم العياني) ومع ذلك فلم يستتب الأمر للأمير جعفر العياني بسبب ثورة أهل صنعاء عليه .

وجاء الإمام حسين العياني منجداً لأخيه الأمير جعفر ، وهدم دور مناوئيه واستصفى اموالهم ، وبالرغم من الاجراءات العنيفة والقاسية التي اتخذها الإمام العياني ضد مناوئيه فإنها لم تخمد ثورة أهل صنعاء عليه ، وراسلوا الإمام محمد بن قاسم الزيدي يطلبون وصوله الى صنعاء لتخليصهم من آل العياني ، وجاء الزيدي الى صنعاء وانتقم بدوره من مناصري وشيعة آل العياني انتقاماً شديداً .

---

(٢٣) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٤ . استناداً الى غاية الأماني ليحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ص ٢٣٩ .

ومع ذلك فلم يستتب الأمر له في صنعاء ، وظلت كعادتها مسرحاً للحرب والنزاع بين الإمامين العياني والزيدي ، وكان موالي آل زياد القائمون على شؤون دولتهم هم وراء ذلك الصراع بين الإمامين ، بهدف اضعافهما معاً ، كما كان للزعامات القبلية في المنطقة أثرها في زيادة الاضطرابات واستمرارها .

واستمرّت الحرب بين الأمامين المتعارضين حتى قتل الإمام الزيدي في حقل صنعاء عام (٤٠٣ هـ) .

أمّا الإمام (حسين بن قاسم العياني) فإنه استطاع ان يحافظ على مركزه حتى خالف عليه الشيخ (منصور بن أبي الفتوح الخولاني) ، الذي انضمت اليه ضد الإمام العياني قبائل بني شهاب في بلاد البستان ، وبنو صريم ووادعة في حاشد ، وتجمعوا لحربه ، واضطروه الى الانسحاب من صنعاء الى ريدة ، ثم واصل انسحابه نحو بلاد الجوف ، ودخل (احمد بن قيس بن الضحاك الحاشدي) صنعاء اميراً عليها .

وبعد فترة تحرك الإمام حسين العياني الى بلاد حاشد محاولاً استعادة صنعاء ، فحاربته القبائل المناوئة له في بلاد ريدة من بلاد حاشد ، واسفرت تلك الحرب عن مقتله وذلك في عام (٤٠٤ هـ) .

وكان الإمام الداعي يوسف بن المنصور بن الناصر ، قد اضطر في خضم تلك الأحداث والاضطرابات الى ان يلزم منزله في بلاد صعدة الى وفاته عام (٤٠٣ هـ) .

هذا وبالرغم من أنّ الفترة التي مرت بين مقتل الإمام حسين العياني في التأريخ المذكور (٤٠٤ هـ) وبين قيام الملك الكامل (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٣٩ هـ) بثورته التي استطاع ان يوحد بها اليمن في ظل رايته لم يتعارض فيهاإمامان يشعلانها حرباً مريرة مسرحها القسم الأعلى من اليمن ، ووقودهااليمنيون، الا انها مع ذلك كانت فترة قلقة مضطربة كما رأينا ، تنازع فيها السلطة في المنطقة المذكورة عدد من رؤساء القبائل اليمنية،وكانت

صنعاء وأعمالها هي مسرح تنافسهم وتنازعهم وحربهم ، وكان أبرز هؤلاء المتنافسين هم (آل الضحاك) الحاشديون وعلى رأسهم (يحيى بن ابي حاشد) وقبيلة (خولان العالية) وعلى رأسهم (منصور بن أبي الفتوح الخولاني) وكان الأمير (جعفر بن قاسم العياني) مع هؤلاء تارة ومع أولئك تارة أخرى ، ومرة يدخل صنعاء ، ومرة يخرج منها ، وكثيراً ما كانت صنعاء تتعطل عن الإمارة ، وأصابها بسبب ذلك الاضطراب والدمار والخراب .

الإمام أبو هاشم ووفاته

دعا[٢٤] (أبو هاشم بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم) في ناعط من بلاد حاشد ، (المنطقة الأثرية المشهورة) في عام (٤١٨) للهجرة ، إثر مقدمه من الحجاز الى اليمن ، وتلقب بالنفس الزكية ، وكان معه ولده (حمزة) الذي نسب اليه السادة الحمزات في اليمن .

وقد انتقل الإمام أبو هاشم من ناعط الى (مأرب) حيث استقبله فيها الشيخ عبد المؤمن بن أبي الفتوح الخولاني الذي كان مقيماً فيها ، وسانده في دعوته التي كان يصدرها بقوله : « من عبد الله المعيد لدين الله الداعي الى طاعة الله الدامغ لأعداء الله » .

وحدث ان كتب القائد مرجان القائم على امارة (آل زياد) في تهامة الى الشيخ (منصور بن أبي الفتوح) يلومه على مساندة اخيه الشيخ (عبد المؤمن) للإمام أبي هاشم ، فغضب منصور لاعتراض مرجان ، واعتبره تدخلاً في شؤونهم المستقلة عن آل زياد إلا من ولاء شكلي، وقام بالفعل مع اخيه بمساندة الإمام المذكور ودخلا به (صنعاء) . وامتدّ نفوذه في بعض مناطق القسم الأعلى من اليمن ، كما والاه الشيخ (يحيى بن أبي حاشد) ، وأقام الإمام في صنعاء أياماً غادرها بعدها الى بلاد ذمار ، ووصل الى بلاد

---

(٢٤) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ٥٤ .

ألهان من بلاد آنس من أعمال ذمار أيضاً ، ثم عاد الى مدينة ذمار ، وبنى له منصور بن أبي الفتوح ، حصن هران في الضاحية الشمالية لمدينة ذمار ، واستمال لولائه الأمير (احمد بن يعفر) صاحب حصن كحلان يريم ، وهذا الأمير هو آخر من عرف من امراء آل يعفر ، وسار الأمير احمد بن يعفر مع الإمام ومع ابن أبي الفتوح الى مخلاف جعفر ودخلوا عاصمته مدينة (اب) حيث التقوا بحاكمه الأمير (احمد بن يعفر الكرندي) ثم عاد الإمام الى ذمار ، ولمّا فسد ما بينه وبين الشيخ منصور بن أبي الفتوح والشيخ يحيى بن أبي حاشد انصرف الإمام أبو هاشم عن حصن هران نحو بلاد حاشد ، وعاد أبن أبي الفتوح وابن أبي حاشد الى ولائهما للقائم على امارة آل زياد في تهامة .

ثم فسد ما بين الشيخين الخولاني والحاشدي وساءت الأحوال في القسم الأعلى من اليمن ، وبالذات مدينة صنعاء ، التي كانت دائماً مسرح الحرب بين المتنافسين .

وقد دخل الامام مدينة صنعاء بعد ذلك مرتين، مرة في عام (٤٢٦ هـ) ومرة في عام (٤٣٣ هـ) ، ولكنه كان لا يلبث ان يغادرها فور دخولها ، بسبب اختلاف رؤساء القبائل أصحاب النفوذ في المنطقة فيما بينهم وتحكمهم في الأحداث .

ثم انتقل الإمام أبو هاشم الى (ريدة) من بلاد حاشد وأقام فيها الى وفاته فيهاأو في ناعط عام (٤٣٣ هـ) ودفن في ناعط .

الإمام أبو الفتح الديلمي ومقتله

قدم[٢٥] (أبوالفتح بن الحسين بن محمد) المعروف بالديلمي من بلاد الديلم في الأيران في عام (٤٣٧) للهجرة . وكان مقدمه الى بلاد البون

(٢٥) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٩٠ .

من بلاد حاشد ، ومنها بثّ دعاته الى مختلف المناطق في القسم الأعلى من اليمن ،وكان يصدّر كتب دعوته بالأبيات التالية :. « بعد قوله : « هذا من عبد الله الناصر لدين الله إلى كافة الناس » وهي :

ألا يا لهمدان بن زيد تعاونوا — على نصرنا فالدين سرب مضيّع
ونادوا بكيلاً ثم وادعة التي — لها المشهد المشهور ساعة تجمع
ولا بدّ من يوم يكون قتامه — لوقع القنا والمشرفية ادرع
سينقاد لي من كان بالأمس عاصياً — ويقرب مني النازح المتمنع
أنا الناصر المنصور والملك الذي — تراه طوال الدهر لا يتضعضع
سنملأ دنيانا من العدل بعد ما — مضت حقباً بالجور والظلم تترع

وقد تابعته همدان وخالفته بلاد خولان الشام في بلاد صعدة ، وكانت له معارك معهم داخل صعدة وخارجها . قال الخزرجي[٢٦] : « ثم غادرها ووصل الى صنعاء بمساندة الشيخ منصور بن أبي الفتوح ويحيى بن أبي حاشد حيث أقام بها أياماً غادرها بعدها الى ذيبين من بلاد حاشد ، وأقام فيها الى عام (٤٣٨) للهجرة .

ثم انتقل منها الى حصن (علب) في ضاحية صنعاء الجنوبية والذي بناه[٢٧] له منصور بن أسعد بن أبي الفتوح بالآجر والجص . وأقام فيه ، واستمال ابن أبي الفتوح لطاعة الإمام قبائل عنس في بلاد ذمار ، كما استمال كذلك الأمير (جعفر بن قاسم العياني) ووصل هذا الى الإمام في الحصن المذكور وقلده الإمام منصب امير الأمراء .

ولكنّ ابن أبي الفتوح والأمير جعفر لم يلبثا أن خالفا على الإمام الديلمي في نفس العام،وانضمّ اليهما ابن أبي حاشد وأجمعوا أمرهم على حربه ، واستولوا على صنعاء التي كانت تحت نفوذ الإمام بعد ان أخرجوا

---

(٢٦) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥٥ .

(٢٧) المصدر المذكور والصفحة نفسها .

نـائبه منهـا ، ثم اكملوا استعدادهم لحـربه وتقدموا نحـوه في مقره في الحصن المذكور ، ولكنهم وجدوه قد غادره الى الجوف ، فسـاروا في أثره ، ولم يبلغـوا الجـوف حيث التقوا بعسكـره في بلاد حـاشد وقـامت حرب بـين الجـانبـين لم تسفر عن انتصار حاسم لأيهما ، وانصرف كل عن الآخر .

وفي عـام (٤٣٩) للهجرة ثـار أبو الحسن عـلي بن محمد الصليحي في جبـل مسار من بـلاد حراز ، وتـوالت انتصاراتـه على كثـير من امـراء اليمن ورؤ سائها كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخ الصليحيين .

ولما كـان عـام (٤٤٤) للهجـرة تقـدم أبـو الحسن الصليحي لحـرب الإمام أبي الفتح الديلمي ، والتقى الفريقان في موضـع ردمان شـرقي ذمار ، وقامت معركـة بينهما اسفـرت عن مقتل الإمـام وانهزام جيشه ودفن الإمـام في المكان المذكورالذي عرف من يومئذٍ بـ (قاع الديلمي) شرقي ذمار .

عرض عام في عهد الدولة الزيدية الأولى

اتسم عهد الدولة[1] الزيدية الأولى والتي بدأت بالإمام الهادي (يحيى بن الحسين) في عام (٢٨٤) للهجرة، وانتهت بالإمام (أبي الفتح الديلمي) الذي قتل في حربه مع الملك (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٤٤) للهجرة بالاضطراب وعدم الاستقرار في منطقة نفوذهم ، التي كانت غالباً بلاد صعدة وما امتدّ منها الى بلاد نجران والى بعض مناطق القسم الأعلى من اليمن ، وذلك بسبب مقاومة اليمنيين المستمرة لحكمهم وعدم رضوخهم له ، وبسبب عدم التفاف القبائل الموالية لحكمهم حولهم بصورة ثابتة ومستمرة .

ذلك أنّ رؤساء القبائل اليمنية وسلاطين وامراء القسم الأعلى من اليمن كآل يعفر الحواليين ، وآل الضحاك الحاشديين دخلوا في حروب مستمرّة مع الأئمة ، وكانت هاتان الأسرتان (اليعفرية الحميرية) و(الحاشدية الهمدانية) هما ابرز الأسر التي كانت تتمتع بنفوذ فعّال في المنطقة ، الى جانب أسر اخرى أقل شأناً ونفوذاً ، ولكنها مع ذلك لعبت ادواراً هامة في التأثير على الأحداث في المنطقة أيضاً .

وكان وراء هؤلاء وأولئك (آل زياد) نواب العباسيين في تهامة .

ثم جاءت دولة الفاطميين الأولى في اليمن والمتمثلة بالداعيتين (علي

---

(١) اتّبعت الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ١٢٦ . وذلك في تعريف هذه الدولة بالدولة الزيدية الأولى .

بن الفضل اليمني) و(الحسن بن حوشب الكوفي) وقاما بدورهما في محاربة كل من الأئمة وآل يعفر بل وآل زياد أيضاً ، واستطاع (علي بن الفضل) أن يوحد اليمن تقريباً في ظل راية واحدة ولكن بقوته وجبروته وبطشه ، ولذلك فإن دولته انهارت بعد موته بالسم الذي دس له كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخ دولة الفاطمية الأولى في اليمن بعد هذا .

وحتى قبائل بلاد صعدة الأنصار التقليديين للأئمة فإنهم كثيراً ما خرجوا على الأئمة بما فيهم الإمام الهادي نفسه وحاربوهم .

وهنا يجدر بنا ان نتساءل عن سر تلك التحوّلات التي كانت تحدث بين قبائل بلاد صعدة ضد الأئمة وهم انصارهم التقليديون ، والتفسير المقبول لذلك هو اختلاف قبائل بلاد صعدة فيما بينهم اختلافاً قديماً ادى الى كثير من الحروب حتى صار لكل قبيلة عند الأخرى قتول وثارات، الأمر الذي عمق تلك الخلافات وأطال أمدها ، ومن ابرز تلك القبائل المتناحرة قبيلة الأكيليين مع قبيلة بني فطيمة من نسل سعد بن حاذر بن خولان بن عمرو ، ومع قبيلة سعد بن سعد بن خولان بن عمرو وغير هؤلاء وأولئك من قبائل بلاد صعدة المتقاتلة المتناحرة ، ولم ينجح الإمام الهادي عقب وصوله الى صعدة في حسم خلافاتها بصورة دائمة وان يجمعها كلها على الولاء الدائم له ، وصارت القبيلتان المنافستان للأكيليين الى جانبه لضرب الأكيليين الأمر الذي أدى الى خلاف الأكيليين في بلاد صعدة له ، وبالطبع فإنّ لهؤلاء انصارهم من القبائل الأخرى في بلاد صعدة نفسها ، وفي خارجها ، مما أدى الى عدم استقرار نفوذ الإمام الهادي ومن تبعه من الأئمة حتى في بلاد صعدة نفسها .

وحتى حينما تنتفي الخلافات بين القبائل ذات االنفوذ في المنطقة فإنهامع ذلك لم تجتمع بصورة مستمرة على الولاء لأي إمام من الأئمة الذين جاؤ وا الى المنطقة في عهدها الأول الذي نحن بصدد التأريخ له ،وكانت

القبيلة ما ان تساند الإمام وتنصره حتى تتخلى عنه وتخذله بل وتحاربه ، ولم ينجح أي إمام في جمع كلمة اليمنيين ولو في منطقة نفوذه على الولاء له ، ونفس ما حدث للأئمة حدث لآل يعفر ولغيرهم من سلاطين وامراء اليمن عبر التأريخ إلا من أوتي من الحكمة والحنكة وفهم النفس اليمنية كالملك علي بن محمد الصليحي ، ومع ذلك فإن الوحدة اليمنية لم تتحقق إلا في عهده تقريباً لأن اليمنيين لم يألفوا عبر تأريخ اليمن الطويل ان يذعنوا لسلطة مركزية واحدة إلا في القليل من فترات الحكم قبل التأريخ الإسلامي وفي صدر الإسلام كما سيأتي .

هذا وقد جاء الإمام الهادي الى اليمن كما علمنا وأسس حكم الأئمة الزيدية في اليمن ، وقام غيره من العلويين قبله وبعده في اليمن وغير اليمن في عهد الدولتين الأموية والعباسية على أساس حقهم الشرعي في الإمامة التي ورثوها من الإمام (علي بن أبي طالب) ومن ابنه الحسين بن علي ، ولم يعتبروا تنازل الحسن بن علي لمعاوية في الحكم تنازلاً شرعياً كما هو معروف في كتب التأريخ الإسلامي .

هذا من الناحية السياسية ، أمّا من النواحي الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عهد الدولة الزيدية الأولى فيمكن ان يلخص بالآتي :

الناحية الاقتصادية

الموارد القومية في العهد الماضي كانت من الزراعة التي كانت تعتبر المرفق الأساسي للدخل القومي بل وللدولة أيضاً ، الى جانب المرافق الأخرى التقليدية كالتجارة والصناعة اليدوية والتعدين في بعض المناطق وفي بعض المعادن اللازمة لإنتاج ادوات الزراعة والحرب والأثاث المنزلية ، وبالطبع فإنّ النشاط في الزراعة أو غيرها ينمو ويزدهر في الأحوال التي يتوفر فيها الإستقرار ، ويتخلف حينما تضطرب المنطقة وتكثر فيها الخلافات

والقلاقل والحروب وهذا أمر طبيعي في كل زمان ومكان ، وكما عرفنا فإن منطقة نفوذ الأئمة في القسم الأعلى من اليمن لم تنعم بالاستقرار الأمر الذي حتم تدهور الاقتصاد القومي فيها .

الناحية الاجتماعية

أما الناحية الاجتماعية فالتكوين في المجتمع اليمني وبالذات في منطقة القسم الأعلى من اليمن كان قبلياً بصورة اساسية وثمة فئات اخرى تلاشت منها النزعة القبلية كفئات العلماء والمثقفين والتجار والصناع وغيرهم .

عموماً فإن الناحية الإجتماعية لا تختلف من زمان الى آخر ، وذلك بسبب احتفاظ اليمنيين بأنسابهم واعتزازهم بقبليتهم وتأثير هذه الناحية على النواحي الأخرى ، وحتى لدى بعض الفئات التي لا تبعدها مهنها ووظائفها عن النزعة القبلية وبالذات في مناطق القسم الأعلى من اليمن ، والسر في احتفاظ هؤلاء بقبليتهم وانسابهم هو قلة اختلاط غير اليمنيين بهم كما حدث في المناطق الأخرى كتهامة وغيرها من المناطق اليمنية .

الناحية الثقافية

كانت الثقافة مقصورة في ذلك العهد وفي منطقة القسم الأعلى باليمن وكغيرها من بقية مناطق اليمن،على علوم العربية والشريعة وعلوم القرآن ، إلا ان الفارق بين مناطق القسم الأعلى من اليمن وغيره من المناطق اليمنية أنّ مناطق القسم الأعلى تمذهبت بمذهب الهادوية الذي أدخله اليها الإمام الهادي ، واعتنقت مذهب الشيعة اعتناقاً غير راسخ ، بينما احتفظت سائر المناطق اليمنية بمذهب الإمام الشافعي في أغلبها وبمذهب ابي حنيفة في تهامة ، واعتنق كل هؤلاء المذهب السني المنافس لمذهب الشيعة ، وبالطبع فإن اختلاف اليمنيين في المذهب أو العقيدة السنية أو الشيعية لم يكن السبب في تفرق اليمنيين ، لأنهم جميعاً يعتنقون الإسلام الذي تستقي منه كل المذاهب والعقائد مذاهبها وعقائدها ، وإنما كانت تفرق بينهم وتثير

حرب بعضهم لبعض اختلاف اهواء زعمائهم ، واختلاف انتماءاتهم لهذا أو ذاك انتماء مصلحياً آنياً لا انتماء عقائدياً ، اللهم إلا ما حدث بين الدولتين المختلفتين مذهبياً وعقائديا من حروب وتطاحن كما حدث مثلاً بين آل يعفر السنيين بحكم انتمائهم الى العباسيين السنيين وبين الأئمة الزيدية الشيعية أو بينهم وبين دعاء الفاطمية الشيعية أيضاً ، وإن اختلفت شيعية الزيدية التي تنتمي الى الشيعية العلوية حسنية أو حسينية ،عن الشيعية الفاطمية التي تنتمي الى الشيعية الإسماعيلية الحسينية فقط ، وكانت هناك حروب ونزاعات بين الفئتين الشيعيتين المختلفتين الزيدية والفاطمية أيضاً .

وحتى مع هذا الأساس للخلاف العقائدي والمذهبي بين السلطات التي كانت قائمة في العهد الذي نحن بصدد التأريخ له فإنه لم يكن السبب الرئيسي والوحيد لتلك النزاعات والحروب ، وإنما كان السبب الرئيسي لها هو النزاع على السلطة والحكم .

دعاة الفاطمية في اليمن

علمنا من فصل (ابرز حركات الاستقلال في اليمن) أنّ القرن الثالث الهجري يعتبر عصر ابرز حركات التحرر والاستقلال ، التي كتب لها النجاح عن حكم العباسيين في اليمن ، ومنها حركة (دعاة الفاطمية) التي نحن بصدد التأريخ لها ، وقد بدأت هذه الحركة بالداعيتين (علي بن الفضل) الجدني نسباً الجيشاني سكناً الخنفري مولداً ، وبالحسن بن حوشب ابن زادان الكوفي من ولد عقيل بن أبي طالب .

وتعتبر دولتهما (الدولة الفاطمية الأولى في اليمن) .

وقد ظلّ (الحسن بن حوشب) الذي تمركز في بلاد مسور حجة على ولائه للفاطميين الى موته . ثم خلفه (عبد الله بن عباس الشاوري) ، ولكن (ابا الحسن بن حسن بن حوشب) وثب عليه بعد بضع سنوات من حكمه وقتله بسبب عدم تولية الإمام عبيد الله الفاطمي له بعد أبيه .

ثم خرج أبو الحسن عن الدعوة الفاطمية ومال الى مذهب أهل السنة ، ولكن ابناء المنطقة استرابوا في أمره الى جانب شعورهم بعدم يمنيته ووثب عليه (ابن العرجاء) احد سلاطين المنطقة وقتله ، واقتسم البلاد مع نائب ابن حوشب (ابراهيم بن عبد الحميد التباعي) وقاما بتعزيز العقيدة السنية التي بدأ تجديدها أبو الحسن بن حسن بن حوشب ، وبتتبع الشيعة الفاطميين في المنطقة والتنكيل بهم .

وانتهت الدعوة والدولة الفاطمية الأولى في بلاد حجة (مركزها الأول) ، إلا من دعاة تستروا واختفوا محتفظين بالدعوة الفاطمية الى قيام (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) الذي اضطلع بها في عهدها الثاني كما سيأتي .

أما (علي بن الفضل) فإنه قام بالدعوة الفاطمية في اليمن مشاركاً فيها (الحسن بن حوشب) ، ولكنه تخلى عن الدعوة لها واستقلّ بالحكم ، ووحد اليمن تقريباً في ظل راية يمنية بزعامته حتى قتل بالسم كما سيأتي أيضاً .

وقد جدّد الدعوة الفاطمية في اليمن الملك الكامل (أبو الحسن علي ابن محمد الصليحي) بعد ان وكل اليه امر دعوتها آخر دعاتها (سليمان بن عبد الله الزواحي) عند موته ، واضطلع أبو الحسن الصليحي بالأمر دعوة وحكماً ، واستطاع بحكمته وحنكته ودرايته ان يوحد اليمن في ظل راية حكمه ، ولكنه مع ذلك لم يتعرض للحرية المذهبية ، وإن كان يحث ولاته على الترويج للدعوة الفاطمية في مناطق ولاياتهم وتعليم الخاصة منهم أصولها وقواعدها ، وتعتبر دولة الصليحيين الدولة الفاطمية الثانية في اليمن ، وتعتبر إمارة آل زريع في عدن واعمالها امتداداً لها وجزءاً من دولة الفاطميين الثانية في اليمن أيضاً . (أما آل حاتم) الهمدانيون الذين خلفوا الملك سبا بن أحمد الصليحي في صنعاء وأعمالها فقد تخلوا عن التبعية للفاطميين وان ظلوا متعاطفين مع دعاتها الصليحيين وآل زريع) .

ولما قتل أبو الحسن الصليحي (على يد (سعيد الأحول بن نجاح) حاكم تهامة والذي دخل هو وخلفه من آل نجاح في صراع مع الصليحيين خلف ابا الحسن الصليحي ولده الملك المكرم (احمد بن علي بن محمد الصليحي) ، ولما توفي المكرم اقتسم حكم اليمن بعده الملك (سبأ بن أحمد ابن المظفر الصليحي) في القسم الأعلى من اليمن ، والملكة (أروى بنت

أحمد بن محمد الصليحي) على اليمن الأسفل وتهامة والمناطق الجنوبية والشرقية في اليمن ، أمّا الدعوة فقد اضطلع بها بعد موت الملك المكرم الملك (سبأ بن أحمد الصليحي) المذكور ، ولما توفي اضطلعت الملكة أروى بالدعوة الى جانب نفوذها على ما بنظرها ، وخلفه في حكم صنعاء وأعمالها نوابه عليها ، آل حاتم الهمدانيون .

وقد انتهت الدولة الصليحية بموت الملكة اروى حيث لم تعهد الى احد من آل الصليحي ، وانتهى امر الدعوة الفاطمية الثانية في اليمن بموتها ، وإن بقي (آل زريع) على انتمائهم الى الفاطميين طيلة عهدهم .

حتى جاء الأيوبيون الى اليمن وقضوا على امارة آل زريع فيما قضوا عليه من امارات يمنية بعد قضائهم على الفاطميين انفسهم في مصر والشام وغيرها كما سيأتي .

هذا وقبل ان نبحث حركة الفاطميين في دعوتهم ودولتهم الأولى في اليمن بصورة مفصلة يجدر بنا ان نبحث أولاً الحركة الفاطمية ذاتها ، والتي انبثقت منها حركة دعاتها في اليمن .

الحركة الفاطمية الإسماعيلية وعلاقة الحركة القرمطية بها

الحركة[1] الفاطمية هي الحركة الشيعية الاسماعيلية نفسها ، والتي أسسها الإمام اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ونسبت اليه ، وكان الإمام عبيد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل المذكور هو الذي عدّل اسمها من الاسماعيلية الى الفاطمية عند انتقاله من مدينة (سلمية) من اعمال حمص في سوريا الى المغرب لإبعاد صفة القرمطة عنها والتي ألصقها بها أعداؤ ها .

وكانت الاسماعيلية إحدى فرق الإمامية العديدة ، والتي من ابرزها (الكيسانية) و(الإثنا عشرية) و(الإسماعيلية) . (فالكيسانية) هي التي تحصر الإمامة بعد الحسين بن علي بن أبي طالب في (محمد بن الحنفية) نسبة الى امه من غير (فاطمة الزهراء) بن علي بن أبي طالب ، ثم في أولاد الحسين بن علي ، وقد استدلّ هؤلاء على إمامة (محمد بن الحنفية) بالوصية له بالإمامة من الحسين بن علي بن أبي طالب ، حين فرّ من المدينة الى مكة بعد ان طلب منه يزيد بن معاوية مبايعته خليفةً للمسلمين بعد موت معاوية ، وسميت بالكيسانية نسبة الى (كيسان) مولى علي بن أبي طالب ، أو نسبة الى مؤسسها (المختار بن أبي عبيد الثقفي) الذي كان

(١) مرجع هذا الفصل الاستاذ عارف تامر في كتابه (القرامطة) وغيره من المراجع مما قد يذكر معه .

يلقب بالكيساني ، والذي قام بالأخذ بالثأر للحسين بن علي وقتل عدداً من الذين قتلوا الحسين بن علي بكربلاء .

و(الاثنا عشرية) هي التي تحصر الإمامة باثني عشر إماماً فقط من أولاد الحسين بن علي آخرهم (المهدي المنتظر) كما يزعمون وهو (محمد المنتقي بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا ابن الحسين بن علي بن ابي طالب ، والتي تزعم انه دخل سرداباً في سامراء بالعراق عام (٢٦٠) للهجرة واختفى ، وانه سيظهر ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً .

و(الإسماعيلية) وهي التي ترى الإمامة في اسماعيل بن جعفر الصادق آنف الذكر الأبن الأكبر لوالده والموصى له من أبيه بالإمامة دون اخوته ثم في اعقابه ، وقد استدلوا على حصر الإمامة في اعقاب اسماعيل بن جعفر بأن الإمامة آلت الى الحسين بن علي بعد تنازل الحسن بن علي لمعاوية ، فهي حق بعد الحسين بن علي لأولاده فقط ، وأمّا سقوطها عن الأخوة فلأنها سقطت عن الحسن بتنازله ، فلا تنتقل بعد ذلك الى الأخوة الأخوة وإنما تبقى في الأعقاب ، ومن الصفات التي تُميّز الأسماعيلية عن بقية طوائف الإمامية رأيها بوجوب تستر الإمام واختفائه واتخاذ دعاة يَدْعون لإمام مستور ، ولو كان الإمام نفسه هو الذي يدعو لإمام مستور ويعني نفسه ، وذلك اذا لم تكن للإمام قوة يظهر بها ، وخشي الوقوع في ايدي اعدائه .

وقد لقيت حركة الاسماعيلية نجاحاً بسبب رغبة الكثير من الأقاليم التي كا نت خاضعة لحكم العباسيين في الإستقلال عنهم وكانت هذه الحركة السياسية اشتراكية في اتجاهها الاقتصادي .

ويرجع امر تخطيطها الى الإمام (جعفر الصادق) الذي تزعّم العلويين في آخر العهد الأموي .

وكان الإمام اسماعيل بن جعفر هو ابرز اعضاء الحركة ، وقد توفي في حياة أبيه ، فبايع الأسماعيلية ولده (محمد بن اسماعيل) الذي يعتبر صاحب فكرة الاستتار ، ومبدع طريقة التسمية بأسماء مستعارة للتضليل وابعاد الشبهة عن الإمام ، وقد عمل الإمام (محمد بن اسماعيل) على نشر دعوته بنشاط تحت اسم مستعار هو (ميمون القداح) وذلك لتضليل العباسيين وكان يدعو لإمام مستور هو (محمد بن اسماعيل) ويعني نفسه ، وقد خفي هذا حتى على اقرب المقربين اليه من دعاته المخلصين ، اذ لم يكونوا يعلمون شيئاً عن حقيقته ، كما انه استطاع التضليل على الخلفاء العباسيين (المهدي) و(الهادي) و(الرشيد) والإفلات من قبضتهم، واستطاع نشر الحركة في سواد الكوفة وسوريا والبحرين،ولما توفي الإمام محمد بن اسماعيل في تدمر بسوريا عام (١٩٣) للهجرة خلفه ولده (عبد الله) الذي عاصر الرشيد والأمين والمأمون العباسيين ، وقد قام بالدعوة الأسماعيلية على أكمل وجه ، دون ان يمكن احداً من معرفة هويته حتى دعاته أنفسهم ، وفي فترة من فترات حياته اعتزل الأمر وانتقل الى معرة النعمان السورية متخفياً ، وفيها اعتكف على التأليف والتأمل ، وقد اهتدى اليه دعاته وجاؤوا اليه وحملوه على الانتقال معهم الى مدينة (سلمية) السورية التي اتخذها الأئمة الأسماعيلية دار هجرة لهم ، وفي مدينة سلمية الف عبد الله مع بعض دعاته (رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا) في الفلسفة الشيعية الأسماعيلية ، ومنذ عهده وصفت الحركة الأسماعيلية بالقرمطية تشويهاً لها ، الصق بها ذلك اعداؤها من العباسيين وغيرهم .

وكانت قد ساندت الحركة الأسماعيلية دولة القرامطة التي قامت بالبحرين ، والتي كونتها أسرتان ، الأسرة الأولى أسرة (آل مهروية) وكانت دولتهم تُعرف بدولة القرامطة الأولى ، وثانيهما أسرة (آل الجنابي) وكانت دولتهم تعرف بدولة القرامطة الثانية ، وقد أسس آل الجنابي دولتهم هذه في سواد الكوفة ، وكان على رأسها (أبو سعيد الحسن بن بهرام

الجنابي) ، ولّما مات خلفه (أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي) وهو الذي غزا الكعبة في عام (٣١٧) للهجرة ونقل منها الحجر الأسود الى مدينة الهجر القريبة من الاحساء ، ولم يعده إلا احمد بن سعيد الجنابي بأمر الخليفة الفاطمي المنصور اسماعيل بن محمد القائم بأمر الله بن الإمام عبيد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله المذكور بعد واحد وعشرين عاماً .

ويبدو ان انحراف (ابي طاهر الجنابي) هذا هو الذي أساء الى سمعة هذه الأسرة وشوّه حركتها وحركة الأسماعلية ذاتها ، لمجرد مساندة هذه الأسرة للأسماعيليين والخضوع أدبياً لأوامرهم ، على ان عمل (أبي طاهر) في الحقيقة عمل مشين حقاً » .

وقد انتقل الإمام عبيد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله من مدينة سلمية السورية الى المغرب وأسّس دولته فيها وأسماها بالفاطمية ابعاداً لها عن وصمها بالقرمطية التي هي عنها براء ، كما وان دولة الإمام عبيد الله في المغرب هي الدولة الأولى ذات السلطان منذ تأسست الحركة الأسماعيلية ، والتي كان يكتفي ائمتها بالدعوة لأنفسهم متسترين دون ان يكون لهم سلطان أو نفوذ سوى النفوذ الأدبي على دعاتهم وأتباعهم.

ولما توفي الإمام (عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) في مدينة سلمية عام (٢١٢) للهجرة خلفه ولده احمد ، الذي ظلّ في سلمية السورية أيضاً والذي ألف رسالته (الجامعة لإخوان الصفا وخلان الوفا) .

ولما مات في رمضان من عام (٢٦٥) للهجرة اضطلع بالدعوة ابنه (الحسين) الذي أرسل الداعيتين (علي بن الفضل) اليمني و(الحسن بن حوشب) الكوفي الى اليمن للدعوة لابنه عبيد الله .

ولما توفي(الحسين بن أحمد) في مدينة سلمية السورية ايضاً خلفه ولده الإمام المهدي عبيد الله الذي انتقل الى المغرب ، في عام (٢٩٦) للهجرة فراراً من عيون الخليفة المكتفي ، وأظهر لأتباعه وخاصته عند مغادرته لمدينة

سلمية انه يريد اليمن ولما وصل الى مصر غيّر وجهته الى المغرب ، وكان قد مهد له فيها دعاة سيأتي ذكرهم عند الكلام عن (أبي القاسم الحسن بن حوشب) احد داعيتيه في اليمن ، وقد أغضب تحول الإمام الفاطمي عبيد الله عن اليمن الى المغرب احد كبار خاصته وداعي دعاته (فيروز) ، وتخلف عن الإمام في مصر ثم سافر الى اليمن ، لإفساد دعاته على الإمام ، ونجح مع (علي بن الفضل) دون ان ينجح مع (الحسن بن حوشب) كما سيأتي تفصيله أيضاً .

ولقد فاق الإمام (عبيد الله) الفاطمي اسلافه واحفاده عزماً ونهضة وحكمة وتدبيراً حتى قيل ان الحركة الأسماعيلية لم تنجب في عصورها الأولى والأخيرة مثله ، لأنه منشيء أول دولة فاطمية كبرى ، وأكبر عقلية عرفتها العصور الأسلامية ، فقد استطاع بفضل ما أوتيه من قوة شخصية ، وما جبل عليه من صفات عالية ان يوطد اركان عقيدة آمن بها كثير في ارجاء العالم الإسلامي ، كما استطاع ان يقضّ مضاجع الخلفاء العباسيين وان يجعلهم فريسة للمخاوف وقضى على دولة الأغالبة في المغرب ، وهي التي اعتمد عليها العباسيون للوقوف في وجه الأدارسة الحسينيين ، وأقام دولة مهيبة الجانب استطاعت ان تبسط نفوذها في المغرب وفي اجزاء من الشام وفلسطين واليمن والحجاز وغيرها ، وقد انتقل الى المغرب كما عرفنا حيث أسس دولة الفاطميين فيها ، وهو كما سبق أول من اسمى الحركة الأسماعيلية بالفاطمية ابعاداً لها عن صفة القرمطة التي ألصقها بهااعداؤها لتشويهها .

وكان قد ولد بمدينة (سلمية) السورية سنة(٢٦٠) للهجرة وتوفي بمدينة (المهدية) بالمغرب عن حكم دام اربعة وعشرين عاماً وعمر بلغ اثنتين وستين عاماً ، وقد اخفى ولده (محمد) موته عاماً كاملاً .

ومن احفاده الإمام (المعز لدين الله) بن اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم بالله بن الإمام عبيد الله المذكور ، والإمام المعز لدين الله هو

فاتح مصر ، ومؤسس دولة الفاطميين فيها بقيادة مولاه (جوهر الصقلي) والأمير (جعفر بن فلاح الكتامي المغربي) اللذين وجههما بجيش قوامه مائة الف محارب معززاً بأسطول بحري كبير .

وفي عهد الإمام المعز الفاطمي هذا اختطت القاهرة وبنيت وسميت بقاهرة المعز ، وذلك بالقرب من مدينة الفسطاط القديمة التي صارت اليوم حياً من احياء القاهرة بالقرب من الطريق الى المعادي الذي هو أيضاً حي من احياء القاهرة .

وفي عهد المعز أيضاً انشىء (الجامع الأزهر) جامعاً وأول جامعة اسلامية في تأريخ انشائه .

وخضعت للمعز الحجاز والشام والكثير من افريقيا ، وقد جاء هو الى مصر في عام (٣٦١) للهجرة انقاذاً لها من زحف القرامطة الذين كانوا قد انفصلوا عن الفاطميين بقيادة (الحسن الأعصم بن احمد بن سعيد الجنابي) الذي كان يسانده الأخشيديون حكام مصر من قبل العباسيين ، والحمدانيون حكام الشام من قبل العباسيين أيضاً ، والعباسيون من وراء الجميع ، وقد نقل المعز لدين الله جثث آبائه من المغرب الى مصر بتوابيت ذهبية ، وتوفي هو في شهر ربيع الأخر من عام (٣٦٥) للهجرة ، عن حكم دام اربعة وعشرين عاماً ، وعن عمر دام ثمانية وأربعين عاماً .

ولقد توالت الانتصارات للفاطميين ضد القرامطة والعباسيين حتى خطب للمستنصر الفاطمي في بغداد نفسها عام (٤٥٠) للهجرة وانتهى امر القرامطة نهائياً في عهده .

هذا والإمام المستنصر الفاطمي معد بن الظاهر هذا هو الذي دعا له (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) في اليمن وانتمى اليه وأسس باسمه الدولة الفاطمية الثانية في اليمن كما سنعلم .

حركة دعاة الفاطمية في اليمن

وبعد ان عرفنا شيئاً عن الحركة الأسماعيلية الفاطمية بشكل عام ، امكننا ان نتعرف على حركة الفاطميين في اليمن ، وهي تتلخص بالآتي :

اضطلع بالحركة الفاطمية في اليمن دعوة وحكماً الداعيتان (علي بن الفضل) الجدني[1] (نسباً) الجيشاني (منشأ) الخنفري (مولداً) ، وأبو القاسم (الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) والذي منحه الإمام (أبو عبيد الله الفاطمي) لقب (منصور اليمن) اثناء انتصاراته في سبيل نشر الدعوة وتوطيد حكمها في اليمن .

وقد بدأت حركتهما للتمهيد للدعوة الفاطمية وإقامة دولتها الأولى في اليمن في عام (٢٦٨ هـ) ، حيث انفذهما في العام المذكور الإمام (الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) الى اليمن للدعوة لابنه (عبيد الله) .

وكان الإمام الحسين قد اخفى هويته للتستر كأسلافه ، وتسمى بميمون القداح . وكان وصول الداعيتين الى اليمن في العام المذكور.

---

(١) (الجدني) نسبة الى جدن الأكبر علقمة بن سبأ بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة (حمير الأصغر) من ولد الهميسع بن حمير بن سبأ) وجيشان مدينة قديمة قد اندثرت وكانت تقع في اسفل جبل العود بينه وبين بلاد قعطبة .

وقد وقع اختيار الإمام (الحسين بن احمد) على اليمن للدعوة فيه لابنه عبيد الله لاعتبارات أهمها :

١ ـ اضطراب الأوضاع في اليمن والذي أدى الى قيام امارة (آل زياد) في تهامة اليمن ، و(آل يعفر) في نجده ودون ان يحسم قيام الأمارتين المذكورتين ذلك الاضطراب ، ويوفر الاستقرار في اليمن .

٢ ـ وعورة مسالك اليمن الجبلية وصعوبة حرب العباسيين وولاتهم للدعاة المعتصمين في حصونها العالية المنيعة .

٣ ـ محافظة الشعب اليمني وتدينه بشكل عام ، الأمر الذي يوفر للدعاة المناخ لنشر دعواتهم ومذاهبهم باسم الدين ،ويضمن لهم الحماية والمساندة من اليمنيين ، ولو كان مظهر الدين لدى الدعاة مجرد وسيلة للوصول الى الحكم . وغالباً ما يحصل الدعاة على العون والمساندة من عامة اليمنيين البسطاء الذين يجهلون حقائق الأمور وأغراض الدعاة ، ولذلك فإن (علي بن الفضل) حينما عرض عليه الإمام (الحسين بن أحمد) امر المشاركة في الدعوة لابنه عبيد الله في اليمن قال له : « والله ان الفرصة ممكنة في اليمن ، وان الذي تدعون اليه جائز هناك »

فأمّا (علي بن الفضل) فإنه أقام على ولائه للإمام عبيد الله الفاطمي ريثما رسخت اقدامه في الحكم ، وقوي جانبه وعظم شأنه ، ثم استقلّ عن الفاطميين ، وتخلى عن الدعوة لهم والانتهاء اليهم ، بل وحارب زميله في الدعوة (منصور اليمن الحسن بن حوشب) وحاصره في معقله بجبل مسور طيلة ثمانية أشهر حتى أرغمه على ان يرهن ولده عنده لضمان عدم مناوآته وعدم مساندة مناوئيه ، وأقام حكماً يمنياً موحداً تقريباً ، ولكن بالشدة والقسوة والعنف ، ولذلك فإن حكمه انهار عقب وفاته مسموماً كما سيأتي تفصيل ذلك في فصل (الدعوة الفاطمية الأولى في اليمن) .

وأما (أبو القاسم الحسن بن حوشب) فإنه ظل على ولائه للإمام

عبيد الله الفاطمي الى موته .

ثم خلفه بالدعوة والحكم (عبد الله بن عباس الشاوري) الذي حظي بالولاية من الإمام (عبيد الله) .

ولكن (أبا الحسن بن حسن بن حوشب) الذي لم يحظ من الإمام عبيد الله بتوليته خلفاً لأبيه استغفل الشاوري الذي كان لا يحتجب عنه وعن اخوته وقتله ، واستبدّ بالحكم لنفسه ووالى العباسيين وقطع الخطبة للفاطميين ، وتعقب دعاتهم وشيعتهم في المنطقة وشرّد بهم .

ومع ذلك فقد استراب من لم ينتم الى شيعة الفاطمية في المنطقة في امر تحوله عن تشيعه الى السنية ، بعد ان كان من انصار الشيعة وابن مؤسسها في اليمن ، وتحين جماعة منهم الفرصة للانقضاض عليه وقتله ، وذلك حينما نزل أبو الحسن بن حسن بن حوشب (المذكور ذات يوم من مقره في جبل مسور الى جبل (عبر محرم) في بلاد مسور أيضاً حيث وثب عليه نائبه فيه ابن العرجاء وقتله .

ثم اقتسم حكم البلاد في مغارب اليمن من لواء حجة مناصفة بينه وبين نائب ابي الحسن في جبل مسور (ابراهيم بن عبد الحميد التباعي) كل على ما هو تحت يده ونفوذه ، وتتبعا بقية دعاة الفاطمية في المنطقة ونكلا بهم ، وبذلك انتهى امر الدعوة الفاطمية الأولى في اليمن ، إلا من دعاة احتفظوا بها متسترين .

حتى قام بتجديدها دعوة وحكماً (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) كما سنعلم .

وكان انفصال (علي بن الفضل) عنها قد أثرّ عليها تأثيراً سيئاً واضعفها ، وشجع الحركات المناوئة لها ابتداء من (أبي الحسن بن حسن ابن حوشب) وانتهاء بابن العرجاء ومن اليه . ومن أولئك الدعاة الذين

احتفظوا باخلاصهم للفاطمية والدعـوة لها في اليمن متسترين ودون ان يكون لهم سلطان أو نفوذ :

(ابن أبي الطفيل ، وجعفـر بن احمد بن عبـاس الشاوري ، وعبـد الله ابن محمد بن بشر ، ومحمد بن احمد بن عبـاس الشاوري ، وهـارون بن محمد ابن رحيم ، وكلهم من بـلاد قـدم حجـة ، فيـوسف بن احمـد بن الأسـد من شبام كوكبان ، فعامـر بن عبد الله بن سليمـان الزواحي من ضلع كـوكبان ، وكان يقيم في حصن كوكبان .

وقـد وكل هـذا امر الـدعـوة الفـاطميـة الى ابي الحسن عـلي بن محمـد الصليحي ، وأوصى له بكتبه وبمال وفير سـاعده في نشـر الدعـوة الفاطميـة ، وكـان عامـر بن عبـد الله الـزواحي هـذا يتـردد عـلى أبيـه (القـاضي محمـد الصليحي) كما سيأتي .

وخلف أبـا الحسن الصليحي بعد مـوته ولـده (المكـرم احمـد بن عـلي الصليحي) .

ولما توفي خلفه السلطان سبأ بن احمـد بن المظفـر الصليحي على القسم الأعـلى من اليمن ، والملكـة السيـدة أروى بنت احمـد الصليحي عـلى القسم الأسفل وتهامةوالمنطقة الجنوبية من اليمن كما سيأتي أيضاً .

وكـان نـوابهـا في عـدن والجنـوب هم (آل زريـع) الـذين احتفـظوا باخلاصهم للدعـوة الفاطميـة وانتمائهم الى الفـاطميين ، وكـانوا قـد قطعـوا ولاءهم للملكـة أروى في آخـر عهـدهـا ، وبعـد قـطع ولائهـا هي لـلإمـام الفاطمي الحافظ ، واعلنت ولاءها للإمام الطفـل المستور (الـطيب بن الإمام الآمر بن الإمام المستعلي بن المستنصر معد بن الطاهـر) الذي عـاصر الملك ابـا الحسن علي بن محمد الصليحي كما سنعلم .

أما (آل حاتم) نواب الملك احمد بن سبـأ على صنعـاء وأعمالهـا فإنهم

تغلبوا على حكم هذه المنطقة بعد موت احمد بن سبأ ، وقطعوا ولاءهم للفاطميين والانتماء اليهم، ولكنهم ظلوا متعاطفين مع اتباعها (آل زريع) وتكاتفوا معهم ضد (علي بن مهدي الرعيني) كما سيأتي أيضاً .

الـدولـة الفاطمية الأولى في اليمن
(٢٩١ - ٣٢٢ هـ) - (٩٠٨ - ٩٣١ م)

انشأ هذه الدولة الداعيتان (عـلي بن الفضل) الجيشـاني اليمني ، وأبو القـاسم الحسن بن حوشب بن زادان الكـوفي ، وقـد سبق التعـريف بهـما في فصل (حركة دعاة الفاطمية في اليمن) قبل هذا .

وقد نشأ (علي بن الفضل) في مـدينة جيشـان خامـل الذكـر ، إلا أنه كما ذكر المؤرخـون[١] كان ذكيـاً جريئـاً لَسناً فصيحـاً ، كما كـان شيعياً اثنـا عشـرياً ، فـرحل الى الكـوفة في العـراق وتعلم اصول الـدعوة ، ولما تعـرف عليـه الإمـام (الحسـين بن احمـد الفـاطمي) وأدرك استعـداده لـلاضـطلاع بحمل رسالة الدعوة ونشرها طمع به ، وأقنعه[٢] بالتحول من الأثنـا عشريـة الى الأسماعيلية ، والمشاركة في القيـام بالـدعوة في اليمن مـع (أبي القاسم الحسن بن حـوشب) لابنـه (عُبيـد الله الفـاطمي) لأن (ابن الفضـل) يمني وعارف بطبيعة بلاده وأهلها .

ووصفه[٣] (القاضي النعمان) في كتابـه (افتتاح الـدعوة) بقـوله : (وكان ابن الفضل) شـاباً جميـلاً من أهل بيت تشيـع ونعمة ويسـار ، ويقال له « أبو الحسن علي بن الفضل » .

---

(١) الخزرجي في العسجد ص ٣٤٨ .
(٢) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٩ .
(٣) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٠ .

وكان الإمام (الحسين بن أحمد) وولداه (عبيد الله) و(محمد) الذي توفي في حياة والده وكان اكبر من عبيد الله كما تذكر كثير من الروايات ، كانوا جميعاً على ضريح الإمام علي بن أبي طالب في النجف بالعراق .

أما (أبو القاسم الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) فقد نسبه كثير من المؤرخين الى (عقيل بن أبي طالب) وقد لقبه (الإمام الحسين بن أحمد) اثناء انتصاراته في اليمن في سبيل نشر الدعوة لابنه (عبيد الله بن الحسين) بمنصور اليمن ، وصار يعرف به وبالمنصور .

وذكر[٤] القاضي النعمان في افتتاح الدعوة أنّ (الحسين بن احمد) والد الإمام (عبيد الله) قال لمنصور اليمن : « الى عدن (يعني عدن لاعة في بلاد مسور لا عدن أبين) فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تعز دولتنا ، ومنها يفترق دعاتنا » . وانه امره بالتستر والاعتماد على التأويل ، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق غرضه ، وأن يقول بقرب ظهور المهدي ، ثم قال له : « واجمع المال والرجال ، والزم الصلاة والصوم والتقشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء[٥] باطن ، وان ورد عليك ما لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره » وقال[٦] أيضاً : « يا ابا القاسم البيت يماني والركن يماني والكعبة يمانية ولن يقوم هذا الدين ويظهر إلا من قبل اليمن ، ثم قال له : « اصبر كأني برجل قد اقبل الينا من اليمن يعني (علي بن الفضل ، وكأنه كان لديه علم مسبق بقدومه من شيعته فيه) وما لليمن إلا انت » . وانه لما وصل (ابن الفضل) الى الكوفة والتقى بالإمام الحسين قال لابن حوشب :

---

(٤) ص ٣١ .

(٥) ولقد كانت هذه المعميات والألغاز التي اشاعها الفاطميون حولهم وحول امام مستور هي من اسباب قلق وعدم استقرار حكمهم ، الى جانب احتكارهم اي الاسماعيلية الأمر لإمام ظاهر أو مستور .

(٦) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٩ . استناداً الى الحمادي في كشف اسرار الباطنية ص ٢٢ .

« يـا أبا القـاسم هذا الـذي كنـا ننتـظره ، فكيف رأيـك في الـذي عـرضتـه عليـك من امر اليمن ؟ » ثم أوصـاه بزميله (عـلي بن الفضـل) خيـراً وقـال له : « انه شاب قريب عهد بالأمر فانظر كيف تسـوسه » ثم تـوجه الى عـلي ابن الفضل وقال له : « ان هذا الـرجل الـذي نبعثه معـك بحر علم » وقـال له : « الله الله بصاحبك وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفـه فيما يـراه لك وان تخـالفه لم تـرشد » ثم قـال لهما معـاً : « انني ابعثكما الى اليمن تـدعـوان لابني هـذا فسيكون لـه ولذريتـه عز وسلطان ، وان الله قسم لليمـانيـين أن لا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنظرهم » .

وغـادر الـداعيتـان العـراق الى مكـة لأداء نسـك الحـج عـام (٢٦٧) للهجـرة ، ثم سـافـرا من مكـة الى اليمن في صحبـة مجمـوعـة من الحجـاج اليمنيـين ، ووصلا مينـاء غلافقـة احد مـوانىء اليمن الرئيسيـة يومئـذٍ مقابـل زبيـد ، في المحـرم من عـام (٢٦٨ هـ) ومنهـا افتـرقـا ، فســار (عـلي بن الفضل) نحو بـلاد يافـع ، واستقر في جبـالها الشـرقية ، وسـار (الحسن بن حـوشب) مع جمـاعة من التجـار نحو بـلاد مسور حجـة ، واستقـر في عـدن لاعـة منها ، في دار من دور الـداعي (احمد بن عبـد الله خليع) الـذي كـان قائماً فيها بالدعوة الأسماعيلية وتزوج ابنته ، (وكان الأمير محمـد بن يعفر قـد اعتقله حتى تـوفي في السجن)واضطلع الحسن بن حـوشب بالـدعـوة في بـلاد مسور للإمام الفاطمي عبيد الله بن الحسين وهـذا سر اختيـار الإمام الحسـين لعدن لاعة من بلاد مسور حجة لانشاء الدعوة فيها لابنه المذكور .

مسلك علي بن الفضل

اتسم مسلك (عـلي بن الفضـل) في احـد جبـال يـافـع بـالـزهـد والتقشف ، مـع التـظاهـر بمـذهب أهـل السنـة ، وبنى لـه في رأس الجبـل مسجداً لازم فيه العبادة والورع والزهد ، وكـان يصوم النهـار ويقوم الليـل ، الأمر الذي جعل الكثير من أهل بلاد يافع يلتفـون حولـه ، ويطلبـون منه أن

ينزل من الجبال ويقيم بينهم ، فاشترط لتلبية طلبهم مبايعته على الجهاد في سبيل اقامة المعروف والنهي عن المنكر ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق في الوفاء بذلك ثم أمرهم بعمارة قلعة (صناع) في احد جبال يافع ، فعمروها وصاروا يجمعون اليه الأموال من الزكاة، والعتاد والرجال ، ثم أمرهم بعمارة غيرها من الحصون في المنطقة ، مما ابرزه في المنطقة الجنوبية الشرقية من اليمن ذا قوة وشأن ، وقد برز له منافسان قويان في المنطقة عند بداية حركته الحربية لتوسيع نفوذه وهما (محمد بن أبي العلاء الأصبحي حاكم لحج وأبين والمنطقة التابعة لهما)، و(جعفر بن ابراهيم بن ذي المنار المناخي) حاكم المذيخرة والمنطقة التابعة لها ، وكلاهما نائبان لآل زياد حكام تهامة ونواب العباسيين فيها ، وكانت بينهما منافسة ساعدته على استغلالها لصالحه .

فحالف (المناخي) ضد (ابن ابي العلاء) على أساس اقتسام الغنائم مناصفة بينهما .

وقامت الحرب بين الحليفين وابن أبي العلاء في مدينة (خنفر) من بلاد أبين ، ودارت الدائرة على ابن أبي العلاء ، وكان النصر حليف الحليفين (علي بن الفضل) و(جعفر بن ابراهيم المناخي) .

ولما تمكن (ابن الفضل) من القضاء على (محمد بن أبي العلاء) حاكم لحج تحول واتجه نحو منافسة الآخر وحليفه بالأمس (جعفر بن ابراهيم المناخي) المذكور ، وقصده للحرب الى مدينة المذيخرة وذلك في عام (٢٩١) للهجرة .

وقد برر ابن الفضل حربه للمناخي بأن انتحل مطالبته بديات أيدي ثلاثمائة شخص من أهل دلال في بلاد بعدان من لواء اب كان المناخي قد قطعها ، وان مما تضمنه كتاب (ابن الفضل) لـ (ابن ابي العلاء) قوله : « بلغني ما انت عليه من ظلم المسلمين وأخذ اموالهم ، وإنما قمت لإقامة

الحق وإماتة الباطل ، فادفع لأهل دلال ديات ما قطعت من اموالهم ، وكان (جعفر[٧] المناخي) قد قطع منهم على حجر في المذيخرة ثلاثمائة يد وظل اثر الدم على تلك الحجر زماناً طويلا .

وحشد المناخي جموعه وتقدم على رأسها لمنازلة ابن الفضل ، وقامت معركة بينهما حالف النصر فيها الأمير (جعفر بن ابراهيم المناخي) وانسحب (علي بن الفضل) الى يافع وذلك في شهر رمضان من العام المذكور (٢٩١ هـ) . ولكن (ابن الفضل) ما لبث ان غزا مدينة المذيخرة في شهر صفر من العام الذي تلا العام المذكور وقامت حرب بين الفريقين انهزم فيها (ابن المناخي) الى تهامة حيث وصل اليها للإستعانة بـ (آل زياد) واستولى (ابن الفضل) على مدينة المذيخرة من بلاد العدين المركز الرئيسي لجعفر المناخي وهو الذي اختطها ونسب اليه مخلاف جعفر في ارجح آراء المؤرخين .

واستولى (ابن الفضل) أيضاً على حصن التعكر احد حصون المخلاف المذكور المنيعة .

أما (جعفر المناخي) فإنه استمد العون كما عرفنا من (ابي الجيش اسحق بن ابراهيم آل زياد) وكرَّ بجموعه على (علي بن الفضل) لحربه ، وبالرغم من ذلك فإن النصر حالف (ابن الفضل) مرة اخرى وذلك في المعركة التي قامت بينهما في وادي نخلة الكائن بين بلاد العدين وتهامة ، واسفرت عن مقتل (جعفر بن ابراهيم المناخي) في شهر رجب من نفس العام المذكور (٢٩٢) للهجرة ، ثم استولى ابن الفضل على جميع البلاد التي كانت واقعة تحت نفوذ المناخي . ومن ثمة قويت شوكة (ابن الفضل) وحصن مدينة المذيخرة ، واتخذها مركزاً رئيسياً له لمناعتها ووعورة المسالك

---

(٧) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٣٩ .

والطرق الجبلية اليها ، وفرَّ أولاد جعفر بن ابراهيم المناخي الى صنعاء لائذين بالأمير (اسعد بن أبي يعفر) إلا (علي بن جعفر بن ابراهيم المناخي) فإنه قصد الخليفة المكتفي العباسي الى بغداد مستنجداً به ومعه اربعة احمال محملة بالنقود والأموال ، فاعترضه (زكروية بن مهروية) زعيم القرامطة في البحرين وانتهبه[٨] واستولى على ما معه من نقود واموال .

مسلك المنصور ابي القاسم الحسن بن حوشب

كما اتسم مسلك زميلهِ في الدعوة الفاطمية في اليمن (المنصور أبي القاسم الحسن بن حوشب الكوفي) في بلاد مسور كذلك بالزهد والتقشف ، وبالتظاهر بمذهب أهل السنة الذي كان يعتنقه أهل اليمن عموماً قبل دخول مذهب أهل الشيعة عن طريق الفاطمية والزيدية ، وصار اتباعه يجمعون اليه الأموال من الزكاة والعتاد والرجال وبنى حصن (عبر محرم) في جبل مسور بعد موافقة اصحابه بني العرجاء سلاطين المنطقة يومئذٍ ، استعداداً للإنطلاق منه في نشر الدعوة الفاطمية للإمام عبيد الله الفاطمي وبسط سلطانها ، وأول من قصده لحربه (اسحق بن طريف بن ثابت الكباري الحاشدي) حليف (آل يعفر) وقتل من اتباعه اثني عشر رجلاً ، وتحصن هو وعدد من اتباعه في الحصن المذكور ، وكان ذلك في عام (٢٩٠) للهجرة ، ولما اكمل (الحسن بن حوشب) استعداده استولى على جبل الجميمة في بلاد مسور أيضاً . ثم[٩] على جبل مسور من عامل (آل يعفر عليه) وعمره وتحصن به مع رجاله الذين كان قد بلغ عددهم ثلاثة آلاف رجل ، وعمر (بيت ريب)[١٠] في اعلى جبل مسور ، واتخذه دار

---

(٨) الأكليل ج ١ ص ٢٤٩ .

(٩) الصليحيون ص ٣٣ .

(١٠) العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣٧ .

إمارته ، كما بنى الى جانبه دارا للهجرة ، وبنى سوراً على جبل مَسْور الذي صار يجمع دار الإمارة ودار الهجرة وغيرهما ، وأخذ يغير منه على القبائل التي لم تعلن ولاءهـاله في المنطقة من مغارب اليمن في لواء حجة حتى أخضعها ، ثم غزا بلد بني شاور في بلاد حجة أيضاً وتعرف اليوم ببلاد كحلان عفار ، وأخضعها .

وكتب للإمام عبيد الله الفاطمي يعلمه بانتصاراته ودخول الكثير من المناطق في الدعوة الفاطمية .

وكان (علي بن الفضل) قد تقدم نحو صنعاء في بداية العام المذكور واستولى عليها بعد معارك قامت بينه وبين (أسعد بن يعفر) اضطر هذا الى الانسحاب من صنعاء إلى شبام ، ثم جاءه (أبو القاسم الحسن بن حوشب) بجموعه اليها لحربه كما عرفنا واضطره الى الانسحاب من شبام الى الدعام بن ابراهيم الأرحبي الذي انزله وذويه في منازله بورور من بلاد حاشد .

وهكذا نسق الداعيتان فيما بينهما بحركتهما في سبيل الدعوة الفاطمية في اليمن وإقامة دولتها فيه من بداية وصولها الى اليمن ، فاتخذ (علي بن الفضل) جبال يافع في المناطق الجنوبية الشرقية للإعتصام بها والانطلاق منها ، واتخذ (الحسن بن حوشب) جبال مسور في المناطق الشمالية الغربية للإعتصام بها والانطلاق منها ، ثم عملا معاً كل في موقعه على استمالة الناس بمختلف الوسائل ، وعمارة الحصون وتقوية مراكزهم وتحركا عسكرياً لإخضاع المناطق الأخرى وسلاطين اليمن القائمين آنذاك في وقت واحد تقريباً ، وكان (آل يعفر) هم ابرز حكام اليمن يومئذٍ بعد (آل زياد) نواب العباسيين في تهامة ، فركز الداعيتان على (آل يعفر) لاحتكاكهم بهم اكثر في القسم الأعلى من اليمن . ولأنهم الحاكمون في العاصمة (صنعاء) والمتمركزون في بلاد شبام كوكبان (المنطقة الفاصلة بين صنعاء ومسور) ، فجاء (علي بن الفضل) اليهم

من المنطقة الوسطى في المذيخرة ومخلاف جعفر واستولى على صنعاء وأضطر الأمير (أسعد بن يعفر) الى الانسحاب منها الى بلاد (شبام كوكبان) . ولم يلبث ان جاءه (الحسن بن حوشب) من بلاد مسور كما عرفنا وأطبق عليه في (شبام كوكبان) واضطره واسرته وذويه الى اللجوء بالأمير (ابراهيم بن الدعام الأرحبي) صاحب النفوذ في بلاد حاشد وغيرها ، وما زال التنسيق والتعاون بينهما قائماً حتى استقل (علي بن الفضل) عن الدعوة الفاطمية واستبد بحكم اليمن لنفسه كما سنعلم .

وقد واصل (ابن حوشب) تقدمه من شبام الى صنعاء واجتمع بزميله (علي بن الفضل) وحاول عبثاً ان يقنعه بالتريث عن غزو آل زياد في تهامة حتى ترسخ أقدامهما في المناطق التي قد بسطا نفوذهما عليها وأهمها صنعاء عاصمة اليمن . ولما أصرَّ (ابن الفضل) على غزو تهامة من صنعاء وقع في كمين نصبه له أهل الجبال الذين مر بهم الى تهامة والموالين لآل زياد ولم ينقذه منه إلا (الحسن بن حوشب) حيث انجده بقواته واخرجه من المأزق الذي كان قد وقع فيه .

سبب تأخر النشاط العسكري في الحركة الفاطمية في اليمن

وهنا يبرز سؤال هام عن السبب في تأخر النشاط العسكري في الحركة الفاطمية في اليمن اذا علمنا ان وصول الداعيتين علي بن الفضل والحسن بن حوشب الى اليمن كان في عام (٢٦٨) للهجرة ، بينما لم يبدأ حركتهما العسكرية إلا في عام (٢٩٠) للهجرة تقريباً ، في حين ان الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) قدم الى بلاد صعدة للدعوة لنفسه في عام (٢٨٤) للهجرة وبدأ نشاطه السياسي والعسكري في نفس العام فور وصوله الى اليمن .

والتفسير المقبول لتأخر النشاط العسكري للداعيتين الفاطميتين انهما أرسلا من الكوفة بالعراق إلى اليمن موفدين من قبل لإمام (الحسين بن احمد) للدعوة لأبنه (عبيدالله). ومقيدين بتعليمات وخطط مرسومة لهما ربما تناولت

موعد الانطلاق والتحرك وفي وقت واحد تقريباً وبعد ان يكونا قد اكملا استعدادهما السياسي والعسكري ، واستمالا الى جانبهما الأنصار المؤمنين بالدعوة الفاطمية المتفانين بالجهاد في سبيل نشرها وترسيخها ، فهما قد قدما اليمن غير كاملي الصلاحية ولا مستكملين للعدة والعتاد ، وقام (أبو القاسم ابن حوشب) مع ذلك خلال الفترة التي مرت بين قدومه الى اليمن والبدء بنشاطه العسكري فيه بتدريب عدد من الدعاة أرسلهم اليه الإمام (عبيد الله الفاطمي) لتعليمهم أصول وقواعد الدعوة وبعثهم الى مختلف الأقطار الإسلامية لنشر الدعوة الفاطمية ، ومن أولئك[11] الدعاة الذين دربهم (الحسن بن حوشب) في اليمن (أبو عبد الله الحسين بن احمد بن زكريا المعروف بالشيعي الصنعاني) الذي ارسله (الحسن بن حوشب) بعد تدريبه الى المغرب مع ابن الملاحف الذي دربه كذلك خلفاً للحلواني وأبي سفيان اللذين توفيا في المغرب أثناء دعوتهما للإمام عبيد الله الفاطمي ، كما درب (أبو القاسم الحسن بن حوشب) للدعوة الفاطمية وهو في اليمن (ابراهيم بن الحسن الزبيدي) الذي بعثه الى المغرب خلفاً لأبن ملاحف الذي عاد الى اليمن بسبب مرض والدته ، و(الهيثم) ابن أخي (ابراهيم بن الحسن الزبيدي) المذكور الذي بعثه (الحسن بن حوشب) الى الهند للدعوة الفاطمية أيضاً ، و(أبو محمد عبد الله ابن العباس) الذي بعثه (الحسن بن حوشب) بعد تدريبه الى مصر ، وغيرهم ، أما الإمام الهادي فإنه وصل الى اليمن داعية لنفسه ، وبكامل الصلاحيات ، وليس مقيداً بغيره ، ولذلك فإنه بدأ نشاطه السياسي والعسكري فور وصوله الى اليمن ، منطلقاً من ارادته هو ، لا بتوجيه خارجي ، الى جانب ان الإمام الهادي هو الإمام نفسه صاحب الدعوة والحركة ، رآه الناس والتصقوا به وعرفوا نهجه ، بينما الإمام عبيد الله الفاطمي لم يدع في اليمن لنفسه بنفسه ، وكان منهج دعوته مع ذلك غامضاً ، وغير

---

(١١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٨ .

واضح المعالم ، مما استلزم وقتاً للتهيئة له ، والاعداد لقبوله والجهاد في سبيل نشره وبسط نفوذ حكمه في اليمن .

حركة علي بن الفضل التوسعية

لمّا تمّ لعلي بن الفضل القضاء على المنافسين البارزين له في المنطقتين الجنوبية والوسطى من اليمن ، وهما(محمد بن أبي العلاء) حاكم لحج وأبين وعدن واعمالها ، و(جعفر بن ابراهيم بن ذي المنار المناخي) حاكم مخلاف جعفر في المنطقة الوسطى ونائبي آل زياد فيهما ، وحصّن مدينة المذيخرة التي اتخذها مركزاً رئيسياً لإقامته ، ينطلق منه ويفييء اليه تحرك نحو صنعاء وذلك في المحرم من عام (٢٩٣ هـ) . ولما وصل الى بلاد يحصب العلو دخل منكث فيها والتي كان لها شأن يومئذٍ ، وهدم سورها ، ثم واصل تقدمه ، ولمّا كان ببلاد ذمار من يحصب العلو أيضاً تلقاه جيش الأمير (أسعد بن أبي يعفر)الحوالي بقيادة عامله على ذمار (عيسى بن معان اليافعي) ، ولم تقم حرب بينهما ، بل لقد ذكر (الخزرجي) [١٢] ان (علي بن الفضل) لما وصل الى ذمار وجد جيشاً عظيماً بهرّان من اصحاب الحوالي (يعني اسعد بن أبي يعفر الحوالي) فكتب الى والي هران (حصن خارج ذمار) (عيسى بن المعان اليافعي) يستميله ، فأجابه ودخل في طاعته ، وواصل بن الفضل تقدمه نحو صنعاء وعسكر في موضع بضبوة في ضاحية صنعاء الجنوبية ، وخرج الأمير (اسعد آل يعفر) من صنعاء لمنازلته ، وقامت حرب بين الجانبين يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم من عام (٢٩٣ هـ) . وأنصرف اسعد بجيشه آخر اليوم المذكور ، في حين تقدم (ابن الفضل) بجموعه نحو صنعاء ، وعسكر بالقرب من جبل نقم في الضاحية الجنوبية لصنعاء أيضاً ، وأقام في معسكره ثلاثة أيام فقط ، تمكن بعدها من دخول صنعاء من ناحية سكة الشهابيين ، ساعده[١٣] في ذلك (مهلب الشهابي)

---

(١٢) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣٩ .

(١٣) سيرة الهادي ص ٣٩٠ .

وقصد غمدان وذلك في يوم عاشوراء من المحرم من العام المذكور ، وقاتله اسعد بن أبي يعفر وأهل صنعاء الى بعد العصر من يوم السبت عاشر المحرم المذكور ، غادر اسعد صنعاء بعد ذلك الى مقره في شبام كوكبان ، ولم يلبث (أسعد) ان زحف نحوه (الحسن بن حوشب) زميل ابن الفضل في الدعوة الفاطمية ، من بلاد مسور ، وبعد معارك قامت بينهما ، انسحب الأمير اسعد الى (الدعام بن ابراهيم) الأرحبي الذي انزله وذويه في منازله بورور حاشد كما سلف ، واستولى (الحسن بن حوشب) على شبام كوكبان ، ثم واصل تقدمه الى صنعاء واجتمع بزميله (علي بن الفضل) وأقام لديه فترة حاول ان يثنيه عن غزو (آل زياد) الى تهامة سنة على الأقل ، حتى ترسخ اقدامهما على ما قد بسطا نفوذهما عليه .

ولكن ابن الفضل اصرّ على رأيه ، وخرج من صنعاء نحو تهامة لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر من العام المذكور (٢٩٣ هـ) بثلاثين ألف مقاتل بين فارس وراجل ، وسار[١٤] على طريق اللجب ، ولمّا توسط مضايق الجبال ثار عليه أهلها ، ولزموا الطريق ، فلم يقدر على التخلص ، ولم يخلصه من المأزق الذي وقع فيه إلا زميله (الحسن بن حوشب) الذي تحرك على رأس قواته فور علمه بالأمر ، وعاد ابن الفضل بقواته الى صنعاء .

ثم قام بغزو تهامة مرة أخرى من صنعاء ، في نفس العام عن طريق بلاد حراز ، وبعد ان اخذ للأمر عدته مستفيداً من الدرس السابق ، ونزل المهجم (إحدى مدن تهامة الوسطى) وقتل واليها لابن زياد ، ثم تقدم الى الكدراء كذلك ، ومنها نحو زبيد عاصمة آل زياد ودخلها بعد ان انسحب منها الأمير (أبو الجيش اسحق بن ابراهيم آل زياد) وأقام فيها ثلاثة أيام غادرها بعدها الى مركز اقامته (المذيخرة) وعاد أبو الجيش الى زبيد .

---

(١٤) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٤٠ .

هذا وقد غزا (علي بن الفضل) (آل زياد) الى تهامة مرة أخرى في عام (٢٩٧) للهجرة ، وقتل(١٥) في إحدى مدنها الكبرى واليها (المظفر بن حاج) الذي فقدت بغداد بقتله اكبر ممثل لها في إمارة آل زياد ، وأقام في تهامة أياماً عاد بعدها الى مقره في (مدينة المذيخرة) ، وأقام فيها الى عام (٢٩٩) للهجرة ، ويبدو ان (علي بن الفضل) لم يهدف من غزوه المتكرر لإمارة آل زياد في تهامة إلى القضاء على امارتهم نهائياً ، لئلا يفتح على نفسه جبهة مع العباسيين الذين كان آل زياد ينتمون اليهم وعلى صلة بهم ، وهو يعتزم الانفصال عن الفاطميين ، ويستقل بحكم اليمن ، فيكون إذا فعل ذلك قد فتح عليه جبهتين رئيسيتين في آن واحد ، أو لأنه ليس في مقدوره القضاء النهائي على آل زياد ، وهو يعتزم القضاء النهائي على نفوذ سائر الامارات الأخرى في اليمن ، وبالذات آل يعفر المتمركزين في صنعاء وأعمالها ، والحد من نفوذ زميله (الحسن بن حوشب) وبذلك يكون غزوه المتكرر لآل زياد إنما هو لمجرد اظهار تفوقه عليهم عسكرياً ، ولتحطيم معنوياتهم ، ولتحذيرهم من مساندة مناوئيه الرئيسيين ، أو معارضته في البلاد التي كان قد بسط نفوذه عليها ، كعدن ولحج وأبين ومخلاف جعفر وغيرها مما كان تحت نفوذ (محمد بن أبي العلاء) و(جعفر بن أبراهيم المناخي) حاكمي هذه المناطق بالنيابة عن (آل زياد) .

صنعاء مسرح النزاع بين القوى المتنافسة

لما(١٦) غادر (علي بن الفضل) صنعاء لغزو تهامة في عام (٢٩٣) للهجرة وخلت صنعاء إلا من حامية له انتهزت القوى المنافسة له والمتنافسة فيما بينها ذلك ، ووحدوا كلمتهم وجمعوا شملهم ضد (علي بن الفضل) ، وقصدوا صنعاء واستولوا عليها ، وأخرجوا منها حامية ابن الفضل ونائبه عليها ، وكان أولئك المتكاتفون هم الإمام (الهادي يحيى بن الحسين) الذي بعث عنه

(١٥) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٧ .
(١٦) سيرة الهادي ص ٣٩ .

ابنه الأمير محمد المرتضى ، ثم جاءها بنفسه ودخلها بعد استيلاء الحلفاء عليها ، والأمير (اسعد بن أبي يعفر) الذي بعث احد مواليه ويعرف بابن كيَّالة بقواته ، والدعام بن ابراهيم الأرحبي ، الذي بعث عنه ولده الحسين بقواته أيضاً ، يساند الجميع ويتعاون معهم أهل صنعاء و(آل الروية المذحجيون) حلفاء آل يعفر ، والأمير محمد بن جعفر المناخي الذي كان قد لجأ مع بعض قواته بعد مقتل أبيه الى الأمير اسعد بن أبي يعفر وتمكن الحلفاء من استيلائهم على صنعاء وطرد اتباع (علي بن الفضل) منها .

ولكنهم اختلفوا فيما بينهم ، فوثب (ابن كيَّالة) بقواته على الإمام الهادي الذي كان ما يزال في صنعاء بعد خروج جمهرة قواته مع ولده الأمير المرتضى من صنعاء الى بلاد ذمار لبسط نفوذ الإمام فيها ، واضطر ابن كيالة الإمام الهادي الى مغادرة صنعاء عا ئداً الى صعدة ، وجاء الى صنعاء (الامير (اسعد بن أبي يعفر) حاكماً لها ، أما (علي بن الفضل) فإنه ما ان علم بذلك التحالف ضده واستيلاء الحلفاء على صنعاء حتى تحرك من مقره في مذيخرة على رأس جيش كبير نحو صنعاء لاستعادتها وذلك في عام ٢٩٤ هـ ودخلها في شهر رجب من العام المذكور ، بعد ان غادرها (اسعد بن أبي يعفر) ، وأقام ابن الفضل في صنعاء ثلاث سنوات متوالية عامل أهل صنعاء خلالها بالقسوة والعنف لتعاونهم مع منافسيه .

ثم غادرها نحو تهامة في غزوه الثاني لآل زياد وذلك في عام ٢٩٧ هـ .

ولم(١٧) يلبث الأمير (اسعد بن أبي يعفر) ان عاد الى صنعاء بعد مغادرة ابن الفضل لها ، كما بعث الإمام الهادي لمساندته مرة أخرى قوة بقيادة علي بن محمد العلوي ، ثم عززه بقوة اخرى بقيادة ابنه الأمير المرتضى ، كما سائد الجميع الدعام بن ابراهيم الأرحبي ، ومع ذلك فقد عاد المتحالفون الى

---

(١٧) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام ص ٤١ .

الاختـلاف فيما بينهم حيث ولى الأمـير المرتضى عـلى صنعاء (عـلي بن جعفـر العلوي) وولى اسعد بن أبي يعفر عليها مولاه ابن كيالة وخرج هو منها بقواته لاستعادة (شبام كوكبان) من اتبـاع (الحسن بن حوشب) ولكن قـوة هؤلاء صمدت للأمير (اسعد بن أبي يعفر) في المعركة التي قامت بين الجانبين وقتل في المعركة الأمير (عبد القاهر بن احمد بن يعفر) وذلك في شهر ربيـع الأول من عام (٢٩٨) للهجرة ، ثم تجددت الحرب بين الجا نبين في شهر ذي الحجة من نفس العام وتمكن (اسعد بن أبي يعفـر) من الاستيلاء عـلى شبام وقـد تحرك (علي بن الفضل) من المـذيخرة فـور علمه بـالأمر وذلـك في المحرم من عـام (٢٩٩) للهجرة ، ودخل صنعاء ، وأقام بها احد عشر يوماً غادرها بعدها نحو شبـام المقر الـرئيسي لآل يعفر واستعـادها ، ومنهـا طلع جبـل ذخـار (ضلع كوكبان) في حين انسحب الامير (اسعد بن أبي يعفر) الى بلاد قدم حجـة ، وفي الثاني والعشرين من شهر صفر من نفس العام غادرها الى بلاد ذمار وولى عليهـا وعـلى صنعـاء (عـلي بن الحسن الـوادعي) منتهـزاً خلوهـــا من (ابن الفضل) واشتغاله باعلان استقلاله عن الدعوة الفاطمية التي اعلنها من اعـلى جبل (كوكبان) .

استقلال (علي بن الفضل) عن الفاطميين

اعلن (علي بن الفضل) استقلاله عن الإمام عبيد الله الفاطمي من اعلى جبل (كوكبان) وقطع الدعوة له ولم يوال العباسيين ، واعلن استقلاله بحكم اليمن وذلك في عام (٢٩٩) للهجرة .

وكان الإمام (عبيدالله الفاطمي) بن الحسين بن احمد قد انتقل من مدينة (سلمية) في سوريا الى المغرب وأسس فيها دولته التي أسمـاها بـالفاطميـة ، ابعاداً لها عن صفة القرمطة التي الصقها بها أعداؤ ها لتشويهها ، وكان انتقـال الإمام عبيد الله الى المغرب في عام (٢٩٦) للهجرة ، ويذكـر انه كـان يعتزم الإنتقـال الى اليمن ، وكان دعـاته ولا سيـما الحسن بن حـوشب يشيعـون ان

المهدي سيظهر من اليمن ، ولكنه لما وصل الى مصر من سوريا حوّل وجهته الى المغرب لما بلغه من اضطراب الأمور في اليمن بعْد وصول الإمام الهادي اليه ودعوته فيه ، ولعدم اخلاص (علي بن الفضل) للدعوة وسوء نواياه نحوها ، كما بلغه ذلك من (الحسن بن حوشب) الذي ظل مخلصاً للدعوة الفاطمية الى موته كما عرفنا . كما شجعه على الانتقال الى المغرب وتأسيس دولته فيه ما كانت عليه احواله من التجزؤ الى امارات صغيرة متفككة (الأدارسة) في فاس ، و(الأغالبة) في رفادة ، وغير هؤلاء في غير هاتين الأمارتين في المغرب ، وجميع تلك الأمارات مع ذلك كانت قد بلغت مرحلة من الشيخوخة لم تعد معها تقوى على مناهضة الإمام عبيد الله ودولته الفتية ، التي مهد لها رجال افذاذ ، بعثهم الحسن بن حوشب بعد تدريبهم الى المغرب كالحلواني وابي سفيان وأبي عبيد الله الشيعي الصنعاني وغيرهم كما عرفنا .

وقد بويع (عبيد الله بن الحسين بن احمد) في المغرب بإمارة المؤمنين في شهر ربيع الآخر من عام (٢٩٧) للهجرة ولقد حقق (علي بن الفضل) باستقلاله عن الفاطميين واقامة دولة مستقلة في اليمن حلماً ظل يراوده طويلاً ، كما شجعه[١٨] على ذلك داعي دعاة الإمام عبيد الله (فيروز) الذي تغير عليه بسبب تحوله عن اليمن الى المغرب ، وتأخر على الإمام في مصر ، وجاء الى اليمن لإفساد دعاتها ضد الإمام عبيد الله ، ولم ينجح مع (الحسن بن حوشب) وكاد هذا ان يقتله لولا انه فر منه الى(علي بن الفضل) الذي نجح معه في فكرة الإستقلال عن الإمام الفاطمي ، وقد[١٩]ظفر به (الحسن بن حوشب) وقتله .

ثم بدأ(علي بن الفضل) من اعلى جبل كوكبان ، يراسل زميله في الدعوة طالباً منه ان يتابعه في الإنفصال عن الدعوة الفاطمية ويعلن ولاءه له ،

---

(١٨) و(١٩) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٤١ الطبعة الأولى .

ولكن (ابن[٢٠] حوشب) امتنع عن ذلك ورد عليه بقوله « كيف تخلع طاعة من لم تنل الخير إلا ببركة الدعاء له ، أما تذكر ما بينك وبينه من العهود والمواثيق ، وما أخذه علينا من الوصية بالإتفاق وعدم الإفتراق ، فكتب اليه (ابن الفضل) مرة أخرى قائلاً له : « إن لي بأبي سعيد الجنابي اسوة وقد دعا الى نفسه ، وأنت ان لم تدخل في طاعتي نابذتك الحرب » فعزز (الحسن بن حوشب) من تقوية حصن مسور وعبأه بالعتاد والرجال والمؤن استعداداً لمقاومته وقال : « إنما احصن هذا الجبل من هذا الطاغية وامثاله » ولقد عرفت الشر في وجهه عند اجتماعنا بصنعاء» ويعني (علي بن الفضل) بأبي سعيد الجنابي الذي اقتدى به في الاستقلال باليمن (ابا سعيد الجنابي) زعيم القرامطة ورئيس الدولة القرمطية في سواد الكوفة الذي استقل عن الأسماعيليين الفاطميين مخالفاً اسلافه (آل الجنابي) وقبلهم (آل مهروية) الذين ظلوا على الولاء للفاطميين والانتماء اليهم .

ولقد كان رد الفعل لدى (علي بن الفضل) ازاء اصرار (الحسن بن حوشب) على استمرار ولائه للإمام عبيد الله الفاطمي ، وعدم متابعته والولاء له هو أي (ابن الفضل) غزو ابن الفضل لأبن حوشب الى بلاد مسور بعشرة آلاف مقاتل من المعروفين بالشجاعة والإقدام من عسكره ، ومحاصرته طيلة ثمانية اشهر أو عام كامل (على اختلاف في الروايات) حتى اضطر ابن حوشب الى ان يرهن ولده لديه لضمان دوام الولاء له وعدم القيام بحربه أو مساندة مناوئيه ، وعاد (ابن الفضل) بالرهينة الى صنعاء .

وذكر بعض[٢١] المؤرخين ان (الحسن بن حوشب) راسل (علي بن الفضل) اثناء الحصار الذي ضربه (ابن الفضل) على جبل مسور المعقل الرئيسي لأبن حوشب يعرض عليه الصلح ، فرد (ابن الفضل) قائلاً : « لا

(٢٠) الخزرجي في العسجد المسبوك ٤١ .

(٢١) الصليحيون والحركة الفاطمية ص٤٦ .

أفعل إلا ان يرسل إليَّ بعض ولده يقف معي على الطاعة ، ويشيع عند العالم اني إنما تركته تفضلاً لا عجزاً » ، فأرسل (الحسن بن حوشب) أحد أولاده فطوقه (علي بن الفضل) بطوق من ذهب وسار به الى صنعاء ، ثم اعاده الى ابيه بعد عام مكرماً .

ومنذ هذا التاريخ سلَّم الأمير (اسعد بن أبي يعفر الحوالي) بقوة جانب (علي بن الفضل) ، وأعلن ولاءه له مرغماً ، وحكم صنعاء نائباً عنه في حين انتقل (ابن الفضل) الى مركز اقامته في المذيخرة بمخلاف جعفر بلواء اب ، واستقرّت الأحوال ، ويرى بعض[٢٢] المؤرخين أنّ (أسعد بن أبي يعفر) عقد صلحاً مع (علي بن الفضل) يقضي بأن يحكم (أسعد) صنعاء نيابة عن (ابن الفضل) ، وأنّ يخلع طاعة العباسيين ، وأنّ يلبس البياض بدلاً من السواد شعار العباسيين .

وقد حدد الدكتور (حسين الهمداني) وزميله الدكتور (حسن سليمان محمود) في كتابها (الصليحيون[٢٣] والحركة الفاطمية في اليمن) الفترة التي ظل فيها (علي بن الفضل) على ولائه للفاطميين بما لا يقلّ عن عشرين عاماً ، وأضافا قائلين بعد ذكر الأتهامات التي كالها له اعداؤه ما نصه : « ولا تفيدنا المصادر التي تحت ايدينا عن حياة ابن الفضل وأمور مملكته إلا انه استقل عن الدعوة الفاطمية وخرج عن الدين الحنيف » (يعني الدعوة الفاطمية لا الاسلام بدليل ما بعد هذا وهو قولها » وبالرغم من انه كان شخصية بارزة ، وقائداً بارعاً ، وحاكماً ناجحاً ووطنياً متحمساً ، فخوراً بقحطانيته ، بالغ المؤرخون في انتسابهم اليه احلال المحارم ، وارتكاب الفواحش ، ولم يأتوا بأدلة تثبت اتهاماتهم ، إلا أن الحمادي ألدّ أعداء الدعوة لم يستطع ان يطمس الحقائق عن سياسته البارعة في السلم والحرب وعن شهامته واقدامه ، وايفائه العهود

---

(٢٢) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٠ . استناداً الى غاية الأماني .

(٢٣) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٤٢ .

والمواثيق ، وحمايته المظلومين ونصرته لمبادىء الإسلام ، ولم يستطع أبو القاسم منصور اليمن ان يعزله أو يطرده عن الدعوة وهـو يعلم علم اليقين ميـول ابن الفضل الإستقلالية بل ساعده في حروبه وهنّأه على انتصاراته الى ان اعلن (ابن الفضل) نفسُه ثورتَه وخروجَه عن الدعوة ، ولا نتصورّ ان المجتمع اليمني يقبل برئاسة (ابن الفضل) لمدة عشرين سنة بل اكثر لو كان قد ارتكب في أواخـر عهده ما نُسب اليه من الفواحش طوال هذه المدة » .

وأضاف قائلاً : « فإنّ ابن الفضل بعد هذا في رأي علماء الدعوة قدنكث عهده واستهواه الشيطان وأضله ، ففارق الدعوة وخرج عن الملة » إلى آخر ما حكاه المصدر استناداً الى (عيون الأخبار) لإدريس عماد الدين بن عـلي بن عبد الله الحمزي » .

وبهذه الإشارة العابرة التي أعرب بها المصـدر عن رأي علماء الدعـوة في تكفيره وغيره ممن حاد عن الدعوة الفاطمية ، نجد التفسير الواضـح لما أُشيـع ضده من قِبَل شيعة الفاطميين في اليمن ، ومن قِبَل منافسيه في الحكم بما ليس من السهـل قبولـه والتسليم به ، وبمـا لا يقوى عـلى الصمود أمـام التمحيص العلمي ، ولـو لم يكن إلا هذا السبب وهـو خروجـه عن الدعـوة الفاطميـة لتشويه سمعته والتشنيع بسيرته من قبل شيعة الفاطميين في اليمن بعد موته (وقد كـانوا متستـرين في انحاء كثيـرة من اليمن في عهـد (عـلي بن الفضـل) قبـل استقلاله عن الفاطميين وبعده وبعد موته) لكان كافياً للتفسير ، فكيف وثمة اكثر من سبب لذلك ، من الصعب معها التسليم بالإتهامات التي وُجهت اليه وتصديقها ؟ .

ومن تلك الأسباب انتهاجه لتوطيد حكمه المستقل في اليمن سبيل العنف والشدة حتى نآء اليمنيون بشدة وطأة حكمه وكرهوا وجوده أي (علي بن الفضل) وصدّقوا (ولا سيما المتأخرون) ما نسب اليه من الكفر والإلحاد) وانهارت دولته بعد موته بسبب قسوته ، لأنها لم تجد القاعدة التي تحميها وتدافـع عنها وتـطيل

بقاءها ومع ذلك فقد صمد ولده محمد في المذيخرة في وجه أسعد بن أبي يعفر عاماً كاملاً .

ومنها محاربة (علي بن الفضل) لجميع حكـام اليمن في عهده وقضـاؤه على نفوذهم بما فيهم (محمد بن أبي العلاء) حاكم لحج وأبين ، و(جعفر بن ابراهيم المناخي) حاكم مخلاف جعفر ، وكلاهما كانا نائبي (آل زياد) والأمير (اسعد بن أبي يعفر الحوالي) حاكم صنعاء وأعمالها ، والإمام الهادي (يحيى ابن الحسين) و(أبو الجيش اسحق بن ابـراهيم آل زياد) حـاكم تهامـة ونائب العباسيين فيها ، كما حارب ابن الفضل زميله في الدعوة للفاطميين (ابا القاسم منصور اليمن الحسن بن حوشب) وحاصره في معقله بجبل مسور حجة ، كما حدّ من نفوذ القوى المحلية كآل الضحاك الحاشديين وآل أبي الفتوح الخولانيين وغيرهم ، وبالطبع فإن لكل أولئك الحكام واصحاب النفوذ شيعـة وانصار ، وأصحاب مصالح لم يرق لهم استئثار ابن الفضل بـالسلطة ، ولمّا عجـزوا عن القضاء عليه بالمواجهة العسكرية دبروا قتله بالسم ، وأشاعوا بعد موته ما نسبوه اليه من الالحاد والكفر .

وحتى مع غض النظر عن كل هذه الدوافع للنيل من الزعيم اليمني (علي ابن الفضل) فإنه ليس من السهل قبول مانُسب اليه من الكفر والإلحاد والدعوة الى التحلل من ربقة الدين وهو لم يشيِّـد حكمه إلا عـلى أساس من مبـادىء الدين والدعـوة اليه والجهـاد في سبيله منذ اليـوم الأول لحركتـه ، مع مـا كان محكوماً به من الظروف المحافظة في اليمن في عهده ، ولن يناصره اليمنيون قبل استقلاله عن الفاطميين وبعده لو كان قد خرج عن الإسلام ودعا الى الإلحاد ، ولخذلوه على الأقل إن لم يقوموا بحربه والتكاتف ضده .

أمّـا القصيدة التي نُسِبت لشـاعر من شعـراء (علي بن الفضـل) والتي مطلعها : (خذي الدف يا هذه واضـربي) . فقد[٢٤] قـال القاضي (نشـوان الحميري) في كتابه (الحور العـين) بجواز كـون قائلهـا شاعـراً من الخطّابيـة

(٢٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٤٢ .

المعروفين بتشيعهم للفاطميين ، أي انها ليست لشاعر (علي بن الفضل) كما زُعم ، وهذا كافٍ لتفنيدها ، على أنّ من نسب هذه القصيدة لعلي بن الفضل أو لأحد شعرائه أو صدَّق في نسبتها إلى احدهما لم ينتبه الى ان البيتين الأخيرين فيها يؤكدان افتراءهما على (علي بن الفضل) وعلى شاعره وهما :

وصل الهي على أحمد وأخز الفويسق من يعرب
وحرم عليه جنان النعيم فقد باح بالكفر لم يرقب

لأن القصيدة الإلحادية المذكورة لو كانت لعلي بن الفضل أو لأحد شعرائه لم يختمها بالصلاة على النبي ويثلب نفسه فيها ومع ذلك فلم تذكر في شيء من كتب التاريخ التي عاصرت ابن الفضل كتاريخ ابن الأثير وغيره ، وإنما ذكرت في تواريخ متأخرة عنه باكثر من مائتي عام ، ولو كان ابن الفضل قد قالها أو شاعره لذكرها العلوي مؤلف سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين المعاصر لابن الفضل والذي ذكر تاريخ ابن الفضل ناقماً عليه معارضته وحربه للهادي ، ولم يذكر شيئاً عنها .

على ان مما يؤكد افتراء ما نسب لعلي بن الفضل من الخروج على الدين الإسلامي واعلان خروجه عنه للناس حفاظه على سمعته حينما عجز عن اخضاع (الحسن بن حوشب) بعد حصاره له في جبل(مسور حجة)طيلة ثمانية أشهر ، فطلب منه أن يرهن عنده ولده لا لضمان عدم مناوأته في الحقيقة ، وإنما كما قال هو أي ابن الفضل : (« لست أبرح وقد علم أهل اليمن تصديَّ لمحاربته (أي الحسن بن حوشب) إلا ان يرسل بعض ولده فيكون ذلك مخرجاً عند الناس ويعلمون انه قد دخل في طاعتي) » .

فهل من المعقول والمقبول ان يتحاشى ابن الفضل امام اليمنيين رجوعه من حصار عدوه غير ظافر ، ولا يتحاشى من ارتكاب المحرمات جهاراً نهاراً كما اشاع ذلك أعداؤه .

لا ، لن يقبل بهذا من يملك قدراً من النزاهة عن الغرض وذرة من الفهم

الصحيح .

هـذا ومن احسن ما ردَّ بـه المنصفـون من المؤرخـين المعـاصـرين عـلى الإفتراءات التي نسجت ضد الزعيم اليمني (علي بن الفضل) ما ذكره الدكتور (عصام الدين عبد الرؤوف) في كتـابه (اليمن[٢٥] في ظـل الإسلام) حيث قال : « وبذلك لم يستطع المنصـور النيل من ابن الفضـل ، وظلّ يحكم دولـة كبيرة في اليمن ، وكان جباراً غاشماً قاسى الناس الكثير من ظلمه وبطشه حتى انهم نسبوا اليه تحليل ما حرَّم الله ، مثل شرب الخمر ونكاح الأمهات والأخوات وارتكاب الفواحش، ولكننا نرى ان هذه المبالغـات من نسج اعـدائه السنيـين والأسماعيليين على السواء ، فلا يُعقَل ابداً ان يظلّ الناس على طاعته ، وهـو يحاربهم في دينهم وعقيدتهم ، ويحلل نكاح نسائهم ، ولكنّ ابن الفضل كان له اعداء كثيرون السنيون أولاً ، والأسماعيليون بعد ان ارتدّ عنهم ثانياً ، يضاف الى ذلـك جوره وقسـوته عـلى الناس ، فنسبـوا اليه تحـريم الصـلاة والصيـام والحج ، وتحليل المحرمات ، وكل ما نستطيع ان نصفه انه نجح في اقامة ملك عريض في بلاد اليمن ، حكمه بالعنف والشدة ، ثم أورد بعض الأبيات التي نُسِبت الى شاعر عـلي بن الفضل والتي زُعِم انـه القاهـا على منبـر الجند والتي مطلعها :

خـذي الـدف يـا هـذه والعبي وغـني هزارك ثـمَّ اطـربي

وقال عنها ما نصه : « نرى ان هذه الأبيات مشكوك في نسبتها الى علي بن الفضل ، لأنه لو قالها شاعر ابن الفضل وهي تدعو الى الكفر كلية بالإسلام ، لقتل الناس علي بن الفضل ، وشاعره ، أو على الأقل لقـامت ثورة ضـد ابن الفضل وحكمه ، وقد عرفنا من دراساتنا لتأريـخ اليمن مدى تمسـك اليمانيـة بدينهم وعقيدتهم » .

---

(٢٥) ص ١٢٥ .

وأضاف قائلاً : « ونسب المؤرخون الى ابن الفضل انه قرمطي ، وهذا غير صحيح ، فهو اسماعيلي مرتد (أي عن الأسماعيلية) وربما نسبوا اليه ذلك لأنه قال في احدى رسائله الى (ابن حوشب) بأنه يقتدي بأبي سعيد الجنابي ، وكان يقصد بذلك الإغارة على البلاد والاستيلاء عليها بالعنف ، أما ابن الفضل فلم يكن قرمطياً ، والحقيقة ان المؤرخين نسبوا ابن الفضل الى القرامطة لأنه اقتدى بأبي سعيد الجنابي القرمطي ، في الخروج عن الولاء للإمام (عبيد الله الفاطمي) وقطع الإنتهاء اليه ، وفعل هو مثل ما فعل ، واستولى على الحكم في اليمن ، بالقوة والقسوة والعنف ، وأقام ابن الفضل حكماً يمنياً موحداً ولكن بدون قاعدة شعبية سرعان ما انهار بعدموته بالسم كما عرفنا .

على أن التهمتين الآتيتين تزيدان في اقتناعنا بكذب جميع التهم التي نسبت لعلي بن الفضل ، والتي من المؤكد ان اعدائه كالوها ضده بعد موته جزافاً وبسذاجة بالغة ، ونقلها بعض المؤرخين المتأخرين عن عصر (علي بن الفضل) دون تمحيص علمي أو نقلي .

والتهمتان ذكرهما الدكتور (محمد امين صالح) في كتابه : (تأريخ اليمن الاسلامي[٢٦]) استناداً الى (السلوك) للجندي في التهمة الأولى، وإلى ابناء الزمن ليحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد في التهمة الثانية .

في التهمة الأولى : (والى (انباء الزمن) ليحيى بن الحسين بن القاسم ابن محمد) في التهمة الثانية .

والتهمتان هما : (ان علي بن الفضل عند عودته من حصار زميله (ابن حوشب) في رمضان عام (٢٩٩) للهجرة نزل بجامع صنعاء ، وأنه حصل بقدومه مطر عظيم ، فأمر بسد الميازيب التي الى الجامع وأطلع النساء اللواتي سبين من صنعاء أو غيرها وطلع المنارة ، ثم جعلوا يلقوهنّ الى الماء متكشفات عرايا ، فمن أعجبته أخذها الى المنارة وافتضها ، حتى قيل انه افتضّ عدة من البكور

(٢٦) ص ١٧٥ .

وانه اي علي بن الفضل اتخذ جامع صنعاء اصطبلاً للخيل .

والرد على هذه التهم من ابسط الردود على التهم التي نسبت اليه .

أفلم يجد علي بن الفضل داراً ينزلها في صنعاء وهو يحكمها منذ عام (٢٩٣) للهجرة حتى ينزل في جامع صنعاء ؟ ثم أين الموقع العميق الذي يمكن ان تفتح اليه ميازيب السطوح بعد سدها ليمتلىء ويلقي فيه النساء عاريات وهو ينظر اليهن ، ويأخذ التي تعجبه الى المنارة ويفتضها ؟

وكم تطيق قدرته البشرية افتضاضهنّ من البكور في عملية مكشوفة وعلى مرأى ومسمع من الحاضرين ، وبصورة تتقزز النفس البشرية حتى من مجرد سماعها ، ويأبى العقل النزيه من تصديقها ؟

وهل تخلى علي بن الفضل عن آدميته حتى صار مجرد بهيمة ينزو على النساء علناً فيفتضهنّ جهاراً نهاراً ، وبطاقة تفوق القدرة الآدمية بل والبهيمية ؟

وأين المكان في المنارة الذي يمكنه افتضاض النساء فيه ؟

وهل يعجز (علي بن الفضل) وهو الحاكم المطلق أن يجمع النساء لو صحّ ذلك الى داره التي تتوفر فيها بالطبع وكأي دار امارة كل مظاهر الأبهة والسلطان ، وكل شروط ومستلزمات الترف والاستهتار ، فيتمتع بمن شاء منهنّ لو اراد وبحرية تامة ودون ما رقيب أو حسيب من الناس ؟

وهل بلغ ابن الفضل من الوقاحة وعدم الحياء من الناس هذا الحد وهو لم يقم حكمه إلا على اساس من الزهد والورع والتقشف ؟

وحتى لو كان ذلك السلوك الديني منه في بداية امره مجرد وسيلة للوصول الى الحكم لو سلمنا جدلاً ذلك ، أفلم يتحلل من سلوكه ذلك وينخرط في اللذات إلا بتلك الصورة السافرة البشعة التي رسمها أعداؤه ، والتي لا يرتكبها حتى الرجل العادي وفي أي زمان أو مكان من التأريخ .

وهل لم يجد ابن الفضل اصطبلاً لخيله إلا جامع صنعاء ؟

وهل يقبل بذلك أهل صنعاء والذين كان لهم آنذاك أثرهم الكبير في النضال والجهاد حينما يدعوهم الواجب الى ذلك ؟ وهل يذعن الأمير (اسعد بن أبي يعفر الحوالي) لحكمه ويحكم صنعاء باسمه ولو على مضض لو كان قد بلغ به تحدي المشاعر اليمنية والمقدسات الإسلامية الى الحد الذي صوّره اعداؤه بمنتهى السذاجة والغباء والحقد ؟ بعيد كل البعد ان يقبل أي عاقل نزيه مجرد عن الغرض والهوى ما نسب للزعيم اليمني (علي بن الفضل) من تلك التهم والأباطيل وأنّ كل منصف ليقف من كل تلك التهم والأكاذيب موقف الشاك والمتردد على الأقل ، إنْ لم يقف موقف المنكر لها والمكذب لكل ما جاء فيها .

والشك والتردد في قبولها اسلم بالطبع للمرء من تصديقها والتسليم بصحتها ، وفي الحديث الشريف : (كفى بالمرء إثماً ان يحدّث بما سمع) والأكثر إثماً من التحدث بالخبر بمجرد سماعه تصديق الخبر على علاته وقبوله وروايته ، مع العلم بأنه لا ذنب للزعيم اليمني (علي بن الفضل) أمام اعدائه إلا انه استقلّ عن الدعوة الفاطمية ، والتبعية للفاطميين وأقام حكماً يمنياً مستقلاً موحداً أو في طريقه الى الوحدة الوطنية لو لم يدبر أعداؤه قتله بالسم كما سنعلم ، وانه حارب في سبيل توحيد اليمن تحت راية يمنية واحدة كل الإمارات والزعامات والطامعين ومراكز القوى المحلية المتعددة التي كانت قائمة في عهده على تعددها واختلاف اتجاهاتها والتي نشرت الفوضى والإضطراب في اليمن بتنازعها وتناحرها ، واليمنيون عامة اليمنيين هم وقودها .

موت علي بن الفضل

ولقد دبّر أعداؤه موته بالسم ، حينما عجزوا عن قتله في خضم المعارك الحربية التي خاضها معهم ، وتفصيل الحادث كما تضافرت عليه كتب المؤرخين : « انه اراد يوماً ان يفصد لما كان يعانيه من ارتفاع في ضغط الدم ، وكان بعض المقربين لديه من المشتركين في تدبير المؤامرة ، أو ممن هم بعيدون

عنها قد أكثروا لديه من ذكر طبيب قدم من بغداد ويدعى الشريف (علي البغدادي) الذي عهد اليه بتنفيذ المؤامرة ، وحبّذوا لابن الفضل ان يختصه لنفسه ، فاستدعاه (علي بن الفضل) ليفصد له ، ولّما دخل عليه البغدادي أمره بخلع ملابسه ويلبس غيرها ، ثم غسل البغدادي المبضع ومضغه مبالغة في التأكيد من خلوه من السم ، ثم جففه بشعر لحيته الكثة أو بشعر رأسه الذي كان قد وضع فيه السم ، فعلق السم بالمبضع ، وفصده ، وخرج من عنده هارباً ، ولم تمض ساعات حتى شعر ابن الفضل بالموت ، فأمر باحضار الطبيب البغدادي فلم يجدوه في المذيخرة ، فأمر بالبحث عنه والقبض عليه ، فأدرك عند قرية (قينان) في سحول اب وقتل حيث أدرك .

ومات (علي بن الفضل) في مدينة المذيخرة في منتصف شهر ربيع الآخر من عام (٣٠٣) للهجرة .

قال في « سيرة الهادي[٢٧] للعلوي » وقام من بعده ابنه بالمذيخرة وقتل نفراً كثيراً من اصحاب ابيه ، وكان يعرف بالفأفأ ، وهو (محمد) أكبر ولديه اللذين مات ابن الفضل عنهما » .

ولما تأكد للأمير (اسعد بن أبي يعفر الحوالي) موت (علي بن الفضل) زحف بجموعه نحو المذخيرة وضم الى جموعه الكثير من القبائل اليمنية ، وحاصر المذيخرة عاماً كاملاً وضربها بالمنجنيق حتى استسلمت له في رجب من عام (٣٠٤ هـ) ، وقبض على ولدي (علي بن الفضل) يساعده اختلاف كبار رجال دولته بعد موته ، وقتل الأمير اسعد ولدي (علي بن الفضل) والعديد من رجال دولته ، وأرسل برؤ وسهم الى مكة حيث نصبت في موسم الحج ، وغنم من مذيخرة اموالاً عظيمة وأسر بنات (علي بن الفضل) الثلاث انكح احداهن وهي معاذة ابن اخيه (قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر) وولدت له الأمير

---

(٢٧) ص ٤٠٣ .

(عبد الله بن قحطان) ، ثم استقلّ بالأمر وبالذات في نجد اليمن صنعاء وأعمالها ومخلاف الجند ومخلاف جعفر واستقرّ في كحلان يريم ، وأناب عنه في صنعاء أخاه (عبد الله بن أبي يعفر) الى موت الأمير اسعد في عام (٣٣٢) للهجرة ، كما علمنا في فصل (آل يعفر) .

وفاة المنصور أبي القاسم الحسن بن حوشب الداعية الثاني للفاطميين

أمّا (المنصور أبو القاسم الحسن بن حوشب) الداعية الثانية للفاطميين في اليمن ، فانه ظلّ على ولائه لهم الى موته في عام (٣٠٢) للهجرة ، وكانت وفاته في معقله الرئيسي (جبل مسور) من بلاد حجة ، وكان قد أوصى قبل موته كلا من ولده (أبي الحسن) و(عبد الله بن عباس الشاوري) بأن يتعاونا في شؤون الدعوة والدولة حتى يصدر أمر تعيين احدهما من قبل الإمام (عبيد الله الفاطمي) ، وأوصاهما بأن يذعن من لم يوله الإمام لمن ولاه منهما ، وبالرغم من أنّ (أبا الحسن بن حسن بن حوشب) سافر الى الإمام الى المغرب في تونس وقابله في مدينة (المهدية) من بلاد تونس وطلب منه توليته بعد أبيه ، إلا ان الإمام كان قبيل وصوله اليه قد بعث رسوله الى الشاوري يحمل له مرسوم توليته ورايات وألقاباً ، لأنه كان قد عرفه منذ أوفده اليه (الحسن بن حوشب) أثناء حكمه ، وكان له دور فعّال في نصرة الدعوة الفاطمية في حياة (الحسن بن حوشب) .

أما (أبو الحسن بن حسن بن حوشب) فعاد من عند الإمام عبيد الله حاقداً على الإمام وعلى الدعوة الفاطمية وعلى الشاوري المذكور ، وصار يظهر ولاءه للشاوري والتعاون معه ، ولكنه يضمر الشر ويتحيّن الفرص لاغتياله والانقضاض على الدعوة الفاطمية ، وكان الشاوري يجله وجميع أخوته ولا يحتجب عنه ، ورغم تحذير اخيه (جعفر بن الحسن بن حوشب) له من مغبة الخلاف مع الشاوري وافتراق الكلمة ، لما قد يترتب على ذلك من اضعاف امر الدعوة ، ومن زوال ملك (آل حوشب) في اليمن ، إلا أن ابا الحسن بن

الحسن بن حوشب أصرّ على النيل من الشاوري والقضاء عليه عند سنوح الفرصة قائلاً لأخيه جعفر : « أنت تعلم انه غرس أبينا ، وأنه لا يقوم عليه سوانا ، والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره ، ونحن أحق به منه » .

واضطلع (عبد الله بن عباس الشاوري بأمر الفاطمية في بلاد مغارب اليمن من بلاد حجة دعوة وحكماً ، وحصر نشاطه بمنع امتداد نفوذ الإمام الناصر بن الإمام الهادي اليها ، بعد ان قامت بينهما عدة معارك حربية أهمها وأكبرها المعركة التي عرفت بمعركة (نغاش) باسم المكان الذي قامت فيه من بلاد حجة ، والتي انتصر الإمام الناصر فيها ، وكان قائد قوات الشاوري فيها هو (عبد الحميد بن محمد بن الحاج المسوري) ، واضطرّ الشاوري الى عقد هدنة مع الإمام الناصر في عام (٣١٠) للهجرة .

ولقد استفاد (الشاوري) من الهدنة ولم يدخل في حرب بعدها فيما يبدو مع الإمام المذكور ، واكتفى بالاضطلاع بمسؤ ولياته في منطقة نفوذه .

مقتل عبد الله بن العباس الشاوري

الى مقتله في عام (٣٢١) للهجرة اغتيالاً من قبل (أبي الحسن بن حوشب) الذي انتهز فرصة وجوده بمفرده دون حراس فوثب عليه وقتله ، وكان الشاوري كما عرفنا لا يحتجب عنه وعن إخوته .

أبو الحسن بن الحسن بن حوشب

واستولى أبو الحسن بن الحسن بن حوشب على الأمر ، وأعلن للناس في اجتماع عام في العام المذكور قطع الدعوة الفاطمية ، وتحوّل الى مذهب أهل السنة ، وتتبع دعاة الفاطمية ، يشجعه قطع علي بن الفضل لها أي الدعوة الفاطمية ، وعدم وجود شوكة لها في اليمن قائمة تُبقي لها هيبتها ، ووالى العباسيين ، وأحبه الناس وبايعوه .

أما أخوه (جعفر بن الحسن بن حوشب) فإنه غضب لما قام به اخوه من

قتل الشاوري والخروج عن الدعوة الفاطمية وغادر اليمن الى الإمام (عبيد الله الفاطمي) ولكنه لم يصل مدينة المهدية إلا بعد وفاة الإمام عبيد الله حيث كان قد توفي في عام (٣٢٢) للهجرة ، وخلفه ابنه (القائم بأمر الله محمد) بعد ان اخفى موته عاماً كاملاً حتى رسخت اقدامه في الحكم ، وقد أحسن الإمام القائم استقبال (جعفر بن الحسن بن حوشب) وصار موضع اعزازه وتكريمه حتى صار من كباردعاة الإسماعيلية الفاطمية ومن المنظّرين لمذهبها .

مقتل أبي الحسن بن الحسن بن حوشب

وبالرغم أيضاً من اخلاص (أبي الحسن بن حسن بن حوشب) لمذهب أهل السنة إلا ان الناس في المنطفة استرابوا في امر تحوّله من مذهب الشيعية الاسماعيلية الفاطمية الى مذهب السنية وهو ووالده من انصار الشيعة ومن كبار دعاتها وغرسها في اليمن .

فما أنا نزل من مقره في جبل مسور مستنيبا عنه فيه (ابراهيم بن عبد الحميد بن محمد التباعي المسوري) الى (عبر محرم) الجبل الصغير الكائن تحت جبل مسور حتى وثب عليه نائبه فيه (ابن العرجاء) وقتله ، واقتسم البلاد بينه وبين نائب جبل مسور التباعي المذكور كل له ما بنظره وتحت يده ، وتتبعا بقية دعاة الفاطمية ونكلا بهم إلا من افراد قليلين احتفظوا بالدعوة متسترين في بلاد مسور والبلاد التابعة لها حتى قام بالدعوة وأعاد لها نفوذها ومركزها في اليمن (ابو الحسن علي بن محمد الصليحي) وقد سلف ذكر اسماء أولئك الدعاة الذين احتفظوا بالدعوة الفاطمية في اليمن في فصل (دعاة الفاطمية في اليمن) .

نظرة عامة في امر الدعوة الفاطمية ودولتها الأولى في اليمن

بدأت الدعوة الاسماعيلية والتي عرفت فيما بعد بالفاطمية في اليمن منذ ما قبل قيام الداعيتين البارزين (علي بن الفضل) اليمني و(الحسن بن حوشب) الكوفي .

فقد عرفنا أنّ (الحسن بن حوشب) وصل الى بلاد مسور في بلاد حجة ونزل في بيت الداعية الأسماعيلي (احمد بن عبد الله خليع) الذي اعتقله الأمير (محمد بن يعفر الحوالي) حتى مات في سجنه ، وتزوّج الحسن بن حوشب ابنته ، وهذا هو سر وصية الإمام (الحسين بن أحمد) للحسن بن حوشب حين بعثه الى اليمن بأن يقصد عدن لاعة في بلاد مسور وينشر دعوته منها ، لأنها البلاد التي كانت قد بذرت فيها البذور الأولى للحركة الأسماعيلية الفاطمية في اليمن وعرفنا ان الحسين بن أحمد الإمام المذكور قال للحسن بن حوشب حين عرض عليه امر بعثه الى اليمن للدعوة لابنه عبيد الله الفاطمي : « كأني برجل قد أقبل الينا من اليمن » ، وأنه لما قدم (علي بن الفضل) من اليمن الى الكوفة قال الإمام الحسين بن احمد للحسن بن حوشب : « يا أبا القاسم هذا الذي كنا ننتظره » أي انه كان لدى الإمام الحسين علم سابق من دعاته الأولين في اليمن بأنه سيقدم اليه رجل من اليمن يعتنق المذهب الشيعي يمكن الإستفادة منه في الدعوة الفاطمية في اليمن ، وهو (علي بن الفضل) الذي علمنا انه وصل من اليمن الى الكوفة مُعْتنقاً مذهب الشيعة الأثنا عشرية ، فحوّله الإمام الحسين بن احمد الى مذهب الشيعة الأسماعيلية ، وعرض عليه امر المشاركة في نشر الدعوة

الفاطمية في اليمن فقبلها ، مشجِّعاً الإمام (الحسين بن احمد) على المضي في الأمر ، قائلاً له : « والله إن الفرصة ممكنة في اليمن » وواصل الداعيتان (ابن الفضل) و(ابن حوشب) الى اليمن وسار كل في الطريق الذي رُسِم له .

ولكنّ انتشارها فيما يبدو في اليمن كان بطيئاً لأنّ اليمنيين عموماً سنيون حتى جاءتهم شيعة الفاطمية بوصول الداعيتين المذكورين ، في عام (٢٦٨ للهجرة) وشيعة الزيدية بوصول الإمام الهادي يحيى بن الحسين في عام (٢٨٤) للهجرة .

ومع ذلك فلم يتغلغل المذهب الشيعي في نفوس اليمنيين ، وكانت مساندتهم لكلا الدعوتين الشيعيتين كلما ارتبطت مصالحهم بها ، ولذلك فإنهم كانوا يتخلون عنها كلما اقتضت مصالحهم ذلك ويعودون الى استقلاليتهم التي ينزعون اليها كلما زالت عنهم الظروف التي أبعدتهم عنها وهذا باستثناء العامة من قبيلة همدان التي تشيعت لعلي ونسله ومنذ خرج علي بن أبي طالب اليهم في عهد الرسول الكريم .

ولقد ضاعفت المعميات والألغاز التي احاطت الدعوة الأسماعيلية نفسها بها من تأخر انتشارها في اليمن وقبول اليمنيين لها ، ولذلك فلم يبدأ النشاط السياسي والعسكري لكلا الداعيتين (علي بن الفضل) و(الحسن ابن حوشب) إلا في عام (٢٩٠) للهجرة تقريباً ، بينما كان وصولهما الى اليمن في عام (٢٦٨) للهجرة .

ولقد أشاع اليمنيون مع ذلك ضد الدعوة الأسماعيلية والإسماعيليين في اليمن مختلف التهم والاختلاقات التي لا تمتّ الى الحقيقة بصلة ، كدليل آخر على عدم قبول جمهرة اليمنيين بمبادئها وتمذهبها .

وحتى بعد قيام الملك الكامل أبي الحسن علي بن محمد الصليحي الذي أعاد للدعوة الفاطمية هيبتها في اليمن ، وأقام دولتها الثانية فيه ، فإن اليمنيين ناصروه وساندوه في حربه لكل الإمارات والزعامات التي كانت

قائمة عند قيامه لا حباً في المذهب الأسماعيلي الذي اعتنقه ، وإنما رغبة في توفير الاستقرار لليمن ، ووضع حد للفوضى التي سببتها النزاعات والحروب بين القوى المتصارعة في اليمن .

وهو أي (أبو الحسن الصليحي) مع ذلك لم ينهج سبيل نشر المذهب الأسماعيلي بالقوّة، ولم يضطهد المذهب السني وإنما ترك للناس حرية اختيار المذهب والعقيدة اللذين يرتضونها ، وإن كان يحث ولاته على نشر الدعوة في مناطق ولاياتهم ولكن بالحسنى وبالدعوة وبالسلوك الحسن والاستقامة الفضلى حتى يحببوها الى النفوس .

ولنا دليل آخر على تمسك اليمنيين بمذهب أهل السنة وتفضيله على المذهب الشيعي في ذلك العهد وهو ما ذكره المؤرخ عمارة اليمني وغيره من أنّ الناس في تهامة حينما يعود (آل نجاح) السنيون الى الحكم فيها ويرتفع الصليحيون الشيعة الى الجبال المطلة على تهامة كانوا يبتهجون وتنشر المصاحف ويبتهلون بالدعاء .

هذا عن الدعوة الفاطمية عقيدة وسلوكاً .

أمّا من ناحية الوضع السياسي العام في اليمن في عهد الدولة الفاطمية الأولى فإنه كان طافحاً بالحروب بين الدعاة وانصارهم من جانب ، وبين الأغلبية اليمنية التي عارضت الدعاة وحركتهم ومذهبهم من جانب آخر .

ولقد أقام الداعيتان علي بن الفضل والحسن بن حوشب دولتيهما بالقوة والقسوة وبالشدة والعنف . ولذلك فإنه بسبب عدم وجود القاعدة الشعبية للحُكْمين في منطقتي نفوذهما سرعان ما انهارا بالنسبة للنفوذ الفاطمي بانفصال علي بن الفضل عن الدعوة الفاطمية ، وانقضاض (أبي الحسن بن حسن بن حوشب) عليها وتحوله الى مذهب أهل السنة في بلاد

مسور حجة كما عرفنا .

وحتى هذا فإنّ اليمنيين استرابوا في امر تحوّله من الشيعية الى السنية وتحينوا الفرصة للإنقضاض عليه ، وقتله نائبه في (عبر محرم) ببلاد مسور أيضاً ، وتتبع بقية دعاة الفاطمية في المنطقة كما علمنا .

ولذلك فإنّ عهد الدولة الفاطمية الأولى في اليمن اتسم بالاضطراب وعدم الاستقرار ، وكل عهد يتسم بالقلق والاضطراب تتدهور بالطبع فيه الأوضاع الاقتصادية وتتخلف الزراعة وتركدُ التجارة وتُصاب كبار المدن بالخراب والدمار وصنعاء بالذات .

امارة آل نجاح ودولة الصليحيين بُناة الدولة الفاطمية الثانية في اليمن
(٤١٢ - ٥٤٤ هـ)
(١٠٢١ - ١١٥٠ م)

عقـدت هذا الفصـل لإمارة (آل نجـاح) ، الذين خلفـوا (آل زياد) في تهـامة ، ولـدولة الصليحيـين الذين كـوّنـوا الـدولـة الفـاطميـة الثـانيـة في اليمن ، وقـد جريت في تعـريف حركتي الفـاطميـة الأولى والثـانيـة في اليمن بدولتي الفاطمية الأولى والثانيـة على منـوال بعض المؤرخين المعـاصرين ، وإن كان نفوذ الفاطميين في اليمن في كلتا الحركتين لا يعدو النفوذ الأدبي .

وقـد يستغرب القـارىء حين يجـدني خالفت النهـج الذي التـزمتـه من عقد فصل خاص لكل دولة وإمارة ، وذلـك في جعل هـذا الفصل للدولتـين معاً ، قامت الأولى منهما قبل قيام الثانية ، واختلف مكان نفـوذ احداهمـا عن مكان نفوذ الأخـرى ، ولكن استغراب القـارىء لا يلبث ان يزول حينـما يقرأ الفصل ويعرف أنّ معظم احداث الـدولتين كـانت فيما بينهـما ، وانه سيكـون من الممـل ذكرهمـا مرتـين في فصلين ، لو أفـردتُ لكل من الـدولتـين فصـلاً مستقلاً .

وبمـا ان امارة (آل نجـاح) هي السابقـة في نشئها وقيـامهـا فسـأذكـر كيف ومتى تمّ لها ذلك ، قبل ان اذكر ذلـك بالنسبـة لدولـة الصليحيين ، ثم نسـايرهمـا معاً في احـداثهما المشتـركة بينهـما ، ثم ننفرد بـدولة الصليحيـين في

احداثها التي انفردت بها عن (آل نجاح) كما ننفرد بأحداث هذه الإمارة التي انفردت بها عن الصليحيين والتي كانت ولم يعد للصليحيين وجود .

فأما امارة (آل نجاح) : فإنها قامت في تهامة على انقاض امارة (آل زياد) فيها ، وذلك في عام (٤١٢) للهجرة ، وذلك بمؤسسها (نجاح) مولى مولى (أبي الجيش اسحق بن ابراهيم آل زياد) ، آخر أمرائهم .

وقد[١] أيّد الخليفة (القادر بالله العباسي) الأمير نجاح بمرسوم النيابة ومنحه لقبي (المؤيد) و(نصير الدين) ، وفوّض اليه النظر العام في الجزيرة اليمنية ، وتقليد القضاء من يراه أهلاً لذلك .

وقد علمنا في فصل امارة (آل زياد) الظروف التي واتت الأمير نجاح في تأسيس دولته بعد القضاء على مولاه (مرجان) وعلى منافسه (نفيس) اللذين قتلا الأمير (عبد الله بن أبي الجيش آل زياد) وكافلته واللذين لم يكن لهما في امر الإمارة حول ولا طول .

ولقد ضبط الأمير (نجاح) تهامة ضبطاً تاماً،أمّا الجبال التي كانت خاضعة لأسلافه فإنها افلتت من يده وإن كان قاهراً لها .

كما اتّسمت امارته بالسنية بحكم تبعيتها للعباسيين والتي كَسبت بها رضى اليمنيين في منطقة نفوذها ، بل وساعدتها في مقاومة الصليحيين في الحروب الطويلة والتقليدية التي قامت بين الدولتين طيلة عهديهما تقريباً .

وقد حكم الأمير نجاح منطقة تهامة الى موته في عام (٤٥٢ هـ) مسموماً كما ذكر من قِبَل (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) عن طريق جارية جميلة أهداها اليه .

---

(١) العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٠٤ .

ولّما كان أولاد الأمير نجاح عند موته دون البلوغ فإنه قام بالأمر عنهم مولى أبيهم (مرجان الكهلاني) ، وكان الأمير نجاح قد توفي عن خمسة أولاد ، هم : (سعيد الأحول) و(أبو المعارك) و(جياش) و(الذخيرة) و(منصور) .

وأما دولة (الصليحيين) فإنها بدأت بمؤسسها (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) وذلك في عام (٤٣٩ هـ) وينسب (آل الصليحي) الى قبيلة (الأصلوح) التي تُعَدّ حياً من (الأحجور) الحاشدية الهمدانية ، من بني عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ .

أمّا موطنه الذي نشأ فيه فهو (الأخروج) من بلاد الحيمة إحدى نواحي لواء صنعاء ، وكان والده القاضي (محمد الصليحي) يقيم في حصن (يناع) من بلاد الحيمة وكان سني المذهب نافذ الكلمة في قومه .

بينما[٢] لم يبلغ ولده (علي) الحلم حتى كان قد تضلع بمذهب الأسماعيلية على يد آخر دعاتها (سليمان بن عبد الله الزواحي) ، وكان الدافع لهذا الى العناية بتربية (علي بن محمد الصليحي) وتعليمه مذهب الأسماعيلية ما لاح له من مخائل النبل فيه والإستعداد لحمل اعباء الدعوة الفاطمية بعد موته .

ولّما حضرت الداعي (سليمان الزواحي) الوفاة أوصى بكتبه وبمال وفير لعلي بن محمد الصليحي بعد ان وافق الإمام الفاطمي المستنصر (معد ابن الطاهر العبيدي) على ذلك ، ساعد (أبا الحسن الصليحي) كل ذلك

---

(٢) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥٧ .

على الاضطلاع بالمسؤولية دعوة وحكماً وعلى أكمل وجه .

وقد بدأ (أبو الحسن) أمره دليلاً للحاج عن طريق جبال السراة ، واستمرّ على ذلك خمسة عشر عاماً كان خلالها يتعرّف على أهل اليمن ، ويجتمع بالعلماء منهم ومن غيرهم ، وكان يبحث مع من يأنس بهم أمر القيام بالدعوة الفاطمية في اليمن ، وعن الوسائل الكفيلة بنجاحها.

وأكسبته رحلات الحج تلك خبرة بأحوال الناس ، ومكنته من دراسة النفس اليمنية ، وأفادته في التعامل معها طيلة عهده .

وبقيام الإمارة النجاحية والدولة الصليحية قامت في اليمن حكومتان متعارضتان سياسياً وعقائدياً ، اتسمت الأولى بالسنية بحكم تبعيتها للعباسيين ، واتسمت الثانية بالشيعية بحكم تبعيتها للفاطميين .

ولكنّ (ابا الحسن الصليحي هادن الأمير (نجاح) لأنه في مراحله الأولى لم يكن يقوى على محاربته ، سيما وهو يحارب مختلف الامارات والزعامات التي كانت قائمة عند قيامه في سائر مناطق اليمن غير تهامة منطقة نفوذ (الأمير نجاح) ، ولو فعل (أبوالحسن الصليحي) ولم يهادن نجاحاً لدفعه الى مساندة القوى الأخرى ضده .

ومع ذلك فقد قام الصليحي بقتل نجاح بالسم عن طريق جارية جميلة أهداها اليه كما تضافرت على ذلك كتب المؤرخين .

قصة زواج أبي الحسن الصليحي من السيدة اسماء بنت شهاب

أُورد هذه القصة لطرافتها ولإعطاء القارىء فكرة عما كانت عليه الأحوال عهد حدوثها .

أحبّ الشاب[3] (علي بن محمد الصليحي) ابنة عمه (أسماء بنت

(٣) عمارة في مفيده تحقيق ونشر الدكتور حسن سليمان محمود ص ٤٨ . والصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٦٦ .

شهاب الصليحي) فخطبها من أبويها ، فاشتطّا عليه في مهرها ، فهبط الى زبيد في طريقه الى (بني معن) في عدن ، أو الى (بني الكرندي) في مخلاف الجند يلتمس منهم العون لبلوغ غايته وهنا قال عمارة في تأريخه عن القاضي عمر بن المرجل الحنفي : « كان على باب زبيد من داخل السور رجل من الحبشة يقال له (فرج السحرتي) وكان من أهل المعروف والصدقات الواسعة ، وكان من نزل به بمسجده أكرمه وآواه ويتفكر ويدخل المسجد يتجسّس أخبار الضيوف سراً من وكلائه وخدمه ، فخرج ذات ليلة فظفر في المسجد برجل يقرأ القرآن ، فسأله عن العشاء ، فأنشد قول المتنبي :

من علم الأسود المخصي مكرمة أعمامه البيض أو أخواله الصيد

فأخذه الحبشي في اعلى مكان في داره وأكرم مثواه ، واستخبره عن سبب قدومه الى تهامة قال الصليحي : « إن لي عماً يقال له شهاب ، وله ابنة يقال لها أسماء قليلة النظير في الجمال ، معدومة المثل في الأدب والعقل ، وخطبتها اليه فاشتطّ عليَّ في مهرها ، وأمها تقول : لا تزوجها إلا لبعض ملوك همدان بصنعاء ، أو ملوك بني الكرندي ، بمخلاف جعفر ، وقد استاموا عليَّ من المال مبلغاً لا قدرة لي عليه ، وأنا متوجه إمّا الى (بني معن) بعدن ، وإمّا إلى (بني الكرندي) بالمعافر» قالوا : فدفع له القائد فرج السحرتي مالاً جزيلا أضعاف ما طلب الصليحي ، وجهّز العروسين معاً احسن جهاز يحتفل الملوك به لعقائلهم ، وأعاده الى عمه فتزوج بأسماء» .

وكانت السيدة[٤] (أسماء) من أعيان النساء ، كان فيها من الكرم والكمال والتدبير والحزم ما لم يكن في احد من النساء في زمانها ، لذلك فقد كان أبو الحسن الصليحي أثناء حكمه يثق بها ثقة تامة ويوكل اليها امر

---

(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٦٧ .

تـدبـير شؤ ون الـدولـة ، وكانت اذا حضـرت مجلسـاً لا تسـتر وجههـا عن الناس ، وقد مدحها الشـاعر (عمـرو بن يحيى الصليحي) بقصيدة جـاءمنها قوله :

رسمت في السمـاح سنـة جـود   لم تـدع من معالم البخـل رسـما
قلت اذ عـظمـوا لبلقيس عـرشـاً   دست اسـماءمن ذرى النجم اسمى

ثورة أبي الحسن الصليحي

وفي العـامـين الأخيـرين من (الخمسـة عشـر عـامـاً) التي ظـلّ (أبـو الحسن عـلي بن محمد الصليحي) فيهـا دليلاً للحاج بحث مع أعيان اليمن ممن يـأنس بهم امر القيـام بالـدعوة الفـاطمية في اليمن ثم تعـاهـد[٥] مـع ستـين رجلاً من همدان في مكة على ان يجهروا بالـدعوة ، ويجـاهدوا في سبيلهـا حتى يظفروا بها أو يموتوا ، وكان المتحالفون معه في عزة ومنعة من قومهم .

وقـد استطاع (ابـو الحسن الصليحي) بذكـائـه ان يغـرس في نفـوس الخـاصة انـه انما يـدعو لنصـرة الإمام المستنصـر الفـاطمي ، ولإعـلاء كلمـة الله ، كما عمل مـع ذلك عـلى استمالـة العامـة باستقـامته ومسلكـه الديني ، وعن طـريق الجماعـة التي تحالف معهـا من همدان كـوّن جيشاً واجـه به بعـد اعلان الدعوة أعداءه الكثيرين ، وفيهم من همدان نفسها من غـير من تعاهـد معهم .

وحدّد مع خاصته يـوم[٦] الأربعاء الـرابع عشـر من جمادي الآخـرة من عـام (٤٣٩) للهجرة مـوعداً لإعـلان الدعـوة من اعلى جبـل مسـار في بـلاد حراز ، وطلب منهم وصولهم في المـوعد المـذكور ، وكـانوا[٧] من يـام نجران

(٥) نفس المصدر ص ٧١ .

(٦) نفس المصدر ص ٧٣ .

(٧) كان المؤ رخون يعرفون قبائل يام ونجران وغيـرهما من قبـائل بـلاد صعدة بـالحجازيـين بحكم جوار منازلهم لبلاد الحجاز وإلا فهم يمنيون دماً ووطناً .

وسنحـان صعـدة ، وغيـرهمـا ، وفي نفس اليـوم المـذكـور بعث رسله الى اتباعه القريبين منه في بلاد حراز ، واجتمع له ذلك اليوم من همدان ثـلاثمائـة رجل عدا من اجتمع لديه من بلاد حراز والمناطق القريبة منها .

ولّما كان عصـر اليوم المـذكور أرسـل (ابو الحسن الصليحي) أربعـين رجـلاً من أهل هـوازن من بلاد حـراز الى قمة جبـل مسـار للتمـركـز فيـه ، ومنع أهل مسار من الإستيلاء عليه والحيلولة دون طلوعه .

أمّـا هو وبقيـة اتباعـه فإنهم صعـدوا جبل مسـار بعد صـلاة العشاء ، وفشلت محـاولة أهـل جبل مسـار منعـه من طلوع الجبـل ، ومن اعـلى جبـل مسار اعلن دعوته للإمام المستنصر الفاطمي (معد بن الطاهر) .

وفي اليوم التالي مباشرة لدعوتـه احاط بـه على الجبـل جمع كبـير ذكر[٨] انهم بلغـوا العشرين ألف رجـل ممن يجهلون حقيقة دعـوتـه أو يعـارضـونها ، وطلبـوا منه النـزول من الجبل ، وقـالوا لـه : « إمـا نـزلت وإلا قتلنـاك ومن معك بالجوع » . فردّ عليهم بأنه لم يقصـد من طلوعه الجبـل إلا حفظه من ان يملكـه غيرهـم فيحكمهم منـه ، وأبدى استعـداده للنزول اذا هـم أرادوا ذلـك فانصرفوا عنه .

وكما علمنا فإنّ دعوتـه كانت قـد انتشرت سـراً في المنطقـة وغيرهـا ولا سيما بين كثـير من خـاصـة النـاس وأصحـاب الكلمـة النـافـذة فيهم ممن لا يناوئونـه في حركتـه فتدخّـل انصار دعـوته ومن والاه من غيـرهـم وأسهموا في اقنـاع المعـارضـين من المحيـطين بـالجبـل ، واستـطاعـوا ان يصـرفـوهم عن محاصرته .

ويؤيّد هذا مـا اجمع عليـه المؤرخون من انـه لم يمض شهر واحـد من دعوته حتى كـان قد عمـر جبل مسـار ، ووصلته الأمـوال الوفيـرة من مختلف

(٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥٦ .

المناطق اليمنية ، وساعده ذلك على ان يضاعف من تحصين جبل مسار بالبناء والعتاد والمؤن والرجال ، وعلى بثّ دعاته الى سائر انحاء اليمن ، بعد ان حصل على الإذن باعلان الدعوة من الإمام المستنصر واكتسب باذنه الصفة الشرعية لحكمه ، وكان نص كتاب دعوته كالآتي(٩) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أورى زناد الحق ورفع عماد الصدق بالذين أكمل بهم الحجة على الخلق ، الى آخر المقدمة من الحمد والصلاة والتسليم على رسول الله وعلى الإمام المستنصر الفاطمي ، (أمّا بعد ، يا أهل حراز الهمكم الله رشدكم ، وجعل الجنة قصدكم ، فلم أطلع حصن مسار متجبراً باغياً ، ولا مستكبراً على العباد عاتياً ، ولا أطلب من الدنيا وحطامها ، ولا طالباً لذلك غوغاءها وطغامها ، لأنّ لي بحمد الله رادعاً يحجزني عما تطمع اليه النفوس ، وديناً اعتمد عليه ، وإنما بالحق الذي امر الله عز وجل ، والعدل الذي انزله في محكم كتابه ، احكم فيكم بحكم أوليائه وسنن انبيائه ، وأدعو الى محبة الذي في ارضه ، القائم بفرضه ، (يعني الإمام المستنصر الفاطمي) ، لست من أهل البدع ولا من ذي الزور والشنع ، الذين يعطون بالدين بآرائهم ، ويحكمون بأهوائهم ، بل انا متمسك بسبيل الله المتين عامل بما شرعه الله في الدين ، وداع الى امير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين ، لا أقول إلا سداداً ، ولا اكره في الدين احداً ، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضل عليها ، وما الله يريد ظلماً للعالمين ، واعلموا يا أهل حراز إني بكم رؤوف ، على حمايتكم عطوف ، انظر للذي يجب عليَّ من رعايتكم وحياطتكم ، ويلزمني من عشرتكم وقرابتكم ، وانظر لذي الحق حقه ، ولا أظلم سابقاً اسبقيته ، وانصف المظلوم ، وأقمع الظالم الغشوم ، وأبثّ فيكم العدل ، وأشملكم بالفضل ، فاستديموا ذلك بالشكر ، ولا تصغوا

---

(٩) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٧٧ .

الى قــول أهــل الكفــر ، فيحملونكم من ذلــك عــلى البغي والعــدوان ، والخلاف والعصيان ، وكفر الأنعام والإحسـان ، فتستوجبـوا بـذلـك تغيير الأنعـام ، وتعجيل الانتقـام ، وكتـابي هـذا حجـة عليكم ومعـذرة إليكم ، والسلام على من اتبع الهدى ، وتجنب أمور الردى ، والحمـد لله على مـا اعاد وأبدى ، وصلاته على من أرشد به من الضـلالة وأهـدى، سيدنـا محمد وآلـه ائمة الهدى وسلم تسليماً ،وحسبنا الله ونعم الوكيل . »

وقد كانت دعوته هـذه موجهـة كما نـرى لأهل حـراز دون غيرهم وهـم أهله الأقربون والذين يرى وجوب اقناعهم وكسبهم قبل غيرهم .

صمود أبي الحسن الصليحي امام مناوئيه في بداية عهده

وبالرغم من قوّة جانب (أبي الحسن علي بن محمـد الصليحي وسرعـة انتشار دعوته واجابـة الكثير لهـا فإنّ كثيـراً من رؤساء اليمن اصحـاب النفوذ المحلي والكثير من امـراء اليمن وسلاطينهـا وأئمة الـزيديـة فيها ، لم يـرضخوا لحكمه إلا بعد معارك حربية معه ، ومحاولات كثيرة بذلوها للقضاء عليه .

ومن أولئـك الأمـير (جعفـر[١٠] بن الإمـام قـاسم بن عـلي العيـاني) الذي تحرك من بـلاد صعدة عـلى رأس جموعـه نحو حصن الأخـروج في بلاد الحيمة بغية الإستيلاء عليه والتحصن فيـه والانطلاق منـه لحرب (ابي الحسن الصليحي) ، ولكنّ حـاميـة الحصن وعـلى رأسهم عـامـل (أبي الحسن الصليحي) عليـه (الحسين بن مهلهـل) صمـدوا في وجهـه ومنعـوه من الاسـتـيـلاء عليه، ومع ذلك فقد استمر في حصار الحصن ولم يرتفع عنه إلا بعد مقتـل[١١] (جعفـر بن عبـاس الشـاوري) وانهزام جيشـه في المعـركـة التي خاضها معـه (أبو الحسن الصليحي) ، وكـان الشاوري من انصـار المذهب

---

(١٠) نفس المصدر ص ٧٨ .

(١١) نفس المصدر والصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٧٨.

السني في بلاد المغارب من لواء حجة ، وقد جاء على رأس جموعه لحرب الصليحي ، ودارت الدائرة عليه وعلى جيشه الذي كان يتكوّن من ثلاثين ألف مقاتل ، وكانت المعركة التي قامت بين الجانبين في موضع (عبرى دعاس) اسفل حراز ، أي ان الشاوري غزا الصليحي الى عقر داره ، وإنّ الصليحي لم يكتف بالتحصن في جبال حراز المنيعة ، وإنما نزل على رأس جموعه لمنازلة الشاوري وانتصر عليه انتصاراً ساحقاً حطم معنوية الأمير جعفر العياني المحاصر لحصن الأخروج فانسحب منه كما عرفنا ، وقد غنم الصليحي من جيش الشاوري مغانم كثيرة ضاعف بها من تقوية جانبه ، وأجبر الكثير من أهل بلاد حراز الذين لم يكونوا قد اعلنوا ولاءهم على الولاء ، باستثناء (أبي النور بن جهور) صاحب حصن[١٢] لهاب احد حصون حراز المنيعة ، فإنه اعلن تمرده على (أبي الحسن الصليحي) ، وقد قام الصليحي ازاء ذلك بتقوية تحصين الجبال المسامتة لطود (لهاب) بالرجال والعتاد والمؤن كجبل شبام وغيره ، ثم حرك جيشه لحرب ومحاصرة (ابن جهور) حتى اضطرّه الى التسليم ، والوصول الى الصليحي الذي احسن استقباله واكرامه .

مؤتمر عبرى دعاس

ثم[١٣] أقام (أبو الحسن الصليحي) مؤتمراً في (عبري دعاس) اسفل بلاد حراز أمر الناس فيه بإقامة الصلاة واحياء الفرائض وعمارة المساجد ، وإيقاد المصابيح فيها ، وأكد لهم ان الأمر الذي قام به ليس هو من امور الدنيا ، ولا مراد كمراد السلاطين ، بل قام مؤثراً لأمر ولي رب العالمين ، مجاهداً في سبيله ، غير مكره لأحد في الدين ، ولا طالب إلا رضى رب العالمين، وانه لا يسير بهم إلا بسيرة الحق والعدل ، وانه مجبول على ذلك . كما حذّر الناس من الشقاق والخلاف .

---

(١٢) نفس المصدر ص ٧٩ .

(١٣) نفس المصدر ص ٨٠ .

ثم تقدم الى العمال في ذلك المؤتمر وأوعدهم بالتنكيل إن رُفِع اليه شيء مما نهاهم عنه ، ووعدهم بحسن السياسة وانه لا يخالف الكتاب والسنة ، وأمر جميع الرعايا بأن يرفعوا اليه ما يكون من العمال من القبيح والحسن ، حتى يُنزِل بهم إنعامه وعقوبته بحسب افعالهم » .

اتساع نفوذ أبي الحسن الصليحي واستيلاؤه على صنعاء

ثم استولى (أبو الحسن الصليحي) على جبل حضور في مخلاف حضور من بلاد البستان احدى نواحي صنعاء وفيه جبل النبي شعيب الذي يعتبر اعلى جبل في اليمن ، وحصنه ، وكان قد استولى على حصن يناع في بلاد الحيمة من لواء صنعاء ، ولما بسط نفوذه على جميع بلاد حراز وعلى الجبال المنيعة فيها وفي المناطق المجاورة لها قرّر أن يتبّع سياسة المهادنة مع سائر السلاطين ورؤساء القبائل الذين لم يكونوا قد اعلنوا ولاءهم له حتى ترسخ سلطته ويتوطد نفوذه في المناطق التي قد استولى عليها .

وحدث ان توفي السلطان (يحيى بن أبي حاشد بن العباس بن الضحاك الحاشدي) في صنعاء ، وكان ولده (أبو حاشد) قد تسلم حكم صنعاء في حياة أبيه في تلك الفترة ونازع الإمام الديلمي عليها ، فبعث أبو الحسن الصليحي وفداً الى السلطان (أبي حاشد) يعزيه بوفاة أبيه ، ففسر (أبو حاشد) ذلك ضعفاً من (أبي الحسن الصليحي) أو تدخلاً في شؤونه (على اختلاف بين المؤرخين) وقام بحشد جموعه والتقدم بهم لمحاربة الصليحي ، ولكن هذا بادره قبل ان يصل الى حراز والتقى معه عند قرية (صوف يازل) بين مخلاف حضور ومخلاف (بني شهاب) وقامت معركة بينهما اسفرت عن مقتل (أبي حاشد) وانهزام جيشه بعد مقتل عدد كبير منه بلغ الف قتيل ، حتى ضُرب المثل بتلك الوقعة وصارت تعرف[١٤] بقتلة صوف لكثرة من سقط فيها من القتلى ، وكان للحادث أثره في الانتصارات التي

---

(١٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٨١ .

تـوالت لأبي الحسن الصليحي بعـده ، والتي استـطاع بهـا أن يـوحـد اليمن جميعه في ظل رايتـه ، وقد واصـل أبو الحسن الصليحي تقـدمه بعـد انتصاره في حربه مـع (أبي حاشـد الحاشـدي) نحو صنعـاء واستولى عليهـا وذلك في عام (٤٤٠) للهجرة .

مقتل الإمام أبي الفتح الديلمي

ولما استقر الملك(أبـو الحسن علي بن محمـد الصليحي) في صنعاء ركـز على اقرار الأمور في المناطق التي قـد بسط نفوذه عليهـا وأهمها عـاصمة اليمن (صنعـاء) ، ويبدو انـه لم يقم بتحرك عسكـري خارجهـا حتى عام (٤٤٤) للهجرة ، حيث قام فيها بالتحـرك منها عـلى رأس جموعـه لحرب الإمـام (أبي الفتح الديلمي) ، وقد اشتبك معه عند نجـد الجاح شـرقي رداع في معركـة كبيـرة اسفرت عن[١٥] مقتـل الإمام الـديلمي وانهزام جيشـه ، ودفن الإمـام في (قاع ردمان) في المنـطقة والتي سميت من يـومئذٍ بقـاع الديلمي ، وقبـره ما يزال معروفاً فيه الى اليوم .

فشل التحالف ضد أبي الحسن الصليحي

وفي عام (٤٤٨)[١٦] للهجرة تحالف (سلامةبن الضحـاك الحاشـدي) و(علي بن ذعفان الحـاشدي) و(عبـد الله بن جعفر بن قـاسم العياني) عـلى حـرب (أبي الحسن الصليحي) وتجمعـوا بحشـودهم في (حـاز) من بـلاد همدان صنعاء ، ولمّا بلغ الصليحي بادرهم الى المكـان المذكـور ، وفي ساعـة مبكـرة من ليلة وصـولـه اليهم هـاجمهم الى معسكـرهم فـولـوا منهـزمـين ، فتعقبهم حتى لاذوا بـالفـرار ولجـأ زعمـاؤ هم بـ (حصن هـرابـة) في وادعـة حاشد) وحاصرهم فيه سبعين يوماً ، وضرب قرية هرابـة بالمنجنيق ، وقـطع عنهم المـدد والمـاء حتى سقـطت القـريـة وسقط الحصن في يـده وسلم الأمـير

(١٥) نفس المصدر ص ٨٢ .

(١٦) نفس المصدر ص ٨٣ .

(عبـد الله بن جعفـر العيـاني) نفسـه الى أبي الحسن الصليحي ، الـذي احسن استقبـاله كعـادته وخلع عليـه وعاد بـه وبـالأسـرى الى صنعـاء وقـال الصليحي يومئذٍ : « لو ملكت رجال الهرابة لملكت بهم الروم » .

قيام الحرب بين (أبي الحسن الصليحي) والأمير نجاح

وكان (أبو الحسن الصليحي) [١٧] يهادن ويلاطف الأمـير نجاح حـاكم تهـامة حتى استـطاع الإمـام الـديلمي ان يفسـد مـا بينهـما وأن يغـري نجـاح بحـرب الصليحي الأمر الـذي حمل نجـاحاً عـلى اخذ اهبتـه لغزو الصليحي وحربه ، ودفع الصليحي ازاء ذلك إلى أن يبدأ بحرب الإمام وحدث ان قضى عليه كمـا عرفنا .

ولّما تقدم الأمـير نجاح بحشـوده الى الخبت بالقـرب من صعفان حـراز تقدم الصليحي بجموعه وقامت حرب بينهما استمـرت عدة ايـام تغلب جيش الصليحي في نهايتها ، وانسحب نجاح قافلاً الى تهامة .

وفيهـا حشد المزيد من القـوات ذكـر انها بلغت عشـرين الف مقـاتـل جهزها وأرسلها الى المخلاف السليمـاني شمال منـطقة نفـوذه طالبـاً من (ابن طـرف) حاكم المخـلاف المذكـور الإنضمام اليـه بقواتـه لحـرب الصليحي ، والـظاهر انّ الامـير نجـاح حشـد قـواتـه في شمـال بـلاده حـدود بـلاد (ابن طرف) من جنوبيها لا داخل بلاد طرف .

وعـلى كلا الاحتمـالين فقـد اجتمعت قوتـا الحليفين نجـاح وابن طرف في المخلاف السليماني .

ولّـا بلغ الصليحي ذلك بـادرهم بنفسـه عـلى رأس الفـين وسبعمـائـة فـارس من ابطال رجـالـه ، والتقى الجمعـان في محـل يعـرف بـالـزرائب من

---

(١٧) نفس المصدر ص ٨٣ .

المخلاف السليماني المذكور وقامت معركة حامية بين الجانبين اسفرت عن انتصار الصليحي ومقتل عدد كبير من الأحباش النجاحيين وحلفائهم ولجوء باقيهم الى جبل يعرف بالعكوتين في المنطقة ، وعاد الصليحي ظافراً ، ولم تكن هذه الحرب هي نهاية الصراع بين (الصليحيين) و(آل نجاح) .

ولكن (أبا الحسن الصليحي) أجلّ استئناف الحرب معه حتى يقضي على الامارات الصغيرة القائمة في اليمن الأسفل وعدن .

انتصارات أبي الحسن الصليحي في اليمن الأسفل وعدن

واستعداداً لإنقضاض (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) على امارة آل نجاح ، والإجهاز عليها ، تحرك[١٨] بجيوشه في عام (٤٥٠ هـ) نحو اليمن الأسفل وعدن ، واستولى على امارة (بني الكرندي) حكام مخلاف الجند ومخلافي جعفر والمعافر (بلاد الحجرية) ، ولم يشدد الضغط على السلطان (أحمد بن يعفر الكرندي) الذي تحصّن بجبل السوي من اعمال جبل حبشي بلاد الحجرية ، واستولى على حصون تلك المناطق ، بما فيها جبل صبر ، وحصن الدملوة في بلاد الصلو من أعمال الحجرية أيضاً ، واستولى على خصن حب في بلاد بعدان وعلى بلاد الشعر وبلاد بعدان وعلى بلاد السحول ومخلاف الشوافي بعد ان اخضع حاكمها (أبا عبد الله الحسين التّبعي) ، واستولى على جميع حصونها ، ثم دخل الجند وخطب فيها الناس لصلاة الجمعة وقال في نهاية الخطبة : «وفي مثل هذا اليوم نخطب في جامع عدن »

ويذكر[١٩] أنّ رجلاً كان حاضراً قال مستهزئاً حين سمع الصليحي يقول ذلك : « سبوح قدوس » ، ولّما أُخبر الصليحي بذلك امر بالتحفظ عليه ، ولّما خطب الصليحي في اليوم الذي حدده في جامع عدن ، قال

(١٨) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (الطبعة الأولى) ص ٨٥ .

(١٩) الخزرجي في العسجد المسبوك ص (٥٧)

الرجل : (سبوحان قدوسان) واعتنق المذهب الإسماعيلي .

ويبـدو أنّ أبـا الحسن الصليحي هـادن (بني معن) حكـام عـدن لاستسـلامهم له وعـدم مقاومتـه ، وابقاهم عـلى ما بنـظرهم نوابـاً لـه ، ولمّـا زوّج ابنــه (المكـرم احمـد بن عـلي الصليحي) السيـدة (أروى بنت أحمد الصليحي) جعل خراج عدن صداقـاً لها ، وظـلّ بنو معن يـرفعونـه اليها في حيـاة أبي الحسن الصليحي وبعد مـوته ، ويبـدو أنّ ذلك شجعهـا وساعـدها على القيام بالأعمال العمرانية الجليلة ومنها شق الطرقات وتعبيدهـا بالأحجـار كما سيأتي ، ثم واصلت تلك الأعمال وتـوسعت فيها بعـد استقلالهـا بالحكم اثر موت زوجها الملك المكرم المذكور .

ولمّـا حاول (بنـو معن) قطع مـا كانوا يؤدونـه من الأمـوال بعـد مـوت الملك (أبي الحسن الصليحي) ، قام ابنـه الملك المكرم المـذكور بعـد حسم الاضـطرابـات واستتبـاب الأمـور لصـالحـه بغـزوهم أي بني معن والقبض عليهم ، واسنـاد امر ولايـة عدن واعمـالها الى (العبـاس) و(مسعـود) ابني الكرّم الجشمي الهمداني كما سنعلم تفصيلاً في فصل (آل زريع) .

امتـداد نفوذ ابي الحسن الصليحي الى الحجـاز

لم[٢٠] يكتف (أبو الحسن الصليحي) بمـا بلغه من نفـوذ في اليمن ، بـل تـطلع الى بسط نفـوذه الى الحجاز ،لأنالحجاز في نـظره هو اقرب البلدان الإسلاميـة الى اليمن ،وفيه الأماكن المقدسة ، وكجزء مما كان يطمـح اليه من تحقيق وحـدة اسلاميـة،تـدين بالولاء للفاطميـين في اكثر من بلد اسلامي ، بما فيهـا العـراق ، بعـد القضاء على العباسيين .

وقـد انتهـز فـرصـة خـروج والي الحجـاز (ابي عبـد الله شكـر بن أبي الفتـوح الحسيني) عن الدعـوة الفـاطميـة وقـطع الخـطبـة لـلإمـام المستنصـر

---

(٢٠) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٨٨ .

الفاطمي ، وخطب للخليفة العباسي ، فاستأذن الإمام المستنصر بغزو الحجاز ، وازالة الشريف شكر عن حكمه ، وضم الحاجز اليه لضمان دوام نفوذ الدعوة والدولة الفاطمية فيه ، فأذن له الإمام المستنصر بغزو الحجاز على ان لا يسفك الدماء في مكة .

وتحرك (أبو الحسن الصليحي) من اليمن نحو الحجاز بقوة كبيرة من الفرسان في شهر ذي الحجة من عام (٤٥٤ هـ) ، واستصحب معه ملوك اليمن وزعماءه ، ودخل مكة وقضى مناسك الحج ، ولكنه لم يصل مكة إلا وقد توفي الشريف شكر بن أبي الفتوح ، وخلفه الشريف (محمد بن جعفر ابن أبي هاشم الحسني) .

وأقام (أبو الحسن الصليحي) في مكة حتى يوم عاشوراء من عام (٤٥٥ هـ) ، أجزل للناس فيها الهبات والصدقات ، وكسى الكعبة بالديباج الأبيض ، ثم عاد الى اليمن مطمئناً الى ولاء الشريف محمد بن جعفر المذكور للإمام الفاطمي ، والدعوة له ، ولكنه لم يلبث بعد عودة الصليحي الى اليمن ان خرج عن الولاء للفاطميين واعلن ولاءه للعباسيين .

قضاء أبي الحسن الصليحي على امارة آل نجاح

قام أبو الحسن الصليحي فور عودته من رحلته الى الحجاز بإخضاع[٢١] الخارجين على دولته من زُبَيد (بضم الزاي وفتح الباء) وعنس واستولى على حصن مثوة في منطقتهم ، وكانوا قد تابعوا رجلاً تمركز فيه .

وفي نفس العام المذكور (٤٥٥ هـ) قام (أبو الحسن الصليحي) بالتحرك على رأس جيوشه نحو تهامة للقضاء[٢٢] على إمارة (آل نجاح) فيها ، وكان الأمير نجاح قد مات كما ذكر بالسم عن طريق جارية أهداها

(٢١) و(٢٢) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص و(٩٤) و(٨٦) .

له الصليحي في عام (٤٥٢ هـ) .

وقد استولى الصليحي على مدينة زبيد عاصمة الإمارة بعد ان ابتعد عنها القائم عليها (مرجان الكهلاني) ، أمّا اولاد الأمير نجاح فإنهم فروا الى جزيرة دهلك بالبحر الأحمر مقابل .أريتريا ، باستثناء الإبن الأكبر (أبو المعارك بن نجاح) فإنه قتل نفسه ، ثم بسط الصليحي نفوذه على تهامة كلها ، وبذلك تمّ له القضاء على امارة آل نجاح التي تعتبر آخر امارة يمنية بسط نفوذه عليها ، وحقق بذلك الوحدة اليمنية تقريباً .

وهنا يذكر المؤرخون حكاية لطيفة عن تولية ابي الحسن الصليحي لصهره (اسعد بن شهاب) تهامة ، وهي انه كان قبل استيلائه عليها قد اقسم انه لا يولي عليها إلا من يدفع اليه مائة الف دينار ، ولمّا قرر تولية اسعد بن شهاب عليها تحيّر ، فقامت زوجته (اسماء بنت شهاب) بتقديم المبلغ اليه مقابل تولية أخيها اسعد ، وان ابا الحسن الصليحي قال لها : « يا مولاتنا من أين لك هذا » فقالت : (هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب). فتبسم وعرف انه من خزانته وقبضه وقال : « بضاعتنا ردت الينا » فقالت اسماء : « ونمير أهلنا ونحفظ أخانا » ، وولى اسعد بن شهاب تهامة .

اعادة النظر في الولاة

ولمّا رأى (أبو الحسن الصليحي) (٢٣) انه قد حقق الوحدة اليمنية الشاملة تقريباً اعاد النظر في ولاته ، وولى على المناطق التي لم يكن قد ولى عليها ، ومنها منطقة تهامة التي ولى عليها كما عرفنا صهره اسعد بن شهاب .

وولى اخاه (عبد الله بن محمد الصليحي) حصن التعكر وأعماله في

---

(٢٣) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٨٧ .

مخلاف جعفر ، وفيه اختط مدينة جبلة عام (٤٥٨ هـ) ، وقد اتخذتها الملكة (أروى بنت احمد الصليحي) مركزاً لإقامتها وعاصمة لدولتها قبل وفاة زوجها الملك المكرم وبعد وفاته ، كما أكد (أبو الحسن الصليحي) ولاية (الحسين بن مهلهل) على حصن الأخروج واعماله في بلاد الحيمة وبلاد حراز ، وولى (المظفر احمد بن محمد الصليحي) حصن أشيح واعماله في بلاد آنس وما جاورها ، ويعرف الحصن المذكور حالياً بظفار في مخلاف بني سويد من بلاد آنس ، وقد اتخذه ولده الملك (سبأ) مقراً لإقامته عند مشاطرته للملكة اروى الحكم بعد وفاة الملك المكرم احمد بن علي الصليحي ، وأناب الملك سبأ عنه في صنعاء واعمالها (آل حاتم الهمدانيين) .

وولى (عبد الله بن يعلى الصليحي) حصن خدد في بلاد حبيش وأعماله في حبيش وما جاورها ، من مخلاف جعفر (لواء اب) ، وولى ولده (المكرم) مدينة الجند وأعمالها .

واتخذ هو اي ابو الحسن الصليحي مدينة صنعاء مقراً لإقامته وعاصمة لدولته ، وجعل اليه مباشرة امر ادارة المنطقة التابعة لصنعاء إدارياً ، وكان قد بنى في صنعاء عدة قصور انزل فيها جميع ملوك اليمن وزعمائها وامرائها ، وجعل منهم مجلساً لاستشارته ، وحال بذلك دون قيام أي منهم بحركة مناوئة له .

ثم اسند ولاية العهد لولده الأكبر (محمد) ، بعد حصوله على موافقة الإمام المستنصر (معد بن الطاهر) على ذلك ، ولقبه الإمام بالأغر شمس المعالي ، وذلك في عام (٤٥٦ هـ) ، واسند لولده المذكور مع ذلك ولاية زبيد وأعمالها ، بعد وفاة أميرها (أسعد بن شهاب) الذي توفي في نفس العام المذكور ، ووصل ولي عهده المذكور زبيد في عام (٦٥٧ هـ) ، ولكنه مات فيها في نفس العام أيضاً .

فأسند الملك أبو الحسن الصليحي ولاية عهده الى ولده المكرم (احمد ابن علي الصليحي) وجاءت الموافقة بذلك من الإمام المستنصر الفاطمي في عام (٤٥٩ هـ) ، ومما ورد فيه ما نصه[٢٤] ، بعد المقدمة مخاطباً ولي العهد المذكور : « اتق الله فيما قلدك من هذه الأمانة حق تقاته ، وشمّر لابتغاء مرضاته ، وقم بالمحافظة على سائر اركان الشريعة ، وحصن بحصونها المنيعة ، وابسط بساط العدل والإنصاف ، واسهر لترقد عينك رقاد الأمن ، وانزل عليهم من سماء عدلك شبه السلوى والمن . هذا عهد امير المؤمنين اليك فاقبله بقبول حسن ، والله يسعدك ويوفقك ، والى صالح الدارين يرشدك إن شاء الله » .

هذا وقد ساعد (علي بن محمد الصليحي) على سرعة بسط نفوذه واقامة دولته في اليمن جميعه ، الى جانب نهضته وحزمه وشجاعته وجرأته وكفاءته ، ما كان عليه اليمن قبل قيامه من الاضطراب والتفكك والانحدار بخطى واسعة نحو التدهور والانحلال .

فقد كان مجزءاً الى دويلات ومشيخات متنافرة لا يرتبط بعضها بالأخرى بأي رابط تسكن معه الأمور ، وتستقر به الأحوال غير شن الحروب فيما بينها ، وزعزعة الأمن والطمأنينة في مناطقها .

فآل نجاح في تهامة ، وآل سليمان بن طرف الحكمي في المخلاف السليماني شمال تهامة ، وبنو الكرندي في مخلاف الجند ومخلاف جعفر ومخلاف المعافر ، وبنو معن في عدن والشحر وحضرموت ، وبنو وائل الحميريون في بلاد وحاظة وما جاورها من بلاد حبيش والحزم وغيرها ، وبنو عبد الواحد في بلاد يرع وأعمالها ، وبنو اصبح (التبعيين) في بلاد بعدان والشعر والسحول ومخلاف الشوافي من أعمال اب ، ومعظم هذه

---

(٢٤) اليمن في ظل الإسلام ص ١٦٦ .

المناطق او جميعها استقلت بمناطق نفوذها في آخر عهد (أبي الجيش اسحق ابن ابراهيم آل زياد) آخر امراء آل زياد ؛ عند عجزه عن الحركة والذب عن اطراف امارته في آخر عمره الطويل .

وكانت بعض القبائل اليمنية مع ذلك قد استولت قبل قيام (أبي الحسن الصليحي) على بعض المناطق ، وإن لم تتسم سيطرتها عليها بسمة سلطنة أو إمارة ، وذلك كغلبة قوم من بكيل على بلاد وصاب وغيرهم .

أما القسم الأعلى من اليمن فكانت تتنازعه آنذاك الزعامات القبلية والأئمة الزيدية .

وقد وصف (يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد) في كتابه (انباء الزمن) (مخطوطة)الفترة التي سبقت قيام (أبي الحسن الصليحي) وهيأت لظهوره فقال : « حالة عمّ فيها الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن ، لكثرة الخلاف والنزاع حتى ضعف أهلها وانتقلوا الى كل ناحية ، وتوالى عليها الخراب حتى اصبح عدد دورها لا يتجاوز الألف دار ، ولكنها تراجعت بعض التراجع في زمن الصليحي من ملوك اليمن » .

وبهذا تعلم أنّ الجو السياسي المضطرب هو الذي هيّأ لظهور شخصية قوية تضع حداً للاضطراب والفوضى ، وكانت شخصية (أبي الحسن الصليحي) هي الشخصية التي توفرت فيها ولها جميع شروط السيادة والظهور .

مقتل أبي الحسن الصليحي

استأذن(٢٥) (أبوالحسن علي بن محمد الصليحي) الإمام المستنصر

---

(٢٥) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٩٩ . الطبعة الأولى ، والخزرجي في العسجد المسبوك ص ٥٨ .

الفاطمي (معد بن الظاهر) الوصول الى مصر لزيارته بعد اداء مناسك الحج ، فأذن له بالحج دون أن يأذن له بزيارة مصر ، وذلك لئلا يطّلع الصليحي على المشاكل الداخلية القائمة في مصر فيما يبدو .

وتحرك (أبو الحسن الصليحي) من صنعاء نحو مكة يوم الاثنين السادس من شهر ذي القعدة من عام (٤٥٩ هـ) وأستصحب معه كعادته جميع ملوك اليمن وأمرائه وزعمائه وعددهم خمسون للحج معه ، ولئلا يحدثوا في غيبته حدثاً ضد ولي عهده ابنه (المكرم أحمد بن علي الصليحي) ، كما أستصحب معه سبعين أميراً ورئيساً من الصليحيين وغيرهم من يام وجنب وسنحان صعدة وحراز وغيرهم ، وقدمهم أمامه ، وسار هو في ألفي فارس ، وبين يديه خمسمائة حربة مطهمة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة ، وخمسين هجيناً ، وكثيراً من الآلات وصنوف الزينة وغيرها .

ولما كان مخيماً بضيعة تعرف بأم الدهيم وبئر معبد بالقرب من مدينة المهجم بوادي سردد من بلاد تهامة هاجمه سعيد الأحول بن نجاح ، بخمسة آلاف حربة جمعهم من تهامة ومن جزيرة دهلك ومن الحجاز وغيرها طيلة فترة ابعاده واخوته عن الحكم ، وجميعهم من فرسان الأحباش من بني جلدته وقومه الذين قضى (أبو الحسن الصليحي) على مصالحهم وعلى نفوذهم عند استيلائه على امارة (آل نجاح) ، وقضى على تجمعهم وتمركزهم داخل تهامة وشردهم في بعض مناطق اليمن وخارجه ، وكان أبو الحسن في قلة من حرسه وعسكره وحاشيته ، لأنه كان قد قدّم جمهرتهم قبله ، لئلا تضيق بهم الطريق ، وقتله وقتل اخاه عبد الله بن محمد الصليحي غدراً ، ثم حاصر مخيم السيدة اسماء بنت شهاب زوجة الملك أبي الحسن الصليحي ثلاثة أيام بغية أسرها .

دافع ولدها الموفق والمهنا علي بن المظفر الصليحي وحرس الملك الخاص عنها خلالها ، ولم يستسلموا إلا بعد أن منحهم سعيد الأحول بن نجاح الأمان ، وأعطاهم المواثيق والعهود على ذلك ، ولما سلموا أنفسهم

اليه قتلهم جميعاً ، باستثناء السيدة اسماء بنت شهاب التي أسرها ، وكان قد قتل مع أبي الحسن الصليحي واخيه عبد الله عدداً من امراء وملوك اليمن ، وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة من العام المذكور .

ثم نقل السيدة اسماء إلى زبيد حيث أودعها أسيرة في دار شحار إحدى دور الإمارة فيها ، وعلق رأسي زوجها وأخيه عبد الله أمام نافذتها ، وظلت في الأسر عاماً كاملاً ، كان يأمل فيها يبدو انه سيساوم بها ابنها المكرم ، بأن يُفرج عنها مقابل تعهده بعدم محاولة استعادة نفوذه على تهامة ، وأن يترك لآل نجاح حكمهم عليها كحق شرعي لهم عليها ، وذلك في حالة خروجه من المحنة واحتفاظه بملكه ، ولم تتغلب عليه القوى المختلفة التي ثارت عليه في اماكن كثيرة من اليمن بعد مقتل ابيه .

وقد أشاد شعراء آل نجاح بالحادث ومنهم الشاعر العثماني حيث انشأ قصيدة جاء منها قوله :

نكرت مظلته عليه فلم ترح	إلا على الملك الأجل سعيدها
سود الأراقم قابلت اسد الشرى	وارحمتا لأسودها من سودها
ما كان اقبح وجهه في ظلها	ما كان أحسن رأسه في عودها

هذا وكان الملك (أبو الحسن الصليحي) حين جاءه كتاب واليه على زبيد (أسعد بن عراف)[٢٦] يخبره بخروج سعيد الأحول من جزيرة دهلك مع مجموعة من فرسانه وبني عمه لقتله ، قد أرسل خمسمائة حربة من عبيده الأحباش وأولياء نعمته ليتصدوا لسعيد الأحول وقال لهم : « خذوا رأس الأحول وأخيه جياش » ولكن عبيد أبي الحسن الصليحي اختلفوا مع سعيد الأحول ورجاله في الطريق ، أو انهم تعاطفوا معهم وهم ابناء

---

(٢٦) وقد علمنا أن والي زبيد (اسعد بن شهاب) كان قد توفي في عام (٤٥٧ هـ .)

عسومنهم وجنسهم (على اختلاف في روايات المؤرخين) وتمكن (سعيد الأحول بن نجاح) ورجاله من الوصول الى معسكر أبي الحسن الصليحي ، والى مخيمه وقتله باستثناء زوجته اسماء بنت شهاب ، وكان حرس الصليحي القايلون يعتقدون ان الأحول ومن معه هم من عسكر الصليحي الأحباش (ولا حذر من قدر) .

ولقد روى قصة الحادث الأمير (جياش بن نجاح) في تاريخه (المفيد) : كما حكى ذلك عنه (الخزرجي) في تاريخه (العسجد المسبوك) (نسخة) (دار الكتب المصرية) (مخطوطة) حيث قال : « وسرنا في طريق الساحل خوفاً من العسكر فكتب (اسعد بن شهاب) (صوابه أسعد ابن عرّاف) عامل الصليحي على زبيد) من زبيد الى الصليحي يعلمه بخروجنا وعددنا ، فسيّر الصليحي من ركبانه خمسمائة حربة من الحبشة ، وأكثرهم من ممالكينا وبني عمنا ، وقال : (خذوا رأس الأحول ورأس أخيه) فخالفناهم في الطريق ، ولم نزل نجد السير ليلاً ونهاراً الى ان دخلنا طرف المخيم والناس يظنون انّا من جملة عسكره وحواشيه ، ولم يشعر بأمرنا إلا (عبد الله بن محمد الصليحي) فإنه ركب فرسه وقال : (يا مولانا اركب ، فهذا والله الأحول بن نجاح العدو الذي جاءنا به كتاب اسعد البارحة من زبيد) وكان علي بن محمد الصليحي قد دخل الخلاء ، وكنت أول من طعنه ، وشركني فيه عبد الملك بن نجاح بطعنة أخرى ، وحززت رأسه بيدي ، وركبت فرسه المسمى بالدنان ، وحمل فينا أخوه (عبد الله بن محمد) وكان فارس العرب ، وقتل منا رجالاً ، ثم حمل عليه رجل منا وسقط معه الى الأرض ، ونادى صاحبنا اقتلوني أنا والرجل ، فشكهما الملك سعيد الأحول بحربته ، وضرب رأس عبد الله وهو يظنه علي بن محمد الصليحي ، ووقف الأسرى امامه على باب المجلس الذي فيه السيدة اسماء بنت شهاب ، وقال : اخرجي صبحي على السلاطين ، فقالت : لا صبحك الله يا احول بخير ، ثم ابدت وجهها وأنشدت قول امرىء

القيس :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر[٢٧] ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وأضاف الخزرجي متابعاً حكاية القصة عن جياش فقال : « وعزّت نفس سعيد من يومئذٍ وشمخ بأنفه عليّ وأنا ابن ابيه وأمه ، وذلك اني اشرت عليه بأن يحسن للسيدة اسماء بنت شهاب ، وأن يعفو عمن قدر من (آل الصليحي) وغيرهم من ابناء الملوك ، وأن يكتب الى ولدها المكرم : إنا قد أدركنا ثأرنا واسترجعنا ملكنا ، وقد أحسنّا وتحملنا اليك بصيانة والدتك والعفو عن بني عمك ، وقلت له لئن فعلت ذلك يا مولانا ما نازعتك قحطان في ملك تهامة ، ولئن كرهت ذلك لتهيجنّ حفائظها ، وتلظينّ بنارها ، فإنهم أهل نفوس أبية وهمم عربية ، فأجابني بقول الشاعر[٢٨] :

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

وقتل من ظفر منهم ، إلا ثلاثة منهم فلم يقتلهم،وهم : (كما حكى ذلك الجندي في تأريخه (السلوك) (مخطوط) : (وائل بن عيسى) صاحب وحاظة ، و(علي بن معن) صاحب عدن ، و(ابن الكرندي)

(٢٧) اي انك ضعيف ، والضعيف اذا قدر فإنه يهلك المقدور عليه ، لأنه يخشاه اذا تركه ، وكذلك اذا فخر الضعيف تجاوز قدره .

(٢٨) البيت لأبي اذينة يحرض به الأسود بن المنذر اللخمي على قتل آل غسان الذين قتلوا اخاه وأولها :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدور ما وهبا
وأحزم الناس ما ان فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقضبا
وانصف الناس في كل المواطن من سقى الأعادي بالكأس الذي شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بحد سيف به من قبله ضُربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كَذَبا

صاحب المعافر ، وقد رثى ابا الحسن الصليحي الشاعر (عمرو بن يحيى الهيثمي) بقصيدة جاء فيها قوله :

وانشأ الحج إلى مكة ... يبغي رضى الله وآل البتول
وارتجت الأرض له خيفة ... بمن بها بين فرات ونيل
وقام بالجيش وأضرابه ... شم العرانين كرام الأصول
فصار في المهجم في عصبة ... من قومه غالته دهياء غول
كالليث في الغابة دبت له ... رقطاء ليلاً ذات شخص ضئيل
فإن يكن نيل على غرة ... فالبدر لا بدّ له من أفول

كما رثته اخته الحرة الزكية السيدة تحفة بنت محمد الصليحي بقصيدة قالها الشاعر (الحسين بن علي القم) على لسانها جاء منها :

رزئت من الأملاك كل متوج ... كثير غبار الجيش طلاع انجد
أبكي علياً أم أخاه الذي فدا ... وأكرم مفدي هناك ومفتدي
أم الثالث اللاقي الحراب بنحره ... وقد نهلت من كل أغيد اصيد
فلله اسد صرعت بثعالب ... ولله احرار أذلت بأعبد
ملوك ترى الأملاك حول دسوتهم ... صفوفاً عكوفاً من قيام وسُجّد

نظرة عامّة في عهد ابي الحسن علي بن محمد الصليحي

اتّسم عهد الملك ابي الحسن (علي بن محمد الصليحي) وهو العهد الذي لم يتجاوز العشرين عاماً بخصائص أهمها :

١ - الإستقلال السياسي الكامل عن العباسيين والفاطميين إلا من انتماء مذهبي بالإمام المستنصر الفاطمي (معد بن الطاهر) ، وفاء للعقيدة الإسماعيلية التي اعتنقها ، ولإضفاء الصبغة الشرعية على حكمه ، ولم يكن مع ذلك يحمل اتاوة سنوية للإمام المذكور ، بل كان يكتفي بارسال الهدايا بين الحين والآخر ، وفي المناسبات ، وكان يدعو له في خطبة

وينقش اسمه في النقود التي يسكها قبل اسمه .

٢ ـ الوحدة اليمنية الشاملة ، وقد أدى الى تحقيقها تفكك اليمن عند قيامه ، وتجزؤه الى سلطنات وامارات ومشيخات متنافرة استطاع أبو الحسن ان يخضعها الواحدة تلو الأخرى ، وأن يصنع منها جميعها دولة واحدة وشعباً يمنياً موحداً في ظل راية يمنية واحدة .

كما ساعده على تحقيق الوحدة اليمنية إقامة حكمه على العدل بالرعية والحزم مع الولاة ، الذين كان يجمعهم بين الحين والآخر وينذرهم ويتوعّدهم إن حادوا عن الطريق السوي الذي رسمه لهم كما عرفنا كثيراً من نصوص خطبه في العديد من المؤتمرات التي كان يقيمها بين الفترة والأخرى ، وفي رسائله التي كان يبعثها في بداية دعوته وأثنائها .

٣ ـ الحرية المذهبية التي ضمنها عهده للناس وتسامحه مع المخالفين لمذهبه الشيعي وعدم اكراه احد على اعتناق مذهبه ، بل لقد كان يقرب علماء السنة كما يقرب علماء مذهبه ، ولكنه كان يحث ولاته ودعاته على الاجتهاد بنشر الدعوة الأسماعيلية في مناطق ولاياتهم ودعوتهم .

٤ ـ اقامة الشريعة ونصرة الحق ، وقد كان يحسن اختيار القضاة الشرعيين كما يحسن اختيار الولاة .

٥ ـ الرخاء والخصب نتيجة استتباب الأمن والاستقرار ، فرخصت الأسعار وأمنت السبل ، والتف حوله كل اليمنيين وكل ملوك اليمن وسلاطينه وزعمائه رغبة ورهبة ، وكان قد بنى لهم قصوراً في صنعاء اسكنهم فيها ، ولم يحدّث احد نفسه ان يخرج عن طاعته ، وازدهر الأدب والشعر في عهده ، ونبغ فيه شعراء وبلغاء ، لأنه كان يشجعهم ويجزل لهم العطاء ، على اعتبار ان الشعر سلاح ماضٍ في يد الدولة لا يقلّ عن سلاح الحرب ، ومن أولئك الشعراء الذين نبغوا في عهده (عمرو بن يحيى بن أبي الغارات الهيثمي) و(الحسين بن علي بن القم) و(الحسين

أبن ابي عقامة) ، وكان أبو الحسن الصليحي يتحلى بخلال عبر عنها الشاعر (عمرو بن يحيى الهيثمي) المذكور بقوله :

الحزم قبل العزم فاحزم واعزم ... واذا استبان لك الصواب فصمم
واستعمل الرفق الذي هو مكسب ... يذكي القلوب وجد واجمل واحلم
وأحرس وصن واشجع وصُل وامتن وصِل ... واعدل وانصف وار ع واحفظ وارحم
واذا وعدت فَعِد بما تقوى ... على انجازه واذا صنعت فتمم

وكان هو يقرض الشعر ولكن عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه حالت بينه وبين قرض الشعر كثيراً ، ومن شعره قوله :

انكحت بيض الهند سمر رماحهم ... فرؤسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها ... إلا بحيث تطلق الأعمار

وقوله :

وألذ من لثم الغواني عنده ... في الحرب الجم يا غلام واسرج
خيل بأعلى حضرموت عالها ... وصهيلها بين العراق ومنبج

المكرم احمد بن علي الصليحي والظروف التي واجهته بعد مقتل ابيه

ولقد خلف الملك ابا الحسن علي بن محمد الصليحي بعد مقتله ولده المكرم (احمد بن علي الصليحي) وواجهته صعوبات بعد مقتل ابيه ،ووقوع أمه في اسر سعيد الأحول بن نجاح نعرض لها بشيء من التفصيل حتى يُعذر في تأخير فك اسر امه من الأسر عاماً كاملاً ، وملخصها :

إن ثورات عديدة قامت ضد الدولة الصليحية بعد مقتل (ابي الحسن الصليحي) كادت تقضي على صرح الدولة وحتى احاطت بالمكرم حول العاصمة صنعاء على قلة انصاره الذين الى جانبه وضآلة جيشه ، لأن اليمنيين لم يألفوا حكماً مركزياً يشمل اليمن جميعه في العهد الإسلامي دون تململ واضطراب

إلا في فترة صدر الاسلام .

ولّما استولى (علي بن محمد الصليحي) على الحكم واخضع كل امراء وملوك اليمن ، وكل زعاماته المحلية ، وحدد مع ذلك اقامتهم جميعاً في صنعاء رضخوا لحكمه على مضض ، وظلوا يترقبون الفرصة للخروج عليه ، والعودة الى استقلال كل منهم بمنطقة نفوذه .

وما ان قتل حتى تنفس الصعداء من افلت من ملوك اليمن وزعمائها من قبضة (سعيد الأحول) الذين كان الصليحي قد استصحبهم معه للحج ، وعاد الى بلده وأشعل فيها الثورة على المكرم ، وسقطت المعاقل والحصون كلها في أيدي الثائرين ولم يبق منها في ايدي الصليحيين أو على ولائها لهم إلا حصن التعكر في مخلاف جعفر بلواء اب ، وكان مع ذلك محاصراً من قبل (آل نجاح) والأحصن مسور حجة وحصن مسار ببلاد (حراز) وهما المركزان الهامان اللذان انطلقت منها الدعوة الفاطمية الأولى والثانية في اليمن ، وحصن كحلان بريم ، وحصن هران في بلاد ذمار ، وكانت جميعها مع ذلك محاصرة من قبل الثائرين اليمنيين من عنس وزبيد (بضم الزاي وفتح الباء) ، ويحصب وغيرها ، كما امتدت عدوى الثورة الى صنعاء نفسها واحاطت بها .

ولم يكن الى جانب المكرم في صنعاء إلا جماعة قليلة من أعيان دولته ، ومن جيشه ذكر انهم لا يتجاوزون الستمائة مقاتل ، أغلبهم من اليامين والسنحانيين ، الذين كانوا يُعرفونهم بالحجازيين ، من الهمدانيين عشيرة الصليحيين .

ولكن المكرم استجمع قواه وشرع بتنظيم قواته وتثبيت من حوله على الصمود ، واستطاع أولاً ان يرفع الحصار عن صنعاء ، وفي اثناء ذلك عاد اليه عدد من كبار رجال الدولة الصليحية وقادتها بعد نجاتهم من حادث مقتل ابي الحسن علي بن محمد الصليحي ، ومنهم : (عامر بن سليمان الزواحي) و(مدافع بن حسن الجنبي) و(عمران بن الفضل اليامي) و(الحسن بن عمر

السنحاني) وغيرهم ممن كانوا بصحبة أبي الحسن في طريقهم للحج ، وبعد مشقة كبيرة لاقاها العائدون من الثائرين اليمنيين وهم في طريق عودتهم الى صنعاء ، وكان فرح الملك المكرم بهم عظيماً .

وقد تعاهدوا فور عودتهم اليه ان لا يطلبوا منه ديناراً واحداً حتى يظفروا بالعبيد (آل نجاح) ويأخذوا بالثأر منهم وينقذوا اسماء بنت شهاب من اسرهم ، ويعيدوا صرح الدولة الصليحية شامخاً وعلى نحو ما كان عليه ، ومن ثمة حشد المكرم جموعه وجهزها لإخضاع الخارجين عليه في مختلف مناطق اليمن ، وقد استغرق ذلك عاماً كاملاً ، وهو العام الذي لم يتمكن فيه من فك اسر أمه (اسماء) وذلك هو المبرر لتأخير فك اسرها طيلة العام .

ومن أهم الحروب التي قام بها المكرم قبل انقاذ امه من الأسر ، الحرب التي جنّد لها جيشاً بقيادة (عامر بن سليمان الزواحي) و(احمد بن المظفر الصليحي) والد الملك (سبأ) مع الإمام (حمزة بن أبي هاشم) والتي اسفرت عن مقتله في (وادي الملوى) من بلاد ارحب بعد انهزام جيشه في الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة من عام (٤٥٩ هـ) وغيرها من المعارك التي قامت في بكيل ، وفي ذي اشرق من مخلاف جعفر في المنطقة الوسطى بين جيش المكرم وآل نجاح الذين كانوا قد تمركزوا فيها .

وفي اثناء العام المذكور وصل الى اليمن القاضي (لمك[٢٩] بن مالك الحمادي) عائداً من مصر يحمل مرسوماً من الإمام (المستنصر معد الفاطمي) يقضي بتعيين المكرم ملكاً خلفاً لابيه ، وبتكليفه أي القاضي لمك بالإضطلاع بأعباء الدعوة الفاطمية في اليمن ، الأمر الذي أيد جانب الملك المكرم وأتاح له

(٢٩) وكان القاضي لمك الحمادي يشغل منصب قاضي القضاة في عهد ابي الحسن الصليحي ، ويبدو انه عزم الى مصر في مهمة لأبي الحسن الصليحي فأبقاه الإمام المستنصر في مصر خمس سنوات ثم اعاده الى اليمن بعد مقتل أبي الحسن يحمل مرسوم الولاية للمكرم ومرسوم القيام بالدعوة له كما عرفنا .

فرصة التفرغ لإعادة نفوذ الدولة وإدارة شؤونها ، وقد ركّز باديء ذي بدء على انقاذ امه من اسر سعيد الأحول الذي كان فيما يبدو يهدف من وراء استمرار اسرها في زبيد الى المساومة بها مع ولدها المكرم لضمان عدم محاولته استعادة زبيد وذلك مقابل الإفراج عنها .

وبينما المكرم يُعدُّ العدة لإنقاذ امه وغسل العار عن العرب وعن الدولة الصليحية إذْ وصلته رسالة أُمه التي تحثه فيها على سرعة انقاذها ، فجمع المكرم رؤساء القبائل الموالية له واعيان دولته وخاصته وعرض عليهم الرسالة فأخذتهم الحمية وأعلنوا عزمهم على السير معه لإنقاذها واستعادة زبيد وتهامة وطرد الأحباش آل نجاح منها ،وأتم المكرم استعداده ثم تحرك بثلاثة آلاف فارس نحو زبيد ؛ وما زال اثناء مسيرته هذه يخطب فرسانه وينذرهم بأنهم قادمون على الموت ويكرر عليهم قوله : « من اراد أن يرجع فليرجع » ، وقوله : « من يرغب في الحياة فلا يكون معنا » .

ولمّا دخل بهم ارض تهامة خطب فيهم حاثاً لهم على الثبات ومما قاله لهم : « ايها المؤمنون انّ عزائمكم لو تجسدت حديداً لكنت قد أرهفته ، ولست ازيدكم غير ما سمعتموه بالأمس وما سمعتموه قبله ، وفيما قلته كفاية ، وقد كنت أعرض عليكم الرجوع وفي المسافة امكان ، أمّا اليوم فقد صار الخيار لعدوكم ، لأنكم توغلتم عليه خيسته(٣٠) ، وإنما هو الموت أو العار بفرار لا يجدي » ثم انشد قول المتنبي :

وأورد نفسي والمهند في يدي   موارد لا يصدرن من لا يجالد

وكان المكرم قد القى هذا الخطاب الأخير بمسجد التربية خارج مدينة زبيد بعد صلاة الفجر في يوم المعركة الفاصلة ، ثم واصل تقدمه نحو زبيد ، معطياً اثنين من قرابته قيادة الميمنة والميسرة قائلاً لهما : « إنكما لستما كاحد من

---

(٣٠) الخيسة بيت الأسد وعرينة .

الناس ، وقاد هو القلب من الجيش ، وكان شجاعاً مقداماً في الحرب ، ولما دنا من باب الشبارق (الباب الشرقي لزبيد) خرج (سعيد الأحول بن نجاح) على رأس جموعه التي تفوق جيش المكرم لمنازلته ، واحتدم الجيشان ، وبعد قتال شديد قام بينهما انهزم الأحول وجيشه ، وركب الاحول مع عدد من امراء آل نجاح خيلاً لهم كانوا قد اعدوها في باب النخل (الباب الغربي لزبيد) من جهة الساحل ، وواصلوا انسحابهم نحو الساحل ، وفيه ركبوا مراكب بحرية كانوا قد أعدوها كذلك الى جزيرة (دهلك) في البحر الأحمر مقابل اريتريا .

أمّا المكرم فإنه دخل زبيد ظافراً مكللاً بغار النصر ، على قلة جنوده بالنسبة لجموع خصمه ، وكان ذلك في يوم الأثنين التاسع والعشرين من شهر صفر من عام(٤٦١ هـ) وفور دخوله اليها امر منادياً ينادي برفع السيف وايقاف القتال واطلاق الأسرى من العبيد ، ثم قصد (دار شحار)(٣١) التي كانت تقيم والدته اسيرة فيها ، وحينما وقف تحت نافذة غرفتها سلم عليها ، فردت السلام عليه ، ثم قالت : من انت ؟ فقال : احمد بن علي ، فقالت له : إن احمد بن علي في العرب كثير ، فرفع المغفر عن وجهه وهو يتصبب عرقاً فقالت : مرحباً بمولانا المكرم ، من كان مجيئه كمجيئك فما اخطأ ولا ابطأ : وأصابت الريح بشرة وجهه واختلجت من يومئذ .

ثم اقام في زبيد أياماً قرر قواعد تهامة فيها ، وولى على زبيد خاله (مالك ابن شهاب) أو (اسعد بن عراف) على اختلاف في روايات المؤرخين ثم عاد الى صنعاء كما سيأتي .

ولقد اشاد شعراء الدولة الصليحية بالحادث بغرر قصائدهم ، ومنهم الشاعر (عمرو بن يحيى الهيثمي) وجاء من قصيدة له بالمناسبة قوله :

أوبة اسماء الى قصرها　　　بعد فراق الملك الأوحد

---

(٣١) نسبة الى شحار بن جعفر مولى ابن زياد ، ولعل الدار طابق واحد على عادة أهل زبيد تمكن المكرم من مخاطبة امه من تحت نافذتها .

وبعد عوصاء الخطوب التي رمت بني قحطان بالموبد[٣٢]
كرجعة الشمس وقد جنها دجى وسربال دجى أسود
فيا لها من نعمة اصلها بأس ابتها باني العلا احمد

وكان الشعراء قبل ذلك قد اسهموا في اثارة مشاعر العرب وحركوا فيهم العنصرية القائمة بينهم وبين (آل نجاح) الأحباش للأخذ بالثأر لمقتل ابي الحسن الصليحي وانقاذ (اسماء بنت شهاب) ومن أولئك الشعراء الأديب (الحسين ابن علي القم) ومن شعره في ذلك قوله :

الحطان هزي البيض واعتنقي السمرا وروّي العوالي من دماء العدى حمرا

ومنها قوله :

ولا تهدري ثأر المظفر انه بنى لكمو مجداً وشاد لكم فخرا
سرى نحو بيت الله قاصداً يروم من الله المثوبة والأجرا

كما اشادت العامة بحادث انقاذ اسماء وصار محل اعجابهم واكبارهم . قال عمارة[٣٣] في تاريخه :«أدركت أهل زبيد اذا شتم الرجل الرجل قال له : أتشتم الرجل ؟ فيجيبه الآخر : الرجل من فكّ اسر أمه وقتل دونها عشرة آلاف رجل » .

وقد غادر المكرم مع امه (اسماء بنت شهاب) زبيد قاصداً صنعاء في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام (٤٦١ هـ) بحثه على مواصلة السير اليها ما وصله من نائبه في صنعاء (اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي) والذي اعلمه فيه بخروج (قاسم بن جعفر بن قاسم العياني) في بلاد أرحب ، وأنه أي نائبه المذكور مريض ، وان حامية صنعاء من الحجازيين يعني (اليامين والسنحانيين أهل نجران وصعدة) مختلفون فيما بينهم .

---

(٣٢) الموبد الداهية الشديدة .

(٣٣) المفيد في تاريخ اليمن ص ١٣١ .

ووصل المكرم صنعاء في الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، ومنها تحرك على رأس قواته نحو بلاد أرحب ، وأضطرّ العياني الى الانسحاب منها ، ثم اصلح المكرم ما كان قد أفسده العياني عليه في قبائل (ذيبان) و(آل الدعام) من بلاد أرحب ، وقدّم له كبراؤهم الولاء ، وقربهم هو وأحسن اليهم .

ثم تحرك نحو بلاد المغارب في لواء حجة لاصلاحها ، وقطع داير الفساد فيها واصلحها ، ثم تحول الى بلاد عنس وواصل منها تقدمه حتى بلاد الشعر ، وكان يمنح عفوه كل من يلتمسه منه ، ومنهم (أبو عبد الله الحسين التبعي) سلطان الشعِر ويعدان ومخلاف الشواقي في بلاد اب، ثم عاد الى صنعاء في اليوم السابع من شهر شعبان من عام (٤٦١) للهجرة .

مقتل سعيد الأحول بن نجاح

ومنذ عودة المكرم الى صنعاء أخذ يستعد للأخذ بثأر ابيه من (سعيد الأحول بن نجاح) الذي[٣٤] كان قد تمكن من العودة الى بلاد زبيد وحكمها بعد طرد ولاة الملك المكرم منها ، حتى عام (٤٨١ هـ) حيث عملت الملكة اروى بنت احمد الصليحي في العام المذكور وفي حياة زوجها الملك المكرم الحيلة مع سلطان الشعر (ابي عبد الله الحسين التُبَّعي) لاستدراجه الى بلاد الشعر بأن أوعزت اليه بأن يراسل (سعيد الأحول) ويؤكد له ولاءه له وضرورة تحركه بجيوشه من زبيد لبسط نفوذه في مخلاف جعفر بحجة عجز المكرم بسبب اصابته بالفالج وأن الأمر اصبح بيد زوجته أروى ، ووعده بمساندته في حربه مع الصليحيين .

ولما غادر سعيد الأحول زبيد قاصداً بلاد الشعر امرت الملكة أروى نائبي الدولة الصليحية في صنعاء (عمران بن الفضل اليامي) و(مالك بن شهاب) بأن يخلفاه على زبيد ، ثم أطبقت جيوش الدولة الصليحية عليه في بلاد الشعر

(٣٤) العسجد المسبوك للخزرجي من ص ٣٨ منشور وزارة الاعلام والثقافة .

وقامت معارك بين الجانبين اسفرت عن انهزام جيش الأحول وفراره هو ولكنه ادرك في عزلة بني الحارث عند قرية (مابه) من العزلة المذكورة المتصلة بجبل الشعر ، وقُتل حيث أدرك وذلك في عام (٤٨٢ هـ) وجيء برأسه الى المكرم الذي قاد المعركة بنفسه في بعض روايات المؤرخين . وعاد الى زبيد بأم المعارك زوجة الأحول اسيرة ، واعتقلها فترةً ناصباً رأس زوجها أمام نافذتها كما فعل هو عند اسر اسماء بنت شهاب بعد مقتل زوجها (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) .

وذكر ان الملكة أروى قالت بعد قتل الأحول ونصب رأسه أمام نافذة زوجته اثناء أسرها : « ليت لاسماء عينين تشهدان هذا » .

ثم ولى المكرم على زبيد واعمالها (سبأ بن أحمد الصليحي) وعاد هو الى صنعاء .

أمّا (جياش بن نجاح) فإنه فرّ بعد مقتل اخيه سعيد الأحول بن نجاح الى الهند .

السيدة اروى بنت أحمد الصليحي

كان[٣٥] اهل اليمن يخاطبونها بلقب (سيدتنا الحرة الملكة) حباً واجلالاً لها ، أما اسمها فهو (اروى) بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي ، وأضاف المصدر في حاشيته قائلاً : « وقد اشتهرت باسم (سيدة) ، والواقع ان اسمها (اروى) ، وقد ذكر عمارة (كاي ١٦) اسمها وهو الحرة الملكة السيدة اروى بنت احمد الصليحي ، ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب عيون الأخبار (٧ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤) حيث قال : وكان عبد المجيد (يعني الإمام الحافظ الفاطمي عبد المجيد) يكاتب الحرة الملكة قبل ذلك (من ولي عهد المسلمين بن عم امير المؤمنين) ثم كتب (من امير المؤمنين فقالت : أنا أروى بنت أحمد ،

---

(٣٥) الصليحيون والحركة الفاطمية ص ١٤٢ .

بالأمس من ولي عهد المسلمين واليوم امير المؤمنين ، لقد جرى في غير ميدانه ، الخ ، » وهو (وادعي امرأ يبعد عن مكانه) فالظاهر ان لفظة سيدة لقب للملكة وليس اسماً لها ولكنه أطلق عليه لكثرة استعماله لها » .

كما ذكرها المؤرخ (عبد الرحمن بن محمد الحبيشي الوصابي) فقال(٣٦) : « اسمها السيدة اروى بنت احمد الصليحي » وقد عاش المؤرخ المذكور في القرن السابع الهجري .

أما (عمارة) فقد عاصر الملكة اروى وأمّا ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي مؤلف كتاب (عيون الأخبار) فقد توفي في عام (٤٧٣ هـ) وعليه فالتشكيك باسمها (أروى) والقول بأنه (السيدة) إنما جاء متأخراً .

وقد ولدت الملكة (أروى) في عام (٤٤٠ هـ) وقامت بتربيتها السيدة (أسماء بنت شهاب الصليحي) زوجة الملك (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) وذلك لوفاة والدها وهي طفلة ، ولاهتمام الملك (أبي الحسن الصليحي) بها ، فقد كان يقول للسيدة أسماء : « اكرميها فهي والله كافلة ذرارينا وحافظة هذا الأمر على من بقي منا » .

كما وصفت السيدة اروى في المصدر المذكور بأنها كانت على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ، الى جانب ما تمتعت به من جمال الخلقة ، وكانت بيضاء مشربة بحمرة ، مديدة القامة ، معتدلة الجسم تميل الى السمنة ، كاملة المحاسن جهورية الصوت ، قارئة كاتبة حافظة للأخبار والأشعار والتواريخ وأيام العرب ، ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها ، وكان يقال لها بلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها .

كما وصفها عماد الدين ادريس في كتابه (عيون الأخبار)(٣٧) بقوله :

---

(٣٦) في تاريخه ص ٣٨ .

(٣٧) الصليحيون والحركة الفاطمية ص ١٤٣ .

« وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكمال عقل وعبادة وعلم ، تفوق الرجال فضلاً عن ربات الحجاب ، وتستحق ان تمدح بقول الشاعر :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

وكانت مقصودة ممدوحة من الأدباء والشعراء ، وممن[٣٨] مدحها السلطان (الخطاب بن الحسن الحجوري) سلطان بلاد الجريب من بلاد حجور في لواء حجة (وكان لا يمدح غيرها)ومن قصائله فيها قصيدة مطلعها :

همم النفوس على النفوس مدارها وبها تبين كبارها وصغارها
واذا تفرس في الورى متفرس ببصيرة لاحت له اخبارها
إن النفوس فروع اجسام وما تبديه من همم النفوس ثمارها
وحباة افضلها اتقى إذ بالتقى تحوي، بها مما انتفت آثارها
كوحيدة الزمن الذي اضحى التقى وشعارها من محضه ودثارها
رضي الأئمة سعيها فتوطدت في الأرض دولته وقر قرارها
واذا الملوك أطاعت الرحمن لم تخذل وطالت في الورى أعمارها
وجرت لها بميامن وسعادة موصولة بدوامها اطيارها
أنتم بنو الأصلوح جوهر بعرب وسواكمو اصدافها ومحارها
ولأنتِ يا ابنة احمد تنميكِ من تلك اللآلىء الفائقات كبارها
انقذتِ من اثم الضلالة أهلها كانوا بها طامٍ بها تيّارها

وممن مدحها الأديب الكبير كاتب ديوان انشاء الدولة الصليحية (الحسين بن علي بن القم) ومن شعره في مدحها قصيدة منها :

أعلى الأنام أباً وأكرم طينةً وأتمْ اعراقاً وأصلب عودا
لو كان يُعْبَد للجلالة في الورى ملك لكانت ذلك المعبودا

---

(٣٨) نفس المصدر من ص ١٤٥ .

أو كـان في أثـوابهـا بلقيس مـا	هـابـت سـليـمـانـاً ولا داودا
وإذا الـوفود تـأخـرت وفـدت عـطا	يـاهـا فـكـانـت لـلوفـود وفـودا
هي نعـمـة الله التي مـا مـاؤهـا	ثـمـد ولا مـعـروفـهـا مجـحـودا
هـي رحـمـة الله التي ما زال مـن	فـوق الـبـريـة ظـلهـا ممـدودا

وكان زوجها الملك المكرم يعتمد عليها في ادارة شؤون الدولة وتصريف امورها ، فانتقلت الى مدينة ذي جبلة واستعفته[٣٩] من نفسها وقالت له كلمتها المأثورة : (إن امرأة تُراد للفراش لا تصلح لتدبير الملك فدعني وما أنا بصُدده) ، واضطلعت بالمسؤولية على اكمل وجه في حياته وبعد وفاته ، مستعينة بذوي الكفاءات من اليمنيين والمصريين ، ويبدو انه قصر صلاحيتها على المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية من اليمن ، وأقام هو في صنعاء مستعيناً كذلك بذوي الكفاءات ، وذلك بسبب اصابته بالفالج ، وكان نوابه في صنعاء (القاضي عمران بن الفضل اليامي) و(أبو السعود بن اسعد بن شهاب الصليحي) ، وكانا هما أيضاً مستشارين للسيدة اروى في الأمور الهامة التي تعرض لها في منطقة ولايتها ، ولما توفيت السيدة (أسماء بنت شهاب) والدة الملك (المكرم) قامت السيدة اروى بزيارته الى صنعاء واستطاعت أن تؤثر عليه بالانتقال الى مدينة جبلة ، فأقر النائبين المذكورين على نيابتهما عنه في صنعاء ، وكان قد اشتد به مرض الفالج الذي بدأ به في زبيد عند انقاذ امه من الأسر ، فحسن له اطباؤه الابتعاد عن الناس وعن الأشتغال بشؤونهم فانتقل الى حصن التعكر المطل على مدينة ذي جبلة ، ويذكر[٤٠] انه لم يقابل حتى نائبه القاضي عمران المذكور وان هذا انشأ حين لم يُؤذن له بالدخول عليه أبياتاًومنها قوله :

---

(٣٩) تاريخ عمارة حواشي كاي ص ٣٦ .

(٤٠) الصليحيون ص ١٣٨ .

أبـاب كليب انـي لـك هـاجـر عـلى انـي داعٍ لمـولاك شـاكـر

وباب كليب هو احد ابواب القصر الذي كان يقيم فيه الملك المكرم في حصن التعكر .

هذا[٤١] وفي اثناء إقامة الملك المكرم في مدينـة جبلة امر ببنـاء دار العز الثانية والتي كانت في ما يعرف اليوم بحارة الدار وامرت الملكة اروى بهدم دار العز الأولى والبناء بأحجارها جامع ذي جبلة الكبير ، وقد هدم دار العز الثانية الملك المعز الأيوبي في عام(٥٩٤) للهجرة .

الملك سبأ بن احمد الصليحي

ولما[٤٢] حضرت الملك المكـرم (احمـد بن عـلي بن محمـد الصليحي) الوفاة ، أوصى بأن يخلفه في الدعوة والدولة (أبو حمير سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) وكانت وفاة الملك المكرم في عام (٤٨٤ هـ) ولم يكن له عند وفاته إلا ولدان ، هما محمد وعلي ، وكانا ما يزالان دون البلوغ ، فاقتصر نفوذ الملك (سبأ) على القسم الأعلى من اليمن ، واتخذ حصن (أشيح) (حصن ظفار في مخلاف بني سويد من بلاد آنس) مقراً له ، وأناب عنه في صنعـاء نائب الملك المكرم عليها (القاضي عمران بن الفضل اليامي) .

بينما احتفظت الملكـة (اروى بنت أحمد الصليحي) بنفـوذها عـلى مـا بنظرها وتحت ولايتهامن عهد الملك المكرم في المنطقةالوسطى والمنطقة الجنوبية من اليمن و(تهامة) إلاّ أنّ عدن وأعمالها كان نوابها عليها (آل زريع) منذ ولاهم المكرم عليها خلفاً لـ (آل معن) ، وكان آل زريع يرفعون خراجها اليها ، لأن الملك علي بن محمد الصليحي جعل خراج عدن صداقاً لها حين زوجها بـابنه الملك المكرم كما علمنا .

---

(٤١) الخزرجي في العسجد ص ٦٢ .

(٤٢) الصليحيون ص ١٤٨ .

وقد(٤٣) أخفت الملكة أروى وفاة زوجها المكرم حتى استصدرت امراً من الإمام المستنصر الفاطمي قلد فيه ابنها الأمير علي بن المكرم امر الدعوة والدولة خلفاً لأبيه ، وكان عمره آنذاك لم يتجاوز العشر سنوات .

وبعث الإمام المستنصر بمرسوم الولاية مع الأمير (أبي الحسن جوهر المستنصري) مؤرخاً بشهر ربيع الأول من عام (٤٨٤ هـ) وامر الإمام فيه اخاه (محمد بن المكرم) وجميع السلاطين والمقدمين والمؤمنين بل والحرة الملكة نفسها بوجوب طاعة الملك (علي) والامتثال لأوامره ، ثم تابع الإمام المستنصر سجلاته بتأييد الملك علي .

وقد(٤٤) هدف الإمام المستنصر من ذلك الى الحفاظ على مبدأالوراثة في الملك ، كما هو الحال في نظام الأئمة الفاطميين في مصر ، ولمنع قيام صراع بين الأسرة الصليحية في اليمن ، ولما يعلمه من كفاءة الملكة (أروى) والدة الملك (علي بن المكرم) التي يعلم الإمام بأنها هي التي ستضطلع بشؤون الدولة لصغر سن الملك علي المذكور ، حتى يبلغ ويتمكن من الإضطلاع بشؤونها .

وحرصاً من الملكة نفسها على توحيد شمل الأسرة وللحيلولة دون قيام النزاع والخلاف فيها اسندت امر النيابة العامة الى الملك (سبأ بن احمد الصليحي) الى جانب ما بنظره ، وقبل الملك سبأ الأمر على مضض ، واضطلع بمسؤولية النيابة ودخل في حرب مع آل نجاح كما سنعلم .

ولما توفي الطفلان محمد وعلي ابنا المكرم عاد الملك سبأ الى المطالبة بحقه الشرعي ، في تولي امور الدولة والدعوة فلم تمكنه الملكة اروى ، واضطلعت هي بمسؤولية ما بنظرها ، وقصرت نفوذه على ما بنظره في القسم الأعلى ، الأمر(٤٥) الذي حمله على ان يتخذ وسيلة اخرى لاستيلائه على جميع اجزاء

---

(٤٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤٤) نفس المصدر ص ١٥٠ .

(٤٥) نفس المصدر والصفحة ايضاً .

المملكة بأن طلب يدها للنكاح ظاناً موافقتها ، مع علمه بأنها استعفت زوجها المكرم في حياته وقالت له كلمتها المأثورة : « إن امرأة تُرَاد للفراش لا تصلح لتدبير الملك فدعني وما أنا بصدده » وإنها تركته في صنعاء وانتقلت الى ذي جبلة لإدارة شؤون المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية .

وقامت مناوشة بين الملك سبأ والملكة أروى بسبب امتناعها عن اجابة طلبه كادت تفضي الى الحرب ، بل لقد(٤٦) افضت اليها فعلاً واقتتلا أياماً ، ولكن(٤٧) الأمير (عامر بن سليمان الزواحي) أخاها لأمها تدخل بينهما ، واستطاع ان يقنع الملك سبأ بالكف عن تحقيق محاولته بالقوة دون جدوى ، وأن يستصدر امراً من الإمام المستنصر فعاد الملك سبأ الى مقره في حصن اشيح ، ومنه بعث الى الخليفة المستنصر الى مصر وفداً مكوناًمن (القاضي حسين بن احمد بن اسماعيل الأصيهاني) و(أبي عبد الله الطيب) يطلب امره بذلك ، وعاد المبعوثان ومعهما الأستاذ حامل الدواة (عين الدولة) برسالة الى الملكة (أروى) بأمرها الخليفة فيها بقبول خطبة الملك سبأ ، ومما جاء في الرسالة ما نصه : « امير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن عمدة الإسلام ذخيرة الدين ، عصمة المسترشدين ، كهف المستنجدين ، ولية امير المؤمنين وكافة اوليائه الميامين ، ويقول لها : ﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ .

وقد زوجك امير المؤمنين من الداعي الأوحد ، المنصور المظفر ، عمدة الخلافة امير الأمراء (أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي) على ما حضر من المال ، وهو مائة الف دينار عيناً ، وخمسون أصنافاًمن تحف وكساوى ، »

---

(٤٦) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٦٤ .

(٤٧) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٥٧ .

وقد[٤٨] ذكر الخزرجي نص رسالة الإمام هذه وأضاف ان الملكة أروى اجابت على ذلك بقولها : اما كتابُ مولانا وأمره فلا أقول فيه إلا :

إني ألقي إليَّ بكتاب كريم وانه بسم الله الرحمن الرحيم

(مبالغة في تعظيمها لكتاب الإمام) ولا أقول فيه : (يا أيها الملأ افتوني في امري ، ما كنت قاطعة امراً حتى تشهدون) وأما انت يا ابن الأصبهاني (تخاطب احد مبعوثي الملك سبأ) (فوالله ما جئت مولانا من سبأ بنبأ يقين) ، ولقد حرفتما القول عن مواضعه ، وسولت لكما انفسكما امراً فصبر جميل ، والله المستعان على ماتصفون) .

ثم[٤٩] تقدم اليها وزيرها (زريع بن أبي الفتوح) والقاضي الأصبهاني واعيان دولتها ولاطفوها حتى وافقت على اجراء عقد النكاح لها بسبأ بن احمد ، ووصل هذا الى مدينة جبلة ، وأولمت الملكة اروى له ولمن معه ولائم كبيرة ولم تزف اليه .

ولما آيس منها بعث اليها يستأذنها الاجتماع بها ليلة واحدة ثم يغادر جبلة صبيحتها الى مقره في آنس ، فأذنت له ، ولما طلع صبح تلك الليلة امر بضرب الطبول إيذاناً بالسفر .

على[٥٠] ان عمارة في تاريخه ذكر ان قوماً ذكروا بأن السيدة اروى انما بعثت اليه جارية تشبهها ، وان الجارية باتت واقفة على رأسه وهو جالس لا يرفع طرفه اليها ، حتى اذا طلع الفجر صلى وامر بضرب الطبول ، وقال للجارية : اعلمي مولاتك انها نطفة شريفة لا توضع إلا في مستحقها . ثم عاد الى مقره في اشيح آنس ولم يجتمعا بعد .

---

(٤٨) في العسجد المسبوك ص ٦٥ .

(٤٩) لم يعرف زريع بن أبي الفتوح وانما عرف اسعد لابن ابي الفتوح ولعل فترة وزارة زريع كانت وجيزة .

(٥٠) منشور الدكتور حسن سليمان حواشي كاي ص ٦٩ .

هذا وما ذهب اليه المؤرخون من ان طلب الملك (سبأ بن احمد) يد الملكة أروى بنت أحمد هو لغاية النكاح ولغايته وحده لا يبرره ما ادى اليه امتناعها عن اجابة طلبه من استعداد للحرب ومناوشة كادت تفضي اليها ان لم تكن الحرب قد حدثت فعلاً كما ذكرت رواية الخزرجي مع علمه بأنها استعفت زوجها المكرم وقالت له كلمتها المأثورة : « إن امرأة تراد للفراش لا تصلح لتدبير الملك فدعني وما أنا بصدده » وتركته في صنعاء وانتقلت هي الى جبلة كما سبق .

والتفسير المقبول لذلك الطلب وهو الذي يتناسب مع ظروف القضية وحوادثها (وهو ما اشرت اليه في بداية بحث الموضوع) هو ان الملك سبأ بن أحمد إنما طلب النكاح وسيلة للاستيلاء على جميع شؤون الدولة الصليحية والدعوة الفاطمية في كافة انحاء المملكة ، لأن ما كان بنظرها لم يكن له نفوذ عليه كما عرفنا .

علماً بأن أصحاب الطموحات الواسعة ينتهجون مختلف السبل لتحقيق غاياتهم .

ميزة حكومة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي

امتازت حكومة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي بأمور كثيرة اهمها :

١ ـ الاصلاح والتعمير .

٢ ـ نفوذها القوي في الدولة وسيطرتها على شؤون الدعوة باستثناء الفترة الأخيرة من حكمها حينما فصلت الدعوة عن الدولة واسندت الدعوة الى دعاة يستقلون في القيام بأمرها كما سيأتي .

٣ ـ حسن اختيار الوزراء وكبار رجال الدولة والاستعانة بذوي الكفاءات من اليمنيين وغيرهم .

ذلك انها أول ملكة اهتمت بتنيمة وتربية الثروة الحيوانية ، فأوقفت الأراضي الواسعة مراعٍ لها ، ومنها مرعى (صلبة اب) في الضاحية الغربية

لمدينة اب والتي صارت اليوم معهداً زراعياً ومشاتل غروس لوزارة الزراعة ، وفي الكثير من المناطق الأخرى مراعي كذلك إلا أنها أقل مساحة منها .

كما أوقفت ارضاً لشراء فحول البقر للضراب (الطلوقة) من غلاتها ، وهي بذلك سبقت الدول الحديثة التي تُعنَى بهذه النواحي بمئات السنين .

وكانت لها اصلاحات كبيرة في مجال الاعمار ومنها تعبيد الطرقات الجبلية الوعرة بالحجر بين نقيل صيد (سمارة) ونقيل السياني في لواء اب ونحو ذلك في بلاد بعدان وغيرها ، وأنشأت كثيراً من المساجد ومنها الجامع الكبير في مدينة ذي جبلة عاصمة دولتها وفيه قبرها في المقدم الشمالي الغربي للجامع ، ووسعت جامع صنعاء الكبير فزادت فيه الجناح الشرقي ، وجددت عمارة الجامع ، وكان اسمها مكتوباً على الأحجار البيضاء التي بين الأبواب ، ولكن العصبية لم تترك من الكتابة غير البسملة ، ثم محيت البسملة في عصور متأخرة ، ووسعت جامع الجند وجددت بنائه ، واوقفت على الكثير من المساجد وعلى جامع ذي جبلة وعلى العلماء والمتعلمين أوقافاً واسعة ، وما زال جامع جبلة معهداً علمياً تدرس فيه الشريعة وعلوم القرآن والسنة والعربية الى ما بعد الثورة اليمنية ، ثم نقل المعهد الى مبنى خاص خارج الجامع ، هذا وذكر (عماد الدين ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي) في تأريخه (عيون الأخبار) ان بعض الملوك أراد اخراج جثمان الملكة أروى من قبرها في جامع ذي جبلة لدفنه خارجه ، فأمر بنبش القبر ، ونبش حتى انتهوا الى تابوت،ففتحوه ووجدوا فيه قفصاً مقفلاً ، ففتحوه ووجدوا فيه كتباً واحكاماً تشهد بأنها استثنت ذلك المكان عن المسجد لتُدفَن فيه ، وعلى ذلك توقيع القضاة وشهادات الشهود الثابتة عند الحكام ، ولم يجدوا الجثمان ، فردواذلك على ما كان عليه .

أما عن قوة نفوذها في الدولة الصليحية منذ عهد الملك المكرم ، وسيطرتها على شؤون الدولة الفاطمية فلا ادل على ذلك من استشارها بحكم المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية في اليمن في حياة زوجها الملك المكرم ، وتركها له في صنعاء ، وانتقالها هي الى مدينة ذي جبلة لإدارة المنطقتين المذكورتين قائلة

لزوجها كلمتها المأثورة وهي « إنّ امرأة تُراد للفراش لا تصلح لتدبير الملك فدعني وما أنا بصدده » .

ولما توفي الملك المكرم في حصن التعكر المطل على مدينة جبلة بعد ان حسنت له الإنتقال اليها اخفت موته حتى استصدرت امراً من الإمام المستنصر الفاطمي بولاية ولدها (علي بن المكرم) خلفاً لأبيه ، وكان ابنها المذكور طفلاً لا يتجاوز العشر سنوات ، مع علمه أي الإمام بأن الأبن المذكور طفل وان والدته الملكة أروى هي التي ستضطلع بشؤون الدولة والدعوة حتى يتمكن من الإضطلاع هو بالمسؤولية ، وكان الملك بذلك واثقاً من كفاءتها وقوة نفوذها في الدولة ، ولم تنفذ الملكة وصية زوجها الملك المكرم بخلافة الملك سبأ بن احمد له بعد موته ، وقَبِلَ الملك سبأ امر إسناد الإمام المستنصر خلافة الطفل علي بن المكرم لوالده على مضض .

ولما توفي الملك الطفل علي بن المكرم وتوفي قبله اخوه (محمد) الأصغر منه سناً ، قام الملك سبأ بن احمد يطالب بحقه الشرعي في تولي الحكم في كل انحاء المملكة الصليحية ، ومع ذلك فلم تمكنه الملكة أروى من ذلك ، مكتفية بما بنظره بالقسم الأعلى من اليمن وبالنيابة العامة ، فانتهج وسيلةً اخرى للاستيلاء على كل شؤون الدولة ، وهي وسيلة طلب يدها ، فأمتنعت وقامت بينهما مناوشات افضت الى الحرب ، دون ان يحقق حتى هدف الزواج منها ، ومع ذلك فإنه عاد واستصدر امراً من الإمام المستنصر بزواجه بها ، وبرغم ذلك فإنها لم توافق إلا على اجراء عقد النكاح ، ولم تزف اليه إلا ليلة واحدة حسب طلبه ليعود صبيحتها الى مقره في حصن (اشيح آنس) على ان رواية عمارة كما أسلفتُ تذكر ان الملكة أروى إنما أرسلتْ إليه تلك الليلة جارية تشبهها ، ولم تزف هي اليه ، وفشلت كل محاولاته وكل الوسائل التي اتخذها للاستيلاء على جميع شؤون الدولة والدعوة ، واكتفى بما بنظره في القسم الأعلى وبالنيابة العامة التي ربما ليست ألا مجرد تسمية بدون محتوى ، ولما استولى الفقهاء ومن ورائهم

بنو الزر الخولانيون على حصن التعكر اثناء تغيب وزيرها المفضل بن أبي البركات في زبيد ثم وفاته بعد عودته واثناء استيلاء الفقهاء على الحصن استطاعت الملكة اروى ان تستعيد الحصن بعد ان خيمت بجيشها خارجه وولت عليه مولاها (فتح بن مفتاح) .

ولما استولى عليه مولاها المذكور استطاعت الملكة اروى ان تستعيده منه بحيلة دبرتها مع مسلم بن الزر الخولاني واثناء زفاف ابنة فتح لمسلم بن الزر المذكور .

ولما استأثر مسلم بن الزر على الحصن أيضاً بعد إسناد الملكة أروى ولايته اليه ، استعادته منه بأن أمرت (عمرو بن عرفطة الجنبي) كبير قبيلة جنب في بلاد مغرب عنس من أعمال ذمار بأن يقبض على بلاد بني الزر في خولان ، واضطر ذلك مسلم بن الزر الى تسليم الحصن وأن يخرج منه .

ويذكر هنا ان مسلم بن الزر لما اشتدت وطأة قبيلة جنب على بلاده ، ارسل (يزيد بن عيسى الحميري) سلطان وحاظة في منطقتي الحزم وحبيش الى الملكة أروى يلتمس منها صفحها فارسلت له مبلغاً من المال ، فأعاد مسلم المال وقال للسلطان يزيد بن عيسى بن وائل : « هي تعلم ما ينفعني » وارجع لها المال وخرج من حصن التعكر الى حصن خدد ببلاد حبيش (وكان بيده وبيد اخيه (عمران بن الزر الخولاني) فكتبت الملكة لعمرو بن عرفطة الجنبي رقعة صغيرة جاء فيها قولها : « إذا جاءك امرنا هذا فارتحل عن بلد بني الزر مشكوراً » فأمر عمرو بن عرفطة منادياً ينادي في قبيلته بنداء الرحيل وهو (يا راشد بن مرواح) فلم تمض ساعات ولم يبق من قبيلة جنب في بلاد بني الزر احد ، ولما بلغ مسلم بن الزر ذلك قال لأخيه : هذا وربك العز والطاعة .

ولما حاول (ابن نجيب الدولة) المصري ان يستأثر بالسلطة في مدينة الجند ويتصرف دون الرجوع اليها ضربت عليه في الجند حصاراً شديداً اضطره الى استرضائها وطلب رفع الحصار عنه ، فأمرت (عمرو بن عرفطة الجنبي)

بالوصول اليها الى ذي جبلة بقبيلته ولما قدم بهم اليها أمرته بأن يعسكر حول المدينة كاجراء احتياطي قبل رفع الحصار عن ابن نجيب الدولة ، ثم ارسلت من يوزع في رؤساء القبائل المحاصرة لابن نجيب الدولة المال ويشعر افراد قبائلهم بأن ذلك من ابن نجيب الدولة . فطلب الأفراد من رؤسائهم بأن يعطوهم من المال فوعدوهم الى الصباح ، ومع الفجر انسحب الرؤساء خِلسةً من اصحابهم ثم انفضت الحشود عن حصار ابن نجيب الدولة ، وجاء هو اليها الى ذي جبلة يعتذر منها ، ويتنصل مما نسب اليه ، ويؤكد لها ولاءه وطاعته .

هذه بعض الأمثلة الدالة على مدى سيطرتها على شؤون الدولة وقوة نفوذها في مختلف مراحل عهدها الطويل ، وحتى آخر عمرها الذي ناهز التسعين عاماً قضت معظمه آمرة ناهية بكفاءة وحزم وحكمة ودهاء ، كما استولت على شؤون الدعوة الفاطمية في اليمن طيلة عهدها ، وبلغت مرتبة الحجة التي هي اعلى من مرتبة الداعي عند الفاطميين ، وانفصلت عن الدعوة للإمام الحافظ (عبد المجيد بن محمد بن المستنصر) وذلك منذ وفاة الإمام الآمر بالله بن الإمام المستعلي بن الإمام المستنصر (معد بن الطاهر) وقطعت دعوتها(٥١) للإمام الحافظ المذكور الذي خلفه في الحكم ، بحجة انتمائها الى المولود المستور (الطيب بن الآمر بالله) وقالت عن الإمام الحافظ وكلمتها المأثورة : « أنا أروى بنت أحمد ، بالأمس ولي عهد المسلمين واليوم امير المؤمنين ، لقد جرى في غير ميدانه وادعى أمراً يبعد عن مكانه » .

وأعلنت(٥٢) أهل دولتها ودعوتها انه قد نكث عهده ، وخالف رشده ،

---

(٥١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٨٤ . وقد اغتيل الإمام الآمر على ايدي النزارية بزعامة الوزير (ابي علي احمد بن الأفضل) في عام ٥٢٤ هـ ، واعلن الوزير المذكور ولاءه لأهل السنة وسجن الحافظ المذكور ، ولكنه افرج عنه ونُصب إماماً وقُتل الوزير المذكور .

(٥٢) نفس المصدر ص ١٩١ .

وادعى ما ادعاه الظالمون من قبله ، وارتقى لمقام ليس من أهله ، وكان انفصالها عن الإمام الحافظ وانتماؤها الى الإمام المولود الطيب بن الآمر هو عملاً[٥٣] بالسجل الذي بعث به اليها الإمام الآمر قبيل موته وذلك صحبة الشريف (محمد بن حيدرة) ، اعلمها فيه بقدوم مولوده (الطيب في اليوم الرابع من شهر ربيع الآخر من عام (٥٢٤ هـ) وأوصى في السجل المذكور بأن يخلفه ابنه الطفل المذكور ، وأمرها فيه بأن تعلن ذلك على الدعاة والأتباع .

وبانفصالها عن الإمام الحافظ الموجود صاحب الحول والطول ، والقوة والنفوذ ، وبانتمائها الى الإمام المستور المولود (الطيب بن الآمر) الذي لم يُعَلَم مكانه فضلاً عن ان يكون له اثر وفعل اضعفت مركزها ، وشجع (آل زريع) نوابها على عدن وعمالها على الانفصال عنها نهائياً في آخر عهدها ، يشجعهم انتماؤهم الى الامام الحافظ المذكور ، بعد[٥٤] ان قدم اليهم (الرشيد أبو الحسن أحمد بن علي الغساني) الأسواني ، موفداً من الإمام الحافظ لدعوتهم الى مبايعته ومتابعته والإنتماء اليه ، وأقام الرشيد في عدن عدة سنوات ، لضمان استمرار ولائهم للحافظ فيما يبدو ، وقد ظلت رغبة آل زريع في الانفصال عن الصليحيين والاستقلال بالحكم لما هو تحت نفوذهم عن الصليحيين تراودهم منذ زمن بعيد ، وصاروا يقطعون الأتاوة التي كانوا يؤدونها للملكة أروى ، وكانت الملكة تغزوهم وتجبرهم على مصالحتها على قدر أقل من الأتاوة التي يؤدونها ، ثم قطعوها كليةً منذ انتمائهم الى الإمام الحافظ الفاطمي التي انفصلت عنه كما عرفنا ، وقد توفيت الملكة أروى كما سنعلم في عام (٥٣٢ للهجرة) وبذلك يكون (آل زريع) قد استقلوا نهائياً عن الصليحيين لفترة تسع سنوات تقريباً من آخر حكمهم إذْأنَّ الملكة أروى هي آخر من حكم من الصليحيين ، وانفصال آل زريع عنها كان في عام (٥٢٤ أو ٥٢٥ للهجرة) .

---

(٥٣) نفس المصدر ص ١٨٢ .

(٥٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٩٠ .

إلا أنّ[٥٥] الملكة أروى بعد انفصالها عن الإمام الحافظ الفاطمي وانتمائها الى الإمام المولود المستور (الطيب بن الآمر) فصلت الدعوة عن الدولة ، واسندت شؤون الدعوة الى قاضي القضاة (لمك بن مالك الحمادي) ثم الى ولده بعد موته القاضي (يحيى بن لمك) ، يسانده السلطان (الخطاب بن الحسن بن الحفاظ الحجوريّ) صاحب (الجريب) في لواء حجة من بلاد حجور ، وكان أخا الملكة اروى من الرضاعة ، ثم الى الذؤيب بن موسى الوادعي . ولقد كانت الملكة (اروى بنت أحمد الصليحي) مؤمنة فعلاً بوجود الإمام المولود ، بدليل[٥٦] ايصائها الى السلطان أحمد بن أبي الحسين بن ابراهيم بن عمر الصليحي) بأن يوصل اذا وافتها المنية كل ما ذكر في وصيتها من مجوهرات ومصوغات وغيرها الى باب الإمام الطيب ، وأن يأخذ عليها الخط الشريف الأمامي بوصول ذلك ، علماً بأنه لم يذكر في الوصية ولا في المصدر مكان الإمام المذكور ، ولم يعلم ما اذا كان الوصي قد نفذ الوصية بالفعل أم لا ؟

الوزير المفضل بن أبي البركات

وأما عن وزارة الملكة اروى بنت أحمد الصليحي ، فإن من ابرز وزرائها بعد وفاة زوجها الملك (المكرم احمد بن علي الصليحي) عامله على حصن التعكر (المفضل بن أبي البركات الحميري) وأقرته مع ذلك على ولايته على حصن التعكر وأعماله بعد أبيه وأخيه (خالد) ، وكان الحصن المذكور يعتبر مقر ذخائر الصليحيين ومستودع أموالهم ، وقد اتخذ المفضل الحصن المذكور مقراً رئيسياً له ، وكانت الملكة أروى تقيم فيه في الصيف ، فاذا دخل الشتاء عادت الى مدينة (ذي جبلة) مكان إقامتها الدائم وعاصمة دولتها ، واضطلع المفضل بن أبي البركات بالشؤون العسكرية الى جانب شؤون الدولة الإدارية وفقاً لتوجيهات الملكة أروى ، وكان يختفي أياماً فلا يطمع احد في الوصول اليه ، ثم يبرز للناس فيغني كل من يقابله ويقضي جميع حاجات من يفد اليه ، وغزا

---

(٥٥) نفس المصدر ص ١٩٣ .

(٥٦) الصليحيون والحركة الفاطمية ص ١٨٦ .

امارة (آل نجاح) و(آل زريع) في عدن ، وتوفي في عام (٥٠٤) للهجرة ، في قصة لخصها عمارة[٥٧] بقوله : « ولما أخرج (المنصور) بن فاتك بن جياش من قبل عمه (عبد الواحد بن جياش) هاجر هو رعبيده الى الملك (الوزير) المفضل، اوالتزموا على النصرة ربع البلاد ، فسار المفضل معهم ، وأخرج عبد الواحد وملّكهم ، ثم همَّ أن يغدر بهم ويملك زبيد عليهم ، فحين خلا التعكر من المفضل وطالت اقامته بتهامة وفي التعكر نائب يقال له الحمل ، وكان هذا الحمل متقمصاً متمسكاً بالدين ، فصعد اليه الى التعكر سبعة من اخوانه الفقهاء و منهم (محمد بن قيس الوحاظي) ومنهم (عبد الله بن يحيى) ، ومنهم (ابراهيم بن محمد بن زيدان) ، وله كانت البيعة وهو عمي اخو والدي لأبيه وأمه ، وأخذوا الحصن من الحمل ، وكانت الرعايا من السُّنَّة قد قالوا للفقهاء : « اذا حصلتم في رأس الحصن فأوقدوا النار . ففعلوا ذلك ليلاً ، فأصبح عندهم على باب الحصن عشرون ألفاً ، واستولت الفقهاء على ملك لم يعهد ، ووصل الخبر الى الأمير المفضل ، بتهامة فسار لا يلوي على أحد ، حتى وصل الى التعكر ، فطلع عزان التعكر (أحد فروع التعكر) وصار محاصراً للتعكر ، وحصر الفقهاء ، فقامت خولان (التي كانت قد تمركزت في المنطقة برئاسة بني الزر الخولاني) في نصرة الفقهاء ، وأقام الحصار عليهم ، ثم رأوا أن خولان خاذليهم ، فقال (ابراهيم بن زيدان) : « لن أموت حتى اقتل المفضل ، ثم أهلاً بالموت ، فعمد الى حظاياه من السراري فأخرجهن في أكمل زي وأحسنه ، وجعل بأيديهن الطارات ، وأطلعهنّ على سقوف القصور بحيث يشاهدهنّ ، وكان المفضل أكثر الناس غيرة وانفة ، فقيل أنه مات في تلك الليلة ، وكان موته في رمضان سنة أربع وخمسمائة للهجرة .

ولما مات المفضل طلعت الحرة الملكة من ذي جبلة وخيمت بالربادي ، على باب التعكر وكاتبت الفقهاء ولاطفتهم الى ان كتبت لهم بخطها بما اقترحوه

(٥٧) في تأريخه المفيد حواشي كاي ص ٧٢ . وقد نشرت ما ذكره عمارة في مفيده بنصه لأعطاء القارىء صورة شبه كاملة عما كانت عليه احوال ذلك العهد .

من أمان وأموال ، واشترطوا عليها أن ترحل هي وجميع الحشود ، ويصل اليهم من يرضونه والياً ، ويقيمون الوالي الى أن تصل غنائمهم مأمنهم ، فوفت لهم بذلك ، وولت التعكر مولاها (فتح بن مفتاح) » وأضاف عمارة قائلاً : « وحدثني السلطان ناصر بن منصور قال حدثني عمك ابراهيم بن زيدان بعد نزوله من التعكر أن نصيبه من العين كان خمسة وعشرين ألفاً ، وكانت خولان قد دخلت منها الى مخلاف جعفر قبل موت الملك المفضل ستة آلاف برمي الشعر (يظهر أنه يصفهم بأنهم رماة يجيدون رمي الشعرة كما يقال) وأكثرها بنو بحر وبنو ضنة ومران . ورواح ورازح وشعب حي وبني جماعة (فهم إذا من خولان بن عمرو في بلاد صعدة لا من خولان العالية (خولان صنعاء) ففرقهم المفضل في الحصون واستحلفهم للملكة » .

ولما ولي (فتح بن مفتاح) مولى الملكة أروى على حصن التعكر استولى عليه ، فدبرت الملكة حيلة لاخراجه منه بأن اوعزت الى (عمران بن مسلم بن الزر الخولاني) بأن يتقرب منه ويتلطف به حتى يأنس منه ثم يخطب منه ابنته ، لنفسه ، ولما كان يوم الزفاف هاجم جنود الملكة الى الحصن باسم المشاركة في وليمة العرس ، واستولى عمران على الحصن باسم الملكة ، وخرج[٥٨] فتح بن مفتاح بجواره الى حصن شار في بلد شار من أعمال اب ونقل اليه ذخائره وامواله ، وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٥٠٥) للهجرة .

وأقام عمران بن الزر في حصن التعكر وأصابه الغرور بدوره وظهرت منه دلائل عزمه على الاستيلاء عليه ، كما قام والده مسلم بن الزر الخولاني بالاستيلاء على حصن خدد من اعمال حبيش بعد ان اخرج منه عامله الشاعر الأديب (عبد الله بن يعلى الصليحي) ، ثم اطلق بنو الزر لقبائلهم العنان في المنطقة فعاثوا وافسدوا .

ولم تسع الملكة أروى ازاء تصرف بني الزر إلا ان امرت (عمرو بن

(٥٨) مفيد عمارة ص ٧٤ .

عرفطة الجنبي) زعيم قبيلة[٥٩] جنب في بلاد ذمار بأن يقبض على بلد بني الزر بقبائله ، وهنا قال عمارة في تأريخه[٦٠] : « ولقد حكى لي السلطان يزيد بن عيسى الوائلي قال : اذكر وقد ارسلني عمران بن الزر الى الحرة الملكة وهو مصاف للعرب ، يستنجد بالحرة ، فبعثت اليه بعشرة آلاف دينار ، معونة ، فردها اليها وقال : هي تعرف ما ينفعني ، قال يزيد بن عيسى فكتبت لي بخطها الى عمرو بن عرفطة الجنبي ، برقعة فيها : اذا وقفت على امرنا هذا فارتحل عن بلاد ابني الزر مشكوراً .

فلما وقف عمرو بن عرفطة الجنبي عليها نادى الناس بشعار الرحيل وهو قوله : يا راشد بن مروح ، فلم تمض ساعة وبقي منهم احد ، فقال عمران لأخيه هذا وربك العز والطاعة» كما سبق .

واذعن بنو الزر وتخلوعن التعكر وخدد ، وكفوا اصحابهم عن العبث بالناس .

هذا وقد وصف (المفضل بن أبي البركات بالحزم والسخاء وكان مقصوداً ممدوحاً من الشعراء ، وممن قصده الشاعر مواهب بن جديد المغربي ومدحه بقصيدة منها :

يا مالك الدين والدنيا وأهلها   ومن بعروته الإسلام ممتسك
قد قيل جاور لتغني البحر أو ملكا   فأنت يا ابن الوليد البحر والملك

وللمفضل باسم الملكة اروى اعمال عمرانية جليلة ، ومنها : شق مجرى ماء الجند من خنوة الى الجند في اعماق الجبال بشكل هندسي رائع ، وقد تحدث عن ذلك مؤلفاً كتاب (الصليحيون[٦١] والحركة الفاطمية في اليمن) فقالا : « وذلك انه حفر في الصفا حفراً عديدة وخرق بعضها الى بعض ، واجرى الماء

---

(٥٩) قبيلة جنب كانت في ذلك التأريخ من أكبر القبائل النازحة من جنب الكبرى في بلاد صعدة التي هي من مذحج الى بلاد مغرب عنس ، وما تزال الى اليوم تعرف بالجنبيين .

(٦٠) المفيد ص ٧٥ .   (٦١) ص ١٦٦ .

فيها في مواضع لا يصدق بها إلا من رآها ، ثم لما جاء الى موضع بين جبلين أمر الصناع فبنوا جداراً من الجبل الى الجبل طوله مئتا ذراع ، وعرضه نحو من عشرة اذرع بالحديد وارتفاع نحو من خمسين ذراعاً ، (كجسر بين الجبلين ليمر الماء فوقه ؛ وقد أشاد الشعراء بذلك العمل الجليل ومنهم القاضي (أبو بكر اليافعي) حيث مدحه بقصيدة منها :

وأقل مكرمة له وفضيلة اجراؤه للغيل في الأجناد
شقَّ الجبال الشامخات كأنما كانت معالمها متون وهاد
فاليوم اصبح ماء خنوة وهو في الجند العزيزة منهل الوراد
فخر المفضل بالفضائل كلها بمثابة الأرواح في الأجساد

كما قام المفضل باسم الملكة بتجديد جامع الجند في مقدمه وجناحيه وهو ما هو مبني بالحجر وسقفه .

وكان قد داخله الغرور وطمع في ان يستقل بحصن التعكر عن الملكة ، فقال للملكة[٦٢] يوماً وهي في التعكر : « انظري يا مولاتنا الى ما كان في هذا الحصن من ذخائرك فأنزلي به الى دار العز ، أو فأعزليه في بعض هذه القصور ، أما هذا الحجر (يعني حصن التعكر الرئيسي) فلا طاعة لك على ما فيه بعد هذا اليوم ، فقالت له : « لو لم تقل هذا القول ما أحوجتك اليه ، الحصن حصنك ، وأنت رجل البيت ولا حرج عليك » فخجل منها وأطرق ، ونزلت الملكة الى مدينة (ذي جبلة) وكان المفضل يعرض عليها طلوع الجبل ويسترضيها فلا تفعل ، وهي مع ذلك تواصل بره بما يحسن موقعه عنده من الجواري والعبيد والأستاذين والكساوي والتحف والطيب ، ولم تسمع وشاية احد فيه .

الوزير اسعد بن أبي الفتوح

وقد خلفته الملكة بعد موته بابن عمه (اسعد بن أبي الفتوح بن العلاء بن

(٦٢) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٦٧ .

الوليد الحميري) نقلاً له من ولايته على جبل صبر وأعماله ، وعلى حصن تعز (قاهرة تعز) ومدينة تعز بعد والده ، وأقرته مع ذلك على ولايته التي أناب عنه فيها ، فاضطلع بمهام الدولة الإدارية والعسكرية ، ولكنه لم يسد مسد (المفضل بن ابي البركات) ، ثم[٦٣] غدر به رجلان من اصحابه فقتلاه بين البابين في حصن تعز سنة (٥١٤) للهجرة .

الوزير ابن نجيب الدولة

ولما تعقدت[٦٤] الأمور على الملكة اروى ارسلت الى الحكومة المصرية تطلب منها اعارتها مستشاراً ليساعدها في تدبير شؤون الدولة ، وكانت الدولة الفاطمية في مصر قد شعرت مع ذلك بتزعزع مركز الدولة الصليحية ، فبادر الوزير الأفضل ابن امير الجيوش بدر الجمالي في سنة (٥١٣) للهجرة بارسال الأمير الموفق (علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة) بصحبة عشرين فارساً منتقاة مختارة الى بلاد اليمن ليقوم بهذه المساعدة ، وقدم ابن نجيب الدولة من مصر الى اليمن قبل وفاة (اسعد بن أبي الفتوح) الحميري ، فقررت الملكة اقامة ابن نجيب الدولة في مدينة جبلة للاستشارة والمناورات الحربية ، وكان متفقهاً في اصول الدعوة الفاطمية ، مستبصراً في مذهب الشيعة ، وكان على خزائن الكتب الأفضلية بمصر وكان موضع ثقة الخلافة الفاطمية ،ولا بدّ ان يكون مكلفاً في تعزيز مركز الملكة اروى ، بعد ان طمع فيها زعماء البلاد ، واستقلوا بما تحت أيديهم ، إلا ان القوة الرمزية المكونة من عشرين فارساً والتي جاءبها معه من مصر تدلنا على ان الدعم من الدولة الفاطمية للملكة اروى هو معنوي اكثر منه مادياً ، وقد تركت لابن نجيب الدولة صلاحيته في التصرف بما يتناسب والموقف ، وفعلاً[٦٥] فإنه استخدم فور وصوله الى اليمن اربعمائة فارس من

---

(٦٣) الصليحيون ص ١٦٨ .

(٦٤) نفس المصدر والصفحة .

(٦٥) نفس المصدر ص ١٦٩ .

همذان وغيرهم، وقدّم عليهم (الطوق بن عبد الله الهمداني) واشتد بهم جانبه ، وقويت شوكتـه ، وتمكن من وضع حـد للخلافـات الداخليـة ، واعادة الأمن والطمأنينة الى النفوس ، وكان أول عمل قام به هو تأديب الخولانيين ، الذين كانوا قد بسطوا ايديهم على الناس ، واستهانوا بالسيدة الحرة، فطردهم من ذي جبلة ونواحيها ، واوقع بمن بقي منهم حتى لم يبق منهم إلا من كان منتسباً الى الملكة اروى ، ولما رأت الملكة ذلك أمرته بأن يسكن في مدينة الجند ، فضـاق بـه سـلاطـين اليمن ، وقـد أمنت البـلاد ، وأستقـرت الأحـوال ورخصت الأسعار بحسن سياسته وتدبيره ، وأقام العدل ، وعف عما في ايدي الناس من الأموال ،وأقام الحدود وعزّ به جانب الملكة وانقمع أهل الأطراف عن الـطمع والاستقلال بها .

وفي سنة (٥١٥) للهجرة امدّ (مأمون البطائحي) وزير الإمام الآمر بالله الفاطمي في مصر بعد وفاة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ، بالمال والرجال وكانت القوة التي امده بها مكونة من اربعمائة قوس ارمني ، وسبعمائة أسود ، فقوي جانبه اكثر وعلا شأنه عند الملكة .

وقد أطمعـه هذا المركز الحربي الممتاز في غزو (آل نجاح) في تهامة في عام (٥١٨) للهجرة ، ولكنه فشل في تحقيق نصر على النجاحيين وهزم جمعه ، وكان القائم على امارة آل نجاح هو (من الله الفاتكي) ونجا ابن نجيب الدولة بصعوبة وبفضل صمود الطوق بن عبد الله الهمداني واصحابه من همدان وعاد الى الجند ، ثم الى ذي جبلة واجتمع بالملكة التي أيدته بالمال والرجال وقوت من معنويته ، وعـاد الى ما كـان عليه من القـوة والبأس ، حتى اصـابه الغـرور ، وحاصرته الملكة ثم رفعت الحصار عنهُ كـما علمنا ، في فصـل (ميزة حكـومة الملكة اروى) وساءت احواله بعد ذلك واستعاده الفاطميون الى مصر في عام (٥٢٤) للهجرة .

وقد[٦٦] استوزرت الملكة أروى بعد مغادرة (ابن نجيب الدولة) لليمن (علي بن عبد الله الصليحي) ابن اخي الملك (علي بن محمد الصليحي) ولقب بفخر الخلافة ، وأسندت الى الداعي (ابراهيم بن الحسن الحامدي) شؤون الدعوة التي كانت قد فصلتها عن شؤون الدولة مساندا فيما يبدو للذّويب الوادعي ، وقد مات عقب ذلك ، واستمر الداعي الذّويب بن موسى الوادعي وكان قد دبّ الضعف والهرم الى دولتها ، بسبب كبر سنها ، وبعد سفر (ابن نجيب الدولة) من اليمن عائداً الى مصر ، وافتقادها الى الرجل الكفوء الذي يمكن ان يسد مسد ابن نجيب الدولة ويذب عن اطراف مملكتها ، ويحميها عن الطامعين ، ومن هؤلاء : (عمران[٦٧] وسليمان ابني مسلم بن الزر الخولاني) اللذين دخلا على الملكة بعد مغادرة ابن نجيب الدولة لليمن ثم خرجا من عندها شامتين وقالا : « صدق الفقه في قوله : « قال ابن عباس رضي الله عنه : كنا ندخل على عائشة نسمع منها الحديث فلا نخرج من عندها حتى نعلم انها امرأة » وكان ذلك آخر دخولهما عليها وامتنعا في حصن خدد ببلاد حبيش .

كما امتنع عليها الكثير من ولاة الحصون وعمال المناطق ، ومن ابرز هؤلاء (آل زريع) نوابها على عدن واعمالها الذين انتهزوا فرصة امتناعها عن الانتماء والولاء للإمام الحافظ عبد المجيد الفاطمي ، وانتمائها الى المولود المستور الطيب بن الإمام المستعلي الفاطمي ، الذي لم يعلم مكانه ،فضلاً عن أن يكون له نفوذ وسلطان تستند اليه ، وتستمد منه العون والسند كما فعلت في الماضي ، مع الإمام الفاطمي الآمر بالله حين طلبت منه المساندة فبعث اليها ابن نجيب الدولة ، ولكنها مع كل ذلك عالجت تلك الفترة العصيبة من حياتها وحكمها بين عامي (٥٢٥ - ٥٣٢) للهجرة بصبرها وبصيرتها ، وظلت تتمتع بفضل

---

(٦٦) الصليحيون ص ١٧٤ .

(٦٧) عمارة في المفيد حواشي كاي ص (٨٠) .

حكمتها وحنكتها باحترام واجلال الجميع ممن ظلوا علـى ولائها ، أو انفصلوا عنها .

وكانت وفاتهـا كما علمنـا في عام (٥٣٢) للهجـرة عن عمر بلغ اثنـين وتسعين عاماً ، وحكم تجاوز اثنين وسبعين عاماً ، أي منـذ عهد اليهـا زوجها الملك المكرم (احمد بن علي الصليحي) بادارة شؤون المنطقة الوسطى والجنوب في اليمن ، وتركته بصنعاء ، وانتقلت الى مدينة ذي جبلة كما مرّ بنا .

اما ما كان بنظرها فأرجح آراء المؤرخين انها لم تعهد به الى احد ، مكتفية بقيـام ابن البيت المالـك (علي بن عبـد الله الصليحي) المذكـور بـالـوزارة ، والاضطلاع بالضرورة بادارة شؤون الحكم فيه ، والسيطرة[٦٨] عليه ، ولكنه مع ذلك تجزأ بينه وبين (منصور بن المفضل بن أبي البركات) الذي كان متولياً من قبل الملكة على عدد من الحصون والمناطق وعلى ذي جبلة نفسها ، ولم يذكر في المصادر التي في ايدينا كيفية مصير ما بنظر (علي بن عبد الله الصليحي) ، وإنما ذكر[٦٩] ما بنظر (منصور بن المفضل بن أبي البركات) وهو بيعه له عند كبر سنه وعجـزه عن ادارته الى الامـير (محمد بن سبـأ) آل زريع بمـائة ألف دينار ، وذلك في عا م (٥٤٧) للهجرة .

ويبدو مما ذكـره بعض[٧٠] المؤرخين ان (عـلي بن عبد الله الصليحي) المـذكور ورث امـلاك بيت الصليحي بعد وفـاة السيدة الملكـة ، وأن الأميـرة (أروى بنت علي بن عبد الله الصليحي) كانت مقيمة في قصر الملكة أروى ، حينما طلقها (منصور بن المفضل بن أبي البركات) وتزوجها الملك (محمد بن سبأ آل زريع) عند شرائه لما بنظر منصور بن المفضل ، وورث أو وضع يده على ما كان بنظر (علي بن عبد الله الصليحي) بعد ان تـزوج ابنته ، وربما

---

(٦٨) الصليحيون ص ٢٠٩ .

(٦٩) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ٨٨ .

(٧٠) الصليحيون ص ٢٩٠ حاشية رقم ٤ .

بعد موته وقد انتقل منصور بن المفضل الى حصن تعز (قاهرة تعز) وأقام فيه الى موته عام (٥٥٢) للهجرة ، وخلفه على ذلك ولده (احمد) الذي استمرّ في نفوذه عليه حتى شراه منه (علي بن مهدي الرعيني) وا نتقل هو الى مدينة الجند الى وفاته عام (٥٦٣ هـ) .

وبسقوط الدولة الصليحية صار اليمن مجزءاً على النحو الآتي :

(الأئمة) في القسم الأعلى من اليمن في بلاد صعدة وما جاورها .

و(آل حاتم) الهمدانيون في صنعاء وأعمالها ، وقد اقتطعوا امارتهم من جسم الدولة الصليحية واستقلوا عنها ، بعد موت الملك (سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) وقد كانوا نوابه في حياته عليها .

و(آل زريع) الهمدانيون أيضاً في عدن وأعمالها ، وقد انفصلوا عن دولة الملكة اروى بنت أحمد الصليحي في آخر عهدها وذلك بعد انفصالها هي عن فاطمية مصر ، وامتناعها عن الانتماء الى الإمام الفاطمي الحافظ عبد المجيد ، وانتمائها الى الإمام المستور المولود الطيب بن الآمر بالله كما عرفنا .

و(آل نجاح) في تهامة ، وقد استعادوا امارتهم فيها منذ الأمير جياش بن نجاح في عهد المكرم احمد بن علي الصليحي ، واحتفظوا بها الى ما بعد سقوط الدولة الصليحية كما سنعلم .

و(أشراف المخلاف السليماني) في هذا المخلاف شمال تهامة من بلاد عسير .

وخليفتا الملكة أروى بدون عهد منها ، وهما آخر وزرائها (علي بن عبد الله الصليحي) والأمير (منصور بن المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري) ثم ولده (احمد) ، في بعض اجزاء ما كان بنظر والده كما علمنا .

ثم رؤساء بعض القبائل في بعض الحصون التي وضعوا أيديهم عليها ، وسيطروا في منطقتها فيما يبدو ، كبني الزر الخولانيين في حصن خدد من بلاد

حبيش وغيرهم .

عموماً فقد هيأ ذلك التجزؤ والانقسام الداخلي في اليمن لآل زريع ان يتوسعوا في نفوذهم الذي كان محصوراً في عدن واعمالها ، الى مناطق واسعة اخرى في مخلاف الجند ومخلاف جعفر ومخلاف المعافر (الحجرية) وغيرها ، وهيأ بصورة اشمل وأعم لبني أيوب امكانية القضاء على كل الإمارات اليمنية ، وكل السلطنات والمشيخات فيه ، واقامة حكم بني أيوب الشامل لجميع اجزاء اليمن تقريباً ، بعد قضائهم على كل امارة ومشيخة على حدة كما سنعلم ، وبعد قضائهم أولاً على دولة الفاطميين في مصر والشام والحجاز كما سنعلم أيضاً .

اسباب سقوط الدولة الصليحية

تتلخص اهم هذه الأسباب بالآتي :

١ ـ عدم اعتناق اليمنيين لمذهب الشيعة الفاطمية التي انتمت الدولة الصليحية اليها بصورة عامة ، بسبب الغازها ومعمياتها ومبدئها الظاهر والباطن ، وقيام إمام ظاهر وإمام مستور في بعض عهود دولتهم وبالذات في آخر عهودها ، واعتناق اليمنيين لمذهب أهل السنة وعقيدتها ، وإن اختلفوا في فروعها.

٢ ـ رغبة زعماء اليمن ورؤسائه في العودة الى السيادة المحلية ، بسبب عدم تعودهم الخضوع لحكومة مركزية ، أو ما يشبه الحكم المركزي .

٣ ـ عدم وجود الشخصية القادرة على خلافة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي ، وحفظ كيان ما تبقى في الدولة الصليحية بعد وفاتها .

وقد علمت هي ذلك فلم تعهد بالحكم الى احد بعدها ، بل تركت الدنيا (رحمها الله) تاركة لليمنيين تدبير شؤونهم ، سيما ولم يعد هناك إمام فاطمي قائم ذو نفوذ وسلطان تعيد الأمر في تعيين خليفة بعدها اليه ، لأنها (كما علمنا) لم تنتم الى الإمام الحافظ عبد المجيد الفاطمي ، وإنما انتمت الى امام

مولود مستور هو الإمام (الطيب بن الآمر) الذي لم يعلم مكانه في حياتها ولا بعد موتها ، فضلاً عن ان يكون له نفوذ وسلطان .

٤ ـ صمود (آل نجاح) حكام تهامة امام الصليحيين ، بسبب عدم قدرة هؤلاء على القضاء النهائي عليهم ، وكانت الفرصة سانحة لهم بعد مقتل سعيد الأحول بن نجاح ، وفرار اخيه جياش بن نجاح الى الهند ، وبقائه فيها تسعة أشهر كما علمنا ، وصارت امارة (آل نجاح) مصدر قلق للصليحيين .

٥ ـ الجهد العسكري الذي تحملته الدولة الصليحية منذ قيامها وطيلة عهدها في حرب آل نجاح وغيرهم من الخارجين عليها ، وفي حرب الأشراف من الأئمة واتباعهم ، وفي حروبهم مع مختلف الزعامات المحلية التي لم تألف الخضوع للحكم المركزي .

ولذلك فإنه ما ان قتل الملك أبو الحسن علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية وباني صرحها ، حتى بدأت تتقطع اوصال الدولة التي اقامها على اساس من القوة ، ولم يبنها على قاعدة شعبية تضمن دوام الولاء لها واستمرارها . وبالتدريج انفصلت عنها الأمارات والمشيخات التي ارتبطت بها في عهد (أبي الحسن الصليحي) ، وأرهق الجهد الحربي الدولة الصليحية ، واعجزها عن الاستمرار في الذوذ عن الدولة ، ومنع انفصال عدد من الأمارات التي كانت مرتبطة بها ، كإمارة آل ززيع وامارة آل حاتم وغيرهما ، وكأن الملكة اروى بنت أحمد الصليحي بعد موت النائب العام للدولة الملك (سبأ بن أحمد الصليحي) وشريكها في بعض اجزاء الدولة ، ثم موت كبير وزرائها (المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري) وعدم سد خلفه الوزير (إسعد بن أبي الفتوح) ثم الوزير(علي بن عبد الله الصليحي) مسده ، وبعد سفر ساعدها القوي الذي كان الفاطميون في مصر قد أمدوها به لمساندتها في الحكم بعد وفاة وزرائها المذكورين (ابن نجيب الدولة) ، كأنها شعرت بالعناء وبجسامة العبء الذي تنوء به . على

فقدانها السند المعنوي مع ذلك من الفاطميين بعد انفصالها عن الإمام الفاطمي الحافظ عبد المجيد ، فاسترخت طيلة السبع السنوات الأخيرة من عمرها وحكمها . وتركت الأمور تسير كما شاءت وشاء لها القدر . وبذلك كانت هي آخر من حكم في الدولة الصليحية .

٦ ـ الهوة الكبيرة التي كانت تفصل بين الحكام والمحكومين في الدولة الصليحية ، وتحول بالتالي دون قيام التعاون والتضامن بينهما ،وهما الشرط الأساسي لبقاء الحكم ، وكانت تلك الهوة هي بسبب الدعاية السيئة التي كان اعداؤها يشيعونها ضد عقائدها ومبادئها ، وقد كانت هذه الهوة أقوى اثراً في النفوس من الحرية المذهبية التي أتاحها الصليحيون للناس ، ومن الإصلاح والعدل والرخاء التي وفرها الصليحيون في اليمن طيلة حكمهم ، والتي لا سبيل الى انكارها .

علاقة الدولة الصليحية بالأئمة الزيدية في اليمن

على[(١)] الرغم من ان كلا الدولتين الصليحية والزيدية شيعيتان ، تنتميان الى آل علي بن أبي طالب ، إلا أنّ الخلاف بينهما ما زال عقائدياً .

فالزيديون يعارضون الأسماعيليين ، ويرون في مذهبهم خروجاً عن قواعد الدين الحنيف ، بسبب آرائهم الظاهرية والباطنية ، وغير ذلك مما يختلفون معهم فيه ،ويروجون حولهم أسوأ الاشاعات وأبشعها ، ولذلك فإنهم أي الأئمة الزيدية اعلنوا معارضتهم للفاطميين ولدعاتهم الصليحيين وغيرهم ، وكانت المعارضة مع ذلك سياسية اكثر منها عقائدية ، لأنهم رأوا ان نفوذ الصليحيين في اليمن يهدد نفوذ الزيدية فيه .

فتصدى الأمير (جعفر بن قاسم بن علي العياني) لأبي الحسن (علي بن محمد الصليحي) فور قيام هذا بدعوته كما علمنا ، ولكن الأمير جعفر فشل

---

(١) اليمن في ظل الإسلام ص ١٨١ بتصرف .

في تحقيق النصر الذي كان يرجوه ، ولاذ بالفرار بعد ان قتل الصليحي حليف الأمير جعفر (جعفر بن عباس الشاوري) صاحب بلاد مسور ، اثناء المعركة التي قامت بينهما .

وأثبتت تلك المعركة وغيرها من المعارك الحربية التي خاضها (أبو الحسن الصليحي) مع مختلف القوى المعارضة له مقدرته العسكرية ، وزادت من هيبته في قلوب الناس . كما أضعف انهزام الأمير (جعفر العياني) جانب الإمام (أبي الفتح الديلمي) وتفرق عنه اتباعه وجنوده وصار يتنقل من بلد إلى آخر ، محاولاً تجميع قواه وحشد الناس حوله لمحاربة (أبي الحسن الصليحي) حتى صار في بلاد عنس من بلاد ذمار ،واليه هاجمه (أبو الحسن الصليحي) وقامت معركة بينهما انهزم فيها جند الإمام وقتل هو ، وعاد الصليحي الى صنعاء ظافراً ، وذلك في عام (٤٤٤) للهجرة وكانت المعركة ومقتل الإمام في القاع الذي عرف الى اليوم بقاع الديلمي شرق ذمار .

ومع ذلك فقد تحالفت قوى أخرى معارضة للصليحي بقيادة(سلامة بن الضحاك الحاشدي) و(علي بن ذعفان الحاشدي) وغيرهما وتجوّلت في كثير من البلدان لتأليب المقاتلين ضد أبي الحسن الصليحي ، وانضم اليها الأمير جعفر بن قاسم العياني) ، وتجمعت الحشود في مدينة حاز الأثرية من بلاد همدان صنعاء ، وقد فاجأها (أبو الحسن الصليحي) على رأس جموعه ، وألجأها الى الانهزام ، إلا أن الشريف جعفر لاذ مع ألف من المقاتلين بحصن هرابة في وادعة حاشد ، فتبعه أبو الحسن الى معقله وحاصره ومن معه اكثر من شهرين ، وقطع عنهم المدد والماء وضرب قرية هرابة وحصنها بالمنجنيق حتى اضطره الى الاستسلام ، واحسن الصليحي استقباله واكرمه وخلع عليه وعاد به الى صنعاء وقال كلمته المشهورة وهي : « لو كان لي مثل رجال الهرابة لملكت بهم الروم » ثم هدم الحصن والقرية عن آخرهما كما علمنا في موضعه .

ولما قتل (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) دعا الإمام حمزة بن أبي

هاشم ، وجمع جموعه لحرب المكرم (احمد بن علي الصليحي) ، وقد بادره المكرم بجيش بقيادة (السلطان عامر بن سليمان الزواحي) الى الملوي من بلاد أرحب حيث كان مع حشوده فيها ، وقامت معركة بينهما انهزم فيها جيش الإمام بعد مقتله وعاد جيش المكرم ظافراً ، وكان ذلك في عام (٤٥٩) للهجرة وهو عام مقتل ابي الحسن الصليحي .

ومع ذلك فلم ييأس الاشراف من محاولة القضاء على الصليحيين اذ جمع الأخوان الشريفان الفاضل القاسم وذو الشرفين محمد ابنا جعفر بن القاسم بن علي العياني في شهارة الكثير من القبائل ، وقامت حرب بينها وبين الصليحيين في عهد الملك المكرم في بلاد شهارة وفي بلاد صغدة وفي بلاد الجوف وفي بلاد الشرف من بلاد حجة كان النصر حليف الأشراف في معظمها ، وقد شجعهم ذلك على مواصلة حرب الصليحيين حتى دنوا من أبواب صنعاء ، وضربوا حصاراً شديداً عليها عانى منه أهل صنعاء متاعب كثيرة ، ومع ذلك فلم يستسلم الملك المكرم .

ثم انصرف الشريفان الأخوان الى بلاد مسور حجة ، وتركا بعض قواتها لمواصلة حصار صنعاء .

وكانت حربهما في بلاد مسور فاتحة النصر للصليحيين ، اذ انتصر انصارهم وجنودهم فيها ودارت الدائرة عليهما ، وملّ جنودهما مع ذلك الحرب وتفرقوا عنهما ، كما ارتفع المحاصرون لصنعاء ، اما هما فانصرفا من بلاد مسور في محاولة اخرى لتجميع المقاتلين من جديد ، وسار الفاضل الى بلادالجوف ، وفيها حدث مقتله لعل ذلك بتدبير من المكرم الصليحي ، وبالرغم من انتقام اخي الشريف الفاضل له من أهل الجوف بتدمير عدد من القرى فيها ، ومن محاولته حشد مقاتليه لحرب الصليحيين ، الا ان العزائم كانت قد خارت وآمنت بضعف جانب الاشراف وقوة جانب الصليحيين ، وانتقل ذو الشرفين الى شهارة ، حيث قضى فيها بقية حياته الى موته في عام (٤٧٨) للهجرة .

وبويع ولده (جعفر بن محمد بن جعفر بن قاسم العياني)، ولكن جانب الزيدية كان ضعيفاً ، فلم يقم له إلا سلطان محدود على بعض البلدان في القسم الأعلى من اليمن .

الأمير جياش بن نجاح

علمنا انه لما قتل الملك (سعيد الأحول بن نجاح) في بلاد الشعر على ايدي الصليحيين فرَّ اخوهُ (جياش بن نجاح) الى الهند ، وقد أقام فيه تسعة اشهر ، ثم عاد الى زبيد متنكراً بصورة سائح هندي ، وكان قد بعث قبله وزيره (قسيم الملك (خلف بن أبي الطاهر) الأموي للتمهيد لعودته الى ملك (آل نجاح) في تهامة ، واستطاع الأمير جياش بعد ايام قليلة من اقامته في زبيد ، ان يوزع الأموال على عشيرته ، وأبناء جنسه الأحباش الذين كانوا قد تفرقوا في تهامة وفي جزيرة دهلك في البحر الأحمر وغيرها ، وأن يجمعهم الى زبيد خفية من ولاة الصليحيين فيها ، ثم يستولي على زبيد ، ويخرج عامل الصليحيين منها ، يساعده ولاءُ الناس في تهامة لآل نجاح السنيين ، وتسامح الصليحيين مع آل نجاح وانصارهم اثناء حكم الدولة الصليحية لتهامة وعاصمتها زبيد .

وقد ذكر الأمير جياش قصة عودته من الهند الى اليمن واستعادته حكم تهامة في تأريخه (المفيد في اخبار زبيد) ، كما حكى ذلك عنه أبو الحسن الخزرجي في تأريخه(٧٢) فقال « فأقمنا في الهند تسعة أشهر ،واشتريت جارية هناك فعلقّت مني بولد في مدة اقامتي في الهند ، ثم رجعنا الى اليمن في آخر السنة المذكورة ، والجارية المذكورة في خمسة اشهر من حملها ، فلما وصلنا عدن قدمت الوزير (خلف بن أبي الطاهر) الى زبيد على طريق الساحل ، وأمرته أن يشيع اني قد متُّ في الهند ، وان يستأمن لنفسه ويكشف لي حقيقة الأحوال وعمن بقي من بني عمنا ، من الحبشة ، وصعدت الى ذي جبلة فكشفت عن احوال المكرم وما هو عليه ، ثم انحدرت من الجبال الى زبيد ، فاجتمعت بالوزير

(٧٢) المسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٠٨ .

خلف بن أبي الطاهر فأخبرني بأحوال طابت بها نفسي عن أوليائنا وبني عمنا وعبيدنا وانهم في البلاد كثير » . وأضاف المصدر قائلاً : « قال جياش وجريت على عادة أهل الهند في تطويل اظفاري وشعري ، وسترت على إحدى عينيّ بخرّقة سوداء ، وكنت قريباً من الدار السلطانية ، فاذا افترق الناس قصدت مصطبة علي بن القم (وكان وزير الوالي من قِبَل المكرم) ، فسمعته يوماً وهو يقول : والله لو وجدت كلباً من آل نجاح لملكته زبيد .

ثم خرج ولده (الحسين بن علي بن القم) وهو الشاعر المشهور ورأس طبقة أهل زبيد في الشطرنج ، فقال لي : يا هندي تحسن تلعب الشطرنج ؟ فقلت : نعم ، فتلاعبنا فغلبته فكاد أن يسطو عليَّ ، ثم دخل على ابيه مغتاظاً وقال له : «اغُلبت في الشطرنج» فقال له والده : ما اعلم أحداً يغْلبك إلا جياش بن نجاح وقد مات في الهند . ثم خرج إليَّ والده فكرهت أن أغلبه ، وخرج الدست مانعاً ، فاغتبط بي وخلطني بنفسه ، (يبدو ان الوزير علي بن القم عرف الهندي انه جياش بن نجاح ، لأن معالم الصورة ونبرة الصوت لا تختفي بمجرد اطالة الشعر والأظفار ووضع خرقة على احدى العينين ، ولذلك خلطه بنفسه ، ولكنه لم يشعره بمعرفته أياه ، ودليل ذلك ما اضافه المصدر قائلاً : وكان يقول في كل يوم عجل الله بكم يا آل نجاح) وأنا في اثناء ذلك أكاتب الحبشة المتفرقين وآمرهم بالاستعداد حتى اجتمع حول المدينة نحو من خمسة آلاف حربة ، بعضها في المدينة وبعضها في الخان (الفندق)فقلت للوزير خلف بن أبي الطاهر ان لي عند (عمر بن سحيم) وديعة فخذ منه عشرة آلاف دينار وفرقها على الرجال الذين قد اجتمعوا معنا،ثم أني رأيت ليلة في النوم القائد (أبا عبد الله الحسين بن سلامة) وهو يقول لي : سيعود اليك الأمر الذي تحاوله ليلة ولادة هذه الجارية الهندية ، ثم التفتَ الى رجل كان بجانبه فقال : اليس كذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بلى . ويبقى الأمر في عقب هذا المولود برهة من الدهر .

فلما أراد الله رجوع هذا الأمر إليَّ لعبتُ أناوالحسين بن علي بن القم وليس

معنا إلا أبوه على سرير وهو يُعلِّم ولده فتراخيت له حتى غلبني قصداً في التقرب الى ابيه ، فطاش (الحسين بن علي) فرحاً لمّا غلبني ، فسفّه عليٌّ بلسانه فاحتملته لأبيه ، فمدَّ يده إلى الخرقة التي كانت على عيني فأحفظني ذلك ، فقام أبوه فقبح عليه فعله ، وقمت أنا مغتاظاً ، فعثرتُ ، فقلت : أنا جياش بن نجاح على جاري عادتي ، ولم يسمعني إلا الشيخ علي بن القم ، فوثب مسرعاً خلفي حافياً يجر رداءه حتى ادركني ، فأمسكني ، واخرج المصحف وحلف لي ما طابت به نفسي وحلفت له ، وليس معنا احد ، ثم أمر بإخلاء دار الأغرّ بن الصليحي ، وفُرِشت وعُلقت ستائرها ونُقِلت الجارية الهندية اليها ، ونقل اليها وصائف ووصفان وماعون وأثاث ، وعاقني عنده الى ان امسى الليل ، ثم أذن لي في الانصراف ، فجئت الى الجارية وقد وضعتْ ولدي (فاتك) فيما بين المغرب والعشاء ، ثم أتانا الشيخ علي بن القم ليلاً وقال : خبرنا لا يخفى على (اسعد) ، فقلت : إن معي في المدينة نحواً من خمسة آلاف حربة ، فقال لي الشيخ علي بن القم : اذاً قد ملكت البلاد بلا شك فقم وأظهر ما تريد . فقلت إني اكره ان اقتل (اسعد بن شهاب)[٧٣] لأنه طالما قدر على أهلنا ووزرائنا فعفا عنهم واحسن اليهم ، فقال : فافعل ما تريده ، وقال الخزرجي مضيفا : « فعند ذلك أمر جياش بضرب الطبول والأبواق ، وثارت معه عامة أهل المدينة وخمسة آلاف من الحبشة ، وأسروا اسعد بن شهاب فقال أسعد : ما يومنا منكم يا آل نجاح بواحد والأيام سجال، ومثلي لا يسأل العفو ومثلك يا أبا حسان لا يقتل » . وأضاف ايضاً : « قال جياش وتسلمتُ دارة الأمارة صبيحة الليلة التي وُضِع فيها ولدي فاتك ، وصحّ ما كان (الحسين بن سلامة) أخبرني به في النوم من رجوع الأمر إليَّ عند ولادة الحامل التي كانت عندي .

(٧٣) وهكذا يكرر الخزرجي وكثير من المؤرخين اسم (اسعد بن شهاب) بينما ذكر مؤلفا كتاب (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن) ان (اسعد بن شهاب) توفي في عام (٤٥٦ هـ) بينما حادث عودة جياش الى تهامة واستعادته الحكم في تهامة، كان في عام ٤٨٢ أو ٤٧٣ للهجرة وإن الذي خلف اسعد ابن شهاب على زبيد انما هو اسعد بن عرّاف كما سبق .

ثم لم يمض شهر حتى كنت أركب بعشرين الف حربة من عبيدنا وبني عمنا ، فسبحان المعز بعد الذلة ، المكثر بعد القلة » .

أما أبو سعيد خلف بن أبي الطاهر ، وزير (جياش بن نجاح) الذي وعده جياش بأن يقاسمه الملك بعد استعادته فلم يمنحه بأكثر من لقب (قسيم الملك) وتقليدهِ الوزارة التي ربما لم يحظ منها بأكثر من لقب وزير .

وقد حدثت مع ذلك وحشة بينهما ابتعد الوزير خلف بسببها خارج منطقة نفوذ جياش . ولمّا كتب اليه جياش يسترضيه ويطلب منه عودته اليه ردّ عليه الوزير خلف بالأبيات التالية .

اذا لم تكن ارضي لِعِرضي معزة فلست وإن نادتْ إليَّ أُجيبها
ولو انها اضحت كروضة جنة مع الطيب لم يحسن من الذل طيبها
وسرتُ الى ارض سواها تعزني وإن كان قد يعوي من الجدب ذيبها

هذا ومنذ عاد (جياش بن نجاح) الى امارة (آل نجاح) في تهامة لم يكن من الملك المكرم (احمد بن علي الصليحي) أكثر من غارات على تهامة .

أما الحرب الفعلية بين الصليحيين وآل نجاح فإنما كانت بين الملك (سبأ بن أحمد الصليحي) والأمير (جياش بن نجاح) وكانت تهامة وزبيد بالذات مسرح النزاع والحرب بينهما .

والذي يظهر من مجرى الأحداث التي قامت بين الصليحيين وآل نجاح ، ان الصليحيين كانوا أقوى ، ولكن ليس الى الحد الذي يتمكنون به من القضاء النهائي على آل نجاح ، وذلك لأنّ المؤرخين اجمعوا على انه كان اذا دخل الشتاء نزل الصليحيون تهامة واستولوا عليها ، بعد ان يكون (آل نجاح) ، قد غادروها الى جزيرة دهلك في البحر الأحمر ، واذا دخل الصيف واشتدّ الحر في تهامة ارتفع الصليحيون الى حصون بني(٧٤) المفضل المطلة على تهامة ، ويعود

(٧٤) ومن حصون بني المفضل مَقر وقوارير والظرف والشرف ووصاب وغيرها في بلاد وصاب السافل وبهذا الجبل سميت جميع الجبال بجبال وصاب .

آل نجاح الى تهامة تارةً بحرب وتارةًبغير حرب ، يساعدهم أي آل نجاح شدة الحر الذي تعودوه ومحبة الناس لهم .

قال عمارة(٧٥) : « وكان اذا عاد (جياش بن نجاح) الى زبيد نُشرت المصاحف وحفلت الفقهاء وتطاول العلماء وابتهل له الرعايا بالدعاء » فالصليحيون يدخلون زبيد غازين فاتحين ، ويخرجون منها في الغالب مختارين ، ولو كان الجانبان متكافئين (وآل نجاح هم الحكام الشرعيون لزبيد وتهامة والناس في المنطقة معهم وعلى ولاء لهم ، لما ظلوا في نزاع مستمر مع الصليحيين ، حتى اضطرّ آل نجاح الى تدبير المؤامرة الآتية لوضع حد لذلك النزاع .

أما سر تعاطف أهل تهامة مع آل نجاح ، فلأنهم يعتبرونهم الولاة الشرعيين لها من قبل العباسيين الخلفاء الشرعيين دون الفاطميين الذين ينتمي اليهم الصليحيون ، ولأن أهل تهامة سنيون كالعباسيين ، وليسوا شيعةً كالصليحيين أتباع الفاطميين .

أما(٧٦) المؤامرة التي دبرها الأمير (جياش بن نجاح) لوضع حد للنزاع المستمر بينه وبين الملك (سبأ بن احمد الصليحي) حول زبيد فملخصها ان (جياش بن نجاح) احتال لاستدراج الملك سبأ الى تهامة للإيقاع بجيشه على حين غرة منه ، بأن أعتقل وزيره خلف بن أبي الطاهر وقبض امواله واستبدله بمحمد بن الغفاري ، وأوعز الى الوزير خلف بأن يثقب بعد فترة من السجن ثقباً يفرُّ منه الى الملك سبأ لاجئاً به وأن يُظهر الولاء له حتى يحسن موضعه عنده ففعل الوزير خلف ذلك ، وما زال يُحسِّن للملك سبأ غزو تهامة للقضاء على إمارة آل نجاح ، كما أوعز الأمير جياش لعدد من اعيان دولته وقادة جيشه بأن يكاتبوا الملك سبأ الصليحي ويبذلوا له الطاعة ، فأطمأن الملك سبأ

(٧٥) في المفيد حواشي كاي ص ٣٤ .

(٧٦) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٥١ .

وجمع ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل ، وتحـرك بهم الى تها مـة ، وكان جياش قد اعد عدته وحشد جموعه واستعان مع ذلك بالشـريف يحيى بن حمزة صاحب المخلاف السليماني ببلاد عسير شمال تهامةالذي جاء على رأس جيشه وانضم الى جياش ، ولما علم جياش بتحرك (سبأ بن احمد الصليحي) نحـو زبيد كمن بجموعه وجموع الشريف يحيى ، وفاجأوا جيش الملك سبأ صبيحـة يوم لم يكن قد اخذ استعداده للقتال ، وأوقعوا به في محل يعرف بالكـظائم من بلاد زبيد ، وذلك في يوم الجمعة من عام (٤٧٩ هـ) وقتل الأميران (قيس بن احمد بن المظفر) أخو الملك سبأ بن أحمد،و(محمد بن المهنّا الصليحي) ، وحمل الشريف (يحيى بن حمزة) على القاضي (عمران بن الفضل اليـامي) وطعنه طعنة مات بعد أيام متأثراً بها ، وعقر فرس الملك سبأ ، واضطرَّ الى ان يسير راجلاً في غمار فلول جيشه المنهزم حتى حمله بعض فرسانه على فرسه وواصـل انسحابه من المعركة ، ولم يعد لحرب (آل نجاح) بعدها .

وكانت هزيمة الصليحيين في معركة الكظائم هذه ضـربة قـاضية لفكـرة الوحدة اليمنية التي كان المكرم (أحمد بن علي الصليحي) قدحاول تحقيقها بعد انهيارها بمقتل الملك الكامـل (ابي الحسن علي بن محمـد الصليحي) على يـد (سعيد الأحول بن نجاح) .

وقـد اعتذر الشـريف (يحيى بن حمـزة) من الملك (سبـأ بن احمـد الصليحي) بعد ايام برسالة ابدى فيها أسفه لنصرته الأمير جياش بن نجاح ، وضمّن رسالته تلك قصيدة مطلعها : (ابلغ نزاروحيث حلّ نزار) ومنها :

وقـد يعـزّ علينـا مـا أصـابكمـو — منـا بغـير رضـى كف ولا قـدم
والله يـعـلـم اني يـوم وقـعـتـكـم — لم أمس إلا عـلى جمـر مـن النـدم
وإن فـيض دم منكـم كـفيض دم — بـكـربـلاء وثـار الـدم لم يـرم

وقد أجاب عليه الملك سبأ برسالة ضمنها قصيدة جاء منها قوله :

فـليس قـيس وإن جـلّت رزيتـه — وكـان صنـوي لحمي لحمـه ودمي

ولا الهمام أبو موسى وصاحبه محمد وهما من أوثق العصم
بأول القوم منّا ضمّ موتهمو بين الأسنة والهندية الخذم
والسيف يأكلنا حيناً ونرتعه حيناً اذا شاء في الأعناق والقمم

هذا وقد قتل الشريف يحيى بن حمزة بن وهاس المذكور على ايدي احمد وحسين ابني القاضي عمران بن الفضل اليامي اللذين قصداه الى بلده متنكرين واخذا منه بثأر أبيهما .

وفاة الملك (سبأ بن احمد الصليحي)

استقر الملك (سبأ بن احمد الصليحي) في قصره في حصن اشيح من بلاد آنس بعد وقعة الكظائم دون ان يغزو زبيد بعدها ، الى وفاته في عام (٤٩١ هـ) أو عام (٤٩٢ هـ) على[٧٧] اختلاف بين المؤرخين .

وخلفه على صنعاء واعمالها السلطان حاتم بن الغشيم المغلسي الهمداني الحاشدي ، الذي استقل بالقسم الأعلى من اليمن عن حكم الدولة الصليحية ، وعرفت امارته وامارة خلفه بأسرها الثلاث بامارة (آل حاتم) كما سيأتي في الفصل الخاص بتأريخها ، كما انفصلت هذه الأمارة عن الانتماء الى الدولة الفاطمية وان ظلت متعاطفةً مع بقيّة الإمارات التي ما زالت منتمية اليها كامارة (الصليحيين) برئاسة الملكة اروى بنت أحمد الصليحية التي اكتفت بادارة شؤون المنطقة الوسطى والجنوبية ، وامارة (آل زريع) في عدن واعمالها .

أما (آل نجاح) فانهم احتفظوا بنفوذهم في تهامة بعد موت الملك (سبأ بن احمد الصليحي) ، ولم تحاول الملكة اروى غزوهم إلا مرتين مرة بغرض مساندتها للأمير منصور بن فاتك بن جياش ضد عمه الأمير عبد الواحد بن جياش بن نجاح ، وذلك عن طريق وزيرها (المفضل بن أبي البركات

(٧٧) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٦٥ . والصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص

الحميري) ، والمرة الأخرى عن طريق وزيرها وامير امرائها (ابن نجيب الدولة) حينها امتنعوا عن تأدية الخراج الذي تعهدوا به مقابل نصرتهم في المرة الأولى ، ولم ينل منهم منالاً .

ولقد كان الملك (سبأ بن احمد الصليحي) شجاعاً ناهضاً كريم الأخلاق ، وشاعراً فصيحاً ومقصوداً ممدوحاً . يجيز على الشعر بالشعر والعطاء ، أسكن شاعر الدولة الصليحية وكاتب انشائها الشاعر الأديب (الحسين بن علي بن القم) معه في حصن أشيح (ظفار بني سويد حالياً) في بلاد آنس ومدحه هذا بغرر قصائده ، ومنها قصيدة جاء منها قوله :

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشيح   أو أزرى بك الدهر فاستمطر بنان سبأ
ما جاءه طالبٌ يبغي مواهبه   إلا وأزمع منه فقره هربا
تخال صارمه يوم الوغى نُهُراً   تضرمت من دم حافاته لهبا
ابن المظفر ما امتدت سماء علا   إلا والفيته في افقها شهبا

وقصيدة جاء فيها قوله :

وما يلتقي صدق الوداد وطاعة العذول   ولا جود ابن احمد والفقر
كريم اذا جادت فواضل كفه   تيقنت ان البخل ما يفعل السحب
اجاز فلا خوف واحيا فلا ردى   وجاد فلا فقر ورام فلا صعب
ويُثني على قُصّاده فكأنه   يُجاد بما يُجْزِي ويُحْبى بما يحبو
كتبت اليه والمفاوز بيننا   فكان جوابي جود كفيه لا الكتب

ومنها قصيدة جاء منها قوله :

معاليك لا ماشيدته الأوائل   ومجدك لا ما قاله فيك قائل
وما المجد إلا حيث يمت قاصداً   وما النصر إلا حيث تنزل نازل
سحاب عواديه لُجَينٌ وعسجد   وليث غواديه قنا وقنابل
تَوَقّى الأعادي بأسه وهو باسم   ويرجو المُوالي جوده وهو صائل

ومنها قصيدة جاء فيها قوله :

ولما مدحتُ الهزبريَّ ابن أحمد ... اجاز وكافأني على المدح بالمدح
فعوَّضني شعراً بشعري وزادني ... عطاءً فهذا رأس مالي وذا ربحي
شققت اليه الناس حتى لقيته ... فكنت كمن شقَّ الظلام الى الصبح
فقُبحٌ دهر ليس فيه ابن أحمد ... ونُزِّه دهر كان فيه من القبح

وفاة الملك جياش بن نجاح

كما توفي الأمير جياش بن نجاح في عام (٤٩٨ هـ) وكان عالماً واديباً وشاعراً ومؤرخاً وله ديوان شعر ، وله (المفيد في تأريخ زبيد) ومن شعره قوله :

اذا كان حلم المرء عون عدوه ... عليه فإن الجهل أولى وأروح
وفي الصفح ضعف والعقوبة قوة ... اذا كنت تعفو عن قليل وتصفح

الأمير فاتك بن جياش بن نجاح

ولما توفي[٧٨] الأمير (جياش بن نجاح) في عام (٤٩٨) للهجرة خلفه ولده (فاتك) الذي وُلد له من الهندية ليلة استعادته الحكم كما عرفنا .

وقد خالف عليه اخواه الأميران (ابراهيم) و(عبد الواحد) وكان لهذا نفوذ في الجيش ، وافترقت بينهم مماليك ابيهم الذين كان قد استكثر منهم وصار لهم نفوذ في الإمارة ، وقامت بين الأمير فاتك وأخويه حرب انتصر فيها الأمير فاتك وقبض على اخيه (عبد الواحد) ، ولكنه عفا عنه وأطلق سراحه .

أما الأمير (ابراهيم بن جياش) فإنه لاذ بالسلطان (اسعد بن وائل

---

(٧٨) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١٠٠ .

بن عيسى الوائلي) وأقام عنده في و حاظة ببلاد الحزم حتى عاد لحرب ابن أخيه (منصور بن فاتك) كما سنعلم .

قال عمارة عن استقبال[79] الوائلي لأبراهيم بن جياش : « ففعل معه من الأكرام ما لم يسبقه أحد » .

الأمير منصور بن فاتك بن جياش

ولما توفي[80] الأمير (فاتك بن جياش) في عام (٥٠٣) للهجرة خلفه ولده (منصور) .

ولما كان دون البلوغ عند وفاة ابيه فإنه قام بالأمر عنه مولاه (انيس الفاتكي) .

وكان هذا العهد هو بداية استيلاء العبيد الجربيين على مقاليد الأمور في إمارة آل نجاح .

وقد عارض الأمير منصور بن فاتك عمه (ابراهيم بن جياش بن نجاح) الذي زحف من بلاد وحاظة على رأس جيش لحرب ابن اخيه ، وخرج (انيس الفاتكي) على رأس جيش الأمير منصور لمنازلة (ابراهيم) ، والتقى الجمعان بقرية (الهويب) من بلاد زبيد ، ولم يُذكر قيام حرب بينهما . وإنما ذكر ان الأمير (عبد الواحد بن جياش) انتهز خلو زبيد ودار الإمارة من الجيش غير حامية صغيرة ، فاحتل دار الإمارة .

وان وصفان القصر واستاذوه تمكنوا من اخراج الملك الطفل منصور من دار الإمارة ، ثم الإدلاء به ليلاً من سور المدينة ، والمسير به الى القائد

---

(٧٩) نفس المصدر والصفحة .

(٨٠) نفس المصدر والصفحة الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص

(أنيس الفاتكي) المعسكر بجيشه في قرية الهويب خارج زبيد .

وإن الأمير ابراهيم بن جياش حين علم باحتلال اخيه (عبد الواحد) لدار الإمارة واستيلائه على الحكم في زبيد سُقِط في يده ، وانسحب من معسكره ، وقصد السلطان (الحسن بن ابي الحفاظ الحجوري) سلطان (الجُرَيب من بلاد حجور حجة) .

في حين قصد انيس الفاتكي مع الملك الطفل (منصور بن فاتك بن جياش) الملكة اروى بنت احمد الصليحي الى ذي جبلة طالباً منها مساندتها في عودة الأمير منصور الى الحكم مقابل ربع حاصلات الإمارة ، وعاد وبصحبته الوزير (المفضل بن أبي البركات) على رأس جيش الملكة أروى ، وتمكن المفضل من اخراج الأمير (عبد الواحد بن جياش) من زبيد ، وذلك في عام (٥٠٤) للهجرة .

ولكنه تباطأ في تمكين الأمير عبد الواحد بن فاتك من مقاليد الأمور في امارته ، وهمّ بالإستيلاء عليها باسم الملكة اروى وبينما هو يفكر في وضع الأسس للإستيلاء على الامارة اذ بلغه استيلاء الفقهاء السنيين على حصن التعكر يساندهم بنو الزر الخولانيون ، فخرج من زبيد لا يلوي على شيء ، وعاد الى جبلة وقصد التعكر لاستعادته من غاصبيه وكان ما علمنا من موته بسبب ذلك عند التأريخ له في هذا الفصل .

أما القائد (أنيس الفاتكي) فانه عاد الى حكم الإمارة باسم الامير منصور بن فاتك بن جياش ، بعد عودة المفضل بن أبي البركات الى بلاده .

واستغل صغر سن الأمير منصور فركب بالمظلة وضرب السكة باسمه ، وذكر انه هم بالاستيلاء على الحكم لنفسه. ولكن[٨١] الأمير الشاب

---

(٨١) ابن عبد المجيد اليماني في تأريخه ص ٦٦ .

(منصور) كان اسرع منه حين عرف نواياه ، فأقام وليمة طعام في قصر الامارة دعا اليها أعيان دولته بما فيهم وزيره (انيس الفاتكي) ، وبينما المدعوون يتناولون الطعام إذ أخذ خاصة الأمير منصور الوزير انيس الفاتكي وقتلوه ، ثم صادر الأمير امواله ، وكان ذلك في عام (٥١٧) للهجرة .

واستوزر[٨٢] بعده (أبا منصور مَنَّ الله الفاتكي) ، وكان من أشجع الوزراء وأكرمهم ، وهو الذي رد (ابن نجيب الدولة) عن أبواب زبيد في عام (٥١٨) للهجرة حينما غزاهم من قبل الملكة اروي بنت احمد الصليحي بسبب منع آل نجاح لربع الخراج الذي كانوا يؤدونه للملكة اروى منذ ساندتهم ضد مغتصب العرش عبد الواحد بن جياش كما مر بنا . وردَّ[٨٣] أيضاً (أسعد بن أبي الفتوح) كذلك .

والوزير[٨٤] (منَّ الله الفاتكي) هو الذي اغنى العلماء والمتعلمين في مدارس الحنفية والشافعية في زبيد طيلة عهده وكان يثيب على المدح ثواباً جزيلاً ، حتى قال الفقيه[٨٥] (أبو عبد الله محمد بن علي التهامي) مؤدب أولاد الوزير المذكور : اذكر اني جلَّدت مما مدح به الوزير عشرة اجزاء كبار من شعر المجيدين من الشعراء » .

والوزير المذكور هو[٨٦] الذي سوّر مدينة زبيد بعد الحسين بن سلامة القائم على امارة (آل زياد) في نهاية عهدها .

الأمير فاتك بن منصور

ولما توفي[٨٧] الأمير منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح ، في عام (٥١٧) للهجرة خلفه ولده (فاتك) وكان يومئذٍ طفلاً صغيراً ليس له أمر ولا

---

(٨٢) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ١١٥ .

(٨٣) نفس المصدر والصفحة .

(٨٤) نفس المصدر العجسد ص ١١٦ .

(٨٥) و(٨٦) و(٨٧) نفس المصدر والصفحة .

نهي ، فتولى الوزير (منَّ الله الفاتكي) ادارة شؤون دولته ، الى موته في عام (٥٢٤) للهجرة .

ثم خلفه[٨٨] الأمير (فاتك) بزريق الفاتكي ، وكان قليل الخبرة بالإدارة السياسية ضعيف النفوذ بالجيش ، فاستقال من منصبه .

وأسندت[٨٩] الوزارة الى (أبي منصور مفلح الفاتكي) من قبيلة (سحرت) الحبشية ، وقد وصف بأنه كان من أعيان الرجال وأهل الفضل والأدب والشجاعة والرئاسة ، وكان مع ذلك عفيفاً مستقيماً لم تعلم له صبوة قط ، فاضطلع بالمسؤولية على خير وجه حتى[٩٠] نشأ من عبيد الحرة علم (والدة الملك فاتك بن منصور) جماعة برئاسة القائد (سرور) وصارت لهم الكلمة النافذة في القصر ، وصار الوزير مفلح كالأجنبي منهم ، وان كانت مقاليد الأمور بيده ، وكان للحرة علم نفوذ في القصر منذ ان نالت حريتها بولادتها للأمير (فاتك بن منصور) ، واشتهرت بحسن السياسة وتوخي العدل بالرعية ، وقد وصفها الخزرجي بأنها كانت من ذوي العقول والأديان ، و جعل الله فيها من الخير والسداد والتوفيق والبركة للمسلمين ما يجاوز حد الوصف ، وكانت كثيرة الصدقات تحج بأهل اليمن براً وبحراً ،

وأضاف الخزرجي قائلاً : « وجعل اليها سيدها ولدها منصور بن فاتك ابن جياش تدبير مملكته ، ؛ فكان لا يقطع أمراً دونها وكانت تجل الفقهاء والعباد وتحترمهم » .

ولما ثقل الوزير مفلح عليها وعلى رجالها امعنوا في التفكير بتنحيته ، واتخذوا مختلف الوسائل لإبعاده وتقليص مركزه في الإمارة ، ومن ذلك انهم طلبوا تجهيز (الحرة علم) الى مكة للحج بثلاثين ألف دينار ، ففعل ذلك بعد

(٨٨) نفس المصدر ص ١١٨ .
(٨٩) نفس المصدر والصفحة .
(٩٠) نفس المصدر ص ١١٩ .

تلكؤ ثم طلبوا منه القيام بغزو (آل زريع) في عدن ، فأعدَّ الجيش وخرج به من زبيد في طريقه الى عدن ، ولكنه عاد الى زبيد بعد ليلة واحدة بعد خروجه منها ، وذلك بسبب ثورة الأمير (محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح) على الملك (فاتك بن منصور) وعلى والدته الحرة علم ، قال عمارة[٩١] : « واستعصمت الحرة هي وولدها بعلو الدار) دار الإمارة التي احتلها فاتك بن محمد ،ونمى الخبر الى القائد سرور وهو في ساقة العسكر ، (أي مؤخرة العسكر الذين خرجوا مع الوزير مفلح في طريقهم الى عدن) ، فانثنى راجعاً وتسوّر سور الحصن ودخل المدينة ، ونادى الى مولاته من خلف دار الملك ارموا إليَّ الحبال ، أنا فلان ،فرفعه الاستاذون والنساء بالحبال حتى وصل الى مولاه ومولاته فسلم عليهما وسكّن من روعهما وقال : هذه العساكر خلفي متواصلة : ثم أخذ مائة جارية وخمسين استاذاً فألبسهم زي الرجال من الدروع والسلاح ، وفتح الطيقان ، وصاح الجميع صيحة واحدة « يا فاتك بن منصور ، » وكان محمد ابن فاتك جالساً على سرير تحت طيقان الدار ، ورمى القائد سرور بحجر فلم تخطىء وجه محمد بن فاتك ، فهشمت وجهه وانفه عند تلك الصيحة العظيمة ، فانهزم هو ووزيره في تلك الساعة ومن معهما ، وخرجوا من باب البلد ليلاً ، ولم تصل العساكر الى البلد إلا في الظهر من صبيحة تلك الليلة » .

ولمّا تمَّ القضاء[٩٢] على ثورة (محمد بن فاتك) عمل رجال القصر مرة اخرى على ابعاد الوزير (مفلح الفاتكي) ، فكلفوه ببعض الأعمال في المهجم ، فخرج من زبيد في ثلة من العسكر في طريقه الى المهجم ، ولما كان على مسافة يوم من زبيد تخلى عنه العسكر الذين كانوا معه ، ورجعوا الى زبيد عن تعليمات صدرت اليهم بالطبع قبل خروجهم مع الوزير مفلح من زبيد ، وتعذر عليه هو الرجوع اليها ، وعلم بالمؤامرة التي دبرت لإبعاده ، والحيلولة

(٩١) في تأريخه بغية المستفيد في اخبار زبيد (مخطوط) ص (٢٢٦) .
(٩٢) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١١٣ .

دون رجوعه الى زبيد ، فارتفع مع خاصته وقليل من عسكره الى حصن (المكرشة) في قمة جبل برع المطلة على تهامة ، وصار منه يغادي تهامة ويراوحها ، ولكن غاراته لم تفلح ، ونقلد (اقبال الفاتكي) الوزارة على زبيد خلفاً له .

أما القائد (مفلح) فلم يرضخ للأمر الواقع ،وترك أهله في الحصن المذكور ، وقصد هو بني مشعل وغيرهم من القبائل المقيمة في غرب المهجم ، وكانوا فرساناً انجاداً ، فأسكنوه حصن (دبان) في المنطقة وكان بينه وبين المهجم مسافة نصف يوم للماشي ، ومنه ظل يشنّ غاراته على المهجم ، ثم راسل منه الشريف (غانم بن يحيى بن وهاس) حاكم المخلاف السليماني شمال تهامة طالباً منه مساندته له مقابل اسقاط الأتاوة عنه ، قال عمارة(٩٣) : « فسار الشريف في الف فارس وعشرة آلاف راجل ناصراً لمفلح على أهل زبيد ، فلقيهم القائد سرور فكسر مفلحاً وكسر الاشراف وكسر العرب على المهجم » وأضاف قائلاً : وعاد مفلح الى حصن كرش (المكرشة) فمات به سنة (٥٢٩) للهجرة .

فاتك بن محمد بن جياش بن نجاح

ولمّا(٩٤) توفي الملك (فاتك بن منصور) في عام (٥٣١ هـ) خلفه ابن عمه (فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح) .

وذكر الخزرجي ان الأمير فاتك بن منصور مات مسموماً من قبل وزيره (اقبال الفاتكي) ، وانه لم تستقم الأمور لإقبال بعده ، اذ نقل رجال القصر الوزارة الى القائد (أبي محمد سرور الفاتكي) من قبيلة (امحرة) الحبشية ،

---

(٩٣) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١١٣ .

(٩٤) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٢٣ و عمارة في المفيد حواشي كاي ص

وكان شجاعاً ومستقيماً ، فاضطلع بالمسؤولية بكفاءة وحزم .

حتى[٩٥] قتله رجل من اصحاب (علي بن مهدي الرعيني) في عام (٥٥١ هـ) وهو يصلي العصر في مسجده . وبه ختمت وزارة العبيد الأحباش في امارة (آل نجاح) الذين هم احباش أيضاً ومنحدرون من عبد مملوك هو (نجاح) مؤسس امارتهم كما عرفنا .

وبالأمير (فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح) انتهت إمارة آل نجاح .

وقد حدث مقتله من قبيل عبيده في عام (٥٥٣) للهجرة ، بطلب من الإمام (احمد بن سليمان) الذي وصل الى زبيد لصد غارات علي بن مهدي عنها ، واشترط[٩٦] لنصرتهم ان يقتلوا اميرهم (فاتك بن محمد) المذكور ، ثم عاد الى بلاده دون ان يتمكن من نصرتهم ، وتوالت الانتصارات لعلي بن مهدي حتى سقطت مدينة زبيد بيده ، وأقام دولته على انقاض امارة (آل نجاح) كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخ (آل مهدي) .

هذا ويجدر بنا قبل ان نختتم هذا الفصل ان نذكر شيئاً عن سيرة الوزير العظيم (القائد أبي محمد سرور الفاتكي) . قال عمارة[٩٧] « فصل فيما شاهدت بخط كاتبه ، رأيت جريدة الصدقات التي يدفعها عند دخوله زبيد (قادماً من المهجم مكان ولايته قبل تقلده الوزارة) للفقهاء والقضاة والمتصدرين في الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام والفروع والمدرسين والمفتين اثني عشر الف دينار في كل سنة » وهذا المبلغ كثير في ذلك العهد للعلماء والمتعلمين فقط وغير ما يجري لهم بصورة رسمية وثابتة من الدولة والأوقاف ، ودليل على مدى تقدير (آل نجاح) وولاتهم ووزرائهم للعلم وأهله .

---

(٩٥) الخزرجي العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٢٧ .

(٩٦) نفس المصدر ص ١٢٨ .

(٩٧) في المفيد حواشي كاي ص ١١٩ .

وأضاف عمارة[٩٨] عن سيرته بعد تقلده الوزارة قائلاً : « فصل كان القائد أبو محمد سرور الفاتكي رحمه الله يخرج الى مسجده بعد نصف الليل أو ثلثه ، وكان اعلم الناس جميعاً بالمنازل وبالأنواء ويقول : إنما أنا اخرج هذا الوقت لعل احداً من أهل البيوتات وأرباب الستر لا يقدرون على الوصول الى عندي بالنهار ، اما لكثرة الناس أو لفرط الحياء ، فاذا صلى الصبح ركب إما الى فقيه يزوره ، أو مريض يعوده أو ميت يحضر دفنه ، أو وليمة أو عقد نكاح يشهده . وما يخص بذلك أكابر الجند والعلماء والتجار دون اصاغرهم ، بل من دعاه أجاب ، وكان المتظلم من الرعية يجفو عليه ويفحش له في القول وهو آمن حميته وعزته وغضبه ، وكان يدعى الى الحاكم فيحضر ولا يوكل كما يفعل الجبابرة وان كانوا اصاغر ، ويقعد بين يدي الحاكم تواضعاً لا وضاعة ، ودخولاً تحت امر الشرع ليقتدي به سواه ، ثم يعود » .

ثم ذكر انه كان يشتغل في ادارة شؤون الدولة الى زوال الظهر وأضاف قائلاً : « ثم يخرج الى المسجد في أول زوال الظهر فلا يشتغل بغير المستندات الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، واذا صلى المغرب تناظر الفقهاء بين يديه الى وقت صلاة العشاء الأخيرة ، وربما تطول المناظرة في بعض الليالي » وقال : « ولم تزل هذه حاله من سنة تسع وعشرين وخمسمائة الى ان قتل في مسجده رحمه الله بزبيد في الركعة الثالثة من صلاة العصر يوم الجمعة الثاني عشر من رجب سنة احدى وخمسين وخمسمائة قتله رجل يقال له محرم من أصحاب علي ابن مهدي ثم قتل قاتله في تلك العشية بعد ان قتل جماعة من الناس ولم تلبث الدولة إلا قليلاً حتى ازالها علي بن مهدي في سنة (٥٥٤) للهجرة » .

---

(٩٨) نفس المصدر والصفحة .

نظرة عامة في عهد آل نجاح

بدأت إمارة (آل نجاح) في تهامة بمؤسسها نصير الدين المؤيد (نجاح) في عام (٤١٢) للهجرة ، وذلك على انقاض (آل زياد) ولاة العباسيين على المنطقة .

وكان الامير (نجاح) مولى للأمير (مرجان) القائم آنذاك على الإمارة بعد انقضاء (آل زياد) ومواليهم ، اذ كان مرجان من موالي مواليهم كما عرفنا في بداية المفضل ، وفي نهاية فصل آل زياد .

وقد استولى الأمير (نجاح) على امارة (آل زياد) في تهامة وحتى حدود المخلاف السليماني شماليها ، بعد حرب دامت ثلاث سنوات بينه وبين مولاه (مرجان) بسبب قيام هذا بقتل الأمير عبد الله اخر امراء آل زياد وكافلته ، واسفرت تلك الحرب عن مقتل نفيس احد موالي مرجان وانتصار (نجاح) ودخوله زبيد ظافراً حاكماً لها ، وقام نجاح مع ذلك بقتل مولاه مرجان ، ودعم بالولاية من العباسيين .

ولما كان نجاح وخلفاؤه في امارته قد دخلوا مع الصليحيين في حروب طال امدها منذ قيام الملك (علي بن محمد الصليحي) وحتى عهد الملك (سبأ بن احمد الصليحي) فإنه يمكن تقسيم عهد (آل نجاح) الى فترتين :

- فترة نزاعهم مع الصليحيين .
- وفترة استقلالهم عنهم .

فأمّا الفترة الأولى فتتسم بالنسبة لآل نجاح بأمور أهمها :

١ ـ قلق واضطراب منطقة تهامة مسرح النزاع بين الصليحيين وآل نجاح .

٢ ـ استقرار منطقة النزاع هذه اقتصادياً الى حد ما ، حيث كان كل فريق من

الفريقين المتنازعين يحتسب لأهل تهامة ما أخذه الفريق الأخر من واجبات الدولة اثناء استيلائه عليها ، ومن الجائز جداً تبعاً لـذلك وبحكم التنافس القائم بين الفريقين ان يتنافسا بالتالي في اكرام علماء ومتعلمي وفقراء ابناء المنطقة وغيرهم ، وفي بسط العدل بينهم ، وتوفير الرخاء فيهم ، كوسيلة فيما يأمله كل فريق لاستمالة الناس في المنطقة وحكمها بصورة نهائية ودائمة .

٣ ـ ازدهار العلم بجميع مدارسه المالكية والحنفية والشافعية في زبيد وذلك بحكم سنية (آل نجاح) وعدم تعصبهم لمذهب على آخر ، وبحكم التسامح والحرية المذهبية والعقائدية اللتين كان يتيحها (الصليحيون) للناس ،وعدم قسر احد على اعتناق المذهب الشيعي والعقيدة الاسماعيلية اللذين كان الصليحيون يعتنقونها ، واحسان كلا الفريقين لكل العلماء والمتعلمين اياً كانت مذاهبهم وعقائدهم ، حتى نمت جميع المدارس ولم يؤثر عليها الصراع السياسي بين الجانبين .

٤ ـ الاستقرار الداخلي سياسياً بين امراء (آل نجاح) فيما بينهم في هذه الفترة الأولى من عهدهم وهي فترة عهد الملك نجاح وفترة ولديه (سعيد الأحول) و(جياش) .

أما الفترة الثانية وهي فترة استقلال (آل نجاح) عن الصليحيين بحكم تهامة فتتسم بالآتي :

١ ـ الإضطراب السياسي والأمني في المنطقة بسبب النزاع الذي كان كثيراً ما يحدث بين الأمراء (آل نجاح) فيما بينهم ، وحرب بعضهم لبعض ، وذلك منذ تولي الأمير (فاتك بن جياش بن نجاح) كما علمنا .

٢ ـ ضعف نفوذ امراء (آل نجاح) ، واستيلاء وزرائهم من العبيد الأحباش على السلطة في كافة شؤون الدولة وذلك منذ تولي الأمير (منصور بن فاتك ابن جياش بن نجاح) وحتى آخر ملوكهم وهو (فاتك بن محمد بن منصور ابن فاتك بن جياش بن نجاح) الذي قتله عبيده كما علمنا ، بل لقد كان

بعض الوزراء من العبيد يغتصب على الأمير من امراء (آل نجاح) مراسيمه الخاصة به من ضرب السكة باسمه والركوب بالمظلة .

ولقد اجمل المؤرخ عمارة في تأريخه[٩٩] وصف حال امـراء (آل نجاح) من أولاد الأمير فاتـك بن جياش ، وحـال وزرائهم العبيد فقـال : « ولم يكن لأولاد فاتك بن جياش من الأمر سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العبـاس ، والسكـة ، والـركـوب بـالمظلة في أيـام المـواسم وعقــد الآراء في مجالسهم ، وأما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود واجـازة الوفـود فلعبيدهـم الوزراء ، وهم عبيد فاتك بن جياش وعبيد منصور ابنه ، وهم وإن كانوا حبشة فلم يكن ملوك العرب تفوقهم في الحسب إلا بالنسب ، وإلا فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر ، والجمع بين الوقائع المشهورة ، والصنائع المأثورة » .

٣ ـ ازدهار العلم بجميع مدارسه في زبيد (مدينـة العلم وكرسي الشافعية) وعلى اختلاف مذاهب تلك المدارس ، وقد كان العلماء يبتهلون بعـودة (آل نجـاح) الى الحكم اثناء صـراعهم مـع الصليحيـين وتلهـج الـرعـايـا لهم بـالدعـاء ، فضلاً عن الفتـرة التي انتهى فيها النـزاع بين الصليحيـين وآل نجاح .

٤ ـ انتشار الرخاء في المنطقة بشكل عام ، بفضل العدل الذي كان يبسطه (آل نجاح) ووزراؤهم وبفضل النفوذ الذي كان يتمتـع به الوزراء الأحباش في هذه الفترة والكرم الذي كانوا يتحلون به ، كما عرفنا شيئاً عن ذلك لدى الوزير (منَّ الله الفاتكي) والوزير (أبي محمد سرور الفاتكي) .

---

(٩٩) في المفيد حواشي كاي ص ١٠٢ .

امارة آل زريع
(٤٦٠ ـ ٥٦٩ هـ)
(١٠٦٩ ـ ١١٦١ م)

(آل زريع) هؤلاء همدانيون من نسل يام بن اصبا الحاشدي الهمداني .

وقد ملّكهم الداعي الملك المكرم (احمد بن علي بن محمد الصليحي) (عدن) واعمالها ، وامتد نفوذهم الى بعض اعمال مخاليف الجند وجعفر وبلاد المعافر كما سنعلم ، وقد حكم آل زريع الإمارة نواباً للصليحيين ، يرفعون اليهم أتاوة سنوية ، وقاموا مع ذلك بالدعوة للفاطميين ، وانتموا اليهم ، ثم استقلوا عن الصليحيين في آخر عهد الملكة(أروى بنت أحمد الصليحي) كما علمنا .

وقد شجع (آل زريع) على الانفصال عن الملكة اروى وقطع الأتاوة السنوية التي كانوا يؤدونها اليها مغادرة(ابن نجيب الدولة) لليمن ،وكان هو وزيرها من قبل الإمام الآمر بالله بن الإمام المستعلي بن الإمام المستنصر الفاطمي وأمير أمراء جيوشها ، وعدم سد الوزير (علي بن عبد الله الصليحي) مسده .

كما شجع (آل زريع) على الانفصال عن الملكة أروى ايضاً انتماء (آل زريع) الى الإمام الحافظ (عبد المجيد بن محمد بن الإمام المستنصر) المذكور الذي انفصلت الملكة اروى عنه ، بحجة انتمائها الى الإمام المولود المستور الطيب بن الإمام الآمر بالله ، الذي لم يُعْلَم مكانه ، فضلا عن ان يكون له حول و طول أو قوة أو نفوذ كما علمنا ايضاً .

أمّـا قصة تـولية الملك المكـرم احمد بن عـلي الصليحي لآل زريع عـدن واعمالها فهي : « انه لّما توفي (الحسين بن سلامة) مولى آل زياد والقائم على امارتهم في عام (٤٠٣) للهجرة تقلص ظل الإمارة الزيادية واستقلّ كثير من نوابها عنها ، ومن هؤلاء (بنو معن)[1] الحميـريون الـذين استقلوا بحكم عدن والشحر وحضرموت ولحج وأبين .

ولما ثار (علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٣٩) للهجرة وملك اليمن غزا عدن فهادنه بنو معن وأذعنوا له فأقرهم على ما هو تحت نفوذهم نواباً عنه ، ولّما زوّج ابنه المكرم (احمد بن علي الصليحي) بالسيدة (أروى بنت أحمد الصليحي) جعل خراج عدن واعمالها صـداقاً لهـا ، وصار بنـو معن يرفعون اليها خراجها .

ولما قتل الملك أبو الحسن علي بن محمد الصليحي على يد (سعيد الأحول ابن نجاح) حاكم تهامة غدراً وَوَلِيَ الحكم بعده ابنه الملك المكرم منـع (بنو معن) الأتاوة عن الدولة الصليحية .

فغـزاهم[2] الملك المكـرم وانتـزع مـا هـو تحت ولايتهم ، وولى عـدن واعمـالهـا كـلا من (العبـاس) و(مسعـود) ابني الكُـرَّم الجشمي اليـامي الحاشدي الهمداني ، وكانت لهما سابقة محمودة مع الملك الكامل أبي الحسن علي بن محمد الصليحي عند قيامه بثورته ، وأثناء حـروبه مـع ملوك اليمن وسلاطينها وزعمائها ، ومع المكرم في حربه لآل نجـاح عند انقـاذه امه من الأسر كما علمنا .

---

(١) ليس بنـو معن من أولاد (معن بن زائدة الشيبـاني) عـامـل اليمن للعبـاسيـين في ارجـح آراء المؤرخـين ، وقد عـرف من امراء بني معن حكـام عدن ومـا اليها (مؤسس الإمـارة (علي بن معن) فـالعباس بن عـلي بن معن فمحمد بن عـلي بن معن الذي فـر عند غـزو المكرم لعـدن الى بلاد احور من أعمال ابين .

(٢) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ٨١ .

وقد جعل المكرم للعباس حصن التعكر المطل على عدن (المعروف حالياً بجبل حديد وبجبل شمسان) وباب البر وما يدخل منه ، وجعل للمسعود حصن الخضراء (المعروف حالياً بجبل البنديرة وبجبل معاشيق) وباب البحر (باب حقات) وما يدخل منه (من البحر) ، وجعل اليه امر المدينة .

واستمرَّ العباس ومسعود على ولائهما للدولة الصليحية يرفعان اليها الخراج مائة الف دينار سنوياً قد تزيد وقد تنقص .

ولّما توفي (العباس بن الكُرَّم) خلفه ابنه (زريع) ، جد آل زريع الذين انفردوا بالحكم كما سنعلم . وقد امتدّ نفوذه في عهد عمه مسعود الى كثير من قلاع وحصون بلاد المعافر (بلاد الحجرية) بحكم عودة البر اليه ، ومنها قلعة المقاطرة في بلاد ذبحان المعافر ، وقلعة الدملوة في بلاد الصلو وغيرهما .

ولما قتل الأميران (زريع بن العباس) وعمه (مسعود) على ابواب زبيد في حربهما مع (المفضل بن ابي البركات) وزير الملكة أروى بنت أحمد الصليحي) عند مساندتها للأمير (منصور بن فاتك بن نجاح) ضد مغتصب العرش الأمير (عبد الواحد بن جياش بن نجاح) خلف زريعاً ولده (أبو السعود) ، وخلف مسعوداً ولده (أبو الغارات) .

الداعي سبأ بن أبي السعود

ولما توفي ابو السعود بن زريع خلفه ولده (سبأ) الذي وسّع امارته بعد تغلبه على ابن عمه (علي بن ابي الغارات بن مسعود) باستيلائه على كل اجزاء الإمارة التي كانت مجزأة بين الأخوين (العباس) و(مسعود) ابني الكُرَّم الجشمي الهمداني ، كما سنعلم ، وقد لقب الأمير (سبأ بن أبي السعود ابن زريع) بألقاب عديدة تدلُّ على مكانته لدى الفاطميين ، ولعله مُنِحها بعد انفراده بحكم الإمارة[٣] ومنها : « الداعي الأوحد المظفر مجد الملك

(٣) عمارة ص ٨٣.

شرف الخلافة عضد الدولة سيف الإسلام تاج العرب ومقدمها داعي امير المؤمنين (سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس بن الكُرَّم اليامي) واضاف المصدر قائلاً : وهو مالكٌ لِبابها ، وما يدخل من البر ، وله معقل الدملوة[٤] وسامع ومطران وذبحان وبعض المعافر وبعض الجند وأعمال في الجبال واسعة .

ولما توفي (أبو الغارات) خلفه ولده (محمد) .

ولما توفي (محمد بن أبي الغارات) خلفه أخوه (علي بن أبي الغارات) .

وفي عهد الأميرين (سبأ بن أبي السعود) و(علي بن أبي الغارات) حدث خلاف بينهما ادى الى حرب دامت عامين كاملين ، وأسفرت في نهايتها عن تغلب الداعي (سبأ بن أبي السعود بن زريع) ، واستيلائه على جميع ما بنظر ابن عمه (علي بن أبي الغارات) ، وعُرِفت الإمارة من يومئذٍ بإمارة آل زريع ، فالأمير (سبأ بن أبي السعود بن زريع) يُعتبَرَ مؤسس إمارة آل زريع .

أمّا أسباب الخلاف بين الأميرين المذكورين فهو[٥] : أنّ (ابا القاسم محمد بن الخزري) نائب الأمير (علي بن أبي الغارات) بسط يده في نصف الارتفاع الخاص بالأمير (محمد بن سبأ) ، ولم يكفه (احمد بن عتاب الهذلي) نائب (بلال بن جرير المحمدي) وزير الملك سبأ ، وأضاف المصدر قائلاً : « وامتدّت ايدي اصحاب (علي بن أبي الغارات) الى ظلم الناس ، وعاثوا في البلاد وأفسدوا ، وأطلقوا الأقوال بمذمة الداعي سبأ ، وقالوا من ذلك ما يوجب الغيظ ويثير الحفيظة ، والداعي سبأ في اثناء ذلك مهتم بجمع الأموال والغلات سراً ، فكان من يلوذ بالداعي سبأ يُضَام ويهضم

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند»

(٤) الدملوة وما اليها من اعمال المعافر .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

ولما عرف (الداعي سبأ) قلة ما بيد (علي بن أبي الغارات) نتيجة اسرافه في انفاق الأموال ضده عزم على مناجزته ، وارتفع الى قلعة الدملوة في بلاد الصلو من اعمال المعافر ، وكانت مما تحت يده ، ومنها بعث ابا سعيد القائد (بلال بن جرير المحمدي) الى عدن ، للاضطلاع بمسؤولية ما بنظره من اعمالها ، وللتحرش بعلي بن أبي الغارات ، وتحريك القتال معه في عدن ، وحشد (الداعي سبأ) من ناحيته جموعه من همدان وجنب وعنس وخولان وحمير ومذحج وغيرها ، ونزل بها من الدملوة الى قرية (بني ابه) في وادي لحج ، وكانت مسوَّرة ومما يقع تحت نفوذه ، كما تقدّم (علي بن أبي الغارات) بجموعه وعسكر في قرية الرعارع في وادي لحج أيضاً ، وكانت مسورة ومما يقع تحت نفوذه ، وبدأ قتال بين الفريقين استمرّ عامين ، وأسفر في نهايته عن هزيمة (علي بن أبي الغارات) ولجوئه[٦] وبعض خاصته الى حصنين له وهما : (المنيف) و(الحبلة) في بلاد صهيب اعالي لحج ، والتي تُعرف اليوم ببلاد العلوي ، واحتل الأمير سبأ قرية (الرعارع) وفي ذلك يقول الشاعر (علي بن محمد بن زياد المازبي) .

خَلَتِ الرعارع من بني المسعود … فعهودهم فيها كغير عهود
حلَّت بها آل الزريع وإنما … حلت اسود في مكان أسود

كما احتلّ القائد (بلال بن جرير المحمدي) في نفس اليوم حصن الخضراء بعدن ، وانزل منه الحرة (بهجة) والدة الداعي (علي بن أبي الغارات) ، وصادر ما كان بحوزتها من ذخائر ونفائس واموال ، ذُكِرَ هو انه اكثر مما جمعه خلال ولايته على عدن من عام (٥٢٧) للهجرة ، وأسكنها عدن والتقى بشيراً الداعي سبأ والقائد بلال من كل الى الآخر اثناء الطريق ، وقد قضى (الداعي سبأ) على امارة ابن عمه (علي بن أبي

(٦) العسجد ص ٨٦ .

الغارات) بصفة نهائية في عام (٥٣٢ هـ) وهو عام وفاة الملكة (أروى بنت أحمد الصليحي) ، ثم قتل(٧) (علي بن أبي الغارات) وابني عمه (منيع بن مسعود) و(عبد الله بن أبي الغارات) على يد الداعي (محمد بن سبأ) في عام (٥٤٥) للهجرة .

وقد ذكر المؤرخ (أبو الحسن الخزرجي) في تاريخه (العسجد المسبوك)(٨) ما نقل عن الداعي (محمد بن سبأ) عن حرب الرعارع وهو قوله : « كنت في طلائع جيش والدي ، فواجهني (علي بن أبي الغارات) ومنيع بن مسعود ولم تحمل الخيل أشجع ولا أفرس منهما ، فقال لي منيع : « يا صبي قل لأبيك يثبت فلا بدّ العشيةَ من تقبيل الجشميات التي في مصونه أي خيامه » (يعني النساء من الأسرة الجشمية المتحاربة) ، فأخبرت والدي بذلك » فركب بنفسه ، وقال لمن حضر من بني عمه : « انّ العرب المستأجرة لا تصبر على حر الطعام ، ولا يمسك الثور إلا قده ، فالقوا بأنفسكم بني عمكم ، وإلا فهي الهزيمة والعار » .

وأضاف (محمد بن سبأ) قائلاً : « ثم التقى القوم فحمل منا فارس على منيع بن مسعود وطعنه طعنة شرم بها شفته العليا وارنبة انفه ، ولّما فصلتِ المعركة ونزل السيل بالوادي افترق القوم ووقفوا جميعاً على عدوتي الوادي يتجاذبون الحديث ، فقال الداعي سبأ لمنيع : « كيف رأيت تقبيل الجشميات يا أبا مدافع ؟» فقال منيع : وجدته كما قال المتنبي : (والطعن(٩) عند محبيهن كالقبل) » .

فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب لموافقته شاهد الحال .

وقد اتسعت امارة آل زريع في عهد الداعي (سبأ) فشملت امارة بني

---

(٧) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ٨٦ .

(٨) منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٨٥ .

(٩) أما صدر البيت فهو : (اعلى الممالك ما يبنى على الأسل)

الكرندي في مخلاف المعافر من اعمال تعز حالياً ومخلافي الجند وجعفر من اعمال اب حالياً ، وفي عهده استقلت عن الصليحيين كما عرفنا .

وكانت امارة (آل زريع) قد بدأت تُقَلِّص نفوذ الدولة الصليحية فيها منذ عهد (المفضل بن أبي البركات) ، وزير الملكة اروى ، وذلك بقطع الأتاوة التي كانوا يؤدونها اليها ثم مصالحتها على النصف من ذلك ، بعد ان غزاهم المفضل وحاربهم ، ولمّا توفي المفضل قطع آل زريع النصف الذي صالحهم عليه ، فغزاهم الوزير (اسعد بن أبي الفتوح) وصالحهم على الربع من الأتاوة السنوية ، ولما غادر ابن نجيب الدولة الذي استوزرته الملكة اروى خلفاً لأسعد ابن الفتوح ولم يسد الوزير (علي بن عبد الله الصليحي) مسده قطع آل زريع الربع المتبقي عليهم من الأتاوة ، وانفصلوا نهائياً عن التبعية للملكة اروى كما علمنا .

واقاموا امارتهم مستقلين ووسعوها على حساب بني الكرندي وبما شروه من منصور بن المفضل بن أبي البركات بعد موت الملكة أروى حتى قضى عليهم وعلى غيرهم من الامارات اليمنية(بنو أيوب) كما سيأتي .

الداعي علي بن سبأ

وقد[10] توفي الداعي (سبأ) في عام (٥٣٣) للهجرة ، وبعد استيلائه على عدن بسبعة اشهر ، وكان قد اوصى بأن يخلفه اكبر أولاده (علي الأعز) وكان هذا مريضاً بالسل ولم يُعمَّر بعد والده إلا نحو عامين ، وقد أوصى بدوره بأن يخلفه ابنه حاتم ، وكان (بلال بن جرير المحمدي والي عدن قد حدثت بينه وبين الداعي علي بن سبأ وحشة همَّ هذا أن يقبض عليه ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يفعل ذلك .

---

(١٠) و(١١) المفيد حواشي كاي من ص ٨٦ .

الداعي محمد بن سبأ

ولمّا كان ما حدث بينهما[11] هو سبب كراهية بين بلال وبين أنيس الحبشي مربي أولاد الداعي سبأ فإنّ (بلال المحمدي) بعث رجالاً من همدان الى الأمير (محمد بن سبأ) الذي كان هارباً من اخيه الداعي علي لدى (منصور بن المفضل بن أبي البركات) ، وعادوا بمحمد بن سبأ الى عدن ، فأخذ له بلال البيعة من الناس ومن الديوان في عدن على حد ما جاء في تأريخ عمارة وزوّجه بابنته .

وأول عمل قام به الداعي (محمد بن سبأ) هو التحرك على رأس قواته نحو قلعة (الدملوة) التي كان الأستاذ (أنيس الحبشي) معتصماً فيها مع أولاد الداعي علي بن سبأ ، فحاصره فيها حتى اضطره الى التسليم ، ومن ثمة استولى (محمد بن سبأ) على جميع امارة (آل زريع) خلفاً لأخيه الداعي (علي ابن سبأ) وأطاعه الناس في السهل والجبل .

وفي اثناء ذلك وصل الى عدن (الداعي رشيد احمد بن علي بن الزبير) قادماً من مصر ، يحمل مرسوم العهد من الإمام الفاطمي الحافظ عبد المجيد بن محمد بن الإمام المستنصر ، للداعي علي الأعز ، ولما وجده قد مات ، قلد المرسوم الداعي (محمد بن سبأ) ولقبه بالمعظم وبالمتوج المكين سيف المسلمين ، ولقب الوزير (بلال بن جرير المحمدي) بالشيخ السعيد الموفق السديد ، وكانت الألقاب والرايات هي من أولى ما يمنحه الإمام للولاة الموالين له ، المنتمين اليه ولو كان انتماءً شكلياً .

ولمّا عجز[13] الأمير (منصور بن المفضل بن أبي البركات) عن القيام بادارة

---

(١١) المفيد حواشي كاي من ص ٨٦ .

(١٢) المفيد حواشي كاي من ص ٨٧ .

(١٣) في المفيد أيضاً ص ٨٨ .

شؤون ما بنظره من المدن والحصون ، والتي انتقل نفوذه عليها بعد موت الملكة (اروى بنت أحمد الصليحي) تنازل عن ذلك للداعي (محمد بن سبأ) مقابل مائة الف دينار ، وكان عدد الحصون ثمانية وعشرين حصناً ، منها حصن حب وحصن التعكر ، ومن المدن مدينة اب ومدينة جبلة ومدينة ذي اشرق وغيرها . ووصل الداعي محمد بن سبأ الى حصن التعكر والى حصن حب ودخل مدينة اب ، وأقام بمدينة ذي جبلة أياماً تزوج خلالها بالأميرة اروى بنت (علي بن عبد الله الصليحي) بعد ان طلقها (منصور بن المفضل بن أبي البركات) ، كما تزوّج الداعي (محمد بن سبأ) بابنة (اسعد بن وائل بن عيسى الحميري) سلطان وحاظة ، ثم عاد الى قلعة الدملوة وأقام بها الى موته في عام (٥٤٨ هـ) .

وكان الداعي (محمد بن سبأ) آل زريع ناهضاً كريماً مقصوداً ممدوحاً ، من الأدباء والشعراء ، وكان مجلسه حافلاً بالأدباء والعلماء ، ومدحه الكثير من الشعراء بغرر قصائدهم ، وكان يثيبهم جميعاً .

قال عمارة في تأريخه : « رأيته في يوم عيد وقد احرقته الشمس في المصلى بظاهر مدينة الجوة[١٤] والشعراء يتزاحمون على السبق بالنشيد فقال : قل لهم لا تتزاحموا وارفع صوتك فلست اعزم حتى يفرغوا ، وكانوا ثلاثين شاعراً ثم أثابهم جميعاً » .

وقال عمارة أيضاً : « وحضرنا يوماً عنده بقصر الحجر في موضع يعرف بالجنات[١٥] وعنده من الشعراء : (صفي الدولة احمد بن علي الحقلي)

---

(١٤) مدينة قديمة اسفل بلاد الصلو من اعمال قلعة الدملوة آنذاك ما تزال الى اليوم قرية عامرة .

(١٥) واد ما يزال معروفاً بهذا الأسم تحت قلعة الدملوة من اعمال بلاد الصلو فيه الكثير من غروس الفاكهة .

و(القاضي[١٦] أبو بكر الجندي) وقاضي صنعاء (يحيى بن عبد السلام بن أبي يحيى) وهو في الشعر عند أهل اليمن في طبقة (ابن القم) (الحسين بن علي ابن القم) ، فاقترح الداعي (محمد بن سبأ) على الجماعة بيتي شعر على وزن قام في خاطره ، وشرط لمن سبق مالاً وثياباً كانت عليه ، فتسابق الجماعة ، فسبقهم القاضي أبو بكر الجندي وكان قريباً مني ، وقد ثمل من الشراب ، فسرقت الورقة من يده ، وجعلتها في فمي ، وانتحلت بيتيه وقمت فأنشدتها للداعي ، وأخذت من القاضي حضله ، وسلبته نصله ، وفزت بالمال والثياب ، ثم فاضت ينابيع كرمه على الجماعة ، فما منهم إلا من خلع عليه واجزل صلته » .

ثم ذكر عمارة في المصدر نفسه صحبته للداعي (محمد بن سبأ) الى مخلاف جعفر حينما وصل اليه لتسلم ما تنازل عنه منصور بن المفضل بن أبي البركات من حصون ومدن الصليحيين ، وأضاف قائلاً : « واكثر الشعراء تهنئته و مدحه بالمعاقل والعقيلة المذكورة (التي تزوجها) وطاش فرحاً بما صار اليه ، وبسط يده بالعطايا حتى اني اذكر يوماً وقد طلعتُ صحبته أنا وأبو الحسن النبلي من ذي جبلة الى حصن حب ، وكل من رفع اليه رقعة وقع عليها بما مثاله (العزة لله وحده) (لعل هذه الجملة كانت توقيعه) ، فلمّا انتهينا الى الحصن

---

(١٦) هو قاضي الشريعة أبو العتيق أبو بكر بن عبد الله بن محمد اليافعي الجندي ، قال في كتاب (حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول) ص (٦٥) « وقبل ظهور الدولة الرسولية ظهر ثلاثة من فحول الشعر باليمن هم : اليافعي والعندي وعمارة» وترجم لليافعي الجندي بأنه ولد في عام (٤٩٠) هـ وانه تولى القضاء في الدولة الزريعية وذكر من شعره قوله :

ونحن للفرقة نبكي معاً ... استودع الله الذي ودعا
اسبل من اجفانه ادمعا ... لما رآني مسبلاً ادمعا
وقال لي عند فراقي له ... ما اعظم البين وما أوجعا
ما أنت بعدي بالنوى صانع ... فقلت لا أقدر ان اصنعا
ما يصنع الصب المعنّى اذا ... فارق إلفاً غير ان يجزعا

احصينا الرقاع التي بأيدي الناس ، وكان خازن ماله الشيخان (احمد بن موسى) و(ريحان المحمدي) فجاء مبلغ الرقاع خمسة آلاف دينار ، فاستكثرها (احمد بن موسى) وقال : فشاوره على ذلك ، وقال ريحان : أمّا أنا فيا أكره الحياة والله لئن شاورته على ذلك لاسَلِمْتُ منه ، فدفع المال في ذلك اليوم بأسره » .

هذه بعض نماذج مجالس الأمير الداعي (محمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع) ،الحافلة بالأدباء والشعراء والعلماء ، ونماذج من عطائه وكرمه الذي شجع الأدباء ، ورفع من شأن الشعر والعلم .

وممن مدحه[١٧] قاضي صنعاء (يحيى بن عبد السلام بن ابي يحيى) ومن قصائده في مدحه قصيدة انشأها بمناسبة زيارته لمدينة ذي جبلة مطلعها

النصر من قرناء عزمك فاعزم   والدهر من اسراء حكمك فاحكم

ومنهم الشريف (يحيى بن محمد بن علي الحسني) ومن قصائده فيه قصيدة هنأه فيها بالعيد مطلعها :

جلالك البس العيد الجلالا   ومجدك فيه مجد العيد طالا
وعزك اكسب الأعياد عزاً   يتيه به وصار لها جلالا

ومنهم الأديب سالم بن عمران التغلبي ، ومن قصائده في مدحه قصيدة مطلعها :

هل للفضائل عن مديحك معزل   أم هل لها عن دون بابك موئل
شغلت صفاتك السن الشعراء عن   أن ينسبوا فيها وان يتغزلوا

ومنهم الأديب دجانة بن محمد الصنعاني ومن قصائده في مدحه قصيدة مطلعها :

(١٧) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٨٨ .

قسماً بمجدك انه لمجيد حقاً وانك في الزمان وحيد
فاقعد فدست الملك غير منازع والبس رداء المجد فهو جديد
وأفخر على أهل الزمان فإنهم خول وانك فيهمو لعميد

ومن مدحه الشيخ الأديب احمد بن علي المعافري ومن شعره فيه قوله :

شهدت بفضلك يعرب العَرْباء وعنت لك الأشباه والنظراء
وترفعت همم نواهما فيك ان تأتي على أوصافها الشعراء

ومنهم الأديب احمد بن محمد بن الحيار ومن شعره فيه قصيدة مطلعها :

هي الدولة الغراء والعز والنصر وطيب الثنا والفضل والمجد والفخر
لمن قوله فصل وباطنه حجى وظاهره بشر ونائله غمر

ومنهم الأديب الأوحد وزير الدولة الهمدانية عبد الله بن علي بن احمد الصنعاني ومن شعره فيه قوله :

لم يدر كيف يقول فيك المادح أم كيف تنصفك الثناء مدائح
يأبى امتناعاً ان ينالك واصف أبداً كما امتنع السماك الرامح

وأضاف الخزرجي[١٨] قائلاً : « قال عمارة فكان الداعي (محمد بن سبأ) من كرام الملوك ، ومكارمه اكثر من ان تحصر ، واشهر من ان تذكر ، وفي أيامه توفي الشيخ السعيد (بلال بن جرير المحمدي) وكانت وفاته في سنة(٥٤٥ هـ) وقيل في سنة (٥٤٧) للهجرة ، ولما توفي الشيخ بلال بن جرير في التأريخ المذكور استخلف الداعي ولده (مدافع بن بلال) ثم اخاه (ابا الفرج ياسر بن بلال) ، فاقام معه بقية أيامه ثم كان مع ولده عمران بن محمد بن سبأ » .

(١٨) نفس المصدر ص ٨٩ .

الداعي عمران بن محمد بن سبأ

ولمّا توفي الداعي الأمير (محمد بن سبأ آل زريع) في عام (٥٤٩) للهجرة ، خلفه ولده الداعي الأمير (عمران) ، وكان كأبيه كرماً وجوداً ونهضة وعزماً ، وربما فاق والده ، ذكره المؤرخ الخزرجي(١٩) وقال عنه : « فاقتفى طريقة ابيه مع زيادة لائقة واخلاق رائقة » .

إلا انّ الأمور على عهده وفي منطقة نفوذه لم تنعم بالهدوء والاستقرار كما كان الحال في عهد ابيه ، وذلك بسبب ثورة (علي بن مهدي الرعيني) على (آل نجاح) الأحباش حكام تهامة ، والذي لم تقتصر مطامعه على امارتهم ، بل اتسعت الى غيرها مما هو تحت نفوذ الإمارة الزريعية المجاورة لإمارة (آل نجاح) .

وقام (مهدي بن علي بن مهدي) بالعمل على تحقيق مطامع ابيه ، فغزا عدن ومخلاف جعفر وغيرهما ، مما كان تحت نفوذ آل زريع .

وقد تحدث الخزرجي(٢٠) عن حركة (مهدي بن علي بن مهدي) بعد موت والده فقال : « فغزا البلاد ودوّخ الملوك وصالحه الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) عن مدينة عدن والدملوة بمال معلوم هذه رواية الجندي » .

وأضاف قائلاً : « وقال صاحب العقد الثمين : لمّا توفي (علي بن مهدي) في التأريخ المذكور (السادس من شوال من سنة (٥٥٨) هـ بمدينة زبيد ، ودُفن بها وعمل أولاده على قبره مشهداً ، وصاروا يحجون اليه ، ثم ولي الأمر بعده ولده (عبد النبي) وأخوه (مهدي) ابنا علي بن مهدي ، فكان عبد النبي متولياً امور المملكة وتدبيرها ، وأخوه المهدي متولياً امور الجيش والسرايا » .

وأضاف(٢١) الخزرجي أيضاً قائلاً : « وأغار على لحج غارتين ، احداهما

(١٩) في العسجد المسبوك ص ٩٠ .

(٢٠) و(٢١) نفس المصدر ص ١٣٦ .

في شعبان من سنة (٥٥٦ هـ) والثانية في رمضان من سنة (٥٥٨) هـ » ، وكلاهما أي عدن ولحج مما هو تحت نفوذ الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) .

وقال الخزرجي[٢٢] : ثم اغار في شوال من السنة المذكورة (٥٥٨ هـ) فحصر أهل مدينة الجند اربعة عشر يوماً ، ثم دخلها يوم الأثنين غرة ذي القعدة من سنة (٥٥٨ هـ) فقتل اكثر من وجد فيها من صغير وكبير ، ورماهم في البئر التي في المسجد ، وحرّق اكثر دورها ، وحرّق المسجد على من فيه من الضعفاء والعجائز والعواكف، وما كان من اموال الناس والشرح والودائع ، وحرّق الكتب والمصاحف التي كانت في المسجد » .

ثم ذكر وفاته عقب عودته الى زبيد من نفس العام ، وانّ اخاه (عبد النبي بن علي بن مهدي) استقل بالأمر وقام بغزو بلاد أبين والمخلاف السليماني ، كما قام أخوه (احمد بن علي بن مهدي) بغزو مدينة الجؤة وكانت مما هو تحت نفوذ آل زريع ، ومنها تقدم الى تعز وصبر ومدينة ذي اشرق ، فمخلاف جعفر ، وحصر حصن المجمعة من اعمال اب وأخذها ، وكانت جميعها مما هو تحت نفوذ الداعي (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) ، وانه استولى بعد ذلك على مدينة اب وحصن الشماحي المطل عليها من الشرق ، ثم تحوّل الى عدن محاصراً لها ، الأمر الذي ادى الى التحالف الآتي ضده .

تحالف الداعي عمران آل زريع وعلي بن حاتم

أدّى تهوّر (آل مهدي) وسعة مطامعهم في امارة آل زريع وربما غيرها من الامارات والمشيخات اليمنية الى قيام الداعي (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) بالوصول الى صنعاء الى السلطان (علي بن حاتم بن احمد بن عمران اليامي الهمداني) وذلك في السادس من شهر ذي القعدة من عام (٥٦٨ هـ) طالباً نصرته على (آل مهدي) .

---

(٢٢) نفس المصدر ص ١٣٧ .

وقد ذكر(٢٣) الخزرجي الموضوع بشيء من التفصيل فقال : « فخرج للقائه السلطان الحميد علي بن حاتم بن احمد بن عمران اليامي) وقابله بالاتحاف والأسعاف ، وأجابه الى ما طلبه من النصرة ، ثم نهض السلطان (عمران بن محمد الزريعي) الى بلاد جنب بعد ان استوثق من السلطان (علي بن حاتم) على انه ينهض معه عندما تنهض معه جنب ومذحج ، فوصل السلطان عمران الزريعي الى ذمار ، وقصد السلطان عبد الله بن يحيى الجنبي والشيخ زيد بن عمران الجنبي ، واستنصرهما جميعاً ، فأجاباه الى ما طلب ، فكتب الى السلطان (علي بن حاتم) يخبره بما قد اجمع عليه القوم من نصرته ، فخرج السلطان علي بن حاتم من صنعاء بمن معه من همدان وسنحان وبني شهاب ونهد وغيرهم ، وكان خروجه من صنعاء يوم السبت الثالث عشر من شهر صفر من سنة (٥٦٩ هـ) فوصل ذمار وأقام فيها ثلاثة أيام ، ثم تقدم بعسكره وحطّ في السحول من بلاد اب ، وأقام فيه الى ان وصلته مشايخ جنب بجموعهم ، وفي اليوم السابع عشر من الشهر المذكور نهضوا جميعاً وحطوا في عقبة إب بين اب والمعاين ، ومعهم بالطبع الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) على رأس جموعه .

امّا(٢٤) (ابن مهدي) فإنه وزّع جنوده اثلاثاً ، ثلث عسكر به في جبلة ، وثلث في الأكمة بين اب وجبلة ، والثلث الثالث عسكرَ به بالقرب من جبل المسواد المطل على الطريق العام بين اب وتعز ، في ضاحية اب الغربية الجنوبية . وكأنه هدف من وراء توزيع جيشه على النحو المذكور الى ان تقوم الفرقة الأمامية في خط المواجهة والمعسكرة في الأكمة بمواجهة الحلفاء،وكانت هي أقوى الفرق الثلاث ، فاذا انهزمت استطاع ان ينسحب بين فرقتي جبلة وجبل المسواد ، فيكون قد حمى ظهره عند الانسحاب ، واتخذهما مع ذلك جبهات

(٢٣) نفس المصدر ص ١٣٩ .

(٢٤) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ١٣٩ .

دفاعية في نفس الوقت .

ولكنه لم يحقق من مخططه إلا الانسحاب ، وانسحبت وراءه الفرقتان الثانية والثالثة ، اثر انهزام الفرقة الأولى الى الجند ومنها الى تعز ، بينما واصل الحلفاء تقدمهم في اثره حتى دخلوا تعز ، فوجدوه قد انسحب بفلول جيشه منها الى زبيد عاصمة امارته ومنطلقه الأول للتوسع .

وكان في عزم الحلفاء مواصلة التقدم في أثره حتى زبيد ، ولكن مشايخ جنب قرروا التوقف عند تعز والعودة ، مكتفين بما تحقق من طرد آل مهدي من مخلاف جعفر ومن الجند ، وكلاهما من مناطق (آل زريع) ، وكان لمشايخ جنب التأثير على بقية الحلفاء ، وعاد كل الى بلاده .

وكان عبد النبي بن علي بن مهدي قبيل انسحابه من تعز قد ادرك طلائع قوات الحلفاء قادمة نحو تعز فقال(٢٥) : « ان صدق ظني فهذا علي بن حاتم ، فقيل له : نعم هذه الكتيبة الدحوانية كتيبة همدان : فأنشد متمثلاً بالبيت المنسوب لاسعد الكامل :

واعلم بنيَّ بأن كل قبيلة ستذلّ ان نهضت لها همدان

وفي(٢٦) أثناء ذلك وصلت البُردُ من عدن يخبرون بأنّ عسكر ابن مهدي الذين كانوا بالرعارع محاصرين لعدن ، قد هربوا بعد إنهزام قوات ابن مهدي في وجه قوات الحلفاء .

ثم عاد السلطان (علي بن حاتم) الى صنعاء ووصلها يوم(٢٧) الخميس غرة شهر ربيع الآخر من العام المذكور (٥٦٩ هـ) ، وعاد سائر الحلفاء كل الى بلده .

ولم يلبث آل مهدي ان قصدهم(٢٨) (بنو أيوب) وفي مقدمتهم (توران

---

(٢٥) و(٢٦) نفس المصدر ص ١٤٠ .

(٢٧) و(٢٨) نفس المصدر ص ١٤١ .

شاه الأيوبي) ودخل هذا زبيد وقضى فيها على (آل مهدي) كما سيأتي في الفصل الخاص بتأريخ بني أيوب في اليمن ، وكان دخول توران شاه زبيد يوم الأثنين التاسع من شوال من العام المذكور (٥٦٩) هـ ، وكانت امارة آل مهدي هي اول امارة يمنية قضى الأيوبيون على نفوذها في اليمن . هذا وليس تحالف الأمارتين الهمدانيتين ضد آل مهدي هو التحالف الأول بينهما ، بل انه كان قد سبق ذلك التحالف تحالُف مماثل بين الإمارتين الهمدانيتين ضد الإمام احمد بن سليمان ولصالح آل حاتم كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخ (آل حاتم) .

نهاية إمارة آل زريع

وقد توفي الداعي (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) في عام (٥٦٩) للهجرة في ارجح الروايات .

ونقله[٢٩] الأديب أبو بكر بن محمد العندي الى مكة المشرفة ودفنه في مقابرها ، وأضاف المصدر قائلاً : « ومن مآثره الباقية في عدن المنبر المنصوب في جامعها ، واسمه مكتوب عليه» .

وقد توفي عن ثلاثة من الأولاد هم : منصور ومحمد وأبو السعود ، وكلهم عند موته دون البلوغ ، فجعل الداعي كفالتهم الى الأستاذ (أبي الدر جوهر المعظمي) ، وأقام معهم في حصن الدملوة .

أمّا القائم على[٣٠] شؤون الإمارة بعد موته فهو (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) ، وكان هذا كما وصفه المصدر كأبيه عزماً وحزماً .

كما فاق الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) أباه في الجود وكان مقصوداً ممدوحاً من الأدباء والشعراء ، وممن مدحه قاضي صنعاء (يحيى بن عبد السلام ابن أبي يحيى) بغرر القصائد ومنها قصيدة مطلعها :

---

(٢٩) الخزرجي في العسجد ص ٩٥ .

(٣٠) نفس المصدر والصفحة .

ايلوم طيفهمسو علي هجرانه صب تجافى النوم من اجفانه
سلبوا كراه منه بخلاً منهمو بالطيف ان يغشاه في غشيانه

ومنها قوله :

كرم المكرم يذهل المشتاق عن اشواقه والصب عن اوطانه
كرم اذا خيّرته وخبرته حقّرت قدر سماعه لعيانه
ليس البحار ولا السحائب تدعي لسماحهنّ الجري في ميدانه

وذكر[٣١] الخزرجي انّ الداعي عمران اجازه على هذه القصيدة بألف دينار ، وانه كان قد اجازه على قصيدة قبلها بمثل ذلك . ومدحه الأديب أبو بكر ابن احمد العندي (من أعنود أبين) بقصيدة مطلعها :

فلك مقامك والنجوم كؤوس بسعوده التثليث والتسديس
والبدر وجهك طالعاً في دسته لا البدر اجلى وجهك الخنديس

ومنها قوله :

يا من تطابق فعله ومقاله فلسانه التطبيق والتجنيس
حق الكواكب ان تكون مدائحاً لك والبروج صحائف وطروس

وأضاف المصدر قائلاً : « وهي قصيدة أجاد فيها كل الإجادة ، فسلم اليه الداعي ولده (أبا السعود) بن عمران وقال : قد أجزتك بهذا ، فأقعده على لينة ، فلم يلبث أن وصل إليه استاذ داره يستأذنه في دخول الولد الى أهل الدار ، فأذن له في ذلك ،ثم التفت الداعي عمران الى الأديب وقال له : إذا

---

(٣١) الخزرجي في العسجد المسبوك أيضاً من ص ٩١ . وقد اطلت في ذكر مجالس المكرم الداعي عمران بن محمد بن سبأ الحافلة بالأدباء وبما كان يفيض عليهم من كرمه حتى وهب الأديب الجندي ـ ابنه لتبالغ والدته باكرام الأديب باسم ثمن ابنها ، لاعطاء القارىء فكرة عن ذلك العهد الحافل بالأدب والأدباء وقيام امراء آل زريع بتبجيلهم واكرامهم .

رغَّبوكَ في بيعه فاستنصف في ثمنه ، فلم يلبث قليلاً حتى خرج الولد وخادم في يده قدح من فضة فيه ألف دينار وسبعمائة دينار وخلصه ، فقال له الداعي : كم سلموا لك ، فأعلمه بالمبلغ فأطلق له مسك مركب بألفي دينار ، ومدحه أبو بكر المذكور بعدد من غرر قصائده ومنها القصيدة الكافية المشهورة :

حياكِ يا عدن الحيا حياكِ ... وجرى رضاب لماه فوق لماكِ
فافتر ثغر الروض فيكِ مضاحكاً ... بالبشر رونق ثغرك الضحاك
ووشت مطارفه عليكِ مطارفاً ... تختال في حبراتها عطفاك

ومنها قوله :

وعلام استسقي الحيا لكِ بعد ما ... ضمن المكرم بالندى سقياكِ
فهمت مكارمه عليك فصافحت ... عن كفه معنى الغنا مغناك
وتأرَّجت رياكِ مسكاً بعد ما ... عبقت بريّا ذكره ذكراكِ
فليهنكِ الفضل الذي أحرزتِهِ ... بعلاه حسبك مفخراً وكفاكِ
شرفت رباكِ به فقد ودّت له ... زهر الكواكب انهن رباكِ

ومنها :

فالجود مبتسم الثغور ببذله ... ابداً وبيت المال منه شاكي
من دوحة الشرف الزريعي التي ... رسخت بأصل في المفاخر زاكي

وأضاف الخزرجي قائلاً : « وهي قصيدة طويلة مشهورة من القصائد الطنانات المشهورات » ومن مدائحه فيه قوله :

ذكر العذيب ومايلات قبابه ... وقف الفؤاد على أليم عقابه
ومهب انفاس الصبا من جوده ... فيه شفاء الصب من أوصابه
فدع النسيم يبثّ من أنبائه ... خبراً على الزفرات رجع جوابه

ومنها قوله :

ملك لو استسقى الغمام بجوده ... أغناه عن سقياهُ ملء سحابه

ملك افاض على الزمان بهاءَه — فأعاده في عنفوان شبابه
ملك يشفّ عليه نور كماله — فيكاد يلحظ من وراء حجابه

ومنها :

فكأنّ مجتمع الفضائل والغنا — ما بين نائله وبين خطابه
فكفى لقحطان بن هود مفخراً — ان اصبحت تعزى الى انسابه
أعلى مآثرها وشيّد فخرها — دون الملوك بطعنه وضرابه
وبنى له بيتاً قواضب بيضه — عمدانه والسمر من اطنابه
يزداد حسن المدح فيه وانما — يبدو جمال الشيء في أربابه

هذا وقد أورد المؤرخ علي بن حسن الخزرجي في كتابه (العسجد المسبوك) قصائد اخرى لهذا الشاعر ولغيره في مدح المكرم الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) وكلها في منتهى البلاغة في عصرها .

أمّا بالنسبة للكيفية التي انتهت بها امارة آل زريع فهي انّ توران شاه الأيوبي قدم من مصر الى اليمن في عام (٥٦٩ هـ) موفداً من اخيه صلاح الدين كما علمنا ، ونعلم وفي نفس العام وبعد قضائه على إمارة (آل مهدي) في تهامة قصد(٣٢) عدن عاصمة الامارة الزريعية ، واستولى عليها وعلى جميع اجزاء الإمارة المذكورة باستثناء قلعة الدملوة في بلاد المعافر التي اعتصم فيها (أبو الدر جوهر المعظمي) مربي أولاد الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) ، وفرّ اليها مع ذلك والي عدن للإمارة المذكورة (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) .

ولم يصمد مع أبي الدر في القلعة ، ولكنه خرج منها متنكراً في الفترة التي اقامها (توران شاه) في اليمن ، وهي عام واحد ، ووصل الى مدينة ذي عدينة (تعز) مع مملوكه (مفتاح السداسي) فنمّ بهما انسان الى توران شاه فأمر بالقبض عليهما وقتلهما .

---

(٣٢) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٩٥ .

بينما صمد (أبو الدر جوهر المعظمي) في القلعة كما اشرت حتى وصل الى اليمن (الطغتكين بن أيوب) موفداً من (صلاح الدين بن أيوب) خلفاً لأخيه (توران شاه) وضرب الطغتكين(٣٣) حصاراً شديداً على قلعة الدملوة ، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها إلا بالتسليم من (جوهر المعظمي) بشروط وفى له الطغتكين بها ، وخرج هو مع أولاد (عمران بن محمد بن سبأ) وحريمه متنكراً بزي امرأة ، وكان قبل خروجه من القلعة قد وضع اوراقاً كثيرة وضع عليها ختمه ، وصار كاتبه يراسل الطغتكين باسمه .

ولمّا صار جوهر المعظمي مع من معه من الأطفال والحريم وما معه من الأموال والنفائس في البحر كتب الى كاتبه عن طريق الطغتكين كتاباً يأمره فيه بتسليم القلعة الى (الطغتكين) ، فعجب الطغتكين من كمال جوهر المعظمي .

وامتنع الكاتب بدوره عن تسليم القلعة الى الطغتكين إلا بشروط ضمن له بها السلطان (بشر بن حاتم) الذي قدم الى الطغتكين موفداً من اخيه (السلطان علي بن حاتم) لمصالحة الطغتكين كما سنعلم تفصيل ذلك في الفصل الخاص بتأريخ آل حاتم .

وسلم الكاتب القلعة الى الطغتكين بعد ان تسلم المال الذي طلبه منه ومضى به بصحبة الوسيط السلطان بشر بن حاتم المذكور الى صنعاء ، وكانت هذه الأحداث في عام (٥٨٤) للهجرة .

نظرة عامة في امارة آل زريع

حكم (آل زريع) وأسلافهم (عدن) وأعمالها نواباً للصليحيين ، منذ عهد المكرم (احمد بن علي بن محمد الصليحي) .

وعرفت الإمارة بامارة (آل زريع) منذ استولى الأمير (سبأ بن أبي

---

(٣٣) نفس المصدر ص ١٦٢ .

السعود بن زريع بن العباس بن الكُرّم الجشمي اليامي الهمداني) عليها جميعها بعد ان تغلب على ابن عمه (علي بن أبي الغارات بن مسعود بن الكُرَّم الجشمي اليامي الهمداني) .

وامتد نفوذ الداعي (محمد بن سبأ) الى الكثير من مخلاف بلاد المعافر ومخلافي الجند وجعفر على حساب بني الكرندي وبالتنازل له من الأمير (منصور ابن المفضل بن أبي البركات) الذي انتقل ذلك اليه بعد موت الملكة (اروى بنت احمد الصليحي) مقابل مال دفعه اليه كما عرفنا ذلك بالتفصيل .

وأقام (آل زريع) حكماً مجيداً نَعِمَ الناس في مناطق نفوذهم بالأمن والاستقرار والرخاء ، وازدهر العلم والأدب بفضل التشجيع الذي كان (آل زريع) يقدمونه الى العلماء والأدباء بسخاء .

وكان ابرز امراء (آل زريع) هم : (سبأ بن أبي السعود) (فمحمد بن سبأ) (فعمران بن محمد بن سبأ) .

وكان كل من هؤلاء الثلاثة الأمراء لا يقلّ عن الآخر جوداً ونهضة وعزماً .

إلا أنّ الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) ابتُلي بثورة (علي بن مهدي الرعيني) على (آل نجاح) الأحباش حكام تهامة والذي لم تقتصر مطامعه على منطقة نفوذ (آل نجاح) بل امتدت الى مناطق نفوذ (آل زريع) وحاول تحقيقها ابناؤه بعد موته . ولكن تحالف الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) مع السلطان (علي بن حاتم) بن احمد اليامي الهمداني حاكم صنعاء وضع حداً لمطامع آل مهدي ، وساند الحليفين الهمدانيين سلاطين جنب ، وردّ الحلفاء (آل مهدي) الى (زبيد) نقطة انطلاقهم الأولى .

وقد وحّد بين السلطانين الهمدانيين المتحالفين (عمران بن محمد بن سبأ) و(علي بن حاتم بن احمد) الخطر المشترك الذي هددهما معاً وهو توسع مطامع آل مهدي ، الى جانب أواصر القرابة والدم التي جمعتهما ، كما ضمّ الى الحليفين المذكورين قبيلة جنب خوفُها من توسع آل مهدي الى بلادها أيضاً وكان

لها آنذاك شأن كبير في اعمال ذمار وليس في منطقتها (الجنبيين) من بلاد مغرب عنس فحسب .

ثم جاء الأيوبيون وقضوا على (آل زريع) وعلى آل مهدي وعلى غيرهما من الإمارات اليمنية ، كما سيأتي تفصيله في الفصل الخاص بتأريخ بني أيوب .

وكان الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) قد توفي اثر مجيء بني أيوب الى اليمن ، ولم يعد في (آل زريع) إلا أطفال الداعي (عمران) في قلعة الدملوة يقوم عليهم مربيهم (جوهر المعظمي) ، وإلا (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) في (عدن) وكان ما علمنا عنه في نهاية هذا الفصل .

ولقد كانت امارة (آل زريع) حين داهمها الأيوبيون من القوة والفتوة بحيث كانت تستطيع ان تعيش فترة اطول عزيزة الجانب لو لم تطغ عليها الدولة الأيوبية ذات النفوذ الواسع داخل اليمن وخارجه ، وذات السمعة العالية بفضل ما كان يتمتع به السلطان (صلاح الدين بن أيوب) في حربه للصليبيين .

وقد ركّز الأيوبيون في القضاء على آل زريع بعد القضاء على آل مهدي لأنّ منطقة نفوذ (آل زريع) هي المنطقة الأولى المجاورة لمنطقة آل مهدي ، ولأن (آل زريع) هم دعاة الفاطمية في اليمن ، وكان الأيوبيون قد اقاموا دولتهم في مصر على انقاض دولة الفاطميين ، واحرى بهم ان يقضوا على اي نفوذ لدعاتهم في اليمن أو غيره .

أمّا آثار (آل زريع) العمرانية فمعظمها كانت في عدن عاصمة امارتهم ، ومنها السور الممتد بين جبلي التعكر وحقات ، وعلى منبر جامع عدن المحتفظ بروعته الى اليوم اسم الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) ، والداعي عمران هذا هو الذي سك الدينار الذهبي ، وأبطل التعامل بغيره وقد نقش عليه فقرة (اوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد)

ويوجد[٣٤] في المتحف البريطاني دينار منه ، وهو ضمن فهرست مسكوكات المتحف البريطاني .

وكان (آل زريع) كما علمنا شيعية ينتمون الى الفاطميين في مصر ، بحكم نيابتهم في امارتهم عن الصليحيين دعاة الفاطمية وبناة دولتها الثانية في اليمن .

وقد اختلفوا مع الملكة (أروى بنت أحمد الصليحي) في تشيعهم ذلك ، فانتموا هم الى الإمام الحافظ عبد المجيد بن محمد بن الإمام المستنصر الفاطمي .

في حين امتنعت هي عن الانتماء الى الإمام الحافظ المذكور ، وانتمت الى الإمام المولود المستور الطيب بن الآمر بأحكام الله بن الإمام المستنصر المذكور الذي لم يعلم مكانه .

وبسبب ذلك الاختلاف في التشيع والانتماء بين الملكة اروى ، و(آل زريع) ، انفصلوا عنها نهائياً واستقلوا عن التبعية لها ، وقطعوا الأتاوة التي كانوا يؤدونها اليها ، ويشجعهم انتماؤهم الى امام ذي قوة وسلطان .

وكان الأمير (سبأ بن أبي السعود بن زريع) هو أول من انفصل عن الملكة أروى وقطع الأتاوة التي كان يؤديها اليها تبعاً لأسلافه كما علمنا .

---

(٣٤) حواشي كاي على مفيد عمارة ترجمة الدكتور سليمان محمود رقم الحاشية (٣٤) .

آل حاتم الهمدانيون
(٤٩٢ ـ ٥٦٩ هـ)
(١٠٩٩ ـ ١١٦١ م)

حكمت صنعاء وأعمالها مستقلة عن الصليحيين بعد وفاة الملك (سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) ثلاث اسر همدانية وهي : (اسرة (آل الغشيم المغلسي) وأسرة (آل القبيب) وأسرة (آل عمران بن الفضل اليامي) ، وقد عرّفها المؤرخون جميعها بآل حاتم ، وكانت وفاة الملك سبأ (كما عرفنا) في عام (٤٩٢ هـ) .

وكان اسلاف هذه الأسرة من الهمدانيين هم نواب الصليحيين في المنطقة وأعمالها ، وعُرِف من أولئك النواب (عمران بن الفضل بن علي اليامي) احد نائبي المكرم (احمد بن علي الصليحي) ، بعد انتقاله من صنعاء الى مدينة جبلة عند اشتداد مرض الفالج الذي بدأ به يوم انقاذ امه (اسماء بنت شهاب) من اسر (سعيد الأحول بن نجاح) في زبيد كما علمنا .

وكان السلطان (حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل بن علي اليامي) حفيد القاضي عمران بن الفضل المذكور هو رأس الأسرة الثالثة من الأسر الثلاث الهمدانية كما سيأتي .

كما أناب الملك (سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) عند مشاركته للملكة أروى بنت أحمد الصليحي للحكم بعد موت الملك المكرم عنه أي الملك (سبأ) في صنعاء الهمدانيين ، وأقام هو في حصن اشيح من بلاد انس ،

وبذلك امكنهم الاستيلاء على الحكم في القسم الأعلى بعد موته ، وقبلتِ الملكة أروى بالأمر الواقع ، واكتفت هي بحكم المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية باستثناء عدن وأعمالها فإن (آل زريع) حكموها نيابة عنها حتى انفصلوا عنها في السنوات العشر الأخيرة من حكمها كما عرفنا .

هذا وكان (حصن اشيح) (حصن ظفار حالياً في مخلاف بني سويد من اعمال انس) ، هو مقر الملك سبأ الدائم بعد والده الذي كان والياً عليه وعلى اعماله في عهد (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) .

آل الغشيم المغلسي الهمداني

هذه هي الأسرة الأولى من الأسر الهمدانية الثلاث التي حكمت صنعاء واعمالها مستقلة عن الصليحيين كما عرفنا ، بل وانفصلت عن الفاطميين ، وامتنعت عن الولاء لهم والانتهاء اليهم ، مخالفة في ذلك الصليحيين اسلافهم في حكم المنطقة ، وأول من حكم في هذه الأسرة هو السلطان (حاتم بن الغشيم المغلسي) الهمداني ، وقد[1] وُصِف بأنه كان ناهضاً كافياً معدوداً من كملة الرجال ، وأضاف المصدر (الخزرجي) في (العسجد المسبوك) قائلاً : « وكان له من الولد ثلاثة أولاد) : « محمد » و« عبد الله » و« معن » ، فأمّا محمد بن حاتم بن الغشيم ، فكان سيفاً مصلتاً في حماية ابيه لم يشاركه احد في شجاعته وجودِهِ ، وله الوقعات المشهورة والفتكات العجيبة .

وأضاف قائلاً[2]: وكانت له خطرات وكان فيها اختلاط عقل ،فكان إذا تزوج امرأة وأحبها قتلها ، فتحاماه الناس ولم يزوجه أحد ، ثم أنه خرج يوماً يطوف في صنعاء فأبصر اليهود وقد أوقدوا ناراً عظيمة للفخّار والنار فيها عالية تلتهب ، وكانت له جارية يحبها حباً شديداً فجلبها وعليها ما شاء الله من حلي وحلل فطرحها فيها فأحترقت ، ثم ندم عليها ندماً عظيماً ، وجاء ليطرح

---

(١) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٧١ .

(٢) نفس المصدر ص ٧٢ .

نفسه بعدها فلزمه الحاضرون ورجعوا به ملزوماً الى منزله ، ثم خطب امرأة من بني الصليحي أهل فيضان (حصن في وصاب) فأبى أهلها تزويجه إلا بضمانة أبيه وكفالته انه لا يقتلها ، فلم يزل ببابيه حتى ضمن عليه وتكفل بذلك في محفل عظيم من رؤساء العرب وقال له : إن قتلتها قتلتك، وتزوجها ، وأقامت عنده ما شاء الله ، ثم قتلها ولحق بحصن براش في (الضاحية الجنوبية الشرقية لصنعاء) خوفاً من أبيه ، فلم يزل أبوه يخادعه ويراسله حتى نزل اليه ، فالتقيا عند آكام الزبيب شرقي صنعاء وكان أبوه قد أمر العبيد بلزمه إذا واجهه ، فلمّا واجهه أبوه الى الموضع المذكور أشار الى العبيد بلزمه فلزموه ، فوثب عليه أبوه فقتله ، وأحتز رأسه ودخل به صنعاء على رمح » .

وأضاف(٣) المصدر المذكور ايضاً أنّ والده حزن عليه حزناً عظيماً ورثاه بأبيات يقول فيها :

وأرتعتُ رأس الأريحي محمدا ... من البيض (مشحوذ) العرانين صارما
وقلت له هذا قصاص بما جنت ... يداك وكان الله روحك راحما
وقد كنت ان جشّمتُهُ للملمة ... رأيت فتى للمعظل الخطب حاسما
وان حضر اليوم العبوس رأيته ... اذا طاشت الأحلام أروع باسما

وقد(٤) توفي السلطان حاتم المغلسي) في عام (٥٠٢) للهجرة .

وخلفه ابنه (عبد الله) وكان يعرف بالشاب الغادل وقد استطاع كأبيه أن يوحد كلمة همدان ويحول دون اختلافهم وتفرقهم ، ولكنه(٥) مات مسموماً بعد ولايته بعامين .

فولي بعده اخوه (معن) .

---

(٣) نفس المصدر ص ٧٢ .
(٤) نفس المصدر ص ٧٣ .
(٥) نفس المصدر ص ٧٣ .

ولّما لم تستقر الأحوال في عهده ، وحدث في دولته ما انكرته كبار همدان ، اجتمعت وعلى رأسها القاضي (احمد بن عمران بن الفضل اليامي) وكان عالماً عاقلاً يرجع الى رأيه وخبرته ، وخلعت معناً ، وذلك في عام (٥١٠) للهجرة ، بعد ان حاصروه في مقره ، ثم اسكنوه في حصن براش آنف الذكر ليس له من الأمر شيء .

آل القبيب الهمداني

وولوا[٦] مكانه السلطان (هشام بن القبيب بن ربيع الهمداني) ، يساعده اخوه (الحماس بن القبيب) ، ودخلوا بهما صنعاء في موكب فخم ، وأسرة (القبيب) بن ربيع الهمداني هذه هي الأسرة الثانية من الأسر الثلاث التي حكمت صنعاء مستقلة عن الصليحيين كما عرفنا ، واحسن السلطان هشام بن القبيب الإضطلاع بالمسؤولية ، الى ان توفي في السابع عشر من شهر رمضان من عام (٥٢٧) للهجرة .

وأنفرد بالأمر اخوه (الحماس بن القبيب) وكان أعظمهم رئاسة وأقواهم شوكة ، وقد غزا[٧] قبيلة جنب الكبرى في بلاد ذمار وقتل منها عدداً كبيراً عند هران ذمار، ثم عاد الى صنعاء .

ولما حضرته[٨] الوفاة جمع اليه اخوته وهم ابو الغارات وعامر ومحمد وأبو الفتوح وحضهم على الألفة وعدم الفرقة وان يولوا بعد موته اكبرهم (أبا الغارات) فقالوا له : « لا نولي إلا محمداً : وكان أصغرهم ، ولما رأى ما هم فيه من الاختلاف وعدم الاتفاق بكى بكاء شديداً ، فقالوا له : وما يبكيك ؟ فانشد متمثلاً :

فما الموت ابكاني ولا القبر راعني
ولا من حمام الموت يا صاح اجزع

(٦) و(٧) و(٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٧٣ .

ولكنّ اقواماً أخاف عليهمو
واخشى بأن يعطوا الذي كنت أمنع
وتصبح آراء الرجال عليهمو
تجوز واصلاح الدنية توضع

ومات من ساعته ، واختلف اخوته وتفرّقت آراؤ هم واعتزلهم الناس .

آل عمران بن الفضل اليامي الهمداني

ثم[٩] اجتمعت همدان كافة وقصدت السلطان الأجل حميد الدولة (حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني) وحملته على القيام بالأمر ، فقبله وذلك في عام (٥٣٣) للهجرة وقد أضطلع بمسؤولياته على أكمل وجه ، وكوّن الأسرة الثالثة من أسر همدان التي حكمت صنعاء وأعمالها مستقلة عن الصليحيين كما عرفنا .

وقد نسب اليه بعد تسلمه مقاليد الحكم قوله :

يقولون لي قد جزت مملكة الدرب
فأدمن على اللذات والأكل والشرب
ولا تهجر الصهباء فهي لذيذة
مسهلة ما كان من خلق صعب
فقلت اذهبوا عني فلست بنازح
على مذهبي حسبي به مذهباً حسبي
صبا القوم فانصبوا الى ام وفرهم
ولست بمنصب اليها ولا صب

(٩) نفس المصدر ص ٧٤ .

وفي عهده دعا[١٠] الإمام (احمد بن سليمان) وبسط نفوذه على بلاد صعدة وبلاد نجران وبلاد الجوف وبلاد الظاهر من حاشد ، وكانت دعوة الإمام في عام (٥٤٥ هـ) وما زال يتسع نفوذه حتى دنا من صنعاء ، ونزل في بيت بوس بالقرب منها ، ووالته قبيلة بني شهاب وأهل حضور من ناحية بني مطر احدى نواحي صنعاء .

وقد أورد الخزرجي في المصدر[١١] المذكور قصة طريفة وملخصها أنّ الإمام المذكور بعث من بيت بوس رسولاً الى صنعاء يشتري له أوراقاً وصابوناً وحاجات اخرى ، وأنّ السلطان حاتم علم بالرسول ، فأمر باحضاره اليه ، ولّما وصل اليه استخبره عن الإمام ، ثم اعطاه كتاباً أمره بأن يوصله اليه وكان فيه قوله :

أبالورق الطلحي تأخذ ارضنا ... ولم تشتجر تحت العجاج رماح
وتملك صنعاء وهي كرسيّ ملكنا ... ونحن بأطراف البلاد شحاح

وانه لّما وصل الكتاب الى الإمام قال : نعم لنأخذنها ان شاء الله،ثم نهض من ذمار على رأس جيشه نحو صنعاء ، وعسكر في موضع الشرورة من بلاد سنحان ، وكان عسكره ثمانين الفاً فيهم الف وخمسمائة فارس قال عنها ولده :

ثمانون الفاً كان عسكر احمد ... اليها فأمست ملكه قبض خنصر

وقامت معركة بين الإمام والسلطان حاتم في الموضع المذكور ، انهزمت همدان على اثرها وقتل فيها نحو خمسمائة رجل اكثرهم من سنحان ، وانهزم السلطان حاتم ، ثم واصل الإمام تقدمه نحو صنعاء ، وأبلت همدان في حربه ، ثم توسط الشيخ زيد بن عمر التعزي لدى الإمام بأن يذم على همدان ، ووصل السلطان حاتم الى الإمام وانشده بيت(كعب بن زهير بن أبي سلمى) وهو.

---

(١٠) و(١١) العسجد ص ٧٤ .

نُــبِّئْــت أن رســـول الله أوعــدني والعفــو عنـد خيـار القـوم مقبـول

وردّ عليه الإمام بقوله : « قد عفونا عنك يـا سلطان العرب » وأنصفـه وأكـرمه ، وانتقـل السلطان الى حصن الظفـر القريب من الـروضة ، احـدى منتزهات صنعاء ، وكانت الروضة المركز الرئيسي لإقامة السلطان حاتم واليـه نسبت فسميت بروضة حاتم ، ويذكر أنّ السلطان حين خرج من درب الروضة في طـريقه الى حصن الـظفـر ورأى التفـاف النـاس حـول الإمـام (احمـد بن سليمان) انشد قوله :

غلبنــا بني حــواء بــأسـاً ونجــدة ولكننــا لم نستـطع غلب الــدهـر
ولا لــوم فــيــها لا يـطاق وإنمـا يـلام الفتى فيـها يـطاق من الأمـر

وكما تحولت القبائل اليمنيـة عن السلطان (حاتم بن احمـد اليامي) الى الإمام (احمد بن سليمان) وبصورة لم يكن السلطان يتوقعها، كذلك فعلت مع الإمام فتحولت عنه بعد ذلك الى السلطان ، وقد عمـل السلطان من ناحيتـه للتغلب على الإمام بأن[١٢] وقف بحصن الظفر حتى تفرق عن الإمام مناصروه من اليمنين مطمئنين الى استتباب الأمر له في صنعـاء ، ثم نهض أي السلطان حاتم فجمع همدان وقصد بهم صنعاء لحرب الإمـام واضطرّه الى الخـروج منها لحرب السلطان ، ثم قامت بينه وبين السلطان حـرب خارج صنعـاء سجلت الانتصار للسلطان حاتم واستيلاءه على صنعاء .

اما الإمام احمد بن سليمان فإنه انسحب من ميـدان المعركـة الى بعض الجهات التابعة لصنعاء ، ومنها بدأ يجمع انصاره من جـديد ، ويـراسل قبيلة جنب في بلاد ذمار ذات الشـأن يومئـذٍ ، يعرض عليهـا قيامـه بالإصـلاح فيما بينها ، وجمع كلمتها ، ويدعوها للإنضمام اليه في حربه للسلطان حاتم .

(١٢) العسجد ص ٧٥ .

ولكنّ هذا[١٣] سبقه بالتحرك بنفسه على رأس عدد كبير من قبيلة همدان ووصل اليها الى بلاد ذمار ، ووجدها بانتظار قدوم الإمام الذي وعدها بالوصول اليها ، وحين عرفت جنب بأن القادم اليها انما هو السلطان حاتم بن احمد اليامي رحبت به ، ودخل هو فيهم ذمار متقلداً رمحه وقال لهم : « (حياكم الله يا وجوه العرب ، لا يعيب عليَّ من خلفي ، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ولا وجهين في رأسه) » . وأضاف قائلاً لهم : « وصلناكم ووجوه العرب لأمر لكم فيه شرف ولنا فيه عزة الى حين ، ولمّا علمت انكم في طلب اصلاح واخذ ذمم بينكم ، وهدم قتول من عشائركم رأيت أن ألمّ شملكم ، وأقطع عنكم ما تحاذرون ، واتحمل في مالي ديات قتلاكم » فحمدته قبيلة جنب على ذلك ، فكتب من ذمار الى أهله في صنعاء :

مملوك بعضهمو ووالد بعضهم   وشقيق بعضهمو وهذا جامع
نبئتهم حملي ديات عبيدة   أنّ المكارم في الرقاب ودائع
فلتسرعوا من فوركم تصديرها   متعمدي انفاذ ما انا صانع

وما لبث ان عاد الرسول بالمال ، وكانت ديات جمة ، ففرق المال بين مستحقيه من جنب ، ثم عاد بهم وبمن معه الى صنعاء ومنها تقدم نحو معسكر الإمام ، وأوقع بجموعه ثم عاد الى صنعاء ولم يُغلب عليها بعد ذلك .

واستولى السلطان حاتم بعد ذلك على عدة حصون هامة في المنطقة كحصن (ذي مرمر) في بلاد بني حشيش ، وخصني (بكر) و(عمّر) في بلاد (كوكبان) وحصّنها .

ثم سار على رأس جموعه إثر الإمام احمد بن سليمان المنسحب الى بلاد الظاهر من بلاد حاشد لحربه ، وما زال يتعقبه الى بلاد صعدة ودخلها ، ثم عاد الى صنعاء ولم يغلب بعد ذلك .

---

(١٣) نفس المصدر ص ٧٦ .

السلطان علي بن حاتم

ولمّا توفي السلطان (حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل بن علي اليامي الهمداني) في عام (٥٥٦ هـ) ، خلفه ولده الملقب (الوحيد علي ابن حاتم) ، وبايعته همدان وأذعنت له غيرها من القبائل اليمنية في القسم الأعلى من اليمن (منطقة حكم (آل حاتم) .

ولقد كان السلطان حاتم بن احمد رجلاً يتمتع بالكفاءة والدهاء ناهضاً كريماً مقصوداً ممدوحاً ، وممن قصده القاضي الرشيد الغساني المصري وانشده قصيدة منها :

اذا أجدبت ارض الصعيد وأمحلت
فلست أخاف القحط في أرض قحطان
وقد كفلت لي مأرب بمآربي
فلست على اسوان منها بأسوان
وإن جهلت حقي زعانف خندف
فقد عرفت حقي غطارف همدان

وكان السلطان حاتم نفسه شاعراً مجيداً عرفنا شيئاً من اشعاره[١٤] ومنها القصيدة الآتية يشكو فيها قلة الوفاء من الأصدقاء :

أرقت وطال الليل والعقل نائمه
وقد أفِلَتْ اشراطه ونعائمه
وأورى زناد الهم في القلب جذوة
اذا جاش من تيّاره متلاطمه
وما ذاك من شوق ولا نأي معمد
ولا فَقْدِ رسم دارسات معالمه

---

(١٤) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٧٦ .

ولكن اذا خان الصديق صديقه
وصارم بالأوهام من لا يصارمه
ونكّب عنا من نريد وصاله
وسالمنا من لا نريد نسالمه

ومنها :

غدا مائلاً عنا خليل نودّه على غير جرم بل علينا جرائمه
ولا امّ قوماً غيرنا متكتماً وجاهرنا باللوم من لم نلاومه

ومنها :

فسامحته كي يرعوي فارعوى سوى مقالته لا استطيع اخاصمه
ولو انني حاكمته لحججته ولكنني من حشمة لا أحاكمه
اقلوا عليه العتب يصفُ وداده وما كان في الحوباء فالله عالمه
ولا تيأسوا عنه ولو ان عودة عسى منه صدق العود والود سالمه
سعى جاهداً في خدمتي غير هايب ملاماً ولم تردعه عنها لوائمه
فلما بلغنا غاية ليس بعدها من آمر رأيت الود مالت دعائمه
وعاد إلى ضدي الذي كان فاعلاً وعاوده وسواسه وهماهمه
ودمت على ودي له حين لم يدم وخير وداد المرء للمرء دائمه
وضاقت على قرب العهود عهوده وما نفعت أيمانه ولوازمه
اعاتبه حيناً وحيناً أصونه وطوراً أباديه وطوراً أكاتمه
وأرجو رجوعاً منه وهو مصمم على غيّه حتى كأني ظالمه
وما لامني إلا ملوم مفند ولا لامه إلا على النكث لائمه
وما أنا من اخلاصه الود آيس وإن لجّ في أغرائه من ينادمه
دليل صفاء الود في المرء نشره وشر خليل عابس الوجه واجمه
هو الود ما بين الأخلاّء شاهد احاديثهم عند المغيب تراجمه
أبا منذر ان كان عندي عيبة خرجت فأعلِمْني بما أنت عالمه

ولا تـذر قـولاً كـالـريـاح مبـدداً وكفّ جمـاح الشعـر اذ انـا لازمـه
وإن كنت ذا عجب بما قد نـظمته فلستُ بـذي عجب بما أنـا نـاظمـه
دع المنّ إمّا كنت أسديت صـالحـاً فمَنٌّ الفتى مـا كـان اسـداه لائمـه
ونمّ عـلى مـا قـد تقـدم بيننـا فـأفضـل فعـل العـالمـين خـواتمـه
ورم صـالحـاً في كـل سعي سعيتـه ليـوليـك الـرحمن مـا أنت رائمـه

إلى آخر القصيدة .

ومن شعـر السلطان حاتم بن احمـد اليامي الأبيـات التاليـة يصف فيها مهره المسمى بالرازقي ومطلعها :

كـتـمـت عـلى الإخـوان مـا بي فـلـم اجـد
لمـا بي نـفـعـاً غـير ان اتـكـتـما
طـللت عـلى المـهـر المـعـلى كـأنـني
عـلى احـدب يـنـقض في افـق الـسـماء

ومنها :

فـإن أبـلغـوني مـا اريـد وشـمـروا
وإلا ركـبـت الـرازقـي المـطهـما
فـحـيـنئـذٍ لا يـعـصـم الـذنـب عـاصـم
ولـو انـه يـرقـى الى الجـو سـلما

خلاف همدان على السلطان علي بن حاتم

خـالفت قبيلة همدان عـلى السلطان (علي بن حـاتم) منتهزة تغيبـه عن مركزه في (درب الـروضة) ؛ وقصـدت محمد بن الحمـاس بن القبيب) احد امراء الأسرة الهمدانية الثانية في امـارة آل حاتم، الى منـزله في حـارة القطيـع بمدينة صنعاء ، ونصبته سلطاناً على همدان .

وأمّا[١٥] السطان علي بن حاتم فإنه ما ان علم بالأمر حتى عـلا الى الدرب بين جمعه وأكمل استعداده فيه ثم قصد المخالفين الى صنعاء ، فتفرقت همدان إلا فرقة منها فإنها صمدت في وجهه وقاتلته .

وكان اخوه عمران بن حاتم قد جمع عدداً من المقاتلين وقاتل المتمردين في شوارع صنعاء ، وقد اصيب اثناء ذلك بسهم نقل على اثر اصابته به الى الدرب وتوفي من وقته ، وكان ذلك من الأسباب التي ردعت القبيلة عن الإستمرار في خلافها للسلطان علي بن حاتم .

ومع ذلك فإنّ السلطان قد حوّل موقف همدان المضطرب لمقتل اخيه الى سكينة واطمئنان وعزز مركزه في نفس الوقت وذلك بأن أمر منادياً ينادي في همدان بأنّ السلطان قد وهب لها دم اخيه عمران ، وهذا سيفه ذمة ورفاقه لمن أراد أن يحضر دفنه .

واستتب الأمر للسلطان علي بن حاتم ولم تخرج همدان عن طاعته بعد ذلك .

ثم أخرج محمد بن الحماس بن القبيب من صنعاء مع كافة اسرته آل القبيب وحدد اقامتهم في بعض حصون المنطقة تحت الرقابة .

وقد امتدّ نفوذ السلطان علي بن حاتم الى بلاد الظاهر الأعلى والأسفل من بلاد حاشد والى بلاد الجوف وبلاد صعدة والمغارب في بلاد حجة وغيرها .

نصرة السلطان علي بن حاتم للإمام احمد بن سليمان

وصل[١٩] الى السلطان علي بن حاتم الأمير المطهر بن الإمام احمد بن سليمان في عام ٥٥٧ هـ طالباً نصرته للإمام على أهل صعدة وعلى رأسهم

(١٥) و(١٦) و(١٧) و(١٨) و(١٩) الخزرجي في العسجد المسبوك الصفحات ٧٨ و٨٠ و٨١ .

الأمراء آل الإمام الهادي يحيى بن الحسين .

وكـان نفوذ الإمـام المذكـور قد اقتصـر على بعض اعمـال صعـدة منـذ حياة السلطان (حاتم بن احمد اليامي) .

فتحرك السلطان علي بن حاتم على رأس همـدان بعد ان اشعـرها بـأنه سيعـاقب من يتخلف عنه في نصـرته لـلإمام . ووصـل السلطان بقـواتـه الى صعـدة ، وحقق للإمـام انتصاره عـلى آل الهادي ، وأعـاد له مـركـزه في بـلاد صعدة ، وحدَّ من نفوذ مناوئيه .

ويبدو انه بحركته تلك قـد هدف الى الحـد من نفوذ آل الهـادي ، والى اختبـار قبيلة همدان ومـدى ولائها وطـاعتها لـه ، ولذلـك فإنـه كان قـد امـر بـاخـراج (آل القبيب) من صنعـاء بسبب تخلفهم عنـه ، ولكنـه عفى عنهم بعد توسطهم لديه بكبار همدان ، ويبدو ايضاً أنّ هذه القضية حـدثت قبل قيـام همـدان بخلافهـا عليـه وتنصيب محمـد بن الحمـاس بن القبيب ، وانـه كـان يركز عليها بصورة خاصة لخـطورتهم على حكمـه (وهم امراء الأسـرة الثانيـة الحـاكمة من آل حـاتم كما عـرفنا) وقـد حدث مـا توقعـه من خلاف همـدان وتنصيب محمد بن الحماس المـذكور ، وقـد انتهز ذلـك فأخـرجه وأسـرته من صنعاء وحدَّد اقامتهم في احدى حصون المنطقة تحت الرقابة كما مرَّ بنا .

خلاف الداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي

خالف[٢٠] الداعي (حاتم بن ابراهيم الحامدي) عـلى السلطان (علي ابن حـاتم بن احمد اليـامي الهمداني) في عـام (٥٦١) للهجـرة ، وقـد بـرَّر الـداعي حاتم خـلافه ذلـك بخروج السلطان (عـلي بن حاتم) عن الـدعوة الفاطمية كما جاء في مـراسلاتـه للسلطان علي بن حـاتم ، ويبدو أنّ الـداعي كـان يهدف من حـركته تلك تجـديد الـدعوة للفـاطميين في المنطقـة ودعمهـا

(٢٠) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٨١ .

بالحكم ، وكان منتمياً إلى الإمام الحافظ (عبد المجيد بن محمد بن الإمام (المستنصر معد بن الطاهر الفاطمي) ، وكان السلطان علي بن حاتم قد قطع الدعوة للفاطميين تبعاً لإسلافه آل حاتم بأسرهم الثلاثة عند استقلالهم بالحكم بعد موت السلطان (سبأ بن أحمد الصليحي) وانفصالهم عن الصليحيين كما عرفنا ، ولكنهم ظلوا متعاطفين مع دعاة الفاطميين كآل زريع الهمدانيين حكام عدن وأعمالها ، وقد تحالف السلطان (علي بن حاتم) مع السلطان (عمران ابن محمد بن سبأ آل زريع) ضد آل مهدي كما علمنا أيضاً .

أمّا قضية خلاف الداعي (حاتم الحامدي) على السلطان (علي بن حاتم) فملخصها :

أنّ الداعي (حاتم الحامدي) كان من جملة ارباب النفوذ المقطعين في عهد السلطان علي بن حاتم المذكور ، ورغب مع ذلك ان يوسع نفوذه في مناطق واسعة في بلاد حضور وبلاد حراز وبلاد كوكبان وبلاد حمير في مغارب اليمن من أعمال حجة ، واستولى على كثير من الحصون في تلك المناطق ، ولكنه لم يبدأ حرباً مع السلطان (علي بن حاتم) وإنما السلطان (علي بن حاتم) هو الذي بدأها .

وقد أورد الموضوع بشيء من التفصيل في كتاب (الصليحيون[٢١] والحركة الفاطمية في اليمن) فذكر مؤلفاه أنّ الداعي (حاتم الحامدي) كان فقيهاً كثير الاطلاع والتأليف والانتاج الأدبي ، وانه لما عرف الناس فضله وبيان حجته مالوا اليه ، والتف حوله بعض القبائل اليمنية من حمير وهمدان ، وملكوه حصن كوكبان ، ولما رأى السلطان (علي بن حاتم) ميل الناس اليه واقبالهم عليه داخلته المنافسة وخاف منه على ملكه ، وأخذ يستميل همدان ببذل المال ومضاعفة العطاء لهم حتى تمكن من جلب الكثير

(٢١) ص ٢٧٣ .

ممن كانوا مع الداعي حاتم ، الأمر الذي اضطر الداعي حاتم الى الانتقال من كوكبان الى ريعان من همدان ، ثم الى بيت ردم من بلاد البستان ، ثم انتقل الى بلاد حراز احدى الأماكن الرئيسية للإسماعيلية وتحصّن فيها بحصن (الخطيب) ، وهو من معاقل حراز الرفيعة وحصونها المنيعة ، وما لبث ان استولى على حصن شبام في بلاد حراز ، ثم على حصن حَمَضْة ، وهو ارفع طود في لهاب .

وانه أي الداعي (حاتم الحامدي) لما رأى انقسام همدان بين مؤيد له ومؤيد للسلطان علي بن حاتم ترك منافسة السلطان التي هدف منها حماية الدعوة بالدولة كما كان عليه الحال في عهد الملك (علي بن محمد الصليحي) ، وكان الداعي حاتم يدعو مع ذلك للإمام الحافظ (عبد المجيد بن محمد بن المستنصر الفاطمي) كما سلف . ومع ذلك فإنّ السلطان (علي بن حاتم) ما زال يلاطفه ويعاتبه على تفرقة همدان شعراً ونثراً .

هذا ولم أقف على اكثر من[٢٢] قول السلطان (علي بن حاتم) للداعي (حاتم الحامدي) : « اظهر دينك واجمع أهل دعوتك ، ولا تفرّق همدان وتحملهم على العَداوة والشنآن » . فالسلطان (علي بن حاتم) بهذا القول قد سمح للداعي حاتم بحرية العقيدة ، ولكن على اساس اقتصار صلته بأهل دعوته وبالخاصة من معتنقيها ودون تفرقة همدان ، أي الاقتصار على القيام بشؤون الدعوة دون دعمها بالحكم ومنافسة السلطان وتفرقة همدان واراقة الدماء وزرع الضغائن بينهم ، وقد[٢٣] اجاب عليه الداعي (حاتم الحامدي) بقصيدة جاء منها قوله :

أتاني من أبي زيد كتاب تضمنه من العتبى فنون
فكن في امرنا حكماً وعدلاً فأنت لكل مكرمة خدين

(٢٢) و(٢٣) نفس المصدر (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن) ص ٢٧٤ .

مقـالـك كيف تصـدع عـود يـام ... وأنـت يـلـم شعـثـهـمـو قـمـين
أمـا والمـصـطفـى إني لـيـام ... بمـالي والـذي أحـوي أصـون
وأنـتـم يـا غـطارف شـم يـام ... مكـانكـمـو من العليـا مكـين
لكم في الـدعـوة الغـراء قـدمـاً ... سـوابـق كـلما نـشـرت تـزيـن
ولـكن حـلتـمـو عنها فـمـنـكـم ... لهـا الـصـد المعـانـد والـقـرين
فإن انتم رجـعتم واستفـقـتـم ... فـقـد لاح الصبـاح المستـبـين
ووالـيتـم إمـام العـصـر صـدقـاً ... صـفـا مـا بيـنـنـا المـاء المعـين
وإن بـنـتـم وعـانـدتـم كـما قـد ... فـعـلتـم آل عـمـران فـبـيـنـوا

هـذا ما ذكـره مؤلفا كتـاب (الصليحيون[٢٤] والحـركـة الفـاطمية في اليمن) ، ولم يـذكرا قيـام حرب بين الداعي والسلطان وإن كـانا قـد اشارا اليها بقولهما : « ثم انسحب الداعي حـاتم عن الميدان تمـاماً ، واكتفى بنشر علوم الـدعوة من كهفـه الواقـع تحت حصن الخُطَيب ، بعـد ان مات قـائـده السلطان سبأ بن يوسف اليعبري ، وبعد دخول بني أيوب اليمن » .

لكن الخـزرجي[٢٥] ذكـر انـه قـامت حـرب بـين الـداعي (حـاتم الحامدي) والسلطان (علي بن حـاتم) مدة هزمـه السلطان (علي بن حـاتم) وطرده من كوكبان ، وأنّ كوكبـان كان في ذلـك التأريـخ لبني الزواحي ، وان السلطان (عـلي بن حـاتم) خـرج في اثـرهـم ، وأخـرب مـدينـة (شبـام كوكبان) وما حولها من البلاد ، وانـه لم تزل الحـرب بين الجـانبين حتى تسلم السلطان حصن كـوكبان من أبي النـور بن علي الزواحي واستولى عليـه (دون ان يكتفي بـاخـراج الـداعي (حـاتم منــه . وكـان تسلم السلطان لحصن كـوكبان في عـام (٥٦٤) للهجرة ، وان الحصـار منه عـلى كوكبـان دام ثلاث سنـوات ، وانه استولى بعـد ذلك عـلى حصن بيت بوس من السـلاطين بني

(٢٤) ص ٢٧٧ .

(٢٥) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٨٢ .

سلمة بن الحسن بن محمد بن حاجب الكندي الذين كانوا قد استولوا عليه بعد الصليحيين وذلك بعد حرب قامت بين السلطان وبني سلمة (كما سيأتي) وكان تسلمه له في عام (٥٦٥) للهجرة .

وقد(٢٦) توفي الداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي في حصن الحُطَيب في السادس عشر من شهر المحرم من عام (٥٦٩) للهجرة . وكان قبره تحت الحصن من بلاد اليعابر في بلاد حراز ، وكان من كبار علماء الدعوة خلفاً لأبيه .

ثم خلفه(٢٧) ولده (علي بن حاتم الحامدي) مكتفياً بنشر الدعوة ، وقد انتقل الى صنعاء للإضطلاع بنفس المهمة تحت حماية (آل حاتم) إلا أنهم لم يخشوا قيامه بأي حركة سياسية مناوئة لهم واستمر في القيام برسالته التي آمن بها بعد اسلافه إلا أنه ارتفع مع السلطان علي بن حاتم الى حصن ذي مرمر بعد دخول الأيوبيين صنعاء .

خلاف الداعي عمران بن الذيب على السلطان علي بن حاتم

وخالف(٢٨) الداعي (عمران بن الذيب بن سلمة الكندي) في العام الذي تلا عام خلاف الداعي حاتم الحامدي مع السلطان علي بن حاتم اليامي الهمداني ، وكان للداعي عمران بن الذيب نفوذ أيضاً في بلاد حضور من بلاد البستان ، وفي مغارب حمير من بلاد حجة وفي بلاد حراز ، وهذه الأماكن هي من مراكز الدعوة الفاطمية في اليمن ، وكانت حصونها من معاقلها ، وكان الداعي عمران يدفع للسلطان علي بن حاتم أتاوة سنوية بمعدل النصف من حاصلات تلك المناطق التي له نفوذ عليها كغيره من

---

(٢٦) الصليحيون ص ٢٧٩ .

(٢٧) الصليحيون ص ٢٨٣ .

(٢٨) الديبع الشيباني في (قرة العيون) مخطوط .

المقطعين في عهد السلطان المذكور .

وكان سبب الخلاف بينهما والذي ادى الى الحرب هو استيلاء السلطان علي بن حاتم على حصن (بيت بوس) من بلاد حضور والذي كان من معاقل الداعي (عمران بن الذيب) كما علمنا قبل هذا ، وبسبب قطع السلطان الدعوة للفاطميين أيضاً ، وقد انتهى الخلاف بينهما باعادة السلطان لحصن بيت بوس الى الداعي المذكور .

نصرة السلطان علي بن حاتم للإمام احمد بن سليمان مرة أخرى

ولمّا[٢٩] قامت الحرب بين الإمام (احمد بن سليمان) وبين الأشراف أولاد الإمام القاسم بن علي العياني في عام (٥٦٥) للهجرة (وكانت بلاد الظاهر وبلاد وادعة من بلاد حاشد هي مسرح الحرب بينهما) تمكن الأشراف اثناء بعض المعارك من القبض على الإمام ، واعتقاله في (مصنعة اثافت) بالقرب من مدينة خمر من بلاد حاشد أيضاً ، فاستنجد أولاد الإمام بالسلطان (علي بن حاتم) فبعث السلطان عدداً من رؤساء همدان الى الشريف (فليتة) بن قاسم القاسمي ، وطلبوا منه اطلاق الإمام ، وكان قد ضعف بصره ، فاطلق فليتة سراحه ، وانتقل الإمام الى مدينة حوث من بلاد حاشد وأقام فيها أياماً ، ثم وصل الى السلطان لتقديم شكره له وطلب النصرة له على القاسميين فأمدّه السلطان بقوة قادها بنفسه وتقدم السلطان والإمام معاً الى مصنعة أثافت في شهر ربيع الآخر من عام (٥٦٦ هـ) ، وبدآ الحرب للقاسميين ، ولكنهم امتنعوا في المصنعة ، فهدم السلطان والإمام قرى بني قيس واعنابهم ودورهم وحصونهم ، وعفى السلطان عن وادعة اكراماً للشيخ الحسن بن يعفر الذي وصل اليه معلناً طاعته وطاعة وادعة طالباً تأمين أهلها .

---

(٢٩) الخزرجي في العسجد ص ٨٢ .

ثم انتقــل الإمــام الى شبــام ، وعــاد السلطان عــلي بن حــاتم الى صنعاء ، وانتقل الإمـام بعد ذلـك الى حيدان من بـلاد صعدة وتـوفي فيها في العام المذكور .

كما[٣٠] وصل الى السلطان علي بن حاتم الى صنعاء المشائـخ بنو الكم ابن محمـد وسلموا لـه مصنعة اثـافت وذلـك في شهـر الحجـة من نفس العـام واستتب امن المنـطقـة ونفـوذ السلطان فيهـا وفي بـلاد وادعة وبـلاد الـظاهـر وغيـرها من بـلاد حاشـد ، الى سنة (٥٦٨) للهجـرة حيث[٣١] خالف فيهـا الشيـخ الحسن بن يعفـر ومن معـه من أهـل وادعــة واجتمعـوا في مــوضـع (المدحك) من وادعـة ، فجهز السلطان لقمعهم واخمـاد ثورتهم جيشـاً كبيراً بقيادة أخيه (بشر بن حاتم) فأخذ الموضـع المذكـور وهدمـه وقتل كثيـراً منهم وأسـر عدداً آخـر ودان للسلطان بعد ذلـك أهل الـظاهر ووادعـة ولم يخرجـوا عن طاعته .

تحالف السلطان علي بن حـاتم والداعي عمـران آل زريع ضـد آل مهدي .

وفي شهـر ذي القعدة من العـام المذكـور (٥٦٨) للهجـرة وصـل الى السلطـان ، (عـلي بن حـاتم) الـداعي (عمـران بن محمـد بن سبـأ بن أبي السعود بن زريع) حاكم عدن واعمـالها لـلاستنجاد بـه على (عبـد النبي بن علي بن مهدي) حاكم زبيد فأنجده بنفسـه على رأس جيشـه وسانـدته قبـائل جنب وأعـادوا ابن مهدي الى زبيـد كـما علمنـا تفصيـلاً في الفصـل الخـاص بتأريخ آل زريع .

---

(٣٠) نفس المصدر ص ٨٣ .

(٣١) نفس المصدر والصفحة .

نهاية إمارة آل حاتم

وقد انتهى نفوذ آل حاتم الواسع في القسم الأعلى من اليمن كما انتهى نفوذ غيرها من الإمارات اليمنية بوصول بني أيوب على رأس قوة مصرية الى اليمن ، يساعدهم تفكك اليمنيين ، وكان وصول الأيوبيين لأول مرة برئاسة (توران شاه بن أيوب) موفداً من أخيه صلاح الدين الأيوبي في عام (٥٦٩) للهجرة .

إلا أنّ (توران شاه) الأيوبي لم يدخل صنعاء عاصمة آل حاتم آنذاك عنوة ، وإنما دخلها بالتسليم لها من السلطان (علي بن حاتم) بموجب صلح عقد بين الجانبين يقضي باحتفاظ السلطان (علي بن حاتم) واخيه (بشر بن حاتم) بنفوذ محلي على عدد من الحصون والبلاد التابعة لها ، وانتقل السلطان (علي بن حاتم) الى حصن (براش) في الضاحية الجنوبية الشرقية لصنعاء ، وانتقل السلطان (بشر بن حاتم) الى حصن عزان في بلاد ثلا ، وظل ذلك النفوذ لآل حاتم يضيق ويتسع بحكم قوة أو ضعف مركز الأيوبيين في اليمن .

وكان الصلح يجدد بين الجانبين بين فترة واخرى ، كما سنعلم كل ذلك تفصيلاً في الفصل الخاص بتاريخ الأيوبيين في اليمن .

هذا ولقد كانت مدة إمارة (آل حاتم) باسرها الثلاث (اسرة آل الغشيم) و(اسرة آل القبيب) و(أسرة آل عمران) منذ وفاة الملك سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) في عام (٤٩٢) للهجرة وحتى مقدم (توران شاه الأيوبي) في عام (٥٦٩) للهجرة سبعة وسبعين عاماً ، ولكنه بقي لآل حاتم خلال حكم بني أيوب نفوذ محلي بالقسم الأعلى من اليمن كما علمنا ونعلم في فصل (بني أيوب) .

نظرة عامة في إمارة آل حاتم

تمتعت إمارة (آل حاتم) في القسم الأعلى من اليمن بقوتها وفتوتها

خلال حكم اسرها الثلاث (آل الغشيم) و(آل القبيب) و(آل عمران) ، مدعمة جميعها بقبيلة همدان التي يتتمي آل حاتم اليها نسباً وعرقاً .

ولقد كان لهذه القبيلة اثرها في الكثير من احداث الإمارة ، وكان لها الكلمة النافذة في تعيين السلطان وفي عزله كما عرفنا ، ولكن هل كانت كلمتها في هذا الصدد حاسمة ؟

نعم ، كانت لها الكلمة الحاسمة في تعيين السلطان وفي عزله حينما لم يكن السلطان قوياً الى الحد الذي يستطيع معه الصمود امام اهواء القبيلة وتقلباتها .

امّا اذا كان السلطان قوياً يقوى على الصمود حتى أمام اجماع قبيلة همدان ضده كالسلطان (علي بن حاتم) ، فإنّ أثر القبيلة كان ضعيفاً بل ويتلاشى كما عرفنا .

هذا ولقد ساعد السلطان (علي بن حاتم) كما ساعد قبله والده القيل العظيم السلطان (حاتم بن احمد اليامي الهمداني) على استقرار حكمهما بل ومدّ نفوذهما حتى بلاد صعدة وبلاد الجوف وغيرهما ، كرمهما وسخاؤهما لرؤساء العشائر ورؤساء همدان بالذات ، ولا سيما حينما يتطلب الموقف ذلك .

هذا الى جانب نظام الإقطاع الذي أنتهجاه مع الكثير من اصحاب النفوذ المحلي ، حيث كان المقطَع يأخذ نصف حاصلات بلاده ، ويأخذ والي المنطقة النصف الآخر .

والى جانب نهضة كل من السلطانين حاتم بن احمد وعلي بن حاتم لحرب كل من تحدثه نفسه بمناوأتهما والخروج عليهما ، سواء كان المناوئون من اصحاب النفوذ المحلي ، أو من اصحاب النفوذ الأدبي كآل الحامدي وآل

السلمي بقايا دعاة الفاطميين في المنطقة ، أو من الأئمة كالإمام احمد بن سليمان أو من اتباعهم كآل الهادي وآل العياني ، أو غيرهم ، هذا من الناحية السياسية .

أمّا من الناحية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فإنّ الوضع القبلي كان هو السائد في المنطقة باستثناء المدن ومراكز العلم كمدينة صنعاء ومدينة شهارة ومدينة حوث وغيرها .

ومع ذلك فانّ آل حاتم (أسرة عمران) الهمدانيين ابتداء بجدهم القاضي عمران بن الفضل بن علي اليامي الهمداني ، وانتهاء بالسلطان حاتم ابن احمد وأولاده السلطان علي بن حاتم وبشر بن حاتم وعلوان بن بشر بن حاتم كانوا على درجة ممتازة من الوعي والثقافة بالنسبة لتاريخهم ، وكان لهم شعر جيد كما عرفنا شيئاً عن ذلك وكما سنعرف عن شعر السلطان بشر وعلوان بن بشر في فصل(بني أيوب) ،وبالطبع فإنه ازدهر في عهد آل حاتم وفي منطقة نفوذهم افذاذ يتمتعون بالمعرفة والعلم والبلاغة ، ومن أولئك (آل الحامدي) و(آل السلمي الكندي) وغيرهم ، وكان (آل حاتم) يشجعونهم ويرعونهم بل ويحتضنونهم ، إلا حينما يخشون منافستهم لهم في الحكم ، كما حدث للسلطان (علي بن حاتم)مع الداعي(حاتم بن ابراهيم الحامدي) الذي اقطعه الاقطاعات الواسعة تشجيعاً له لنشر علمه وأدبه وبالرغم من اختلافه معه في العقيدة التي كانت سمتها لدى الحامدي هي تشيعه بالإمام الحافظ عبد المجيد ابن محمد بن الإمام المستنصر الفاطمي ، وكذلك مع الداعي (عمران بن الذيب السلمي الكندي) الذي اقطعه السلطان (علي بن حاتم) كذلك الاقطاع الواسع وترك لهما حرية مذهبهما ، وحرية الاتصال بأهل دعوتهما ، ولكنه حينما خاف منافستهما له في الحكم حاربهما وحدَّ من نفوذهما .

ولمّا اقتصر الداعي (علي بن حاتم الحامدي)على نشاطه الأدبي احتضنه السلطان (علي بن حاتم) لديه ، وحتى بعد سيطرة بني أيوب على اليمن

وتحديد نفوذ آل حاتم ، فإنه ظل تحت رعاية السلطان (علي بن حاتم) في حصن ذي مرمر الكائن ببني حشيش احدى نواحي صنعاء .

ولقد قطع (آل حاتم) تشيعهم بالفاطميين ولم يوالوهم أو ينتموا اليهم كما كان اسلافهم من الصليحيين ، ولم يوالوا مع ذلك الأئمة الزيدية في اليمن وحاربوهم وضيّقوا نفوذهم في بلاد صعدة كما عرفنا وأقاموا حكماً يمنياً قال عنه مؤلفا كتاب (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن)(٣٢) الدكتور حسين الهمداني والدكتور حسن سليمان محمود ما نصه : « إلا أنّ ملوك همدان اليامين في صنعاء وبلاد همدان ، قد تحرروا من جميع المذاهب والدعوات وارادوا تكوين دولة شعب همدان واليمن » .

كما وفرّ (آل حاتم) في منطقة نفوذهم الرخاء والعدل والاستقرار ، اشار الى ذلك المؤرخ علي بن الحسن الخزرجي في (العسجد المسبوك)(٣٣) عند وصفه للسلطان علي بن حاتم بقوله : « وكان جواداً عادلاً كريماً ، كان يقطع الرجل من همدان البلد والبلدين ، وكان له في كل مخلاف والٍ ، عليه حفظ ما فيه ، فلا يشار فيه بظلم ولا تعسف ، ولا يترك لأحد من همدان سبيلاً الى مضرة لأحد من الرعية ، فاذا حضر الزرع في الاقطاع حضر المقطع وحضر نائب السلطان علي بن حاتم ثم يقاسمون الرعية على الخمس من اموالهم من غير زيادة ولا نقصان ، فيأخذ نائب السلطان نصف المبلغ ، ويأخذ المقطع النصف الثاني ، فاذا استوفيا ذلك لم يبق لأحدهما تعرض بعد ذلك الى الرعية بحال من الأحوال » ومع هذا فأخذ الخمس من الرعية محل نظر إذ الواجب ليس إلا العشر الشرعي .

---

(٣٢) ص ٢٧٠ .

(٣٣) ص ٨١ .

امارة آل مهدي
(٥٥٤ ـ ٥٦٩ هـ)
(١١٦٠ ـ ١١٧٥ م)

قامت إمارة (آل مهدي) في تهامة على انقاض إمارة آل نجاح) الأحباش .

وقد بدأت إمارة آل مهدي بمؤسسها (أبي الحسن علي بن مهدي الرعيني) الحميري ، ونسبه المؤرخ علي بن الحسن الخزرجي[1] بأنه علي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن الجماهربن عبد الله بن الأغلب بن أبي الفوارس بن ميمون الحميري الرعيني ، وذكر انه كان يسكن هو وأبوه (العنبرة) (العنيبرة حالياً) من وادي زبيد في أسفل الوادي (قرية قريبة من البحر) ، وكان ابوه رجلاً صالحاً سليم الصدر ، ونشأ ولده (علي) هذا على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالعبادة ، وانه لم يزل من سنة (٥٣١ هـ) كلما دخلت أشهر الحج يخرج حاجاً على نجيب له الى سنة (٥٣٦ هـ) ، وكان يلقى علماء العراق ووعاظهم فيباحثهم في علومهم ، ويتضلّع من معارفهم .

وتحدث عنه المؤرخ عمارة في[2] تاريخه فقال : « وكان فصيحاً صبيحاً أخضر اللون ملوح الخدين ألْحَى طويل القامة مخروط الجسم بين عينيه سجدة

(١) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٢٨ .

(٢) حواشي كاي ترجمة الدكتور حسن سليمان محمود ص ١٢٠ .

حسن الصوت طيب السمر حلو الأيراد غزير المحفوظات قائماً بالوعظ والتفسير وطريقة الصوفية أتمّ قيام ، وكان يتحدث بشيء من احوال المستقبلات فَيَصْدُق ، فكان ذلك من أقوى عدده في استمالة قلوب العالم ، وأظهر أمره بساحل زبيد بقرية (العنبرة) وقرى واسط والقضيب والأهواب والمعتفي وساحل الغازة ، وكان يتنقل فيها ، وكانت عبرته لا ترقأ على مرّ الأوقات ، وكنت يومئذٍ منقطعاً اليه ، ملازماً له في اكثر الأوقات ، مدة سنة ، ثم علم والدي اني تركت التفقه ولزمت طريقة النسك ، فجاء من بلده (الحَكْم في المخلاف السليماني شمال تهامة) مسافراً ، حتى اخذني من عنده وأعادني الى المدرسة بزبيد ، وكنت أزوره في كل شهر زورة ، فلما استفحل امره انقطعت عنه خوفاً من أهل زبيد (آل نجاح) ، ولم يزل يعظ الناس في البوادي ، فاذا دنا موسم مكة خرج حاجاً على نجيب الى سنة (٥٣٦) للهجرة .

ثم اطلقت الحرة (علم) والدة فاتك بن منصور له ولأخوته ولأصهاره ثم لمن يلونه خراج املاكهم ، فلم يمض بهم هنيهة حتى اثروا واتسعت بهم الحال وركبوا الخيل فكانوا كما قال المتنبي :

فكأنما نتجت قياماً تحتهم وكأنما ولدوا على صهواتها »

البيعة الأولى لعلي بن مهدي

ثم أتي بقوم من أهل الجبال (المطلة على تهامة) حالفوه على النصرة (وكانت هذه هي البيعة الأولى له على نصرته على آل نجاح (فخرج اليهم سنة (٥٣٨) للهجرة وجمع جموعاً تبلغ اربعين الفاً وقصد بهم مدينة الكدراء (بتهامة) فلقيه القائد (اسحاق بن مرزوق السحرتي) في قومه فهزموا اصحابه وقتلوا خلقاً من جموعه وعفوا عن اكثرهم وعاد ابن مهدي الى الجبال .

وكانت حركته تلك من محاولات الاستيلاء على مدينة الكدراء بتهامة هي بداية نشاطه العسكري ضد (آل نجاح) .

ولقد كان (علي بن مهدي الرعيني) بمسلكه ذلك من بدايته يترسم خطى (ابي الحسن علي بن محمد الصليحي) ، وكان اتصاله بعلماء العراق والاستفادة من معارفهم ومن بعض العقائد الخارجية التي يجدها بسهولة لدى بقايا الخوارج فيهم انتهاجاً لمسلك (ابي الحسن علي بن الفضل) وإن كان هذا إنما اعتنق الأسماعيلية كما علمنا ، وكانت نزعتهم جميعاً (ابي الحسن علي بن الفضل الخنفري) و(ابي الحسن علي بن محمد الصليحي) و(أبي الحسن علي ابن مهدي الرعيني) واحدة وهي اقامة حكم يمني موحد يشمل اليمن جميعه . ولكن العناصر الحاكمة في عهودهم ، وما ساندها من قوى خارجية تضافرت ضدهم ، وقضت على صروح دولهم وهي في مهدها ، إلا أنّ الصليحيين الذين خلفوا (ابا الحسن علي بن محمد الصليحي) استطاعوا ان يحتفظوا بالحكم فترة طويلة ، وإن لم يبق لحكمهم الوحدة المتماسكة التي كانت في عهد مؤسسه (علي بن محمد الصليحي) المذكور .

وقد ظل (علي بن مهدي) في جبال وصاب يجمع الرجال والمال استعداداً للجولة الثانية والثالثة والجولات وحروب عديدة مع آل نجاح حتى يقضي عليهم ، وقد تمّ له ذلك كما سنرى ، ولكنه لم يستعجل الأمر هذه المرة ، وأقام في الجبال الى عام (٥٤١ هـ) ثم[٣] بدأ من العام المذكور يراسل الحرة علم والدة الملك (فاتك بن منصور بن جياش بن نجاح) يطلب منها الذمة له ولمن يلوذ به وتأمينهم كي يعودوا الى وطنهم ، قال عمارة : « ففعلت الحرة علم ذلك على كره من أهل دولتها وفقهاء عصرها ليقضي الله امراً كان مفعولاً » .

وعاد ابن مهدي الى قريته (العنبرة) يشتغل في املاكه عدة سنين وهي مطلقة من الخراج ، واجتمع له في ذلك مال جزيل ، واشتغل في الوعظ

---

(٣) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١٢١ .

واستمالة الناس اليه ، وكان[٤] يقول في وعظه : (ايها الناس دنا الوقت وأزف الأمر وكأنكم بما اقول وقد رأيتموه عياناً » .

ولّما توفيت (الحرة علم) في عام (٥٤٥) للهجرة تهيأ لمجابهة (آل نجاح) من جديد .

البيعة الثانية لعلي بن مهدي

وأخذ[٥] لنفسه البيعة الثانية في قرية (القضيب) من بلاد زبيد على جهاد آل نجاح ومن عاضدهم كالأشاعر وغيرهم وذلك في عام (٥٤٦) للهجرة ، قال الخزرجي[٦] : « ولّما انتظمت له البيعة قام فيهم خطيباً فقال في اثناء الخطبة : والله ما جعل الله فناء الحبشة إلا بي وبكم ، وعما قليل ان شاء الله سوف تعلمون ، والله العظيم رب موسى وهارون إني عليهم ريح عاد وصيحة ثمود ، واني أحدثكم فلا أكذبكم ، وأعدكم فلا أخلفكم ، ولئن كنتم قليلاً لتكثرنّ ، أو وضعاً لتشرفنّ ، أو أذلاءً لتعزنّ حتى تصيروا مثلاً في العرب والعجم ، ليجزي الله الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ، فالأناة الأناة ، فوحق الله العظيم على كل موحد لأخدمنكم بنات الحبشة واخوانهم ، ولأخولنكم اموالهم وأولادهم ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا** ﴾ »

« ثم ارتفع الى الجبال فأصبح في حصن يقال له (الداشر) من بلاد خولان (سكنة وصاب) ثم ارتفع الى حصن يقال له (الشرف) وهو لبطن من خولان يقال لهم (بنو حيوان) من (سكنة وصاب ايضاً) فسماهم الأنصار ، وسمى

---

(٤) نفس المصدر ص ١٢٢ .

(٥) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٣٠ .

(٦) و(٧) نفس المصدر (العسجد) ونفس الصفحة .

من صعد معه من تهامة المهاجرين ، ثم أسآءظته بكل احد ممن هو في صحبته ، فاحتجب منهم ، فأقام في الأنصار رجلاً من خولان يقال له (سبأ بن محمد) ولقبه شيخ الإسلام ، وأقام في المهاجرين رجلاً من العمرانيين يسمى (الثويبي) ولقبه شيخ الإسلام ، وجعلهما نقيبين على الطائفتين ، فلا يخاطبه ولا يصل اليه احد سواهما ، وربما احتجب فلا يرونه ، وهم يتصرفون في الغزو ، ولم يزل يغادي تهامة بغاراته ويراوحها ، حتى اخرب الحواز المصاقبة للجبال ، والحبشة آل نجاح تبعث الأبدال في المراكز فلا يغنون شيئاً ، لوجوه كثيرة منها : أنّ الحصن الذي يقال له حصن الشرف حصن منيع بنفسه وبكثرة خولان ، وإن الإنسان اذا اراد ان يصل اليه مشى في واد ضيق بين جبلين مسافة يوم كامل وبعض يوم ، فاذا وصل الى اصل الجبل الذي فيه الحصن احتاج في طلوع النقيل الى نصف يوم ، حتى يقطع العقبة ، ومنها أنّ الوادي يتصل مسيله من تهامه بشعاب عظيمة اذا كمنت فيها الجيوش العظيمة والعساكر الجرارة شهراً لم يعلم بها احد ، وكانت عسكر ابن مهدي اذا أغارت على بعض اعمال تهامة نهبت واخربت ، فإذا أدركها الفجر قبل ان تصل جبل الحصن كمنت في تلك الشعاب فلا يوصل اليها ولا يقدر عليها ، ولم يزل ذلك فعله مع أهل الوادي حتى اخرب جميع الوادي وبطل الحرث والعمارة في مدنه ، وانقطعت القوافل وبطلت الأسفار ، وكان يأمر اصحابه أن يسوقوا ما وجدوا من الدواب والمواشي ومن الرقيق وغيره ، فما عجز عن المسير عقروه ففعلوا من ذلك ما أرعب وأرهب » .

وأضاف الخزرجي[٨] قائلاً : « قال عمارة في مفيده : ولقيت ابن مهدي عند الداعي محمد بن سبأ صاحب عدن بمدينة ذي جبلة سنة (٥٤٩) للهجرة وقد قصد الداعي مستنجداً على أهل زبيد فلم يجبه الداعي ، وعرض عليَّ صحبته وعقد لي أن يقدّمني على جميع أصحابه » وقد علمنا أنّ عمارة كان ايام

(٨) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٣١ .

دراسته في زبيد من مريدي (علي بن مهدي) .

وأضاف[٩] الخزرجي أيضاً قائلاً : « ولمّا رجع ابن مهدي من مدينة ذي جبلة من عند الداعي محمد بن سبأ الى حصن الشرف ، وذلك في سنة (٥٤٩ هـ) دبر قتل القائد سرور الفاتكي » وهو الوزير والرجل الثاني في امارة آل نجاح بعد الملك فاتك بن محمد آل نجاح ، وقد نجح بقتله في عام (٥٥١ هـ) وهو يصلي العصر في مسجده بزبيد، كما مر بنا في الفصل الخاص بتأريخ (الصليحيين وآل نجاح) .

واختلف[١٠] رؤساء الحبشة فيمن يخلف القائد سرور ، وانفتحت الشرور على امارة آل نجاح بعد مقتله ، الأمر الذي شجع علي بن مهدي على النزول من حصن الشرف الى حصن الداشر ومضاعفة هجماته على زبيد وعلى الإمارة ، حتى تعطلت الزراعة وخربت القرى وتشرّد الناس في معظم تهامة الخاضعة لآل نجاح ، وانقلب الأخ على اخيه لصالح ابن مهدي ، ونال أهل زبيد من الضر ما لم ينل غيرهم وصبروا على الجوع والخوف حتى أكلوا الميتة وزحف ابن مهدي على زبيد اثنتين وسبعين زحفة يقتل من كل جانب مثل ما يقتلَ من الجانب الآخر في كل زحفة منها ، واستنجد وزراء آل نجاح بالإمام (احمد بن سليمان) ووصل الى زبيد واشترط لنصرتهم والصمود بجانب الإمارة أن يملكوه زبيد وأن يقتلوا الأمير فاتك بن محمد آخر امراء آل نجاح فقتلوه ، ثم عجز عن صد هجمات علي بن مهدي وغادر زبيد عائداً الى صعدة وكان قتل الأمير فاتك في شهر الحجة من عام (٥٥٣ هـ) ، واشتد الحصار بعد ذلك على أهل زبيد حتى استطاع علي بن مهدي ان يدخل زبيد في شهر رجب من عام (٥٥٤) للهجرة وان يقضي على امارة آل نجاح وأن يقيم امارة آل مهدي على انقاضها ولكنه توفي عقب دخوله زبيد بشهرين وأيام ، حيث توفي في السادس

---

(٩) نفس المصدر ص ١٣٤ .

(١٠) نفس المصدر والصفحة .

من شوال من العام المذكور ، ودفن حسب وصيته بالجامع الذي بناه ولده امام مسجد الميلين ، ولكنه هدم عند دخول الأيوبيين زبيد وجعل اصطبلاً للخيل ، ثم مناخاً للجمال الى تاريخ الخزرجي في القرن التاسع للهجرة .

هذا وقد عرف من شعراء آل مهدي الشاعر المعروف بابن الهبيني وصفه عمارة[11] بقوله : « ومن شعراء تهامة (ابن الهبيني) وهو شاعر علي بن مهدي صاحب زبيد وأولاده من بعده ، وهو امتن كلاماً وأقوى نظاماً من كثير ممن سمعت بهم عن شعرائهم ، وهو القائل على لسان ابن مهدي يهدد (آل زريع) :

أبلغ قرى تعكر ولا جرما ... إنّ الذي تكرهون قد دهما
وقل لجنّاتها سأبدلها ... خيلاً بأيام مأرب عرما
أتشرب الخمر في ربى عدن ... والسمر والبيض في الحصيب ظِما
ويُلجم الدين في محافلنا ... والخيل حولي تعلك اللجما
لست من القطب أو أسيرها ... شعواء تملأ الأوهاد والأكما

كما أورد عمارة قصيدة للشاعر (ابن الهبيني) المذكور يمدح بها (علي بن مهدي) مطلعها :

العز في صهوات خيل الأجبهِ ... وطرادها من مهمه في مهمهِ

ومنها :

تغدو امام متوج متبلج ... متيقظ متوقد متنبه
متفقه في الدين لكن لم يكن ... من عند غير الله بالمتفقه
ملك اذا اشتبه الملوك فما له ... في ملكه وصلاحه من مشبه

الى قوله (مادحاً الملكين (مهدي) و(عبد النبي) ابني علي بن

---

(١١) في ملحق المفيد منشور وتحقيق الأستاذ المؤرخ القاضي محمد بن علي الأكوع ص ٣٢٣ .

مهدي) :

فـاليـوم تجنـح للخليفـة بعـده | بـالقـائمـين الهـاديـين وزهـره
سبـطيـه قـطبينـه اللذين اليهـما | شـرف الخلافـة والإمـامـة تنتهي
ويقـول من كـالأجبهـين مخبـرا | فيقـول سـائله ومن كـالأجبـه

ومنها :

اشـبهتـما قـطب الملوك أبـاكـما | قـولاً وفعـلاً منـه غـير مشبـه
تـالله انـكـما لأكـرم مـعـشـر | جـذبت لهم خوص الـرقاب التيه

هذا وكان علي بن مهدي خارجي الأصول حنفي الفروع يُخَطب(١٢) له بـالإمام المهـدي امير المؤمنـين ، وكان يقتـل كل من يخـالفه ويستبيـح نساءهم وأولادهم ، وكان اصحابه يعتقدون فيه العصمة ، وكـانت اموالهم تحت يـده ينفقها عليهم في مؤنهم ، ولا يملكون فرساً ولا سلاحاً ، وكان يقتل المنهزم من اصحابه ويقتل الزاني وشارب الخمر وسامع الغناء ويقتل من يتأخر عن صلاة الجمعة ومن يتأخر عن وعظه يومي الأثنين والخميس .

الملكان مهدي وعبد النبي ابنا علي بن مهدي

وقد(١٣) خلف (علي بن مهدي الرعيني) بعـد موتـه ولداه (مهـدي) و(عبـد النبي) حيث اضطلع (مهـدي) باعبـاء قيـادة الجيش والتـوسـع في البلدان ، واضطلع (عبد النبي) بإدارة شؤ ون الدولة .

وقد غزا (مهدي بن علي بن مهدي) لحج مرتين ، احداهما في شعبـان من عام (٥٥٦ هـ) والثانية في رمضان من عام (٥٥٨) للهجرة ، وقتل من

(١٢) تأريخ اليمن المنقـول من العبر لابن خلدون منشـور وتحقيق الدكتـور حسن سليمان محمود، ملحق مفيد عمارة حواشي كاي ص ١٤٧ .

(١٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٣٦ .

أهل لحج عدداً كبيراً في الغارتين وسبى النساء ونهب الأموال ، وأضاف الخزرجي ان القصيدة المشار اليها التي منها ما يأتي قيلت في غزو مهدي بن علي ابن مهدي بلحج ، والأبيات هي :

أَيُشـرَب الخمـر في ربى عـدن والبيض والسمر في الحصيب ظِما
كـلا ومـهـدي فـارس بـطل وصـدر حيـزوم يـلا الحُـزُمـا

ثم[14] أغار على مدينة الجند في شهر شوال من العام المذكور وحصرها أربعة عشر يوماً ثم دخلها وقتل من وجد فيها من صغير وكبير ورماهم في البئر التي في المسجد وحرَّق اكثر دورها وحرق المسجد على من فيه من الضعفاء والعجائز والعواكف وما كان من اموال الناس والشُّرَح والودائع وأخرق الكتب والمصاحف التي كانت في المساجد الى غير ذلك من الفضائع التي ارتكبها في الجند ثم عاد الى زبيد .

وقد مرض بعد رجوعه الى زبيد وتوفي في الثامن عشر من المحرم من عام (٥٥٩) للهجرة .

استقلال عبد النبي بن علي بن مهدي

واستقل بالأمر اخوه (عبد النبي بن علي بن مهدي) ،

وقد[15] خلع في ثورة (فيمايبدو) قام بها اخوه (عبد الله) بن علي بن مهدي وحل محله ، ولكنه لم يلبث ان عاد الى الحكم ،وملك[16] البلاد جميعها ماعدا عدن فإن آل زريع هادنوه عليها بمال في كل عام . واجتمع لعبد النبي ملك الجبال والتهائم وانتقل اليه ملك جميع ملوك اليمن وذخائرها . وغزا[17]

(١٤) نفس المصدر ص ١٣٧ .

(١٥) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١٢٤ .

(١٦) نفس المصدر والصفحة .

(١٧) الخزرجي في العسجد ص ١٣٧ .

المخلاف السليماني وقتل فيه اميره الشريف (وهاس بن غانم بن يحيى بن حمزة ابن وهاس السليماني) وأخذ اموالهم وسبى حريمهم ، وانشأ عبد النبي بن علي ابن مهدي في ذلك قصيدته المشهورة والتي مطلعها :

لمن طلول بالحما كان كسيراً معلما
يلقى بها المصلما والأحقب المكرما

ومنها :

لوى بوهاس ضحى فابتدرته مرجما
فظل من تحت الرحا مضرجاً مرغما

ثم قام[18] اخوه عبد الله بالتحرك الى الجند على رأس جيش جرار لعمارتها وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٥٦١) للهجرة وأقام فيها حوالي الشهر يعيد بناءها .

كما أغار عبد النبي[19] على مدينة (الجوة) من أعمال الصلو بلاد الحجرية ومما هو تحت نفوذ آل زريع وهي المدينة القريبة لقلعة (الدملوة) الحصينة مقر ذخائر واموال آل زريع ، وتمكن من دخولها واحراقها .

ثم عاد إلى الجند ومنها تقدم فأستولى على مدينة (شرياق) (ذي أشرق) مركز المنطقة يومئذٍ ثم استولى على تعز وصبر فحصن المجمعة من أعمال اب ، فمدينة اب عاصمة مخلاف جعفر فحصن الشماحي المطل على إب من الشرق وغيره ، وكانت جميعها مما هو تحت نفوذ (آل زريع) الأمر الذي دفع الملك (عمران بن محمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع) الى الوصول الى صنعاء والتحالف مع السلطان علي بن حاتم ضد آل مهدي ، وكان ما علمنا[20] من قيام آل حاتم وآل زريع يساندهم مشايخ جنب وقبائلهم أهل ذمار بحرب آل مهدي وردهم لعبد النبي بن مهدي الى زبيد .

(١٨) و(١٩) نفس المصدر ص ١٣٨ .

(٢٠) في فصل آل زريع .

نهاية امارة آل مهدي

وقـد اكتفى عبد النبي بن عـلي بن مهدي بعـد انهزامه في وجـه قـوات الحلفاء (آل حاتم) و(آل زريـع) و(مشايـخ جنب) أهل مغـرب عنس من أعمال ذمار ، بحكم تهامة حتى قدم عليه السلطان توران شاه بن أيوب موفداً عـلى رأس قوة عسكـرية من أخيـه (صلاح الـدين الأيـوبي) وذلـك في عـام (٥٦٩) للهجرة ، وقبض عليه وعلى اخوتـه وقتلهم وقضى على امـارتهم كما قضى على غيرها من الامارات والمشيخات اليمنية ، وذلك بعد معارك شديدة قامت بينه وبين اليمنيين حسمت لصالح توران شاه الأيوبي لأسباب كثيرة منها بالنسبة لتغلب الأيوبيين على آل مهدي : مساندة حكام المخلاف السليماني من آل وهاس للأيوبيين .

الى جانب اضعاف تحالف آل حاتم وآل زريع والجنبيين ضد آل مهدي لهؤلاء .

على انّ تفكك اليمنيـين وتناحـرهم وتنافسهم فيما بينهم ادى الى تغلب الأيوبيين في اليمن بشكل عام ، حيث اخضعوا كل امارة ومشيخة وزعامة محلية على حدة .

والذي يظهر مما ذكره المؤرخون أنّ توران شاه الأيوبي وجّه عناية خاصة للقضاء على (آل مهدي) لما انتشر في مصر وغيرها من سرعة امتداد ملكهم في اليمن واتساع مطامعهم فيه وفي غيره .

ولأنّ الأشـراف (آل وهـاس) حكـام المخـلاف السليمـاني بعثـوا[٢١] الشـريف (قـاسم بن غـانم بن وهـاس) بسبب غـزو عبـد النبي بن مهـدي

(٢١) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٤٨ .

لإمارتهم وقتل اميرهم ، وذلك الى الخليفة العباسي المستنصر (الناصر بن احمد) مستنجداً به على آل مهدي وإنّ الخليفة المذكور كتب الى (صلاح الدين بن أيوب) نائب مصر بمساندة آل وهاس ، فجهز صلاح الدين اخاه توران شاه في الف فارس أو ثلاثة آلاف فارس . (على اختلاف في روايات المؤرخين) . وأنّ (توران شاه الأيوبي) وصل أول ما وصل الى المخلاف السليمان للتبصر من اشراف المخلاف والإستعانة بهم ، ثم وصل زبيد ودخلها[٢٢] في التاسع من شوال من العام المذكور (٥٦٩) للهجرة بعد قتال شديد بينه وبين آل مهدي .

وأضاف الجندي في تأريخه (السلوك) (مخطوط) أنّ حسن بن محمد بن النساخ المطرفي اليمني كتب رسالة بليغة الى الخليفة العباسي في بغداد يشكو فيها (ابن مهدي) وبعث مع الرسالة قصيدة منها :

فيا غادياً نحو العراق محثحثاً ... رحيل ركاب والحياة نصاب
الى ان ترى بغداد والمنبر الذي ... له نسب للهاشمين قراب
ألمّ بابراج الخليفة لاثماً ... غراساً وما كل التراب تراب
وقل لإمام العصر يا ابن خلائف ... هم حجج محجوجة وكعاب
غدت ملة الإسلام مفصومة العرى ... وعامر دين الله وهو خراب
يُذَبَّح ابناءٌ وَتُسْبى عقائل ... ضلال يُرَى في ارضنا وخراب

ومنها :

فدع عنك ارض الروم وانهض لملة ... فسيفك فيه مضرب وذباب
فما من قتال الروم فخر وهذه ... بأظهركم ما في الكلام كذاب

وانّ الخليفة العباسي حينما وصلته الرسالة كتب الى السلطان (صلاح الدين الأيوبي) يأمره بالمسير الى اليمن أو التجهيز لقتال هذا الخارجي ، وأنّ

(٢٢) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٤٨ .

صلاح الدين وجه اخاه (توران شاه الأيوبي) وكان ما علمنا .

بينما ذكر المؤرخ السيد (محمد بن محمد زبارة)[٢٣] أنّ ابن النساخ المذكور بعث لخليفة بغداد آنف الذكر برسالته المشهورة يحثه فيها على التجهيز الى اليمن للقضاء على الإمام (عبد الله بن حمزة) وذكر الرسالة نظماً ونثراً ، وهي كما نراها عند التاريخ للإمام المذكور في الفصل الثاني (من الفصول الخاصة بتأريخ الامامة الزيدية في اليمن) وهي غير هذه الرسالة وغير القصيدة .

ولما كان اسم الإمام عبد الله بن حمزة قد ورد في رسالة (ابن النساخ) التي نشرها زبارة ، ولم يرد اسم عبد النبي بن مهدي ولا أحد من آل مهدي في القصيدة التي نشرها المؤرخ الجندي في تأريخه ، فإنّ المرء لا يستطيع الجزم بأنّ القصيدة التي نشرها الجندي قد قالها (ابن النساخ) ضد (عبد النبي بن علي ابن مهدي) . في حين انه لا سبيل الى الشك في ان القصيدة التي ذكرها المؤرخ (زبارة) قد قالها ابن النساخ ضد الإمام عبد الله بن حمزة ، سيما وقد عرف ان الإمام عبد الله بن حمزة حارب المطرفية التي كان ابن النساخ ينتمي اليها كما سنعلم في موضعه من هذا الكتاب .

على أنّ هذا لا يمنع ان يكون ابن النساخ قد بعث برسالته الى بغداد يحرض الخليفة العباسي على (عبد النبي بن علي بن مهدي) أو على (آل مهدي) قبل أن يبعث برسالته الأخرى اليه يحرضه فيها على الإمام (عبد الله ابن حمزة) ، اذ ان التأريخ الزمني لمجيء (توران شاه الأيوبي) الى اليمن وهو عام (٥٦٩ هـ) لا يبعد كثيراً عن تأريخ الإمام (عبد الله بن حمزة) الذي دعا في عام (٥٨٣ هـ) ، وقد جوّز من هذا الاحتمال اختلاف نص الرسالتين نظماً ونثراً ، وما عرف من طبيعة (ابن النساخ) الثورية ، وأنّ كلا من الرسالتين قد ورد ذكرها في مصدر تأريخي مغاير للمصدر الآخر .

(٢٣) في تأريخه (أئمة اليمن) ص ١٣٦ .

هذا وسنعلم المزيد من اسباب غزو الأيوبيين لليمن ، وعوامل نجاحهم في الإستيلاء على اليمن في الفصل الخاص بتأريخهم من هذا الكتاب .

أمّا مدة حكم (آل مهدي) منذ استولى (علي بن مهدي الرعيني الحميري) على زبيد في عام (٥٥٤) للهجرة وحتى قضى عليهم (توران شاه الأيوبي) في عام (٥٦٩) للهجرة فهي حوالي الستة عشر عاماً ، كانت كلها حروب وغزوات له ولولديه (مهدي) و(عبد النبي) في سبيل توسيع رقعة ملكهم في اليمن .

ولم يطل امد حكمهم للعوامل التي ذكرتها .

نظرة عامة في إمارة آل مهدي

لم يتجاوز عهد (آل مهدي) الستة عشر عاماً . لذلك فإنّ عهدهم القصير الذي لم يتوفر فيه الإستقرار ليس من السهل الحكم عليه أو له ، لأنه لم تتح لهم الفرصة لأن يبرهنوا عن صلاحهم واصلاحهم وعما سيكونون عليه وسيكون عليه عهدهم . وقد ركز (علي بن مهدي الرعيني) مؤسس هذه الإمارة منذ القيام بحركته على القضاء على آل نجاح الذي كان هو من مواطنيهم .

وبدأ أمره كغيره من الطامحين في الحكم بالنسك والعبادة والتقوى والزهد والورع ، كما ترسّم خطى (أبي الحسن علي بن الفضل) بالاتصال بعلماء العراق والإستفادة من علومهم ومعارفهم ، إلا أنّ الأول اخذ عنهم عقيدة الاسماعيلية ، وهذا اخذ عنهم عقيدة الخوارج وتطرف فيها ، فكفّر بالمعاصي ، وقتل كل خارج عن عقيدته وأساء ظنه بكل احد .

وأهلك الحرث والنسل وقطع الطريق وأخاف الآمنين في تهامة في سبيل القضاء على (آل نجاح) وتوطيد حكمه على أنقاضهم . كما ترسّم خطى (ابي الحسن علي بن محمد الصليحي) في الحج بالناس دليلاً ولسنوات قبل ان يبدأ

بحركته السياسية والعسكرية ، واتصل باليمنيين من أهل تهامة وغيرها للتمهيد لحركته ، وقد ساعده في حرب آل نجـاح الى جانب عنفـه وارهابـه للناس في المنطقة وسلب اموالهم واراقة دمائهم سماح (الحرة علم) والدة الملك (فاتك ابن منصور بن جياش بن نجاح) له بزكوات قريته (العنبرة) والقرى المجاورة لها على ساحل زبيد ، حتى جمع الأموال والرجال والخيل والعتاد ، كما سـاعده موت (الحرة علم) على الارتفاع الى حصون وصاب والبدء بحركته العسكرية ضد آل نجاح دون مبالاة وبصورة مكشوفة كما علمنا .

ولما تمّ له القضاء على آل نجاح واستولى على مدينة زبيد عاصمة الإمارة مات بعد اشهـر من ذلك . وخلفـه ابناه مهـدي وعبد النبي اللذان لم يكتفيـا بحكم تهامةمنطقة نفوذ آل نجاح . وإنما توسعا في طموحهما ، وامتدّ نفوذهما الى كثير من مناطق نفـوذ إمارة (آل زريـع) المجاورة لإمـارتهما (إمـارة آل نجاح سابقاً) ، وقام عبد النبي بعد موت اخيه بغزو امـارة آل وهاس في المخـلاف السليماني وقتل اميرهم كما علمنا،الأمر الذي حمل آل زريع على التحالف ضد آل مهدي مع آل خاتم ومع مشايخ وقبائل جنب في بلاد ذمار وهزم الحلفاء آل مهدي وضيقوا نطاق نفوذهم الى نقطة البدء في حركتهم وهي زبيد وأعمالها .

كمـا حمل آل وهـاس أشراف المخـلاف السليماني الى طلب النجـدة من الخليفة العباسي الذي أمر نـائبه عـلى مصر والشـام (صلاح الـدين الأيوبي) بالمسير الى اليمن أو التجهيز اليه لحرب آل مهدي الخوارج والخارجين على الدولة العباسية عـلى اعتبار أنَّ آل نجـاح كانـوا يدينـون بالـولاء للعباسيـين ، وجاء الأيوبيون مستعينين باشراف المخلاف السليماني وبغيرهم من اليمنيين ممن عانوا من ويلات وحروب آل مهدي وقضى بنو أيوب على آل مهدي ، كما قضوا على غيرهم من الإمارات اليمنية المتفككة ، هذا من الناحية السياسية .

أمّا من النواحي الأخرى الاقتصادية والاجتماعيـة والثقافيـة والعمرانيـة فلقصر مدة حكم آل مهدي وعدم استقرار الأحوال فيه فإنّ ذلك العهد القصير

بالطبع كان مضطرباً ولم يتوفر فيه الأمن والرخاء ، وكل ما نعلمه ان عبد ا الله ابن علي بن مهدي اعاد جامع الجند الذي سبق لأخيه مهدي أنّ احرقه بمن فيه كما هدم واحرق وقتل وصادر وأخواه مهدي وعبد النبي في كل مدينة ومنطقة استوليا عليها ، فكسدت التجارة وانتشر الخوف وانهار الاقتصاد وتعطلت معاهد العلم ، ولا ندري ماذا كان سيكون عهدهم لو طال بهم الأمد وتمكنوا من إقامة دولة واسعة الأرجاء ، والله يعلم النوايا وهو الحكم العدل جلّ وعلا .

الفصل الثاني من فصول تأريخ الأئمة في اليمن
(٤٥٢ ـ ٥٦٦ هـ)
(١٠٦٢ ـ ١١٥٥ م)

الإمام حمزة بن ابي هاشم ومقتله

يبدأ[١] هذا الفصل بالإمام حمزة بن أبي هاشم ، وهو (حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي بن ابراهيم) ، فهو يلتقي مع الإمام الهادي (يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم) عند (الحسين بن القاسم .

قال المؤرخ[٢] (محمد بن محمد بن زبارة) : « وكان اميراً خطيراً شهماً شجاعاً » وأضاف[٣] قائلاً : « قام محتسباً وداعياً » في سنة (٤٥٢) للهجرة .

اي انه لم يدع امام بين الإمامين (ابي الفتح الديلمي) الذي قتل أثناء معركة قامت بينه وبين الملك (علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٤٤) للهجرة ، وهذا الإمام الذي دعا لنفسه في التأريخ المذكور والذي لم يعتبره زبارة إماماً بل محتسباً ، ومع ذلك فلم يعرف تأريخياً أنّ هذا الإمام (حمزة) ، قام بأي حركة حربية ضد الملك الصليحي الى مقتله أي الصليحي على يد (سعيد الأحول بن نجاح) في عام (٤٥٩) للهجرة .

---

(١) و(٢) و(٣) المؤرخ محمد بن زبارة في تأريخه (ائمة اليمن) ص ٩٣ .

لأنّ أول حركة عسكرية له ضد الصليحيين قامت في شهر ذي الحجة[٤] من عام مقتل الصليحي ، الذي حدث في شهر ذي القعدة من نفس العام ، وقدجهّزالملك المكرم (احمد بن علي الصليحي) جيشاً كبيراً تصدى للإمام (حمزة) ولحشوده التي عسكر بها في بلاد ارحب ، وأخذ[٥] جيش الملك المكرم بقيادة الأمير (عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي) اسفل وادي (الملوى) أو (المنوي) غربي قرية بوسان من بلاد ارحب واعلى الوادي ، وأحاط بجيش الإمام حمزة والحق به وبجيشه الهزيمة ، وقتل الإمام أثناء المعركة ، ونقل جثمانه الى بيت الجالد من بلاد أرحب ودفن فيه .

وأضاف[٦] (زبارة) : إنّ الإمام ظلّ يردد اثناء المعركة قوله :

اطعن طعناً ثائراً غباره طعن غلام بعدت انصاره
وانتزحت عن قومه دياره

ويفهم من هذه المقاطع الثلاثة انّ الإمام حمزة قاوم بعد انهزام رجاله حتى قتل .

هذا والإمام (حمزة بن أبي هاشم) هذا هو جد السادة الحمزات الذين منهم الإمام (عبد الله بن حمزة) وليس منهم الإمام (يحيى بن حمزة) .

الإمام أحمد بن سليمان

هو[٧] الإمام المتوكل (احمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر احمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين .

وقد دعا في بلاد الجوف عام (٥٣٢) للهجرة ، ثم تنقل في مناطق كثيرة

---

(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١١٨ .
(٥) زبارة في المصدر المذكور ص ٩٤ .
(٦) نفس المصدر المذكور والصفحة نفسها .
(٧) نفس المصدر (زبارة) في تاريخه (أئمة اليمن) ص (٩٦) .

في القسم الأعلى من اليمن ، كبلاد برط ونجران وبلاد الظاهر من بلاد حاشد ، وبلاد سفيان ، وذلك لأخذ البيعة لنفسه من القبائل التي وصل اليها ودعوتها لمساندته في حركته .

والذي يبدو من شعره الذي كان ينشره في القبائل اليمنية ، وبالذات قبيلة (مذحج) أنّ طموحه كان واسعاً ، وانه كان يعتزم القضاء على (آل حاتم) حكام صنعاء وأعمالها ، بالدرجة الأولى ، لأهمية (صنعاء) عاصمة اليمن التي كانت عاصمة امارة (آل حاتم) .

ثم يغزو سائر الامارات التي كانت قائمة في عهده ، كإمارة (آل زريع) في (عدن) وفي المنطقة الوسطى التي تشمل مخلاف الجند ومخلاف جعفر بلواء اب ، وفي مخلاف المعافر (الحجرية) وامارة (آل نجاح) في تهامة ، وغيرها ؛ ومن اشعاره التي اشعرت بطموحاته ونواياه القصيدة التالية والتي مطلعها : (لأحكمنّ صوارماً ورماحاً) .

إلا انّ حركته الجادة لم تبدأ إلا في عام (٥٤٥) للهجرة ، حيث وصل فيه الى بيت بوس من بني شهاب في بلاد البستان إحدى نواحي لواء صنعاء ، وحوله عدد كبير من القبائل اليمنية .وقد اعتبر بعض المؤرخين هذا العام هو عام دعوته .

وهنا ذكر بعض[٨] المؤرخين انّ الإمام ارسل رجلاً من بيت بوس الى صنعاء ليشتري له ورقاً وبعض الحاجات الأخرى ، وانّ السلطان (حاتم بن احمد اليامي) الحاشدي الهمداني ابلغ بوجود رسول الإمام في صنعاء ، فأمر السلطان باحضاره اليه ، ولما احضر اليه بعث معه الى الإمام ورقة فيها :

أبا الورق الطلحي تأخذ ارضنا ... ولم يشتجر تحت العجاج رماح
وتأخذ صنعا وهي كرسي ملكنا ... ونحن باطراف البلاد شحاح

---

(٨) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٩٨ .

وانّ الإمام لمّا قرأ الرسالة قال : « نأخذها إن شاء الله . » .

ثم جهز جيشه للتقدم نحو صنعاء ، وتلقاه السلطان حاتم بجيشه وقامت معركة بين الجانبين حققت انتصاراً حاسماً للإمام ، وانسحب السلطان حاتم من صنعاء الى حصن الظفر القريب من الروضة ، والتي نسبت اليه فسميت بروضة حاتم وكانت تعرف قبل ذلك بالمنظر وبالدرب .

وذكر انّ السلطان لمّا رأى التفاف الناس حول الإمام وانصرافهم عنه ، أنشد قوله :

غلبنا بني حواء بأساً ونجدة ولكننا لم نستطع غلب الدهر
فلا لوم فيها لا يطاق وإنما يلام الفتى فيها يطاق من الأمر

ثم قصد الإمام في جماعة من رؤساء همدان الى بيت بوس ولمّا قابله انشده بيت كعب بن زهير وهو :

نبّئت انّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

وأعلن للإمام ولاءه ومن معه له ، فطلب الإمام منهم مبايعته فبايعوه ، وباتوا ليلتهم لديه .

وفي صباح اليوم التالي تحرك موكب الإمام نحو صنعاء ، ودخلها دخولاً معظماً ، ومنها بعث الإمام عماله على المخاليف التابعة لصنعاء ، وولى على قضاء صنعاء القاضي (جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى) من الأبناء .

وأضاف المصدر المذكور[٩] انّ السلطان حاتم بن احمد كتب للإمام احمد ابن سليمان من حصن الظفر أبياتاً جاء فيها قوله :

(٩) نفس المصدر والصفحة .

رأيت إمـاماً لم يـر النـاس مثله أبـرّ وأوفى لـلطريـد المـشـرد
عـفـىووفى حـتى كـأني عـنـده أخ وحميـم لسـتـعـنـه بمبـعـد

وقد حدث بينهما خلاف بعد ذلك التقيا بسببه عند موضع يعرف بعـرم السد في محاولة للتوصل الى اتفاق ، ولكنهما افترقا كما التقيـا ، وبدأ كـل منهما يستعـد للجولـة الفاصلة ، واستـطاع السلطان حاتم ان يجمـع كلمـة همـدان حوله .

وفي[١٠] اثناء ذلك بعث الإمام أحد كبار رجاله هو الشريف (عـلي بن يحيى) الى قبيلة (مذحج) لطلب انضمامها الى الإمام ، واستطاع ان يستميل اليه عدداً منهم ، فبادرهم السلطان وقاتلهم وهزمهم ، الأمر الذي حمل الإمام عـلى الخروج من صنعـاء على رأس جيشـه لنجدة الشـريف (علي بن يحيى) المذكور وبات ليلته في غيمان بني بهلول فخلفه السلطان حـاتم على صنعـاء ، وتكاثرت القبائل الموالية له ولم يغلب بعد ذلك .

وكانت استعادة السلطان حـاتم لصنعاء في عـام (٥٤٦) للهجرة وهـو العام التالي لعام دعوة الإمام المذكور واستيلائه على صنعاء .

أمّا الإمام فإنه واصـل انسحابـه الى ذمار ودخلهـا ، ومنها راسـل قبيلة (جنب) ذات الشأن الكبير آنذاك يدعوها الى الانضمام اليه ، وانقسمت قبيلة جنب عـلى نفسها ، ولكن الأغلبيـة بزعـامة الشيـخ عبـد الله بن يحيى الجنبي تابعت السلطان حاتم وسارت في صفوفه ضد الإمام ، وقاتلت الفرقة التي والت الإمام من جنب وهزمتها .

وبانضمام جنب الى السلطان (حاتم) تضاءل أمـل الإمام في استعـادة

---

(١٠) نفس المصدر ص ٩٩ .

صنعاء بل وفي استعادة مركزه الذي كان قد احرزه اثر قدومه من بـلاد الجوف الى بيت بوس ، وانسحب من المنطقة عائداً الى مكان اقامته الـدائم في هجرة (عمران) ببلاد الجوف ، وهذا ما رواه المؤرخ (زبارة) في المصدر المذكور .

لكن المؤرخ (الخزرجي)[١١] لم يذكـر ان الإمام وصـل بنفسه الىذمار لطلب انضمام قبيلة (جنب) الى صفوفه ، وإنما راسلها يـطلب منها ذلـك ، ووعدها بالوصول اليها ، وانّ السلطان حاتم لمّا بلغه ذلك بادر اليها بنفسـه ، وأنه ألفاها خارج ذمار في انتظار قدوم الإمام اليها ، وأنها لمّا عرفت أنّ القادم اليها هو السلطان حاتم رحبت به ، وانه استطاع ان يحسم خـلافات وثـارات كانت بينها عن طـريق تسليم الديـات من لديـه (كما هـو مفصل في الفصـل الخاص بتأريخ آل حاتم) ، وانها انضمت اليه وعاد بها الى صنعاء ، وانسحب الإمام عائداً الى بلاد الجوف كما عرفنا .

تحالف السلطان (حاتم الهمداني) والسلطان عمران آل زريع ضد الإمام أحمد بن سليمان .

ولكن هل يا تـرى وقف الإمام (احمـد بن سليمان) في هجـرة عمران بالخارد ببلاد الجوف بعد الانتصار السـاحق الذي حققـه السلطان (حاتم بن احمد اليامي) ولم يتحرك بعد ذلك ؟

الجواب بالنفي .

ذلك[١٢] انه في العام التالي لعام انسحابه الى بلاد الجوف ، أي في عام (٥٤٧) للهجرة تحرك من جديد في جموع حشدهـا من قبائـل خولان الشـام (خولان صعدة) وضمّ اليها ما امكن له جمعه من بلاد حاشد والجوف وبـلاد مسـور حجة وغيـرها ووصـل بجموعـه الى بلاد جهـران ، وقضى أيـام عيـد

---

(١١) العسجد المسبوك ص ٧٦ .

(١٢) زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٠٠ .

الأضحى من العام المذكور في (افق) اسفل بلاد جهران ، ثم انتقل منها الى بلاد ذمار ونشر في الناس قصيدته الآتية ، ينادي بها قبيلة مذحج ويدعوها للإنضمام اليه ومساندته وهي :

لأحكمنّ صوارماً ورماحاً	ولأبدلنّ مع السماح سماحا
ولأقتلنّ قبيلةً بقبيلة	ولأسلبنّ من العدى ارواحا
ولأجلونّ الأفق عن ديجوره	حتى يعود دجى الظلام صباحا
ولأكسونّ الأرض عما سرعة	نقعاً مثاراً أو دما سفاحا
ولأجلبنّ الخيل من اقصى المدى	لا ينثنين ولا يردن مسراحا
ولأرمينّ بها الحُصَيب وأهله	ولأنجحنّ ملوكهم انجاحا
ولأرمينّ الواديين بصيلم	والمشرقين وانثني صرواحا
ولأوقعنّ بحي يام وقعة	تدع الحميّ من الطغاة مباحا
يا آل مذحج انني أعددتكم	لي في الحوادث جُنة وسلاحا
قوم فتحت بهم ازال ولم ازل	لجميع امصار الملا فتّاحا
قودوا الينا مقنباً يغشى الربا	جيشاً أجشّ عرمرماً نطاحا
لست ابن أحمد ان تركت زعانفاً	يتبخترون وينكحون سفاحا
يتواعدون بكل ليلة جمعة	فاذا توافوا اطفأوا المصباحا

فالإمام (احمد بن سليمان) بهذه القصيدة توعّد فيمن توعد (آل نجاح) حكام تهامة وذلك ببيت : (ولأرمينّ بها الحُصَيب وأهله) اذ أنّ الحصيب بالتصغير هي بلاد زبيد التي كانت ضمن منطقة حكم (آل نجاح) الذين ذكرهم في نفس البيت المذكور ،وأكد ذلك ببيت (ولأرمينّ الواديين بصيلم) اذ أنّ الواديين هما في شمال تهامة ومن ضمن منطقة نفوذ آل نجاح ، وربما قصد بهما واديين من وديان (المخلاف السليماني) شمال تهامة فيكون بذلك قد تهدّد بالبيت المذكور اشراف المخلاف السليماني (آل وهاس) .

كما توعد (آل حاتم) اليامين الهمدانيين وسائر قبيلة يام عشيرة السلطان (حاتم بن احمد اليامي) وانصاره ببيت (ولأوقعنّ بحي يام وقعة) .

وتوعّد كذلك (آل زريع) حكام عدن والمنطقة الوسطى واتهمهم بالباطنية لأنها كانت تنتمي الى الفاطميين الذين كان الناس يصمونهم واتباعهم يومئذٍ بالباطنية وينسبون اليهم اشياء ليست من الإسلام ، وذلك ببيت (لست ابن احمد) وما بعده ، كما افصح عن خطته لإخضاع القبيلة التي لا تذعن له بقوله : (ولأقتلنّ قبيلة بقبيلة) .

ولمّا عرف السلطان (حاتم بن أحمد) نوايا الإمام (احمد بن سليمان) التوسعية ومحاولة الاستعانة بمذحج لتحقيق مطامعه وغزو عدن وغيرها بادر الى مدينة ذي جبلة ، واجتمع فيها بالسلطان (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) . وتحالف معه ضد الإمام ، وكانت تجمع السلطانين الى جانب آصرة الدم بانتمائهما معاً الى الأسرة الهمدانية ، روابط مصيرية اخرى ، أهمها التهديد والخطر المحدق بهما معاً من قبل الإمام ، ودبر الحليفان خطة افساد قبيلة مذحج على الإمام ، وذلك بأن بعثا اليها والى زعمائها بالذات كزيد بن عمرو المذحجي وغيره اموالاً كثيرة حملها على الاعتذار للإمام عن غزو عدن أو صنعاء ، وقد حمل الاعتذار عن القبيلة الى الإمام الى عرش رداع (زيد بن عمرو المذحجي) المذكور ، فعاد الإمام الى بلاد الجوف خائباً ، وأقام فيها مدة ، غادرها بعدها الى بلاد صعدة ، ثم تجوّل في عدة مناطق من القسم الأعلى من اليمن .

حتى[١٣] وصل في عام (٥٤٨) للهجرة الى ارحب ، وفي بيت الجالد منها اجتمع بالسلطان حاتم وعقد معه صلحاً يقضي بقيام هدنة مطلقة بينهما ، وتعهد السلطان بموجبها بصيانة شيعة الإمام في صنعاء وغيرها ، وأن يترك لهم حرية ممارسة وإظهار مذهبهم الزيدي .

(١٣) المصدر المذكور (ائمة اليمن) ص ١٠١ .

وقد كان ذلك التحالف بين الأسرتين الهمدانيتين (آل حاتم) و(آل زريع) هو التحالف الأول بينهما . أما التحالف الثاني فهو بين الأسرتين نفسيهما ولكن في عهد السلطان (علي بن حاتم) والداعي (عمران بن محمد بن سبأ) المذكور ضد (علي بن مهدي الرعيني) كما عرفنا تفصيل ذلك في الفصل الخاص بتأريخ (آل مهدي) .

حرب غيل جلاجل بين الإمام احمد بن سليمان وقبيلتي وادعة الشام ويام

انتهز الإمام (احمد بن سليمان) فرصة الهدنة القائمة بينه وبين السلطان (حاتم بن احمد اليامي) وقام بحشد جموع كثيرة وتقدم لحرب القبيلتين الكبيرتين المناصرتين عادة للسلطان وهما (وادعة الشام) (صعدة) و(يام) عشيرة السلطان متهماً لهما بالباطنية ، وغزاهما الى مكان تجمعهما وهو غيل جلاجل من بلاد وادعة الشام المذكورة ، ويظهر من ما ذكره المؤرخ (محمد بن محمد زبارة) في تأريخه (ائمة اليمن)[١٤] أنّ الإمام بعد حرب شديدة قامت بينه وبين القبيلتين المذكورتين عند غيل جلاجل المذكور استظهر عليهما لكثرة القبائل التي قاتلتهما في صفوفه ، وأنه أخرب مساكنهما وهدم مزارعهما وأباح بلادهما للسلب والنهب ثلاثة أيام ، وأنّ تلك الأحداث كانت في عام (٥٤٩) للهجرة وأثناء الهدنة القائمة بين الإمام (احمد بن سليمان) والسلطان (حاتم ابن احمد اليامي)، ولم يتمكن الإمام مع ذلك من دخول مدينة صعدة ، وانه انشأ بمناسبة انتصاره على القبيلتين المذكورتين قصيدة أشبه ما تكون بالشعر القصصي ، عدّد فيها مفاخره وشمائله ، وما فعله بالقبيلتين ، وما اتهمهما به من الاختلاط وفعل الفحشاء على حد ما جاء في قصيدته ومطلعها :

الله اكبر أي نصر عاجل   من ذي الجلال بفتح غيل جلاجل

---

(١٤) نفس الصفحة ١٠١ .

ومنها :

كفـرت بـه يـام ووادعـة معـاً ... وتجبـرّوا وتمسكـوا بـالبـاطـل
دانـوا بـدين البـاطنيـة وهـو من ... دين المجوس وفوق جهـل الجاهـل
وأتـوا من الفحشـاء كـل كبيـرة ... فعـلاً وقـولاً فـوق قـول القـائـل
وطغـوا وتـاهـوا ثم قـالـوا هجـرة ... يـا نـاس مـا أحـد لنـا بممـاثـل
فخـروا عـليٍّ وكثـروا وتـوعّـدوا ... فخـر البهام عـلى الهزبـر البـاسـل
وأنـا الـذي عـرفـوه لست بعـاجـز ... عـما نهضت بـه ولست بخـامـل
وسمـاحتي وفصـاحتي وشجـاعتي ... وطبـائعي معـروفـة وشمـالي

ومنها :

لمـّا تـوافي جنـدنـا بمـمّتـهـم ... بلد العـدى ووطـأتهم بكـلاكـل
وقصـدتهم في ارضهـم وتـركتهـم ... جـزر السبـاع وطعمـة لـلآكـل
أجليتـهم عـن ارضهـم وبـلادهم ... ولعلهـا تـأتي ثـلاث مـراحـل
وحصـونهم معـروفـة مـعـدودة ... مـأتـان قـد حسبت وأي معـاقـل

الإمام أحمد بن سليمان وآل نجاح

لما اشتدّت[١٥] غارات (علي بن مهدي الرعيني) عـلى (آل نجاح) في تهامة وعلى عاصمتهم مدينة زبيد بالذات ، استنجد وزراء الإمارة من موالي آل نجاح بالإمام (احمد بن سليمان) ، ووصل الإمام الى زبيد في عام (٥٥٣) للهجرة ، واشترط لمساندتهم والوقوف في وجه علي بن مهدي ان يقتل الوزراء اميرهم (فاتك بن محمد آل نجاح) ، فقتلوه وكان آخر امراء آل نجـاح ، ثم اقام الإمام المذكور في زبيـد ثمانيـة أيام دون ان يتمكن من صـد غارات ابن مهدي ، فعاد من حيث اتى .

(١٥) زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٠٦ .

أسر الإمام أحمد بن سليمان ثم موته

وفي[16] عام (٥٦٥) للهجرة قامت الحرب بين الإمام (احمد بن سليمان) وبين الأمراء أولاد الإمام قاسم بن علي العياني وكانت (وادعة الظاهر من بلاد حاشد) ساحة الحرب بين الجانبين ، واثناء الحرب تمكن أولاد العياني من اسر الإمام واعتقاله في (مصنعة اثافت) بالقرب من (خمر) ، ولم يفرجوا عنه إلا بعد توسط السلطان علي بن حاتم بن أحمد لدى الشريف (فليتة بن قاسم القاسمي العياني) كبير آل العياني .

ثم وصل الإمام (احمد بن سليمان) الى السلطان علي بن حاتم بن أحمد اليامي لتقديم شكره له على ما فعله في سبيل الإفراج عنه ، وسانده بعد ذلك بقواته في حربه لأولاد العياني كما علمنا في الفصل الخاص بتأريخ (آل حاتم)

ثم انتقل الإمام الى بلاد حيدان في بلاد صعدة ، وأقام فيها الى وفاته في عام (٥٦٦) للهجرة .

وبموته طويت صفحة من صفحات تأريخ الأئمة الزيدية في اليمن ، وكان الإمام (احمد بن سليمان) يعتبر من كبارهم نهضة وعزماً وسماحة ووفاء وبلاغة وعلماً وصاحب طموحات واسعة ، لولا انه صادف نداً قوياً لا يقل عنه نهضة وعزماً وسماحا ووفاء وبلاغة وادباً وهو السلطان (حاتم بن احمد اليامي) والذي كان مع ذلك يفوق الإمام في بذل الأموال بسخاء حينما يدعوه الواجب الى ذلك .

ثم ولده السلطان (علي بن حاتم) الذي كان لا يقل عن أبيه في شمائله .

هذا ولما كان قيام دولة بني أيوب في اليمن هو قبل دعوة الإمام عبد الله

(١٦) نفس المصدر والصفحة .

ابن حمزة الذي تلا الإمام (احمد بن سليمان) في دعوته فإني سأنهي هذا الفصل الثاني من فصول حكم الأئمة في اليمن بالإمام (احمد بن سليمان) المذكور ، على أن آتي الى الفصل الثـالث من حكمهم بعد فصـل بني أيوب ، وبحسب القاعدة التي التزمتها .

وضع اليمن العام بين استقلاله
عن العباسيين وحكم الأيوبيين فيه

تمتدّ هذه الفترة حوالي ثلاثمائة وخمسة وستين عاماً ، أي من تاريخ قيام إمـارة (آل زياد في اليمن) عـام (٢٠٤ هـ) وحتى حكم الأيوبيـين فيه في ٥٦٩ هـ .

الوضع السياسي

اول امـارة شبه مستقلة في اليمن عن حكم العبـاسيين هي امـارة (آل زياد) التي أسسها (محمد بن عبد الله بن زياد) من أولاد (زياد بن أبيه) .

والذي ولاه المأمون العباسي اعمال تهامة وما استولى عليه في الجبال من اليمن بهدف فصل اليمن عن نجده بوالٍ يحزم أمرها، ويقر الأمن والاستقرار في ربوعها ، وذلك بسبب اضطراب اليمن وتهامة بالذات .

وكـانت إمارة آل زيـاد هي أول امـارة شبـه مستقلة عن العبـاسيـين في اليمن .

وقد استطاع ابن زياد بالقوة التي أرفقه بها المأمون ، وبالقوة الكبيرة التي بعثها المأمون مع جعفر مولى ابن زياد بعد عـام ونصف ان يخضع تهـامة بعـد حروب شديدة قامت بينه وبين اليمنيين استمرت ثلاث سنوات ، ثم امتدّ نفوذه الى حضرموت ، ومع ذلك فقد اضطرب نجد اليمن (الجند واعماله وصنعاء وأعمالها) .

الأمر الذي حمـل الخليفة المـأمون العبـاسي على تقسيم نجـد اليمن الى

ولايتين بواليين ، ولاية الجند وأعماله ، وولاية صنعاء وأعمالها .

ومع ذلك أيضاً فلم تُجْدِ العباسيين حتى هـذه الوسيلة ، وأضـطروا الى الاعتراف بنفوذ (آل يعفر) الحواليين على صنعـاء وأعمالهـا ، واستقلّ هؤلاء بالمنطقة المذكورة إلا من انتماء شكلي بالعباسيين قد لا يعدو الدعاء في الخطبة ، وذكر اسم الخليفة في السكة ، وخطب آل يعفر أيضاً لآل زياد ، اعترافاً منهم بشرعية هؤلاء في حكم تهامة المستمد من العباسيين ، ولعدم قدرة آل يعفر على مقاومتهم وحربهم .

وقامت أيضاً حركات استقلال عن العباسيين في اليمن ، كحركة الأئمة الزيدية بزعامة الإمـام الهادي (يحيى بن الحسـين بن القاسم بن ابـراهيم) ، وحركة دعاة الفاطمية الأولى بزعـامة (الحسن بن حـوشب بن زادان الكوفي) الذي تمركز في بلاد مسور حجة ، وعلي بن الفضل الجيشـاني الحميري الـذي تمركز في المـذيخرة من أعمـال اب ، ثم أمتدّ نفـوذه في معظم اجـزاء اليمن ، وأخضع كل مناوئيه كما مرّ بنا كل ذلك بالتفصيل في مواضعه من هذا الكتاب .

ولكن هذه الحركات التي نجحت جميعها في الاستقـلال عن العباسيين والفاطميين هل وفرّت في اليمن الأمن والاستقرار اللذين كانت ترجوهما ؟

الجواب بالنفي .

ذلـك انّ اليمن في ظل تلك الحـركات المستقلة تقـريباًدخـل في صـراع عقائدي بينها ، وقد تمثل ذلك الصراع بين السنية التي كان يعتنقها آل يعفر وآل زياد بحكم انتمائها الى العباسيين ، وبين الشيعة التي كان يعتنقها ائمة الزيدية ودعاة الفاطمية .

وحتى هذه الشيعة فإنها اختلفت فيما بينها ، فشيعة الزيدية علوية حسنية وحسينية ، وشيعة الفاطمية اسماعيلية حسينية فقط .

كما دخل اليمن في ظل هذه الحركات شبـه المستقلة والمستقل بعضهـا في

صراع سياسي وبالدرجة الأولى قبل صراعها العقائدي .

وأدى ذلك الصراع الى الحروب المستمرة فيها بينها جميعهـا ، كان اليمن هو مسرحها ، وكان اليمنيون (عامة اليمنيين) هم وقودها .

وحتى الفئة الواحدة من تلك الفئات المتصارعة في الفترة المذكورة فإنه قام صراع داخلها ، ادى الى اضطراب حكمها ، وذلك كآل يعفر الذين صاروا يقتل بعضهم بعضاً ، والزيدية الذين انبـرى كل إمـام يدعـو لنفسه ويحـارب الإمام أو الأئمة القائمين ، ودعـاة الفاطميـة الأولى حيث حارب ابن الفضـل زميله في الدعوة حسن بن حوشب ، وحاصره عاماً كاملاً ، حتى اجبره على ان يرهن عنده ولده لضمان اذعانه وعدم مناوأته أو مساندة خصومه كما مرّ بنا كل ذلك ايضاً بالتفصيل .

وقد خلف (آل زياد) مواليهم (آل نجاح) .

كما خلف دعاة الفاطمية الأولى دعاة الفاطمية الثانية ممثلةً بالصليحيين .

ومع هؤلاء وأولئك الأئمة الزيدية .

وظل الصراع العقائدي والسياسي بين هؤلاء الزعماء على أشده ، إلا أنّ مؤسس الدولة الفاطمية الثانية (علي بن محمد الصليحي) استطاع في عهده أنّ يوحد اليمن تقريباً في ظل راية حكمه ، واستطاع بسبب ذلك ان يوفـر الأمن والاستقرار في اليمن في آخر عهـده ، وبعد ان اخضـع لحكمه كـل الامارات والزعامات القائمـة في اليمن ، بما فيهـا امارة آل نجـاح ، كما أخضـع الأئمة الزيدية ايضاً .

ولّما قتل كما علمنا خلفه ولده المكـرم (احمد بن عـلي الصليحي) الذي انتهج نهج ابيه في الحفاظ على الـوحدة اليمنيـة باستثنـاء (آل نجاح) الـذين استطاع الأمير (جياش بن نجاح) ان يستعيـد حكم امارتهم في تهـامة ، وان يحافظ عليها هو وخلفه وحتى الى ما بعد انقضاء الدولة الصليحية ، وإن كان قد

دخل مع الصليحيين في حروب مستمرة سلفت الإشارة الى ذلك .

وانتهت دولة الصليحيين وإمارة آل نجاح ما تزال قائمة .

وشارك الملكةَ (اروى بنت أحمد الصليحي) الحكم (آل حاتم) و(آل زريع) حيث اقتطع آل حاتم صنعاء وأعمالها من جسم الدولة الصليحية ، وقام بنو زريع بالنيابة للصليحيين في عدن وأعمالها ، إلا انهم استقلوا عنها في آخر عهد الملكة اروى ، ولكنهم ظلوا على ولائهم للفاطميين ، بينما قطع آل حاتم صلتهم وانتماءاتهم اليهم ، ولكنهم ظلوا متعاطفين مع آل زريع ابناء عمومتهم وتحالفوا معهم ضد الإمام (احمد بن سليمان) ولصالح (آل حاتم) ثم ضد عبد النبي بنْ علي بن مهدي الرعيني (ولصالح آل زريع) كما مرّ بنا .

وقد جاء آل مهدي اثناء تلك التيارات المختلفة في اتجاهاتها ونزعاتها بزعامة مؤسس امارتهم (علي بن مهدي الرعيني الحميري) بطموحاته الواسعة وخارجيته المتطرفة ، والذي ركز على القضاء على آل نجاح أولاً ، ولمّا تم له ذلك قام خلفه بعد موته بالشروع بتنفيذ مخططه التوسعي على حساب (آل زريع) وغيرهم من الامارات القائمة الأخرى ولكن تحالف (آل حاتم) و(آل زريع) ضدهم حد من توسعهم ، وأعادهم الى زبيد منطلقهم الأول ، حتى جاء (بنو أيوب) وقضوا على إمارة آل مهدي وغيرها من الامارات كما سنعلم .

وكان آل مهدي قد اشاعوا الرعب والخوف والقلق والاضطراب في المناطق التي بسطوا نفوذهم عليها وفي تهامة بالذات .

هذا مجمل الصراع العقائدي والسياسي في اليمن في عهد ما سمي بعهد الاستقلال للأسف الشديد ، وكان على اليمنيين ان يستغلوا ذلك الاستقلال عن العباسيين بوحدة الصف وجمع الكلمة ، وبناء اليمن وتوفير الرخاء والأمن فيه ، والزعماء وحدهم هم المسؤولون بالدرجة الأولى قبل الأفراد الأتباع عن تحقيق ذلك .

فهل يعي اليمنيون هـذه الحقيقة ، ويـدركون مصلحتهم ، ويـوحدون صفوفهم ويبنون ويعمرون ؟

وفي اليمن العـطاء الكبير والخـير الـوفـير لـو احسن ابنـاؤه استغـلالـه واستثماره ، ووفروا فيه الأمن والاستقرار ، ارجو ان يتم ذلك في ظل الثورة والجمهورية ، وقد توفر الأمن والاستقرار في عهد الرئيس الحالي القائد علي عبد الله صالح وسيطّرد ذلك بصورة دائمة وما ذلك على الله بعزيز .

الوضع الاجتماعي

ما زالت هذه الفترة تـتميّز بوضعها القبـلي الذي كـان يتمتع بـه رؤساء العشائر وزعماء اليمن بنفوذ محلي له شأنه وأثره على الأحداث ، ولا سيما حينما لا يكون الحاكم قوياً الى الحد الذي يحد به من نفوذ الزعماء والرؤساء المحليين ، ويكون له هو وجده التأثير الفعال على سير الأحداث ، كما حدث بالنسبة للملك الكامل (ابي الحسن علي بن محمد الصليحي) الذي استطاع ان يوحد اليمن جميعه تقريباً في ظل راية واحدة ، وان يبسط نفوذه ولو أدبياً على الحجاز أيضاً ، ولقد كانت جمهرة القبائل هم في الريف ، وفيهم غالبية الفلاحين .

أمّا المدن فكان مجتمعها يتكوّن من فئات تلاشت فيها العصبية القبلية ، وتتكوّن فئاتها من الأدباء والعلماء وفقهاء الشرع الاسلامي والعلوم العربية ومن هؤلاء القضاة الشرعيون ، وسواء كان المثقفون في المدن هم اصلاً من المدن ، ام انتقلوا اليهـا من الريف ، ومن فئـات المدن فئـة التجار ، وفئـة المهنيين والصناع .

أمّا الزراعة في المدن فتحترفها اغلب الفئات كعمل ثانوي ، الى جانب الأعمال الأساسية الأخرى .

ولقد كان المجتمـع اليمني في الفترة المـذكورة اقـطاعياً ، بـل لقد كـان الحكام يقطعون رؤساء العشائر واصحاب النفوذ المحلي الكثير من مناطقهم ،

وكان الولاة في المناطق يقاسمون المقطعين حاصلاتها وابرز تلك الاقطاعات كانت في عهد الصليحيين ، وفي عهد آل حاتم ، وفي عهد كثير من ائمة الفترة المذكورة ، تألفاً لأصحاب النفوذ والزعماء .

أمّا العلاقة بين المالك والأجير فهي عادة في اليمن بشكل عام عادلة وغير جائرة ، ولعل الإسلام هو الذي وضع اسس تلك العلاقات الحسنة بين المالك والمستأجر ، وربما كانت كذلك قبل الإسلام بفضل النظام التعاوني الذي كان سائداً في عهود ما قبل الإسلام .

الوضع الاقتصادي

أمّا الوضع الاقتصادي في هذه الفترة (فترة الاستقلال عن العباسيين) ، فلم يتطوّر ، إن لم يكن قد تخلف عما كان عليه في القرنين الأولين من عصور الإسلام ، وذلك حينما كان اليمن موحداً في ظل الإسلام ، منتمياً الى مركز الخلافة الاسلامية في الحجاز ، أو في العراق أو الشام ، لأن الأمن والاستقرار هما أهم عوامل الرخاء والازدهار ، وان لم تمثل الخلافة الأموية وكذلك الخلافة العباسية الخلافة الاسلامية في عهدها الأول في صدر الإسلام بمضمونها الحقيقي .

وقد اضطربت الأوضاع في اليمن في ظل الخلافتين الأموية والعباسية منذ بدأت الحركات الإستقلالية فيه،وساء الوضع الاقتصادي بالتالي ، وكان ذلك امراً طبيعياً .

كما ساء أيضاً بعد استقلال اليمن عن العباسيين ، وذلك بسبب الصراعات العقائدية والسياسية بين زعماء حركات الإستقلال بعد نجاح تلك الحركات كما سلف عند الكلام عن الوضع السياسي من هذا العرض العام .

وهذا باستثناء فترات قليلة تمّ لقادة الحكم فيها توفير الأمن والاستقرار بعد توطيد حكمهم فيها ، وتمّ بالتالي توفير الرخاء والازدهار ، ومنها الفترة

الأخيرة من حكم الملك ابي الحسن علي بن محمد الصليحي ، وبعد ان نجح في توطيد حكم موحد تقريباً في عموم اليمن تحت ظل رايته ، لأنه كما عرفنا ألغى كل الإمارات والزعامات التي كانت قائمة ، واسكن كل الملوك والامراء في العاصمة صنعاء ، ولكن اغتياله من قبل سعيد الأحول بن نجاح انهى ذلك العهد ،وحال دون ان يوطد اسس وحدة يمنية متينة ، يمكن لها ان تعمّر امداً طويلاً .

الحركة العمرانية

ومن الطبيعي وكنتيجة حتمية لتخلف الحياة الاقتصادية بسبب تجزؤ اليمن وتناحر اماراته ان يتخلف العمران في اليمن بل ويتهدم العمران القائم بالحروب ، كما شاهدت صنعاء وزبيد وصعدة وغيرها من كبريات المدن التي كانت مسرحاً للنزاعات ، وساحات للحروب .

بل واقفر الريف وخربت المزارع في كثير من الأحوال بسبب ذلك .

ولقد هيأ ذلك التجزؤ والتمزق في اليمن لبني ايوب سرعة انتصارهم على اليمنيين ، وساعدهم على القضاء على اماراته وزعاماته المتناحرة المتنافرة الواحدة تلو الأخرى ، وبسط نفوذهم في اليمن كما سنعرف في الفصل الخاص بتأريخهم .

حكم بني ايوب في اليمن
(٥٦٩ ـ ٦٢٨ هـ)
(١١٦١ ـ ١٢٣١ م)

وصل (توران شاه بن ايوب) الى اليمن على رأس قوة كبيرة من الاكراد[١] والغز في عام (٥٦٩ هـ) . مجهزاً من اخيه (صلاح الدين بن أيوب) سلطان مصر .

وأقام توران شاه في اليمن عاماً كاملاً ، وطد أثناءه قواعد الحكم في اليمن لبني ايوب .

أما (بنو أيوب) فهم من اكراد اذربيجان[٢] ، إلا انّ السلطان صلاح الدين قد ولد في تكريت من بلاد العراق ، حيث كان أبوه (نجم الدين ايوب) ابن شادي يعمل مع اخيه (اسد الدين شيركوه) لأمير الموصل للعباسيين (نور الدين محمود زنكي) الذي انتقل بعد ذلك الى الشام اميراً عليه للعباسيين أيضاً في عهد الخليفة العباسي (المستضيء بالله) .

ولمّا نشأ صلاح الدين أرسله محمود زنكي كأمير من امراء جيش عمه (اسد الدين شيركوه) المذكور الى الديار المصرية ، لمحاربة الصليبيين الذين غزوا (دمياط) من أرض مصر في عهد آخر الخلفاء الفاطميين (العاضد عبد

(١) الأكراد قوم الأيوبيين غير عرب ، وهم متفرقون في الشام والعراق وايران وآسيا الوسطى ، ومن أكراد العراق بنو أيوب أصلهم من أذربيجان ، أمّا الغز فأرجح اراء المؤرخين انهم من الأتراك ، ومنهم السلاجقة وغيرهم .

(٢) أذربيجان أقليم من اقاليم بلاد فارس (ايران) ، ويقع اقليم أذربيجان غرب بحر الخزر ، عاصمته (تبريز) .

الله) .

ولم يعارض الإمام الفاطمي المذكور وصول جيش الامير (نور الدين محمود زنكي) الى مصر ، وذلك للهدف النبيل الذي جاء من اجل تحقيقه وهو حرب الافرنج وطردهم من مصر .

ثم عاد شيركوه وأخوه وابن اخيه الى الشام .

ولما تكرر غزو الأفرنج للبلاد المصرية بعث (نور الدين محمود زنكي) جيشه مرة أخرى ، وعلى رأسه (اسد الدين شيركوه) نفسه ومعه من الأمراء (صلاح الدين) أيضاً .

ثم بقيت قوة من الجيش في مصر بقيادة (صلاح الدين الأيوبي) للغاية نفسها ، وعاد (اسد الدين شيركوه) الى الشام ، وكان صلاح الدين على صلة حسنة بالإمام الفاطمي المذكور ، بل وتقلد[٣] له الوزارة في مصر عام (٥٦٤ هـ) .

ولّما[٤]توفي الخليفة العاضد الفاطمي في عام (٥٦٧ هـ) ، اشهر صلاح الدين استقلاله بحكم مصر مع ولائه للعباسيين ، معتنقاً لمذهب أهل السنة الذي كان يعتنقه العباسيون ، والذي يخالف المذهب الشيعي الذي كان يعتنقه الفاطميون ، وأقام (صلاح الدين الأيوبي) حكم بني أيوب في مصر على انقاض الفاطميين ، وحارب بقية شيعتهم ومذهبهم الشيعي في مصر والسودان والمغرب والحجاز وفي اليمن ايضاً بعد ان جهز اليه اخاه توران شاه بن ايوب ، ومحاربة الشيعة الفاطميين هي إحدى دوافع غزو الأيوبيين لليمن .

الى جانب احكام سيطرتهم على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر عند باب المندب .

وكان الأيوبيون بزعامة (صلاح الدين بن ايوب) قد احكموا سيطرتهم

(٣) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (الأيوبيون في اليمن) ص ٧٧ .

(٤) نفس المصدر ص ٦ .

على جميع منافذ البحر الأحمر الغربية بعد غزوهم للسودان ، وعلى منافذه الشمالية بعد استيلائهم على الحكم في مصر ، حتى لا يدعوا للصليبيين الإفرنج منفذاً في البحر الأحمر الى أي من هذه الأقطار الاسلامية .

وكان امير الشام (نور الدين محمود زنكي) قد احكم سيطرته على منافذ البحر الأبيض المتوسط الى الشام .

ولم يمض عا م (٥٨٢ هـ) حتى كانت دولة صلاح الدين بن أيوب تكّون جبهة قوية متماسكة تمتد من (برقة) في ليبيا غرباً ، الى الفرات في العراق شرقاً ، ومن الموصل وحلب في العراق شمالاً الى بلاد النوبة في السودان ، والى اليمن جنوباً ، وانضم الكثيرون من ابناء تلك الأقاليم الى جيش صلاح الدين ، حتى تمكن من استعادة بيت المقدس من أيدي الصليبيين ، وأن يحرز على الصليبيين انتصارات عظيمة خلدها له التأريخ .

أمّا كيف تمكن (صلاح الدين الأيوبي) من تكوين هذه الجبهة العربية الإسلامية الواسعة في دولة واحدة منطوية تحت لوائه ، فإنه أقام دولته في مصر اثر وفاة آخر الخلفاء الفاطميين (المعتضد بالله) في عام (٥٦٧ هـ) والذي عاش بقية حياته لا حول له ولا طول الى جانب نفوذ صلاح الدين ، حتى لقد خطب صلاح الدين للعباسيين آخر جمعة من عهد الخليفة الفاطمي المذكور في مصر وهو طريح الفراش في مرض موته ، ولكنه لم يعلم بذلك .

وبموته انتهت دولة الفاطميين في مصر ، وقامت على انقاضها دولة بني أيوب مع الولاء للعباسيين ، ولأمير الشام (نور الدين محمود زنكي) .

وفي عا م (٥٦٨ هـ) جهز(٥) صلاح الدين اخاه (توران شاه بن ايوب) الى بلاد النوبة شمال بلاد السودان جنوب مصر ، وذلك لتوطيد دولته فيها ، ولإحكام قبضته على موانئها في البحر الأحمر ، بعد سيطرته على موانىء

---

(٥) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ٦٩ .

مصر في البحر الأحمر أيضاً ، ثم عزز غزوه لبلاد النوبة بغزوه لليمن بأن جهز له اخاه (توران شاه) ايضاً في عام (٥٦٩ هـ) وذلك لإحكام سيطرته على موانئه وعلى المدخل الجنوبي للبحر الأحمر عند باب المندب من اليمن ، ولتوطيد حكمه في اليمن ، وذلك بعد ان استأذن اميره في الشام (نور الدين محمود زنكي) المذكور(٦) .

وكان مع ذلك قد جهز (قرقوش) احد كبار رجال دولته في حملة الى المغرب ، وذلك في عام (٥٦٨ هـ) فاستولى على (برقة) و(قفصة) و(قسطيلية)وغيرهامن بلاد ليبيا .

وقام هو نفسه بالاستيلاء على الشام عقب وفاة واليه (نور الدين محمود زنكي) وذلك في شهر شوال من عام (٥٦٩ هـ) .

وحال بذلك دون تنازع رجال دولته بعد وفاته على السلطة في الشام ، واستطاع بذلك ان يوحد الأمة العربية الإسلامية وتأمين حدودها ، وتشديد قبضة دولته على منافذ البحر الأحمر اليها وبعض منافذ البحر الأبيض الى الشام ، استعداداً لحرب الإفرنج الصليبيين .

ولقد ساعد الأيوبيين على بسط نفوذهم في اليمن تجزؤه عند غزو الأيوبيين له الى عدة دويلات وامارات متناحرة متنافرة ، اشار الى ذلك (يحيى ابن الحسين بن القاسم بن محمد) في كتابه (انباء الزمن) (مخطوط) وذلك عند ذكره للفترة التي هيأت لظهور الأيوبيين وانتصارهم في اليمن ، فذكر انّ عدن وابين وبلاد تعز لآل زريع ، وبلاد ذمار ومخاليفها لسلاطين جنب ، وصنعاء واعمالها حتى بلاد الظاهر وحدود بلاد الأهنوم في حاشد للسلطان علي بن حاتم ، وبلاد الجوف للسلاطين آل الدعام بن ابراهيم الأرحبي ، وصعدة وأعمالها للأشراف آل الهادي يحيى بن الحسين ، وشهارها وبلادها لأولاد الإمام القاسم بن علي العيا ني ، والجريب وما اليها من بلاد الشرف من أعمال حجة

---

(٦) نفس المصدر ص ٨١ .

لأولاد عمر بن شرحبيل الحجوري ، والمخلاف السليماني في بلاد عسير شمال تهامة للأشراف آل وهاس ، وانه ازال جميع هذه الأمارات بنو أيوب .

هذا الى جانب مساندة الكثير من اليمنيين بما فيهم اشراف المخلاف السليماني (آل وهاس) وقبائلهم لبني ايوب ضد (عبد النبي بن علي بن مهدي) ، انتقاماً من آل مهدي لقيام عبد النبي بن علي بن مهدي المذكور بغزو المخلاف السليماني وقتل اميره الشريف وهاس بن غانم بن يحيى ابن حمزة بن وهاس السليماني) كما سبقت الإشارة الى ذلك في بداية هذا الفصل ، وكما سيأتي أيضاً .

وكان[٧] عبد النبي قد غزا المخلاف المذكور وقتل اميره والكثير من ابناء المخلاف في حرب سجلت الانتصار لآل مهدي ، وانشأ عبد النبي في تلك المناسبة قصيدته الشهيرة والتي مطلعها :

لمن طلول بالحمى كان كسيراً معلما
يلقى بها المصلها والأحقب المكرما
لوت بوهاس ضحى فابتدرته مرحا
فظلّ من تحت الرحا مضرجاً مرغما

وكانت الحرب التي شنها الحلفاء (آل زريع) و(آل حاتم) و(سلاطين جنب) ضد آل مهدي قد اضعفت آل مهدي ، وربما اضعفت ايضاً القوى الثلاث التي تحالفت ضدهم ، وسهلت للأيوبيين مهمة القضاء على اماراتهم الواحدة تلو الأخرى .

حركة توران شاه العسكرية في اليمن

غادر[٨] توران شاه مصر في مستهل شهر رجب من عام (٥٦٩ هـ)

---

(٧) الخزرجي في (العسجد المسبوك) منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ١٣٧ .
(٨) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ٨٢ .

ووصل مكة معتمراً ، ثم غادرها إلى اليمن ، ولمّا وصل الى المخلاف السليماني في بلاد عسير دخل مدينة حرض إحدى مدن المخلاف يومئذٍ ، وخرج اشراف المخلاف (آل وهاس) لاستقباله .

وعزز الشريف قاسم بن غانم آل وهاس طلب آل وهاس قيام السلطان توران شاه بغزو آل مهدي والقضاء عليهم ، لأن عبد النبي بن علي بن مهدي غزا المخلاف وقتل اميره الشريف وهاس بن غانم كما علمنا .

واستجاب توران شاه لطلبهم ، لأن (آل مهدي) يمثلون احدى القوى الداخلية التي ييسر له اخضاعها فتح اليمن .

وتقدم توران شاه من مدينة حرض نحو زبيد عاصمة إمارة آل مهدي في سلخ شهر رمضان من نفس العام ، بصحبة الشريف قاسم بن غانم وقوتيهما ، ووصل الغازون بلاد زبيد في السابع من شهر شوال من نفس العام .

ولمّا علم عبد النبي بن علي بن مهدي بوصول الحملة الأيوبية تساندها قوة اشراف المخلاف السليماني خرج من زبيد على رأس جموعه لمباغتتها ، ودار قتال بينها ، و أخذ ابن مهدي يحمس قواته ويحثهم على صدق القتال ، قائلاً لهم : « كأنكم بهؤلاء وقد حمي عليهم الحر فهلكوا ، وما هم إلا أكلة رأس » .

ومع ذلك فلم تستطع قوات ابن مهدي الصمود امام قوات توران شاه وآل وهاس وانهزمت امامها ، وانسحب ابن مهدي الى زبيد ، وأغلق ابوابها فتعقبتها قوات الأيوبيين وتسلقوا السور الذي لم يجدوا عليه من يحرسه ودخلوا زبيد وفتحوا ابوابها وذلك في التاسع من شهر شوال من العام المذكور ، وأباح توران شاه مدينة زبيد وقبض على عبد النبي بن علي بن مهدي وعلى إخوته .

وسلم[9] (عبد النبي بن علي بن مهدي) الى الأمير سيف الدين مبارك ابن كامل بن منقذ احد امراء جيشه ، وأمره بأن يستخرج منه الأموال ،

---

(٩) ابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) ص ٧٥ .

فاستخرج منه شيئاً كثيراً ، وأظهر دفائن كانت له ، ثم أمر بشنقه كما في احدى روايات المؤرخين ، وبذلك قضى توران شاه الأيوبي على امارة ال مهدي .

أمّا الشريف قاسم بن غانم بن وهاس فقد أقره توران شاه على حكم المخلاف السليماني ، وأشرك معه ابن اخيه (منصور) . مكافأة لهما على تعاونهما معه ، حيث قسم حكم المخلاف بينهما ، القسم الشمالي لقاسم بن غانم ، والقسم الجنوبي لمنصور .

وغادر الأشراف آل وهاس وقوتهم مدينة زبيد في الثالث عشر من شهر شوال سنة (٥٦٩ هـ) عائدين الى بلادهم ، في حين واصل (توران شاه الأيوبي) تقدمه نحو مخلاف الجند وبلاد تعز من اعمال امارة (آل زريع) ، وبسط نفوذه على مدينة الجند وعلى مدينة تعز وأعمالهما ، ولم يتمكن من الاستيلاء على حصن صبر (العروس) ولا على حصن (ذخر) في جبل حبشي من اعمال تعز ، وأرجأ امرهما وقصد[١٠] عدن ، فخرج نائبها لآل زريع (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) على رأس قواته للتصدي له ، ولكنه انهزم ، وسبق عسكر توران شاه الى عدن ودخلوها قبل عودة المحمدي اليها ، وأسر المحمدي في ٢٠ القعدة من نفس العام أيضاً في تعز كما سيأتي ، ولمّا أراد[١١] عسكر توران شاه نهب مدينة عدن كما فعلوا في زبيد نهاهم توران شاه وقال لهم : « ما جئنا لنخرب البلاد وإنما جئنا لنملكها ونعمرها » .

وأقام[١٢] توران شاه في عدن الى منتصف شهر ذي الحجة من نفس العام يقر أوضاعها ويقرر قواعدها .

ثم[١٣]غادرها الى (مخلاف جعفر) من لواء اب حالياً ، فاستولى فيه على حصن التعكر في ٢٣ من شهر ذي الحجة من نفس العام . ولمّا تم لتوران شاه الأيوبي بسط نفوذه على امارتي (آل مهدي) و (آل زريع) باستثناء عدد من الحصون والمعاقل التي امتنعت عليه في بلاد تعز وبلاد اب وفي المعافر

---

(١٠) و(١١) الدكتور محمد عبد العامل أحمد في المصدر المذكور ص ٨٦ .

(١٢) و(١٣) ابن عبد المجيد اليماني في المصدر المذكور ص ٧٦ .

(الحجرية) تحرك نحو صنعاء ولمّا(١٤) كان في بلاد ذمار اعترضت طريقه قبيلة جنب ، أو انه قصدها لإخضاعها والاستيلاء على حصونها لتأمين ظهر قواته ، فقصد(١٥) في اليوم الأول من وصوله بلاد ذمار حصن (ذروان) الذي يمتلكه الشيخ (عبد الله بن يحيى الجنبي) ، وقام قتال بينهما يوماً واحداً ، عقد صلح بين الجانبين في اليوم الثاني على تسليم الحصن الى توران شاه مقابل شروط اشترطها عبد الله بن يحيى الجنبي .

أمّا الشيخ محمد بن زيد الجنبي فانه امتنع عن تسليم حصن (المصنعة) الى توران شاه ، وقامت حرب بينهما استولى بها توران شاه على الحصن المذكور عنوة ، ودخل توران شاه ذمار واقام فيها أياماً ثم غادرها نحو صنعاء ، فاعترضته قبيلة جنب مرة أخرى وحاربته بعد ان انضم اليها كثير من اليمنيين ، ودارت بين الجانبين معركة تعدّ من أشرس المعارك التي واجهها توران شاه منذ قدومه الى اليمن ، وقد قتل من عسكر الأيوبيين خمسة وستون رجلاً وكانت في اليوم التاسع من المحرم من العام المذكور (٥٧٠ هـ) .

وقد اخذ توران شاه يحمس رجاله ويحثهم على الصمود ويقول لهم : « اين أنتم من مصر ، قاتلوا على انفسكم وإلا أكلتكم العرب » فصدق عسكر الأيوبيين العزم حتى تمكنوا من صد اليمنيين ومواصلة سيرهم نحو صنعاء .

ولمّا علم السلطان (علي بن حاتم) بتقدم توران شاه الأيوبي نحو صنعاء نقل ذخائره وامتعته وانتقل بأهله الى حصن (براش في الضاحية الجنوبية الشرقية لصنعاء)، بعد ان بدأ بهدم سور صنعاء وأمر بمواصلة هدمه وردم خنادقه ليسهل له الرجوع اليها حينما تسمح له الفرصة بذلك .

في حين واصل توران شاه تقدمه نحوها ، ولمّا دنا منها عسكر خارجها في الجهة الجنوبية الشرقية ثلاثة أيام ، ثم قدم اليه كبار رجال صنعاء وأذنوا له بدخولها ، فهو بهذا لم يدخل صنعاء عنوة ولا بالتسليم من السلطان علي بن

(١٤) الدكتور محمد عبد العال في المصدر المذكور ص ٨٩ .
(١٥) الدكتور محمد عبد العال في (الأيوبيون في اليمن) ص ٨٩ .

حاتم الذي قد تجنب الإستسلام لتوران شاه ، وجنب مع ذلك صنعاء السلب والنهب لو دخلها الأيوبيون عنوة كما فعلوا في زبيد ، وترك مع ذلك لأهل صنعاء مجال الاختيار وحرية التصرف . .

وكما انتقل السلطان علي بن حاتم إلى (حصن براش) انتقل أخوه(١٦) (بشر بن حاتم) الى حصن (عزان) . . وأقام توران شاه في صنعاء أسبوعاً واحداً غادرها بعده عائداً الى زبيد ، وقد هاجمت قبائل سنحان وبلاد البستان ، وغيرها مؤخرة جيشه وهو في نقيل السود بين سنحان وبني شهاب في طريقه الى زبيد فلم يلتفت توران شاه اليها ، وواصل سيره ، كما هاجم أهل برع جيشه في حدود بلادهم ونهبوا عدداً من أثقاله بما عليها من أموال ونقد وذهب وسلاح وغيرها مما أستصحبه من مصر وما أخذه من زبيد وعدن وغيرهما كما ذكر المؤرخون .

وأقام توران شاه في زبيد الى شهر جمادي الأولى من نفس العام (٥٧٠ هـ) .

ثم(١٧) غادرها الى الجند ، واليه وصل والي جبل صبر لآل مهدي وسلم اليه حصن العروس في صبر .

كما تساقطت بيده سائر الحصون التي كانت قد امتنعت عليه ، باستثناء قلعة (الدملوة) ، في بلاد الصلو من اعمال الحجرية التي امتنع فيها (جوهر المعظمي) مربي أولاد الداعي المرحوم (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) ، ولم يتسلمها إلا الطغتكين بن أيوب) بشروط وفى بها الجوهر المعظمي كما سنعلم .

وقد غادر توران شاه الجند الى مدينة ذي جبلة ، وفيها بلغه حدوث خلاف في تهامة ، حمله على اصدار(١٨) أمره بقتل عبد النبي بن علي بن مهدي واخويه (احمد) و(يحيى) ، وهذه الرواية التي ذكرها الخزرجي من تأجيل قتل

---

(١٦) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٥١

(١٧) نفس المصدر والصفحة .

(١٨) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٥٢ .

توران شاه لأولاد علي بن مهدى الى هذا التأريخ هي الأرجح ، بدليل[١٩] ما اكده (بامخرمة) في تأريخه وابن الأثير في تأريخه أيضاً ، من انه جيء بعبد النبي ابن علي بن مهدي اسيراً الى عدن عند فتح توران شاه لها ، وجمع الأسر بينه وبين (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) نائب آل زريع فيها ، وكان عبد النبي قد حاول الاستيلاءعليها ، وأنّ ياسراً جعل يسارق عبد النبي النظر متشفياً ، فقال له عبد النبي : « يا عبد السوء ما تنظر اسد مقيد بقيد من حديد ومسلسل بسلاسل من حديد » وانه قال ايضاً : « سبحان الله كنت قد علمت اني ادخل الى عدن في موكب عظيم ، فأنا أنتظر ذلك وأسرّ به ، ولم اكن اعلم اني ادخلها على هذه الحال » أي أنّ توران شاه استصحبه معه من زبيد الى عدن للمزيد من التحفظ عليه ولم يقتله عقب استيلائه على زبيد كما ذكرت الرواية الأخرى .

وقد وصل توران شاه مدينة زبيد بعد جولته التوسعية ، وذلك في الثالث عشر من شهر شعبان من نفس العام .

اختطاط توران شاه لمدينة تعز

ومن زبيد ارسل توران شاه أطباءه يرتادون له مكاناً مناسباً يختط فيه مدينة تكون مقراً رئيسياً له ، فوقع اختيارهم على قرية (ذي عدينة) فاختطّ فيها مدينة تعز المعروفة الآن ، وكان ذلك في عام (٥٧٠ هـ) .

عودة توران شاه الى الشام

وفي عام (٥٧١ هـ)[٢٠] غادر توران شاه اليمن إلى الشام حيث كان أخوه صلاح الدين بن أيوب قد استولى عليه بعد وفاة واليه للعباسيين (نور الدين محمود زنكي) وانتقل اليه .

هذا ويجدر بنا قبل أن نختتم العهد القصير لتوران شاه بن أيوب في اليمن ان نستطرد بعض ما انشأه بعض الشعراء في مدحه ، وما دار بينه وبين اخيه

(١٩) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ٨٥ . حاشية رقم (٤) .
(٢٠) ابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ٧٧ .

صلاح الدين من شعر استعطف فيه توران شاه اخاه صلاح الدين الأذن له بالعودة اليه ، وحاول صلاح الدين في رده ان يرغبه بالبقاء في اليمن ثم أذن له بالقفول اليه .

فمن[٢١] ذلك ما انشأه شاعر آل زريع وكاتب ديوان الإنشاء في عدن (أبو بكر بن احمد العندي) يمدح به توران شاه عند دخوله عدن فاتحاً ، ومطلع قصيدته :

اعساكراً أسريتها وجنوداً ... ام انجماً اطلعتها وسعودا
أم تلك ماضية العزائم أرهفت ... بالرأي منك وجردت تجريدا
أم تلك اقدار الإله ونصره ... رفعت عليك لواءها المعقودا
فسموت تطوي البيد منشقاً بها ... حتى لكادت أن تسد البيدا
ونهضت لا الصعب المرام رأيته ... صعباً ولا المرمى البعيد بعيدا

ومنها :

بسيوف بأس لا تفلّ مضارباً ... وجياد ركض ما تخف لبودا
جرّدتها من ارض مصر ما ارتضت ... إلا ربى يمن لهن عمودا
حتى صدمت بها زبيدا صدمة ... كادت تزيل من الوجود زبيدا
لاقتك باستعدادها وعبيدها ... فرأتك أقوى عدة وعديدا
وفتحتها باللحظ حين لمحتها ... قبل ارتدادك لحظها المردودا

ومنها أيضاً :

وسمت الى عدن عزائمك التي ... صدقت وعوداً في الورى ووعيدا
فضربت ماشية الخيام فما انتهى ... عنها الجميع مطنباً معمودا

ومنها أيضاً :

ومددت فيها أمن ظل لم يزل ... بك في البرية صافياً ممدودا

---

(٢١) الخزرجي في المصدر المذكور من ص ١٤٨ .

وأعدت ريعان الشباب لعُمرها فالناس شاب له الزمان وليدا

ومنها :

فاستفتح الدنيا بسيفك انه حُكْم القضاء مسدداً تسديدا
فلقد تطاولت البلاد ومُهدت للعز منك دسوتها تمهيدا
وتناسقت فيك البقاع مشارقاً ومغارباً وتهائماً ونجودا

أمّا المراسلات[٢٢] الشعرية بين توران شاه واخيه صلاح الدين فقد بدأها توران شاه بقصيدة بعث بها اليه الى الشام يستأذنه العودة اليه ومطلعها :

لولا محلك في قلبي وافكاري ما رنّح الشوق اعضائي وتذكاري
ولا التفتّ الى مصر وساكنها وقد تعوضت عن مصر بأمصار
ولا حثت الى ارض الشام راحلتي وان تكن تلك أوطاني وأوطاري

ومنها :

ما الدار إلا دمشق والمنى حلب والشوق مصر وفي الزوراء مداري
تلك المنازل لا الحج ولا عدن ولا زبيد ولا اكثار معشاري
هذا على انّ قدر الملك في يمن عالٍ ولكنه من دون مقداري

ومنها :

فكيف لي باجتماع منك صافية فيه الموارد من سوء واكدار
هذا اقتراحي فهل لي ان افوز به محكماً فيه ايرادي واصداري

وذكر المصدر انّ صلاح الدين رد عليه برسالة يرغبه فيها بالبقاء في

---

(٢٢) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٥٢ .

اليمن ، ويعدد له محاسن اليمن ، وانه بلد مبارك كثير الخيرات وأنّ مملكته واسعة .

وأنّ توران شاه لمّا قرأ رد اخيه استدعى استاذ داره ، ولمّا حضر اليه أمره بأن يُحضِر الية الف دينار ، ولمّا احضرها أمره بأن يبعث من يشتري له منه كذا وكذا ، وجعل يعدد عليه اشياء لا وجود لها في اليمن كالثلج وغيره ، ثم قال لرسول اخيه : « وماذا اصنع بهذه الأموال ان لم انتفع بها فيما اريد ؟ » وانشده بيتين ارتجلهما له واليه على زبيدٍ سيف الدولة مبارك بن منقذ وهما :

واذا اراد الله اشقاء أمرىءٍ ... واراد ان يحييه غير سعيد
اشقاه بالترحال من مصر بلا ... سبب وأسكنه بأرض أُريد

وانه بعث لأخيه برسالة اخرى صحبة رجل من اعيان اليمن ضمنها الأبيات التالية :

الشوق أولع في القلوب وأوجع ... فعلام أدفع منه ما لا يُدفَع
لا يستقرّ بي النوى في موضع ... إلا تقاضاني الترحل موضع
وحملت من وجد الأحبة والنوى ... ما ليس يحمله الأحبة أجمع
والى صلاح الدين اشكو انني ... مضنى كئيب مستهام موجع
جزعاً لفقد الدار منه ولم اكن ... لولا هواه لبعد دار أجزع
فلأركبنّ اليه متن عزائمي ... وتخبّ في ركب الغرام وتوضِع
حتى أُشاهد منه اسنى طلعة ... من افقها صبح السعادة تطلع

وانه قال لمبعوثه : « متى وجدت مجلس إنس من اخي فانشده هذه الأبيات ، وانه لمّا انشده الأبيات قال صلاح الدين : « القعود والقفول اليه ، ان أحبّ ان يقف فليقف ، وان احبّ ان يصل فليصل » .

ثم جهز صلاح الدين مبعوث اخيه جهازاً حسناً، وكتب معه رسالة ضمنها الأبيات التالية :

مـولاي شمس الدولـة الملك الـذي   شمس السعـادة منه اضحت تـطلع
مـا لي سـواك من الحـوادث ملجـأ   مـا لي سواك من النـوائب مفـزع
ولأنت شمس الدين فخري في الورى   ومـلاذ آمـالي وركـن امـنـع
النصـر ان اقـبلت نـحـو مقـبـل   واليمن ان اسـرعت نحوي مسـرع

وانه لمّا وصل الرسول الى توران شاه وقرأ عليه رسالة اخيه صلاح الدين عزم على السفر الى الشام حيث كان صلاح الدين يقيم .

نواب توران شاه الأيوبي في اليمن

وقبل ان يغادر (توران شاه بن ايوب) اليمن عـائداً الى اخيـه صلاح الـدين بن أيوب في الشـام أناب عنـه[٢٣] في اليمن عدداً من النـواب وهـم : (سيف الدين مبارك بن الكامل بن منقذ) الكناني على زبيد واعمالها ، و(عز الدين بن عثمان الزنجبيلي على عدن وأعمالها) ، وكـان هذا اقـوى النواب ، وقد استطاع ان يمد نفوذه الى حضرموت ، وولى عليه من قبله بعد ان ابعد عنها حكامها (آل راشد) ، ولم يعدهم الى ولايتهم إلا (الطغتكين بن أيوب) بعد وصوله الى اليمن ، و(ياقوت التعزي) مملوك صلاح الدين على تعز وأعمالها ، و(مظفر الدين قايماز) على ذي جبلة واعمالها ، أمّا صنعاء فإنّ السلطان علي ابن حاتم عاد اليها بعد مغادرة توران شاه الأيوبي لليمن .

وصار نواب توران شاه يرفعون اليه فائض مـوارد ولاياتهم في اليمن الى مـوتـه في الاسكنـدريـة في عـام (٥٧٦ هـ) وكـان صـلاح الـدين قـد ولاه الاسكندرية وأبقى له الولاية على اليمن معها .

ولّما توفي توران شاه تغلب نـوابه في اليمن عـلى ما هـو تحت نفوذهم ولم يرفعوا شيئاً من ايراداتها الى مصر ، وضرب كل نائب السكة باسمه ، وحرم على أهل ولايته التعامل بغيرها ، إلا مبارك بن الكامل بن منقذ الكناني نـائب

---

(٢٣) الدكتور محمد عبد العال احمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٠٦ .

زبيد فإنه مرض بعد فترة من مغادرة توران شاه لليمن ، فعاد الى مصر بعد ان اناب عنه في زبيد واعمالها اخاه (الخطاب بن الكامل بن منقذ) .

حملة الأمير سيف الدين خطلبا إلى اليمن

ولما أدرك [٢٤] السلطان (صلاح الدين الأيوبي) استقلال نواب اليمن بعد وفاة اخيه توران شاه ، الى جانب تفككهم وضياع الوحدة اليمنية التي هي جزء من الوحدة العربية الاسلامية التي يعمل لتكوينها ارسل حملة عسكرية بقيادة الأمير سيف الدين خطلبا لإعادة نفوذ دولته عليها ، وكتب معه الى جميع النواب بالإذعان لأوامره ، وبمساندته في اخضاع (الخطاب بن مبارك بن منقذ) القائم بأعمال زبيد ، بعد ان قام صلاح الدين بمصادرة اخيه (مبارك بن الكامل بن منقذ) في مصر بعد وصوله اليها .

واستقر الأمير خطلبا في زبيد يدير اعمالها ويشرف على اعمال النواب .

ولكنه مرض بعد فترة ، وكان (الخطاب بن مبارك بن منقذ) الذي ارتفع الى حصن القوارير احد الحصون المطلة على بلاد زبيد بعد وصول (سيف الدين بن خطلبا) الى اليمن ،قد استطاع خلال فترة حكم خطلبا ان يستميله بمراسلاته اليه وتأكيد ولائه للدولة الأيوبية ، وبالهدايا التي كان يبعثها اليه .

ولّما أشرف خطلبا على الموت طلب اليه الخطاب بن مبارك بعد طمأنته ومكنه من مقاليد وشؤون أعمال زبيد ، وتوفي خطلبا بعد ذلك .

وقد حاول نائب عدن (عثمان الزنجبيلي) ان يقبض على الخطاب بن مبارك بعد موت خطلبا وان يستولي على زبيد ويضمها الى ولايته ، ولكنه لم يفلح في ذلك .

وبموت خطلبا عادت امور اليمن الى الاضطراب والتفكك ، وعاد نوابه الى محاربة بعضهم لبعض .

---

(٢٤) العسجد المسبوك ص (١٥٧) .

(الطغتكين بن أيوب)

الأمر[٢٥] الذي حمل السلطان صلاح الدين على ان يجهز الى اليمن اخاه (الطغتكين بن أيوب)على رأس قوة قوامها ألف فارس وخمسمائة راجل ، ووصل الطغتكين الى اليمن في عام (٥٧٩ هـ) .

وقد خرج (الخطاب بن منقذ) من زبيد الى مدينة الكدراء في تهامة الوسطى لاستقباله ، فأظهر الطغتكين رضاه عنه وطمأنه ووهبه حصن قوارير ، ولكن الخطاب أدرك انه لن يستقيم له امر مع الطغتكين ، فاستأذنه العودة الى الشام فأذن له مبيتاً الشَّر له ، ذلك أنه ما ان جمع امواله ونفائسه من زبيد والحصن وشحنها ، ووصل الى الطغتكين لتوديعه حتى امر بالقبض عليه وتسليمه الى والي حصن تعز (ياقوت التعزي) لسجنه ثم امر بقتله فيه ومصادرة أمواله .

كما امر بادراك نائب عدن (عثمان الزنجبيلي) الذي كان قد شحن كذلك امواله ونفائسه وركب بها وبأهله البحر فاراً ، ولكنه أفلت بسفينته فقط ، وقبضت الحملة على بقية سفنه وصادرتها .

اما نائب حصن تعز (ياقوت التعزي) فإنّ الطغتكين أقره على عمله ، لأنه جاء اليه معلناً ولاءه .

وأما نائب التعكر واعماله (مظفر الدين قايماز) فإن الطغتكين ارسل من تسلم منه عمله وطلب وصوله اليه والحقه بخدمته .

وهكذا تمكن الطغتكين من استعادة نفوذ الدولة الأيوبية في اليمن ، والتخلص من نواب اخيه توران شاه ، بعد ان كان النواب قد جزؤوا اليمن الى دويلات متناحرة متنافرة ، وتفرغ الطغتكين بعد ذلك لبسط نفوذه على الحصون

---

(٢٥) ابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن) ص ٧٨ . والدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٢١ .

والمناطق التي كانت قد خرجت على الدولة الأيوبية او التي لم تكن قد استولت عليها .

وقد امتنع عليه مع ذلك حصن حب من مخلاف جعفر ، فضرب عليه حصاراً عسكرياً شديداً وعزم لاداء نسك الحج ، وذلك عام ٥٨١ هـ ، وفي اثناء تغيبه طلب السلطان زياد بن حاتم بن علي بن سبأ آل زريع ، صاحب حصن حب المذكور تعاون السلطان علي بن حاتم حاكم صنعاء ، والسلطان عبد الله بن يحيى الجنبي صاحب ذمار وابن عمه عمران بن زيد بن عمرو الجنبي في فك الحصار عنه في حصن حب ، وقام السلاطين بارسال قوات لمحاصرة حصن (نعم) في بلاد الشعر ، بهدف تفريق القوة المحاصرة لحصن حب .

وقبل ان ينجحوا في مخططهم عاد الطغتكين من مكة وشدَّد حصاره على حصن حب ، واستطاع مع ذلك أن يفك الحصار عن حصن نعم بالترغيب والترهيب ، وبالوعد والوعيد ، وفرق اموالاً كثيرةً للقبائل المحاصرة له لتحقيق ذلك .

واضطر السلطان زياد بن حاتم آل زريع الى طلب الأمان له ولمن معه من المحاصرين .

وأعطاهم الطغتكين ذلك وتسلم حصن حب .

ولكنه أمر بقتل من كانوا فيه جميعاً ،إلا من فر منهم ، أو ارتمى بين القتلى متظاهراً بالموت . وكان لذلك الحدث صدى سيىء في عموم اليمن . ولكنه مع ذلك دفع بالكثير من رؤساء القبائل والسلاطين الى الاستسلام للدولة الأيوبية ، باستثناء الشيخ عمران بن زيد الجنبي فإنه ظل على عدائه الصريح للأيوبيين ، وقد حاربه الطغتكين حتى اضطرة الى الفرار من وجه القوات الأيوبية ، وواصل الطغتكين تقدمه نحو ذمار ، ودخلها في عام (٥٨٣ هـ) ، وأصبح الطريق مفتوحاً امامه الى صنعاء .

هـذا وقد ذكـر المؤرخ (علي بن الحسن الخـزرجي) في تأريخـه[٢٦] أنّ الشيخ (عبد الله بن يحيى الجنبي) كان له دور كبير في افساد القبائل المحاصرة لحصن نعم لصالح الأيوبيين ، وذلك لمنافسـة كانت بينـه وبين عمـه (الشيخ عمران بن زيد الجنبي) ، وكانت معنويـات الأمراء والسـلاطين اليمنيـين قد انهارت امـام قوة الأيـوبيـين ، الى جـانب تفـرق كلمـة اليمنيـين واختـلافهم وتنافسهم فيما بينهم .

انعقاد الصلح بين الطغتكين والسلطان (علي بن حاتم)

وكان[٢٧] السلطان (علي بن حاتم) حين علم بعزم السلطان الطغتكين ابن أيوب على التقدم نحو صنعاء بعد استسلام سلاطين وزعماء المنطقة الوسطى في بلاد ذمار وفي بلاد اب له قد قام بهدم قصر غمدان في صنعاء وإكمال هدم سور صنعاء وردم خنادقه كما فعل في عهد توران شاه بن أيوب ، وارتفـع الى حصن بـراش ، وأمر أهـل صنعاء بـالابتعاد عنهـا للسـلامـة من معـرة جيش الأيوبيين ، وبعث في نفس الوقت ابن عمه القاضي الأجل حاتم بن اسعد الى الطغتكين الى بلاد ذمار لعقد صلح معه يرجع الطغتكين بموجبه عن صنعاء .

وفعـلاً تمّ الصلح بينهما عـلى ان يدفـع السلطان (علي بن حـاتم) الى الطغتكين في سنة واحدة ثمانين الف دينار حاتمية ومائة حصان ، مقابل رجوعه عن صنعاء .

وعاد الطغتكين من ذمار الى اليمن الأسفل بعد ان ولى على ذمار (مظفر الدين قايماز) مملوك اخيه توران شاه ونائب حصن التعكر واعماله في عهده .

وقد قام الشيخ (عمران بن زيد الجنبي) بغزو ذمـار والاستيلاء عليهـا بعد مغادرة الطغتكين لهـا ، وتمكنت حاميتهـا لهذا من التحصن والارسـال له وكان في مدينة ذي جبلة ، فتحرك على رأس قواته لفوره واصبح في ذمار ، قال

---

(٢٦) العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٦٠ .

(٢٧) الخزرجي في (العجسد) منشور وزارة الاعلام والثقافة ص (١٦٠ و١٦١) .

الخزرجي : « فقتل منهم مقتلة عظيمة واخذ منهم خيلاً كثيراً ، وأفلت الشيخ عمران بن زيد في باقي جنب ، ولولا ما فعله ابن نصير من الكر والفر ما افلت من جنب احد » . وذكر ان الطغتكين غزا موضعاً كان أهله قد آووا جنباً وقتل منهم نحواًمن ستمائة رجل ، ولم يسلم منهم إلا نفر يسير وعاد بعد ذلك الى اليمن الأسفل ، وقبل[٢٨] عودته من ذمار قام بتجديد الصلح مع آل حاتم حكام صنعاء .

وقام بتجهيز قوة من جيشه ومن العرب لمحاصرة حصن ذروان في بلاد ذمار وكان فيه الشيخ عبد الله بن يحيى الجنبي وحصن قيضان في بلاد وصاب وكان فيه الشيخ اسعد بن علي بن عبد الله الصليحي حتى استسلما له بشروط وفى لهما بها ، بعد ان دام حصار حصن قيضان ستة اشهر .

وكان خروج الشيخ اسعد الصليحي مع اهله وانتقاله بهم الى السلطان (علي بن حاتم) في صنعاء بعد ان رهن كل من الطغتكين ومن الشيخ اسعد لدى الوسيط السلطان (بشر بن حاتم) الذي قدم من صنعاء لتجديد الاتفاق بين اخيه والطغتكين ، وذلك الرهن لضمان وصول السلطان اسعد الصليحي وأهله الى صنعاء سالمين ، وضمان وصولهم الى صنعاء لا إلى اي جهة اخرى . ولم يجد الشيخ عبد الله الجنبي تعاونه مع الأيوبيين وافساد القبائل المتحالفة ضدهم اثناء محاصرتهم لحصن حب كما سبق .

آخر معقل يتسلمه الطغتكين في اليمن الأسفل

كان توران شاه بن أيوب قد حاصر قلعة (الدملوة) في بلاد الصلو من اعمال تعز دون ان يستسلم له (جوهر المعظمي) مربي أولاد السلطان (عمران ابن محمد بن سبأ آل زريع) الذي كان يعتصم معهم فيها ، وأرجا توران شاه امر الاستيلاء عليها ، وغادر اليمن عائداً الى اخيه صلاح الدين دون ان يتمكن من ذلك .

---

(٢٨) الخزرجي نفس الصفحة السابقة

ولمّا وصل الطغتكين بن ايوب الى اليمن كان من أولى اهتماماته الاستيلاء عليها ، لأنها تمثل قلعة منيعة في منطقتها ستظل حائلاً دون استتباب نفوذ الدولة الأيوبية عليها ، فجهز لمحاصرتها قوة قادها بنفسه في عام[٢٩] (٥٨٤ هـ) .

وأدرك (جوهر المعظمي) أنّ الطغتكين لن يترك القلعة تنفرد بامتناعها عليه ، وصادف وصول السلطان بشر بن حا تم الذي جاء ايضاً لتجديد الصلح بين اخيه علي بن حاتم والطغتكين ، فتوسط بين هذا وبين المعظمي على تسليم القلعة مقابل عشرة آلاف دينار ، واشترط (جوهر المعظمي) لتسليمه ان لا ينزل هو منها ولا يطلع اليه أحد من قبل الطغتكين حتى يكون أولاد الداعي عمران ابن محمد بن سبأ وحريمه قد غادروا اليمن وركبوا البحر الى اي مكان يريدون ، وقبل الطغتكين شروط جوهر المعظمي ، لأنه كان يعلم صعوبة الاستيلاء على القلعة بالسيف ، ولمّا تسلم[٣٠] جوهر المعظمي المال جهز اولاد سيده من البنين والبنات الى المخاء ، وتجهز هو معهم بزي امرأة ، ثم ركبوا الى الحبشة في سفن كانوا قد أعدوها ، وترك عند كاتبه اوراقاً كتب عليها علامته ، وكان كاتبه يكتب الى الطغتكين فلا يظن هذا إلا انها من جوهر المعظمي .

ولمّا صار جوهر ومن معه وما معه من اموال وأثاث ونفائس في البحر كتب الى الطغتكين كتاباً في طيه كتاب لنائبه في القلعه يأمره فيه بتسليمها الى الطغتكين ، ولما وصلت هذه الرسالة اليه عجب من كمال جوهر المعظمي ، بعد ان عرف من الرسول انه أول من نزل من القلعة .

ولمّا وصل كتاب الطواشي جوهر المعظمي الى نائبه في القلعة امتنع بدوره ، فشدد الطغتكين الحصار عليه ، وصادف قدوم السلطان بشر بن حاتم الى الطغتكين مرة ثالثة لتجديد عقد الصلح معه ، فكلفه بالتوسط بينه وبين نائب جوهر المعظمي ، ونجحت الوساطة وخرج النائب من القلعة مقابل عشرة آلاف دينار ذهباً ، تسلمها على يد السلطان بشر ، وخرج هو وأولاده وحريمه في

---

(٢٩) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٣٠ .

(٣٠) و(٣١) العسجد المسبوك من ص ١٦٦ .

وجه السلطان بشر ، حيث جهزهم مع بعض رفاقه الى اخيه السلطان (علي بن حاتم) وتسلم الطغتكين القلعة وصعد اليها وانتهى امر امتناعها .

استيلاء السلطان الطغتكين على صنعاء

ولما[٣١] انقضى الصلح الأخير بين الطغتكين وآل حاتم تحرك الطغتكين على رأس قواته نحو صنعاء للاستيلاء عليها .

ولما كان في جهران وصل اليه القاضي حاتم الأسعد وطلب منه التوقف عن مواصلة تقدمه في صنعاء حتى ينهي اجراءات صلح جديد بينه وبين السلطان (علي بن حاتم) ، فقبل الطغتكين ذلك ورهن القاضي حاتم لدى الطغتكين حتى يعود من عند علي بن حاتم بالموافقة على صلح يقضي بدفع علي بن حاتم ثلاثين الف دينار وثلاثين حصاناً في العام مقابل رجوع الطغتكين عن صنعاء .

ولكن علي بن حاتم لم يقبل بذلك ، وضاعف من تعبئة حصونه ومنها حصن ذي مرمر في بني حشيش ، وحصن كوكبان والظفر والعروس في بلاد كوكبان ، وحصن فدة المطل على وادي ظهر وحصن براش والفص وغيرها استعداداً لمقاومة الطغتكين والتحصن فيها ، ثم خرج هو وذووه من صنعاء الى حصن ذي مرمر ، واكمل هدم سور صنعاء .

وعاد القاضي حاتم الأسعد الى الطغتكين متغير الخاطر واعلمه بموقف علي بن حاتم ، فأطلق الطغتكين رهائنه بعد ان اخذ منه العهد على الولاء له وكساه واكرمه .

ثم واصل تقدمه نحو صنعاء ، وكان قد تسلم حصن اشيح في بلاد آنس من أهله الصليحيين طوعاً ونقلهم الى ذي جبلة وأجرى لهم النفقات كما أخضع بلاد جبل الشرق وبلاد آنس .

ثم استولى على حصن براش في ضاحية صنعاء الجنوبية الشرقية ، وهو

---

(٣١) العسجد المسبوك ، من ص ١٦٦ .

مرة ثانية ودفنه في دار سنقر الأتابك بعد ان حوله الى مدرسة اسماها بمدرسة الأتابك، وأوقف عليها أرضاً في وادي الضباب ، وقد سميت المدرسة المذكورة بعد ذلك بالمدرسة السيفية نسبة اليه أي (سيف الاسلام الطغتكين) كما كان يدعى .

وقد وصفه الخزرجي بقوله : « وكان ملكاً شجاعاً كريماً جواداً حسن السيرة جيد السياسة مقصوداً من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره ، وكان اذا تعرض له متعرض وهو في موكبه امسك رأس حصانه حتى يسمع شكواه ويكشف ظلامته ، ودان له اليمن كله ، ودان له بنو حاتم بصنعاء ، ودخل الجوف وصعدة ، وسوّر زبيد سوراً جديداً ، وسوّر صنعاء بعد ان اخرب سورها ، وادخل اليه حارة السلطان (التي تعرف اليوم ببستان السلطان نسبة اليه) ، وعمر عدة حصون في اليمن ، ومعظم عمارة حصن تعز (قاهرة تعز) عمارته » ثم قال : « وقتل عدداً ممن ناوئهم وكان ينشد متمثلاً :

بسفك الدماء يا جارتي تسفك الدماء وبالقتل تنجو كل نفس من القتل »

وأضاف أيضاً[٣٥] قائلاً : وكان سيف الإسلام فقيهاً له مقروءات ومسموعات بحيث أخذ عن القاضي احمد بن علي العرشاني (موطأ الإمام مالك) ، وهو الذي بنى المؤخرة في جامع زبيد ، وبنى الجناحين والمنارة ، واختط في اليمن مدينة أسماها (المنصورة) وهي قبلي مدينة الجند على اميال منها ، وذلك في القعدة من سنة ٥٩٢ هـ ، وابتنى في المنصورة قصراً كبيراً وحماماً ، وابتنى للعسكر فيها بيوتاً ، وكان واديها المعروف بخنوة مسكناً للوحوش فاحياه واحيا وادي الدارة والقاعدة ، وابتنى في خنوة دار مصيف ، ولم يزل الى ايام الملك المنصور (عمر بن علي رسول) فأخربه ابن اخيه (فخر الدين أبو بكر بن حسن بن علي رسول) ونقل احجاره فابتنى فيها داراً بعكار » . وهو أول من جار على النخل وظلم فيه حتى هرب طائفة من أهل

(٣٥) في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام من ص ١٦٨ .

النخل عن املاكهم » .

وأضـاف أيضاً : « وكـان من هرب أخـذ نخلة وسمـاه صـافيـة . وكـان أول من عـطف عليهم الملك الأشــرف الكبـير (عمـر بن الملك المظفر يـوسف بن عمر بن عـلي رسول) فـإنه لما ولي السلطنة بعـد أبيه الملك المـظفر أمر بعديـد النخل ، ونـدب جمـاعـة من الفقهـاء الـرعيـة العدول وأمرهم أن يزيلوا عن الرعية ما يجب ازالته » إلى آخره .

وكان(٣٦) الطغتكين بن أيوب قد همَّ بشراء جميع الأراضي وتأجيـرها للملاك كما كان عليه الحال في مصر يومئذٍ ، فندب المثمنين الى سائـر البلاد ، فشق ذلك على الناس ، ولكنه مات قبل أن ينفذ ذلك .

المعز بن الطغتكين بن أيوب

كان(٣٧) المعز اسماعيل بن الطغتكين اكبر اخوتـه ، وكان ابـوه يعتمد عليه في كثير من الأمـور ويهيئه لخـلافته بعـده و أنابـه عنه في صنعـاء فترة من الوقت ، ولكنه أغضب أبـاه في بعض اعمالـه فطرده ، أو أنّ المعـز غادر ابـاه مغاضباً له الى بغداد أو الى الشام شاكياً أباه الى الخليفـة العباسي أو الى عمـه صـلاح الدين الأيـوبي في مصـر وذلـك في عـام ٥٨٩ هـ . عـلى اختـلاف في الروايات ، وقد عاد من عند الخليفة برسالة الى ابيه يوصيه بالإحسان اليه ، ثم غادر اباه مرة اخرى في عام وفاة ابيه ، ولمّا كان المعز في مـدينة حـرض ادركته الرسل تخبره بوفاة ابيه فعاد الى زبيد بعد ان لبس السواد وحز شعر رأسه حداداً على أبيه ، ودخل زبيد في التاسع عشر من ذي القعدة من عام ٥٩٣ هـ ، بعد ان اخضع المنطقة التهامية الشمالية وهو في طريقه الى زبيد ، وقتل عامل حرض القاضي الأسعد لأنه لم يحسن استقباله عند مروره به حين غادر اباه في طريقه الى الشام .

---

(٣٦) في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام من ص ١٦٨ .

(٣٧) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٤٩ .

وانتهج الملك المعز بن الطغتكين بن أيوب منذ بداية عهـده سياسـة[٣٨] البطش والمصادرة لكبار رجال دولته وقادة جيشه حتى نفرهم منه ، وحملهم على الانضمام الى عدوه الإمام عبد الله بن حمزة .

ومن كبار رجال دولته الذين قتلهم المعـز (همام الـدين أبو زبـاء) نائب الدولة الأيوبية علـى صنعاء ، وذلك في المحـرم من عام (٥٩٤ هـ) وأنـاب عليها خلفاً له الشهاب الجزري .

وكان مع ذلك شحيحاً على رجال دولته وقادة جيشه ، جواداً لغيرهـم من الشعراء وأهل اللهو كما ذكر .

وممن خرج عن طاعته الأتابك (سيف الدين سنقر) وغيره .

ومع ذلك[٣٩] فقد ترك مذهب اسلافه الأيوبيين (مذهب أهل السنـة) وهو مذهب العباسيين ، واعتنق مذهب أهل الشيعة وادعى الإمامة ، وانتسب الى بني أمية ، وتلقب بالإمام الهادي بنور الله المعز لدين الله ، ولبس ثياب الخلفاء ذوات الأكمام الطويلة التي يكتفي المسلم عليه بلمس الكم أو تقبيله عن لمس أو تقبيل كفه ، وجعل شعاره الخضـرة ، وقطع الخـطبة لبني العبـاس وخطب لنفسه بأمير المؤمنين .

وراسل عمه العادل (أبا بكر بن أيوب) الذي خلف (صلاح الدين بن أيوب) طالباً منه أن يعترف له بالإمامة وينسبه الى الأمويين ، فأنكر عمه عليه ذلـك ، وكتب اليه يلومـه ويوبخـه ويتهدده بسبب ذلـك ، ولكنه أصـرّ عـلى مـوقفه ، وأصـدر منشوراً بـذلك لقب فيـه نفسه بـألقاب منهـا : امام الأئمـة وكاشف الغمة وعالي الهمة ، المفترض الطاعة على كافة الأمة ، المستخرج من السلالة الطاهرة النبوية ، فرع الشجرة الإمامية الأموية ، المعز الناصر ، العزيز القاهر ، الرحيم القادر ، الحليم الذاكر ، سيد الموحدين ، الحاكم بكتاب الله وسنن رسول الله ،الهادي الى الحق بأمر الله ، أمير المؤمنين المعز اسماعيل بن

(٣٨) و(٣٩) (الأيوبيون في اليمن) ص ١٥٢ ، و١٥٤ ، وو١٥٩ .

طغتكين بن شادي بن مروان الأموي خليفة رب العالمين ، صلوات الله عليه وبركاته ، وقد قصد بهذا تأييد حقه في الخلافة باعتباره من قريش كما ادعى (لو صح ذلك) .

الملك المعز والإمام عبد الله بن حمزة .

لمّا قام(٤٠) عبد الله بن حمزة محتسباً في عهد الطغتكين بن أيوب لم يقم بأي حركة عسكرية ذات شأن ، وذلك لقوة جانب الطغتكين ، ولمّا توفي الطغتكين وخلفه ابنه (المعز) وانتهج كما عرفنا مسلكاً سيئاً مع كبار رجال دولته وقادة جيشه انتهز الإمام الانقسام في صفوف الأيوبيين فجدد الدعوة لنفسه في بلاد الجوف وذلك في شهر ذي القعدة من عام (٥٩٣ هـ) ، ثم تقدم منها الى بلاد صعدة يدعو قبائلها وعلماءها الى بيعته والالتفاف حوله ، وأعطي البيعة في جامعها يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول من عام (٥٩٤ هـ) ، والتفت حوله القبائل .

كما نشط اعداء الملك المعز الأيوبي والخارجون عليه ، وانحازوا الى الامام المذكور .

وساند الإمام بنو حاتم وسمحوا له باستخدام حصونهم للاحتماء بها مع كبار رجاله اذا لزم الأمر ذلك ، ومنها حصون ثلا وكوكبان وبكر في بلاد كوكبان والظفر في روضة حاتم وغيرها .

وكان السلطان (علي بن حاتم) قد شراها من نواب الأيوبيين عليها بعد موت الطغتكين بن أيوب .

ومع ذلك فقد قامت قوات الأيوبيين بقيادة نائب صنعاء (الشهاب الجزري) و(سيف الدين جكو بن محمد الكردي) من كبار امراء وقادة الأيوبيين بحرب الإمام عبد الله بن حمزة ، واستطاعوا ان يردوه وقواته عن بلاد ذمار التي غزاها بغية بسط نفوذه عليها والتمركز فيها . ولذلك فإن الإمام

---

(٤٠) (الأيوبيون في اليمن) ص١٥٩

عبد الله بن حمزة لم يجد سبيلاً الى تحقيق انتصاراته على الايوبيين إلا بإفساح المجال لكبار رجال دولتهم وقادة جيشهم الفارين للإنضواء الى صفوفه ، والترحيب بمن وصل اليه منهم ، ومنحهم ثقته ، بل واعطائهم مكانة مرموقة في جيشه ، ليلعب المنضمون اليه ادواراً هامة ضد المعز الأيوبي .

ومنهم[٤١] الأمير (سيف الدين بن جكو بن محمد الكردي) الذي يعتبر أول من فر من جانب الأيوبيين الى الإمام مع عسكره ، واستطاع ان يراوغ عسكر الأيوبيين موهماً لهم بأنه انما يتوجه الى الملك المعز ، ولجأ الى حصن (كنن) في بلاد خولان مع عسكره حيث رحبت بهم حاميته للإمام وذلك في شهر رمضان من العام المذكور (٥٩٤ هـ) . ومنه نشط ضد الأيوبيين فاستولى على حصنين لهم في المنطقة وهدمهما بعد ان نهب ما فيهما من مؤن وعتاد وقتل عدداً من حاميتها ، ثم استولى على الأموال التي كان نائب صنعاء للأيوبيين (الشهاب الجزري) قد أرسلها للملك الى تعز ، ولم يكن (جكو) قد وصل الى الإمام عبد الله بن حمزة يومئذٍ ، ولم يكن الإمام قد ايقن بصدق خروجه على المعز ، ثم وصل الى الإمام في مدينة شبام في شهر ذي القعدة من نفس العام (٥٩٤ هـ) ، واحسن الإمام استقباله واخذ البيعة منه له ثم كلفه بقيادة جيشه ورفع من منزلته ولقبه بالسلطان ، وقطع بذلك كل امل له في العودة الى صفوف الأيوبيين ، وصار (جكو) يواصل غزواته على الحصون والمناطق الخاضعة للدولة الأيوبية .

وشجع خروجه عليها ومَنْحُ الإمام ثقته به ، غيرَه من كبار رجال الدولة وقادتها للحاق به .

وكان أول من لحق به منهم الى الإمام (هشام الكردي) حيث نقل اليه عدداً من عسكره بعتادهم واحسن الإمام استقبالهم وأصبحوا من عسكره .

ولم يجد الملك المعز ازاء خروج العديد من كبار رجال دولته وانضمامهم الى

---

(٤١) الأيوبيون في اليمن ص ١٦٠ .

الإمام بدأ من تجهيز جيشه والتقدم به الى بلاد شبام لحرب الإمام ، ولكنه فوجىء اثناء سيره ذلك بخروج الأمير (شمس الخواص) بكامل عسكره عنه فرجع الى صنعاء وقام شمس الخواص بمراسلة الإمام يطلب منه السماح له بالانضمام اليه ، وتمّ اللقاء بينهما في عصر في الضاحية الغربيةمن صنعاء ، وكان المعز ما يزال فيها ، وكانت قوة الأمير (شمس الخواص) هي معظم قوة المعز التي اراد أن يحارب الامام بها ، مما اضطرّ المعز الى العودة الى تعز ، وتمكن بعد صعوبة بالغة من الوصول اليها .

استيلاء الإمام على صنعاء

ثم [٤٢] استولى الإمام عبد الله بن حمزة على صنعاء بالتعاون مع فريق من أهلها ، ودخلها الأمير (شمس الخواص) من احدى خنادقها ، ثم فتح ابوابها لجيش الإمام وذلك في نفس الشهر المذكور من نفس العام (القعدة من عام ٥٩٤ هـ) .

ومع ذلك فقد واجه الإمام بعد دخوله صنعاء موقفاً عصيباً بسبب تمرد شمس الخواص عليه خوفاً من غدره به ، ولكن الإمام استطاع بمختلف الاغراءات ان يؤكد له اخلاصه له وان يحمله على الأستقرار في صنعاء .

ثم غادرها الإمام برفقة الأمير جكو الكردي على رأس قوتيهما نحو ذمار واستوليا عليها وذلك في شهر ربيع الأول من العام المذكور ولجأ نائب الدولة الأيوبية الشهاب الجزري الذي كان معسكراً خارج صنعاء الى حصن براش والتحصن فيه ، ولم يلبث الحليفان الإمام وجكو ان عادا من ذمار واحاطا بحصن براش وضربا عليه حصاراً أضطرّ الشهاب الجزري الى طلب تأمينه للخروج من الحصن والانصراف كلية من منطقة صنعاء ومن منطقة ذمار .

ولكنه ما ان خرج من الحصن حتى قبضت عليه قوة الإمام مع عدد من

---

(٤٢) نفس المصدر (الأيوبيون في اليمن) .ص ١٦٤ .

كبار رجاله ، وقادة جيشه واوصلتهم الى صنعاء حيث قيدوا وارسلوا الى حصن فدة لإعتقالهم فيه .

استعادة الملك المعز الأيوبي لصنعاء

ومن[٤٣] ثمة تهور الأمير جكو الكردي ، ونزولاً عند رغبة (ابن المعلم) الذي تظاهر بخروجه على المعز ، وعزم جكو على الاستيلاء على زبيد مضمراً في نفسه ان يقيم له دولة فيها مستقلة عن الإمام والملك المعز معاً .

ولم ينصـع لرأي الإمام الذي حاول ان يثنيه عن غزو زبيد .

وبالرغم من استيلاء الإمام عبد الله بن حمزة على صنعاء واعتقاله لنائب الدولة الأيوبية فيها الشهاب الجزري المذكـور ثم خروج جكو واستيـلائه مـع الإمام على ذمار ، وما ترك كل ذلك من أثر سيء في نفس المعـز . فقد تقـدم المعـز على رأس قـواته المكـونة من ستمـائة فـارس نحو ذمـار فصنعاء بهـدف استعادتها .

وكان جكو مع قواته في طريقه الى زبيد لتنفيذ ما عزم عليه ، وقد أراد أن يعسكر في رأس نفيل صيد (سمارة) للسيطرة منه عـلى الطريق ، وقـطعه على المعز ، ولكـن (ابن المعلم) آنف الذكر استطاع ان يثنيه خشية انفضاض القبائل الذين هم ضمن قواته عليه أو تفرقهم عنه ، وأرسل الى المعز يستحثه على سرعة التحرك وأخذ اعلى النقيل المذكور ، وفعل المعـز ذلك ، ثم انقض بقواته على جكو ، وقامت معركة بينهما انهزمت فيها قوة جكو بعد مقتله .

ثم واصل المعز تقدمه نحو صنعاءوتمكن من استعادتها بعـد ان غادرهـا الإمام عبد الله بن حمزة الى حصن ثلا ، وذلك في شهر جمادى الأول من العام المذكور (٥٩٥ هـ) .

وقد اعاد الإمام بعد خروجه من صنعاء حصن فدة الى آل حـاتم لأنهم

---

(٤٣) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٦٧ .

الذين سلموه له معاونة له على الملك المعز ، واستطاع النائب الشهاب الجزري خلال ذلك ان يفرّ مع كبار رجاله منه وأن يعود الى المعز الى صنعاء .

أمّا المعز فإنه اقام في صنعاء أياماً اعاد خلال اقامته فيها نائبه الجزري المذكور على نيابته عليها ، ثم تحرك منها على رأس قواته لحرب القبائل التي ساندت الإمام ، ووصل الى ريدة من بلاد حاشد ، واضطر الإمام الى الانتقال من حصن ثلا ، الى اثافت من بلاد الظاهر من حاشد .

وقد[٤٤] ضاعف من تدهور موقف الإمام عبد الله بن حمزة خروج الأمير (يحيى بن الإمام احمد بن سليمان) عليه بحجة عدم توليته أعمال صعدة .

وقد ولاه الإمام اعمالها بعد ان بعث اليه وفداً للتفاوض معه على رأسه أخوه الأمير يحيى بن حمزة ، ووصل يحيى بن احمد بن سليمان الى الإمام الى مصنعة (اثافت) في بلاد خمر من بلاد حاشد واتفق معه على ذلك . ومع ذلك فقد خرج الأمير يحيى بن احمد بن سليمان على الإمام مرة اخرى فور مغادرته للإمام ، واعلن ولاءه للأيوبيين ، ووصل الى صنعاء بعد ان اعطاه نائبها الشهاب الجزري الأمان .

ومنها[٤٥] اعلن دعوته لنفسه بالإمامة مع ولائه للايوبيين بهدف مساندته ضد الإمام عبد الله بن حمزة ، وذلك هو ما كان يطمح اليه بحجة احقيته بالإمامة بعد والده ، وبعث الى الامام عبد الله بن حمزة يعلمه بالأمر وسبه سباً فاحشاً ، ثم تحرك بجيش كبير فيه الكثير من قوات الأيوبيين لحرب عبد الله بن حمزة .

وقامت معركة بينهما في جنات عمران من بلاد حاشد اسفرت عن انهزام جيش يحيى بن احمد بن سليمان ووقوعه في الأسر ، وعاد به الإمام الى مصنعة اثافت حيث اعتقله فيها فترة ، ثم قتله كما ذكر خنقاً بعمامته لتكرار خروجه

---

(٤٤) ائمة اليمن ص ١١٩ .

(٤٥) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد في (انباء الزمن) (مخطوط) .

عليه ، وانهى بذلك خصماً عنيداً .

تتابع خروج ولاة الأيوبيين على الملك المعز الأيوبي .

ولمّا شعر [٤٦] الإمام عبد الله بن حمزة بتقلص نفوذه في المنطقة(برغم انتصاره في معركة جنات عمران)، واتساع نفوذ الأيوبيين عاد الى سياسته الأولى ، من استمالة كبار رجال الدولة الأيوبية وقادة جيشها في اليمن اليه واغرائهم . ومنهم (هلدري) ، ولكن رسائل (ورد سار) اليه .

وكذلك [٤٧] رسائل (طاشتين) (من كبار رجال الدولة العباسية في بغداد) اليه ايضاً والتي قال في احداها : ان انحيازك الى الإمام العلوي يضعف مذهب أهل السنة » التي يعتنقها العباسيون ، ثنته عن الانضمام الى الامام وصار هلدري كلما دعاه الإمام عبد الله بن حمزة اليه تثاقل واختلق المعاذير .

ثم [٤٨] اختلف (ورد سار) مع الملك المعز الأيوبي ، وخشي وردسار ان يفتك به ففرّ منه ، وأرسل الى الإمام عبد الله بن حمزة يعرض عليه خدمته .

وكان ورد سار آنذاك في عدن ، فجاءه رد الإمام مرحباً ، وطلب منه سرعة التحرك اليه ، وأرسل بعض رجاله لاستقباله إلى ذمار ، وذلك في عام (٥٩٨ هـ) .

واستطاع (ورد سار) [٤٩] ان يستميل اليه مع ذلك بعض جنود (هلدري) ، وواصل سيره بمن معه من الجنود الى الإمام عبد الله بن حمزة الى صعدة ووصلها في الحادي عشر من شهر جمادي الآخرة من عام (٥٩٨ هـ) ، ولم ينجح النائب (الشهاب الجزري) من القبض عليه بعد خروجه لذلك من صنعاء إلى بلاد آنس حيث كان ورد سار قد اتخذ طريقه الى الإمام منها .

(٤٦) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد في (انباء الزمن) (مخطوط) .

(٤٧) الأيوبيون في اليمن ، ص ١٧٥ .

(٤٨) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٢٣ .

(٤٩) الأيوبيون في اليمن من ص ١٧٦ .

ولكنّ (ورد سار) عاد الى الملك المعز وأعتذر منه ، فعفى عنه وولاه بعض البلاد .

وحدث خروج الأمير سيف الدين سنقر على المعز أيضاً في قصة[٥٠] ملخصها :

انّ الملك المعز الأيوبي غزا منطقة حجة في الشمال الغربي لليمن لإخضاعها ، وكان الأتابك (سيف الدين سنقر) في جملة قادة جيشه .

وصادف ان اساء بعض الجنود إلى احد اصحاب الحصون في المنطقة وجاؤوا به الى الملك بصورة غير لائقة ، الأمر الذي أثار حفائظ قبيلته ، فشددوا حربهم للحملة وهزموها ، ونجا سنقر بصعوبة ، وعاد الى الملك ، فوجده قد قتل رهائن القبيلة ، فاستاء للأمر وعزم على الخروج عليه .

وكانت العلاقة بينهما قد ساءت .

ولكنه قبل ان يفعل ذلك قصد بعسكره مدينة المهجم في تهامة الوسطى بوادي سردد ، واستولى على ما كان للدولة فيها من اموال .

ثم اتخذ من قرية (المدارة) القريبة منها مركزاً يصدر منه لحرب المعز ويفيء اليه .

أمّا الملك المعز الأيوبي فإنه ازاء تصرف سيف الدين سنقر تحرك بقواته لحربه .

ولكن سنقر استطاع بعسكره القليل بالنسبة لعسكر الملك ان يناوره وأن ينهب كثيراً من عتاد وذخائر جيشه ، وان يضطره الى الانسحاب الى زبيد .

كما نهب سنقر مدينة الكدراء في المنطقة .

ثم راسل الإمام عبد الله بن حمزة يعرض عليه رغبته في الانضمام اليه ،

---

(٥٠) الأيوبيون في اليمن ص ١٧٦ .

فرحب به الإمام كعادته .

وبينما كان سنقر في طريقه الى الإمام إذ جاءته الأخبار بمقتل الملك المعز الأيوبي في زبيد على أيدي جنوده الأكراد ، فانصرف عن الانضمام الى الإمام .

وأسرع الى الأمير الطفل (الناصر بن المعز) المقيم في حصن تعز ، وأخذ له البيعة ملكاً خلفاً لوالده ، وقام هو بادارة شؤون الدولة نيابه عنه ، وكان هو اتابكه أي مربيه .

المعز الأيوبي وبنو حاتم

توفي الملك[٥١] الطغتكين بن أيوب وآخر اتفاق بينه وبين آل حاتم يقضي باعطائهم بعض الحصون للسكنى والتحصن فقط ، دون ان يكون لهم نفوذ على البلاد التابعة لها ، مع اعطائهم جامكية (مرتبات) سنوية الى جانب ذلك . وأول عمل اجراه معهم الملك (المعز بن الطغتكين) هو قطع الجامكية عنهم ، تحرشاً بهم للمزيد من تقليص نفوذهم ثم قبض على السلطان (بشر بن حاتم) عند وصوله الى زبيد باغراء نائب الملك على صنعاء الشهاب الجزري ، الذي وصل الى زبيد في اثره للغاية نفسها ، واعتقل المعز السلطان بشر بن حاتم ومن معه في حصن التعكر .

ثم تحرك المعز بعسكره الى صنعاء وذلك في عام (٥٩٦ هـ) ومنها خرج لحرب آل حاتم في بلاد كوكبان بهدف الاستيلاء على ما بقي لآل حاتم من الحصون في المنطقة ، وقامت حرب بينهما كان جانب الأيوبيين أقوى بطبيعة الحال ، وشدد المعز حصاره لحصن كوكبان حتى اضطر من فيه الى طلب الأمان منه . فطلب الملك المعز من السلطان (علي بن حاتم) اطلاق حصون كوكبان وبكر والظفر مع تسليم خمسين الف دينار ،مقابل تأمين اخيه (عمرو بن حاتم ومن معه من الرجال والنساء المحاصرين في حصن كوكبان ، والافراج عنهم وعن اموالهم في الحصن المذكور ،ومقابل الافراج عن السلطان (بشر بن حاتم) .

. (٥١) الأيوبيون في اليمن ص ١٧٦ .

واضطر السلطان (علي بن حاتم) الى تسليم ذلك لضمان سلامة اخويه عمرو وبشر ومن معهما من الرجال والحريم المحاصرين في كوكبان والمأسورين والمعتقلين في بعض الحصون الخاضعة للأيوبيين .

وبذلك شدّد الملك المعز الأيوبي قبضته على المنطقة ، وحدَّ من نفوذ آل حاتم فيها .

ولزم علي بن حاتم حصن ذي مرمر الى موته في عام (٥٩٧ هـ) .

مقتل الملك المعز بن الطغتكين

منذ ان ساءت العلاقة بين الملك المعز الأيوبي مع كبار رجاله وقادة جيشه ، وتتابع خروجهم عليه وانضمامهم الى الامام عبد الله بن حمزة ، تضاءلت هيبته في نفوس جيشه ، وزادت كراهيتهم له حتى صار لا همّ لهم إلا التخلص منه بقتله .

وقد واتت الأكراد الذين كانوا يشكلون جمهرة جيشه المعسكر في زبيد الفرصة لدى خروجه منها ، دون قوة اخرى من سائر جيشه ومن حرسه الخاص .

وبينما هو سائر في موكبه اذ اصطفّ الجيش صفين ، فاستراب منهم ، وأمرهم بمواصلة سيرهم ، فانقضوا عليه لقتاله وقتال العدد القليل ممن وقف بجانبه ، وشغلته الأكمام الطويلة التي ابتدعها عند ادعائه الخلافة حتى عن النزول من على بغلته التي كان راكباً عليها وركوب فرسه الذي كان يقاد خلفه ، وقتل مع مملوكه (شرف الدين الحبشي) ومثل به ، وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر رجب من عام (٥٩٨ هـ) ، وقد توفي عن ملك دام خمس سنوات .

وكان شجاعاً ناهضاً قوي الإرادة والعزم ، إلا انه كان لا يحسن تعامله مع رجال دولته وقادة جيشه ، الأمر الذي نفرهم منه الى خصمه الإمام عبد الله ابن حمزة ، وأدى ذلك الى قتلهم إياه كما علمنا .

اما الأكراد الذين قتلوه فإنهم عادوا الى زبيد وسيطروا عليها وعاثوا فيها فساداً .

الملك الناصر بن المعز الأيوبي

ولما علم الأتابك[٥٢](سيف الدين سنقر) بمقتل الملك المعز اسرع من بعض الحصون التي كان ممتنعاً فيها في بلاد حجة منذ خروجه عليه الى حصن تعز ، حيث يقيم الأمير الطفل الناصر بن المعز ، وأخذ البيعة له من كبار رجال الدولة الأيوبية في اليمن وقادة جيشها ومن أعيان البلاد .

قال الخزرجي في « تأريخه »[٥٣] « ووصل الأمير سيف الدين سنقر الأتابك الى مولاه الناصر بن الملك المعز وهو يومئذٍ في سن الطفولة ، وكان هو الذي رباه ، ولذلك قيل له الأتابك ، وهذه الكلمة إنما توضع لمن يربي أولاد الملوك خاصة قاله ابن خلكان » .

ومن ثمة بدأ جانب الأيوبيين يتحسن وذلك برجوع الأمير الأتابك سنقر المذكور الى صفوفهم ، ثم رجوع الأمير وردسار اليهم أيضاً ، وكان قد انفصل عنهم وانحاز الى الإمام .

وقد اسند الأتابك نيابة صنعاء الى ورد سار المذكور ، وجهزه بالجنود والعتاد والأموال لاستعادتها ، حيث كان الإمام عبد الله بن حمزة قد استولى عليها اثناء تغيب نائبها الشهاب الجزري عنها ، أو بعد انضمامه اليه اثر مقتل الملك المعز كما في بعض روايات المؤرخين ، ودخل وردسار صنعاء في شهر ذي الحجة من العام المذكور(٥٩٨ هـ) ، بعد خروج نائب الإمام عليها الى الإمام الذي كان آنذاك في حصن ذي مرمر ، ولم ييأس الإمام مع ذلك من عودة وردسار اليه ، وصار يراسله الى صنعاء ، وراوغه وردسار فترة ثم فتحت الحرب بينهما وكانت سجالاً بين الجانبين ، وفي اثناء ذلك خرج الأمير وردسار

---

(٥٢)(٥٣) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر من ص ١٧٥ .

من صنعاء إلى بلاد كوكبان لإخضاعها حيث كان الإمام قد بسط نفوذه عليها ، وأناب عنه في صنعاء أخاه شمس الدين، فانتهز[٥٤] أهل صنعاء فرصة تغيب النائب عنها وضعف حاميتها وثاروا على نائبه اخيه شمس الدين المذكور وقبضوا عليه ونادوا في الأذان بحيّ على خير العمل إيذاناً بولائهم للإمام .

ولّما علم الأمير وردسار عاد اليها فوجد ابوابها قد اغلقت دونه ، فحاصرها وراسل الأتابك سيف الدين سنقر يعلمه بالأمر ، وكان الأتابك قد أعدّ جيشه للقضاء على اكراد زبيد ، فحول وجهته عنهم واسرع الى صنعاء ، ولّما دنا منها طلب منه أهل صنعاء الأمان فأمنهم ، ودخل مع وردسار وجيشيهما صنعاء ومنع نهبها ، وساندته قبيلتا سنحان وبني شهاب ، ولم يفوا لأهل صنعاء بما وعدوهم به من مساندتهم في ثورتهم والحيلولة دون حصار صنعاء من خارجها .

وكان دخول الأتابك سيف الدين صنعاء في شهر رجب من عام (٥٩٩ هـ) ، وفشلت نجدة الإمام عبد الله بن حمزة لأهل صنعاء بقيادة اخيه الأمير يحيى بن حمزة وانصرف هذا راجعاً بقواته الى الإمام .

ثم بسط النائب وردسار نفوذ الدولة الأيوبية في منطقة صنعاء ، وقد مهّد لذلك بالصلح الذي عقده مع السلاطين (آل حاتم) ليأمن جانبهم ويضعف جانب الخصم الرئيسي لدولته وهو الإمام عبد الله بن حمزة الذي يقوى عادة بمساندتهم ، ومن ثمة أقبل الكثير من رؤساء العشائر في المنطقة على الاقتداء بآل حاتم واعلان ولائهم للأيوبيين ، وجهز وردسار الكثير منهم لحرب الإمام وزودهم بالعتاد والأموال ، ومن أبرز تلك القبائل كما عرفنا قبيلتا سنحان وبني شهاب وغيرهما .

أما الأمير الأتابك سيف الدين فإنه أقام في صنعاء أياماً غادر بعدها الى بلاد كوكبان لإخضاعها ، وقد عقد أهلها صلحاً معه ولم تقم حرب بين الجانبين

---

(٥٤) و(٥٥) الدكتور محمد عبد العال احمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٨٨ و١٩٣ و١٩٥ .

لأن الأتابك سنقر بدأ حركته بعقد صلح مع الإمام عبد الله بن حمزة ، قطع به الطريق على القبائل في المنطقة المذكورة للاستعانة به ضد الأيوبيين .

كما استفاد الأتابك سيف الدين سنقر من الصلح الذي عقده مع الإمام للتفرغ مع نائب صنعاء الأمير وردسار للقضاء على تمرد الأكراد المتمركزين في زبيد ، والذين قتلوا الملك المعز واستبدوا بأمور زبيد وأعمالها ، ولّما أحاطت قوة الأميرين الأتابك ووردسار بزبيد خرج الأكراد منها وقصدوا القلب من الجيش وكان فيه الأتابك وقواته ، واحدث ذلك تخلخلاً في صفوفه لولا صمود وردسار وقواته ، ثم دارت الدائرة في النهاية على اكراد زبيد ، وقتل منهم الكثير ، كما هزم من أفلت منهم ، ودخل الأتابك زبيد وقضى على نفوذ الأكراد فيها وفي تهامة كلها ، كما تمكن من القبض على قتلة الملك المعز الأيوبي من الأكراد واعدامهم .

ثم(٥٦) واصل الأتابك حركته فقصد عدن لتعزيز قوته التي كان قد بعث بها اليها لإعادة نفوذ الدولة الأيوبية عليها ، ثم تابع تغيير الولاة في الدولة الأيوبية في اليمن بمن يثق بهم ، ومنهم الأمير فخر الدين أبو بكر بن علي رسول الذي ولاه حصن حب وأعماله في مخلاف بعدان .

عودة الحرب بين الإمام عبد الله بن حمزة والأيوبيين

نمي الى(٥٧) نائب صنعاء الأمير وردسار أنّ الإمام عبد الله بن حمزة يراسل احد كبار رجال الأيوبيين بهدف استمالته اليه ، فاعتبر وردسار ذلك خرقاً من الإمام للصلح القائم بين الجانبين ، وتحرك الى بلاد شبام كوكبان ، وكانت مما يقع تحت نفوذ الإمام واخرب كثيراً منها وقتل عدداً من اتباع الإمام ثم عاد الى صنعاء .

ولم يلبث ان غادرها الى بلاد نهم حيث بلغه انّ الإمام قد حشد جموعه فيها لحرب الأيوبيين وولى لقيادته اخاه ابراهيم بن حمزة ، وقامت حرب ضارية

---

(٥٦) و(٥٧) الدكتور محمد عبد العمال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٨٨ .

بين الجانبين في شهر ربيع الأول من عام (٦٠٠ هـ) اسفرت عن انتصار وردسار ومقتل الأمير ابراهيم وعدد من عسكره بعد انهزام جيشه ،وحمل رأس الأمير ابراهيم الى صنعاء ومنها الى الأتابك سيف الدين سنقر ، وذكر المصدر انه لم ينج من عسكر الإمام في تلك الحرب إلا من تمكن من الفرار الى الجبال . وعرف ذلك اليوم بيوم نصف ، باسم المكان الذي وقعت فيه الحرب شرقي بلاد نهم ، وقد انشأ الإمام عبد الله بن حمزة قصيدة بالمناسبة تأسَّف فيها لمقتل اخيه،واعتذر لإنهزام عسكره بأنهم كانوا مثل نصف عسكر خصمه أو أقل من نصفهم ، وتحدث فيها عن مواقفه الشجاعة وعن مواقف آله في الحرب في اكثر من معركة ، الى غير ذلك من صنوف الإشادة والاطراء ومطلع قصيدته :

روّعني الدهر بأحداثه ... وليس مثلي من شباها يراع
يروم انزالي على حكمه ... وإنما يفعل ذلك النراع
فعدَّ عنا والتمس غيرنا ... وخصَّ بالرعب قلوب الرعاع
فنحن من قوم اذا اغضبوا ... تلينوا واستلأموا للمصاع
كم موقف خضنا بحار الردى ... قدماً ولم يُنصب علينا شراع

ومنها :

ونحن مثل النصف أو دونه ... منهم وقد سلوا سيوف القراع
نصبر للموت وروعاته ... اذا نفوس الضد طارت شعاع
سل عن بني اسحق أعداءهم ... وغيرهم فالحرب فاشٍ مذاع
يوم تولى جيشه معذرا ... وإنما يُدفع ما يُستطاع

ومنها :

نحن بنو الحرب اذا شمرت ... ولاح عنوان سناها وصاع
وإنما أوقفنا موجب ... باد وقد يطرق قبلي الشجاع

كما قامت[٥٨] حرب بين الإمام عبد الله بن حمزة والأيوبيين في مكان يعرف بعفار في بلاد البون من بلاد حاشد ، ومعركة اخرى في بلاد ردمان قاد فيها جيش الأيوبيين (عيسى بن ذعفان) صاحب شوابة وساعدته نهم فيها وقد انشأ الإمام قصيدة بمناسبة حرب ردمان اشاد فيها بانتصار قواته ومطلعها :

قفا فانظرا فالعين تغني عن الأثر
ولا تسألا بعد العيان عن الخبر
وقولا لأرباب الضلالة ما الذي
حداكم على سَوْق النفوس الى سقر
ألم تعلموا ان المحكم عقله
عليم بما يأتي عليم بما يذر ؟

ومنها :

بعثنا الى ردمان سيفين للوغى
فقالا لهم عند التصادم لا وزر
فطاروا وبيض الهند تأخذ منهمو
وبيض العوالي في الخواصر والثغر
واحجم عنهم وردسار ولم يكن
ليحُجِم الا عن مقام له خطر

وقد[٥٩] استمرت الحرب بين الإمام عبد الله بن حمزة والأيوبيين حتى عقد صلح ثانٍ بينهما يقضي بأن يكون البونان الأعلى والأسفل من بلاد حاشد للأيوبيين ، والظاهر ان الأعلى والأسفل في بلاد حاشد ايضاً والجوفان وصعدة للإمام ، وان يحمل الإمام للأيوبيين الى صنعاء مع ذلك مائة جمل محملة بالحديد وعشرة افراس كل عام ، واستمرّ الأمر على ذلك الى وفاة نائب صنعاء للأويبيين (وردسار) في عام (٦١٠ هـ) وكان الأتابك[٥٩] سيف الدين سنقر نائب

(٥٨) و(٥٩) الخزرجي في (العسجد المسبوك) منشور وزارة الاعلام والثقافة من ص ١٧٧ .

الدولة الأيوبية قد توفي في عام (٦٠٨ هـ) .

ثم (٦٠) اضطلع الملك الناصر ايوب بن المعز بن الطغتكين بن أيوب بادارة شؤون دولته بنفسه منذ وفاة نائبه الأتابك سنقر المذكور ، وخلف الأتابك سنقر بالأمير (بدر الدين غازي بن جبريل) .

وفاة الملك الناصر الأيوبي

حَسَّن(٦١) النائب (بدر الدين غازي بن جبريل) للملك الناصر الأيوبي الانتقال الى صنعاء لحرب الإمام عبد الله بن حمزة ، وفي صنعاء قام النائب غازي المذكور بقتل الملك الناصر بالسم كما روي ، وذلك في الثاني عشر من شهر المحرم من عام (٦١١ هـ) . واعلن للجند الأيوبي وفاة الملك وأخذ منهم البيعة له ، ثم خرج من صنعاء نحو تعز ومعه جثمان الملك الناصر ، ولّما كان في منطقة السحول من اعمال اب حمل عليه اليمنيون ، وقتلوه بعد ان انتهبوا اثقاله وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر المحرم من العام المذكور ، اي انه لم يتول الحكم سوى اثني عشر يوماً ، هذا وتذكر رواية اخرى للمؤرخ الجندي (مخطوط) انه لم يقتل في منطقة سحول اب ، وإنما نهبت اثقاله فيها فقط ، ونجا هو ودخل مدينة اب ، وصعد مماليك الملك الناصر الى حصن حب في بعدان حيث كانت تقيمُ فيه امه ، وأعلموها بالأمر فشتمتهم ووبختهم على عدم قتلهم للوزير المذكور ، وإنها حثتهم على سرعة العودة الى اب وقتله ، وانهم دخلوا عليه فيها وقتلوه واحتزوا رأسه وأوصلوه اليها ، ودفن في اب بدون رأس ، ثم انتقلت هي من حصن حب الى تعز واضطلعت بشؤون الحكم مستعينة بعدد من كبار رجال الدولة الأيوبية .

انهيار صرح الدولة الأيوبية في اليمن

لما(٦٢) توفي الملك الناصر أيوب بن المعز بن الطغتكين بن أيوب في

---

(٦٠) الخزرجي ص ١٧٧ .

(٦١) و (٦٢) الخزرجي ص ١٨٠ .

التأريخ المذكور استولى آل حاتم على الحصون التي كانت تحت نفوذهم في منطقة صنعاء ، وكان استيلاؤهم عليها في اليوم الثالث عشر من المحرم من العام المذكور (٦١١ هـ) كما استولى الإمام عبد الله بن حمزة على صنعاء في اليوم الثاني من شهر صفر من نفس العام .

ثم غزا (سليمان بن موسى الحمزي) مدينة لحج مجهزاً من الإمام المذكور واستولى عليها وولى عليها من قبله ، وحاول ان يستولي على عدن ، ولكنها امتنعت عليه فعاد الى الإمام إلى صنعاء .

سليمان بن تقي الدين الأيوبي

ولمّا[٦٣] قدم الأمير سليمان بن تقي الدين بن عمر شاهنشاه بن أيوب الى اليمن بعد اداء نسك الحج في عام مقتل الملك الناصر أيوب بن المعز ، استدعته زوجة الملك الناصر الأيوبي اليها الى حصن تعز ، وطلبت منه ان يقوم بشؤون الحكم في الدولة الأيوبية في اليمن قائلة له : « إنّا نخشى ان يطمع فينا العرب ، ونحن نساء لا حيلة لنا ، وقد ساقك الله الينا ، فقم بملك ابن عمك ، واستول على اليمن » . فأجابها الى طلبها وجلس على سرير الملك وحلف له الجند وكان ذلك يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول من العام المذكور ، وأضاف الجندي قائلاً : « فقام بالملك قياماً ضعيفاً ، واشتغل باللهو واللعب واللذات مع النساء حتى تضعضع الملك ، وكان اذا سكر يرقص ويقول : (انا مشغول بأيري فانظروا للملك غيري » .
وكان قد وصل الى اليمن مع جماعة من رفاقه بزي الصوفية وبعد اداء نسك الحج وصولاً الى الحكم، وبالتأكيد فإنه لم يصل الى اليمن إلا بعد علمه بمقتل الملك الناصر الأيوبي وعدم وجود من يخلفه من بني أيوب أو من رجال دولتهم في اليمن ، بعد مقتل الوزير غازي بن جبريل .

---

(٦٣) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر من ص ١٨٠ .

الملك المسعود الأيوبي

ولمّا علم(٦٤) الملك العادل أبو بكر بن الملك الكامل بن أيوب بالأحداث التي جرت في اليمن والتي أدت إلى إتساع نفوذ الإمام عبد الله بن حمزة وآل حاتم على حساب الأيوبيين جهز ابن ابنه الأمير المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في جيش كبير زوده بالعتاد والأموال الى اليمن ، وكان الأمير يوسف المذكور يومئذٍ لم يبلغ سن الرشد ، وجعل أتابكه (جمال الدين فليت) وزيره ومدبر ملكه في اليمن .

ووصل الملك المسعود الى زبيد في الثاني من المحرم من عام (٦١٢ هـ) وقد انهك السفر رجاله ، ولم تعد فرسانه تقوى على الحرب والكر والفر ، ونظراً لعدم خبرة مربيه (جمال الدين فليت) باحوال اليمن بالنسبة لتقي الدين سليمان بن عمر الملك القائم في اليمن ، فإنّ الملك المسعود راسله يعرض عليه صلحاً يقضي بتقسيم مملكة الأيوبيين في اليمن مناصفة ، الجبال لسليمان والتهائم للمسعود ، وقبل ان يعقد اتفاق بين الملكين الأيوبيين في ذلك ، اسرع الأمير بدر الدين حسن بن علي رسول الى الملك المسعود ، وحثه على سرعة التحرك من زبيد الى تعز ، وقال له لن تجد من يردك عنها ، ففعل المسعود ذلك ، ولمّا وصل الى تعز قال له الأمير بدر الدين : « اكتب لحامية حصن تعز بأن يمسكوا بسليمان وتوعدهم ان لم يمسكوه حلّ بهم النكال » .

ولمّا وصل كتاب الملك المسعود الى حامية الحصن نهضوا وأغلقوا باب مجلس سليمان عليه ، وأرسلوا من فورهم الى والي تعز يطلبون منه سرعة مبادرته الى الحصن للقبض عليه ، فأسرع الوالي الى الحصن وقيد سليمان بن تقي الدين ، وطلع الملك المسعود الى الحصن وذلك غرة صفر من العام المذكور (٦١٢ هـ) .

ثم تزوج بابنة الأتابك سيف الدين سنقر المعروفة بابنة جوزة ارملة الملك

---

(٦٤) الخزرجي ص ١٨٠ .

الناصر أيوب .

أمّا (سليمان بن تقي الدين) فإنّ الملك المسعود ارسله الى مصر مقيداً ، وانتهى بذلك امره .

ثم اسند الملك المسعود الى أتابكه جمال الدين فليت نيابة صنعاء ، ووصل فليت اليها في الثاني من شهر جمادي الأولى من نفس العام ، ودخلها بعد ان كان الإمام عبد الله بن حمزة قد خرج منها اثر حسم الخلاف بين الملكين الأيوبيين (سليمان بن تقي الدين) والمسعود بن الكامل لصالح المسعود ، واستقرت الأحوال في شؤون الدولة الأيوبية في اليمن بشكل عام .

هذا وقد قضى الملك (سليمان بن تقي الدين) في الحكم احد عشر شهراً واتسم عهده بالضعف والقلق والاضطراب بسبب سوء مسلكه مع قادة جيش الدولة الأيوبية وكبار رجالها حتى حاربه بعضهم كالأمير بدر الدين حسن ابن علي رسول وكاد ان يتغلب عليه لولا تدخل بعض رجال الدولة بالصلح بينهما ، والأمير بدر الدين ليس الا امير من امراء دولته وهذا من ابرز الأدلة على ضعف الملك سليمان وضعف دولته وفقدانها الهيبة التي يستلزمها استقرار الأمور .

حركة الأيوبيين التوسعية في عهد الملك المسعود

ما أن[٦٥] وصل الأتابك (جمال الدين فليت) الى صنعاء واعاد نفوذ الدولة الأيوبية عليها حتى حشد قواته وخرج بهم منها الى بلاد شبام كوكبان ، لبسط نفوذ الدولة الأيوبية فيها ، وكانت المنطلق الأول للإمام عبد الله بن حمزة للتمركز في حصونها كوكبان وثلا وغيرهما ثم مد نفوذه منها الى غيرها في بلاد حمير المعروف بمغارب اليمن في بلاد حجة وغيرها .

وقد استطاع الأتابك فليت ان يستولي على حصون بلاد كوكبان وثلا

(٦٥) الأيوبيون في اليمن ص ١٥٠ .

والمغارب ، وأن يأخذ الرهائن من ابناء المنطقة لضمان استمرار ولائهم للدولة الأيوبية ، بعد حروب كثيرة بينه وبين الإمام ، وقد سئم الناس في تلك الجهة الحرب وخذل الكثير من أهلها الإمام واضطروه[٦٦] الى مراسلة الأتـابـك فليت يعرض عليه صلحاً بين الجانبين يضع حداً للحرب ويقر الأوضاع للجانبين ، فاستجاب الأتابك الى طلبه بعد أخذ ورد ، وصالح الإمام من مـركز القـوة ، وجاء الصلح في صالح الأيوبيين اكثر مما هو في صالح الإمام .

وكان من بنود الصلح ان يظل ما استولى عليه الأتابك في بلاد كوكبـان ومغارب اليمن من بلاد حجة وغيرها تحت نفوذ الأيـوبيين ، وان تـظل رهائن المنطقة لدى الدولة الأيوبية ، وأن يحمل الإمام للأيوبيين في كل عام عشـرين حصاناً وعشرين جملاً ، وهذا مبلغ زهيد في الجملة ، ولكنه يرمز الى قوة مركز الأيوبيين في اليمن ، كما يرمز ضآلة كميته بالنسبة لما كان يفـرض على الإمـام نفسه في بداية عهد الأيوبيين في اليمن الى تحســن مركز الإمام وبصورة افضل مما كان عليه آنذاك .

وقد كانت مدة الهدنة التي اقتضاها الصلح المذكور ثلاثة عشر شهراً .

عاد الأتابـك فليت بعد تـوقيعه الى تعـز ، وبعد ان رتب امـور صنعاء وغيرها من المناطق الخاضعة للأيوبيين في القسم الأعلى من اليمن .

إلا أنه[٦٧] في بداية عام (٦١٤ هـ) اعلنت قبيلة سنحان تمردها على الدولة الأيوبية ، وقطعت طريق المدد بين صنعاء وتعز ، وكان الإمام عبد الله بن حمزة يغذي ذلك التمرد ، بل أمدّ القبيلة المذكورة بقوة على رأسها ابنه الأمير (عـز الدين) الذي تمركز في جبل (كنن) في المنطقة .

كما حاول الإمام مع ذلك الاستيلاء عـلى صنعاء ، لـولا قيام آل حـاتم بصده مساندة منهم لنائب الدولة الأيوبية فيها ، وقد جهز الملك المسعود الأيوبي

---

(٦٦) نفس المصدر ص ١٥١ .

(٦٧) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ٢٥٢ .

اتابكه (جمال الدين فليت) الى بلاد سنحان ، فلجأ كثير من كبار أهلها الى حصن كنن المنيع ، فضرب الأتابك فليت حصاراً شديداً عليه .

وفي اثناء ذلك توفي الإمام عبد الله بن حمزة وذلك في الثاني عشر من المحرم عام (٦١٤ هـ) .

وأقيم ابنه الأمير (عز الدين) المذكور محتسباً لعدم استيفائه الشروط المقررة في المذهب الزيدي للإمامة ، وادعى الإمامة (يحيى بن محسن ابن محفوظ) من أولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، وذلك في بلاد صعدة في الشهر الذي دعا فيه محتسبا الأمير عز الدين بن عبد الله بن حمزة وهو شهر صفر من العام المذكور (٦١٤ هـ) وكان ابن محفوظ عالماً ، قال عنه الإمام عبد الله ابن حمزة في حياته : « ان عنده علم أربعة ائمة » .

ومع ذلك فقد انقسمت الزيدية بين مؤيد ومعارض لهذا أو ذاك ، وكان بالطبع لكل فريق شيعته وأتباعه من اليمنيين ، وشغل البيتان في حرب بينهما ، أتاحت الفرصة للأيوبيين لتوسيع نفوذهم في القسم الأعلى من اليمن على حسابهم .

فتحرك الملك المسعود الأيوبي من تعز وقصد حصن براش في الضاحية الجنوبية الشرقية لصنعاء ، وكان أهل سنحان قد استولوا عليه بعد استيلائهم على حصن كنن ، واستولى الملك المسعود عليه في اليوم الثاني ليوم وصوله اليه ، ثم دخل صنعاء في الثامن من شهر جمادي الأولى من العام المذكور .

ومما يذكرُ انه لمّا استولى الملك المسعود الأيوبي على حصن براش وجد به حريماً لرئيس قبيلة سنحان ، فلم يتعرض لهنَّ بسوء ، وبعثهن مكرمات اليه ، وكان لذلك التصرف الحسن اثره في نفوس أهالي قبيلة سنحان ، ساعد على تصفية الموقف بينهم وبين الأيوبيين ، وأدى بالتالي الى سقوط جبل كنن في ايدي الأيوبيين .

ثم قصد الملك المسعود الأيوبي حصن كوكبان الذي كان الإمام عبد الله

ابن حمزة في آخر حياته قد استولى عليه ، فاستعاده وعاد الى تعز .

ثم عـاد الملك المسعود الى صنعـاء في شهر ربيـع الأول من عام (٦١٥ هـ) .

وأخضع وهو في طريقه اليهامخلاف [٦٨] الشوافي من بلاد اب ، الذي كان قدتحرك للخلاف على الأيوبيين فيما يبدو .

ومن صنعاء قصد مدينة حوث في بلاد حاشد وهـدمها ، ولعلهـا كانت مركز تجمع للأشراف وللقبائل المناوئة للأيوبيين ، ثم واصل تقدمه في الشمال الشرقي لصنعاء ، حتى وصل الى بلاد الجوف ، وأقام بها أسبوعاً ، ثم عاد الى صنعاء وفي طريقه اليها قاتل الأشراف المتجمعين في ظفار ذيبين من بلاد ظليمة من بلاد حاشد أيضاً .

وكان وصوله صنعاء في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة من عام (٦١٥ هـ) .

وفي صنعاء عقد صلحاً مع الأشـراف الحمزات وعلى رأسهم الأميـر عز الدين محمد بن عبدالله بن حمزة وذلـك في عام (٦١٦ هـ) ، ثم عـاد إلى تعز .

ويعتبر هذا العام عام هدوء واستقرار في القسم الأعلى من اليمن .

هـذا وقد تـوفي الإمام عبـد الله بن حمزة عن عمـر دام اثنتـين وخمسـين سنـة ، وعن حكـم دام حوالي عشـرين عامـاً ، قضى معظمـه في حـرب مـع الأيـوبيين في سبيـل الحد من نفـوذهم على الأقـل ، وكـان من أنهض الأئمـة وأقواهم ، لولا انه صادف عهد حكم قوي هو حكم بني أيوب .

ولـولا هذا النـد القوي لـلإمـام المـذكـور لكـان لـه شـأن اكبـر ونفـوذ

---

(٦٨) مخلاف الشوافي يتبع اليوم إدارياً إب من قضاء إب لواء إب ويشتمل عـلى سبع عـزل هي : الروس وبني محرم وثوب اعلى وثوب اسفل وشعب يافع وجبل معود والبحرين .

اوسع ، هذا الى جانب انقسام الزيدية وتنافسهم فيما بينهم ، وعدم دوام استمرار ولاء اليمنيين له وكما هو لغيره من الأئمة .

جولة اخرى من الحرب بين الأيوبيين والحمزات

يبدو ان الصلح الذي عقد بين الملك المسعود الأيوبي والأشراف الحمزات عام ٦١٦ هـ ، كان محدداً بعام واحد ، بدليل(٦٩) تحرك الملك المسعود في بداية عام ٦١٧ هـ الى صنعاء ، ومنها قصد حصن بكر في بلاد كوكبان بغية الاستيلاء عليه ، وضرب حصاراً قوياً عليه ، بالغ فيه بالبناء عليه من خارجه حتى لا ينزل منه احد ولا يطلع اليه احد ، وكان الحصن المذكور من أقوى الحصون وأمنعها في المنطقة ، ومن الحصون الباقية بيد الأشراف الحمزات ، وكان فيه بعض حريم الإمام المتوفي عبد الله بن حمزة .

ولم يجد الأمير عز الدين بن عبد الله بن حمزة حيلة لفك الحصار عنه إلا بمحاولة التجهيز لغزو بلاد تهامة ، بهدف شغل الملك المسعود بذلك عن الاستمرار في حصار الحصن المذكور ، أو بهدف تحقيق مكاسب في تهامة في حالة عدم رفع الملك الحصار عن الحصن ، والمساومة بذلك عنه أو عن غيره من الحصون في المنطقة .

ولكن محاولته تلك باءت بالفشل بسبب خروج الشريف سليمان بن موسى الحمزي عن ولائه للأمير عز الدين ، وانضمامه الى الملك المسعود ، الذي جهزه لحرب الأمير عز الدين .

واضطره الى الانسحاب الى بلاد الجوف .

ثم تعقبه اليها ، وقامت بينهما حرب شديدة أقبطت الأمير عز الدين عن كل محاولة لفك الحصار عن الحصن المذكور ، واضطرته الى مراسلة

---

(٦٩) الأيوبيون في اليمن ص ٤٥٨ .

الملك المسعـود ، ومساومته في الثمن الـذي طلبـه عن الحصن . وتمّ الاتفـاق بينهما عـلى ان يتسلم الملك الحصن مقـابـل عشـرة آلاف دينـار تسلمهـا من الملك المسعود الأمير يحيى بن حمزة اخو الإمـام عبد الله بن حمـزة ، نيابـة عن الأمير عز الدين ، وطلع الملك المسعود الحصن في مستهـل ربيع الأول عـام ٦١٨ هـ ، ثم عـاد الى زبيد ، بعـد ان ولى عـلى صنعـاء الأمـير بـدر الـدين (حسن بن علي رسول) .

حملة الملك المسعود الأيوبي الى مكة

غـادر[٧٠] الملك المسعود اليمن عـلى رأس قوة عسكـريـة نحـو مكـة ، لاخضـاع حاكمهـا الشريف قتـادة الذي اخـذ يستقـل بحكمهـا عن الـدولـة الأيوبية .

وقد غادرها فور علمه بتحرك الملك المسعود من اليمن نحوه .

ودخـل المسعـود مكـة دون اراقـة دمـاء ، وأحسن الى النـاس فيهـا وأمنهم ، وردّ المظالم التي كان الأمير قتادة قد اخذها من بعض أهل مكة.

ثم ولى عليها الأمير نور الدين عمر بن علي رسول وعاد الى اليمن .

وكان الشريف قتـادة بعد مغـادرة الملك المسعود لمكـة قد وحـد صفوف رجـاله وعـزم على استعـادة نفوذه عـلى مكة وطـرد الأمير نـور الـدين منهـا ، ولكـن هـذا فاجـأه قبل ان يكمـل استعداده وهـزمه بعـد ان قتـل عـدداً من جنوده ، وأضطرّه الى الفرار من وجه القوات الأيوبية مرة اخرى .

سفر الملك المسعود الأيوبي الى مصر

وفي عام[٧١] (٦١٩ هـ) قام الملك المسعود بزيـارة صنعاء لـلاطمئنان عـلى استتباب الأمـور فيهـا وفي منـطقتهـا ، ثم عـاد الى زبيـد ، حيث اخـذ

---

(٧٠) الأيوبيون في اليمن ص ٢٦٠ .

(٧١) نفس المصدر ص ٢٦٢ .

يستعد للسفر الى مصر وزيارة والده الكامل بن أيوب .

ثم استدعى الأمير نور الدين عمر بن علي رسول من مكة وأنابه عنه في اليمن .

كما أكد لأخيه بدر الدين حسن بن علي رسول النيابة على صنعاء .

وغادر اليمن في منتصف شهر رمضان من عام (٦٢٠ هـ) قاصداً مصر ، حاملاً معه هدايا جليلة لوالده ، وعرّج على مكة ، ثم ركب البحر الأحمر الى مدينة (عيذاب) المصرية في الشاطىء المصري للبحر الأحمر ، ومنها سافر الى القاهرة .

حركة مرغم الصوفي في حقل يريم

لمّا[٧٢] غادر الملك المسعود الأيوبي اليمن الى مصر ثار في حقل يريم المدعو (مرغم الصوفي)[٧٣] وذلك في عام (٦٢٢ هـ) وتابعته قبائل بني مسلم وبني سيف وغيرها من قبائل يريم .

كما تابعته قبائل عتمة وعنس وجنب وغيرها ، أي انّ حركته امتدت في بلاد يريم وذمار وربما وغيرها في المنطقة الوسطى من اليمن .

وأشاع الثائر مرغم الصوفي انه إنما يدعو لإمام حق دون ان يفصح عن اسمه ، وكأنه نحا نحو (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) في بداية حركته حينما اكد للناس انه إنما يدعو لإمام حق دون ان يفصح عن اسمه كما عرفنا .

وقد قصد الثائر الصوفي الأمير نور الدين (عمر بن علي رسول) الذي كان آنذاك في حصن ذروان من بلاد ذمار ، وبسبب مساندة قبيلة جنب للصوفي في نفس منطقة الحصن المذكور وغيرهم استطاع أن يتغلب على نائب الدولة الأيوبية في اليمن الأمير نور الدين المذكور في

(٧٢) نفس المصدر والصفحة . والخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٨٤ .

(٧٣) في بلاد يريم عزلة تدعى بني مرغم قد يكون لها علاقة بهذا الثائر .

المعركة التي قامت بينهما وأن يضطر النائب المذكور الى اللجوء الى الحصن المذكور ، وأن يستنجد بأخيه نائب صنعاء الأمير بدر الدين حسن بن علي رسول ، فأنجده بنفسه على رأس قواته وهزم مرغم بحيث لم يقم بحركة تذكر بعد ذلك . . ثم تحرك الأخوان نور الدين وبدر الدين الى صنعاء لحرب الأمير عز الدين الذي كان معسكراً في عصر من الضاحية الغربية لصنعاء فواجه الأمير بدر الدين بجيشه الأمير عز الدين وقواته ، بينما عسكر الأمير نور الدين خلفه كدرء له ، ولتثبيت جيش بدر الدين في حالة تغلب عز الدين ، وقد وزع الأمير بدر الدين جيشه الى ميمنة وميسرة وقلب الخ . . .

وقامت معركة ضارية بين الجانبين صمد فيها الامير عز الدين بن عبد الله بن حمزة وعسكره ، وأبلوا فيها بلاءً حسناً ، ولكن النصر كتب لجيش الأمير نور الدين الذي صمد بعسكره كذلك .

وانهزم جيش الأمير عز الدين بعد اصابته بنشاب في احدى عينيه بالعور ، نقل على اثر ذلك الى مدينة ثلا ومرض فيها . ثم نقل من ثلا الى ظفار ذي بين حيث توفي فيها ودفن الى جانب والده هنالك . وكانت وفاته في شهر ذي الحجة من عام (٦٣٣ هـ) .

وأُقيم اخوه شمس الدين بن عبد الله بن حمزة محتسباً خلفاً له ، وذلك لعدم استيفائه الشروط المقررة في المذهب الزيدي للإمامة .

هذا وقد كان لآل حاتم دور بارز في مساندة الأيوبيين ونوابهم في اليمن ضد الأمير عز الدين بن عبد الله بن حمزة ومن معه من الأشراف وأتباعهم .

وذلك بقيام السلطانين سالم وعلوان ابني حاتم بن احمد اليامي بدخول صنعاء اثناء تغيب نائبها الأمير بدر الدين حسن بن علي رسول لنجدة اخيه نور الدين عمر بن علي رسول ضد الثائر مرغم الصوفي كما سبق ، وقيام السلطانين المذكورين بصد الأمير عز الدين ومن معه من

الأشراف عن الاستيلاء على صنعاء ، وحفظها حتى عاد بدر الدين اليها .

ولقد كان لانتصار الأميرين بدر الدين ونور الدين الرسوليين ضد الأشراف في حرب عصر صداه داخل اليمن وخارجه ، وقوّى ذلك من مركز النائبين المذكورين في اليمن .

وقد بعث مع ذلك الامير بدر الدين برسالة الى الملك المسعود الى مصر احاطه فيها بأنباء الانتصارات التي حققها مع اخيه في حقل يريم وفي وقعة عصر .

وبعث مع الرسالة قصيدة للشاعر السلطان (مدرك بن حاتم بن بشر ابن حاتم) على لسان الأميرين بدر الدين ونور الدين مطلعها :

سلا ذات سمط الدر والمارن الأقنى
لدى عصر من أصدق الضرب والطعنا
ومن شهدت صنعاء لولا بلاؤه
لما فارقت رعباً ولا رافقت امنا
وقد كانت البيض الخرائد خيفة
النسا من أعادينا أسأن بنا الظنا

ومنها :

فما زالت الأخبار منكم تسرنا كما سركم في مصر مخبركم عنا

واشاد شعراء الدولة الأيوبية في اليمن بتلك الانتصارات ومنهم (العماد الشيرازي) شاعر الملك المسعود حيث انشأ قصيدة مطلعها :

ألا هكذا للملك تعلو المراتب وتسمو على رغم العداة المناقب
فتوح سرت في الأرض حتى تضوعت مشارقها من طيبها والمغارب
بسيف الجواد بن الرسول توطدت قواعد ملك ربه عنه غائب
فولوا ومن طعن القنا في ظهورهم عيون ومن ضرب السيوف حواجب

كما كتب السلطان علوتن بن بشر بن حاتم الى الشريف عز الدين ابن الإمام عبد الله بن حمزة قصيدة يقول فيها ناصحاً أو شامتاً :

أسادات الورى من كل حي … وأسمى في المعالي من تسامي
وأربطها لدى الهيجاء بأساً … واحماها اذا عدم المحامي
أهنيكم قدوم العيد فرضاً … عليَّ فعدتمو في كل عام
وأهدى نحوكم ازكى سلاماً … الى المأموم منكم والإمام
وأسمعكم أحقاً ما سمعنا … فما يشفي سوى صدق الكلام
بأنّ جموعكم طارت شعاعاً … ولمّا تخش عاقبة الملام
وولت غير كاسبة ثناء … فراراً لم تكر ولم تحام
سوى عشر فحيى الله عشراً … تحامت من بني سام وحام
ولم يحضر من الأمراء إلا … شهاب الدين محمود المقام
ونور الدين والبدر المرجى … ليوث الحرب في يوم الصدام
وخيلهمو الى مائة وعشر … وهم ما بين رماح وحامي
فماذا تصنعون اذا ألمت … جنود الملك من يمن وشام ؟
ولاحت راية المسعود فيها … كلائحة على ارجاء طامي
هنالك تندمون ولا محيص … اذا حمَّ القضاء لدى الحمام
فإن تقبل نصيحة ذي وداد … فإنّ النصح من شيم الكرام
اتيتم طائعين الى مليك … شريف النفس ذي منن جسام

الى آخر القصيدة في (العسجد المسبوك).

وقد ردّ عليه الأمير عز الدين بقصيدة مطلعها :

أمن برق تألق بابتسام ؟ … أرقت فلم أذق طعم المنام
لذكر الوصل أم لفراق غيد ؟ … تضيء وجوهها جنح الظلام
رعى الله الديار وساكنيها … وروّى ربعها صوب الغمام
فلا تعجب لتذكاري فإني … ذكرت منازل الحي الكرام

وأعجبُ من تـذكُّرِ وصـل هنـد — كتـاب جـاءنـا من ملك يـام
سليلهمـو المتـوج ارضـعتـه — لبـان المجـد من قبـل الفـطام
واودعـةَ الـسـلام فـلا عـدمنـا — أنـامـل يمـمت ازكـى سـلام
ويخبـر عـن طـراد قـول صـدق — احقـاً مـا يقـال مـن الكـلام ؟
بـأن جمـوعنـا طـارت شعـاعـاً — وولـت لم تـكـرَّ ولم تحـام
سـوى عشر اغـارت غـير نكـر — فعـادت جنّحـا مثـل السهـام
فـلو كـان الأمـير النـدب فـيهـا — عـمـاد الـدين محمـود المقـام

(يقصد الأمير يحيى بن حمزة الذي ذكر انه ترك المعركة وذهب بعيداً عنها لصلاة العصر ، وان جنوده تبعوه واخلَّ ذلك بصفوف الأشراف أو انه لم يحضر الوقعة اصلاً) .

لـزارت بيننـا عضـب عضـاب — بـكـل مهـنـد عـضـب حسـام
ولـكـن عـاقـه الـرحمـن عـنـا — فلم يحضـر ويـوم الـروع حـامي
وكيف تعـد هـذا القـول نصحـاً — وقـد صدعت لـه حمم السـلام
فـواعجبـاً نـدافـع عن حمـانـا — وتـنسـبنـا الى فـعـل اللئـام
فليس لنـطح صخـرتهم سـوانـا — بـني حسـن فـكـف عـن المـلام
وإن كـانـوا لعمـر أبيـك أسـداً — تشب لـدى الـوقـائع بـالضـرام

عودة الملك المسعود الأيوبي الى اليمن واعتقاله لأمراء بني رسول

وفي(٧٤) السابع عشر من شهر صفر من عام (٦٢٤) للهجرة وصل الملك المسعود تعز عائداً من مصر ، يحثه على العودة ما اشيع داخل اليمن وفي مصر بانّ الأمراء الرسوليين الأربعة حسن وموسى وأبو بكر وعمر ابناء علي رسول قد عقدوا العزم على الاستئثار بالملك في اليمن دون الأيوبيين ، يشجعهم على ذلك انتصارهم الساحق ضد (مرغم الصوفي) الثائر في

(٧٤) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٨٨ . والأيوبيون في اليمن ص ٢٦٩ .

حقل يريم ، وضد الأشراف وفي مقدمتهم الأمير عز الدين محمد بن عبد الله بن حمزة .

وقد عمل منافسو بني رسول وحاسدوهم من اليمنيين ومن كبار رجال الأيوبيين على تخويف الملك المسعود من عزمهم على ذلك وأنّ الملك الكامل لما وصلت اليه قصيدة الأميرين بدر الدين ونور الدين الرسوليين آنفة الذكر والتي جاء منها قوله :

فما زالت الأخبار عنكم تسرنا كما سركم في مصر مخبركم عنا

واطلع عليها ، قال لابنه الملك المسعود : « من هذا الذي يخاطبك بنون العظمة ؟ » فقال له المسعود : هو امير لي في اليمن ، فقال له : « ما هذا بأمير بل هو نظير إن لم تثب عليه وثب عليك » فعجل بعودته الى اليمن ، وفور وصوله قبض على جميع الأمراء الأربعة الرسوليين واعتقلهم ، ثم أفرج عن الأمير نور الدين عمر بن علي رسول ، لأنه كان يثق به ويأنس اليه .

أمّا اخوته الثلاثة (شرف الدين موسى) و(بدر الدين حسن) و(فخر الدين أبو بكر) أبناء علي رسول فإنّ الملك المسعود ارسلهم الى مصر مقيدين .

ثم تحرك الملك المسعود الى بني سيف في بلاد يريم وخربها وجعلها كالأمس الذاهب جزاء لهم على مساندة الثائر مرغم الصوفي ، وأقام فيهم ثلاثة أشهر حتى اخضعهم خضوعاً تاماً ثم عاد الى تعز .

ثم قام بجولات كثيرة ومنظمة في كثير من انحاء اليمن حققت له استقرار حكمه الى ان عزم على العودة الثانية والأخيرة الى مصر .

سفر الملك المسعود الأيوبي الى مصر للمرة الأخيرة وسقـوط الدولـة الأيوبية في اليمن

وفي شهر ربيع الآخر من عام (٦٢٦ للهـجرة)[٧٥] غادر الملك المسعود الأيوبي اليمن قاصداً مصر أو الشام ، يحثه على ذلك استـدعاء أبيـه له ليـوليه الشام الذي استولى عليه من الملك الناصر صلاح الدين (داود بن الملك المعظم عيسى) بعد وفاة والد هذا في الشام ، أو انه غادر اليمن طمعاً في توليته الشام بما في ذلك فلسطين .

وقـد حمل الملك المسعـود معـه من اليمن هـدايـا وامـوالاً وتحفـاً جليلة حملتهـا المراكب في البحـر الأحمر ، وأنـاب عنه في اليمن الأمـير (نـور الـدين عمر بن علي رسول) .

وانشأ سفره من اليمن وقـد بدأ بـه المرض الذي اقعـده في مكة وأدى الى وفاته فيها في نفس العام الذي سافر فيه من اليمن .

وقد أشاع الامـير نور الـدين بعد سفـر الملك المسعود الأيـوبي أو اشاع انصاره أنّ الملك المسعود قـال للامـير نور الـدين قبيل مغـادرته لليمن : « إني قـد عزمت عـلى السفر ، وقـد جعلتك نـائبي ، فإن مت فـأنت أولى بـالملك حتى من اخـوتي ، لأنك خـدمتني وعرفت منـك النصيحـة والاجتهـاد ، وإن عشت فأنت على حالك ، وإيـاك ان تترك احـداً يدخـل اليمن من أهلي ولـو جاء والدي مطوياً في كتاب » .

ثم اضطلع الامير نـور الدين بـالمسؤولية ، وصـار يُظهـر انه إنمـا يقوم بـإدارة شؤون الدولـة في اليمن نيابـة عن الملك المسعود الأيـوبي طيلة عامـين كاملين ، وبالرغم من وفاة المسعـود في مكة ، بـل لقد بعث بعـزائه الى الملك الكامل بوفاة ولده ، وبعث مع التعـزية بهـدية جليلة ، حمـل كل ذلـك الملك

(٧٥) الخـزرجي في (العسجد المسبـوك) منشور وزارة الاعلام والثقافـة آنف الذكـر ص ١٨٩ . والدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (الأيوبيون في اليمن) ص ٢٧٣ .

الكـامل عـلى الاطمئنان الى ولائـه له ، وبعث لـه بتأكيـد نيابتـه عن الـدولـة الأيوبية في اليمن .

ولكن الامـير نور الـدين ظل في نفس الـوقت وباسم الـدولة الأيـوبيـة يعمل على تغيـير ولاة الحصون والمناطق في اليمن بمن يثق بهم ويعتمد عليهم عند تنفيذه لما عزم عليه من الاستقلال بحكم اليمن .

وفي عـا م ٦٢٨ للهجرة اعلن الامـير نور الـدين عمر بن عـلي رسـول استقلاله بحكم اليمن عن الأيوبيين ، ساعده على ذلك انقسـام الأيوبيـين في مصر والشام ، وعـدم استعدادهم في ذلـك الظرف بالتجهيـز لحـرب الامير نـور الدين في اليمن واستعـادة نفـوذهم فيـه ، والى جـانب مـا يعلمـونـه من طبيعة اليمن الجبلية وعدم سهولة اخضاع حصـونها المنيعة ومنـاطقها المتـرامية الأطراف ، وقد تمكن الامير نور الـدين من السيطرة الكـاملة على كـل اجزاء الدولة الأيـوبية في اليمن ، وبجنـد الأيوبيـين الذين استمـالهم اليه وبـاليمنيين الـذين احبوه لعـدله واحسـانه كـما ساعـده مع كـل ذلك وفـاة الملك المسعود الــذي بفضله وصـل الى الحكم وأسس دولــة بني رسـول في اليمن ، وقــد عقدت لها فصلاً خاصاً كما سيأتي .

نظرة عامة في حكم الأيوبيين في اليمن

حكم الأيوبيون اليمن حوالي تسعة وخمسـين عامـاً ، وقد بـدأ حكمهم بمقـدم (تـوران شـاه) بن أيـوب الى اليمن ، مجهــزاً بقـوة كبيــرة من اخيـه (صـلاح الدين بن أيـوب) من مصر فيعام (٥٦٩ هـ) ، وانتهى بـاعـلان نـائبهم عليه (نـور الدين عمـر بن علي رسـول) استقلالـه بحكمـه عنهم في عام (٦٢٨ هـ) .

ولـدى استعراضنـا لسير حكم بني أيـوب في اليمن ، ولمـا يمكن فهمـه عن اوضاع اليمن اثناء حكمهم نستخلص الحقائق التالية :

١ ـ بحكم لجوء الأشراف (آل وهاس) حكام المخلاف السليماني بـالسلطان

(صلاح الدين بن أيوب) أو بالخليفة العباسي وطلبهم النصرة والعون ضد (عبد النبي بن علي بن مهدي) الذي غزا المخلاف المذكور وقتل اميره الشريف) وهاس بن غانم آل وهاس) ، وهو كلف صلاح الدين الأيوبي بالتجهيز الى اليمن لنصرة آل وهاس ، واخضاع (آل مهدي) الخوارج والخارجين على الدولة العباسية ، وبحكم مساندة آل وهاس لتوران شاه في حربه لآل مهدي .

فقد ركز الأيوبيون عند غزوهم لليمن بقيادة توران شاه على القضاء أولاً على آل مهدي الذين لم يشكلوا خطراً على حكام اليمن فحسب ، بل ويشكلون في نظرهم العقبة الأولى أمام هدف الأيوبيين الأساسي من اقامة حكم لهم في اليمن ، وذلك بهدف السيطرة على جميع موانىء البحر الأحمر بما فيها مضيق باب المندب في جنوبه منعاً لنفوذ الصليبيين من أي منفذ فيه، وقد صادف لجوء آل وهاس للاستعانة بالأيوبيين ، أو تكليف الخليفة العباسي لصلاح الدين الأيوبي بالتجهيز الى اليمن هوى في نفوس الأيوبيين ، لأن حكم اليمن ظل يراود السلطان صلاح الدين منذ استولى على مصر وواصل حربه للصليبيين ، واستطاع ان يسترد منهم بيت المقدس ، وذلك بغرض احكام السيطرة على جميع منافذ البحر الأحمر بما فيها منافذه الجنوبية باستيلائه على اليمن ، بعد استيلائه على منافذه في وسطه ببسط نفوذه على السودان ، وفي شماله باستيلائه على مصر .

٢ ـ وبحكم اقامة (بني ايوب) السنيين لدولتهم في مصر على انقاض (الفاطميين) الشيعة فقد ركز الأيوبيون ثانياً على القضاء على حكام الشيعة في اليمن اتباع الفاطميين (آل زريع) ، والذين تجاور امارتهم امارة (آل مهدي) ، وكانت إمارة آل زريع هي الخطوة الثانية للأيوبيين في سبيل تحقيق طموحهم ومطامعهم في اليمن .

٣ ـ وبحكم عزم الأيوبيين على بسط نفوذهم وإقامة حكمهم في عموم اليمن ، فقد ركزوا اخيرا على القضاء على سائر الإمارات اليمنية المتناحرة

المتنافرة ، وعلى كل العناصر المناوئة لهم في اليمن ، وبالفعل تم لهم توطيد دعائم حكمهم في معظم انحاء اليمن .

٤ ـ وبحكم توطيد حكمهم في معظم اجزاء اليمن . فإنهم وفروا فيه الاستقرار والأمن والرخاء ، باستثناء مناطق في القسم الأعلى من اليمن ، فإنها ظلت مسرحاً للحروب المستمرة تقريباً بينهم وبين الإمام عبد الله بن حمزة ومن خلفه من الأشراف طيلة حكم بني ايوب في اليمن .

٥ ـ ظلت وحدة الحكام الأيوبيين في اليمن قوية متماسكة كوحدة الحكم فيه ، باستثناء فترة حكم نواب (توران شاه بن أيوب) التي شهدت صراعاً وحروباً قامت فيما بينهم ، حيث طمع كل نائب منهم بالاستقلال بما بنظره ، وطمع بعضهم بضم ولاية غيره من النواب الى ولايته ، وضرب كل نائب السكة باسمه ، وحرم على أهل ولايته التعامل بغيرها ، وظل الحال كذلك حتى قدم الطغتكين بن أيوب مجهزاً من اخيه صلاح الدين أيضاً ، ووضع حداً لذلك الصراع وتلك الفوضى ، وأعاد لحكم بني أيوب في اليمن وحدته واستقراره .

وباستثناء فترة حكم (المعز بن الطغتكين بن أيوب) التي اتسمت بالقلق والاضطراب وخروج الكثير من كبار رجال وقادة جيشه عنه ، والانضمام الى الإمام عبد الله بن حمزة المنافس الكبير والوحيد في عهد المعز للأيوبيين في القسم الأعلى من اليمن ، والذي كان يغريهم بالخروج عن الأيوبيين والانضمام اليه ، ويقلدهم المناصب الكبيرة في حكومته وقد ساعده على استمالة الكثير من قادة الأيوبيين في اليمن ، المسلك السيىء الذي سلكه الملك المعز الأيوبي معهم وحتى ادى نفورهم منه الى قتله كما علمنا .

كما ساعد الإمام على تحول قادة وكبار رجال الدولة الأيوبية في اليمن من الملك المعز الأيوبي اليه أي الإمام ادعاء المعز الخلافة ، وشحه عليهم واكرامه للشعراء ونحوهم .

ولا صحة في نظري لما رواه بعض المؤرخين من انه قد اعتنق المذهب الإسماعيلي ، أو ادعى النبوة ، ذلك انه كان له اعداء كثيرون من الأيوبيين ومن اليمنيين ، ولو كان اسماعيلياً لما هدم (دار العز) في مدينة جبلة ، الأثر الباقي للصليحيين دعاة الفاطمية الإسماعيلية في اليمن ، ولكان قد ابقى عليه احتراماً للمذهب والعقيدة الإسماعيلية اللذين اعتنقهما لو صح ذلك .

وقد ساعد الأيوبيين على بسط نفوذهم في اليمن واقامة حكمهم فيه عوامل عديدة ، منها :

١ ـ تعدد الإمارات اليمنية المتناحرة المتنافرة ، والتي لا يرتبط بعضها ببعض بأي رابط سياسي و عقائدي أو غيرهما .

٢ ـ انهيار الامارات اليمنية معنوياً امام الأيوبيين ، بانهيار اعتى الدول اليمنية تأريخياً ، وهي الدولة الفتية العتيدة دولة آل مهدي قبل غيرها ، والتي انهارت امام ضرباتها اكبر الدول في اليمن آنذاك وهي دولة آل نجاح وخمس وعشرون إمارة وسلطنة اخرى ، كان (آل مهدي) قد قضوا عليها ، ولأن الأيوبيين دحروا الصليبيين من كثير من البلدان الإسلامية ، وحدوا من مطامعهم في البلاد العربية الإسلامية .

٣ ـ انهيار الامارات اليمنية مادياً ، بسبب تفككها وتجزؤ ها امام قوات الأيوبيين الكبيرة من الغز الأتراك ومن الأكراد والمصريين والشاميين وغيرهم ، والمجهزين بأقوى الأسلحة والعتاد في عهدهم ، يساندهم اشراف المخلاف السليماني في أولى حربهم مع اليمنيين ، والتي ركزوا فيها على القضاء على آل مهدي ، ويساند الأيوبيين ايضاً كثير من اليمنيين الذين سئموا التمزق والانقسام والتجزؤ والاضطرابات الداخلية ، وما سببه كل ذلك من حروب مستمرة بين مختلف الزعامات في اليمن متعددي الاتجاهات والنزاعات ، ومختلفي الأغراض والأهواء ، ومتنوعي المطامع والطموحات وقد حاولت العديد من تلك الامارات

والسلطنات اليمنية ان تُجَمِّع نفسها بشكل أو بآخر في وجه الأيوبيين اثناء حربها معهم ، ولكن عمق تجزئها وتفككها الى جانب خيانة بعض الزعماء ومساندتهم للأيوبيين لأغراض سياسية مختلفة حال دون توحيد اليمنيين ، ودون تحقيق الغاية من تلك المحاولات التي لم تُبْنَ على اساس تضامني متين .

أمّا عن الحكم الأيوبي نفسه في اليمن فإنه اتّسم بالقوة والنهضة والعزم ، وحقق الوحدة اليمنية الى حد ما ، كما حقق الأمن والاستقرار بعد توطيده وتقنينه ووضع قواعده ، واقرار منهج الحكم فيه على غرار منهج الحكم الأيوبي في مصر .

وهذا باستثناء القسم الأعلى من اليمن الذي ظلّ مسرحاً للحرب والاضطرابات بين الأيوبيين والاشراف ومن وراءهم من اليمنيين طيلة الحكم الأيوبي في اليمن .

وباستثناء فترة حكم الملك (المعز بن الطغتكين) الأيوبي الذي لم يحسن تعامله مع رجال دولته وكبار قادة جيشه ، وحاربوه وحاربهم وخرجوا عليه ، وانضموا الى خصمه العنيد الإمام عبد الله بن حمزة ، ولم يكتفوا بذلك بل تآمروا عليه وقتلوه خارج زبيد كما علمنا .

الناحية الإجتماعية

لم يغير حكم بني أيوب في اليمن شيئاً من الناحية الإجتماعية ، فالروابط اليمنية ما زالت مبنية على اواصر القرابة والدم حيث كان المجتمع اليمني ما يزال يتكوّن من قبائل تحتفظ بعصبية القبيلة ، وبأعرافها وعاداتها وتقاليدها ، وهذا المجتمع القبلي المحتفظ بقبليته هو في الريف ، وهو امّا بدو رحّل ، أو فلاحون ، والقليل منهم من يمتهن التجارة أو غيرها .

أمّا الأفراد الذين ينتقلون من الريف الى المدينة التي تتعدد فئات مجتمعها ، فإنّ عصبيتهم القبلية تتلاشى على مرّ الأيام ، وتصبح عادات المدينة وتقاليدها هي التي تسود وتستحوذ عليهم ، وتتحكم في سلوكهم .

أمّا كون ذلك المجتمع بشكله العام اقطاعياً أو غير اقطاعي ؟ فإنه ليس لدينا مراجع يمكن الرجوع اليها في هذا الخصوص ، وأغلب الظن انه لا سلوك اقطاعي في اليمن يستغل به المالك المستأجر ، وإن كان يوجد ملاك كبار ولكنهم بالمعنى المفهوم لملاك كبار قلة في المجتمع اليمني ، ومع ذلك فعلاقة المالك بالمستأجر علاقة حسنة ولو على الأقل منذ اعتنق اليمنيون الاسلام ، إذ أنّ المالك لا يأخذ من المستأجر إلا ما يقتضيه العرف وهو ربع الحاصل من الثمرة أو الثلث على الأكثر اذا لم يشارك المالك الأجير في تكاليف الحرث ، أو يقوم بدفع الزكاة عن الأرض التي يؤجرها ، وفي مثل هاتين الحالتين فإنّ المالك لا يأخذ اكثر من نصف الحاصل من الثمرة من الأجير ، كما انه لم يكن في ذلك التاريخ في عهد حكم بني أيوب في اليمن مؤسسات للرعاية الإجتماعية ، لا دولية ، ولا نقابية حتى ولا بشكل جمعيات خيرية ، وعلى نحو ما هو موجود اليوم .

الناحية الاقتصادية

كانت الموارد الثابتة للدولة في ذلك التاريخ وفي عهود كثيرة قاصرة على الزكوات ومن الضرائب المختلفة من التجارة والتعدين والتصنيع المحدودين .

أمّا الدخل القومي فهو كما هو معروف من الزراعة والتجارة ومن مختلف المهن الحرة بالنسبة للقطاع الخاص ، ومن الرواتب بالنسبة للجيش وسائر الموظفين .

وبوجه عام فإنّ الإقتصاد يزدهر عادةً بتوفر الاستقرار السياسي الذي يوفر بالطبع الأمن والرخاء .

الناحية العمرانية

وحيث يزدهر الاقتصاد ، ويتوفر الرخاء والأمن يزدهر العمران كما علمنا . وحيث تظل أي منطقة مسرحاً للحرب كما هو الحال في القسم

الأعلى من اليمن في عهد الأيوبيين والأشراف فإن العمران يركد، بل ويصاب بالدمار والخراب ، كنتيجة حتمية لاختلال الأمن وفقدان الإستقرار . وكم هدمت الحرب مدناً وعواصم كما هو معروف ، بل انّ المدن الكبرى والعواصم والمراكز التجارية هي المعرضة دائماً للخراب والدمار في ظل الاضطرابات والحروب .

الفصل الثالث من فصول تاريخ
حكم الأئمة في اليمن
(٥٨٣ - ٦٣٦ هـ)
(١١٨٥ -١٢٣٩ م)

انتهى الفصل الثاني من الفصول الخاصة بحكم الأئمة في اليمن بالإمام احمد بن سليمان .

ولمّا كان الإمام (عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم) هو الذي دعا بعده وقبل قيام دولة بني رسول التي قامت على انقاض دولة بني أيوب ، فإنه كان تقديم هذا الفصل الثالث من حكم الأئمة الزيدية على فصل دولة بني رسول وكما هو متبع في ترتيب فصول هذا الكتاب .

وساكتفي في الفصل الثالث للأئمة هذا بذكر اهم الحوادث التي انفردوا بها عن الأيوبيين والرسوليين .

أما الأحداث مع هاتين الدولتين والتي كانت قد ذكرت في فصل دولة الأيوبيين وستذكر في فصل دولة بني رسول فإنها لا تذكر هنا إلا بصورة مجملة أو بإشارة عابرة للتذكير بها والتنبيه اليها .

الإمام عبد الله بن حمزة

دعا[1] الإمام عبد الله بن حمزة في الجوف في عام ٥٨٣ هـ ، ثم

(١) ائمة اليمن من ص (١٠٨) و(اليمن في ظل الإسلام) من ص ٢١٥ .

انتقل الى بلاد صعدة ، واستقبله فيها الأميران (يحيى) و(محمد) ابنا يحيي بن أحمد من اولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين مع جماعة قليلة من قبيلة خولان بن عمرو بن عامر بن قضاعة الى حقل صعدة ، وبايعوه ، ثم دخلوا به مدينة صعدة ، ووالاه الكثير من اليمنيين في المنطقة رغبة منهم في التخلص من حكم بني أيوب ، ولكنه لم يتمكن من القيام بتحرك يذكر في سبيل توطيد حكمه إلا منذ جدد دعوته في عام (٥٩٣ هـ) وهو عام وفاة (الطغتكين بن أيوب) الذي قدم الى اليمن بقوة كبيرة من الفرسان والمشاة مجهزاً من أخيه (صلاح الدين بن أيوب) في عام (٥٧٩ هـ) حيث ساعده على التحرك الإيجابي بعد وفاة الطغتكين اضطراب امر الأيوبيين في عهد المعز بن الطغتكين بن أيوب الذي خلف أباه ، وذلك بسبب خروج كبار رجال دولة المعز وقادة جيشه عليه ، وانضمامهم الى الإمام المذكور ، ثم وقوع الملك المعز قتيلاً على ايدي الأكراد من جنده في زبيد كما علمنا في الفصل الخاص بتأريخ الأيوبيين .

ولما استتب الأمر واستقر للأيوبيين في عهد الملك (الناصر أيوب بن المعز) وحتى وفاته، ضعف بالمقابل جانب الإمام عبد الله بن حمزة ، ثم تراجع بعض الشيء في عهد الملك (سليمان بن تقي الدين) الذي خلف الملك الناصر أيوب المذكور ، والذي اتسم عهده بالضعف والاضطراب بسبب اختلافه مع كبار رجال دولته وقادة جيشه ، وبسبب انهماكه في اللهو والنساء .

ولمّا وصل الى اليمن الملك (المسعود الأيوبي) واستقرت الأمور للأيوبيين في اليمن في عهده، ضعف بالمقابل مرة اخرى جانب الإمام عبد الله بن حمزة ، ولكنه مع ذلك ظل في حرب مع الملك المسعود الأيوبي بن الكامل المذكور ، الى وفاته وقيام ولده الأمير عز الدين محمد بن عبد الله بن حمزة في عام ٦١٤ هـ كما سنعلم .

الإمام عبد الله بن حمزة وآل حاتم

والى[٢] السلطان (علي بن حاتم) الإمام عبد الله بن حمزة في بداية عهده حيث بعث اخاه السلطان (بشر بن حاتم) اليه الى هجرة (معين) في بلاد صعدة عقب دعوته الأولى لتأكيد ولائه له .

ويبدو أنّ السلطان علي بن حاتم خلد الى الهدوء والسكينة في مقره بحصن (ذي مرمر) حتى توفي فيه في عام ٥٩٧ هـ ، أمّا اخوه بشر بن حاتم فلم يستقر امره على حال واحدة ، حتى لقد والى السلطان المعز الأيوبي في آخر ايامه ، وكان مقتل المعز كما علمنا من فصل الأيوبيين في عام ٥٩٨ للهجرة .

الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية

حارب[٣] الإمام عبد الله بن حمزة جماعة تعرف بالمطرفية نسبة[٤] إلى زعيمها (مطرف بن شهاب) وذلك في عام ٦١١ هـ ، ورماها بالابتداع ، وأخرب مساجدها في متنزه (سناع) وفي غيره ، وكانت مراكزها الرئيسية في قاع البون من بلاد حاشد ، وفي بني مطر وفي سناع وقتل عدداً كبيراً منهم وشرّد عدداً آخر الى بلاد آنس وغيرها ، كما هدم كثيراً من دورهم وقراهم ، وذكر مؤلفا كتاب (الصليحيون[٥] والحركة الفاطمية في اليمن) أنّ الإمام المذكور عمر مسجداً في ظفار ذي بين وكتب فيه :

(لا يدخلنك ما بقيت مطرفي)

وأنّ احد المطرفية ردّ عليه بقوله :

(٢) ائمة اليمن من ص ١٠٨ و(اليمن في ظل الإسلام) من ص ٢١٥ .
(٣) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٣٥ .
(٤) الإستاذ عبد الله الحبشي في (حياة الأدب اليمني في عهد بني رسول) ص ٥٠ .
(٥) ص ٢٨٩ .

أو مـا علمت بـأنّ كـل مـطرفي عمـا عملت من الكنائس مكتفي
انتم وقبلتكم ومسجـدكـم معـاً كـذبالـة في وسط مصباح طفي

وكان السيد[٦] محمد بن منصور بن المفضل بن الحجاج عبد الله بن يحيى بن احمد الناصر بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين، قد خرج على الإمام عبد الله بن حمزة في عام (٦١٠ هـ) وانضم الى المطرفية ولقب بالمشرقي ، وأنكر على الإمام تكفيره لهم ، وتابعه أهل بلاد مسور حجة وبلاد المغارب من بجير بلاد حجة ايضاً ، وكانت هذه المناطق هي أهم مناطق نفوذ الداعية الأول للفاطميين (الحسن بن حوشب) كما عرفنا .

ولعلّ الدافع لقيام الإمام عبد الله بن حمزة بحرب الفرقة المذكورة هو خروج السيد محمد بن منصور بن المفضل المذكور ومساعدتهم له ودعوته الإمامة لنفسه ، ومعارضته اياه ، وقد جهز الإمام عبد الله لحرب منافسه جيشاً بقيادة اخيه (يحيى بن حمزة) فلم يظفر به .

في حين أنّ حسن[٧] بن محمد المعروف بابن النساخ من آنس ومن المطرفية ايضاً خرج الى بغداد ، وتقدم الى الخليفة العباسي (الناصر احمد) برسالة كبيرة نظماً ونثراً ، يشكو فيها الإمام عبد الله بن حمزة ، ويحرض الخليفة العباسي على تجهيز جيش الى اليمن لحرب الإمام المذكور ، ومن رسالته تلك قوله بعد المقدمة : « وبعد ذلك تحضه على الاستعداد لإطفاء نار تأججت في اليمن ، اذكى وقودها قائم من بني الحسن ، تمالى مع اهل اليمن على نصرته ، وسارعوا الى جمعته وجماعته ، وعقدوا له الألوية والبنود ، واطاعوا أمره كطاعة الملك المعبود ، وحشدوا له الرعية والجنود ، ولقد قدر علينا واستظهر ، فعند ذلك اصدع بما تؤمر ، فقد اعذر من انذر » .

---

(٦) و(٧) ائمة اليمن من ص ١٣٤ . وهو أخو السيد محمد العفيف وزير الامام عبد الله بن حمزة والذي لقب بالوزير وعرف نسله بآل الوزير في اليمن .

الى ان قال : « وقد بلغت دعوته جيلان وديلمان ، وطنجة واصفهان ، فماذا بعد اشتهاره بالقيام تنتظرون ؟ فكأني والله بما آمله فيكم يكون » شعراً :

وتصهل في اكناف دجلة خيله ... وتضرب فوق الشط منها مضاربه
ويمسي قضيب الملك ملكاً لكفه ... وخاتمه في خنصر هو صاحبه
ويدخل بغداداً ويقتل أهلها ... ويفني بسلب الملك من هو سالبه
ويطلع فوق المنبر الأسمر الذي ... خليفتنا للأمر والنهي راكبه
مقالة حق ان ونيتم رأيتمو ... بداركمو ما الكف بالطرس كاتبه
ومن لم يخلف من غائلات عدوه ... فرت نحره انيابه ومخالبه
ومن جعل التفريط والعجز دأبه ... وجانب رأي الحزم اعيت مطالبه
على ملك الإسلام الف تحية ... اذا بلغتها خيله وكتائبه

وقد[٨] حثّ الخليفة العباسي (الناصر احمد بن المستضيء) المذكور الملك الكامل الأيوبي على ان يحفظ اليمن ، وأن لا يتهاون بأمره ، فأرسل الملك الكامل ولده (المسعود) ، والأتابك (فليت) الى اليمن ، ووصلا زبيد ، في عام (٦١٢ هـ) كما علمنا في فصل بني أيوب .

وبعث الإمام[٩] عبد الله بن حمزة بدوره برسالة الى الخليفة العباسي الناصر احمد المذكور يستنكر فيها على الخليفة تهاونه بأمور الدين ، كما عزّز الرسالة بقصيدة جاء منها قوله :

يا أهل بغداد أنّ الله سائلكم ... عن ملة الدين اذ غيرتمو فيها
انتم عيون بني الأيام قاطبة ... في النائبات ولكنّ القذى فيها
قد اشتملتم على عمياء مظلمة ... لا يهتدي بنجوم الحق هاديها
أنّ الخلافة امر هائل خطر ... صعب مسالكها صعب مراقيها
لو كان ما انتمو فيه على سنن ... قام المريض الى المرضى يداويها

---

(٨) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٣٥ .
(٩) لئمة اليمن ص ١٣٩ .

وهي قصيدة طويلة نشرت في المصدر المذكور .

وفاة الإمام عبد الله بن حمزة

وقد توفي الإمام عبد الله بن حمزة في كوكبان عام ٦١٤ هـ عن اثنتين وخمسين سنة من مولده ، ونحو عشرين سنة من دعوته الثانية ، ودُفن في ظفار ذي بين .

وقد كـان الإمام عبد الله بن حمزة من أقوى ائمة الزيدية في اليمن ومن اكثرهم نهضة وعزماً وصبراً وجلداً لولا انه صادف دولة منافسة اقوى منه هي دولة الأيوبيين في اليمن .

الإمام الداعي يحيى بن محفوظ والمحتسب عز الدين بن عبد الله بن حمزة

وقد[11] دعا (يحيى بن محسن بن محفوظ) من اولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين في شهر صفر من عام(٦١٤ هـ) ، وكانت دعوته في بلاد صعدة ولقب بالمعتضد بالله .

كما قام الأمير عز الدين بن عبد الله بن حمزة محتسباً في نفس الشهر من نفس العام ، لأنه لم يستوف الشروط المقررة في المذهب الزيدي للإمامة .

فأمّا الإمام ابن محفوظ فإنه تجول بعد دعوته في بلاد صعدة يدعو القبائل الى مناصرته والإلتفاف حوله .

ثم قصد بمن اجتمع حوله مدينة صعدة ، ولكنه وجد السادة الحمزات وفي مقدمتهم الأمير عز الدين المذكور قد سبقوه اليها وتعذر عليه دخولها ، فانصرف عنها الى بلاد حاشد ، حيث وصل فيها إلى محل يقال له الحموس قبلي بلاد الأهنوم ، وفيه التفّ حوله عدد كبير من قبائل الأهنوم الذين تقدم بهم نحو مدينة صعدة لحرب الحمزات فيها ومحاولة الاستيلاء عليها والانطلاق منها ، لأنها كانت المركز الرئيسي للإمامة ، وقامت حرب بينه وبين الحمزات كانت سجالاً بينهما .

---

(١٠) نفس المصدر ص ١٤٢ .

(١١) زبارة في ائمة اليمن ص ١٤٣ .

ولمّا عرف الإمام ابن محفوظ ضعف جانبه وعدم تمكنه من الاستيلاء على مدينة صعدة انصرف عنها الى بعض بلاد الشام (بلاد صعدة) وخلد الى الدعة والسكون حتى توفي فيها في عام (٦٣٦ هـ) عن اثنتين وثلاثين سنة من دعوته ،وكان[١٢] الإمام ابن محفوظ يردد في بداية دعوته قوله :

انا كنز الله في الأرض وما ... قلت في دعواي هذا كذبا
وأمين الله في الخلق فهل ... بعد هذا ابتغي لي مكسبا
وإذ صدّت معدّ لم نُلَم ... إنْ دعونا للعلى أبنَا سبا
حمير الشم وكهلان الأولى ... كرموا فرعاً وطابوا منصبا

وأمّا[١٣] الأمير المحتسب عز الدين بن عبد الله بن حمزة فقد كانت له حروب مع الأمراء الرسوليين في غيبة الملك المسعود الأيوبي في مصر ، وسجلت الحرب الانتصار للرسوليين ، واصيب الأمير عز الدين مع ذلك برمية اصابت احدى عينيه بالعور ، انتقل بعد تلك الحرب الى مدينة ثلا ومرض فيها ، ثم نقل الى ظفار الظاهر في ذي بين وتوفي فيها عن اثنتين وثلاثين سنة من عمره وعشر سنوات من احتسابه في دعوته ، ودفن الى جانب ضريح والده في ذي بين .

---

(١٢) نفس المصدر ص ١٤٥ .
(١٣) نفس المصدر أيضاً ص ١٤٨

دولة بني رسول
(٦٢٨ - ٨٥٨ هـ)
(١٢٣١ - ١٤٥٥ م)

مر بنا في فصل (بني ايوب) أنّ آخر ملوكهم في اليمن وهو الملك (المسعود يوسف بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن أيوب) لّما غادر اليمن للمرة الثانية والأخيرة الى أبيه الى الشام في عام (٦٣٦ هـ) أناب عنه في اليمن الأمير (نور الدين عمر بن علي رسول) .

وأنّ الملك المسعود الأيوبي المذكور كان قبل ان يغادر اليمن قد قبض على اخوته الأمراء بدر الدين حسن وفخر الدين أبو بكر وشرف الدين موسى ، وأرسلهم مقيدين الى مصر ، وبذلك افسح المجال امام الأمير نور الدين عمر للاستيلاء على حكم اليمن ، يساعده وفاة الملك المسعود في مكة قبل ان يصل الى الشام ، كما ساعده على الاستيلاء على حكم اليمن لنفسه نيابة الملك المسعود له على اليمن فصار يبدل ولاة الحصون والمناطق بمن يثق به ويعتمد عليه ، استعداداً لاستيلائه على الحكم كما سنعلم .

وقد كان يبدل الولاة بحكم نيابته وباسم بني ايوب .

أمّا نسب هؤلاء الأمراء الأربعة فهم ابناء الأمير (علي بن رسول محمد بن هارون بن أبي الفتح بن نوحي بن رستم) ، وكان الأربعة يتسمون بالنبل والشجاعة ، ولا سيما الأمير (بدر الدين حسن) فقد ذكر المؤرخون انه كان لا يقوم به في الحرب عدد ، وكان الأمير شرف الدين موسى يتميز مع ذلك بالأدب ، وهو القائل (يهدد بالاستيلاء على دولة بني ايوب في اليمن) :

نكون حماتها ونذبّ عنها ويأكل فضلها القوم اللئآم
معاذ الله حتى نتقيها عتائق في العجاج لها ابتسام

كما كان الملك المنصور (نور الدين عمر) يتميز ايضاً بحسن السياسة وسداد الرأي ، ولذلك اختصه الملك المسعود الأيوبي دون اخوته بالثقة ، وولاه عدة ولايات ومنها مكة ، وأنابه عنه في كلتا المرتين اللتين غادر اليمن فيهما الى أبيه .

كما شغل اخوته عدة ولايات في عهد الملك المسعود الأيوبي ، وتولى[1] والدهم الأمير (شمس الدين علي بن رسول) في عهد الطغتكين بن أيوب اعمال حيس في تهامة ، ثم اعمال حصن حب في بعدان من أعمال اب الى موته في عهد الناصر بن المعز بن الطغتكين بن أيوب .

وقد[2] كان قدوم الأمير (علي رسول) وأولاده الأربعة مع قدوم (الطغتكين ابن أيوب) وقلده أول ما قلده امارة جيشه في اليمن .

أمّا والده (رسول محمد بن هارون) فقد كان وزيراً للخليفة العباسي المعاصر له ورسوله إلى الملوك بدون رسائل إعتماداً على كماله ولباقته ، وكان يعود من عندهم الى الخليفة العباسي بدون رسائل كذلك ، أي أنه كان يقوم بما يعرف اليوم بنقل الرسائل الشفوية .

وأما اسرة بني رسول عموماً فانهم من التركمان[3] فيما هو معروف ، ولكنهم لكي يُكسبوا حكمهم في اليمن الصفة الوطنية اشاعوا في بداية عهد الملك المظفر (يوسف بن عمر بن علي رسول) ثاني ملوك بني رسول في اليمن انهم من نسل (جبلة ابن الأيهم) آخر ملوك الغساسنة اليمنيين الذين نزحوا من اليمن بعد خراب سد

---

(١) و(٢) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ١٩١ .
(٣) التركمان شعب تركي في بلاد التركستان والقوقاز بآسيا الصغرى أهـ من دائرة معارف القرن العشرين (لمحمد فريد وجدي) المجلد الثاني ص ٩٧٠ .

مأرب ، وأقاموا لهم دولة على مشارف الشام ، وأنّ اسلاف بني رسول نزحوا من الشام الى التركمان ، واختلطوا بقبائلهم وتعلموا لغتهم ، وانقطعت اخبارهم عن العرب حتى نسبوا الى التركمان ،ولا دليل يثبت هذا الإدعاء الذي حاول الملك المظفر ان يـدعمـه في كتابه (طرفة الاصحاب في معرفة الأنساب) ، و لم يُقنع الباحثين .

كما أنّ[٤] أول ملوك دولة المماليك التي خلفت دولة بني أيوب في مصر والشام وهو الملك المملوكي (عز الدين ايبك) هو مملوك تركماني ومن مماليك الوزير (رسول محمد بن هارون) جد بني رسول المذكور .

كما أشاع الملك المنصور (عمر بن علي رسول) انّ الملك المسعود الأيوبي قال له عند مغادرته لليمن : اني قد عزمت على السفر ، وقد جعلتك نائبي على اليمن ، فإن متُّ فأنت أولى بملك اليمن من اخوتي ، لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد ، وان عشتُ فأنتَ على حالك ، ولا تدع احداً من أهلي يدخل اليمن ولو جاء والدي مطوياً في كتاب » .

وقد اشاع الملك المنصور الرسولي ذلك القول ليضفي على حكمه الصفة الشرعية بحكم ان ذلك القول من المسعود يعتبر تنازلاً شرعياً منه للملك المنصور عن حكم اليمن .

وهذه الإشاعة ايضاً لا دليل يدعمها .

بل ومما يؤكد عدم صحتها ما ذكره الخزرجي[٥] في تأريخه مضيفاً الى ذلك القول وهو قول الملك المسعود الأيوبي للأمير نور الدين : « فاذا الح عليك والدي اعلمتني ، حتى اجتمع انا وعمي الأشرف عليه ونحاربه ونشغله » .

لأنه ليس من المعقول ان يحارب الملك المسعود والده لأجل نائبه في اليمن ،

---

(٤) الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ٢٣٦ .

(٥) نفس المصدر (اليمن في ظل الإسلام) استناداً الى العقود اللؤلؤية للخزرجي ص ٢٣٨ .

ووالده هو الذي اسند اليه ولاية اليمن ، ثم امره بأن ينوب عنه فيه وينتقل عنه الى الشام والياً عليه .

كما يؤكد عدم صحة تلك الإشاعة التي اطلقها الأمير نور الدين الرسولي بعد سفر الملك المسعود الأيوبي من اليمن قوله(٦) : « تقف انت نائباً حتى يصلك امر بتسليم البلاد لمن يتعين له ، وتلحقنا بعد ذلك الى الديار المصرية » .

مراحل استيلاء الملك المنصور الرسولي على الحكم في اليمن

يبدو انّ فكرة استيلاء (بني رسول) على الحكم في اليمن من (بني ايوب) بدأت اثناء الغيبة الأولى للملك المسعود الأيوبي عن اليمن في مصر ، والتي دامت من عام (٦٢٠ هـ) الى عام (٦٢٤ هـ) حيث برزوا على مسرح الأحداث في هذه الفترة ، وصمدوا في وجه الثائر على الدولة الأيوبية في اليمن (مرغم الصوفي العنسي) الذي ثار في بلاد يريم ، وكاد ان يتغلب على الموقف ، لولا صمود الأميرين (نور الدين عمر) و(بدر الدين حسن) ابني علي رسول وتشتيت جموعه الغفيرة التي التفّت حوله من بني سيف وبني مسلم من بلاد يريم ومن بلاد عتمة وقبيلة جنب وقبيلة عنس من بلاد ذمار ، وغيرها ، والقضاء على حركته كما عرفنا في نهاية فصل (بني أيوب) .

وبرز بنو رسول ايضاً في دحرهم للأشراف عن صنعاء في وقعة عصر ، وكان في مقدمتهم الأمير عز الدين محمد بن عبد الله بن حمزة كما عرفنا ايضاً في نهاية الفصل المذكور .

وفي البيتين السالف ذكرهما والذين انشأهما الأمير شرف الدين موسى بن علي رسول وهما :

نكون حماتها ونذبّ عنها ويأكل فضلها القوم اللئام
معاذ الله حتى نتقيها عتائق في العجاج لها ابتسام

(٦) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٥٩ استناداً الى السمط الغالي الثمن لبدر الدين محمد بن أحمد بن حاتم .

ما يؤكد وجود فكرة استيلائه واخوته على اليمن من بني أيوب ، ورسوخ الفكرة لديهم وعملهم لتحقيقها .

ولقد(٧) قال بعض عسكر بني أيوب عند سماع البيتين المذكورين: خرجت اليمن من بني أيوب ورب الكعبة .

أما مراحل استيلاء الملك المنصور نور الدين عمر بن علي رسول على الحكم في اليمن فقد بدأها بإرسال وفد الى الملك الكامل الايوبي الى مصر يعزيه بوفاة ابنه الملك المسعود في مكة ، وبعث له مع الوفد بهدية جليلة وباموال وفيرة ، وضمن بذلك ثقة الملك الكامل به ، وتأكيد نيابته على اليمن بمرسوم بعث به الملك الكامل مع رده عليه صحبة الوفد .

ومن(٨) ثمة بدأ يبدل ولاة الحصون والمناطق بمن يثق بهم ويطمئن الى ولائهم . وظل مع ذلك على اتصال دائم بالملك الكامل طيلة عامين كاملين لضمان دوام ثقته به ، وعدم قيامه بارسال نائب بدلاً عنه .

وقد(٩) بدأ بسط نفوذه في تهامة حيث وصل اليها وابدل ولاتها بمن يعتمد عليهم استعداداً لإعلان استقلاله بحكم اليمن وقرّر قواعدها ، ثم عاد الى تعز ، وذلك في عام (٦٢٦ هـ) وهو نفس العام الذي غادر فيه الملك المسعود الأيوبي اليمن للمرة الأخيرة كما عرفنا .

وفيها قرر قواعدها وحاول الاستيلاء على حصن تعز لتغيير علم الدين سنجر الشعبي والي الأيوبيين فيه ، ولكنه امتنع عليه ، فضرب عليه نطاقاً من الحصار .

وغادر تعز الى عدن في بداية عام (٦٢٧ هـ) وبسط نفوذه عليها وولى عليها . ثم عاد الى تعز ، وشدد فيها الحصار على حصنها (القاهرة) ، وتحرك الى صنعاء .

---

(٧) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ١٩١ .
(٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٩٤
(٩) نفس المصدر ص ١٩٣ .

ولمّا علم نائب الدولة الأيوبية عليها الأمير (نجم الدين احمد بن زكريا) بتحرك الملك المنصور من تعز نحو صنعاء ارتفع الى حصن براش للامتناع فيه ، ودخل الملك المنصور صنعاء دون اي مقاومة من حاميتها وولى نور الدين عليها ابن اخيه الأمير (أسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول) .

ثم عاد الى تعز ، واستولى[١٠] فيها على حصنها صلحاً على يد المكين المصري صاحب دواوين الملك المسعود الأيوبي في اليمن ، وكان رجلاً عاقلاً معروفاً بحسن السياسة .

وتزوج في هذا التأريخ بأرملة الملك المسعود ابنة الأتابك سيف الدين المعروفة بابنة جوزة .

وهنا قال الخزرجي مضيفاً : « وكان زمامها (الطواشي نظام الدين محيص) وكان محيص لبيباً عاقلاً كاملاً في خدمة الملوك ، ولمّا انتظم عقد النكاح ولم يبق إلا الدخول استدعى الطواشي محيص وقال له : « أي رأي ترى ؟ فإن هذه امرأة لا أعلم ما في ضميرها ولا ما هي منطوية عليه من حسن أو قبيح من خفيات الأمور » فقال له الطواشي : « قد ادركت ما حرصت عليه ، ولكنني قد خَبَرْتُ ما لم تَخْبُرُ ، فتقدم وادخل عليها على اسم الله ، فلما دخل عليها لم ير إلا خيراً ، ورأى من القبول والإقبال ما لم يكن في ظنه » .

واقام في تعز فترة غادرها بعدها الى صنعاء مرة ثانية ، وفيها شدد الحصار على الأمير نجم الدين احمد بن أبي زكريا في حصن براش وذلك في شهر رمضان من العام المذكور (٦٢٧ هـ) ، وكان امر اعتصام ابن أبي زكريا في حصن براش يشغل باله خشية ان يستمر اعتصامه فيه ، ويلجأ اليه الأشراف الذين لم يكن الأمير نور الدين عمر بن علي رسول قد وضع حداً لنفوذهم ، أو كسبهم الى صفه .

ثم قام[١١] بزيارة آل حاتم في مقرهم بحصن ذي مرمر ، واليه قدم عليه

---

(١٠) نفس المصدر والصفحة .

(١١) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ١٩٤ .

الأشراف بزعامة الأمير (يحيى بن حمزة) أخي الإمام المتوفي (عبد الله بن حمزة) وأولاد الأمير يحيى بن حمزة والأمير شمس الدين احمد بن عبد الله بن حمزة وغيرهم وعقدوا معه صلحاً تبادل(١٢) الجانبان الرهائن لضمان دوامه وعدم الخروج عليه ، فرهن الأمير نور الدين عند آل حاتم عنه ولده الأمير المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول ، كما رهن الأشراف عنهم لدى آل حاتم أيضاً الأمير داود بن عبد الله بن حمزة ، وحثّ الأشراف الأمير نور الدين على الاستيلاء على الحكم في اليمن بدلاً من بني أيوب ، ولم يقم بينه وبينهم أي حرب أو خلاف الى قيام الإمام (احمد بن الحسين في عام (٦٤٦ هـ) باستثناء الخلاف الذي قام بين الأمير نور الدين والأمير يحيى ابن حمزة في بلاد حجة ، وقد سويّ الخلاف كما سنعلم .

وبموجب الصلح الذي عقده الأمير نور الدين مع الأشراف أقرهم واقر آل حاتم على ما بأيدي كل منهم وأكرمهم جميعاً .

ولّما علم(١٣) الأمير نجم الدين احمد بن أبي زكريا المعتصم في حصن براش بأمر تصالح الأمير نور الدين مع الأشراف ومع آل حاتم انهارت معنويته ، وتيقن عدم جدوى اعتصامه في حصن براش ، كما أطمأنّ الى سماحة الأمير نور الدين مع مناوئيه ، فراسله يطلب منه تأمينه حتى يسلم نفسه اليه ، فأمنه الأمير نور الدين واحسن استقباله وإكرامه ، ثم استصحبه الى تعز وزوجه بأخته واعتمد عليه في عدد من الأعمال الهامة .

وحسم بذلك جانباً من جوانب الخلاف الذي يشكل عقبة في طريق اعلانه الاستقلال بحكم اليمن عن بني ايوب .

اعلان المنصور عمر بن علي رسول استقلاله عن الأيوبيين

لّما أكمل الأمير نور الدين عمر بن علي رسول عامين كاملين منذ غادر الملك المسعود الأيوبي اليمن ، وضع الأمير نور الدين خلالهما الأسس اللازمة لإقامة دولة

---

(١٢) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٩٦ .

(١٣) الخزرجي في العسجد ص ١٩٤ .

بني رسول في اليمن خلفاً لبني ايوب اعلن استقلاله بحكم اليمن وكان ذلك في أواخر عام (٦٢٨ هـ) .

وقد اتخذ مدينة تعز عاصمة لدولته وتلقب بالمنصور .

ومع ذلك فلم يضرب السكة باسمه ويأمر بالخطبة له دون الأيوبيين إلا بعد قيامه بغزو مكة في عام (٦٢٩ هـ) .

وقد ساعده على الاستقلال بحكم اليمن عدة عوامل أهمها :

١ ـ نيابة الملك المسعود له على اليمن عند سفره الأخير من اليمن .

٢ ـ وفاة الملك المسعود في مكة عقب سفره من اليمن .

٣ ـ سيطرته على الحصون والمناطق عن طريق الولاة الذين ابدل ولاتها بهم ممن يعتمد عليهم ويطمئن الى ولائهم خلال العامين الأولين من الحكم .

٤ ـ تأمين جبهة اشراف اليمن بالصلح معهم ، عن طريق آل حاتم وكسب بذلك ولاء حاتم له أيضاً ، وحث الأشراف له على الاستيلاء على الحكم في اليمن من بني ايوب .

٥ ـ قيام الملك المسعود قبل مغادرته الأخيرة لليمن بالقبض على اخوة الملك المنصور وارسالهم مقيدين الى مصر ، وازاح بذلك احدى العقبات التي كانت ستعترض طريقه للاستيلاء على الحكم ، أو تحول دون تحقيقه ، وكلهم اكبر منه سناً واكثر خبرة وتجربة بحكم فارق السن .

٦ ـ اضطراب الأمور على الأيوبيين في مصر والشام بسبب انقسامهم فيما بينهم الى فريقين ، فريق يؤ يد الملك الكامل والي مصر ، وفريق يؤ يد ابن اخيه الملك (داود بن المعظم عيسى بن أيوب) الذي خلف أباه على ولاية الشام .

وحتى بعد تغلب الملك الكامل على الملك داود واستيلائه على الشام بعد الاستعانة بالصليبيين واسناد ولايته الى ابنه الملك المسعود الذي توفي قبل وصوله اليها ، فإنه أي الملك الكامل عاد لحرب الصليبيين واشتغل بحروبه معهم عن

اليمن وبذلك لم يتمكن من التجهيز الى اليمن لاستعادة نفوذه فيه .

النزاع القائم بين الملك الكامل الأيوبي والملك المنصور الرسولي حول مكة

لمّا كان الملك المنصور الرسولي يقدِّر ولو من باب الاحتمال انّ الملك الكامل الايوبي لن يترك اليمن تنتزع من مملكته الكبيرة ، وهو الذي استطاع ان يوسعها من مصر الى الشام بما فيها فلسطين والى الحجاز ، فإنه أي المنصور قرر ان يتحدى الكامل بأكثر من استيلائه على الحكم في اليمن ، فانتزع من الأيوبيين حكم مكة والحجاز ، وأكدّ لهم بذلك رسوخ قدمه بحكم اليمن من ناحية ، وجعل الحجاز الخط الأمامي للدفاع عن اليمن في مواجهته للأيوبيين ..من ناحية أخرى ،

ولذلك[١٤] فإنه جهز قوة كبيرة من الفرسان الى مكة عام (٦٢٩ هـ) بقيادة الشريف (راجح بن قتادة) واستولى عليها بعد ان ابتعد عنها (الدغتكين) واليها للأيوبيين الى ينبع .

ولمّا علم الملك الكامل الايوبي بالأمر جهز قوة كبيرة بقيادة (فخر الدين بن شيخ الشيوخ) استطاع ان يستعيد مكة الى نفوذ الأيوبيين ، ولكنه لم يتقدم خطوة واحدة نحو اليمن .

ومن ثمة بدأ صراع طويل بين الأيوبيين والملك المنصور الرسولي حول مكة والحجاز وليس حول اليمن . واستطاع الملك المنصور بذلك ان يحمي اليمن من غزو الأيوبيين .

وأيس الأيوبيون مع ذلك من استعادة حكمهم في اليمن وذلك لإهتمامهم بالحجاز اكثر لأن فيه المقدسات الإسلامية .

ولأنّ في التجهيز الى اليمن صعوبة بسبب وعورة مسالكه ، وارتفاع جباله الشماء التي يعرفونها .

---

(١٤) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٩٤ .

ولأن دولتهم لم تعد من الوحدة والقوة كما كانت في عهد مؤسسها (صلاح الدين) ثم في عهد ولده الملك العادل وقبل انقسام البيت الأيوبي على نفسه .

وبذلك صار الحجاز لا اليمن هو مسرح النزاع والحرب بين الأيوبيين والملك المنصور عمر بن علي رسول .

وصار الملك المنصور يغلب على مكة تارة ، والأيوبيون يغلبون عليها تارة اخرى ، حتى غزاها الملك المنصور بنفسه على رأس جيشه في عام (٦٣٩ هـ) واستولى عليها ولم يغلب عليها بعدها .

وقد[١٥] قضى شهر الصوم في مكة هذا العام ، وأبطل ما كان قائماً بها من المكوس ، وأزال ما كان فيها من المظالم ، وكتب بذلك وثيقة علقها فوق بئر زمزم قبالة الحجر الأسود بالكعبة .

وشرى من الشريف (أبي سعيد) قلعة ينبع التي كان اشراف مكة وولاة الأيوبيين على مكة كثيراً ما يلجأون اليها عند غزوه لمكة ، وأمره بهدمها .

وبنى المدرسة المنصورية في الجانب الغربي من الحرم ، ورباطاً بمكة يأوي اليه المسافرون ، وعمر مسجد التنسيم ، واعاد دار ابي بكر في زقاق الحجر[١٦] الى غير ذلك من الاصلاحات .

ووصل اليه (ابن برطاس) الى مكة مع جنوده للأيوبيين واعلنوا ولاءهم له ورغبتهم في خدمته ، فأنعم عليهم واستخدمهم في جيشه ، ثم عاد الى اليمن بعد ان ولى على مكة كلاً من الأميرين (فخر الدين اياس بن السلاخ) و(فخر الدين فيروز) .

وأرسل من اليمن قناديل الفضة والذهب للكعبة وظل يرسل الكسوة لها من اليمن .

هذا وفي احدى معارك الملك المنصور في مكة مع الأيوبيين وانتصاره فيها

---

(١٥) نفس المصدر ص (٢٠١) .

(١٦) لعل تلك المنشآت الخيرية قد طمست معالمها بتوسيع الحرم وبعوامل الأيام .

هنأه[١٧] الفقيه جمال الدين محمد بن حمير بقصيدة مطلعها :

ما ضرّ جيران نجد حينها بعدوا — لو انهم وجدوا مثل الذي اجد

ومنها :

قضى الحديث عن المنصور ما فعلت — جنوده وعن القوم الذي حشدوا
لقيتهم بجنود لا عديد لها — وهم كذاك جنود ما لها عدد
فزلزل الرعب ايديهم وأرجلهم — حتى السماء رأوها غير ما عهدوا
ولّوا وكان الذي تلقى بهم أسداً — فصار ثعلب قفر ذلك الأسد
ومن يلوم امرأً ان فرّ من أسد — لا ذا كذاك ولا كالثعلب الأسد

انتماء الملك المنصور الى العباسيين

ولّما استقلّ الملك المنصور بحكم اليمن ، وقطع الخطبة وكل صلة له بالايوبيين ، وكان لا بدّ له لإضفاء الصيغة الشرعية على حكمه من الانتماء الى مركز الخلافة الاسلامية في بغداد بدلاً عن الأيوبيين ، فإنه[١٨] بعث الى الخليفة العباسي (المستنصر بن الظاهر) في عام (٦٣١ هـ) وفداً يحمل اليه هدية جليلة ، ويستمدّ منه تكريمه بمرسوم النيابة على الحكم في اليمن .

وقد عاد الوفد من بغداد بجواب من الخليفة وعده فيه بارسال وفد خاص من قبله يحمل اليه مرسوم النيابة وذلك في موسم الحج القادم .

كان الملك المنصور قد استعاد مكة في عام (٦٣٠ هـ) في احدى جولاته مع الأيوبيين عليها ، وقبل ان يحسم امرها في عام (٦٣٩ هـ) كما عرفنا .

كما كان قد ضرب السكة باسمه وقطع الخطبة للأيوبيين في العام المذكور (٦٣٠ هـ) وامر بالخطبة له في المنابر وتلقب بالمنصور .

---

(١٧) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ١٩٨ .
(١٨) نفس المصدر ص ١٩٥ .

وفي موسم الحج لعام (٦٣١ هـ) قام الملك المنصور باداء نسك الحج ، ولاستقبال وفد الخليفة العباسي الذي سيحمل اليه مرسوم النيابة والذي سيقدم مع حاج العراق .

ولكـنّ ركب حجيج العراق لم يصل الى مكة ذلك العام بسبب قطع البدو الطريق عنه .

وفي عام ٦٣٣ هـ وصل الى اليمن وفد الخليفة العباسي يحمل مرسوم النيابة منه للملك المنصور ، الذي صادفه في مدينة الجند .

وفي اجتماع كبير دعا اليه الملك المنصور الى جامع الجند ، صعد رئيس الوفد المنبر وقال[١٩] : « يا نور الدين ان العزيز يقرؤك السلام ويقول : (قد تصدقت عليك باليمن ووليتك إياه) .

ثم دعا الملك المنصور الى المنبر والبسهُ الخلعة الخليفية على المنبر استكمالاً لمراسيم التولية ، وسلمه المرسوم ، وبذلك صار المنصور عمر بن علي رسول يتبع العباسيين مباشرةودون توسط الأيوبيين الذين كانوا بدورهم يتبعون العباسيين .

وقد كان انتماؤ ه الى العباسيين شكلياً كل حظ العباسيين منه ذكر اسم الخليفة في الخطبة قبل اسمه ، ونقش اسمه في العملة ، وهدايا يبعثها اليه بين الفترة والأخرى ، وليس أتاوة سنوية .

قضية الخلاف الوحيد بين الملك المنصور والاشراف

لم يحدث خلاف بين الملك المنصور عمر بن علي رسول والأشراف منذ عقد بينهما الصلح بوساطة آل حاتم وحتى دعوة الإمام احمد بن الحسين في عام (٦٤٦ هـ) إلا حينها[٢٠] قام الأمير (تاج[٢١] الدين محمد بن يحيى بن حمزة) بمحاولة الاستيلاء على حصن كوكبان ، ودون ان يتمكن من ذلك ، بسبب يقظة الحامية التي

---

(١٩) اليمن في ظل الإسلام ص ٢٣٩ .

(٢٠) العسجد المسبوك من ص ١٩٦ .

(٢١) واليه نسب حصن كحلان تاج الدين محمد بن يحيى من بلاد حجة .

كانت تعد عشراً من الخيل المسرجة مع خمسين مقاتلاً على استعداد دائم لحماية الحصن ، وهذه الفِرقة من الحامية هي التي ردّت الأمير تاج الدين على اعقابه ، وتردى بعض عسكره من شواهق الحصن اثناء فرارهم من وجه الحامية المذكورة .

وقد اغضب ذلك الملك المنصور ، واعتبره نقضاً للصلح المنعقد بينه وبين الأشراف وفي مقدمتهم الحمزات آنفو الذكر ، كما أغضبه امتناع الشريف (يحيى ابن حمزة) عن تسليم حصن منابر المطل على تهامة مقابل اعطاء الملك المنصور له حصن عزان وعشرة آلاف دينار ايضاً .

ومن ثمة كتب الملك الى الأمير شمس الدين (احمد بن عبد الله بن حمزة) رسالة مما جاء فيها قول الشاعر :

اذا لم يكن إلا الأسنـة مـركـب فـلا يسع المضـطر إلا ركـوبهـا

ولم يرق للأمير شمس الدين ما فعله اخوه الأمير يحيى بن حمزة وولده الأمير تاج الدين من نقض الصلح مع الملك المنصور ، ولكنه لم يسعه إلا التضامن معهما ضد الملك المنصور .

فأمر الملك ابن اخيه نائبه على صنعاء الأمير اسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول بالخروج من صنعاء على رأس جيشه لمنع الأمير شمس الدين المذكور من القيام بمساندة (يحيى بن حمزة) وولده (تاج الدين) أو تحركهما الى بلاد المخلافة (الشغادرة) من بلاد حجة والى بلاد حجة للدفاع عنها .

وكانت هذه المناطق من اعمال حجة ضمن نفوذ الأشراف اقرهم عليها الملك المنصور بموجب عقد الصلح بين الجانبين بوساطة آل حاتم كما مرَّ بنا .

وقد خرج الأمير اسد الدين على رأس جيش الدولة الرسولية الفتية من صنعاء وعسكر بجنات عمران ، وقامت بينه وبين الأمير شمس الدبن بن عبد الله بن حمزة معركة بموضع يعرف بقارن ، سجل الأمير اسد الدين الانتصار فيها ، وعرفت تلك المعركة بمعركة قارن ، واليوم الذي وقعت فيه بيوم قارن اشاد الشعراء بانتصار

الرسوليين فيه ، وكان رد الفعل لدى الأشراف هو استيلاؤ هم على حصن المحالب المطل على تهامة .

اما الملك المنصور فإنه تقدم على رأس جيش كبير قوامه ستون الف مقاتل بين فارس وراجل نحو بلاد المخلافة وعموم حجة .

قال الخزرجي في تأريخه(٢٢) فخرج السلطان من محروس زبيد وقدم أمامه الأمير نجم الدين احمد بن زكريا ، ولقيه المشايخ بنو بطين وغيرهم ، واستخدم العساكر وأتلف الأموال ، وكانت الأكياس تصبّ بين يديه صباً كما تصب أعدال الطعام وسار نحو حجة والمخلافة في ستين الف رجل ، واستولى على حجة والمخلافة وحصونها في يوم واحد ، اتفاقاً لا يتفق لأحد قبله ولا بعده .

كما(٢٣) استولى الملك المنصور في بلاد حاشد على بلاد البون والخشب ومطرة وكانت مما يقع تحت نفوذ الأشراف بموجب الصلح المنعقد بينهم وبين الملك المنصور بوساطة آل حاتم ايضاً .

وقد هنأ الأديب جمال الدين محمد بن حمير الملك المنصور على انتصاراته التي احرزها في بلاد حجة بقصيدة مطلعها :

هنئت بالنصر لما جئت باللجب ... مضللاً بالردينيات والقضب
ومرحباً بالرسولي المليك وأن ... غاب السماكان والجوزاء لم يغب
غزوت مبين اذ هاجت شقائقها ... وفي الرديني الفاف من العرب
فاليوم ملحاح لا يرغو بها جمل ... والذئب لو نطحته الشاة لم يثب

ولمّا تمّ للملك المنصور اخضاع بلاد حجة اعتذر له الأمير يحيى بن حمزة وأولاده عما اقترفوه من خطأ ، فقبل الملك اعتذارهم واعاد اليهم نفوذهم وحصونهم على بلاد حجة والمخلافة ،وهنا اضاف الخزرجي في تأريخه(٢٤) قائلاً : « وهكذا

---

(٢٢) العسجد المسبوك ص ١٩٧ .
(٢٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٩٧ .
(٢٤) نفس المصدر ص ١٩٨ .

يكون الملوك ، يأخذون قهراً ويعيدون عفواً » .

ثم تجدد الصلح بين الجانبين وكان من وسطائه الأمير فخر الدين جعفر بن أبي هاشم والشيخ حسام الدين حاتم بن علي الجند ، إلا انّ الملك المنصور استثنى من الصلح عدداً قليلاً من الحصون الهامة من بلاد المخلافة المطلة على تهامة لأهميتها ، وكان ذلك هو الثمن الذي دفعه الأشراف بسبب خطائهم الى جانب اثبات الملك المنصور مدى قوته وقدرته على دحر مناوئيه من الأشراف وغيرهم في اليمن .

ولعل ما اعاده الملك للأشراف من المناطق والحصون كان بموجب الصلح المذكور ، وهو ما اشار اليه الخزرجي في المصدر المذكور ، وقد خالفه المؤرخ (ابن حاتم) في تأريخه (السمط[٢٥] الغالي الثمن) فذهب الى ان الملك المنصور انما اعاد للأشراف ما اعاده اليهم من الحصون والمناطق في بلاد المخلافة وغيرها هو مقابل مساندتهم له في حربه للشيخ علوان الجحدري في بلاد المشرق .

وعلى كل فلم يقم الأشراف الحمزات بأي حركة مناوئة للملك المنصور ، بل انهم ساندوه عند دعوة الإمام احمد بن الحسين في عام (٦٤٦ هـ) . حيث امدهم الملك بالأموال والعتاد لحربه .

وكان[٢٦] الإمام المذكور قد دعا في التأريخ المذكور وتمركز في ثلا ، وصادف ان خرج الأمير اسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول نائب الملك المنصور في صنعاء عليه في نفس العام ، لما بلغه من عزمه على عزله ، واضطر خروجه الملك الى التحرك على رأس جيشه من تعز نحو صنعاء ، ولمّا كان في ذمار وصل اليه الأمير اسد الدين معتذراً له عما صدر منه بعد ان امنه الملك .

وواصل الملك المنصور سيره مع الأمير اسد الدين الى صنعاء .

وفيها اكمل استعداده لحرب الإمام احمد بن الحسين .

---

(٢٥) فيما حكاه عنه الدكتور الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ١٠٨ .

(٢٦) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٢٠٣ .

ثم خرج من صنعاء يقود جيشه بنفسه وحط في موضع يعرف بالهدادي تحت كوكبان ، ثم في حوشان بالقرب من ثلا ، وقامت حرب بين الجانبين استمرت وقتاً طويلا ، وكان الأشراف الحمزات الى جانب الملك ضد الإمام ثم الى جانب الأمير اسد الدين الذي قام بمواصلة حرب الإمام بعد عودة الملك الى تعز ، وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٦٤٧هـ) .

ومنذ(٢٧) هذا التأريخ استطاع الملك المنصور ان يبسط نفوذه على معظم انحاء اليمن وحصونه ، ومنها حصن سماه في بلاد عتمة الذي هنأه الشاعر التاج بن العطار المصري بمناسبة استيلائه عليه بقصيدة جاء منها قوله :

ما سماء الدنيا على ابن علي ببعيد فكيف حصن سماوة
ملك يومه لفتح مبين في الأعادي وليله في التلاوة

كما اخضع ساحل حضرموت وولى عليها دون ان يتمكن من اخضاع حضرموت نفسها .

وقد قتل الأمير نجم الدين احمد بن ابي زكريا في حضرموت خلال بعض حروبه مع أهلها .

مقتل الملك المنصور عمر بن علي رسول

حدث(٢٨) مقتل الملك المنصور في داره بمدينة المنصورة أو بمدينة الجند على اختلاف بين المؤرخين ، وذلك من قبل مماليكه الذين كان قد استكثر منهم ، وكان مقتله في عام (٦٤٧ هـ) .

وقد ذهب الخزرجي الى انّ مقتله كان بايعاز من نائبه على صنعاء الأمير اسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول ، لما بلغه من عزم الملك على عزله وابداله بولده المظفر ، وأضاف الخزرجي قائلاً : « فلم ير اسد الدين بعد مقتله يوماً سعيداً ،

(٢٧) العسجد المسبوك ص ١٩٦ .

(٢٨) الدكتور محمد عبد العال في ١١٦ . وقد اختط مدينة المنصورة الطغتكين بن أيوب قبلي مدينة الجند ، وهي اليوم قرية صغيرة محتفظة باسمها .

وتجري المقادير بخلاف التقادير » .

أمّا المؤرخ (ابن عبد المجيد اليماني) في تأريخه[٢٩] فإنه ذهب الى انّ مقتل الملك المنصور عمر بن علي رسول كان عن مؤامرة بين الأخوين اسد الدين وفخر الدين ابو بكر بن حسن بن علي رسول ، مدللاً على ذلك بأن المماليك الذين قتلوه قصدوا الأمير فخر الدين المذكور الى مدينة فشال (الحسينية) في وادي رمع من أعمال تهامة وبايعوه ملكاً ولقبوه بالمعظم ، ثم قصدوا معه مدينة زبيد بهدف الاستيلاء عليها ، فوجدوا أبوابها مغلقة ، فضربوا عليها حصاراً قوياً ، ولكن الدر شمسي أخت الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول التي كانت مع أمها قد ابعدا الى زبيد أخرجت الطواشي بدر الدين من سجنه في زبيد ، وأعطته الأموال الوفيرة لتفريقها في حامية زبيد ، وفي غيرهم من أهل زبيد ، واستطاع الطواشي بمن جمعه من الرجال ان يصمد في وجه الأمير فخر الدين ومن معه من المماليك وأن يحول دون استيلائه عليها .

ثم صرف فخر الدين هذا عن مواصلة حصاره لزبيد انباء تحرك الملك المظفر بجموعه من شمال تهامة نحو زبيد ،حيث كان قد تحرك من مدينة المهجم شمال تهامة الوسطى محل ولايته بجموعه الغفيرة للدفاع عن زبيد أولاً ، يحثه على سرعة مبادرته اليها كتب اخته والطواشي بدر الدين اليه خشية سقوطها بيد فخر الدين .

أمّا الملك المنصور عمر بن علي رسول فإنه بقي على حاله قتيلاً دون ان يجرؤ احد على دفنه ، لأن ابنه المظفر كان بعيداً عنه في المهجم كما عرفنا ، وزوجته ابنة جوزة وولديها الفائز والمفضل ابني الملك المنصور كانوا قد انتقلوا الى قلعة الدملوة في بلاد الصلو من اعمال الحجرية للاعتصام فيها .

ولم يجرؤ على تشييعه الى مثواه في مدرسة الأتابكية بذي هزيم من تعز إلا

---

(٢٩) بهجة الزمن في تأريخ اليمن ، ص ٨٧ .

الأمراء بنو فيروز[٣٠] ، وقد صارت لهم بسبب ذلك حظوة عظيمة عند الملك المظفر وأقطعهم اقطاعات واسعة .

هذا[٣١] وقد وصف الملك المنصور بالسخاء والحزم وسرعة النهضة وحسن السياسة ، وانه كان لا يمل الحرب ولا يبخل بالأموال في سبيلها وفي سبيل السلم حينما يكون أيهما في صالح دولته .

وله منشآت عمرانية خيرية كثيرة مدارس ومساجد ومحاسن اخرى ، ومنها ثلاث مدارس في مدينة زبيد تعرف جميعها بالمنصورية نسبة اليه ، احداها لفقه الشافعية ، والثانية لفقه الحنفية ، والثالثة لحديث رسول الله ﷺ .

وذكر الجندي والخزرجي انه بنى في كل قرية بتهامة مسجداً ، وقد يكون المراد بالقرية الكبيرة كثيفة السكان ، وذلك يدل في الجملة على كثرة منشآته الخيرية ، وكان الملك المنصور يتمذهب بالحنفية ، ثم تحول عنه الى الشافعية ، وحكم مكة سبع سنوات متوالية لم ير أهلها خيراً منها ، اذ كان يبعث اليها في كل عام باموال وفيرة لتوزيعها على أهلها ، واستمر ذلك الى موته حتى كسب أهل مكة الأموال ، وعمروا القصور ، وحلوا نساءهم بالذهب والفضة ، وتظاهروا بالنعم .

وقد قتل الملك المنصور عن حكم دام اكثر من ثمانية عشر عاماً منذ اعلن

---

(٣٠) قال الأهدل (مخطوط) عن بني فيروز « هم قوم اكراد تديروا مدينة اب منذ زمن طويل ، ويغلب عليهم الخير ، وذكر أن المظفر أقطع أبا بكر شمس الدين وأخاه عثمان فخر الدين اقطاعات واسعة ، وأضاف قائلاً : « وقومهم أهل فراسة وشجاعة ، ومنهم جماعة يميلون الى التصوف والعبادة وطريق القرب ، وابتنوا في اب مدارس والغالب على المتأخرين منهم الازدراع » هذا ومن المدارس التي انشأها بنو فيروز في مدينة إب مدرسة الشمسية نسبة الى شمس الدين بن فيروز ، ما تزال قائمة للعبادة ، وفي جهتها القبلية ملتصقاً بها مدرسة لتحفيظ القرآن ما تزال تؤدي وظيفتها الى اليوم ، ولها أوقاف واسعة بنظر الأرشد من الذرية ، أمّا عن مقدم بني فيروز الى اليمن ، فقد ذكر إبن عبد المجيد في تأريخه ص ٨٨ أن الأمير فيروز التحق بالملك المنصور في مكة عند انهزام اسد الدين جفربل قائد قوات الأيوبيين ، كما التحق معه أيضاً ابن برطاس وغيره ، وكانا من امراء الطبلخانة في جيش الملك الكامل الأيوبي ، أي ما يعرف اليوم بامراء الفرقة الموسيقية في الجيش ،

(٣١) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٠٨ .

استقلاله عن الأيوبيين ، وعامين فترة التمهيد للاستيلاء على الحكم منذ غادر اليمن آخر ملك له من الأيوبيين المسعود بن الكامل بن العادل بن أيوب .

وقد قضى الملك المنصور فترة حكمه في اليمن في جهاد متواصل في سبيل اقرار الأوضاع في اليمن ، وتوطيد الحكم فيه لبني رسول ، واستطاع ان يقر الأمن والاستقرار وان يوفر الرخاء في مختلف ربوع اليمن وتأمين حكمه في اليمن بحكم الحجاز ، وهذا باستثناء بعض اجزاء من اليمن في القسم الأعلى منه والذي ظل مسرح حرب بينه وبين الأشراف الحمزات في فترتين وجيزتين من حكمه ، ثم في عهد الإمام (احمد بن الحسين) منذ دعا هذا في عام ٦٤٦ هـ .

الملك المظفر والصعوبات التي واجهته بعد مقتل أبيه

واجهت الملك المظفر (يوسف بن عمر بن علي رسول) بعد مقتل والده صعوبات عديدة أهمها :

١ ـ أنّ مقتل ابيه حدث وهو غائب في المهجم من شمال تهامة الوسطى ، والتي كان والياً عليها في عهد أبيه ، اي انه كان بعيداً عن عاصمة الدولة (تعز) وعن مراكز القوى مدنيين وعسكريين ، والذين لا بد وان يكون فيهم الموالي له فيها فيستعين به ، والمناوىء له فيواجهه عن كثب ، بل لقد كان من الممكن ان تتضاءل امام شخصيته القوية كل الشخصيات المناوئة له في عاصمة الدولة لو كان موجوداً فيها عند مقتل ابيه ، ولما واجه كل تلك الصعوبات .

٢ ـ أنّ بعده في المهجم أو بالأصح ابعاد ابيه له اليها كان عن تأثير زوجة ابيه المعروفة بابنة جوزة والدة أخويه المفضل والفائز ، وكل قادة الجيش وكبار رجال الدولة يعلمون ذلك ، وكل السلطة بعد مقتل والده كانت في يدها الأمر الذي ضاعف من الصعوبات في وجهه امام استيلائه على الحكم .

٣ ـ لم تكتف ابنة جوزة بالتأثير على زوجها الملك (المنصور) في حياته بابعاد المظفر الى المهجم ، وإنما تجاوزت ذلك الى التأثير عليه بابعاد شقيقه المظفر (الدر شمسي) وامهما الى زبيد ، وقد كان وجود الدر شمسي في تعز لو حدث ذلك سيفيد المظفر في عاصمة الدولة ، كما افاده وجودها في زبيد مما علمنا ونعلمه بعد

هذا .

٤ ـ لم تكتف ابنة جوزة المذكورة بابعاد المظفر وشقيقته وامه عن تعز ، وإنما اثرت على الملك المنصور مع ذلك باستحلاف الجيش لأكبر ولديها[٣٢] وهو الأمير المفضل ولياً للعهد ، مع كون المظفر يكبره سناً ، ويفوقه دراية وخبرة بإدارة شؤ ون الدولة .

٥ ـ إن العبيد الذين قتلوا والده الملك المنصور قصدوا مع مجموعة كبيرة ممن لم يشتركوا في القتل الأمير فخر الدين أبا بكر بن حسن بن علي رسول إلى محل ولايته في مدينة (فشال) (الحسينية) في وادي رمع من تهامة وبايعوه ملكاً ، ولقبوه بالمعظم وساروا به نحو زبيد بغية الاستيلاء عليها ، والانطلاق منها الى غيرها في اليمن فيما يحلمون وبذلك شكلوا جبهة من الجبهات العديدة في وجه المظفر ، وقد جسَّم من هذه العقبة ما أُشيع من أنّ الأمير فخر الدين كان شريكاً في مؤ امرة قتل الملك المنصور مع اخيه الأمير اسد نائب صنعاء (محمد بن حسن بن علي رسول) .

٦ ـ أنّ الأمير اسد الدين المذكور كان ما يزال عند مقتل الملك المنصور نائباً في صنعاء ، وهذا يتيح للأمير فخر الدين لو تمكن من الافلات ان ينضم اليه وهو ما كان قد حاوله لولا مبادرة المماليك باعتقاله وايصاله الى المظفر الى زبيد بعد دخولها كما سنعلم ، كما يتيح شغل اسد الدين لنيابة صنعاء عند مقتل الملك المنصور لمناوئي المظفر من داخل الأسرة ومن خارجها من الأشراف وغيرهم الانضمام اليه وتشكيل جبهة في منطقة متصلة بمنطقة نفوذ الإمام (احمد بن الحسين) المتحصن بحصن ثلا ، وهو ما حدث فعلاً ، وإن جاء ذلك متأخراً وبعد استتباب الأمر للمظفر .

٧ ـ إن ابنة جوزة ارملة الملك المنصور كانت قد انتقلت مع ولديها المفضل والفائز من تعز الى قلعة الدملوة ببلاد الصلو وكانت حصينة ومقر ذخائر الملك المنصور ثم ذخائر بني رسول بعده ، وقد شكل ذلك بدوره احدى العقبات في وجه المظفر

---

(٣٢) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر ص (٢١١) .

بل وعقبة كأداء كالطريق الى القلعة المذكورة ، ولكن انتصارات الملك المظفر المتوالية ، والتي كان يتعمد ايصال اخبارها اليها أولاً بأول حطم معنويتها ، وشكل حرباً نفسية لها ، فلم تقم بأي حركة ايجابية مناوئة للمظفر ، أو حتى بدعم نفوذها خارج القلعة التي حبست نفسها وولديها فيها ، حتى استولى المظفر عليها كما سنعلم .

٨ ـ كان الإمام (احمد بن الحسين) ما يزال في بداية دعوته التي قام بها في عام (٦٤٦) للهجرة وفي المراحل الأولى لحركته ، وقد علمنا أنّ الملك المنصور الرسولي عقب دعوة الإمام المذكور ظلّ يحاربه عاماً كاملاً دون ان يخرجه من حصن ثلا المنيع ، ولكن بفضل مساندة اليمنيين له على أساس مبدأ الدين الذي جاء به كما هو عادة الأئمة الزيدية عند دعوتهم وعلى اساس ان الملك المنصور الرسولي دخيل على اليمن ، ومثله الأيوبيون قبله ، وصار الإمام يشكل احدى العقبات أيضاً في وجه المظفر ، فاذا ما انضمّ اليه الأمير اسد الدين أو غيره من كبار قادة جيش المظفر ورجال دولته كانت المشكلة اكثر تعقيداً ، وهو ما حدث فعلاً حينما انضم الأمير اسد الدين الى الإمام بعد خروجه عن الملك المظفر في عام (٦٥٠) للهجرة ، أي بعد قيام المظفر بثلاثة أعوام .

ولكنّ الملك المظفر (يوسف بن عمر بن علي رسول) وبرغم كل تلك الصعوبات قرر بحزم (وهو يؤمن بحقه الشرعي في خلافة ابيه بصفته اكبر اولاده ، واكثر قدرة وكفاءة على الاضطلاع بالمسؤولية من اخويه) ان يمضي في النضال في سبيل التغلب على كل الصعوبات الواحدة بعد الأخرى ، دون ان يتصدى لأكثر من جبهة في وقت واحد ، حتى يصل الى حقه الشرعي ويتربع على عرش الدولة الرسولية في اليمن . فحشد الجموع حوله في مقر اقامته وولايته في المهجم وتقدم نحو زبيد ، تساعده محبة الناس له ، وكان كلما مرّ بقبيلة أو بلد ضمّ الى صفوفه العديد من رجالها .

ولما دنا من مدينة زبيد بجموعه فر الأمير فخر الدين أبو بكر بن حسن بن علي رسول ومن معه من العبيد الذين كانوا محاصرين لـزبيد ودون ان يتمكنـوا من

الاستيلاء عليها ، لأن الدر شمسي شقيقة المظفر كانت قد اخرجت الطواشي بدر الدين من معتقله وأعطته الأموال لتوزيعها على حامية زبيد وعلى أهل زبيد لحفظها وصد فخر الدين والمماليك عنها كما علمنا ، ودخل المظفر زبيد دخول الظافر الفاتح وذلك[٣٣] في غرة ذي الحجة من عام (٦٤٧) للهجرة .

والى زبيد راسله العبيد الذين لم يشتركوا في قتل ابيه يطلبون منه ان يذمهم ويصفح عنهم لانضمامهم الى فخر الدين في محاولته الاستيلاء على زبيد فأذمهم وصفح عنهم واشترط عليهم ان يقبضوا على الأمير فخر الدين ، فدخلوا عليه الى خيمته في البقعة التي كان مع فلوله معسكرين فيها ، وربطوه الى احدى طنب الخيمة ، ثم ساروا به الى الملك المظفر الى زبيد حيث اعتقله فيها ، ثم نقله الى حصن تعز بعد تسلمه ، وقد ظلّ فيه الى ان انضم اليه ابوه وعماه شرف الدين موسى وفخر الدين أبو بكر بعد عودتهم من مصر ، وأخوه اسد الدين المذكور والذين اعتقلهم المظفر على فترات مختلفة كما سنعلم وظلّوا في معتقلهم ذلك الى موتهم جميعاً فيه .

هذا ويختلف (ابن عبد المجيد اليماني) في تأريخه[٣٤] مع الخزرجي في الكيفية التي تمّ بها استسلام المماليك للمظفر وقبضهم على الأمير فخر الدين ، اذ يذكر (ابن عبد المجيد) ان المظفر هو الذي راسل المماليك للولاء له والقبض على فخر الدين قائلاً لهم : « لا تجمعوا علينا بين قتل ابينا وخروج الملك منا » .

ويمكن الجمع بين روايتي المؤرخين المذكورين بأنّ المظفر طلب من المماليك ذلك في بداية حركته وقبل ان يستولي على زبيد و أنّ المماليك عرضوا عليه ما عرضوه بعد استيلائه عليها وظهور قوة جانبه .

ولقد كانت مدينة زبيد هي المنطلق الأول للملك المظفر في الوصول الى الحكم خلفاً لأبيه ، والخطوة الأولى في التغلب على كل العقبات التي اعترضت سبيله ، وكان قد حثه على الإسراع اليها قبل سقوطها بيد الأمير فخر الدين رسائل

---

(٣٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢١٣ .

(٣٤) بهجة الزمن ص ٨٩ .

شقيقته (الدر شمسي) اليه ، وكان أول من اعلن ولاءه للمظفر والي حرض في شمال تهامة ، وتبعه عدد آخر من الولاة ، وجاءته الأموال الوفيرة من مختلف المناطق في اليمن ، وفي زبيد استقبل وفود المهنئين واجزل العطاء للقبائل التهامية التي ساندته حتى استولى على زبيد ، ثم اذن لها بالانصراف .

وقد تبارى الأدباء بالقاء غرر قصائدهم بين يدي المظفر مشيدين بانتصاره ومنهم الأديب (أبو بكر دعاس)[٣٥] الذي انشده قصيدة جاء منها قوله :

إن غاب نور الملك عن افق العلا — فانظر ضياء الشمس قد ملأ الملا
أو كان جفن الدهر اضحى ارمدا — فاليوم اصبح بالمظفر اكحلا
لا تجزع الدنيا لفقد مليكها — رُزئت برضوى فاستعاضت يذبلا
ما كان رب الملك إلا غيهب — عم الورى وافاه صبح فأنجلى

ومنها :

لم ترضَ غيرك يا أبا عمر لها — فاستجلها أنّ العرائس تجتلى
ما زلت معترفاً بنعمة ربها — متضرعاً لقدومها متبتلا
أو ما تراها في زبيد تزدهي — وتميس في حلل المفاخر والجلا
امهرتها وافي الصداق فما لها — كفؤ سواك ولا تريد تبدلا
جاءتك طائعة ولم تهزز لها — رمحاً ولم تشهر عليها منصلا
قل للذي رام التملك جاهلاً — وسعى فضلّ عن الطريق وضللا
ما أنت والمُلْك الذي لا بشره — بادٍ عليك ولست فيه مؤهلا
ارجع الى كأس الطلا ودع العلا — لمهد الأسياف في هام (الطلا)
ولصاحب الجيش الذي سدّ الفضا — وفلا بحد السيف ناصية الفلا
وأعاد ريحك حين هبّت أزيبا — نكبا بريح منه هبّت شمألا
أولى الورى بالملك والده الذي — ما انفك تشتيت المفاخر أولا
هي دولتي وأنا الذي أمّلتها — والله يعطي سؤله من أمّلا

---

(٣٥) الخزرجي في العسجد ص (٢١٣) .

انطلاق الملك المظفر من زبيد ومد نفوذه في مختلف انحاء اليمن

اقام الملك المظفر في مدينة زبيد حوالي الشهرين يقرر قوعد تهامة التي اعلنت كلها ولاءها له ، كما[٣٦] اجتمع اليه الكثير من عسكر الدولة معلنين ولاءهم له ، ثم غادرها الى لحج وعدن واستولى عليهما في شهر[٣٧] صفر من عام (٦٤٨) للهجرة يحثه على[٣٨] الإسراع الى عدن كتاب واليه الذي حذره من استيلاء اخيه (قطب الدين المفضل) عليها وللاستعانة بمواردها .

ثم تابع المظفر بسط نفوذه على بلاد ابين وبلاد المعافر (الحُجرية) واستولى على جميع حصون هذه المنطقة (يُمَين) و(السوا) وغيرهما ، ثم واصل تقدمه نحو عاصمة الدولة الرسولية مدينة (تعز) ودخلها دون اية مقاومة ، ولكن الامير علم الدين سنجر الشعبي امير حصنها (القاهرة) امتنع عليه حتى دبر الحيلة لتسليمه له طواعية ودون حصار للحصن أو حرب ، وقد كان[٣٩] وصول الملك المظفر تعز في شهر ربيع الأول من العام المذكور (٦٤٨ للهجرة) وفي نفس العام تسلم الملك المظفر حصني (حب) في بلاد بعدان و(خدد) في بلاد حبيش طواعية ودون قتال ، وبذلك يكون المظفر قد مدّ نفوذه الى اهم حصون المنطقة الوسطى في مخلاف جعفر من لواء اب .

ولم يبق امامه إلا الاستيلاء على صنعاء التي كان متمركزاً فيها نائبها للدولة الرسولية الأمير اسد الدين (محمد بن حسن بن علي رسول) والاستيلاء على قلعة الدملوة التي امتنعت فيها (ابنة جوزة) زوجة ابيه مع ولديها (المفضل والفائز) ، ولذلك فقد ركز اهتمامه وكرّس جهوده لهذين الغرضين كما سنعلم .

---

(٣٦) نفس المصدر ص ٢١٤ .

(٣٧) نفس المصدر والصفحة .

(٣٨) بنو رسول وبنو طاهر ص ١٢٢ .

(٣٩) الخزرجي في العسجد ص ٢١٥ .

وقد[٤٠]حفزه اكثر على الاستيلاء على صنعاء قيام الإمام احمد بن الحسين والأمير شمس الدين احمد بن الإمام عبد الله بن حمزة بالاستيلاء عليها ، واضطرار الأمير اسد الدين الى الانسحاب منها الى حصن (براش) خارج صنعاء ، يحثه على سرعة تحركه الى صنعاء خبر تجهيز الإمام احمد بن الحسين للأمير اسد الدين على رأس جيش كبير لحرب المظفر ، وفعلاً تقدم اسد الدين بجيش الإمام نحو اليمن الأسفل حتى وصل الى بلاد الشوافي في بلاد اب ، وتقدم الملك بدوره على رأس جيشه ، وقبل ان يصطدم الجيشان تدخل بعض امراء آل حاتم في الصلح بين اسد الدين والمظفر والتقيا ، وترجل اسد الدين للملك ، وأنعم الملك عليه . وأضاف الخزرجي قائلاً : « وسار الأمير اسد الدين قدامه ، وحمل الغاشية بين يديه حتى دخل على الخوان ، فلمّا بلغوا المرتبة قال السلطان للأمير اسد الدين : « بسم الله يا امير (اي اقعد على المرتبة متهكماً) فقال اسد الدين : حاشاك يا مولانا هذا موضعك وموضع ابيك ، وهذا موضعي وموضع ابي » . وانعم الملك على اسد الدين حتى قال هذا : (ليت شعري هل ابقى مولانا السلطان في خزائنه شيئاً ؟) .

ثم[٤١]جهزه الملك على رأس جيشه لاستعادة صنعاء من الإمام ، ولم ينجح الإمام في صد عسكر الملك عن طلوع النقيل (نقيل صيد (سمارة) أو نقيل (يسلح) . وواصل اسد الدين تقدمه واستولى على صنعاء بعد ان انسحب الإمام منها الى منتزه سناع ، وبعد ان هدم داري الأميرين اسد الدين وفخر الدين ابني حسن بن علي رسول فيها ، وكان الإمام قد ترك في صنعاء بعد انسحابه منها حامية بقيادة الشريفين الحسن بن وهاس الحمزي واخيه ، وقدقبض عليهما اسد الدين واعتقلهما في حصن براش .

ثم وصل المظفر الى صنعاء في شهر ذي الحجةمن العام المذكور (٦٤٨ هـ) ، وغادرها عائداً في المحرم من عام (٦٤٩ هـ) واستولى في طريق عودته

---

(٤٠) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر ص ٢١٦ .

(٤١) نفس المصدر والصفحة .

الى تعز على جبل التعكر الشهير

وبذلك يكون الملك المظفر قد انجز بنجاح احدى المهمتين الهامتين والرئيسيتين في دولته وهي مد نفوذه الى صنعاء ، واعاد في نفس الوقت ابن عمه اسد الدين الى طاعته ، ليتفرغ لإحكام سيطرته على المناطق التي لم يكن قد بسط نفوذه عليها ، ويشغل اسد الدين مع ذلك في حربه مع الإمام .

القبض على الأميرين بدر الدين وفخر الدين القادمين من مصر

كانت دولة الأيوبيين في مصر عام (٦٤٩ هـ) قد سقطت بأيدي المماليك ، وبسبب ذلك تمكن عما الملك المظفر الاميران بدر الدين حسن وفخر الدين أبو بكر ابنا علي رسول من الإفلات من السجن الذي كانا فيه مع اخيهم شرف الدين موسى بن علي الذي توفي في سجنه ،وذلك منذ قبض عليهم الملك المسعود الأيوبي آخر ملوك بني رسول في اليمن عام (٦٢٤ هـ) وأرسلهم الى مصر مقيدين لاعتقالهم فيه .

أو أنّ الاميرين بدر الدين حسن وفخر الدين ابا بكر افرج عنهما ، ووصلا[٤٢] الى اليمن في آخر المحرم من عام (٦٤٩ هـ) . ولما علم الملك المظفر بوصولهما عقد صلحاً مع الإمام احمد بن الحسين ليأمن جانبه ويقوم بتنفيذ خطته في القبض على الأميرين المذكورين ، والذي ربما يؤدي الى خروج الامير اسد الدين بن حسن بن علي رسول نائب صنعاء عليه ، استياء للقبض على ابيه وعمه .

ثم امر الملك المظفر كل امراء المناطق التي سيمرّ بها الأميران القادمان في تهامة بحسن استقبالهما .

ولمّا وصلا زبيد تحرك الملك من تعز لاستقبالهما وتنفيذ خطة القبض عليهما ، والتقى بهما في حيس ، وأحسن لقاءهما ، وترجل كل للآخر ، ودخلا حيس حيث انزلهما منزلاً قريباً من الدار التي نزل فيها ، ولمّا اخذ الأميران

---

(٤٢) نفس المصدر

راحتهما فاجأهما المظفر بعدد من مماليكه وخدمه والقوا القبض عليهما وساروا بهما الى دار الأدب في حصن تعز (القاهرة) حيث انضما الى الأمير (فخر الدين أبي بكر بن حسن بن علي رسول) ولمّا دخل الأمير بدر الدين الحصن المذكور قال : (قبحك الله من قلعة دخلناك مقيدين وخرجنا منك مقيدين) .

وأنشد قول الشاعر :

أقول كما يقول حمار سوء ... وقد ساموه حملاً لا يطيق
سأصبر والأمور لها اتساع ... كما أنّ الأمور لها مضيق
فإما أن اموت أو المكاري ... وإمّا تنقضي عني الطريق

وقد اشار الأمير بدر الدين بقوله : « خرجنا منك مقيدين » الى حادث اعتقال الملك المسعود الأيوبي له ولأخويه فيها ، وارسالهم منها الى مصر مقيدين كما مرّ بنا .

انتهاء الملك المظفر الى الخليفة العباسي

وفي(٤٣) نفس العام (٦٤٩) للهجرة ارسل الملك المظفر مبعوثاً الى الخليفة العباسي ببغداد وكان مبعوثه اليه هو (المجد بن أبي القاسم) أو الأمير (عز الدين جعفر بن أبي الفهم) بهدية جليلة ، واستمدّ منه مرسوم النيابة على اليمن ليضفي على حكمه الصفة الشرعية ، وكما كان عليه أبوه الملك المنصور (عمر بن علي رسول) ، وقد استقبل الخليفة المبعوث بالاعزاز وبعث معه بمرسوم النيابة وخلعة خليفية وجائزة قدرها أربعون الف دينار ، وكتب الى الملك المظفر يحثه على القضاء على وجود الإمام احمد بن الحسين وعلى نفوذه في اليمن ، وقد قرأ المبعوث رسالة الخليفة العباسي على المظفر ومرسوم النيابة والبسه الخلعة وسلم اليه جائزة الخليفة ، وكان الخليفة آنذاك هو المستعصم آخر خلفاء بني العباس الذي غزا التتر بغداد في عهده وقضوا عليه وعلى دولة

(٤٣) الخزرجي في العسجد ص ٢١٩ .

العباسيين ، وطمسوا كثيراً من معالم الاسلام ومزقوا المصاحف وعاثوا وافسدوا كما هو معروف في التأريخ الاسلامي .

خروج الامير اسد الدين على الملك المظفر

أثار اعتقال المظفر للأميرين حسن وأبي بكر ابني علي رسول عقب وصولهما من مصر حفيظة الأمير اسد الدين بن حسن بن علي رسول نائب الدولة الرسولية في صنعاء ، فتحين الفرصة لخروجه على المظفر حتى عام (٦٥٠ هـ) حيث عقد[٤٤] صلحاً مع الإمام احمد بن الحسين ، ولتأكيد ولائه للإمام طلب منه ان يجهزه لحرب المظفر ، فجهزه مع الشريف هبة بن المفضل العلوي على رأس جيش لحرب المظفر وتقدم جيش الإمام الى بلاد ذمار بينما جهز الملك المظفر جيشاً كبيراً بقيادة الطواشي تاج الدين والأمير شمس الدين علي بن يحيى القاضي ، ولكنّ هذين القائدين اختلفا مما أوجب عودة الأمير شمس الدين الى الملك المظفر ، وقاد الجيش جميعه الطواشي تاج الدين وكانت له الغلبة على جيش الإمام ، الأمر الذي حمل قائدي جيشه الأمير اسد الدين والشريف هبة بن الفضل ان يبعثا الى الإمام يحثانه على مواصلة امداداته العسكرية الى ذمار ، فأمدهما الإمام بقبائل كثيرة من بني شهاب وسنحان وغيرهم حتى قال الخزرجي : «إن الإمام احمد بن الحسين تابع الإمداد اليهم حتى انه لم يبق احد من القبائل الا صدره اليهم » .

وبذلك رجحت كفة الإمام ، وأخذت الحمية الأمير اسد الدين لابن عمه المظفر بسبب ذلك وبالرغم من خروجه عليه وحربه له في صف الإمام ، ونصح اسد الدين قائد جيش المظفر (الطواشي تاج الدين) المذكور بالانسحاب الى المظفر ، وحث المظفر على التحرك بنفسه على رأس قواته ، ليحسم الحرب بينه وبين الإمام ، فانسحب الطواشي تاج الدين ، ومع ذلك فإنّ الأمير اسد الدين عاد الى حصن براش الذي كان معتصماً فيه ، ثم باعه للإمام بمائتي الف دينار ذهباً ، وحدث انّ الإمام لم يسدد له كامل المبلغ ،

---

(٤٤) نفس المصدر ص ٢٢٠ .

الأمر الذي افسد ما بينه وبين الإمام علناً .

ولمّا وجد اسد الدين نفسه على خلاف مع الملك المظفر ومع الإمام احمد ابن الحسين انسحب مع ثلة من عسكره الى الشيخ علوان الجحدري صاحب المشرق ، حيث احسن هذا استقباله ومن معه ثم سعى للصلح بينه وبين المظفر الذي اعاده الى نيابته على صنعاء وأمره بالتحرك لاستعادتها واستعادها فعلاً ، وقد انشأ الجحدري بمناسبة لجوء اسد الدين بـه ثم غزو المظفر لبلاده بسبب ايوائه لاسد الدين وبعد ان تمكن الجحدري من ملاطفة المظفر قصيدة منها :

سلام على الدار التي في عراصها ... معاهد قوم لا يذم لها عهد
أناخوا علينا نازلين وفيهمو ... طوال القنا والمشرفية والجرد
ليوث الشرا خاضوا البلاد فذللوا ... تهائمها فارتاع من خوفهم نجد
رموا مطلع الشمس احتساباً لأنفس ... امانيها موت على العز أو حمد
الى ان سرى البرق اليماني لامعاً ... بدملوة الغر التي ما لها ند
فزموا له بزل الركاب على الوجا ... وقادوا اليها الخيل من فوقها البرد
يقودهمو الملك الذي في يمينه ... عوارف منهن المنية والرفد
يحف به القوم الذين سيوفهم ... عقائق حمّو لا يلائمها غمد
رأوا مورداً عذباً فلمّا دنوا له ... وقد اشرعوا قلن المقادير لا ورد
وجاش عليهم للمظفر عارض ... له البيض برق والطبول له رعد
همام ابى ان يسلم الملك فأنبرى ... وحوليه ارباب الزعامة والجند
يسوقهمو سوق السحاب يحثها ... نسيم الصبا حتى الم بنا الوفد
اكارم كانوا لي عدواً فأصبحوا ... ينادون ياعلوان قد ذهب الحقد
فقلت لهم في فرع تيهاء فانزلوا ... ألا مرحباً هذا السموأل والفرد
مددت لهم ظل العروسين دانيا ... بسطت لهم أيدي الرجاء الذي مدوا
فشكراً لمن ادنى ركاب محمد ... إليَّ وأهداه الى الفلك السعد
واصبح ارباب الزعامة حولنا ... وما رابني منها الوعيد ولا الوعد
ملوك دنا بعض لبعض فأصبحت ... كتائب عزمي وهي بينهمو اسد
واسد الى اسد تدانت فصدها ... على حنق ما بينها الأسد الورد

فمن لفخار العرب مثلي ومن لها كمثل مقامي في المكارم أن عدوا
فحسبي اني الغر من آل يعرب وأني لمن يأوي الى كنفي عبد

هذا[٤٥] وقد وصل الملك المظفر الى صنعاء في شهر رجب من عام (٦٥١ هـ) ، فانسحب الإمام احمد بن الحسين من منتزه سناع حيث كان نازلاً فيه ، وقام المظفر بهدمه وهدم عدد من مبانيه ، ثم عاد الى تعز وتسلم وهو في طريقه اليها حصن (ذروان) لآل الجنبي في بلاد ذمار .

استيلاء الملك المظفر على قلعة الدملوة

كانت مهمة استيلاء الملك المظفر على قلعة الدملوة في (بلاد الصلو) من أعمال الحجرية (تعز) هي المهمة الرئيسية الثانية في تأريخ دولته ، أمّا المهمة الأولى فكانت استيلاءه على صنعاء وقد تمّ له ذلك بعد اخراج الإمام احمد بن الحسين منها .

وكانت المهمة الثانية توازي مهمة استيلائه على العاصمة صنعاء لأنّ ابنة جوزة زوجة ابيه وولديها اخويه قطب الدين المفضل والفائز كانوا قد اعتصموا فيها ، وكانت القلعة مقرّ ذخائر الملك المنصور الرسولي ، فهي تشكل بامتناعهم فيها عقبة لا تقل صعوبة عن الطريق اليها ، لأنّ قطب الدين كان قد اسند اليه والده ولاية العهد بتأثير والدته زوجة الملك المنصور ، وفي القلعة الأسلحة والأموال والذخائر .

ولقد[٤٦] بدأ الملك المظفر في محاولته الاستيلاء على القلعة المذكورة بضرب حصار قوي عليها دام اشهراً ، ادرك هو أثناءه استحالة الاستيلاء عليها بالقوة ، وتضرر اخواه وامهما في نفس الوقت من شدة وطأة الحصار . وادى كل ذلك الى استعداد كلا الجانبين الى قبول صلح يرضيهما معاً .

ولذلك فقد ابدى الأمير المفضل لأمه فكرة التفاوض مع المظفر ، وقبلت

---

(٤٥) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٢٣ .
(٤٦) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (بنو رسول وبنو طاهر) ص (١٢٦ .

امه الفكرة ، ولكنها اصرت على قيامها بالتفاوض مع الملك ، وطلبت منه رهائن لضمان عودتها الى القلعة بعد التفاوض ، فرحب الملك بالفكرة وبارسال الرهائن ليتمكن بهم من استمالة الفرسان الأربعمائة الذين كانوا مع الأميرين وامهما في القلعة ، وكتب لهم مع ذلك مرغباً ومرهباً ، وارسل الى القلعة الرهائن التي طلبتها ابنة جوزة والدة الأميرين المذكورين (المفضل) و(الفائز) ، والتي تتكون من ولده الأشرف (عمر) واخته (الدر شمسي) والطواشي (ياقوت) .

وكان الصلح[48] الذي تمّ بين ابنة جوزة والمظفر عند خروجها من القلعة للتفاوض معه يقضي بأن يقطع المظفر الأمير المفضل اعمال بلاد أبين ، والأمير الفائز اعمال موزع وحيس ، وأن لا ينالهما مكروه ، وأن تعود ابنة جوزة الى القلعة آمنة ، ووفى لهم المظفر بذلك ، وانتقل الأميران الى اقطاعهما ، وعادت ابنة جوزة الى القلعة ، ولكن الطواشي ياقوت والأميرة الدر شمسي اخت الملك المظفر كانا قد استمالا حامية القلعة اليه ، ولمّا أطمأنّ الطواشي ياقوت الى ولاء الحامية والفرسان الذين كانوا في القلعة أشاع في[49] القلعة بأن بقرة في مدينة الجوّة الكائنة تحت القلعة ولدت عجلاً برأسين ، فنزلت ابنة جوزة لرؤ يته .

وبذلك وجد الطواشي ياقوت وشقيقة المظفر الفرصة سانحة للاستيلاء على القلعة ، واشعلا في قمتها[50] النار لاشعار الملك المظفر الذي كان في حصن حب أو في حصن التعكر بذلك ، وأسرع المظفر من فوره مع كوكبة من فرسانه الأشداء الى القلعة قبل ان تعود ابنة جوزة اليها ، وتمّ له الاستيلاء عليها ، ولم يسمح لابنة جوزة ولا لولدها المفضل في الصعود اليها ، أمّا الفائز

---

(٤٧) الخزرجي في العسجد المسبوك انف الذكر ص ٢٢١ .

(٤٨) الدكتور محمد عبد العال في (بنو رسول وبنو طاهر) ص ١٢٦ .

(٤٩) ابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ٦٠ . والعسجد المسبوك . ص ٢٢١ .

(٥٠) الخزرجي في العسجد المسبوك أيضاً الصفحة المذكورة ٢٢١ .

فإنه كان قد عاد اليها ، ولكنه ظل خارج ابوابها ، ولم تفتح له حاميتها الأبواب لدخولها إلا عند وصول الملك المظفر اليها .

وكان[٥١] استيلاء المظفر على القلعة المذكورة في التاسع عشر من شهر ذي القعدة من عام (٦٥٠ هـ) أي بعد تولي المظفر الحكم بثلاث سنوات .

وبذلك انهى الملك المظفر امراً ظلّ شغله الشاغل منذ تحمله اعباء الحكم بعد مقتل ابيه .

مقتل الإمام احمد بن الحسين

اضطربت الأمور على الإمام احمد بن الحسين في القسم الأعلى من اليمن طيلة السنوات الخمس الأخيرة من عهده، وذلك منذ عام (٦٥١ هـ) .

وقد[٥٢] بدأت الأحداث التي قامت بينه وبين معارضيه وأدت الى مقتله بخروج كثير من شيعته وأتباعه وفي مقدمتهم الشيخ احمد بن محمد الرصاص وعابوا عليه اموراً كثيرة .

تطور الخلاف الى قيام حرب بين الجانبين ، انضم اليهم ضد الإمام احمد ابن الحسين الأشراف الحمزات وفي مقدمتهم الأمير شمس الدين بن عبد الله بن حمزة ، وساند الخارجين على الإمام ايضاً الملك المظفر عن طريق نائبه على صنعاء الامير اسد الدين بن حسن بن علي رسول ، وأدت بعض معاركها الى وقوع الحسن بن وهاس احد كبار قادة جيش الإمام في الأسر ، وكانت بلاد صعدة وبلاد الجوف مسرح تلك الحرب .

إلا انه تمكن بعد فترة من التخلص من الأسر والعودة الى الإمام الذي انتدبه لمناظرة الخارجين عليه بناء على طلبهم ، مخالفاً رأي بعض اتباعه خشية ان ينحاز الحسن بن وهاس الحمزي الى ابناء عمومته الحمزات ، وهو ما حدث فعلاً .

---

(٥١) ابن عبد المجيد في تاريخه (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) ص ٦١ .

(٥٢) الخزرجي في العسجد من ص ٢٢٤ .

ثم قامت الحرب بين الإمام احمد بن الحسين والخارجين عليه مرة أخرى في بلاد الظاهر وفي بلاد البون من بلاد خاشد ثم في الأهجر من بلاد كوكبان ، ثم انتقلت الحرب الى بلاد شوابة من بلاد سفيان .

وفي هذه المنطقة تخلى عن الإمام احمد بن الحسين عسكره ، وقتل هو واحتزّ رأسه وطيف به في عدة اماكن ، وذلك في عام (٦٥٦ هـ) .

ولقد كان الإمام احمد بن الحسين من ابرز الأئمة الزيدية وانهضهم وأقواهم .

وقد زار(٥٣) الأمير شمس الدين احمد بن عبد الله بن حمزة الملك المظفر لتقديم شكره وشكر الحمزات له على مساندتهم في حربهم للإمام احمد بن الحسين ، وكان المظفر يومئذٍ في زبيد ، واستقبله المظفر ومن معه بحفاوة وإجلال ، واكرمهم بما لم يسمع بمثله ، وانشأ الأمير عز الدين بن بشر بن حاتم على لسان الأمير شمس الدين قصيدة كانت قد ارسلت الى الملك المظفر قبل زيارة الوفد الحمزي له شكره فيها أيضاً على مساندة الملك للحمزات ضد الإمام مطلعها :

سلام مشوق وده ما تصرما ... يزورك من نجد وإن كنت متهما
سلام كنشر الروض باكره الحيا ... فأضحى انيقاً مشرقاً متبسما
يخصك من قرب وان كنت نائيا ... ويهدي تحياتي فرادى وتوأما
فيا أيها الملك المظفر والذي ... حمى قصبات السبق ان تتهدما
ملكت فلم تفخر ونلت فلم تطل ... وجدت فلم تترك على الأرض معدما
وصلت فلم تترك عليها معانداً ... ولو انه يرقى إلى الجو سلما

ومنها :

اليك ابا المنصور أهديك احرفا ... ابثك اخباراً وان كنت اعلما

(٥٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر من ص ٢٢٧ .

وإني بما أوليتني من صنائع — لأستنجد الأخبار كي أشفي الظما
واستنهض العزم السعيد فطالما — حللت به عقداً من الهم مبهما
لآخذ ثأراً أو لأكبت حاسداً — وأقضي لبانات النفوس وانعما
فشمر لشيد المجد اذ انت أهله — وتمم على اسم الله تدع متمما
فلم يبق في الأقوام إلا حثالة — تهب بها ريح الصبا ان تبسما
نهضت بجيش منك يطمو عبابه — فضيق به ريح الفضا حين يمما
يجوب بقاع الأرض شرقاً ومغرباً — ويطوي رباها محرماً بعد محرما
ويغشى لظى الحرب العوان كأنه — طنين ذباب عنده ان ترنما
نزلنا بوادي الجوف نرعى جميله — ونذكر عهداً كان فيه تقدما
فلما قضينا نحوه كل حاجة — وجبنا المراشي وهو ما كان محرما
صعدن بنا اعمال صعدة سجنا — تباري كأمثال السرى حين يسهما
ولاحت من الاقطار اعمال يوسف — كأن شعاع الشمس كان تبسما
وصاحت طيور السعد من كل وجهة — تبادر بالارحاب ان كنّ وجما
فلا ملك إلا وأرخى قياده — ولا قائم إلا تولى وأحجما
ولا حي إلا استيقظوا بعد هجعة — وكانوا سكارى قبل ذاك ونوّما
ولله در الأريحي محمد — شقيقك محمود الثنا مانع الحمى
فوالله ما جشمته لملمة — على مثل حد السيف إلا تبسما
ولا قلت مهلاً يا خليلي وقد بدا — به الشر إلاّ كفَّ ثم تبسما
فيا ابن الكرام الغر من آل جفنة — غدا مجدهم فوق السماك مخيما
لأنت صفي الود اذ انت أهله — ولا ارتضى إلاك ركنا ومغنما

كما القى الأمير شمس الدين بن عبد الله بن حمزة بين يدي الملك المظفر في زبيد اثر قدومه اليه في زيارته المذكورة القصيدة التي جاء في مطلعها :

لعلّ الليالي الماضيات تعود — فتبدو نجوم الدهر وهي سعود
عفا منزل ما بين نعمان واللوى — وجرت بها للراسيات برود
وكانت به العين الغواني اوانسا — فأضحت به العين الوحوش برود

ومنها :

فيــا دارنــا بــين العيينــة والحمى | هل الروض روض والـزرود زرود
فكيف بمن أمسى ظفــار[٥٤] محله | ومن بـات قـد حـالت عليـه زبيـد
هــواي بـنجـد والمنى بتــهــامــة | مـتى تلتـقي بـالمتهـمـين نجـود
وإنّ فتى دامت مــواثيق عهـده | عـلى مثـل مـا لاقيتـه لجليـد
ولّمـا سرى البـرق الشآمي هـاج لي | جوى واشتيـاق ليس فيـه مـزيـد
فهل لجنوب الريح ان تلثم الثرى | بـنشــر تحيـات لهـنّ صـعـود
عـلى أربع بـين الصعيـد وصعـدة | وبـين بـراش لي بهـن مـقـود
مشـاعز حـج الطالبـين فـلا الأذى | قـريب ولا الحـج الـرجـاء بعيـد
كـرفن فلا يخشى الغـوائل عنـدها | منيب ولا يخشى الهـوان طـريـد

ومنها :

ولّمـا صبـرنـا ظنت النـاس اننـا | عـلى كـل خسف سـادرون هجـود
فـما سنّ فينـا النـاس إلا ظـلامـة | كـما سنّ في قتـل الحسـين يـزيـد
لقـد جحدتنـا النـاس كـل فضيلة | كـأنّـا نـصـارى مـلة ويهـود
ولّما قصدت الملك ذا التـاج يوسفـا | عـلمـت بـأنّ الهـم لـيس يـعـود
دعـوت فـلبـاني فـتى لا مـربـد | مـلول ولا واهي الـيـدين بـليـد
وما لي لا أزجي الركـاب الى ذرى | به الشهب شهب والصعيد صعيد
والقيـت كفـي في انـامـل لم تخن | عـهـوداً ولم تخلـف لهـن وعـود
ومن كـأبي حفص بدون الـذي دعا | لـه الحميـري الملك وهـو فـريـد
اعــاد اليـه ملك غمــدان وابتنى | مكـارم في الـدنيـا لهـنّ خـلود
مكــارم سنتهــا المـلوك ويـوسف | لآثـار مـا سنّ المـلوك يـشيـد
فسـوحـك مقصـود وكفـك قـاهـر | وجـدك منصـور وأنـت حميـد
صبرت على حمـل العظائم فـانتهى | اليـك العـلى انّ الصبـور سعيـد

(٥٤) يعني بظفار هنا مقره الرئيسي بعد والده (ظفار ذيبين) في بلاد حاشد .

وفي كل يوم انت تبدو على العدى بخطب وتبدي في الندى وتعيد
سبيل فتى لا الموت يطرق همه ولا الموت فيها يتقي فيحيد
ويعلم انّ الدهر ليس بدائم وأنّ خلود المكرمات مفيد
انخنا بك الآمال وهي ركائب لأرسانها لطف الإله يقود
وقد كنت عريت الدواخل برهة وأطرقت حتى لا يقال مريد
وداويت لابن العم داء وجدته على الصبر ينمو خطبه ويزيد
فأدنيت من امواج بحرك عمره اصول بها فيمن بقى فيبيد
وحفّ بسوحي الترك والعرب فاعتلى بعزك ركني اليوم وهو شديد
كذا يستعيذ الحر بالحر واثقاً برب له كل الملوك عبيد
فدم في ظلال الملك ما هبت الصبا وما جنّ في جنح الظلام رعود

هذا وكان قتل الإمام احمد بن الحسين في اليوم الذي قتل فيه الخليفة المستعصم آخر خلفاء بني العباس على ايدي التتر(٥٥) .

وقد ارسل الأمير شمس الدين رساله الى الملك المظفر يوم مقتل الإمام المذكور يعلمه فيها بمقتله ، ومما جاء فيها قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، تجدد السعادة ، وتشكر النعمة لله تعالى ثم للمقام العالي خلد الله ملكه ، وينهي صدورها من المصاف بشوابه ورأس (احمد بن الحسين) بين يديّ :

وابلج ذي تاج اساطت رماحنا
بمعترك بين الفوارس اقتما
هوى بين ايدي الخيل اذ فتكت به
صدور المعالي تنضح المسك والدما

أمّا(٥٦) الإمام (الحسن بن وهاس) الذي دعا لنفسه في شهر رمضان من عام

---

(٥٥) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٢٣٢ .والدكتور محمد عبد العال في (بنو رسول وبنو طاهر) ص ١٤٠ استناداً الى (السمط الغالي الثمن) .

(٥٦) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٧٦

(٦٥٥ هـ) فقد بايعته شيعته ، واختلفت فيه جمهرة علماء الزيدية ، وانتقل هو الى صعدة ، واقتسم البلاد التي كانت خارجة على الدولة الرسولية في القسم الأعلى من اليمن نصفين بينه وبين الحمزات وعلى رأسهم الأمير شمس الدين احمد بن عبد الله ابن حمزة .

الأمر الذي أثار ريبة الملك المظفر باخلاص شمس الدين له ، فتحرك على رأس قواته الى بعض مناطق القسم الأعلى ، ثم ارسل مبعوثاً الى شمس الدين ليطمئن الى موقفه ، وقد عاد مبعوثه اليه يؤكد بأخبار طمأنته واكدت ولاء شمس الدين ، فعاد المظفر الى تعز .

وقد(٥٧) توفي الأمير شمس الدين بعد سبعين يوماً من مقتل الإمام احمد بن الحسين ، وذلك في مدينة صعدة ، واضطلع بشؤون مناطق نفوذ الحمزات بعد موته اخوه (داود بن عبد الله بن حمزة) .

وبالرغم من اعتراف الإمام الحسن بن وهاس بنفوذ الحمزات على مناطق معينة في القسم الأعلى كما سبق ، إلا انه قامت بينه وبينهم حرب إسفرت عن وقوع الإمام المذكور في اسرهم ، حيث أودعه الأمير داود بن عبد الله بن حمزة السجن الذي ظل فيه عشر سنوات كاملة افرج عنه بعدها ، وتوفي عقب ذلك بعد تخليه عن دعوته ، وكانت وفاته في صعدة عام (٦٨٢ هـ) .

قبض الملك المظفر على الأمير اسد الدين وسجنه

تكرر(٥٨) خروج الأمير اسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول نائب الدولة الرسولية في صنعاء على الملك المظفر ، وتكرر صفح المظفر عنه وإعادته على عمله في صنعاء كما علمنا .

ولّما قتل الإمام احمد بن الحسين وأمن المظفر جانبه القوي في القسم الأعلى من اليمن ،واستقرت الأوضاع في القسم الأعلى من اليمن ، ولا سيما مع التحسن

(٥٧) نفس المصدر والصفحة .

(٥٨) بنو رسول وبنو طاهر المصدر آنف الذكر ، ص ١٤٢ . استناداً الى السمط الغالي الثمن في تأريخ اليمن آنف الذكر لبدر الدين محمد بن حاتم .

المستمر بين الملك المظفر والحمزات الذين كان لهم ثقلهم وأثرهم على الأحداث في بلاد صعدة وفي اجزاء كثيرة من القسم الأعلى ، انقص الملك المظفر الميزانية السنوية التي كان يرسلها الى نائبه في صنعاء الأمير اسد الدين لحرب الإمام وغيره من الأشراف المناوئين له ، فشعر الأمير اسد الدين بقرب نهايته ، وأنّ المظفر سيقصيه عن نيابة صنعاء نهائياً ، وربما يعتقله لتكرر خروجه عليه ، وأدرك مع ذلك انه لم يعد احد في القسم الأعلى من الأشراف يناوىء المظفر يمكن له اللجوء اليه والتكاتف معه ضد الدولة الرسولية في حالة خروجه عليها ، ولذلك فانه أي اسد الدين انتهج هذه المرة نهجاً زعم انه سيدعم مركزه في عمله ، ويحول دون اقصاء المظفر له ، فأخذ يغيّر ولاة المناطق في ولايته بمن يثق بهم ويعتمد عليهم ، للسيطرة بصورة اكثر ، ولاستغلال موارد الدولة في المنطقة لصالح حركته ، ونجح في هذه الخطوة الأولى ، وبدأ في الخطوة الثانية وهي تبديل ولاة الحصون في المنطقة نفسها بمن يثق بهم كذلك للتمركز فيها والتحكم منها واملاء شروطه على المظفر في حالة خروجه عليه وتحصنه وأتباعه بها اذا لزم الأمر ، ولكنه فشل في هذه الخطوة الثانية ، وذلك لامتناع ولاة الحصون عليه بسبب ارتباطهم الوثيق بالملك مباشرة .

وقد علم الملك المظفر بتصرفاته المريبة ، فانتهج معه بدوره سياسة الترغيب والترهيب ، وبدأ يراسله مستطلعاً أمر تحركاته من خلال مراسلاته ، ولمّا ايقن بسوء نيته ، وبعدم جدوى سياسة المهادنة معه تحرك على رأس قوة كبيرة الى صنعاء ، ووصلها(٥٩) في المحرم من عام (٦٥٨ هـ) بعد ان غادرها اسد الدين .

ثم ولى عليها الأمير شمس الدين (علي بن يحيى العنسي المذحجي) وعاد هو الى تعز .

أمّا اسد الدين فصار يغير من المدورة فوق الحمراء في بلاد حاشد بمن معه من الجنود على صنعاء وعلى بعض الأعمال التابعة لها .

ولمّا علم الملك المظفر بذلك ارسل حملة قوية بقيادة (علم الدين سنجر

---

(٥٩) ابن عبد المجيد في (بهجة الزمن) ص ٩٢ .

الشعبي) لمطاردته ، فلجأ اسد الدين الى السلاطين (آل حاتم) ، في حصنهم (ذي مرمر) في بني حشيش ، فقبلوه ضيفاً دون ان يسمحوا له بالقيام بنشاط معادٍ للمظفر ، لئلا يسيئوا الى علاقتهم الحسنة معه ، فطلب من آل حاتم ان يسعوا لدى المظفر في العفو عنه ، فوافق الملك وطلب وصوله اليه ، ولكن اسد الدين خاف من الوصول اليه ، وطلب منه ان يجهزه لحرب الخارجين على دولته في بلاد حضرموت ، ففعل ذلك ، ولما كان الامير اسد الدين بقواته في الجوف طلب منه (الخضر بن محمد بن جحاف) وعبد الله بن منصور بن ضيغم) ، نصرتهما على آل راشد بن منيف حلفاء المظفر لحزازات وثارات بين الفريقين ، ففعل اسد الدين ذلك مما أغضب المظفر وأمر قواته التي كان قد جهزها مع الأمير اسد الدين بالعودة الى معسكراتها وامر اسد الدين بالتوقف عن مواصلة سيره الى حضرموت ، وقطع المدد عنه ، مما اضطره الى اللجوء الى الأمير داود بن عبد الله بن حمزة ، وقام معه بحرب الإمام (الحسن بن وهاس) وتمكنا من القبض عليه حيث اعتقله الأمير داود لديه كما مرّ بنا .

ومع ذلك فلم يرض الملك عن اسد الدين بما قام به مع الأمير داود ، بل لقد ارتاب من الأمير داود لإيوائه اسد الدين ، فاعتذر الأمير داود للملك ، وانتقل اسد الدين الى المدورة في بلاد حاشد مرة أخرى ، وصار يغير على صنعاء وأعمالها دون ان يحقق شيئاً ، ثم انتقل الى بلاد الشرف من أعمال حجة وصار يتنقل فيها ، ومرّت به في تلك الفترة ازمات شديدة وظروف قاسية ، حتى ذكر انه باع امتعته ، وعاد يراسل الملك من جديد يعتذر اليه ويستعطفه واستشهد له بقول الشاعر :

اذا كنت مأكولاً فكن خير آكل   وإلا فأدركني ولمّا امزق

فأجاب[٦٠] عليه المظفر بما طمأنه ، وأمر نائبه في صنعاء (علي بن يحيى العنسي) بأن يقدم معه اليه الى تعز لما يعلمه من مودة بينهما، ويذكر انه لما وصل الأمير

---

(٦٠) الخزرجي في العسجد المسبوك من ص ٢٣٥ .

اسد الدين الى الأمير العنسي المذكور بكى وشكا له اعتقال الملك المظفر لأبيه وابنه موسى واخيه أبي بكر وعمه فخر الدين ابي بكر بن حسن بن علي رسول ، وأنّ العنسي اجاب عليه بقوله : « لعلك بالقرب منهم انفع لهم من البعد عنهم ، ولعلّنا ننتهز فرصة من الدهر فنفعل كذا وكذا » . وإنّ ذلك الحوار الذي دار بينهما بلغ الملك ، ولذلك فما ان وصلا اليه الى زبيد حتى امر باعتقالهما معاً وارسالهما الى دار الأدب في حصن تعز ، وقد انشأ الأديب القاضي سراج الدين بن أبي بكر بن دعاس بمناسبة أعتقال الملك للأميرين اسد الدين وشمس الدين علي بن يحيى العنسي قوله :

ما دار في خلد الأيام ذا ابداً
كلا ولا دار للأقوام في خلد
انّ الكسوف جميعاً والخسوف معاً
في ساعة في نزول الشمس في الأسد

كما ذكر ان الأمير اسد الدين لمّا دخل على أبيه ومن معه في سجن حصن تعز صاروا يعاتبونه ، فقال لهم :« يا هؤلاء لا نكن كأهل جهنم كلما دخلت امة لعنت اختها » .

وقد اقام الأمير اسد الدين في معتقله الذي حدث في عام (٦٥٨ هـ) الى موته في عام (٦٧٧ هـ) وفي عهد الملك المظفر نفسه ، كما توفي سائر المعتقلين من اسرته المذكورين في حياة الملك المظفر أيضاً وعلى فترات مختلفة ، ووصف الأمير اسد الدين بأنه كان من كملة بني رسول في الدين والسخاء والشجاعة وعلو الهمة ، وانه كان يضرب المثل بقوله ، وله مآثر عمرانية ، ومنها مسجد الأسدية في اعلى سوق مدينة اب القديمة ، وهو اكبر مسجد في اب بعد الجامع الكبير ، ومساجد ومآثر خيرية اخرى ، وقد اوقف على جميعها أوقافاً نافعة، كما نسخ في سجنه مصاحف ومقدمات (مصاحف مجزأة) وأوقف شيئاً منها في المسجد الذي بناه في قرية ذي عقيب القريبة من مدينة ذي جبلة، وأوقف بعض المصاحف والمقدمات أيضاً في مدرسته التي بناها في مدينة اب آنفة الذكر ، وقرأ الحديث في السجن على الفقيه (احمد بن علي السروري) وغيره من الفقهاء والعلماء الذين كان المظفر يسمح لهم بالطلوع اليه الى

معتقله في حصن تعز .

سفر الملك المظفر الى الحجاز لأداء فريضة الحج

استقرت الأحوال في اليمن عموماً ، وذلك بمقتل الإمام احمد بن الحسين في عام (٦٥٦) للهجرة ، ثم بقبض الأشراف الحمزات على خلفه (الحسن بن وهاس ابن حمزة) واعتقاله في عام (٦٥٨) للهجرة ، وقبض الملك المظفر على الامير اسد الدين بن حسن بن علي رسول ، نائبه في صنعاء ، واعتقاله في عام (٦٥٨) للهجرة ايضاً ، وكان هو آخر منافس له في اسرته .

فعزم على اداء فريضة الحج ، وغادر اليمن قاصداً مكة في عام[٦١] (٦٥٩) للهجرة ، مستصحباً معه عدداً من كبار الأشراف الحمزات ، وبعد ان أقطع صنعاء واعمالها الأمير علم الدين سنجر الشعبي خلفاً للطواشي نظام الدين مختص .

ولكنه ما ان غادر المظفر اليمن الى الحجاز حتى دعا[٦٢] الإمامة لنفسه (يحيى ابن محمد بن احمد بن عبد الله بن الحسن سراج الدين) والمعروف بالسراجي نسبة الى جده (سراج الدين) المذكور ومن نسل الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولم يجمع الأشراف على بيعته ، وقد علل من تخلف منهم ببيعتهم للحسن بن وهاس الذي ما يزال في معتقل الأمير داود بن عبد الله بن حمزة وقد خرج[٦٣] الأمير علم الدين الشعبي نائب الدولة الرسولية على صنعاء لحربه ، واضطره الى الانسحاب الى حصن يناع غرب بلاد حضور ، وفيه القى بنو فاهم اصحاب المنطقة القبض عليه وايصاله الى علم الدين الشعبي الذي سجنه ، ثم سمل عينيه ليفقده احد شروط الإمامة في المذهب الزيدي وهو ان (يكون سليم الأطراف الحواس) .

وقد ندم[٦٤] المظفر على ما فعله الشعبي بالإمام وود لو انه اكتفى باعتقاله .

---

(٦١) ابن عبد المجيد اليماني في تأريخه (بهجة الزمن) ص ٩٤ .

(٦٢) زبارة في (أئمة اليمن) ص ١٨٠ .

(٦٣) بنو رسول وبنو طاهر ص ١٤٨ . استناداً الى السمط الغالي الثمن لبدر الدين محمد بن أحمد بن حاتم .

(٦٤) الخزرجي في العسجد من ص ٢٣٩ .

ولم يحسم ذلك الاجراء الذي فعله الأمير الشعبي بالإمام المذكور الاضطرابات في القسم الأعلى . كما لم يحل دون تجددها استمرار الاشراف الحمزات في اعتقال الإمام الحسن بن وهاس ، بالرغم من انه لم يدع شخص من الأشراف الإمامة أثناء ذلك ، وبالرغم من ولاء الأشراف الحمزات للملك المظفر وإن كان ولاء أملته قوة جانب الملك ، ذلك أن الأمير داود بن عبد الله بن حمزة كان أقرب الحمزات الى الخلاف على الدولة الرسولية ، لقوة مركزه ولطموحه . وقد[٦٥] اسفر عن عدائه للملك المظفر منذ بداية عام ٦٦١ هـ المذكور ، واستمر في موقفه ذلك حتى عقد الصلح بينه وبين الدولة الرسولية في عام ٦٦٨ هـ .

فبدأ يؤلب الأشراف ويجمع كلمتهم ضد الدولة الرسولية منذ بداية عام (٦٦١ هـ) وحاول ان يقيم الشريف (حسن بن محمد القطابري) إماماً ، ولكن علماء الزيدية وكبار اشرافهم عارضوا إمامته ، فتحوّل الأمير داود الى بلاد المخلافة (المحابشة) من أعمال حجة يثير فيها القلاقل والاضطرابات ويبسط نفوذه على بعض المناطق فيها ويستولي على بعض حصونها . وكان قدبدأ بنذر الخلاف على الدولة الرسولية في بلاد صعدة وغيرها من مناطق الشمال التي كانت خاضعة للدولةالرسولية .

وقامت حروب كثيرة بين الدولة والأشراف كان القسم الأعلى من اليمن مسرحها ، واليمنيون هم وقودها ، وبالرغم من تجمع الأشراف واتحادهم الذي ادى الى الافراج عن الإمام الحسن بن وهاس واعادة مبايعته إماماً ، إلا ان الدولة الرسولية استطاعت ان تحسم الاضطرابات وتقضي عليها ، ووصلت قوات الدولة بقيادة نائب صنعاء علم الدين الشعبي الى بلاد صعدة ووطأتها وطأة شديدة ، وهدمت مزارعها وأخربت مدينة صعدة نفسها .

كما وصل الأمير الأشرف بن الملك المظفر بقواته الى بلاد حجة وأخضعها وقضى فيها على كل اضطراب وتمرد واعاد نفوذ الدولة الرسولية اليها ، واضطر جميع ذلك الإمام الحسن بن وهاس الى التخلي عن دعوته ، والأمير داود بن عبد الله

(٦٥) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٦٠ .

ابن حمزة الى عقد صلح مع الدولة في العام المذكور ٦٦٨ هـ ، واستقرت[٦٦] احوال القسم الأعلى من اليمن حتى دعوة ابراهيم بن تاج الدين في عام (٦٧٠ هـ) واستطاع هذا الإمام أن يدخل صنعاء بمساندة المماليك الأسدية من حاميتها اثناء تغيب نائبها الشعبي عنها ، وبفضل مساندة الأشراف له بزعامة داود بن عبد الله بن حمزة .

ومع ذلك فلم يلبث الإمام بن ابراهيم بن تاج الدين ان غادر صنعاء الى بلاد الحدأ ثم الى قرية افق[٦٧] اسفل جهران ، واليها قصده الملك المظفر لحربه ، وكان في جيشه نائبه على صنعاء علم الدين الشعبي المذكور .

وقامت حرب بين الجانبين ادت الى انهزام جيش الإمام المذكور ووقوعه في اسر الملك المظفر الذي عاد به الى تعز ، حيث اودعه معتقل دار الأدب في حصن تعز (قاهرة تعز) .

وظلّ في معتقله الى وفاته في عام (٦٨٣ هـ) .

وسنعلم مزيداً من تفصيل هذه الأحداث عند التأريخ للإمام المذكور في الفصل الرابع من فصول تأريخ الأئمة الزيدية في اليمن .

أمّا الأمير داود بن عبد الله بن حمزة[٦٨] الذي كان يتزعم الحركة المناوئة للملك المظفر فإنه بعد الهزيمة التي مني بها الإمام ابراهيم بن تاج الدين ووقوعه أسيراً في يد المظفر حاول اقناع الحسن بن وهاس بتجديد دعوته ، ولكنه امتنع فلجأ ومن معه من الأشراف الى المطهر بن يحيى بن المرتضى من اولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، وبايعوه إماماً وذلك في نفس العام الذي أُسر فيه الإمام ابراهيم بن تاج الدين (٦٧٤ هـ) .

ومع ذلك فلم تجتمع كلمة الأشراف بدعوته ، وغذّى الملك المظفر انقسامهم

---

(٦٦) الخزرجي أيضاً في العسجد ص ٢٤٧ .

(٦٧) ما تزال في قرية أفق نوبة عامرة يذكر أهلها انها كانت مقراً للإمام ابراهيم بن تاج الدين ، وأنّ ثمة نفقاً أسفلها ينفذ الى اسفل الوداي ، وقد زرت القرية المذكورة في عام ١٩٧٨ م ، ويسكن القرية المذكورة بيت الراعي وغيرهم .

(٦٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٥١ .

واختلافهم ، وتحول الأمير داود بن عبد الله بن حمزة عن الإمام المطهر ، واعاد ولاءه للملك المظفر ، وعقد معه صلحاً في نفس العام المذكور الأمر الذي اضعف جانب الإمام المطهر ، ومكن نائب الدولة الرسولية على صنعاء من الاستيلاء على عدد من الحصون الهامة التي كان الأشراف قد وضعوا ايديهم عليها في القسم الأعلى ، وهدأت المنطقة واستقرت الأحوال فيها للدولة الرسولية ، واستطاع المظفر ان يتفرغ خلال ذلك لغزو حضرموت كما سنعلم ، وضاعف اخضاعه لها وبسط نفوذه عليها من قوة جانبه ، ومن ضعف مركز الأشراف ، وصاروا لا يشكلون خطراً على الدولة الرسولية .

ولم يستأنف الأمير داود بن عبد الله بن حمزة تحركه المناوىء للمظفر إلا في عام (٦٨٢ هـ) ، مستغلاً وفاة نائب الدولة الرسولية على صنعاء علم الدين الشعبي تحت انقاض منزله في صنعاء في العام المذكور ، وحاول الاستيلاء على صنعاء .

ولكنّ(٦٩) المؤرخ بدر الدين محمد بن أحمد بن حاتم الذي كان على ولاء للملك المظفر تصدى له في بلاد حوث قبل وصوله الى صنعاء وأوقع بقوته، وشتتها ، وأفقده الأمل الذي كان يراوده في الاستيلاء عليها .

وقد اسند الملك المظفر نيابة صنعاء الى الأمير (فخر الدين بن فيروز) وجهزه اليها بقوة على رأسها الدويدار عز الدين بلبان بغرض اصلاح احوال القسم الأعلى .

ثم خلفه(٧٠) بولده الأمير الواثق ابراهيم في عام (٦٨٣ هـ) وقد احسن الأمير الواثق سياسة البلاد ، ونعمت في عهده .

وبالرغم(٧١) من الاستقرار والرخاء اللذين نعمت بهما المنطقة خلال نيابة الأمير ابراهيم بن المظفر فإنّ الأمير داود بن عبد الله بن حمزة لم يستكن ولم يستسلم ، ولكنه بدلاً من محاولته تكوين جبهة متحدة مع الأشراف ضد الدولة الرسولية كعادته ،

---

(٦٩) الدكتور محمد عبد العال في (بنو رسول وبنو طاهر) ص ١٥٦ . إستناداً الى السمط الغالي الثمن لبدر الدين محمد بن احمد بن حاتم .

(٧٠) و(٧١) نفس المصدر والصفحة .

فإنه في هذه المرة أقام ابن اخيه (يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن حمزة) إماماً ، وكان هذا قد اخذ شيئاً من العلوم الزيدية ، دون ان تتوفر له شروط الإمامة المقررة في المذهب الزيدي ، وبذلك تعارض إماما وزاد في انقسام الأشراف على انفسهم مما زاد في ضعف موقفهم جميعاً ، وقوّي جانب الدولة الرسولية .

ومع ذلك فقد ظلّ الأشراف يقاومون الدولة الرسولية في القسم الأعلى مستغلين الرفق الذي تحلى به نائبها فيه الأمير الواثق ، وتجددت الاضطرابات في المنطقة .

مما حمل الملك المظفر على تجهيز ابنه الأمير الأشرف على رأس قوة كبيرة الى صنعاء ، ووصل[72] الأشرف اليها في عام ٦٨٥ هـ فأسرعت القبائل الى اعلان الولاء له ، كما اعلن الولاء له عدد من الأشراف ، ووطىء الأمير الأشرف البلاد وطأة شديدة اضطرت كثيراً من القبائل التي كانت وراء الأمير داود الحمزي الى التخلي عنه ، واضطرته[73] هو الى طلب الصلح كعادته ، واجابه الأشرف بن المظفر اليه وعقد الصلح بين الجانبين في (٦٨٧ هـ) .

اضطر ذلك بالتالي الإمام المطهر بن يحيى الى عقد صلح مع الأمير الأشرف بعد شهرين من عقد الصلح مع الأمير داود وعاد الأمير الأشرف الى والده الملك المظفر بعد ان اسند نيابة صنعاء الى الأمير المؤيد الذي وصل اليها في العام المذكور . فعادت المنطقة في القسم الأعلى من اليمن الى الاضطراب ، وتوالت حملات الدولة الرسولية الى مختلف مناطق القسم الأعلى لاقرار الأوضاع فيه ، ولكن دون إن تحسم امرها .

بل لقد استشرت العناصر المناوئة للدولة الرسولية في القسم المذكور وزادت الأحوال فيه سوءاً ، وامتدت الى مناطق اخرى ، حتى[74] ذكر انّ الفساد والعصيان ضد الدولة الرسولية امتدّا من صعدة شمالاً الى نقيل صيد (سمارة)

(٧٢) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٢٠٠ .

(٧٣) بنو رسول وبنو طاهر في المصدر المذكور ص ١٦٠ .

(٧٤) بنو رسول وبنو طاهر (ص ١٦١) استناداً الى السمط الغالي الثمن لمحمد بن حاتم .

جنوباً ، الأمر الذي حمل الملك المظفر على تجهيز ولده الأمير الأشرف الى صنعاء مرة اخرى على رأس قوة كبيرة لإخضاع المناوئين لدولته في المنطقة ، وكالمعتاد(٧٥) لم يكد الأشرف يصل الى صنعاء في شهر ذي القعدة من عام (٦٩٣ هـ) حتى اطاعه كل عاصٍ ، وتاق الى خدمته المخالف والموالف ، وهيأ ذلك المناخ من الاستقرار الى عقد صلح جديد بين الأشراف والدولة الرسولية يمثلها الأمير الأشرف ، وتم(٧٦) ذلك في أول المحرم من عام (٦٩٤ هـ) والذي استمر الى وفاة المظفر في شهر رمضان من العام المذكور .

استيلاء المظفر على ظفار حضرموت

توالت احداث القسم الأعلى من اليمن ، وفوّت ترابطها وتسلسلها علينا بحث موضوع قيام الملك المظفر بغزو (ظفار حضرموت) والذي حدث في عام (٦٧٨) للهجرة ، وادى الى استيلائه عليها وقتل ملكها (سالم بن ادريس) في اثناء الحرب التي قامت بينه وبين قوات الملك المظفر وكانت الأسباب كالآتي :

أصيبت(٧٧) بلاد حضرموت في العام المذكور بمجاعة شديدة اجبرتهم على انّ يكوّنوا منهم وفداً الى (سالم بن ادريس) امير ظفار الحبوضي على ساحل حضرموت، بينها وبين عُمَان وذلك لطلب المؤن والأموال لسد فاقتهم مقابل تسليم مصانع حضرموت (حصونها) اليه ، فقبل سالم بن ادريس ذلك ، وسافر الى حضرموت لإتمام عقد الاتفاق ، وعقد الاتفاق وتسلم هو المصانع ، وأنفق لهم معظم ما يملكه من مؤن واموال ، ثم عاد الى ظفار .

وما ان وصل اليه حتى استولى أهل حضرموت على مصانعهم ، وسقط في يد سالم بن ادريس لضياع امواله دون ثمن مقابل ذلك .

وصادف بعد ذلك ان جهّز الملك المظفر سفيراً الى ملوك فارس يحمل هدية جليلة اليهم ، وسافر السفير مع الهدية بحراً صحبة جماعة من تجار اليمن ،

---

(٧٥) بنو رسول وبنو طاهر (ص ١٦١) استناداً الى السمط الغالي الثمن لمحمد بن حاتم .

(٧٦) نفس المصدر والصفحة .

(٧٧) الخزرجي في العسجد المسبوك من ص ٢٥٢ .

فصرفتهم الريح عن طريقهم ورمت بهم الى ساحل ظفار ، فقبض عليهم (سالم بن ادريس) واستولى على جميع ما معهم من الهدية ومن الأموال والبضائع ، معتقداً انّ ذلك جبر لما فات عليه من الأموال في حضرموت فراسله المظفر بشأن ذلك ، ومما قال له : « إنّ ما فعلته لم تجر به عادة أهلك ، ونحن نجلك من قطع السبيل ، وأنت تعلم ما بيننا وبين والدك ، والمكافأة تمكننا ، غير انا نتأدب بآداب القرآن الكريم الذي يقول الله فيه : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ ، فأصر سالم بن ادريس على موقفه ، بل وردّ على المظفر بقوله : « هذا الرسول فأين العذاب ؟ » وزاد مع ذلك بأن افسد صاحب الشحر (راشد بن شجيعة) على المظفر ، وقطع الخراج الذي كان يؤديه اليه .

فأمر المظفر واليه على عدن (الشهاب علي بن غازي بن المعمار) بالتقدم على رأس قواته الى ساحل حضرموت ، لترهيب امير ظفار المذكور فيما يبدو ، وفعل والي عدن ذلك، ولم يقم بينه وبين والي ظفار حرب ولا تفاهم وعاد الوالي بقوته الى عدن ، ولم يكد يعود الى عدن حتى وصل امير ظفار بقواته الى ساحل عدن كرد على الغزو الذي قام به والي عدن ، ولم تقم حرب بين الأميرين كذلك ، ثم عاد سالم بن ادريس ادراجه .

فلم يسع الملك المظفر ازاء ما فعله امير ظفار الحبوضي إلا أن أمر ببناء المراكب الحربية ، ووصل الى عدن للإشراف بنفسه على ذلك وعلى كافة الاستعدادات لغزو ظفار حضرموت ، وانفق في سبيل ذلك اموالاً طائلة لرد هيبة دولته التي زعزع منها تحدي امير ظفار حتى غزا سواحل عدن .

ثم جهز جيشه الى ظفار على ثلاث فرق ، فرقة بحرية وهي أكبرها ، وقد أمّر عليها الامير سيف الدين سنقر الزنجبيلي ، وكان فيها من الأمراء والقادة االشيخ فارس بن المعالي الحرازي ، والشيخ محمد بن ناجي صاحب السحول ، والشيخ الهمام بن علي بن عواض المليكي ، والشيخ شمس الدين الكبوس .

أمّا الفرقة الثانية فكانت تتكوّن من ثلاثمائة فارس ، وبقيادة الشيخ بدر الدين بن عبد الله بن عمرو الجند ، وقد عانت هذه الفرقة وهي في طريقها الى

حضرموت بسبب حربهم لحلفاء بني الحبوضي امراء ظفار والذين مروا في طريقهم الى ظفار بل لقد ذكر المصدر انّ الأمير بدر الدين أخبره بأنه وفرسانه ما فارقوا الحرب مع أهل حضرموت ليلة واحدة ، وما زال فرسانه يتخلفون عنه حتى لم يصل الى ظفار إلا بمائة وثلاثة عشر فارساً ، وبعد خمسة أشهر من يوم خروجهم من صنعاء .

وأمّا الفرقة الثالثة فقد سارت في طريق الساحل وكانوا أربعمائة فارس من المماليك البحرية بقيادة الأمير حسام الدين لؤلؤ النودري ، وكان في هذه الفرقة الأمراء بنو فيروز ، وقد أمّر على جميع الفرق الثلاث الأمير شمس الدين ازدمر استاذ داره ، واضاف المصدر انّ المظفر قال له : « انت تقبل سالماً إن شاء الله ، لأني رأيت في منامي انّ حيّة عظيمة خرجت إليَّ من كوة فقلت لك يا ازدمر اقتلها ، فقتلتها وعدت إلى مقامك » .

ويبدو انّ الأمير شمس الدين سار مع فرقة الساحل بدليل ما ذكره المصدر من انّ طريق شمس الدين كانت وعرة في شواهق الجبال وكثبان الرمل ، وانهم ضاعفوا سيرهم والمراكب البحرية تسير محاذية لهم ، وكثيراً ما كانت تبعد بهم الطريق حتى تدور بهم الى الساحل ، وقد شحنت المراكب البحرية بالكثير من المؤ ن والعتاد عددها المصدر حتى ذكر منها انعل الخيل وسنابكها ولجمها ، مع ستة منجنيقات بغلمانها وحجارتها وآلاتها ، وإنّ الأسواق كانت في المراكب البحرية كأعظم ما تكون في أسواق المدن .

وسارت كل فرقة بحسب ما يمكن لها من السير ، وقد قدر لهم أن يصلوا ظفار في يوم واحد ، وأتمّ الله لهم ذلك على حد ما جاء في المصدر (الخزرجي) الذي أضاف قائلاً «ولمّا أجتمعت العساكر في بندر يسوب،كانت الخيل خمسمائة فارس والرجل سبعة آلاف راجل ، فقال بعضهم لبعض : « قد رأيتم ما نحن فيه من انفاق الأموال وركوب الأهوال ، والتواني منا عجز وخور ، ولم يبق إلا العزم والحزم ، فساروا حتى بلغوا (غرقد) وهي محلة من محال ظفار ، فأرجف عليهم بأنّ خيل حضرموت وصلت الى حضرموت ، وكذلك خيل البحرين ، فتدابروا بينهم ، وقالوا : إنما جئنا للقتال لا لغيره ، وأين (تعز) منا ، ولم يكن في ظنهم أنّ

(سالم بن ادريس) يبرز اليهم ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت اليهم عساكر ظفار يقدمها سالم بن ادريس ، فلمّا رآه العسكر المنصور تأهبوا للقائه وصفوا له ، وكان الشيخ بدر الدين بن الجند وعسكره العرب في الميسرة ،وكانت الحلقة (البحرية) في الميمنة ، وكان الأمير شمس الدين أزدمر في القلب ، فلم يكن بـأسرع من أن التقوا واصطدموا صدمة واحدة ، فجالت العسكر المظفرية جولة اقتلعت فيها نحواً من خمسمائة فارس ، ثم كانت الهزيمة ، فما نجـا من أهل ظفـار إلا من استأسر ، فكانت القتلى ثلاثمائة قتيل ، والأسـرى نحواً من ثمـانمائـة أسير ، وأخذ العبيد ما شاء الله ، وقتل سالم بن إدريس فيمن قتل .

ثم دخل جيش المظفر ظفار وبسط نفوذ دولته عليها في الثامن والعشرين من شهر رجب من العام المذكور ، وخطب للمظفر على منبر جامعها ، كما استولى جيش المظفر على مدينة شبام حضرموت في الثامن من شهر رمضان من نفس العام ، وقبض الأمير ازدمر على جميع افراد اسرة بني الحبوضي وحملوا الى زبيد ، وما برحوا فيها حتى انقرضوا في عهد الملك المجاهد علي بن داود بن المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول .

وقد امتلأت قلوب الملوك في فارس والهند والصين اجلالاً واكباراً له لما رأوا من عظم همته وقوة عزمه وشدة بأسه ، ووصلت اليه هدايا ملك الصين ، وأمير البحرين الى زبيد ، ثم أبقي الأمير ازدمر في ظفار نائباً عليها الأمير سيف الدين الزنجبيلي ، ومعه عدد من الأمراء وقادة الجيش وعاد هو الى المظفر .

كما أشاد شعراء الدولة الرسولية بغرر قصائدهم بانتصار جيش المظفر ومنهم أخو كندة الذي افتتح رسالته وقصيدته بآية ﴿ **فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ وجاء من قصيدته قوله :

حتى وردت ظفـاراً بعـد مـا نبـذت   مـا في البـطون من افــلاذ وامشــاج
وبعــد ان عقدت في غـرقـد قنب   مـا كـان ســالمها بــالسـالم التــاج

ومنها :

تبـاً لسـالم من عــادى لقـد سلكت   بـــه الغـوايــة جهـلاً شــر منهــاج

فصـــار مـــورد أمـــر ليس مصـــدره   وصـــار ولاج حـرب غـير خـرّاج
اضحت بغـرقد منـه جثـة طـرحت   والـرأس في كل أرض فـوق معراج
رام المضـاهاة جهـلاً فاعتـدى سفهاً   ولا مضـــاهـاة بـــين الـدر والعـــاج

هذا وبعد استيلاء الملك المظفر على ظفار حضرموت وعلى مـدينة شبـام حضرموت بسط نفوذه على جميع حضرموت ، وولى[78] على شبام حضرمـوت الشيخ محمد بن محمد بن ناجي بن اسعد صاحب السحول ، والذي أقام فيها مدة ثم عاد الى تعز ، مستنيباً عليها فيها يبدو من قبله ، وأضاف المصدر قائلاً : « فقيل له : كيف عاملت أهل حضرموت لمّا دخلت شبام ؟ فقال : « داهمني رجل منهم يماني أعظمهم رجالاً ، فجمع عسكراً لحربي ، وجمعت عسكراً وطاولته الحرب حتى انفق ما كان عنده من صامت وناطق ولم يبق معه شيء ، وأنا استمدّ من مولانا السلطان ، فلمّا لم يجد شيئاً ينفقه على عسكره وصلني بنفسه حتى أناخ بعيره على باب داري ، ودخل الحاجب يستأذن له فقلت يحضر ، فلمّا دخل عليّ قال : اعلم اني لمّا أردت الخروج اليك اشهدت أهل بيتي اني على ذمة ابن الرسول (يعني المظفـر) وذمتك ، قال : فقلت له : هما عليك ، ثم اكرمته وأحسنت اليه وجعلت له موضعاً يكفيه ، وعاد الى أهله على أحسن الأحوال ، وجرى ذلك على النمط أربعة اقوام أُحاربهم حتى يردوا انفسهم اليَّ ، وبعد ذلك لم يرفع رأسه احد من أهل حضرموت » .

كما اخضعت جيوش المظفر بلاد الشحر وأعادتها الى حضيرة الدولة الرسولية ، وأبدل المظفر سلطانها بنائب من قبله ، واقطع[79] (ظفار الحبوضي) ولده (الواثق) الذي بقي فيها الى موته، وتوارثها عقبه فترة طويلةمن عهد الدولة الرسولية .

وباستيلاء المظفر على حضرموت والشحر وظفـار امنت السبل البحـرية التجارية في البحر الأحمر والبحر العربي ، ونشطت الحركة التجارية في ميناء عدن

(٧٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٥٨ .
(٧٩) نفس المصدر ص ٢٦٦ .

وغيره من الموانىء اليمنية ، وفي المناطق المجاورة لها على البحر الأحمر والبحر العربي ، كما تعاون المظفر مع (الظاهر بيبرس) ملك دولة المماليك الذين خلفوا الفاطميين في مصر في تأمين الملاحة البحرية بين اليمن ومصر والهند وغيرها .

ولاية العهد للأمير الأشرف بن المظفر

لمّا عاد(٨٠) الأمير الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي رسول من صنعاء عقب زيارته الأخيرة لها بعد اصلاح احوال القسم الأعلى من اليمن وترسيخ نفوذ الدولة الرسولية فيه قرّر المظفر اسناد ولاية عهده الى ولده الأمير الأشرف عمر لأنه أكثر أولاده اهلية وأكبرهم سناً ، ولأن المظفر بلغ الخامسة والسبعين عاماً من العمر ، ولم يعد قادراً على الاضطلاع بشؤون دولته ، ولا بدّ له ان يستريح من عناء المسؤولية ، ويوكل أمرها الى ولي عهده ، على ان يرجع اليه في مهام الأمور .

ولحسم الخلاف المتوقع بين أولاده بعد موته بعد اسناد ولاية عهده الى ابنه الأشرف فإنه أسند ولاية الشحر وحضرموت الى ولده (المؤيد داود) الذي يتوقع منه المعارضة للأشرف وهو ما حدث ، وذلك بهدف ارضائه بالولاية على حضرموت والشحر حتى لا يقوم بأي معارضة للأشرف بعد موته ، كما كان المظفر قد اسند ولاية ظفار الحبوضي على ساحل حضرموت واعمالها الى ولده (الواثق ابراهيم) .

ولمّا وصل الأمير الأشرف الى والده في تعز عائداً من صنعاء في الثاني عشر من شهر صفر من عام (٦٩٤) للهجرة ، اصدر(٨١) الملك المظفر مرسوم اسناد ولاية العهد اليه ، وكانت صيغته كالآتي : « بعد الحمد والثناء والصلاة والدعاء (أمّا بعد فقد ملكناً عليكم من لم نؤثر والله داعي التقريب على باعث التجريب ، ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيص ، ولا ملازمة الهوى والايثار على مقاحمة البلوى والاختبار ، وهو سليلنا الخطير ، وشهابنا المنير ، وذخرنا الذي وقف على المراد ، ونصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد ، ونؤمّل فيه من الله الفوز والنجاة في المعاد ؛ وقد رسمنا له من وجوه الذب والحماية ، ومعالم الرفق والرعاية ، ما قد التزم

---

(٨٠) ابن عبد المجيد اليماني في كتابه (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ٩٩ .

(٨١) العسجد ص ٢٧٠ .

بوفاء عهده ، ومضى عليه بجده وجهده ، والمسؤ ول في اعانته من لا عون إلا من عنده ، ولن نعرّفكم من حميد خصاله وسديد فعاله إلا ما قد بدا للعيان ، وزكا مع الإمتحان ، وفشا من قبلكم على كل لسان .

وشهدتم به وشاهدتموه / وحمدتم عقباه في كل أمر
من حناديس ظلمة شملتكم / كان في كشفها لكم صنو فخر
سيفه مغمد عليكم ومسلول / على كل من رماكم بنكر
لم يزل منذ حلّ عن جيده الطوق / خليقاً بكل حمد وشكر
همه ما ترون من شيد ملك / غير ما يبتنيه أو سد ثغر

وقد حددنا له ان يكون بكم رؤ وفاً رحيماً ، جواداً كريماً ، ما أطعتموه على المراد ، ومطاوعة الإنقياد ، فأمّا من شقّ العصي ، وبان عن الطاعة وعصى ، فهو ليس منه ولو متّ اليه بالرحم الدنيا ، فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في كل حال ، يكن لكم بالبر والرأفة خير ملك ووال» وقد أرخ المرسوم بشهر جمادي الأولى من العام المذكور ٦٩٤ هـ .

وأضاف المصدر قائلاً : « فانضافت الأوامر والنواهي ، والحل والعقد ، والبسط والقبض في البر والبحر ، والأقاليم والسواحل والأمصار والحصون والثغور ، وتدبير الحرب والسلم ، وتجهيز العساكر والجنود الى السلطان الملك الأشرف ، ولم يرجع الى ابيه إلا في جلائل الأمور ، من غير وهن منه ولا عجز ولا خور ، ولمّا تولى الأمور كما ذكرنا سكن حصن تعز ، وسكن الخليفة (المظفر) ثعبات » .

وأضاف أيضاً قوله : « وحينئذٍ توجه المؤ يد نحو الشحر وحضرموت ، ونفسه غير طيبة لما خُصّ به أخوه الملك الأشرف دونه من المملكة ، وسارت معه عمته الشمسية (الدرشميس) وكانت تحبه كثيراً ، كما كانت من انبل نساء بني رسول» .

وفاة الملك المظفر وقيام ولده الأشرف بخلافته

وقد وافت المنية الملك المظفر في الثالث[٨٢] عشر من شهر رمضان من العام المذكور (٦٩٤) للهجرة عن عمر بلغ اربعة وسبعين عاماً وأشهراً ، وعن ملك دام ثلاثة واربعين سنة واشهراً ، وعن خمسة أولاد وهم الأشرف (عمر) والمؤيد (داود) والواثق (ابراهيم) والمسعود (حسن) والمنصور (ايوب) ، وكلهم الا الأمير حسن ولي الملك وخطب له ، وضربت السكة باسمه .

وقام بخلافته ابنه الملك الأشرف بموجب مرسوم ولاية العهد كما علمنا .

وكان[٨٣] الملك المظفر في حياته ملكاً جواداً بذالاً للأموال خاصة في الحروب ، وأعطي من السياسة وتدبير الملك ما لم يعط غيره من الملوك ، وقد رثاه الإمام مطهر بن يحيى بقوله : « مات التبع الأكبر ، مات معاوية الزمان ، مات من كانت أقلامه تكسر رماحنا وسيوفنا » . وكانت له من المآثر الخيرية والعمرانية جامع ذي عدينة المعروف اليوم بجامع المظفر في مدينة تعز وهو الجامع الكبير فيها ، ومسجد مغربة تعز ، ومساجد عديدة في تهامة ، منها مسجد في مدينة المهجم وثلاثة مساجد في زبيد أحدها لتدريس فقه الشافعية فيه والثاني لتدريس القراءات السبع والثالث لتدريس الحديث النبوي ، وبنى مسجداً في ظفار الحبوضي على ساحل حضرموت ، ومدارس اخرى في زبيد وغيرها أوقف عليها جميعها وعلى العلماء والمتعلمين فيها .

ثم عدّد الخزرجي مقروءاته والعلماء الذين درس عليهم مختلف الفنون في العربية والحديث والفقه وغيرها .

وأضاف الخزرجي[٨٤] قائلاً : « كما قال معلمه الفقيه (محمد بن اسماعيل الحضرمي) كان مولانا المظفر يكتب كل يوم آية من كتاب الله وتفسيرها ويحفظها ويحفظ تفسيرها ويدرسها عليَّ غيباً ، وكان محباً للرعية ومحبباً اليهم ،

---

(٨٢) و(٨٣) العسجد ص ٢٨٢ .

(٨٤) نفس المصدر ص ٨٣ .

وروي أنه كان له خمسمائة فارس في مصر يجاهدون الأفرنج ، وتُحْمَلَ جوامكها من اليمن ، مع ما كان يُحْمَل إليهم من الهدايا وأصناف التحف ، ويروى أنّ ملك الصين حرّم على المسلمين الختان في سائر مملكته ، فتعبوا من ذلك وضاقوا ، (وشكوا الى الملك المظفر) فكتب اليه الخليفة يسأل الأذن لهم ، وأشفع طلبه بهدية توافق مراده وغرضه فقبل شفاعته وأذن لهم في ذلك ، وكان يأمر المقطعين بالعدل بالرعايا ، وبتبجيل العلماء والمتعلمين » .

وفي هذا الوصف المقتضب لما كان عليه المظفر في حياته تعريف ضمني بما كان عليه عهده في مناطق استقرار حكمه وما كانت عليه احوال رعاياه ومواطنيه .

خلاف الأمير المؤيد بن المظفر ووقوعه في الأسر

ولما لم يرض الأمير المؤيد عن اسناد ابيه الملك المظفر لولاية العهد الى اخيه الأشرف ، ولم يُرضِه تولية أبيه إياه الشحر وحضرموت ، فإنه ما أن علم بوفاة أبيه حتى[٨٥] قفل راجعاً من الشحر حيث كان يقيم ، ووصل الى ابين معلناً خلافه على اخيه الملك الأشرف ، وسانده اخوه الأمير المنصور الذي كان يقيم في حصن السمدان من أعمال الحجرية ، وتنازل له عنه ، حيث نقل اليه حريمه واثقاله ، ثم قصد (عدن) وحاصرها بغية الاستيلاء عليها ، واستطاع عن طريق صياد خبير بمداخلها ، ان يدخل اليها ليلاً من وراء جانب ضعيف البناء من سورها ثلاثمائة رجل من أجود رجاله ، حيث كمنوا بالقرب من أقرب باب لها الى المكان الذي تسللوا منه .

وبناء على تعليماته لهم فإنهم لم يبرزوا لحرب الباب إلا حين دنا منه المؤيد ببقية جنده ، حيث تأهب الحرس للدفاع عن الباب وقتاله ، فثار عليهم كمينه من داخل السور ، الأمر الذي افشل الحرس ونادوا بالأمان وفتح الباب صباح الليلة التي تسلل منها رجاله ، ودخل الأمير المؤيد عدن مستولياً عليها ، ومنح واليها سيف الدين ابن برظاس وغيره من رجال الدولة الأمان ، كما منع السلب والنهب وأحسن الى الناس

---

(٨٥) العسجد من ص ٢٧٦ .

فيها[٨٦] وكان استيلاؤه عليها بعد ثلاثة عشر يوماً من حصاره لها . وباستيلائه على عدن زال تردده في الخلاف على اخيه الأشرف ، وقرر المضي فيه متمثلاً بقول الشاعر :

اذا لم تكن إلا الأسنة مركب   فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

ثم تقدم الى لحج وأبين واستولى عليهما .

أمّا الملك الأشرف فإنه ازاء حركة اخيه المناوئة له ، ورفضه العرض الذي بعث به اليه لمنع سفك الدماء جهز جيشاً قوامه ثلاثمائة فارس بقيادة ابنه الناصر ، ثم عزّزه بجيش آخر بقيادة الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة ، الذي تقدم به من صنعاء ، ثم بجيش ثالث بقيادة الأميرين نجم الدين وبدر الدين ابني ازدمر ، وتقدم الملك الأشرف مع ذلك على رأس قوة كبيرة من تعز الى مدينة الجوة من أعمال الصلو من بلاد الحجرية ليرقب سير الحرب عن كثب ، وليواصل امداداته لقواته اذا لزم الأمر .

ولمّا دنت جحافل الملك الأشرف من معسكر المؤيد تقدم هو بدوره بين ولديه الظافر والمظفر ، والتقى الجمعان عند موضع يعرف بكثيب العشب بالدعيس من بلاد أبين ، وقامت حرب بين الجانبين اسفرت في نهايتها عن انهزام جيش المؤيد وتفرقهم عنه .

ثم تقدم اليه[٨٧] الأمير الناصر بن الملك الأشرف واقنعه بضرورة الولاء للملك الأشرف ، وحذره من استمراره على الخلاف ، فمال الى ذلك ورجع الى طاعة أخيه . وأضاف المصدر (ابن عبد المجيد اليماني) قائلاً : « فأراد الناصر ان يتوجه به الى والده على حالته ، فامتنع الشريف جمال الدين علي بن عبد الله الحمزي من ذلك ، وقال : أمر هذا الجيش إليَّ ، وقيد المؤيد وحمله الى الملك الأشرف ، ووصل اليه وهو بالجؤة تحت حصن الدملوة .

---

(٨٦) ابن عبد المجيد في البهجة ص ١٠٠ .

(٨٧) نفس المصدر ص ١٠١ .

كما أضاف الخزرجي[88] الى ما ذكره ابن عبد المجيد قوله : «وكان الملك الأشرف واقفاً بها أي مدينة الجؤة ينتظر ما يحدث من إخبارهم ولما علم بتقييدهم بكى بكاء شديداً وأمر باكرامهم ، وأرسل بهم الى حصن تعز فوصلوا اليه يوم الأحد التاسع عشر من المحرم من السنة المذكورة » (٦٩٥ هـ) .

ثم عاد الملك الأشرف الى تعز ، وأنشأ[89] الشاعر (تاج الدين موسى بن الحسين الموصلي بالمناسبة بيتين مخاطباً فيهما الملك الأشرف وهما :

ولولا أنّ صنوك منك قلنا مقالاً منه تنفلق الصخور
ولكنّا نرجي السخط منكم بعود رضى وتنجبر الأمور

كما هنّأ الملك الأشرف على ذلك الانتصار كثير من الشعراء .

وفاة الملك الأشرف

ولقد[90] عاجلت المنيّة الملك الأشرف (عمر بن يوسف بن عمر بن علي رسول) حيث توفي في شهر المُحرم من عام (٦٩٦ هـ) ، وكانت وفاته في مدينة تعز وفيها كان مثواه الأخير ، ولم يدم حكمه اكثر من عام واحد وبضعة أشهر .

وقد[91] وصفه الخزرجي وغيره بأنه كان كأبيه (المظفر) عاقلاً عادلاً حسن السياسة مقداماً ، وكان مع ذلك عالماً ، وله مصنفات في الطب وغيره ، وبأنه كان ملكاً سعيداً صالحاً براً بأخوته وقرابته محباً لهم رؤ وفاً برعيته .

وأضاف الخزرجي قائلاً : « ومن مناقبه ان رعية النخل بوداي زبيد كانوا قد تلقوا من الجور الشديد وغفلات الملوك عنهم حتى بلغ بهم الأمر أن من كان له نخل لا يزاوجه أحد ، وأي امرأة لهانخل لا يتزوجها أحد إلا مغرور ، وكان الرجل الذي

(٨٨) في العسجد ص ٢٧٨ .

(٨٩) و(٩٠) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٧٨ . وص ٢٧٩ . وعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ١٠١ .

(٩١) الخزرجي في المصدر المذكور ص ٢٨٠ .

ليس له نخل اذا تزوج أمرأة لا نخل لها يقال عند عقد النكاح : (ومن سعادتها أن لا نخل لواحد منها) ، وأنه لمّا تولى الملك الأشرف أمر من افتقد النخل فأزال عن أهله ما نزل بهم من الظلم ، وأنه أول من سنّ عد النخل بالفقهاء والعدول » .

الملك المؤيد

ولمّا توفي(٩٢) الملك الأشرف الأول اسماعيل بن الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي رسول ، وكان ولداه الناصر في القحمة من تهامة ، والعادل في صنعاء والبين عليهما منذ عهد أبيهما ، أجمع الحاضرون في حصن تعز من رجال الدولة وحرس الحصن على بيعة الأمير السجين (المؤيد داود) بن الملك المظفر ملكاً خلفاً لأخيه الأشرف ، وأضاف المصدر (الخزرجي) في تأريخه قائلاً : « واتفقت آراء أهل الحصن من الخاصة والعامة والأسرة الكريمة على ابراز بدر الوجود واطلاع سعد السعود ، وأن يزأر الليث في غابه ، وأن يستقرّ الحق في نصابه وأن يسوس الدولة نعمانها ، وأن يتسلم الحكمة لقمانها ، فلمّا كان السحر من تلك الليلة تقدمت الأكابر من الخدم الى مولانا السلطان الملك المؤيد وهو في مجلسه ، فأخبروه بوفاة أخيه الملك الأشرف ، فلم يصدق وظن انهم يريدون ينظرون ما عنده ، فلمّا تحقق الأمر ناله من الأسف ما ناله لفقده ، وداخل المسلمين من السرور ما كاد يذهب بالنفوس ، ولمّا خرج من مجلسه طلب من والي الحصن سيفاً ليكون في يده فأعطاه ثلاثة سيوف له ولولديه ، وسار حتى وقف عند رأس أخيه فبكى بكاء شديداً ،وتأسف تأسفاً عظيماً ، ثم خرج من عنده وقد أمر بتجهيزه ، فقعد في تخت الملك ، فلمّا لاح ضوء الصباح أمر نواب الحصن بالترحم عليه ، فصاحوا بالترحم على الأشرف ، وبالصباح السعيد على السلطان الملك المؤيد ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يبيد سلطانه » .

وقبل(٩٣) أن يأمر الملك المؤيد بفتح ابواب الحصن للناس لتلقي بيعتهم له

---

(٩٢) الخزرجي أيضاً في نفس المصدر ص ٢٧٩ .

(٩٣) ابن عبد المجيد في تأريخه ص ١٠٢ .

أمر بأن يصعد الى الحصن جميع خدمه وعسكره الذين كانوا قد تفرقوا عنه بعد اعتقاله، فأدلوا الى الحصن بالمكاتل والحبال ، ولم تفتح لهم الأبواب للدخول الى الحصن منها مبالغة في الحذر ،ولما أطمئن الى وجودهم والى ولاء من في الحصن اذن بفتح أبوابه ، وصعد اليه الناس وكبار رجال الدولة وقادة الجيش وأعيان البلاد ورؤساؤها مبايعين ومعزين في نفس الوقت ، وكان الوزير موفق الدين حسان بن اسعد العمراني أول من صعد اليه حيث بايع المؤيد وحلف له واستحلف له الجند(٩٤) والأمراء واعيان الدولة ، فلم يختلف عليه اثنان ، ولم يمتنع عليه سهل ولا جبل ، ولا صاحب بلدة ولا صاحب حصن وجرت أموره على السعد والتوفيق ، وكان تاج الدين بن الموصلي كاتب الدرج ، فكتب لذلك كتباً كثيرة الى بلاد التهائم والى كافة البلاد بأجمعها ، والى جهة صنعاء والأشراف ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً (هكذا) وأمر بتجهيز اخيه وتنفيذ وصيته ، فخرجوا به من الحصن صبيحة الليلة التي توفي فيها ، وأمامه الظافر والمظفر يمشون ، وأعيان الدولة حتى دخلوا به مدرسته(٩٥) التي انشأها في مغربة تعز فدفن فيها ، وأقام القراء والقراءة عليه سبعة أيام ، فلما أنقضت ايام القراءة عليه انشده شعراء الدولة التهاني .

ومن أولى اعماله قيامه بابدال وزير اخيه وهو (حسام الدين بن حسان العمراني)(٩٦) بالقاضي (موفق الدين علي بن محمد اليحيوي المعروف بالصاحب) وفوّض اليه مع ذلك قضاء الأقضية ، أي مهمة تعيين وعزل القضاة

(٩٤) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر من ص ٢٨١ .

(٩٥) وهي غير مدرسة الأشرفية القائمة الى اليوم وبمأذنتين ، لأن هذه إنما هي بناء الملك الأشرف الثاني اسماعيل بن الملك الأفضل بن الملك المجاهد بن الملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول .

(٩٦) ولم يغير عليه شيئاً حتى بلغه عنه وعن أسرته ما يدل على سوء نواياهم نحو الملك (كما ذكر المصدر) فأحضرهم جميعاً اليه وطلب منهم تقديم حساب ما تولوه من أمور الأوقاف والأيتام ، ولما لم يحصل منهم على شيء أمر بنقلهم الى سجن خاص بهم جميعاً في عدن على باب دار الولاية فيها وصادر أملاكهم ، ولعله آخذ عليه منذ خلافه هو أي الملك المؤيد على أخيه الأشرف وتحين الفرصة للقبض عليه بحجة تشعر بأنها هي المبرر له للقبض عليه ، وقد تصرف مع غيره ممن حقد عليهم منذ ذلك الخلاف وقبض عليهم ومنهم : الأميران نجم الدين وبدر الدين ابنا ازدمر اللذان كانا ضمن قادة الجيش الذي حاربه في عدن اثناء خلافه المشار اليه .

والإشراف على اعمالهم وشؤونهم ، وهو ما يعرف اليوم بوزارة العدل .

وأقطع ولده المظفر اعمال صنعاء وولده الظافر اعمال الفخرية والحازتين من تهامة .

ولقد اتسمت علاقته باسرته بالتسامح والاحسان ، واحتمال اساءة بعضهم ، فقبل استعفاء الأميرين (الناصر محمد) و(العادل صلاح الدين)(٩٧) ابني اخيه الأشرف عن الاستمرار في ولاياتها صنعاء والقحمة وأعمالها ، حيث كان الناصر يشغل نائب الدولة في صنعاء وأعمالها ، والعادل يشغل اعمال القحمة في تهامة منذ حياة أبيها الملك الأشرف المتوفي،وحلفا لهوحلف لهما بعدم اساءة احد الى الآخر وذلك على يد الفقيه أبي بكر بن محمد اليحيوي ، ثم عزز العلاقة بينه وبينها بتزويج ولديه الظافر والمظفر اختيها .

وتسلم بعد ذلك قلعة الدملوة التي كان الملك الأشرف قد نقل اليها ذخائر الدولة ، بعد ان توثق امينها الطواشي فاخر من موافقة الأميرين الناصر والعادل بذلك وبعد ان وافق الملك المؤيد على خروج الطواشي المذكور بالممتلكات الخاصة بالملك الأشرف المتوفي لقسمتها بين ورثته .

ولمّا(٩٨) أراد الملك المؤيد أن يرسل جيشه لتوطيد نفوذ دولته في بلاد حجة اعترض ذلك اخوه الأمير المسعود الذي كان مقطعاً اعمال وادي سردد في تهامة الوسطى منذ عهد الملك الأشرف المتوفي ، والذي كان على علاقة غير حسنة مع أخيه المؤيد ، وراسل اخاه المؤيد معرباً له بعدم سماحه بمرور جيشه من سردد الى حجة خشية ان يكون الهدف الحقيقي من وراء ذلك هو القبض عليه ، وبالرغم من تأكيد الملك المؤيد له بما يطمئنه ، إلا أنه اصرّ على قيامه هو بالمهمة العسكرية في بلاد حجة ، فأمر الملك بتحويل طريق جيشه اليها عبر الحازة ، تفادياً لتفاقم خلافه مع

---

(٩٧) وقد توفي الأمير العادل بن الأشرف في قرية ضراس من أعمال ذي السفال عام ٧٠٢ .

(٩٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٨٥ . وعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني في (البهجة) ص ١٠٦ .

اخيه المسعود . ومع ذلك فإن هذا اصر على خلافه وخروجه على اخيه .

وكان الملك المؤ يد برغم تحليه بالصبر وقوة التحمل ناهضاً لا يتردد في الحرب ولا يتهيبها ، ولا يبخل في توفير مستلزماتها حينما يضطرّ اليها .

فحين أصرّ أخوه المسعود على مناوئته جهز جيشاً كبيراً لحربه ، وأصحب الجيش بثلاثة فيلة دربت على القتال ، وأمر مع ذلك أخاه الأمير المنصور ووزيره الصاحب موفق الدين اليحيوي اللذين كان قد انفذهما الملك الى بلاد المخلافة وحجة لإخضاعهما ، امرهما بالانضمام الى الجيش المذكور ، وجعل اليهما قيادته .

والتقى الجمعان بين حرض والمحالب ، وقبل ان يصدم الجيشان تفرق جمع المسعود عنه ، وأدرك هو انه مغلوب ولو لم يتفرق عنه جمعه ، ولم يجد بداً من تسليم نفسه . وقبض عليه وعلى ولده اسد الإسلام وأرسلا الى الملك المؤ يد الذي امر باعتقالهما في معتقل دار الأدب بحصن تعز ، وكان ذلك في المحرم من عام ٦٩٧ هـ .

وقد افرج عنهما بعد نحو عام واسكنهما مدينة حيس وأجرى لهما النفقات اللازمة ، وبذلك يكون الملك المؤ يد قد حسم كل خلاف له مع أسرته .

ولما توفي(٩٩) الإمام المطهر بن يحيى في حصن ذروان حجة من العام المذكور ٦٩٧ هـ تحرك الملك المؤيد الرسولي الى صنعاء ودخلها في شهر الحجة من نفس العام ، وذلك لدعم مركزه في المنطقة وتأكيد مركزية حكمه في اليمن .

ولأن الأشراف لم يجنحوا للصلح فإنّ الملك المؤ يد جهز حملة الى المنطقة الشمالية في القسم الأعلى بقيادة الأمير جمال الدين بن بهرام وصلت الى بلاد صعدة ورسخت فيها نفوذ الدولة الرسولية .

كما خرج هو أي الملك على رأس جيش كبير من صنعاء الى بلاد الظاهر الأعلى والأسفل من بلاد حاشد وأقام فيها ثمانية عشر يوماً ، ولم يغادرها حتى اذعن له الأشراف بزعامة الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بن الحسن الحمزي وولده المؤ رخ

(٩٩) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٢٠٨ . والخزرجي في العسجد المسبوك من ص ٢٨٦ .

إدريس[١٠٠] ، وعقد معهم صلحاً وقعه الجانبان مبدئياً في نفس محطة الملك ، ومثل الملك فيه ولده المظفر وأخوه المنصور ووزيره الصاحب موفق الدين ، وقد استقبل الملك المؤيد الأشراف في مخيمه بعد عقد الصلح استقبالاً لائقاً ، واكرمهم اكراماً بالغاً ، قال الخزرجي : « واقبل السلطان على الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بالمحبة ، وأزال ما في خاطره وجدّد له رفع الطبلخانة ، وحمل معها من الكساء والأموال شيئاً كثيراً » .

ثم غادر الملك المؤيد بلاد الظاهر عائداً الى صنعاء في غرة شهر ربيع الأول من عام ٦٩٨ هـ .

والى صنعاء وصل اليه بقية الأشراف الحمزات وغيرهم لإتمام عقد الصلح ، وفيهم الأمير نجم الدين احمد بن علي بن موسى بن عبد الله بن حمزة وغيره ، ولمّا تمّ عقد الصلح غادر الملك المؤيد صنعاء الى تعز ، وبصحبته عدد من كبار الأشراف وزعماء القبائل وأقام معهم فيها أياماً ، غادرها بعدها الى زبيد وفي صحبته الأشراف والزعماء وأقام في زبيد الى آخر شعبان من نفس العام ، ثم عاد الى تعز وهم بصحبته حيث أقاموا في سوحه حتى نهاية عيد الفطر من نفس العام أيضاً، ثم ودعهم واكرمهم وأنعم عليهم ، وقد بلغ ما أعطاه الملك للأمير علي بن عبد الله وحده ما يزيد على سبعين الف دينار من الذهب ، وهذا قدر كبير في ذلك العهد .

وبذلك يكون الملك المؤيد قد بسط نفوذه في معظم القسم الأعلى بما فيها بلاد حجة وبلاد صعدة وبلاد مأرب وغيرها .

هذا[١٠١] وفي آخر شهر شوال من العام المذكور تحرك موكب الملك المؤيد الى عدن وأقام فيها حتى قضى أيام عيد الأضحى ثم عاد الى تعز ، قال الخزرجي في تأريخه : « وفي آخر شهر شوال تقدم السلطان إلى عدن فأقام الى سلخ ذي الحجة من السنة المذكورة فعيّد عيد النحر بها ، وكان السماط (مأدبة الأكل) بحقات تحت

---

(١٠٠) مؤلف كنز الأخبار في تأريخ اليمن .

(١٠١) العسجد ص ٢٩٠ .

المنظر السلطاني على شاطىء البحر وقام الشعراء على السماط بأنواع المدائح وتعذر على العفيف عبد الله بن جعفر الوصول فأرسل قصيدته صحبة الشيخ محمد بن حطاب فانشدت على السماط وهي قصيدة طنانة ، ونشرها ومنها :

أعلمت من قاد الجبال خيولا ... وأفاض من لَمْع السيوف سيولا
وأماج بحراً من دلاص سابغ ... جرّت أسود الغاب منه ذيولا
ومن القسيّ أهلة ما تنقضي ... منها الخضاب على الخضاب نصولا
وتزاحمت سمر القنا فتعانقت ... قرباً كما يلقي الخليل خليلا
فالغيث لا يلقى الطريق الى الثرى ... والريح فيه لا تطيق دخولا
سحب سرت فيها السيوف بوارقاً ... وتجاوبت فيها الرعود صهيلا
طلعت اسنتها نجوماً في السما ... فتناثرت عنها النجوم افولا
تركت ديار الملحدين طلولاً ... مما تبيح بها دما مطلولا
حطمت جحافلها الجحافل حطمة ... تدع الحمام مع القتيل قتيلا
طلبوا الفرار فمدّ سلطان القنا ... فأعاد معقلهم بها معقولا
عرفوا الذي جهلوا فكل غضنفر ... في البأس عاد نعامة اجفيلا
اين الفرار ولا فرار وبعدهم ... من ليس يترك للفرار سبيلا
ملك اذا هاجت لوافح بأسه ... ترك العزيز من الملوك ذليلا
يقفو المظفر والشهيد مآثراً ... وعُلاً وفخراً في الملوك أثيلا
وافى الى عدن كمقدم جده ... سيف بن ذي يزن الكريم أصولا
بحر الى بحر يسير بمثله ... والبحر احقر ان يكون مثيلا

ومنها :

واستقبلت عدن جبينك والتقت ... في ملتقاه سعادة وقبولا
والشمس تحسد تاجك المعقود ... والأكليل يحسد ذلك الاكليلا
لو يستطيع الثغر كان مقبلاً ... بالثغر منه ركابكم تقبيلا
إن جاورت هذي الشمائل منكمو ... جعلت مذاق الماء منه شمولا
انت الذي الدنيا مبشرة به ... والناس ينتظرون جيلاً جيلا

فـاليـوم قــد وهب الإلــه لخلقــه | ظــلاً عــلى الأقــطار منــه ظليــلا
واتى لهــم بــدر الــسـماء بــذمــة | مكتــوبــة لأ تُــظْلَمــون فتيــلا
أهــزبــر غسـان بن قحطان الــذي | يــدعـوه في النسب القبيــل قبيــلا
في حينــما رُفـعت بنـودك نُــزِّلت | آيــات نصــرك فــوقهــا تنــزيــلا
لــولا العــلائق والعــوائق لم أغب | عن ظــل بـابــك بكــرة وأصيــلا
ومن التكــرم والتـفضــل لم يــزل | عــذري الى صــدقــاتكم مقبــولا
لا زال تــوفـيـق الإلــه مـقــارنــاً | لــك حيث كنت اقــامــة ورحيــلا

وأضاف الخزرجي(١٠٢) قائلاً : وقدّم التجار المقيمون بالثغر المحروس التقاديم النفيسة على عوائد الملوك ، فردها السلطان وأمر بافاضة الخلع عليهم والتشاريف والمراكب من البغال المختارة بـالعُدد الكـاملة والسروج المـذهبة ، والدنانير المنوعة ، واجرى نواخيذ الهند (قائدِي المراكب التجارية البحرية) على جاري عاداتهم، وامر باكرام النواخيذ والتجار المترددة الى الثغر ، وأمر بعمارة بيت الحل ، وأقام بعدله موسم الفضل ، وشاهد موسم الخير من دار الطويلة ، وسارت النواخيذ والتجار الكارمية ناشرين لواء عدله في أمصارهم » .

خــلاف(١٠٣) أشــراف المخــلاف السليماني على الدولة الرسولية في عام (٧٠١ هـ) وقتلوا مقدم الدولة في مدينة الراحة (الأمير خطلبا) وانتهبوا اربعين من خيل رتبة الراحة ، فجهز الملك المؤيد الأمير ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي (الذي كان مقطعاً اعمال القحمة في تهامة ، ثم عززه بقوة اخرى بقيادة مشد زبيد (شهاب الدين احمد بن الحزبتري) ثم بقوة ثالثة بقيادة نائب حرض ، ودخلت قوات الدولة المخلاف وقتلت عدداً كبيراً من اشراف المخلاف ، واضطرتهم الى الإذعان وطلب الصلح ، فأجابهم الملك الى طلبهم ، بعد ان اعادوا الخيل التي انتهبوها ، ثم ولى في مدينة الراحة الشريف علي بن حاتم بن سليمان بن علي ،

(١٠٢) أورد مثل هذه الأحداث لأطلع القارىء على بعض العادات والتقاليد في بعض العهود السالفة .

(١٠٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٩٤ .وابن عبد المجيد في (بهجة الزمن) ص ١١٢ .

واعاد لدولته نفوذها على المخلاف من جديد .

ولما دعا الإمام المهدي[١٠٤] محمد بن المطهر بن يحيى في عام (٧٠١ هـ) تحرك الملك المؤيد الى صنعاء في نفس العام المذكور ، يحثه على ذلك قيام الإمام المهدي بالاتحاد مع الشريف تاج الدين محمد بن يحيى بن حمزة صاحب حصن كحلان عفار في بلاد الأشمور والمعروف بكحلان تاج الدين نسبة اليه[١٠٥] ، واتحاد الإمام المهدي ايضاً مع الشريف همام الدين سليمان بن القاسم الذي تمركز في ظفار ذيبين ، واعلانهم جميعاً حربهم على الدولة الرسولية .

وفي صنعاء أكمل الملك المؤيد استعداده لحرب الأشراف وخرج منها الى بلاد حاشد ، وتجوّل فيها داكاً قلاع وحصون الأشراف في القسم الأعلى ، حتى اجبرهم على الاذعان للدولة الرسولية وعقد صلح معها ، وتسلم الملك الرسولي المؤيد المذكور عدداً من حصون المنطقة الشمالية والشمالية الغربية ، وعدداً من الرهائن لضمان التقيد بالصلح ، وقضى الملك المؤيد عيد الأضحى في ورور حاشد ، ولم يكن حاضراً معه من الأدباء والشعراء إلا الأديب سابق الدين يوسف العنسي الذي هنأه بقصيدة مطلعها :

الملك ليس تنام فيه عيون ... حتى تسيل من الدماء عيون

ومنها :

فدع الحصون بلاقعاً من أهلها ... فلقد أضلتهم عليك حصون
فاطحنهمو طحن الرحا بكتائب ... هي للطغاة جميعهم طاحون
فالأرض ارثك كلها من تبع ... فاعقل حديثي والحديث شجون
غمدان قصركمو القديم وقصركم ... صرواح قبل وقصركم بينون
أظهرت بالجيش الحرمرم كلما ... أخفت ظهور منهمو وبطون
خرجت ظفار لا تدع كحلان تا ... ج الدين فهو لملكهم قانون

---

(١٠٤) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٢١٠ . والخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٩٤ .

(١٠٥) وكان للشريف تاج الدين نفوذ في المنطقة الغربية من بلاد حجة وبلاد الطويلة بعد والده .

واقبض ظفـأر ولا تـدعـه مبجـلاً | يـا ابن الكـرام ففـوقـه لـك دون
انت المؤيـد بـالإلـه فـلا تخف | ممـا يـكـيـدك خـائـن ويخـون
هـذي الخلافـة سعدهـا بك طـالـع | في حيث كنت ووجـهـهـا ميمـون
فبقيت لـلإسـلام يـا ملك الـورى | كـهـفـاً يـلوذ بـظله المسـكـين

ثم عاد الملك المؤيد الى صنعاء تاركاً في ورور حاشد جيشاً كبيراً عليه عدد من الأمراء والأشراف الموالين له ، ومنهم : الأمير عماد الدين ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي والأمير محمد بن احمد بن حاتم والشريف شمس الدين عباس بن محمد ابن عباس بن عبد الجليل وغيرهم .

وكان قبل مغادرته لورور قد جهز حملة بقيادة الأمير شرف الدين احمد بن علي الجنيد لتسلم حصن تلمص في بلاد صعدة ، ولترسيخ نفوذ الدولة الرسولية فيها .

ثم اقطع صنعاء الأمير سيف الدين طغربل خلفاً لولده الظافر ، وذلك نقلاً لطغربل من اقطاعه في لحج وأعمالها .

وخلفه عليها بالأمير علي بن عبد الله الحمزي ، وعاد هو أي الملك المؤيد الى تعز في شهر شعبان من عام (٧٠٣ هـ) ، وذلك بعد ان عزز الأشراف الصلح معه ، ثم عززوه بصلح ثالث في عام (٧٠٥ هـ) .

وحين ادرك الملك المؤيد ان بقاء بعض الحصون في بلاد حجة خارجة عن نفوذ الدولة الرسولية ومثار اضطراب بين الحين والآخر ، انفذ(١٠٦) حملة عسكرية بقيادة الأمير ادريس بن علي بن عبد الله المذكور للاستيلاء عليها ، وتمّ له ذلك وبسط نفوذ الدولة في اعمالها ، ومنها : حصن جبل سعد ببلاد الجبر من الشرف الأعلى ، وحصن القاهر بالمحابشة ، وحصن القفل وغيره من حصون الشرف الأعلى .

وحصن الباب وحصن الناصرة في بلاد الشاهل . كما تسلم حصن المسواكة في بلاد الشرف الأسفل من اصحابه اشراف جبل حرام مقابل الفي دينار ، حسماً لما

---

(١٠٦) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣١٧ .

قد يثيره الاستيلاء عليه مستقبلاً من قبل بعض مناوئي الدولة الرسولية من مشاكل .

ثم سيطر عامل الدولة الرسولية في المنطقة غلام الدولة حسن بن الطماع بن ناجي على اعمال جميع تلك الحصون ورتب فيها الحاميات العسكرية لضمان حفظ الأمن في المنطقة ، وكانت هذه الأحداث في عام (٧٠٩ هـ) .

ولمّا تجددت الاضطرابات في القسم الأعلى بسبب خلاف اكراد ذمار وقتلهم لنائب الدولة الرسولية في صنعاء سيف الدين طغربل في العام المذكور ، ولجوئهم بالإمام محمد بن المطهر بن يحيى ، تحرك(١٠٧) الملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر ابن علي رسول على رأس جيشه من عاصمته (تعز) الى صنعاء ، ومنها جهز جيشاً بقيادة ابنه الأمير المظفر لحرب الإمام المذكور ، تمكن المظفر من الإستيلاء على بعض الحصون التي كانت خاضعة للإمام ، وإرغامه هو الى الفرار من وجه قوات الدولة الرسولية ، بعد إحرازها بعض الانتصارات في الحرب التي قامت بين الجانبين ، والى الملك المؤيد الى صنعاء وفد عليه الكثير من الأشراف ممن لم يوافقوا الإمام على تصرفه ، وأكدوا للملك ولاءهم وطاعتهم .

وكان الملك قد جهز من تعز عقب قيام الأكراد بقتل نائب صنعاء عدة حملات عسكرية من تعز بقيادة استاذ داره شجاع الدين عمر بن القاضي العماد ، ومن تعز عن طريق تهامة بقيادة الشريف عباس بن محمد ، ومن بلاد صنعاء عليها عدد من رؤسائها ، وقدر للحملات الثلاث وصولها ذمار في يوم واحد ، وقامت حرب بينها وبين الأكراد استمرت ثلاثة أيام ، قتل فيها عدد من الأكراد ولجأ من فر منهم بالإمام المذكور ، مما اضطر الملك الى التحرك الى صنعاء كما عرفنا .

هذا والاكراد هؤلاء هم البقية الباقية من عسكر الأيوبيين . و كانوا قد تجمعوا بعائلاتهم في مدينة ذمار منذ بداية دولة بني رسول وظلوا موالين لها يحاربون في صفوفها ضد مناوئيها والخارجين عليها . ويبدو انه كان لهم تجمع كبير في ذمار جرّأهم ومكنهم من غزو صنعاء والهجوم على نائبها للدولة الرسولية الأمير سيف

---

(١٠٧) الدكتور محمد عبد العال في (بنو رسول وبنو طاهر) ص ١٨١ .

الدين طغربل ، وقتله وقتل استاذ داره وكاتبه بعد اعطائهم الذمة وبعد انتهاب معسكر الحامية وطردهم والتغلب مع ذلك على الحامية البحرية التي جاءت لمساندة حامية صنعاء .

وكان اكراد ذمار في بداية هجومهم قد عقروا خيل حامية صنعاء في اصطبلاتها كما ورد في انباء الحادث ، وذلك لمنع تمكن الحامية من القيام بعمل عسكري ضد مخططهم ، وكان الدافع لهم الى ذلك هو ما بلغهم من عزم نائب صنعاء على غزوهم والقبض على زعمائهم والقضاء عليهم .

ولم يكتف الملك المؤيد بما تمّ في سبيل تحديد نفوذ الإمام محمد بن المطهر ، اذ كلف ابنه الأمير المظفر بمواصلة حملاته من صنعاء لحرب الإمام والاستيلاء على الكثير من حصون القسم الأعلى التي كان الإمام قد سيطر عليها ، واخضاع اعمالها للدولة حتى قدم رؤساؤها الرهائن لضمان ولائهم لها .

كما واصل الملك حملاته على الأكراد حتى قدموا له رهائن الطاعة أيضاً .

وقد ساء الإمام محمد بن المطهر ولاء الأكراد للدولة الرسولية ، واستطاع أن يستميلهم اليه مرة أخرى . كما تمكن من القبض على الشريف ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي الذي جهزه الملك على رأس بعض حملاته لحرب الإمام ولكن الشريف تمكن بعد فترة من التخلص من الأسر ، وان يعود الى الملك .

ثم توصل الجانبان الملك المؤيد والإمام محمد بن المطهر الى اتفاق يقضي بعقد هدنة بينهما مدتها عام واحد ، سعى الإمام بعد انتهاء العام الى تجديدها .

وتمّ عقد صلح اطول مدة واشمل بنوداً بين الجانبين وذلك في شهر جمادي الآخرة عام (٧١٢ هـ) وكانت مدة هذه الهدنة عشر سنوات من التأريخ المذكور .

واستقرت المنطقة بشكل عام ، والتزم الإمام بعدم قبول الأكراد في خدمته واعلن الأكراد من جانبهم عزوفهم عن خدمة الإمام ، كوسيلة لاحراز رضى الملك عنهم ، واستطاع بعض خاصته ان يقنعه بالعفو عنهم ، ففعل الملك ذلك .

ومع ذلك فإنّ اكراد ذمار ثاروا مرة اخرى وقتلوا عدداً من المماليكك وذلك في عام (٧١٣ هـ) . الأمر الذي حمل الملك على تجهيز حملة كبيرة طاردتهم وشردتهم ونكلت بالكثير منهم حتى ضاقت الأرض بهم (على حد ما جاء في المصدر)(١٠٨) واضطرهم الى ان يبعثوا عدداً من رؤ سائهم لتأكيد اذعانهم وولائهم ، وان يرهنوا لديه خمسة من زعمائهم لضمان استمرار طاعتهم له ، وعدم تكرار خروجهم عليه،فصفح عنهم واستخدم عدداً ممن رغب منهم في خدمة الدولة الرسولية منهم، ولم يقوموا بأي خلاف بعد ذلك طيلة عهد الملك المؤ يد .

أمّا آخر خلاف داخل الأسرة الرسولية في عهد الملك المؤ يد المذكور فهو الخلاف الذي قام بين الملك وابن اخيه الأمير الناصر بن الأشرف ، والذي ادى الى خروج الملك المؤيد على رأس قوة من جيشه لمطاردة الأمير الناصر المذكور بهدف القبض عليه ، في قصة ملخصها :

إن الملك(١٠٩) مرض مرضاً كاد يودي بحياته حتى أرجف الناس بموته ، وحرصاً من الأمير الناصر ان يكـون هو لا احد أولاد الملك خليفته فقد قام بجمع عدد من انصاره واتباعه والاستيلاء على مدينة الجند ، معلناً استيلاءه على الملك لنفسه،يشجعه على ذلك قاضي القضاة (محمد بن أبي بكر بن محمد اليحيوى)الذي قام بمراسلة الكثير من أعيان وولاة الدولة ، يحثهم فيها على مبايعة الأمير الناصر . الأمر الذي حمل الملك المؤ يد على ان يتجلد وينهض من فراشه وكان فيه بقية من ألم ، ويقود حملته بنفسه الى الجند للقبض على الناصر ، الذي ارتفع فور علمه بتحرك الملك نحوه الى جبل سورق احد جبال بلاد ماوية المنيعة والقريبة من الجند، فأنفذ الملك حملـة في أثره بقيادة الأمير جمال الدين نور بن حسن بن نور ، وأدرك الناصر تفوق قوة الملك وعدم قدرته هو على الصمود امام الحصار الذي فرض عليه في الجبل المذكور ، فراسل الملك طالباً تأمينه ، ولبى الملك طلبه ، ووصل الى الملك فعفى

---

(١٠٨) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٣١٩ . وابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ١٢٧ .

(١٠٩) (بنو رسول وبنو طاهر) آنف الذكر ص ١٨٣ .

عنه ، وقبض على قاضي القضاة المذكور وعزله وخلفه بالقاضي رضي الدين أبي بكر بن احمد اليافعي ،

اجراءات ادارية هامة في دولة الملك المؤيد

كان الأمير المظفر بن الملك المؤ يد قد توفي في شهر ذي القعدة من عام (٧١١) للهجرة . وكان اخوه الأمير الظافر قد توفي قبله ، ثم توفي الوزير الصاحب موفق الدين (علي بن محمد اليحيوي) في شهر الحجة من نفس عام وفاة الأمير المظفر المذكور .

فاضطر(١١٠) الملك المؤ يد الى استدعاء شخصيات يمنية وغير يمنية من الشام ومصر للعمل في خدمته ، وسد النقص الذي حصل في دولته بوفاة ولديه ووزيره ، وعدم كفاية الكثير من مساعديه على ضخامة المسؤ ولية وتنوعها ، وأدخل لذلك نظماً جديدة في جيشه بفضل خبرة بعض تلك الشخصيات ، وأجرى تعديلات وتغييرات ادارية هامة .

قال (تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تأريخه (١١١) : « وفي سنة خمس عشرة وسبعمائة وصل الأمير علاء الدين كشتغدي ، من الشام الى خدمة الملك المؤ يد باستدعاء من المؤ يد ، وكان قبل ذلك استاذ دار الملك المظفر صاحب حماه ، وكان خبيراً باللعب بالجوارح ، فتقدم عند الملك المؤ يد تقدماً عظيماً ، ونادمه في خلواته ، ثم استنابه بعد ذلك ،وردّ اليه امور دولته على ما نذكر ان شاء الله » .

«وفيها ولي القاضي جمال الدين محمد بن الفقيه رضي الدين ابي بكر قضاء الأقضية وعمره عشرون سنة .

وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة وصل القاضي تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (يعني نفسه) من دمشق الى اليمن الى خدمة الملك المؤ يد باستدعاء منه له وولاه كتابة الإنشاء وأكرمه وقربه » .

(١١٠) اورد مثل هذه الاجراءات بشيء من التفصيل لإعطاء القارىء فكرة عما كانت عليه الأحوال في عهد تلك الأحداث .

(١١١) البهجة من ص ١٢٩ .

وفي سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصل صفي الدين عبد الله عبد الرزاق الواسطي وهو من جملة الكتاب ببلد حماه ، وباشر كتابة بيت المال بطرابلس الشام ، فلمّا استقر علاء الدين كشتغدي في الخدمة المؤيدية نوّه بذكره وشكره وأثنى عليه وذكر معرفته ونهضته ، فاقتضى ذلك طلبه ، فطلب حثيثاً ، وانفق عليه الى حين وصوله من الذهب العين الفي مثقال ، ولمّا وصل اليه فوّض اليه شد(١١٢) الاستيفاء ، وحظي عند المؤيد ، وانبسطت يده في الدواوين ، والمذكور زوج ابنة الأمير علاء الدين كشتغدي ، وتوجه المذكور في هذه السنة الى عدن وحمل ثلاثمائة ألف دينار ، وعاد بها والمؤيد بالجند فأكرمه وعظمه .

وفي السنة المذكورة رتب الأمير علاء الدين كشتغدي الجيش اليمني على قاعدة الجيوش المصرية ، وجعل له حاجباً للميمنة وحاجباً للميسرة ، ورتّب خلف السلطان اذا ركب العصائب والجمدارية الطبردارية ، فركب المؤيد بهذا الزي .

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة فوّض الملك المؤيد الأمير علاء الدين كشتغدي نيابة السلطنة وأتابكية العسكر ، وتقدم عنده تقدماً لم يسمع بمثله ، وقرىء منشوره بإيوان الراحة ، وكان يوماً مشهوداً ، ووقع بينه وبين صهره صفي الدين منافسة ظاهراً وباطناً ، ثم كانت وفاة كشتغدي في سنة عشرين وسبعمائة .

وفي سنة عشرين وسبعمائة حصلت مرافعات من الكتاب على صفي الدين وحاققه الكتاب بمجلس الملك المؤيد ونسبوا اليه أنه أخذ جملة من المال، ولم يظهر عليه أثر ذلك ، فعزله المؤيد عن شد الاستيفاء وفوّض ذلك الى الأمير جمال الدين يوسف ابن يعقوب بن الجواد » .

وفيها وصل القاضي محي الدين يحيى بن القاضي سراج الدين عبد اللطيف التكريتي الكارمي من الديار المصرية على طريق مكة ، واجتمع بالملك المؤيد ، وقدّم له جملة من الزمرد واللآلىء ، وتقدم عنده تقدماً كبيراً ، وأحله محل الوزارة ،

(١١٢) شد الاستيفاء من مصطلحات الدواوين في ذلك العصر ويسمى صاحب هذه الوظيفة المشد أو المتولي ويقصد بها مباشرة ضرائب أصول الأموال والمرتب عليها يتعلم حال المعاملة فيها انتهى من حاشية البهجة .

وفوّض اليه الوكالة ، وصرّفه في عدن تصرفاً عاماً تاماً مطلقاً ، وأعطاه من ماله على حكم المتجر مائة الف دينار ، وأطلق له من عدن خمسين ألف دينار ، وتوجه الى عدن ، وعاد منها في سنة إحدى وعشرين وحصل بينه وبين صفي الدين مرافعات بمجلس السلطان ، ولم ينتصر احدهما على الآخر ، وركب السلطان في يوم العيد ومحيي الدين في موضع الوزارة وركب بالطرحة على عادة وزراء مصر » .

وفاة الملك المؤيد وقيام ولده المجاهد

وقد توفي الملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول في مستهل شهر ذي الحجة من عام (٧٢١ هـ) ، وذلك في قصر الشجرة بمدينة تعز ، وغسل وشيع من دار العدل اسفل حصن تعز ، ودفن بمدرسته التي انشأها بمغربة تعز ، والتي كانت تسمى بالمؤيدية عن ملك دام خمسة وعشرين عاماً وأشهراً .

وقد وصفه كاتب ديوان انشائه (عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تاريخه[١١٣] فقال : « وكان ملكاً حازماً فاضلاً محباً للعلوم مقرباً لأهلها يستميلهم اليه حيث كانوا ويرغب فيهم ، ويرغبهم فيما عنده ، ويكرم من وفد عليه من الديار المصرية وغيرها ، وكان محباً لجمع الكتب والتحف ، جمع من مصنفات العالم على اختلافها وتباينها ما يزيد على مائة ألف مجلد وحملت اليه الكتب والتحف من كل جهة ، وكان عنده مع ذلك زيادة على عشرة نساخ ينسخون الكتب ، وترفع الى خزانته بعد مقابلتها وتحريرها رحمه الله تعالى » .

وكان سريع النهضة لصد أي عدوان على المملكة وسد أي خلل فيها ، وكان له جيش دائم الحركة لحرب المفسدين والمتمردين والخارجين عليه في أي مكان ، وكان يعزره ويمده بالعتاد والرجال بصورة مستمرة ، وكان يعطي بسخاء ويمنح عفوه كل خارج عليه يلتمس العفو ويذعن له .

وقد انتهى شباب الدولة الرسولية بموته ، اذ انفصلت عنها بموته كثير من

---

(١١٣) (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ١٣٢ .

المناطق اليمنية في القسم الأعلى من اليمن لاشتغال خلفه الملك المجاهد (علي بن داود) بالثورات التي قامت ضده من الجيش ومن أسرته ومن العديد من القبائل اليمنية في اليمن الأسفل وتهامة ، يغذي كل ذلك الخلاف الأئمة الزيدية لضمان استمرار نفوذهم على القسم الأعلى،وكان الملك(١١٤) المؤيد حين اشتد بهالمرض قد امر ولده المجاهد بطلوع حصن تعز (القاهرة) ومزاولة مهام الدولة وشؤونها ففعل المجاهد ذلك .

ولّما توفي الملك المؤيد شيعه ولده من دار العدل ولم يشيعه من حصن تعز كما جرت بذلك العادة في الدولة ، منعاً لحدوث اشياء ضده أثناء ذلك ، وكان ذلك مما أخذه عليه الخارجون عليه .

خلع الملك المجاهد وتنصيب عمه المنصور

واجه الملك المجاهد(١١٥) بعد ستة اشهر فقط من تسلمه مقاليد الحكم بعد موت أبيه ثورات متعددة قامت ضده من أسرته ومن الجيش ومن مختلف القبائل اليمنية وبالذات في مخلاف جعفر وفي تهامة ، يغذيها جميعها كما أشرنا الأئمة الزيدية لضمان استمرار نفوذهم على القسم الأعلى من اليمن .

ولقد ضرب المجاهد أروع الأمثلة في الصمود العنيد والطويل في وجهها ، ولم يستسلم بعد حصاره في حصن تعز مرتين دامت المرة الأولى ستة أيام ، ودام حصاره في المرة الثانية تسعة اشهر متوالية ، ضرب الحصن خلالها بالمنجنيق بآلاف الأحجار ، وتخلى عنه أقرب المقربين اليه حتى والي الحصن وغيره ممن كانوا معه في الحصن من كبار رجال الدولة وقادة الجيش ، وكان ذلك كافياً لتحطيم معنوياته ، ودافعاً له الى الاستسلام ، ولكنه لم يفعل ، وان كان قد ادى ذلك الى خروج معظم اجزاء القسم الأعلى عن حكمه ، وتمكن الأشراف من بسط نفوذهم عليه دون منازع من الدولة الرسولية بل لقد طمع الأئمة الزيدية بالاستيلاء على مناطق في تهامة

---

(١١٤) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣٣٤ .

(١١٥) ابن عبد المجيد في المصدر المذكور من ص ١٣٢ . والخزرجي في المصدر المذكور أيضاً ص ٣٣٨ . ومحمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٢٢٨ .

وفي بلاد ذمار وبلاد رداع وغزوها فعلاً ، ولكنهم لم ينجحوا في وضع أيديهم عليها بصورة دائمة ، ولعلّ من أهداف غزوهم لها هو اتخاذها خطوط دفاع أمامية عن القسم الأعلى ، ومع ذلك فإنّ القسم الأعلى لم يستقر بانفصاله عن حكم بني رسول ، إذ تحوّل الى مسرح للصراع بين الأئمة فيما بينهم ، ولا أدّل على ذلك من تعارض أربعة أئمة في وقت واحد خلال حكم الملك المجاهد وهم : (يحيى بن حمزة) و(المطهر بن محمد بن المطهر) و(علي بن صلاح الدين) و(احمد بن مدافع الديلمي) ، كما سنعلم تفصيلاً في الفصل الرابع من الفصول التي عقدتها لتأريخ حكم الأئمة في اليمن .

وأول(١١٦) ثورة قامت ضد الملك المجاهد (الذي ولي الحكم وعمره لم يتجاوز الخمسة عشر عاماً) هي ثورة المماليك والأمراء الكبار الذين قصدوا وزيره الجديد (عمر بن يوسف بن منصور) الى داره في قرية المحالب بمدينة تعز وقتلوه وقتلوا معه قاضي القضاة الجديد الفقيه (عبد الرحمن الظفاري) وعدداً من الأمراء ، ثم قصدوا الملك المجاهد الى قصره في منتزه ثعبات بمدينة تعز ايضاً ، في نفس الليلة في الثامن من شهر جمادي الآخرة من عام (٧٢٢) للهجرة وتمكنوا من القبض عليه وساروا به الى عمه المنصور (ايوب بن يوسف بن عمر بن علي رسول) الذي كان قد وصل أو استدعي قبل الحادث من حصن السمدان في بلاد الحجرية مكان اقامته ، حيث ابقاه المنصور عنده ثلاثة أيام اسيراً ، استحلف للمنصور قادة الجيش وكبار رجال الدولة خلالها ، ثم ارتفع المنصور الى حصن تعز ملكاً وبصحبته الملك المجاهد اسيراً ، حيث انزله إحدى دور الإمارة في الحصن أسيراً مكرماً .

أمّاالأسباب التي حملت الثوار على خلع الملك المجاهد وتنصيب عمه المنصور فتتلخص بالآتي :

كان الملك المجاهد بسبب صغر سنه عند توليه الحكم قليل الدراية والخبرة بادارة شؤ ون الدولة قليل الحنكة، مستسلماً لحاشيته وفي مقدمتهاوزيره الجديد الذي

---

(١١٦) ابن عبد المجيد في البهجة من ص ١٣٣ . والخزرجي في العسجد من ص ٣٣٩ .

خلف به وزير ابيه وهو (عمر بن يوسف بن منصور) المذكور ، الأمر الذي اضعف ثقة قادة الجيش وكبار رجال الدولة به ، وضاعف من نفورهم منه وتخوّفهم من تسرعه قيامه بامور اخذوها عليه ومنها :

ابداله وزير ابيه واستاذ داره وأتابك عسكره (جمال الدين يوسف بن يعقوب ابن الجواد) بشجاع الدين (عمر بن يوسف بن منصور) المذكور ، وأبدال قاضي القضاة بمعلمه الفقيه وجيه الدين (عبد الرحمن الظفاري) ، وإقصاء اعوان أبيه وخاصته ، وعزمه على اقصاء مماليك أبيه .

وقبضه على الأمير الناصر بن الملك الأشرف واعتقاله بعد ان تبادل معه المواثيق بولاء كل منهما للآخر ، وذلك عملاً برأي وزيره الجديد المذكور ، وقد برّر الوزير رأيه ذلك للملك بالخوف من قيام الأمير الناصر بالخروج عليه ، كما خرج على أبيه من قبله .

ثم قيام الملك المجاهد بزيارة (قلعة الدملوة) مقر اموال وذخائر بني رسول ، وعودته منها دون ان ينعم على جيشه بالعطاء كما جرت عادة اسلافه في مثل ذلك .

أما الملك المنصور فإنه بعد تنصيبه أفرج عن الأمير الناصر من معتقله في عدن واقطعه أعمال المهجم في تهامة ، وانعم على الجيش ورجال الدولة ، وأبقى على حاشية ومعاوني وخدم الملك المجاهد ، الأمر الذي ساعد هؤلاء على العمل على عودة الحكم الى الملك المجاهد كما سنعلم .

كما قام الملك المنصور في فترة حكمه التي لا تزيد على ثلاثة أشهر باقطاع الأمير بدر الدين (حسن بن الأسد) والي ذمار أعمال حرض ، وولده الأمير اسد الدين (عبد الله بن المنصور) قلعة الدملوة وأعمالها وأمراء عديدين آخرين اقطاعات واسعة اخرى ، كان لجميعهم ادوارهم الكبيرة في اثارة المتاعب الكثيرة على الملك المجاهد منذ بدأت أول ثورة ضده في التأريخ المذكور ، وحتى القبض على الأمير الظاهر اسد الدين المذكور واعتقاله في عام (٧٣٤) للهجرة كما سنعلم أيضاً .
وكان تمرد الأمير الظاهر في قلعة الدملوة المنيعة وتوسيع نفوذه الى معظم اجزاء مملكة بني رسول بعد تنصيب نفسه ملكاً سبباً في اثارة عدد من القبائل اليمنية في تهامة

ومخلاف جعفر ضد الملك المجاهد ، لا في اثناء سيطرة الأمير الظاهر فحسب بل وطيلة عهد الملك المجاهد ، وأبرز تلك القبائل ، قبيلة المعازبة ، وقبيلة القرشية في تهامة ، إذ قوّى تمرده الطويل شوكة هاتين القبيلتين العتيتّين وغيرهما ، وشجعهما على التمرد على الملك المجاهد ، عانى الكثير من المتاعب في سبيل اخضاعهما .

عودة الحكم الى الملك المجاهد

عاد الحكم الى الملك المجاهد بتدبير من والدته (جهة صلاح) التي استطاعت ان تغري حامية الحصن ورجال المدفعية منهم بالذات وتستميلهم الى ولدها ، بعد ان تمكنت عن طريق بعض خاصة ابنها (الذين تسامح المنصور معهم ولم يغير عليهم شيئاً) من الاستعانة بجماعة من جنود عدن اليمنيين .

وقد فصّل حادث عودة الحكم الى المجاهد المؤرخ (تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تأريخه(١١٧) فقال : « فوصل العرب اليمنيون الى المكان الذي تقرر طلوعهم منه ، وكان بينهم وبين العبيد المقيمين في الحصن اشارة فلمّا علم العبيد بهم ارسلوا لهم الحبال التي أعدوها للطلوع ، فطلع الحصن منهم اربعون رجلاً ، وباتوا تلك الليلة في الشربخانة (المدفعية) ، وهي الليلة السادسة من رمضان ، فلمّا نزل الطواشي شهاب الدين مرفق الخادم بمفاتيح أبواب الحصن خرجوا عليه وضربوه بالسيوف وأخذوا منه المفاتيح ، ودخلوا على الملك (المنصور) وقبضوا عليه ، وطلع العرب بظاهر البيوت ونادوا باسم المجاهد ، فترامى العرب المنصورية من الحصن ، وقاتل شمس الدين الطنبا والي الحصن قتالاً عظيماً ، حتى قتل ، ولما علم الناصر بن المنصور بهذه الحادثة ركب في جماعة من العسكر الى اسفل الحصن ، فلم يتهيأ لهم ما أرادوا ، وقام سواد البلد على الناصر ونادوا بشعار المجاهد ، وحمل الناس الى المجاهد بالحبال ، وملك الحصن ثانية واستولى على ما فيه ، وقبض على عمه المنصور وأودعه معتقل دار الأدب في نفس الحصن حيث ظلّ فيه الى موته في المحرم سنة ٧٢٣ هـ ، ودفن بمدرسة ابيه المظفر » . وأضاف المصدر قائلاً :

---

(١١٧) بهجة الزمن في تأريخ اليمن ص ١٣٧ .

« ولّما ملك المجاهد ثانياً حلف لماليك أبيه ، وكتب لهم ذراعه بالأمان والوفاء ، وجمع ملوك بني رسول كلهم تحت الاحتياط ما خلا ولدي الواثق فإنه لم يعثر عليهما » .

كما قبض[118] الملك المجاهد على الأمير الناصر بن الأشرف واعتقله فترة ثم افرج عنه واسكنه قرية السلامة في بلاد حيس وأجرى له ولمن معه النفقات اللازمة ، وكانت القرية المذكورة هي مكان الإقامة الجبرية التي يقيم ملوك بني رسول فيها من يمنحوهم العفو من الأمراء الرسوليين ، وقد شفع للأمير الناصر لدى الملك المجاهد كتاب منه للملك المنصور أيام حكمه عثر عليه بين أوراق المنصور ، وفيه يطلب الناصر من المنصور الرفق بالمجاهد اثناء اعتقاله ويعتذر له بصغر سنه وباحسان والده المؤيد لهما .

ومع استتباب الأمر للمجاهد فإنه ظلّ في صراع مع الخارجين عليه ، وفي مقدمتهم الأمير عبد الله بن المنصور الذي ولاه والده قلعة الدملوة وأعمالها فسيطر عليها ، ونصب نفسه ملكاً معارضاً للمجاهد وتلقب بالظاهر ، ودامت معارضته للمجاهد حتى قبض عليه بعد عشر سنوات وكانت الأحداث بينهما على النحو التالي :

الحصار الأول للملك المجاهد

كان الملك المنصور (كما علمنا) اثناء استيلائه على الحكم قد ولى ولده عبد الله قلعة الدملوة في بلاد الصلو من اعمال تعزوأعمالها ، ولما عاد المجاهد الى الحكم طلب[119] المنصور من ولده تسليم القلعة الى المجاهد ، فامتنع ، وكانت القلعة مقر ذخائر بني رسول ومستودع أموالهم ، الأمر الذي ساعد الأمير عبد الله على الصمود في وجه قوات المجاهد التي حاول بها أن يستعيد القلعة بالقوة ، برغم معارضة مستشاريه له في غزوها قبل أن ترسخ اقدامه على المناطق التي تمّ له استعادة

---

(١١٨) الخزرجي في تاريخه ص ٣٤٢ .

(١١٩) ابن عبد المجيد في تاريخه ص ١٣٧ .

نفوذه عليها ، بعد عودة الحكم اليه .

واستمال عبد الله بن المنصور مع ذلك اليه الكثير من قادة وعسكر المجاهد ، ومنهم الأمير غياث الدين محمد بن يحيى بن منصور الشيباني والأمير بدر الدين حسن ابن الأسد الكردي وأمير المماليك البحرية عز الدين بن أيبك . وتمكن ان يبسط نفوذه على عدد من المناطق ، ونصب نفسه ملكاً وتلقب بالظاهر كما أشرنا ، وأضطربت الأحوال على الملك المجاهد من جديد ، وخرج عليه القسم الأعلى نهائياً ، بل وساند الإمام محمد بن المطهر الظاهر ، ورجحت كفته ، وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على مدينة الجند ، وأن يجهز منها جيشاً لحرب المجاهد في عاصمته تعز نفسها ، كما قام المجاهد من ناحيته بتجهيز جيش لمنازلة جيش الظاهر المعسكر في ضاحية تعز ، يقود جيش المجاهد ابن اخيه الفائز بن المظفر بن المؤيد ، وابن شكر احد قادة أكراد ذمار ، ولم تقم حرب بين الجيشين ، وإنما انضم معظم جيش المجاهد الى جيش الظاهر ، وصار الجيش كله ظاهرياً (على حد ما جاء في تأريخ ابن عبد المجيد)(١٢٠) وتخلص القائدان الفائز وابن شكر وعادا الى المجاهد .

ولكن جيش الظاهر ارتفع من معسكره بعد سبعة ايام ، وقليل منهم عاد الى ولائه للمجاهد ، وبعد فترة قامت حامية تعز نفسها ومعظمهم من المماليك بمحاصرة الملك المجاهد في حصن تعز ، مدفوعين من قبل الظاهر .

ولكن(١٢١) المجاهد استطاع ان يرفع عنه الحصار بعد سبعة أيام ، وذلك بأن أعلن إباحة قتل المماليك وأسرهم انى كانوا وحيث وجدوا ، وقتل الكثير منهم وأسر عدد من زعمائهم ، وسيقوا الى المجاهد الى الحصن ، حيث شنق سبعة منهم ، ورمى باثنين من اعلى الحصن ، وكانت هذه الأحداث في عام ٧٢٣ هـ .

أمّا من أفلت من المماليك وعلى رأسهم (بهاء الدين بهادر الصقري) فإنهم قصدوا الظاهر الى قاعة الدملوة ، فجهزهم الى الخوخة ، وكان فيها معسكر

---

(١٢٠) العسجد المسبوك ص ١٢٨ .

(١٢١) العسجد أيضاً ص ١٢٩ وابن عبد المجيد ص ١٤٠ .

للمجاهد فيه مائتا فارس ، لاستمالتهم الى الظاهر وقد نجحوا في مهمتهم لأنهم كانوا في حالة اضطراب وتردد بين الاستمرار على الولاء للمجاهد أو الانضمام الى الظاهر .

ثم تقدموا مع الوافدين عليهم الى زبيد ، وعسكروا في بستان الراحة خارجها بالقرب من باب قرتب احد ابواب زبيد ، وفي الليل استطاع عدد من المماليك اصحاب الصقري تسلق سور المدينة الى داخلها بمساعدة جماعة من المرتزقة كانت تعرف بالعواريين ، وفاجأوا حراس احد الأبواب وفتحوها لبقية المماليك والفرسان ، واستولى الصقري على زبيد باسم الظاهر ، وذلك في غرة شهر رجب من نفس العام (٧٢٣ هـ) وكان أهل زبيد يميلون الى بهادر الصقري المذكور ، لمعرفتهم له منذ كان اميراً عليهم في عهد الملك المؤيد .

ويبدو انهم تعاونوا معه في استيلائه على زبيد للظاهر . ثم بسط نفوذ الظاهر في تهامة كلها ، وخطب له على منابرها ، وضرب السكة باسمه . وصارت مدينة زبيد المعسكر الرئيسي لجيش الظاهر .

وتمكن بعد ذلك من الصمود لجيش الملك المجاهد الذي جهزه لاستعادة زبيد بقيادة الأمير نجم الدين احمد بن ازدمر وابن العماد والزعيم بن الأفتخار .

بل ومفاجأة جيش المجاهد هذا قبل ان يأخذ أهبته للقتال ، وفي حين كان القائد ازدمر متغيباً عن الجيش مع عدد من جنوده في مزرعة له في المنطقة .

وأسفرت المعركة التي قامت بين الجيشين عن انهزام جيش المجاهد ومقتل عدد من قادته ومنهم أبن العماد وأخو الورد السنبلي ، وأسر نجم الدين ابن ازدمر اثر عودته من مزرعته اثناء المعركة فيما يبدو ، وكان ذلك في الثامن من شهر رجب من نفس العام المذكور أيضاً .

وقد تتابعت الأحداث في غير صالح الملك المجاهد ، وذلك بعد بسط الظاهر نفوذه على تهامة وعلى مخلاف الجند ، فاستولى عامل لحج للمجاهد (ابن الدويدار) على عدن باسم الظاهر أيضاً ، وقبض على والي

عـدن (بدر الـدين حسن بن علي الحلبي) وأرسله الى الـظاهر الـذي اعتقله في حصن السمـدان من بلاد الحجـريـة حيث كـان الـظاهـر فيه ، وكـان قـد اطمـأنّ الى مركـزه وقلق مركـز الملك المجاهـد وصار أي الـظاهر يتنقـل بـين قلعـة الدملوة وقلعـة السمدان المـذكور ، وكـان استيلاء ابن الـدويـدار عـلى عـدن في شهر شعبـان من نفس العام أيضـاً ٧٢٣ هـ ، وبـذلـك لم يبق عـلى ولائـه للملك المجاهـد إلا حصن تعز وأعمـاله والـذي كـان مـع ذلـك تحت رحمة أهل صبر الجبل المطل عليه ولذلك فـإنّ المجاهـد صار يغـدق على أهـل صبر العطايا ويجري لهم الميـزانية خشيـة ان يقطعـوا الماء النـازل من صبر الى الحصن ، ولضمان استمرار ولائهم له .

الحصار الثاني للملك المجاهد

وبالرغم من ذلك فإنه حدث ما كان يخشـاه المجاهـد . إذ تحالف[١٢٢] أهـل صبر مـع حاميـة تعز ضـد الشفاليت[١٢٣] جنـود والي حصن تعز (ابن حسـين) ، وتـطوّر ذلـك التحـالف ضـد الملك المجـاهـد نفسـه ، وأدى الى حصاره في الحصن ، وبالـطبع فإنّ ورا ء ذلك التحـالف الظاهـر الذي عـزز المتحـالفين بجيش بقيـادة الأمير نجم الـدين محمد بن طـرنـطاي ، ثم عـززه بأمير عدن ابن الدويدار آنف الذكر .

وقـد استمرّ هـذا الحصار الثـاني الذي بـدأ في عام (٧٢٤ هـ) تسعـة أشهـر ، وتخلى عن المجـاهد حتى استـاذ داره وأتابك عسكـره (غيـاث الـدين حسن بن نـور) الـذي تحيّـل في الخـروج من الحصن بـأن أقتـرح عـلى الملك المجـاهد الخـروج لإستمـالـة كبـار القـادة المحاصرين للحصن ، أو دس السم

---

(١٢٢) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر ص ٣٤٧ .

(١٢٣) الشفاليت جمع شفلوت كلمة افرنسية الأصل ، وتعني فرسان ، ولعـل الاستعمال جـاء الى اليمن مع فرسان الصليبيين الـذين حاربهم الأيـوبيون ، ثم انتقلت مـع فرسـان الأيوبيـين ومن بعدهم الرسوليون ،ولما عبث فرسان الرسوليين وربما والأيوبيون قبلهم بالناس صارت كلمة شفلوت تعني الردي (انتهى ملخصاً من كتاب (معارك حاسمة في التأريخ) لحمزة لقمان) .

لابن الدويدار الذي كان يعتبر أبرزهم ، وذلك في حالة تعذر استمالتهم الى جانب المجاهد ، إذ اعرب لابن الدويدار ومن معه عن ولائه للظاهر ، فاشترطوا لتصديقه ان يقوم بضرب الحصن بالمنجنيق ، فكتب للمجاهد بشرطهم ، فأذن له بذلك ،وبذلك يكون قد ضمن خط الرجعة اليه لو انقلب الوضع لصالحه .

قال ابن عبد المجيد في تأريخه[124] « أخبرني المحقق للحال انّ الذي وصل الحصن من الحجارة المنحوتة أربعة آلاف حجر ، وحصل قتل كثير ، وخربت تعز خراباً لا يتدارك ، وخلت اكثر بيوتها ، واستمرّ الحصار الى ذي الحجة سنة (٧٢٤ هـ) » .

واضطرّ الملك المجاهد لطول الحصار أن يراسل ملك مصر المملوكي (محمد بن قلاوون الصالحي) يستنجد به مقابل حمل الأموال والهدايا اليه .

ووصلت رسله الى الأبواب السلطانية في عام (٧٢٥ هـ) فأرسل ملك مصر لنجدته جيشاً وصل متأخراً ، وبعد انفراج الأزمة عنه كما سنعلم .

انفراج الأزمة عن الملك المجاهد

أمّا كيف انفرجت الأزمة التي استحكمت على الملك المجاهد حتى لم يبق بيده إلا حصن تعز المقيم فيه والذي كان مع ذلك محاصراً كما علمنا ؟ فقد حدث ما ليس في الحسبان أنه سيكون سبباً في انفراجها .

وهو انّ [125] قبيلة المعازبة (الزرانيق) احدى القبائل العتية في تهامة غزت مدينة القحمة في تهامة أيضاً واستولت عليها بعد ان نهبتها وهدمت بعض منازلها ، وكانت في ولاية الشريف (داود بن قاسم الحمزي) الذي

(١٢٤) بهجة الزمن في تأريخ اليمن ص (١٤٣ .

(١٢٥) الخزري في العسجد ص ٣٤٩ . وقرة العيون (مخطوط) وتاريخ الأئمة ص ٢٢٤ .

أسرع بجموعه من اشراف القسم الأعلى ومن أشراف المخلاف السليماني شمال تهامة ، ومن غيرهم من القبائل اليمنية واستعادها بعد قتال المعازبة واخراجهم منها .

ولمّا علم الملك المجاهد بوجود الأشراف في القحمة ارسل ابن الزعيم مع ابني اخيه الفائز وقطب الدين ابني حسن بن المؤيد بأموال كثيرة لاستخدامهم وغيرهم من القبائل ، واستطاع مبعوثو الملك المجاهد ان يجمعوا الف وثلاثمائة فارس وألف راجل قضوا جميعهم عيد الأضحى من عام (٧٢٤) للهجرة في مدينة المحالب من تهامة بانتظار انضمام اكراد ذمار اليهم .

وبعد تكامل جموعهم قصدوا مماليك الكدراء في تهامة لحربهم حسب خطة الملك المجاهد بغية تفريق المماليك المحاصرين له في حصن تعز بقيادة ابن الدويدار ، وقامت معركة بين الجانبين انهزم فيها المماليك ، الأمر الذي دفع المماليك المحاصرين للملك إلى أن يسرعوا لنصرة مماليك الكدراء ، وانصرف ابن الدويدار بعد انصرافهم ، وبذلك ارتفع الحصار الثاني عن الملك والذي دام تسعة أشهر .

أمّا ابن الدويدار فإنه سار الى لحج محل ولايته واكمل فيها استعداده لغزو عدن في محاولة منه للاستيلاء عليها لنفسه منتهزاً الصراع بين المجاهد والظاهر ، وضرب حصاراً عليها دام أياماً ، صمد له أثناءها واليها (الربيع ابن الصليحي) ثم صالحه ، ولمّا تم الصلح بينهما طلب ابن الدويدار دخول المدينة لتأكيد الصلح ، وكان الملك المجاهد هو الذي وضع خطة الصلح لأبن الصليحي .

قال الخزرجي[١٢٦] : « فلمّا تمّ الصلح قال (ابن الدويدار) اني اريد دخول المدينة ، فقال له الوالي (وهو ابن الصليحي) : البلد بلدك

---

(١٢٦) العسجد أيضاً ص ٣٥٠ ، ويبدو ان الملك المجاهد كان قد استعاد نفوذه على عدن .

ولكن المصلحة أن تدخل في جماعة من العقلاء ممن لا يحصل منه أذية على أهل البلد ، فدخل في جماعة من أصحابه ، فأمن تلك الليلة في اصحابه يشربون ، فلمّا اصبح دخل الحمام فبينما هو في المخلع اذ هجم عليه الوالي ومن معه من عسكر الليل فقتلوه وكان قتله يوم السابع من ربيع الأول من السنة المذكورة » (٧٢٥) للهجرة ، وتفرق عسكره الذين كانوا معسكرين خارج مدينة عدن ، ثم استولى ابن الصليحي على لحج باسم الملك المجاهد .

وكان انتصار المجاهد في الكدراء وفي عدن بداية انتصاراته الساحقة ضد الظاهر .

كما استعاد المجاهد نفوذه في تهامة كلها ، بعد وصوله اليها وتجواله فيها ، تلبية لطلب مشايخ العواريين[١٢٧] الذين قاموا بالتعاون مع أهل زبيد بطرد المماليك منها .

كما قبض الملك المجاهد على الأمير الناصر (محمد بن الأشرف اسماعيل بن المظفر) الذي نصبه المماليك المنهزمون من زبيد ملكاً ، واعتقله في دار الأدب بحصن تعز ، حيث ظلّ فيه الى موته[١٢٨] في شهر رجب من العام المذكور (٧٢٥ هـ) .

وباستتباب الأمر للملك المجاهد بعد جولته على رأس جيشه في تهامة لإخضاع بقايا الخارجين عليه انشأ الفقيه محمد بن منصور العامري قصيدة بليغة لم يقف المؤرخ الخزرجي[١٢٨] منها إلا على الأبيات التالية :

وعارض يحدو به عارض ... يحن في الجو حنين اللقاح
يسوقه البرق بأسواطه ... اذا دنا مال عليه وصاح
لمّا تلاقينا وقد أثمرت ... بالموت اطراف غصون الرماح

(١٢٧) العواريون هم المرتزقة الذين يقاتلون بغير صفة رسمية سعياً وراء المال . في عرف اليوم
(١٢٨) العسجد أيضاً ص ٣٥٥ .
(١٢٨) نفس المصدر ص ٣٥٥ .

ولـلمنـايـا سـحـب مـاؤهـا | تجري على حـد متون الصفـاح
ومـضـمـرات الخـيـل كـراتهـا | كـرات صب مبتـلي بـالمـلاح
وأقـبـلت خـضـراً يمـانـيـة | عجـاجها بـالمسك والنـد فـاح
سـفـيـنـة تحـمـل أثـقـالهـا | تمشي رويـداً مثـل مشي الـرداح
بـلا ولي انـكـحـت نفـسـهـا | لا تـنـكـح الهـيـجـاء الاسـفـاح
مـلاحـهـا لا يشـتـهي وصـلهـا | ورب وصـل فـيـه حتـف متـاح

قوات مصرية في اليمن

تحـدث الدكتـور محمد عبـد الغال أحمد في كتـابـه (بنـو رسـول وبنـو طاهر)[١٢٩] في الفصل الرابع من الباب الثاني الخاص بـالعلاقـات الخارجيـة في عصـر بني رسـول ، عن حـادث العـون العسكري المصـري المرسـل الى اليمن من قبـل سلطان دولة المماليك في مصـر (محمد بن قلاوون) الصـالحي المملوكي ، تلبية لطلب الملك المجاهد الـذي وجهه اليـه اثناء اشتـداد الأزمة عليه من قبل الخارجين وذلـك صحبة مبعـوثه اليـه (كافـور الثعلبي) في عام (٧٢٤ هـ) .

وقـد أورد الدكتـور محمد عبـد العـال في الفصـل المـذكـور مـلابسـات الحـادث التي دفعت المجاهـد الى طلب العون العسكـري المصري ، ثم الى مضـايقته للقـوات المصريـة وإعادتهـا الى مصردونان يسمـح لها بـالقيام بـأي نشـاط عسكـري ، تنفيـذاً للغـايـة التي وصلت الى اليمن من أجلهـا ، مستنـداً[١٣٠] في كل ذلـك الى مراجـع توفـرت له فيـما اعتقد من دور الكتب العامة في مصـر وغيرهـا ، لا تتوفـر لأي مؤرخ يمني يقتصر عـلى ما يتـوفر لـه

(١٢٩) من ص ٤٠٨ .

(١٣٠) كـابن تغري بـردي في (النجوم والمنهـل) والعيني في (عقد الجمـان) والفيـومي في (عقد الجمان) والخزرجي في (العقد الفاخر) وابن أيبك في (كنـز الدر) والمقـريزي في (السلوك) وباخرمة في (تأريخ ثغر عدن) وغيرهم .

من مـراجع خـاصة ومحـدودة في اليمن ، فقـال : « ومهـما يكن من امـر فقـد عاود المجاهد الاستنجاد بمصر سنة (٧٢٥ هـ) وعمل هذه المـرة على اغـراء السلطان المملوكي وتـرغيبه بكثـرة اموال اليمن ، وأمـام هذا الإلحـاح ، ومـا صحبـه من شروط والتـزامات قـطعها المجاهد عـلى نفسـه استجـاب النـاصـر (محمـد بن قلاوون) رغبـة في كسب ولاء السلطان الرسـولي له ، وتبـينّ لـه أنّ الحملة بعـد تجهيزاتهـا ستكون بعـد وصولهـا اليمن واقـرار الأوضـاع فيهـا دليلاً على قوة مصر وعظم امكاناتها وقدرتها على ضرب أي محاولة يقـوم بها سلطان اليمن للخـروج من الطاعـة والـولاء لمصـر ، ولهـذا اصـدر السلطان الناصر أوامره باعداد الحملة بقيادة الأمـير (بيبرس الحـاجب) والأمير (جمـال الـدين طبلان) ، وكـانت الحملة تتكوّن من ألف فـارس وألف راحلة وهـذا الى جانب ما زوّدهم بـه السلطان من الأموال والأزواد والعتـاد وغير ذلـك مما استلزم حمله على اثنين وعشـرين ألف جمل ، وغـادر بيبرس ورفـاقه من كبـار الأمراء والعشراوات والمقدمين واعيان الحلقة والمماليك السلطانيـة القاهـرة في ربيـع الآخر سنـة (٧٢٥) للهجرة ومعـه عـدة تشـاريف لملك اليمن وامـراء الحجـاز لتسهيل مهمتـه والقيام بخـدمة الحملة ، فلمّا وصـل الى مكة دخلهـا معتمـراً في جمادي الأولى ، وأقـام بمكة حتى وصلتـه مراكب الغـلال من مصر الى جـدة ، وأرسل كتب الأمـان الى العربـان وأهل مـدينـة حـلي بن يعقـوب وأشراف المخلاف السليمـاني ، موضحـاً فيها التـزامه بمـا أوصاه بـه السلطان من حسن معـاملتهم وعدم التعـرض لهم ولأموالهم ، ولم يبق في مكـة طويـلاً اذ غادرها بعد عشرة أيام من وصوله اليها في طـريقه الى اليمن ، فـوصل الى حلي ومنها الى حرض .

وكـان (بيبرس) قـد بعث بكتاب الى المجـاهد عن طـريق البحر حمله اليـه رسولـه كـافـور الشبـلي الـذي عـاد من مصـر صحبـة الحملة ، وكـانت الأخبار قد وردت الى بيبـرس بخوف أهـل زبيد من التعـرض لبطش عسكـر مصـر ، وأنهم لذلـك عادوا الى طـاعة المجـاهد ، كـما بلغـه انـه (أي الملك المجاهد موجود فيها) .

أمّا السلطان (المجاهد) فقد استشعر بنذر الخطر عند ما بلغه عظم القوة المملوكية القادمة وضخامتها ، وقد ظهر ذلك جلياً في رده على الرسالة التي بعثها الى بيبرس ، ولكن بيبرس اعاد الكتابة اليه يطمئن قلبه .

وتم وصول الحملة الى زبيد في رجب (٧٢٥ هـ) فخرج السلطان المجاهد في اعيان دولته وعسكره لاستقبالها ، فترجل له امراء الحملة وساروا في خدمته الى خيمة فخمة نصبوها له ، والبسوه خلعة فاخرة وكلفتاه[١٣١] زركش وحياصة ذهب ارسلها السلطان الناصر محمد بن قلاوون اليه بالإضافة الى عمامة بعذبتين.» .

وأضاف الدكتور محمد عبد العال الى ذلك قوله : « وبينما يذكر كل من المقريزي وابن ثغري بردي دخول المجاهد بالحملة وسط مظاهر الفرحة بوصولها ، يذكر المؤرخ الخزرجي انّ الحملة عسكرت تجاه باب الشبارق خارج المدينة ، من الجهة الشرقية ، ونميل الى ترجيح رواية الخزرجي ، ذلك انّ القول ببقاء القوات المملوكية خارج مدينة زبيد يتفق مع موقف المجاهد وتصرفاته التي كان يحكمها تخوفه المفاجيء من وجود القوات الكبيرة في بلاده ، وخشيته من الأهداف البعيدة التي تستهدفها الحملة كالاستيلاء على البلاد والإطاحة بعرشه ، ويؤيد ذلك الخطاب الذي ارسله المجاهد لبيبرس وأعترف له فيه بأنه سُقط في يدهِ على طلب العسكر وخاف على نفسه ، يضاف الى ذلك انّ المجاهد لم يكد يستقبل الحملة حتى سارع بالتوجه الى تعز ، تاركاً الحملة في معسكرها ، معتذراً من عدم امكان استصحاب الحملة معه بأن الطريق لا يسعهم اذا ما توجهوا معه دفعة واحدة ، هذا الى جانب كثير من المواقف الأخرى التي قصد بها المجاهد وضع العراقيل امام الحملة لإرغامها على العودة ، فهو لم يقم بعد استقبال الحملة ببحث

(١٣١) الكلفتاه أو الكلفتة من غطاء الرأس استحدثه الأيوبيون في مصر وكانت من الجوخ الأصفر وتلبس بغير عمام ، وقد أضاف السلطان محمد بن قلاوون لبس الشاش عليها ، والحياصة هي المنطقة أو الحزام تشد فوق الأقبية . وكانت من الفضة المطلية بالذهب ولا ترصع بالجواهر إلا في خلع السلطان لأكابر الأمراء ، انتهى من حواشي مصدر هذا البحث .

الخطوات التي ينبغي اتخاذها لتؤدي مهمتها التي قدمت بناء على طلبه من اجلها ، فإنه لم يوفر لعسكرها ما يلزم من الإقامات ، رغم احتجاج بيبرس ، وذلك بحجة خراب البلاد ، وفي نفس الوقت منع أهل زبيد العسكر المصري من دخول المدينة وإمدادهم بالأقوات والعلوف اللازمة » .

ثم سرد الدكتور عبد العال في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) المذكور بعض الأمثلة الدالة على عرقلة المجاهد للحملة أمام القيام بأي دور مما جاءت من أجله ، وأضاف الى ذلك قوله : « ولم يجد المجاهد امامه سوى ايجاد ذريعة يتعلل بها لاجلاء العسكر المملوكي ، أو تدبير مكيدة يتخلص بها من الحملة بأكملها ، فطلب تقسيم العسكر الى مجموعات وتوزيعهم على المناطق المختلفة في عدن ولحج وأبين وصبيا ومخلاف جعفر ومواضع اخرى متفرقة ، وكان طبيعياً ألا يقبل قائد الحملة هذا الطلب لما يتوفر فيه من سوء النية ، هذا الى جانب انّ توزيع الحملة على هذا النحو يمزق قوتها ، ويفتت وحدتها ، ويعرض العسكر الى اشلاء يمكن ابادتها بسهولة ، فلمّا اعلن رفضه كتب اليه المجاهد يطلب منه مغادرة البلاد لانتهاء مهمتهم ، وانه لم تعد هناك حاجة لبقائهم ، وقال : « إن كان السلطان الناصر قد رسم لكم بالاقامة فالأمر اليه ، وإن كان إنما ارسلكم لنصرتي فارجعوا الى ابواب السلطان ، وامتنع تماماً عن الوفاء للحملة بما كان قد التزم به للسلطان الناصر محمد بن قلاوون في كتابه وقت ان طلب مساعدته ، واعتذر بأنّ جميع أمواله محفوظة في حصن الدملوة الذي يسيطر عليه منافسه الظاهر عبد الله ، فأشهد بيبرس قضاة تعز على هذا الموقف ، وبأن المجاهد طلب اليه العودة الى مصر » .

وفي شهر شعبان من سنة (٧٢٥ هـ) غادرت القوات المملوكية تعز في طريقها للعودة فكان وصول القوات الى القاهرة في ذي القعدة من نفس العام ، فاستقبلهم السلطان في القلعة وخلع عليهم ، ولكنه لم يلبث ان غضب على بيبرس وسجنه لاتهامه بغير دليل بالاستيلاء على اموال من صاحب اليمن وغيره ، ولتقاعسه أمام تصرفات المجاهد في الاستيلاء على

اليمن » .

« أما السلطان المجاهد الرسولي فيبدو انه خشي انتقام السلطان المملوكي ، فعمد الى ازالة ما ترسب في نفس السلطان من عوامل الاستياء من تصرفاته نحو عسكره ، فأعدّ في نفس العام هدية نفيسة بعث بها في ذي القعدة الى مصر ، ووصلت الى السلطان المملوكي في ربيع الأول من سنة (٧٢٦ هـ) فأنعم السلطان على الرسول كسابق عادته ، وكانت عودة تلك السفارة في ذي القعدة سنة (٧٢٦ هـ) بهدية من ثلاثين مملوكاً » .

وقد تدهورت العلاقة[١٣٢] بين الملك المجاهد الرسولي وملك مصر (محمد ابن قلاوون) الصالحي المملوكي في عام (٧٣٠ هـ) وذلك بسبب ما نسب الى الملك المجاهد من تعرضه لمبعوث ملك الهند الذي كان في طريقه بحراً الى مصر ، واستيلائه على الهدية التي كان يحملها المبعوث الى ملك مصر المذكور وقتله للمبعوث .

وقد انتهز الإمام محمد بن المطهر فرصة تدهور العلاقة بين الملك الرسولي اليمني والملك المملوكي المصري فبعث رسولاً الى مصر يشكو المجاهد ويعدد مثالبه ، ويطلب من ملك مصر ان يمده بقوة عسكرية للقضاء على بني رسول في اليمن مقابل تقديم بعض ما يتم الاستيلاء عليه (هكذا في المصدر) . ولكن الملك المصري محمد بن قلاوون المذكور رد عليه بقوله : « انه لا رغبة لنا في السلب ، وأنّ النصرة تكون لله خالصة » .

ولم يعبأ، الملك المجاهد بتهديد الملك المصري له ، وذلك بفضل استقرار الأحوال بالنسبة له في اليمن بعد القضاء على منافسه الملك الظاهر وبسط نفوذه في جميع انحاء مملكته ، وأوقف إرسال الهدايا الى ملك مصر المذكور ، ووثق علاقته مع اشراف مكة .

---

(١٣٢) بنو رسول وبنو طاهر ص ٤١٩ .

هـذا وقد جـرّتنا احـداث العلاقـة اليمنية المصـريـة الى سبق احـداث وقعت داخـل اليمن قبلهـا منـذ غـادرت الحملة المصـريـة اليمن قـافلة الى مصر .

ذلـك ان الملك المجاهـد تنفس الصعداء بعـد مغـادرة الحملة لليمن ، وتحـرك من جديـد لبسط نفوذه على بقية المناطق التي خرجت عليه أثناء الحصار الثاني الذي فُرض عليه ، والذي دام تسعة اشهر كما عـرفنا ، وكـان قد بسط نفوذه على تهامة والجنـد قبل وصـول الحملة المصرية الى اليمن ، وكان ذلـك من دوافع استغنائه عن عون الحملة ، وأول[١٣٣] عمـل قام بـه بعد مغـادرتها لليمن هو غزوه لمدينة عدن التي يبدو انها خرجت عن نفوذه مـرة أخرى بغيـة استعـادتها ، وتكـررت محاولاتـه حتى تمّ له ذلـك بمسانـدة بعض حـاميتهـا ، وذلك في عام (٧٢٨ هـ) وأقـام فيها مـدة غادرهـا بعدهـا الى قلعة الـدملوة التي كـان قد استـولى عليها في نفس الشهـر الذي استـولى فيـه عـلى عـدن ، هذا وكان الملك المجاهد قد انسحب من إحدى غزواته لعـدن وقبل استيـلائه عليها حيث أُرجف في جيشه بأن الإمام محمد بن المطهر قادم مع ابن الأسد والي ذمار للظاهر بقواتها الى لحج لمساندة الظاهر الذي كان آنذاك في عـدن ، وقد وصل الإمام فعلاً مع ابن الأسد بقواتها الى لحج وذلك في عام (٧٢٦ هـ) ، وخرج الظاهر من عدن إلى لحج وتقدم مع الإمام الى بلاد تعز عن طريق بلاد ماوية لحرب المجاهد الذي أسرع بدوره على رأس قواته الى بلاد ماوية للتصدي للحليفـين ومنازلتهـما وللدفـاع عن حصـونـه في المنـطقـة . واضـطرارهمـا الى الانسحاب منها ، فرجع الإمام الى بلاده وسار الظاهر الى حصن السمدان في بلاد الحجرية والذي يعد ثاني حصن منيع في يده بعد الدملوة ، وكان قد ملك حصن السمدان بعد والده الملك المنصور .

ولما تمّ للملك[١٣٤] المجاهد الاستيلاء على قلعة الدملوة المنيعة واستتبّ له

---

(١٣٣) الخزرجي في العسجد ص ٣٥٨ .

(١٣٤) العسجد ص ٣٧٣ .

الأمر في كافة انحاء المملكة بدأت المفاوضات بينه وبين منافسه العنيد الظاهر عبد الله بن أيوب المعتصم في حصن السمدان ، وذلك على عقد صلح بينهما ، وتم عقده في المحرم من عام (٧٣٠ هـ) ، ثم صار الظاهر فيه كالمحصور ، وتفرق عنه انصاره ، الأمر الذي حمله على طلب الأمان من الملك المجاهد بواسطة القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن ، فأمنه وحاشيته ، وقدم اليه برفقة القاضي المذكور وذلك في عام (٧٣٤ هـ) وقد أمر الملك بانزاله في احدى دور الإمارة في حصن تعز ، ولم يلبث ان أمر بايداعه دار الأدب في الحصن المذكور ، وفي نفس العام وافاه أجله في معتقله، المذكور ، وقد ذكر المصدر[١٣٥] ان الملك امر حاكم الشرع الشريف وجماعة من أعيان الفقهاء في تعز ان يروا جثمانه إثر موته ويتفقدوا جميع اعضائه وانهم لم يجدوا فيه أثراً وقرروا ان موته كان ربانياً ، ثم كُفن وصلي عليه وشيع جثمانه الى مثواه الأخير في مقبرة ملوك بني رسول الملاصقة لجامع المظفر من الجهة القبلية .

ثم انتهج الملك المجاهد[١٣٦] في سبيل القضاء على بقية العناصر المناوئة له مسلكاً عنيفاً ، فاتخذ كل وسائل القمع والتنكيل بهم قتلاً وتغريقاً وسملاً للأعين وتشريداً ، وأحرق المزارع وأخرب الدور والقرى ، وبالغ في اذلال قبيلة المعازبة (الزرانيق) بعد ان قتل العديد من رجالها وقطع نخيلها من وادي المدني في بلادها بتهامة ، ثم شيخ عليهم امرأة تعرف بابنة عاطف ، وكساها . قال الخزرجي في المصدر المذكور : « فكانت تركب دابة من الحمراء وجملا ، وتقود المعازبة بأسرهم بعد ذلك الفساد الشديد والطغيان العظيم » . وربما انتهج قتل الكثير من الملوك والأمراء الرسوليين المنافسين له والخارجين عليه والذين تمّ له اعتقالهم بالسم أو الخنق ، بدليل موت الكثير ممن يعتقلهم بعد اعتقالهم بفترات وجيزة ، ابتداء بعمه الملك المنصور وانتهاء بولده المؤيد بن المجاهد وابن اخيه الفائز قطب الدين وقد

(١٣٥) العسجد ص ٣٧٣ .

(١٣٦) العسجد ص ٣٧٧ ،

دفعه الى اتخاذ هذا المسلك العنيف مع مناوئيه والخارجين عليه من اسرته وغيرهم ما عاناه من متاعب وما قاساه في الحصار الثاني الذي دام تسعة أشهر، ضرب الحصن الذي كان ممتنعاً فيه بتعز بالمنجنيق ، وقطع عليه الماء ، وذلك منذ توليه الحكم بعد موت ابيه ، وحتى قبضه على ابن عمه الظاهر عبد الله بن أيوب الذي نافسه وامتنع عليه في قلعة الدملوة ثم بسط نفوذه في كافة انحاء المملكة تقريباً ، وألب عليه جميع القوى للخروج عليه وحربه كما عرفنا وكانت المدة التي استمر الملك المجاهد فيها يلاحق مناوئيه منذ انفراج ازمة الحصار الثاني وحتى قبضه على الملك الظاهر سبع سنوات .

ولّما اطمأن (١٣٧) الى استتباب الأمر له واقرار الأمن والاستقرار في سائر انحاء مملكته ، غادر مدينة تعز عاصمة الدولة الرسولية لاداء فريضة الحج وذلك في شهر شوال من عام (٧٤٢ هـ) .

وقد استقبلته جموع اليمنيين في مختلف المناطق التي مرّ بها استقبالاً حافلاً ، وقام هو من ناحيته بتوزيع الهبات والصدقات لرؤساء القبائل وأعيان المناطق وعلمائها وفقرائها .

كما استقبله حاكم مكة الشريف (رميثة بن أبي نمي) الى مشارف الحجاز استقبالاً عظيماً ، وكان في صحبة شريف مكة اشراف مكة وأكابرها ، وكان قد بعث اليه الى اليمن ولده الشريف (ثقبة بن رميثة) ليكون في صحبته من اليمن الى الحجاز ، وأجزل الملك المجاهد العطاء لأشراف مكة ولغيرهم فيها ، وخلع على امير الركب المصري وعلى امير الركب الشامي وأكرمهما .

ولما قضى مناسك الحج غادر الحجاز عائداً الى اليمن وذلك في الثامن عشر من شهر ذي الحجة من العام المذكور . وقد وصل مدينة زبيد في اليوم الثالث من شهر صفر من عام (٧٤٣ هـ) ومنها واصل سفره عائداً

---

(١٣٧) نفس المصدر والصفحة .

الى تعـز ، وفيها انعم عـلى كـافـة عسكـره بـالكثـير من الأمـوال والكسـاوي وغيرهما .

وقـد خالف[١٣٨] الأمـير المؤيـد بن الملك المجاهـد عـلى أبيـه في عـام (٧٤٤ هـ) واستـولى على مـدينة المهجم بتهـامـة بحجـة تقـديم أبيـه لأخيـه الظافر عليه وهو اصغر منه سناً ، فجهز الملك المجاهد لحربه والقبض عليـه جيشـاً بقيادة وزيـره (مُوفق الـدين عبد الله بن عـلي اليحيـوي) ، ثم عـززه بجيش آخـر بقيـادة الأمـير سيف الـدين الخـراسـاني ، ولم يشتبـك الجيشـان معه ، وإنما قام قائداهما بملاطفته واقناعه بالعودة الى طـاعة ابيـه ، وضمنا لـه سـلامته ووصـلا بـه الى ابيـه الى تعـز في المحـرم من عـام (٧٤٤ هـ) وقـد عـاتبه أبوه عند دخـوله عليـه وضربـه ثم أمر بسجنـه ، في دار الأدب بحصن تعز حتى مات فيه .

كـما عزم المـماليك عـلى الخلاف على الملك المجاهد بحجـة تأخـر صـرف مـرتباتهم ، والقبض عليـه وتنصيب ابن أخيـه الفـائـز ابي بكـر بن حسن بن المؤيد ، منتهزين فرصة قلة حـرسه وخـاصته اثنـاء وجوده في مصيف لـه على البحر في بلاد زبيد عام (٧٤٧ هـ) .

وكانوا قـد اتصلوا بالأمـير الفائـز الذي كـان في المصيف ضمن حاشيـة الملك وضمنوا موافقته بعد تردد منه ، على اساس عدم قيامـه هو بـأي حركـة تنمّ عن اشتـراكـه في المؤامـرة حتى ينجحـوا في القبض عـلى الملك ، وذلـك خشية انتقامه منه في حالة فشلها .

ولّما وصل خبـر ذلك الى الملك المجـاهد قبـل تنفيذ المؤامـرة اسرع في العودة الى زبيد من غير الطريق التي يسلكها عادة وبذلك فـوّت الفرصـة على المتآمرين .

---

(١٣٨) نفس المصدر ص ٣٨٣ .

ثم جهز ثلة من جيشه من زبيد بقيادة الأمير سيف الدين الخراساني والطواشي نظام الدين خضير والطواشي رباع فيمن معه من عبيد السلاح وغلمان البغلة (على حد ما جاء في المصدر)[139] للقبض على الأمير الفائز ، وقال للحملة تقدموا الى قطب الدين الفائز وجيئوا به طوعاً أو كرهاً ، وانظروا هيئته هل هو على أهبة ؟ أم غافل عن الأمر ، وأضاف المصدر قائلاً : « فلمّا وصلوا دخل عليه الطواشي والأمير ، وأحاط الباقون بالموضع ، فلمّا دخلوا عليه وجدوا دوابه مشدودة ، فقالا باسم الله يا مولانا طلبت الى المقام الشريف ، فلم يجد بداً من ذلك ، فقربا له بغلة فركبها ، وساروا جميعاً الى باب الدار ، فلمّا وصلوا به أشرف عليه السلطان وعاتبه ووبخه وأمر بتقييده والتقدم به الى تعز مقيداً ، وخرجوا به في ليلتهم ، فلمّا وصلوا به تعز لم تطل مدته هناك بل مات عن قريب » .

ثم قام الملك المجاهد بالتنكيل بالمماليك قتلاً وشنقاً وتغريقاً وسملاً كعادته في اجراءاته الانتقامية .

القبض على الملك المجاهد في مكة والسفر به الى مصر

عزم[140] الملك على اداء مناسك الحج للمرة الثانية في عام (٧٥١ هـ) ، وغادر مدينة تعز في الرابع والعشرين من شهر شوال من نفس العام مستصحباً معه والدته (جهة صلاح) وولده (العادل)وعدداً قليلاً من الحاشية والحرس والجنود وكان شريف مكة (عجلان بن رميثة بن أبي نمي) قد استولى على الحكم فيها بعد وفاة والده دون اخيه الأكبر (زين الدين ثقبة ابن رميثة) والذي كان على ولاء للملك المجاهد الرسولي ، وكان في صحبته من اليمن الى مكة هذه المرة أيضاً ، بينما كان اخوه عجلان منتمياً الى ملك مصر المملوكي .

---

(١٣٩) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر ص (٣٨٣) .
(١٤٠) نفس المصدر ص ٣٨٧ .

ولمّا وصل المجاهد مكة نمي الى شريف مكة عجلان المذكور انّ المجاهد يعتزم بعد انقضاء موسم الحج ومغادرة الركب المصري لمكة انّ يقبض عليه أي عجلان ، ويستولي علي حكم مكة والحجاز لنفسه ويولي عليه من قبله أخاه الشريف ثقبة المذكور ، أو أنّ الشريف عجلان توقع حدوث ذلك ، فألقى إلى امير الركب المصري تلك التوجسات التي نميت اليه أو شعر بها وتخوف من حدوثها ، وأوعز اليه بضرورة القبض على المجاهد وعلى اخيه ثقبة والسير بهما الى مصر ، وأنذره انّ لم يفعل ذلك فإنه سيلحق بالركب الى مصر ويترك مكة للمجاهد ، ويحمل امير الركب مسؤولية تقاعسه .

ولمّا نعرفه من عدم رضى ملك مصر المملوكي (محمد بن قلاوون) عن الملك المجاهد فمن الجائز ان تكون قضية القبض على الملك المجاهد في مكة تمت عن ايعاز مسبق من ملك مصر بناء على وجود علم لدى مصر بأنّ المجاهد سيؤدي مناسك الحج ذلك العام ، ويستأنس لهذا الاحتمال حجز ملك مصر للملك المجاهد في مصر عاماً كاملاً .

وقد قام أمير الركب المصري بالتعاون مع شريف مكة عجلان بن رميثة ، بمحاصرة الملك المجاهد في خيمته بمنى ، ومحاصرة بقية الخيام التابعة له ولوالدته وولده وحاشيته وحرسه الخاص قليلي العدد ، وذلك في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة من العام المذكور ، وفي وقت كان جمهرة عسكره المحدودين قد تفرقوا عن حراسة مخيمه في قضاء حوائجهم ، فقاتل حرسه الخاص دونه وقتل عدد منهم ، ولكنه منعهم من الاستمرار في القتال خشية ان يؤدي الى مقتله لقلتهم .

ثم اتفق مع الشريف عجلان ، ومع امير ركب الحاج المصري على ان يسلم نفسه للركب والسفر معه الى مصر دون ان يُمس بسوء، وتم تكوين حرس خاص به من حرسه ومن حرس الركب وحرس شريف مكة المذكور ، وسافر اسيراً محروساً غير مقيد ، وأقام تحت رعاية ملك مصر

المملوكي في مصر عاماً كاملاً ، ثم عاد الى اليمن ، ومنه بعث لملك مصر هدية جليلة حملها ولده الأمير الناصر ، كعرفان بالجميل الذي لاقاه من ملك مصر خلال اقامته في ضيافته وتحت رعايته .

أمّا والدته وولده العادل وبقية حاشيته وحرسه وعسكره فإنهم عادوا الى اليمن بعد سفر الملك نحو مصر . واستطاعت والدته جهة صلاح ان تحافظ على عرشه الى عودته وأن تدير شؤون دولته مستعينة بالطواشي سيف الدين أهيف وبكبار رجال الدولة ، خلال تغيبه ، وبعد ان قطع الطواشي اهيف الطريق لتنصيب ملك بدلاً عن المجاهد ، وشنق في سبيل اقرار الوضع السياسي في اليمن كلا من الوزير وقاضي القضاة موفق الدين عبد الله بن علي اليحيوي والطواشي جمال الدين بارع ، اللذين اتهمهما بتزعم حركة لتنصيب ملك بدلاً عن الملك الأسير .

ولقد كان لوالدة الملك المجاهد دور كبير في الافراج عن الملك . كما كان لها ادوار هامة خلال الأزمات الشديدة التي مر بها الملك المجاهد منذ توليه الحكم كما عرفنا .

ولقد ادى قبض الملك المجاهد في مصر عاماً كاملاً الى اضطراب الأحوال في اليمن وفي تهامة بالذات . إذ خرجت [١٤١] قبيلتا (المعازبة) و(القرشية) عن الدولة وأخلتا بأمن المنطقة كلها ، حتى خلت القرى إلا من المفسدين وخربت المزارع وقطعت السبل ، ولم يبق للدولة الرسولية وجود بسبب قوة شوكة المفسدين إلا في مدينتي زبيد وحرض ، وتعذر على الملك المجاهد منذ عودته الى اليمن اخضاعهما إلا بعد عشر سنوات ، وبفضل اختلافهما وقيام حرب بينهما اضطرت قبيلة القرشية بسبب تفوق قبيلة المعازبة عليها ان تعلن ولاءها للدولة الرسولية وتطلب من الملك المجاهد نصرتها على المعازبة .

---

(١٤١) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٣٩٦ .

وقد انتهز الملك ذلك الطلب وساند القرشية في اخضاع المعازبة حتى اضطرها الى ان تعلن بدورها الولاء للدولة ، وعادت الأحوال في تهامة الى الاستقرار .

كما قام الملك المجاهد في عام (٧٥٥ هـ) بضرب قبيلة الأشاعر بقبيلة القرشية .

ومع ذلك فلم يحسم الملك أمر فساد القبائل اليمنية بصورة نهائية في تهامة ومخلاف جعفر (في لواء اب) وصارت هاتان المنطقتان شغله الشاغل الى موته .

وقد(١٤٢) شجع تكرار تمرد القبائل في المنطقتين المذكورتين والي حرض الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل الى اعلان خروجه عن الدولة ، وطمع بالاستقلال بما بيده وحارب الدولة الرسولية مستعيناً بالكثير من الأشراف وقبائل القسم الأعلى من اليمن ، وذلك منذ عام (٧٦١) للهجرة ، كما استعان ببعض قبائل تهامة التي وجدت في تمرده مشجعاً لها على العودة الى التمرد والفساد لتحقيق مآربها في السلب والنهب واخافة السبيل في قراها والقرى المجاورة لها .

أمّا ابن ميكائيل فقد اعلن استقلاله عن الدولة الرسولية في عام (٧٦٣ هـ) بولاية حرض ، وانتسب الى الحسين بن علي ، وحاول ان يبسط نفوذه الى بلاد زبيد ، وان يستولي على زبيد نفسها ، وضرب السكة باسمه وخطب له في منطقة نفوذه ، وفي ولاية حرض بالذات .

كما شجع تمرد ابن ميكائيل(١٤٣) أولاد الملك المجاهد الصالح والعادل فالمظفر على الخروج على الملك في عامي (٧٦٣) و(٧٦٤) للهجرة .

ويبدو مما تشير اليه المراجع انّ الملك المجاهد تمكن من اخضاع ولديه

---

(١٤٢) و(١٤٣) نفس المصدر ص ٤٠٥ .

الصالح والعادل ، ولم يتمكن من اخضاع ولده المظفر .

كما انه لم يتمكن من اخضاع ابن ميكائيل ، لما سنعلم من استمرار خلافه الى عهد الملك الأفضل العباس بن الملك المجاهد .

وأنّ الأفضل هو الذي قضى على تمرده ، وأنهى خلافه ووجوده وكل اثر له في المنطقة .

وفاة الملك المجاهد

وقد توفي(١٤٤) الملك المجاهد في مدينة عدن وذلك في شهر جمادي الأولى من عام (٧٦٤ هـ) عن ملك دام إحدى وأربعين سنة وبضعة أشهر ، وعن عمر دام حوالي ثمانية وخمسين عاماً ، قضاه كله في حرب الخارجين على دولته من أسرته ومن قادة عسكره ومماليكه ومن اليمنيين وفي منطقتي تهامة ومخلاف جعفر بصورة خاصة .

ولقد خرج عليه من أولاده أربعة وهم : المؤيد الذي مات في معتقله والصالح والعادل والمظفر كما علمنا .

ولقد كان عنيفاً مع الخارجين عليه وذلك بسبب ما عاناه من متاعب الثورات التي قامت ضده منذ تولى الحكم وطيلة عهده ، وأخذ بالظنة وقتل بالتهمة ، وتشكك في كل من حوله ولم يطمئن إلا الى القليل من خاصته ، وقليل هم الذين سلموا من قتله أو سجنه .

كما وصف بأنه كان شجاعاً وكريماً وعالماً وشاعراً ، ومن شعره قوله :

أنا نلت العز باطراف القنا ليس بالعجز المعالي تقتنى
نحن بالله ملكنا اليمنا كل فخر يدعي الناس لنا

(١٤٤) العسجد من ص ٤٠٧ .

أنـا شبـل المـلك زيـن الـكـتـب يـوسـف جـدي وداود أبي
والـشهـيـد الملك زاكي الـنـسـب وعـلى الصـل زاكي الحـسـب
جدنا بعد رسول جدنا

ان تكن اضحت عـلاهـم خَبَـرا فـالـعـلى مني بـالـعـين تُـرى
أنـا كـالـليـث اذا مـا زأرا أنـا كـالـبـحـر إذا مـا زخـرا
المنايا في يميني والمني

أبـذل المـال ولا أجمـعـه كـل عـاف نـحـونـا مـنـجـعـه
واذا الـقـرن طـغـى أصـرعـه واذا ولى فـلا أتـبـعـه
وإذا لاذ بـعـفـو أمـنـا
شـيـم تـشـبـه تـلك الـشـيـما يمـنّ لي مـن جـدودي الـقـدمـا
ثم ملك الـشـام من مـلك السـما يـعـشـرون الـنـاس طـراً رغـما
من هنا أو من هنا أو من هنا

ووصفـه الخزرجي في (العسجد المسبوك)[١٤٥] فيمن ولي اليمن من الملوك) آنف الذكر بقـوله : « وكـان المجاهـد ملكاً سعيـداً عاقـلاً رشيداً جـواداً لبيباً شجاعاً شهماً عالماً ذكياً فطناً لوذعياً » وأضاف قـائلاً : « فمن جـوده وسخائـه مـا أخبرني بـه الإمام العـلامة جمـال الدين محمـد بن عبـد الله الـريمي وكـان خصيصـاً به ، قـال اعطاني السلطان الملك المجـاهد في أول يـوم دخلت عليه أربعة شخوص من الذهب ، وزن كل شخص منها مائـة مثقال مكتـوب على كل واحد منها :

اذا جـادت الدنيـا عليك فجـد بهـا عـلى النـاس طـراً قبـل ان تتفلت
فـلا الجـود يفنيهـا اذا هي اقبلت ولا الشـحُّ يبقيهـا اذا مـا تـولت

(١٤٥) العسجد من ص ٤٠٧ .

وكـان مشاركـاً في عـدة فنـون من العلم ، ويقـال انـه اعلم ملوك بني رسول » .

وأضاف ايضاً قائلاً : وهـو الذي مـدّن ثعبات (احـد منتزهـات تعز) وبنى سورها ، واخترع فيها المختـرعات الفـائقة ، والبسـاتين الـرائقة ، وبنى فيها المساكن العجيبة ، والقصور الغربية » .

ثم عدّد مآثره الدينية ومنها مدرسة بمكـة ملاصقـة للحرم ، وجامع في تعز في ناحية الحبيل ، وجامع في ثعبات ومساجـد اخرى ، في تهـامة وغيـرها أوقف عليهـا جميعـاً بمـا يقـوم بكفـايـة القـائمـين عليهـا وعـلى الـطلاب والمـدرسين ، ومنهـا الزيـادة الغربيـة في جامـع المظفـر بتعز ، امّـا عدل الملك المجاهد في رعيتـه فإنّ المؤرخ الخـزرجي أشاد بـه ، ومن ذلك اصـداره لعدد من المنشـورات التي تقضي بأخـذ الزكـاةمن المـزارعـين بسعـر يـوم ادائهـا لا بسعر اعلى كما كان عليه الأمر قبل التعديل .

الملك الأفضل العباس بن علي بن داود

وقـد بويـع الأفضل العبـاس بن علي بن داود بن يـوسـف بن عمـر بن علي رسول يـوم وفاة والـده المجاهـد علي بن داود لا لأنـه أكبر أولاده ، وإنمـا لأن أخوته الأكبر سناً منهم وهم الصالح والعادل والمظفـر كانـوا خارجـين على أبيهم . بينما كان الأفضل مع أبيه في السلم والحرب ومـوجوداً عنـده في عدن يوم وفاته فيها .

قال (أبو الحسن الخزرجي) في تأريخـه (العسجد المسبـوك)[١٤٦] « لم يكن في أولاد المجاهد من هو أرشد منـه ولا اعقل ولا أولى ولا أكمـل للأمـر منه ، وإن كان فيهم من هو أكبر سناً منه » .

فـما الحـداثـة عن حلم بمـانعـة قد يوجـد الحلم في الشبان والشيب

(١٤٦) العسجد من ص ٤١٠ .

ولمّا تم للملك الأفضل اخذ البيعة من قادة وأعيان الجيش والدولة أمر بتشييع جثمان ابيه الى مثواه الأخير في مدرسته التي بناها في تعز .

ثم بدأ باعداد العدة للقضاء[١٤٧] على الخارجين على الدولة ، وركز أولا على والي حرض الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل الذي طمع منذ عام (٧٦١ هـ) بالاستقلال عن الدولة الرسولية في ولايته وفي غيرها ، وأعلن نفسه سلطاناً في عام ٧٦٣ هـ كما علمنا ، ولما توفي الملك المجاهد شعر بسنوح الفرصة لتحقيق حلمه الذي ظلّ يراوده ، فتقدم بقواته حتى وصل أبواب زبيد محاولاً الاستيلاء عليها ، ولكن مشد زبيد (أبو بكر ابن علي بن مبارك) استطاع بالأموال التي فرقها في قادة وكبار عسكر ابن ميكائيل ان يفرق عنه معظمهم ، وأضطره الى العودة من حيث أتى ، أمّا الملك الأفضل فإنه جهز جيشاً كبيراً بقيادة الأمير نور الدين زياد بن احمد الكاملي لتصفية الحساب مع ابن ميكائيل واستطاع هذا الجيش أن يهزم ابن سمير قائد جيش ابن ميكائيل من مدينة القحمة ثم من مدينة الكدراء ثم من مدينة المهجم في تهامة الوسطى ، وأن يدحر ابن ميكائيل نفسه من مدينة حرض الى مدينة صعدة وقضى على كل وجود واثر له في تهامة وغيرها من مناطق نفوذ الدولة الرسولية وفي ذلك انشأ الشريف مطهر بن محمد بن مطهر القصيدة التالية مخاطباً فيها ابن ميكائيل :

بجهلك لم تخش الذي بأسه يخشى ... ولم ترهب الأفعى ولا الحية الرقشا
وأرداك من منّاك بالملك مثل ما ... تردى ضحى عن ظهر ناقته الأعشى
ولجت طموم البحر وهو غطمطم ... ومن ولج التيّار لاقى به القرشا
ففاجأك العباس منه بصولة ... فغشاك منه يا محمد ما غشى
وغرك ارخاء المجاهد ستره ... عليك ولم ينهاك منه الذي تخشى
عفى عنك صفحاً في الظلام اذا انجلى ... بفضل واحسان وفي الليل اذ يغشى
فلمّا تولى واعتلى العرش نجله ... وربك يعطي الملك من خلقه من شا

---

(١٤٧) العسجد من ص ٤١٠ .

مشيت بجـد اذ تمشى الى العـلا | وأيكـما بـالله في طـرقـه امشـى
وأيـكـما احـرى بـعـز ورفـعـة | وأيكـما اجرأ عـلى ملكـه بـطشـا
وليت فلم تؤمن بـربنـا ولم تخـف | غويا ولم تنـه الفحوش عن الفحشـا
قبلت الرشى حتى انمحى منهج الهدى | وليس يعـز الدين من يقبـل الرشى
فلما استوى العباس في الملك وانجلت | ديـاجـير للنـظار في جنحهـا اعشى
دعـانـا فـلبينـا نـداه بعـصبـة | ترش الثرى من رشهـا بالـدما رشـا

إلى آخر القصيدة في المصدر المذكور .

ويستفاد من قول الشاعر الشريف مطهر بن الإمام محمد بن المطهر (دعانا فلبينا نداه بعصبة) إلى آخره أن الملك الأفضل استعان بالأشراف في حربه لابن ميكائيل ، الذي استعان بدوره بالإمام المهدي (علي بن محمد) وحاول استعادة نفوذه على ولايته (حرض وأعمالها) منطلق حركتـه في الاستقلال عن الـدولة الرسولية دون جدوى ، لأن الملك الأفضل والى حملاته العسكرية لحربه حتى دحره منها الى بلاد صعدة ، ثم شدد قبضته على المنطقة المذكورة ، واستولى على ما كان ابن ميكائيل قد وفره فيها من اموال وعتاد ، وصار ابن ميكائيل يكرر محاولاته للاستيلاء على بلاد حرض مستعيناً بالإمام المهدي ثم بولده صلاح الدين ودون جدوى أيضاً ، ولمّا آيس من استعادة أي نفوذ له ومن تحقيق حلمه أقام في بلاد صعدة الى موته في عام (٧٩٩ هـ) .

كـما أخضعت[١٤٨] جيوش الدولة الرسولية قبائل تهامـة التي ساندت ابن ميكائيل ، لا رغبة في نصرته ، ولكن بهدف تحقيق مـآربها التي ربمـا كان منهـا الاستقلال كذلك عن الرسوليين ، وفي مقدمة تلك القبائل الثلاث القبائل الكبيرة في تهامة وهي : المعازبة والقرشية والأشاعر، وقد تمكن الأفضل من اخضاعها الواحدة تلو الأخرى ، وأجبرها على ان تذعن له وأن تسلم اليه نصف خيلها ، وعدداً من أولادها كرهائن لضمان ولائها وعدم تكرار خروجها عليه .

---

(١٤٨) العسجد المسبوك ص ٤١٣ .

وبذلك استقرت الأحوال في تهامة وأمنت السبل وعاد الناس الى اعمالهم والاختلاط فيما بينهم .

تجدد نشاط الأئمة ضد الدولة الرسولية

بدأ نشاط الأئمة الزيدية في القسم الأعلى من اليمن ضد الدولة الرسولية بصورة ايجابية منذ عهد الملك المجاهد (كما عرفنا) وذلك بسبب اشتغاله بالحروب الكبيرة والكثيرة مع منافسيه والخارجين عليه من اسرته ومن ولاته ومن المماليك وغيرهم ، وكان الأئمة مع ذلك لا يفتأون يغذون معظم تلك الحركات المناوئة له بهدف استمرار سيطرتهم على القسم الأعلى الذي كان أسلاف الملك المجاهد يسيطرون على معظمه ، بل وطمعاً في مد نفوذهم الى مناطق اخرى ما زالت ضمن حدود الدولة الرسولية .

وكان محمد بن ميكائيل والي حرض للملك المجاهد قد اعلن خلافه عليه في عام (٧٦١ هـ) (كما عرفنا أيضاً) وانتسب الى الحسين بن علي بن أبي طالب ، ثم اعلن استقلاله عنه في عام (٧٦٣ هـ) واستعان[١٤٩] في حربه للملك المجاهد ثم للملك الأفضل بن المجاهد بأشراف القسم الأعلى وبأشراف حرض ، وبالإمام المهدي علي بن محمد ثم بولده الإمام صلاح الدين (محمد بن علي) .

كما ساند الإمام المهدي المذكور الأمير المظفر بن الملك المجاهد ، الذي خرج على أبيه ، ثم على أخيه الملك الأفضل ، ووصل بعسكره وعسكر الإمام المهدي الى حرض بغية الإستيلاء عليها وذلك في عام (٧٦٧ هـ) ولكن واليها للملك الأفضل هزمه هزيمة منكرة .

ولما[١٥٠] لم يجد الإمام المهدي احداً من بني رسول يتخذه رأس حربة له في حربه للملك الأفضل بعد انحلال معنوية الأمير المظفر ، قام بمساندة شيخ بعدان الخارج على الدولة الرسولية (أبي بكر بن معوضة السيري) .

---

(١٤٩) نفس المصدر ص (٤١٠) .

(١٥٠) نفس المصدر ص ٤١٤ .

كما ساند[١٥١] الإمام صلاح الدين ابن الإمام المهدي الشيخ (محمد بن أبي بكر بن معوضة) بعد مقتل ابيه ، ووصلت قوات الحليفين الى الجند عام (٧٧٦ هـ) في طريقها الى تعز لحرب الملك الأفضل في عاصمة دولته كما كانا يحلمان ، وقد ساعدهما على الوصول الى الجند أهالي مخلاف جعفر الذين مازالت الدولة الرسولية تعاني من تمردهم أيضاً .

أمّا الملك الأفضل ازاء تحالف الإمام والشيخ السيري المذكورين ، ووصولهما بقواتهما الى الجند فإنه كما ذكر المؤرخ (أبو الحسن الخزرجي) في تأريخه[١٥٢] استخدم كثيراً من الناس من الفارس والراجل ، وأنه مع ذلك كتب الى كافة القبائل بحفظ الطرقات ، الأمر الذي حمل الإمام على الإنسحاب من الجند بعد اقامته فيها ثلاثة أيام فقط ، وانه عاد الى بلاده من غير الطريق التي جاء منها .

ثم غزا[١٥٣] الإمام صلاح الدين محمد بن علي المذكور تهامة في العام الذي ثم تلا العام الذي وصل فيه إلى الجند،ووصل الى أبواب زبيد،قال الخزرجي:« فأقام ثلاثة أيام شرقي المدينة فلم يجد فيها مطمعاً ، ويقال انه طلع منارة جامع النويدرة فرأى في المدينة أمماً لا تحصى قد اجتمعوا من كل ناحية، فراعه ما رأى من كثرة الناس فيها ، وكان الطواشي أهيف في المدينة اميراً قد طلب المشايخ والقرى وأمرهم بجمع رجالهم ، وأضاف قائلاً : « فاتصل العلم الى الإمام من بعض القرى فأستمر راجعاً ولم يقف أكثر من ثلاثة أيام ورجع في اليوم الرابع » .

وهكذا استطاع الإمام صلاح الدين ان يصل بقواته الى الجند بمساندة أهالي مخلاف جعفر ، وأن يصل الى زبيد بمساندة الكثير من قبائلها ، ولكنه لم يقم عند كل مدينة اكثر من ثلاثة أيام ، وهذا يفسر ما أسلفت من انّ هدفه من ذلك الغزو هو اظهار قوته امام الدولة الرسولية ، وتحذيرها من محاولة استعادة نفوذها لشيء مما خرج عنها منذ عهد الملك المجاهد الرسولي في القسم الأعلى ، ولإثارة البلبلة

---

(١٥١) نفس المصدر العسجد المسبوك ص ٣٩٢ و٤٢٨ .

(١٥٢) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٤٢٩ .

(١٥٣ نفس المصدر ص ٤٢٩ .

والاضطرابات داخل بلاد الدولة الرسولية .

ولذلك فقد كان رد الفعل لدى الملك الأفضل لذلك الغزو هو تجهيز [١٥٤] جيش كبير بقيادة الأمير صارم الدين داود بن موسى بن حباجر الى ذمار استولى فيها على عدة حصون كانت قد خرجت على الدولة منذ عهد الملك المجاهد بسبب اشتغاله بالثورات التي قامت ضده داخل بلاده وأحاطت به وحاصرته في معقله الذي يقيم فيه (حصن تعز) كما عرفنا ،وقد حدث ان تقدم الإمام بنفسه على رأس قواته وعسكر بالقرب من معسكر الأمير صارم الدين ، واستطاع على حين غرة من صارم الدين وفي وقت لم يكن الى جانبه من قواته إلا اربعين فارساً أن يفاجأه بقواته ويقبض عليه .

كما جهز الملك الأفضل [١٥٥] جيشاً آخر بقيادة الأمير بدر الدين محمد بن علي ابن اسماعيل بن أياس الى الحقل بهدف ايقاف مطامع الإمام التوسعية في المنطقة على حساب الدولة الرسولية بعد اسره للأمير صارم الدين المذكور ، وما زالت الأمور بين الجانبين الدولة الرسولية في عهد الملك الأفضل والأئمة الزيدية في عهد الإمام صلاح الدين غير مستقرة الى موت الملك الأفضل .

وفاة الملك الأفضل

وقد[١٥٦] كانت وفاته في شهر شعبان من عام (٧٧٨ هـ) بقصره المسمى الخورنق في مدينة زبيد اثر مرض ألم به فيها ، فبايع قادة الجيش وكبار رجال الدولة ولده اسماعيل ، ولقب بالأشرف الثاني ، الذي عاد بجثمان والده الى تعز حيث دفنه بمدرسته التي بناها فيها ، وكانت وفاته عن ملك دام حوالي اربعة عشر عاماً قضى معظمه في حرب الخارجين والطامعين داخل الدولة وخارجها ، ولكن الدولة في عهده كانت أكثر استقراراً منها في عهد سلفه والده الملك المجاهد الذي اتسم عهده بالاضطراب وانتهى فيه شباب الدولة الرسولية كما علمنا .

---

(١٥٤) نفس المصدر والصفحة .

(١٥٥) نفس المصدر ص ٤٣٠ .

(١٥٦) نفس المصدر ص ٤٣١ .

وقد (١٥٧)وصف الملك الأفضل بأنه كان ملكاً حازماً عازماً عاقلاً فاضلاً ذكياً ليناً فقيهاً نبيهاً مشاركاً للعلماء في عدة فنون ، عارفاً بالنحو والأدب واللغة والأنساب وأيام العرب ، وصنف عدة من الكتب منها كتاب نزهة العيون في تاريخ الطوائف والقرون ، والعطايا السنية في المناقب اليمنية ، يحتوي على طبقات فقهاء اليمن وكبرائها وملوكها وامرائها ، وله كتاب نزهة الأبصار في اختصار كنز الأخبار ، واختصر تاريخ ابن خلكان ، وله كتاب بغية ذوي الهمم في أنساب العرب وأصول العجم ، وهو الذي جدد سور مدينة زبيد وعمر خنادقها ،

وأضاف المصدر قائلاً : « وأجرى للرعية في معظم جهات اليمن الربع مما أزدرعوه وفي بعضها الخمس ، وكان كثير الاحسان والصدقات متفقداً لأحوال رعيته وكان لا يبلغه ظلم إلا ازاله عنهم ، وله من المآثر الدينية المدرسة التي انشأها في مدينة تعز في ناحية الحبيل منها ، وأمر فيها بعمارة منارة لم يكن في البلاد مثلها ، اذ بناها على ثلاث طبقات ، الطبقة الأولى مربعة الشكل والطبقة الثانية مثلثة الأركان والطبقة الثالثة مسدسة الأركان ، وللأسف فلم يعد للمنارة ولا للمدرسة المذكورة اليوم وجود بينما جامع المظفر وجامع الأشرفية الــتي بناها في تعز ولده الأشرف الثاني وكذلك جامع المعتبية ما تزال جميعها قائمة وعلى نحو فخم ورائع الى اليوم كما سيأتي ، وله مآثر عمرانية اخرى ومنها تجديد أسوار قلعة الدملوة ، وقد زرتها ووجدت الأسوار قائمة الى اليوم على نحو رائع ووجدت عند مدخل القلعة الداخلي عتبة الباب من الحجر ملقاة على الأرض لتهدم الباب ، وطولها ستة أذرع بذراع اليد وعرض كل ركن من أركانها الأربعة ذراع يد أيضاً ، وقد كتب على واجهتها في ثلاثة أسطر ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، أمر بعمارته مولانا ومالك أمرنا السلطان بن السلطان العالم العادل ضرغام الإسلام غياث الأنام سلطان الحرمين والهند واليمن مولانا السلطان الأفضل من الأنام والملك المجاهد أمير المؤمنين العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول ، خلد الله ملكه ونصره ورفعت العتبة المباركة بتاريخ الرابع والعشرين من رجب الأصب سنة

---

(١٥٧) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٤٣١ بالنص .

ثمان وستين وسبعمائة مؤيداً بالنصر والتوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

الملك الأشرف الثاني

أقام الملك الأشرف الثاني اسماعيل بن الملك الأفضل في مدينة تعز بعد تربعه على العرش بضعة اشهر ، غادرها في شهر ذي الحجة من العام المذكور (٧٧٨ هـ) الى زبيد بجيش كبير وصفه الخزرجي بقول الشاعر :

في حجفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان

وكان خلال اقامته في تعز بعد اخذ البيعة له من قادة الجيش وكبار رجال الدولة وأعيان البلاد قد استقبل حشود المهنئين وأعلنت له مختلف القبائل والمناطق داخل الدولة الرسولية ولاءها ، قال الخزرجي[١٥٨] : « وأقام بقية شعبان وشهر رمضان وشوال وذا القعدة وصدر ذي الحجة والكتب من كل بلد تصل اليه ، والعرب من كل ناحية تفد عليه ، وهو يجوب على كل كتاب بما يقتضي ، ويقابل كل فاضل بما يحب ويرتضي ، حتى استوت البلاد قاصيها ودانيها ، واذعنت البرية طائعها وعاصيها » .

ثم صار يتردد طيلة عامي ٧٧٩ و ٧٨٠ هـ بين تهامة وتعز والأمور في كافة انحاء دولته يسودها الهدوء والاستقرار . ولكن الملك الأشرف الثاني مع ذلك كان يدرك أنّ ذلك الهدوء الذي ساد بلاده في بداية عهده انما هو الهدوء الذي يسبق العاصفة ، وأنّ قبائل تهامة وكذلك قبائل مخلاف جعفر والتي تكرر خروجها على اسلافه لا بد لها ان تخرج عليه ، لأنها الفت ذلك ، وبسبب المدد التي يأتيها جميعها من الإمام صلاح الدين (محمد بن علي) لإثارة القلاقل والإضطرابات داخل الدولة الرسولية ، وليضمن بذلك استمرار سيطرته على القسم الأعلى من اليمن ، ويحول دون محاولة الملك الأشرف الثاني استعادة شيء منه ، كما سبق له ولأسلافه من

---

(١٥٨) نفس المصدر ص ٤٣٥ .

الأئمة مع اسلاف الملك الأشرف الثاني من بني رسول منذ عهد الملك المجاهد كما علمنا .

ولذلك فإنّ الملك الأشرف الثاني ظلّ طيلة فترة الهدوء المذكورة يرقب الأمور على حذر ، ولم يركن ويسترخي في عاصمته بل صار يتردد بينها وبين تهامة ، ويحشد الحشود متهيئاً لقمع كل حركة مناوئة لدولته بأقسى وسائل القمع ، وقد كان يفوق اباه الملك الأفضل بمباشرته حرب الخارجين على دولته بنفسه وبشدة تنكيله بهم ، وبالمبادرة الى قطع دابر الفساد في بداية وقوعه ، بل وقبل وقوعه في بعض الأحيان ، حينما يعتريه شك أو تخوف من وقوعه ، كما حدث للمماليك الغرباء في بداية عام (٧٨١ هـ) وهو ما ذكره المؤرخ الخزرجي بقوله[١٥٩] : « وفي سنة احدى وثمانين وسبعمائة اجتمع المماليك الغرباء واجمعوا على امر لم يظهر لأحد حقيقته (وكان الملك في تهامة) فنظرهم وهم يلبسون خيلهم ويأخذون سلاحهم فأرسل عيوناً له يأتونه بخبرهم ، فرجع الى السلطان بعض عيونه أخبره أنهم على اهبة قتال وجمع سلاح ولكنهم مفترقون في أماكنهم ، فأباحهم لعبيد السلاح وغلمان البغلة ، فقصدوهم الى اماكنهم قبل أن يجتمعوا ، فخرجوا على وجوههم هاربين ، ولزم بعضهم فأتلف » . وأضاف المصدر الى ذلك قوله : « وفي ذلك اليوم امر السلطان بلزم عمه الملك الظافر هاشم بن علي بن داود وأعتقله اياماً ثم اطلقه واحسن اليه »

فهو بهذين الحادثين اللذين اتخذ اجراءاً قمعياً وتحذيرياً لهما قبل حدوث ما يوجب القمع والتحذير قد بدأ عهده بالحذر والتحذير والريبة والشك على أمل أنه سيضع حداً لما عانى منه اسلافه من تمرد وعصيان . ولكنه بالرغم من ذلك عانى نفس ما عانوه ، وبدأت قبيلة المعازبة (الزرانيق) احدى القبائل العتية في تهامة بالفساد في العام المذكور وهو ما يزال في تهامة[١٦٠] . قال المؤرخ الخزرجي : « وفي هذه السنة افسدت المعازبة افساداً شديداً وقصدوا طريق النخل مرة بعد اخرى » وكان اجراء الملك القمعي لهم شديداً تحدث عنه المصدر المذكور فقال : « فجرد لهم

---

(١٥٩) و(١٦٠) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٤٣٧ .

السلطان عسكراً من الباب ، وأمر على صاحب القحمة وصاحب فشال بمواجهة العسكر في يوم معلوم ، فأتاهم العسكر من كل ناحية ومكان ، ولم يكن لهم مهرب إلا البحر ، فغرق منهم طائفة واستذم آخرون ، وأُسر منهم ناس كثير ، وكان المقدم سيف الدين بشتك قد أذمّ عليهم ورفع السيف عنهم ، ورجع الى السلطان بالرؤوس والأسرى ، فأمر السلطان بقتل جماعة من الأسرى ممن عُرف بالفساد ، وأطلق الباقين ، وأضاف السلطان أمر الوادي رمع الى الأمير سيف الدين بشتك فأستتاب في الجهة المذكورة الفقيه رضي الدين ابا بكر بن احمد بن عبد الواحد ، وكان فقيهاً حسن السياسة إلا أنه ضعيف الفراسة فجعل المعازبة غرضاً لسهامه وضربة لحسامه ، فشتت جموعهم وأخلى ربوعهم ، وقتل منهم عدة في أقرب مدة » .

أما مخلاف[(١٦١)] جعفر (لواء اب حالياً) فهو المنطقة الثانية بعد تهامة التي عانى بنو رسول الكثير من المتاعب بفساده وتمرده عليهم ، ذلك انه ما ان عاد الملك الأشرف الثاني من تهامة الى تعز بعد الأجراء القمعي الذي اتخذه ضد المعازبة حتى قصد مدينة (اب) عاصمة المخلاف المذكور وأخذها قهراً بالسيف ، ثم تجول في بعض مناطق المخلاف بجموعه بهدف التحذير من تحرك أي قبيلة أو منطقة فيه للخلاف والعصيان ، ثم عاد الى تعز ، ولم يلبث[(١٦٢)] ان غادرها بعد أيام الى تهامة كعادته ، وأضاف أعمال القحمة في وادي رمع الى المقدم سيف الدين بشتك ، الذي ما ان قصدها حتى نصب المعازبة له ثلاثة كمائن وقع في احداها ، فقاتل حتى قتل وعدد ممن معه من الجنود والمرافقين ، ولم يذكر المصدر اي اجراء اتخذه الملك ضد المعازبة عما قاموا به ضد المقدم بشتك المذكور .

ولكنه[(١٦٣)] ذكر قيام الملك في العام الذي تلا عام مقتل المقدم المذكور (٧٨٣ هـ) بغزو قبيلة المعازبة بنفسه على رأس قواته ، ومع ذلك فلم يظفر بأحد منهم لأنهم كانوا على حذر منه فارتفعوا على رؤوس الجبال المحيطة بالمنطقة . وما زال الملك يتعقبهم كما ذكرت المصادر حتى كسر شوكتهم وأجبرهم على الاذعان للدولة

(١٦١) و(١٦٢) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٤٣٦ .
(١٦٣) العسجد المسبوك ص ٤٣٨ .

الرسولية وتسليم رهائن الضمان ، ضماناً لطاعتهم وعدم تكرار خلافهم عليه ، وكان ذلك بعد الحملة التي وجهها عليهم في عام (٧٨٦هـ) والتي أمر ولاة المناطق المجاورة لمناطقهم بالانضمام اليها كما فعل في الحملات السابقة ، وقد فصل الخزرجي(١٦٤) ذلك بقوله : « وفي آخر شهر جمادي الآخرة (من العام المذكور) جرد السلطان العساكر المنصورة الى بلد المعازبة ، وأشعر على صاحب فشال وعلى صاحب القحمة بمواجهة العسكر السلطاني في وقت قد عيّنه لهما، فصاروا من كل ناحية وجاءهم الموت من كل مكان ، فأنهزموا الى البحر وقد أخذ السيف منهم طائفة وأخذ البحر طائفة اخرى ، وغرق من ابنائهم ونسائهم شيءٌ كثير وفقد منهم عدة بيوت لم يبق من أهلها أحد » .

ولمّا استقرت الأحوال في تهامة تفرغ الملك الأشرف الثاني للتصدي للإمام صلاح الدين الذي لم يرق له استقرار تهامة . ولم يجد بعد ذلك سبيلاً لإضعاف جانب الدولة الرسولية بتغذية العناصر المناوئة لها فيها إلا بالغزو المتكرر تارة الى مخلاف جعفر القريب من منطقة ذمار التي تمّ له بسط نفوذه عليها ، وتارة الى عدن ، وأخرى الى تهامة ، ولكنه كان يواجه في كل تحركاته المعادية للملك بصمود حاميات المدن والمناطق التي يغزوها ، وكان هو ينتهج في تحركاته عملية الغزو الخاطف (اضرب وأهرب) بل ان غزواته الخاطفة لا ينطبق عليها إلا مبدأ (انهب وأهرب) لأن غزواته الى مناطق نفوذ الدولة الرسولية كانت لا تعدو أكثر من غارات سريعة ينهب ما امكنه نهبه فيها ثم يعود من حيث اتى ، وصار الحال كذلك الى موته(١٦٥) في عام (٧٩٣ هـ) .

أما ولده الإمام (علي بن صلاح الدين) فإنه اشتغل بمعارضيه الامامين (احمد بن يحيى المرتضى) و(علي بن المؤيد بن جبريل) .

ولم يعد الملك الأشرف الثاني في عهده يحارب في جبهتين داخلية مع الخارجين عليه داخل حدود دولته ، وخارجية مع الأئمة القادمين من خارجها ، (وما أغرب

---

(١٦٤) نفس المصدر ص ٤٤٤ .

(١٦٥) ائمة اليمن ص ٢٧٨ .

وصف مثل هذه الأحداث في البلد الواحد بداخلية وخارجية بالنسبة لبني رسول ، ولكنه كان هو الواقع المؤلم نتيجة تعدد الدويلات في البلد الواحد ، والذي نرجوان ينتهي والى الأبد بالوحدة اليمنية في اطار الوحدة العربية الإسلامية وما ذلك على الله بعزيز) .

ولقد ركز الملك الأشرف الثاني على اخضاع مناوئيه داخل مملكته منذ قيام الإمام المنصور (علي بن صلاح الدين) بعد موت والده الإمام صلاح الدين .

وقد(١٦٦) انحصرت قضايا التمرد على الملك في مخلاف جعفر من لواء اب فغزا الخارجين عليه في مخلاف الشوافي من المخلاف المذكور واستولى على عدة حصون فيه ، كما غزا حبيش واستولى على عدد من الحصون فيه وكان لا يسيطر بصورة دائمة فيه إلا على حصن خدد الشهير والذي ضمن له السيطرة على المنطقة بشكل عام كما تقدم بنفسه لحرب شيخ بعدان (محمد بن ابي بكر بن معوضة السيري) ونزل هو في دار السلام بمدينة جبلة ، وحاصرت قواته مدينة اب عاصمة المخلاف المذكور حتى استولت عليها .

ثم حاصرت قواته حصن الخضراء في بلاد حبيش من المخلاف المذكور حتى اجبرت صاحبه الشيخ محمد بن داود الحبيشي على الاستسلام ، وكانت هذه الأحداث في عام (٧٩٨) للهجرة .

ومنذ هذا التأريخ وحتى وفاة الملك الأشرف الثاني في عام (٨٠٣ هـ) استقرت الأحوال في جميع انحاء مملكته تقريباً ، وسادها الأمن وعمّ الرخاء ، ووفد عليه الكثير من الأمراء والأشراف ورؤ ساء القبائل يعربون له عن ولائهم ، وتبادل الهدايا مع الإمام (علي بن صلاح الدين) ومع ملوك الهند ومصر ومكة وغيرهم .

جوانب اخرى في عهد الملك الأشرف الثاني

ذكرت هذه الجوانب التي لا تمتّ الى الجانب السياسي لإعطاء القارىء صوراً

---

(١٦٦) العسجد المسبوك ص ٤٨٦ .

اخرى من الماضي ، ولمنحه اجازة قصيرة عن الجانب السياسي .

قضى[١٦٧] الملك الأشرف الثاني شهر الصوم عام (٨٠٠ هـ) في زبيد ، قال الخزرجي في تأريخه : « وحضر مقام التشفيع عدة من وجوه أهل دولته ، وحضر كذلك السفراء من سائر الجهات ، ومنهم سفير مصر وسفير الهند وسفير مكة والأشراف ومنهم الشريف فخر الدين (عبد الله بن ادريس بن محمد بن ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي) وصاحب ذي مرمر الشيخ (عبد المطلب) وعدد كبير من القضاة والفقهاء وكانوا يحضرون السماط (مأدبة الأفطار) كل ليلة » .

وهذا يعطينا صورة حية عن مشاركة الملك الأشرف الثاني في احياء الشعائر الدينية في مواسمها ومناسباتها الكبرى كما هو الحال في هذه المناسبة وهي احياء ليالي شهر الصوم المبارك والاحتفال بختم تلاوة القرآن الكريم .

وحدث[١٦٨] في عام (٨٠١ هـ) ان اختصم الى والي زبيد رجلان ، فطلب أحدهما من الوالي احالتهما الى المحكمة الشرعية في زبيد فامتنع الولي عن ذلك فاستغاث بحاكم الشريعة ، ولم يتمكن قاضي المحكمة من احضار خصمه والانتصاف له لحيلولة الوالي دون ذلك ، فشكا القاضي ذلك الى الملك الأشرف الثاني ، فأمر الملك باخراج الوالي من داره والوصول به الى القاضي ماشياً إجلالاً للشريعة ، ولما دخل الوالي على القاضي نهاه عن معارضة الشريعة ، وأخذ تعهده بذلك ، ثم قال لمرافقيه من قبل الملك : اذهبوا به الى الملك ، ولما وصل الى باب الملك اشرف عليه وشتمه ووبخه أمام الناس ونهاه عن معارضة الشريعة ، قال الخزرجي (المصدر المذكور) المعاصر لذلك العهد : « ولولا انه كان يجله لحسن سيرته في الناس ما سلم منه » .

وهذا يعطينا صورة اخرى من جوانب الملك الأشرف الثاني وهو اقامته للشريعة ، كما يعطينا دليلاً عن استقلال القضاء في عهده .

---

(١٦٧) الخزرجي في (العسجد المسبوك) ص ٤٩٥ .

(١٦٨) نفس المصدر ص ٤٩٨ .

وفاة الملك الأشرف الثاني

وقد[١٦٩] وافت الملك الأشرف الثاني منيته في شهر ربيع الأول من عام (٨٠٣) للهجرة عن حكم دام قرابة ربع قرن ، قضى معظمه في حرب الخارجين عليه داخل دولته ، ولم يحدث بينه وبين الإمام علي بن صلاح الدين حرب أو عداء ، وذلك لاشتغال الإمام المذكور بشؤونه مع معارضيه الامامين (احمد بن يحيى المرتضى) و(علي بن المؤيد بن جبريل) وكان الملك الأشرف الثاني قد امر كبار رجال دولته وقادة جيشه واعيان البلاد باعطاء بيعتهم لولده الناصر احمد في مرضه الذي توفي فيه ، وكانت وفاته في مدينة تعز ، ودفن في مدرسته التي بناها فيها وهي مدرسة الأشرفية القائمة اليوم .

ولقد كان تأريخه مجيداً ، وكان ناهضاً يقود جيشه بنفسه ، ولا يسمع بخلافٍ في دولته أو يتوقع حدوثه حتى يبادر بنفسه لحسمه ، حتى استطاع في الخمس السنوات الأولى من حكمه تقريباً أن يوفر لبلده الأمن والاستقرار والرخاء ، يساعده الوئام الذي بينه وبين الإمام المنصور علي بن صلاح الدين كما علمنا .

وقد وصفه المؤرخ ابو الحسن الخزرجي المعاصر له بقوله[١٧٠] : « وكان خير ملك وسيرته احسن سيرة ، جواداً كريماً هماماً حليماً رؤوفاً مشفقاً عطوفاً لم يكن في ملوك اليمن مثله » .

وأضاف الى ذلك قوله : « ومن مآثره الدينية المدرسة التي انشأها في مدينة تعز ، وهي مدرسة غريبة الشكل ، لها بابان شرقي وغربي ، وباب كبير يماني ومقدم فسيح وشمسية رحبة » وهي التي بناها على الطراز المصري وبمأذنتين ما تزالان مع المدرسة عامرة الى اليوم .

ثم ذكر له مآثر دينية أخرى ومنها الزيادة الشرقية في جامع المظفر بتعز وغيرها ، وقد علمنا أنّ الزيادة الغربية في الجامع المذكور هي للملك المجاهد ،

---

(١٦٩) نفس المصدر العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٥٠٥ .

(١٧٠) العسجد المسبوك ص ٥٠٥ .

وأضاف الخزرجي في وصف الملك الأشرف قوله : « وكان في غاية اللطف والظرف والكرم ومكارم الأخلاق وجمال الصورة وحسن السيرة والتودد الى الخلق ومحبة العلماء والعلم وتوقير حامليه » .

الملك الناصر أحمد بن اسماعيل آل رسول

ولمّا استقرّ الناصر في حكم الدولة الرسولية بعد موت والده الأشرف الثاني بدأ يُعنَى بما عني به اسلافه في سبيل اقرار الأمور في دولته ، وتوفير الأمن والاستقرار والرخاء في مختلف انحاء بلاده ، وذلك عن طريق اخضاع القبائل والمناطق التي تتحرك للخلاف أو يتوقع منها ذلك ، وفي مقدمة المناطق التي عانت الدولة الرسولية منها : تهامة ومخلاف جعفر ، وكان الشيخ محمد بن أبي بكر السيري شيخ بعدان في المخلاف المذكور وقبيلة المعازبة (الزرانيق) في تهامة هما أبرز القبائل التي عانت منهما الدولة الرسولية في المنطقتين المذكورتين .

ولقد وجه الملك الناصر في بداية عهده عناية خاصة للقضاء على أسباب وعوامل خلاف منطقة تهامة فرتب العسكر في الجبال المطلة على تهامة والتي كان المخالفون في تهامة يفرون اليها ، ويتحصنون بها حينما تغزوهم قوات الدولة ، ومنها حصن المهور المطل على وادي سهام ، وحصون ريمة وفي بلاد المقاصرة بتهامة ، وكان قد غزا المعازبة واجبرها على الإذعان ، ثم ولى عليهم امرأة أسوةٍ بجده الملك المجاهد الذي ولى عليهم امرأة منهم تعرف بابنة عاطف قادتهم واذلتهم كما عرفنا ، وقد تمت هذه الاجراءات في الثلاث السنوات الأولى من عهده .

وفي عام (٨٠٨ هـ) غزا الملك الناصر مدينة دثينة في المنطقة الجنوبية من اليمن ودخلها قهراً .

ثم تحوّل الى مدينة (جازان) بسبب امتناع واليها (موسى بن احمد بن عيسى) عن أداء واجبات الدولة ، ودخل الناصر جازان دون أية مقاومة لفرار واليها المذكور منها ، وولى عليها .

وغزا منها مدينة (حلي بن يعقوب) في بلاد عسير أيضاً ، فاستقبله واليها الى

خارجها وقدم اليه المؤن والهدايا ، ومشى في ركابه كسائر الجنود اعراباً عن اذعانه ، وطلب من الملك أن لا يدخل المدينة لعدم قدرتها على تحمل وطأة جيشه ، ولدى عودته الى جازان طلب منه واليها (موسى بن احمد بن عيسى) المذكور أن يذم عليه فأذمّ عليه وأرسله الى زبيد محفوظاً ، ثم شفع له علماء زبيد وصلحاؤ ها (على حد ما جاء في المصدر)(١٧١) لأنه كان محبوباً عندهم ، فشفعهم الملك في إعادته على عمله مكرماً .

ثم عاد الملك الناصر الى تعز واستقرت الأحوال في جميع انحاء مملكته دون ان يحدث ما يوجب تحركه أو جيشه للحرب طيلة عشر سنوات كاملة .

ولما قام الإمام المنصور (علي بن صلاح الدين) في عام (٨٢٠ هـ) بغزو بلاد بني طاهر من أعمال رداع الخاضعة للدولة الرسولية بادر(١٧٢) الملك الناصر على رأس جيشه الى بلاد رداع للتصدي له ، وقامت حرب بينهما اسفرت عن انهزام عسكر الإمام بعد قتل الكثير منهم ، وانسحب الإمام عائداً الى صنعاء ، وطارده الملك الناصر إلى بلاد خبان ، ثم رجع الإمام الى المقرانة(١٧٣) بين دمت وجبن من مخلاف الرباشية من اعمال رداع ، وذلك لمعاينة قصر النعيم الذي كان يبنى له فيها باشراف الشيخ(١٧٤) طاهر بن تاج الدين نائبه في رداع ، والذي كلفه الملك الناصر ببنائه في المقرانة لدى زيارته له في عام (٨١٧ هـ) .

ثم تجوّل الناصر في بلاد العجالم شمال بلاد لحج ، فأبين فدثينة فعدن ، ثم عاد الى تعز ، حيث أقام فيها فترة غادرها بعدها الى زبيد .

---

(١٧١) نفس المصدر ص ٥٠٨ .

(١٧٢) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ٥٠٩ .

(١٧٣) زرت المقرانة ووجدتهااطلالاًمدينة كبيرة تغطي قمة وجوانب جبل يطل على قاع فسيح يعرف بالغراس من مخلاف الرباشية ، وعلى جانبها قرية صغيرة عامرة تعرف بالمقرانة وما تزال آثار القصور الكبيرة والسدود باقية في المقرانة الأثرية وفيها حمام عربي كبير ما يزال سليماً ولا يكلف للإستعمال فيه إلا الى ازالة الأحجار والأتربة من داخله ، والمقرانة المذكورة مليئة هي والقاع المحيط بهابالسدودالكبيرة والصغيرة المتناثرة هنا وهناك .

(١٧٤) العسجد المسبوك المصدر المذكور ص ٥٠٩ .

ومنها غزا بلاد وصاب لفساد حدث فيها واخضعها واستولى فيها على اربعين حصناً رتّب فيها العسكر لإقرار الأمن في المنطقة ، ومنها حصن الركبة وحصن قوارير ، وبنى في حصن قوارير قصوراً مشيدة ، وقد توفي في حصن الفص من حصن قوارير كما سنعلم ، واستقرت الأحوال بشكل عام ، سوى ما حدث من خلاف[١٧٥] اخيه الأمير حسين في عام (٨٢٢ هـ) واستيلائه على زبيد. وقد اسرع الملك الناصر من تعز الى زبيد واستعادها وقبض على اخيه وأرسله الى معتقل دار الأدب بقاهرة تعز لاعتقاله فيه ، ولكن الأمير حسين استطاع ان يجدد خلافه داخل الحصن المذكور ، وكان الناصر غائباً عن تعز ، الأمر الذي حمله على الإسراع اليها ، وحصر اخيه في الحصن ثلاثة أيام حتى استولى عليه وأرسله من الحصن مقيداً الى معتقل ثعبات في تعز ، ثم أمر شقيقه الظاهر بأن يسمل عينيه ، ففعل ذلك .

وقد ندم الناصر على ذلك ، ولام أخاه الظاهر على سرعة المبادرة الى ذلك حين لا ينفع الندم .

وصار هذا الحادث سبة في تأريخ الملك الناصر ، بل وفي تأريخ الدولة الرسولية .

وفاة الملك الناصر

وقد[١٧٦] توفي الملك الناصر احمد بن اسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول في شهر جمادي الأولى من عام (٨٢٧ هـ) وذلك في قصره بحصن الفص من حصن قوارير في بلاد وصاب السافل ، وحمل جثمانه الى تعز ، ودفن بمدرسة ابيه الأشرف الثاني (الاشرفية) بجواره ، وكانت وفاته عن ملك دام اربعة وعشرين عاماً ، وقد وصفه المؤرخون بالحلم والكرم وانه لم تعرف له سيئة سوى سمل عيني اخيه حسين .

وإلا أنه كان يأخذ الخارجين على دولته بالشدة والعنف ، وقد ساعده ذلك على توفير الأمن والاستقرار في جميع انحاء مملكته ، كما ساعده على اقرار الأوضاع في

(١٧٥) و(١٧٦) نفس المصدر ص ٥١١ .

منطقة نفوذه اشتغال الأئمة الثلاثة المتعارضين في عهده فيما بينهم ، وهم المنصور (علي بن صلاح) ، والمهدي (احمد بن يحيى المرتضى) ، والهادي (علي بن المؤيد ابن جبريل) .

الملك المنصور عبد الله بن الناصر احمد آل رسول

بويع(١٧٧) (عبد الله بن الناصر احمد بن اسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) ملكاً خلفاً لوالده ولُقب بالمنصور ، ولم يعمر الملك المنصور طويلاً حيث وافته منيته في منتصف شهر ربيع الآخر من عام (٨٣٠ هـ) ، عن حكم دام حوالي ثلاث سنوات ، وقد وصفه المؤرخ الخزرجي في المصدر المذكور بقوله : « وكان عادلاً شجاعاً ذا دين متين ، ازال منكرات كثيرة ، ومنع ارباب الطرب من النساء والحضور الى دار مملكته ، وكان ذا رأي وتدبير لسياسة المملكة على صغر سنه ، جواداً سخياً كريماً ممدوحاً ، وكان يحب الفقراء والمساكين ، ويحضر صلاة الصبح جماعة بمسجد الأشاعر بزبيد ، وبالجامع المظفر بذي عدينة ، ولم يزل على قدم الجد والاجتهاد ناهضاً باعباء ما حمّل حتى توفي » .

الملك الأشرف الثالث اسماعيل بن الناصر احمد آل رسول

وقد(١٧٨) بويع بعد وفاة الملك المنصور اخوه اسماعيل ولقب بالأشرف الثالث .

ولّما كان عند تنصيبه دون البلوغ فإنه اضطلع بشؤون الدولة جماعة من أعيانها . ولكنهم اختلفت كلمتهم وتفرقت آراؤهم .

الأمر الذي شجع العبيدوالمماليكعلى تدبير مؤامرة للقبض على الملك في قصره بتعز بعد نهبه ، ثم اعتقاله وذلك في التاسع من جمادي الآخرة من عام (٨٣١ هـ) . وتعتبر الفترة التي تبدأ بالملك المنصور هذه فترة مرحلة الشيخوخة للدولة الرسولية .

(١٧٧) العسجد المسبوك ص ٥١١ .

(١٧٨) نفس المصدر والصفحة .

الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل ووفاته

ثم اجمع[١٧٩] كبار رجال الدولة وقادة الجيش على مبايعة عمه (يحيى بن اسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) ولقب بالظاهر بعد اخراجه من سجن ثعبات، وذلك في العاشر من شهر جمادي الآخرة من عام (٨٣١ هـ) ، ولمّا تمّ اخذ البيعة له قام بارسال سلفه الملك الأشرف الثالث الى قلعة الدملوة واعتقاله فيها ، لقطع الطريق على من بقي على الولاء له من القيام بأي حركة مسانِدة له ، وانتقاماً بسبب اعتقاله له ، وقد ظلّ الأشرف الثالث في معتقله الى موته .

ثم انتقل الملك الظاهر من تعز الى زبيد وبدأ منها يعمل بحزم في سبيل اقرار الأمور في تهامة واخضاع القبائل التي تحركت للخلاف منتهزة فرصة تزعزع صرح الدولة بحركة العبيد والمماليك منذ عهد الملك المنصور ، كما ركز على القضاء على نفوذ المماليك والعبيد الذين قاموا بالانقلاب ضد الملك الأشرف الثالث ، مستشعراً الخطر الذي يهدده هو أيضاً من جانبهم ، فنكل بالكثير منهم قتلاً وتشريداً .

وقد استطاع من افلت منهم أن يتجمعوا في مدينة المحالب من وادي سهام ، وقصدوا منها بلاد الواعظات من تهامة أيضاً ، واتخذوها مقراً لهم وقاعدة لانطلاقهم الى مختلف وديان تهامة وقراها يسلبون وينهبون ، الأمر الذي اضطر الملك الظاهر الى الانتقال الى مدينة المهجم شمال تهامة الوسطى ليكون بالقرب من جيشه الذي جهزه للقضاء عليهم واستطاع بفضل تعاون ابناء المنطقة الذين عانوا من فسادهم ان ينكل بالكثير منهم وأن يكسر شوكتهم ويخلص المنطقة وغيرها من اذاهم .

وبالرغم من نجاحه في اخماد تمرد العبيد والمماليك إلا انه لم يتمكن من القضاء على الثورات اليمنية التي قامت ضد الدولة الرسولية في عهده في أماكن كثيرة من منطقة نفوذها والتي ظلّت الى وفاته في عام (٨٤١ هـ) .

هذا وكان الشيخ طاهر بن معوضة بن تاج الدين والد الملكين (علي) و(عامر) مؤسسي دولة آل طاهر قد قدم من بلدة (جبن رداع) بزيارة الملك

---

(١٧٩) نفس المصدر ص٥١٢ .

الظاهر في عام (٨٣٥ هـ) وأحسن الظاهر استقباله في دار الشجرة بتعز واكرم وفادته ثم تزوج باخته في عام (٨٣٦ هـ) .

وعدّد المصدر للملك الظاهر مآثر دينية عديدة ومنها(١٨٠) .

المدرسة التي بناها على ضريح والدته في مدينة زبيد ، والمدرسة الظاهرية في تعز ، وقد بنى لها مأذنتين احداهما بدرجتين ، ولم يعد للمدرسة المذكورة ولا للمأذنتين وجود ، ومدرسة في عدن عند باب الساحل ، ولزوجته الحرة جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت المدرسة الياقوتية بمدينة زبيد ، كما أعاد المنارة الشرقية في جامع الجند ، وجدد خازن داره برقوق الظاهري مسجد الأشاعر بزبيد ، وزاد فيه زيادات مستحسنة ، ومنها أجنحته الشرقية والغربية واليمانية ومقصورة النساء وغيرها .

ثم أضاف المصدر المذكور ان جامع الأشاعر المذكور انهدم في عهد الملك المنصور تاج الدين عبد الوهاب داود بن طاهر ، وأنه أعاد عمارته مع تعديلات وزيادات اضافها اليه . وقد توفي الملك الظاهر في عام ٨٤٣ هـ عن ملك دام حوالي اثني عشر عاماً .

الملك الأشرف الرابع ووفاته

وبويع ولده(١٨١) اسماعيل يوم وفاة والده ولقب بالأشرف الرابع .

وشيع جثمان والده من زبيد الى تعز ووري في مثواه الأخير بمدرسة الظاهرية آنفة الذكر .

أمّا سيرة الملك الأشرف الرابع وشمائله وحروبه مع قبائل تهامة التي تعودت الخلاف على الدولة الرسولية وفي مقدمتها قبيلتا المعازية والقرشية فحسبنا ان نذكر عن ذلك ما ذكره (أبو الحسن الخزرجي) في تأريخه (العسجد المسبوك) حيث قال :«ولمّا استقلّ ولده الملك الأشرف بالملك دانت له البلاد والعباد ، ومشى على

---

(١٨٠) و(١٨١) الخزرجي في (العسجد المسبوك) ص ٥١٣ و٥١٥ و٥١٧ .

طريقة والده في حسن السياسة ، وظهرت للناس رجاحته ، واشتهر في جملة معارك بالفراسة وقوة القلب والشجاعة والإقدام والنجدة والشهامة وشدة البأس حتى قيل انه لم يسبقه احد من آبائه الى ذلك ، وباشر الأمور بنفسه وتولى ما يعنيه ، وكان فيه اقدام عظيم حتى كان يقال له المجنون لذلك » ثم عدّد معاركه مع قبيلتي المعازبة والقرشية وما اسفرت عنه تلك المعارك له وعليه ، وكانت نهايتها وقعة السماط المشهورة في شهر جمادي الأولى سنة (٨٤٥ هـ) والتي فاجأ أثناءها كبار مشايخ المعازبة المدعوين بالقبض عليهم وضرب اعناق اربعين منهم ، ولم ينج منهم إلا اليسير ، ومع ذلك فلم يجد العنف في حسم الثورات والانتفاضات لأنّ الضعف والوهن كان قد دبّ في جسم الدولة الرسولية .

وقد توفي الملك الأشرف المذكور في شهر شوال من عام (٨٤٥ هـ) عن ملك دام عامين واشهراً ، ودفن في مدرسة أبيه الظاهر بتعز .

الملك المظفر الصغير ومنافسوه المفضل فالناصر فالمسعود

وقد[١٨٢] أجمع أهل الحل والعقد بعد موت الملك الأشرف الرابع على مبايعة يوسف بن الملك المنصور عبد الله ، وكان في وصاب هارباً من ابن عمه الملك الأشرف المذكور ، ولقب بالمظفر ، وانتقل من وصاب اثر تنصيبه الى تعز ، حيث دخلها في موكب عظيم ، ولكنه لم يتحرك منها ، الأمر الذي شجع بعض جنده من المماليك الأتراك وغيرهم على نقض بيعته والخروج من تعز الى زبيد بقيادة (بشبك الحاسكي) وأقاموا فيها أسد الدين محمد بن اسماعيل بن عثمان بن الملك الأفضل ملكاً ، ولقبوه بالمفضل ، واستطاع هذا ان يدعم مركزه بما فرقه من الأموال والخيل في العرب وغيرهم ، وأصبح منافساً خطيراً للملك المظفر الصغير ، وعمق انقسام بني رسول من انحلال دولتهم ، وضاعف من وهنها وضعفها ، وأتاح لآل طاهر ان ينقضوا عليها ، ويقيموا دولتهم على انقاضها .

ولكن الملك المظفر الصغير استطاع بمساندة آل طاهر وغيرهم من اليمنيين ان

---

(١٨٢) الخزرجي في (العسجد المسبوك) ص ٥١٧ .

يحتفظ بقوة جانبه .

وقتل الملك المفضل في عام (٨٤٦ هـ) كما قتل بشبك الحاسكي في أثره .

ووصل العبيد الذين كانوا يتقدمون المفسدين في تهامة الى حيس يبحثون فيها عمن يمكن أن ينصبوه ملكاً من بني رسول فوجدوا فيها احمد بن الملك الناصر فبايعوه ملكاً ولقبوه بالناصر ودخلوا به زبيد ، وذلك في سلخ جمادي الآخرة من نفس العام المذكور ٨٤٦ هـ ، ثم صاروا يعبثون في زبيد ويسلبون وينهبون دون ان يضع الناصر حداً لذلك ، لأنه لا حول له ولا طول .

ولذلك فإنه ما أن خرج من زبيد الى واديها بعد شهر واحد من تنصيبه حتى قام بعض أهلها باغلاق ابوابها لمنعه من العودة اليها ، فأغلقوا جميع ابواب المدينة باستثناء باب واحد وهو باب الشبارق الذي حال حراسه دون أغلاقه ، وعاد الناصر الى زبيد منه في نهاية اليوم وأمر بقتل كل من وجد من أهل زبيد من صغير وكبير ، حتى أصبحت زبيد (على حد ما جاء في المصدر) كأن لم تغن بالأمس ، وتفرق أهلها شذر مذر ، ولقب الناصر من يومئذٍ بالخاسر .

ومع ذلك فقد استطاع الملك المظفر الصغير القبض عليه واعتقاله وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٨٤٧ هـ) .

ولكنّ المماليك قاموا بتنصيب ولده (صلاح الدين أبو القاسم بن الناصر) ولقب بالمسعود ، وعمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاماً ، وكان تنصيبه في مدينة زبيد في الحادي عشر من شهر ربيع الأول من العام المذكور (٨٤٧ هـ) .

ثم انتقل منها الى عدن ، واستطاع ان يخرج بني طاهر نواب الملك المظفر الصغير منها ومن لحج وأبين في عام (٨٤٨ هـ) وكان بنو طاهر قد بدأوا يعملون للإستيلاء على الحكم لأنفسهم ، ومهدوا لذلك بأن أتاحوا للملوك الرسوليين المتنافسين أن يقاتل بعضهم بعضاً ، بهدف اضعافهم جميعاً .

وكان الملك المظفر الصغير ما يزال متمسكاً بآل طاهر ، وقام هؤلاء بحرب

معارضية مساندة منهم له في الظاهر ، ووصل (عامر بن طاهر) بقواته من بلاده (جبن رداع) لحرب الملك المسعود الذي جاء الى تعز لمنازلة الملك المظفر المعتصم في حصنها ، ولم يتمكن بنو طاهر من دحر الملك المسعود أو لم يشاؤ وا ذلك ، وأقام الملكان المتعارضان في تعز ، ولكن المظفر صار في حصن تعز كالمحصور ، في حين عاد عامر بن طاهر الى بلاده لإكمال استعداده لتسديد الضربة الحاسمة ضد البقية الباقية من ملوك بني رسول .

وفي عام ٨٥٢ هـ وصل بنو طاهر بقواتهم الى تعز ، وأخرجوا منها الملك المسعود سالماً بجميع أمواله الى بلاد موزع حيث اقام بهقرة منها ، ثم استطاع ان يتقدم الى عدن ويمتلكها.

ولم يشأ بنو طاهر ان ينجزوا عليه عند إخراجه من تعز ، إما لأنه خرج منها على أساس عدم المساس به مقابل اقامته في بلاد موزع ليس له من الأمر شيء ، ثم نقض ذلك الاتفاق واستعاد نفوذه وقصد عدن وتمكن من استعادتها . أو لأنهم ارادوا عدم الانجاز عليه كسباً للوقت وللمزيد من الاستعداد حتى يتمكنوا من القضاء النهائي على الدولة الرسولية ويقيموا حكمهم على انقاضها .

وقد أسرع بنو طاهر والملك المظفر الصغير في شهر ذي القعدة من نفس العام الى عدن لحرب الملك المسعود فيها ، وقامت حرب بين الجانبين لم يتمكن المتحالفان الملك المظفر وبنو طاهر من الاستيلاء على عدن ، وعاد المظفر الى تعز ، بينما عاد بنو طاهر الى بلادهم كعادتهم للمزيد من الاستعداد .

وفي عام ٨٥٤ هـ تحرك الملك المسعود من عدن الى تعز ، فتخلى له الملك المظفر عن حصن تعز وخرج منه ، ثم تنازل له عن الحكم أيضاً .

وكان المماليك اثناء الصراع المحتدم بين الملكين (المظفر الصغير) و(المسعود) قد استبدوا بشؤ ون زبيد ، وعاثوا فيها فساداً .

الملك المؤيد آخر ملوك بني رسول

ونصبوا[١٨٣] حسين بن الظاهر بن الأشرف ملكاً فيها ، ولقبوه بالمؤ يد ، وذلك في شهر شعبان من عام (٨٥٥ هـ) ، ولما علم الملك المسعود بالأمر تقدم بقواته من عدن نحو زبيد وعسكر خارجها ، وحارب الملك المؤ يد دون ان يظفر منه بشيء فانصرف عنه الى تعز . وبعد فترة عاد منها الى عدن .

أما بنو طاهر[١٨٤] فقد تمركزوا في لحج ، وقصدوا منها الملك المسعود الى عدن ، وقامت معارك بين الجانبين كانت سجالاً بينهما حتى خلع نفسه وخرج من عدن في السادس من شهر جمادي الآخرة عام (٨٥٨ هـ) . ولم يدخلها بنو طاهر لصمود حاميتها أمامهم .

في حين بادر اليها الملك المؤ يد في السابع والعشرين من الشهر المذكور ، وأقام فيها حتى زحف نحوه الملكان عامر وعلي ابني طاهر بجموعهما في شهر رجب من العام المذكور (٨٥٨ هـ) وعسكرا خارجها .

استيلاء بني طاهر على الحكم في اليمن

وفي مساء اليوم الذي وصلا فيه أو بعد أيام من ذلك (على اختلاف بين المؤ رخين) والرأي الأخير أرجح ، نفذ اليها (علي بن طاهر) مع جملة من عسكره من ثغرة اهتدى اليها مما يلي جبل التعكر (جبل حديد حالياً) وبمساعدة (آل احمد) أحد فرعي قبيلة يافع .

وفي صباح ليلة تسللهم اليها وهي ليلة الثالث والعشرين من شهر رجب من نفس العام فتح (علي بن طاهر) أبواب مدينة عدن لأخيه (عامر بن طاهر) ولجيشهما ، واستوليا عليها ، بعد ان قبضا على الملك (المؤ يد) آخر ملوك بني رسول .

---

(١٨٣) العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥٣٠ . وقد انتهى التاريخ المذكور هنا .

(١٨٤) و(١٨٥) الديبع في (بغية المستفيد في تأريخ زبيد) مخطوط .

وحددا اقامته في احدى دور الإمارة فيها ، واجريا له ولمن معه النفقات اللازمة ، وأعلنا الملك لأنفسهما . ثم ساعداه في الخروج منها الى مكة كما زعم طلب بأهله بعد ان شريا منه جميع ما كان بحوزته من معدات وآلات حربية .

وبذلك انتهى حكم بني رسول الذي دام مائتين وثلاثين عاماً وأشهراً ، وقام على انقاضه حكم بني طاهر ، والملك لله وحده .

نظرة عامة في عهد الدولة الرسولية

الناحية السياسية

قامت الدولة الرسولية في اليمن على انقاض الدولة الأيوبية ، وشغلت فترة مائتي عام وثلاثين عاماً .

ويمكن تقسيم الدولة الرسولية الى ثلاث مراحل :

مرحلة شباب الدولة ، وتبدأ هذه المرحلة ببداية الدولة ، وتنتهي بالملك المؤ يد (داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) ، ودامت هذه المرحلة زهاء ثلاثة وتسعين عاماً على اعتبار انها بدأت عام اعلان الملك المنصور عمر بن علي رسول استقلاله بحكم اليمن عن الأيوبيين وهو عام (٦٢٨ هـ) .

ومرحلة الكهولة ، وتبدأ هذه المرحلة بالملك المجاهد (علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) وتنتهي بالملك المنصور ،(عبد الله بن أحمداسماعيل ابن العباس بن المجاهد علي) المذكور ، ودامت هذه المرحلة زهاء مائة عام ، وخمسة أعوام .

ومرحلة الشيخوخة وتبدأ بالملك الأشرف الثالث بن الناصر احمد) المذكور وتنتهي بانتهاء الدولة الرسولية في عهد الملك المؤ يدالرسوليآخر ملوك بني رسول ، ودامت هذه المرحلة زهاء اربعة وثلاثين عاماً .

ولقد أسّس الدولة الرسولية على انقاض الدولة الأيوبية نائبها (نور الدين عمر بن علي رسول) والذي تلقب بعد استيلائه على الحكم بالمنصور .

وساعده على الاستيلاء على الحكم من الأيوبيين عدة عوامل أهمها :

١ ـ انابة الملك المسعود الأيوبي آخر ملوك بني أيوب في اليمن له أي نور الدين عمر بن علي رسول على اليمن لدى مغادرته له نحو الشام لتسلم ولايته الجديدة عليه التي أسندها اليه والده الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ملك مصر والشام .

٢ ـ وفاة الملك المسعود الأيوبي المذكور في مكة عام مغادرته لليمن وقبل وصوله الى الشام ، الأمر الذي اتاح لنائبه في اليمن عمر بن علي رسول المذكور فرصة التمهيد لاستيلائه على الحكم لنفسه ، وذلك بتبديل ولاة المناطق والحصون في اليمن بمن يثق بهم ويعتمد عليهم طيلة عامين كاملين وباسم الأيوبيين في الظاهر .

٣ ـ قيام الملك المسعود الأيوبي في آخر عهده بالقبض على الأمراء بدر الدين حسن وشرف الدين موسى وفخر الدين ابي بكر ابناء علي رسول اخوة الملك المنصور عمر بن علي رسول وإرسالهم مقيدين الى مصر لاعتقالهم فيها ، الأمر الذي جنّب الأمير نور الدين عمر بن علي رسول جبهة داخلية كان يمكن حدوثها بينه وبينهم وتحول دون تحقيق هدفه .

٤ ـ تعذر استعادة الأيوبيين للحكم في اليمن بسبب بعده وطبيعته الجبلية ووعورة مسالكه وارتفاع حصونه المنيعة والتي كان لها شأنها وأهميتها .

٥ ـ اضطراب الأحوال الداخلية في مصر والشام بالنسبة للأيوبيين بسبب تنازعهم وانقسامهم ،ومصر والشام في نظر الملك الكامل الأيوبي أهم وأقرب من اليمن .

٦ ـ نقل الملك المنصور عمر بن علي رسول الصراع بينه وبين الأيوبيين الى الحجاز ، وهو في نظرهم أهم من اليمن لأنّ فيه الحرمين الشريفين ، وصار الحجاز بذلك خط الدفاع الامامي للملك المنصور مع الأيوبيين .

٧ ـ ولاء الأشراف الزيدية في اليمن للملك المنصور الرسولي وتشجيعهم له على الاستيلاء على الحكم في اليمن لنفسه من الأيوبيين ، الأمر الذي جنّبه جبهة

داخلية معهم في القسم الأعلى من اليمن .

هذا عن انتقال الحكم في اليمن من بني أيوب الى بني رسول والعوامل التي ساعدت على ذلك .

أما عن دولة بني رسول ذاتها فوضعها السياسي يتلخص بالآتي :

لقي الملك المنصور الرسولي في بداية عهده مقاومة كبيرة من اليمنيين الذين كانوا يرون في بني رسول نفس ما كانوا يرونه في الأيوبيين من انهم دخلاء وغير يمنيين ، إذ لم يبدأ الترويج بيمنية بني رسول وانهم من الأزد الذين هاجروا من مأرب الى الشام ومنه الى التركمان في آسيا الوسطى ، إلا منذ عهد الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول ، ومع ذلك فهو لم يقنع اليمنيين ، وصار اليمنيون كلما ناءوا بوطأة حكم بني رسول واحسوا بسنوح الفرصة للتخلص منه تحركوا للخلاف ومحاولة الاستقلال عنهم ، وقد عمّق من اعتقاد اليمنيين بعدم يمنية بني رسول ضعف ثقة هؤلاء باليمنيين ، وما كانوا يمنحونه لغير اليمنيين الذين يستقدمونهم من مصر والشام وغيرهما من ثقة لا حدود لها ، وتقليدهم المناصب الكبيرة المدنية والعسكرية في الدولة .

على ان قيادة المعارك الحربية كانت غالباً لا تسلم إلا الى شخصيات غير يمنية يطمئن اليها بنو رسول .

هذا وليس كل الاضطرابات التي حدثت اثناء حكم بني رسول مصدرها اليمنيون ، بل ان هناك اضطرابات كان مصدرها الأسرة الحاكمة في تنازعهم على الحكم وأنقسامهم على انفسهم ، وكان المماليك الذين كان بنو رسول قد استكثروا منهم وصارت لهم مراكز قيادية في الدولة هم وراء تلك الانقسامات الداخلية بين افراد الأسرة الحاكمة بهدف تحقيق مطامعهم وأغراضهم .

وهناك اضطرابات مصدرها اليمنيون ولكن لا بهدف الاستقلال عن الدولة ، وإنما للتعبير عن الظلم الذي كانوا يعانونه من الولاة والمقطعين .

ولهذا فإنّ الملك من بني رسول كان أول ما يقوم به إثر توليه الحكم هو العمل

على اقرار الأوضاع ومنع الاضطرابات وذلك عن طريق القيام بجولة أو بجولات في مختلف المناطق ، بهدف تفقد الأحوال ، وازالة المظالم ، وتغيير من يلزم تغييره من الولاة والمقطعين ، وكثيراً ما قرأنا أنّ الملك ازال مظلمة كذا عقب توليه الحكم ، فيشهد بداية عهده بذلك استقراراً وازدهاراً ، ولكن الملك في خضم الاضطرابات الأخرى المختلفة يشتغل بها عن مواصلة تفقد احوال رعيته ورعايتهم ، ومنع الظلم والجور عنهم ، فتعود المظالم وتتجدد اضطرابات المظلومين . ثم تتوسع وتتنوع أهدافها وأغراضها بسبب استغلال ذوي الأغراض المختلفة لها وتغذيتها .

فيضطر الملك من جديد للقيام بحركات اخضاع أو إصلاح كما يسميها، ويبعد عن السبب الذي أدى اليها ، فلا يعالجه ويصبح معظم فترة عهده أو طيلة عهده في دوامة مع المخالفين والمتمردين كما رأينا .

ولقد سأل الملك المجاهد بعض رعايا زبيد الذين تركوا وادي زبيد وتركوا زراعته وتفرقوا في انحاء اليمن مشردين عن سبب تشردهم ، فأجابوا عليه بأنّ سبب ذلك طلب الولاة زكواتهم بأغلى اسعارها ، وهم لا يلزمهم إلا عينها يوم حصادها ، أو ثمنها بسعر يوم حصادها أيضاً ، فقال لهم الملك : « هذا والله ظلم بيّن ، ولا لوم عليكم فيما فعلتم » ثم ازال مظلمتهم ، وكتب بذلك مرسوماً عممه على جميع المناطق في الدولة .

ومع تلك الاضطرابات المختلفة المصادر والدوافع في عهد الدولة الرسولية فإنّ ذلك لا يعني انها سادت اليمن جميعه ، وجميع فترات عهد الدولة الرسولية .

ذلك ان الفترة الأولى من حكمها كانت فترة رخاء وازدهار واستقرار في عموم اليمن ، باستثناء القسم الأعلى منه والذي ظل مسرح حرب ونزاع بين الأئمة والرسوليين .

وباستثناء سنوات التأسيس الأولى من حكم الدولة الرسولية ، بسبب مقاومة اليمنيين لقيامها .

بينما كانت الفترة الثانية من حكم الدولة الرسولية وهي ما عرفت بالمرحلة

الثانية من عمرها ، أقل هدوءاً واستقراراً ، وان لم تكن أقل ازدهاراً ورخاءاً ، وذلك بسبب انتقال مسرح الاضطرابات والحروب من القسم الأعلى من اليمن بسبب استقلال الأئمة به عن الرسوليين منذ عهد الملك المجاهد الى منطقتي تهامة ومخلاف جعفر (في لواء اب) وهما ابرز المناطق اليمانية التي عانى بنو رسول من خلافهما ، بالرغم من انهما ظلتا تحت نفوذ الدولة الرسولية ، ولم يمتد نفوذ الأئمة اليهما ، ولكنهم صاروا يغذون حركات التمرد والخلاف فيهما على الدولة الرسولية بهدف شغل بني رسول بذلك عن محاولة استعادة نفوذهم في القسم الأعلى .

أما الفترة الثالثة والأخيرة من عهد الدولة الرسولية فقد اتسمت باضطراب الأمن والاستقرار السياسي ، حيث كثر فيها تنازع ملوك بني رسول على الحكم حتى قامت دولة آل طاهر على انقاضها .

عوامل انهيار الدولة الرسولية وأسباب سقوطها

ولقد كانت عوامل تلك الاضطرابات في عهد الدولة الرسولية هي نفسها عوامل انهيارها وأسباب سقوطها ، وللتأكيد فإنها تتلخص بالآتي :

١ ـ استكثار ملوك بني رسول من المماليك الى جانب مماليك الدولة الأيوبية حتى صار للمماليك عموماً مراكز قيادية في الادارة والجيش ، وصاروا يشكلون مراكز قوى يثيرون الاضطرابات ، ويقلقون الأمن ، ويعبثون ويفسدون ويسلبون وينهبون ، وصاروا في الفترة الأخيرة من عهد الدولة الرسولية ، يخلعون ملكاً ويقيمون ملكاً ، حتى اضعفوا جانب الدولة ، وزعزعوا كيانها وصدعوا صرحها وهيئوا عن غير قصد لآل طاهر أن يقيموا حكمهم على انقاضها .

٢ ـ ضعف ثقة ملوك بني رسول باليمنيين واعتمادهم في الوظائف الهامة مدنياً وعسكرياً على غير اليمنيين ، الأمر الذي افقد الدولة تعاون اليمنيين واخلاصهم ، وتفانيهم في خدمتها والذود عنها .

٣ ـ الاقطاع الذي كانت الدولة الرسولية تمنحه لولاتها ولبعض الزعماء اليمنيين

بهدف كسب ولائهم ، وضمان توفير الأمن والاستقرار في ولاياتهم ومناطقهم ، الأمر الذي أتاح للولاة والمقطعين استغلال المواطنين بهدف إخضاعهم وذلك في غمرة انشغال الدولة بالتصدي للخلافات التي كانت تواجهها من مختلف القوى ، وصار ذلك بالتالي من اسباب زيادة الاضطرابات وجاء بالنتيجة العكسية .

٤ ـ تنازع امراء الأسرة الحاكمة على الحكم ، الأمر الذي شكل مصدراً آخر للاضطرابات ، وأضعف جانب الدولة وبالذات في المراحل الأخيرة من عهدها ، ومهدّ الطريق لآل طاهر للوصول الى الحكم .

٥ ـ النظام الوراثي الذي انتهجه بنو رسول في حكمهم ، والذي أوصل الى الحكم ضعاف الملوك والأحداث ، وأتاح للمماليك الاستبداد بالأمور ، والعبث والفساد وأدى الى التنافس والتناحر وتعميق الإنقسام بعزل هذا الملك وتنصيب ذاك ، حتى زاد ضعف الدولة وزالت هيبتها ، وشجع بني طاهر على حرب الملك المؤيد آخر ملوك بني رسول جهراً وعلناً ، ودون اتخاذ اي مبرر سوى غرض الاستيلاء على الحكم منه ، وتمَّ لهم ذلك كما عرفنا .

هذا موجز سريع لعوامل قيام هذه الدولة الرسولية وللأسباب التي أدت الى انهيارها وسقوطها .

ولنعد مرة اخرى فنستعرض سريعاً سير حكمها ، ونتعرف على ما امكن من نظمها وقوانينها ، وعلى اوضاع اليمن في مختلف مراحل عهدها .

الإدارة في الدولة الرسولية

كان الملك (الطغتكين بن أيوب) ثاني ملوك بني أيوب في اليمن ، قد قنّن القوانين وشرّع الأحكام الادارية ووضع قواعد الحكم في اليمن ، على غرار ما كان قائماً في مصر .

وكان قد قدم من مصر الى اليمن خلفاً لأخيه (توران شاه بن أيوب)

مؤسس دولة بني أيوب فيه ، وقدم معه علي بن رسول وأولاده الأربعة وهم (بدر الدين حسن) و(شرف الدين موسى) و(فخر الدين أبو بكر) و(نور الدين عمر) (مؤسس دولة بني رسول في اليمن وهو أصغرهم) وكانوا قد قدموا كأمراء في جيش الطغتكين ، وشغلوا في عهده وعهد خلفه من ملوك بني أيوب مختلف المناصب والأعمال العسكرية والمدنية ، ولكنهم لم يبرزوا إلا اثناء الغيبة الأولى للملك المسعود (آخر ملوك الأيوبيين) عن اليمن في عام (٦٢٤) للهجرة ، حيث قاموا بمقاومة اليمنيين والحفاظ على حكم الأيوبيين فيه .

ولما أقام الملك المنصور حكمه في اليمن أقرّ قواعد الحكم ونظم الإدارة وقوانين الدولة على ما كانت عليه في عهد الأيوبيين ، مع ادخال اصلاحات وتعديلات في الجيش والإدارة المدنية لا تخرج في عمومها عن قوانين ونظم الأيوبيين واحتفظت بطابعها المصري التي كانت عليها في عهد الأيوبيين .

بل لقد استقدم بنو رسول الى اليمن خبرات عربية من الشام ومصر مدنية وعسكرية ، ومنحوهم ثقتهم ، ومن أبرزهم الخبير العسكري (علاء الدين كشتغدي) الذي استقدمه الملك المجاهد من مصر في عام (٧٢٨ هـ) فرتب الجيش اليمني في دولته على قواعد الجيش المصري كما ذكر ذلك المؤرخ اليمني (تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تأريخه (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) وغيره من المؤرخين وكما سبق عند التأريخ للملك المجاهد المذكور من هذا الكتاب .

كما استقدم(١٨٦) الملك المجاهد أيضاً عدداً من خبراء الادارة وكتاب الدواوين والانشاء ، ومن هؤلاء المؤرخ ابن عبد المجيد المذكور نفسه الذي استقدمه الملك المجاهد الرسولي أيضاً من الخارج حيث كان يعمل بعد انهاء دراسته العربية في الشام ومصر ، وعمل له في ديوان انشائه ، ومنهم الأديب (أبو المظفر موسى بن حسين المصلي) الذي استقدمه من مصر الى اليمن الملك المؤيد

(١٨٦) مصدرنا في هذا الأستاذ عبد الله الحبشي في كتابه (حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول) .

(داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) في عام (٦٩٩ هـ) وقد وصفه الجندي بأنه لم يشبهه احد من القادمين الى اليمن علماً وأدباً ، ومنهم كاتب الانشاء (ناصح الدين المنتجي) الذي قدم مع أبي المظفر المذكور ، والذي ترك مصنفاً ضمنه قواعد الدواوين اليمنية ونظام الضرائب والرسوم ، ومنهم (أبو محمد الحسن بن نصر بن مختار الدولة) ، القادم الى اليمن في عهد الملك المجاهد أيضاً .

أما المناصب الإدارية في عهد الدولة الرسولية فأهمها تسعة مناصب وهي : النيابة والوزارة والحجابة وكتابة السر وكتابة دواوين الجيش ووظيفة ديوان المال وشاد الولاية والحسبة والقضاء وهو مستقل عن الادارة ، وجميعها معروفة سوى وظيفة شاد الولاية ، وتعني وظيفة جمع الأموال واستحصالها ، وصاحب هذه الوظيفة أكثر موظفي الدولة التصاقاً بالناس ، ووظيفته اكثر حساسية من غيرها ، والوظيفة الثانية المجهولة اليوم هي وظيفة الحسبة ، وتعني رقابة سلوك الناس ، والحفاظ على الآداب العامة ، وربما تعني الرقابة السرية على مسلك موظفي الدولة وعلى الاسعار والمقاييس الأكيال والموازين في الأسواق ، ولا تمنح هذه الوظيفة إلا لمن كان على درجة عالية من النزاهة والاستقامة ، وهناك وظيفة عاشرة في الدولة الرسولية تبعاً للدولة الأيوبية وهي (أتابكية الجيش) وتعني القيادة العامة للجيش لأن حاملها هو الذي يتم تعيين قادة الجيش وضباطه عن طريقه ، والأتابكية في الأصل هي الإضطلاع بتربية اولاد الملوك ، ثم الاضطلاع بقيادة الجيش بعد اضطلاع الملك الذي قام بتربيته بمسؤولية الحكم أو في حياة أبيه وكانت النيابة تعتبر اعلى مراتب الوظائف الحكومية ، أي انها اعلى مرتبة من الوزارة ، ولا يلي منصب النيابة في عهد الدولتين الأيوبية والرسولية إلا قريب الملك أو احد كبار القادة العسكريين .

الناحية الإقتصادية

قسمت(١٨٧) الدولة ضريبياً الى ثلاثة أقسام رئيسية :

---

(١٨٧) المصدر في هذا هو المصدر السابق والدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) .

القسم الأول البلاد الجبلية وهو فرعان ، الفرع الأول الجبل الأعلى من اليمن ويسمى البلاد العليا ، وهي طولاً من شرق حضرموت الى بلاد الطويلة وشرق ملحان غرباً ، وعرضاً من حقل قتاب جنوباً الى بلد بيشة شمالاً .

والفرع الثاني وهو المعروف باليمن الأخضر وهو مدور الشكل ، ويبدو انه يعني به المنطقة الوسطى ويشمل لواء اب وما جاوره من بلاد عتمة ووصابين وقضاء ريمة .

أمّا القسم الثاني فهو البلاد السهلية وهي تهامة من جنوبها حتى شمالها .

وأمّا القسم الثالث فيشمل البلاد الساحلية وهي التي توجد فيها الموانىء على البحر الأحمر وخليج عدن ، وكانت منها أهم موارد الدولة من الزكوات ومن التجارة والموانىء .

وقد انتعشت التجارة في موانىء اليمن وفي عدن بالذات في عهد الدولة الرسولية ، وذلك بفضل علاقتهم الخارجية الحسنة مع مختلف الدول الآسيوية والأفريقية، وبفضل اهتمام ملوك بني رسول بالتجار اليمنيين والأجانب وحسن رعايتهم ، وتسهيل معاملاتهم ، وتفقدهم المستمر بالزيارات التي كان ملوك بني رسول يقومون بها الى عدن ، الميناء الرئيسي في عهدهم ، وازالة ما قد يكون نوابهم قد وضعوا عليهم من مظالم ومكوس .

كما انتعشت التجارة الخارجية ايراداً وتصديراً بفضل الشواني (سفن الحراسة) التي رتبوها بالمشاركة مع شواني دولة المماليك في مصر لحراسة البحر الأحمر والبحر العربي وبحر الهند من قراصنة البحار .

أمّا الزكوات فأهمها : من الحبوب والفواكه والنخيل في المناطق التهامية ، وكانت تقدر زكاة النخيل بالتقدير الذي لا يخلو من مجازفة وظلم على الرعية حتى تشرد أكثرهم من مختلف مناطق اليمن خارج تهامة ، وقد علمنا بالحوار الذي دار بين الملك المجاهد وزراع النخيل عن أسباب تشردهم ، وأنه أزال ظلامتهم ، وأمر بعد النخيل حتى لا يظلم احد في زكاته ، كما كان الملك

الأشرف الأول ابن الملك المظفر قد أمر بأخذ زكاة النخيل بعد عده ، ويبدو ان ذلك تمّ في عهده القصير فقط كما علمنا.

ولما كان بنو رسول يحترمون العلماء ويجلونهم ، فقد أتاحوا لهم حرية نصحهم ومصارحتهم ، وكان العلماء انفسهم مع ذلك يتحلون بالصراحة والشجاعة وأورد المصدر أمثلة عديدة على ذلك ومنها رسالة العلامة شيخ الصوفية (احمد بن علوان) للملك المظفر ، والذي عاتبه فيها على وجود ظلم برعية تهامة والجبال فيما يوضع عليهم من واجبات الزكاة وجاء منها :

هذي تهامة لا دينار عند همو ... ولحج أبين بل صنعاء بل عدن
فما ذنوب مساكين الجبال وهم ... جيران بيتك والأحلاف والسكن
والأضعفون فما يقتات أجزلهم ... إلا بما جرت المسحاة والحجن
فانظر اليهم فعين الله ناظرة ... همو الأمانة والسلطان مؤتمن
عار عليك عمارات مشيدة ... وللرعية دور كلها دمن
لا تفخرّن بجمع المال كيف أتى ... حاشاه عقلك عقل راسخ زمن

ومنها الرسالة التي بعثها ابن المقري الى الملك الناصر (احمد بن الأشرف الثاني) يشكو فيها مشداً يعرف بابن الزنبور ، وكانت الرسالة على لسان أهل زبيد وجاء منها :

همو الرعايا العبيد الطائعون همو
وأنت أنت المطاع السيد الملك
فلا تكلهم الى من ليس يرحمهم
ولا يرى هلكهم أمراً به درك

ورسالة ابن المقري ايضاً على لسان لحج يشكو فيها احد العمال ومنها :

رعية لك في لحج بصرت بهم ... لهم وجوه تُقاها ظاهر فيها
تندى حياء وتحميها سكينتها ... عن التكلم فيما ليس يعنيها

يشكـون من كاتب يفـري بسلبهمو   نعـماء أنت بحمـد الله كـاسيهـا

ورسالة مقتضبة بعثها قاضي القضاة (اسماعيل بن محمد الحضرمي) : إلى الملك المظفر جاء فيها قوله :

(يايوسف كثر شاكوك ، وقلَّ شاكروك ، فأمّا عدلت وإلا انفصلت) .

وهذا القاضي الحضرمي هو الذي رأى على احد قضاته ثياباً فاخرة فسأله عن ذلك ، فرد عليه بقوله : هذا من بركاتك يا أبا الذبيح ، (وكانت هذه كنية قـاضي القضاة المـذكور) فـأجاب عليـه قاضي القضـاة : « ذبحني الله ان لم أعزلك » ، ثم عزله واستقال من منصبه تورعاً من الـوقوع في الشبـه حتى فيما يقترفه غيره بسلطانه وتوليته .

الحياة الاجتماعية والثقافية

شهد المجتمع اليمني في عهد الدولة الرسولية رخاء في العيش ونشاطاً في التجارة ، وازدهاراً في العمران ، ولا سيما في المدن الآمنة والبعيدة عن الحروب والتقلبـات ، حتى زاحم الأغنيـاء بقصـورهـم وترفهـم قصـور وتـرف الملوك والأمـراء ، وكان الـواحد منهم يملك في قصـره العديـد من العبيد والخصيـان والإماء ، ؛ الذين كان يستقدمهم النخاسة للتجارة من الهند والحبشة وافريقيـا وغيرها .

ولقـد كان عهـد الدولـة الرسـولية مـع ذلك مـزدهراً بـالعلم والثقـافـة والأدب ، لأن ملوك بني رسول كانوا يشجعون العلماء والأدباء ، ويبالغـون في اكـرامهم ، كما كانوا يستقـدمونهم من خـارج اليمن ويستقبلون الكثير من المؤلفات من الداخل والخارج باحتفالات تليق بجلال العلم وجهد المؤلفين، كما كانوا يجزلون العطاء لهم ، ويخلعون عليهم ، ويجرون النفقات الـوفيرة للعلماء والمتعلمين وكانوا يجرون النفقات الثابتة للمـدرسين من الجزية ومن حاصلات الأوقاف التي كانـوا يوقفـونها هم وغيرهم للمـدارس العلمية ، ومن ايـرادات

الدولة ومن الأوقاف العامة ، وأمّنوا مع ذلك للطلاب الغذاء والكساء والسكن والمصاريف اللازمة للحاجات الأخرى .

وعيّنوا النساخ في قصورهم لنسخ الكتب بصورة دائمة ، وايداع نسخ منها بعد مقابلتها في مكتباتهم الزاخرة بالآلاف من الكتب ، التي لا توجد في غيرها ، وتوزيع عدد منها في المدارس المختلفة مراجع للأساتذة ومقررات للطلاب ، كما كانوا يرسلون الى الخارج من يبحث لهم عن الكتب التي لا توجد في اليمن ، ويقتنونها بأوفر الأثمان ، وكانوا يستقبلونها باحتفالات كبيرة ، كما استقبل الملك المظفر شرح المهذب في فقه الشافعية باحتفال مهيب ، وذلك عند انتهاء مؤلفه العلامة (محمد بن عبد الله الريمي) ، وكان كتاب المهذب هو المقرر الرسمي في فقه الشافعية في المدارس .

واستقبل كذلك المحدث الكبير المحب الطبري الذي ألف عدة مؤلفات في اليمن ، وأسمى بعضها باسم المظفر كالكواكب الدرية ، والمشيخية المظفرية ، كما استقبل الملك الأشرف الثاني اسماعيل بن الملك الأفضل العباس العلامة الفيروزبادي الذي ألّف كتابه (القاموس المحيط) في اللغة في زبيد تحت رعايته .

وكانت مع ذلك لملوك بني رسول مشاركة فعلية في الانتاج العلمي ، فألّف الملك المظفر كتاب (تيسير الطالب في تسيير الكواكب) و ألّف الملك الأشرف الأول بن الملك المظفر كتاب (التبصرة في علوم النجوم) ، و(التفاحة في علم الفلاحة) ، وألّف الملك الأفضل بن الملك المجاهد كتاب (بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين) ، وكتاب (نزهة الطرفاء وتحفة الخلفاء) في علم السياسة والاجتماع .

أمّا في التاريخ فكان المؤرخون قبل عهد بني رسول يجمعون بين التراجم والحوليات ، في مؤلف واحد كالجندي مثلاً ، ثم صاروا في عهد بني رسول يفردون التراجم عن حوليات الأحداث ، ومن أوائل المؤرخين هؤلاء أبو الحسن الخزرجي االذي ألّف في الحوليات (العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن

من الملوك) ، و(العقود اللؤلؤية في اخبار الدولة الرسولية) ، والف في التراجم كتاب (طراز اعلام اليمن) ، وغيره كثيرون ما زالت مؤلفاتهم بين أيدينا والنادر منها يوجد في المكتبات العامة في مصر وتركيا وغيرهما .

عموماً فقد بذل بنو رسول عناية فائقة ورعاية بالغة للعلماء والطلاب على حد سواء ، ولم يبنوا جامعاً إلا وكان له طابع المدرسة ووفروا للطلاب والمدرسين فيها كل وسائل التعليم ، من كتب ومشايخ وسكن للطلاب واغذية وكساء ومرتبات وغيرها مما أسلفنا ، وأوقفوا لمدارسهم الأوقاف الواسعة ،وكانت هناك مدارس عامة يدرس فيها العديد من الفنون ، ومدارس خاصة لا يدرس فيها إلا فن معين أو فقه لأحد المذاهب الأربعة أو الحديث فقط وهكذا ، وما زالت الكثير من مدارسهم ومساجدهم عامرة الى اليوم .

وكما برز علماء اجلاء في عهد الدولة الرسولية ، فقد برز أدباء يضارعون أدباء عصرهم في مصر والشام والعراق وغيرها . وذلك بفضل التشجيع والرعاية التي كان بنو رسول يقدمونها للأدباء والشعراء وكُتّاب الدواوين والانشاء واكرموا الشعراء بالجوائز السنية حتى أصبح الشعر في ذلك العهد مصدر رزق وثراء ، ثم فتحوا لهم صدورهم وقصورهم وحضروا معهم مجالسهم .

ومن الأدباء الذين برزوا في عهد الدولة الرسولية (ابن المقري) الذي تحدى الحريري بقصيدته التي مطلعها :

سم سمة تُحمد آثارها   وأشكر لمن أعطى ولو سمسمه

بقصيدة مدح بها الملك الناصر احمد بن الأشرف الثاني اسماعيل ، وزاد على عدد ابيات قصيدة الحريري خمسين بيتاً في قصيدته التي مطلعها :

المس لمهوى احمد طاعة   يرضى بها المسلم والمسلمة
والمحك مهواة فدعه لمن   يرى القضا للسيف والمحكمة
من لجّ مهيوجاً تراءى له   من ابن اسماعيل من لجمة

الى آخر القصيدة ، وغير ابن المقري كثيرون .

أمّا فئات المجتمع اليمني في عهد بني رسول فهي نفس الفئات في غيره والتي تتكون من قبائل معظمهم يحتفظون بقبليتهم في الريف ، وجميع هؤلاء فلاحون ، باستثناء البدو الرحل والذين يشتغلون بتربية المواشي الأغنام والإبل ، وجميع سكان الريف يحتفظون بتقاليدهم وعاداتهم ، أمّا سكان الحضر (المدن) فتتعدد فئاتهم بتعدد اعمالهم ومهنهم ، وجميع سكان الحضر تتلاشى فيهم القبلية وعصبيتها ، كما تتغير لديهم عادات القبيلة وتقاليدها ، وان لم تَزُل عنهم شمائل القبيلة الأخرى ، كالمروءة والنجدة ، والإجارة والشعور بالكرامة والذود عنها حينما يراد امتهانها والنيل منها .

هذا وتختلف مكانة فئات المجتمع باختلاف اعمالها ومهنها ، ففئة العلماء والمثقفين هي أعلى الفئات .

ولقد كان لرؤساء القبائل وزعماء العشائر نفوذهم المحلي وكانوا يشكلون قوة لها شأنها وخطرها ، وكانت الدولة تكسب ولاءها عن طريق منحها الاقطاع في مناطقها . وكانت قوة القبيلة أو ضعفها ترتبط عموماً بقوة أو ضعف الدولة ، فمتى كان جانب الدولة قوياً كان النفوذ القَبَلي ضعيفاً ، والعكس بالعكس .

علاقة اليمن الخارجية في عهد بني رسول

تبّوأت الدولة الرسولية مكانة عالية بين الأمم ولا سيما بعد بسط مؤسسها الملك المنصور (عمر بن علي رسول) نفوذه على مكة والمدينة ، وحماية الحرمين الشريفين ، فصارت الكثير من الدول تسعى لكسب صداقتها ، وترتبط معها بعلاقات حسنة ، وتتبادل معها التمثيل الدبلوماسي ، وتبادلها الهدايا .

وابرز وأهم الدول التي اقامت معها الدولة الرسولية علاقات حسنة دولة المماليك في مصر والتي خلفت دولة الأيوبيين التي اقتطع الرسوليون دولتهم في اليمن ، والحجاز منها ، بعد ان كانوا في اليمن نواباً عنها .

وقد بدأت العلاقة الودية في عهد ملكيها الظاهر بيبرس في مصر والمظفر يوسف بن عمر بن علي رسول في اليمن وكان عز الدين بن أيبك أول ملوك دولة المماليك في مصر والشام في الأصل مملوكاً تركمانياً للوزير (رسول محمد بن هارون) جد الملك المظفر المذكور كما سبق ذكره . كما كان الملك المظفر هو الساعي لتوطيد تلك العلاقة مع ملك المماليك ، خشية أن يغزو هذا اليمن ولا سيما بعد النصر الذي حققه الظاهر بيبرس على جحافل التتار في عين جالوت من بلاد مصر في عام (٦٥٨) للهجرة .

وقد اعرب الملك المظفر عن تقديره واكباره للملك الظاهر في تقديمه لأعلام الظاهر على اعلامه في جبل عرفات عام (٦٥٩ هـ) . قائلاً لبعض خاصته الذي استنكر ما فعله ، : « اتراني اقدم اعلامي لحضوري وأأخر أعلام ملك كسر التتار بالأمس ؟ » وبادله الملك المظفر السفراء وتبادل معه الهدايا ، ومن جملة هدايا ملك مصر لملك اليمن المظفر المذكور قميصة تطميناً له من القيام بغزوه وبعض الآلات الحربية والطيور الجارحة قائلاً في رسالته للملك المظفر : « سيّرنا لك آلة السلم والحرب مما لاصق جسدنا في مواطن الجهاد » وبعث الملك المظفر خمسمائة فارس الى مصر مجهزين بكل ما يلزمهم للحرب للمشاركة في حرب التتار والصليبيين ، وظل يرسل نفقاتهم باستمرار ، لتأكيد ولائه للملك الظاهر ، وللإسهام في الجهاد في سبيل الله ، وكان الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر قد اقتدى بالملك المظفر في بداية عهده وساند المماليك في مطاردتهم لقراصنة البحار حينما طلب منه ذلك نائبهم الأمير حسن الكردي ولقطع الطريق بذلك عن حرب المماليك ، والقضاء عليهم كما حدث .

ولم يستطع شريف مكة (أبو نمي بن سعد بن علي بن قتادة) الإفساد بين الملكين حينما استولى واسرته على حكم مكة بعد موت الملك المنصور عمر بن علي رسول والد الملك المظفر ، بسبب اشتغال المظفر باقرار الأمور في اليمن بعد موت ابيه ، وكان اشراف مكة قد دانوا بالولاء للمماليك في مصر منذ مقتل

الملك المنصور وانتموا اليهم ، لمنع امتداد نفوذ المظفر الى الحجاز ، والتولية عليهامن قبله قبولاً لأيسر الأمرين ، اذ أنّ انتماءهم الى المماليك سيكون شكلياً لا يزيد على الدعاء لهم في الخطبة وهو ما حدث فعلاً .

ولمّا مات الملك الظاهر بيبرس المملوكي دعم الملك المظفر صلته بولده الملك المنصور (سيف الدين قلاوون) ، وبادله الهدايا حتى ظفر منه بقميصه تطميناً له كما فعل أبوه وكتب ملك مصر اليه : « إنّا داعون له ولأولاده ، مسالمون من سالمهم ، معادون من عاداهم ، ناصرون من ناصرهم ، خاذلون من خاذلهم ، لا نرضى له ولأولاده إلا بما رضيناه لأنفسنا ، وإنّا لا نقبل في حقه سعاية ساعٍ ، ولا وشاية واشٍ ، ولا تناله منا مضرةٍ مدى الدهر ، وأعمارنا ، ما دام ملازماً شروط مودتنا » .

وقد فترت علاقة بني رسول بالمماليك في عهد الملك المملوكي (محمد بن قلاوون) في عهد الملك المجاهد الرسولي كما أسلفنا وبسبب الصراع الذي قام بينه وبين امراء المماليك عزل بسببها وأعيد الى الحكم ثلاث مرات .

وكان بنو رسول يوثقون علاقتهم مع اشراف مكة حين تضعف مع المماليك ، كمناورة سياسية لشغل المماليك بالحجاز ، الذي كان المماليك يهتمون به وفيه الحرمان الشريفان ، اكثر من اهتمامهم باليمن ، لبعده وطبيعة ارضه ووعورة مسالكه ، كما أقام بنو رسول علاقات ودية مع مختلف الدول الأفريقية والآسيوية ، الأمر الذي انعش التجارة في اليمن وفي البلدان التي تبادلت معها التجارة ، وبفضل الرعاية الحسنة التي كان التجار الأجانب يلقونها في الموانىء اليمنية وبفضل حراسة السفن التجارية في عرض البحر الأحمر وبحر الهند بالتعاون مع دولة المماليك وغيرها من الدول المجاورة كما علمنا .

دولة بني طاهر

٨٥٨ - ٩٢٣ هـ

١٤٥٥ - ١٥١٨ م

(آل طـاهر)[١] في الأرجـح يمنيون ، من بـلاد جبن قضـاء رداع لـواء البيضاء ، وليسوا قرشيين أمويين ، ولا من قبيلة القرشية التهامية كما ذهب الى كلا القولين بعض المؤرخين .

وكما استولى (بنو رسول) على الحكم في اليمن من الأيوبيين بعد ان كان الرسوليـون نواباً وعمالاً لهم. كذلك استولى (بنو طاهر) على الحكم في اليمن من (بني رسول) بعد ان كان الطاهريون نواباً وعمالاً للرسوليين ، واضطلعوا بمهام هامة ادارية وعسكرية للدولة الرسولية في آخر عهدها ، ومنها :

١ - نيابتهم لبني رسول في العـديد من المناطق ومنها لحـج وعدن وبـلاد رداع وغيرها .

٢ - حربهم للأئمة الزيدية كالإمام (علي بن صلاح الدين) نيابة عن بني رسول في منطقة رداع التي كانت تعتبر خط الدفاع الامامي ضد التـوسع الإمـامي فيها وفي المناطق المجاورة لها كبـلاد ذمار وغيـرها ، وكـان الأئمة منـذ دبّ الضعف في الدولة الرسولية قد شددوا هجماتهم عليها في الكثير من مناطق نفوذها وحتى تهامة ، ولولا انقسام الزيدية فيما بينهم لبسطوا نفوذهم في نهاية الدولة الرسولية على مناطق أوسع في اليمن .

---

(١) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٢٤٦ .

٣ ـ انتهاز بني طاهر للحرب القائمة بين الملك المسعود والملك المظفر الأخير الرسوليين ، وقيام بني طاهر بمساندة هذا خلال حكمه وبعد استقالته .

ثم حربهم للملك المؤيد آخر ملوك بني رسول والقبض عليه في عدن واستيلاؤ هم عليها ، في الثالث والعشرين من شهر رجب من عام (٨٥٨ هـ) وكان(٢) ذلك بداية حكمهم .

المجاهد علي والظافر عامر ابنا طاهر

وقد حدد الملكان (المجاهد علي) و(الظافر عامر) ابنا طاهر بن معوضة اقامته في احدى دور الإمارة في عدن واجريا له ولمن معه النفقات اللازمة ، بعد ان شريا منه ما معه من طبلخانات واسلحة وخيل وغيرها ، ثم تسامحوا معه في خروجه من عدن ، ولم يقبضوا عليه في زبيد حينما بسطوا نفوذهم عليها ، وأطلقوا حريته للخروج من اليمن كما سنعلم،وأول ما عرف بنو طاهر كمشايخ ورؤساء محليين منذ وفد الشيخ معوضة بن تاج الدين (جد آل طاهر) على الملك (الناصر) الرسولي الذي اكرم وفادته ، ومنذ وفد الشيخ طاهر بن معوضة ايضاً على الملك الرسولي (لظاهر) الذي عمق صلته به بالتزوج بأخته وذلك في عام (٨٣٥ هـ) كما علمنا كل ذلك في فصل بني رسول .

وقد اهتم بنو طاهر في سبيل استيلائهم على الحكم بمدينة عدن أولاً ، وذلك للإستعانة بمواردها المالية لتحقيق ذلك ، ثم بمدينة زبيد للقضاء على المماليك الذين تمركزوا فيها وصاروا في آخر الدولة الرسولية يعبثون ويفسدون ويقيمون ملكاً ويخلعون ملكاً كما عرفنا ، ثم ببسط نفوذهم على تهامة لإخضاع القبيلتين الرئيسيتين فيها وهما (المعازبة) (الزرانيق) والقرشية اللتين عانت الدولة الرسولية من تكرر فسادهما الأمرين .

---

(٢) الديبع الشيباني في تأريخه (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) ص ١٢١ .

وقد بدأت دولة بني طاهر بالملك (شمس الدين المجاهد علي بن طاهر ابن معوضة بن تاج الدين) يساعده أخوه الملك الظافر (عامر بن طاهر بن معوضة) .

وقد دخل الملك المجاهد عدن أولاً مع عدد قليل من عسكره ليلاً ، بأن تسوروا السور مما يلي جبل التعكر في عدن ، وهبطوا الى داخلها بالحبال بمساعدة(آل احمد) احد فرعي قبيلة يافع ، وذلك ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رجب من العام المذكور (٨٥٨ هـ) ، وفي صبيحة تلك الليلة فتحوا للملك عامر بن طاهر وبقية عسكرهم باب عدن وقبضوا فيها على الملك المؤيد الرسولي آخر ملوك بني رسول كما قبضوا حصون عدن ورتبوا فيها من قبلهم .

وقد لخص الدكتور (محمد عبد العال احمد) في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) قضية المساندة التي قدمها (آل أحمد) اليافعيون والثمن الذي تقاضوه من بني طاهر مقابل ذلك فقال :

« كانت غالبية قبيلتي آل احمد وآل كلد اليافعيتين تنزل عدن ، وقد بلغ التنافس والتنازع فيما بينهما اقصاه في أواخر عهد دولة بني رسول ، فأدى ذلك الى انعدام الأمن ، وشيوع الفتنة والاضطراب في عدن » ، وأضاف قائلاً : « وكان آل كلد يسيطرون على المدينة من داخلها ، وينتشرون في احيائها ، في حين كانت سيطرة آل احمد على حصون المدينة وأسوارها فلمّا تفوق آل كلد عليهم وغلبوهم على امرهم ، استغلوا الحصار الذي فرضه الطاهريون على عدن سنة (٨٥٨ هـ) وعمدوا الى الإتصال بهم ، وعرضوا عليهم تقديم ضروب العون والمساعدة تسهيلاً لمهمة الاستيلاء على عدن لقاء التعهد برفع منزلتهم وطرد آل كلد من عدن بعد استيلاء بني طاهر على المدينة .

وتنفيذاً لهذا الاتفاق انطلق المجاهد علي بن طاهر مع زعماء آل احمد فأدخلوه عدن مع جمع من عسكره من سور الجبال ليلة الثالث والعشرين من

شهر رجب سنة ٨٥٨ هـ ١٩/ يوليو / تموز ١٤٥٤ م ، وما ان تمّ لبني طاهر ذلك حتى دقوا الطبول ليلاً ، ورددوا صيحتهم بالنصر للمشايخ بني طاهر ، فلمّا سمع آل كلد ذلك ايقنوا بالهلاك وتركوا بيوتهم وقضوا الليل خارجها حائرين . فلمّا ادركهم الصباح فتحت ابواب عدن ودخل الظافر عامر بن طاهر مع باقي عسكره واعلن الأمان لأهلها ، باستثناء آل كلد فقد أمهلهم ثلاثة أيام للرحيل من عدن ، وتحل بعدها دماؤهم ، فتفرق آل كلد شذر مذر، منهم من خرج الى زيلع ، والى بربرة والى سائر بر العجم ، وخرج غالبيتهم الى الشحر عسى ان تواتيهم الفرصة لينتقموا لأنفسهم من بني طاهر ، وفي الشحر التف من وصلها من آل كلد حول صاحبها (أبي دجانة محمد بن سعيد بن فارس الكندي) ودخلوا في خدمته ، واكتسبوا ثقته ، ثم اخذوا يغرونه بغزو عدن ، وكان ما سيأتي ذكره من غزوه الفاشل لعدن وقبض بني طاهر عليه والاستيلاء على ملكه » .

أمّا استيلاء بني طاهر على مدينة زبيد المحط الثاني في رحلتهم الشاقة لتوطيد حكمهم في اليمن فقد دبر الملك المجاهد الحيلة الآتية للاستيلاء عليها سلماً بدون حرب ، وهي بأن أخرج من زبيد الأمير زين الدين جياش بن سليمان السنبلي وذويه وكانوا نحو الثلاثين شخصاً مطرودين في ظاهر الأمر ، كوسيلة لوصولهم زبيد للتعرف على احوال المماليك فيها ، والعمل والتمهيد لاستيلاء المجاهد عليها دون اراقة دماء .

ولمّا وصل[٣] السنبلي مدينة موزع راسل مماليك زبيد ليأذنوا له في دخول زبيد ، فرضي بعضهم وكره البعض ، وممن رضي (يوسف بن القلقل) وهو طاغيتهم يومئذٍ فأدخله زبيد على كره من بعضهم ، وأظهر السنبلي للمماليك النصح والإخلاص حتى وقف على اسرارهم وسرائرهم ، وكان يراسل الملك المجاهد ويطلعه على اخبارهم وحقيقة أحوالهم ، ويؤكد له انحلال معنوياتهم وضعف شوكتهم ، واختلافهم فيما بينهم ، وكان المجاهد يحثه على توسيع شقة

---

(٣) الديبع الشيباني في تأريخه (بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد) ص ١٢٢ .

الخلاف بينهم ، ففعل السنبلي ذلك حتى انقسموا على انفسهم .

ثم استحلف للملك المجاهد الطاهري من اطمئن الى ولائـه له منهم ، وبعث اليه يعلمه بذلك ويستحثّه على المبادرة الى زبيد ، وعزز رسالته برسائل جماعة من كبراء زبيد وقضاتها وعلمائها . فتحرك الملك المجاهـد من عدن الى بلدة (جبن) لإكمال استعداده ، وذلـك في الثالث من شهـر شوال من عـام ٨٥٩ هـ ومنها تقدم نحو زبيد ، ولمّـا كان في تعـز وفدت عليـه قبيلة القرشيـة التهامية تعلن لهولاءهـا وتعرض عليه خـدماتهـا ، وقد احسن استقبالها ، قال الديبع[٤] : « وكانوا في غاية الكثرة واجتماع الكلمة » .

ووصل الملك المجاهد مدينة موزع في شهر ذي القعدة من العام المذكور (٨٥٩ هـ) وأقام فيها الى قبيل عيد الأضحى من نفس العـام ، التف حولـه خلال اقامته فيها كثير من اليمنيين من تهامة وغيرها ، ومنهم الشيخ عيسى بن عمر التالبي صاحب الحديدة الذي طلبه الملك المجاهد وارسله الى بيت الفقيه ابن عجيل لإرساء قواعد الحكم فيهـا لآل طاهـر ، ثم انتقل الى مـدينة حيس حيث قضى فيها يوم عيد الأضحى .

وفي اليوم التالي له الحادي عشر من شهر ذي الحجـة من العام المـذكور غادرها نحو زبيد ودخلها دون سفك دماء ، وبعد ان غادرها من لم يعلن ولاءه للملك المجاهد من المماليك .

أمّا الملك[٥] المؤيد الرسولي آخر ملوك بني رسول والذي كان في زبيد يوم دخول الملك المجاهد الطاهري اليها فـإنه لجـأ ببيت الشيخ الغـزالي فيها ، ثم غادر اليمن الى مكة ومنها الى مصر حيث أحسن الملك المملوكي في مصر (اينال الأجرود) استقباله ، ورتّب له مرتباً يقوم بكفايته بمكة التي عاد اليها واستقر بها الى موته .

---

(٤) نفس المصدر ص ١٢٣ .

(٥) بغية المستفيد ص ١٢٦ .

ومن غريب الاتفاق ان الملك المؤيد الرسولي كان في كل من مدينتي عدن وزبيد عند استيلاء الملك المجاهد الطاهري عليهما ، وكان في زبيد قد خُطِب يوم الخميس للمؤيد في خطبة عيد الأضحى ، وخُطِب فيهما في اليوم التالي للمجاهد في خطبة الجمعة ، وبالرغم من ذلك فإنّ الملك المجاهد لم يسىء الى المؤيد ، بل تركه يخرج من عدن ويخرج من زبيد ، الأمر الذي يدلنا على أنّ بني طاهر كانوا غير ميّالين الى سفك الدماء .

وأما المهمة الثالثة من أولى مهام الدولة الطاهرية في سبيل توطيد حكمهم في اليمن (بعد الاستيلاء على عدن وزبيد والقضاء على نفوذ مماليك زبيد) فهي اخضاع قبيلتي المعازبة (الزرانيق) والقرشية ، ووضع حد لتمردهما وعبثهما في المنطقة .

ولما كانت قبيلة القرشية قد أُوفدت الى الملك المجاهد الى تعز عدداً من زعمائهاوأفرادها وأعلنوا لهولاءهم وساندوه في الاستيلاء على زبيد فإنّ آل طاهر ركزوا أولاً على قمع قبيلة المعازبة فجندوا لغزوها عقب استيلاء الملك المجاهد على زبيد وأوقعوا بها وقتلوا عدداً من زعمائها ، وما زالت قوات الطاهريين تتعقبهم ، حتى اذلتهم وكسرت شوكتهم ، قال في المصدر[٦] المذكور : « واعلم ان الملوك بني طاهر مدة ولايتهم ادامها الله تعالى في كل سنة يجعلون مخرجاً الى المدني نخل المعازبة سواء كان المعازية مخالفين أو موالفين ، ويقطعون ثمره ، وربما قطعوا بعض أصولها في بعض السنوات ، فلا نشتغل به في التأريخ ، إذ ليس فيه فائدة أكثر من العلم به اللهم إلا أن تتعلق بفائدة أخرى فنذكره لها ، وفائدة قطعه في كل عام اذلالهم وتوطينهم ، وإضعاف شوكتهم » .

كما كانت[٧] للدولة الطاهرية منذ بداية عام (٨٦١ هـ) عدة غزوات الى

(٦) بغية المستفيد ص ١٢٥ .

(٧) نفس المصدر ص ١٢٧ .

بلاد القرشية في سبيل اخضاعها كذلك وكسر شوكتها ومنع تمردها وعصيانها .

امتداد نفوذ الدولة الطاهرية الى الشحر

علمنا[٨] ان (آل كلد) احد فرعي قبيلة يافع الذين كانوا متمركزين في عدن أُبعِدوا منها عقب استيلاء بني طاهر عليها ، وأنهم تفرقوا في انحاء كثيرة داخل اليمن وخارجه ، ولجأ كثير منهم الى الشحر المنطقة الساحلية لحضرموت ، ودخلوا في خدمة سلطانها (أبي دجانة محمد بن سعد بن فارس الكندي) وحسَّنوا له الاستيلاء على عدن كوسيلة للإنتقام من بني طاهر ، وقام (أبو دجانة) فعلاً بغزوها وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٨٦١ هـ) ولكن عاملها لآل طاهر كان قد علم قبل تحرك أبي دجانة بعزمه على غزو عدن ، فأخذ أهبته للدفاع عنها ، وأرسل الى الملك المجاهد يعلمه بالأمر ويحثه على المبادرة اليها ، واستطاع ان يصد أبا دجانة عنها ، وصادف[٩] مع ذلك أن عصفت امواج عاتية بمراكبه الى سواحل عدن ، ونبذت مركب أبي دجانة الى ساحل المُكسر (خور مكسر حالياً) ، فأسرع الملك الظافر (عامر بن طاهر) الى عدن وخرج من فوره على رأس قواته وقبض على أبي دجانة وعدد من كبار رجاله وفيهم من زعماء قبيلة كلد اليافعية وادخل ابا دجانة عدن واركبه جملاً وطاف به في بعض شوارعها تشهيراً به ثم اعتقله وأعدم عدداً من الكلديين وغيرهم ، وظل أبو دجانة في معتقله بعدن حتى قدمت الى عدن والدته وسعت في الإفراج عنه مقابل تنازله عن سلطنة (الشحر) لآل طاهر .

ولما تم لآل طاهر الاستيلاء على بلاد الشحر وتولية الأمير زين الدين جياش بن سليمان السنبلي[١٠] عليهاأفرجواعن أبي دجانة وفقد بتهوره ملكه ، وكان استيلاء آل طاهر على الشحر في عام (٨٦٣ هـ) .

---

(٨) بنو رسول وبنو طاهر من ص ٢٨٧ .

(٩) بغية المستفيد ص ١٢٨ .

(١٠) نفس المصدر ص ١٣٦ .

هذا[11] ومنذ عام (٨٦٤ هـ) أبدل اسم الملك الظافر عامر بن طاهر باسم اخيه الملك المجاهد علي بن طاهر في الخطبة والسكة ويعتقد[12] بعض المؤرخين أنّ الدعوة للملك عامر في الخطبة وضرب اسمه في السكة منذ استولى هو واخوه على الحكم في اليمن من بني رسول وهو أي الظافر الأصغر سناً من أخيه المجاهد ربما كان لأنه أي الملك الظافر عامر كان صاحب الفكرة في الاستيلاء على الحكم .

ولأنَّ له أي الملك عامر فيما يعتقد ايضاً الدور الأكبر في التمهيد لذلك ، وفي حروبه للإجهاز على الدولة الرسولية ، وإلا لما برز اسمه قبل اسم اخيه وهو الأصغر سناً منه ولمدة ست سنوات تقريباً منذ عام (٨٥٨ إلى ٨٦٤ هـ) ولعل إيثار الملك الظافر لأخيه الملك المجاهد ، أو تنازله عن ذكر اسمه هو قبل اسم اخيه في الخطبة والسكة كان عامل ارضاء له ، لأنه كثيراً ما اختلفا في وجهات النظر ، وكثيراً ما انكر الملك المجاهد بعض تصرفات اخيه ، وحدث ان حاول المجاهد الخروج من اليمن غاضباً من بعض تصرفات اخيه ، وحفاظاً في نفس الوقت على كيان (آل طاهر) ، ولكن كبار رجال الدولة كانوا يتدخلون للإصلاح بينهما ،وحدث ان اعادوه ذات مرة من عرض البحر وكان أي المجاهد قد ركبه مغادراً لليمن ، وتحدثت المراجع[13] انه في هذه المرة عاد الى مدينة عدن ، وما زال يعتزم مغادرة اليمن ، ولكن الملك الظافر ارسل على وجه السرعة من لديه من ارضى أخاه ، وثناه عما عزم عليه ، ثم أسرع هو اي الظافر الى اخيه وأخذ بخاطره واعتذر منه وارضاه .

امتداد نفوذ بني طاهر الى ذمار فصنعاء

استولى[14] (آل طاهر) على مدينة ذمار في شهر رجب من عام (٨٦٥

---

(١١) الديبع الشيباني في تأريخه (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) ص ١٢٩ .

(١٢) و(١٣) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٢٥٨ .

(١٤) الديبع الشيباني في تأريخه (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) ص ١٣١ . والكبسي في اللطائف السنية (مخطوط) .

هـ) ودخلها الملك المجاهد علي بن طاهر بعد ان خرج منها الإمام (الناصر بن محمد) .

وقد استطاع الإمام الناصر المذكور ان يستعيدها في عام (٨٦٦ هـ) بعد ان اخرج منها عامل آل طاهر عليها ولكن الملك عامر بن طاهر ما ان علم بالأمر لدى رجوعه من الشحر في نفس العام حتى اسرع بقواته اليها واستولى عليها ، بعد ان اخرج الإمام الناصر بن محمد المذكور منها ، ثم استولى على حصن هران الذي كان الإمام قد لجأ اليه ثم واصل الملك الظافر عامر تقدمه نحو صنعاء وضرب نطاقاً شديداً عليها أضعف أهلها عن الصمود وأعجز الأمير (المؤيد) ابن الإمام الناصر المذكور عن المقاومة ، واضطره الى مصالحة الملك الظافر على تسليم صنعاء مقابل مال دفعه اليه الملك الظافر ، ومقابل أن يبقى الأمير المؤيد في قصره بصنعاء ليس له من الأمر شيء ، وأن يبقي لأصحابه وفي مقدمتهم (محمد بن عيسى بن شارب) حصن ذي مرمر وحصناً آخر في المنطقة ، وعقد الاتفاق بينهما على ذلك ، ودخل الملك الظافر صنعاء بموجبه ، ثم ولى الملك الظافر عليها (محمد بن عيسى البعداني) وغادرها هو الى بلاده في جبن رداع ثم الى عدن .

مقتل الملك الظافر عامر بن طاهر

وقد(١٥) ظلت صنعاء تحت نفوذ آل طاهر من عام استيلائهم عليها (٨٦٦ هـ) الى عام (٨٦٩ هـ) وفي هذا العام استطاع الإمام (الناصر بن محمد) ان يستعيدها بمساعدة أهلها الذين انتهزوا فرصة خروج عاملها لبني طاهر البعداني المذكور الى بعض أعمالها ، ووثبوا على القصر واخرجوا منه حامية بني طاهر فيه واستولوا عليها ، ومكنوا الإمام الناصر من الدخول اليها وحكمها .

---

(١٥) الديبع في (بغية المستفيد) ص ١٣٧ .

وقد أسرع الملك الظافر بقوة كبيرة لاستعادتها ، ولكنه تمّ الاتفاق بينه وبين الإمام الناصر المذكور على تخلي آل طاهر عن حكمها مباشرة ويبقى الإمام فيها موالياً لهم ، وان يدفع لهم لتأكيد ولائه لهم مالاً معلوماً كل عام ، وعاد الملك الظافر عنها بعد عقد الإتفاق الخاص بذلك .

وفي شهر ذي القعدة من عا م (٨٧٠ هـ) تحرك الملك الظافر عامر بن طاهر نحو صنعاء بقواته تلبية لطلب أهلها مكيدة للقضاء عليه ، ولإقناط آل طاهر من كل محاولة للعودة اليها أو بسط نفوذهم عليها ، ولما دنا الملك الظافر بجيشه منها فاجأه الأمير (محمد بن عيسى بن شارب) وهو غير متهيىء للقتال ، فانهزم عسكره ، ونهبت احماله ، وقاتل هو وعدد قليل من عسكره حتى قتل .

هذه رواية (الديبع) في تأريخه (بغية المستفيد)[١٦] .

أمّا (الكبسي) في تأريخه (اللطائف السنية)[١٧] فقد خالفه في بعض التفاصيل ، وفصّل الحادث بشكل مغاير بعض الشيء فقال : « وفي سنة ٨٦٩ هـ) سولت لعامر بن طاهر نفسه نقض ما انبرم بينه وبين ابن الناصر ، وأنّ وقوفه في صنعاء مفسدة لا يؤمن منه استعادتها لنفسه ، وانّ الرأي انزاله الى تعز ، فكتب الى عامله بصنعاء وهو النقيب (محمد بن عيسى البعداني) وقال لبعض خواصه : « اخبر السيد المؤيد لما اسير بطلب السلطان له ، وأمهله أياماً ليتأهب للسير ، فخاف السيد المؤيد انه اذا وصل تعز حبسه وخلده هناك ، وكان حصن ذي مرمر في يد أصحابه وفيه خادمه (محمدبن عيسىبن شارب) ، فأرسل اليه المؤيد يستغيثه في خلاصه ، فوصله شارب الى صنعاء ، وكان من التيسير أنّ عامل صنعاء خرج منها يستخلص الحقوق ، وفرغت صنعاء من كثير من الجند ، ولم يكن قصد شارب عند وصوله إلا الفرار بسيده من صنعاء ، فلمّا استخرجه وأركبه متوجهاً به الى ذي مرمر انتشر الخبر في المدينة ، فجاءهما أهل

---

(١٦) ص ١٣٨ .

(١٧) مخطوط .

صنعاء يهرعون، وقالوا لشارب : لا يخرج المؤيد ونحن معكما على جند بني طاهر ، ثم انهالوا على بيت أبي الكراز احد خواص عامر والذي سعى في تسليم صنعاء اليه وكسروا بابها وانتهبوا ما فيها ، وكان فيها اموال عظيمة للكّراز ولعامر فما تم نهب بيت الكراز إلا وقد اجتمع أهل صنعاء بأسرهم ، وقصدوا القصر ، فطلب المرتب الذي فيه الرفاقة من أهل صنعاء فأخرجوهم مرفقين ، ومنذ ذلك الوقت ثبتت يد ابن الناصر على صنعاء ، فلمّا وصل الخبر الى عامر بن طاهر باستيلاء ابن الناصر على صنعاء قام وقعد ، وكرّر الغارات عليها .

فلمّا دخلت سبعين وثمانمائة وصل السلطان بجيوش لا تحصى ، والوى على صنعاء من كل جهة ، وكانت غزوته تلك من عدن ابين فوصل قاع صنعاء على حين غفلة من أهلها ، وحين وصوله وشارب في جهة ثلا وحضور لاستخلاص الحقوق ، فأرسل ابن الناصر يحثه على الغارة ، فأغار سريعاً والذين معه لا يعلمون بالمحطة على صنعاء ، فلمّا اشرفوا على القاع رأوا ما هالهم ، وقد انتشر الجند شبه الجراد ، فأحجم بعض اصحاب شارب ، وغدا شارب في بعض الخيل على المحطة وهم عشرون فارساً وكانت المحطة عظيمة لا يحصى عددها وخيلها وسلاحها واموالها ، وفي وقت حملة شارب على المحطة كان باب صنعاء مغلقاً ، فأقبل أهل صنعاء الى ابن الناصر وقالوا له : افتح لنا نغير على شارب ، فأرواحنا على روحه صدقة ، ولا ننسى ما فعله معنا ، واسترجاعه صنعاء ، فأعطاهم المفاتيح ، فخرجوا على محطة عامر وأخذوا أكثر جمالها وجاء من أخبر السلطان عامر ان الجمال قد دخلت صنعاء مطموعة مغنومة ، فركب وقاتل حتى سقط ميتاً ، وقيل مات غيظاً ، وقيل اصابه سهم غريب ، وعلى الجملة فلا يعلم سبب قتله في تلك الحال ، فلمّا قتل فشل اجناده وذلوا فخرج بقية أهل صنعاء وقتلوا ونهبوا ، وتفرق جند عامر وانهزموا لا يلوون على شيء » . وأضاف الكبسي قوله : « وبعد مقتل السلطان عامر تفرد بالملك الملك المجاهد (علي بن طاهر) وأعرض عن الفتن واقتصر على بلاده وبلاد أخيه عامر ، وترك بلاد الزيدية ومقاتلتهم ، وأحسن السياسة وتدبير

المملكة وبناء المساجد والمرابط ، وعوّد العوائد وأعطى العطايا المستكثرة » .

هذا وقد عبّر المؤرخ الكبسي بالإضافة التي اضافها بعد سرد الحادث الذي ادى الى مقتل الملك عامر بن طاهر عن رأي ائمة الزيدية بأنّ القسم الأعلى من اليمن خاص بهم ومنطقة نفوذ لهم ، كما أعرب عن اقتناعهم بأنه لا سبيل آنذاك لحكمهم اليمن الأسفل وتهامة ، وهذا هو ما كان واقعاً بالفعل ، فحكمهم في اليمن الأسفل وتهامة لم يحدث إلا في فترة قصيرة من حكم الإمام شرف الدين ، بعد استعانته بالمماليك ضد آل طاهر ، ولم يبسط نفوذه فيهما مع ذلك الا في بداية حكم الأتراك الذي قام على انقاض حكم المماليك يسانده اليمنيون من ابناء المنطقتين في القضاء على نفوذ المماليك فالأتراك فيهما وفي غيرهما كما سيأتي تفصيل ذلك في موضعه من هذا الكتاب ، ثم تمكن الأئمة بيت القاسم في فترة حكمهم من بسط نفوذهم على اليمن الأسفل وتهامة بفضل مساعدة ابنائهما ومساندتهم له في حرب مقدسة شنها اليمنيون لإخراج الأتراك الذين خلفوا المماليك في اليمن .

ولقد واجه الملك المجاهد (علي بن طاهر) بعد مقتل اخيه (عامر بن طاهر) متاعب كثيرة بسبب الثورات والتمردات التي اعتادتها قبائل تهامة وقبائل المخلاف (مخلاف جعفر) كلما حسبت الفرصة سانحة لها للتخلص من الحكم القائم ، كما كان حالها في عهد بني رسول قبل ذلك .

ولكن الملك المجاهد استطاع بصبره وجلده ان يعيد الأمور في دولته الى ما كانت عليه قبل مقتل أخيه ، ما عدا صنعاء فإنها ظلت في حوزة الأشراف حتى استعادها الملك عامر بن عبد الوهاب آل طاهر ، وقد قتل على أبوابها ولكن على يد المماليك كما سيأتي ، وبذلك يكون أول ملك هو (عامر بن طاهر) وآخر ملك من مملكة بني طاهر هو (عامر عبد الوهاب) قد قتل على ابواب صنعاء .

ومن[١٨] تلك القبائل التي تحركت للخلاف على الدولة الطاهرية بعد

(١٨) الديبع في (بغية المستفيد) ص ١٣٩ .

مقتل الملك (عامر بن طاهر) في تهامة قبيلة (المعازبة)وقبيلة الزيدية وقبيلة القرشية وقبيلة الرماة وقبيلة بني حفيص من قبائل بلاد الزيدية في تهامة أيضاً وكانت الكثير منها تعود للخلاف بعد اخضاعها ، ولكن الملك المجاهد كرر غزوه لها يسانده ابن اخيه الأمير (عبد الوهاب بن داود بن طاهر) وتعقبت قواته فلولها حتى كسر شوكتها واخضعها .

كما غزا[١٩] بنفسه قبيلة (الجحافل) من بلاد لحج واخضعها .

وغزا[٢٠] آل الحبيشي في بلاد حبيش يتزعمهم (ادريس بن الجلال الحبيشي) وكرر غزوه له حتى اخضعه واستولى على العديد من حصونه ومنها حصن الخضراء حصن المصينعة ، واضطره الى ان يمشي في ركابه (على حد ما جاء في المصدر) ثم قتل الشيخ ادريس الحبيشي المذكور في عدن على يد عاملها (الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشي) اخذاً منه بثار ابيه كما زعم وبعد ان استأذن بقتله الملك المجاهد .

الملك المنصور عبد الوهاب بن داود

وفي[٢١] العاشر من شهر ربيع الأخر من عام (٨٨٣ هـ) توفي الملك المجاهد (علي بن طاهر) ببلده مدينة (جبن) من اعمال رداع عن ملك دام حوالي خمسة وعشرين عاماً .

وكان في مرضه قد اسند ولاية العهد الى ابن اخيه المنصور (عبد الوهاب ابن داود بن طاهر) وأمره المجاهد بالإنتقال الى عدن فور اسناد ولاية العهد اليه ، وبعد ثلاثة أيام من انفصاله عن جبن وقبل ان يصل عدن جاءه نبأ وفاة الملك المجاهد ، واعطاء كبار رجال الدولة والجيش البيعة له ، وأخذها من

---

(١٩) نفس المصدر ص ١٤٠ .

(٢٠) نفس المصدر ص ١٤٨ .

(٢١) نفس المصدر أيضاً ص ١٥٧ .

الناس ، فواصل سيره الى عدن ، وفيها بـايعته حـاميتها وحاميات الحصـون والبلاد التابعة لها ، وبذلك استتب له الأمر ، واستقرت الأحوال ، وقد خالف عليه ابن عمه الأمير (يوسف بن عامر بن طاهر) واستعد في زبيد محل ولايته للمقاومة ، ولكن الملك المنصور تقدم لإخضاعه من عـدن واضطره الى تسليم نفسه فصفح عنه .

وقد أورد ابن[٢٢] الديبع الحادث بشيء من التفصيل فقال : « فلمّا قرب الملك المنصور من مدينة زبيد امر الشيخ يـوسف (بن عامـر بن طاهـر) عبيد السلطان وعبيد السيد (هكذا) ان يخرجوا لحراسـة البلد من خارجهـا ، فلمّا خرجوا ذهبوا الى الملك المنصور ، وقام الشيخ يحيى بن محمد بن وهبان في هذا الأمر قياماً عظيماً ، وكان باطنه مع الملك المنصور وظاهره مع الشيخ يوسف ، فلما تحقق الشيخ يوسف ذهاب العبيد الى الملك المنصور علم انه مغلوب لا محالة وانه لا طاقة له على مقابلة ابن عمه ، فخرج ليرد العبيد ، فأغلق الشيخ يحيى في وجهه الباب ، فرجع يـريد فتح الباب فلم يفتـح له ، فتـوجه الى حصن قوارير ، وكان قد شحنه بما يحتاج اليه وكانت ليلة مظلمة فلم يجد من يـرشده الطريق فأمر الشيخ يحيى اصحاب الأبواب بالدعاء بالنصـر للملك المنصور ، ثم أشار على الشيخ يوسف بن عامر بعض خواصه بالرجوع الى طاعة ابن عمه وتسليم الأمر اليه ، فذهب اليه في محطته تلك الليلة ، فلمّا وصل الى المحطة وقيـل هذا الشيـخ يوسف ، مـاجت المحطة واضـطرب الناس ظنـاً انـه جـاء للحرب فلمّا ظهر الحال سكن الناس ، فـدخل عـلى ابن عمه وسلم عليـه ، فعاتبه عتاباً لطيفاً ، وقابله بالإكرام والإحسان ، وأمره بالتوجه الى خيمة اخيه احمد والنوم عنده ففعل ، ودخل صحبته زبيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادي الأولى دخولاً معظماً في عساكر كثيرة من الخيل نحو خمسمائة فارس ومن الرجال مثل ذلك» ،وأضاف قائلاً : « وأمّا الشيخ يوسف فلم يطب له المقام بزبيـد ، وأشتدّ غمه ، وعظم كربه ، وتخوف من ابن عمه لما سبق منه ، فاستشفع بأخيه

---

(٢٢) الديبع الشيباني في تأريخه (بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد) المذكور ص ١٦٠ .

الشيخ احمد بن عامر وحمل اليه القرآن ليفسح لـه في الخروج والـذهاب حيث يشاء ، ففعل بعد امتناع شديد وحياء من الشيخ احمد لمراعاة له ، فخرج يوم الأربعاء ثاني يوم دخول الملك المنصور ، وخرج في صحبته الحاج محمد صاحب ذراع صهبان والشيخ محرم العبسي فكاد أن يفتك بهما لشدة غيظه ، فوصل الى بندر البقعة وقد اعدت له هناك سفينة فركبها يوم الخميـس رابع عشر الشهـر المذكور » . وأضاف أيضاً قائلاً : « وأمّا الشيخ يوسف بن عامر فبلغ في خروجه ذلك الى مكة في المكان الذي كان الشريف محمد بن بركات نازلاً فيه ، فواجه الشريف فأكرمه وأحسن نزله ، فلبث عنده مدة ثم رجـع الى صاحب جـازان الشريف أبي الغوير فأكرمه كذلك » ثم ذكـر انتقالـه الى بني حفيص من بلاد الزيدية من اعمال تهامة وانه نزل على الشيخ احمد بن ابي الغيث الذي اكرم نزله وزوجـه بابنتـه ، وانه اقـام في بني حفيص حتى حدث خـلافهم عـلى الملك المنصور ونزوله مع الشيخ احمد بن عامر اخي الشيخ يوسف بن عامر بقـواتهما وقـامت حرب بـين بني حفص والشيخ احمـد بن عامـر الذي قاد قوات الدولة الطاهرية أسفرت عن مقتل أحمد بن عامر ، الأمر الذي أثار حفيظة أخيه الشيخ يوسف ودفعه الى أن ينحاز الى قوة الملك المنصور وأدى الى تغلب القوة على بني حفص واخضاعها ، ثم عاد الملك المنصور مع ابن عمه الشيخ يوسف بن عامر الى زبيد فتعز وقد حصل الوفاق بينهما والتأمت الجروح ، ولكن الملك المنصور اعتقل الشيخ يوسف بن عامر بعد فترة لما بلغه من عزمه على فعـل مكيدة بـه وكان القبض عليه وسجنه في أوائل عام (٨٨٥ هـ) وما يزال ينقله من سجن الى آخر قال المصدر : « حتى استقر في رداع العرش الى تأريخنا هذا »[٢٣] وقد توفي في سجن رداع في عام ٨٩٥ هـ .

من صور الماضي

أورد مثـل هذه المعلومـات التي لا تمتّ الى الناحيـة السياسيـة ، لإبعاد القـارىء بـرهـة عن الجـو السيـاسي ، ولإعـطائـه فكـرة عن بعض أوضـاع

---

(٢٣) اللطائف السنية مخطوط .

الماضي وبالقدر الذي تسمح به المصادر .

تحدث المؤرخ الديبع في تأريخه (بغية المستفيد في اخبار زبيد)[٢٤] بأنّ الملك المنصور (عبد الوهاب بن داود آل طاهر) لمّا وصل اليه الى زبيد الأميران محمد بن عيسى البعداني وسليمان بن جياش السنبلي بأموال وفيرة استحصلاها من بيت الفقيه وغيرها في تهامة تصدق الملك المنصور في زبيد منها بما ينوف على اربعين ألف اشرفي من الذهب ، وخمسة وستين ألف دينار من الفضة ،وذلك في عام (٨٨٦ هـ) وذلك مبلغ كبير في ذلك العهد ، والذهب الأشرفي منسوب الى الملك الأشرف الثاني اسماعيل بن الملك الأفضل الرسولي .

كما تحدث المؤرخ المذكور عن زيارة قام بها امير جازان للملك المنصور المذكور الى زَبيد وقال : « ولمّا علم الملك بقدومه احتفل به وارسل الى بلده لـلآلات السلطانية والأبهة الملوكية التي لم تكن توجد إلا في خزائنهم ، وهيّأ له الضيافات الخاصة والعامة ، وخرج لاستقباله الى ظاهر المدينة في جيوشه وأبهته ، فلما واجهه نزل عن فرسه وترجل له ، وكان هو السابق تواضعاً منه وإكراماً له ، ثم نزل الشريف وحياه واعتنقه، ثم ركب معه ، وقدمه المنصور عليه ، ثم تماشيا ساعة وافترقا ، فدخل الملك المنصور من باب سهام الذي خرج للقائه منه ، وأرسل مع الشريف (كبعثة شرف) طائفة من جنده وأمرائه الى بستان (حائط لبيق) ووقف الشريف هنالك الى العصر ، ثم دخل من باب الشبارق دخولاً معظماً ، وقابل الملك في الدار الكبير فأكرمه ، وطلب القضاة والعلماء والأمراء لحضور الضيافة ، ثم انزله بدار المعاصرة واعطاه مالاً جزيلاً ، ولم يزل عنده مجللاً محترماً الى ان طلع الملك المنصور الى تعز ،وخرج الشريف يودعه ، فلما رجع منع من دخول المدينة (كما تجري به العادة في ذلك العهد) ، ثم نزل الشريف بقرية النويدرة ، وأقام بها اياماً ، ثم توجّه الى بلدهِ

---

(٢٤) في المصدر المذكور بغية المستفيد في تأريخ زبيد ص ١٦٦ ـ ١٦٨ .

الملك عامر بن عبد الوهاب

وقد توفي الملك المنصور (عبد الوهاب بن داود بن طاهر) في اليوم السابع من شهر جمادي الأولى من عام (٨٩٤ هـ) ببلدة (جبن) من اعمال رداع ودفن بها صباح اليوم التاسع من الشهر المذكور ، وكانت وفاته عن حكم دام حوالي احد عشر عاماً وأشهراً ، وكان ولده (عامر) قد وصل الى جبن من زبيد قبيل وفاته ، فأجمع كبار رجال الدولة ورؤساء الجيش وأعيان البلاد على مبايعته خلفاً لأبيه ، وتنفيذاً لوصيته ، ولقب بالظافر صلاح الدين ووصفه عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين في (تاريخه)[٢٥] بقوله : « وهو أعظم اعيان اليمن سلطاناً ، وأرفعهم شأناً ، وأوسعهم بلاداً وأكثرهم اجناداً » .

ثم أقام الملك (عامر عبد الوهاب) بعد تربعه على العرش في جبن ثلاثة أيام ، غادرها بعدها الى مدينة المقرانة (في الغراس من مخلاف الرياشية ورداع) لاستقبال وفود المهنئين والمبايعين ، ولما ضاقت بهم المقرانة انتقل الى مدينة تعز ، ودخلها يوم الخميس السادس عشر من الشهر المذكور ، ومن أولى اعماله إسناد ولاية عدن الى ابن عمه الشيخ (محمد بن عبد الملك آل طاهر) .

ولقد واجه الملك عامر فور تربعه على العرش صعوبات ومتاعب تتمثل بخلاف اخواله عليه ، وبتمرد قبائل تهامة وقبائل مخلاف جعفر ، وبالعداء التقليدي من قبل الأئمة والأشراف والذين كانوا وراء الكثير من التمردات والثورات التي قامت ضده من أول يوم لحكمه ، وواجهها الملك عامر بصبر وجلد حتى تغلب عليها جميعها ، مبتدئاً بالخلاف الذى قام به أخواله داود وعبد الله ومحمد ابناء عامر الأول بن طاهر لأنه يشكل الاختلال الداخلي بالنسبة له ويحول دون حسم أي خلاف آخر داخل دولة آل طاهر أو خارج مناطق نفوذهم .

---

(٢٥) روح الروح ص ٥ . منشور وزارة الاعلام والثقافة .

يساعده في اقرار الأوضاع داخل مناطق نفوذ الدولة رغبة الأمير المؤيد ابن الإمام الناصر حاكم صنعاء بالاكتفاء بحكمها،ومنع فتح الحرب عليه ورفض العروض التي تقدم بها اليه الأشراف وانصارهم باستغلال انقسام الأسرة الحاكمة في الدولة الطاهرية ، والانقضاض والاجهاز عليها ، اشار إلى ذلك المؤرخ (السيد محمد بن اسماعيل الكبسي) في تأريخه(٢٦) بقوله : « وقد كان فزع اليه (أي الأمير المؤيد المذكور) الناس والعلماء والقضاة (من أهل صنعاء) كونه قد لاحت الفرصة باختلاف بني طاهر وتنازعهم ، وقالوا له : قد استوت لك البلاد ، فسر بنا تسترد مملكة أبيك ، فقد اشتغل عنك الخصوم بعضهم ببعض » ووصل اليه أهل ذمار الى صنعاء وقالوا له : قد أخرجنا عامل عامر عبد الوهاب على المدينة ، فأرسل من يقبضها لك ، ونحن نسير بين يديك نطوي بلاد بني طاهر : فقال لبعض خواصه : سر معهم واقبض قصر ذمار ، ولا تحدث شيئاً حتى يأتيك أمري ، فلمّا قبض قصر ذمار ارسل اليه ابن الناصر : انك تسلم ما في يدك للسلطان عامر عبد الوهاب فهي بلاده وبلاد والده فما لنا فيها رغبة » .

هذا وكان اليمن عند قيام الملك عامر بن عبد الوهاب مجزءاً على النحو الذي ذكره المؤرخ الكبسي في تأريخه بقوله : « فالتهائم واليمن الأسفل مثل تعز وعدن ولحج وأبين الى رداع تحت بسطة السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وصنعاء ومخاليفها تحت يد (محمد بن الناصر) ، وكوكبان وما اليه تحت يد اولاد المطهر بن احمد بن سليمان ، والشرف والظواهر وصعدة متفرقة بين آل المؤيد والأشراف آل المنصور والإمام (محمد بن علي السراجي الوشلي) فأمّا بالنسبة لخلاف اخواله المذكورين آنفاً فإنهم كانوا قد استخدموا في خلافهم جنوداً من جبن ويافع وغيرهما لحربه ، كما استولوا على مدينة (جبن) وحصن جبن ، وتمركز احد الخارجين منهم وهو (عبد

---

(٢٦) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية (مخطوط) .

الله بن عامر بن عبد الباقي آل طاهر) على المنطقة الشرقية الجنوبية والتي كان الملك (عامر بن عبد الوهاب) قد ولاه عليها ، وهدم الخا رجون المذكورون بعض قصور الإمارة في جبن ، وبعض الدار الجديدة التي بناها الملك المنصور عبد الوهاب بن داود في جبن أيضاً بعد نهبها ، كما هدموا بيوت عدد من تجار جبن بعد نهبها ، وبيوت بعض الأمراء كبيت الأمير محمد بن عيسى .

وازاء ذلك[٢٧] الخلاف الخطير الذي احدث الانقسام في الأسرة الحاكمة ، فإنّ الملك عامر بن عبد الوهاب حشد قواته وزحف بها نحو الخارجين عليه ، وقامت حروب بين الجانبين ذهب ضحيتها الكثير من اليمنيين منهما معاً ، وأسفرت أثناءها وقبل ان تحسم الأمور لصالح الملك عامر بن عبد الوهاب عن وقوع الأمير (داود بن احمد بن عامر) في أسر الملك ، وعن فرار (عبد الله بن عامر) آنف الذكر الى محل ولايته في المنطقة الشرقية وتحصنه ببعض حصونها .

واستمرت الفتنة مع ذلك قائمة بين الملك وبقية الخارجين عليه من أسرته ، وكانت والدة الأميرين المعتقلين منذ عهد المنصور (عبد الوهاب ابن داود) وهما يوسف وابراهيم ابنا عامر وراء حركة الخارجين ، تثيرهم ضد الملك عامر بن عبد الوهاب ، وتدفعهم الى الاستمرار في حربه ، وتعددت ساحات القتال وميادين الحرب بين الملك عامر والخارجين عليه من اسرته في بلاد جبن وبلاد اب وفي المنطقة الشرقية وغيرها من مناطق الجنوب كعدن ولحج وغيرهما وتحصن الخارجون في عدة حصون ، كما لجأ بعضهم الى موضع (الرباعيتين) من بلاد جبن ، وكان مهجراً يأمن فيه الخائف على نفسه وماله ، فكانوا يغزون منه لحرب الملك ثم يفيئون اليه ، ولكن الملك عامر اخذ من أهل المحل المذكور عدة جماعات من عدة قبل لئلا يجيرونهم وليطرح عليهم المبرر لغزو الخارجين الى المحل المذكور فيما

---

(٢٧) الديبع في (بغية المستفيد) ص ١٥٩ .

يبدو .

ثم فاجأهم وسجل عليهم نصراً حاسماً ، وقتل عدداً منهم وأسر عدداً آخر ، ومنهم الشيخ داود بن علي بن تاج الدين آل طاهر ، والشيخ[٢٨] محمد بن عباس بن علي بن الحسام الزاهر صاحب مخلاف الشوافي خال الأمير يوسف بن عامر ، كما صادر الملك اموال الخارجين عليه وأذمّ على كل من كان في حصن جبن بعد سقوطه إلا والدة الأمير يوسف بن عامر فإنّ الملك اعتقلها لديه ، وكان الملك قد وصل اثناء تلك الفتنة الى مدينة اب تلبية لدعوة أهلها وأهل جبل بعدان المطل عليها والذين بعثوا اليه القاضي العلامة عبد العليم بن علي البريهي ، وذلك لوضع حد للإضطرابات القائمة في المنطقة .

وكان سقوط حصن جبن في شهر جمادي الأولى من عام ٨٩٥ هـ وكان هو اهم معقل للخارجين . وبذلك استقرت الأحوال وسكنت الأمور ، عزز من ذلك قبض الملك عامر على بقية الخارجين المتحصنين في حصن البيضاء بعد سقوطه أيضاً وهو الحصن المعروف بحصن شمر جناح ، ثم قبض الملك على آخر الخارجين عليه من أسرته وهو الشيخ محمد بن عامر في جبل جحاف من بلاد الضالع في المنطقة الجنوبية ،. وسقط بسقوط حصن شمر جحاف سائر الحصون التي كانت ما تزال ممتنعة على الدولة الطاهرية في بلاد رداع وغيرها ، ومن ثمة إتجه الملك عامر بن عبد الوهاب للخارجين من خارج اسرته كقبائل تهامة التي استغلت اشتغاله بحروبه مع اسرته فقطعت الطرق وأخذت الأموال ونهبت القرى ، فحشد جيشاً عظيماً وأرسله لإخضاعهم وذلك بقيادة ابن عمه الأمير (محمد بن عبد الملك بن داود) ، وشيخ الإسلام (يوسف بن يونس الجبابي) المعروف بالمقري ، والأمير جمال الدين (محمد[٢٩] بن محمد النظاري) ،

(٢٨) لهذا الحسام الزاهر في قرية الدنوة في مخلاف الشوافي المذكور مسجد صغير بالقرب من مسجد الفقيه سعيد .

(٢٩) ولهذا مسجد رائع في اب عليه اسمه في عتبتها وهو باسفل سفح جبل بعدان يعرف باسم مسجد المشنّة .

فقضوا على كل تمرد في تهامة وأمنوا سبلها وقرروا قواعدها .

استيلاء الملك عامر بن عبد الوهاب على مدينة ذمار فصنعاء

ثم اخذ الملك عامر بن عبد الوهاب في التوسع خارج منطقة نفوذ الدولة الطاهرية في اليمن ، مبتدئاً باستعادة مدينة ذمار التي كانت تعتبر مفتاح البلاد الواقعة تحت نفوذ الأئمة آنذاك ، فغزا ذمار بنفسه ، وذلك في شهر ذي القعدة من عام ٨٩٥ هـ ، اي انه جهز لإقرار الأمور في تهامة ولاستعادة ذمار قبل سقوط آخر معقل للخارجين عليه من اسرته ، وهو حصن شمر جناح في البيضاء والذي سقط بيد الدولة الطاهرية في عام (٨٩٨ هـ) .

وقد استولى الملك عامر بن عبد الوهاب على مدينة ذمار بعد حصار لها دام اثني عشر يوماً ، وذلك باقتحامها من بعض جوانب سورها بعد تهديمه ، ثم أذمّ على أهلها شريطة ان يهدموا بقية[٣٠] سورها، وقبض على كثير من حاميتها من قبل الإمام (محمد بن علي السراجي الوشلي) ، وأقام فيها أياماً قرر أثناءها قواعد بلادها ثم عاد الى بلاده ومنها الى تعز ، ثم صار يتنقل بين مختلف المدن الخاضعة لدولته لتوطيد حكمه فيها والقضاء على مناوئيه حتى عام (٩١٠ هـ) .

وكان مع ذلك يعمل على اعداد عدته للاستيلاء على صنعاء .

وفي العام المذكور ٩١٠ هـ تحرك نحوها على رأس جيش كبير قال عنه المؤرخ (عيسى[٣١] بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين) بأنه

---

(٣٠) لم يبق لمدينة ذمار سور الى اليوم

(٣١) في تاريخه (روح الروح) ص ١٠ . والسيد محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) (مخطوط) .

يزيد على مائة الف وتسعين الفاً فيه ثلاثة آلاف من الفرسان ، ولّما دنا من صنعاء ضرب عليها نطاقاً شديداً من الحصار استمر من السابع والعشرين من ربيع الآخر الى السابع من شوال من نفس العام ، واضطر الإمام احمد بن الناصر الى الاستسلام وتسليم صنعاء ، وكان الإمام المذكور قد خلف اخاه الإمام المؤيد بن الناصر بعد موته الذي حدث في رجب من عام ٩٠٨ هـ وكانت بين هذا الإمام وبين الملك عامر عبد الوهاب مودة ووئام ، لم يغز الملك عامر صنعاء بسببها طيلة عهد الإمام المذكور .

كما وقع الإمام محمد بن علي الوشلي السراجي الذي جاء لمساندة الإمام احمد بن الناصر وبرفقته امير صعدة محمد بن حسين الحمزي الجوفي في اسر الملك عامر ، وتوفي في سجن صنعاء من ذي القعدة من نفس العام مسموماً[٣٢] كما ذكر . أمّا الإمام احمد بن الناصر فإنّ الملك عامر بعث به بعد استسلامه مع الأمير محمد بن عيسى بن شارب الهمداني وغيرهم بعائلاتهم الى تعز ، وحدد اقامتهم فيها ، وذكر[٣٣] أنّ معظمهم توفوا في عام ٩١٢ هـ وبالسم الذي دسه لهم الملك عامر أيضاً .

وأقام الملك عامر في صنعاء الى آخر العام المذكور قرّر اثناء ذلك قواعد صنعاء وأخضع الحصون التابعة لها ، وبسط نفوذ دولته على اعمالها ، ولم يمتنع عليه إلا حصن ذي مرمر الذي استولى عليه في عام ٩١٢ هـ ثم عاد الى تعز ، هذا وقد انفرد المؤرخان (الكبسي)[٣٤] و(عيسى بن لطف الله)[٣٥] ، دون مؤرخي (آل طاهر) كالديبع وغيره بأنّ الملك عامر كان قد سبق له بأن جهز لغزو صنعاء من ذمار في عام ٩٠٧ هـ جيشاً بقيادة الأمير علي بن محمد البعداني ، وانه انهزم في وجه

---

(٣٢) روح الروح . ص ١١ .

(٣٣) نفس المصدر ص ١٠ .

(٣٤) في اللطائف السنية المذكور .

(٣٥) في روح الروح ص ٩ .

قـوات الإمام الـوشلي الـذي جـاء لمسـانـدة أهـل صنعـاء والإمـام المؤيـد بن النـاصر ، وإن الملك عـامر انسحب من ذمـار بعـد انهزام البعـداني وعـاد الى تعز .

كما انفرد المؤرخان المذكوران بتـأريخ استيـلاء الملك عامـر على ذمـار بعـا م (٩٠٧ هـ) مخـالفـين المؤرخ الـديبـع الـذي أرّخ ذلـك بعـام (٩٠٥ هـ) .

الفهرس

التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن الحديث والمعاصر

محمد يحيى الحداد

المجلد الثالث

مكتبة الإرشاد
صنعاء

التاريخ العام لليمن

محمد يحيى الحداد

٣

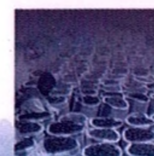
مكتبة الإرشاد

التاريخ
العام لليمن









التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن الحديث والمعاصر

٣

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

أودع بدار الكتب ــ وزارة الثقافة ــ صنعاء
برقم ٢٥ لسنة ٢٦ / ١ / ٢٠٠٨ م

مكتبة الإرشاد

شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - ص.ب: ٣٠١٩
هاتف: ٢٧٢١٩٠ - ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩
الجمهورية اليمنية

التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن الحديث والمعاصر

محمد يحيى الحداد

المجلد الثالث

مكتبة الإرشاد
صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تأريخ اليمن الحديث

يبدأ التأريخ الحديث في عرف المؤرخين مع بداية القرن السادس عشر للميلاد ، العاشر للهجرة ، وبناء على ذلك فإنّ تأريخ اليمن الحديث يبدأ (تجاوزاً) عند بداية نفوذ المماليك في اليمن عام ٩١٢ للهجرة ، ١٥٠٤ للميلاد ، وينتهي ببداية التاريخ المعاصر عام ١٩٠٠ للميلاد ، أو مع نهاية الحرب العالمية الأولى في عرف بعض المؤرخين ١٩١٧ م ١٣٣٨ هـ .

آل طاهر والمماليك

ولما كان امتداد نفوذ المماليك الى اليمن هو في عهد (آل طاهر) ، وبالتحديد في عهد آخر ملوكهم (عامر بن عبد الوهاب آل طاهر) ومنعاً لتكرار التأريخ للأحداث التي قامت بينهما فإني سأذكر ذلك في فصل واحد تحت العنوان المذكور .

ولكني قبل ان ابدأ بذلك سأوجز خلفيات حكم المماليك في اليمن ، أو المبررات في نظرهم لمد نفوذهم الى اليمن وهي على النحو التالي :

كانت[1] للعرب السيطرة على اغلب الطرق التجارية العالمية القديمة عن طريق البحر الأحمر فبحر الهند ، وذلك حتى نهاية القرن الخامس عشر للميلاد ، التاسع للهجرة .

وكان من أهم هذه الطرق طريق البحر الأحمر الذي تقع مصر عند

(١) الدكتور سيد مصطفى سالم في كتابه (الفتح العثماني الأول في اليمن) ببعض تصرف من ص ٤٥ .

طرفه الشمالي ، ويحتل اليمن طرفه الجنوبي ، وقد حقق كلا الطرفين (مصر واليمن) بفضل موقعهما الجغرافي رخاء اقتصادياً كبيراً وازدهاراً حضارياً منذ اقدم العصور ، وفي أواخر القرن الخامس عشر للميلاد نجحت البرتغال في الوصول بحراً الى الهند عن طريق (رأس الرجاء الصالح) في (جنوب غرب افريقيا) ، كما نجحت في احتكار التجارة الشرقية بعد الوصول الى الهند بزمن قليل .

وأدى تحول تجارة الشرق الى الطريق البحري المباشر الى حرمان العرب من مصدر هام من مصادر ثروتهم ، وأدى هذا بدوره الى ضعف بنائهم الاقتصادي التقليدي ، والى انهيار نظمهم السياسية القائمة حينئذٍ .

الغزو البرتغالي وجهود المماليك وآل طاهر المضادة

ولقد حاول العرب منذ البداية مقاومة هذا الغزو الأوروبي الجديد ، واسترداد سيطرتهم على نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، إلا ان محاولاتهم باءت بالفشل ، وتم للبرتغال احتكار هذه التجارة ، واتسم موقف اليمن بالضعف في مواجهة التحدي البرتغالي ، بسبب تفوق هؤلاء بالأسلحة النارية ، الى جانب انشغال الملك عامر بن عبد الوهاب آل طاهر في حروب داخلية مع الخارجين عليه من اخواله ، ومع الكثير من قبائل تهامة والجنوب وغيرهما ، والذين انتهزوا فرصة حروبه مع الخارجين عليه من أسرته ، وكان موقف مصر المملوكية اكثر ايجابية من موقف اليمن ، بحكم قوة سلطانه واتساع ملكه في الشام ومصر والحجاز، ولكنه مع ذلك كان يتسم بالضعف بوجه عام .

فقد قام المماليك بقيادة الأمير حسين الكردي نائب دولة المماليك في جدة بمهاجمة بعض المراكز البرتغالية في الهند نفسها وذلك عام ١٥٠٥ م ، ٩١٣ هـ .

ولكنهم فشلوا في طرد البرتغاليين منها وتوطيد مراكز لهم عليها ، لتكون خط الدفاع الأمامي لهم امام توسع البرتغاليين داخل البحر العربي

فالبحر الأحمر كما كانوا يطمحون .

فلجأ المماليك الى وضع استراتيجية جديدة لهم لخط دفاعي عن حدود امبراطوريتهم التي كانت (كما أشرت) تشمل الحجاز والشام ومصر . وطمعوا مع ذلك في السيطرة على الموانىء اليمنية لإحكام سيطرتهم على جميع موانىء البحر الأحمر بما فيها موانىء الحجاز ومصر والسودان في وسط البحر الأحمر والمنفذ الوحيد للبحر الأحمر الى البحر العربي فبحر الهند (باب المندب) في الجنوب .

ومع ذلك فلم يستطع المماليك حتى طرد البرتغاليين من المواقع الغربية في البحر العربي والتي كانوا أي البرتغاليون قد اسسوا لهم مراكز فيها ، وحاولوا منها بسط نفوذهم على موانىء البحر الأحمر ، لاحتكار التجارة العالمية مع الشرق مصدر التوابل وغيرها .

وقد أدت سياسة المماليك الدفاعية الى التصادم مع حكام اليمن (آل طاهر آنذاك) والى احتلال سواحل وموانىء البحر الأحمر لإغلاق مدخله الجنوبي (باب المندب) امام زحف البرتغاليين .

ولم تكن دعوة الإمام شرف الدين للمماليك لغزو آل طاهر في اليمن باسم معاونته إلا تشجيعاً للمماليك على تنفيذ مخططهم .

اغراء الامام شرف الدين المماليك على آل طاهر

وقد شجع نزول المماليك في جزيرة كمران الإمام (شرف الدين) على الاتصال بهم واغرائهم على آل طاهر ، فأرسل الى الأمير (حسين الكردي) السيد (صلاح الدين بن سراح الله) يحمل اليه الرسالة الآتية[٢] :

---

(٢) عيسى بن لطف بن المطهر بن الإمام شرف الدين ص ١٧ .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومحمد وعلى آله وصحبه وسلم ، نعمة شملت وسبغت ، ومنحة كملت فبلغت من لدن حكيم خبير ، على أهل بيته البشير النذير ، اجراها على يد ملك السيف الأمير الهام الخطير ، المقدام امير امراء الدول الاسلامية ، مفرج كربة العترة الطاهرة الزكية ، القائم بثأر الحسين من الفرقة الظالمة العامرية ، المتجلي من أجل ذلك بكل زين ، المتبري انشاء الله فيها هنالك من كل شين ، بحق اسم سيد الشهداء سبط المختار الحسين ، ذلك الأمير النبيل الجليل حسين ، (يعني حسين الكردي) حباه الله من السلام اسناه ومن الكرم ازكاه ، والله المسؤول ان يوفقه وإيانا الى اصابة مراده وهداية عباده ، واجراء الأحكام الشرعية في بلاده ، وتطهيرها من آثار وجور الجائرين ، وتنويرها من آثار جرأته وعناده ، وبعد ، فكتابنا هذا يشرح للأمير الخطير وفقه الملك القدير ، بأنّا لم نزل الى الله مبتهلين ، ولما لديه من الفرج منتظرين ، وبالتجرد لمنابذة عدو الله الجائر (يعني الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر) والقيام بالذات الى جهاده ودفاعه مجدين ، امتثالاً لأمر الله القوي القادر ، على عدم المعين وخذلان من أهل الزمن المشؤوم القاهر ، وميل في الناس الى الأطماع الحقيرة ، وانخداع من الخلق الى زخارف الباطل المبيرة ، حتى تمكن منها هذا الظالم الغشوم ، وأوقعهم من الخزي والوبال والهون في أقصى التخوم وشمل بشره الغوي والبريء ، والشجي والخلي ، وتتبع بمعظم خبثه وجوره ومكره اعيان بيت النبي ، ولم يبق في سلطانه لأهل بيت النبي باقية (وهذا هو سر الحملة عليه من الإمام شرف الدين ووصفه بهذه الخلال الذميمة) ولا أجيبت لهم دعوة نافعة واعية ، حتى بدّدهمهذا الظالم في البلاد، وفرق بين الآباء والأولاد ، ومات أكثرهم في تخوم اليمن مطرودين مبددين مشردين ، يتمنى الولد ان يحضر موت ابيه ، والوالد ان لا يشاهد احوال بنيه ، وفعل في اولاد المصطفى ما قد حرمه الله في المسلمين، بل وفي سبي الكفار والخارجين على الدين ، وأعانه على ذلك رجل من أهل البيت ادعى ما ليس له بحق ، وانكر عليه

الإمام الوشلي ولم يعذرنا أهل زماننا ، من القيام في مقامه المجلي ، ولقد همّ اخزاه الله بقصد الحرمين ، وإخراج من بها من آل الحسين ، فرجعنا مع بذل ما بقي لنا من جهد في الدفاع في كثير من الحدود التي الى الله سبحانه وتعالى امرها ، ونحن نسأل من الله تعجيل الفرج ، وإطفاء وهج المهج ، بعون من هو أهل للمحامد المبرورة والمشاهد المشهورة في حياطة الدين ، والرعاية لحق رسول الله ، وما ذلك إلا لسريرة صالحة وتجارة رابحة من السلطان الأكرم ، والنور المستطيل الأعظم » (قانصوه) ادام الله توفيقه ، وأوضح الى كل مقصود مبرور طريقه » . وأضاف قائلاً :

« ولقد استرجحنا ارسال هذه الرسالة بيد صاحبنا الفقيه العالم بقية المجاهدين صلاح الدين بن سراح الله كتب الله هدايته ، وأحسن رعايته ، لإنهاء التهنئة بما فتح الله على يدكم من الفتوح الهنيئة ، والحث لكم على استدراك هذه البقية من عترة نبيكم الزاهرة الزكية ، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغي وأعوانه وانصاره ، وقد بقيت لنا بلاد محاددة لبلاده ، ونحن نفتقر فيها الى المعاونة منكم بما امكن من الرجال والعدة ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، والله خير الناصرين ، وأكرم القادرين ، والفقيه صلاح الدين يحقق لكم كل ما لا يتسع له كتابي ، ولا تقوم به إلا المشافهة والخطاب وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله وصحبه اجمعين » .

ولمّا(٣) وصل الفقيه صلاح الدين بكتاب الإمام شرف الدين الى الأمير حسين الكردي الى كمران استشار هذا كبار معاونيه فأشار عليه بعضهم بأن يطلب من الملك عامر بن عبد الوهاب آل طاهر المعونة والمدد في حرب الإفرنج فإن قبل كان ما نسبه اليه الإمام منافسة له في ملكه ، وإن أحجم كان الحق في جانب الإمام ، وأنّ الأمير (حسين الكردي) بعث الى الملك عامر بمبعوثين لطلب المدد منه ، وانه استشار وزيريه علي بن محمد

---

(٣) نفس المصدر ص ١٩ .

النظاري وعلي بن محمد البعداني ، فأشار عليه النظاري بأن يمدّ المماليك ويساعدهم على حرب البرتغاليين ، لما في ذلك من نصرة الدين ودفع المكروه عن الدولة الطاهرية ، ولكنه أخذ برأي الوزير البعداني الذي خالف رأي الوزير النظاري ، ووكل اليه الملك عامر ان يتصرف بالأمر بما يراه ، وقام البعداني باستدعاء المبعوثين وأغلظ لهما القول ، فعاد المبعوثان الى الأمير الكردي وأخبراه بما حدث ، قال المصدر(٤) « فأجاب الكردي على الإمام شرف الدين بما أشفى عليله وأطفأ غليله ووعده بتلبية طلبه » .

وقد اعطى رد الملك عامر عبد الوهاب السلبي عن طريق وزيره البعداني المبرر للمماليك لتنفيذ هدفهم وتحقيق مطامعهم في السيطرة على اليمن .

وكان الملك عامر قد وافق على ان يقيم المماليك قواعد بحرية لهم في السواحل اليمنية بناء على طلبه ، وذلك بعد هجوم البوكيرك (نائب ملك البرتغال وقائد قواته في بحر الهند والبحر الأحمر) على عدن عام ١٥١٣ م ، ولما فشل هجوم البرتغاليين بعد صمود العدنيين دون أية مساعدة خارجية ، وتأخرت المساعدة نفسها تراجع الملك عامر عن الوفاء بوعده واعطى بذلك الأمير حسين الكردي قائد قوات المماليك المبرر للاستيلاء على السواحل والموانىء والمدن اليمنية لإحكام سيطرة المماليك على موانىء اليمن والتحكم في البحر الأحمر شماله وجنوبه كما سلف .

وقام بأول اتصال بالملك عامر عبد الوهاب من ميناء جيزان في البحر الأحمر وأول الموانىء اليمنية في عا م ١٥١٥ م (٩٢١ هـ) بعد ان سمح له بالتمركز فيه اشراف جيزان الذين(٥) كانوا على اتصال سابق بالمماليك في مصر ، وشجعوهم على ارسال حملة الى اليمن للقضاء على حكم الملك عامر عبد الوهاب واخبر الأمير الكردي الملك عامر بوصول الحملة المملوكية

---

(٤) روح الروح ص (٢٠ .

(٥) الدكتور السيد مصطفى سالم في (الفتح العثماني الأول لليمن) ص ٨١ .

لمحاربة البرتغاليين ، وطلب منه مساعدته ومده بالمعونة من المال والطعام ، ولم يجب الملك عامر عليه اجابة واضحة .

ثم كرر الكردي طلبه ذلك من جزيرة كمران بعد استيلائه عليها ، كإنذار اخير في الظاهر ، وبعد وصول رسالة الإمام شرف الدين اليه ، جدد طلبه المعونة منه بالمال والطعام على حرب البرتغاليين مدلاً عليه بما سبق له من المكاتبات الى السلطان قانصوه الغوري في طلب النجدة ، وكان الملك عامر قد مال الى المساعدة ، ولكن وزيره البعداني اشار عليه بعدم اجابة الطلب خشية ان يتحوّل طلب المماليك الى جزية سنوية يطالب بها اليمن باسم محاربة البرتغاليين ، ورد رسول الأمير الكردي رداً غير مستحسن ، وأمر الملك ولاته في الموانىء اليمنية بمنع وصول الطعام الى المماليك في جزيرة كمران لزحزحتهم منها ، الأمر الذي شجع المماليك على القيام بتنفيذ مخططهم وضرب ميناء الحديدة بمدافعهم واضطروا حاميتها وأهلها الى مغادرتها ، ودخلها المماليك وانتهبوها ، ونقلوا الكثير من اخشابها في مراكبهم الى جزيرة كمران ، وبنوا فيها داراً كبيرة وسوروا الجزيرة وبنوا بعض المرافق الأخرى فيها ، وضاعفوا من تعبئتها بالمؤن والأغذية والعتاد ، واتخذوها مركزاً رئيسياً لهم يصدرون منه في حرب الدولة الطاهرية ويفيئون اليه .

وعادت القوات الطاهرية الى الحديدة بعد ان غادرها المماليك ، وأتخذوا مراكزهم لحمايتها وقووا تحصيناتها للدفاع عنها ، كما عاد اليها أهلها وأخذوا مراكزهم بجانب قوة الدولة الطاهرية ، الأمر الذي تعذر معه على الغزاة استئناف غزو اليمن من الحديدة ، وجعلهم يتحولون الى ميناء اللحية احد موانىء اليمن على البحر الأحمر ،وتمكنوامن أن ينفذوا منه بمساندة شيخ اللحية وزعيمها الفقيه (ابي بكر الزيلعي) الذي كان قد وصل الى المماليك الى كمران وقوى صلته بهم ، ومدوه بالأسلحة والعتاد لمساندتهم ضد آل طاهر .

كما ساند المماليك في التوغل داخل اليمن قبائل بلاد الزيدية في تهامة

الـذين كانـوا في حروب مستمـرة مـع آل طـاهـر ، وحملوا مـع أهـل اللحيـة السـلاح وحاربـوا في صفوف المـماليك ، بـل وحملوا الى المـماليـك واجبـات الـدولة في بـلادهـم ، وبفضل هـذا الـدعم المحلي من أهـل اللحيـة في وادي مور ومن أهل الزيدية في وادي سردد من تهـامة للغـزاة المماليـك الى جانب تفوقهم بالأسلحة النـارية التي لا عهـد لليمنيين بهـا آنذاك ، وتفـوقـوا في المعـركـة التي قـامت بينهم وبـين اليمنيـين ، وأسفـرت عن انهزامهـم ومقتل قائدهـم الأمير محمد بن سليمان بن جياش السنبلي .

وقد جهز الملك عامر عبد الوهاب بعد علمـه بذلـك جيشاً من المقـرانة بقيـادة ابن اخيه الأمـير عبد الملك بن عبـد الوهـاب آل طـاهـر لصـد الغـزاة وحلفائهم من أهل تهامة .

في حـين تقـدم الأمـير حسـين الكـردي عـلى رأس قـوات اخـرى من كمـران لتعزيـز قواتـه التي تحارب في تهـامة ، ومعـه ابن امير جيـزان (عـز الـدين احمد بن دريب) عـلى رأس قواتـه ، وقامت معـركة بـين الجـانبـين لم تسجـل الإنتصـار الحـاسم لأيهـما ، وقـد ثبت فيهـا الأمـير عبـد الملك ثبـاتـاً حسناً ، قال المصدر[٦] انه « قتـل تحته ثـلاثة افـراس اثناء المعـركة » وقتـل في المعركة الكثير من الجانبين ، وأصيب الأمير عبد الملك برصـاصة اضـطرته الى الانسحاب بثبات الى زبيد ومعه عدد من رؤوس قتلى الغزاة » .

في حـين واصـل الغـزاة تقـدمهم نحـو زبيـد ، وتمكنـوا من الاستيـلاء عليهـا ، بسبب انحلال معنـويات القـوات الطاهـرية اثـر اصابـة الأمير عبـد الملك ، وبفضـل مسانـدة اليمنيين من أهـل الواديـين (مور) و(سـردد) كما عرفنا ، وكان استيلاؤهم عليهـا في اليوم التـاسع عشر من شهر جمـادي الأولى عام ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م ، وأقام الأمـير الكردي في زبيـد سبعة وعشـرين يومـاً صادر خلالها الأموال من خـزانة الـدولة وامنـائها ومن التجار، ونهبت قـواه

(٦) عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين في (روح الروح) ص ٢٠ .

المـواطنـين وانتهكت الحـرمـات ، ثم استنـاب احـد كبـار رجالــه ويـدعى (برسباي) وغـادرها الى مينـاء (البقعة) في سـاحل زبيـد بدعـوى الحصول من مراكبه على الأموال ، والـوفاء منهـا لقواتـه بما وعـدهم به عنـد استيلائهم على زبيد وهو مائة دينار ذهبـاً لكل فـرد منهم ، وفي الميناء المـذكور ركب مـع قائد قواته البحـرية (سلمـان الرومي) ومـع عدد من خـاصته وقـواته سفنهم بما شحنوها من أموال ونفائس الى جزيـرة (زياع) بالقـرب من (مصوع) ، وانتهبوا منها ما امكنهم نهبه ، ثم غادروها ، الى ميناء جدة مقـر عمله ومركـز اقامته الرئيسي ، وجهز القـائد (سلـمان الرومي) الى زبيـد ليقود قـواته في توغلهم داخل اليمن .

وقـد قام هـذا بغزو عـدن من زبيد ، أو[٧] أن الأمـير حسين الكـردي نفسه هو الذي قام بغزوها من البحـر قبل عـودته الى جـدة ووصلها في رجب ٩٢٢ هـ أغسطس / ١٥١٦ م وتمكن من الاستيلاء عليهـا في بادىء الأمـر ، بعد ان ارتفع عنها اميرها (مرجان الظافري) وحاميتهـا الى جبل صيـرة احد جبالها المحيطة بها .

ولمّا طمع المماليك بالاستيلاء على جبل صيـرة لتأمـين المدخـل الوحيـد الى عدن من جهة البحر ، وأحاطوا بصيرة هـاجمهم الأمير الـظافري من بـاب خلفي للجبـل وهزمهم بقـواته هـزيمة منكـرة بعد ان قتلوا عـدداً منهم ، كـما حمـل من بقي في حصن صيرة من الجنـود على فلول الممـاليك رميـاً بالحجـارة وقتلوا عدداً منهم أيضاً ، واستعاد الأمير مرجان مدينة عدن .

ولكن قائد الغزاة حوّل هجومه عـلى حصن صيرة منتهـزاً خلوه من قوة رادعة واستولى عليه .

وفي سحـر احدى الليـالي طمع في استعـادة عدن فهجم عليهـا بقواتـه التي استعـادت قواهـا في حصن صيرة ، ولكن قـوات الدولـة الـطاهـريـة في

---

(٧) الدكتور السيد مصطفى سالم في (الفتح العثماني الأول لليمن) ص ٨١ .

عدن كانت يقظة ، فتصدت لهم حتى الصباح . وفيه تكاتف أهل عدن مع حاميتها ومع بقية جنود الأمير مرجان الظافري وحملوا جميعاً على المماليك حملة صادقة سجلت النصر لليمنيين وقتلوا عدداً من المماليك .

وفي اثناء ذلك وصل مدد الدولة الطاهرية بقيادة الأمير عبد الملك بن عبد الوهاب آل طاهر لتعزيز حامية عدن ، وانقطع بوصوله كل امل للغزاة في الاستيلاء على عدن ، وانسحبوا منها ومن حصن صيرة حيث ركبوا مراكبهم الراسية بسواحلها ، وحدث مع ذلك ان وضع مرجان الظافري كميناً في طريق انسحابهم قتل عدداً من الغزاة .

ولقد كان لانتصار الطاهريين في عدن اثره لدى الجانبين ، وكان بالطبع مختلفاً طبيعة اختلاف حالة المنتصر والمنهزم في احداث عدن ، المنتصر بعد انهزام ، والمنهزم بعد انتصار ، فالمنتصر في احداث عدن وهم الطاهريون بعد تكرر انهزامهم فيها وفي غيرها طمعوا في المزيد من الانتصار على المماليك ، ، ولم يقبلوا بالصلح الذي عرضه المماليك عليهم عن طريق القاضي صفي الدين احمد بن عمر بن احمد المزجد ، والذي يقضي بتوقفهم على ما قد تمركزوا فيه في تهامة ، وحسب الطاهريون العرض مكيدة وخدعة ، والمنهزم في احداث عدن وهم المماليك بعد ان توالت لهم الانتصارات فيها في بادىء الأمر وفي غيرها ، حسبوا انهزامهم في عدن فاتحة غير مشجعة بعد سفر أميرهم حسين الكردي الى جدة ، وتقدموا بعرضهم المذكور ، وهم قد حققوا أهم ما يطمعون اليه وهو التمركز في تهامة وسيطرتهم على بعض موانئها ولهم امل في الاستيلاء على بقيتها ، ولم يتم عقد صلح بين الجانبين كما عرفنا .

توغل قوات المماليك في اليمن وسقوط الدولة الطاهرية
(٩٢٣ - ٩٤٥ هـ) (١٥١٨ - ١٥٣٦ م)

وتقدم الملك عامر عبد الوهاب من المقرانة على رأس قواته لمنازلة المماليك وعسكر بالتُّرَيبَة بالقرب من زبيد ، وتقدم المماليك بدورهم من زبيد بقيادة (برسباي الغوري) وقامت حرب بين الجانبين استمرت ثلاثة أيام لم تسجل النصر الحاسم لأيهما ، الأمر الذي دفع بالمماليك الى الهجوم ببعض فرسانهم اثناء معركة اليوم الثالث على محطة الملك عامر لانتهابها ، بهدف افشال وارباك جيش الملك ، وفعلاً احدث ذلك ذعراً بالحامية ، وأدى بالتالي الى ارباك جيش الملك واضطراره هو الى الانسحاب من ميدان المعركة بثبات الى مكان قريب منها ببعض قواته ، ثم انسحابه بكامل جيشه الى تعز .

أمّا[٨] المماليك فإنهم عادوا الى زبيد بمعنويات مرتفعة ، وأقاموا فيها أياماً أكملوا أثناءها استعدادهم لمواصلة حربهم لآل طاهر ، ثم تقدموا نحو تعز ودخلوها دون أي مقاومة وذلك في التاسع من شهر صفر سنة **٩٢٣** هـ فبراير / شباط ١٥١٧ م كما استولوا على حصنها (القاهرة) لأن الملك كان قد غادر تعز الى مدينة إبْ ، حيث اقام فيها حتى علم بتحرك المماليك من تعز نحو المقرانة مركز الملك عامر الرئيسي في بلاد رداع ، فسبقهم اليها وأخذ منها ما خفَّ حمله الى بعض الحصون المنيعة في المنطقة .

وجاء المماليك الى المقرانة وعبثوا فيها نهباً وسلباً كعادتهم ، وهدماً وإحراقاً ، ثم غادروها نحو صنعاء ، ولمّا توسطوا بلاد عمار النادرة فاجأهم أهلها وأمعنوا فيهم قتلاً ونهباً ، وممن قتل من المماليك قائدهم برسباي المذكور ثم استجمعوا قواهم ونصبوا احد كبارهم ويدعى (اسكندر محمد) وعادوا الى المقرانة حيث اقاموا فيها أياماً ، ثم غادروها نحو صنعاء عن غير طريق بلاد عمار .

---

(٨) اللطائف السنية (مخطوط) .

وقد شجع انهزامهم في وجه أهل عمار الملك عامر عبد الوهاب على حربهم اثناء سيرهم الى صنعاء ، وسجل بعض الانتصارات التي شجعته على مواصلة تقدمه نحو صنعاء للدفاع عنها ، مخالفاً رأي اخيه الأمير عبد الملك عبد الوهاب الذي نهاه عن حرب المماليك في بلاد صنعاء لئلا يجتمع عليه عدوان (المماليك والزيدية على حد ما جاء[٩] في نصحه له) .

ولكن المماليك فاجأوه بالحرب قبل ان يتمكن من دخول صنعاء ، وقبل أن يأخذ جيشه أهبته للقتال ، واسفرت المعركة التي قامت على أبواب صنعاء عن انهزام جيش الملك عامر ، وعن مقتل اخيه الأمير عبد الملك الذي جاء من عدن على رأس قواته لمناصرة اخيه برغم معارضته له في حرب المماليك في بلاد صنعاء . ثم قتل الملك عامر عبد الوهاب وهو منسحب في الطريق الى حصن ذي مرمر بعد ان عرفه رجل من سعوان ودلّ المماليك عليه ، وكان ذلك في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من عام **٩٢٣** هـ **١٥١٧** م ، وبذلك سقطت دولة آل طاهر في معظم اجزاء اليمن بايدي المماليك الشركس بفضل مساندة اشراف جيزان والكثير من اليمنيين المناوئين لآل طاهر وبفضل تفوق المماليك بالأسلحة النارية التي لم يكن لليمنيين عهد بها آنذاك .

ودخـــل المماليك الغزاة صنعاء بعد ان امنوا عاملها لآل طاهر علي بن محمد بن عيسى البعداني ولحق بالأمير (عامر بن داود آل طاهر) الذي كان قد احتفظ لنفسه بنفوذ في بلاد رداع ، ثم وسعه اثناء اشتغال المماليك بحروبهم مع الإمام شرف الدين ، وبعد انهزامهم من صنعاء وانحسار نفوذهم الى زبيد إثر سقوط دولتهم في مصر والشام على ايدي العثمانيين ومقتل ملك المماليك (قانصوه الغوري) ، واشتغـــال الإمام شرف الدين بحروبه مع منافسيه من الأشراف في القسم الأعلى من اليمن كما سبق ،

---

(٩) روح الروح ص ٢٦ .

وامتدّ نفوذ الأمير عامر بن داود آل طاهـر إلى بلاد اب وبـلاد تعز والى المنـطقة الجنوبية بما فيها عدن والمنطقة الشرقية المجاورة لبلاد رداع .

ولما فرغ الإمام شرف الدين من حروبه مع منافسيه جهـز ولده المـطهر من بلاد نجران الى بلاد رداع فبلاد الشعيب لحرب آل طاهـر واستطاع أن يحصـر نفوذ الأمير عامر بن داود في عدن .

حتى جاء القائد التركي سليمان باشا المعروف بـالخادم الى عـدن وغدر بـالأمير عـامر بـاستدعـائه الى سفينتـه في الساحـل وقتله وولى عليهـا من قبله باسم الحكم التركي وكان ذلك بدايـة النفوذ الفعـلي للحكم العثماني الأول في اليمن عام ٩٤٥ هـ وفي عهد السلطان سليمـان بن سليم بن بـايـزيـد ، كما سيأتي تفصيل كل تلك الأحداث في مواضعها بإذن الله .

نظرة عامة في دولة آل طاهر

اقام آل طاهر دولتهم في اليمن على انقاض دولة بني رسول .

وآل طـاهر كـما علمنا في ارجـح آراء المؤرخـين والبـاحثـين يمنيـون من جبن رداع ، لَا قُرْشِيون تهاميون ، ولا قُرَشِيون أُمـويون كـما ذهب الى هذين الرأيين بعض المؤرخين

وقد ساعدهـم على الاستيلاء على الحكم من بني رسول امور أهمها :

١ ـ النفوذ الذي حصلوا عليه بتوليهم بعض الأعمـال الهامـة لبني رسول في آخر عهدهم ، ومنها نيابة اعمال عدن ولحج وبلاد رداع وغيرها .

٢ ـ قيـامهم بمسـانـدة الملك المـظفـر الثـاني ضــد منـافســه الملك المسعـود الرسوليين في آخر عهـد الدولـة الرسـولية ، وحـربهم للملك المسعود المـذكور قبـل تنازل المـظفر لـه وبعده ، وحـربهم اخيراً للملك المؤيـد الرسـولي آخـر ملوك بني رسـول ،وذلك بعد اعتـزال الملك المسعود الحكم حتى استـولوا عـلى مدينة عدن التي كان المؤيد يعتصم بها .

وكـان استيلاؤ هم عـلى مدينـة عدن في شهـر رجب من عـام ٨٥٨ هـ ١٤٥٤ م هو بداية حكمهم .

ولقد انتهج بنو طاهـر سياسـة عدم سفـك الدمـاء إلا حينما يضـطرهم الأمر الى ذلك .

كما انتهجوا سياسة العـزلة وعـدم الانفتـاح عـلى العـالم الخـارجي إلا بحدود وحينما يقتضيهم الأمر ذلك .

وقد إبتلى بنـو طاهـر بما ابتـلي به بنـو رسول قبلهم من تمرد وعصيان قبائل تهامة وأهمها : المعازبة والقَرْشية في واديي رماع وسهـام ، والأشاعـر في وادي زبيد ، وبنـو حفيص وغيـرهم من قبـائـل وادي مـور ووادي سـردد ، وقبائل مخلاف جعفر وقبائل المنطقة الجنوبية والشرقية .

الى جـانب الخـلاف التقليـدي مـع الأشـراف في القسـم الأعـلى من اليمن ، ذلـك الخلاف الـذي طـال امـده ، والـذي كثيـراً مـا أدى الى قيـام الأشراف بمحاولة مد نفودهم الى مناطق نفـوذ آل طاهـر ، بهدف منـع هؤلاء من استعـادة نفـوذ دولتهم في القسم الأعـلى بعـد خـروج صنعـاء عـلى آل طاهر ، ومقتل الملك عامر الأول على أبوابها عنـد محاولتـه استعادتهـا ثم مقتل الملك عـامر الثـاني على ابـوابها كـذلك ، وان كـان مقتل هـذا قـد حـدث في حربه مع المماليك ، ولكنه حدث في منطقـة عبّر عنهـا اخوه الأمـير عبد الملك عبد الوهاب في معارضته للملك عامر عبد الـوهاب بحـرب المماليـك في بلاد صنعاء بقوله « لئلا يجتمع عليه عدوان الزيدية والمماليك »

كمـا ابتلى آخـر ملوك آل طاهـر عامـر عبد الـوهاب بخـلاف أخـوالـه وغيـرهم من اسرتـه في بدايـة عهده ، وشجـع خـلافهم عليـه وحـربهم معـه العـديد من قبـائل تهـامة عـلى الخروج عليـه واقـلاق الأمن ونشـر الفسـاد في المنطقة ، وأضعفت حروب الملك عامر مع هؤلاء وأولئـك ومع الخـارجين في المنطقة الجنـوبية والشـرقية أيضـاً الملك عامـر نفسه في حـروبه مـع المماليـك

الذين ادى مساندة الكثير من اليمنيين لهم مع ذلك ، وتفوقهم بالأسلحة النارية التي لم يتسلح بها جنود الملك عامر الى تفوق المماليك وسقوط الدولة الطاهرية بعد مقتل الملك عامر اثر انهزام جيشه ومقتل اخيه الأمير عبد الملك عبد الوهاب والملك عامر في طريق انسحابه الى حصن ذي مرمر كما علمنا.

كما ساند المماليك ضد الدولة الطاهرية اشراف الشمال بزعامة الإمام شرف الدين واشراف المخلاف السليماني وجيزان ، وحارب هؤلاء في صفوف المماليك كما علمنا ايضاً .

وكما شجع استعانةُ الملك عامر بن عبد الوهاب بالمماليك لطرد البرتغاليين في بداية ترددهم على السواحل اليمنية ، المماليك للتدخل في شؤون اليمن وبسط نفوذهم عليه ، كذلك شجع استعانة المماليك بالعثمانيين ضد البرتغاليين أيضاً ، العثمانيين على الاستيلاء على دولة المماليك في مصر والشام والحجاز واليمن ايضاً ، إذ أنّ مجرد طلب العون والمساندة يشعر بضعف الجانب المستعين والوقوف على احواله ومواطن ضعفه والثغرات التي يمكن النفوذ منها للقضاء عليه ويعطي الجانب المستعان به المبرر للتدخل باسم المساندة في بداية الأمر .

وهذا هو ما حدث لآخري ملوك بني رسول لدى استعانتهم بآل طاهر .

وهو ما تحاشاه الملك عامر في قطع صلته بالمماليك ، ومنع مدهم بالمعونة ، ولكن بعد فوات الأوان .

وتعتبر(١٠) دولة بني طاهر آخر الدول السنية الجنوبية التي كانت تتوالى على الحكم في اليمن ، والتي حالت دون امتداد نفوذ الأئمة الى المنطقة الوسطى والمنطقتين الجنوبية والشرقية .

ولقد حاول بنو طاهر توحيد اليمن تحت سيادتهم ، فلم يتمكنوا من ذلك ، لاصطدامهم بالأئمة المتمركزين في المنطقة الشمالية مع اشتغالهم بالخارجين عليهم داخل منطقة نفوذهم ، وظلت البلاد

---

(١٠) الفتح العثماني الأول لليمن ص ٣٤ .

مقسمة بين الطاهريين والأئمة ، حتى آخر ملوكهم وهو الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر الذي نجح الى حد كبير في إضعاف نفوذ الأئمة ومد نفوذه الى بلاد صعدة وجيزان ونجران في الشمال والشمال الغربي ، والى حضرموت وعدن وسائر المناطق الجنوبية والشرقية والى تهامة حتى حلي بن يعقوب في المخلاف السليماني في تهامة الشمالية الغربية ، وكان يكتفي من بعض زعماء المناطق النائية بدفع واجبات الدولة ولو بصورة رمزية ، كضمان لولائهم له ، أي أنه عمل على توسيع رقعة دولته خلال التسعة والعشرين عاماً من حكمه ، وعلى عكس أبيه الذي قنع بالعيش بسلام مع باقي السيادات التي عاصرته وخاصة الأئمة الزيدية ، ودون أن يدخل معهم في نزاع وحروب كما فعل ابنه عامر عبد الوهاب ، وهذا من الناحية السياسية .

أمّا الناحية الاقتصادية والعمرانية لدولة آل طاهر فقد عرفنا انهم بدأوا حكمهم بالاستيلاء على مدينة عدن لأهميتها من الناحية الاقتصادية ، اذ انهم تمكنوا بمواردها من التجارة من التوسع في بسط نفوذهم في اليمن ، وحرصوا عليها وصمدوا في وجه الغزاة البرتغاليين أولاً ، ثم المماليك ، برغم امتداد نفوذ هؤلاء في معظم مناطق نفوذ آل طاهر ، واحتفظ الأمير عامر بن داود بن طاهر بنفوذه فيها وفي المنطقة الشرقية بعد مقتل الملك عامر عبد الوهاب ، وسقوط دولته ، حتى غدر به القائد التركي سليمان باشا وقتله في سفينته بعد استدعائه اليه لعرض فرمان الدولة العثمانية عليه ، ولمكافأته على ما قدمه من خدمة جليلة للأمراض من جنوده البحرية الذين كانوا يطاردون البرتغاليين في سواحل البحر الأحمر كما لوح له عقب دعوته اليه .

ولمّا احتكر التجارة الشرقية البرتغاليون بعد اكتشافهم طريق الرجاء الصالح في افريقيا الى الهند ، وقلت بسبب ذلك موارد الدولة الطاهرية ضعف جانبهم ، وكان ذلك من العوامل التي ساعدت المماليك على التغلب عليهم ، كما كانت للدولة الطاهرية موارد اخرى غير التجارة ، وتتمثل في واجبات الدولة

التي اشتهر عدلهم بالرعية فيها وفي غيرها ، فعملوا على رفع المظالم عن كواهل الزراع ، وشجعوا الزراعة ، لولا ما كان يحدثه خلاف القبائل وفي تهامة بالذات ، من اضطراب واخلال بالأمن وسلب ونهب للزراع .

وكانت الزراعة هي المصدر الرئيسي للدخل القومي الى جانب مصادر اخرى من التجارة ومختلف الحرف ، ومن الهجرة وغيرها ، وكانت الناحية العمرانية في عهد الدولة الطاهرية تزدهر بازدهار الاقتصاد في المناطق التي يتوفر فيها الأمن والاستقرار ، فحيث يتوفر الأمن والاستقرار يتوفر الرخاء وتزدهر التجارة وتنشط الزراعة وغيرها .

ومع ذلك فللطاهريين اصلاحات عمرانية في الطرقات والسدود وفي المساجد والمدارس والرباطات وغيرها مما يتلائم وعهدهم ، وبالذات عهد آخر ملوكهم عامر عبد الوهاب الذي تميز عهده بالقيام ببعض الأعمال العمرانية والاصلاحات التي اصبحت موضع تقدير معاصريه الى ما بعد وفاته بسنوات طويلة ، فقد وجه اهتمامه الى بناء المدارس والمساجد ، ووقف الأراضي عليها ، وعامرية رداع ذات البناء الفخم وغيرها ، شاهد حي على اصلاحاته العمرانية ، برغم اشتغاله بالحروب مع أسرته ومع الكثير من القبائل ومع المماليك ، والتي كلفته جميعها الكثير من الأموال والوقت والجهد وكلفته اخيراً حياته ، وبالرغم من تناقص موارد دولته بعد احتكار البرتغاليين للتجارة التي كانت تعبر البحر الأحمر كما سبقت الاشارة إليه . ومن المساجد الشهيرة التي بنيت في عهد الملك عامر عبد الوهاب عامرية ، رداع وعامرية جبن ومسجد المشنة في سفح جبل بعدان بمدينة اب وربما ومسجد الجلالية العليا بمدينة اب ايضاً لأن طابع بنائهما متحد وهو ما ذهب إليه بعض المؤرخين .

كما اهتم الملك عامر عبد الوهاب بحفر الآبار وشق القنوات وتمهيد طرق القوافل وتأمينها ، ومد قنوات الري الى عدن ، وبنى فيها صهريجاً كبيراً لعله الصهريج المعروف بصهريج القبة اسفل صهاريج عدن بالطويلة ، لأنه صهريج اسلامي متميز عن بقية الصهاريج القديمة .

ومن[١١] ناحية اخرى اقام الملك عامر عبد الوهاب في وادي زبيد سداً ترابياً ضخما لحماية الأراضي الزراعية من اجتراف السيول لها ، كدليل آخر على اهتمامه بشؤون الزراعة . كما[١٢] قام بتعبيد شوارع مدينة اب بالحجر وتوصيل الماء اليهامن اسفل جبل بعدان عن طريق ساقية بناها فوق عقود عالية(صورة رقم ٦٣) هدمت للاسف عند الاستغناء عنها في بداية ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م - خطأً من مكتب أوقاف إب تاريخ هدمها .

أمّا الناحية الاجتماعية والثقافية فلأنّ آل طاهر خلفوا آل رسول في الحكم ، وكان عهد الدولة الرسولية مزدهراً وفي هاتين الناحيتين بالذات ، فإنّ بني طاهر (وهم نواب الدولة الرسولية وكبار رجالها) قد تأثروا بنهجهم ، وراعوا الجانب الاجتماعي والثقافي في عهدهم ، وبالذات في عهد الملك عامر عبد الوهاب ، الذي[١٣] عمل على تنشيط الحياة الثقافية ، فبالإضافة الى اهتمامه ببناء المدارس وتقريب العلماء اليه ، فإنه كان يهتم باقتناء الكتب ، كما كان يأمل بكتابة نسخ منها لوضعها في جامع زبيد ، حتى تكون تحت تصرف العلماء ، وكان يستقبل المؤلفات الجديدة بكل حفاوة وتقدير لمؤلفيها .

وكان تركيب البنية الاجتماعية في عهد الدولة الطاهرية لا يختلف عنها في الدولة الرسولية ، إذ كان المجتمع اليمني يتألف من فئات ، ارفعها فئة العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ، فسائر الفئات الأخرى كفئة المهنيين وفئة التجار والفئة القبلية التي تسود عادة في الريف، وفيه تحتفظ بطابعها وتقاليدها .

---

(١١) الدكتور السيد مصطفى سالم في (الفتح العثماني الأول لليمن) ص ٣٩ .

(١٢) الاستاذ اسماعيل الأكوع في كتابه (المدارس الاسلامية في اليمن) والقاضي حسين احمد السياغي في كتابه (معالم الآثار اليمنيه) .

(١٣) نفس المصدر ص ٤٠ .

الفصل الرابع من فصول تأريخ
حكم الأئمة في اليمن
(٨٧٦ - ١٠٠٦ هـ)
(١٤٨٢ - ١٥٩٨ م)

الإمام المؤيد محمد بن الناصر

دعا[١] (محمد بن الناصر بن احمد بن الإمام المتوكل المطهر بن يحيى) عام (٨٧٦ هـ) وذلك عقب موت والده بحصن العروس من بلاد كوكبان حيث كان معتقلاً فيه من الإمام المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي في العام المذكور ، ولقب محمد بن الناصر بالمؤيد .

فهو قد عارض الإمام المتوكل المذكور الذي تحالف عليه مع أمير صعدة الشريف الهادي بن الحسين بن علي بن قاسم الحمزي ، والداعي ابن الأنف الهمداني زعيم همدان ، وقصدوه الى صنعاء ، ولكن الإمام المؤيد ردهم عنها ، وصارت[٢] اليمن في ذلك التأريخ مجزأة على النحو التالي :

الإمام المتوكل في بلاد كوكبان .

الإمام المؤيد في صنعاء وبعض اعمالها .

الداعي بن الأنف الهمداني في بلاد همدان صنعاء .

---

(١) السيد محمد بن محمد زبارة في تأريخه (ائمة اليمن) ص ٣٣٤ .

(٢) محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه اللطائف السنية (مخطوط) .

الشريف محمد بن أحمد بن الحسين الحمزي في صعدة وأعمالها .

وبنو طاهر في رداع واعمالها والبلاد الشرقية واليمن الأسفل وتهامة وعدن وسائر المناطق الجنوبية .

وثمة غير هؤلاء زعماء محليون يحكمون مناطقهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

وكانت للإمام المؤيد أحداث مع آل طاهر كما علمنا الكثير منها في الفصل الخاص بتأريخ (ال طاهر) .

وكانت(٣) وفاة الإمام المؤيد في صنعاء عام (٩٠٨ هـ) عن إحدى وأربعين سنة من حكمه .

أمّا الإمام المتوكل فإنه كان قد توفي في مدينة ذمار عام (٨٧٩ هـ) حيث كان قد استولى على ذمار منذ مقتل الملك عامر الأول آل طاهر على أبواب صنعاء في عام (٨٧٠ هـ) كما علمنا في الفصل الخاص بتأريخ آل طاهر .

الأئمة المتعارضون ادريس بن وهاس ومحمد بن يوسف وعز الدين اليحيوي

دعا(٤) ادريس بن عبد اللهبن محمد بن علي بن وهاس الحمزي في مرض الإمام المتوكل المطهر بن يحيى في عام (٨٧٨ هـ) ولقب بالمهدي ، وكانت دعوته في حصن الظفر ببلاد الظاهر بالقرب من ذي بين حاشد ، ولم يلب الناس دعوته ، ولم يلتفوا حوله ، ولم يقم هو بأي حركة ذات أثر حتى مات في الحصن المذكور ، ولم يذكر المصدر تأريخ وفاته .

وفي عام (٨٧٩ هـ) دعا محمد بن يوسف بن صلاح المرتضى بن الحسن ابن علي بن يحيى بن منصور بن مفضل الحسني في مدينة ثلا بعد وفاة الإمام

(٣) ائمة اليمن من ص ٣٣٩ .

(٤) زبارة أيضاً في ائمة اليمن من ص ٣٤٣ .

المتوكل المذكور ، ولقب بالناصر وبث دعاته في كثير من مناطق القسم الأعلى من اليمن ، وأجابه الأشراف الحمزات في صعدة وخطبوا له فيها منذ عام (٨٨٠ هـ) الى شهر ذي القعدة من عام (٨٩٣ هـ) ، وكان ذلك مجرد انتماء اليه دون ان يمدوه بشيء من المال ، ولا حكم هو شيئاً من بلاد صعدة ، وقد توفي في ثلا عام ٨٩٣ هـ .

أمّا عزالدين بن الحسن بن الإمام الهادي علي بن المؤيد جبريل اليحيوي الهادوي فإنه دعا في شهر شوال من عام (٨٧٩ هـ) ولقب بالهادي ، وأجابته المنطقة الشمالية الغربية في بلاد حجة وبعض بلاد صعدة ، ما عدا الأشراف الحمزات الذين ظلوا بزعامة محمد بن احمد بن حسين الحمزي وابناء عمه يخطبون للإمام الناصر محمد بن يوسف آنف الذكر كما اسلفت ، وكانت للإمام الهادي المذكور حروب مع الحمزات انهزم هو فيها وعاد الى هجرة فللة من بلاد صعدة وقد توفي في فللة عام (٩٠٠ هـ) .

الإمام الناصر الحسن بن عز الدين والإمام المنصور محمد بن علي الوشلي

دعا[٥] الحسن بن عز الدين بعد وفاة والده الإمام الهادي عز الدين اليحيوي آنف الذكر في شهر رجب من عام ٩٠٠ هـ . ولقب بالناصر ، وكانت دعوته في هجرة فللة من بلاد صعدة ، وبث دعاته في مختلف مناطق القسم الأعلى من اليمن ، وممن اجابه الأشراف الحمزات في بلاد صعدة ، وأهل صعدة وبعض البلاد التابعة لها ، وعارضه الإمام المنصور محمد بن علي الوشلي السراجي ، الذي دعا في قرية القابل من اعمال صنعاء في اليوم السادس من شهر ذي القعدة من العام المذكور (٩٠٠) للهجرة .

وقد أجاب الإمام الوشلي أهل ثلا ومناطق اخرى ، ثم انتقل الى كحلان ومنها الى هجرة فللة من بلاد صعدة حيث والاه أهل بلادها ، ولم يلبث ان

---

(٥) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٣٥٦ .

انتقل منها الى الشرف من بلاد حجة بعد ان اعلن اهلها ولاءهم له ، واجتمع فيها مع **الإمام** الناصر الحسن بن عز الدين ، ولم يتنازل احدهما للآخر .

ثم تخلى اتباع الإمام الناصر عنه فتخلى هو عن الدعوة ، واستقل الإمام الوشلي بالدعوة ، وقد توفي الناصر في شهر شعبان من عام ٩٢٩ هـ .

كما وقع الإمام الوشلي في اسر الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر عند استيلائه على صنعاء عام (٩١٠ هـ) كما علمنا في الفصل الخاص بالتأريخ لآل طاهر ، وتوفي الإمام الوشلي في معتقل آل طاهر في شهر ذي القعدة من نفس العام المذكور .

وبناء على هذا فقد عارض الإمام المؤيد محمد بن الناصر صاحب صنعاء كل من الأئمة الخمسة من ادريس بن وهاس وحتى محمد بن علي الوشلي ، لأنهم دعوا الإمامة وهو ما يزال على قيد الحياة إماماً .

الإمام شرف الدين

ودعا شرف(٦) الدين يحيى بن شمس الدين بن الإمام المهدي احمد بن يحيى المرتضى في حصن الظفير ببلاد حجة ، في شهر جمادي الأولى من عام (٩٢١ هـ) . وبثّ دعاته في مختلف مناطق القسم الأعلى من اليمن ، ولم يجبه إلا القليل من أهل بلاد مسور ولاعة في بلاد حجة ، ولم يقم هو بعمل يذكر غير بثّ الدعاة والرسائل ومنها الرسالة التي بعث بها الى الأمير حسين الكردي قائد قوات المماليك في البحر الأحمر ، والذي كان قد نزل بقواته في جزيرة كمران ، وحرّضه على دعمه في حرب آل طاهر في عهد آخر ملوكهم (عامر بن عبد الوهاب) ، وصادفت دعوة الإمام شرف الدين لحرب آل طاهر هوى في نفوس المماليك لحكم اليمن ظلّ يراودهم منذ ترددهم على شاطىء اليمن ولأخذ المؤن منها في حربهم ومطاردتهم للبرتغاليين الذين كانوا قد اكتشفوا طريقاً الى الهند عن طريق (رأس الرجاء الصالح في جنوب غرب افريقيا) ، وبدأوا يترددون

(٦) نفس المصدر ص ٣٧٢ .

على سواحل البحر الأحمر الجنوبية بهدف اتخاذ مراكز لهم يسيطرون منها على اليمن والحجاز وغيرهما .

وتمّ للمماليك التغلب على الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر بعد حروب مريرة وقاسية بين الجانبين انتهت بمقتل الملك (عامر) على أبواب صنعاء بفضل تفوق المماليك بالأسلحة النارية التي لم يكن لليمنيين آنذاك عهد بها ، وبفضل مساندة اليمنيين في تهامة وغيرها للمماليك كما مرّ بنا تفصيله في الفصل الخاص بآل طاهر من هذا الكتاب .

هذا وللمماليك حوادث مع الإمام شرف الدين بعد مقتل الملك عامر عبد الوهاب اليك تلخيصاً لها .

الإمام شرف الدين والمماليك

لمّا قتل الملك عامر عبد الوهاب آخر ملوك آل طاهر على ايدي المماليك عند استيلائهم على صنعاء عا م ٩٢٣ هـ وقضوا على دولة آل طاهر في معظم اجزاء اليمن بعد حروب استمرت اكثر من عام ، استدعى الليث الدود حي عامل آل طاهر عل بلاد ثلا في الغرب الشمالي لصنعاء الإمام شرف الدين من بلاد حجة ، وتحالف معه على التكاتف لحرب المماليك[٧] .

وبينما الحليفان يستعدان لحرب المماليك ، إذ فاجأوهما بقواتهم التي عسكرت بالقرب من مدينة (ثلا) مما يلي (قاع حوشان) ، وجرت مفاوضات بين الفريقين لم تفلح في وضع صلح يقضي بأن يقيم المماليك في صنعاء والإمام في ثلا ويلتزم كل بما بيده ، ثم قامت حرب بين الجانبين لم يكسبها أيهما ، ولكن المماليك استولوا على جبل التعبرة (المعروف اليوم بالناصرة) في المنطقة ، وعززهم مركز قيادتهم في صنعاء بقوة اخرى قوت من جانبهم ، واستطاعوا بذلك ان يضيقوا الحصار على مدينة ثلا وعلى حصنها الذي يقيم الإمام شرف

---

(٧) عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين في (روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتوح) ص ٢٨ .

الدين فيه .

وبينما الحال كذلك اذ وصل الى امير المماليك في صنعاء (اسكندر مور) مبعوث السلطان سليم بن بايزيد العثماني من مصر يعلمه باستيلائه عليها وعلى الشام ، بعد مقتل ملك المماليك (قانصوه الغوري) في الحرب التي قامت بينهما ، في مرج دابق بالشام بالقرب من حلب وذلك في عام (٩٢٣ هـ) وطلب السلطان سليم من امير المماليك في صنعاء الولاء له وذكر اسمه في الخطبة بدلاً من اسم قانصوه الغوري المذكور، فأسقط في يد المماليك ،وطلب الأمير اسكندر مور من الإمام شرف الدين ان يبعث اليه من يمثله في مباحثات الصلح مرة أخرى ، فبعث عنه الشريف عبد الله بن وهاس الحمزي ، والشيخ حسن بن عبد الله الهمداني ، وجرت المفاوضات وكل من الفريقين يرغب بالإتفاق ، وتمّ ذلك على ان يكف كل عن حرب الآخر وأن يرتفع المماليك عن حصار ثلا ويعودوا الى صنعاء ، وعاد المماليك اليها ، وأعلن الأمير اسكندر ولائه للسلطان سليم العثماني على منبر جامع صنعاء .

وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور (٩٢٣ هـ) غادر الأمير الأسكندر صنعاء بمعظم المماليك الموجودين فيها الى زبيد عن طريق تعز ، وتمركزوا فيها ، وكانوا عند توسطهم بلاد اب في مسيرتهم هذه قد فوجئوا بقبائل حبيش ومخلاف الشوافي وغيرهم من أهل المنطقة ونهبهم وقتل عدد كبير منهم ، ولم يخلص المماليك من المنطقة إلا بصعوبة بالغة ، تحدث عن ذلك المؤرخ (عيسى بن لطف الله بن شرف الدين في تأريخه [9] فقال « ثم خرج من محروس صنعاء بأكثر الشراكسة ونصب أعلامه المنكوسة لا الناكسة في اليوم الثالث عشر من شهر جمادي الآخرة من السنة المذكورة ، وصحبته الشريف صاحب جازان وعبد الملك بن محرم العبسي ، مستخلفاً في صنعاء حمزة الرايس اميراً من امراء الشراكسة ، والأمير احمد بن حمزة ، ثم قصد الأمير اسكندر مدينة زبيد على طريق التجار ، فلقيتهم جموع قبائل اليمن كحبيش

---

(٩) روح الروح آنف الذكر ص ٣٠ .

والشوافي ورياب وغيرهم ، من أهل تلك الجهات ، وشنت عليهم الغارات ونادوا بالثأرات ، فقتل من الشراكسة أمة ، ونهب ما قد جمعوه من الجواهر والعين والذهب واللجين ، وصار اثراً بعد عين ، واستكفلوا الخيل والبغال والجمال والأحمال ، وكانت جملة مستكثرة ، وذخائر موقرة .

ابداً تسترد ما تهب الدنيا — فيا ليت جودها كان بخلا

وسن جملة ما استنقذوه من الشراكسة من الأسرى (عامر بن عبد الملك ابن عبد الوهاب) » .

أمّا من بقي في صنعاء من المماليك فإنهم كانوا قد استمدوا العون من الأشراف الحمزات ، وجاء هؤلاء وعلى رأسهم الشريف محمد بن عبد الله الشويع يصحبهم ثمانون فارساً ، تساندهم همدان بزعامة الداعي بن الأنف ، والأمير حميضة بن الحسين قريب الشويع بخمسين فارساً ، واستطاع الشويع وحميضة وابن الأنف بما جمعوه من فرسان ومشاة أن يخلصوا المماليك من حصار اليمنيين في صنعاء ، وأخرجوهم منها الى عمران نزولاً على حكم الإمام شرف الدين وتحت حمايته ووساطة الشويع ومن معه من الزعماء ، بعد اتفاق بين الجانبين مثّل المماليك فيه احد كبارهم ويدعى (مقصود الدويدار) ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال من نفس العام المذكور (٩٢٣ هـ) ، ودخل الإمام شرف الدين صنعاء عقب خروج المماليك منها ، وقد هنّأ الشاعر الكبير موسى بن يحيى بهران الإمام شرف الدين بالمناسبة بقصيدة بليغة مطلعها :

بات سميري والبرايا هجود — بدر تجلى في ليالي السعود
ما كان أحلى سمري عنده — حتى كأني في جنان الخلود
لمقلتي في خده جنة — محفوفة بالنار ذات الوقود

ومنها :

يا موقد النار بقلبي متى — تطفي لظاها برضاب برود

قـد كـنت أولى مِـن أراكِ الحـمـى ... بـالـرشف لـو أنّ بخيـلاً يجـود
ولـو قضى بـالـعـدل مـا بيننـا ... فـاض وقـامت لي عليـك الشهـود

ومنها :

عجـبـت من ضبي عـرين اذا ... رنـا بـعـيـنـيـه أمـات الأسـود
لم ادر أين الـشـغـر من عـقـده ... لمّا تـسـاوى ثـغـره والـعـقـود

ومنها :

يـا سـاجر الأجـفـان واللحظ لـو ... قابلت مـوسى يوم حشر الجنود
غـلبـت بـالـلحظ عـصـاه ولم ... يخـر أهـل السحـر منهـا سجـود

ثم تخلص الشاعر الى مدح الإمام شرف الدين فقال :

جـاري من الجـور إمـام الهـدى ... أكـرم مـن زّفت عـليـه البـنـود
خـليـفـة الـرحمـن في ارضـه ... مـبـارك الوجه كـريـم الجـدود
بُـرٌ تـقـيٌ مـن بـني المـصـطفى ... إمـام حـق سـاعـدتـه الجـدود
قـالـت لـه الأيـام اذ أقـبـلت ... مـا احسن الوصـل عقيب الصدود
ولـيـسـت الـدنـيـا لـه بُـغـيـة ... ولـو بـدت في زي خـود خـرود
وإنمـا قـام لـنـصـر الهـدى ... بهـمـة مـا بـرحـت في صـعـود
فـأهـلك الـبـاغـين حـتى ثـووا ... واستبـدلـوا بعـد القصـور اللحـود
وأصبحـت صنـعـاء من عـجـبـهـا ... تـرفـل في مستحسنـات البـرود
فـقـل لمـولانـا إمـام الـورى ... أكـرم من سـارت اليـه الـوفـود
يـا شـرف الـدين وقيت الـردى ... ودمت تحـمي بـالحـداد الجـدود
لا غـرو أن سُـدْتَ جميـع الـورى ... مثلك يـا بحـر النـدى من يسـود
فضلك مـثـل الشـمس مشهـورة ... ليس لهـا من مشبـه في الـوجـود

إلى آخر القصيدة التي أورد الكثير منها المصدر (روح الروح) المذكور .

أمّا بقية المماليك الذين بقوا في صنعاء فإنهم خرجوا منها الى مصلى العيد بالقرب من مسجد فروة بن مسيك لمرادي برفقة الأمير المطهر بن شرف الدين، ومن المكان المذكور ركبوا خيلهم وساروا الى عمران وذلك في يوم عيد الأضحى من العام المذكور (٩٢٣ هـ) ، وكانت عمران ضمن نفوذ الأشراف الحمزات ، ومنها صاروا مع الحمزات بزعامة الشريف محمد بن عبد الله الشويع الحمزي ،والسيدعز الدين بن الحسن بن المؤيد يغيرون على مناطق نفوذالإمام شرف الدين في بلاد ثلا وبلاد البون من حاشد وغيرها ، ثم لحق آخر المماليك بأولهم حيث لحقوا بالمماليك الذين تمركزوا في زبيد حتى قدم الأتراك الى اليمن وبسطوا نفوذهم فيه لأول مرة في عام (٩٤٥ هـ) كما سنعلم في الفصل الخاص بحكم الأتراك الأول في اليمن .

هذا وسنتوقف عن احداث الأتراك مع الإمام شرف الدين حتى نأتي على احداث الإمام المذكور مع بقية امراء الأسرة الطاهرية الذين احتفظوا لهم بعد مقتل الملك عامر عبد الوهاب بنفوذ في المنطقة الشرقية والجنوبية وغيرهما كما سيأتي ..

الإمام شرف الدين مع بقية امراء آل طاهر

لمّا قتل الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر عام (٩٢٣ هـ) على ايدي المماليك في ابواب صنعاء كما علمنا سقطت الدولة الطاهرية بأيدي المماليك في صنعاء وتعز وزبيد وغيرها من المدن الكبرى .

ولكنه[١٠] بقي نفوذ لأمراء آل طاهر في المنطقة الشرقية بما فيها بلاد رداع وفي البلاد الجنوبية بما فيها عدن بزعامة الأمير (عامر بن داود آل طاهر) ، ثم اتسع نفوذ آل طاهر بعد انحسار نفوذ المماليك الى زبيد ، وامتد الى بلاد تعز بما فيها

(١٠) عيسى بن لطف الله في (روح الروح) ص ٥١ . وزبارة في ائمة اليمن ص ٤١٢ . والكبسي في اللطائف (مخطوط) .

مدينة تعز وحصنها والى بلاد اب وبلاد ذمار ، وساعد الطاهريين على ذلك انحلال معنوية المماليك باستيلاء السلطان (سليم بن بايزيد العثماني) على الشام ومصر بعد مقتل ملك المماليك في مصر (قانصوه الغوري) في عام (٩٢٣ هـ) أيضاً وولاء المماليك الذين في اليمن للأتراك ، وانسحاب المماليك من صنعاء الى زبيد ، وتأخر النفوذ الفعلي للأتراك في اليمن إلى عام ٩٤٥ هـ كما سنعلم .

كما ساعد الطاهريين على توسيع نفوذهم في اليمن أيضاً اشتغال الإمام شرف الدين بحروبه وولده المطهر مع الأشراف ومع مختلف القبائل في القسم الأعلى من اليمن وحتى بلاد برط ونجران ، كما سنعلم في الفصل الخاص بأحداث الإمام المذكور مع الأشراف الآتي بعد هذا .

ولمّا فرغ الإمام شرف الدين من حروبه مع الأشراف امر ولده الأمير المطهر بأن يتقدم بقواته من نجران الى بلاد رداع لحرب بقية امراء آل طاهر وذلك في عام (٩٤١ هـ) ، وجاء الأمير المطهر بقواته الذين حملهم على الفي ناقة من بلاد نجران الى بلاد رداع ، وقامت بينه وبين آل طاهر معركة (موكل) في بلاد عنس المجاورة لبلاد رداع والتي قاد قوة الطاهريين فيها الشريف (يحيى السراجي) الذي فاجأه الأمير المطهر بقواته وهو على غير استعداد للحرب ، بل ولم يعرف أنّ المطهر قادم اليه بقواته من نجران ، وسجل المطهر انتصاراً حاسماً على الطاهريين قتل في المعركة من قوتهم ثلاثمائة رجل ، وأسر منهم الفين وثلاثمائة مقاتل ، ثم أمر المطهر بقتل الف من الأسرى ، وهو راكب على بغلته حتى غطى الدم حوافرها كما ذكرت المصادر المذكورة ، وأرسل المطهر ببقية الأسرى وعددهم ألف وثلاثمائة الى والده الى صنعاء وحمّل كل أسير رأس قتيل من الألف والثلاثمائة قتيل ، وذكرت بعض المصادر انه أمر جنوده الذين أرسلهم مع الأسرى أن يقطعوا رؤوس الأسرى قبل ان يطل والده الإمام من نافذة قصره ، وأنه سقط رأسان مع كل اسير بعد قطع رأسه ، ولاقى قتل الأسرى استنكاراً عاماً في مختلف الأوساط اليمنية لمخالفته لمقتضيات العرف والشرع ، وان اباه الإمام استنكر ذلك ايضاً وقال : « اللهم إني أبرأ

اليك مما فعله المطهر » .

ثم واصل المطهر حربه لأمراء آل طاهر في بلاد رداع وفي المنطقة الشرقية ، والقى القبض على الأمير علي بن محمدبن عيسى البعداني وزير آل طاهر وجيء به الى المطهر الذي أعدمه بسبب فشله في اقناع حامية حصن الدارم في بلاد الشعيب بتسليمه إلى المطهر .

وكان الأمير[11] (عامر بن داود آل طاهر) اثناء تلك الأحداث في مدينة قعطبة ، وقد انتقل منها الى جبل التعكر في مخلاف جعفر ببلاد اب .

ولما تحول المطهر بن شرف الدين بقواته الى بلاد اب لبسط نفوذ والده فيها انتقل الأمير داود الى عدن واعتصم بها واستطاع المطهر ان يستولي على حصون المخلاف وعلى مدينة تعز وحصنها بعد ان غدرت حاميته بالأمير أحمد بن محمد آل طاهر الذي كان فيه ، والقت القبض عليه وأرسلته الى الأمير المطهر الذي أرسله بدوره الى والده في صنعاء ، وقد اعتقله الإمام مع عدد من امراء آل طاهر في سجن القصر وظلوا فيه بقية حياتهم ، ثم تقدم المطهر في عام ٦٤٢ هـ ، الى المنطقة الجنوبية بهدف الاستيلاء على عدن والقبض على الأمير (عامر ابن داود الطاهري ، ولكنه بسط نفوذ دولة ابيه على بلاد لحج وبلاد أبين دون ان يتمكن من الاستيلاء على عدن أو القبض على الأمير عامر .

وكان الإمام شرف الدين قد ولى على تعز وأعمالها الفقيه يحيى بن ابراهيم النصيري وكلفه ببناء سور تعز القائم اليوم من الطين والزابور ، وبدأ النصيري ببنائه في عام ٩٤٣ هـ وانتهى من بنائه في عام ٩٥٠ هـ .

أمّا الأمير (عامر بن داود فإنه أقام في عدن حاكماً لها حتى قدم الى اليمن سليمان باشا الأرناؤوطي المعروف بسليمان الخادم في عام ٩٤٥ هـ مجهزاً من قبل السلطان العثماني سليمان بن سليم بن بايزيد لحرب الإفرنج والبرتغاليين

---

(١١) عيسى بن لطف الله في (روح الروح) ص ٥٦ . ومحمد بن محمد الكبسي في اللطائف السنية (مخطوط) . ومحمد بن زبارة في (ائمة اليمن ص ٤١٤) .

ومطاردتهم من سواحل البحر الأحمر والبحر العربي والبحر الهندي ، وللتعريج على اليمن للتمهيد لبسط نفوذ الأتراك فيه ، وعرّج فعلاً على ساحل عدن ، وطلب من الأمير (عامر بن داود) استضافة بعض الجنود الأتراك المرضى ومعالجتهم ، ففعل الأمير عامر ذلك وأكرمه هو أيضاً الى مركبه ، ثم خرج الى السفينة التي هو فيها تلبية لطلبه ، وليتلقى منه الشكر على ما قدمه وليستمع الى التوجيهات التي يحملها من السلطان سليمان على حد ما جاء في رسالة الدعوة اليه ، وقد بيّت قتله باغراء من الإمام شرف الدين كما ذكرت المصادر ذلك ، ودون أن يعرف الأمير عامر بالأمر . ولمّا صعد الأمير عامر الى سفينة الباشا سليمان المذكور مع عدد من رفاقه قتلهم جميعاً وصلبهم على اعمدة السفينة ، وسنعلم المزيد من تفصيل الحادث في بداية الفصل الخاص بالتأريخ للحكم العثماني الأول في اليمن .

الإمام شرف الدين ومماليك زبيد

وفي عام ٩٤٣ هـ تقدم الأمير المطهر وأخوه شمس الدين والفقيه يحيى النصيري نحو زبيد في محاولة منهم لطرد المماليك المتمركزين فيها ، وكان أميرهم اسكندر مور قد مات ونصبوا احد كبارهم ويدعى احمد الناخوذة ، وقامت معركة بين الجانبين في وادي زبيد اسفرت عن انهزام المطهر وجيشه ، عزا المؤرخون ذلك الى تحويل المماليك مياه وادي زبيد الى ساحة المعركة ، واذا كانت ساحة المعركة هي للجانبين فهذا ليس السبب المباشر والوحيد لانهزامهم فيما أرى .

ويبدو أنّ لتفوق المماليك بالأسلحة النارية التي لم يتسلح بها اليمنيون آنذاك ، ولتعاون العديد من قبائل تهامة مع المماليك (وهم الذين تعاونوا معهم ضد آل طاهر) أثر في انتصارهم أي المماليك على الأمير المطهر بن شرف الدين ، وليس تحويل مياه وادي زبيد إلى ساحة المعركة وحده هو السبب في انهزام جيشه ، اضف الى ذلك الروح المعنوية التي كان المماليك يتحلون بها في تهامة (نقطة انطلاقهم الأولى) ولهم فيها أكثر من سند وعون .

الإمام شرف الدين والأشراف

بدأ[١٢] الإمام شرف الدين يصفي حسابه مع منافسيه من الأشراف ومع مختلف القبائل المناوئة له اثر انحلال معنويات المماليك بعد مقتل ملكهم قانصوه الغوري في الشام واستيلاء السلطان سليم بن بايزيد العثماني على الشام ومصر واليمن بالتالي ولو أنّ نفوذه الفعلي في اليمن تأخر ، وبعد انسحاب جمهرة المماليك من صنعاء الى زبيد وقبل دخول الإمام صنعاء .

وكان الأشراف الحمزات في مقدمة الأشراف المنافسين للإمام شرف الدين ، ولكنه قبل الدخول معهم في الحرب هادنهم كما هادن حليفهم الداعي ابن الأنف زعيم همدان صنعاء ، حتى تمّ له اخضاع عدد من القبائل التي اتسم خلافها له بالتمرد المنفرد دون ارتباط بعضها ببعض ، وتمّ للإمام اخضاع كل قبيلة على حدة ، ومنها قبيلة سنحان وقبيلة خولان العالية (خولان صنعاء) ساعده في كل ذلك بطش وجبروت ابنه المطهر قائد قواته ، لهم وضرب كل قبيلة بقبيلة اخرى على الطريقة التي اتبعها الأئمة عبر تأريخ حكمهم بسبب عدم وجود جيش نظامي وقوة حكومية لهم آنذاك يعتمدون عليهما .

وكان المطهر بن شرف الدين قد انتهج في حربه للقبائل سبيل الإرهاب وقتل الأسرى كما فعل مع اسرى موكل من بلاد عنس ، وخلف الأيدي والأرجل كما فعل مع قبيلة خولان .

وقد وقّع الإمام شرف الدين قبل القيام بحركاته الإخضاعية صلحاً مع اشراف الجوف الذين جمهرتهم من الحمزات ، عام ٩٢٥ هـ وذلك ليأمن جانبهم وحتى لا ينضموا الى الحمزات في الحرب التي يعتزم فتحها معهم ، ثم جهز ولده المطهر الى بلاد الطويلة على رأس جيش تمكن من اخضاعها وذلك في عام ٩٢٦ هـ واستولى على عدد من معاقلها .

وقام[١٣] هو من جانبه بالتقدم على رأس جيشه الى بلاد عمران التي

---

(١٢) و(١٣) عيسى بن لطف الله في (روح الروح) آنف الذكر من ص ٣٤ .

كانت المركز الرئيسي لـلأشراف الحمـزات آنذاك ، مبـرراً غزوه لهم بنقضهم للصلح الذي كان قائماً بين الجانبين ، وكان تحركه ذلك في عـام ٩٢٧ هـ ، وفي قـادة جيشه ولـده المطهـر ، وقامت حـرب بينه وبـين الحمزات اضـطرتهم الى الاعتصـام في مدينـة عمران وكـانت مسورة ، فضـرب الإمام عليهـا حصـاراً اضطرهم الى تجديد الصلح معه ، ويقضي بقيام هدنة مدتها ستة أشهر ، يتم خلالها الإتفاق على صلح يضمن ولاء الحمزات للإمام ، مقابل مناطق معينة يبقى لهم النفوذ عليها .

وتمّ الصلح على اطلاق الإمام بلاد البون وبلاد عيـال يزيـد للحمزات كقطعة لهم ، مقـابل ولائهم لـه وعدم قيـامهم بمناوئتـه أو مسانـدة مناوئيـه ، وحددت مدة الصلح بعشر سنوات .

كما عقد الإمام شرف الدين صلحاً مع الداعي ابن الأنف زعيم همدان اقطعه بموجبه بلاد همدان صنعاء واستثنى منها حصن فدة الذي يطل على وادي ظهر ، والذي كان مركزاً رئيسياً لولده المطهر بن شرف الدين ، وربما احتفظ به الإمـام لقواتـه كمركـز هيمنة منـه على همـدان وإثبات وجـود له في المنـطقة ، ولضمـان ولاء الزعيم الهمـداني ابن الآنف المذكـور للإمـام ، وحـددت مـدة الصلح كذلك بعشر سنوات .

وفور دخول الإمام صنعاء بعد انسحاب البقية الباقية من الممـاليك فيها عام ٩٣٢ هـ غادرها على رأس قواته الى بلاد حجة لإخضاعها وتم له ذلك ، واخضع وهو في طريقه اليها حصن كوكبان ، ورتب فيه قوة من عسكره ، وكان النفوذ في بلاد حجة لآل المؤيد ، وأثر عودته الى صنعاء استولى على حصن ذي مرمر في بني حشيش وأشعل الزينة في صنعاء ايـذاناً بـذلك لأهميـة الحصن في المنطقة .

وكان قضاء المماليك على آل طاهر قد وفرّ على الإمام شرف الدين جانباً كبيراً في سبيل توطيد حكمه في اليمن وهو جانب آل طاهر .

الإمام مجد الدين بن الحسن بن عز الدين

دعا[١٤] الإمامة بهجرة فللة من بلاد صعدة مجد الدين بن الإمام الحسن ابن عز الدين بن الحسن بن المؤيد وذلك في عام (٩٣٠ هـ) بعد وفاة أبيه في نفس العام ، وعارض الإمام شرف الدين .

وقد أجاب الإمام مجد الدين أهل بلاد شطب من بلاد سفيان وأهل بلاد السودة وبلاد الأشمور الجميع من اعمال حجة ، وملك حصن عفار كحلان في بلاد الأشمور .

وكان الإمام شرف الدين مشغولاً بحروبه مع قبائل همدان صنعاء وبني مطر وسنحان وخولان وغيرها من القبائل التابعة ادارياً لصنعاء ، فلم يدخل في حرب مع الإمام مجد الدين ، ولم يقو هذا على حرب الإمام شرف الدين وولده المطهر ولم يغادر بلاد صعدة .

ولمّا[١٥] فرغ الإمام شرف الدين من حروبه مع قبائل همدان ومن اليها وادرك ازدياد نفوذ الإمام المعارض بتحالفه مع الأشراف الحمزات الذين كانت لهم مراكز في بلاد صعدة ايضاً ، جهز ولده المطهر بن شرف الدين على رأس جيش كبير لحرب الإمام مجد الدين في بلاد صعدة ، واستطاع المطهر أن يستولي على صعدة بعد معارك عديدة بين الجانبين ، وقام كعادته بقطع رؤوس الأسرى ليرهب بذلك القبائل التي تساند مجد الدين ، وكان ذلك الإرهاب الذي انتهجه المطهر هو الوسيلة التي استطاع بها التغلب وبسط نفوذ دولة أبيه في اليمن ، الى جانب عوامل أخرى سلفت الإشارة اليها ، كإنحلال معنويات المماليك بمقتل ملكهم على يد السلطان سليم العثماني ، وتأخر النفوذ الفعلي للعثمانيين في اليمن ، وسقوط دولة آل طاهر في معظم انحاء اليمن على أيدي المماليك وغيرها من العوامل التي ساعدت الإمام شرف الدين .

---

(١٤) محمد بن محمد زبارة في (تاريخ ائمة اليمن) من ص ٤١ .

(١٥) روح الروح ، ص ٤٦ .

أمّا الإمام مجد الدين فإنه تخلى عن الأمر بعد ذلك ، وأقام في هجرة فللة الى موتـه في عام ٩٤٢ هـ .

وساعد تخليه الأمير المطهر على التوغل في بلاد صعـدة ، وفي بلاد بـرط وبلاد نجران وغيرها من المناطق الشمالية الشرقية ، وبسط نفوذ دولة أبيه شرف الدين فيها ، عن طريق القوة أو عن طريق الصلح كما فعل مع أهل نجران ، ومن بلاد نجران امر الإمام شرف الدين ولده المطهر بالتحرك على رأس قـواته الى بلاد ذمار فبلاد رداع فالمنطقة الشرقية لحرب بقية امراء آل طاهر فيها ، وكان ما علمنا عند التأريخ للأحداث التي قامت بينهما .

الحُكم العثماني الأول في اليمن ومعاصروه من الأئمة
(٩٤٥ ـ ١٠٤٥ هـ)
(١٥٤٨ ـ ١٦٣٣ م)

لمّا كان للإمام شرف الدين ولغيره من الأئمة الذين خلفوه احداث مع الأتراك اثناء حكمهم الأول في اليمن فإني سأشملها بفصل واحد منعاً لتكرارها .

أمّا الحكم العثماني الأول نفسه فقد بدأ منذ عهد السلطان سليم بن بايزيد العثماني الذي قضى على دولة المماليك في مصر والشام بعد مقتل ملك المماليك (قانصوه الغوري) في الحرب التي قامت بينهما عند (مرج دابق) من ارض الشام بالقرب من حلب ، وأقام دولته في الشام ومصر والسودان واليمن على انقاضها عام **٩٢٣** هـ كما علمنا في فصل آل طاهر ، إلا أنّ النفوذ الفعلي للعثمانيين في اليمن إنما بدأ في عهد ولده السلطان سليمان القانوني في عام **٩٤٥** هـ **١٥٤٨** م . حيث بعث حملة تركية بقيادة سليمان باشا المعروف بالخادم .

وقد تحدث عن ذلك المؤرخ عبد الصمد بن اسماعيل الموزعي العمراني قاضي الشريعة للأتراك في تعز فقال[1] :

« فلمّا احاطت العلوم السلطانية السليمانية بهذا الاختلاف الواقع في الديار اليمنية ، وجه السلطان سليمان من قبل حضرته العلية واعتابه السنية المحمية الوزير الكريم (سليمان باشا بجيوش عظيمة وعدد جسيمة الى الهند

---

(١) مخطوط وقد تناول فيه حكم الأتراك الأول في اليمن من عام ٩٤٥ هـ وحتى عام ١٠٣١ هـ .

لغزو الإفرنج (البرتغاليين) ، وأمر قائد الجيش الوزير الكريم سليمان باشا بالتعريج على اليمن ليصلح ما فسد منها ، ويطفىء تيار الفتن لكون السلطان عامر بن داود آخر ملوك آل طاهر في اليمن كان قد رفع الى الأبواب العالية بتغلب الإمام شرف الدين وولده المطهر على أكثر الديار اليمنية ، وطلب من حضرة السلطان سليمان أن يمده بعساكر سلطانية ، ليذبّ بهم الطائفة الزيدية ، وينصر بهم أهل السنة السنية ، مع بذل الطاعة للسلطان سليمان ، ودخوله تحت نصر سلطنة آل عثمان ، فعرّج سليمان باشا الوزير بعساكره حال ذهابه على عدن ، فهيّأ له السلطان عامر بن داود الضيافة وسائر انواع الاتحاف والإكرام ، وقد كان الإمام شرف الدين وولده المطهر جاءا لقتل عامر بن داود المذكور ، فلم يتمكنا من ذلك ، ولمّا بلغهما وصول باشا سليمان عدن كتبا اليه ان السلطان عامر مداهن للإفرنج ، وانه يريد يدخلهم عدن ، ونحو ذلك مما فيه اغراء وتحريض عليه ، (وما اشبه الليلة بالبارحة) فوقع كلامهما في قلب سليمان اشد موقع ، فأرسل الباشا سليمان المشار اليه الى السلطان عامر يصل اليه الى المركب للتفاوض فيما أمر به ، فخرج اليه الى المركب مع جماعة من اصحابه بالهدية الوافرة والتحف الفاخرة ، ولم يشعر بما قد صدر من الإغراء عليه من الإمام شرف الدين وولده المطهر ، وما قد ارتكب من الاغراء والإثم العظيم الكبير ، فلمّا وصل الى سليمان باشا وقد اشتدّ غضباً ولم يتحاشى ، اظهر له ذلك الكتاب ولم يقبل منه مراجعة ولا رد جواب ، لما قد أوغلوا فيه وحرضوه من الإقدام عليه ، فبادر سليمان باشا وصلب عامر على مباري المركب ، وقتل جماعته الذين معه ، وشنع في قتلهم وأعجب ، وما ذاك من الإمام شرف الدين وولده المطهر إلا من قبيل العداوة محاولاً بذلك قتله ، ليتمكن من أخذ اليمن كله ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً وأمر الله قدراً مقدوراً ، واستولى سليمان باشا على عدن وذلك سنة (٩٤٥ هـ » .

وقد أكد المؤرخ (عيسى بن لطف الله بن شرف الدين) في تأريخه[٢]

---

(٢) (روح الروح) منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٥٩ .

قضية الاغراء للباشا سليمان من كل من الإمام شرف الدين على الملك عامر ، ومن هذا على الإمام ، ولكن الباشا سليمان اقتدى بأسلافه واوقع بالملك عامر ابن داود ، يدفعه الى ذلك رغبته الجامحة في الاستيلاء على عدن التي يتمركز فيها الأمير عامر بن داود ، لأتخاذها أول منفذ للأتراك في البحر الأحمر ، وللتمركز فيها والانطلاق منها لبسط نفوذ الأتراك في اليمن .

واستولى فعلاً على عدن فور قتله للأمير عامر بن داود آل طاهر وذلك في عام (٩٤٥ هـ) ، ويعتبر ذلك بداية عهد الحكم التركي الأول في اليمن ، ونفوذهم الفعلي فيه كما أسلفت.

ثم أناب عنه رجلاً من الأتراك يسمى بهرام ، وتوجه هو الى الهند ، وعاد منها بعد فترة دون ان يحقق الهدف الذي من اجله قام برحلته العسكرية الى السواحل الهندية وهو طرد البرتغاليين من موانئها ومدنها الساحلية التي كانوا قد تمركزوا فيها .

ومن عدن اثر عودته من سواحل الهند غزا مدينة زبيد ، وتمكن من الاستيلاء عليها بمساعدة المماليك الذين كانوا قد تمركزوا فيها ، وأعلنوا تبعيتهم للحكم التركي ، وفي زبيد أناب عنه احد كبار الأتراك ويُعرف بمصطفى عزت باشا ، وغادرها عائداً الى تركيا ، وأضاف المصدر[٣] انه في مصر جوزي بما فعله بالسلطان عامر بن داود آل طاهر بقتله ، لأنه لم يرجع الى السلطان سليمان بن السلطان سليم في ذلك أو يرسله اليه .

ثم احتفظ الأتراك بنفوذهم على مدينتي عدن وزبيد واعمالها فقط من العام المذكور (٩٤٥ هـ الى عام ٩٥٣ هـ). أمّا ما عدا ذلك من مختلف المناطق اليمنية فإنّ الإمام شرف الدين استطاع ان يوطد نفوذه فيه .

الوزير أويس باشا

وفي عام (٩٥٣هـ)[٤] وصل الى اليمن بكرابكيا (والياً) فيه الوزير

(٣) و (٤) الموزعي في تاريخه (مخطوط).

اويس باشا ، واستولى على مدينة تعز ، بعد ان حثه الأمير المطهر بن شرف الدين على ذلك اثر خلافه مع أبيه وأخوته ، وارتفع عامل تعز للإمام شرف الدين الفقيه يحيى النصيري منها الى جبل صبر .

اتساع نفوذ الأتراك في اليمن

ومن ثمة اتسع نفوذ الأتراك في اليمن وامتدّ نحو الشمال حتى صنعاء وأعمالها ، وذلك بفضل الخلاف الحاد الذي قام بين الإمام شرف الدين وأولاده مع الأمير المطهر أكبر أولاده وكبير قادة جيوشه . إذ تحرك الباشا أويس من تعز نحو صنعاء ، وبالرغم من ان بعض جنوده اليمنيين الذين كان قد استخدمهم في جيشه قاموا بقتله في بلاد خبان .

ازدمر باشا

إلا أن أحد كبار قادة[٥] جيشه من الأتراك ازدمر باشا اضطلع بإدارة شؤون الأتراك في اليمن ، وواصل تقدمه نحو صنعاء ، وتمكن من الاستيلاء عليها في عام (٩٥٤ هـ) بعد خروج الأمير المطهر منها كما سنعلم بعد هذا .

أما والده[٦] الإمام شرف الدين فإنه كان قد ابتعد عنها في بداية تحرك الأتراك من تعز نحوها .

وكان خلاف[٧] الأمير المطهر بن شرف الدين مع والده ومع أخوته قد بدأ في عام ٩٤٧ هـ وكان أخوه الأمير شمس الدين أكثر اخوته عداء له ، وكان أبوه الإمام يميل اليه ويأخذ بآرائه ويفضلها على آراء المطهر في أكثر الأمور .

وكان[٨] الأتراك قد أوفدوا في العام المذكور حسن بهلول احد دهاة الأتراك الى الإمام شرف الدين لعقد صلح معه أو اغتياله أو أحد أولاده .

ولكن الموفد المذكور لم يفعل أكثر من توسيع شقة الخلاف بين المطهر

---

(٥) و(٦) المصدر السابق (الموزعي في تأريخه (الإحسان في دخول مملكة آل عثمان) مخطوط .
(٧) عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين في تأريخه (روح الروح) ص ٦٠ .
(٨) نفس المصدر ص ٦٢

وأبيه واخوته وعاد الى تركيا.

ولما سُئل فيها عن عدم قتله للإمام أو احد اولاده برّر عدم قتله للإمام بكبر سنه وفضله وثقته به وتقريبه منه ، وبرّر عدم قتله لأحد أولاده بعدم افساح المجال للأمير المطهر لو قتل اخاه شمس الدين الذي كان على رأس متنافسي المطهر . وبشدة حذر المطهر وحيطته مع هيبته وكثرة حراسه من خاصته مما حال دون قتله .

وقد[٩] برز الخلاف بين المطهر مع ابيه واخوته في عام ٩٥٣ هـ .

حيث قرّر الإمام الانتقال من الجراف القريبة من صنعاء الى حصن فدة المطل على وادي ظهر ، بسبب ظهور وباء الطاعون في صنعاء وضواحيها .

وكان حصن فدة المذكور بيد الأمير المطهر . فسمح لوالده بالإنتقال اليه على كره منه .

ثم حسّن الأمير شمس الدين لوالده الإمام تسوير قرية القابل وعمارة وتحصين جبل مرتد قبلي وادي ظهر ، الأمر الذي عمّق الخلاف بين الإمام وابنه الأمير شمس الدين وبين الأمير المطهر ، ولمّا نزل[١٠] المطهر ذات يوم لأداء صلاة الجمعة في قرية القابل أشعره احد خاصته بأنّ أخاه الأمير شمس الدين يعتزم القبض عليه عقب الصلاة بأن خطّ بأصبعه (أن الملأ يأتمرون بك) فنهض من فوره متظاهراً بالبصاق ، وبعث احد خدمه الى قائد عسكره في قلعة طيبة التي ينزل بها ، وهي مطلة على قرية القابل أيضاً يأمره بالإسراع مع بعض حرسه وعسكره اليه ، ولم يفرغ المصلون من اداء الصلاة إلا وعسكره خارج الجامع ، وخرج هو من الجامع وركب فرسه وعاد الى طيبة دون أن يمسه أحد بأذى .

ومازال الخلاف يشتد بينه وبين ابيه واخوته ، حتى انتقل هو الى مدينة ثلا

---

(٩) الحسن بن عبد الرحمن في (المواهب السنية) الجزء الأول (مخطوط).

(١٠) المواهب السنية (مخطوط) .

وعاد الإمام الى الجراف ، ومن ثلا بسط الأمير المطهـر نفوذه عـلى المناطق التي كان النفوذ فيها لأبيه في بلاد البون ، من حاشد وغيرها .

وأضاف المصدر[11] قـائلاً : « ولمّـا عـلم المطهـر بخلو الجراف إلا من الأشراف ، بعث حملة وافرة من العسكر ، وكتب الى رتبة طيبة أن ينضموا الى أولئك العسكر ، وأمرهم بقتال أبيه وإمامه ، وانتهاك مـا أوجب الله عليه من احترامه ، وهذا غاية العقوق ونهاية العصيان وقطع الحقوق ، فنعـوذ بالله من الغضب الذي يورث الإنسان سوء المنقلب » .

ثم ذكر وصول عامل حراز للإمام وهو النقيب مبـارك شعبان بعـدد من الجنود وقيامه برد عسكر المطهر ومنعهم عن العدوان على الإمام بعد ان انضم الى عامل حراز وجنوده عدد من المقاتلين من أهل الجراف وصنعاء وقيام معركة بين الجانبين قتل وأسر فيها عدد من عسكر المطهر .

وأظهر المطهر بعد ذلك خلافه لأبيه وكتب لأمراء أبيه بـالخروج عليـه ، قال المصدر[12] « ذكر الوالد « لطف الله » انه حدثه شيخه الفقيه عبد الله بن صلاح بن داعر قال : حدثني القاضي هادي التوهمي كاتب المطهر أنه ألزمه أن يكتب الى قبـائل اليمن في ليلة واحـدة ثمانـين كتابـاً يحثهم على الخـلاف على الإمام ، وكتب كتاباً إلى أويس باشـا يحثه عـلى الطلوع وأخـذ البلاد ، وكـان أويس باشا في زبيد ، فتحرك بقواته نحو تعز في عام (٩٥٣ هـ) واستولى عليها كما علمنا ، بعد أن أرتفع عنهـا عاملهـا النصيري الى جبـل صبر ، ولمّـا أدرك الإمام شرف الدين الخطر الداهم الذي يهـدد كيان دولتـه لا من قبل الأتـراك فحسب ، بل ومن قبل القبائل والمنـاطق اليمنية التي وجـدت في الخلاف بـين الإمام والمطهر متنفساً للإستقلال عنهما معاً ، أقنع[13] ولده الأمير شمس الدين الذي كان أكثر أخوته عداء للمطهر بضرورة استرضاء المطهر ، وبعث الإمام رسائله إلى المطهر يشرح له فيها خطورة الموقف ويسترضيه ، ويحثه على الـوئام وتوحيد الصف ونبـذ الأحقاد ، فلبى المـطهر طلب ابيـه مشترطـاً عليه تسليم

---

(١١) و(١٢) و(١٣) روح الـروح ص ٦٧ . و(ائمـة اليمن) من ص ٤٢٨ . والمـواهب السنيـة آنف الذكر (مخطوط) .

صنعاء وجميع الحصون بما فيها من عتاد وأموال ، وأستشهد بقول الشاعر :

واذا تكون كريهة أُدعى لها   واذا يُحاس الحيس يُدعى جندب

واجابه الإمام الى ذلك مستثنياً حصني كوكبان والعروس لولده الأمير شمس الدين ، وحصن ذي مرمر لولده الأمير علي ، وحصن كحلان تاج الدين وبني عشب في بلاد كحلان عفار لولديه الأميرين حسن ورضي الدين ، وانتقل الإمام بأهله من الجراف الى حصن كوكبان ، في حين تسلم المطهر وامراؤه جميع الحصون والمعاقل وولى عماله عليها وعلى المدن والمناطق في مختلف انحاء اليمن مما كان تحت نفوذ الإمام ، باستثناء الحصون التي استثناها الإمام لأولاده المذكورين ، وانتقل المطهر الى صنعاء وذلك في عام (٩٥٣ هـ) وضرب المطهر السكة باسمه ، وقبض على كثير من انصار ابيه واخيه شمس الدين وصادرهم ، وطلب من اخيه المذكور تسليم سوق الدعام في الجوف ، ومن اخيه عز الدين امير صعدة تسليم حصن الزاهر في بلاد الجوف ايضاً فسلما ذلك اليه وولى عليهما من قبله .

وبالرغم من تخلي[(١٤)] الإمام شرف الدين عن الأمر لولده المطهر ، وتنحي اخوته عن ولاياتهم ومناطق نفوذهم ، واستيلاء المطهر على جميع ذلك بما في ذلك صنعاء ، فإنّ الأتراك بقيادة (ازدمر باشا) الذي خلف (أويس باشا) توغلوا في اليمن يحثهم[(١٥)] الأمير علي بن الإمام شرف الدين على مواصلة تقدمهم والاستيلاء على صنعاء ، وتعهد لأزدمر باشا بالجامكية (نفقات الجنود) عاماً كاملاً كراهية منه لأخيه المطهر ، وتمّ لأزدمر باشا الاستيلاء على صنعاء ، من خندق باب شعوب بمساعدة قائد حرس الباب المذكور سعاد

(١٤) المواهب السنية وتاريخ الموزعي (مخطوطين)

(١٥) روح الروح ص ٧٢ . وكما سبق للمطهر تحريض الأتراك أثناء خلافه مع أبيه وأخوته ، على التقدم والاستيلاء على صنعاء فعل الأمير شمس الدين بعد استيلاء المطهر على الحكم وفعل الإمام شرف الدين قبل أولاده ذلك عند استدعائه المماليك الى اليمن للقضاء على نفوذ آل طاهر وإن كان قد حارب المماليك والأتراك بعد ذلك فالتصرف كان إذا تم وفقاً للمصالح الخاصة .

الغندري من أهل الرحبة وذلك في عام (٩٥٤ هـ) بعد انسحاب الأمير المطهر منها الى قلعة طيبة المطلة على وادي ظهر احد منتزهات صنعاء ثم انسحاب الحامية التي تركها المطهر في صنعاء بقيادة ابن اخيه صلاح الدين بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين اثناء اشتغال عسكر الأتراك بنهب صنعاء . وقد ندم المطهر على منعه لأهل صنعاء من تسليمها للأتراك مما سبّب نهبها من قبل الأتراك بعد استيلائهم عليها .

أمّا الباشا[١٦] أويس الوالي التركي فإنه كان قد قتل في بلاد خبان وهو في طريقه الى صنعاء وذلك من قبل بعض جنوده اليمنيين (الذين كان قد استخدمهم في عسكره) وبعض عسكره الأتراك عن مؤامرة دبرها معهم (حسن بهلول) الذي كان يطمح بأن يخلفه بعد قتله ، ولكن ازدمر باشا احد كبار قادة جيش أويس استطاع أن يجمع شمل الجيش وأن يضطر حسن بهلول الى الفرار نحو المطهر ليحمل اليه نبأ تدبيره مؤامرة قتل أويس باشا بهدف التقرب اليه ، ولكنه قتل في بلاد آنس على ايدي بعض اليمنيين وأوصل رأسه الى المطهر .

ولّما استولى ازدمر باشا على صنعاء تقدم الأمير عز الدين من بلاد صعدة على رأس قوة فيها الكثير من أشراف الجوف بهدف مساندة اخيه المطهر ، ووصل الى بلاد الظاهر من بلاد حاشد وكان النفوذ فيه للأشراف الحمزات المنافسين التقليديين لأبيه وأخوته ، وشدد وطأته على البلاد ، مخالفاً رأي اخيه المطهر الذي نصحه بالانتقال الى جبال عيال يزيد ليكون بالقرب منه حتى يتمكن من نجدته في حالة تعرضه من قبل الأتراك أو الحمزات ، وكان الأمير عز الدين شجاعاً إلا أنه ضعيف الرأي ، فلم يأخذ بنصيحة المطهر واصر على رأيه ، واضطر الحمزات الى طلب العون من ازدمر باشا ، الذي أمدهم بقوة حوّلت الموقف لغير صالحه أي الأمير عز الدين ، بل وحوّلت اشراف الجوف والكثير من جنوده الى صفوف الحمزات والأتراك ، وقامت معركة بين الجانبين

---

(١٦) تأريخ الموزعي والمواهب السنية المذكورين .

(١٧) المواهب السنية واللطائف السنية (مخطوطين)

سجلت الانتصار الحاسم لخصومه ، ولجأ هو الى حصن ظفار الظاهر في ذي بين ، الأمر الذي حمل ازمرد باشا الى الخروج من صنعاء بنفسه على رأس قوة عزز بها قوته لمحاصرة الأمير عز الدين في الحصن المذكور حتى اضطره الى تسليم نفسه اليه ، وعاد به ازدمر باشا الى صنعاء اسيراً ، ومنها أرسله الى مصر ، ولكنه مرض في ينبع وتوفي فيها قبل وصوله الى مصر .

وفي اثناء هذه الأحداث قدم الى اليمن(١٨) والياً عليه (مزهاد باشا) خلفاً لأويس باشا ، ولكنه لما وصل الى السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد العثماني رسول ازدمر باشا برسالته التي أحاطه فيها بما قام به من قيادة الجيش بعد مقتل أويس باشا واستيلائه على صنعاء صدرت أوامر السلطان سليمان باقراره على الولاية على اليمن وعودة مزهاد باشا الى تركيا .

ومن ثمة(١٩) طمع أزدمر باشا بالمزيد من تسجيل الانتصارات على المطهر ابن شرف الدين فتقدم لحربه ومحاصرته في حصن ثلا الذي يعتصم فيه ، وضرب حصن الناصرة المتصل بحصن ثلا المطل على مدينة ثلا ، وكاد يسقط في يده لولا استماتة واستبسال حاميته للمطهر .

ثم جرت مفاوضات انتهت بعقد صلح بين الجانبين في العام المذكور (٩٥٤ هـ) عاد الأتراك بعده الى صنعاء ، وقد(٢٠) نقض الأتراك الصلح في عام (٩٥٥ هـ) وتقدموا بقواتهم لحرب المطهر ، وعسكروا في بلاد البون من بلاد حاشد حيث انضم اليهم الأشراف الحمزات ، وتقدم المطهر بدوره على رأس جموعه وقامت حرب سجلت الانتصار الحاسم للمطهر ، وعاد الأتراك بعدها منهزمين الى صنعاء .

ولقد(٢١) ساء الأمير شمس الدين ابن الإمام شرف الدين انتصار اخيه

---

(١٨) تأريخ الموزعي المذكور

(١٩) روح الروح ص ٧٤ .

(٢٠) روح الروح ص ٧٥ . المواهب السنية واللطائف السنية المذكورين

(٢١) المواهب السنية (مخطوط) وروح الروح منشور وزارة الإعلام والثقافة من ص ٧٦ .

المطهر في حرب البون على الأتراك ، ووصل الى صنعاء يحث الأتراك على مواصلة حربهم للمطهر ، وعمارة القلاع وتحصينها ، وتعزيز المراكز العسكرية للأتراك في بلاد عمران وتقوية حامية عمران ، وعادت الحرب فعلاً بين الأتراك والمطهر وظلت من عام (٩٥٥ هـ) الى عام (٩٥٨ هـ) حتى سئمها الجانبان لأنها لم تحسم الأمور لصالح ايهما .

وفي العام المذكور (٩٥٨ هـ) اوفدت الحكومة التركية مصطفى باشا المعروف بالنشار للإشراف على عقد صلح بين الجانبين يضع حداً للحرب ، وبالرغم من المساعي التي قامت بينها فإن الحرب تجددت بين الطرفين في نفس العام المذكور وبعد وصول الباشا مصطفى المذكور وقيام المفاوضات وقبل أن تنجح المساعي في عقد الصلح ، ولم تحسم الحرب الخلاف كذلك.

وفي عام (٩٥٩ هـ) نجحت المساعي بعقد صلح ضمن للمطهر ما تحت نفوذه ، وضمن للأتراك الى ما هو تحت نفوذهم بلاد الطويلة وحصونها ، والتقى قادة الطرفين ازدمر باشا ومصطفى باشا والأمير المطهر بن الإمام شرف الدين في بلاد ثلا حيث تعانقا (المطهر وازدمر) بعد توقيع الصلح وأولم المطهر للأتراك في بلاد ثلا وليمة كبيرة عاد ازدمر بعدها الى صنعاء وعاد مصطفى باشا الى تركيا .

وقد مثل الجانب اليمني في المفاوضات الفقيه صلاح بن داعر والأمير الحسن بن محمد من بني الهادي .

ومثل الأتراك فيها احمد بن عثمان العمودي من كبار علماء الشافعية والناظر التركي بهرام دفتار دار والشريف ناصر بن احمد الحمزي ، وحضر توقيع الصلح الأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين الذي كان قد حسم ما بينه وبين اخيه من الخلاف وقال عند تعانق المطهر وازدمر قولته المشهورة وهي : (يا لهما من جبلان اصطدما وبحران ارتطما) أمّا الإمام شرف الدين فإنه كان آنذاك قد فقد بصره وانتقل من كوكبان الى ظفير حجة مكان مولده ودعوته والذي قضى فيه حياته الى موته في عام (٩٦٥ هـ) .

وقد تفرغ ازدمر باشا بعد توقيع الصلح لبسط نفوذ الأتراك في القسم

الأعلى من اليمن حتى بلاد صعدة وفي المنطقة الوسطى في بلاد ريمة وعتمة وغيرها وفي الجنوب حتى بلاد خنفر ، وفي الشمال الغربي حتى بلاد عسير والمخلاف السليماني ، وأقام في اليمن والياً عليه الى ان خلفته الحكومة التركية بالوالي مصطفى النشار آنف الذكر في عام (٩٦٣ هـ) .

وقد وصف(٢٢) المؤرخ الموزعي الوالي ازدمر باشا بقوله : « وكان يباشر الأمور بنفسه من غير ترجمان ، وبنى في خنفر قلعة عظيمة البنيان ، وسار بالناس سيرة مرضية ، وقد جهزه السلطان سليمان بن السلطان سليم بقوة الى الحبشة لحرب الإفرنج الذين كانوا قد استولوا عليها » .

الإمام احمد بن عز الدين وتخليه

كان الإمام شرف الدين في هذا التاريخ (٩٥٨ هـ) (كما علمنا) قد انتقل الى ظفير حجة من كوكبان بعد أن فقد بصره . ولمّا رأى اضطراب الأمور في اليمن وعدم كفاءة احد أولاده للامامة كتب(٢٣) الى الأشراف آل المؤيد المقيمين في بلاد صعدة يحثهم على مبايعة من يصلح للقيام بالدعوة ، وأشار مع ذلك الى مبايعة الشريف أحمد بن عز الدين بن الحسن بن الإمام عز الدين المؤيدي ، أو الشريف محمد بن الحسن بن احمد ، وبويع الشريف احمد بن عز الدين المذكور ، في هجرة فللة من بلاد صعدة في شهر صفر من العام المذكور (٩٥٨ هـ) ، واجابه أهل بلاد الأهنوم وبلاد عذر والسودة وعارضه الشريف محمد بن ناصر بن احمد الحمزي الجوفي ، وقامت حرب بينهما اسفرت عن استيلاء الجوفي على صعدة وانتقال الإمام احمد بن عز الدين الى الحرجة في بلاد صعدة واستقراره فيها متخلياً عن الأمر إلى وفاته في عام (٩٨٨ هـ) .

أمّا الشريف الجوفي المذكور فانه استمر مستولياً على صعدة حتى غزاه اليها الوالي التركي (ازدمر باشا) واخرجه منها ، وولى فيها الأمير اسكندر احد قادة الأتراك في اليمن .

---

(٢٢) في تاريخه (تأريخ الإحسان في دخول مملكة اليمن في ظل آل عثمان) مخطوط .

(٢٣) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٤٤٣ .

الإمام المهدي الحسن بن حمزة وتخليه

دعا[٢٤] الشريف الحسن بن حمزة من أولاد الإمام القاسم الرسي في بلاد شطب، من بلاد سفيان عام (٩٦٠ هـ) ، واجابه أهل الأهنوم وظليمة وعذر وانتقل الى بلاد حجور في بلاد حجة ، وعارضه الأمير المطهر بن الإمام شرف الدين ، وجهزّ لحربه في بلاد حجورهذه جيشاًاضطرهالىالرجوع الى بلادالأهنوم، وكان قد حفظ لديهم زكاتهم ، ولمّا عاد اليهم ودعاهم لمناصرته خذلوه ومنعوا عنه الزكاة التي امرهم بحفظها ، فأعلن تخليه عن الأمر ، وعاد الى بلاد شطب بعد ان اعاد المطهر بناء بيته الذي كان قد هدمه فيها وذلك بموجب صلح عقد بينهما ، واجرى له مع ذلك النفقات اللازمة ، ولم تطل مدة حياته حيث توفي بعد اشهر من عودته اليها ، وكانت وفاته في عام (٩٦١ هـ) .

استئناف الحرب بين المطهر بن شرف الدين والأتراك

تتابع والاة الأتراك على اليمن ، وكان كل والٍ منهم يقر الإتفاقية التي عقدها الوزير التركي مصطفى النشار مع الأمير المطهر عام (٩٥٩ هـ) ، وكان[٢٥] الباشا مصطفى النشار قد مرض في اليمن وتوفي في زبيد عام وصوله الى اليمن ، والياً عليه في عام (٩٦٣ هـ) وخلفته الحكومة التركية بالباشا مصطفى المعروف بابي رضوان ، وقدم الى اليمن في عام (٩٦٤ هـ) .

وخلفت هذا بعد اربع سنوات وثلاثة اشهر بالوالي محمود باشا ، وهو الذي استولى على حصن حب من علي بن عبد الرحمن النظاري بعد حصاره فيه سبعة اشهر حتى اضطره الى تسليم نفسه ومن معه بموجب امان اعطاه لهم الوالي محمود المذكور ولم يف[٢٦] مع ذلك بما أعطاه لهم من الذمة والعهد عند تأمينهم ، بل اعدمهم جميعاً .

---

(٢٤) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٤٤٨ .

(٢٥) تأريخ الموزعي آنف الذكر مخطوط .

(٢٦) المواهب السنية (الجزء الأول مخطوط) .

ووصل كل من الواليين مصطفى أبو رضوان فمحمود باشا صنعاء ، ولم يحدث بينهما وبين المطهر بن شرف الدين قتال ، بل أقر الجميع الصلح الذي عقده المطهر مع الوالي مصطفى النشار المذكور .

وكانت(٢٧) مدة ولاية الباشا محمود في اليمن ست سنوات وأشهر ، وهو الذي فتح باب موسى في مدينة تعز وبناه على ما هو عليه اليوم ، وكان محله باب صغير لعله منذ بناء الفقيه يحيى النصيري (عامل الإمام شرف الدين) لسور مدينة تعز ، ثم نقلته الحكومة التركية الى مصر والياً عليها ، وخلفته على اليمن بالوالي رضوان باشا بن مصطفى باشا ، وكان قدومه الى اليمن في عام (٩٧٣ هـ) .

وقد(٢٨) تجاهل (رضوان باشا) الاتفاقية المشار اليها مدة ، ثم بعث القاضي (صالح الكوراني) الى الأمير المطهر يطلب منه تعديلها ، فرفض المطهر ذلك ، وعمل الكوراني مع ذلك على توسيع شقة الخلاف بين المطهر والأتراك ، حيث حرّض الباشا رضوان على نقض الأتفاقية وحرب المطهر ، وقام الوالي التركي بتجهيز قواته لاخضاع بعض المناطق الخاضعة للمطهر ، ثم قامت حرب بين الجانبين اضطرت الباشا رضوان الى طلب عقد صلح جديد يضع حداً للحرب،وعقد في شهر رجب من العام المذكور (٩٧٤ هـ) ، وقد أضعف الجانب التركي وقوّى من معنوية اليمنيين وصول خبر موت السلطان سليمان بن السلطان سليم في بداية العام المذكور ، وكان الصلح المذكور في صالح المطهر حيث نص على بلاد اخرى له لم يشملها الصلح السابق ، كبلاد خولان وبلاد نهم وبلاد قيفة والحدا وبلاد ذي مرمر من بني حشيش وبلاد حراز وبلاد حفاش وملحان من بلاد المحويت ، وباطلاق الرهائن اليمنيين من قصر غمدان ومن مدينة عمران ، ووقف الجانبان عند الصلح المذكور الى ان عزل الباشا رضوان في شهر القعدة من نفس العام (٩٧٤ هـ)

ووصل الى اليمن خلفاً له (مراد باشا) على القسم الأعلى ، وحسن باشا

(٢٧) تأريخ الموزعي آنف الذكر مخطوط .

(٢٨) المواهب السنية (الجزء الأول و(روح الروح) الجزء الثاني ص ٤ .

على القسم الأسفل من اليمن ، وكانت الحكومة التركية[٢٩] قد قسمت اليمن الى ولايتين بواليين ، عملاً برأي الوالي السابق (محمود باشا) بهدف ضبط اليمن وكانت النتيجة عكسية ، اذ توزعت الجهود التركية ، وتمكن اليمنيون من التغلب على كل جيش في كل قسم من قسمي اليمن الأعلى والأسفل على حدة كما سنعلم .

فالوالي الجديد على القسم الأعلى لم يتمكن من الوصول الى صنعاء ، بل ولم تتمكن طلائع جيشه من الصمود في وجه طليعة جيش المطهر الذي التفّ حوله اليمنيون وحاربوا الأتراك على اعتبار انهم غزاة أجانب ، وأنّ حربهم واجبة ومقدسة ، ثم قامت معركة بين الجانبين عند ذراع الكلب من بلاد الحدأ انهزم فيها جيش مراد باشا ، وانسحب قافلاً الى تعز ، ولمّا كان في بلاد خبان هاجمه اصحاب المنطقة وغيرهم من اليمنيين وتغلبوا على جيشه ، ثم قتلوه وهو في عدد قليل من خاصته وانتهبوا اثقاله ، واحتزوا رأسه وأرسلوا به الى المطهر المحاصر لصنعاء ، وهو أرسله الى حاميتها المحاصَرة ، فانحلت معنويتها وطلبت من المطهر أن يتسلم صنعاء شريطة تأمينها ، فقبل منهم المطهر ذلك ، ووفى لهم بشروطهم ، وخرجت الحامية من صنعاء ولحقت بالأتراك الذين كانوا متمركزين في تعز ، ودخل المطهر صنعاء في شهر صفر من عام (٩٧٥ هـ).

كما واجه الأتراك الذين في تعز مقاومة من اليمنيين، وانقضوا عليهم وعلى ولاتهم في إكثر من مكان فيه ، واضطروهم الى التخلي عن مراكزهم وولاياتهم والتجمع في زبيد ، وبعث المطهر ولاته الى عدن وتعز ، وغيرهما من الأماكن التي كان للأتراك مراكز ونفوذ فيها .

ثم أمر[٣٠] المطهر عامله على تعز الشريف علي الشويع بعد ذلك بأن يزحف بقواته الى مدينة حيس وان يعسكر فيها دون ان يتقدم منها الى زبيد ، وذلك بهدف قطع المدد عن الأتراك ، ولتكوين جبهة امامية في وجه الأتراك قبل

---

(٢٩) روح الروح ج ٢ ص ١٠ . بتصرف ، وتأريخ الموزعي (مخطوط) .
(٣٠) نفس المصدر روح الروح ص ١٣ .

تعز ، ولكن الشويع تهوّر مخالفاً رأي المطهر وتقدم بقواته نحو زبيد ، مما اضطرّ الأتراك الى الاستماتة في الدفاع عنها ، ومباغتة الشويع وقواته وقتالهم وهم على غير استعداد للقتال ، فهزموهم بعد قتل الكثير منهم وانسحب الشويع بفلول قواته الى تعز .

في حين قويت معنوية الأتراكِ بانتصارهم ذلك ، وتقدموا بجموعهم نحو تعز لاستعادتها ، وتمكنوا من ذلك ، وكان ذلك في عام (٩٧٦ هـ) وارتفع الشويع الى قاهرة تعز وتحصن بها .

ولم تُجْدِ مع ذلك الجيوش التي بعثها المطهر بقيادة أولاده لطف الله وحفظ الله والهادي وصلاح تعزيزاً للقوة التي كان قد أرسلها بقيادة الأمير محمد بن شمس الدين ، لأن القيادة كانت للأمير محمد المذكور وكان شجاعاً،إلا انه كان ضعيف الدراية والتدبير ، وكان مع ذلك شحيحاً ، وادى كل ذلك الى انهزام قوات المطهر في وجه قوات الأتراك التي قادها عثمان باشا التي ارسلته الحكومة العثمانية خلفاً لمراد باشا الذي قتل في بلاد خبان .

وفي اثناء ذلك وصل الى اليمن الوزير (سنان باشا) والياً عليه جميعه خلفاً للواليين حسن باشا ومراد باشا ، واستطاع ان يستولي على قاهرة تعز بعد ان اذمّ على حاميتها .

ثم واصل تقدمه بجيوشه الكبيرة التي وصل بها من تركيا وبمن انضم اليها من القوة التركية المرابطة في اليمن نحو صنعاء ، واستولى عليها في شهر صفر من عام (٩٧٧ هـ) بعد ان خرج منها الى ثلا الأمير المطهر ، وقد أمر أهل صنعاء بتسليمها الى سنان باشا لئلا تتكرر بهم المأساة التي حلت بهم من السلب والنهب عند استيلاء ازدمر باشا عليها ، ودخلها سنان باشا دون ان يلقى بها مقاومة ودون ان يسيء هو وجيشه الى احد من أهلها .

ثم خرج منها لفوره لحرب الأمير المطهر في بلاد ثلا ، وكان المطهر قد تحصن في حصنها المطل على مدينة ثلا وعسكر سنان باشا بجيوشه في حوشان بالقرب من الحصن المذكور ، وضرب مع ذلك حصاراً شديداً على حصن

كوكبان المطل على مدينة شبام بعد استيلائه عليها ، وقامت بينه وبين اليمنيين اثناء تمركزه في حوشان ثمانون معركة كانت سجالاً بين الجانبين ، ثم استسلم الأمير محمد بن شمس الدين بن شرف الدين وسلم حصن كوكبان لسنان باشا بموجب صلح عقد بينهما وبدأت المفاوضات بين سنان والمطهر لعقد صلح يضع حداً للحرب ويقر الأوضاع في المنطقة ، الأمر الذي شجع الأمير المطهر على الركوب من حصن ثلا الى حصن كوكبان مع خاصته وعدد قليل من عسكره الى الأمير محمد بن شمس الدين ، فأحسن والي الحصن من الأتراك استقباله ، عملاً بوصية الأمير محمد بن شمس الدين المذكور ، وأطلقت المدافع عند دخول المطهر مدينة كوكبان ترحيباً به ، وانشد مخاطباً ابن اخيه عند لقائه به :

زرناكم لا نوآخذكم بجفوتكم   إنّ الكريم اذا لم يُستزر زارا

معاتباً له بذلك على قيامه بتسليم حصن كوكبان الى الأتراك وعقد الصلح مع سنان باشا قبل الرجوع اليه ، وأخذ رأيه في الموضوع .

أمّا الباشا سنان فإنه حين علم بوصول المطهر الى كوكبان كتب الى الأمير محمد بن شمس الدين يطلب منه حث المطهر على المضي في ابرام صلح اشمل بين اليمنيين والأتراك .

وقبل أن تنجح مفاوضات الصلح وصل الى اليمن والياً عليه (بهرام باشا) وذلك في شهر ذي القعدة من العام المذكور (٩٧٧ هـ) .

وعقد الصلح بين الجانبين في مدينة ذمار في شهر شعبان من عام (٩٧٨ هـ) ووقعه عن المطهر بن شرف الدين شمس الدين بن جحاف ، كما وقعه عن الحكومة العثمانية الباشا سنان باشا وخلفه الباشا بهرام باشا ، اللذان حضرا عقده ، وكان من بنوده اعتراف الجانب اليمني للأتراك ببلاد صعدة وببلاد نهم وبلاد خولان وحصن ذي مرمر واعماله في بلاد بني حشيش ، وان يعيد كل جانب الى الآخر الفارين منه ، وان يضع الأتراك حاميات لهم في بعض حصون بلاد صعدة ، تأكيداً لاعتراف الجانب اليمني بولاية الحكومة العثمانية على المنطقة ، وان تكون جامكياتها (نفقاتها) من الحكومة العثمانية ، وقد فاوض

الأتراك من مركز قوة كما يبدو .

ثم أقام الوالي الجديد (بهرام باشا) في قرية (ملحطة) من بلاد ذمار لتوسطها بين قسمي اليمن الأعلى والأسفل ، ومدنها وبنى فيها جامعاً كبيراً وولى على صنعاء نائباً عنه .

وفاة المطهر بن شرف الدين وتنازع الأشراف الحكم بعد موته

وقد[٣١] توفي الأمير المطهر بن شرف الدين في شهر رجب من عام (٩٨٠ هـ) عن اثنتين وسبعين سنة من مولده، وشيعه اتباعه الى مثواه الأخير على عربة مدفع ، وعسكره بالملابس العسكرية .

ورثاه الكثير من الشعراء ومنهم السيد محمد بن عبد الله بن شرف الدين حيث رثاه بقصيدة تزيد على مائة بيت مطلعها :

آح ولا غرو اذا قلت آح   طرف سفوح وفؤاد جراح
ما اسمج الدنيا وأبناءها   بعد خضم الجود ليث الكفاح
مطهر خير ملوك الورى   مروى السمر وسمر الرماح

ولقد وجد الطامعون في الحكم متنفساً للوصول اليه ، وبسط عدد من ولاة الأشراف في القسم الأعلى من اليمن ايديهم على ما تحت ولاياتهم ، وصار مع ذلك كل أمير لا يعترف بالأمير الآخر ولا يرتبط معه بأي رابط سياسي أو اداري أو عسكري ، مما قسّم البلاد وأتاح للقبائل فرص التمرد والخلاف على الولاة أنفسهم ، وقامت حروب بين الأمراء والقبائل في مناطق عديدة ، وبين الأمراء أنفسهم ، واضطربت الأمور في القسم الأعلى ، وتزعزع الأمن والاستقرار في ربوعه .

وقام مع[٣٢] ذلك دعاة آخرون من الأشراف كالسيد علي بن ابراهيم بن

---

(٣١) روح الروح ج ٢ ص ٣٨ .

(٣٢) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٤٧٦ .

علي بن محمد بن صلاح بن محمد بن احمد من أولاد القاسم الرسي وعُرف بالعابد .

والسيد علي بن ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن علي بن المهدي بن صلاح ابن علي بن احمد من أولاد القاسم الرسي أيضاً ، وعُرف بالعالم ، وقد ادعى كل منهما الحسبة في بلاد الشرف من أعمال حجة ، واتفقا بالاسم ، ويبدو انهما تلازما ولم يفترقا حتى تخليا عن الأمر ، وكانت حركتهما اساساً هي ضد جور الفتى مرجان شاوش مولى المطهر وعامله على المنطقة ، وقد حاربهما مرجان وهزمهما وأنهى حركتهما .

كما اختلف الأمير[٣٣] علي بن يحيى بن المطهر بن شرف الدين مع الأمير عبد الرحمن بن المطهر والأمير عبد الله بن المطهر ، واختلف علي بن يحيى بن المطهر أيضاً مع محمد بن الناصر ، الذي استعان بالوالي التركي (بهرام باشا) وساند آل شرف الدين المختلفين فيما بينهم امراء آخرون من الأسرة وغيرها ، واختلف القبائل فيما بينهم، مما ضاعف من اضطراب القسم الأعلى من اليمن .

كما ثار الأتراك في قرية ملحطة على الوالي بهرام باشا وحاصروه ، ولم يخرج من الحصار إلا عند قدوم نائبه على صنعاء محمود باشا .

ثم قدم الى اليمن في عام ٩٨٣ هـ والياً عليه (مصطفى باشا) خلفاً لبهرام باشا ، ولكنه توفي في بندر البقعة من بلاد زبيد فور وصوله الى اليمن ، وقبل ان يغادر سلفه بهرام باشا اليمن ، مما اضطره الى البقاء في اليمن حتى قدم الوالي الجديد (مراد باشا) ، والذي كان قد عمل في اليمن مع الوالي (محمود باشا) ، قال الموزعي في تأريخه « ولّما وصل ركابه السعيد الى محروس زبيد اقام بها أياماً قلائل ، ثم تقدم الى محروس تعز بالخير والبركة والعز ، ونصب مخيمه الشريف بحوض الأشراف ، وأقام هناك مدة أربعة أشهر ، ثم وجه ركابه المبارك الى صنعاء ، وأقام فيه أياماً عاد بعدها الى تعز واتخذها دار اقامة له

---

(٣٣) روح الروح ج ٢ ص ٣٠ .

ومركزاً لإدارة ولايته ، وهو الـذي بنى الصرحـة الكبيرة المحيـطة بتربـة الولي الشهير (احمد بن علوان) في مدينة يفرس من أعمال تعز .

الإمام الناصر الحسن بن علي بن داود

دعا(٣٤) الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل في قرية الهجر اسفل جبل الأهنوم في عام (٩٨٦ هـ) وتلقب بالناصر ، واكتفى من الأمراء آل شرف الدين بالاعتراف به عند دعوتـه ، ولم يحاول مـد نفوذه الى مناطق نفوذهم في بلاد حجة وغيرها ، ولكن الحال لم يلبث ان تبدل بينهم وبينه الى خلاف وعداء سافرين اديا الى نشوب حرب بين الجانبـين ، ما كانت تخبو نارها حتى تضطرم من جديد ، وسفكت فيها دماء غالية من اليمنيين الذين هم عادة وقود الحرب بين الطامعين في التسلط والحكم .

وقد استمرت الحرب التي انضم في بعضها السيد احمد بن الحسين المؤيد صاحب صعدة الى آل شرف الدين ضد الإمام المذكور .

حتى جاء الوالي التركي الوزير حسن باشا ، وتمكن من القبض على الإمام المذكور ، وعلى أربعة من أولاد المطهر بن شـرف الدين وهـم لـطف الله وعلي وغوث الدين وحفظ الله ، وارسلهم الى تركيا في عـام ٩٩٤ هـ حيث اعتقلوا فيها ، وكان ذلك آخر العهد بهم ، اذ توفوا جميعاً فيها .

كما قبض الوالي التركي جعفر باشا بعد ذلك على الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر بن شرف الدين الى تركيا ، وأرسله الى مصر ولكنه توفى قبل وصوله اليها .

وكان مما ساعد الأتراك على الأشـراف هو اختلاف هؤلاء فيما بينهم وحـرب بعضهم لبعض ، وانتهاء عدد من الأشراف الى الأتراك ضد البعض الآخر كما علمنا .

---

(٣٤) و(٣٥) ائمة اليمن ص ٤٨٧ ٤٩٨ .

وكـان ولاة الأتراك قـد تتابعـوا على اليمن بعـد سنان بـاشا عـلى النحو الآتي :

بهرام باشا ، فمصطفى باشا ،فالمشير مـراد باشا، فالوزير حسن والذي دامت ولايته في اليمن خمسة وعشرين عامـاً وبضعة أشهـر ، ومن آثاره جـامع البكيرية المعروف بالقرب من قصر السلاح في صنعاء ، وقبة الحسينية في تعز ، والمقدم القبلي الغربي في الجامع الكبير بمدينة اب واسمه مكتوب على لوح خشبي في واجهة المصلي الى اليوم .

الإمام المتوكل عبد الله بن علي المهدي

دعا[٣٥] عبد الله بن علي بن الحسن بن الإمام الهادي عز الدين المؤ يدي في بلاد صعدة عام ٩٩٤ هـ ولقب بالمتوكل ولكنه تخلى للإمام القاسم بن محمد بعد دعوة هذا وولي له اعمال بلاد صعدة ثم اختلف معه ووالى الأتراك ، وقد توفي الإمام المتوكل المذكور في عام ١٠١٧ هـ ، وبه انتهت الدولة الزيدية الثانية وبالقـاسـم بن محمد تبدأ الدولة الزيدية الثالثة والأخيرة في اليمن .

---

(٣٥) أئمة اليمن ص (٤٨٧ و٤٩٨) .

عرض عام للدولة الزيدية الثانية

الناحية السياسية

اتَّبَعْتُ بعض[1] المؤرخين في تعريف حكم الأئمة الزيدية الأول في اليمن بالدولة الزيدية الأولى فيه ، وقد بدأت هذه الدولة بالإمام الهادي (يحيى ابن الحسين بن القاسم بن ابراهيم) الذي دعا في عام (٢٨٤ هـ) وانتهت بالإمام (أبي الفتح الديلمي) الذي قتل في حربه مع الملك (علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٤٤ هـ) .

وأَتَّبَعْتُ تلك الدولة بعرض عام وعلى النحو الذي اتّبعته في جمع الدول والإمارات اليمنية في نهاية التأريخ لها . ولمّا كان أول امام بعد الإمام ابي الفتح الديلمي هو (حمزة بن أبي هاشم) الذي كانت دعوته في عام (٤٥٢ هـ) فإن الدولة الزيدية الثانية قد بدأت به ، وانتهت بالإمام المتوكل عبد الله بن علي المهدي الذي دعا في عام (٩٩٤ هـ) ثم تخلى للإمام القاسم بن محمد ، مؤسس دولة بيت القاسم ، وهي الدولة التي تعتبر الدولة الزيدية الثالثة والأخيرة في اليمن والتي انتهت بحكم (آل حميد الدين) .

لأن لهذه الدولة الزيدية الثالثة طابعاً يميزها وهو امتدادها الى مناطق أوسع في اليمن مما امتدت اليه الدولة الزيدية الثانية والدولة الزيدية الأولى ، اذ أنّ نفوذ هاتين الدولتين الأولى والثانية من حكم الأئمة اقتصر على القسم الأعلى من اليمن ، باستثناء فترات قليلة من حكم الإمام شرف الدين الذي امتدّ فيها الى

---

(١) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٦ .

القسم الأسفل من اليمن والى المناطق الغربية والشرقية والجنوبية فيه ، وقد ساعده على ذلك أمور أهمها :

١ ـ قضاء المماليك على دولة آل طاهر ، الأمر الذي جنبه جبهة داخلية كانت ستعوقه عن مد نفوذه الى مناطق نفوذهم .

٢ ـ سقوط دولة المماليك بعد مقتل ملكهم في الشام (قانصوه الغوري) على يد السلطان سليم بن بايزيد العثماني ، وانحلال معنوياتهم ، في اليمن وانسحابهم من صنعاء ومن كثير من المناطق اليمنية الى زبيد ، الأمر الذي وفّر على الإمام شرف الدين الجهد والوقت في حربه معهم ، وازال من أمامه عائقاً اكيداً في سبيل مد نفوذه الى المناطق التي كانوا قد بسطوا نفوذهم عليها .

٣ ـ تأخر بسط النفوذ الفعلي في اليمن للأتراك الى عام ٩٤٥ هـ كما علمنا .

وكما اتسمت الدولة الزيدية الأولى بالاضطراب وعدم الاستقرار في منطقة نفوذها وهو القسم الأعلى من اليمن، كذلك اتسمت الدولة الزيدية الثانية بالاضطراب وعدم الاستقرار في منطقة نفوذها وهو القسم الأعلى نفسه ، وذلك بسبب عدم ولاء واخلاص اليمنيين للأئمة الزيدية بصورة ثابتة ودائمة ، بل ومناوأة الكثير من اليمنيين لحكمهم وعدم الرضوخ لهم كما عرفنا .

وكما نافس الدولة الزيدية الأولى امراء وسلاطين كآل يعفر الحميريين ، وآل الضحاك الحاشديين ، ودول اخرى كدولة الفاطمية ممثلة بدولتها الأولى في عهد داعيتيها علي بن الفضل اليمني والحسن بن زادان الكوفي ، وبدولتها الثانية ممثلة بالصليحيين وآل زريع .

كذلك نافس الدولة الزيدية الثانية امراء وسلاطين ودول كبرى ، ومنهم الصليحيون وآل زريع أيضاً ، ثم خلفاء الصليحيين في القسم الأعلى وهم (آل حاتم) الهمدانيون ، ثم دولة الأيوبيون ، فدولة بني رسول ، فدولة بني طاهر فالمماليك، فالأتراك كما علمنا .

اذ كان حكم الأئمة مع كل هؤلاء في مد وجزر ، بحكم قوة أو ضعف حكم الأئمة وحكم الدول والامارات المنافسة لهم .

اضف الى ذلك كله تنازع الأئمة فيما بينهم ، وتناحرهم على السلطة والحكم وحرب بعضهم لبعض ، الأمر الذي ضاعف من حالة الفوضى والاضطراب في مناطق نفوذهم ، واللذين وفرّ مناخهما المذهب الزيدي الذي يقضي بجواز تعدد الأئمة في وقت واحد واقليم واحد في سبيل قيام الأفضل ، وبوجوب الخروج على الظلمة والذي استغله الكثير من الأئمة لغير ما ذهب اليه ، وأبعدوا به عن مراميه وأهدافه من ازالة القيود وكسر الحواجز دون تحكم الظلمة من الأئمة والحكام .

الناحية الاقتصادية

ولقد كان قلق حكم الأئمة وعدم استقرارها في دولتها الثانية من أهم عوامل انهيار الاقتصاد القومي والحكومي . فاذا قام بعض الأئمة بهدم مزارع القبائل المناوئين لهم وقلع اعنابهم وغروس فواكههم كما كان يحدث في بعض الأحيان ، فإنّ ذلك عامل آخر يضاف الى عوامل انهيار الاقتصاد القومي والحكومي وتردي الأوضاع ، ودون تحقيق للهدف الذي يقصدونه من وراء اتخاذه ، وهو اخضاع القبائل واصلاح الأوضاع .

وقد علمنا أنّ الاقتصاد القومي كان يعتمد اساساً على الزراعة ، وانها كانت العمود الفقري والمصدر الأساسي للموارد بالنسبة للدولة وللمواطن معاً .

وهناك مصادر رزق اخرى أقلّ شأناً من مصدر الزراعة كالتجارة والصناعة اليدوية والحرفية والتعدين في بعض المناطق وفي بعض المعادن لإنتاج أدوات الزراعة والحرب والأثاث المنزلي .

وبالطبع وكما هو في كل زمان ومكان فإنّ الزراعة والتجارة وغيرهما من الأعمال الأخرى تنشط وتزدهر في ظل الاستقرار والأمن ، وتتخلف وتركد

حينما تضطرب الأحوال ويسود فيها القلق والخوف والحرب والخراب والدمار .

الناحية الاجتماعية

تقوم البنية الاجتماعية في اليمن عموماً وليس فقط في منطقة نفوذ الأئمة وهو القسم الأعلى من اليمن على الفئات التقليدية ، كفئة العلماء والفقهاء والأدباء ، وفئة التجار ، وفئة أهل الحرف اليدوية والصناعية ، وفئة القبائل ، وكانت هذه الفئة هي الفئة السائدة في الريف .

أمّا الزراعة فيمتهنها جميع الناس بشكل عام وعلى اختلاف فئاتهم .

وقد زادت منذ دخل حكم الأئمة في اليمن فئة اسرهم ، والتي عرفت بفئة الأشراف ، ولقب الفرد منهم بالشريف أو بالسيد كلقب وراثي .

حكمه حكم لقب قاضي الذي يتوارثه في اليمن ابناء الأسرة التي ولي احد آبائها أو اجدادها منصب القضاء الشرعي ، وإن لم يل خلفه ذلك المنصب .

وقد بدأت هذه الألقاب الوراثية تنمحي عند قيام الثورة اليمنية ، ولم يعد النشء يحفل بها أو يحافظ عليها ، ومن تلك الألقاب الوراثية التي بدأت تنمحي بين الناشئة التي تتزود بالعلم لقب (نقيب) بالنسبة لقبيلة بكيل ، ولقب (شيخ) بالنسبة لغيرها من ابناء رؤساء القبائل الأخرى .

أمّا الناحية الثقافية فإنها كانت مقصورة في عهد الدولة الزيدية وفي منطقة نفوذها في القسم الأعلى من اليمن على علوم العربية وعلوم الشريعة ، ومنها الفقه الزيدي ، أو بالأصح الهادوي ، منذ ادخله الى اليمن الإمام الهادي يحيى ابن الحسين بن القاسم بن ابراهيم .

كما أنّ المذهب الكلامي في منطقة نفوذهم كان المذهب الشيعي ، وهو يختلف عن المذهب الكلامي السني الذي تعتنقه المناطق التي تتمذهب في الفروع بالمذهب الشافعي أو الحنفي ، ولم ينتشر المذهب الحنفي إلا قليلاً في بلاد تهامة وفي مدينة زبيد بالذات .

ومع ذلك كله فإنّ اختلاف اليمنيين في المذاهب الفروعية أو الكلامية ليس عامل تفريق وتمزيق كما تفعله الطائفية بين ابناء الشعب الواحد في غير اليمن ، فاليمنيون كلهم مسلمون لا طوائف بينهم ، ومن الإسلام تأخذ كل المذاهب الإسلامية آراءها ومذاهبها .

ولم يفرق اليمنيين إلا اختلاف زعمائهم الطامعين في السلطة والحكم ، وتعدد اغراضهم وأهوائهم واتخاذ اليمنيين ادوات ووسائل لتحقيق اغراضهم ومطامعهم ، حتى يقتل الرجل اخاه ، والإبن اباه ، والمرء قريبه ورحمه .

الدولة الزيدية الثالثة
ومعاصروها من الأتراك
(١٠٠٦ - ١٣٨٢ هـ)
(١٥٩٨ - ١٩٦٢ م)

لمّا كان القاسم بن محمد مؤسس الدولة الزيدية الثالثة والأخيرة في اليمن قد دعا أثناء الحكم التركي الأول في اليمن وبالذات أثناء ولاية الوزير حسن باشا الذي دامت ولايته في اليمن خمسة وعشرين عاماً .

وتجنباً لتكرار الأحداث التي قامت بين هؤلاء وبين معاصريهم من أئمة الدولة الزيدية الثالثة المذكورة .

ووفقاً للنهج الذي انتهجته في ترتيب فصول الكتاب ، فإني بنيت هذا الفصل لهما معاً .

الإمام القاسم بن محمد

وقد[١] بدأت هذه الدولة بمؤسسها القاسم بن محمد بن علي بن محمد ابن علي بن الرشيد بن احمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم بن يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر احمد بن

---

(١) المواهب السنية آنف الذكر (مخطوط) والقاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في (المقتطف من تاريخ اليمن) من ص ١٤٢ . مطبعة دار احياء الكتب العربية ، وأميرة علي المداح في (العثمانيون) والإمام القاسم بن محمد من ص٤١ . عن مطهر الجرموزي في (النبذة المشيرة) في سيرة الإمام القاسم وعن الشرفي في (اللآلىء المضيئة) وغيرهم .

الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم .

وقد دعا الإمام القاسم بن محمد في المحرم من عام (١٠٠٦ هـ) (١٥٩٧ م) في جبل جديد قارة من بلاد الشرف .

وكان قد وُلد في بلاد الشاهل من بلاد الشرف حيث كان يقيم والده الذي كان يعمل في جيش الأمير المطهر بن شرف الدين ، ومن الجبل المذكور بث رسله ورسائله الى مختلف القبائل اليمنية في القسم الأعلى من اليمن . وكانت رسائله تندد بمسلك الأتراك وبخروجهم عن الدين ، الأمر الذي جمع الكثير من اليمنيين على الولاء له ، وقد حاول الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن المطهر بن شرف الدين عامل الأتراك على بلاد حجة القبض عليه وحربه ، فامتنع الإمام القاسم في الجبل المذكور ، فأعلم الأمير عبد الرحيم الوزير حسن بالأمر ، وكان في الروضة ، فقوّض خيامه ودخل صنعاء للإعداد لحرب الإمام .

ومنها جهز عدة حملات بقيادة عدد من الأتراك ومن الأشراف وغيرهم من اليمنيين الموالين للأتراك ومنهم : عبد الله المعافا ، وعبد الله بن المطهر بن شرف الدين ، والمطهر بن الشويع ، والكيخيا سنان ، وامتدت الحرب بين قوات الأتراك والقبائل التي اعلنت ولاءها للإمام القاسم من عمران الى رأس نقيل عجيب في بلاد البون من حاشد ، وفي غيرها من مناطق القسم الأعلى من اليمن بما فيها بلاد شرف حجة التي انطلق الإمام في دعوته منها .

وكانت الحرب سجالاً بين الجانبين ، ثم سجلت الانتصار لليمنيين ، وانهزم جنود الأتراك الى عمران بعد ترك عتادهم وأحمالهم غنيمة لليمنيين ، وفي اثناء تلك الحرب حوصر الأمير عبد الله بن المعافا امير السودة فيها سبعة أشهر أضطرّ بعدها الى تسليم نفسه لقوات الإمام، ثم اعلن ولاءه للإمام ودخل الإمام السودة بعد ذلك ، وأقام فيها فترة غادرها بعدها الى بلاد الأهنوم من حاشد واتخذ مدينة شهارة مركز اقامته لمناعتها ، لأنها عبارة عن مدينتين تعرف احداهما بشهارة الأمير نسبة الى الأمير محمد بن جعفر بن قاسم العياني ، والأخرى

بشهارة الفيش ، وكلا المدينتين في اعلى جبلين بينهما شطر طبيعي يبلغ عمقه نحو مائتي متر ، وكانت لهما طريق واحدة فقط للوصول اليها ، عبر جسر ما يزال قائماً ، يعبره الصاعدون اليها اليوم على الأقدام ، وقد شق اليها طريق للسيارات في عهد الثورة المباركة .

ومن ثمة اتسعت البلاد التي والت الإمام القاسم وامتدت من خولان صنعاء الى صنعاء ، ومنها الى نجران ، وسقطت عدة حصون منيعة بأيدي قوات الإمام بما فيها حصن ثلا المنيع وغيره ،أمّا حصن كوكبان فإنّ عامله للأتراك السيد احمد بن محمد آل شرف الدين صمد فيه ، وسانده الكيخيا سنان الذي جاء اليه من بلاد الحيمة بعد سقوط حصن ثلا ، واستطاع أن يدعم قوات السيد احمد بن محمد شرف الدين في المنطقة .

وبالرغم من ذلك فقد احاطت القبائل الموالية للإمام بصنعاء ، بعد سقوط مدينة ذمار بأيديهم ،واضطرّالوالي حسن باشا الى استدعاء الكيخيا سنان مع قواته لفك الحصار عن صنعاء ، واستطاع ذلك كما احاطت قوات الإمام بحصن الطويلة وبمدينتها وبمدينة صعدة وغيرها ، يدفع اليمنيين الى مساندة الإمام تذمرهم من حكم الأتراك ، وتضررهم من ولاة المناطق ، ولم تُجدِ الأتراك معداتهم الثقيلة واسلحتهم الكثيرة والتي لم يكن اليمنيون يملكون إلا القليل منها مما غنموه من الأتراك .

واضطر الوالي حسن باشا الى طلب العون من الحكومة العثمانية ، التي انجدته بوالي الحبشة الباشا علي الجزائري بقواته ، وكانت له معرفة بشؤون اليمن وبلاده منذ ولاية والده فيه ، ثم ولايته فيه بعد والده في المنطقة الوسطى ريمة ووصابين وما اليها ، في اثناء ولاية الوزير حسن باشا نفسه ، واستطاع الأتراك بذلك المدد ان يعززوا مراكزهم في اليمن ، وان يفرضوا مع ذلك حصاراً شديداً على الإمام وهو في شهارة منذ بداية شهر شوال من عام ١٠٠٩ هـ (١٦٠١ م) ،وأضطروه الى الخروج منها ليلاًبعد احد عشر شهراً من الحصار ومعذلك فلم يتمكنوامن الاستيلاء علىشهارة ،وظلوا محاصرين لها نحو عامين

اضطروا الأمير محمد بن الإمام القاسم وأخاه أحمد الى تسليمها وتسليم انفسهما الى الأتراك بموجب شروط وفوا لهما بها ، ومنها خروجهما بأسلحتهما ومن معهما من كبار رجال والده المحاصرين معهما ونقلهم الى حصن كوكبان وحفظهم فيه ، وكان تسليم شهارة للأتراك في بداية شهر المحرم من عام ١٠١٢ هـ (١٦١٤ م) .

أمّا الإمام القاسم فانه انتقل بعد إنسحابه من مدينة شهارة الى بلاد برط ، وحفر في موضع فيه بئراً وبنى مسجداً وسماه الهجرة حيث صار يأوي اليه انصاره ، اثناء استعادة الأتراك لنفوذهم ، ثم جاءت قوات الأتراك في بلاد برط لمطاردة الإمام فيها ، واضطراره الى مغادرتها الى بلاد نجران ، حيث أقام فيها فترة عاد بعدها الى برط ، ومنها استأنف نضاله ضد الأتراك لإخراجهم من اليمن ، وكان(٢) سنان باشا قد عين والياً على اليمن خلفاً للوزير حسن الذي نقل الى مصر والياً عليها ، وذلك في عام ١٠١٢ هـ ، وركز سنان باشا في بداية ولايته على عقد صلح مع الإمام القاسم وعوّل على السيد احمد بن محمد شرف الدين عامل الأتراك على بلاد كوكبان ان يوعز للسيد الحسن بن شرف الدين الكحلاني السجين في حصن كوكبان بأن يراسل الإمام في ذلك ، وأن يعرض على الإمام أن تكون له بلاد معينة يكون له النفوذ عليها مقابل اعلان ولائه للدولة العثمانية ، فيكون بذلك كأحد ولاتها في اليمن ، فرفض الإمام العرض وتقدم بدوره بعرض للصلح على اساس احتفاظه بدعوته ، وأن يكون له النفوذ على بلاد الأهنوم وأعمالها ، وبلاد وادعة من حاشد وعلى بلاد خولان وبلاد برط وبلاد رازح من أعمال صعدة وهي المناطق الموالية له فيما يبدو ، فرفض سنان باشا العرض الذي تقدم به الإمام ، وكتب للإمام يتهدده بقتل الأسرى في كوكبان من أولاده وغيرهم اذا لم يرضخ للصلح الذي تقدم به هو للإمام ، ورد الإمام عليه برسالة مما جاء فيها قوله : « أمّا من عندكم من الأسرى فافعلوا بهم ما بدا لكم ، وأقسم بالله لأبلغن في حربكم ونكايتكم كل مبلغ ، ولأروغنّ لكم روغان الثعلب ، ولأثبنّ عليكم وثوب الأسد » .

(٢) الكبسي في اللطائف السنية (مخطوط) وأميرة علي المداح في (العثمانيون والإمام القاسم) من ص ٧١ .

وكان رد الفعل لدى الوالي سنان باشا من موقف الإمام المتصلب هو تجهيز الحملات العديدة على الإمام الى بلاد برط والى مختلف القبائل والمناطق التي اعلنت ولاءها للإمام ، وضيق عليه المسالك واخضع الكثير من المناطق الموالية له ، وأخذ الرهائن مثلثة من رجل وامرأة وطفل ، كما فعل مع أهل الحيمة الداخلية بعد أن استولت قواته على حصن العر ، وبعد أن أعطى المحاصرين فيه الأمان ، وكانت الحيمة قد والت الإمام بزعامة القاضي الحماطي الذي حاصرته القوات التركية في جبل مسار من بلاد حراز القريبة من بلاد الحيمة طيلة ثلاث سنوات حتى استولت عليه ، وضاقت الأمور بالإمام في تلك الفترة حتى لم يجد من يناصره أو حتى يأويه من القبائل اليمنية بسبب قسوة وعنف الأتراك في معاملتهم للبلاد التي يخضعونها ، والقبض على مشايخها وإرسالهم الى سجون المناطق الخاضعة للأتراك .

ولكنه حدث أن انتصر شيخ وادعة حاشد عبد الله بن سعد الطيري على الأمير عبد الله المعافا احد أمراء وقادة الحملات التركية حين قصد بلاد وادعة لحربها وإخضاعها ، وكان قد خرج عن ولائه للإمام وعاد الى ولائه للأتراك .

وحدث مع ذلك ان اعلن الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الإمام شرف الدين عامل الأتراك على بلاد حجة ولاءه للإمام القاسم بسبب كراهية كانت بينه وبين سنان باشا منذ ولاية الوزير حسن ، واستطاع الأمير عبد الرحيم ان يستولي باسم الإمام على الكثير من المناطق في بلاد حجة ، ومنها بلاد مركز حجة وبلاد الشرفين وبلاد عفار كحلان تاج الدين وغيرها ، ووصل الإمام اثناء ذلك الى بلاد وادعة حاشد ، وأعلنت الكثير من المناطق الأخرى ولاءها له أيضاً ، ومنها بلاد الطويلة وبلاد كوكبان باستثناء الحصن الذي كانت قوة الأتراك فيه قوية ، تساندها قوة عامله للأتراك احمد بن محمد شرف الدين ، ثم استولى الإمام على مدينة شهارة للمرة الثانية ، وذلك بالتسليم من عاملها للأتراك عبد الله المعافا .

وانقسم الأشراف آل شرف الدين المنافسين للإمام القاسم بين الجانبين .

اضطر كل ذلك الوالي سنان باشا ان يعرض على الإمام صلحاً يقضي باعتراف الدولة العثمانية بـه إماماً ، واعترافهـا بنفوذه عـلى ما تحت يـده من المناطق ، وذلك ليتفرغ الوالي سنان لإخضاع غيره من الأشراف الذين خرجوا عن ولائهم للدولـة العثمانيـة ، وفي مقدمتهم الأمـير عبد الـرحيم آل شـرف الـدين ، وعقد الصلح بـين الوالي سنـان والإمام القـاسم في عـام ١٠١٥ هـ وحددت مدة الصلح بعام واحد .

وفي عام ١٠١٦ هـ وصل الى اليمن والياً عليه الباشا جعفر خلفاً لسنان باشا .

الصلح بين الإمام القاسم والأتراك

وكان[٣] من أولى هموم الـوالي الجديـد عقب وصولـه اليمن ، هو عقـد صلح مع الإمام القـاسم تستقرّ بـه الأمور في اليمن ، وليـأمن جانبـه ويتفرغ لإخضاع من بقي له نفوذ من الأشراف وغيرهم ، وقد تمكن من عقد صلح مع الإمام القاسم اعترف به ضمناً بإمامته وبنفوذه على ما تحت يده ، واستطاع ان يحد من نفوذ سائر الأشراف ، وركز بصورة خاصة على الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر بن شرف الدين الذي حاول ان يستقـل بنفوذه عـلى ما تحت يده عن كل من الإمام والأتراك . وتمكن الـوالي جعفر بـاشا من القبض عليه بعد حرب بينهما دامت عامين كاملين ، ثم اعتقله في اليمن عامين أرسله بعدهما الى الأستانة (استامبول) حيث اعتقـل فيها بقلعـة ذي فلة الى جانب عـدد من الأشراف آل شـرف الـدين وافتهم جميعاً منيتهم فيهـا ، واستقـرت الأحوال في القسم الأعلى من اليمن بالنسبة لحكم الأتـراك ، واستطاع الـوالي جعفر ان يحقق العدل وان يرفع المظالم التي كانت قائمة على الرعية من قبل ولاة الأتـراك في عموم منـاطق اليمن ، وقرب العلماء ، وكـان كـما وصفـه المؤرخ الكبسي من احسن من وصل الى اليمن من البواش السلطانية في تعظيم العلماء

(٣) عيسى بن لطف الله في (روح الروح) والكبسي في اللطائف السنية (مخطوطين) وأميرة عـلي المداح في المصدر المذكور ص ١٠٢ . عن اللآلىء المضيئة وغيرها .

والأشراف ومعرفة حقوقهم ، لأنه كان له حصة وافرة من العلوم الشرعية والعقلية ، وكان شاعراً مجيداً وكان جلساؤه اعيان علماء ذلك الوقت ، وكان يحتمل للعلماء ويختلطهم بنفسه ويجزل لهم الصلات ويكرر لهم الهبات ، فكان على طريقة مرضية ، ثم عقد الوالي جعفر صلحاً آخر مع الإمام القاسم في آخر أيام ولايته عزز به الصلح السابق مدته عام واحد ، ووصل الى اليمن ابراهيم باشا خلفاً لجعفر باشا وذلك في عام (١٠٢٢ هـ) .

وقد توفي[٤] الوالي (ابراهيم باشا) في قرية منقذة من أعمال ذمار ، وهو في طريقه الى صنعاء عام وصوله الى اليمن ، فأعيد الى ذمار ودفن فيها ، واجتمع رأي كبار قادة الجيش التركي على استعادة الباشا جعفر الذي كان ما يزال في المخا للاضطلاع بشؤون الولاية .

ولكن عبد الله شلبي كيخيا الوالي ابراهيم باشا حاول الحيلولة دون عودة الباشا جعفر الى ولاية اليمن بحجة احقيته هو بصفته كيخياء الوالي الشرعي المتوفي ، وأنّ جعفر باشا قد عزل عن ولايته من قبل الدولة العثمانية ، وحاول مع ذلك ان يمتنع في صنعاء التي كان الوالي ابراهيم قد اسند اليه نيابتها .

أمّا الوالي جعفر باشا فإنه واصل تقدمه من المخا نحو صنعاء وتوقف في ذمار ، ومنها جهز كيخياه الجديد حيدر باشا للتقدم نحو صنعاء والاستيلاء عليها وتمكن الكيخيا حيدر من دخولها بعد ان أمّن أهلها ، ثم حاصر عبد الله شلبي في قصر السلاح حتى اضطره الى تسليم نفسه بأمان منه ثم قتله بأمر الوالي جعفر وقتل عدداً من أنصاره ، ووصل الوالي جعفر الى صنعاء .

ومنها جهز حملاته على القبائل التي خرجت عن الدولة العثمانية اثناء صراعه مع عبد الله شلبي ، وعلى الإمام القاسم الذي كان قد مدّ نفوذه الى بعض المناطق أثناء ذلك الصراع ، بحجة انتقاض الصلح القائم بينه وبين

(٤) الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط والجرافي في (المقتطف) من ص ١٤٣ . و(أميرة المداح) في (العثمانيون والإمام القاسم بن محمد) من ص (١١٣) عن الجرموزي والشرفي في المصادر آنفة الذكر .

الدولة العثمانية والذي عقده معه هو في آخرة عهده وقبل وصول الوالي ابراهيم باشا .

وقامت حروب مريرة وطويلة سجلت الانتصار في بدايتها للجانب التركي واضطرت الإمام إلقاسم ان يخرج من شهارة ، وينتقل الى صعدة ، وبالرغم من ذلك فإنّ قوات الجانب التركي بقيادة حيدر باشا واصلت زحفها في اثره الى بلاد صعدة وقامت بين الجانبين حروب كثيرة فيها وفي غيرها ، ولكن الانتصار الذي سجلته قوات الإمام القاسم في بلاد صعدة قوت من معنوياتها ، وواصل الإمام حربه للأتراك حتى مل الجانبان الحرب ، واستجابا معاً لعقد صلح يقرّ الأمور ويضع حداً للحرب التي قتل فيها الكثير من الجانبين ، وممن قتل فيها من جانب الإمام ولده علي في موضع الشقاب من بلاد صعدة وعدد من كبار قادة قواته ومشايخ البلاد الموالية له ، وقتل من قادة الجانب التركي الأمير عبد الله بن المعافا وغيره ، وأسر الحسن بن الإمام ونقل الى صنعاء حيث اعتقل في الدار الحمراء فيها .

وقد عقد الصلح وحددت مدته بعام واحد مثّل الإمام فيه الفقيه جمال الدين بن عامر الذماري ، الذي وصل الى صنعاء ، ومن بنود الصلح ان يترك للإمام ما تحت يده وقت الصلح الأول ، وهي بلاد الحيمتين وبلاد حضور وجبل مسور وبلاد صعدة ، وأنّ أسرى صنعاء كالحسن بن الإمام القاسم يبقون في صنعاء ، ولا ينقلون الى مكان آخر ، وقد ركز الإمام على هذا البند خشية ان يرسل الأمير الحسن الى الأستانة .

أمّا العام الذي حدد لمدة الصلح المذكور فإنه يبدأ من أول رجب ١٠٢٥ هـ ، وقد احرز الإمام بهذا الصلح مكاسب من أهمها : توسيع مناطق نفوذه في القسم الأعلى على حساب الولاية التركية في اليمن ، وان كانت ارضاً فقيرة بالنسبة الى مناطق نفوذ الأتراك في عموم اليمن .

وفي العام المذكور ١٠٢٥ هـ وصل الى اليمن والياً[٥] عليه الباشا محمد

(٥) الكبسي في (اللطائف السنية) والموزعي في (تأريخ الاحسان) مخطوطين، وأميرة المداح علي في المصدر المذكور من ص ١٢٣ . عن الجرموزي مؤلف سيرة الإمام القاسم وغيره .

حاجي خلفاً لجعفر باشا ، وفور وصوله الى اليمن ركز على تجديد سور صنعاء وقلاعه وسور مدينة حجة وغيرها من المدن الخاضعة للأتراك ، منتهزاً فرصة الاستقرار الذي حققه الصلح الذي عقده الوالي جعفر باشا مع الإمام .

ولما انتهى العام الذي حدد به الصلح المذكور عقد الألوية وجهز الجيوش لإخضاع المناطق التي والت الإمام في بلاد البستان وبلاد ثلا والسودة وبني حشيش وفي بلاد انس وبلاد حجة وغيرها ، وكانت الحرب سجالاً بين الجانبين ، ومع ذلك فإنّ الجانبين سئما الحرب وقبل الوالي الصلح الذي طلب عقده الإمام عقب وصول الوالي وانتدب الإمام السيد عبد الله شمس الدين جحاف ممثلاً له في وضع مسودة الصلح .

وعقد الصلح في شهر جمادي الأولى من عام ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م) ، وحددت مدته بعشر سنوات ، ومن بنوده ان يكون للإمام جميع ما تحت يده من البلاد ، واخراج الأسرى من الجانبين ، ما عدا الأمير الحسن بن الإمام القاسم الذي يفتقر الإفراج عنه الى امر من السلطان ، ومع ذلك فقد أبدى الوالي استعداده للإفراج عنه اذا اطلق الإمام ما تحت يده في بلاد البستان لقربه من صنعاء ، وقد رفض الإمام ذلك ، وآثر بقاء ولده في الأسر على التخلي عنها ، ومع ذلك فقد احسن الوالي الى الأمير الحسن المذكور ، وسمح له بالخروج تحت الحفظ الى بيته في بير العزب ، كانت فيها إحدى سراريه والدة ابنه المهدي احمد بن الحسن .

ثم عين الوالي محمد حاجي كيخيا له محمد سنان ، خلفاً لحيدر باشا الذي عاد الى تركيا .

وقد استقرت الأحوال في اليمن عموماً بعد عقد الصلح المذكور ، وأمنت السبل ، وتبادل الفريقان اطلاق الأسرى من الجانبين .

وفاة الإمام القاسم بن محمد وقيام ولده المؤيد الكبير محمد

وفي اثناء ولاية محمد حاجي باشا توفي[٦] الإمام القاسم بن محمد ،

(٦) كان الإمام القاسم بن محمد عالماً كبيراً في الفقه الزيدي وله فيه الإعتصام الذي أكمله السيد أحمد بن يوسف زبارة والأساس في علم الكلام (اصول الدين) والإرشاد في تيسير الاجتهاد .

وذلك في شهر ربيع الأول من عام ١٠٢٩ هـ (١٦٢٠ م) في حصن شهارة ، ودفن فيها بجوار الجامع الذي بناه بها عن حكم دام حوالي ثلاثة وعشرين عاماً كانت كلها حروب مع الأتراك قسمها المطهر بن محمد الجرموزي في مخطوطته التي وضعها لسيرة الإمام القاسم الى اربع مراحل وعرفها بأربع نهضات بقوله(٧) :

« للإمام اربع نهضات الأولى من الدعوة (١٠٠٦ هـ) الى خروجه من شهارة الى برط في (٣ شوال سنة ١٠١٠ هـ) (١٦٠٢ م) ، والثانية من خروجه من برط الى انعقاد الصلح بينه وبين سنان باشا (في عام ١٠١٥ هـ - ١٦٠٦ م) ؛ والثالثة عند خروجه على جعفر باشا (لدى عودته الى الولاية) بعد موت ابراهيم باشا وذلك في عام (١٠٢١ هـ - ١٦١٢ م) ؛ والرابعة في عام ١٠٢٥ هـ - ١٦١٦ م وذلك عقب وصول محمد حاجي الى اليمن والياً عليه ورفضه اقرار الصلح المعقود بينه وبين الوالي جعفر باشا الذي عقده معه الإمام في ولايته الثانية كما علمنا .

وقد بايع العلماء والأعيان ورؤساء القبائل محمد بن القاسم بن محمد خلفاً لأبيه ولقب بالمؤيد .

وقد طلب الإمام المؤيد من الوالي محمد حاجي اقرار الصلح المعقود بينه وبين والده فور بيعته ، وأجابه الوالي الى طلبه ورد عليه مع ذلك بالرسالة الآتية(٨) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، على ما قضى ، وقدّر وأمضى ، كل نفس ذائقة الموت ، وكل انسان وإن طال عمره الى الفوت ، وإنا لله وإنا اليه راجعون ، وعلى بلائه صابرون » وبعد أنّ عزّى الوالي الإمام المؤيد بوفاة والده قال : « وذكرتم أنّ الذي بيننا وبين والدكم رحمه

---

(٧) أميرة علي المداح ص ١٣ . عن مخطوطة الجرموزي المذكور بتصرف .
(٨) الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط .

الله من العهـود والمواثيق ثـابت اساسهـا ، محكم مراسهـا ، زاد الله اسـاسهـا ومراسها ثباتاً وقوة ، كما هي الإرادة المرجوة ، ونحن إن شاء الله على ذلك ، ما يبدر منا امر يظهر فيه اختلال ، ولا يكون منا للموضوعات بقواعدها وعقودها انحلال ، بل انا لكم كما انتم لنا ، وما هو الموجود عندكم هو كذلك عندنا ، والألفة الصافية الخالصة الوافيـة كما هي ، مـا يغير تلك القـواعد مغـير ، ولا يكدرها مكدر ، ونحن لكم في أمر الخير مساعـدين ، وفي طريق مـرضاة الله معاضدين ، والله يختار لنا ولكم الخير ويأخذ بنواصينا ويرشدنا ويحسن دلائلنا عليـه ، وحسبي الله وكفى ، بتأريخـه سـابـع شهـر ربيـع الأول سنـة ١٠٢٩ للهجرة ، حرر بمحروس صنعاء » .

وقد تميزت بداية عهد الإمام المؤيد (بفضل اقرار الجانبين اليمني والتركي للصلح الذي حددت مدته بعشر سنوات لم يمض منها في حياة الإمام القاسم إلا عامان) بالهدوء والاستقـرار طيلة ثمان سنـوات ، عزل الـوالي محمد حـاجي اثنائها وابدل بالباشا فضل الله .

وقبل ان يصل الـوالي فضل الله صنعـاء تمكن الأمير الحسن بن الإمـام القاسم من الفرار من ثقب في السجن ، بعد ان اخرج من صنعاء ولده احمد بن الحسن وزوجته وذلك من داره في بير العزب ، ولحقوا جميعاً بأخيه الإمام المؤيد ابن القاسم .

ووصل الوالي فضل الله صنعاء وكتب منها للإمام المؤيد يطلب منه اقرار الصلح الذي اقره الوالي محمد حـاجي الذي كـانت ما تـزال في مدتـه بقية ، ويطمأنه عما حدث من فرار الأمير الحسن بن القاسم ، ويؤكد للإمام المؤيد بأنّ ذلك لا يفسد ما بين الجانبين ، وأنّ الحسن لو لم يفعل ما فعله لأفرج عنه فور وصـوله الى صنعـاء . وبعث اليه بثمن بيت الأمـير الحسن في بـير العـزب في صنعاء .

أما الإمام المؤيد فإنه جهز أخاه الحسن لإصلاح بلاد الشام شمال صعدة فأصلحها وحارب الخارجين على دولة أخيه فيها حتى وصل الى نجـران ، والى

بلاد فيفا وبني مالك في المناطق المجاورة لها ، كما أجاب في نفس الوقت الى طلب الوالي فضل الله واقر الصلح القائم بين الجانبين اليمني والتركي .

اخر ولاة الأتراك في اليمن

وفي[٩] عام ١٠٢٤ هـ بعثت الحكومة التركية الى اليمن والياً عليه الباشا حيدر خلفاً للباشا فضل الله ، وكان الباشا حيدر كيخيا للباشا جعفر كما عرفنا ، وعاد فضل الله الى تركيا ، ولكنه توفي في أبي عريش من المخلاف السليماني وهو في طريقه اليها ، فأسرع الكيخيا محمد سنان الى ابي عريش وأخذ الخزانة التي كانت معه ، وأوصلها الى الباشا حيدر، فكافأه حيدر باشا بقتله لمنافسة سابقة بينهما منذ ولاية جعفر باشا المذكور .

وقد جدد الوالي حيدر باشا اتفاقية الصلح مع الإمام المؤيد .

ولكنها انتقضت في عام (١٠٣٦ هـ - ١٦٢٥ م) بسبب قيام الوالي حيدر بقتل الفقيه حسين بن علي العلماني من علمان أسفل وادي ظهر ، لإتهامه بالدعوة للإمام في صنعاء وأخذ الأموال من أتباع الإمام وإيصالها اليه ، ولأن الوالي حيدر لم يستجب لما طلبه الإمام من تسليم القاتل أو الدية ، وكان المؤيد قد استفاد من الهدوء الذي وفره اقرار الصلح القائم منذ وفاة والده وحتى العام المذكور ، وقوى حصون وقلاع المناطق الواقعة تحت نفوذه وأعد عدته لفتح الحرب مع الوالي حيدر باشا ، يشجعه[١٠] مطالبة الكثير من رؤساء القبائل في المناطق الشمالية الخاضعة للأتراك بالهجوم عليهم ، ووعدوه بعونه ومساندته ، وأكدوا له اخلاصهم بارسال ابنائهم رهائن لديه . الأمر الذي دفع الإمام المؤيد الى تجهيز قواته الى كثير من مناطق نفوذ الأتراك في القسم الأعلى من اليمن .

---

(٩) الحسن بن عبد الرحمن في (المواهب السنية) مخطوط .

(١٠) يحيى بن الحسين في (انباء الزمن) ص ١٦٢ .

وكانت عمران وبلاد كوكبان وبلاد الحيمتين وبلاد صعدة والطويلة ومغارب اليمن في بلاد حجة هي ميادين الحرب بين الجانبين ، كما جهز الأتراك قواتهم بقيادة العديد من امراء آل شرف الدين وغيرهم ، ومنهم عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن شرف الدين والحسن بن حميد الدين بن المطهر بن شرف الدين ، وناصر المحبشي وغيرهم ، وبقيادة العديد من القادة الأتراك ومنهم القائدان فرحان ومحمود وغيرهما ، وكانت الحرب سجالاً بين الجانبين في بدايتها . ولكنه[11] لمّا كثرت جموع اليمنيين في صفوف الإمام المؤيد توالت الانتصارات لهم على الأتراك وانصارهم ، وقتل في حروب بلاد كوكبان والطويلة عدد من كبار قادة الجانب التركي ، ومنهم الأمراء محمد بن المهدي بن حفظ الله بن عز الدين بن شرف الدين ، والسيدعبد الله بن أحمد الحمزي والحسين بن صلاح بن الهادي من أولاد شرف الدين وغيرهم .

وكانت هذه الهزائم التي توالت على قوات الجانب التركي والتي فلت من عزائمهم هي في عام ١٠٣٦ هـ ، وقد اجبرت السيد عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن شرف الدين الى الإنضمام الى الإمام المؤيد ، وساعد الأميرين الحسن والحسين ابني القاسم وجنودهما على دخول حصن كوكبان باسم الإمام المؤيد ، وكان من أهم المعاقل الخاضعة للأتراك ومنه تقدمت الجموع اليمنية لحرب القائد صفر المعسكر بقواته في حصن ثلا وأجبروه على تسليمه بعد حرب قامت بين الجانبين ، وكان حصن ثلا المطل على مدينة ثلا من أهم معاقل الأتراك في المنطقة أيضاً ، ثم واصل اليمنيون تقدمهم نحو صنعاء وعسكروا في منتزه حدة فارضين حصاراً شديداً على صنعاء وذلك في شهر شعبان من نفس العام .

وكان الوالي حيدر باشا قد هدم مباني بير العزب قبيل الحصار لئلا يتخذها اليمنيون معسكرات لهم يحاربون منها الأتراك ، وقامت أثناء الحصار

---

(١١) الحسن بن احمد آل شرف الدين في (المواهب السنية (مخطوط) ج ١ .

عدة معارك بين الجانبين كانت سجالاً بينهما ، ومنها وقعة قاع الحفا وكانت لصالح الجانب التركي ، ووقعة ضبر حدين وكانت لصالح الجانب اليمنى ، ووقعة الجراف ، وكانت لصالح الجانب التركي ، ووقعة نهم كانت لصالح الجانب اليمني ، وشارك الوالي حيدر في بعض المعارك لتقوية معنويات قواته ، وقد استمرت المعارك بين الجانبين حتى اضطر الباشا حيدر في عام ١٠٣٧ هـ الى الانسحاب ببعض قواته من صنعاء بعد ان ترك فيها حامية قوية للدفاع عنها لم تلبث ان استسلمت وسقطت صنعاء بأيدي اليمنيين في العام المذكور .

بل أنّ بعض[١٢] المؤرخين ذهب الى أنّ الوالي حيدر باشا سلم صنعاء للأمير الحسين بن القاسم عند مغادرته لها ، بموجب صلح عقده مع الإمام المؤيد وفى له الإمام بالشروط التي نص عليها .

ومن[١٣] ثمة واصل اليمنيون تقدمهم نحو المنطقة الوسطى واليمن الأسفل وتهامة لمواصلة حرب الأتراك المتمركزين فيها ، وساندهم اليمنيون من ابناء تلك المناطق المتذمرون من الحكم العثماني الذي لم يحقق فيها شيئاً من الإصلاح بالرغم من استقرار حكمهم فيها ، واخرجوا الأتراك منها ومن ذمار واب وبلادها ، ثم من تعز بعد محاصرة اليمنيين لهم فيها حتى سقطت بأيدي اليمنيين ، وانسحب الاتراك منها الى بلاد زبيد ، وكان ذلك في عام ١٠٣٨ هـ .

ولما ادرك الوالي حيدر باشا الذي كان معسكراً بفلول قواته في زبيد ضعف الجانب التركي في اليمن راسل الإمام المؤيد يطلب منه إيفاد السيد صلاح الدين بن عبد الله السراجي الشهير بالحاضرين اليه للتفاوض على التسليم .

ولكن كبار قادة قوات الأتراك في زبيد انكروا عليه ذلك وحاصروه في المنزل الذي ينزل فيه في زبيد أياماً ، ثم أخرجوه منها الى جزيرة كمران ،

---

(١٢) القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في (المقتطف) ص ١٥٠ .

(١٣) الحسن بن احمد في المصدر المذكور والمواهب السنية) .

ونصبوا احدهم بدلاً عنه بعد ان انتهبوا الأموال التي كانت بحوزة الوالي حيدر باشا .

ثم وصل الى اليمن في نفس العام المذكور (١٠٣٨ هـ) الباشا قانصوه الغوري بقوة تركية وعربية كبيرة بهدف استعادة نفوذ تركيا في اليمن ، ولكن تلك القوة على جسامة حجمها وضخامة معداتها ، لم تفعل شيئاً امام تصميم اليمنيين على الاستقلال . وقد نزل قانصوه بعتاده وأثقاله في ميناء المخا ، ثم تقدم منها الى مدينة حيس للتمركز فيها والانطلاق منها في محاولة استعادة نفوذ الدولة العثمانية في اليمن ، ومن حيس جهز قوة بقيادة الكيخيا مصطفى باشا عسكرت في نجد المحيريب من بلاد شرعب ، لم تلبث ان داهمتها القوات اليمنية وشتتت شملها، بعد قتل قائد الحملة المذكور ، وأسر الكثير من افراد القوة التركية ونقلهم الى تعز ، وصدق على الأتراك المنهزمين في وجه جموع اليمنيين قول الشاعر :

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

أمّا الباشا قانصوه فما ان علم بانهزام حملة الكيخيا مصطفى باشا حتى انسحب من حيس وعاد الى المخا ، وكانت هذه الأحداث في عام ١٠٣٩ هـ .

وقد استقر قانصوه مع جمهرة قواته في مدينة المخا يعد للوثوب من جديد في محاولة اخرى للتقدم داخل اليمن ، حتى تمكن في عام ١٠٤٢ هـ من الهجوم بقوات قادها بنفسه على الأمير شمس الدين يحيى آل شرف الدين امير تعز ، والذي كان آنذاك في بلاد الحجرية وعلى غير استعداد لمواجهة مثل تلك الحرب ، وقد وقع الأمير شمس الدين قتيلاً ، كما وقع نحو مائة وخمسين من قواته أسرى في أيدي الأتراك ، وأعاد ذلك الحادث للأتراك بعض معنوياتهم بصورة مؤقتة ، حيث انتقل قانصوه وقواته الى مدينة زبيد لإكمال استعداده للتقدم نحو تعز بغية استعادة نفوذ الدولة العثمانية عليها ، كبداية جديدة فيها يرجو لإعادة النفوذ الشامل لدولته في اليمن .

كما كان حادث انتصار الأتراك في بلاد الحجرية حافزاً لليمنيين وايلائهم بقية الأتراك الموجودين في اليمن الأهمية التي تحتم المزيد من الاستعداد للقضاء على ما بقي لهم من وجود ونفوذ في اليمن .

وبالفعل ، تقدمت جموع اليمنيين بقيادة الحسن بن القاسم نحو زبيد ، وضربوا نطاقاً شديداً من الحصار عليها بعد قيام عدة معارك بينهم وبين الأتراك المتمركزين فيها ، واضطروا الباشا قانصوه الى ان يطلب من الأمير الحسن تأمينه للخروج منها وتسليم نفسه اليه على ان يساعده على مغادرة اليمن ، وتمّ الأمر على ذلك وغادر قانصوه اليمن مع خاصته من ميناء المخا عام ١٠٤٥ هـ ، ثم تحول اليمنيون الى المخا لمحاصرة اميرها للأتراك واضطروه الى مغادرتها مع بقية جنوده وامراء الأتراك في نفس العام ١٠٤٥ هـ وعادوا الى تركيا ، إلا من رغب بالبقاء في اليمن في خدمة الإمام المؤيد محمد بن القاسم .

وبذلك تخلص اليمن من الحكم التركي الأول الذي دام زهاء مائة عام كما عرفنا أي من عام ٩٤٥ الى عام ١٠٤٥ للهجرة .

وهنا وطبقاً للنهج الذي انتهجته سأعرض للحكم التركي الأول في اليمن بشكل عام . على ان أستكمل التأريخ لبقية ائمة الدولة الزيدية الثالثة والأخيرة في اليمن بعد ذلك ، وهي الدولة التي بدأت كما عرفنا بالإمام القاسم بن محمد ، وفي اثناء الحكم التركي الأول في اليمن ، وانتهت بدولة آل حميد الدين التي قضت عليها ثورة السادس والعشرين من سبتمبر المجيدة ، وقامت على انقاضها الجمهورية العربية اليمنية .

عرض عام للحكم العثماني الأول في اليمن

الأتراك[1] أصلاً شعب من شعوب التتر ، كان يسكن في بلاد التركستان بآسيا الوسطى ، وكان مؤسس دولتهم السلطان عثمان بن أرطغول بن سليمان شاه قد ساعد الملك علاء الدين السلجوقي ضد المغوليين في بداية القرن السابع الهجري الأمر الذي جعل له الملك السلجوقي المذكور الحرية في ان يفتح البلاد باسمه أي السلطان عثمان المذكور ، وأن يضرب السكة باسمه خاصة ، وأن يذكر اسمه في المنابر مقروناً باسمه ، فصار السلطان عثمان يفتح بلاد الروم حتى زالت دولة السلجوقيين سنة ٦٨٩ هـ على أيدي المغوليين ، فأعلن السلطان عثمان استقلاله ، وأتاه امراء وأعيان الدولة السلجوقية البائدة يستظلون بحمايته ، وتأسست في ذلك الحين الدولة العثمانية سنة ٦٦٩ هـ ، وما زال سلاطينها يفتحون البلاد والمماليك الرومانية حتى لم يبق في يد امبراطور الروم إلا القسطنطينية ، وقد افتتحها السلطان محمد الثاني سنة ٨٥٧ هـ الموافقة لسنة ١٤٥٢ م ،ثم امتد سلطانهم بعد ذلك بالفتوحات حتى ملكوا سائر دول جزيرة البلقان بما فيها اليونان ، وافتتحت مصر في عهد السلطان سليم سنة ٩٣٢ هـ وسلمه ابن شريف مكة نيابة عن والده مفاتيح الحرمين الشريفين ، وتنازل له الخليفة العباسي المتوكل على الله عن الخلافة ، وهو الخليفة الذي احتفظ به المماليك في مصر خليفة للمسلمين اثناء حكمهم بعد سقوط الخلافة العباسية على ايدي التتار .

وصار السلطان سليم بن بايزيد العثماني من ذلك العهد هو الخليفة

---

(١) محمد فريد وجدي في (دائرة معارف القرن العشرين) المجلد الثاني ص ١٠٤٥ .

للمسلمين .

ولقد بدأ نفوذهم الفعلي في اليمن في عهد السلطان سليمان القانوني بن السلطان سليم بن بايزيد في عام ٩٤٥هـ، وكان حكم الأتراك في اليمن في عهد السلاطين العثمانيين الآتية أسماؤهم على الترتيب[٢] : السلطان سليمان بن سليم ، سليم بن سليمان ، مراد الثالث بن سليم ، محمد الثالث بن مراد الثالث ، احمد خان الأول بن أحمدالثالث ، مصطفى الثاني بن محمد الثالث ، عثمان الثاني بن احمد خان ، مراد الرابع بن عثمان خان وفي عهده استقل اليمن عن حكم الأتراك الأول وذلك في عام ١٠٤٥ هـ كما علمنا .

وكانت عوامل انهيار الحكم العثماني الأول في اليمن عديدة داخلية بالنسبة للدولة العثمانية نفسها ، وخارجية عنها ، أهمها : نضال اليمنيين في سبيل الاستقلال عنها ، واشتغال الدولة العثمانية بالثورات التي قامت ضدها في بعض البلدان العربية كالعراق وفي اوروبا .

أمّا العوامل الداخلية بالنسبة للدولة العثمانية والتي ساعدت على انهيار حكمها في اليمن وغيره فمنها التمرد الذي حدث داخل القوات النظامية العثمانية والتي كانت تعرف بالأنكشارية ، واضطرار الدولة الى تجهيز قوات غير نظامية وغير تركية ، تنقصها العصبية القومية اللازمة لضمان قوة الدولة ، اذ كانت الدولة العثمانية بعد الفساد الذي استشرى داخل الجيش النظامي التركي تكلف والي مصر بتجهيز الحملات العسكرية الى اليمن ، ويقوم[٣] الوالي بتجهيز القوة من الأساكفة والصناع وقطاع الطرق والفلاحين المصريين غير النظاميين ، لأن الجنود النظاميين الأتراك المعسكرين في مصر ايضاً تقاعسوا عن الاشتراك في الحملات المرسلة الى اليمن ، لبعده وصعوبة الحرب فيه بسبب وعورة مسالكه ومضايقه الجبلية ، ولأنهم الفوا الدعة والراحة وتنعموا في مصر

---

(٢) عبد الصمد بن اسماعيل الموزعي في تأريخه (الاحسان في دخول مملكة اليمن في ظل آل عثمان) مخطوط .

(٣) اميرة علي المداح في (العثمانيون والإمام القاسم بن محمد) ص ١٤٥ .

باللذات وتعلقوا فيها بكل أسباب الحياة ، وكثر أولادهم وصارت مصر وطناً لهم ، ومع ذلك فإنّ الدولة العثمانية ما كانت لتوفر للقوات المرسلة الى اليمن ضروريات الحياة ، الأمر الذي كان يلجؤها الى السلب والنهب ، ويضطر الكثير من ولاة اليمن وغيره الى ممارسة اخذ الرشوة والى الاختلاس ، لسد حاجات الجنود واسترضائهم ، وضاعف ذلك من عدم استقرار الأوضاع ، وعمل على استمرار نضال اليمنيين وصمودهم في وجه الحكم العثماني، وأدى بالتالي الى اخراج الأتراك من اليمن والاستقلال عن الحكم العثماني الأول في اليمن .

ومع كل ذلك فإنّ الدولة العثمانية كانت تعتبر اليمن منفى للمجرمين ، ولا ترسل اليه إلا من تريد تأديبهم أو تتخلص منهم ولقد ارسلت اثناء ولاية محمد باشا ١٦١١ - ١٦١٥ م حوالي ألف جندي الى مصر لينقلوا الى اليمن لتمرد وقع منهم ، وقد امتنع أولئك الجنود في مصر عن الذهاب الى اليمن بعد وصولهم الى القاهرة ، واعتصموا في احدى دورها ، فأضطرّ الوالي الى ارسال قوة من الجند لمحاصرتهم ، ولإخراجهم بالقوة ، وتمّ للقوة الجديدة ارغام الألف جندي على التوجه الى اليمن .

هذا(٤) والقوة التركية الانكشارية في الجيش التركي هي قوة المشاة النظامية ، أمّا الخيالة في الاصطلاح العثماني فيعرفون بالسباهية ، كما أنّ المدفعية تعرف بالطوبجيلر ، والتي كانت تنطق في اليمن أثناء الحكم العثماني وفي عهد الحكم الحميدي بالطوبجية أو الطوبشية .

ولدى استعراض الأحداث التي قامت بين اليمنيين والأتراك خلال حكمهم الأول في اليمن ، نتبين بوضوح نضال اليمنيين المستمر ضدالأتراك.

و أنّ ما كان يحدث خلال ذلك من استقرار ليس إلا الهدوء الذي يسبق العاصفة المتجددة .

أي أنّ حرب اليمنيين للأتراك ما كانت لتتوقف إلا ريثما يستعيد اليمنيون .

---

(٤) أميرة علي المداح في (العثمانيون والامام القاسم بن محمد) ص ١٤٥ .

انفاسهم ، ويجددون استعدادهم لاستئناف الحرب مع الأتراك ، أو حينما يتضاعف المدد للأتراك من الخارج ، أو من الداخل حينما تساندهم بعض العناصر اليمنية لأغراض سياسية ، ويتحول الموقف لغير صالح الجانب اليمني » .

ولذلك فإنّ مما ساعد الأتراك على التغلغل في اليمن هو اختلاف أولاد الإمام شرف الدين مع اخيهم المطهر بن شرف الدين وانضمامهم الى الأتراك، الى جانب ولاء الأشراف الحمزات بما فيهم اشراف الجوف للأتراك أيضاً . كما قام المطهر نفسه أثناء ذلك الاختلاف وقبل تسليم والده واخوته السلطة اليه بتحريض الأتراك على التقدم نحو صنعاء والاستيلاء عليها .

وإنّ مما ساعد اليمنيين على طرد الأتراك من اليمن بصورة نهائية هو وحدة أولاد القاسم بن محمد الذين تزعموا حركة النضال ضد الأتراك في عهد حكمهم الذي خلف حكم آل شرف الدين .

وقد كان القسم الأعلى من اليمن هو مركز النضال ضد الأتراك بسبب خفة وطأة حكمهم فيه ، لصعوبة جباله ووعورة مسالكه ، ولبعده عن مجال الامدادات اليه من الحكومة التركية بالنسبة لمنطقة تهامة والمناطق المجاورة لها ، ولكن اليمنيين كل اليمنيين شاركوا في النضال ، وساندوا آل شرف الدين قبل اختلافهم فيما بينهم ضد الأتراك كما ساندوا الإمام القاسم بن محمد وأولاده في عهدهم ، وشمل النضال اليمن كله وحتى مدينة زبيد ومينائى المخا وعدن ، وكانت هذه المدن هي المنطلق الأول للأتراك والملجأ الأخير لهم كما عرفنا .

ولقد جاء الأتراك الى اليمن وبسطوا نفوذهم الفعلي فيه في عام ٩٤٥ هـ ، وذلك بعد بسط نفوذهم في الشام على انقاض حكم المماليك بعد قتل ملكهم (قانصوه الغوري المملوكي) في المعركة التي قامت بينه وبين قوات السلطان سليم بن بايزيد العثماني في (مراج دابق) في الشام قرب حلب ، ثم بسط الأتراك نفوذهم في مصر والحجاز منذ عام ٩٢٣ هـ ، وكان السلطان سليم المذكور هو الذي سجل تلك الأحداث وحقق للعثمانيين تلك الانطلاقة الواسعة في البلاد العربية وغيرها .

وكان من أهم الأهداف لبسط العثمانيين على الجزيرة العربية ومنها اليمن هو السيطرة على البحر الأحمر وفيه مضيق باب المندب المنفذ الوحيد منه الى البحر العربي فبحر الهند ، أو الحيلولة دون مد البرتغاليين الصليبيين نفوذهم الى الجزيرة العربية وفيها الحرمان الشريفان ، وعن تحويل الخط البحري التجاري عن طريق رأس الرجاء الصالح في غرب جنوب افريقيا بعد اكتشافهم له ، بعد سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط بعد بسط نفوذهم في الشام .

وكان سليمان باشا الأرنوطي المعروف بالخادم هو أول من وصل من الأتراك الى ساحل عدن ، وبسط نفوذ الدولة العثمانية بصورة فعلية في عدن في عام ٩٤٥هـ بعد غدره بالملك عامر بن داود آل طاهر آخر ملوك آل طاهر وقتله مع رفاقه الذين وصلوا اليه الى سفينته الحربية الراسية على ساحل عدن ، وكان قد استدعاهم اليه لتقديم شكره للملك عامر على استضافته ومعالجته لجنوده المرضى ، ولإبلاغه بتوجيهات السلطان سليمان بن سليم العثماني حول التكاتف لحرب البرتغاليين الصليبيين .

وكان الملك عامر بن داود قد احتفظ بنفوذ له بعد مقتل الملك عامر بن عبد الوهاب على ايدي المماليك في ابواب صنعاء . كما عرفنا .

ثم استولى الباشا سليمان الخادم المذكور على عدن واعدم عدداً من امراء آل طاهر ووزرائهم وصادر أموالهم وبسط نفوذ دولته فيها ثم في المخا بعد اقناع واليها من المماليك (احمد الناخوذة) بتأكيد اعلان ولائه للعثمانيين ، ثم في زبيد ، عاد بعد ذلك الى مصر .

وبذلك يكون الحكم العثماني الأول في اليمن قد بدأ حكمه بعمل غادر لا ضرورة له مع ما ثبت له من استعداد عامر بن داود للتعاون معه ضد البرتغاليين ، وعدم[٥] صحة ما نسبه اليه الإمام شرف الدين وابنه المطهر لدى

(٥) الموزعي في تاريخه (مخطوط).

سليمان باشا من عزمه على التعاون مع البرتغاليين ضد الحكومة العثمانية .

ولاقى عمله المشين استنكاراً واشمئزازاً لدى اليمنيين رسم لديهم عن الأتراك صورة سيئة في بداية عهدهم في اليمن ، وحـال دون اطمئنانهم اليهم والثقة بهم ، وحملهم على حربهم طيلة فترة حكمهم في اليمن ، برغم تزعمهم شؤون الخلافة الاسلامية ، ومنع البرتغاليين عن مد نفوذهم الى الجزيرة العربية وسواحلها .

وكان الأتراك قد استعانوا بالمماليك المتواجدين في اليمن عقب سقـوط دولة المماليك في الشام ، ومصر على ادارة شؤون اليمن باسم الحكومة التركية لضمان تبعية اليمن لها ، ولكن انهيار معنويات المماليك في اليمن بعـد سقوط دولتهم ومقتل ملكهم (قانصوه الغوري) اضعف معنوياتهم في اليمن ، وأتاح لليمنيين ان يشنوا عليهم حرباً لا هوادة فيها حتى اضطروهم الى الانسحاب من مختلف المدن اليمنية بما فيها صنعـاء ، وان يتجمعوا في مـدينة زبيـد ، ويلموا شملهم فيها حتى بسط سليمان باشا الخـادم ومن خلفه نفـوذ دولة آل عثمـان المباشر في اليمن كما عرفنا .

وبدأ الصراع بين الأتراك واليمنيين ، وظل نفوذ الأتراك في اليمن في مد وجزر بحـكم اختلاف العوامل والظروف بالنسبة للجانبين طيلة عهد الأتراك في اليمن في حكمهم الأول حتى فكر الأتراك بصورة جادة في الخروج من المأزق الذي وقعوا فيه حوالي مائة عام ، وقرروا مرغمين مغادرة اليمن بصورة نهائية ، وذلك حين سـلم قانصوه التركي آخر ولاة الأتـراك في اليمن نفسه الى الأمير الحسن بن القاسم قائد القوات اليمنيـة بعد تشـديد الحصـار عليه في زبيـد ، وطلب مساعدته في الخروج من اليمن من بـعض موانيه ، ثم غادره مصطفى باشا والي المخا مع بقيـة قوات الأتـراك ، باستثنـاء من رغب منهم بالبقـاء في اليمن ، وأعلن ولاءه للإمام المؤيد محمد بن القاسم ورغب في خـدمته وكـان خروج مصطفى باشا هذا وخروج بقية الأتراك النهـائي من اليمن هو في عـام ١٠٤٥ هـ .

وتتلخص عوامل انهيار الحكم العثماني في اليمن بالآتي :

١ ـ نضال اليمنيين المستمر ضد الوجود التركي طيلة عهده في اليمن ومن أول يوم لوجودهم فيه .

٢ ـ وحدة امراء بيت القاسم في قيادتهم الحرب المقدسة ضد الاستعمار التركي طبقاً للمفهوم السائد آنذاك .

٣ ـ سوء سلوك الكثير من ولاة الأتراك ، وعدم توفقهم الى الأسلوب الأمثل في الحكم ، وعدم انتهاج منهج الاصلاح والتعمير ، وتشجيع الاقتصاد ، والعمل على ازدهاره حتى في المناطق التي توفر لهم فيها الاستقرار على الشريط الساحلي والمناطق المجاورة لها ، والذي امكن لهم بسبب سهولة وصول الأمدادات العسكرية من تركيا اليها ، .

٤ ـ تزعزع مركز الحكومة التركية في معظم البلدان التي لها نفوذ عليها ، بسبب قيام العديد من الثورات عليها في العديد من البلدان العربية وأوروبا الشرقية .

هذا وللحقيقة التأريخية فإنّ حكم العثمانيين في اليمن وفي البلاد العربية (على ما اتسم به من الجمود والتخلف وسوء سلوك العديد من ولاتها) حدّ من مطامع البرتغاليين الذين كانوا يتزعمون الحرب الصليبية كما حدّ من مطامع الأنكليز في اليمن وفي البلاد العربية .

وللحقيقة أيضاً فإنّ التأريخ لن يغتفر لآل شرف الدين وللحمزات خلافهم للأمير المطهر بن شرف الدين ، مما أتاح للأتراك توغلهم في اليمن .

كما لن يغفر التأريخ للمطهر نفسه اتاحته الفرصة للأتراك للتوغل في اليمن وتشجيعهم ومساندتهم في التوغل بسبب خلاف أبيه وأخوته له .

ولن يغفر للمطهر أيضاً قسوته في الحكم وبطشه وجبروته فيما ارتكبه من قتل الرهائن والأسرى اليمنيين كما حدث بالنسبة لرهائن خولان وأسرى موكل عنس وغيرهما مما مرّ بنا .

كما لن ينسى التأريخ للإمام القاسم بن محمد ، ولأولاده تزعمهم النضال ضد الأتراك . ولن ينسى لهؤلاء وحدتهم وتكاتفهم بجانب اليمنيين ضد الوجود التركي حتى تمّ اخراجهم من اليمن .

الناحية الاقتصادية خلال الحكم العثماني الأول في اليمن

ادت الاضطرابات في اليمن خلال الحكم العثماني الأول فيه الى تدهور الاقتصاد القومي كنتيجة حتمية لذلك ، ولم يعمل الأتراك مع ذلك على انعاش التجارة وازدهار الاقتصاد حتى في المناطق المستقرة بالنسبة لهم ، وأدى ذلك بالتالي الى قلة مواردهم مما كان يحملهم على زيادة ظلمهم وتشديد وطأتهم ومصادرتهم للأغنياء والتجار في الكثير من الأحيان ، وانعكس ذلك في زيادة الاضطرابات في اليمن بشكل عام .

الناحية الاجتماعية

أمّا الناحية الاجتماعية خلال الحكم العثماني الأول في اليمن فهي لم تختلف عما كانت عليه قبل وبعد حكمهم ، لأن البنية الاجتماعية في اليمن تقليدية ذات طابع قبلي في الريف . وذات فئات متعددة في المدن ، ومنها فئات التجار والمثقفين والمهنيين وغيرهم .

ولليمنيين في الحضر وفي الريف عاداتهم وتقاليدهم التي يحتفظون بها .

أمّا الزراعة فهي الصفة الغالبة والأساسية في الريف ، والثانوية في المدن وكما هي عليه اليوم .

هذا وكما أدخل الأئمة الزيدية الى اليمن لقب شريف أو سيد على الفرد من اسرهم . كذلك أدخل الأتراك لقب (باشا) الى اليمن اثناء حكمهم فيه ، وصاروا يمنحونه لمن يخلص من الشخصيات اليمنية في خدمتهم ، ثم صار ذلك اللقب يلحق اسماء افراد اسرة الشخصية التي منحته كلقب عائلي .

دولة بيت القاسم بعد خروج الأتراك من اليمن

لمّا[1] تمكن الإمام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد بمساندة اليمنيين من اخراج الأتراك في حكمهم الأول من اليمن وذلك في عام ١٠٤٥ هـ بسط نفوذ دولته على اليمن جميعه تقريباً ، وولى اخويه الحسن والحسين ولايات واسعة ، كما ولى غيرهما من الأشراف ومن غيرهما ، وظلّ أخواه المذكوران على ولايتيهما الواسعتين الى موتهما ، (الحسن بن القاسم في عام (١٠٤٨ هـ) و(الحسين[2] بن القاسم في عام (١٠٥٠ هـ) .

وكان الأمير احمد بن الحسن بن القاسم يطمح بأن يوليه عمه الإمام المؤيد جميع ما كان ابوه والياً عليه ، ولكن المؤيد لم يوله إلا بلاد وصاب ، ووصل اليها احمد بن الحسن واعلن خلافه على عمه منها ، بعد ان طرد عامل بلاد عتمةالمطهر بن محمد الجرموزي وتمركز في المنطقة .

الأمر الذي حمل الإمام المؤيد على تجهيز جيش كبير لحربه واخضاعه بقيادة عمه الحسين بن القاسم ، وقامت معركة بينهما في مغربة عتمة اسفرت عن انهزام جيش احمد بن الحسن وتسليم نفسه الى عمه المذكور .

وبحسب تعليمات الإمام فقد وصل الحسين بن القاسم مع ابن اخيه احمد بن الحسن الى مدينة اب الذي نمي الى الإمام مساندة عاملها الشيخ علي شمسان لأحمد بن الحسن ، وعاد الحسين بن القاسم به وبابن اخيه الى

---

(١) اللطائف السنية (مخطوط) .

(٢) وهومؤلف(الغاية) في علم الأصول .

صنعاء ، حيث حدد الإمام اقامتهما معاً فيها وبنى لشمسان داراً فاخرة فيها كما ذكر المصدر(٣) .

وفي عام ١٠٥١ هـ طلب الإمام من احمد بن الحسن كشفاً بمتروك والده قائلاً له : إن كان ذلك لبيت المال فلا تستحقه وإن كان لأبيك فهو لك ولشركائك من ورثة ابيك » .

فاستشعر احمد بن الحسن بأنّ ذلك الطلب مجرد استفزاز له ، وإنّ وراءه خطراً عليه يعتزم الإمام ايقاعه به ، فانسحب من صنعاء الى بلاد خولان يجمع الرجال حوله منها ثم من بلاد عنس وبلاد قيفة وانتقل بهم الى بلاد قعطبة معلناً خلافه مرة اخرى على الامام .

مما حمل الإمام كذلك ان يجهز جيشاً كبيراً لحربه بقيادة اخويه اسماعيل وعبد الله ابني القاسم بن محمد ، وقامت حرب بين الجانبين عند نقيل الشيم القريب من قعطبة اسفرت عن انهزام عسكر احمد بن الحسن وانسحابه هو الى عدن ولجوئه بأميرها (الحسين بن عبد القادر اليافعي) ، وأقام عنده حتى وصل اليه امر الإمام بارساله إليه ، فعرض اليافعي عليه امر الإمام ، فانسحب الى بلاد يافع ، وأقام فيها حتى وصل اليه موفداً من الإمام (القاضي احمد بن الحسن اليافعي) لتأمينه والوصول به اليه ، فأذعن احمد بن الحسن وعاد الى الإمام المؤيد الذي احسن استقباله وزوجه بابنته وانهى بذلك كل خلاف بينهما .

الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم

ولما(٤) توفي الإمام المؤيد الكبير محمد بن القاسم بن محمد في عام (١٠٥٤ هـ) دعا اخوه احمد الذي كان حاضراً عنده يوم وفاته في مدينة شهارة .

---

(٣) و(٤) المواهب السنية مخطوط .

ولكن اخاه اسماعيل الأصغر منه سناً عـارضه ، وقـامت بين الأخـوين مناوشة انتهت بتنازل احمد لاسماعيل ، واستتب الأمر لاسماعيـل الذي اتخـذ مدينة ضوران آنس عاصمة لدولته ومركزاً لإقامته .

هذا وقد توفي الإمام المؤيد عن أربعة وعشرين عاماً من دعوتـه وثلاث وستين سنة من مولده .

ومن أولياته اجـازته صـرف زكاة الهـاشمي الغني في الهاشمي الفقـير ، وتشريعه أخذ الزكاة في القليل والكثير دون التقيد بالنصاب الشرعي .

وقد خالف امير عدن وأبين الحسين(٥) بن عبد القادر اليافعي على الإمام المتوكل اسماعيل عام ١٠٥٥ هـ وجهز الإمام لإخضاعه احمد بن الحسن الخبير بالمنطقة ، واستطاع ان يعيد نفوذ دولة الإمام اليها وان يولي عليها .

امتداد نفوذ الإمام المتوكل الى المناطق الشرقية

كانت بعض المناطق الشرقية قد خرجت عن دولة بيت القاسم منذ عام (١٠٣٥ هـ)، وقد جهز الإمام المتوكل اسماعيل لإعادتهـا الى حظيـرة الدولـة القاسمية الأمير احمد بن الحسن بن القاسم . فأخضع أولاً بلاد الرصاص من بلاد البيضا بعد مقتل الشيخ حسن الرصاص الذي كان قد جمع المقاتلين من بلاده التي كانت تعرف ببني ارض ومن دثينة والمصعبين وآل عمر وآل هصيص وآل حميقان وبني غيلان وبلاد العواضي والملاحم وغيرهـا ، كما انضمت اليـه جموع من بلاد العوالق وبلاد يافع العليا ومن الواحدي والفضلي ، وكان قد بنى في مكان يعرف بنجد السلف سوراً مستطيلاً من الشرق الى الغرب طوله ميل وحصنه بالرماة ، وجعل وسطه كالديوان واتخذه مركزاً له كالقلب من الجناحين، وأمر كل قبيلة بأن تصل اليه بأهلها وان يكونوا في الشعاب القريبة من المعسكر لئلا يفروا أو ينهزموا في وجه قوات الإمام المتوكل .

ولكنه حدث ان تغلبت قوات الإمام كما علمنا وذلك في عا م (١٠٦٥ هـ) .

---

(٥) المواهب السنية (مخطوط)

ثم تقدم احمد بن الحسن بقواته الى بلاد يافع وبسط فيها نفوذ دولة الإمام المتوكل دون حرب ، وولى عليها شرف الدين بن المطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن شرف الدين وعاد هو الى صنعاء .

ولكن بلاد يافع سرعان ما خالفت على الإمام ، فجهز لإخضاعهاولده محمد بن اسماعيل ، ثم عززه بقوات اخرى تمكنت جميعها من اخضاعها وفتح الطريق الى بلاد حضرموت التي كان اميرها بدر بن عبد الله بن عمر الكثيري قد ثار على عمه امير حضرموت بدر بن عمر الكثيري في عام ١٠٦٤ هـ .

ولكنه لما(٦) أدرك خضوع بلاد يافع العتية للإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم ، راسله معلناً ولاءه له ، فأقره الإمام على ولاية حضرموت الأظفار الحبوضي من بلاد حضرموت فإن الإمام ولى عليها الأمير السلطان بدر بن عمر الكثيري ، وكان بين السلطانين منافسة شديدة حملت بدر بن عمر الكثيري على اعلان ولائه للإمام لضمان مساندته له وهو ما حدث كما علمنا .

وظل بدر بن عمر على ولايته لظفار حتى وثب عليه جعفر بن عبد الله الكثيري في عام (١٠٦٨ هـ) موعزاً من اخيه السلطان بدر بن عبد الله واستولى على ظفار . ووصل السلطان بدر بن عمر الى الإمام المتوكل مستنجداً به .

فانجده(٧) في عام (١٠٦٩ هـ) بجيش كبير بقيادة الأمير احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد آنف الذكر . ووصل احمد بن الحسن بقواته الى بلاد حضرموت واخضعها بعد انهزام بدر بن عبد الله الكثيري ، ثم استسلامه وارسله الأمير احمد بن الحسن الى الإمام المتوكل الذي ابقاه لديه أياماً ثم اذن له بالعودة الى بلاده حيث توفي فيها عقب عودته اليها .

كما أعاد أحمد بن الحسن بدر بن عمر على ولايته على ظفار

---

(٦) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) والحسن بن عبد الرحمن في (المواهب السنية) ج ١ . مخطوطين .

(٧) حمزة علي لقمان في كتابه تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ص ١٤٠ .

الحبوضي وعاد هو الى الإمام .

وفي عام (١٠٧٠ هـ) اسند الإمام المتوكل ولاية الشحر على ساحل حضرموت الى السلطان علي بن بدر بن عبد الله الكثيري . كما جهز في عام (١٠٧١ هـ) الأمير احمد بن الحسن المذكور على رأس جيش كبير الى بلاد الفضلي في أبين ، واضطر السلطان حيدرة الفضلي الى تسليم نفسه اليه بعد ان استأمنه عن طريق سلطان الواحدي وأعاد احمد بن الحسن نفوذ الدولة القاسمية الى بلاد الفضلي وغيرها في المنطقة .

يوم الغدير

احتفل[٨] بهذا اليوم وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة لأول مرة في تأريخ حكم الأئمة في اليمن في عهد الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم بن محمد في عا م (١٠٧٣ هـ) بالإشارة من الأمير احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد وذلك للتنويه بمكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وزوجه فاطمة بنت رسول الله وولديها الحسن والحسين لما يروى ان رسول الله ﷺ جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين تحت كساء في هذا اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة في موضع يعرف بغدير خم وقال : (اللهم إنّ هذا كسائي وكساء أهل بيتي ، اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه) . الى آخر الحديث .

خلاف الامير علي بن احمد بن القاسم ودعوته وتخليه

وفي عام (١٠٨٧ هـ) اعلن امير صعدة علي بن احمد بن القاسم بن محمد خلافه على الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم بن محمد ودعا الإمامة لنفسه وتلقب بالمنصور ، وذلك بسبب خلافه مع الأمير احمد بن الحسن الذي كان قريباً ومقرباً من الإمام ، وقد برّر علي بن احمد خروجه على الإمام المتوكل ودعوته لنفسه بكبر سن الإمام ومرضه الدائم وعجزه عن ادارة شؤون الدولة والميل الى أولاده ، وذلك في رسالته التي بعث بها الى الإمام . الأمر

(٨) الكبسي في اللطائف السنية المذكور .

الذي حمل الإمام على اصدار امره الى احمد بن الحسن بالتحرك من مدينة الغراس مكان اقامته على رأس جيشه لحرب الإمام المنصور المعارض ، وقامت حرب بين الجانبين كان لجيش احمد بن الحسن التفوق فيها .

ومع ذلك فقد انهى موت الإمام المتوكل في نفس عام خلاف علي بن احمد المذكور ودعوة احمد بن الحسن خلاف علي بن احمد ودعوته .

الإمام المهدي احمد بن الحسن بن القاسم

وكانت وفاة الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم في التأريخ المذكور عا م (١٠٨٧ هـ) بمدينة ضوران آنس عن ست وستين سنة من مولده وثلاث وأربعين سنة من دعوته ، وعن ثلاثة عشر ولداً ذكراً ، ومن جملة وصاياه لهم عند موته قوله : « وابتغوا من فضل الله ولا يحملنكم الثقل على السكون في البيوت ، فأطلبوا الرزق من فضل الله وتنقلوا ، ولا تتخذوا السؤال حرفة فبئست الحرفة ، ولكن اطلبوا الرزق الحلال واحياء الأموال ، وان امكن ان تجعلوا لكم نواباً في البيع ، والشراء فهو حسن نافع ، وإن لم يكن إلا بأنفسكم فافعلوا » .

هذا ويعتبر عهد الإمام المتوكل هذا ازهى عصور الإمامة على الاطلاق ، ومنذ عهده وحتى نهاية خلفه الإمام احمد بن الحسن امتد نفوذ حكم الإمامة الى المناطق الشرقية والجنوبية في اليمن ، وذلك منذ استقلت بسلاطينها ومشايخها وانفصلت عن اليمن الأم في نهاية عهد دولة بني طاهر كما علمنا ، وكان مد نفوذ الدولة اليها على يد احمد بن الحسن وبموت الإمام المتوكل ايضاً انتهت فترة شباب الدولة القاسمية .

وقد جمع احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد الى مدينة الغراس مكان اقامته وبعد ثلاثة أيام من وفاة الإمام المتوكل كبار العلماء والأعيان وامراء الجيش وكبار اقاربه بما فيهم الأمير محمد بن الإمام المتوكل ، وذلك للتشاور فيمن يخلف الإمام المتوكل ، واستقرّ رأي المؤتمرين على مبايعته ، وبايعوه ولقبوه بالمهدي ، وكان يعرف بسيل الليل ، وقد عارضه كل من :

القاسم بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد ودعا لنفسه في شهارة وتلقب بالنصور

والحسين بن الحسن بن القاسم ودعا لنفسه وتلقب بالواثق .

والسيد محمد بن علي الغرباني ، ودعا لنفسه في برط .

والسيد احمد بن ابراهيم المؤيدي ودعا لنفسه في بلاد صعدة .

ولكنه سرعان ما حسم الخلاف بين الأخوين المتعارضين ، ولزم الحسين ابن الحسن الإقامة في داره بمدينة رداع على ان لا يبايع اخاه احمد بن الحسن ولا يقوم بأي حركة مناوئة له .

كما قامت حرب بين الإمام المهدي احمد بن الحسن والمنصور القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد انتهت بصلح يقضي بأن يتنازل المنصور للمهدي مقابل اقطاع المهدي إياه بلاد حجة وعفار وكحلان وبعض بلاد الشرفين وبلاد السودة وظليمة والأهنوم من اشد ، وتمّ الأمر على ذلك ، ويبدو أن الإمامين المعارضين أيضاً محمد بن علي الغرباني واحمد بن ابراهيم المؤيدي لم يقوما بنشاط يذكر .

وفي نفس عام دعوة الإمام المهدي احمد بن الحسن اجلى اليهود من صنعاء الى القاع الذي عرف بقاع اليهود ويعرف اليوم بقاع العلفي ، وهدم كنيستهم في صنعاء وبنى جامعاً مكانها عرف بجامع الجلاء ما يزال معروفاً بهذا الإسم الى اليوم ، وكان الإمام المهدي ناهضاً قوياً ومن ألمع ائمة بيت القاسم ، ومن أبرز ما اخذ عليه عدم تسامحه المذهبي[10] .

الإمام المؤيد الصغير ومعارضوه

وقد[11] توفي الإمام المهدي احمد بن الحسن بن القاسم في مدينة الغراس

---

(٩) و(١٠) اللطائف السنية والمواهب السنية ج ١ مخطوطين .

(١١) اللطائف السنية (مخطوط)

من بني الحارث احدى نواحي صنعاء في عام ١٠٩٢ هـ . ١٦٨١ م عن ثلاث وستين سنة من مولده ، وخمس سنوات من دعوته ، وكان قد بدأ النزاع يدب في الأسرة القاسمية منذ عهده بالرغم من قوة شخصيته .

أما انحلال وضعف الدولة القاسمية فإنما بدأ بالفعل من بعد موته كما سنعلم .

ذلك[١٢] انه دعا بعد موته محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم بن محمد ، وتلقب بالمؤيد الصغير ، تمييزاً له عن المؤيد محمد بن القاسم بن محمد والذي عرف فيما بعد بالمؤيد الكبير .

وعارض المؤيد الصغير كل من :

١ - الحسين بن الحسن بن القاسم بن محمد في بلاد رداع .

٢ - والقاسم بن المؤيد الكبير المذكور في شهارة .

٣ - وعلي بن احمد أبو طالب في صعدة .

٤ - ومحمد بن احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد في منصورة الصلو من بلاد الحجرية .

٥ - والحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن شرف الدين في كوكبان .

٦ - وعلي بن المتوكل اسماعيل بن القاسم في مدينة اب .

٧ - والحسن بن المتوكل اسماعيل بن القاسم في تهامة .

ولكنه آل أمر الجميع الى مبايعة المؤيد الصغير المذكور .

لأنّ بيده فيما يبدو الأموال التي تركها والده .

---

(١٢) اللطائف السنية (مخطوط) .

الى جانب مساندة كبار رجال دولة ابيه وقادة جيشه له ، لأن فترة حكم احمد بن الحسن الخمس سنوات لم تبعد بالمؤيد الصغير عن عهد ونفوذ والـده المتوكل اسماعيل بن القاسم الذي يعتبر عهده ازهى عصور دولة بيت القاسم التي امتدت كما عرفنا منذ دعوة القاسم بن محمد في عام ١٠٠٦ هـ وحتى قيام دولة بيت حميد الدين التي قامت على انقاضها ثورة اليمن الخالدة في ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢ م ، ربيع الثاني من عا م ١٣٨٢ هـ .

وقد أقام المؤيد الصغير في مـدينة ضـوران آنس حيث كان يقيم والـده المتوكل اسماعيل بن القاسم المذكور .

ولعل المؤيد الصغير كان يترسم خطى المؤيد الكبير .

وقد اختط المؤيد الصغير مدينة معبر في جهـران ، وكان يقيم فيهـا وفي ضوران آنس ، وسماهـا بهذا الإسم لأنها كـانت معبر المسـافرين بـين صنعاء وعدن .

وقد[١٣] انفصلت المناطق الجنوبية والشرقية عن اليمن الأم للمرة الثانية والأخيرة في عهده أي الإمام المؤيد الصغير .

وجهز الإمام المؤيد الصغير لاستعـادتها واعـادة بسط نفوذ دولتـه عليها الأمير عبد القادر بن الناصر آل شرف الدين دون جدوى . ذلك أنّ الأمير عبد القادر بن الناصر المذكور جهز ولده الحسين في عام (١٠٩٤ هـ) لقيادة الجيش وتنفيذ المهمة ، وتحرك حسين عبد القادر بن الناصر عـلى رأس جيش كبير من بلاد كوكبان وغيرها ، ووصل بقواته الى بعض المناطق الجنوبية ، وكان من بين قادة جيشه (الحسين بن المهدي) ، وكان ضعيف الرأي قليل الخبرة بأساليب القتال ، فأورد الجيش مورداً صعباً بين شعاب الجبال في بلاد يافع ، مما أدى الى تحكم الجانب الآخر وسيطرته وقتل الكثير من جيش الإمام ، وممن قتل من كبار قادة الجيش الإمامي في ذلك اليوم (احمد بن محمد بن الحسين بن القاسم بن

(١٣) المواهب السنية (مخطوط) .

محمد) الملقب بحجر لكثرة صمته ، وفي ذلك انشأ الحسين بن عبد القادر بن الناصر قوله :

وددت مصـرع مـولانـا الحسـين ولا الرجوع في سلك قوم بعد ان كسروا
وصرت انشد من كـرب ومن أسف مـا أطـيب العيش لو أن الفتى حجر

ويعني بمولانا الحسين (الحسين بن المهدي) .

وأضاف المصـدر قائلاً : « وتوفي المولى الحسين بن المهدي سنة (١٠٩٥ هـ) ، بتعز ، وقيل انه عزم أن لا يواجه الإمام المؤيد بالله بعد هـذه الوقعـة حياً » .

وكانت للأمير الحسين بن عبد القادر بن الناصر عودة الى بلاد يافع سجل فيها بعض الانتصارات الحـربية ولكن دون أن يتمكن من اعـادة نفوذ الـدولة القاسمية عليها .

وقد عقدت فصلاً خاصاً بانفصال الجنوب اليمني عن اليمن الأم بعنوان (جنوب اليمن من الانفصال حتى الاستقلال) .

وفاة الإمام المؤيد الصغير

توفي الإمام المؤيد الصغير في حمـام علي من بـلاد آنس في شهر جمـادي الآخرة من عام (١٠٩٧ هـ) ونقـل جثمانـه الى ضوران آنس حيث دفن الى جانب ضريح والده وذلك عن عمر دام ثلاثة وخمسين عاماً ، وحكم دام خمسة أعوام ، وقد تحدث المؤرخ السيد محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه[١٤] عن الإمام المؤيد الصغير وعن الوضـع في عهده فقـال : « وكان رحمـه الله أويس زمانه وفضل أوانه ، زاهداً في الدنيـا مؤثراً الآخـرة ، لا يأكـل من بيت المال شيئاً ، ولا يلبث يأنس بالصالحين ، ويتوحش من المترفين ، ودعـا عقب موت المهدي ، وعارضه الحسين بن الحسن والقاسم بن المؤيد (الكبـير) ، الذي تقدم ذكره ، حصل عليه خلاف أهل المشرق ، وكان آله قد أمنـوا سطوتـه ،

(١٤) اللطائف السنية (مخطوط) .

فأستبدوا بالأمور ، وكان صنوه السيد العلامة الأديب الرئيس النجيب علي بن المتوكل بـاليمن ، له دولـة متأثلة وصـولة مكملة ، وكـان خيله الف عنان ، ومستبداً بولاية تلك البلاد (اب وجبلة واعمالها) وهو جد بيت المتوكل في اب وجبله وصاحب المنصورة (محمد بن المهدي احمد بن الحسن) مستقل بأعمال الحجرية وما اليها ، والحسين بن حسن مستقل برداع وما اليها ، والمشرق الى اعمال حضرموت ، وعلي بن احمد مستقل بمدينة صعدة وأعمالها ، وحسن بن المتوكل كان في اللحية نافذ الأوامر الى زبيد وبيت الفقيه ، والحسين بن محمـد أبو طالب في عمران مستقلاً ببلادها وحاشد وبكيل الى اعمال صعدة ، وحسين ابن المتوكل بصنعاء وأعمالها ، وكان الإمام المؤيد يتوجع من سيرة البعض منهم في الرعية على ما لا يبيحه الشرع ، وعرض بعد دعوته خلاف يافع ، ووقعت حروب عظيمة بينهم وبين اولاد الإمام لم يقفوا منها على طائل ، وظلّ في بعضها الأمير احمد بن محمد بن الحسين ، وتغلق المشرق (يعني الجنوب) من ذلك الوقت ، والإمـام المؤيد بقي عـلى تلك الحال الحميـدة الى سنة سبـع وتسعين وألف ، وأصـابه مـرض اقعده عن افتقـاد الأطراف ، فـوجد القـوم الفرصـة وصارت الإمارة فوضى » .

« ثم وصف لـلإمام المؤيـد بالـذهاب الى حمـام (المعرة) المشهـورة الآن بحمام علي غربي جبل ضوران ، وكان مرضه الاستسقاء ، فلمّا وصل اليه بقي يسيراً ، واشتدّ به المرض وانتقل الى رحمة الله هنالك ، وحمل الى مشهد والده المتوكل على الله اسماعيل في الجبل المذكور ، وقبـر في القبة التي عـلى والده ، وكان كثير الشفقة على المسلمين ، يحمل الناس على المحجة البيضاء لا تأخذه في الله لومة لائم » .

الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ومعارضوه

١ ـ وقد(١٥) بويع اثر موت الإمام المؤيد الصغير المـذكور الحسـين بن عبد

(١٥) محمـد بن اسماعيـل الكبسي في (اللطائف السنية) مخـطوط . والحسن بن عبـد الرحمن في (المواهب السنية) ج ١ مخطوط أيضاً .

القادر بن الناصر بن عبد الرب بن شرف الدين ولقب بالمتوكل ، وانتقل من ضوران آنس الى شبام كوكبان وهو المقر الرئيسي آنذاك لآل شرف الدين .

كما دعا بعدموت المؤيد الصغير كل من :

٢ ـ علي بن احمد أبو طالب في بلاد صعدة تجديداً لدعوته السابقة ،

٣ ـ والحسين بن الحسن بن القاسم في مدينة رداع تجديداً لدعوته السابقة ايضاً .

٤ ـ ويوسف بن المتوكل اسماعيل بن القاسم في ضوران .

٥ ـ وعلي بن حسين الشامي في مسور خولان .

٦ ـ والحسين بن محمد بن احمد بن القاسم في عمران .

٧ ـ والحسين بن المتوكل اسماعيل بن القاسم في اللحية .

٨ ـ ومحمد بن احمد بن الحسن بن القاسم في منصورة الصلو ببلاد الحجرية .

وهو صاحب الكنى الثلاث ، حيث تلقب أولاً بالناصر ثم بالهادي ، ثم بالمهدي ، ويعرف بصاحب المواهب (قرية بالقرب من ذمار شرقاً اتخذها في آخر ايامه عاصمة لدولته ومركزاً لإقامته) وسألتزم لقب المهدي في تأريخي له هنا .

وقد تغلب الإمام المهدي هذا على غيره من الأئمة على النحو التالي :

فأمّا الحسين بن عبد القادر بن شرف الدين فإنه تنازل عن الدعوة لخاله علي بن احمد أبو طالب الذي قصر المهدي نفوذه على صعدة وأعمالها مقر ولايته الدائمة بعد حرب قامت بينهما ، وكان على رأس قوات المهدي ولده الأمير اسماعيل الذي حدث ان غدر به رجل من أهل بلاد صعدة الموالية للإمام علي ابن أحمد أبو طالب وقتله وهو في طريق عودته من صعدة الى صنعاء .

وأمّا الحسين بن الحسن بن القاسم صاحب رداع فإنّ الإمام المهدي تمكن

من القبض عليه واعتقاله ، واستمر في معتقله عشر سنوات ثم اطلقه وتوفي في صنعاء عام (١١٢١ هـ) .

وأمّا يوسف بن المتوكل اسماعيل بن القاسم فإنه وصل الى الإمام المهدي الى منصورة الصلو وبايعه ثم عاد الى صنعاء ، ولكنه ما لبث ان غادرها الى خولان صنعاء وأعاد الدعوة لنفسه فيها وحشد جموعه منها ومن غيرها ، وقصد الإمام المهدي الى منصورة الصلو لحربه ، وكان من بين كبار قادة جيشه الأمير عبد الله بن الإمام المهدي الذي خرج على ابيه وانضم الى الإمام يوسف بن المتوكل وعدد من كبار الأمراء الأشراف ومنهم (إسحق بن المهدي احمد بن الحسن) أخو المهدي محمد بن احمد بن الحسن الإمام المذكور وعبد الله بن يحيى ابن محمد بن الحسن وغيرهم ممن اشار اليهم الشاعر سعيد بن محمد السمحي مشيراً الى تجمعهم لحرب الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن المذكور بقوله :

يقول وقد ضاق الخناق محمداً	وحلّ به داعي الردا والحوادث
أخٌ وابن صلب وابن عم تحالفوا	فما تُتَقى منهم رماح عوابث
ولو كان رمحاً واحداً لأتقيته	ولكنه رمح وثان وثالث

وقامت معارك بين الجانبين كانت كفة يوسف بن المتوكل هي الراجحة ، وحوصر الإمام المهدي حتى كاد يستسلم ، وكان قد أضعف روح المقاومة لديه ولدى جنوده نفاد الماء عليهم في المنصورة وفي قلعتها الدملوة التي كانوا يعتصمون بها .

ولكنه حدث هطول مطر غزير ملأ مناهل وسدود قلاع المهدي ومعسكرات جنوده ، وأضطرّ المطر في نفس الوقت الإمام يوسف بن المتوكل والأمراء الذين بجانبه الى اللجوء الى قبة قريبة من معسكرهم، ولم يشعروا إلا بهجوم الإمام المهدي عليهم ليلاً والقبض عليهم وتقييدهم والصعود بهم الى معتقلاته في الدملوة .

ثم تحرك من بلاد الصلو بجموعه الى بلاد تعز فبلاد اب وحتى بلاد ذمار حيث بسط نفوذه فيها وولى عليها . وقد أقام في حصن هران بالقرب من ذمار عامين كاملين ، ووفدت اليه جموع القبائل مهنئة ومبايعة .

كما وفد عليه الى الحصن المذكور الإمام الحسين بن محمد بن أحمد وتنازل له عن دعوته وبايعه . وبعث الإمام الحسين بن المتوكل وزيره الفقيه زيد بن علي الجملولي الأهنومي ، لإعلان تنازله له أيضاً . وقد كافأ الإمام المهدي الوزير المذكور بقتله بتهمة السحر والشعوذة وكان منجماً ، وفي ذلك انشأ الشاعر السيد عبد الله بن علي الوزير قوله :

من بعد ما عاينت زيداً لا أرى — قول المنجم غير زور فاضح
مسراه في سعد السعود فلم غدا — من صبحه في كف سعد الذابح

وأمّا الإمام علي بن حسين الشامي الذي دعا في مسور خولان فلم تذكر التواريخ قيام احداث تذكر بينه وبين الإمام المهدي ، ولعله لزم منزله ولم يقم بأي نشاط يذكر .

هذا وكان الإمام المهدي قبل تحركه من بلاد الصلو قد أرسل الإمام يوسف بن المتوكل اسماعيل وبقية الأسرى الى معتقل تعز ومنه الى معتقل صنعاء ، ثم أطلقهم بعد سبعة أشهر من اعتقالهم .

وقد أعاد الإمام يوسف بن المتوكل الدعوة لنفسه في عام (١١٠٩ هـ) بتشجيع ومساندة جماعة من بيت القاسم المناوئين للإمام المهدي ، وبمساندة ابن مذيور الحيمي ، وعامر الهبل الخولاني ، ولكن هؤلاء تخلوا عنه ، فبدا له ان ينتقل الى برط للتمركز فيها والانطلاق منها ، بعد ان يكون قد حصل على مساندة أهلها له .

ولما كان في قرية صرف شرقي الروضة في طريقه الى برط توقف فيها ، وبعث منها جماعة من رفاقه الى الروضة لشراء بعض الحاجات ، فعثر عليهم رجل من أهل الروضة ودلّ عليهم عاملها ، وهو أبلغ عامل صنعاء للمهدي

حيث تحرك من فوره الى صرف على رأس ثلة من الجنود وقبض على الإمام يوسف ورفاقه ودخل بهم صنعاء ، ثم نقلهم في اليوم الثاني الى الإمام المهدي مكبلين بالقيود .

وكان الإمام المهدي قد استفتى جماعة من العلماء عن العقوبة التي يستحقها يوسف بن المتوكل بسبب تكرار خروجه عليه ، فأفتوه بقتله .

ولكن القاضي علي بن أحمد السماوي لم يجز الفتوى بالقتل ، واستجاب المهدي لرأيه ، وأمر بحبسه وبخراب ديار الحيمة وخولان وقطع أعنابهم .

وفي عام (١١١٣ هـ) افرج الإمام المهدي عن يوسف بن المتوكل واسكنه صنعاء واقطعه بلاد سنحان .

وكان (١٦) المهدي قد انتقل من بلاد ذمار الى بلاد رداع وأقام في موضع يعرف بالخضراء بالقرب من مدينة رداع شيّد فيها القصور وبنى المساجد والدور حتى صارت مدينة من أكبر المدن ، وانهال اليها التجار من مختلف البلدان ، وأقام فيها عشر سنوات .

ثم استوبأها وأعترته امراض فيها ، فانتقل منها الى (المواهب) من بلاد عنس ، شرقي مدينة ذمارشيد فيها القصور و المباني ، كذلك وأسماها (مواهب الكريم) .

وكانت له حروب مع أهل يافع وبني أرض (بلاد الرصاص) في المنطقة الشرقية ومع بلاد الحواشب ودثينة والمصعبين ومراد وبيحان وغيرهم في المنطقة الجنوبية والشرقية من اليمن ، بهدف بسط نفوذه عليها دون جدوى ،

كما كانت له حروب مع مختلف قبائل حاشد في عمران وخمر ومع سفيان من بكيل . ومع السيد ابراهيم بن علي بن حسين المحطوري المدوي الذي برّر حربه له بالسحر والشعوذة ، أو انه نسب اليه ذلك لمعارضته له وقد ذكر أنّ

---

(١٦) محمد بن اسماعيل الكبسي في اللطائف السنية آنف الذكر ، والحسن بن احمد في المواهب السنية ج ١ مخطوط .

عدد من قتل في معاركه معه عشرون ألف رجل ، وفرّ المحطوري الى بلاد صعدة ، وفيها استطاع القائم فيها (علي بن أحمد أبو طالب) أن يقبض عليه ويقتله وينهي حركته ، وفي ذلك انشأ الشاعر احمد بن احمد الآنسي قوله :

الا قل لأبراهيم دجال مدوم تجاريت لمّا ان ضللت عن الرشد
فإن يك سحاراً فقد لقي العصي وأن يك دجالاً فقد لقي المهدي

الإمام المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد الكبير

عارض[١٧] الحسين بن القاسم بن المؤيد الكبير محمد بن القاسم بن محمد في عام ١١٢٤ هـ الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد ، ودعا الحسين بن القاسم لنفسه وتلقب بالمنصور ، مبرراً معارضته بما ذكره المؤرخ القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في تكملته (المقتطف) بقوله : « واحتج على الإمام المهدي ونسبه الى التخبطات في المسيرة ، واستحكام الأعوان في بابه ، وظهورالجور في اخذ الأموال بغير سبب ، والغضب على من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر ، وإنّ كبراء آل الإمام أودعوا السجون ، وأنّ الحقوق أمّحت من ديوان العدالة» .

وكانت[١٨] دعوة المنصور حسين في بلاد العصيمات من حاشد ، وسانده أمير أبي عريش في المخلاف السليماني (عز الدين القطبي) ، وقامت حرب بين الإمامين كان التفوق فيها للإمام المنصور ، الأمر الذي حمل الإمام المهدي على اخراج قائد قواته ابن اخيه الأمير قاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بن القاسم من سجنه ، وجهزه لحرب المنصور .

وجهز[١٩] المهدي مع ذلك جيشاً كبيراً معظم افراده من عبيد السودان

---

(١٧) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط والجرافي في المصدر المذكور .
(١٨) حمزة لقمان في (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٤٨.
(١٩) الكبسي في اللطائف السنية آنف الذكر .

الذين كان قد استكثر منهم وبقيادة مولاه بخيت وذلك لحرب أمير ابي عريش القطبي المذكور ، بسبب مساندته للمنصور حسين ضد المهدي كما علمنا ، وقال المهدي لجمهرة جيشه من العبيد عند توديعه لهم : « هذه المفاسد منشؤها القطبي بأبي عريش ، وإحساني اليكم انما هو لمثل هذه الساعة فبادروا لكفها ، وقد جعلت لكم اجلاً ، وما ظني فيكم خائباً ، فإن فعلتم المراد شملكم اليسار » . فقالوا له : « نحن لك سامعون طائعون » وقامت الحرب بين قوات المهدي والقطبي واسفرت عن انهزام قوات القطبي ووقوعه أسيراً في ايدي قوات المهدي الذي أمر بضرب عنقه ثم ندم على ذلك بعد تغلب المنصور حسين عليه ، وكان القطبي قد استعان بالإمام علي بن أحمد أبو طالب صاحب صعدة ولم يُجْدِه ذلك حيث انهزمت قواته كما عرفنا .

ولم يحسم مقتل القطبي وانهزام جيشه الشرور التي تتابعت على المهدي ، من جراء معارضة المنصور له ، وخروج قائد قواته عليه وهو قاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بعد تجهيزه لحرب المنصور ، فقد احكم تحصينات صنعاء استعداداً للتمركز فيها والاستقلال عن الامامين المهدي والمنصور معاً ، وأعلن أولاً خروجه على المهدي وولاءه للمنصور .

وفي عا م ١١٢٧ هـ حوصر الإمام المهدي في مركزه بالمواهب من قبل قوات المنصور وحليفه قاسم بن حسين واستمرّ الحصار من جمادي الآخرة من العام المذكور الى رمضان من نفس العام ، ثم رفع الحصار بموجب هدنة بين الجانبين حددت مدتها الى شهر شوال من نفس العام على أساس تنازل المهدي للمنصور ، وبموجب شروط منها اقطاع المنصور للمهدي بلاد خبان وبلاد ريمة ، وبلاد بيت الفقيه ، وجعل اليه تعيين ولاتها ، واستحصال واجباتها ، وفي العاشر من شهر شوال المذكور تنازل المهدي للمنصور بخط يده ، وخطب للمنصور في خطبة الجمعة ، وتفرق الناس واستقرت الأمور .

دعوة قاسم بن حسين وموقف الامامين المهدي والمنصور منها .

ولما كان للقاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد دور

كبير في نجاح المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد الكبير محمد بن القاسم بن محمد في الاستيلاء على الحكم من الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد ، فإنّ المنصور ولى قاسم بن حسين ولاية واسعة شملت صنعاء وأعمالها وأعمال تهامة وعدن وغيرها وعظمت بسبب ذلك مكانة قاسم ابن حسين ، الأمر الذي أطمعه بالمزيد من النفوذ والحكم .

وقد بدأ في سبيل تحقيق طموحاته الواسعة بمد نفوذه الى ولايات آل اسحق بن احمد بن الحسن بن القاسم في بلاد وصاب وبلاد عتمة وبلاد العدين وشرعب وزبيد وغيرها ، وكان هؤلاء هم ولاة المهدي عليها ، وممن شملهم عطف المنصور حسين وعفوه بعد تغلبه على المهدي ، وإبقائهم في ولاياتهم ، نزولاً عند رغبة المهدي عند تنازله له وبموجب الشروط التي تم التنازل بموجبها فيما يبدو .

ولذلك(٢٠) فإنّ المنصور حسين لم يجب قاسم بن حسين الى طلبه في اقصائهم وضم ولاياتهم إلى ولايته بحجة شموليتها وقام المنصور حسين مع ذلك بحث آل اسحق على الصمود لقاسم بن حسين ، بل وساندهم في حربهم معه ، ومن ثمة برز الخلاف بين المنصور حسين وبين حليفه قاسم بن حسين وذلك في عام (١١٢٨ هـ) أي بعد عام واحد من تنازل المهدي للمنصور ، فأعلن(٢١) قاسم بن حسين خروجه على المنصور ، في حين قام المنصور بعزل قاسم بن حسين وجهز جيشاً من القبائل من سفيان وحاشد وغيرهما لحربه .

ولكن جيش الإمام المنصور بدلاً من تقدمه لحرب قاسم بن حسين فإنه تحوّل الى بلاد حجة وعاث فيها نهباً وسلباً .

كما تحول منه ابن حبيش السفياني بعسكره الى تهامة وعاث فيها فساداً أيضاً ، ولكنه قتل فيها على يد عاملها للقاسم بن حسين ، وتحوّل بعض عسكر المنصور ايضاً بقيادة ابن جزيلان وعلي الأحمر الى بلاد حراز والحيمة وعاثا فيهما

---

(٢٠) و(٢١) اللطائف السنية آنف الذكر مخطوط .

فساداً كذلك أسوة ببقية قوات المنصور ، وربما بالتوجيه من قاسم بن حسين ، الأمر الذي اضعف مركز المنصور وهيّأ للقاسم بن حسين ان يدعو لنفسه ، وأن يستولي على الحكم من المنصور كما فعل هذا مع المهدي محمد بن احمد بن الحسن (وكما تدين تدان) .

وقبل أن يعلن قاسم بن حسين دعوته لنفسه جمع اليه الى صنعاء عدداً من الأمراء ودعاهم الى خلع المنصور ، أو انهم اجتمعوا ودعوه الى القيام بالأمر على اختلاف في روايات المؤرخين ، فقال قاسم بن حسين للمجتمعين : « أنا سيف من أجمعتم عليه » ثم وجه خطابه الى يوسف بن المتوكل علي بن اسماعيل احد المجتمعين وقال له : « انت المرجع عند المشكل » وردّ هذا الأمر الى السيد محمد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم ومحسن بن المؤيد من المؤتمرين ، فقال محسن بن المؤيد : « لا نرضى بغير العلم (يعني قاسم بن حسين) إماماً فهو الأنهض والأقوى للمسلمين والعارف بأحوال الدنيا والدين » ومدّ يده وبايعه ، ثم اقتدى به بقية المجتمعين ، وتلقب القاسم بالمتوكل ، وبعث بوثيقة البيعة الى المنصور الذي رفضها ، فأعلنها المتوكل قاسم بن حسين على الناس ، ثم حشد قواته وتقدم بها لإخضاع أمراء المنصور في تهامة وغيرها ، وذلك في نهاية العام المذكور (١١٢٨ هـ) ، وكان النصر حليف قوات المنصور حسين في أغلب المعارك ، وسانده الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن الذي كان قد استولى على ذمار بعد دعوة قاسم بن حسين منتهزاً اختلاف المنصور حسين والمتوكل المذكورين ، وقبض فيها على اتباع قاسم بن حسين ومنهم أخوه عباس بن حسين امير ذمار للمتوكل ، وولى المهدي على ذمار ولده عبد الرحمن ، ثم عاد الى المواهب ، ومنها راسل المنصور حسين ، واتفق معه على التكاتف ضد المتوكل (٢٢)

وصارت البلاد موزعة بين الأئمة الثلاثة المتعارضين المهدي والمنصور والمتوكل ، المهدي في ذمار وأعمالها والمنصور في شهارة واعمالها وفي بلاد السودة

---

(٢٢) الجرافي في المقتطف ص ١٧٩ .

وكحلان والشرفين واعمالها ، والمتوكل فيما عدا ذلك . وصمد المتوكل للامامين وحاصر الإمام المهدي في المواهب حتى توفي في عام ١١٣٠ هـ وكانت وفاته عن ثلاثة وثمانين عاماً من مولده ، ووصل كبار اتباعه ومواليه وولده عبد الرحمن الى الإمام المتوكل بعد وفاة المهدي مبايعين ، وأحسن المتوكل استقبالهم وأمر برفع الحصار عن المواهب .

وقد وصف[٢٣] المهدي بأنه كان جواداً مفضالاً مقرباً للعلماء ذا رأي أصيل ، كما وصف بولعه[٢٤] بسفك الدماء .

ولمّا استتبت الأمور[٢٥] للمتوكل استوزر الشيخ صالح بن علي الحريبي وزير الإمام المهدي صاحب المواهب في حياته ، وكانت وزارة الحريبي عامة لخبرته وتورعه وقصور من استوزر المتوكل قبله منذ دعوته كالسيد حسين الأخفش والسيد عبد الله بن علي الكبسي والقاضي حسين بن احمد الحيمي وردمان وغيرهم .

وولى المتوكل قاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بن القاسم المذكور ولده احمد بلاد تعز ، ودامت ولايته عليها ثلاثين عاماً وتوفي فيها والياً عليها ، وهو جد آل المتوكل المعروفين بآل الباشا في تعز .

كما توفي الإمام المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد الكبير محمد بن القاسم بن محمد في عام (١١٣١ هـ) ودفن في مدينة شهارة ، وبايع الحاضرون من شيعته اخاه الحسن بن القاسم وتلقب بالهادي ، ولكن المتوكل قاسم بن حسين صالحه وأقطعه مقابل تنازله عن دعوته بلاد وصاب .

دعوة محمد بن اسحق ثم تنازله للمتوكل

عزم المتوكل على[٢٦] قبض الزكاة من الناس عامة ، وكانت قد جرت

(٢٣) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط .
(٢٤) الإستاذ حمزة علي لقمان في (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٤٨ .
(٢٥) القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في (المقتطف وتكملته) .
(٢٦) المقتطف وتكملته أيضاً واللطائف السنية المذكور .

العادة مع اسلافه من ائمة بيت القاسم بانّ لا تؤخذ من السادة الرؤساء والعلماء ومن كثير من الشخصيات البارزة ، بل تصرف هذه الطبقة زكاة اموالها في فقراء قراباتها ، وتسمى اموالهم بالأجبار ، وعهد المتوكل بالأمر الى الفقيه احمد محمد الشجني الذي بعث بالخراصين الى مختلف انحاء اليمن .

ولما لم يقبل الإمام المتوكل ما عرضه اصحاب الأرض الاجبار والمقطعين من تسليم زكاة اموالهم دون توسط الخرص (التخمين) اجتمع عدد منهم في صنعاء واجمعوا امرهم على الخروج على المتوكل ، ووعدهم الشيخ علي ردمان كبير أرحب بمساعدتهم ثم خرجوا من صنعاء الى ارحب ، وفي قرية مدر منها بايعوا محمد بن اسحق بن أحمد بن الحسن بن القاسم ولقبوه بالمؤيد، وكان ذلك في عام (١١٣٦ هـ) وكانت بين الإمام المتوكل والإمام المعارض له حزازات قديمة كما عرفنا ، ونشط المؤيد محمد بن اسحق ، وحاول بسط نفوذه على بلاد سفيان الحرف وفي أرحب والسودة وغيرها ، وقامت حرب بين قواته وقوات المتوكل سفكت فيها دماء من اليمنيين في الجانبين ، وانتهبت بعض البلاد التي تعرضت لقوات المؤيد . الأمر الذي دفع السيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير الى بذل مساعيه للتوفيق بين المتوكل والمؤيد ، ونجح مسعاه ، وتنازل المؤيد للمتوكل مقابل اقطاعه واخوته بلاد وصاب وبلاد حيس وبلاد الروس من أعمال صنعاء مع الفي قرش تسلم من ميناء المخا للمؤيد ، وأفرج المتوكل عن المعتقلين من اتباع المؤيد من اخوته ومن غيرهم .

هذا وفي عام (١١٣٥ هـ) ظهرت القصيدة التي نسبت للسيد محمد بن اسماعيل الأمير والتي مطلعها :

سماعاً عباد الله أهل البصائر	لقول له ينفي منام النواظر
فيا عصبة من هاشم قاسمية	الى كم ترون الجور احدى المفاخر
وأشنع خطب ما يقول خطيبكم	من الكذب المنشور فوق المنابر
منابر كانت للمواعظ والهدى	فما بالها عادت لسخرة ساخر
لعبتم بأوقاف المساجد كلها	فيا بئس مأمور ويا خزى آمر

ففي آنس كم هجرة قد تعطلت | مساجدها ما بين تال وذاكر
وكم في زبيد هُدّمت من مصالح | وأغلق فيها مسجد للأشاعر
ويا علماء الدين ما لي اراكمو | تغاضيتمو عن منكرات الأوامر
أما الأمر بالمعروف والنهي فرضكم | فأعرضتمو عن ذاك أعراض هاجر
فإن هم عصوكم فاهجروهم وهاجروا | تنالوا بنصر الدين اجر المهاجر

ومنها :

ملأتم بلاد الله جوراً وجئتمو | بما سودت منه وجوه الدفاتر
ووليتمو أمر العباد شراركم | وخولتمو أعمالكم كل ماكر
خراجية صيرتم الأرض كلها | وضمنتموا العمال شر المعاشر
لذاك الرعايا في البلاد تفرقت | وفارقت الأوطان خوف العساكر
وقد رضيت بالعشر من مالها لها | وتسعة اعشار تصير لعاشر
فلم تقنعوا حتى أخذتم جميع ما | حوته وما قد أحرزت من ذخائر

وقد استدعى المتوكل السيد محمد بن اسماعيل الأمير من موطنه في كحلان ولامه على انشاء القصيدة ، ولكن ابن الأمير نفى ان تكون له ، ثم عرض عليه المتوكل تولي القضاء الشرعي فاعتذر عن قبوله .

وقد[٢٧] توفي المتوكل قاسم بن حسين في عام (١١٣٩ هـ) ومن مآثره الجامع المعروف في باب السباح بقبة المتوكل .

الإمام المنصور حسين بن القاسم

وبويع ولده الحسين وتلقب بالمنصور ، وقد استوزر الفقيه حسين الحبيشي ، ثم خلفه بالقاضي حسين بن احمد الحيمي ، وكان وزيره الشيخ صالح بن علي الحريبي قد[٢٨] توفي في عام (١١٢٥ هـ) .

(٢٧) اللطائف السنية (مخطوط) .

(٢٨) وقد شيعه الإمام المتوكل قاسم بن حسين الى مثواه الأخير بمدينة الروضة وقبره معروف كما حكى ذلك الجرافي في (المقتطف)

دعوة محمد بن اسحق مرة اخرى واستتباب الأمر للمنصور

أمّا محمد[٢٩] بن اسحق بن احمد بن الحسن بن القاسم فإنه لمّا توفي الإمام المتوكل قاسم بن حسين اعلن تجديد دعوته وتلقب بالناصر، يسانده الأمراء من اقاربه والأمير احمد بن المتوكل قاسم بن حسين امير تعز منافسة منه لأخيه المنصور حسين بن المتوكل المذكور .

كما آزر الإمام محمد بن اسحق الشيخ علي بن قاسم الأحمر كبير حاشد ، الذي جاء برجاله وعسكر بالقرب من معسكر المنصور في عصر بالضاحية الغربية لصنعاء ، مظهراً رغبته في الاصلاح بين الإمامين ، ولكنه لم يستطع اخفاء تحيزه الى الإمام الناصر محمد بن اسحق ، مما حمل المنصور على استمالته واستدعائه الى معسكره للتباحث معه في الموضوع ، ثم خرج من مخيمه للسباق على الخيل ، وأوعز لمولاه ذي الفقار بأن يقتله ، ثم عاد الى صنعاء ورأس ابن الأحمر على رمح بيد أحد جنوده العائدين معه ، في حين تمكن اتباع ابن الأحمر من قتل الوزير الحيمي لدى منقلبه من معسكر الإمام المنصور الى صنعاء .

كما أثار مقتل ابن الأحمر مع ذلك قبيلة حاشد تساندها قبيلة بكيل ضد الإمام المنصور وانضمتا الى الإمام الناصر وقامت حرب بين الإمامين كانت كفة الناصر هي الراجحة ، وأضطر المنصور الى مبايعة الناصر بعد ان اشترط عليه بلاداً معينة يكون له النفوذ عليها .

ولكنه ، أي المنصور لم يلبث ان نقض بيعته للناصر بحجة عدم الوفاء له بالشروط التي تنازل له على أساسها . ووجد المنصور العون والسند من كثير من القبائل اليمنية في القسم الأعلى وغيره ، مما قوّى جانبه ومكنه من القبض على عدد من امراء آل اسحق وغيرهم من انصار الناصر ، ومنهم : « يحيى بن اسحق امير بيت الفقيه ، ونائبه احمد بن اسحق ، وعبد الله بن اسحق عامل عمران ، والحسن بن اسحق عامل ثلا ، واسماعيل بن محمد بن اسحق عامل

---

(٢٩) اللطائف السنية (مخطوط) .

المخا ، وعبدالله بن أبي طالب عامل جبلة،واستتب الأمر للمنصور ، وانحصر نفوذ الناصر في بلاد كوكبان ، ومع ذلك فقد حاربه المنصور حتى أضطرّه الى الرضوخ فيها دون ان يقوم بأي حركة مناوئة له ، وعقد صلح بين الإمامين على ان يكون للناصر عائدات بلاد كوكبان ، وكان ذلك في عام (١١٤٣ هـ) .

ثم تجدد الصلح المذكور في نفس العام ، ووصل الناصر الى المنصور في صنعاء في عام ١١٤٤ هـ لتأكيد ولائه له ، وقابله المنصور بما يليق به .

الإنفصال النهائي لعدن ولحج عن دولة بيت القاسم

كانت(٣٠) لحج وعدن قد انفصلتا عن دولة بيت القاسم في عهد الإمام صاحب المواهب محمد بن احمد بن الحسن وكانتا هما آخر سلطنات وامارات ومشيخات الجنوب اليمني التي انفصلت عن دولة بيت القاسم ، منذ بدأت بالانفصال في عهد الإمام المؤيد الصغير كما علمنا .

ولما كان عهد الإمام المنصور حسين بن القاسم بن حسين فإنه قام بتجهيز اخيه امير تعز علي بن المتوكل لغزو عدن ولحج وتأكيد ولايته عليهما ، والتي كانت مجرد ولاية اسمية ، وذلك بهدف استمالته وكسب ولائه له .

وقام علي بن المتوكل في ١١٤٥ هـ بغزو لحج وعدن فعلاً ، وأضطر سلطانها (فضل بن علي السلامي العبدلي) الى التسليم ، وتحمل خمسة عشر الف قرش (ريال ماريا تريزا) مع ذلك يحملها الى خزينة الدولة القاسمية كتعويض لها عن الخسارة التي سببتها الحرب لإخضاعه .

ولكنه (أي السلطان فضل) تمكن في نفس العام المذكور من تجديد انفصاله بعدن ولحج وأعمالها عن الدولة القاسمية بعد استعانته بسلطان يافع السفلى سيف بن قحطان بن معوضة ، وكان ذلك هو الانفصال النهائي والأخير لهما .

---

(٣٠) الجرافي في (المقتطف) ص ١٨٣ .

العدوان الانكليزي الهولندي على المخا

حدث[٣١] في عام ١١٤٨ هـ ان اجلى عامل المخا الفقيه احمد خازندار الجالية التجارية الانكليزية والهولندية ، من المخا بحجةعدم خضوعهما للقوانين المحلية ، ولكن حكومتي الجاليتين اعادتهما مصحوبتين بقوة بحرية تمكنت من احتلال قلعة المخا المعروفة بقلعة عبد الغفور ، ورمت المخا بعدد من قنابل مدافعهمادون ان تتمكن من دخول المخا .

ومع ذلك فقد حاصرت حامية المخا الغزاة في القلعة المذكورة ، ومنعت عنها المدد ، مما حمل كابتن السفينة التي حملت الغزاة الى السعي بين الجانبين (الجاليتين وعامل المخا المذكور) على عودة الجاليتين الى المخا مع خضوعهما للقوانين المحلية ، وإنسحاب القوتين الانكليزية والهولندية من القلعة ، وعادت الجاليتان في العام الذي تلا العام المذكور الى اعمالها التجارية في المخا ، وابدل الإمام المنصور حسين بن القاسم بن حسين العامل المذكور بالقاضي محي الدين العراسي ، وكتب الإمام الى الجاليتين المذكورتين ما نصه : « الحمد لله ، الى الأقربين منا مودة الإنكليز وهولندا ، وصل كتابكم وتحققناه ، والعامل رفعناه ، والسلام على من اتبع الهدى » .

خلاف احمد بن المتوكل

خالف امير تعز احمد بن المتوكل[٣٢] قاسم بن حسين اخاه المنصور حسين ابن قاسم بن حسين في عا م (١١٥٢ هـ) وقامت حرب بين الأخوين سفكت فيها دماء غزيرة من اليمنيين في الجانبين ، ونال الناس بسببها مشقة عظيمة عبّر عنها الشاعر أحمد بن حسن الرقيحي بقوله :

صنوان قد سقيا بماء واحد ... والفضل خال من كلا الأخوين
جرحا قلوب العالمين فما لها ... من مرهم إلا دم الأخوين

(٣١) الجرافي في (المقتطف) ص ١٨٣ .

(٣٢) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط . وحمزة لقمان في (تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ٣٤٩ .

وظلت الحرب بينهما حتى تمّ للسيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير عقد صلح بينهما كفت الحرب بموجبه ، ورفع الإمام قواته التي كـان يقودهـا الشيخ حسن بن احمد بن راجح الكينعي ، واقتصر الأمير احمد على ولايته ببلاد تعـز وصبر وشرعب ، وانفصلت عن ولايته بلاد الحجرية .

اخفاق الأمير يوسف بن المتوكل في دعوته

وخالف[٣٣] على الإمام المنصور حسين أخوه الأمير يوسف بن المتوكل في بلاد خولان ، عام ١١٥٥ هـ ، ودعا الإمامة لنفسه وتلقب بالمهـدي ، ولكن الإمام المنصور حسين استطاع بحربه لقبيلة خولان التي ساندت الأمير يوسف ان يضطره الى تسليم نفسه ، واعتقله المنصور بصنعاء مدة ثم أفرج عنه .

خلاف احمد بن المتوكل للمرة الثانية

وخالف[٣٤] أمير تعز احمد بن المتوكل عـلى اخيه المنصـور حسين للمـرة الثانية في عـام (١١٥٨ هـ) ، واستعان في خـلافه هـذا بقبيلة يافـع ، وغزا الشيخ احمد وهيب العلقي عامل بلاد يفرس من أعمال الحجرية . ولكن عامل يفرس المذكور استطاع بمساندة الإمام المنصور حسين ان يهزم يافع بعـد مقتل قائدها قحطان بن عمر ، ولم يكتف الإمام بذلك بل جهز لحرب اخيه احمد بن المتوكل المذكور جيشاً بقيادة الشيخ هادي بن علي بن حبيش كبير سفيان ، حدّ من نشاطه ووضع حداً لخلافه الذي هدف منه هذه المرة فيما يبدو الى استعادة نفوذه في بلاد الحجرية التي خسرها في خلافه الأول ، وكان أحمد بن المتوكل في خلافه هذا وحربه لعامل يفرس المذكور قد استغل اشتغال اخيه الإمام المنصور بحربه مع قبيلة ارحب في عام (١١٥٦ هـ) ممـا اضطر الإمـام الى حربـه كما عرفنا ، ثم فرض عليه حصاراً شديد الوطأة وهو أي امير تعز آنذاك في شرعب واستمرّ الحصار الى موته أي الإمام المنصور في عام (١١٦١ هـ) .

ولما بويع المهدي العباس خلفاً لأبيه المنصور حسين رفع الحصار عن عمه

---

(٣٣) و (٣٤) الجرافي في المقتطف وتكملته) .

أحمد بن المتوكل ، والزمه السكينة والهدوء ، مكتفياً بما هو تحت نفوذه في بلاد تعز .

وأبقى مع ذلك قبيلة بكيل في اليمن الأسفل ، بهدف منع تجدد خلاف أحمد بن المتوكل أو غيره في المنطقة ، ولعل بعض قبائل بكيل المقيمين في اليمن الأسفل هم من هذا التأريخ ، أما البعض الآخر فهم من أيام الإمام المهدي عبد الله كما سنعلم .

حرب الإمام المنصور حسين لقبيلة يام الهمدانية

كانت قبيلة يام الهمدانية من ابرز القبائل المناصرة للإمام المنصور حسين ابان دعوته واثناء عهده ، الأمر الذي حمل المنصور على ان يمنحهم نفوذاً كبيراً في بلاد حراز وبلاد تهامة وغيرهما ، وكانت قلعة طيبة المطلة على منتزه وادي ظهر من المراكز الرئيسية لهم ، ولكنهم أساءوا استغلال نفوذهم في دولة المنصور ، وافسدوا وعبثوا في تهامة وغيرها ، مما حمل المنصور على محاربتهم واخضاعهم ، وهدم مركز (طيبة) حتى صارت كأن لم تغن بالأمس .

الإمام المهدي العباس

ولما توفي[٣٥] الإمام المنصور حسين بن المتوكل قاسم بن حسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم في التأريخ المذكور (١١٦١ هـ) خلّف عدة ابناء كان اكبرهم (علي) الذي كان الناس يتوقعون ان يخلف اباه في الحكم ، إلا ان مؤامرة كانت تحاك خيوطها داخل القصر لإزاحته ، وكانت تدبّر تلك المؤامرة جارية سوداء انجبت للمنصور ولده العباس ، وكانت ذات حظوة كبيرة لدى المنصور .

واستطاعت ان تخفي موت المنصور حتى تمكنت من الإتصال بقاضي

(٣٥) حمزة لقمان في (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٠ .

القضاة يحيى بن[٣٦] صالح السحولي وحملته على العمل على اسناد الأمر الى ولدها العباس ، وقام السحولي بالإتصال بكبار رجال الجيش والدولة وأخذ البيعة منهم للعباس إماماً خلفاً لأبيه ، وتمّ الأمر على ذلك ، ولقب العباس بالمهدي ، وكان اسمر اللون كأمه ، وقد عارضه كل من عمه الأمير أحمد بن المتوكل أمير تعز حيث دعا لنفسه وتلقب بالهادي .

وأحمد بن محمد بن حسين آل شرف الدين أمير كوكبان الذي دعا لنفسه وتلقب بالمهدي ، فأمّا أحمد بن المتوكل فإنه اكتفى بالدعوة ولم يبايع المهدي العباس ولم يقم بأي نشاط ضده ، وظل حيث هو يتمتع بنفوذه على تعز واعمالها ، وردّ من جاءه من القبائل يستثيره ويحرضه ضد الإمام المهدي العباس .

ومع ذلك فقد أوفد الإمام المهدي العباس السيد محمد بن اسماعيل الأمير الى عمه احمد المذكور لإقناعه بالإعتراف به ومبايعته، ونجح ابن الأمير في ذلك ، وتنازل الأمير احمد لأبن اخيه ، وكتب له رسالة رقيقة شكره فيها على انصافه واكد له اخلاصه له في بيعته ، وخطب ابن الأمير في جامع تعز للمهدي في آخر جمعة من شهر رجب من العام المذكور .

وأمّا أحمد[٣٧] بن محمد بن حسين آل شرف الدين فإنّ حرباً قامت بينه وبين الإمام المهدي العباس انتهت بعقد صلح اقره المهدي على ولايته في بلاد

---

(٣٦) شغل القاضي يحيى السحولي منصب القضاء في عهد الإمام المنصور حسين وهو لم يتجاوز السابعة عشرة سنة من عمره ، وأنشد حينذاك قول الشاعر :

فما الحداثة عن حلم بمانعة — قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

وفي عام ١١٥٢ هـ اسند اليه الإمام المنصور حسين منصب قاضي القضاء الأكبر ، وظل فيه طيلة عهد المنصور حسين وشطراً من عهد المهدي العباس ، وفي عام (١١٧١ هـ) تغير عليه وأعتقله وصادره ، ثم أفرج عنه بعد ثلاث سنوات ، ولم يل القضاء إلا في عهد الإمام المنصور علي بن المهدي العباس ، وقد ظل فيه الى موته في عام (١٢٠٩ هـ) ثم اسند المنصور علي منصب القضاء بعده الى القاضي محمد بن علي الشوكاني ،

(٣٧) المواهب السنية ج٢ مخطوط .

كوكبان وعلى غيرها في بلاد حفاش وملحان وغيرها من المناطق المجاورة بموجبه .

وقد[٣٨] تجدد الخلاف بينهما وتجددت الحرب في عام ١١٦٢ هـ ، وتجدد عقد الصلح بينهما في نفس العام ، ولم يخرج في مضمونه عن الصلح الأول .

تغميق انفصال عدن ولحج

وفي عهد[٣٩] الإمام المهدي العباس المذكور قامت محاولة من قبله بالتجهيز لحرب امير لحج وعدن بقيادة عامل منطقة العدين الشيخ عبد الرب بن وهيب العلفي ، بهدف اعادة بسط نفوذ الدولة القاسمية عليهما ، ولكن سلطان لحج وعدن عبد الكريم بن فضل بن علي العبدلي السلامي ، صمد لقوات الإمام في معركة قامت بين الجانبين ، وانسحب قائد قوات الإمام من الحواشب اثر المعركة وعاد الى منطقة ولايته ، ولم تثمر محاولة الإمام غير تعميق سلطان عدن ولحج لإنفصالهما .

ثورة الشيخ عبد الرب بن وهيب العلفي

ولّما اتهمه[٤٠] الإمام المهدي العباس بأنه أخذ الرشوة من سلطان لحج وعدن مقابل انسحابه ، اعلن خلافه على الإمام وقام بثورة هدفها الإنفصال باليمن الأسفل عن حكم صنعاء ، أسوة بالجنوب .

ويبدوأن نفوذ العلفي امتدّالى بلاد لحج ، الأمر الذي دفع بسلطان لحج المذكور الى الاتفاق معالإمام المهديعلى مساندته ضدالعلفي مقابلاعلانولائه له ، وتبادل مع الإمام الهدايا ، ولم يذكر قيام الإمام بحرب العلفي ، وإنما ذكر انه لم يغادر بلاد لحج بعد استيلائه عليها لفترة خمسة أشهر إلا بعد ان سلم له سلطان لحج مبلغاً من المال ، لمساعدته على مصارعة الإمام المهدي .

---

(٣٨) (المواهب السنية) ج ٢ مخطوط .

(٣٩) حمزة لقمان في (معارك حاسمة) من ص ١٤١ .

(٤٠) نفس المصدر والصفحة .

كما لم تذكر المصادر نجاح العلفي في ثورته ، ولا استمرارها ، ولعل الإمام بمساعدة امير تعز أحمد بن المتوكل قضى عليها في مهدها .

وفاة الإمام المهدي العباس

وقد توفي الإمام المهدي العباس في عام (١١٨٩ هـ) ووصفه القاضي محمد بن علي الشوكاني بانه كان من أنبل الأئمة ومن جلائل اعماله قبض الجزية من اليهود بموجب احصاء دقيق لهم ، وكانت *تقبض* جملة من مشايخ أهل الذمة ،

وقبض الزكاة من الزراع عَيناً بعد ان كانت تُقبض بأضعاف قيمتها ، وبعد ان يُزاد فيها على ما يُقدره الخراصون ، وكانت مع ذلك تُلَزَّم للمتقبلين ، مما أرهق الزراع وعطّل كثيراً من المزارع والقرى ، كما منع الخطاط في البيوت ، وأحيا سنة الصلاة المفروضة جماعة في أوقاتها ، وبعث المرشدين في مختلف الجهات لإحياء هذه السنة والحد من عادة جمع الصلاة أو تقديمها أو تأخيرها عن وقتها ، وقد يكون في هذا الوصف بهذه المحامد شيء من المبالغة ، رضىً من المصدر المذكور عن الإمام المهدي العباس المذكور ، لأن مؤلفي كتاب (ابن الأمير وعصره) اوردوا من مثالب الإمام المذكور ما يتنافى مع هذه الأوصاف .

ومن محاسنه العمرانية بناء جامع القبة المعروفة حتى اليوم بقبة المهدي في بستان السلطان بصنعاء ، وفي عهده وعلى يد السيد محمد المنقذي بنيت منارة جامع الجلالية العليا في مدينة اب ، والمنارتان في الجامعين متشابهتان في طابع البناء وفي الارتفاع ، وأوقف على قبة المهدي أوقافاً نافعة .

واستوزر الشيخ احمد بن علي النهمي ، وكان من خيرة الوزراء ، وكان كبير الوزراء يلقب بالوزير الأعظم .

كما اثنى المؤرخ السيد محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه (اللطائف[٤١] السنية) على الإمام المهدي العباس بما يدلّ على انه كان من

(٤١) اللطائف السنية (مخطوط) .

خيرة ائمة بيت القاسم ، وذكر من مآثره الحسنة الى جانب جامع قبة المهدي في حارة البستان بصنعاء مساجد اخرى ومنها المسجد الذي في باب اليمن بصنعاء على يمين الداخل ، ومسجد النور بحافة معمر ، ومسجد التقوى ببستان السلطان .

هذا واذا كان شباب الدولة القاسمية قد انتهى بالإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم ، ثالث ائمتهم ، كما أسلفت ، فإنّ فترة كهولتها انتهت بالإمام المهدي العباس المذكور ، وبولده المنصور علي الأول بدأت فترة شيخوخة الدولة المذكورة وبدأ ينهار صرحها .

الإمام المنصور علي

وقد بويع علي بن المهدي العباس إماماً خلفاً لوالده بعد وفاته في العام المذكور (١١٨٦ هـ) ولقب بالمنصور ، وفي عهد المنصور علي بن احمد بن المهدي عبد الله اضيف الى لقب علي بن العباس (الأول) ، وصار يعرف بالمنصور علي الأول وعلي بن احمد المذكور بالمنصور علي الثاني ، تمييزاً لكل منهما عن الآخر .

وقد قال المؤرخ الكبسي في تأريخه عنه[٤٢] ، أي المنصور علي بن المهدي العباس ما نصه : « واستمرت امارته على اسعاد واقبال في أولها واوسطها ، وبقي على تلك الحال بذالاً للأموال ، شيّد الدور وعمر القصور ، وكان في زي عظيم وملك عقيم من سنة تسع وثمانين ومائة وألف الى سنة اربع وعشرين ومائتين وألف .

وفي هذا التأريخ تلاشت عليه الأمور بخروج التهائم وبنادرها الى الخوارج من نجد ، لمّا قامت الفتنة وعظمت المحنة بقيام عبد العزيز النجدي ، ثم ولده سعود ، الى آخر ما ذكره عن حركة آل سعود مما سيأتي تفصيله » .

---

(٤٢) اللطائف السنية (مخطوط) المذكور .

وكان[٤٣] سلطان نجد (عبد العزيز بن محمد) قد جهز عدداً كبيراً من قبائل نجد لغزو بلاد نجران ، ولكن قبيلة يام إحدى قبائل نجران ردتهم على اعقابهم .

كما أنّ الشيخ محمد عبد الوهاب التميمي النجدي قد ظهـر بدعـوته في نجد ، وحارب البدع ، ودعا الى التوحيد الخالص لله ، إلا أنه تطرف في دعوته فكفّر بالجملة ، وشجع على سفك الدماء . وكانت له مع السيد العلامة محمد ابن اسماعيل الأمير مراسلات شعرية ونثرية ، إلا ان ابن الأمير نـدد في بعض رسائله بتطرف محمد عبد الوهاب ، ومما جاء له في ذلك قصيدة مطلعها :

سـلام على نجـد ومن حلّ في نجـد   وان كان تسليمي على القرب والبعد

ومنها قوله :

وقـد جـاء من تـأليفـه بـرسـائـل   يكفـر أهل الأرض فيهـا على عمـد
ولفّق في تكفـيـرهم كـل حـجـة   تـراها كبيت العنكبـوت لدى النقـد

من صور الماضي

كتب[٤٤] سلطان عمان احمد بن سعيد الى عامل المخا القاضي علي بن صالح العماري في تأريخ (١١٩٤ هـ) رسالة احببت نشرها ليعرف القارىء صوراً من أساليب الماضي ووسائله ، وألواناً من واقعه ووقائعـه ، واليك نص الرسالة :

« من إمام المسلمين ورأس المجاهدين أحمد بن سعيد أسعده الله بتقواه ، وسلك به الى رضاه ، الى عالي الجناب وصفوة الأحباب العالم النبيه والكـامل الفقيه ، والعالم الصالح علي بن صالح ، سلام ارق من الغمام ، وأطيب من عرف الخزام ، وبعد ، فإنا نحمد الله على كل حال ، ونصلي ونسلم على سيدنا

(٤٣) اللطائف السنية (مخطوط) أيضاً .
(٤٤) من تكملة القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي للمقتطف .

محمد وآله خير آل ، ثم لتعلم ايها الرجل العاقل واللبيب الكامل ، انه اتصل بمسامعنا العلية ، وبلغ الى سدتنا السنية ، من رعايانا المترددين الى بنادر اليمن ، ممن يكتسب بالتجارة وهو المكسب الحسن ، بأنه أبدع عليهم بدع عديدة ، بعضها في بندر الحديدة ، وبعضها في بندر المخا المحفوف بالخير والرخاء ، وكنا في شغل بالجهاد لأعداء الله من الطائفة الإفرنجية ، محتفلين بتجهيز الأجناد والعسكر ، في البر والبحر ، واستطاعت المنابذة في العامين الأولين حتى منّ الله علينا بالنصر والظفر ، فأخذتهم جنودنا المنصورة أخذةً رابية ولم يبق لهم في البر ولا في البحر باقية .

ولذا لم نكتب لكم في الموسمين بما شكاه رعايانا ، ولا أنبهناكم بما وقع عليهم من الضيم وهم في كنفنا وحمانا ، ولقد كنا نهمُّ بتجهيز بعض املاكنا المحدودة للقتال ، وأن نأمر بشحنها من المال والرجال ، ونوجهها الى بنادر اليمن ، لا بغياً على أهلها ، ولا طمعاً في أخذها ، إلا انّ جزاء سيئة سيئة مثلها ، وقد علمت أيها الكامل غب الفتنة ، ومآل عاقبة المحنة ، وما يسفك فيها من الدماء ، ويستحل من الدهماء ، فأذهب بعض غيضنا وسكن ما يطيش بحلمنا ما اخبر به الولدماجدمن كمالك ووفرة عقلك ونباهتك ، وشكر الرعايا إياك ، بحسن المعاملة والعدل الذي به تتوفر الخيرات والبركات . فإنّا مع ما بلغنا أذنّا لمن لم نأذن له بالتجارة في البصرة ، بأن ينفذوا الى بنادركم بالتجارة ، ووفرنا ارسال الخشب الى المخا للبضائع المختارة .

وليس ذلك إلا لوصف الولد ماجد وغيره من الوافدين ، فلمّا تحققنا رجاحة مكاتبتك ، وصح لنا حسن ملاحظتك ، وجهنا بكتابنا هذا في مركبنا (فتح الخير) صحبة الولد راشد بن‌ماجد، وأوصيناه مشافهة بما يلقيه اليك ويتلوه عليك ، فإن ينحسم الشقاق ويحصل الوفاق فنعماً هو ، وإن يكن إلا ما قد كان فقد أعذر من انذر »

ولا الكتب إلا المشرفية عندنا ولا رسلٌ إلا الخميس العرمرم

والله المستعان ، وعليه التكلان ، حرر في شهر ربيع الأول سنة (١١٩٤ هـ) .

أمّا رد عامل المخا المذكور فنصه كما يلي :

« الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنام ، وعلى آله حلفاء الحق بنص الكتاب ، وقرناء الذكر بلا ارتياب ، الى حضرة الإمام الأمجد المجيد ، احمد بن سعيد ، شيد الله مجده ، وأدام سعده ، وبعد ، فإنه وصل الرقيم ، والمكتوب العظيم ، وفهمنا ما شرحتم ، وتصفحنا ما ذكرتم وصرحتم ، بشكوى رعاياكم ممن يفد الى البلاد الإمامية من تلقائكم ، فاعلم أبقاك الله وتولاك ، أنّ لليمن ملكاً يتحامى الملوك بحمى حماه ، ويرهبه كل من سواه ويغشاه ، ويذل لسطوته كل من ناواه ، ولا يرضى بالجور فيما تولاه ، ولا بالظلم في كل من حواه ، ولا يأخذ بدعة في مملكته ، ولا اسقاط عادة في بلاد دولته ، وأمّا ما ذكرتم من عشور الحديدة فهو مستمر على ما سلف ، ومتبوع على أثر السلف ، وما ابنتم في مرقومكم من أي جهة كان الظلم ، بل تركتم التفصيل واجملتم ، وأمّا عشور المخا فما ثمة بدعة وما نرضى بها قط ، ونحن لذا امرناهم بذرع الطيقان فقط ، لأنّ التخمين لا يخلو من مجازفة إما عليهم أو على بيت المال ، فحصل منهم التضرر بذلك والإضطراب ، وانشدك الله هل هذا خطأ أم صواب ؟ وأمّا ما أودعتم في غضون الكتاب من الإبراق والإرعاد ، وذكر الجهاد والأجناد ، فلقد كدنا نقول يا لله العجب من بعوضة تطن في اذن فيل ، ولقد حشمنا المجلس الجليل ، وكففنا لسان القلم عن التطويل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

مجمل تاريخ الإمام المنصور الأول علي بن المهدي العباس

ذكر(٤٥) المؤرخون أنّ الإمام المنصور الأول علي بن المهدي العباس خلد الى الدعة واحتجب عن الناس ، ووكل أمور الدولة الى ثلاثة وزراء ، وكان كبير الوزراء يلقب بالوزير الأعظم ، وأنّ الأمور اضطربت في عهده بسبب ذلك ، وخالفت عليه كثيرمن القبائل ، وخرجت بعض أطراف البلاد عن طاعته ، وانتشر الفساد وكثر السلب والنهب ، وحوصرت صنعاء من قبل

---

(٤٥) الكبسي في اللطائف السنية (مخطوط) وحمزة علي لقمان في (معارك حاسمة) ص ١٤٢ .

القبائل حتى كاد أهلها يهلكون .

كما استولى الانكليز في عهد الإمام المنصور المذكور على جزيرة (ميون) (بريم) على مضيق باب المندب وذلك اثر احتلال نابليون بونابرت لمصر .

واستولى في عهده شريف المخلاف السليماني حمود بن احمد بن أبي مسمار على تهامة يسانده سلطان نجد عبد العزيز بن محمد بن سعود وذلك في عام (١٢٢٤ هـ) وامتدّ نفوذ الشريف حمود في تهامة حتى زبيد بما في ذلك مينائي اللحية والحديدة ، ولم يبق تحت نفوذ الإمام المنصور من تهامة إلا المخا وحيس وأعمالها وانه دام استيلاء الشريف حمود على تهامة الى موته في عام (١٢٣٣ هـ).

وخلفه على ذلك ولده الشريف احمد حتى نزعه منه والي مصر (محمد علي باشا) في عام (١٢٣٤ هـ) عن طريق جيش جهزه بقيادة (خليل باشا) تلبية لطلب الإمام المهدي عبد الله الذي خلف اباه الإمام المتوكل احمد بن المنصور علي وكجزء من المهمة التي اعتزم القيام بها والي مصر المذكور في القضاء على النجديين في نجد وأعوانهم كأشراف المخلاف السليماني في المخلاف وفي تهامة تمهيداً لبسط سلطان الأتراك في نجد واليمن وهو ما تمّ فعلاً كما سنرى .

وقد أعاد الوالي محمد علي تهامة الى الإمام المهدي عبد الله المذكور ، وقبض خليل باشا مع ذلك على الشريف احمد بن حمود وأرسله الى الوالي محمد علي الى مصر وذلك في عام ١٢٣٤ هـ المذكور .

وكان[٤٦] الإمام المتوكل أحمد بن الإمام المنصور علي في عهده قد حاول ان يستعيد تهامة من الأشراف وجهز جيشاً بقيادته من القبائل اليمنية ولكنها خذلته وعاد الى ذمار ، وجهز مرة خرى جيشاً أكبر وقاده ووصل به الى جبلة في طريقه الى تهامة ولكن القبائل خذلته مرة أخرى وعاد الى صنعاء .

---

(٤٦) حوليات يمانية ص ٧ .

الإمام اسماعيل بن احمد المغلسي الكبسي

هذا[٤٧] وكان قد دعا في عهد الإمام المنصور علي بن المهدي العباس السيد اسماعيل بن احمد المغلسي الكبسي ، إلا انه اقام في ذمار محتفظاً بدعوته دون ان يقوم بنشاط يذكر .

الإمام المتوكل احمد بن المنصور علي

توفي[٤٨] الإمام المنصور علي بن المهدي العباس في عام (١٢٢٤ هـ) وكان من أكرم الملوك ، كثرت الأموال في دولته ، ونال الناس منه العطايا الجليلة والهبات الجزيلة ، ومن مآثره مسجد الزمر في حارة الزمر بصنعاء .

وقد خلفه ابنه احمد ولقب بالمتوكل ، وكان يلقب في عهد ابيه بسيف الخلافة ، قال المؤرخ الواسعي في تأريخه[٤٩] : « وكان حازماً عاقلاً يقرب العلماء وأصلح ما كان قد أفسده والده ، أي ما كان قد وصلت اليه الأمور في عهد أبيه من الاضطراب واختلال الأمن بسبب عبث القبائل وتكرار محاصرتهم لصنعاء ، الأمر الذي حمل ابنه سيف الخلافة احمد المذكور على الإضطلاع بالحكم في حياة ابيه وعلى كره منه ، قال المؤرخ محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه[٥٠] بعد ذكر ما وصلت اليه الأحوال من فساد واضطراب : « فانثال العلماء الى سيف الخلافة احمد بن المنصور وعظموا عليه التغاضي في هذه الأمور ، فوثب على وزراء والده القرشيين واوقع بهم ، ونهب بيوتهم وأودعهم السجون وأخذ منهم كل مظنون وأصلح الباغي ورفع عن قطع الطرقات وذلك عن كره من والده المنصور ، ولكنه الجيء الى ذلك الفعل بفتوى العلماء أنّ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ثم بقي الأمر بيد سيف الخلافة ولم يصرح بدعواه (الإمامة) ، بل ابقى والده على منصبه حتى توفي في شهر رمضان سنة (١٢٢٤ هـ) .

---

(٤٧) الواسعي في تأريخه ص ٢٢٦ .

(٤٨) حوليات يمانية ص ١ .

(٤٩) ص ٢٢٦ .

(٥٠) اللطائف السنية (مخطوط) آنف الذكر .

الإمام المهدي عبد الله

ولمّا توفي الإمام المتوكل احمد بن المنصور علي بن المهدي العباس خلفه ابنه عبد الله ولقب بالمهدي ، وذلك في عام (١٢٣١ هـ) .

وفي عهده كما علمنا عادت تهامة الى حظيرة الدولة القاسمية بعد ان انتزعها خليل باشا الذي جهزه لذلك الوالي المصري محمد علي باشا ، وذلك[٥١] مقابل اموال معينة وشيء معلوم من البن وبموجب اتفاق عقد بين الجانبين مثل الإمام المهدي عبد الله فيه القاضي محمد بن احمد الحرازي وقاسم ابا صيد والفقيه محمد بن عبد الله الغشم ، ومثل خليل باشا الحاج يوسف اغا ، وكان عقد الصلح المذكور بعد تسليم الشريف احمد بن حمود لتهامة الى خليل باشا ورفع عماله منها ثم تسليم نفسه اليه حيث ارسله الى الوالي المصري محمد علي باشا كما علمنا أيضاً ، وتبادل الإمام المهدي وخليل باشا الهدايا اثناء ذلك .

العدوان الإنكليزي على المخا

ذكر الحادث هذا في (حوليات[٥٢] يمانية) بإيجاز فقال : « وفي تلك السنة (١٢٣٥ هـ) كتب الى المهدي عامل المخا بأن الفرنجي لعنه الله خالف وهرب من البندر مغاضباً بسبب منع العامل له من نشر بيرقه في البندر حسب عادته ، وكان هو تاجر في البندر ويسلم خراج من جملة التجار ، وأقام في البحر أياماً حتى وصل اليه المدد من الولاية وخرج منهم شرذمة ومدافع كبيرة ورموا بندر المخا وأخربوا دوراً كثيرة وآل الأمر الى المصالحة على رجوعه على عادته وينشر بيرقه ، وضعّف عليه أموالاً جزيلة وأهدى للدولة المهدية هدايا سنية منها المدفع الأصفر الذي بقي في بيت المال » .

وقد أورد الحادث الأستاذ حمزة علي لقمان في (تاريخ عدن وجنوب

(٥١) حوليات يمانية ص ٢٥ .
(٥٢) ص ٢٧ .

الجزيرة العربية)[٥٣] بشيء من التفصيل فقال : « وفي سنة (١٢٣٢ هـ) (١٨١٧ م) وقع اعتداء على المقيم البريطاني في المخا ، وقام حوالي ثلاثمائة عسكري يمني باغتصاب المصنع البريطاني (ولم يذكر نوع الصناعة فيه) وضرب بعض البحارة الهنود ، وكان الملازم(دوميستي) ربان السفينة (برنس اوف ويلس) مريضاً بالحمى في الدار حينما هاجمه عدد من الجنود وسحبوه في الشارع وضربوه وبصقوا عليه ثم ساقوه الى دار الحاكم الشيخ فتح الذي أمر بحبسه .

وفي سنة (١٢٣٤ هـ) (١٨١٩ م) طلبت حكومة بومباي من الإمام ان يعاقب حاكم المخا على تصرفاته والإهانات التي الحقها برعايا بريطانيا ، ولكن الإمام (المهدي عبد الله) لم يهتم بذلك الطلب ، وعندئذٍ جهز الحاكم العام للهند فرقة من الجنود للإبحار الى اليمن ، وإجبار الإمام على تنفيذ مطلب حكومة الهند التي كان من ضمنها التوقيع على معاهدة تتضمن الإحترام للرعايا وللمقيم البريطاني في المخا ، والمعاهدة تحتوي على البنود الآتية :

(**أولاً**) : أنّ على المقيم ان يكون لديه حرس شبيه بالحرس الذي للمقيم البريطاني في البصرة وبغداد لضمان احترام شخصه .

(**ثانياً**) : أنّ جميع خدم المصنع سيتمتعون بالحماية البريطانية ويخضعون للقضاء الذي يفرضه القانون .

(**ثالثاً**) : أنّ جميع التجار الهنود سيكونون تحت حماية الراية البريطانية ، وأنّ جميع المنازعات التي تقع بينهم ستكون من اختصاص المقيم ، واذا حصل نزاع بين احدهم واحد الرعايا فإنّ المقيم سيقضي بينهما بالاشتراك مع مندوب من حاكم المخا .

(**رابعاً**) : أنّ المقيم سيكون معفياً من جميع ما يعتبر تحقيراً ، وانه سيكون حراً في ركوب الخيل متى وحينماشاء ، وستكون له حرية الدخول

---

(٥٣) ص ١٥١ .

والخروج من أبواب المخا بما في ذلك باب الشيخ الشاذلي الذي كان الأوروبيون ممنوعين من استعماله (وكانت مدينة المخا مسورة في ذلك التأريخ) .

(خامساً) : أنّ قيمة الضريبة على الصادرات من البضائع البريطانية ستخفض من ثلاثة ونصف في المائة الى اثنين وربع في المائة وهي القيمة التي كان الإمام والفرنسيون قد اتفقوا عليها منذ قصف الفرنسيين للمخا قبل قرن من ذلك التأريخ .

(سادساً) : أنّ تخصص بقعة من الأرض لتكون مقبرة لرعايا بريطانيا ، وألا يسمح بسبِّ أي رعوي بريطاني بسبب الديانة التي يعتنقها .

(سابعاً) : أنّ تكون للمقيم البريطاني حرية السفر الى صنعاء ليتصل بالإمام حينما يرى ذلك ضرورياً ، ويلزم على حاكم المخا أن يهيء حرساً للمقيم في تلك المناسبات .

وفي سنة (١٢٣٥ هـ) (١٨٢٠ م) ابحر الكابتن بروس الى المخا مع بعض قطع الأسطول الحربي بقيادة الكابتن (لوملي) قائد السفينة (توباز)، ولمّا رفض الحاكم الإستجابة الى المطالب قصف الأسطول مدينة المخا ، ونزل الجنود الى البر فاكتسحوها .

ووقعت اتصالات بين الإمام والبريطانيين استنكر الإمام اعمال حاكم المخا وعزله واستبدل به حاكماً جديداً هو الشيخ فضل الله .

وفي سنة (١٢٣٦ هـ) (١٨٢١ م) صعد الى سفينة القيادة الشيخ فضل الله ومعه الشيخ فتح ليقدم اعتذاره للقائد الانكليزي الكابتن بروس .

وفي تلك السنة وقعت المعاهدة المذكورة بين بريطانيا والإمام ، ولاحظت بريطانيا وجود نقص في الترجمة العربية لبعض البنود ، فاتصلت بالإمام في صنعاء (المهدي عبد الله) ولكن الإمام رفض المصادقة على التصحيح .

هذا وقد ساعد البريطانيين على فرض شروطهم في المعاهدة المذكورة وشجعهم على ضرب ميناء المخا اشتغال الإمام (المهدي عبد الله) منذ تسلمه

مقاليد الحكم في بداية عام (١٢٣٢ هـ) بثورات[٥٤] القبائل المتكررة واحتلالهم لبير العزب وسلبهم ونهبهم وقتلهم عدداً من العلماء والأعيان فيه ، وحصارهم لصنعاء طلباً للعطاء الذي كان لا يزيدهم إلا تمرداً واسترسالاً في الفساد ، وقد استمر ذلك منذ بداية عهد المهدي عبد الله في التأريخ المذكور وحتى نهاية عام (١٢٣٥ هـ) كما أضعف معنوية الإمام (المهدي عبد الله) مع ذلك خروج تهامة وحتى زبيد عن دولته ومنذ عهد ابيه بيد اشراف المخلاف السليماني ، والتي لم تعد الى نفوذه إلا في عام (١٢٣٤ هـ) عن طريق جيش جهزه الوالي المصري للأتراك (محمد علي باشا) بقيادة (خليل) كما مرّ بنا ، واشتغل بعد ذلك بانفاذ ولاته اليها وترسيخ نفوذه عليها .

ولذلك فإنه أي الإمام (المهدي عبد الله) (وقد تحسن نفوذه في معظم انحاء منطقة نفوذ الدولة القاسمية) رفض التصحيح على بعض بنود الاتفاقية التي خلت من النص العربي في عام (١٢٣٦ هـ) .

جولة الإمام المهدي عبد الله في اليمن الأسفل

ولذلك أيضاً وبسبب تحسن موقف الإمام المهدي عبد الله فإنه قام في عام (١٢٣٧ هـ) بجولة في المنطقة الوسطى وفي اليمن الأسفل وطد فيها نفوذه ، تحدث عن ذلك في (حوليات يمانية)[٥٥] فقال : « ودخلت سنة (١٢٣٧ هـ) وخرج الإمام بنفسه على بلاد اليمن ودوخها ، وألبس الفرسان الدروع السابغة واجرى العد والعديد ، وطلب العساكر من كل أرض ، وجرت المدافع الكبار ، وكل بلاد أقام فيها واصلحها ، فأول ما بدأ بالحدأ وبعدها عنس ويريم ، وسلك به الوزير الطريق الشرقية من بلاد قعطبة وجُمَر والشرمان (في بلاد ماوية) حتى انتهى الى القاعدة ، وتوجه الى ذي السفال وعيّن على الرعايا في بلاد العدين مالاً جزيلاً ثم توجه الى مدينة تعز » . وأضاف قائلاً : « ولمّا أضرب عن المسير الى يفرس سلك الطريق الوسط الى اب وأقام بها أياماً ،

(٥٤) محمد بن اسماعيل الكبسي في اللطائف السنية آنف الذكر (مخطوط)

(٥٥) ص ٣١ .

ونهض الى المخادر ونظر الى بلادالمخادر وقراها واموالهاقد ملكها بالشراء وزيره السيد اسماعيل الأمير من نقيل سمارة الى وسط السحول ، واستطاب الإمام الإقامة فيها » .

ثم استرسل المصدر (حوليات يمانية) في وصف المخادر فقال : « وهذه المخادر من أطيب البلاد هواء ، وفيها من التحف والظرف والروح والسرور خصوصاً ليلها ، فكم من حزين بات فيها انيساً ناسياً احزانه ، وكم من مكلوم تَذهب عنه كلومه وفيها القات البخاري والماء البلخي اثنان لا يوجدان إلا فيها ، ومما قاله العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله شعراً :

إنّ الليالي في المخادر قد غدت ... عقداً على جيد الزمان لئاليا
فبذا قضيت لها وكل مهذب ... ان بات فيها صار مثلي قاضيا

وقال العلامة احمد بن يحيى البصير وكان من الأدباء من أهل إب :

فبذا قضى علامة العصر الذي ... احكامه مثل السيوف مواضيا
وأقول أورده البخاري إذ غدا البـ ... ـلخي مَعيناً والمبرد راويا

ثم ذكر عودة الإمام المهدي عبد الله الى صنعاء وشُروعه في عمارة بستان السلطان بعد ان شرى من بيت المهدي العباس ذلك ، ووصف ما بناه فيها من القصور والبساتين وانه بنى مع ذلك الحمام العظيم قبلي دار الجامع ولعله حمام بستان (السلطان) .

استيطان بكيل اليمن الأسفل

ثم تحدث المصدر المذكور (حوليات يمانية)[٥٦] عن سكنى قبائل بكيل في اليمن الأسفل بالجملة منذ عهد الإمام المهدي عبد الله فقال : « ودخلت سنة (١٢٣٨ هـ) وفيها وقع القحط والغلاء في المشارق واجدبوا القبائل بكيل

(٥٦) ص ٣٤ .

واشتدّ بهم الحال وجارهم النكال من الملك المتعال ، فعزموا الى سوق العنان (في برط) وجمعوا شورهم انهم يخرجون الى المهدي ان يسلم لهم كفاية سنة وإلا رحلوا اليمن لما عرفوه بالخير والخصب ، وقد تألفوا به من السنة الماضية ويستوطنوه ويرفقوا بالرعايا ، فخرجوا خرجة رجل واحد صغارهم وكبارهم ونسائهم مشكّلات بأشكال الرجال ، وحطوا على أبواب صنعاء ونهبوا وقتلوا ، فلما علم الإمام خبث نياتهم وطلبوا المغلبات التي لا يسعها المعقول وما هم فيها وإنما يريدوا اليمن ، فتغاضى عنهم وكتب الى جميع الجهات بالإحتراس منهم فعزموا اليمن وذلك بغيتهم يجعلوها وطن ، فلما وصلوا سمارة وكل واحد طرح عربونه في محل وتقسموه جميعاً كأنه خلفه لهم أبوهم ميراثاً ، ولمّا ضاق الخناق بالرعية في اليمن من العمال قد جاروا عليهم مثلما المشايخ الآن ، وكود الرعوي يدفع حتى كأنه لم يملك شيئاً ، والجيد البطل من أكل لقمة ، فأذعنوا لبكيل وملكوه من ذلك التأريخ (١٢٣٨ هـ الى سنة ١٢٥٦ هـ ملكوه غصباً وقهراً واستوطنوه وتزوجوا فيه ونسيوا المشرق لحتى اخرجهم الفقيه سعيد في سنة ١٢٥٦ هـ » وسيأتي ذكر ثورة الفقيه سعيد بن يسين الهتار في موضعه ،

وقد(٥٧) عارض الإمام المهدي عبد الله في عام (١٢٤٩ هـ) احمد بن علي السراجي ودعا لنفسه وتلقب بالهادي بدر الدين وحاصر صنعاء بمن التفّ حوله من القبائل ثمانية أيام ، ولكن الإمام المهدي عبد الله استطاع بالأموال التي فرقها في رؤساء القبائل ان يصرفهم عنها ، وارتفع السراجي الى بلاد نهم ثم مات في العام الذي تلا العام المذكور .

هذا ولمّا كان الحكم العثماني في اليمن للمرة الثانية والأخيرة قد بدأ في عهد الإمام المهدي عبد الله وبالتحديد في عام (١٢٤٩ هـ) فسأنهي هذا الفصل من تأريخ حكم الأئمة في اليمن في العام المذكور على ان اكمل التأريخ للأحداث بين الإمام المهدي وبين الأتراك من التأريخ المذكور بفصل يشمل

---

(٥٧) حوليات يمانية من ص ٥٢ بتصرف .

الأتراك ومعاصريهم من الأئمة دون افراد فصل مستقل لكل منهما ، وذلك لئلا تتكرر الأحداث القائمة بينهما .

وقبـل ان ابـدأ بـالفصـل المشتــرك للحكم العثمـاني الثــاني في اليمن ومعاصريهم من الأئمة ، فإني سأقف بالقارىء قليلاً في الفصل الخاص بتأريخ انفصال جنوب اليمن عن دولة بيت القاسم الذي عرف بـالانفصال الثـاني ، تمييزاً له عن الإنفصال الأول الذي حدث في بدايـة انسحاب الحكم العثمـاني الأول عام ١٠٣٨ هـ ١٦٢٩ م .

وقد بدأ الانفصال الثاني في عهد بيت القاسم أثناء حكم الإمام المؤيـد الصغير محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم واستكمل في عهد الإمام صاحب المواهب محمدبن احمد بن الحسن بن القاسم ، وذلك لئلا يبعـد بنا عن مكـانه الطبيعي .

انفصال جنوب اليمن عن شماله في عهد الدولة القاسمية

يُعنى هذا الفصل بتأريخ انفصال جنوب اليمن عن شماله في عهد الدولة القاسمية التي بدأت بالإمام القاسم بن محمد في عام ١٠٠٦ هـ ، وسيليه الفصل الخاص بالاستعمار الانكليزي في الجنوب .

ويعذرني القارىء في استباق الأحداث ، وتناول موضوع الجنوب اليمني من انفصاله وحتى استقلاله عن الاستعمار تجنباً لتجزئة الموضوع .

وسأستند في موضوع الجنوب في الفصلين معاً الى عدد من المؤرخين أبناء جنوب يمننا الحبيب كالأستاذ حمزة لقمان والأستاذ قحطان محمد الشعبي والأستاذ سلطان ناجي (وصاحب البيت ادرى بالذي فيه) .

وسأقتطف أولاً فقرات غير مخلة بالغرض من كتاب (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية)[1] ، ملتزماً فيها بالنص الوارد في المصدر وما قد اضيف عليه من ملاحظات أو زيادات فستكون بين قوسين .

آل هرهرة في يافع

كانت مقاطعات جنوب اليمن تعرف في الماضي باسم المشرق ، واليوم باسم جنوب الجزيرة العربية (الجنوب اليمني) وقد انفصلت عن اليمن (في بداية)الانسحاب العثماني في سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٩ م) (الانسحاب النهائي للأتراك في حكمهم الأول في اليمن كان عام ١٠٤٥ هـ ١٦٣٦ م ، كما مرّ بنا

(١) للإستاذ حمزة لقمان بعنوان (انفصال عدن ودول جنوب اليمن عن الدولة القاسمية) ص ١٥٦ .

في موضعه من هذا الكتاب) .

« واستمرّت منفصلة حتى اكتسحها عساكر الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم في سنة ١٠٦٥ هـ ١٦٥٤ م بقيادة ابن اخيه صفي الإسلام احمد بن الحسن بن القاسم الذي صار إماماً فيما بعد واتخذ لقب المهدي » (وكما سبق تفصيل ذلك عند التأريخ للإمام المتوكل المذكور) .

وفي عهد الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن الشهير بصاحب المواهب ازداد التذمر في دول جنوب اليمن » (وأخذت تنفصل عن الدولة القاسمية الواحدة تلو الأخرى ، حتى لم يعد للإمام صاحب المواهب المذكور نفوذ إلا على لحج وعدن ، وبالتحديد فإنّ الجنوب بدأ ينفصل عن شماله في عهد الدولة القاسمية في انفصاله الثاني منذ عهد الإمام المؤيد الصغير محمد بن المتوكل اسماعيل كما سبق ، ولم يخضع للدولة القاسمية إلا في عهد الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم وهو ثلاثة وثلاثون عاماً ، وفي عهد خلفه الإمام المهدي احمد بن الحسن بن القاسم وهو خمسة أعوام فقط ، وخلفه الإمام المؤيد الصغير المذكور ، الذي بدأ الجنوب في العودة الى الإنفصال منذ عهده ، وانتهى انفصال الجنوب بانفصال عدن ولحج في عهد الإمام المنصور حسين كما مرّ بنا عند التأريخ له في هذا الكتاب) .

واستمرّ المصدر قائلاً : « ومن يافع بدأت الثورة على حكم الأئمة ، فبعد ان كان آل هرهرة يعتبرون مرشدين دينيين اجمع القوم على تنصيب الشيخ صالح بن أحمد بن علي هرهرة سلطاناً على يافع العليا ، حتى يمكن ان يجدوا فيه الزعيم السياسي ، والقائد الحربي الذي يأملون أن يخلصهم مما كانوا يقاسونه من متاعب » .

اتحاد السلاطين

وتحت هذا العنوان أضاف المصدر(٢) قائلاً : « وكان أول ما فعله

(٢) الإستاذ حمزة لقمان أيضاً في التاريخ المذكور (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٧ .

السلطان صالح بن احمد بن علي هرهرة انه عقد تحالفاً مع السلطان معوضة بن عفيف سلطان يافع السفلى ، ويسمى ايضاً يافع القارة ويافع الساحل ، ولّما وجد بقية امراء وسلاطين الجنوب نجاح التحالف اليافعي عقدوا مع يافع اتحاداً ليكونوا صفاً واحداً ضد حكم الأئمة وكان الإتحاد يتكون من :

(١) سلطان يافع العليا صالح بن أحمد بن علي هرهرة .

(٢) سلطان يافع السفلى معوضة بن محمد بن عفيف .

(٣) سلطان العوالق صالح بن منصور .

(٤) امير خرفة حالمين قاسم بن شعفل الحالمي .

وأضاف المصدر قائلاً : « وفي سنة (١١١٢ هـ) (١٧٠١ م) وجد امير خرفة حالمين بلاده هدفاً لهجمات عنيفة قام بها جيش الإمام صاحب المواهب بقيادة الأمير عامر بن صالح ، ولكنه تقهقر أمام الدفاع القوي الذي اظهره رجال الأمير قاسم .

وازدادت نية الإمام صاحب المواهب (محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم) في القضاء على ثورة الجنوب بأي ثمن ، فأرسل بنجدات عسكرية الى الأمير عامر بن صالح ، فتمكن عندئذٍ من احتلال خرفة حالمين ، وانتشر فيها الجنود اليمنيون ينهبون ويحرقون .

وانسحب الأمير قاسم واستنجد بيافع السفلى ، فأسرع السلطان معوضة بجيش من يافع تدفق على خرفة ، وأخرج منها عسكر الإمام وطاردهم حتى أعادهم الى المنطقة التي جاؤوا منها ، وفي تلك المعركة قتل قائد جيش الإمام عامر بن صالح وعدد من ضباطه » .

واضاف ايضاً تحت عنوان « انشقاق الجنوب »[٣] قائلاً :

---

(٣) في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٧) .

« استمرت المناوشات بين الفريقين ، وحين رأى صاحب المواهب أن قتال أهل الجنوب لن يجديه نفعاً ازاء عزمهم واصرارهم على الخلاص قرر أن يستعمل طريقة أجدى لتمزيق الإتحاد ، فبدأ في مهادنة السلاطين وأحسن معاملتهم ، ثم خطب بنت السلطان قحطان بن معوضة بن محمد بن عفيف الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه في سنة (١١١٤ هـ) (١٧٠٣ م) ، وبهذا الزواج كسب الإمام سلطان يافع السفلى الى صفه .

وأرسل له الإمام حوالي عشرين جملاً من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والملابس والبنادق والخناجر المغلفة بالذهب ، ولمّا علم الأمير احمد بن قاسم شعفل الحالمي بهذه الحمولة هجم على القافلة مع ابنه الأمير حسين وثلاثمائة من رجاله فاستولى عليها .

وغضب السلطان قحطان بن معوضة وكادت العصي ان تنشق لولا ان سارع السلطان ناصر بن صالح هرهرة الى خرفة حالمين مع عدد كبير من رجال يافع العليا والسفلى ، وتدخل بعض العقلاء وعقدوا اجتماعاً بين المتخاصمين ، فأعاد الأمير أحمد القافلة الى السلطان قحطان » .

وتحت عنوان (تصميم السلاطين على الخلاص من الأئمة) واصل الأستاذ حمزة لقمان في (تأريخ[٤] عدن وجنوب الجزيرة العربية) قائلاً : « جاء في كتاب (مسيرة يافع) أنّ الإمام صاحب المواهب صاهر سلطان البيضاء احمد ابن علي الرصاص وسلطان العوالق صالح بن منصور وحاول ان يسترضيهما وبقية حكام الجنوب بالهدايا والأموال الجزيلة حتى يضمن هدوءهم لانشغاله بقتال اقاربه الذين نازعوه منصب الإمامة في اليمن ، ولكن صاحب المواهب لم يستطع أن يجتذب هؤلاء الحكام الى صفه .

وحاول صاحب المواهب ان يستميل اليه سلطان أبين (بلاد الفضلي) عبد الله بن احمد الفضلي ، وأمده بجنود ومدافع فحاصروا الطرية وقصفوها

---

(٤) ص ١٥٨ .

بالمدافع حتى استسلمت حاميتها ، ثم شعر السلطان عبد الله بأنّ معاملة نواب الإمام له ولمواطنيه كانت سيئة ، فاتصل بالسلطان احمد بن علي الرصاص وبالسلطان قحطان بن معوضة وعقد معهما تحالفاً ، وفي نفس السنة اجتمع السلطان احمد بن علي الرصاص والسلطان صالح بن منصر العولقي لإصلاح خلاف وقع بين السلطان قحطان والسلطان الرصاص يتعلق بالحدود الواقعة في أطراف أبين ، وبذلك الاجتماع تمّ الاتفاق بين السلاطين على وجوب الخلاص من الحكم الإمامي ومتاعب نواب الأئمة ».

«وفي نفس السنة تجهز السلطان قحطان على لحج وعدن واستولى عليهما ، ولكن عساكر الإمام انتزعتهما منه . وخلف السلطان صالح بن احمد بن علي هرهرة بعد وفاته ابنه ناصر الذي تجهز في سنة ١١١٧ هـ واستولى على الرعارع في لحج وحاصر قلعة حمادي وأخرج منها العساكر الزيود الذين رتبهم الإمام صاحب المواهب ، وحاصر السلطان قلعة الطرية في أبين وحال بين حاميتها وبين امدادات الإمام حتى جاع الجنود وأخلوا القلعة ليلاً ، فاستولى عليها رجال السلطان قحطان » .

وتحت عنوان (استقلال حضرموت) اضاف الأستاذ حمزة علي لقمان في تأريخه(٥) قائلاً : « لم يقتنع سلاطين يافع بمحاربة الإمام في حدود يافع ولحج وأبين والشعيب وجبن والنعوة والربيعيتين والظاهر وجبل حرير وحالمين ، بل ساروا لإنقاذ من بحضرموت من أهل السنة بعد ما استنفرهم السيد علي بن احمد بن علي بن سالم بن احمد بن حسين بن أبي بكر بن سالم مولى عينات في سنة (١١١٦ هـ (١٧٠٤ م) لمحاربة السلطان عمر بن جعفر الكثيري الذي انتحل مذهب الزيدية وتعصب لشعائره في حضرموت ، واستمرّ كتاب (مسيرة يافع) يذكر ان بدر بن طويرق الكثيري ارسل بعقائره الى يافع فتوجه معه السلطان عمر بن صالح هرهرة شقيق السلطان ناصر بستة آلاف مقاتل يافعي ، واستولى على جميع حضرموت وازال بدعة الكثيري ورجع الى يافع في

(٥) (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٩ .

سنة ١١١٩ هـ ١٧٠٧ م ، وما زال بحضرموت اقوام من يافع تحت حكم سلاطين حضرموت الساحل (آل القعيطي) الذين يرجع نسبهم الى يافع ، واستمرت الحرب سجالاً بين سلاطين يافع وعساكر أئمة اليمن حتى انتصرت يافع واستقلت عن حكم الأئمة » .

أمّا عن انفصال عدن ولحج ذاتها عن الدولة القاسمية فقد ذكر المصدر(٦) تحت هذا العنوان ما سبق ذلك الإنفصال من محاولات قام بها شيخ لحج فضل بن علي بن صلاح بن سلام بن علي السلامي العبدلي عن طريق تحالفه مع سلطان يافع السفلى سيف بن قحطان بن معوضة بن محمد بن عفيف وهو التحالف الذي عقد بينهما في عام (١١٤١ هـ - ١٧٣١ م) لمساعدته في الإنفصال بلحج وعدن أسوة بجيرانه اهالي يافع العليا والسفلى والعوالق والضالع والبيضاء وأبين الذين تم لهم الانفصال عن نفوذ الإمام ، وقام العبدلي المذكور بمساعدة سلطان يافع المذكور بقتل عامل الإمام في كل من لحج وأبين ، الأمر الذي حمل الإمام المنصور حسين الذي خلف الإمام صاحب المواهب محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم في الحكم الى استعادة لحج وعدن في عام ١١٤٤ هـ ١٧٣١ م مستعيناً بأخيه أمير تعز احمد بن المتوكل ، وتمكن الشيخ فضل العبدلي أثناء ذلك من الفرار الى سلطان يافع السفلى سيف بن قحطان المذكور ، واتفق معه مرة أخرى على اخراج عسكر الإمام من لحج وعدن ، مقابل اعطائه نصف خراج عدن ، وتمّ للحليفين ذلك واستقلال الشيخ فضل العبدلي بلحج وعدن ، حيث استولى الشيخ فضل على عدن في شهر رمضان من عام ١١٤٥ هـ - ١٧٣٢ م وغادر عسكر الإمام عدن بحراً الى المخا بعد التسليم ، واستولى على لحج في العام الذي تلا عام استيلائه على عدن ، بعد معارك حامية قامت بين الحليفين وعسكرهما مع عسكر الإمام في شوارع مدينة الحوطة عاصمة لحج » وأضاف المصدر قائلاً : « شاهدت ازقة عدن عسكر الإمام حاملين بيارقهم وأسلحتهم عائدين الى اليمن ، وهكذا خرجت لحج عن

---

(٦) (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) المذكور ص ١٦٠ .

دائرة نفوذ دولة الإمامة القاسمية في لحج »بعدخروج عدن عن دائرة نفوذها قبل ذلك ، وكلاهما في عهد الإمام المنصور حسين المذكور ، وقد حاول الإمام المهدي العباس الذي خلف أباه الإمام المنصور حسين المذكور استعادتهما ، ولكن قائد قواته عامل منطقة العدين الشيخ عبد الرب بن وهيب العلفي فشل عن استعادتها وعاد بقواته من الحواشب كما علمنا عند التأريخ للإمام المهدي العباس المذكور .

جنوب اليمن من الانفصال حتى الاستقلال
(١٠٣٨ - ١٣٨٧ م)
(١٦٢٩ - ١٩٦٧ م)

الإنفصال الأول

انفصل[١] جنوب اليمن عن اليمن الأم للمرة الأولى في بداية انسحاب الحكم العثماني من اليمن في حكمهم الأول فيه ، وذلك في عام (١٠٣٨ هـ (١٦٢٩ م) وصار أمر عدن ولحج وأبين الى الأمير حسين عبد القادر اليافعي ، كما صار امر المناطق الأخرى في الجنوب الى سلاطينها وامرائها .

وفي عام[٢] (١٠٥٤ هـ ـ ١٦٤٧ م) بدأت قوات الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن محمد بقيادة ابن أخيه الأمير احمد بن الحسن بن القاسم الذي صار إماماً فيما بعد ، تبسط نفوذ دولة المتوكل على لحج وعدن ، واضطرت الأمير حسين اليافعي الى الانسحاب منها الى بلاد يافع .

وكان الأمير احمدَ بن الحسن عند خروجه عن طاعة عمه الإمام المؤيد محمد بن القاسم قد لجأ الى الأمير الحسين بن عبد القادر اليافعي المذكور ، ووقف على احواله ومواطن الضعف في دولته ، مما ساعده على التغلب عليه في غزوه له من قبل الإمام المتوكل المذكور .

وفي[٣] عام ١٠٦٥ هـ استأنفت قوات المتوكل اسماعيل بن القاسم

---

(١) الإستاذ حمزة لقمان في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٦ . وأحمد بن فضل العبدلي في تأريخه (هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن) ص ١٠١ .

(٢) هدية الزمن ص ١٠١ .

(٣) هدية الزمن ص ١٠٤ .

غزوها لمناطق الجنوب والمناطق الشرقية بقيادة الأمير احمد بن الحسن نفسه بهدف استكمال بسط نفوذ الدولة القاسمية على جميع انحاء اليمن بما فيها المناطق الجنوبية والشرقية ، وتمكنت قوات المتوكل من ذلك بما فيها حضرموت بعد حروب مريرة وقاسية مع سلاطينها وامرائها ، ويذكر بعض المؤرخين أنّ الدافع للإمام المتوكل الى استئناف غزو مناطق الجنوب وبسط نفوذ دولته عليها هو افساح الطريق امام قواته لإنجاد الأمير بدر بن عمر الكثيري سلطان حضرموت الذي اغتصب سلطنته واعتقله ابن اخيه بدر بن عبد الله الكثيري ، بسبب انتماء الأول الى الإمام المتوكل والدعاء له في الخطبة .

وكان لا بد لوصول قوات المتوكل الى حضرموت من اخضاع المناطق التي ستسلكها قواته الى حضرموت ، ابتداء ببلاد البيضاء التي تحالف سلطانها الشيخ حسين الرصاص مع سلاطين يافع العليا والسفلى والعوالق والواحدي والفضلي وغيرها على منعها من المرور فيها الى حضرموت ، وعلى عدم الخضوع للإمام المتوكل .كما سبق عند التأريخ للإمام المتوكل المذكور .

والحقيقة أنّ نجدة الامام المتوكل للسلطان بدر بن عمر الكثيري ليست إلا إحدى الدوافع له لبسط نفوذ دولته على مختلف انحاء اليمن بعد خروج الأتراك كلية من اليمن ومد نفوذه الى المناطق التي كان لهم نفوذ مباشر عليها ، وقد استمرت مناطق الجنوب والمناطق الشرقية الجنوبية مرتبطة بدولة بيت القاسم طيلة عهد المتوكل اسماعيل بن القاسم وهو ثلاثة وثلاثون عاماً ، وطيلة فترة خلفه الإمام المهدي احمد بن الحسن بن القاسم وهي خمس سنوات كما سبق أيضاً .

الإنفصال الثاني

ولقد(٤) عاد الجنوب اليمني والمناطق الشرقية الى الإنفصال الذي عرف بالإنفصال الثاني بالتدريج منذ عهد الإمام المؤيد الصغير محمد بن المتوكل بن اسماعيل بن القاسم الذي خلف الإمام أحمد بن الحسن بعد موته في عام ١٠٩٢ هـ واستمرّ في الانفصال في عهد الإمام صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن

---

(٤) هدية الزمن أيضاً ص (١٠٨) .

القاسم الذي تولى الحكم بعد موت الإمام المؤيد الصغير المذكور عام ١٠٩٧ هـ ، وذلك[٥] بالرغم من تقرب صاحب المواهب الى سلاطين الجنوب والمشرق الجنوبي بمصاهرة السلطان احمد بن علي الرصاص سلطان البيضاء ولسلطان العوالق صالح بن منصور ولسلطان يافع السفلى قحطان بن معوضة بالتزوج ببناتهم ، وباسترضاء بقية السلاطين بالهدايا والأموال الجزيلة والأسلحة والعتاد ، حتى يضمن هدوءهم واجتذابهم اليه ، لاشتغاله بأقاربه الذين نازعوه الحكم ، ولكنه لم يوفق في استمالتهم اليه ، واستمرّ حكام الجنوب في الانفصال عن حكمه وحكم من خلفه من ائمة بيت القاسم .

وكان فضل بن علي العبدلي سلطان لحج وعدن هو آخر من انفصل من امراء الجنوب عن دولة بيت القاسم ، حيث انفصل في عهد الإمام المنصور حسين بن المتوكل قاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بن القاسم في عام ١١٤٥ هـ - ١٧٣٢ م » (اي ان امارة عدن ولحج لأهميتها وقربها كانت أول امارات الجنوب التي امتدّ نفوذ بيت القاسم اليها ، وآخر الامارات التي انفصلت عنها) .

مراحل الانفصال الثاني

وكان انفصال إمارات الجنوب الثاني والأخير قد بدأ بخلاف يافع في عهد الإمام المؤيد الصغير آنف الذكر ووقعت حروب عظيمة بينه وبينهم لم يتمكن بها من اخضاعهم ، قال المؤرخ الكبسي في تأريخه[٦] : « وتغلق المشرق (أي الجنوب) من ذلك الوقت » .

واستمّر[٧] خلاف المناطق الشرقية الجنوبية بشكل جاد في عهد الإمام صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم ومن خلفه من ائمة بيت

---

(٥) هدية الزمن ص ١١٠ .

(٦) اللطائف السنية (مخطوط) وقد حكى ذلك عنه المؤرخ فضل العبدلي في (هدية الزمن) ص (١٠٨) .

(٧) هدية الزمن ص ١١٥ .

القاسم ، وذلك عقب قيام التحالف بين سلطان يافع العليا صالح بن احمد بن علي هرهرة وسلطان يافع السفلى معوضة بن محمد بن عفيف اليافعي ، وانتصار السلطانين على قوات الإمام المذكور ، والاستقلال عنه بإمارتيهما ، ترسيخاً لاستقلالهما عن سلفه الإمام المؤيد الصغير محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم سالف الذكر .

الأمر الذي شجع سائر سلاطين الجنوب والبيضاء على الإنضمام الى التحالف القائم بينهما حيث انضم اليه كل من سلطان البيضاء احمد بن علي الرصاص ، وسلطان العوالق صالح بن منصور العولقي ، وامير خرفة حالمين قاسم بن شعفل الحالمي ، ثم ولده احمد بن قاسم الحالمي وغيرهم حتى تكونت جبهة مقاومة ضمت سلاطين يافع العليا والسفلى والعوالق العليا والسفلى وحالمين والفضلي وغيرهم قاومت جيوش الإمام صاحب المواهب[٨] المذكور ومن خلفه من الأئمة .

واستمرّت المقاومة الى عام ١١٤٥ هـ حيث كانت إمارة لحج وعدن هي آخر ما انفصل عن دولة بيت القاسم ، أو بالأصح عن اليمن الأم في عهد المنصور حسين بن قاسم بن حسين ، وذلك أيضاً بفضل التحالف الذي قام بين السلطان فضل العبدلي وسلطان يافع السفلى قحطان بن معوضة بن محمد ابن عفيف .

ويبدو[٩] أنّ السلطان فضل بن علي بن فضل بن صالح بن سالم العبدلي

---

(٨) المواهب من بلاد عنس شرقي مدينة ذمار بعدة كيلومترات وقد أتخذها محمد بن احمد بن الحسن مركزاً لإقامته وعاصمة لدولته بعد ان انتقل اليها من مركز اقامته الأول مدينة الخضراء في بلاد رداع .

(٩) هدية الزمن الصفحات ١٠٩ ، و١٢٤ ، و١١١ ، وقد حوصرت مدينة إب في تلك الحرب التي ما يزال الآباء والأجداد يعرّفونها بحرب يافع ، إذ يظهر أن اليافعيين مدوا حربهم للإمام محمد بن احمد بن الحسن الى منطقة اب وغيرها ، ليصرفوه عن الدفاع عن بلاد حضرموت بها ، وقد قال شاعر يافع البكري بالمناسبة :

تعز خذناها وخذنا قعطبة ... واب والراحة ونجد الجاح
ويوم خذناها وخذنا ما بها ... وأنتم بها وامسى السمر فيها متاح

المذكور هو أول امير وسلطان على لحج ، لذى استيلائه على السلطة في لحج واعمالها من القائمين بها للأئمة (وكان مجرد شيخ على قبيلة العبادلة في المنطقة) وبفضل التحالف المذكور مدّ نفوذه على عدن بعد ان طرد منها القائمين بها كذلك للأئمة ايضاً وصار سلطاناً على لحج وعدن » .

أمّا حضرموت[10] فإنّ سلطانها بدر بن طويرق الكثيري كان قد استنجد بسلطان يافع العليا عمر بن صالح بن هرهرة اثناء تحالف سلاطين الجنوب آنف الذكر ، وبالتحديد في عام (١١١٦ هـ - ١٧٠٤م) وفي اثناء حكم الإمام صاحب المواهب ايضاً محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم وانجده السلطان صالح بجيش قوامه ستة آلاف مقاتل يافعي قاده بنفسه ، واستطاع ان يعيد السلطان بدر بن طويرق الكثيري الى الحكم ، وان يزيح عمر بن جعفر الكثيري الذي انتمى الى الإمام المذكور ، وأغتصب السلطة من ابن عمه بدر ابن طويرق المذكور ، ورجع سلطان يافع من حضرموت الى يافع في عام ١١١٩ هـ - ١٧٠٧ م[11]

وأضاف في (تأريخ[12] عدن وجنوب الجزيرة العربية) حول الموضوع قوله : « وما زال بحضرموت أقوام من يافع تحت حكم سلاطين حضرموت الساحل (آل القعيطي) الذين يرجع نسبهم الى يافع » .

استعمار عدن وحماية الامارات في الجنوب

وقد استمرّت عدن وامارات الجنوب اليمني منفصلة عن دولة بيت القاسم في الشمال يحكمها أمراؤ ها وسلاطينها حتى احتل[13] الانكليز عدن في شهر يناير من عام (١٨٣٩ م) (١٢٥٥ هـ) .

وساندتهم[14] الدولة العثمانية على احتلال عدن بناء على فرمان صادر من الآستانة يسمح لهم باستخدام الأسطول البريطاني لميناء عدن ، كنوع من

(١٠) و(١١) المصدر السابق .

(١٢) الإستاذ حمزة لقمان في تاريخه المذكور ص ١٥٩ .

(١٣) و(١٤) الدكتور عثمان فاروق اباظة في (الحكم العثماني في اليمن) من ص ٤٠ .

المكافأة لبريطانيا على معاونتها للدولة العثمانية في وقف اطماع والي مصر الثائر محمد علي باشا في تكوين امبراطورية خاصة به في البلاد العربية على حساب الدولة العثمانية .

وفعلاً[١٥] تمت المعاونة من قبل بريطانيا لتركيا في اجلاء محمد علي عن اليمن وغيره وذلك في مؤتمر لندن الدولي المنعقد في عام (١٨٤٠ م) (١٢٥٦ هـ) ، بل وأخذت بريطانيا على عاتقها تنفيذ قرارات المؤتمر بالقوة ، مما اضطر محمد علي إلى الجلاء عن اليمن ، بعد ان قضت قواته على فلول الوهابيين تنفيذاً للمهمة التي حددتها له الدولة العثمانية ، والتي كان قد تجاوزها الى تحقيق حلمه في تكوين امبراطورية عربية له على حسابها .

وكان بسط نفوذه في مصر والسودان والحجاز واليمن قد هدد مصالح بريطانيا في الهند ، وحال دون حريتها في البحر الأحمر (الطريق البحري لسفنها الى ممتلكاتها في الهند) ، مما دفعها الى التفاوض مع تركيا على الحد من اطماع محمد علي في سبيل تمكينها من احتلال عدن كما عرفنا ، وباحتلال بريطانيا لعدن سنحت لها الفرصة للسيطرة على الجنوب عن طريق الحماية التي فرضتها على سلاطينه وامرائه في ثلاث مراحل :

هي مرحلة معاهدات الصداقة تعزيزاً لمعاهدات[١٦] التجارة التي كانت قد عقدتها مع بعضهم في خطواتها الأولى لاستعمارها فمعاهدات الحماية ، فمعاهدات الاستشارية التي تمكنت بها من ارسال مستشاريها ومعتمديها بموجبها الى السلطنات والإمارات للسيطرة عليها .

المرحلة الأولى من مراحل الاستعمار البريطاني في الجنوب

ومن[١٧] معاهدات الصداقة والسلام التي نفذت فيها بريطانيا المرحلة

(١٥) نفس المصدر ص ٤١ .

(١٦)هدية الزمن ص ١٣٦ .

(١٧) حمزة لقمان في تاريخه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) آنف الذكر من ص ٢٠١ .

الأولى من المراحل الثلاث المذكورة معاهدة الصداقة والسلام التي عقدتها في (٣١ يناير) من نفس العام الذي احتلت فيه عدن ١٨٣٩ م) وذلك مع شيخ قبيلة العزيني العبدلية .

ثم تلتها معاهدات الصداقة والسلام في شهر فبراير من نفس العام مع سلطان لحج محسن فضل بن محسن فضل ومع سلاطين وامراء أبين والصبيحة والحواشب والعقارب ويافع السفلى وشيخ الوهط العبدلية السيد محمد العيدروس . وفي ١٨ يونيو من نفس العام ايضاً وقعت بريطانيا معاهدة مع سلطان لحج حددت ممتلكات بريطانيا في عدن ، وإنّ ما عداها من المجداد (خور مكسر) الى لحج تابعة للسلطان .

كما نصت تلك المعاهدة على المرتبات الشهرية التي تدفعها بريطانيا لسلطان لحج وغيره من السلاطين الذين وقعوا معها معاهدات الصداقة والسلام بمبلغ (٥٤١) ريال شهرياً (ماريا تيريزا) لسلطان لحج ، ولسائر السلاطين رواتب مختلفة ، وقد حدث ان هاجم سلطان لحج محسن فضل عدن في نوفمبر (١٨٣٩ م) بالتعاون مع سلطان أبين احمد بن عبد الله الفضلي بخمسة آلاف مقاتل بهدف استعادة عدن من الإنكليز ، ولكن السلطانين فشلا في الاستيلاء عليها بسبب النيران التي واجهتهم من مدفعية الانكليز المركزة على السور (خندق جبل حديد) وبعد اصابة مائتي مقاتل من جنودهما بين قتيل وجريح .

ثم قطعت الحكومة الانكليزية المرتب الذي قررته لسلطان لحج ، وفرضت حصاراً طويلاً على الساحل الممتد في بلاد أبين ومنعت السفن من الدخول الى ميناء شقرة التابع لبلاد الفضلي في أبين .

وقد اعتذر السلطان محسن فضل بأنّ الخطأ من قبيلته في رسالة بعث بها للمستر هينس حاكم بريطانيا في عدن ومما قال له فيها : « لقد قذفتم التراب في عيوننا ، وبكلماتكم المعسولة وهداياكم أعميتم بصائرنا في الوقت الذي كنتم

فيه تشيدون الحصون لتهديمنا » ، وزاد في كتاب (ملوك[١٨] شبه الجزيرة العربية) للضابط البريطاني هارولدوف يعقوب ترجمة الأستاذ احمد المضواحي قوله : « أيها القائد اعطف عليَّ لأنها غلطة قبيلتي ، سامحني ، وارجع لي معاشي » .

كما أضاف المصدر المذكور أنّ هجوماً ثانياً من سلطان لحج على عدن في محاولة لاسترجاعها من الانكليز تم في الحادي والعشرين من شهر مايو من عام (١٨٤٠ م) وهجوماً ثالثاً حدث من قبله على عدن عن طريق البحر بمساعدة سلطان أبين وذلك في (١٥ يوليو من نفس العام لم يحقق أي منهما الهدف المتوخى من القيام بها) .

وقد اتبع الانكليز سياسة (فرق تسد) في سيطرتهم على سلاطين وامراء المحميات طيلة استعمارهم واخضاعهم للجنوب اشار الى ذلك المؤرخ البريطاني آنف الذكر في كتابه المذكور (ملوك شبه الجزيرة العربية)[١٩] بقوله : « لقد نوقشت كل الطرق الحكيمة والأساليب الممكن اتباعها ، وكان اكثرها ملاءمة للظروف نظرية « فرق تسد » ، لأن الإمكانيات الحربية كانت محدودة ، وقد شعر هينس بأن ليس له الخيار ، فالإمكانيات والامدادات العسكرية التي طلبها لمعاقبة لحج كانت تتأخر أو ترفض ، ولم يكن بدّ من اثارة القبائل ليقتتلوا فيما بينهم ويضرب بعضهم البعض الآخر » وأضاف الى ذلك قوله : « وقد دافع هينس (الحاكم البريطاني في عدن) عن سلوكه هذا بقوله : « انني انظم الأمور وأقوم باعداد الترتيبات واجعل القبائل المعادية والمتاغبة تقاتل ضد قطاع الطرق بدون استدعاء الحراب البريطانية » ، والمال دون شك عصب الحروب ، وقد تأكد هينس من جاذبيته وقوة فعاليته ، وبعد اتحاد السلطان العبدلي والسلطان الفضلي على اقلاق حامية عدن خسرا ما كان يتقاضيانه من مرتبات ، وكان ذلك سبباً جوهرياً لتلاشي أهميتها ، واستطاع هينس أن يجعل قبيلة الفضلي مشتغلة

---

(١٨) ص ٤٤ .

(١٩) ص ٤٧ .

(بالدس والتآمر) مع جيرانهم قبائل العولقي واليافعي » .

حتى لقد عمق الإنكليز الخلاف الذي حدث في عام (١٨٤٦ م) بين امارتي لحج وأبين أو على الأقل حافظا على استمراره لصالحهم ، اكد ذلك المؤرخ البريطاني المذكور في تأريخه (ملوك شبه الجزيرة العربية)[٢٠] بقوله : « ففي عام (١٨٤٦ م) ومع مرور سبع سنين من الخبرة في عدن وبعد أن أهدِرت معظم التدابير والخطط التي ناضل من اجلها هينس كانت تلك الحكومة بعد كل ذلك مستعدة لقبول الخصام والإنشقاق والتنازع بين العبدلي والفضلي ، معللة هذا الاستحسان والقبول بقولها : (ومع أن الخسارة في الأرواح والحياة امر يؤسف له ، فإنه يجب ان تبقى الأحداث مستمرة ، ففي ذلك أمل بأنّ مثل هذا سوف يبرهن على مزايا الوجود البريطاني في عدن وعلى حسناته ، ومثل هذا يحصل اذا اتسعت شقة الخلاف بين القبائل المختصمة » .

وقد[٢١] انتهت تلك الخلافات بين حكومات بريطانيا في عدن وبين سلطنة لحج بمعاهدة الصداقة والسلام الأخيرة التي وقعت بين الجانبين في (٣١ اكتوبر من عام ١٨٤٩ م) وكانت أوسع في بنودها من المعاهدات التي سقبتها بينهما .

وفي عام[٢٢] (١٨٦٧ م) وقع الإنكليز مع سلطان أبين احمد بن عبد الله الفضلي على معاهدة صداقة وسلام بعد هجوم الإنكليز على بلاد أبين ومحاصرة ميناء شقرة فيها ، وبالسفن الحربية البريطانية وقصف حصونها بمدافعها .

وفي[٢٣] شهر ابريل من عام (١٨٦٩ م) (٢١ الحجة من عام ١٢٨٥ هـ) اشترى الانكليز بالقوة بعض اراضي العقارب ووقعوا مع شيخ العقارب عبد الله بن حيدرة بن مهدي أول معاهدة حماية وذلك بمقابل ثلاثين ألف ريال ماريا

---

(٢٠) ص ٤٧ .

(٢١) الإستاذ حمزة لقمان في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ٢٠٦ .

(٢٢) نفس المصدر ص ٢٣٠ .

(٢٣) تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ص ٢٣١ .

تريزا ، ثم اكـدتها معـاهدة عـام ١٨٨٨ م بين الجـانبين بـاع شيخ العقـارب لبـريطانيـا أيضاً بمـوجبها الأرض الكـائنة بـين قريـة الحـوة وعـدن الصغـرى (البريقة) .

وفي عام (١٢٩٩ هـ) (١٨٨٢ م) اشترت حكومة عـدن من سلطان لحج فضل بن علي بن محسن العبدلي الشيخ عثـمان بمبلغ خمسـة وعشرين ألف ريال وبمقرر شهري قدرة الف ومائة ريال ، ووقعت المعاهدة الخاصة بذلك .

المرحلة الثانية من مراحل الاستعمار البريطاني في الجنوب

أمّا المرحلة الثانية من مراحل الاستعمار البريـطاني في الجنوب فهي كـما أشرت مرحلة (الحماية) التي فرضتها على سلاطـين وامراء الجنـوب لتشديـد قبضتها على الجنوب ، أشار الى ذلك الاستاذ قحطان محمد الشعبي في تـأريخه (الاستعمار[٢٤] البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن عدن والامارات) تحت عنـوان (وضـع الامـارات والسلطنـات والمشيخـات تحت الحمـايـة الاستعمارية) فقال : لم يكتف الانكليز باتفاقيات الصداقة الساذجة التي غرّر بها على رؤ ساء الجنوب بل كعادتهم دوماً أرادوا إيجاد مبرر آخر أقوى من معاهدة الصداقة والمودة لترسيخ المزيد من نفوذهم وسيـطرتهم ، وحتى يضمنوا بصفـة نهائية عدم اعطاء اية فرصة لتوحيد اجزاء اقليم اليمن شماله وجنوبـه . ولهذا ادخلوا ما اسموه بمعاهدات الحماية التي تخـدم في نفس الوقت المحـافظة عـلى واقع التجزئة في هذه المحافظة نفسها والمحافظة على حالة البؤس المشين حتى لا يقوى الشعب ويحاول طرد الاستعمار من المنطقة جميعهـا بما فيهـا عدن ، وفي نفس الوقت تضمن هذه المعاهدات الجديدة عدم ارتباط أي منـطقة من هـذه المناطق بأي دولة اخرى عربية كانت أو اجنبية أو حتى مجرد الاتصال بأي دولة بما في ذلك حكومة شمال اقليم اليمن ، » ثم أضاف الى ذلـك قولـه : « وقد استطاعت بريطانيا ان تفرض كل المعاهدات الباطلة المذكورة ادناه غير المتكافئة اذا صح ان نقول عليها تجوزاً معاهدات بـالخديعـة والمكر والـرشوة ومـرتبات

(٢٤) ص ٣٦ .

ضئيلة لأشخاص السلاطين والأمراء والمشايخ والعقال :

١٨ يونيو ١٨٣٩ م	فرضت أول معاهدة مع	سلطان لحج
٤ فبراير ١٨٤٠ م	معاهدة مع	شيخ العقارب
مايو ١٨٧١ م	معاهدة مع	بعض مشايخ الصبيحة
٢٣ ابريل ١٨٨٦ م	معاهدة مع	سلطان سقطرة (المهرة)
١٣ ابريل ١٨٨٨ م	معاهدة مع	سلطان بير علي (الواحدي)
٢٨ ابريل ١٨٨٨ م	معاهدة مع	شيخ حورة
١ مايو ١٨٨٨ م	معاهدة مع	سلطان القعيطي (حضرموت)
٢ يونيو ١٨٨٨ م	معاهدة مع	سلطان العوالق السفلى
١٥ يوليو ١٨٨٨ م	ملحق معاهدة	مع شيخ العقارب
٤ أغسطس ١٨٨٨ م	معاهدة مع	سلطان الفضلي
١٧ سبتمبر ١٨٨٩ م	مع	شيخ العاطفي (من الصبيحة)
٢٦ سبتمبر ١٨٨٩ م	معاهدة مع	شيخ البرهمي (من الصبيحة)
١٦ يوليو ١٨٩٥ م	معاهدة مع	شيخ العلوي
٦ أغسطس ١٨٩٧ م	معاهدة مع	شيخ المخدومي (من الصبيحة)
٧ يناير ١٩٠٢ م	معاهدة مع	شيخ عرقة
٧ ابريل ١٩٠٢ م	ملحق معاهدة مع	شيخ حورة
١١ مايو ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ ضبي (يافع العليا)
٣ يوليو ١٩٠٣ م	معاهدة	نقيب الموسطة (يافع العليا)
٢٧ أغسطس ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ المفلحي (يافع العليا)
٢٦ سبتمبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ الحضرمي (يافع العليا)
٢١ أكتوبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	سلطان يافع العليا
٢٨ ديسمبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ العوالق العليا
١٤ ديسمبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ الصقالدة
٢٩ ديسمبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شريف بيحان
١٨ مارس ١٩٠٤ م	معاهدة مع	سلطان العوالق العليا

٢٨ نوفمبر ١٩٠٤ م	معاهدة مع	امير الضالع
٢٣ نوفمبر ١٩٠٥م	معاهدة مع	سلطان بالحاف الواحدي
١٩١٢ م	معاهدة مع	سلطان العواذل
١٩١٢ م	معاهدة مع	شيخ دثينة (الصبيحة)
١٩١٤ م	معاهدة مع	شيخ العلوي
يوليو ١٩١٤ م	معاهدة مع	سلطان الحواشب
سبتمبر ١٩١٤ م	معاهدة مع	شيخ قطيب
يونيو ١٩١٥ م	معاهدة مع	سلطان الكثيري

ووضع[٢٥] المصدر المذكور بعد ذلك جدولاً بالمرتبات التي منحها الانكليز لسلاطين وامراء ومشايخ الجنوب وهي بين حد اعلى وقدره سنوياً ألفا روبية ومائة روبية ، وهذا القدر منحوه لسلطان لحج وحده ، وحد متوسط وهو يتراوح بين الألف وخمسمائة روبية ، والألف وأربعمائة روبية ، وقد منح القدر الأول لكل من سلطان يافع العليا وسلطان الحواشب ، ومنح القدر الثاني لسلطان يافع السفلى ، وحد اقل من المتوسط وهو يتراوح بين الثمانمائة والمائتي روبية وعشر روبيات سنوياً وحد ادنى لما هو أقل من ذلك وأقل منحة سنوية قدرها تسع روبيات .

كما وضع في نفس الجدول مقادير المرتبات الشهرية للسلاطين والأمراء والمشايخ في الجنوب في عهد الاستعمار الإنكليزي وهي تتراوح بين الأربعمائة روبية والتسع روبيات ، إلا سلطان لحج فإنّ مرتبه بحسب الجدول المذكور هو الف روبية واثنان وثمانون روبية شهرياً ، وبشكل عام فإنّ سلاطين لحج ويافع العليا والسفلى والعوالق العليا والسفلى وسلطان ابين وسلطان الحواشب وسلطان الضالع هم الذين كانوا يمنحون المقادير الوفيرة نسبياً بالمرتبات السنوية والشهرية ، وذلك لأهمية مناطق بعضهم ، وأهمية قبائلهم بالذات كمقاتلين

(٢٥) قحطان محمد الشعبي في (الاستعمار ومعركتنا العربية) ص ٤١ .

متمرسين ، ولقرب مناطق البعض الآخر من الشمال مملكة الإمام يحيى حميد الدين وولده الإمام احمد ووالده الإمام المنصور آنذاك .

المرحلة الثالثة من مراحل السيطرة البريطانية في الجنوب

وتحت عنوان (وضع الامارات والسلطنات والمشيخات تحت سيطرة الاستعمار الصريحة) اضاف المصدر كتاب (الاستعمار[٢٦] البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن) اسلوب الانكليز لتشديد قبضتهم على عدن والجنوب اسماه بمعاهدات الاستشارة فقال : « وبموجب هذه المعاهدات الساذجة المفروضة التي كا نت عبارة عن مواد جديدة اضيفت الى معاهدات الحماية السابقة ، استطاعت بريطانيا ان تثبت نفوذها في الإمارات بشكل اقوى من ذي قبل ، وألزم كل سلطان وأمير وشيخ أن يقبل نصيحة الحاكم البريطاني في عدن ، أو المستشار البريطاني في المنطقة الذي يعينه ذلك الحاكم ، أو المعتمد البريطاني لدى رئيس كل منطقة من المناطق ، كما الزمت هذه المعاهدات ان يضع السلطان أو الأمير أو الشيخ نصيحة الحكومة البريطانية موضع التنفيذ دائماً وأبداً ، ثم عمت المعاهدات كل المناطق الواحدة بعد الأخرى وكان آخرها تلك التي وقعها السلطان علي عبدالكريم فضل سلطان لحج في عام (١٩٥٢ م) .

هذا ومن الملاحظ ان سلطنة لحج وسلطنة القعيطي في حضرموت هما من أولى السلطنات والمشيخات ارتباطاً مع الانكليز ، لقرب سلطنة لحج من عدن وتعرضها لعدوانهم ، ووقوع سلطنة القعيطي على الساحل المعرض لبوارج الانكليز الحربية .

الاتحاد الفيدرالي في الجنوب

ولمّا تمّ لبريطانيا فرض سيطرتها الكاملة على الجنوب عن طريق مستشارين ومعتمدين في جميع مناطق الجنوب .

ولمّا كانت لا تطمئن الى بقاء نفوذها في الجنوب بعد قيام الحركات

---

(٢٦) من ص ٤٢ .

التحـررية في الـوطن العربي ، والتي ادت الى جـلاء البـريـطانيـين من مصـر والسودان والعراق ، وامكان امتداد التحرر العربي الى جنوب اليمن ، رأت أن تسبق الأحداث وأن تحول دون قيام أي حركة وطنية في الجنوب وذلك بتنفيـذ مخططها الحديث في قالب اتحاد فيدرالي مزيف لما يسمى بالمحميات ، وفي قالب تطورات دستورية صورية لعدن والمحميات ولو كتخدير لشعب اليمن الجنوبي الى حين .

وخشية ان يتطوّر شمال اليمن فينقضّ على الحكم الإمامي المتحجر فيه ، ويجد الجنوب في ذلك منقذاً له وسنداً في نضاله فإن بريطانيا اسرعت الى تنفيذ مخـططها الجـديد (الاتحـاد الفيدرالي) وقـام حاكم عـدن السـير هيكنبـو تـوم باستدعاء سلاطين وامراء الجنوب ومشايخه اليه في عـام ١٩٥٤ م والقى فيهم خطاباً شرح لهم فيه ضرورة قيام الإتحاد ، وأخبرهم في خطابه بأنه ومستشاريه قد وضعوا مسودة اسس الاتحاد المقترح ودستوره ومما جاء في خطابه قوله(٢٧) : « أما الشكل العام لإدارة الإتحاد المقترح فهو كـما يلي : « منـدوب سام يتمتـع بنفس السلطات التي يتمتـع بها الحـاكم العام ، ومجلس رؤسـاء يضم رؤساء البلاد الداخلية في الاتحاد ، ومجلس تنفيذي يتألف من اثنين من اعضاء مجلس الـرؤساء ، وعضـوين من المجلس التشـريعي ، والمستشـار المـالي والمستشـار القانوني تحت رئاسة المستشار العام ، وسيكون المستشار العـام اللقب الجديـد للمعتمد البريطاني ومجلس تشريعي يتألف من اعضاء يمثلون البلاد الداخلية في الاتحاد واعضاء يمثلون الادارة .

لا أريـد ان أشغلكم اليوم بكثـير من التفصيـلات ، إلا انـه ينبغي ان تعلموا ما هي اختصاصات المندوب السامي والمجالس ، فبالاختصـار سيكون المندوب السامي رئيساً للإتحاد ، وفي خدمتكم في كل حين كما هو الآن ، يقدم المعـونة والارشـاد ويكون مسؤولاً عن عـلاقاتكم الخـارجية وشؤون أمنكم ، واتخاذ الاجراءات اللازمة المناسبة في الطوارىء الخطيرة ، وأمّا مجلس الرؤساء

(٢٧) الاستاذ قحطان محمد الشعبي في المصدر آنف الذكر ص ١٣٥ .

فيكون المجلس الأعلى للإتحاد ، وسيعالج سياسة الاتحاد والمشاريع العامة ، كما انه سيكون الهيئة التي تقرّ القوانين .

وأمّا المجلس التنفيذي فيعالج شؤون الادارة اليومية ، ويتخذ جميع الاجراءات لضمان سير الاتحاد كما ينبغي ، وسيضطلع المجلس التشريعي بالمهام التي يدل عليها اسمه ، اي انه سيكون الجهة التي تدرس فيها التشريعات التي يقدمها المجلس التنفيذي ويناقشها بحرية تامة قبل الموافقة عليها .

وأضاف الحاكم العام لعدن في خطابه لسلاطين وامراءومشايخ المحميات قوله : « وبالاختصار فإن الاقتراح الذي اطلب منكم موافقتكم عليه مبدئياً فقط لا تفصيلياً هو كالآتي » الى آخر ما سرده من بعض التفاصيل والوارد نصه في المصدر المذكور .

ثم ترك المشروع مجمداً لمدة سنتين على اعتبار ان الاستعمار يتشاور بخصوصه مع الرؤساء حتى لا يقال انه فرض عليهم فرضاً وطبق على الفور .

وفي عام (١٩٥٦ م) عاد الاستعمار مرة اخرى بتقديم المشروع بعد ان قام ببعض التعديلات الشكلية له إلا انه وضع على الرف مرة اخرى حيث وقف الإستعمار يترقب الأحداث العربية العامة في اجزاء الوطن العربي ، وما سينتج عن هذه الأحداث لا سيما بعد العدوان الثلاثي الغاشم على مصر .

وفي[٢٨] أوائل فبراير من عام (١٩٥٩ م) اعلن الاستعمار البريطاني في عدن اقامة (اتحاد امارات الجنوب الغربية) ، وقد بدأ الاتحاد بست امارات ، ثم انضمت اليه بقية الامارات الواحدة بعد الأخرى ، ثم ابتدأ أخيراً يمتد الى ما يسمى بمحميات عدن الشرقية مبتدئاً بضم سلطنة الواحدي الى الإتحاد .

وكان الانكليز قد فرضوا على رؤساء الإمارات توقيع المعاهدة بين المملكة المتحدة (بريطانيا) والإتحاد الفيدرالي قبل توقيع الاتحاد نفسه لضمان

---

(٢٨) الاستعمار العربي ومعركتنا العربيةفي جنوب اليمن . ص ١٤٠ .

سيطرتهم على الاتحاد .

ثم اتبعوا المعاهدة بملحق لها ، ذكرت المعاهدة وملحقها في المصدر المذكور .

والهدف من المعاهدة وملحقها لا يعدو ان يكون تثبيتاً للإستعمار في المنطقة ، وفرض سيطرته على سياسة الاتحاد الداخلية والخارجية ، واتخاذ الجنوب منطقة الاتحاد قاعدة عسكرية له للحيلولة دون امتداد الحركة العربية الثورية الى المنطقة ، واستخدام اراضي الاتحاد لصالحه وصالح حليفاته ولو كانت اسرائيل .

ربط عدن بالاتحاد وبالمعاهدة التي عقدت بين المملكة المتحدة والاتحاد

ولكي يتم الاستعمار البريطاني في عدن والجنوب اليمني مؤامرته في ضمان سيطرته على المنطقة بكاملها بما يشبه بدولة قائمة بذاتها ذات مقومات اساسية بدأ يعمل على تكوين مجلس تشريعي لعدن المحتلة .

ثم كوّن لها وزارة شكلية تمهيداً لربطها بالإتحاد الفيدرالي .

وتنفيذاً لمخططه[٢٩] الذي يرمي الى قيام (دولة الجنوب العربي) المكونة من الاتحاد الفيدرالي الذي يضم المحميات الغربية والمحميات الشرقية (القعيطي والكثيري في حضرموت والواحدي ومهرة) ومن مدينة عدن ، بحيث ترتبط الدولة الصورية ارتباطاً كلياً بعجلة الاستعمار البريطاني ، بواسطة المعاهدة التي فرضت على الاتحاد الفيدرالي ، فقد بدأ من بداية عام ١٩٦١ م بتنفيذ مخططه لتكوين دولة الجنوب العربي ، ومهد لها بمباحثات طويلة بين وزير المستعمرات البريطاني الذي زار عدن في شهر ابريل من العام المذكور ، وبين وزراء عدن ورؤساء الإتحاد مع الحاكم العام في عدن أو ما سمي اخيراً بالمندوب السامي .

---

(٢٩) نفس المصدر ص ١٥٥

ويبدو ان اعلان قيام دولة الجنوب العربي لم يتم بسبب قيام الثورة اليمنية في الشمال ، وانطلاق شرارة الثورة في الجنوب . وقام(٣٠) الاستعمار البريطاني بالمقابل كمحاولة اخيرة فاشلة لتثبيت سيطرته على المنطقة وذلك(٣١) باصدار قانون (التعدين والمواطنة العدنية) والذي تكمن فيه محاولة الاستعمار مسخ عروبة عدن ، وخلق قومية اندماجية لتحل محل قومية عدن العربية الأصيلة ، إذ أنّ القانون اعطى حق المواطنة الشرعية لكل اجنبي عاش عشر سنوات في عدن ، ولكل من ينتمي الى الكومنولث البريطاني ويعيش في عدن ولو لمدة قصيرة ، وللرعايا البريطانيين الذين ولد آباؤهم في عدن وحتى وان لم يولدوا هم فيها .

وباصدار قانون التحكيم بين العمال واصحاب العمل ، والذي يمنع العمال من اللجوء الى الطرق المشروعة في قانون العمل الدولي في نيل حقوقهم ومنع عليهم الاضراب وكل مظاهر الاحتجاج والمطالبة .

كما قام بقمع كل الحركات التحررية والانتفاضات القبلية في مهدها ، ولكنها جميعها باءت بالفشل وانتصر الحق واستقل جنوب اليمن الحبيب ، واقام دولته المستقلة على ارضه ، وإننا لننتظر اليوم الذي يتحد اليمن شماله وجنوبه بإذن الله ، وقد قامت الحركة الوطنية في الجنوب على النحو الآتي :

الحركة الوطنية في الجنوب

بدأت الحركة الوطنية في عدن وفي ظل الاستعمار البريطاني بتكوين عدة احزاب وهيئات سياسية مختلفة في الأسلوب والمنهج وان لم تختلف في الهدف وكان ينقصها مع ذلك التنسيق بينها والتخطيط السليم لعملها ، ولقد بلغت(٣١) الأحزاب والهيئات السياسية المعترف بها في عدن وحدها اكثر من خمسة عشر حزباً وهيئة سياسية ، تنافرت فيما بينها ، وكل حزب وهيئة منها يدعي انه وحده الممثل للشعب .

---

(٣٠) نفس المصدر ص ١٧٢ .
(٣١) نفس المصدر ص ٢١٧ .

ومن خلال[٣٢] التجربة الوطنية المتعثرة كان يظهر بين الحين والآخر انه لا يمكن لحزب او فئة من الأحزاب أو الفئات الوطنية مهما كا نت مخلصة أن ترتفع وحدها بمستوى الحركة الوطنية الى مستوى المعركة مع الاستعمار والرجعية ، ولذلك وتحت الحاح الجماهير قامت عدة محاولات لتكوين جميعات وتكتلات تضم الفئات الوطنية المخلصة في تجمع واحد ، فتكوّن في عام ١٩٥٦ م المؤتمر الوطني ، ثم تكوّن في عام ١٩٥٨ م الاتحاد الشعبي ، وفي عام ١٩٥٩ م تكون الاتحاد القومي ، ثم التجمع القومي في عام ١٩٦٠ م ، وفي عام ١٩٦١م تكوّن تجمع الهيئات الوطنية الشعبية ، ولكنه كان مصير تلك التجمعات الى الفشل ، بسبب تنافسها فيما بينها ، وعادت الحركة الوطنية الى الركود من جديد .

وكان الشعب[٣٣] في الجنوب اليمني يأمل في (تجمع الهيئات الوطنية الشعبية) ان ينجح في قيادة النضال الوطني في الجنوب ضد الاستعمار البريطاني ، ولكنه للأسف لم يستطع ان يوفر لنفسه عنصر الاستمرار والدفع الثوري .

محاولات اخرى للدفع بالنضال الثوري في المنطقة

وعقب[٣٤] قيام اتحاد الدول العربية بين الجمهورية العربية المتحدة (مصر) والمملكة المتوكلية اليمنية في ١٧ ديسمبر عام ١٩٦١ م وجدت الأطراف الوطنية في شمال وجنوب اليمن التي كانت متواجدة في عدن نفسها وجهاً لوجه أمام هذه الخطوة التي لا بد ان تعكس نفسها على الأوضاع في اليمن شمالاً وجنوباً ، وربما تساعد على تطوير الحركة الوطنية في الشمال والجنوب ، فهبت هذه الأطراف الوطنية تحاول مجدداً ان ترتفع بمستواها الى مستوى الأحداث ، وبرز موضوع التكتل الوطني في المنطقة من جديد .

وتكوّنت في القاهرة لجنة يناير ١٩٦٢ م من احرار الشمال الذين يمثلهم

---

(٣٢) و(٣٣) نفس المصدر ص ٢٢٨ .

(٣٤) نفس المصدر أيضاً ص ٢٤٦ .

الاتحاد اليمني ، ومن عدد من احرار الجنوب لدراسة ما استجدّ في القضية اليمنية شمالاً وجنوباً ، وقررت ضرورة وحدة الصف الوطني في الشطرين ، والعمل على توجيه دعوة الفئات الوطنية في المنطقة لعقد مؤتمر وطني ينبثق عنه تجمع قومي يضع الأسس لنضال وطني فعال ضد الإمامة في الشمال والاستعمار في الجنوب .

ولكن توجيه الدعوة تأجل حتى يتم أولاً حل مشاكل الاتحاد الداخلية في القاهرة وعدن .

النضال المسلح في الجنوب

وازاء فشل كل المحاولات لطرد الاستعمار البريطاني من الجنوب خلال النضال السلمي ، أيقنت[٣٥] العناصر الوطنية فيه أنّ النضال المسلح الذي انتهجته حركة القوميين العرب في الوطن العربي هو السبيل الوحيد لاستقلال الجنوب ، ومع ذلك فلم يبدأ نضال مسلح فعال في الجنوب حتى وجد الدعم له من الشمال بعد ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ م .

وكانت أول شرارة للثورة في الجنوب من ردفان في بلاد الضالع في الرابع عشر من اكتوبر عام ١٩٦٣م .

وكان في مايو من نفس العام قد تمّ تشكيل الجبهة القومية في صنعاء لتحرير الجنوب اليمني ، وعلى أساس الأخذ بالكفاح المسلح أسلوباً لطرد المستعمرين الانكليز ، واعتبار الصدام المسلح الذي كان قد بدأ بين القبائل والانكليز في ردفان بداية انطلاق ثورة ١٤ أكتوبر .

وساند الرئيس جمال عبد الناصر النضال المسلح في الجنوب عن طريق قواته في الشمال ، وذلك بتقديم الأسلحة كما كان المجندون للعمل الفدائي والعسكري في الجنوب يرسلون للتدريب في معسكرات الجبهة في تعز وفي

---

(٣٥) الإستاذ سلطان عبد ناجي في (التأريخ العسكري لليمن) ص ٢٦٥ .

صنعاء ، على مختلف الأسلحة والعمل الفدائي .

ولعبت نقابات العمال في الجنوب ادواراً هامة في النضال الوطني .

كما اضطلعت منظمات جماهيرية اخرى في الجنوب ادواراً مختلفة في النضال الوطني يتناسب مع طبيعة كل فئة ، ومنها اتحاد الطلبة واتحاد المرأة ، اذ كانت المرأة تقوم بتوزيع المنشورات ونقل الرسائل والتعميمات في الداخل والاشتراك في المظاهرات وتزويد المقاتلين في الريف بالزاد ، وكذلك الحركة الرياضية ، وكان اتحاد الطلاب يقوم بالإضراب عن الدراسة ومناهضة السياسة التعليمية الاستعمارية .

وفي منتصف عام ١٩٦٤ م تّم نقل العمل الفدائي الى عدن .

وأضاف المصدر[٣٦] الى ذلك قوله : « ويمكن القول ان الكفاح المسلح في هذه الفترة تميّز بظروف الغمل السري ، وكان نجاح وثبات العمل الفدائي وتطوره يمهد للانتقال الى المجابهة المباشرة لقوات الاحتلال ، لكن الظروف التي نجمت عن قيام جبهة التحرير في بداية ١٩٦٦ م اعاقت لفترة تحول العمل الفدائي الى مجابهة مباشرة مع العدو الاستعماري ، (وكان الغرض من تكوين جبهة تحرير الجنوب في التأريخ المذكور هو تكوين جبهة واحدة للجنوب ، تشمل كل العناصر الوطنية لمواجهة الاستعمار البريطاني ، ولكن الجبهة القومية فضلت عدم الانضمام الى جبهة التحرير الموحدة ، والانفراد بالعمل الفدائي وا لمقاومة ، وتمّ لها الانفراد باستلام الاستقلال كما سيأتي) .

ثم شرح المصدر[٣٧] المذكور سير الكفاح المسلح من أواخر عام ١٩٦٦ وبداية ١٩٦٧ م ، والذي تحوّل من العمل السري الى المباشر المكشوف فقال : « ومن أعنف المعارك العسكرية التي وقعت كانت المعركة المكشوفة والمباشرة في الشوارع بين فدائيينا والقوات الانكليزية خلال قدوم بعثة الأمم المتحدة لتقصي

---

(٣٦) التاريخ العسكري لليمن ص (٢٦٩) .

(٣٧) و(٣٨) و(٣٩) نفس المصدر الصفحات (٢٦٩) و(٢٧٠) و(٢٧٣) .

الـوضع في المنـطقة في ابـريل ١٩٦٧ م ، فقـد استمرت المعـارك في الشوارع والأحياء طوال الأيام التي بقيت فيها اللجنة في عدن ، وبشكل متواصل ، وكان سـلاحنا في هـذه المعارك السـلاح الخفيف من الرشـاشات والقنـابل ومـدافع البازوكا ، بينما استخدمت القـوات البريـطانية الـطائرات والـدبابـات وقوات المشاة ، فقد تحولت عدن بالفعل الى ساحة معركة دموية بـين الثوار والقـوات الاستعمارية .

تلك هي ابرز العمليات في حياة الثورة وتجربة المدن ، ويمكن القول أنّ هـذه التجربـة قد تـوجت باحتـلال كريـتر في ٢٠ يونيـو ١٩٦٧ م لأكـثر من اسبوعين ، وكان ذلك نقطة تحول في الكفاح المسلح وتعبئة الجماهير لإسقـاط المناطق الواحدة تلو الأخرى من أيدي السلاطين والمستعمرين .

وأضاف(٣٨) أيضاً قائلاً : « ولقد لجأت بريطانيا في الأخير الى استجلاب قوات الكرماندوز الخاصة لإستعادة السيطرة على المدينة ، ودخلت المدينـة من الطريق البحرية ، وحدثت معارك اثناء الدخول ، وقد كانت القوات البريطانية تضع العلم البريطاني في كل شارع تحتله ، طبيعي كانت قواته تفوق قواتنا ، ولم يكن في مخططنا الاستمرار في السيطرة على المدينة ، لأننا حققنا النصر السياسي الذي نريده » .

ولقـد استقل الجنـوب اليمني عن الاستعمار البـريطاني في الثـلاثين من نوفمبر من عام ١٩٦٧ م .

ثم وضع المصدر(٣٩) جدولاً يبين تـواريخ سقـوط الولايـات والامارات وهروب أسرها في الجنوب الحاكمة ، ونذكر أنّ معـظم الوزراء الاتحـاديين من سلاطين ومشايخ كانوا خارج عدن وقتذاك ، وأن بعض الأسر الحاكمة هربت من مناطقها قبل سقوطها بيد الجبهة القومية ، والجدول المذكور هو الآتي :

---

(٣٨) التأريخ العسكري لليمن ص ٢٧٠ .

(٣٩) التأريخ العسكري لليمن ص ٢٧٣ .

المنطقة	التاريخ	ملاحظات
الضالع	١٩٦٧/٧/٢٨ م	هرب الأمير شعفل
المفلحي	١٩٦٧/٨/١٢ م	اعتقل شيخها
لحج	١٩٦٧/٨/١٣ م	هربت الأسرة الحاكمة
دثينة	١٩٦٧/٨/١٣ م	هرب شيخها
العواذل	١٩٦٧/٨/٢٧ م	هربت الأسرة الحاكمة
الفضلي	١٩٦٧/٨/٢٨ م	هربت الأسرة الحاكمة
يافع العليا	١٩٦٧/٨/٢٨ م	اعتقل السلطان محمد بن عيدروس وعدد من الأسرة الحاكمة
يافع السفلى	١٩٦٧/٩/٢ م	اعتقل بعض مشايخها
العوالق السفلى	١٩٦٧/٩/٢ م	اعتقل الشيخ وأسرته
مشيخة العقربي	١٩٦٧/٩/٩ م	هرب النائب واعتقل آخرون
القعيطي	١٩٦٧/٩/١٦ م	منع السلطان من العودة
بيحان	١٩٦٧/٩/١٨ م	هرب الشريف حسين وأسرته
الكثيري	١٩٦٧/١٠/٢ م	هرب السلطان وأعوانه
المهري	١٩٦٧/١٠/١٤ م	اعتقل السلطان وأعوانه
مشيخة العوالق	١٩٦٧/١٠/٢٧ م	هربت الأسرة الحاكمة
العوالق العليا	١٩٦٧/١٠/٢٩ م	هربت الأسرة الحاكمة
سقطرة	١٩٦٧/١١/٣٠ م	سبق ان اعتقل سلطانها في المهرة .

هذا وقبل ان اختتم هذا البحث عن جنوب يمننا الحبيب يجدر ان اضع لمحة جغرافيـة واجتماعيـة وثقافيـة عنه ، مـع ذكر اهم معـالم عدن العـاصمة التأريخية للجنوب ، وعاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حالياً مستنداً الى احد ابناء الجنوب الأستاذ حمزة لقمان في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) .

التعـريف الجغـرافي والتقسيم الاداري والسيــاسي للجنـوب قبــل الإستقلال

يتكون[٤٠] الجنوب اليمني الـذي كان يـرزح تحت النفوذ البـريطاني من مساحة تقدر بحوالي مائة واثني عشر ألف ميل مـربع ، ويتكـون شاطئهـا حوالي ستمائة ميل ، من حدود سلطنة مسقط وعُمان حتى حصن مراد عند باب المندب .

وكان التقسيم السياسي لمناطق الجنوب هو كالآتي :

(١) مستعمرة عدن ، وتضم الشيخ عثمان والتواهي والمعلا وعدن الصغرى (البريقة) ومدينة عدن وعدداً من القرى .

(٢) محمية عدن الغربية ، وتشتمل على سلطنات وامارات ومشيخـات يافـع والعوالق والعبادل والصبيحـة والعقـارب والضـالـع والشعيب والحـواشب والفضـلي والعواذل وبيحـان ودثينة ، وتقـدر مساحـة هذه المنـاطق بحـوالي اربعين ألف ميـل مربع .

(٣) محميـة عـدن الشـرقيـة ، وتتكـون من سلطنـة حضـرمـوت الســاحـل (القعيطي) ، وسلطنة حضرموت الـداخل (الكثيـري) وسلطنة بـير علي (الواحدي) وسلطنة قشن وسقطرة (المهرة) ومشيخة عرقة وجورة ، وتقدر مساحة هذه المنطقة بحوالي اثنين وسبعين ألف ميل مربع .

وفيما يلي وصف للقبائل التي تعيش في هذه المناطق :

(يافع) : تقع في الشمال الشرقي لمدينة عدن ، وتمتـدّ بين الضـالع في الغرب والعواذل في الشرق والفضلي في الجنوب ، وقدر المصدر السكان في بلاد يافع العليا والسفلى بحوالي مائة واربعين ألف نفس .

وتنقسم يافع الى ناحيتين هما :

---

(٤٠) المصدر المذكور حمزة لقمان في (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ٣٠٧ .

(يـافع العليـا) : وتشتمـل عـلى قبـائـل المـوسـطة والـظبي والمفلحي وفخائذهم ، وكانوا يدينون بالطاعة لآل هرهرة الذين يقيمـون في المحجبة في الموسطة ، وأرضها زراعية تنتج الحبوب والفواكه والبن وغيرها .

(يافع السفلى) : وتشتمل قبائل آل سعد وآل كلد والناخبي واليزيدي وغيرهم ، وهي أرض جبلية ذات تربة خصبة تنمو فيها اشجار البن والفواكه والحبوب ، والأهالي كانوا يدينونبالطاعة لآل عفيف ، وعاصمتهم القـارة التي تقع في قمة هضبة مرتفعة .

(العوالق) وتقع شرق الفضلي والعـواذل ويحدهـا جنوبـاً بحر العـرب وشمـالاً بيحـان ، وسلطنـة الـواحـدي شـرقـاً ، وتنقسم أرض العـوالق الى ناحيتين :

(العوالق العليا) وهي منطقة جبلية وسهول فسيحة ذات تربة خصبة ، وأهم قـراها نصـاب العاصمـة ، ويشبم والصعيد والمصينعـة وخدرة ، وأهم أوديتها وادي يشبم الذي يمر بمدينة حبان في سلطنة الواحدي .

«(العوالق السفلى) : وتقع على مقربة من الساحل ، وعاصمتها احـور التي ترسو السفن الشراعية على مرساها الصغير ، ومن قراها الهامة المحفد التي تعتبر السوق الرئيسية لقبائل آل باكلزم ، وأهم أوديتها وادي ضيقة الطويـل ، ووادى المحفد ووادي المنقعة .

(العبادل) : تقع أرض العبادل أو سلطنة لحج في الشمال الغربي لمدينة الشيـخ عثمان ، ويحـدها غـرباً منـطقة الصبيحـة وشرقـاً منـطقـة الفضـلي ، وعاصمتها الحوطة وهي تشمل حياة المدنية الحديثة وحيـاة البداوة التقليـدية ، وأرض العبادل خصبة التربة تنتج انواعـاً كثيرة من الفـواكه والحبـوب والقطن بفضل واديها المعروف (تبن) الذي ينحدر ماؤه من جبـال الشمال في أواخـر فصل الأمطار ، ويتفرع هذا الوادي الى فرعـين : الوادي الكبـير الذي يسـير بمحاذاة بساتين الحسيني الخضراء ويتجه جنوباً ، والوادي الصغير الذي يتجـه شرقاً ماراً بقرية الثعلب ، وأهم قرى العبادل : « المجحفة والحمـراء والمقيبرة

والحداد وصبر وحلاحل والشقعة والرعارع ، أمّا قرية الوهط فتعتبر الثانية في الأهمية بعد الحوطة وقد اشتهرت بالعلماء والقضاة ، وأهم قبائل لحج العزيبة والأسلوم (اللتين منهما سلاطين لحج آنذاك) والبان والمناصرة والأصابح وغيرهم .

(**الصبيحة**) : وتقع بجوار ارض العبادل ، وتمتد على الساحل من باب المندب حتى رأس عمران ، وقدر المصدر سكانها بحوالي عشرين ألف نسمة ، وأهم قراها طور الباحة والرجاع ودار القديمي ، واشتهرت بالنخل والتربة الخصبة وغيول الماء ، وكانت قد انضمت الى سلطنة لحج ، والصبيحة ينتمون الى الحميريين .

(**العقارب**) : هم بنو عقارب بن ربيعة بن سعد بن خولان بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن حمير ، عدد السكان كان لا يتعدى ثلاثة آلاف نفس ، وتمتد ارض العقارب على بعد ستة أميال من الشيخ عثمان من البقعة التي تقع فيها قرية بير احمدحتى رأس عمران من ناحية البر ، ومن مقربة من قرية الحسوة الى مقربة من قرية فقم من ناحية الساحل ، وكانت أرض العقارب تشمل بير احمد العاصمة والحسوة و جبل احسان والبريقة والغدير وفقم ، وقد بنيت عاصمة (الاتحاد الفيدرالي) في ارض العقارب بالقرب من الطريق المؤدية الى عدن الصغرى ، وسميت بمدينة الإتحاد .

(**الضالع**) : امارة الضالع او المنطقة الأميرية تقع شمال عدن ، والعاصمة هي مدينة الضالع ، وعلى مقربة منها يربض جبل جحاف الذي يرتفع عن سطح البحر بثمانية آلاف قدم وبه نحو اربعين قرية صغيرة ، وأرض الأميري خصبة تنتج الذرة وبعض الفاكهة .

(**الحواشب**) : تقع شمال سلطنة لحج ، وعاصمتها المسيمير ، وقدر المصدر سكانها بحوالي عشرة آلاف نفس ، وتشرف العاصمة على الجانب الأيسر لوادي تبن ، وتزرع على حوافيه الذرة وبعض انواع الحبوب الأخرى .

(**الفضلي**) : تنقسم بلاد الفضلي الى ناحيتين : منطقة الساحل التي

تمتد حوالي مائة ميل من حدود العبادل حتى حدود العوالق السفلى ، والمنطقة الداخلية الجبلية وعرفت بلاد الفضلي بساحل أبين الشهير في تأريخ جنوب الجزيرة العربية ، وعاصمة الفضلي هي شقرة مقر سلاطين البلاد ، وهي تقع على الساحل ، ومن أهم قرى الفضلي زنجبار التي تطورت مع الزمن فصارت مركزاً للحكومة، فاقيمت فيها العمارات الحديثة وشقت اليها الطرق المعبدة وأنيرت بالكهرباء ، والأرض حول زنجبار حتى مسافات بعيدة خصبة تنتج كميات وافرة من الفواكه والخضروات والقطن والحبوب بفضل وادي بنا الذي يلتقي ماؤه من الجبال في الشمال .

(**العواذل**) : تقع بين سلطنة الفضلي جنوباً وسلطنة العوالق شرقاً ، وسلطنة يافع غرباً ، واشتهرت ارض العواذل بجبل الطاهر الذي يبلغ ارتفاعه ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر ، وتربض فوقه القرية الصيفية الجميلة (مكيراس) التي تقع على بعد يسير منها قرية العادية التي بنيت فوق اطلال مدينة قديمة ما زالت آثارها باقية الى اليوم ، ومن قراها : عريب ذات الجو المعتدل في الصيف ، وارض العواذل تنتج الفواكه والبطاطس والبصل والحبوب والخضروات ، وتعتمد كثيراً على وادي العجمة .

(**بيحان**) : تقع شمال العوالق وغرب حضرموت وشرق اليمن (الشمال) ؛ عاصمتها بيحان ، وفي الشمال الشرقي يمتّد الربع الخالي برماله الكثيفة ، وفي الشمال الغربي تقع مدينة مأرب التي اشتهرت في التأريخ بسد مأرب الذي بناه السبئيون وقد كانت منطقة بيحان مهداً لحضارة زاهرة قامت جنباً الى جنب مع مدنيات سبأ وحمير وحضرموت ، واشتهرت بالدولة القتبانية ، وعاصمتها القديمة (تمنا) أو (تمنع) ، وما زالت تستخرج من جبل نقوب كثير من الآثار الدالة على ما كانت تتمتع به من حياة راقية وكان أهل بيحان يدينون بالطاعة للأشراف آل الهبيلي .

وقبائل بيحان هي : بالحارث ومصعبين والأخيرة تتكون من ثلاثة فروع هي : آل حميد وآل نعيم وآل العريف ، وأهم قرى ومناطق بيحان هي القصاب وعين والحجب وخر وموقس وا لنحر والحرجة وعسيلان .

(دثينة) : تقع بين العواذل والعوالق ، وتختلف عن بقية السلطنات والامارات والمشيخات في أنّ نظام الحكم فيها شبه جمهوري يتكون من مجموعة من الرجال ذوي الرأي الصائب ، وهي ارض زراعية ذات تربة خصبة ، وقبائلها : السعيدي والميسري والحسني ، وأهم قراها : الخديرة والجبلة والقليتة .

(الواحدي) : تقع على بعد مائتي ميل شرق وغرب حضرموت ، وعاصمتهاحبان التي تعتبر من المراكز التجارية الهامة وتقع بئر علي على الساحل وهي مرسى للسفن الشراعية ، والى غربها تقع بالحاف ، والى شرقها المجدحة . وأهم قبائل الواحدي : آل السود وآل باعوضة وآل العظم وآل باخرخور وآل سليمان وآل حبتور وآل عمر بن علي وآل باديان ، وأهم قراها : الروضة والحوطة ولهية وجول الشيخ ورضوم ويبعث وجردان ، والأرض زراعية تسقيها مياه الأمطار والعيون في أودية حبان وحردان ورضوم والحوري وعين بامعبد ، وتنتج التَّمرْ والحبوب والعسل ، والى جانب اهتمامهم بالزراعة فإنّ أهل الواحدي يعملون بالتجارة وصناعة النسيج .

(المهرة): تقع على الساحل الشرقي ويحدها غرباً حضرموت وشرقاً سلطنة مسقط وعمان ، وجنوباً بحر العرب ، وشمالاً المناهيل التابعة لحضرموت ، وعاصمتها قشن الواقعة على الساحل ، ومن أهم مدنها سيحوت والغيضة ،

أمّا السلطان فيقيم في جزيرة سقطرة ، وينوب عنه في قشن احد اقاربه .

وقبائل المهرة يتفاهمون بلغة خاصة بهم يعتقد بأنّ لها علاقة باللغة الحميرية القديمة ، وهم يعتمدون على تربية الماشية .

(حضرموت) : تقع على ساحل البحر العربي شرقي عدن واليمن (الشمال) ودول الجنوب ، وعلى بعد ١٥ درجة عرضاً شمال خط الاستواء ، و٥٠ درجة طولاً شرقي غرينتش ، ويحدها شرقاً سيحوت وسلطنة قشن وغرباً بئر علي وبالحاف وشمالاً الربع الخالي وجنوباً بحر العرب .

وتنقسم حضرموت الى سلطنتين رئيسيتين هما : حضرموت الساحل وحضرموت الداخل .

حضرموت الساحل وتدين بالطاعة لسلاطين آل القعيطي وتتفرع الى ستة ألوية هي : لواء عرمة ولواء المكلا ولواء الشحر ولواء حجر ولواء دوعن ولواء شبام ، والعاصمة هي المكلا الواقعة على الساحل .

(**حضرموت الداخل**) : وكانت تدين بالطاعة لسلاطين آل الكثيري وتقع بين تريم شرقا الى الحزم شرقي شبام غربا ، وتمتد من تريم شمالاً الى حصن الضبيعة ، وأهم مدنها وقراها : سيئون العاصمة وتريم ومريمة وتريس والغرفة والحوطة وغيل عمر وغيل بن يمين ، والحضارمة أهل فكر وتدبير ومغامرة ، اشتهروا بالتجارة والهجرة الى خارج البلاد ، وكان لهم الفضل في نشر الإسلام في كثير من بلدان الشرق الأقصى حيث اسسوا جاليات كثيرة محترمة ، والحضرمي فخور ببلاده وبقومه ، ومهما غاب عن وطنه فإنه يحنّ الى بلاد الأجداد ويتمسك باللهجة الحضرمية في حديثه ، وليست الحضارة جديدة على الحضارمة ، فإن حضرموت كانت مهداً لحضارة مجيدة ما زالت آثارها تستكشف ، وتكشف عن مدنية عظيمة وفن معماري راقٍ .

ويتكون معظم القسم الداخلي لحضرموت من أودية فسيحة أهمها حضرموت حيث تقع المزارع الواسعة التي تنتج القمح في الشتاء والذرة في الصيف ، ومن أودية حضرموت : وادي دوعن ووادي هينن ووادي عمد ووادي دهر ووادي عرمة ووادي ابن علي ووادي العين ووادي حجر

وأهم ما يزرع في الساحل الحبوب على اختلاف أنواعها والخضراوات والفواكه ، وتحتل النخيل مساحات واسعة من هذه الأراضي كما يزرع التمباك في بعض المناطق وبالأخص في غيل باوزير .

معالم عدن

تقع[٤١] شبه جزيرة عدن في خط العرض (١٢ درجة و٤٧ بوصة

---

(٤١) المصدر آنف الذكر (حمزة لقمان) في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ٢٥٣ .

شمالاً ، وخط الطول ٤٥ درجة و١٠ بوصات شرقاً ، وتتألف من فوهة بركان خامد أعلى قمة فيه هي قمة جبل شمسان التي ترتفع ١٧٧٥ قدماً عن سطح البحر . وأنواع الصخور في جبال عدن متعددة ومتنوعة .

وجبال عدن هي : جبل الخضراء المعروف الآن باسم (جبل البنديرة) ،وجبل صيرة القائم في البحر ويتصل بالساحل بواسطة ممر طويل في وسطه جسر يمر منه ماء البحر ، جبل المنظر المواجه لجبل صيرة ، جبل ضراس المعروف الآن باسم جبل أبو الوادي ، جبل العز المعروف حالياً باسم جبل شمسان ، ويمتد من حقات حتى الخساف ، جبل التعكر الذي سمي بسلسلة المنصوري ثم سمي باسم جبل حديد حالياً ، جبل حقات ، وجبل احسان وجبل الفراشين ، وجبل فقم ، وجبل التوبة ، وجبل جزيرة العبيد ، والجبل الأحمر وجبل السائح وجبل العين ، وجبل الطويلة .

وجبال عدن هذه تتوجها قلاع منيعة ، وتمتد فيها اسوار حصينة يعود تأريخ بعضها الى أيام حمير .

وفي عهد بني ايوب أقام النائب عثمان بن علي الزنجبيلي أسواراً حول عدن ، فبدأ سوراً من جبل المنظر الى آخر جبل العز ، وركب عليه باب حقات ، وادار سوراً على جبل الخضراء وابتدأ به من حصن الخضراء الى حصن التعكر ، على رؤوس الجبال ، وأدار سوراً ثالثاً على الساحل من سفح جبل الخضراء الى جبل حقات وركب فيه ستة أبواب .

وبعد ان استتب الأمر للانكليز وجه الكابتن حاكم عدن هينس جهوده نحو مهادنة القبائل حتى يتم له تحصين جبال عدن وترميم القلاع المتهدمة ، فكلف احد ضباطه وهو المهندس جون وسترن بالقيام بالتحصينات اللازمة ، ونجح وسترن في ترميم وتدعيم السور الغربي المعروف باسم درب الحوش أو درب الحريبي الكائن فوق باب عدن الى يسار الداخل الى الباب ، ثم قام بتركيز طابية كبيرة فوق درب الحريبي موجهاً فوهاتها نحو البر ، وبعد الانتهاء من هذا الدرب رمم السور التركي القديم حيث يقع الخندق وحصن القلاع في

قمم الجبال ، والخندق الطويل يفصله جزء من جبل حديد الى قسمين يربطهما (نفق البغدة) .

(**نفق البغدة**) : وهذا النفق المحفور في بطن الجبل ينقسم الى قسمين وطوله حوالي (١٠٥٠ قدم) وكان الخندق محصناً باضخم المدافع المعروفة في تلك الأيام ، وفي بطنه سرداب طويل واسع وغرف عديدة يمكنها أن تضم آلاف الجنود ، وكميات وافرة من السلاح والذخيرة ، وفوق جبل التعكر ركزت المدافع الكبيرة المطلة على الخندق .

وفي سنة ١٨٦٧ م بنى الانكليز الفنار (منارة السراج) في الجانب المشرف على خليج عدن من جبل الخضراء ، وتسمى هذه الناحية من الجبل برأس معاشيق ، وكانت العادة قد جرت حتى الحرب العظمى الثانية على رفع راية كلما رأى الفنار سفينة مقبلة الى الميناء ، ولهذا السبب سمي جبل الخضراء جبل البنديرة .

وهذه الجبال تشرف على سواحل حقات وصيرة وأبين وجحيف وجولدمور وأبو الوادي وغيرها .

ولقد[٤٢] ذكر عدن المؤرخ الهمداني باب عدن وقال إن عدن أقدم أسواق العرب ، وهو ساحل محاط بسلسلة من الجبال لا يمكن لأحد ان يدخل المدينة إلا اذا تسلق جبل التعكر الذي يفصل المدينة عن البر ، فدعت الضرورة الى القيام بقطع الصخر الأصم في أوطأ جزء من الجبل وأحدثوا به ثقباً بالمطارق الحديدية والأزاميل ، وجعلوا فيه باباً اطلقت عليه عدة أسماء في عهود مختلفة منها : باب البر ، وباب اليمن ، وباب عدن » .

وحينما احتل العثمانيون اليمن وعدن وسعوا الثقب وأقاموا فيه ثلاثة أبواب ضخمة متتالية ، أولها مصنوع من الحديد ، وينزلق من أعلى الى أسفل ، وكان الحراس يحرسونها ليل نهار خوفاً من الهجوم المفاجىء من البر ، وكان

---

(٤٢) نفس المصدر ص ٣٠٣ ببعض تصرف .

المدخل ضيقاً وطريقه غير معبدة ، وبعد الاحتلال الانكليزي بست سنوات وسعه الانكليز فاستطاعت جواري الجمال والخيل أن تمر فيه ، وبعد اختراع السيارات زادوا في توسيعه وعبدواطريقه بالأسفلت ، وفي سنة ١٩٥٧ م زادوا في توسيع الباب حتى صار يتسع . لمرور سيارتين ضخمتين متقابلتين ، والأهالي يسمون الباب (باب عدن) . ويسمون الطريق الممتدة اليه (العقبة) ، وأمّا رسمياً فإنه يسمى (الممر الرئيسي) .

وقد وصف الرحالة ابن بطوطة عدن عند زيارته لها في عهد بني رسول فذكر بأنها مرسى بلاد اليمن ، وتقع على ساحل البحر الأعظم ، والجبال تحيط بها ، ولا مدخل اليها إلا من جانب واحد ، وانها مدينة كبيرة لا زرع بها ولا شجر ولا ماء ، وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر ، والماء على بعد منها ، فربما منعتهالعرب وحالوا بين أهل المدينة وبينه حتى يصانعوهم بالمال والثياب ، وهي شديدة الحر ، وعدن مرسى أهل الهند ، وللتجار منهم أموال عظيمة .

ميناء عدن القديم

كانت(٤٣) الحركة التجارية مركزة في جبل صيرة وساحل صيرة حيث كانت السفن تلقي مراسيها .

وكانت(٤٤) المناطق المتاخمة للميناء هي حافة القطيع وحافة العيدروس وهي اكثر ازدحاماً بالسكان من غيرها من مناطق عدن .

عدن مرة أخرى اثناء الحملة البرتغالية

وفي الصورة التي رسمها(٤٥) الفنان الفينيسي اثناء الحملة البرتغالية على عدن تظهر لنا مدينة عدن محاطة بسور عالٍ يمتد من جبل الخضراء حتى جبل المنظر ، ومن هناك على طول الساحل حتى جبل التعكر ، ووراء السور تقع

---

(٤٣) نفس المصدر ص ٢٩٢ .
(٤٤) نفس المصدر ص ٣١٩ .
(٤٥) نفس المصدر ص ٣١٩ .

مدينة عدن ، وقد امتلأت بالمنازل والمساجد والمنارات العاليةمن جبل حقات الى وادي الخساف ، ومن ساحل صيرة الى وادي الطويلة ، وأمام السور على طول الشاطىء ترى سفن الغزو البرتغالية وقوارب الصيد وقد انتشرت على طول الشاطىء .

وقد استوطنت عدن جاليات وجنود مع الدول التي تعاقبت على عدن ، وتُجَّار حين ازدهرت عدن كمركز تجاري عظيم الأهمية في عهد نائب الدولة الأيوبية أبي عمر عثمان بن علي الزنجبيلي الذي دعا تجار مصر والهند الى القدوم الى عدن واستيطانها ، وحين غزا الأتراك العثمانيون عدن وصل اليها عدد من الأكراد والترك والمصريين وجعل بعضهم عدناً وطناً لهم ، وكانت هذه العناصر أيضاً قد استوطن كثير منها عدناً منذ حكم بني أيوب في اليمن ، كما كان سكان عدن قديماً خليطاً من العرب ويهود اليمن وقليل من التجار الهنود والمصريين .

ومن معالم عدن قصور عدن القديمة .

وقد(٤٦) ذكر ابن المجاور في تأريخ المستبصر انّ بني زريع أول من بنى الدور بالحجر والجص ، وكان الحجر يجلب الى عدن من أبين .

ومن قصور عدن الشهيرة والتي لم يبق لها وجود : قصر السعادة وقد بناه سيف الإسلام الطغتكين بن أيوب وكانت داراً مثلثة الشكل فريدة في نوعها ، وقد زاد فيها الملك المجاهد الرسولي علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول كما زاد فيها الملك الظافر عامر بن الطاهر .

ودار البنديرة : وقد بناها الملك عبد الوهاب بن داود بن طاهر .

ودار الطويلة : وقد بناها ابن الحابي .

ودار المنظر : وقد بناها بنو زريع فوق جبل المنظر وكانت مقراً لملوكهم .

ودار صلاح : بناها صلاح بن علي الطائي من تجار عدن في عهد بني

---

(٤٦) نفس المصدر ص ٣٠٠ .

رسول وقد تحولت هذه الدار في عهد الملك المجاهد علي بن طاهر الى متجر كبير ، وزاد فيها زيادةكبيرة وأضاف اليها مخازن واسعة من جهة حقات .

ودار الخضراء : وقد بناها بنو زريع فوق جبل الخضراء وكانت تسكنها الحرة بهجة أم الملك علي بن أبي الغارات . ولّما احتل عدن سبأ بن زريع صعد نائبه الشيخ بلال بن جرير المحمدي الى الدار وأنزل الحرة بهجة واستولى على الدار وما فيها من اموال كثيرة .

ومن معالم عدن صهاريج عدن القديمة .

وادى الطويلة من أشهر معالم عدن منذ زمن بعيد(٤٧) ، فهو يضم صهاريج عدن الأثرية ، والتي بنيت في الصخور الصلدّ لتتلقف الماء الذي يهبط من جبل العز (جبل التعكر) والتي تتسع لعشرة ملايين جالون . وذلك لحجز مياه الأمطار ، وعلى غرار السدود الكثيرة في مختلف انحاء اليمن ، أمّا عدد صهاريج عدن فاثنا عشر وجميعها بنيت بشكل هندسي رائع ومثل رائع لفن العمارة في العهد الذي بنيت فيه ، والذي لم يعرف بصورة قاطعة حتى الآن وذلك لعدم وجود كتابة اثرية فيها أو في غيرها تدل على تأريخ بنائها وعلى الدولة اليمنية القديمة التي قامت ببنائها ، (ومن المعلوم بصورة قاطعة أنّ بناته هم الأسلاف اليمنيون الحميريون أو الأوسانيون الذين عاصروا الدولة السبائية في حكمهم للمنطقة وهم جزء من حمير وبناة الحضارة اليمنية في اكسوم الحبشية كما هو معروف ودلت عليه الآثار) .

وقد اكتشفت هذه الصهاريج في عام ١٨٥٤ م .

وكلها اثرية قديمة إلا السد المبني في اعلى المضيق الجبلي والمرتفع بين الجانبين المنخفض في الوسط والمعروف باسم بركة عنبر فهو قريب عهد بني عند اكتشاف الصهاريج لمنع الطين والحصى وغيرهما من الإنجراف مع مياه السيول الى الصهريج الأول القابع في اسفل والمعروف محلياً باسم أبو سلسلة ، ويمكن

---

(٤٧) نفس المصدر ص ٢٥٧ .

اعتبار هذا السد جانباً من الصهريج .

أمّا الصهريج الثاني فهو الذي نصعد اليه بدرجات صخرية حديثة العهد نسبياً ، والذي يدهش الناظر ان تجصيص هذا الصهريج بالنورة من اسفله الى اعلاه ما زال هو التجصيص الأثري الأصيل لم تذهبه الأيام ولم تؤثر فيه السيول التي كثيراً ما ملأت الصهريج بمياه الأمطار التي تتدفق بقوة من بركة عنبر .

وبعد ان يمتلىء أبو سلسلة (الصهريج الأول) ينساب الماء الفائض الى الصهريج الثاني الذي يليه ، وبعد امتلائه يمر في قناة تبدأ بعقد ، الى الصهريج الثالث فالرابع فالثامن ، وهذا الصهريج الثامن يعرف باسم (أبـو عجلة) ، ويتلقى الماء من اربعة منافذ هي القنـاة التي ينساب المـاء اليها من الصهـريج الـرابـع ، وقنـاة صغيـرة في الجـانب الأيمن من المضيق حيث يـوجـد المخـزن الصخري الذي كانت تخزن فيه الأسلحة أيام الحرب ، وقنـاة صغيرة تمتـدمن الصهريج السابع ، وممرات منحدرة في الجانب الأيسر من المضيق .

ويمكن لهذا الصهريج الثامن ان يتسع لأربعة مـلايين وستمـائة وخمسـة وأربعين الف ومائتين وثلاثة وسبعين جالوناً من الماء ، وبعد ان يمتلىء يفيض الى الصهريج التاسع الذي يليه ، ثم العاشر المواجه للمتحف .

وبعد امتلاء العاشر يفيض المـاء فيمر في قنـاة اخرى تحت عقـد وجسر ويصب في الصهريج الثاني عشر الكائن خارج حائط بستان الطويلة والمعروف باسم صهريج الفارسي .

وبقـي أمـامنا الآن الصهـريج السـادس والسابـع والحادي عشـر ، أما السادس والسابع فيقعان في شق الجبل من الأيمن ، للمضيق ، وهما يتلقيان الماء من شقـوق وممـرات في الجبـل ، ويعرف الصهريج السابع باسم صهـروج (كوجلان) ، وسبب هذه التسمية انه يعتقد انـه حديث عهـد لا ينتمي الى العصر الذي بنيت فيه بقية الصهاريج ، وان تشييـده كان في عهـد ثاني مقيم بريطاني في عدن وهو البريغادير كوجلان وذلك بين سنتي ١٨٥٩ و١٨٦٠ م .

والصهريج الحادي عشر يعرف باسم ابو قبة ، وله طابع اسلامي يـدل

على أنّ بناءه تمّ في عهد احدى الدول الإسلامية من الصهاريج صورة رقم (٦٦)

وثمة عدة صهاريج اخرى تشاهد بقاياها في الجزء الشمالي الغربي لمدينة عدن بلغت جميعها مع صهاريج الطويلة الخمسين كانت اكثرها صالحة في بداية الاحتلال عام ١٨٣٩ م .

ولم يقتصر الهدف من بناء سدود جبل شمسان المعروفة بسدود أو صهاريج الطويلة على خزن الماء للري ، وانما كان هناك هدف آخر هو تجنيب مدينة عدن الخطر الذي كان يتهددها وقت تدفق الماء من الجانب الغربي في الجبل المذكور شديد الإنحدار حينما تهطل الأمطار فبنيت سلسلة الصهاريج الممتدة من الطويلة حتى شواطىء صيرة .

ومن معالم عدن مساجدها . وأهمها[٤٨] المسجد الجامع في عدن والتي تزينه المنارة العالية ، وذكر كثير من المؤرخين أنّ بناءه من عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ثم جدد بناءه ووسعه الحسين بن سلامة الأمير النوبي في آخر عهد بني زياد ، وجدده مرة اخرى الملك الظافر عامر عبد الوهاب ، أمّا المنبر بديع الشكل فيه فمن بناء الملك عمران بن محمد بن سبأ (آل زريع): واسمه مكتوب فيه ، ومسجد ابان وقد بناه ابان بن عفان بن الحكم بن عثمان بن عفان ، المتوفي في المدينة المنورة عام ١٠٥ هـ .

وقد ولي ابنه الحكم القضاء في عدن ، وقد توفي هذا في عام (١٥٤ هـ) في عهد الخليفة العباسي ابي جعفراً المنصور ، وثمة مساجد في عدن اخرى قديمة وكثيرة لا مجال هنا لحصرها .

النشاط الأدبي في عدن

ازدهر[٤٩] الأدب في عدن عبر التأريخ الإسلامي وبالذات في عهد بني زريع الذين عاصروا الصليحيين ، وممن برز في عهد آل زريع الأديب أبو بكر ابن احمد العندي وقد قال غرر قصائده في الملك عمران بن محمد بن سبأ آل

---

(٤٨) و(٤٩) نفس المصدر الصفحات ٤٦٤ و٤٧١ .

زريع كما مدح أباه قبله ومدح جرير بن بلال المحمدي نائب محمد بن سبأ على عدن ثم مدح توران شاه الأيوبي بعد استيلائه على عدن في بداية حكم بني أيوب في عدن ، ومن قصائده في عمران بن محمد قصيدة مطلعها :

حياك يا عدن الحيا حياك ... وجرت رضاب لماه فوق لماك
وافترّ ثغر الروض منك مضاحكاً ... بالبشر رونق ثغرك الضحاك
وعلام استسقي الحيا لك بعدما ... ضمن المكرم بالندى سقياك
وهمت مكارمه عليك فصافحت ... عن كفه معنى الغنى مغناك

ومنهم الشاعر التكريتي الذي مدح المنجوي امير المرباط احدى مدن الشحر في بلاد حضرموت الساحلية بقصيدته التي كافأه عليها بسفينة محملة بالهدايا والأموال والتحف ، وبسفينة اخرى ارسلها المنجوي للإنفاق عليه منها لوسجن حينما علم أنّ الطغتكين استدعاه اليه ليعاتبه على قوله في القصيدة المذكورة (هو تاج والملوك حذاء) ولم يسجنه لأنه تخلص بأن قال له : (إنما قلت والملوك حذا) بفتح الحاء وقد قبل الطغتكين تخلصه بالرغم من قول المنجوي بعد الشطر المذكور : (بل حضيض وهو كالقلل) وقال الطغتكين حين علم بأنّ المنجوي شحن له الباخرة الثانية (يحق لمادح هذا ان يقول فيه ما شاء » أمّا القصيدة فهي في (هدية الزمن)(٥٠)

عج برسم الدار فالطلل ... فالكثيب الفرد فالإثل
فبمأوى الشادن الغزل ... بين ظل الضال والجبل
فاذا ما بان بان قبا ... وبلغت الرمل والكثبا
ناد أهل الربع واحربا ... واسبل العبرات ثم سل
وابك في أثر الدموع دماً ... هب كأن الدمع قد عدما
واندب الغيد الدما ندما ... واقف اثر الظعن والإبل
آه لو ادركت بينهمو ... كنت يوم البين بينهمو

(٥٠) طبعة دار العودة عام (١٩٨٠) ص ٢٤ .

ليت شعري الآن أين همو | رب سار ظل في السبل
كيف اثني عنهمو طمعي | وهمو في خاطري ومعي
كفَّ عني اللوم لست أعي | ففؤادي عنك في شغل
ها أنا في الربع بَعدهمو | اشتكي وجدي وبُعدهمو
أسأل الأيام وعدهمو | وأقضي الدهر بالأمل
فدموع العين تنجدني | وحمام الأيك تسعدني
فهي تدنيني وتبعدني | بالبكا طوراً وبالجذل
خلفوني في الرسوم ضحى | أتحسى الدمع مصطبحا
كل سكران وعى وصحى | وأنا كالشارب الثمل
رقّ رسم الدار لي ورثا | وسقامي للضنا ورثا
ليس سقمي بعدهم عبثا | كل من رام الحسان بلي
آه لو جاد الهوى وسخى | اذهب الأكدار والوسخا
فالجوى والصب قد نسخا | وقعتي صفين والجمل
ما لهذا الدهر يطمعنا | وأكف البين تقمعُنا
أترى الأيام تجمعنا | بمنى والخيف والجبل
أترى بالمشعرين نرى | عيسهم والركب قد نفرا
ونزور الحِجر والحَجْرا | ونضم الركن للقبل
كم لنا بالمروتين اسى | ما له غير الخضوع أسى
ينجلي عن ربما وعسى | والورى في غاية الوجل
يا أصيحابي ويا لزمي | غير خاف عنكمو الممي
ان أمت لا تأخذوا بدمي | غير ذات الدل والكسل
غادة في خصرها هيف | دنف كل بها دنف
فهيام القلب والشغف | بين ذاك الخصر والكفل
فبياض الصبح غرتها | وسواد الليل طرتها
دمية كالشمس بهجتها | وهي في خمس من الحمل
أصل دائي غنج مقلتها | ودوائي لثم وجنتها

أترى عُمَراً بنظرتها أو أمير المؤمنين علي
ريقها والميسم الشنب خندريس فوقها حبب
لؤلؤ رطب هنا العجب بحره أحلى من العسل
وصفوا هنداً وما وصفوا عكسوا المعنى وما عرفوا
قلت هذا منكمو سرف أيُقاس الكحل بالكحل
فعلت بي غير ما وجبا عاقبت ما راقبت رُقبا
صححت في الأحياءِ واحربا أيحلّ القتل بالخجل
كم كرى من مقلتي منعت حبذا لو انها قنعت
مذ بدت صنعا وما صنعت جمع ذاك اللحظ بالمقل
ان يكن في الحب هان دمي ها صباباتي وها ندمي
فدمي في ثابت القدم ورشادي ضلّ في الأزل
بدرت من بدر جارية ودموع العين جارية
ثم قالت وهي جارية أرفقي يا هند بالرجل
فأجابت وهي معرضة ومراض اللحظ ممرضة
أنت لي يا سعد مبغضة قد سقيت النفس بالعلل
قالت البدرية اتّئدي وعدي ذا المبتلي وعدي
ما الذي ينجي من القود خلق الإنسان من عجل
طالما فيك الهوى عبدا ما عدا مما لديك بدا
ليس يخفي قتله أبدا من مروي البيض والأسل
الإمام الطاهر النسب الزكي الطيب والحسب
السحاب الساكب اللجب الهتون العارض الهطل
الهزبر المنجوي اذا ألقت الحرب العوان اذا
هو تاج والملوك جذا بل حضيض وهو كالقلل
طالما قد ضنت السحب واشرأبّ المحل والسغب
وغوادي كفه السهب بالضحى تهمي وبالأصل
لو همت يوماً غمائمه بلظى ناحت حمائمه

فهو مذ نيطت تمائمه — مولع بالخيل والخول
يمنح السائل قبل متى — سئل المضطر أو سكتا
لو اتى بعد الرسول فتى — كان حقاً خاتم الرسل
وعذول بات يعذله — ولديه المال يبذله
قصده عن ذاك يعدله — وهو لا يصغي الى العذل
حكت الأنوى أنامله — وهي تخشى أن تقابله
فاذا ما هزَّ ذابله — قرن الأرواح بالأجل
ما له مثل يماثله — لا ولا شكل يشاكله
وله فيما يحاوله — همة تعلو على زحل
كفّ كف الدهر حين سطا — ونداه نحونا بسطا
فغدونا أمة وسطا — بعد ذاك الخوف والوجل
كيف تخشى بعده الزمنا — وأبو عبد الإله لنا
ارتدى مجداً والبسنا — حللاً ناهيك من حلل
هو قيس في فصاحته — ولؤيْ في صباحته
وهو معن في سماحته — وابن عباس لدى الجدل
ان يكن في نظمه خلل — يُعذَرُ الجاني ويُحتمَل
خاطر المملوك مشتغل — عن كتاب العين والجمل

الحكم العثماني الثاني في اليمن ومعاصره من الأئمة
(١٢٤٩ - ١٣٣٨ هـ)
(١٨٣٣ - ١٩١٩ م)

ذكر المؤرخ الكبسي[١] في تأريخه احداثاً سبقت مجيء قوات والي مصر محمد علي باشا الى اليمن في عام (١٢٤٩ هـ) وكانت سبباً في مجيئها .

النفوذ المصري في اليمن تحت الراية التركية

وقد لخص المؤرخ المذكور تلك الأحداث بقيام المدعو (تركي بيلمز) بالزحف الى اليمن بألف مقاتل بعُددهم وذلك في عام (١٢٤٦ هـ) (١٨٣٠ م) دون امر السلطان في تركيا ، وأن تركي بيلمز استطاع ان يستولي على تهامة حتى المخا ، بعد قتله لولاة الإمام المهدي عبد الله فيها كالسيد عبد الله بن عبد الله دريب والسيد احمد بن لطف الباري طامش وغيرهما ، وان تركي بيلمز أقام في المخا يعوث ويفسد .

حتى تحرك امير عسير علي بن مجثل من آل معيظ بقواته وتمّ له طرده من اليمن بعد حروب مريرة معه ، واستيلائه هو أي أمير عسير على تهامة لنفسه .

حتى جاءته قوات محمد علي والي مصر للأتراك بقيادة ابراهيم باشا ، وأضاف المصدر[٢] المذكور قائلاً : « فخرج الباشا ابراهيم ولعله من قرابة محمد علي كما ذكر بجند وافر ومجد قاهر ، واستولى الباشا ابراهيم على البنادر ، وثبتت

(١) في تأريخه اللطائف السنية مخطوط .

(٢) الكبسي أيضاً .

الدولة المصرية فيها في تلك المدة وتجاوزوا عنها الى اليمن الأسفل واستولوا على تعز ومخاليفها » .

وقد أوردالدكتور فاروق عثمان اباضة في كتابه (الحكم[3] العثماني في اليمن بين عا مي (١٨٧٢ ـ ١٩١٨ م) الموضوع بشكل مغاير بعض الشيء وبتحليل أوسع فذكر انه لمّا كان محمد علي باشا والي مصر يطمح في انشاء امبراطورية عربية مستقلة عن تركيا ، وقامت مع ذلك الحرب بينه وبين تركيا في سوريا أرسل الباب العالي فرماناً الى تركي بيلمز المذكور يقره على ولاية الحجاز نكاية بمحمد علي الذي خرج عن طاعته في سنة (١٨٣٢ م) وكان الضبّاط الأتراك غير النظاميين قد ثاروا في جدة عقب عودتهم من اليمن بعد انتزاع تهامة من الشريف احمد بن حمود وإعادتها الى الإمام المهدي عبد الله ، وكانت ثورتهم تلك بسبب تأخر رواتبهم ، ونصبوا (تركي بيلمز) احد كبارهم والياً على جدة .

ولكن محمد علي بطبيعة الحال لم يرض عن حركة التمرد التي قام بها الضباط ، ولم يعترف بفرمان السلطان ، فقام بتوطيد نفوذه على الحجاز واليمن لما للحرمين الشريفين من اهمية دينية ، ولأنّ الحجاز واليمن كانا بمثابة العُقَد الوثيقة في خيط الاتصال بين مصر والهند .

ولذلك فإنه أي محمد علي ارسل حملة مصرية بقيادة احمد باشا يكن قوامها أربعة آلاف مقاتل الى ينبع ، وسارت منها الى جدة واحتلتها بعد ان انسحب منها تركي بيلمز المذكور نحو القنفذة، ولمّالم يتمكن من احتلالها لقوة حامية محمد علي باشا فيها واصل انسحابه الى الحديدة ومنها الى المخا واستقر فيها ، ولم يقو إمام صنعاء على مقاومته .

وأخيراً عهد محمد علي باشا الى والي الحجاز (احمد يكن باشا بمطاردة تركي بيلمز ، فسار اليه على رأس قوة قوامها خمسة عشر الف مقاتل وذلك في

---

(٣) من ص ٣٥ .

عام (١٨٣١ م (- ١٢٤٧ هـ) ، وان حاكم عسير اشترك مع الجيش المصري في محاصرة المخا حتى سقطت في أيديهم وهرب تركي بيلمز والتجأ الى احدى السفن البريطانية ، وبذلك انتهت الفتنة في الحجاز واليمن ، وبدأ الحكم المصري لليمن تحت الراية التركية .

وقد عزز محمد علي باشا نفوذه في اليمن في عام (١٨٣٦ م - ١٢٥٠ هـ) بأن أرسل قوة جديدة تضم ثلاثة آلاف من المشاة والفين من الفرسان بقيادة ابراهيم يكن باشا وعيّنه سر عسكر اليمن ، ووقعت بين القوة المذكورة وبين اليمنيين مصادمات عنيفة الحقت خسائر بالمصريين وأجبرتهم على التقهقر الى الحجاز بعض الوقت .

ثم استجمعوا قواهم واستأنفوا زحفهم نحو اليمن من جديد ، واستطاعوا ان يتمركزوا في بعض الموانىء اليمنية ومنها ميناء الحديدة التي عيّن محمدعلي باشا ابراهيم يكن باشا واليا على اليمن فيها ، واستمرت حالة من الهدوء النسبي في تهامة بين عامي ١٨٣٦ - ١٨٤٠ م - ١٢٥٣ - ١٢٥٦ هـ ، وقبل الإمام الناصر عبد الله بن الحسن بالأمر الواقع ، بل[٤] واعلن ولاءه لإبراهيم باشا يكن ليتقي بذلك بطش الانكليز الذين احتلوا عدن في عا م ١٨٣٩ م - (١٢٥٥ هـ) .

انسحاب المصريين من اليمن

ولكنه[٥] طرأت احداث خارج اليمن حملت الوالي المصري محمد علي باشا على اصدار اوامره الى الوالي التركي المطيع له في اليمن (ابراهيم باشا يكن) المقيم في مدينة الحديدة بانسحابه مع قواته منها ومن اليمن بشكل عام ، وتسليم ميناء الحديدة الى الشريف حسين بن علي بن حيدر حاكم المخلاف السليماني ، وجاء الشريف حسين الى الحديدة ووسع نفوذه في تهامة حتى زبيد والمخا وباسم الدولة العثمانية ، واعترفت به تركيا كحاكم على اليمن ، لتضمن

---

(٤) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ٣٨ .

(٥) نفس المصدر ص ٤٢ .

سيادتها على اليمن ، وتبسط نفوذها الفعلي فيه ، وقد تمّ لها ذلك في عام ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) وكان تسليم محمد علي باشا لما بسط نفوذه عليه في اليمن الى الشريف حسين بن علي بن حيدر المذكور وسحب قواته منه بناء على ضغط الحكومة التركية في سبيل الحد من مطامعه ، وبناء على قرارات مؤتمر لندن المنعقد في (١٨٤٠ م - ١٢٥٦ هـ) والقاضية بوجوب سحب قواته من الجزيرة العربية ، وساعدتها بريطانيا في انجاح مؤتمر لندن لصالحها أي تركيا ضد محمد علي المذكور وفرض جلائه من اليمن ، مقابل مباركة تركيا لاحتلال الانكليز لعدن واعترافها بسيادة الانكليز عليها كما علمنا في بداية الفصل .

الإمام المنصور علي بن المهدي عبد الله

وكان الإمام المهدي عبد الله قد توفي في عام ١٢٥١ هـ - ١٨٣٤ م ، وبويع ولده علي ولقب بالمنصور ، وعارضه بالدعوة في نفس العام المذكور السيد حسين بن علي المؤيدي الذي دعا في بلاد صعدة ، ولكنه توفي في حيدان منها في العام الذي تلا عام دعوته .

الإمام الناصر عبد الله بن الحسن

ولقد اضعف الإمام المنصور علي من كيان دولته ونال من هيبتها اسرافه في انفاق الأموال للجنود والقبائل استرضاء لهم حتى قاموا بالقبض عليه واعتقاله ،وتنصيب عبد الله بن الحسن بن احمد بن المهدي العباس مكانه ولقبوه بالناصر وذلك في عام (١٢٥٢ هـ) وقد لخص المؤرخ الكبسي هذه الأحداث في تأريخه(٦) فقال : « وتوفي المهدي عبد الله في شهر رجب من سنة ١٢٥١ هـ وهو آخر الملوك أهل الصولة والإقدام والحل والإبرام ، ودعي بعده ولده علي ابن المهدي ، وقد تضعضعت المملكة ولم يبق إلا المدخر في خزائن بيوت الأموال من آلة الحرب والذخائر ، وكان ينفق منها ويعول عليها ، ومواد البلاد انقطعت ، فكان الجند يهجمون عليه ويبالغون في المطالب ولم يكن له يد

(٦) اللطائف السنية (مخطوط) .

عليهم ، ومن لوائح الإدبار عزله لأمير الأجناد الذي كانت له اليد القوية عليهم (العنبر يسر) فبقي الأجناد على طريقة الفساد ، حتى كان في شهر القعدة من سنة (١٢٥٢ هـ) فثار عليه العسكر وفعلوا عظيم المنكرات ، ودخلوا الى داره بستان المتوكل وهو غافل عن أمرهم ، فقبضوه ونصبوا في مقامه الإمام الناصر عبد الله بن الحسن بن احمد بن المهدي العباس ، وهو من أعلام السادة قد احرز العلوم وجميع منطوقها والمفهوم » .

وأضاف[٧] قائلاً : « فدعي في شهر القعدة من سنة ١٢٥٢ هـ وأودع علي ابن المهدي وعمه محمد بن المتوكل الترسيم » .

ثم ذكر حركته في سبيل اعادة الأمن والاستقرار في اليمن ، ومن أولى اعماله قبضه على نحو ثلاثمائة من قبيلة (ذو محمد) الذين بادروا اليه عقب دعوته من اليمن الأسفل ، ثم خروجه من صنعاء وتجوله في بلاد ذمار ويريم واب وغيرها ، وقبضه على الكثير من المتمردين من القبائل ، ولكنه واجهته احداث تغلب قوات محمد علي باشا على بلاد تعز ، وتغلبهم مع ذلك على القوات التي جهزها لحربهم في بلاد اب في معارك الهشمة من بلاد تعز وبلاد العدين ، الأمر الذي جزأ قبيلة (ذو محمد) المقيمين في اليمن الأسفل والموتورين بسبب قبض الإمام الناصر على المجموعةالتي وصلت الى صنعاءعقب دعوته فقاموا بمحاولة محاصرة مدينة اب التي كان يقيم فيها ، ولما لم يجد الإمام الناصر القوة الكافية لدعم موقفه في المنطقة ضد المتمردين من ذو محمد وضد الغزاة المصريين المتمركزين في بلاد تعز عاد الى صنعاء وقد وهن امره على حد ما جاء في تأريخ الكبسي ، وإن كان الإستاذ حمزة لقمان ذكر في (معارك[٨] حاسمة في التأريخ) أنّ الإمام الناصر كان قد استعاد تعز قبل مقتله .

وفي[٩] صنعاء ثارت عليه قبيلة همدان واعلنوا خلافهم عليه ، وتجمعوا

(٧) في المصدر آنف الذكر (اللطائف السنية) مخطوط .
(٨) ص (١٤٣) .
(٩) السيد محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) آنف الذكر مخطوط .

في قرية المعمر احدى القرى القريبة من صنعاء ، فتقدم الإمام لحربهم مستعيناً بقبيلة ارحب وتغلب عليهم وهزمهم ، ثم غزاهم الى وادي ظهر ولكنه تصالح معهم ، وعاد مع مشايخهم الى صنعاء ، واستقرت الأحوال حتى شهر صفر من عام (١٢٥٦ هـ) .

وفيه خرج الإمام الناصر من صنعاء الى وادي ظهر للنزهة غير آخذ أهبته للحرب بعد اظهار همدان طاعتها له ، وبينها هو يغادر دار الحجر في وادي ظهر عائداً الى صنعاء اذ غدرت به همدان وهجمت عليه وقتلته ، وقتلت معه القاضي اسماعيل بن حسين جغمان والأمير عنبر يسر أمير الأجناد ، والأمير محمد طاشخان امير بير العزب والسيد صلاح الدين بن محمد بن عبد الله بن المنصور .

الإمام الهادي محمد بن المتوكل

وقد قامت جماعة من كبار رجال دولة الإمام الناصر باخراج محمد بن المتوكل احمد بن المهدي عبد الله من سجن الناصر وبايعته خلفاً للناصر وتلقب بالمتوكل ثم بالهادي ، قال المؤرخ الكبسي : « وقامت دولته ونفذت أوامره على البلاد (العليا) من يريم الى صنعاء وبلاد عمار في النادرة وقعطبة والعود وغيرها » .

كما أخذت قبيلة ارحب (وكانت من ابرز القبائل الموالية للناصر) بالثأر له من قبيلة همدان وأوقعت بها في المنقب بين حاشد وثلا .

ثورة الإمام الفقيه سعيد بن صالح بن يسين الهتار : (١٢٥٦ - ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٠ - ١٨٤٣ م) .

وفي عهد الإمام الهادي المذكور ثار في اليمن الأسفل على الحكم الإمامي الفقيه سعيد بن صالح بن يسين الهتار في قرية الدنوة من مخلاف[١٠]

(١٠) مخلاف الشوافي أحد مخاليف مديرية اب ويشمل سبع عزل عزلة الروس ومنها قرية الدنوة وقد صارت اليوم من عزلة جبل خضراء من مديرية حبيش لواء اب ، وعزلة بني محرم وعزلة =

الشوافي في بلاد اب وتحصن بحصن الدنوة وذلك في عام (١٢٥٦ هـ) ، والتف حوله الكثير جداً من ألوية اب وتعز وتهامة ومن الجنوب والمناطق الشرقية ، ويبدو انه ركّز في بداية حركته على هدف واحد هو ازالة الظلم عن كواهل الفلاحين ، ورفع عنت قبائل القسم الأعلى المقيمين في اليمن الأسفل وجلهم من بكيل ، وممن كان الحكم الإمامي يستخدمهم كجنود له في اليمن الأسفل وتهامة وطردهم جميعاً من هذه المناطق ، وكان قبائل بكيل قد استوطنوا اليمن الأسفل منذ عهد الإمام المهدي عبدالله وقبله منذ عهد الإمام المنصور حسين ابن المتوكل قاسم بن حسين كما مر بنا عند التأريخ لهما ، وكان هدفه ذلك قد جمع الناس حوله وساندوه في حركته الأوسع هدفاً وهو الاستقلال بحكم المنطقة الوسطى وتهامة عن الحكم الإمامي ، يشجعه انفصال الجنوب عنه ، وانفصال المخلاف السليماني وتهامة ايضاً عن حكم الإمامة منذ بسط اشراف المخلاف السليماني أيديهم عليها ، وعلى المخلاف واستقلوا عن الدولة القاسمية ، وعدم استقرار الحكم الإمامي نفسه في صنعاء وغيرها من القسم الأعلى من اليمن ، حيث صار الأئمة من آل القاسم يتنافسون على الحكم والسلطة فيه ، وصارت قبائل القسم الأعلى تختلف مع هذا وذاك ، وصار الأئمة يقتل ويحارب بعضهم بعضاً في سبيل ذلك ، ولقد عبر الزامل الشعبي الذي منه ما يأتي أصدق تعبير عن مشاعر ابناء المناطق التي قام الفقيه سعيد بحركته فيها لرفع الظلم والعبث عنها وهو :

يا با سعيد يا باه
كل القبل جابه

=البحرين ، وعزلة جبل معوذ وعزلة شعب يافع وعزلة ثُوَب أعلى وعزلة ثُوَب أسفل ، وفي قرية الدنوة جامع كبير بناه الفقيه سعيد في عام ١٢٥٣ هـ حسب ما هو منقوش على العتبة الخشبية الموضوعة فوق الباب الشرقي للجامع المذكور ، ووضعها مقلوب لعلها أُزيلت يوم القبض على الفقيه سعيد بعد انهزامه ، وحرص انصاره بعد تفرق الجنود من الدنوة على إعادتها بصورة مستعجلة ولم ينتبهوا إلا بعد البناء عليها ، وفي الجامع المذكور صومعة عالية ويليه في القرية مسجد صغير للحسام الزاهر حسبما هو منقوش في عتبة الباب الحجرية .

اسلمتنا المحنة
والعسكر الزوبة
يا با سعيد يا باه

وقد امتدّ نفوذه خلال السنوات الثلاث التي حكم فيها الى يريم شمالاً وعدن وبلاد يافع جنوباً ، وحتى تهامة غرباً ، وضرب السكة باسمه من الفضة الخالصة ، ونصب ولاته في عموم المناطق التي بسط نفوذه عليها ، وخطب له على المنابر باسم عالم الشريعة المطهرة المهدي ، وساد في عهده الأمن والاستقرار بين الناس في مناطق نفوذه .

وقامت حرب بينه وبين الإمام المتوكل محمد بن احمد بن المهدي عبد الله والذي حوّل لقبه منذ قام بحرب الفقيه سعيد الى الهادي ليغاير لقب (الفقيه سعيد المهدي) فيما يبدو ، أو تيمناً بالإمام الهادي يحيى بن الحسين كما جاء في تأريخ حوليات يمانية كما سيأتي، وحالف النصر فيها الإمام الفقيه سعيد في معظمها. إلا أنَّ الغدر الذي قام به بعض مشايخ بكيل ممن أطمأنِ اليهم لقادة جيشه الى جانب طرده لجمهرة قبائل بكيل من اليمن الأسفل وتهامة وألبها عليه وحملها على الانضمام الى الإمام الهادي المذكور ، والصمود له في حرب استماتة رجحت كفته أي الإمام الهادي ، ومع ذلك فقد استطاع الإمام الفقيه سعيد أن ينسحب بثبات من بلاد يريم ويعود الى اليمن الأسفل ، وكانت معنويته ومعنوية أتباعه قد ضعفت ، ثم تمكنت قوات الإمام من القبض عليه في حصن الدنوة بعد حرب مريرة بين الجانبين وضربت عنقه في مدينة اب وذلك في عام (١٢٥٧ هـ) وقضي على ثورته ولم يتجاوز عمرها الثلاث سنوات .

ولقد تحدث الأخ القاضي عبد الله عبد الوهاب الشماحي المجاهد في كتابه : (اليمن[١١] الإنسان والحضارة) عن ذلك وقال : « وقد هزّت هذه الثورة عرش الإمام القاسمي بصنعاء ، وأثارت القبائل التي اجلاها الإمام

---

(١١) من ص ١٥٨ .

سعيد فقاد الإمـام القاسمي تلك القبـائل بنفسـه الى يريم ، وفي يـريم جرت معركة حامية استبسلت فيها القبائل انتهت بهزيمة الإمام سعيد وفراره الى اب ، وهناك قتل وأخمدت ثورته ، لأنها سبقت أوانها ولم يمهد لهـا ولا لإعلان نفسـه إماماً مما أثار عليه انكار فقهـاء الجنوب الشـافعي المتمسك بنـظرية الإمـامة في قريش ، وبالطبع الشمال الذي ما يزال متمسكاً بالإمامة الزيدية » .

وأضاف قائلاً : « كما انها افـزعت الإمام القـاسمي وأسرتـه ودعاتهم ، ورأوا انها فاتحة للعودة باليمن الى العهد الرسولي والطاهري ، ونلمس هذا في الدعاية التي نشرت ضد الإمام سعيد فقد رموه بالسحر » وأضاف قائلاً : « كل ذلك ليسدوا الطريق الذي بدأ الوعي يسير فيه ، وهذه الدعاية وان أثرت إلا انها لم تسد الطريق ، فقد بدأت القافلة تسير وما الإمام سعيد إلا احد اعـلام القافلة الذين سقـطوا في اثناء الـطريق ، تاركـين آثارهم مصـابيح يهتـدي بها السائرون بعدهم » .

كـما تحـدث عن ذلـك المؤرخ السيـد محمـد بن اسمـاعيـل الكبسي في تأريخه[١٢] اثناء تأريخه للإمام الهادي محمد بن أحمد بن المهدي عبد الله فقال : « وصادف في ابتداء دولته ظهور الفقيه سعيد بن صالح بن يسـين العنسي من متصوفة اليمن ، فانتشر امره وبعد صوته وقويت صـولته ، لأنـه استولى عـلى المفسدين من ذي محمد وأخرجهم من حصون شوامخ وجبال بواذخ ، وتكنى بإمام الشرع المطهر المهدي المنتظر وضرب ضريبة من الفضة الخالصـة وأحفل اليـه أهل اليمن من نقيـل صيد (نقيـل سمارة) الى عـدن ، وأتـوه بـالنـذور والزكوات ، وكان يطعم الطعام لمن وفد اليه ، وارتعب المشرق والمغرب حـين رأوا رجال بكيل قد فارقوا تلك الحصون وخـرجوا عنهـا ، وارتحلوا من اليمن مرعوبين مرهوبين ، فخرج من صنعاء (أي الإمام الهادي) وصام شهر رمضان سنة (١٢٥٦ هـ) في مدينة ذمار ، ثم نزل الى مدينة يريم وكـاتب الى الفقيه سعيد ، وأرسل بعض العلماء ليخبروا بأحواله ويميزوا أقواله ، فكان منـه بعد

---

(١٢) اللطائف السنية آنف الذكر (مخطوط) .

شهر رمضان ان بعث أهل اليمن على الهادي المذكور ، فأنثالوا من جميع الأقطار ، وتابعهم الشيخ حسين يحيى عباد من رؤساء بلاد خبان والشيخ عبد الله مثني فاضل وكان رئيساً كبيراً متبوعاً (في بلاد العود والنادرة) ، وأحاطت الأجناد بمدينة يريم من كل جهة ، وضاقت الأحوال بالهادي وأصحابه ، وكان من جملة المحاصرين لمحاصرة يريم طائفة من ذي محمد والنقيب حسين بن سعيد أبي حليقة والنقيب علي بن سهيل الهيّال ، وكان الفقيه سعيد قد قبض هؤلاء المذكورين وسجنهم وحد من مطامعهم في اليمن ثم أطلقهم ووجههم مع اجناده من أهل اليمن وفي قلوبهم غاية الوجل ، فأجمعوا شورهم على مظاهرة الهادي ، وخدعوا المقادمة الموجهين من عنده (أي الفقيه سعيد) ، حتى حضروا لديهم فقبضوهم في الأسر وهم في المطرح على حدتهم وقد كتبوا الى الهادي بخروج اصحابه للحرب ذلك اليوم ، وهم أثاروا الحرب من جهتهم بعد قبض الرؤساء ، فخرج الرؤساء على وجل وخوف ، فلمّا عرف أهل اليمن قبض رؤسائهم وتوهموا وصول عسكر آخرين ، وأن الحرب منهم ، وشاع عندهم وصول قوم من المشرق اجفلوا هاربين لا يلوون على شيء ، ووقع فيهم القتل والسلب » .

وأضاف قائلاً : « وبعد هذه الوقعة وصلت الهادي اجناد واسعة من خولان ونهم وهمدان والحدأ وتوجهوا على ذلك الفقيه وحصلت حروب عظيمة آلت الى اسره وأخذ محلته المسماة الدنوة وغنم عسكر الهادي جميع ما في هذه البلدة وهو شيء خطير ومغنم كبير يجل عن الوصف ، وبعد توجه الهادي الى مدينة اب وصلوا بالفقيه سعيد اليه فضرب عنقه » وبذلك أوضح المؤرخ الكبسي اسباب بداية انتصار عسكر الهادي ، ومنها ركون الإمام سعيد الى بعض رؤساء بكيل وتجنيدهم للحرب في صفوف قواته بعد طردهم وذويهم من حصونهم ومساكنهم وممتلكاتهم في اليمن الأسفل ، ثم عدم حزم رؤساء قواته من غير بكيل كالشيخ حسين عباد والشيخ عبد الله فاضل وعدم احتراسهم من رؤساء بكيل الموتورين ، بل وعدم أخذ حذرهم منهم حتى مكنوهم اثناء اجتماعهم بهم من القبض عليهم ، وتحريك الحرب من قبلهم أي رؤساء بكيل

وقيامهم مع رجالهم بمحاصرة المحاصرين للإمام الهادي في مدينة يريم واعلامه بذلك ورفع معنويته ، وحثه على الخروج للقتال ، وأشاعوا مع ذلك بوصول رجال غير جيش الإمام لمساندته الأمر الذي فلّ من عزيمة جيش الإمام سعيد ، بعض الشيء وبدأ انسحابه من يريم ، ومع ذلك فما زالت الحرب قائمة بين الجانبين على اشدها كما اوضح المصدر وبالرغم من وصول امدادات واسعة للإمام الهادي من خولان ونهم وهمدان وربما ومن غيرها وفي مقدمتهم بكيل مساندة لإخوانهم الذين اخرجهم الإمام الفقيه سعيد من اليمن الأسفل وحسمت الحرب بالطبع لصالح الإمام الهادي .

كما تحدث عن حركة الفقيه سعيد في كتاب (حوليات يمانية)[١٣] وأطنب في مدحه قبل حركته كما أسهب في ذمه بعدها ومما قاله : « وفي شهر رجب (من العام المذكور (١٢٥٦ هـ) امر الهادي بالتجهيز اقرب من لمح البصر ، وتيقن انه لا حذر من قدر ، ولا يطفي هذه الفتنة إلا ضرب السيوف ، ولا يسكن ثورة العامة غير حز الأنوف ، ثم انه مال عن الإقامة والدعة ، وأعرض عن لذات الملوك والسعة وأنّ ما لمهمات الأمور إلا نفسه ، وترك سعد الطالع ونحسه ، ونهض من صنعاء متمثلاًبقول الشاعر :

وما جلت رقاب الأسد حتى   بأنفسها تولت ما عناها

وذلك يوم الاثنين ثامن شهر شعبان في السنة المذكورة عقب الدعوة له (أي الإمام الهادي) بثلاثة أشهر ، وتلقب حال خروجه بالهادي تبركاً بمن قهر الأعادي واباد فرق الباطنية (يعني به الإمام الهادي يحيى بن الحسين) وأبدل الدعوة السابقة المتوكل ، ولمّا خرج سكن ما بالناس من الرهج وبات في سيان ، وأفاض على اجناده وأصحابه كل الإحسان .

ويوم ثاني بات في زراجه وعرف الداء وعلاجه وخولان والحدا جعلهم

(١٣) من ص ٩١ .

من اجناده وأجرى لهم من ارزاقه وارفاده ، وتوقع بقطاع الطرق وفتك بهم ، ووصل ذمار وبقي فيها أياماً يرتجي أو عسى يرجع عقل الفقيه سعيد وأقام الى شهر رمضان وكتب الى القاضي العماد يحيى بن علي الردمي يستدعيه الى حضرته ، وثاني شهر رمضان عقد له الوزارة وهو نعم الكفوء الكريم ، وأضاف : « فأمر الإمام في نصف رمضان بالخروج الى يريم » . وأضاف قائلاً أيضاً : «ولمّا وصلوا يريم طمع الباغي اللئيم فيهم حين علم بقلة عددهم وتفرقهم من ذمار لما هالهم من الأرجاف والإعلام ، ولمشاهدتهم القبائل يفرون بكيل من اليمن كالأنعام ، وسلبهم الفقيه لباسهم وأسلحتهم وا متعتهم ، وأخرجهم من المقاسم ، وضرب عليهم الأوفاق والطلاسم ، وأخافهم من معاقلهم وقهر كل أسد باسل ، وكان هذا الفقيه في بدء امره طاهر الصلاح ودعا الناس الى الخير والفلاح ، وبعد استحوذ عليه الشيطان وأوقعه في الطغيان واسمه سعيد بن صالح بن يسين العنسي من بلد شار (من قرية ديلات بلد شار) قرية مولده) من أعمال جبلة (في ذلك العهد أما اليوم فهي من اعمال اب) كان على قدم راسخ من التدين والتصوف والتعفف والتقشف ، اعتزل قومه وسكن في محلة اسمها الدنوة بين حبيش ونعمان ، كانت آثار قرية خالية ، واختطها هو وبناها ، ودعا الناس الى الهجرة اليها ، فأجابه ارذاذ الناس ، والتجأ اليه كل غريب ولاذ ، فما زال مشتغلاً بتقواه ، موافقاً في سره ونجواه ، وكان له في الزهد الحظ الوافر ، عرضت عليه الدنيا بأسرها فما تأثلها ، وتزينت بين يديه ما تمثلها ، حتى صارت حضرته محلاً لأهل الدين ومحط رحى المهاجرين ، وكان فيهم للصغير أباً وللكبير أخاً ، بسجية تنجلي عنها الظلماء ، وخلق مزاجه عسل وماء ، فأقام على هذا اربعين عاماً معتكفاً على الدراسة معتزلاً لأهل النفاسة والرياسة ، مقبلاً عليهم بموعظة وخشوع ، وكثرة سجود وركوع ، فسمع به القاصي والداني ، وزاره كل ملهوف وعاني ، حتى اعتقدوا انه لو عصته الطير ما أوتها وكورها ، ولو أومىء الى الليالي المظلمة لاستقرّ ديجورها ، وكان اليمن قد اشتعل بنار بكيل وتغلبوا عليها جيلاً بعد جيل (حمله على هذا الزعم السجع الذي التزمه وإلا فإنّ بكيل إنما استوطنت اليمن الأسفل

من عـام (١٢٣٢ هـ) من عهد الإمـام عبد الله كـما مرّ بنـا) ، وتـرفعـوا في الحصون والمعاقل ، وضربوا الخراج على الجاهل والعاقـل ، وكان هـذا الفقيه يواعد الرعية الى جمعـة رجب بالفرج ونفي بكيل من اليمن بـلا مشقة ، ولا حرج ، فلما كانت أول جمعة في رجب ترك ما يعنيه واشتغل بما يتعبه ، وأختطب خطبة رغب فيها ورهب ، وزعم انه مدعي للمهدي المنتظر ، وانه بين أيديهم سيظهر ، ثم كتب الى كافة اليمن وبعث مسائله الى شرقـه وغربـه ، فأجـاب الداني والشاسع مناديه ، وانحشر الى ناديه ، واطـاعه اليمن بـأنجاده وأبـطاله وأمجاده ، وقضاته ووزرائه وحجابه ، وليس لهم باعث على ارتكاب هذا الخطر إلا اخراج بكيل وهو أجل أرب لهم ووطر ، وكان تحريك هذه الأسباب من رب الأرباب ، فإن القصة لها اعجب بكثرة العدة والعدد والمدة والمدد ، ودعا في اليمن الى طاعته والمسارعة الى اجابة دعوته ، فما اتقوا سلطانه ، ولكن خشيو برهانه ، فنزلوا على حكمه وهو الذل والمهانـة ، وفرغـوا المعاقـل فأخـربت ، وبذلوا ما أخذوه ظلماً على الرعية فانتهبت، وفي قريب شهر هدم نحو ثلاثمائة حصن من حصونهم ، وغنم ما فيها من نفيس أموالهم ، وأمرهم بالإرتحال على الفور فارتحلوا بالرغم من الكور والجور ، وحينئذٍ ملأها خيلاً ورجـلا ، ونفر بهم خفافاً وثقالا » .

ثم تحدث عن مراحل القتال بين الإمام الهادي والإمام الفقيه سعيد بن صالح بن يسـين العنسي الثائـر على الـظلم وتخلل تفصيل الأحـداث اقذاعـه بالسب على الفقيه سعيد نتزه كتابنا عنه ونكتفي بفقرات مما يعنيه البحث ، ومن ذلك قوله : « وكان الإمام قد زحف من ذمار الى يريم ، كان ذلك بشور الوزير الكريم ، فأحاطت جيوش المدعي بالمـدينة احـاطة الأطـواق بالأعنـاق ، وقام الحرب على ساق ، وثارت العامة من بلاد يريم الى هذه الهيعة ، ونكثـوا على الإمام البيعة ، والإمام مع ذلك ذا ركن منيع وصدر رحيب وسيع » .

وقوله : « ولمّا اشتدّ الحصار وكاد يقـول من في قلبه مـرض كان الإمـام وصار ، وكان وزير الإمام القاضي يحيى الردمي ذا جنان جريء ، فدخل على

الإمام وشاوره في الخروج على هؤلاء الطغام ، فأمر الإمام من كان في المدينة من جنود الحق وخطب فيهم الوزير الماجد ، وقال لهم ان الجنة تحت ظلال السيوف فلا تفشلوا من كثرة العدد ، وان كثير الحطب يكفيه قليل النار ، وأنتم بحمد الله المحقون وهم المبطلون المنهزمون ، فخرجت التوابع وا صحاب الإمام من الأبواب كالليوث العابسة ، وتوجه كل فريق الى مطرح من مطارح اصحاب الفقيه وهم آمنون غير مظنون الخروج عليهم لاعتقادهم وهن اصحاب الإمام ، وكان خروجهم وقتالصباح يوم الربوع » .

وقوله : « فما لبثوا هوينا حتى قلعوا المطارح بأسرها ، وقتلوا الطيب الكثير وتنحوا من الأبواب الى قاع المريمة وما والاها ، وغنموا من اسلحتهم وامتعتهم واحتزوامن رؤوسهم ، وطمع جند الإمام في الخارجين وعلموا السلامة والنجاة قتلوا وغنموا وأسروا ولم يهراق فيهم دم ، وقد كان في خلال ذلك كتب الوزير بالبشائر الى البلدان ، واستدعى من تثاقل من قبائل همدان ولّما علموا بهزيمة الفقيه اقبلوا الى حضرة الإمام كالنسور المفترسة والليوث العابسة يريدون الغنيمة ويكشفون هذه المفسدة العظيمة ، ولّما علم من في مطرح سعيد بوصول القبائل ، وظنوا انه ليس لكثرتهم طائل ، وكان منهم النقيب حسين بن سعيد أبو حليقة ، فكتب الى الإمام سراً ، ودخل هجيع من الليل وأبرم الرأي على القدوم على اصحاب الفقيه في اليوم الثاني ، وألزم نفسه واصحابه القبض على المقادمة والفتك بمن حولهم من الخواص حين يسمعون الوقعة ، فلما علم الإمام صدقه وتيقن عدم مكره وخدعه عبأ الإمام جنوده وحشد حشوده ، وأفاض الى رؤساء القوم بما وقع عليه الإبرام بينه وبين أبو حليقة ، فخرجت الجنود من باب اليمن مما يلي المريمة وقاع الحقل ، فلما نظر اصحاب الفقيه سعيد الى اصحاب الإمام قد خرجوا تحزبوا للقتال ، ولم يشعروا إلا بالهيعة من وسط المطرح ، وقد مكر حسين أبو حليقة ومن تابعه ، وقبضوا على الرؤساء مثل سعيد بن احمد علي سعد المقدمي الأكبر ، وعبادي صاحب الحجرية وقائد الحارثي وغيره ، فوقعت الهزيمة في اصحاب سعيد » .

وقوله : وكان هذا في شهر شوال من السنة المذكورة (١٢٥٦ هـ) وعند

وصولهم الى الفقيه سعيد اصحابه منهزمين وعليه معولين وقادمين ، قال لهم تسلية لهم : « انتم الكرارون لا الفرارون » ثم صوب رأي فكره ودبر ما يعتمده من أمره »

وذكر انه اعاد التجهيز لعشرين الف مقاتل لحرب الإمام الهادي .

وان الإمام الهادي كان قد عقد الوزارة للقاضي يحيى بن علي الأرياني لأنه بجمع المال أخبر ، وأنه التقى الجمعان في قاع الحقل من بلاد يريم ، وانهزم جمع الفقيه سعيد مرة اخرى وذلك في الثامن عشر من شهر شوال من العام المذكور .

وأضاف : انه وقعت مقتلة عظيمة بين الجانبين في الدنوة نفسها وذلك في السابع والعشرين من شهر شوال من نفس العام ، انجلت عن هزيمة جموع الفقيه سعيد أيضاً ثم وقوعه في الأسر وجيء به الى الإمام الهادي الذي كان قد وصل الى مدينة اب ، وإن الإمام جمع العلماء وحكموا باعدامه واعدم بضرب عنقه في مدينة اب .

ثم قضى الإمام الهادي خلال ذلك على ثورة مارش المحمدي التي قام بها في باب ميثم ، ثم عاد الإمام الهادي الى صنعاء بعد ان ابقى في اب الوزير والأمير فتح محمد ليعملوا على توطين قبيلة (ذو محمد) في اليمن وهم الذين طردهم منه الفقيه سعيد بعد ان يستدعوا قبائلهم ويفتحوا لهم ، وان الإمام قد وصل الى ضوران آنس وهو في طريقه الى صنعاء وكافأ الشيخ حسين بن سعيد أبو حليقة بضرب عنقه فيها جزاء امتنانه على الإمام وطلبه المستحيل منه لقاء مساندته له وغدره برؤساء جيش الفقيه سعيد » وقد أطلت التأريخ لحادث ثورة الإمام الفقيه سعيد بن صالح العنسي لأهميته ، وعظم الأحداث التي جرّت اليه ثورته في تأريخها ، وربما كان لها اثرها على ما تلاها من أحداث .

ثم ذكر في (حوليات يمانية) إيقاع الإمام بسعد يسر احد كبار رجال دولته ونائبه على الحديدة قبل خروجها على الدولة القاسمية واستيلاء المصريين عليها ثم تسليمها للشريف حسين بن علي حيدر شريف المخلاف السليماني كما

عرفنا .

وإيقاعه ايضاً بعامل تعز والحجرية النقيب ماس ومصادرته ، بعد وصول الإمام الى تعز ، وقيام وزيره القاضي يحيى بن علي الأرياني بمصادرة بيت نجم في يريم (لعلهم بيت نجيم) ثم عاد الإمام من اليمن الأسفل وقد ضعفت شوكة الدولة واستشرى الفساد في مختلف مناطق نفوذه ، بسبب تسليط الإمام اعوانه على الناس بما فيهم العبد فيروز الذي استطاع ان يتقرب الى الإمام ويفعل المنكرات بالناس ، وقال في المصدر : « ولا زال[14] الوزير والعبد يعذبوا عباد الله بأنواع العذاب من التخليص في أخذ اموالهم ، فمنهم من ربط ، ومنهم من ضرب ومنهم من هرب ومنهم من افتجع وغير ذلك وما لهم عليهم من ذنب إلا انهم اغنياء وزد وقع فرقة على جميع من في البلد حتى انها وصلت الفرقة عند الغزالات والطحانات واللواتي يبعن البيض والمشاقر ، وأمّا من يبعن الكبا (الضمح) من ضفع البقر للإيقاد بعد تجفيفه فبالأولى ، وبقيوا يتخلصوا الناس الى شهر رمضان ، ومن يقدر يخالف أو يمتنع من التسليم ينهبوه وبيته » .

وذكر ايقاع الإمام الهادي بالوزير الأرياني المذكور ومصادرته وإبداله بالسيد حسين بن محمد الشامي بعد ان سلط عليه العبد فيروزآنف الذكر وأضاف المصدر قوله : (وما ظالم إلا سيبلى بظالم) .

الإمام المنصور علي بن المهدي عبد الله للمرة الثانية

ولما[15] توفي الإمام الهادي محمد بن المتوكل احمد بن المهدي عبد الله في الثامن عشر من شهر ذي الحجة من عا م (١٢٥٩ هـ) اخرج الإمام المخلوع المنصور علي بن المهدي عبد الله من سجنه وبويع للمرة الثانية إماماً ، قال المؤرخ الكبسي : « فرجع الى ما كان عليه من اخراج الذخائر واتلاف بيوت

---

(١٤) حوليات يمانية ص (١٠٢) .

(١٥) الكبسي في (اللطائف السنية) آنف الذكر مخطوط .

الأموال فيها لا ينفع ، فضعفت دولته » .

وقد تلقب هذه المرة بالمهدي وتحدث عنه في (حوليات[16] يمانية) بقوله : « وضربت البشائر وبلغ القصر ، وكتب الى الأقطار ، واجابته الأمصار ، وسكن أهل البغي والعناد ، وعفا عن الخاطئين ، وتجاوز عن المسيئين ، وهي عادته السلامة على جميع الناس ، ونصب الحكام وأطلق قياد من مستهم الضراء ، أو المحبوسين الذين تعدوا عليه في خلافته السابقة ، وذلك من سلامة صدره وواسع بره » .

واستوزر القاضي يحيى بن علي الأرياني وزير سلفه الإمام الهادي ، كما اوقع بالعبد فيروز وقتله وصلبه ، وهو الذي عظم شأنه في عهد سلفه ، واستغلّ نفوذه وعبث بالناس ، وتجوّل الإمام في بلاد يريم وبلاد قعطبة وأصلح امورها ، ثم عاد الى صنعاء ، وممن صادرهم وأذبهم في جولته بيت الفرح أهل الأجلوب من بلاد يريم وغيرهم .

الإمام المتوكل محمد بن يحيى

وفي[17] شهر ذي القعدة من عام (١٢٦٠ هـ) وهو العام الذي تلا عام إعادة الإمام المنصور علي الثاني الى الحكم تحرك الشريف حسين بن علي بن حيدر شريف أبي عريش الى المنطقة الوسطى فاستولى على بلاد ريمة ، ومنها جهز قواته الى المناطق المجاورة لها والى اليمن الأسفل بقيادة الأمير محمد بن يحيى بن المنصور علي الأول بن المهدي العباس ، وكان لقواته الغلبة على قوات الإمام المنصور علي الثاني التي جهزها بقيادة الشيخ علي مثنى الجرادي صاحب عنس وغيره ، كما تحرك الشريف حسين على رأس بقية قواته الى اليمن الأسفل لتعزيز قواته وذلك في بداية عام (١٢٦١ هـ) واستولى على مدينة تعز ، وعلى بلاد ذي سفال بعد وصوله اليها .

---

(١٦) ص ١١٥ .

(١٧) حوليات يمانية من ص ١١٩ .

كما استولى على جبل صبر وعلى قاهرة تعز واضطربت الأمور في اليمن الأسفل على الإمام المنصور علي الثاني ، وتجاوز الى القسم الأعلى .

وجدد الإمام المنصور علي الثاني الوزارة للقاضي يحيى بن علي الردمي بعد عزل القاضي يحيى بن علي الأرياني تلافياً للأمور دون جدوى .

في حين شدد الشريف حسين بن علي حيدر وطأته على المنطقة الوسطى واليمن الأسفل وتهامة تنفيذاً لأوامر الحكومة التركية ، وتمهيداً لتسليم جميع ما استولى عليه الى الأمير محمد بن يحيى بن المنصور علي الأول المذكور وبحسب أوامر الحكومة التركية ايضاً فيما يبدو .

وكان هذا قبل دعوته قد سيطر على بلاد ريمة ووصابين وعتمة وذمار وآنس وبلاد يريم بمساندة الشريف حسين بن علي حيدر كما علمنا وبمساندة أهل هذه المناطق كما سنعلم .

ومع ذلك فقد تحرك الإمام المنصور علي الثاني من صنعاء على رأس قواته لحرب محمد بن يحيى المذكور الذي قد دعا في مدينة ضوران آنس في بداية عام ١٢٦١ هـ ، وعسكر المهدي (المنصور علي الثاني) في رأس نقيل يسلح ، بينما عسكر الإمام المتوكل في قرية ضاف اعلى بلاد جهران ، وقامت حرب بين الإمامين لم تحقق للمهدي النصر الذي كان يرجوه ، بل أنّ الكثير من عسكره خرجوا عليه وانضموا الى معسكر الإمام المتوكل ، وبذلك ايقن الإمام المهدي انحلال امر بقية عسكره وا نهيار معنوياتهم ، وقبل الصلح الذي عرضه عليه منافسه المتوكل ، تنازل للمتوكل بموجبه ، ووصل الى مخيم الإمام المتوكل في بلاد جهران وبايعه لتأكيد ولائه ، وعادا معاً الى صنعاء ، وذلك في السابع من شهر جمادي الأولى من العام المذكور (١٢٦١ هـ) .

وأطلق الشريف حسين بن علي حيدر للمتوكل ما كان قد استولى عليه من المصريين في بلاد تعز وغيرها مما كان المصريون قد استولوا عليه باسم الحكومة التركية ، وتبادل الجانبان الهدايا ، وكان اشراف المخلاف السليماني هم ركائز الأتراك في اليمن ، كما كان اسلافهم هم ركائز الأيوبيين ، وكان

المخلاف السليماني هو الباب المفتوح إلى اليمن للغزاة .

هذا[١٨] وكان الإمام المتوكل المذكور قبل بروزه قد وصل الى مصر وطلب من محمد علي باشا توليته اليمن ، فرفض ذلك لما حدث بينه وبين سلطان تركيا ، فعاد الى شريف ابي عريش حسين بن علي بن حيدر المذكور والذي كان يرتبط رأساً بتركيا ، وتقدم اليه بنفس الطلب ، فوعده بذلك ، وصادف وصول مشايخ ريمة الى الشريف حسين يطلبون منه وصوله لحكم بلادهم خروجاً من حكم الإمام المنصور علي ، فجهز محمد بن يحيى بقوة استطاع أن يبسط نفوذه فيها وفي غيرها في المنطقة الوسطى كما سلف ، وذلك بمساندة أهلها ، وبموافقة الحكومة التركية كما يبدو للمزيد من سلخها عن نفوذ والي مصر محمد علي الذي كان يطمع كما أشرنا أن ينشيء له دولة في مصر والسودان واليمن والحجاز منفصلة عن تركيا .

وصول الأتراك الى صنعاء للمرة الأولى في حكمهم الثاني لليمن وخروجهم منها

بدأ هذا الحدث بأحداث الحرب التي شنها الإمام المتوكل محمد بن يحيى ابن المنصور علي الأول بن المهدي العباس على الشريف حسين بن علي ابن حيدر شريف المخلاف السليماني في سبيل انتزاع تهامة من يده ، وإخراجه من الحديدة ومن سائر موانيء مدن تهامة ، وكان الشريف حسين قد ضعف جانبه منذ[١٩] تغلب عليه شيخ باجل علي حميدة في الحرب التي قامت بينهما في عام (١٢٦٢ هـ) .

وكان[٢٠] الإمام المتوكل قد قاد جيشه لحرب الشريف حسين بنفسه في نهاية عام (١٢٦٢ هـ) المذكور ، بعد ان حشد جموعه من مختلف القبائل

---

(١٨) اللطائف السنية (مخطوط) .

(١٩) حوليات يمانية من ص ١٣٦ .

(٢٠) الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط وحوليات يمانية من ص ١٤٩ .

اليمنية ، ووصل بها تهامة في بداية عام (١٢٦٣ هـ) حيث انضمت اليه قبيلة الجرابح وقبيلة القحري وعلى رأسهم شيخهم علي حميدة الذي سبق له ان حارب الشريف حسين بن علي بن حيدر وهزمه ووصل الشريف حسين الى القطيع ومعه جموعه والمدفع الذي أهداه له سلطان عمان (سعيد بن سلطان بن أحمد آل بو سعيدي) صاحب مسكات (مسقط) ، وقد داخل الرعب جيش الإمام لما يعرفونه من جرأة وشجاعة الشريف حسين وتفوقه بالمدفع المذكور ، ولكن الإمام المتوكل المذكور قوى من عزائم جنده وعبأهم كما عبأ الشريف حسين اصحابه وقامت معركة اسفرت عن اصابة الشريف حسين بثلاث رصاصات وانهزام جيشه ووقوع المدفع في ايدي جيش الإمام بعد مقتل طبشيته ولجوء الشريف بالقطيع ، تحت حماية خاصته ، فحاصره الإمام فيها حتى سلم نفسه اليه ، وضرب له الإمام خيمة بجانب خيمته ، وتم عقد صلح بينه وبين الإمام على ان يتسلم الإمام المتوكل جميع تهامة باستثناء ميناء الحديدة فيكو ن للشريف حسين ، وأنفذ الإمام عماله الى مختلف مدن تهامة ، ثم سار بنفسه وبصحبته الشريف حسين لتسلم زبيد فالمخا ، وحينما غادر زبيد الى المخا وضع الشريف حسين عند خولان في زبيد لحفظه والمحافظة عليه وكرهينة لديهم بما يطلبون من الإمام من الأموال مقابل مناصرتهم له في حربه مع الشريف حسين ، وقد تمكنت قبيلة يام المناصرة للشريف حسين من شرائه من قبيلة ذي حسين وكان عامل الحديدة للشريف حسين وهو ابن عمه الشريف الحسن بن محمد قد أعطى تلك الأموال لاستنقاذ الشريف حسين ، ثم استعادت يام مدينة زبيد للشريف حسين ، وقد تحرك الإمام من المخا حتى وصل حيس في طريقه الى زبيد لاستعادتها من ايدي يام والأشراف اصحاب المخلاف السليماني .

ولكنه أدرك في حيس أنّ جنده قد تناقص ولم يبق بجانبه إلا ذو محمد برئاسة النقيب أحمد بن صالح ثوابة الذي بدت المراسلات بينه وبين الشريف حسين ابن علي بن حيدر على ان يسلم اليه الإمام المتوكل مقابل اموال وافرة يسلمها اليه ، وكاد النقيب ثوابة ينفذ مؤامرته مع الشريف حسين لولا أنّ الإمام ادرك الأمر فأقطع النقيب ثوابة بلاد يريم مقابل وقوفه الى جانبه ، وقبل ثوابة عرض

الإمام واستطاع الإمام ان ينسحب من حيس وعاد الى يريم ، وفيها قبض على النقيب احمد صالح ثوابة المذكور بعد ان حشد القبائل اليه من الرياشية وصباح في بلاد رداع ومن الأعماس وعمار في بلاد النادرة وخبان ومن بلاد عنس وغيرهم ثم عاد الى صنعاء .

كما تقدم الشريف حسين بن محمد نائب الشريف حسين بن علي حيدر بن علي من الحديدة نحو المخا بغية استعادتها للشريف الحسين ، ولكن عاملها للإمام المتوكل الأمير فتح محمد صرفه عنها بالأموال وعاد الى زبيد .

وفي اثناء ذلك دعا السيد احمد بن هاشم الويسي الكوكباني الإمامة لنفسه في صعدة وتلقب بالمنصور .

كما دعا الإمامة لنفسه في بلاد ذمار السيد حسين بن المتوكل احمد بن المنصور علي الأول وكان عامل الإمام المتوكل محمد بن يحيى على بلاد يريم وساندته قبيلة ذو محمد اتباع احمد بن صالح ثوابة الذي قبض الإمام المتوكل عليه واعتقله ، ولم يهتم الإمام المتوكل بدعوة الويسي لبعد بلاد صعدة عن مناطق نفوذه ، ولكنه خرج من صنعاء على رأس جيشه لحرب حسين بن المتوكل في بلاد ذمار واضطره الى الفرار ، ثم امر باخراج احمد بن صالح ثوابة من الحبس وأمر بقتله ردعاً لقبيلته التي ناصرت وساندت السيد حسين بن المتوكل ، ثم اقطعهم قرية بضعة في بلاد البخاري ارضاء لنفوسهم وتطييباً لخاطرهم بعد قتل شيخهم المذكور وبعد توسطهم في تنازل حسين بن المتوكل الذي عفا عنه الإمام المتوكل واسكنه دار الحجر في وادي ظهر وأجرى له النفقات اللازمة، ولم يلبث الإمام ان قبض عليه في نفس العام وأودعه السجن في صنعاء ، وقد انتهت هذه الأحداث في عام ١٢٦٥ هـ .

وفي العام المذكور وصل الى الحديدة توفيق باشا (نائب الدولة العثمانية في الحجاز) على رأس جيش كبير مجهز من السلطان في تركيا ، وبمعيته شريف مكة (محمد بن عون) ، وخيّم الأتراك خارجها ، ولم يدخلوها ولم يسيئوا الى احد من اهلها تمهيداً لإعادة نفوذ الدولة العثمانية في اليمن .

ومن الحديدة راسل توفيق باشا الإمام ، أو أنّ الإمام المتوكل محمد بن يحيى راسله (على اختلاف في آراء المؤرخين) ، وتمت المراسلات على اعلان الإمام رغبته في الالتقاء به وتحددت مدينة باجل مكاناً لالتقائهما ، وبعد مشاورة الإمام لوزرائه تحرك من صنعاء بجمع كبير نحو باجل مشعراً رجاله أنّ توفيق باشا انما قدم الى اليمن لمساندته ضد القبائل اليمنية الخارجة عليه والتي يتكرر خروجها عن طاعته ، وهذا يؤيد الرأي القائل بأن الإمام هو الذي طلب وصول الباشا الى صنعاء ، كما تحرك الباشا بدوره من الحديدة الى باجل على رأس قوة كبيرة من قواته ، قدرت بألفين من المشاة وخمسمائة فارس ومدفعيين واثقال ومؤن وعتاد تحملها سبعمائة جمل .

وبعد اجتماع الإمام والباشا توفيق في باجل تحرك الجميع منها نحو صنعاء ، وقد تقدم الإمام المتوكل اليها بأيام لوضع الترتيبات لاستقباله وقواته فيها ، في حين لحق به الباشا مع ولده سيف الخلافة (غالب بن محمد بن يحيى) والإمام المخلوع المنصور الثاني علي بن المهدي عبد الله ، كما في بعض المصادر التأريخية ، وكان المتوكل على هذا القول قد أخرجه من السجن وأرفقه معه الى باجل للمزيد من تأييد موقفه في استدعاء الأتراك الى صنعاء ، وهنا اختلفت آراء المؤرخين عن الأسباب التي حملت سلطان تركيا على ارسال نائب الحجاز توفيق باشا الى اليمن وإعادة بسط نفوذ تركيا فيه .

فالمؤرخ الكبسي ذهب في[٢١] تأريخه الى أنّ ذلك كان عن شكوى حاكم المخلاف السليماني الشريف حسين بن علي حيدر وهو نائب الحكومة التركية على تهامة منذ خروج قوات والي مصر محمد علي باشا الى اليمن والاستيلاء عليها وتسليمها اليه وذلك بسبب تقلص نفوذه في الكثير من المناطق التهامية واستيلاء الإمام المتوكل عليها ، بينما ذهب المؤرخ صاحب (حوليات يمانيّة) أنّ تجهيز السلطان العثماني لتوفيق باشا الى اليمن انما كان بسبب شكوى أهل تهامة من جور الشريف حسين[٢٢] بن علي بن حيدر في تهامة خلال نفوذه

(٢١) اللطائف السنية (مخطوط) .

(٢٢) ص ١٦٨ .

عليها ، والأول أقرب لاعتبارات كثيرة ومنها : أنّ الأتراك انما ارسلوا توفيق باشا الى اليمن لتقلص نفوذ الشريف حسين بن علي بن حيدر في تهامة بعد حرب الإمام المتوكل له ونقضه العهد الذي بينهما منذ ساندَه الشريف حسين له ضد الإمام المنصور الثاني المذكور وأوصله الى الحكم كما عرفنا .

ولأن الأتراك شعروا بأن الفرصة مواتية لهم لبسط نفوذهم على اليمن بعد بسط نفوذهم على الحجاز للسيطرة على موانىء البحر الأحمر وإعادة حكمهم للجزيرة العربية ، سيما والحاكم في اليمن هو الإمام المتوكل المذكور ، صنيعة نائبهم الشريف حسين بن علي المذكور ، وأصحبوا توفيق باشا بشريف مكة محمد بن عون المذكور لتأكيد عزمهم على بسط نفوذهم على جميع اجزاء الجزيرة العربية .

أمّا الإتفاق الذي عقده الإمام المتوكل مع توفيق باشا في باجل والذي كان على اساسه تحرك الباشا الى صنعاء فهو[٢٣] كالآتي :

أولاً ـ انّ البلاد الواقعة تحت نفوذ الإمام يمكنها أن تستمرّ كذلك على ان يكون ممثلاً للباب العالي العثماني .

ثانياً ـ ان يقسم مدخول البلاد الى جزئين ، واحد يذهب الى خزينة الباب العالي ، والثاني يبقى في حوزة الإمام ليصرف في مصالح البلاد .

ثالثاً ـ ان تبقى في صنعاء قوة تركية من ألف جندي .

رابعاً ـ أن يحصل الإمام على سبعة وثلاثين ألف ريال راتباً شهرياً لمصروفاته ، وتخصم قبل تقسيم المحصول الى جزئين .

أمّا عن دخول توفيق باشا الى صنعاء وما سبقه من تمهيد لذلك فقد تحدث عن ذلك في (حوليات يمانية)[٢٤] فقال : « ووصل صنعاء يوم عشرين

---

(٢٣) حمزة لقمان في (معارك حاسمة) ص ١٤٥ .

(٢٤) ص ١٧١ .

في شهر شعبان من السنة المذكورة (١٢٦٥ هـ) فرمان عن تشاور بين الشريف (يعني الشريف محمد بن عون) والباشا توفيق والمتوكل محمد بن يحيى توطئة منهم وتمهيداً وتغريراً وتلبيساً، وأمروا الشيخ أبا زيد يأمر الخطيب بقراءته يوم الجمعة على الناس ، تضمن أنّ السلطان أمر الشريف محمد بن عون والباشا بنصر المتوكل ، وان محكم البلاد الى الإمام والولاية للسلطان ، بواسطة الشريف محمد بن عون ، ففطن بذلك أولوا الألباب ، وبعد ذلك وصلت كتب من المتوكل الى الوزير والأمراء يأمرهم بتفريغ القصر ، قصر صنعاء المحمية للأتراك ، وأوهمهم أنه يريد حفظهم عن مخالطة الناس ، فترددوا في ذلك ، وأرسل لعقال الجُنْد ومن يرجع القول اليهم بنزر من الدراهم المقبوضة من العجم ، وأمر بحفظ نقيل عصر من القبائل خوفاً من هجومهم على العجم ، وحفظ ذلك همدان وجماعة من حاشد . وفي يوم تاسع وعشرين من شعبان وصل سيدي الإمام صنعاء وبسط للناس شباك الحيل ، وأوهم كل احد بإيهام على قدر عقله ، ويقرب في ذهنه ، وكل ذلك ترغيب للناس وتحسين لفعله القبيح بوصول الأتراك ، وكثرت أموالهم وأنهم من أعوانه على البغاة بالأموال والأنفس ، والناس في وجل عظيم ،ولكنهم يظنون صدق المتوكل بوفائه لهم فيما مضى في مدة خلافته ، وفيما يزعم لهم ، فأول مصيبة اخراج من سكن جوار القصر من بيوتهم والتزم التعويض لهم في بيوت صنعاء ، وتسليم الأثمان لهم وهو مضمر المطل ، وخرجوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ، وفي شهر رمضان والناس في هرج ومرج متوقعون ما ينزل بهم ، ولكنهم ظانين أنّ الإمام لا يخدعهم ويخون أمانته » . وأضاف قائلاً :

« وفي خامس شهر رمضان تواترت الأخبار بوصول الأتراك في اليوم الثاني ، وأمر المتوكل الناس بلقائهم الى عصر .

وفي يوم الخميس اشرقت راية الأتراك على صنعاء من نقيل عصر ، وكثّر المتوكل سوادهم بقبيلة همدان والبستان وأهل الحيمة ، ولقيهم من صنعاء بالأجناد الى وسط القاع الغربي ، وعجب الناس من كثرة الأثقال وكثرة الجمال والخيل ، واستبشعوا خلقهم ولبسهم حيث لم يعرفوهم ، وبعد اختلاط العرب

والعجم نظر المتوكل في الأصلح لكمال الخديعة ، فأمر العرب جميعاً بدخولهم من باب قاع اليهود ، وأمر بتغليق بئر العزب وصنعاء ، ولمّا دخلت المدينة بأجمعهم يظنون أنّ الإمام ورائهم ،وغلقت الأبواب،وأمر العجم بدخولهم من عدني صنعاء باب اليمن في الماضي باب الحرية حالياً ، حتى يدخلوا القصر ، وتقدمهم الإمام بمن معه يقودهم الى القصر وهم يتبعون بعده ، ويهولون على الناس بكثرة الأسلحة ورمي البنادق واظهار الزينة والقوة ، وتوفيق باشا متوسط بين الحمولة والرجال وقد نصبت له مظلة مذهبة وغزلوا بها على رأسه كما يصنع أهل اليمن للخلفاء ، وقد لبس من الثياب الفاخرة ما لا يسع بسطه ، ونصب العمامة على رأسه والخدم محيطون به ، والخيل الكثيرة تقاد بين يديه ، وقادهم المتوكل ، وأمر الوزير بتأهيب الأطعمة والعلف وجميع ما يحتاجون ، وقبل وصولهم أمر المتوكل بجر المدافع التي بصنعاء تقاد الى القصر الكبير والصغار ، وقبض ذلك الأتراك حتى لا يبقى لأهل صنعاء عليهم سلطان والله غالب على أمره . وضربت الخيام من باب البكيرية الى قرب باب اليمن لأجل التطويل والتهويل وفيهن قليل ترك والكثير تفرقوا في القصر ، وقد داخلهم العجب والفرح ، لأنهم ظانين ان ما يملكون القصر (هكذا) ، والناس لا يعلمون أنّ الإمام سلم لهم المملكة وباع الدور ، وأضمر للرغية الخدع ، وباع دينه بدنياه وظن السلامة وأمن مكر الله » .

ثم ذكر نزول توفيق باشا في صباح اليوم التالي ليوم دخوله صنعاء الى بستان السلطان لمباشرة أمور الدولة فيه ، وأن المتوكل اعلم الناس بأن أمورهم صارت الى الباشا ، وخطب للسلطان على منبر جامع صنعاء ، وذكر ثورة أهل صنعاء على الأتراك في شوارع صنعاء ، ونحرهم نحر الجزور وأنهم ضربوهم بالفؤوس والخشب وطعنوهم بالجنابي ورموهم بالبنادق ، وغنموا اموالهم وقطعوا خيامهم التي نصبت في البكيرية ولم يفلت إلا من فر الى القصر ، وامتلأت الشوارع من قتلاهم وانزل الله عليهم الذلة والمسكنة ، وانه لم تمض ساعة من نهار حتى اتوا على آخر من في صنعاء من العجم (الأتراك) (اي من كان خارج القصر) ، وانه اغلقت ابواب صنعاء وتحصن الإمام المتوكل في

بستان المتوكل ، وكانت ثورة الناس على الأتراك يوم الجمعة السابع من شهر رمضان من نفس العام (١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) .

وفي اليوم التالي السبت الثامن من شهر رمضان من العام المذكور قام الأمير يسر (أمير الجند) وأجمع رأي أهل الحل والعقد على مبايعة علي بن المهدي عبد الله للمرة الثالثة وتلقب بالمهدي وهو لقبه في بيعته الثانية وأودع الإمام المتوكل محمد بن يحيى حبس دار الجنات في صنعاء وقيدوه بالحديد ، وأغلقت أبواب صنعاء دون القبائل خشية قيامهم بنهبها كعادتهم في مثل تلك الأحوال .

كما استجمع الأتراك الذين في قصر صنعاء قواهم واستعادوا أنفاسهم خلال هدوء العاصفة بعد حبس المتوكل محمد بن يحيى وتنصيب الإمام المهدي (المنصور علي الثاني سابقاً) وأصلحوا متاريسهم وهيّئوا مدافعهم وبدأوا يضربون بها تارة الى الهواء وتارة الى خارج صنعاء ، بغية تفريق القبائل الذين يتجمعون حولها ، كما قام أهل صنعاء من ناحيتهم أيضاً بدفع القبائل ورميهم حتى صرفوهم عنها .

وقد انتهى امر الأتراك الى خروجهم من القصر وانسحابهم الى تهامة بموجب إتفاق عقده معهم الوزير محمد بن احمد الغفاري ، بعد ان شدد أهل صنعاء الضغط عليهم برميهم من أعلى الدور والصوامع إلى القصر ، وأخذ من وجد منهم في شوارع صنعا أسرى ، وبعد أن أمّن أهل صنعاء لهم المرافقين للحيلولة دون الغدر بهم اثناء سفرهم من صنعاء إلى تهامة .

قال مؤلف (حوليات يمانية)[٢٥] : « ولقد شاهدت باشتهم عند دخوله بما ذكرت لك مما عليه من الملبوس والخدم بين يديه والمظلة تغزل على رأسه والعمامة ولباسه الفاخرة ونظرته عند خروجه هو وحفدته ، وعليهم الذلة والقلة وقد وضع على رأسه قلنسوة خلقة ما تساوي درهم ، ولبس اداة رثة الثياب ،

---

(٢٥) ص ١٨٢

وخرج خائفاً يترقب ، وصار يرمق أهل صنعاء شزراً ، وهم فوق السور سور على السور » .

وأضاف قائلاً : « وتوجه الترك نحو تهامة وصحبهم مشايخ الحيمة والوزير احمد محسن الآنسي الى صيحان في بلاد حراز ، واكتفل بتأمينهم المكرمي وأهل حراز وصحبوهم الى تهامة وذلك مأمنهم ومظلة سلامتهم من العرب » .

وأضاف أيضاً : « ولم يزل النهب والاختلاس والتلصص من العرب لأموالهم وأمتعتهم وخيلهم حتى دخلوا تهامة ، ودخل الشريف محمد بن عون مكة المشرفة ، وبقي توفيق في الحديدة يعالج جراحه » .

كما ذكر الحادث في (صفحات مجهولة من تأريخ اليمن)[٢٦] ومما ذكره قوله : « وانحاز محمد بن يحيى (يعني الإمام المتوكل) في بستان السلطان ، ورتب على نفسه الى اثناء ليلة السبت ، وكتب الى السيد علي بن المهدي (المنصور علي الثاني) يحثه ويحرضه على القيام بالأمر وتسكين الدهماء ، فاستعدّ بعد اللتيا والتي ، وتكنى بالمهدي وصاح الصائح بالأمان ، ولكن العامة والأجناد لم يستقر حالهم يريدون محمد بن يحيى ، فقصدوه مراراً لضبطه أو قتله ، فدفعتهم الرتبة فاضطرّ المهدي الى حبسه في بيت السيد اسماعيل الأمير احد الوزراء السابقين ، ورتب عليه نحو خمسين نفراً من التوابع » .

وأضاف قائلاً : « وأيس الناس عن ذلك (أي عن خروج الأتراك من صنعاء) الى صبح العيد الأثنين (عيد الفطر) ، وبقيت الأبواب مغلقة ووقع الشداد وقت الظهر ، وقبضوا الرهائن وخرجوا من باب ستران الوقت الذي دخلوا فيه ، وعزم الواسطة والأمير سعد يسر والتوابع والخيالة وعقال القبائل صحبتهم ، وهم أي الترك على وجل عظيم وخوف شديد ، وقلت في الحال :

الحمد لله زال البؤس والضجر والترك ولوا فولى الغم والسهر

الى آخر ثمانية أبيات أوردها في مؤلفه المذكور كشاهد عيان ، هذا ولم

(٢٦) ص ٢٤ .

يعـد الأتـراك الى صنعـاء في حكمهم الثـاني في اليمن إلا في عــام ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢م . أي بعد نحو أربعة وعشرين عاماً من وصول توفيق باشا إلى اليمن وإرغامه على الخروج من صنعاء .

أمّا الإمام[٢٧] محمد بن يحيى فإنه قُتل في السجن عقب حادث الضغط على الأتراك بالخروج من صنعـاء وذلك في عـام ١٢٦٦ هـ حيث أمر المهـدي المنصور علي الثاني بقتله بعد رجوعه الى صنعاء من حروبه مع الإمـام المنصور أحمد بن هاشم الويسي كما سيأتي .

من صور فوضى الإمامة

تنـازع الأشراف السلطة بعد خروج الأتراك من صنعاء واعتقـال الإمام المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي الأول بن المهدي العباس ، فأعيـد الى الحكم المنصور علي الثاني بن المهدي عبد الله ، وكان إعادة أهل صنعاء له اثناء ثورتهم على الأتراك في شهر رمضان من عام (١٢٦٥ هـ) ، وبناء على طلب الإمام المتوكل السجين لتسكـين الناس وتهدئتهم ، وكان احمـد بن هاشم بن محسن بن قاسم الويسي من أولاد الإمام الهادي قد دعا الإمامة في مدينة صعدة في عام (١٢٦٤ هـ) وتلقب بالمنصور .

وقد أنبرى بعد ذلك العديد من الأشراف يدعو كل لنفسه الإمامة بمجرد احساسه بمن التف حوله من القبائل بأنه قادر على تحمل أعبائها وانه أقوى من غيره ، مستغلين الصراع القائم بين (المهـدي) المنصور عـلي الثاني والمنصـور احمد بن هاشم الويسي .

فدعا عباس بن عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن القاسم بن احمد بن المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم في صنعاء بشهر رجب من العام المذكـور (١٢٦٦ هـ)وتلقب[٢٨] بالمؤيد ولكنه تنازل للمنصور الويسي في شهر الحجة من

---

(٢٧) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) (مخطوط) .
(٢٨) السيد محمد محمد زبارة في إتحاف المسترشدين ص ٩٤ .

نفس العام بعد استيلاء المنصور على صنعاء إثر تغلبه في حرب عمران على الإمام المهدي وزحفه نحو صنعاء والاستيلاء عليها في العام المذكور .

أمّا[29] المهدي فإنه غادر صنعاء بعد خلعه إثر استيلاء المنصور الويسي على صنعاء واستقر فترة في وادي ظهر ، ولّما ساندته قبائل همدان وسنحان اعاد الدعوة لنفسه وتلقب بالمتوكل ، كما ساندته رتبة القصر من داخل صنعاء وتقدم لمحاصرة صنعاء واستطاع ان يستولي عليها واعلن أهل صنعاء طاعته من جديد ، وخرج المنصور الويسي منها الى بلاد ارحب ، ومع ذلك فإنّ المتوكل علي بن المهدي لم يستقر في صنعاء ، وغادرها الى بلاد يريم حيث تلقاه فيها الشيخ عبد الله مثنى فاضل وسانده وأقام في يريم فترة عاد بعدها الى منتزه وادي ظهر دون ان يستعيد نفوذه أو يتمكن من دخول صنعاء .

وفي[30] اثناء إقامة المتوكل المذكور في يريم وبالتحديد في عام (١٢٦٧ هـ) دعا (غالب بن محمد بن يحيى) آنف الذكر وذلك في منتزه الروضة ، وتلقب بالهادي ، ولم يحاول الاستيلاء على صنعاء ، ولكنه انتقل الى حراز بغية الحصول على مساندة أهلها ، فلم يساندوه واضطروه الى مغادرة حراز ، حيث قصد بلاد حفاش وملحان لنفس الغاية ، وكان قد والاه بعض أهل صنعاء وتمركزوا في الجانب الشرقي من صنعاء .

ودعا بعده عباس بن المتوكل احمد بن المهدي عبد الله وتلقب بالمهدي ، واستطاع ان يدخل صنعاء بمساندة البعض الآخر من أهلها وهم الذين لم يوالوا الهادي غالب بن محمد .

وبذلك يكون أهل صنعاء قد افترقوا فرقتين ، فرقة أقامت على بيعتها للإمام الهادي غالب بن محمد بن يحيى ، وفرقة والت الإمام المهدي عباس بن المتوكل احمد المذكور ، واحتلّ الموالون للهادي الجانب الشرقي من صنعاء ، كما احتل الموالون للمهدي الجانب الغربي منها ، وقامت حرب بينهما اضطرت أهل

---

(٢٩) الكبسي في (اللطائف السنية) .

(٣٠) الاتحاف ص ٩٤ واللطائف السنية (مخطوط) .

صنعاء الى إغلاق أبواب بيوتهم ومتاجرهم ، وحتى المساجد والجامع الكبير وظلت مغلقة قرابة شهرين .

ولّما عاد الهادي غالب بن محمد من بلاد حفاش وتمكن من دخول صنعاء انحصر نفوذه في الجانب الشرقي منها ، بينما خرج منها المهدي عباس بن المتوكل .

ولم يلبث مع ذلك ان خرج من صنعاء ايضاً الهادي غالب حيث انتقل الى بلاد برط للإستعانة بأهلها لحسم الأمور لصالحه في صنعاء وعاد بجمع منهم الى وادي ظهر ولم يدخل صنعاء وعاد الى بلاد حفاش مرة أخرى .

ويبدو أنّ انصاره المتمركزين في الجانب الشرقي بايعوا نائبه احمد بن عبد الله أبو طالب الملقب بشوع الليل وخلعوا الهادي غالب ، الأمر الذي حال دون استيلائه على صنعاء إثر قدومه من برط وانصرف الى حفاش ، ومع ذلك فلم تستتب الأمور لنائبه احمد بن عبد الله أبو طالب المذكور . الأمر الذي حمل جماعة من أهل صنعاء على خروجهم الى السر من بني حشيش وطلبوا من السيد محمد بن عبد الله الوزير من أولاد الإمام يحيى بن الحسين القيام بالدعوة ، ففعل[٣١] ذلك في سلخ شعبان من عام ١٢٦٩ هـ ، وتلقب بالمنصور واستوزر السيد محمد بن علي الشامي ،ودخل المنصور[٣٢] المذكور صنعاء وأقام في الحكم عاماً لم يتمكن من اقرار الأمور ومنع الاضطرابات ، وأحاطت القبائل من أرحب وهمدان وبني الحارث ، وسنحان بصنعاء ، وأضطرته الى الخروج منها وعودته الى السر معتزلاً للحكم ، أو أنّ أهل صنعاء خلعوه وخلعوا الإمام الآخر المهدي (المنصور علي الثاني سابقاً) وأقاموا السيد محسن بن احمد الشهاري من أولاد المطهر بن يحيى المظلل بالغمام ، وتلقب بالمتوكل ، وقد كان السيد محمد ابن يحيى حميد الدين (الإمام المنصور والد الإمام يحيى) من أعوانه وقادة جيشه ، وكانت[٣٣] دعوته في شهر شعبان من عام (١٢٧١ هـ) واتخذ المتوكل

(٣١) زبارة في (إتحاف المسترشدين) ص ٩٤ .
(٣٢) الكبسي في (اللطائف السنية) (مخطوط) .
(٣٣) (إتحاف المسترشدين) ص ٩٥ .

منتزه حدة مركزاً لإقامته .

ومع[٣٤] ذلك فلم يستمر أهل صنعاء على الولاء له وصاروا يوالُونه تارة ويعرضون عنه تارة أخرى .

ثم[٣٥] اجتمع الأئمة المخلوعون وهم : غالب بن محمد بن يحيى والعباس بن المتوكل واحمد بن عبد الله أبو طالب وأجمعوا رأيهم على تنصيب غالب بن محمد مرة أخرى ، وتعهدوا بمؤازرته ، وانتقل هو الى حضور في بلاد البستان احدى النواحي التابعة لصنعاء ، وعهد بإدارة شؤون صنعاء إلى وزيره الشيخ احمد بن احمد الحيمي ، وقامت حرب بين الوزير الحيمي المذكور والشامي وزير المتوكل محسن بن احمد الشهاري دامت شهرين ، وحوصر الشامي في منتزه سناع ، آل الأمر بعد ذلك الى التصالح .

ثم حدث اختلاف الإمام الهادي غالب بن محمد مع وزيره الحيمي ، مما حمل هذا على مراسلة الإمام المخلوع علي بن المهدي الى دار سلم من بلاد سنحان إحدى نواحي صنعاء وطلب وصوله الى صنعاء ، ولبى المهدي طلبه ، ولمّا عرف الإمام الهادي غالب بن محمد بن يحيى ذلك زحف بقبائله نحو صنعاء ، فأغلق الحيمي أبوابها ، وتعذر على الهادي دخولها أو الاستيلاء عليها ، ولكنه فرض حصاراً عليها وسار هو الى خولان لجمع المزيد من قبائلها ، ثم خرج المهدي من صنعاء ، واجتمعت القبائل على خلعه مرة أخرى ، وحسمت الخلاف بين الإمام الهادي غالب بن محمد ونائبه الحيمي ، ودخل الهادي صنعاء .

كما[٣٦] دعا في هذا التأريخ السيد حسين بن محمد الهادوي في بلاد كوكبان،وتلقب بالهادي أيضاً،ودخل صنعاء في عام ١٢٧٦هـ، ولكن أهل صنعاء ومن ساندهم من القبائل حاصروه في قصر الإمارة فيها حتى أخرجوه مع سيف خلافته السيد يحيى الأبيض من صنعاء ، ونصبوا الشيخ محسن بن علي معيض

(٣٤) اللطائف السنية آنف الذكر .

(٣٥) و(٣٦) نفس المصدر اللطائف السنية و(صفحات مجهولة من التأريخ) ص ٧٢ .

شيخاً على صنعاء ، بدلاً من الحيمي فيـما يبدو بعـد اعتقال الإمـام حسين بن محمد الهادوي للحيمي في صنعاء .

وأعلن معيض ولاءه للمتوكل محسن بن احمد الشهاري الذي كان ما يزال مقيماً في إحدى المنتزهات خارج صنعاء ، وبايعه ووصل اليه ، وانتقل معه الى حصن ذي مرمر في بني حشيش ، وأناب المتوكل عنه في صنعاء سيف خلافتـه السيد محمد بن قاسم الحوثي .

ثم لم يلبث الشيـخ محسن معيض ان خرج عن طـاعة الإمـام المتـوكـل الشهاري ،واستدعى إلى صنعاء الهادي غالب بن محمد ،في حين تقدم الإمام المتوكل بقواته من القبائل وحاصر صنعاء ، واضطر الهادي غالب بن محمد الى الخروج منها ، ثم تصالح مع محسن معيض وكان من بين بنود الصلح ان يكتفي المتوكل بالخطبة وشيخ صنعاء وقاضيهم منهم ، وصار الإمام المتوكل يتنقـل بين سنـاع وحزيز وهمـا لا يبعدان عن صنعـاء إلا ببضع كيلومتـرات دون أن يدخلهـا . واستمرّ الأمر كذلك حتـى وصلت الأتراك إلى صنعاء للمرة الثانية في حكمهم الثاني في اليمن ، وكان وصولهم صنعاء هذه المرة في عام (١٢٨٩ هـ) وانتقل الإمام المتوكل بعد ذلك الى بلاد حاشد ، وأقام فيها الى وفاته في مدينة حـوث عام (١٢٩٥ هـ) هذا وقد تناول كل من صاحب (حوليات يمـانية) وكتـاب (صفحات مجهولة من تأريخ اليمن) باسهاب هذه الأحداث والإضطرابات من جراء فوضى الإمامة وتلاعب من بأيديهم النفوذ من أهـل صنعاء وذلـك بين مقتل رجل الدولة القاسمية في آخر عهدها المتوكل محمد بن يحيى بن المنصـور علي الأول بن المهدي العباس وبين وصول الأتراك المشار اليه .

وكان آخر من دعا في[٣٧] فترة الإضطرابات هذه السيد حسين بن المتوكل احمد الملقب الذعرور والذي دعا في عام ١٢٨٢ هـ في الروضة وتلقب بالهادي ودخل صنعاء بمساندة الشيخ محسن معيض في عام (١٢٨٤ هـ) ولم تطل مدة نفوذه .

---

(٣٧) اللطائف السنية أيضاً و(صفحات مجهولة أيضاً من ص.٩٦) .

حركة امير عسير محمد بن عايض ودخول الأتراك صنعاء
(١٢٨٧ - ١٢٨٩ هـ - ١٨٧٠ - ١٨٧٢ م)

كان الأتراك بقيادة توفيق باشا قد انسحبوا من صنعاء الى الحديدة في عام (١٢٦٥ هـ) عقب دخولهم صنعاء عند ثورة اليمنيين فيها عليهم ، واعتقال الإمام المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي الأول بن المهدي عبد الله الذي ادخلهم الى صنعاء ، لوضع حد لتعنت القبائل بالرغم من أنه كان قوياً في نفوذه بل ويعتبر رجل بيت القاسم في آخر عهدها كما عرفنا كل ذلك .

وفي الحديدة وفي بعض مدن تهامة تجمع الأتراك يرقبون الأحداث في صنعاء وفي غيرها من المناطق الخارجة عن نفوذهم ، ويتحينون الفرصة للعودة الى صنعاء ، وبسط نفوذهم فيها وفي غيرها في حكمهم الثاني في اليمن ، وقد أتاح الفرصة لهم للعودة الى صنعاء قيام(٣٨) امير عسير الجبال (محمد بن عايض بن مرعي) بثورته ضدهم والزحف بقوات كبيرة في شهر رمضان من عام (١٢٨٧ هـ) الى المخلاف السليماني والاستيلاء على مدنه بما فيها القنفذة وصبيا وأبي عريش وغيرها ، ثم مواصلة زحفه الى تهامة وبسط نفوذه عليها حتى زبيد والمخا ، باستثناء الحديدة التي كان فيها قوة كبيرة من الأتراك تحت إمارة (علي باشا الحلبي) ، الذي استطاع ان يرد أمير عسير عنها ، واضطره الى التراجع عن تهامة الى عسير مرتكباً في تهامة ومدينة الزيدية بالذات فظائع من النهب والسلب والقتل تنفس فيها عن صدمته بانهزامه وعبّر بها عن خيبة أمله في حركته التي هدف منها في الظاهر الى طرد الأتراك من اليمن ، والاستيلاء على منطقة تهامة ومخلاف عسير وضمها الى نفوذه في بلاد عسير في حقيقة الأمر .

ومع انهزامه من تهامة وفشله في حركته العدوانية على المناطق الآمنة في مخلاف عسير وتهامة ، فقد قامت الحكومة التركية في عام (١٢٨٨ هـ) بارسال

---

(٣٨) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) آنف الذكر (مخطوط ، واسماعيل بن محمد الوشلي في (ذيل الثناء الحسن) ص ٢٢ . والدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ٧٧ .

حملة عسكرية قوامها ستة آلاف مقاتل ، بمعداتهم ومدافعهم لتأديب أمير عسير محمد بن عايض المذكور ، ولدعم نفوذهم في مخلاف عسير وتهامة وبسط نفوذها في صنعاء وغيرها من مناطق اليمن التي ما زالت خارجة عن نفوذها ، ووصلت القوات التركية بقيادة رديف باشا الى ميناء القنفذة في المخلاف السليماني ، ومنها أرسل رسائله إلى امير عسير يدعوه الى اعلان ولائه للدولة التركية وتبعيته لها ، وكإنذار رأى ضرورة أن يسبق حركته العسكرية ضده ، ولما لم يجد رديف باشا الإستجابة والخضوع من أمير عسير المذكور زحف بقواته من ميناء القنفذة نحو عسير في الشمال من المخلاف السليماني واحتل مدينة (حلي بن يعقوب) التي تعتبر آخر مدينة في المخلاف المذكور على حدود منطقة عسير التي يسيطر محمد بن عايض مباشرة عليها ، وربما كانت حلي بن يعقوب آنذاك تقع تحت النفوذ المباشر لأمير عسير المذكور .

وقد فصّل الدكتور (فاروق عثمان اباظة) في كتابه (الحكم العثماني في اليمن)[٣٩] آنف الذكر الدور الذي قامت به الحملة العثمانية بقيادة رديف باشا لإخماد ثورة (محمد بن عايض) المذكور مستنداً الى المؤرخ (محمد أحمد العقيلي) في كتابه (تأريخ المخلاف السليماني والجنوب العربي) فقال : « على أنّ رديف باشا بعد ان انتصر على رجال قبائل المع في (حلي بن يعقوب) اليمنية الموالية لأمير عسير واصل زحفه حتى وصل الى (وادي العوص) وتسلقت قواته (العقبة الصعبة) ونصبت خيامها في سطح (تهلل) ، وقد ارتبكت خطة دفاع محمد بن عايض ، فاضطر إلى الإنسحاب محاولاً القيام بحركة خاطفة لمفاجئة العثمانيين بالهجوم ، غير انه مني بالفشل واضطر إلى الإنسحاب تجاه (الحفير) ، بينما تقدم القائد العثماني واحتلّ (السقا) وضيّق الخناق على أمير عسير الذي التجأ الى قرية (ريدة) (في بلاد عسير) وتحصن بها ، ونظراً لما امتازت به قرية ريدة من حصانة طبيعية ،وما أعده ابن عايض فيها من وسائل الدفاع فإنّ الأتراك لم يظفروا من هجماتهم المتتالية عليها بطائل ، فأصدر القائد

---

(٣٩) ص ٧٨ .

العثماني رديف باشا أوامره الى قسم من الجيش الاحتياطي المرابط في ميناء (القنفدة) بأن يبحر الى (الشقيق) بقيادة (احمد مختار باشا) ثم يزحف بقواته العثمانية الى قرية (ريدة) من جهة الغرب ، وقد نجحت هذه الخطة لأنها جعلت القرية محصورة بين قسمي الجيش العثماني .

وهكذا شدد العثمانيون الهجوم على قرية ريدة ، من الشرق بقيادة (محمد رديف) ومن الغرب بقيادة احمد مختار باشا ، واستمرّ القتال خمسة أيام متوالية ، ضعفت بعدها مقاومة العسيريين ، ودبّ اليأس في قلوبهم ، كما أنّ الخيانة لعبت دورها في هزيمة أمير عسير حتى استسلم من اتباعه كل من كان في قصر (شهدان) كما استسلم (آل مفرح) . ولم يجْدِ ابن عايض لدى حرسه الخاص ورجاله المقربين الرغبة في المثابرة على المقاومة والدفاع ، وأخيراً استسلم العسيريون للأتراك الذين حاصروا قصر أميرهم محمد بن عايض ، مما أضطرّه أخيراً إلى طلب الأمان من الترك ، ثم سلم نفسه اليهم بعد أن تعهد قائدهم احمد مختار باشا بتأمينه » .

وأضاف المصدر(٤٠) المذكور قائلاً : « بل أنّ القائد العثماني رديف باشا عندما عاد من (السقا) ودخل قرية ريدة في اليوم نفسه الذي دخلها فيه زميله احمد مختار باشا شاهد محمد بن عايض جالساً بجوار مختار باشا ، فأصدر أوامره بالقبض عليه وايداعه السجن غير مراعٍ لما قطع له من العهود من قبل زميله ، ولماجاء بالفرمان من قبل السلطان العثماني نفسه (والذي حصل عليه لتأمينه محمد بن عون أمير مكة) ، بل أنّ رديف باشا في مساء تلك الليلة أمر بقتل محمد بن عايض مع خمسة وثلاثين شخصاً من رؤساء رجال العسيريين وكان ذلك في شهر ابريل سنة ١٨٧٢ م صفر سنة ١٢٨٩ هـ » .

وقد ساعد وصول القوات العسكرية بحراً إلى ميناء القنفدة آنذاك إفتتاح قناة السويس للملاحة بعد اكمال حفرها ، والتى واصلت بين البحر الأحمر فى

---

(٤٠) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ٧٨ .

الجنوب والبحر الأبيض المتوسط في الشمال ، وكان افتتاحها رسمياً في عام ١٢٨٩ هـ .

ولمّا انهى القائد التركي (رديف باشا) مهمته ضد حركة أمير عسير محمد بن عايض بن مرعي المذكور وقضى عليه ، وضمن بسط نفوذ حكومته في بلاد عسير الجبال مباشرة الى جانب نفوذها في مخلاف عسير تهامة عاد الى تركيا .

وصدرت الأوامر التركية لزميله (مختار باشا) بالاضطلاع بالأمور في المنطقة ، ومواصلة مهمة بسط نفوذ تركيا على صنعاء وسائر الأجزاء اليمانية التي ما زالت خارجة عن نفوذها في حكمهم الثاني والأخير في اليمن .

وقد تزاملت رغبة تركيا الجامحة لإعادة احتلال صنعاء وبقية مناطق اليمن مع رغبة بعض الأئمة وكبار رجالات اليمن ورجالات صنعاء بالذات ، بعودة الحكم العثماني في اليمن ، لوضع حد للإضطرابات القائمة في اليمن بسبب المنازعات بين الأئمة وأدعيائهم ، وكان قد بلغ عدد الأئمة بين مقتل الإمام المتوكل محمد بن يحيى إثر خروج توفيق باشا والأتراك من صنعاء عام ١٢٦٥ هـ وبين عودتهم هذه في عام ١٢٨٩ هـ أحد عشر إماماً سبق ذكرهم وتفصيل الأحداث المريرة في الفترة المذكورة ، والتي لعبت القبائل أدواراً إيجابية في زيادتها .

ذلك[٤١] ان الشيخ احمد الحيمي كبير عقال صنعاء يومها وغيره من الأعيان بعثوا رسائلهم الى السلطان عبد العزيز بواسطة شريف مكة محمد بن عون المذكور ، يدعونه ويحثونه على سرعة اصدار اوامره الى القوات العثمانية المرابطة في اليمن والتي كانت قد تزايدت بعد القضاء على حركة أمير عسير الجبال محمد بن عايض بالتقدم الى صنعاء وغيرها لوضع حد للفوضى والاضطرابات .

ولبى السلطان العثماني طلب اليمنيين ، وأصدر أمره الى مختار باشا قائد القوات التركية في عسير والمخلاف السليماني وتهامة بالتحرك الى صنعاء .

---

(٤١) نفس المصدر ص ٨٤ .

وتحركت القوات التركية بقيادة احمد مختار فعلاً نحو صنعاء ، ولمّا كانت في منطقة حراز قامت بإخضاع زعيم الطائفة الإسماعيلية فيها ، وبسط نفوذ الدولة العثمانية عليها تأميناً للطريق البري بين الحديدة وصنعاء لقواتها ، وألقت(٤٢) القبض على زعيمها احمد بن اسماعيل وأرسلته مع ولده الى سجن الحديدة وتوفي فيها إثر وصوله اليها .

ولمّا(٤٣) كان احمد مختار في مناخة مركز بلاد حراز بعث الإمام المخلوع علي بن المهدي ومن سانده من أهل صنعاء ومنهم الشيخ محسن معيض كبير عقال صنعاء والذي كان قد خلف الشيخ احمد الحيمي وفداً اليه من بينهم رئيس العلماء أحمد بن محمد الكبسي وزيد بن احمد الكبسي وحسين بن علي غمضان يطلبون وصوله الى صنعاء لتأديب المفسدين ثم الرجوع من حيث أتى ، قال المؤرخ الواسعي في تأريخه(٤٤) :« فهزّ لهم احمد مختار رأسه وهمهم بكلمات تركية لا يفهمونها ، فظنوا أنّ الأمر كما يريدون » .

وأضاف قائلاً : « ولمّا وصلوا الى نقيل عصر غربي صنعاء خرج الإمام علي بن المهدي والإمام غالب بن محمد والإمام حسين بن المتوكل وغيرهم من الأشراف والعلماء لاستقباله ، ودخلوا معه صنعاء ، ثم طلب احمد مختار من الإمام علي بن المهدي وسائر الأشراف بواسطة رئيس صنعاء الشيخ محسن معيض تسليم المعاقل المحيطة بصنعاء وخصوصاً القصر المسمى غمدان فسلموا له المعاقل وغفلوا عن حفظها » وكان وصول احمد مختار الى صنعاء في اليوم السادس عشر من شهر صفر من العام المذكور (١٢٨٩ هـ) ، ولم يدخلها حتى وزّع بعض قواته على المعاقل والحصون داخل صنعاء وخارجها وقريباً منها تأميناً وحماية لقواته من اليمنيين (مستفيداً من الدرس الذي وقع لتوفيق باشا في عام ١٢٦٥ هـ) .

---

(٤٢) نفس المصدر أيضاً ص ٨٩ .

(٤٣) الكبسي في (اللطائف السنية) (مخطوط) .

(٤٤) فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ص ٢٥٤ الطبعة الثانية .

وكانت الحكومة التركية قد جهزته بجيش كامل يعرف بالفيلق السابع لإعادة سيطرتها على اليمن .

ولمّا اطمئنّ احمد مختار الى سلامة وضع قواته طلب من الإمام علي بن المهدي تقديم سجلات حكومته الحسابية اليه ليتعرف من خلالها على الأوضاع المالية لحكومته ، وعلى مصادر مواردها ، فاعتذر الإمام عن تقديم ذلك بعد استشارة كبار رجال دولته (التي لا وجود لها) ، ثم تدخل الشيخ محسن معيض ونصح الوالي بأن يقوم أولاً بضرب المفسد الدفعي الذي كان قد أخاف السبيل في شعوب خارج صنعاء على حد زعم معيض (وكان بينهما منافسة) حتى يستميل احمد مختار العامة ويرهب الخاصة ، ففعل احمد مختار ذلك وسقط الدفعي قتيلاً ، وكان الشيخ علي الدفعي قد تمرد على الإمام وعلى الأتراك معاً ، وواصل نضاله لتحرير صنعاء ، ولكن الدعاية التي أشاعوها ضده ووصمه بالفساد ، ثم تجنيد الأتراك واليمنيين لحربه وعدم مساندة القبائل له أدى كل ذلك الى سقوطه شهيداً كما علمنا . وسلم الإمام علي بن المهدي السجلات بعد مقتل الدفعي ، وتمّ لأحمد مختار السيطرة الفعلية على اموال الدولة وشؤونها ، وأشرف بنفسه على استحصالها ، وضيق نطاق المصروفات على الإمام وغيره وعزل كثيراً من كبار موظفيه ، وأسند إلى الأتراك كثيراً من مهام الدولة ، ثم جهز قواته لإخضاع مختلف القبائل اليمنية وحارب كل قبيلة على حدة وكان وصول الأتراك صنعاء هذه المرة هو للمرة الثانية في فترة حكمهم الثاني في اليمن ، أمّا المرة الأولى في الفترة المذكورة فكان في عام (١٢٦٥ هـ) والذي أعقبه ثورة اليمنيين في صنعاء عليهم وإخراجهم منها كما مرّ بنا .

هذا وقبل ان نسترسل في بحث أهم احداث الحكم التركي العثماني الثاني في اليمن بعد استقرار احمد مختار باشا أول ولاة الأتراك في صنعاء في الحكم المذكور يجدر بنا أن نسجل بعض الفقرات ذات الدلالة في الموضوع مما ورد في كتاب (حوليات يمانية)[٤٥] ومنها قوله : « والذين أرسلهم الشيخ

(٤٥) من ص ٣٢٠ .

محسن (معيض) الى حراز هم القاضي حسين جغمان وعلي هاشم صاحب سيّان وجماعة منهم الذين على امره وإرادته ووصلوا حراز وتلقاهم الباشا احمد مختار احسن تلقي » إلى آخره وقوله : « وأمّا خبر سيدي غالب (الإمام الهادي غالب بن محمد بن يحيى) فلمّا وصلت كتب الباشا احمد مختار المنصورة من سلطان الإسلام اليه والى الشيخ دخل من الروضة صنعاء وتأهب للخلافة » إلى آخره .

وقوله : « وفي صبح يوم الخميس ثامن عشر شهر صفر سنة ١٢٨٩ هـ وصل الشيخ الحسام (محسن معيض) الى حضرة الإمام وجاءت التوابع والخيالة وجميع الأعيان وخرجوا للقاء الأتراك بعد خروج الذين لقيوا الى حراز ، ووقعت في صنعاء التنصيرة وأشعلوا النيران في جميع المدينة وصاحوا باسم السلطان وعلقت الرايات في الدوائر والنوب حق السور » .

وقوله : « ولمّا وصل الإمام الهادي الى عصر والمظلة تغزل على رأسه والمرافع والدواشين حوله ، والسادات آل الإمام سادتي حافين به وهو متبختر في دسته ، وصلت الأجناد السلطانية بخيلهم وطبولهم الغسانية والبوش الخاقانية ، وامزوا من لقيهم بالمسير ، وحثوا السير حتى وصلوا ماجل الدمة (جنوبي صنعاء) وأناخوا هناك حتى رتب القصر وغيره » .

وقوله : « وفي صبح الجمعة خرجت جميع الناس للسلام على الباشا والاستئذان لصلاة الجمعة فاعتذر احمد مختار من الدخول خشية الفتنة وكان المعقول ، ووقت الصلاة خرج الهادي بالعذبتين وعمامة بأهبة الأئمة السابقين ، واجتمع لرؤيته المتفرجون ، وخطب للجمعة الخطيب ، وذكر السلطان على عادتهم (أي الأتراك) والدعاء له ، وذكر الباشا ، وذكر الإمام الهادي » .

وقوله : « ويوم السبت قطعت الأهبة عن الإمام وقفعت العذبة (أي رفعت) ونسخت الكنية (أي لقب الإمام) ونزل من أعلى إلى أدنى ، ورفعت منزلة الشيخ (معيض) من أدنى إلى أعلى ، واستيقظ سيدي غالب من الرؤيا وعبرّ

له الشيخ محسن بخير رأيت وعامل تكون ، وجلس مدة يسيرة ورفع (الإمام الهادي غالب) عامل في عمران ، والجمعة الثانية حزب الباشاللصلاة وطمس اسمه واسم الإمام من الخطبة ، وخطب القاضي حسين جغمان ، ويوم السبت عاشر وصولهم ، ثامن وعشرين من صفر خرجوا قادمين على عبد الله بن حسين الدفعي الى شعوب وكان الباشا متضيفاً في بيت سيدي غالب (الإمام الهادي) ذلك اليوم وقد سنمعه الأعيان يقسم لا يتغدى إلا وقد أخذ الدفعي ، واستعظم الناس ذلك لما يعلموه من شدة بناء نوبة الدفعي » .

ثم ذكر قيام الباشا احمد مختار بقذف نوبة الدفعي بالمدفع حتى شقها نصفين ثم قال : « ولم تمض اربع ساعات إلا والدفعي ومن عنده يسحبوه الترك » إلى آخره .

ثم ذكر تجهيز احمد مختار الى بلاد أرحب لإخضاعهم ، وكان رؤساؤهم آل العذري قد أعلنوا خلافهم لأحمد مختار .

وذكر هذا الحادث المؤرخ محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه(٤٦) ، وأضاف : بأن قوات احمد مختار بقيادة الباشا ولي الدين اخضعت القبيلة وعادت الى صنعاء بالأسرى .

كما ذكر المصدر الكبسي المذكور تجهيز احمد مختار باشا بعد ذلك على بلاد كوكبان ، وأنّ قواته حاصرت كوكبان سبعة أشهر حتى سلم أميرها احمد بن محمد بن شرف الدين بن احمد بن الحسين آل شرف الدين نفسه وأوصل الى أحمد مختار بأمان .

وتجهيز آخر من احمد مختار على قبيلة الحدأ بقيادة الباشا فضلي ، وانه استولى عليها بعد انهزام مقاتليهم ومقتل احد كبرائهم القوسي .

تتابع ولاة الأتراك على اليمن

وقد(٤٧) تتابع ولاة الأتراك على اليمن بعد الوالي احمد مختار على النحو

---

٤٦) و(٤٧) اللطائف السنية (مخطوط) .

الآتي :

أحمد أيوب باشا (١٢٩٠ - ١٢٩٣ هـ) .

وفي عهده وبالتحديد في عـام (١٢٩٠ هـ) ربط خيط[٤٨] السلك بين الحديدة وصنعاء لأول مرة في تأريخ اليمن قال المصدر . وفي سنة (١٢٩٠ هـ وقع سبار السلك خيط حديد وخشب يجنب الخيط فيه من صنعاء إلى الحـديدة يسير الخبر ويرجع في مقدار ربع يوم وما ذلك إلا من عمل الشيطان ، لأنّ ما وجد في تأريخ السابقين أجمعين أو من عمل اليونان لأن قد صارت الغلبة لهم في جميع الأقطار ، نسأل الله أن يمد الإسلام بالأمصار » .

وفي عهـده[٤٩] اعلنت بعض بلاد آنس خـلافها فجهـز قـوة تمكنت من اخضاعها ، كما خالفت خولان فتقدم بنفسه الى جحانة مركز خولان واضطرهم الى الإذعـان وعاد الى صنعـاء مع عـدد من رؤسائهم ، ثم اعلنت أرحب ثم حاشد خلافهما ولكنه أبدل بـالمصطفى عـاصم قبل أن يقـوم بعمل عسكـري ضدهما » .

المشير مصطفى عاصم (١٢٩٣ - ١٢٩٥ هـ)

ومن أولى أعمال المشير عاصم تجهيزه لحرب أرحب وقامت حرب كبيرة بين الجانبين في موضع بالقرب من بيت مران أجبرت أرحب على الإذعان ، ثم تحولت قوة الأتراك الى بلاد حاشد وجبل عيال يزيد لحرب الإمام المتوكل محسن ابن احمـد الشهاري ، واضـطرت كثيراً من قبـائل بني صـريم ووادعة الـظاهر ومرهبة وسفيان وغيرها من قبائل حاشد وقبائل بكيل المجـاورة لها الى اعـلان ولائها للحكومة التركية في اليمن ، ثم تقدمت القوة التركيـة بقيادة اسمـاعيل حافظ الى بلاد السودة وظليمة والأهنوم وبسطت نفـوذ الدولـة التركيـة فيها ، وعادت الى صنعاء ومعها المدفع الذي كانت قبيلة حاشد قد استولت عليـه اثناء ولاية احمد أيوب باشا .

---

(٤٨) و(٤٩) حوليات يمانية من ص ٣٣٧ .

وقام في نفس الفترة أهـل بلاد البخـاري من أعمال المخـادر قضاء اب آنذاك باعلان خلافهم فتقدم لإخضاعهم قائمقام اب وأخضعهم وقطع اشجار القات من أراضيهم .

كما قام المشير مصطفى عاصم باشا المذكور باعتقـال عدد[٥٠] من علماء وأعيان صنعاء ومنهم السيـد محمد بن قـاسم الحوثي الـذي دعا الإمـامة بعـد خروجه من السجن وذلك في برط عام ١٢٩٧ هـ وأقام على دعوته الى موته عام (١٣١٩ هـ) ومنهم السيد محمد بن يحيى حميد الدين الذي دعاالإمامةفي عام (١٣٠٧ هـ) والد الإمام يحيى حميد الدين ، وكان اعتقـال عاصم بـاشا لهم بحجة منافستهم لنائب المحكمة التركية في صنعاء عبد الله الصباغ في الظاهـر ولولائهم للإمام المتوكـل محسن بن أحمد الشهـاري المقيم في حاشـد في حقيقة الأمر، وأقاموا في معتقلهم شهرين في صنعاء وسنتين في الحديدة ولم يطلقهم إلا خلفه حافظ اسماعيل حقي .

وقام الوالي عاصم المذكور بسجن الشيخ محسن معيض وتهديده بـالقتل حتى كفل عليه احد تجار صنعـاء بتسليم ما يطلبه منه من المال ، ثم استدعاه ذات ليلة من السجن الى بيت الطرابلسي ، وقد نصب الخانوق فسلم معيض له أربعين ألف ريال حملها الجنود الأتراك من منزل معيض ليلاً ثم أفرج عنه ، وقد ألم به المرض الذي توفي فيه عام (١٢٩٧ هـ) .

حافظ اسماعيل حقي ١٢٩٥ - ١٢٩٩ هـ

وصف هذا بالعدل والإستقامة ، وقد انشأ[٥١] أربعة طوابير (ألوية) في الجيش من اليمنيين وأحسن تدريبهم العسكري ، ولكن الحكومة التركية الغت هذه الألوية وعزلت الوالي المذكور بسبب ذلك ، لأن ذلك في اعتقادها يساعد على تقوية جانب اليمنيين ضد الأتراك .

---

(٥٠) زبارة في ائمة اليمن في القرن الرابع عشر من ص ١١ .
(٥١) الواسعي في تأريخه ص (٢٥٩) .

ومن أولى اعماله ، إطلاق السجناء اليمنيين من العلماء الذين اعتقلهم سلفه مصطفى عاصم ومنهم الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين قبل دعوته ، وذلك استجابة لوساطة قاضي الحديدة للأتراك محمد عارف الماريني ، وكان من خيرة العلماء الذين ولوا القضاء في اليمن للأتراك في حكمهم الثاني في اليمن ، كما عمل الوالي المذكور على منع الرشوة والفساد وخالف سلفه الذي انتهج سياسة العنف والقسوة ، واستطاع بذلك ان يعمل على تحقيق الهدوء والإستقرار نوعاً ما في اليمن . وفي أيام ولاية اسماعيل حقي المذكور وبالتحديد في عام (١٢٩٥ هـ) توفي الإمام المتوكل محسن بن احمد الشهاري في مدينة حوث ودُفن بها .

الإمام الهادي شرف الدين أبو نيب

وقام[٥٢] بالدعوة شرف الدين بن محمد بن عبد الرحمن من أولاد الإمام يحيى بن حمزة وتلقب بالهادي ، وكانت دعوته أولاً في ظفير حجة ، ثم انتقل الى هجرة المدان من بلاد الأهنوم ، في شهر صفر من عام (١٢٩٦ هـ) ومنها بثّ رسائله الى مختلف القبائل اليمنية في القسم الأعلى من اليمن ، لتلبية دعوته ومساندته ، وسانده الإمام السابق محمد بن عبد الله الوزير صاحب السر وعلماء صعدة وغيرهم ، وانتقل الى بلاد حاشد وصار يتنقل في مدنها يحشد القبائل حوله لحرب الأتراك ، ثم انتقل الى بلاد صعدة ، وكانت له بعض تحركات عسكرية تارة مع الأتراك وتارة مع القبائل التي تعلن ولاءها للأتراك ، وكان جانب الأتراك أقوى من جانبه بشكل عام .

محمد عزة باشا (١٢٩٩ - ١٣٠٢ هـ) .

وفي[٥٣] عام(١٢٩٩ هـ) خلفت الحكومة التركية الوالي المشير اسماعيل حقي بالوالي محمد عزة باشا ، وقد سعى هذا الى التقريب بين الأتراك

---

(٥٢) زبارة في (أئمة اليمن في القرن الرابع عشر) ص (٤) .
(٥٣) الواسعي في تأريخه ص (٢٥٤ . الطبعة الثانية .

واليمنيين ، وإن لم يضع حداً لنضال اليمنيين ضد الأتراك ، كما أنّ انتشار الرشوة والفساد بين موظفي الأتراك عمق الهوة بين الأتراك واليمنيين وزاد من نفور اليمنيين من الأتراك ، وفي عهده قامت الحرب بين اليمنيين والأتراك في بلاد خولان وبلاد حجة وغيرهما .

أحمد فيضي (١٣٠٢ ـ ١٣٠٢ هـ)

وفي عام (١٣٠٢ هـ) خلفت الحكومة التركية الوالي محمد عزة باشا بالوالي احمد فيضي نقلاً لهذا من ولايته على عسير ، وكان هذا العام هو من أشد الأعوام في اليمن قحطاً وجدباً ، إلى جانب إهمال الناس للزراعة بسبب الحروب التي قامت بين اليمنيين والأتراك ، وقد ضاعف من سوء الأحوال في اليمن تعيين احمد فيضي الذي قام بمصادرة الحبوب على القبائل في همدان وبلاد البستان وسنحان ، ومصادرة ثرواتهم وإهانة بعض الرؤساء كرئيس ضلاع محمد الشويع ، الأمر الذي حمل الكثير من رؤساء القبائل والأعيان على ارسال برقيات احتجاجاتهم وشكواهم الى السلطان ، وأدى ذلك الى فصله عن اليمن في نفس العام الذي عيّن فيه بعد طلبه إلى الآستانة وتوبيخه من قبل السلطان ، ثم تعيينه قومندان عسكري في مكة . وكان وزراء السلطان وكبار موظفيه في الباب العالي مع ذلك يخفون كثيراً من برقيات الإحتجاج والشكوى بالوالي المذكور وغيره عن السلطان .

عزيز باشا (١٣٠٣ ـ ١٣٠٥ هـ) .

وقد اسندت الحكومة التركية ولاية اليمن بعد عزل احمد فيضي الى عزيز باشا ، وقد قام هذا الوالي بالعمل على رفع الظلم عن اليمنيين ، ومنع عنهم تحصيل المواد الغذائية للجنود الأتراك ، كما حاول القضاء على الرشوة والفساد الـذين انتشرا في الأجهزة التركية في اليمن ، ووضع حد لإستغلال ولاة الأتراك في مختلف الأعمال لنفوذهم ولكن دون جدوى ، لأن الفساد كان قد استشرى وانتشر بين ولاة الأتراك وموظفيهم .

وزاد الحالة سوءاً في اليمن اثناء الحكم التركي الثاني الذي نحن بصدد

التأريخ له ، انقسام ولاة الأتراك في اليمن بين السلطتين العسكرية والمدنية ، التي أدى اليها نهج السلطان عبد الحميد في فصل السلطة العسكرية عن السلطة المدنية في عموم الولايات التركية في اليمن وغيرها ، منعاً لتحكم الولاة في ولاياتهم ، وأدى ذلك الإنقسام بين المأمورين العسكريين والملوكية (المدنية) الى الشقاق بين الإدارتين ، وإظهار كل من السلطتين لدى السلطان السلطة الأخرى بمظهر الخيانة والعجز ، وكان ذلك يعكس حقد السلطان على الولاة الإداريين فيقصر فترات ولاياتهم .

ولذلك ، فإنّ الوالي عزيز باشا أراد أن يثبت للسلطان إخلاصه وحماسه في حرب الخارجين على الدولة العثمانية في اليمن وعلى رأسهم الإمام القائم في شمال اليمن ، فوجه قوة كبيرة بقيادة حسين خيري لمحاربة الإمام الهادي شرف الدين أبو نيب وقامت معركة كبيرة في بلاد جبال عيال يزيد هزم الأتراك فيها ، واضطروا الى الإنسحاب الى عمران ، وعزا الأتراك أسباب انهزامهم ذلك إلى عدم اخلاص الشيخ عبد الله بن احمد الضلعي الذي كان يعرف بعبد الله باشا ، ويشغل منصب عضو مجلس ادارة في الحكومة التركية في اليمن ، وقد هدف قادة الجيش المنهزم من الإغراء بالضلعي الى إبعاده والتقليل من نفوذه ، وإلى اضعاف مركز الوالي عزيز باشا نفسه لدى اليمنيين ، بعد ان كان قد حاول التقرب منهم والتقريب بينهم وبين الأتراك ، وقام القادة بتحريض خلفه عثمان باشا على الضلعي واستطاعوا ان يوقعوا به كما سنرى .

عثمان باشا (١٣٠٥ ـ ١٣٠٧ هـ) .

وقد انتهج هذا سياسة الإرهاب في اليمن وأشاع أخذ الرشوة وصادر الشيخ عبد الله الضلعي آنف الذكر واعتقله ثم أرسله الى مدينة عكا في فلسطين حيث اعتقل فيها ، بناء على موافقة السلطان استجابة لإقتراحه الذي رفعه الى السلطان عقب وصوله الى اليمن بالتأثير من قادة الجيش التركي الذين انهزموا في حربهم مع الإمام الهادي شرف الدين أبو نيب في بلاد عمران .

ومن[٥٤] أساليب الوالي عثمان باشا في اخذ الرشوة أن أمر كل متصرفي ونواب الألوية والقضوات في ألوية تعز والحديدة وعسير وغيرها بالزام مشايخ هذه المناطق بالوصول اليه الى صنعاء ، وأشاع في نفس الوقت أنّ الوالي يعتزم القبض عليهم وترحيلهم الى تركيا ، ضماناً لإقرار الأمن والإستقرار في اليمن ، الأمر الذي دفع المشايخ الى تسليم مبالغ كبيرة من الريالات الى المتصرفين والنواب لإرسالها للوالي مقابل الكفّ عن طلبهم الى صنعاء ، وتم الأمر كذلك وأرسلت المبالغ الى الوالي ، وكان القاضي يحيى بن احمد المجاهد مفتي تعز من الشخصيات التي لم تنطل عليهم أساليب الوالي المذكور ورفض دفع الرشوة كغيره ، كما رفض الوصول الى الوالي إلى صنعاء ، ولذلك فإنه لم يشعر في بعض الليالي إلا بإحاطة الجنود بمنزله في تعز (دار الناصر أخيراً) والقبض عليه ومصادرة أمواله ، ثم سجنه ، وظل في السجن حتى أفرج عنه السلطان بعد رفع شكواه . كما ألح المجاهد بعد الإفراج عنه بالإنتصاف له من المتصرف ، فطُلب إلى الآستانة وعزل المتصرف ، ولكن الوالي عثمان باشا خشي أن يعرف السلطان أسباب القبض عليه ومصادرته ، فدفع ضباط الجيش التركي بتحرير مضبطة الى السلطان أكدوا فيها كذب المجاهد على المتصرف وإن المصلحة تقضي بإبعاد القاضي يحيى عن تعز .

ولّما وصل القاضي يحيى المجاهد الى تركيا أجرى السلطان له الكفاية اللازمة وأبقاه فيها دون ان يجري معه ومع المتصرف المفصول أي تحقيق حول ما حدث ، وأقام في تركيا حتى توفي فيها بعد ثلاث سنوات . وكان من أخلص اليمنيين للأتراك حتى ذكر انه قال : « لو خدمت الله تعالى خدمتي للأتراك لبلغت بها درجة عيسى بن مريم » .

وهكذا كانت أساليب ولاة الأتراك في اليمن وكذلك كان نهجهم مع اليمنيين والأحرار منهم بالذات ، مما أدى الى عدم استقرار الأوضاع في اليمن أثناء حكمهم الثاني والأخير فيه وإلى انهيار حكمهم ووجودهم وتكاتف اليمنيين

---

(٥٤) الإستاذ عبد الواسع الواسعي من ص ٢٦٢ الطبعة الثانية .

كـل اليمنيين ضـدهم حتى أخرجـوهم من اليمن ، يساعـدهم سقوط المـانيـا وحليفاتها ومنها تركيا في الحرب العالمية الأولى كما سنعلم .

عثمان نوري باشا ١٣٠٧ - ١٣٠٧ هـ

وفي[٥٥] عام ١٣٠٧ هـ خلفت الحكومة التركية الوالي عثمان باشا بالوالي عثمان نوري باشا ، الذي وصف بالعدل والإستقامة والتواضع ، وكان يلقب بالفقيه ، وقد تآمر عليه كبار مسؤولي الحكومة التركية في اليمن بسبب منعه لهم من الرشوة ، ورفعوا به مضبطة الى تركيـا بعدم صـلاحيته ، وأنّ الأحـوال في اليمن ساءت في أيام ولايته بسبب سوء إدارته ، فصدر أمـر السلطان بفصله ، وبالرغم من دفاعه عن نفسه عن طريق قومندان الحديدة الذي أرسله إلى تركيا لنفس المهمة ، فإنّ السلطان أصـرّ على نقله من اليمن وولاه مكـة ، وقد أثنى عليه المصدر استناداً إلى المؤرخ الواسعي ، وذكر بأنه لم يأت اليمن والٍ مثله لحسن ادارته لشؤون البلاد ، وبرغم ما اعتاده ولاة الأتراك في اليمن من الظهور بمظهر الأبهة والعظمة أمام أهل اليمن ، حتى يشعروهم بتمـيزهـم عنهم وعلو مكانتهم ، حيث كان الوالي يركب عربة من بيته الى دار الحكومة يحيط به عدد من الخيالة وحرسه الخاص ، مما يجعل وصول احد من الأهالي اليه متعذراً . أمّا الـوالي عثمان نـوري وقليل جـداً من الولاة الأتـراك فإنهم خـرجوا عـلى هذا التقليد ، وتحلوا بروح التواضع والتقرب من الأهالي ، وكان عثمان نوري يطلع من بيته في بير العزب الى دار الحكومـة ماشيـاً ومعه جـاويش و ياوره الخـاص فقط ، ونادراً يركب بغلة ، وكان يتصدق بجميع مرتبه .

وقال المؤرخ[٥٦] محمد بن محمد زبارة عنه : « وكان هـذا الوالي عـادلاً نـاسكاً متصـوفاً ، متـواضعاً متصـدقاً يمشي الأسـواق ، راجلاً ويتصـدق على الفقراء والمساكين ، ويدور في الليل منفرداً ، ويفحص احوال الناس والعسكر ومأكولاتهم بنفسه ، وكان يخرج للصلاة في أوقاتها ويأمر على المأمورين بالخروج لتأديتها ، فكان يخرج أهل المحاكم معه لتأدية الصلاة في جامع البكيرية ، ومنع

---

(٥٥) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ١٢٦ .

(٥٦) في (أئمة اليمن في القرن الرابع عشر) ص ٩٩ .

مشايخ البلاد عن التعرض للرعية ، ونصب عقالاً في القرى يتحصلون اموال الدولة بدون ظلم أو عسف ، فحصلت الأموال الكثيرة للدولة ، واستوفى أهل المعاشات في أيامه جميع ما لهم من المعاشات المتراكمة ، ودرت الخيرات وَأَمِنَتِ الطرقات » .

وفي شهر صفر من العام المذكور الغى الوالي عثمان خيري (عثمان نوري) المذكور المحاكم الثلاث البداية والجزاء والاستئناف ، وعزل حكامها وأعضاءها جميعاً ، وصاروا عبرة للناظرين وعظة للمستبصرين على حد ما جاء في كتاب (حوليات يمانية)[٥٧] وكان ذلك ضمن اجراءاته لمنع الرشوة .

اسماعيل حقي باشا للمرة الثانية (١٣٠٧ ـ ١٣٠٨ هـ)

وكان الخلف[٥٨] للوالي عثمان نوري باشا هو اسماعيل حقي باشا للمرة الثانية ، وقد وصل الى اليمن في شهر الحجة من العام المذكور ١٣٠٧ هـ ، وذلك إثر خروج السيد محمد بن يحيى حميد الدين من صنعاء الى صعدة لإعلان دعوته خلفاً للإمام المتوفي الهادي شرف الدين بن محمد أبو نيب الذي توفي في قلعة السنارة بصعدة في شهر شوال من نفس العام ، وقد أرسل الأتراك من صنعاء أربعين من الخيالة في محاولة منهم لإدراك محمد بن يحيى حميد الدين والقبض عليه ، وإعادته الى صنعاء ، فلم يدركوه ، وربما كان ذلك من أسباب عزل الوالي عثمان نوري باشا .

الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين

ودعا[٥٩] محمد بن يحيى حميد الدين من أولاد الحسين بن القاسم بن محمد في شهر القعدة من العام المذكور ١٣٠٧ هـ (١٨٩٠ م) في قلعة السنارة بمدينة صعدة ولقب بالمنصور ، وأخذ كل ما خلفه سلفه الإمام الهادي أبو نيب

---

(٥٧) ص ٣٧١ .

(٥٨) (الحكم العثماني في اليمن) آنف الذكر ص ١٢٧ .

(٥٩) محمد بن محمد زبارة في (أئمة اليمن في القرن الرابع عشر) آنف الذكر ص٩١ .

من أسلحة وعتاد وأموال وغيرها ، وانتقل من السنارة الى بلاد الأهنوم من حاشد ، والتفت القبائل حوله بعد أن أعلن الحرب الشاملة على الأتراك في اليمن ، وكان اليمانيون قد سئموا حكم الأتراك وفسادهم ، كما لم يألفوا الحكم المركزي الذي انتهجه الأتراك في اليمن ، إذ كانت ادارة شؤون اليمن الهامة وتعيين ولاتها من أعلى مسؤول إلى القائم مقام (مدير - القضاء) والنائب (مدير الناحية) والقاضي الشرعي ومدراء الماليات يتم تعيينهم من استامبول مباشرة ، ومعظمهم من شخصيات غير يمنية ، وبالأولى المتصرفون في مراكز المحافظات (الألوية) وليس لوالي اليمن إلا إبداء الرأي حول بعض الشخصيات الذين هم أقل أهمية .

لذلك فقد ناصر اليمنيون المنصور وحاربوا الأتراك في أماكن كثيرة من اليمن ، وسقطت معاقل ومدن كثيرة بأيدي اليمنيين ولا سيما(٦٠) بعد وفاة الوالي حافظ اسماعيل حقي في عام (١٣٠٨ هـ) ، وحوصرت(٦١) صنعاء مرتين في عام (١٣٠٩ هـ) وانهار نفوذ الأتراك من كثير من المناطق التي كان لهم نفوذ عليها ، في بلاد الشرف ومسور ولاعة من بلاد حجة ، وفي بلاد حفاش وملحان والطويلة وبلاد كوكبان والحيمتين وبلاد البستان وبلاد الروس وبني بهلول وسنحان وبني الحارث وهمدان وخولان وغيرها من المناطق التابعة ادارياً للواء صنعاء والمناطق القريبة اليها من لواء حجة ، وكان من بين قادة الجيش اليمني الأميران عبد الله ومحمد ابنا الإمام المتوكل محسن بن احمد الشهاري ، كما سقطت مدينتا ذمار ويريم بأيدي اليمنيين وولى الإمام المنصور عليهما ، ووفدت القبائل اليمنية من بلاد اب وتعز إلى الإمام المنصور لإعلان ولائها له ، وحاول المنصور أن يفرض نفوذه في مدن تعز واب وجبلة ، ولكن وطأة نفوذ الأتراك فيها وفي اليمن الأسفل وتهامة بوجه عام كانت شديدة ، لسهولة وصول الإمدادات العسكرية إليها من مينائي الحديدة والمخا ، وقامت

---

(٦٠) الجزء الخاص بتاريخ الإمام المنصور و(الحكم العثماني في اليمن) ص ١٢٨ .

(٦١) زبارة في المصدر المذكورص ٣٢ .وقد توفي في هذا العام (١٣٠٨ هـ) المؤرخ اليمني المعمر محمد بن اسماعيل الكبسي ، من أولاد الإمام حمزة بن أبي هاشم ، وهو صاحب التأريخ اليمني (اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية) أحد مصادر هذا الكتاب .

حروب بين اليمنيين والأتراك في سحول إب وحول مدينة اب ومدينة جبلة وفي القاعدة وقعطبة وغيرها ، ولكنها لم تسجل الإنتصار الحاسم لليمنيين ، لما ذكر من قوة جانب الأتراك وتفوقهم بالأسلحة الصغيرة والكبيرة على اليمنيين .

وقد[٦٢] اضطلع بشؤون الإدارة التركية في اليمن بعد وفاة الوالي حافظ اسماعيل حقي المذكور احد كبار معاونيه ويدعى علي باشا ، يساعده عدد من كبار رجال اليمن ورؤسائها الموالين لتركيا في صنعاء ، ومنهم : الشيخ علي بن محمد البليلي الخولاني ، والشيخ عبد الوهاب راجح أرحب ، والشيخ مقبل بن يحيى أبو فارع حاشد ، والشيخ مقبل دغيش بني الحارث والسيد محمد الشويع ضلاع همدان ، وبالرغم من مساندة هؤلاء وغيرهم للأتراك فإنّ الحصار الذي ضربه اليمنيون على صنعاء ظلّ حتى وصل الى اليمن من تركيا والياً عليه للمرة الثانية .

أحمد فيضي (١٣٠٩ - ١٣١٥ هـ)

واستطاع بالقوة الكبيرة التي وصل بها أن يفك الحصار عن صنعاء ، وقد تحدث الدكتور عثمان[٦٣] فاروق أباظة عن الأحداث التي ساعدت فيضي على فك الحصار عنها مستنداً الى المؤرخ الأستاذ عبد الواسع الواسعي وغيره فقال : « وعقب وفاة الوالي اسماعيل حقي باشا في سنة ١٩١١ م (١٣٠٨ هـ) ثارت القبائل اليمنية ضد الأتراك في معظم ارجاء اليمن ، وبخاصة في بلاد البستان وهي مخلاف كبير يقع غربي مدينة صنعاء ، ويجاور آنس والحيمة وهمدان وسنحان ، وقام اليمنيون هناك بانتزاع أسلاك البرق وأعمدته ، كما نهبوا البريد الوارد من الآستانة (استامبول) الى صنعاء عاصمة الولاية ، وقد سبقت هذه المناوشات عملية محاصرة صنعاء التي تمت بعد انهزام الأتراك ، وتراجعوا أمام هجمات القبائل اليمنية في المواقع المشار اليها .

وقد اتجهت القبائل اليمنية الى محاصرة صنعاء في أوائل ١٨٩٢ م

(٦٢) الواسعي في تأريخه ص (٢٧٣) الطبعة الثانية .

(٦٣) في كتابه (الحكم العثماني في اليمن) من ص ١٣٠ .

(١٣٠٩ هـ) ونشب قتال عنيف بين جموع القبائل والأتراك في منطقة عصر الواقعة غربي صنعاء ، وقد تراجع الأتراك مهزومين حتى دخلوا الى بـاب قاع اليهود في صنعاء ، وأغلقت جميع أبواب صنعاء وسيطر الخوف على أهلها وعلى الأتراك المحاصرين فيها ، وبعد أيام من محاصرة مدينة صنعاء دار قتال عنيف بين القبائل اليمنية والأتراك بالقرب من جبل نقم ، كما حدث قتال آخر بصنعاء في أماكن القبور ، وكانت القبائل اليمنية مسلحة بالبنادق القديمة قريبة المدى ، وإن كان رصاصها قد أصاب منازل المدينة ، وكان الأتراك قد تحصنوا بالقصر حيث مقر الحكومة العثماني، وحول سور صنعاء ، ومن هناك أخذوا يطلقون نيران بنادقهم على القبائل اليمنية المحاصرة للمدينة » وذكر الواسعي في تأريخه ، فقال : « فما تسمع أصوات الرصاص من كثرتها إلا كالرعود العاصفة ، ولوامع البارود في جوف الليل كالبوارق الخاطفة) ، وبهذه المحاصرة لصنعاء عظمت الشدة وغلت الأسعار وفر الضعفاء من أهل صنعاء ، وقد ازداد تجمع القبائل حول صنعاء يوماً بعد آخر ، كما حاصرت القبائل اليمنية جميع مراكز الترك في اليمن كذمار ويريم وعمران وحجة والطويلة وتعز واب وغيرها ، وسيطر الإمام علي معظم المعاقل التركية ، وهكذا اجتاحت ثورة القبائل ارجاء اليمن » .

وقد اشتدت وطأة الحصار حول صنعاء وتعز واستمر محكماً لمدة شهرين ونصف ، وفشلت خلالها القوات التركية المحصورة في التخلص من القبائل المحاصرة ، وبعد حروب قاسية بين الطرفين خفت وطأة الحصار على الرغم من أنّ بعض الحاميات التركية الضعيفة استسلمت لرجال القبائل ، ولا شك أن حصار القبائل اليمنية لمدينة صنعاء عاصمة الولاية العثمانية واحتلال رجال القبائل لكثير من دور الحكومة والقائهم القبض على كثير من المديرين وكبار الموظفين الأتراك وإرسالهم إلى الإمام ليشكل لنا كل هذا صورة واضحة المعالم لحالة الإضطراب والفوضى التي تعرض لها الحكم العثماني في اليمن نتيجة السياسة التي اتبعها العثمانيون هناك ، مما أسقط هيبتهم لدى اليمنيين ، وزلزل دعائم الحكم العثماني في تلك البلاد .

ويستعرض الواسعي أسباب ثورة الشعب اليمني ضد الأتراك

العثمانيين ، وهو يعبر بذلك عن رأي عامة اليمنيين فيقول : (انها كانت ترجع الى شدة الظلم واستحلال المحرمات ، وترك ما أمر الله به من الواجبات ، وارتكاب المعاصي والفجور ، وظهور البغي وشرب الخمور) ، وكانت تصرفات الأتراك هذه مخالفة للقيم الدينية التي اعتادها اليمنيون والتي كان الأئمة الزيديون يستغلونها لإثارة اليمنيين ضد الأتراك ليستعيد الأئمة نفوذهم السليب » .

وأضاف المصدر (الدكتور فاروق عثمان اباظة) قائلاً : « على أنّ هناك اسباباً أخرى ذكرها الواسعي وأهمها سوء الإدارة التركية في اليمن فيقول : «وكان القائمقام أو غيره من المأمورين اذا خرج لأي قضاء أو ناحية لأخذ الأعشار (الزكاة) أخذ ما قدر على تحصيله لنفسه ، ولم يساعد على كتب سند ما أخذ منهم ثم يرجع للحكومة ويقول : لم يدفعوا شيئاً ، ثم تأمر الحكومة بنهبهم وخراب بيوتهم وإحراقها ، واذا وصلت العسكر الأتراك الى قرية تعدت على عرض الحريم » فالواسعي يوضح أسلوب الأتراك في جمع الضرائب بالقوة والضغط ، الى جانب جشع الموظفين الأتراك ومحاولتهم الاستئثار باموال الضرائب لأنفسهم وتحريض الحكومة التركية ضد الأهالي » .

ويؤيد هذا الرأي الكاتب الأوروبي (هاريس) الذي قام بزيارة اليمن سنة (١٨٩٢ م) (١٣٠٩ هـ) بقوله : « إنّ تفكير الموظف التركي ينصب على كيفية الإثراء خلال شهر أو اثنين ، وعلى أسلوب العمل في ادارته الذي يحقق له هذه الغاية قبل اعتزاله ، كما كان منطقه (ماذا ستكون نتيجة سياستي ؟ . . . أنا لا يهمني ، هذا لا يهمني على الإطلاق) ، فالموظفون الترك لم يكن معظمهم يؤمنون بأنهم يقومون بعمل وطني لصالح دولتهم ، بل كانوا يشعرون بأنّ اليمن منفى لهم وإبعاد ، وكان يغذي شعورهم هذا الصعوبات الجمة التي كانوا يواجهونها من الطبيعة اليمنية أو اليمنيين أنفسهم على السواء » .

وأضاف(٦٥) المصدر أيضاً قائلاً : « وعندما اشتدت وطأة المقاومة على

---

(٦٥) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ١٣٦ .

الأتراك في اليمن تدفقت البرقيات على الآستانة من الحديدة لطلب المساعدة والإمدادات العسكرية اللازمة لإخماد الثورة ، وكانت الحديدة وغيرها من مدن الساحل اليمني في مأمن من هجمات القبائل التي سيطرت على معظم اليمن الداخلية » .

و« لهذا صدرت أوامر السلطان العثماني لأحمد فيضي باشا الحاكم السابق لمكة وقائد الكتيبة السابعة عشرة بالتوجه فوراً الى اليمن بعد ان نصبه والياً عليها لإخماد الثورة وإقرار الأمور هنا ك » .

ووصل احمد فيضي الى الحديدة وعلم بتأزم الأمور في الولاية ، فاتخذ فوراً خطوات فعالة للإستيلاء على (مناخة) (الممر الهام الجبلي بين الحديدة وصنعاء) وقد ترك احمد فيضي باشا حامية لحمايتها وللمحافظة على ابقاء طريق المواصلات مفتوحاً الى الساحل ثم أمر قواته بالتوجه الى صنعاء وعلى بعد حوالي (٣٠) ميلاً من مناخة على الطريق الى صنعاء عند منطقة يطلق عليها (حجرات المهدي) حيث كانت الطريق ضيقة ووعرة اتخذت القبائل اليمنية مواقعها هناك ، وحدث بينها وبين الأتراك قتال استمرّ اثني عشر يوماً ، استطاع الأتراك بعدها أن يتقدموا في طريقهم تجاه صنعاء بعد ان تشتت شمل الثوار ، وقد اتجهت القوات التركية نحو صنعاء بعد ان قصفت في طريقها بعض القرى بمدافعها ، وعندما وصل الأتراك سوق الخميس الواقع في غرب صنعاء بمسيرة يوم واحد دار قتال عنيف رجحت في نهايته كفة الأتراك ، وتوالت انتصاراتهم من موقع إلى آخر ، بينما كانت القبائل اليمنية تتراجع أمامهم ، وإثر ظهور القوات التركية أمام أعين رجال القبائل اليمنية المحاصرين لصنعاء المعسكرين في جبل نقم ، تراجعت قوات الإمام الى الجبال الواقعة شرق صنعاء حيث استحال على القوات التركية ملاحقتهم وإدراكهم ، ودخل المدينة منتصراً ، وعمّ الناس (في صنعاء) الفرح والسرور وزال عنهم البؤس والترح على حد قول الواسعي .

وقد بدأ الباشا أحمد فيضي عقب وصوله الى صنعاء في إعادة تنظيم أمور

الولاية بما يحقق لها الأمن والإستقرار ، فأصدر أوامره بالعفو العام عن كل الخارجين حتى يعود الأهالي الى مواقعهم وهم آمنون ، ولينصرفوا جميعاً الى مباشرة أعمالهم ، وقد أعلنت القبائل المحيطة بصنعاء طاعتها للوالي الجديد وللحكم العثماني بوجه عام فيما عدا قريتي جدر في الشمال الغربي من صنعاء بمسيرة ساعتين ، وقد توجهت اليها طائفة من الضباط والجنود الأتراك يرافقهم الشيخ علي البليلي (الخولاني) اليمني الذي منحته الدولة العثمانية رتبة باشا فنهبوا القريتين وأحرقوهما .

كما وجه فيضي باشا قوة تركية بقيادة اسماعيل باشا للاستيلاء على ذمار ويريم وذلك بعد ان اعلن الأحكام العرفية التي كانت تعني تعطيل جميع القوانين في الولاية ، كما أعلن الوالي العثماني جائزة لكل من يحمل اليه رأس احد من الثوار اليمنيين ، وأباح لقواته الإغارة على القرى اليمنية ونهبها اذا ما تمردت وأعلنت الثورة من جديد ، وقد توجه اسماعيل باشا إلى جنوب اليمن فاستولى على ذمار بدون مقاومة ، وترك بها حامية تركية ، كما تمكن من اخضاع اب وجبلة وتعز للحكم العثماني دون ان يلقى مقاومة تذكر .

المرحلة الأولى من المفاوضات بين العثمانيين واليمنيين

وبالرغم من إخماد الأتراك للثورة اليمنية في بداية عهد الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين كما عرفنا إلا أنّ السلطان العثماني عبد الحميد بن عبد المجيد رأى أن يتبع مع اليمنيين أسلوباً دبلوماسياً ، عله يصل الى حل مرضٍ للقضية اليمنية ، أشار الى ذلك الدكتور فاروق اباظة في كتابه (الحكم العثماني في اليمن)(٦٦) تحت العنوان المذكور مستنداً الى المؤرخ الواسعي فذكر أنّ السلطان كتب الى الإمام المنصور يدعوه الى الكف عن إراقة الدماء ، ويرهبه بقوة الجنود الأتراك الذين لا قبل لليمنيين بقتالهم لشدة بأسهم وحداثة أسلحتهم ، ثم يغريه بأنه سيقرر له راتباً شهرياً وسيمنحه مرتبة عظيمة بين رجال الدولة .

---

(٦٦) من ص ١٤٣ .

ويذكر الواسعي أنّ الإمام المنصور أجاب على السلطان عبد الحميد بما معناه (وما خرجنا من صنعاء لطلب الملك والرياسة إلا لنصرة شريعة جدنا ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع ظلم الرعية من المأمورين ، وارتكاب المحرمات وشرب الخمور وظهور الزنا والفجور وترك الحدود التي أمر الله بها من القصاص وقطع يد السارق وحد الزاني والشارب وغير ذلك مما أبطلها القانون المخالف للشريعة المطهرة) .

ويضيف الواسعي الى ذلك بأن الإمام المنصور ذكر في نهاية الرسالة (انه قد تحتم الوجوب على الإمام بالقيام لظهور تلك المنكرات والتنفيذ للشريعة المطهرة وإقامة الحدود وإنصاف المظلوم من الظالم ، ثم أخذ الإمام المنصور يمتدح السلطان العثماني لمحافظته على الإسلام والدفاع عن البلاد الإسلامية ، كما أوضح أساليب الحكم الظالمة التي يتبعها الموظفون الأتراك في اليمن وسوء ادارتهم لشؤ ون البلاد ، ثم ذكر أفضال الأئمة وما يجب أن يعاملوا به من تكريم ، كما ارفق الإمام المنصور رسالته الى السلطان مضبطة وقع عليها مشايخ أهل صنعاء وأعيانها أوضحوا فيها مظالم الترك وجرائم الفسق والفجور التي كانوا يرتكبونها في اليمن .

ولم يؤ د خطاب السلطان العثماني الى الإمام المنصور الى النتيجة التي كان يرجوها السلطان من الإتفاق ، ووضع حد للإضطرابات في اليمن ، ومع ذلك فإنّ عمليات المقاومة من اليمنيين ضد الأتراك اتخذت أسلوباً جديداً يتمثل بحرب العصابات كالتخريب وقطع المؤ ن والاستيلاء عليها .

ومن جهة اخرى فإنّ الوالي أحمد فيضي لاحظ أنّ معظم حركات المقاومة كانت توجد ضد الأتراك في بلاد حاشد في شمال صنعاء ، فقرر إخضاع هذه البلاد وأخذ يعد العدة لذلك ، وقد توجه الوالي الى مشارف بلاد حاشد حيث حاول استمالة القبائل اليمنية للحكم العثماني ، فأرسل الى مشائخهم ورؤ سائهم اموالاً وهدايا لكلٍ بقدر ما يليق بمكانته في قومه ، غير أنّ قبائل بني عبد تصدت للوالي العثماني ونشب بين الطرفين قتال عنيف ، ولكنه انتهى

بهزيمة بني عبد ونهب الأتراك أموالهم وهدموا ممتلكاتهم وديارهم ، واستمر أحمد فيضي يشق طريقه عنوة محارباً للقبائل حتى وصل الى (قفلة عذر) مقر الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين في بلاد حاشد ، وقد حرص المنصور على ان يفوت على الوالي الفرصة ، فقام بتهريب الأموال والأسلحة والذخائر التي كانت لديه ، وصعد مع عدد من أتباعه احد الجبال المرتفعة هناك ، ولم يتمكن الوالي من الوصول الى مراكز الثوار ، فاضطرّ إلى العودة الى صنعاء ، بخفي حنين بعد ان تكبد الأتراك خسائر جسيمة في الأموال والذخائر ، وسقط الكثيرون منهم قتلى بين ممرات الجبال اليمنية الشاهقة .

ثم ذكر المصدر(٦٧) انّ حركات المقاومة ضد الحكم العثماني بعد دعوة الإمام المنصور لم تقتصر على بلاد حاشد ، ولكنها حدثت في بلاد آنس بزعامة الشيخ علي المقداد ، واستمرت عدة أعوام ، وفي معظم مخاليف بلاد آنس ومخلاف جبل الشرق من قضاء آنس ، وأنّ الحكومة التركية هدمت اثناء ثورته نحو ثلاثمائة قرية بعد نهبها في بلاد آنس وإحراقها ، وانه كا ن من ضمن قادة جنود الأتراك في بلاد آنس الشيخ علي البليلي الذي أُصيب فيها برصاصة اثناء القتال بين الجانبين أردته في الحال قتيلاً .

وأضاف المصدر : ان الناس في صنعاء حزنوا لموت البليلي لأنه كان يعمل مع الأتراك ، ولكنه كان يعمل دائماً لصالح أهل صنعاء ومساندتهم لدى الأتراك ، ولأنه كان محباً لأهل العلم والصلاح ، وانه خلفه في رئاسة بلدية صنعاء بعد مقتله اخوه الشيخ محمد أحمد البليل » .

كما(٦٨) ذكر المصدر المذكور أنّ الوالي احمد فيضي قام في عام (١٣١٠

(٦٧) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ١٤٥ . استنادا إلى الواسعي في تاريخه .

(٦٨) وفي عام ١٣١١ هـ توفي الجد رحمه الله ، قال زبارة في (أئمة اليمن في القرن الرابع عشر) ص ١٤٨ . تحت عنوان : (علي بن ناجي الحداد الشافعي الأبي) : « القاضي العلامة الأديب أبو يحيى (علي بن ناجي بن اسماعيل بن عبد الله بن أحمد الحداد الشافعي اليمني الأبي أخذ عن السيد محمد بن داود حجر القديمي الزبيدي والشيخ عبد الحميد المصنف الجبلي والقاضي محمد =

هـ) باعتقال عدد من أعيان وعلماء صنعاء بلغ عددهم خمسين رجلاً ، متهماً لهم باتصالهم وولائهم لـلإمام المنصـور ، ومن بينهم السيد العـلامة يحيى الكبسي ومحمد حسن دلال وسعد الدين الزبيري والد زوجة الإمام المنصور ، وأرسلهم الى معتقل الحديدة ومنها الى جزيرة رودس في البحر الأبيض المتوسط لاعتقالهم فيها .

أمّا(٦٩) السلطان العثماني عبد الحميد بن عبد المجيد فإنه لّما عرف عدم استقرار الأوضاع بالنسبة لحكمه في اليمن أرسل مبعوثاً له يدعى (نامق بك) الى اليمن للتعرف عن كثب على الأحوال فيه وعن أسباب ثورة اليمنيين ضد الأتراك . وأقام المبعوث في صنعاء أياماً استطاع كثير من اليمنيين أن يتصلوا به وأن يوصلوا اليه شكاواهم من ظلم الوالي والمأمورين الأتراك واستبدادهم ، ثم عاد الى تركيا ، ولم تؤد شكاوي اليمنيين اليه إلا الى زيادة ضغط الوالي احمد فيضي على اليمنيين عامة .

ومع ذلك فقد أثمر تقرير المبعوث الذي رفعه الى السلطان ارسال اربعة عشر رجلاً في نفس العام من تركيـا الى اليمن للتفتيش على الـوالي ومأمـوري الأتراك ، ثم عاد المبعوثون الى تركيا بعد فترة من إقامتهم في اليمن ، ولكنه لم يترتب على ذلك أي اجراء يذكر من قبل الدولة العثمانية في اليمن . » .

ومن(٧٠) العوامل التي اثارت اليمنيين ضد الأتراك محاولة العثمانيين صبغ

= بن علي الحبيشي المفتي الأبي وغيرهم ، مات بمدينة اب يوم الأحد ١٧ رمضان سنة ١٣١١ هـ ورثاه تلميذه القاضي علي بن صالح العنسي ، وذكر بعض المرثاة ثم سرد للجد تخميس لقصيدة السيد الإمام محمد بن داود حجر التي نعى بها على المتصوفة المبتدعين ومطلعها :

قـل لمـن يـدعـي الـسـلوك وقـد بـات ضجيـع الفـراش أنت كـذوب
تـدعـي مسـلكـاً وقـد بـنـت عـنـه أنـت لا شـك هـالـك مـعـطـوب

ثم قال : « ومن أنبل أحفاد صاحب الترجمة القاضي العلامة محمد بن يحيى بن علي بن ناجي الحداد ، آلى آخره » .

(٦٩) نفس المصدر استناداً الى الوسعي أيضاً ص ١٤٦ .

(٧٠) نفس المصدر أيضاً الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ١٤٧ .

اليمن بالصبغة التركية ، حتى أنّ الوالي احمد فيضي المذكور اصدر أوامره في عام (١٣١٣ هـ) بالزام جميع الموظفين في اليمن بلبس الزي التركي واستبدال العمائم بالطربوش ، بالإضافة الى قيام الوالي باستحصال اموال من أهل صنعاء في نفس العام مقدارها أربعة وعشرون ألف ريال باسم إعانة الدولة لا عن ضرائب ونحوها . وفي العام الثاني مبلغ وقدره سبعون ألف ريال الى غير ذلك من الاجراءات التي قام بها الأتراك في عهد الوالي المذكور فزادت من ثورة ونقمة الناس عليهم ، وقاموا بحركات مقاومة سرية تتمثل باحداث انفجارات في بعض المراكز التركية كمبنى البريد والبرق في صنعاء ومبنى المحكمة الشرعية التركية بصنعاء وغيرهما .

كما حاول الوالي احمد فيضي الوصول إلى إتفاق مع الإمام المنصور ، بأن أرسل في عام (١٣١٠ هـ) إليه مندوباً عنه وهو عبد الله بن علي الحضوري وحمله رسالة طلب منه فيها عقد صلح بين الجانب اليمني والجانب التركي ، ولكنه لم يتم التوصل الى إتفاق بينهما .

وفي عام (١٣١٤ هـ) وصل من الآستانة السيد محمد الرفاعي الحسني ومعه رسالة من السلطان العثماني الى الإمام المنصور يحثه فيها على عقد الصلح ، ولم يذكر[٧١] المصدر نص رسالة السلطان الى الإمام ، ولكنه ذكر فقرات من جواب الإمام على السلطان شكا فيها ظلم مأموري الدولة العثمانية للناس في اليمن ، الى جانب ارتكابهم المحرمات ، وأقنع السلطان بأن الحل هو اخراج الأتراك من اليمن وترك حكم اليمن للأئمة يحكمون فيها بما أنزل الله ، وإنّ الإمام المنصور ختم رسالته التي ردّ بها على السلطان بقوله : « فهلا جعلوا (أي العثمانيون) آل الرسول كالكفار الذين تركوا لهم ممالكهم » .

حسين حلمي (١٣١٥ ـ ١٣١٨ هـ)

وفي عام[٧٢] (١٣١٥ هـ) عزل الوالي احمد فيضي بالوالي حسين حلمي

---

(٧١) الحكم العثماني في اليمن (ص ١٤٩) استناداً الى الواسعي في تاريخه .
(٧٢) الواسعي في تاريخه ص (٢٩٠ .

باشا ، واستبشر الناس في اليمن بتوليته خيراً ، كما وعدهم هو بـإقامـة العدل والمحافظة على الأمن ، وأمر بعزل من أساء التصرف من موظفي الأتراك ، وقام بإصلاحات كثيرة ، كما عزل من أساء من موظفي الأتـراك من اليمنيين ومنهم المدعو محمد هاشم ياور أحمد فيضي ، واعتقله خارج اليمن .

وعـلى[٧٣] وجه العمـوم فقد وصف الـوالي (حسين حلمي) المـذكـور بالإستقامة وحب العلماء ومحاربة الظلم ،والرشوة ، وقـام بإنشـاء دار للمعارف ودار للمعلمين ومكتب للصنائع للصناعة اليدوية الخفيفة ، كما أنشأ لأول مرة المدارس الإعدادية في صنعاء وسنّ التعليم الإجبـاري ، وكان التعليم قـاصراً على علوم الشريعة وعلوم العربية وفي المساجد ، كما كوّن الوالي المذكور له هيئة استشارية من العلماء ورجال السياسية كان لا يقطع أمراً دونها ، ولبس العمـة اليمنية وأمر الموظفين بلبسها بدلاً من الطربوش الذي كان الوالي احمد فيضي قد عممه على جميع الموظفين ، وكانت قيادة الجيش التركي في اليمن في عهد الوالي حسين حلمي المذكور الى عبد الله باشا الذي خلفه في الـولاية عـلى اليمن كما سيأتي ، وقـد اختلف عبد الله بـاشـا مـع حسـين حلمي في عـدد من الأمـور الاجرائية ساندت الدولة العثمانية فيها عبد الله باشا .

عبد الله باشا (١٣١٨ - ١٣٢٠ هـ)

ثم عينت[٧٤] عبد الله باشا المذكور والياً على اليمن خلفاً للوالي حسـين حلمي باشا .

قال المصدر (العرشي) : « ولمّا عينّ في مكانه المشير عبد الله باشا سنة (١٣١٨ هـ) رجع الظلم الى ما كا ن عليه فكثرت الرشوة واستشرى الفساد ، ووقع الجدْب والقحط حتى خلت قرى كثيرة من سكانها ، وكان الوالي مغرمـاً بالملاهي والغناء والموسيقى ، وهو مع ذلـك في سن الشيخوخـة ، وهو الـذي

---

(٧٣) الواسعي في تاريخه ص (٢٩٠ .

(٧٤) القاضي حسين بن أحمد العرشي في تأريخه (بلوغ المرام شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام) ص ٨٣ . مطبعة (دار احياء التراث العربي - بيروت) .

وضع سلك البرق من صنعاء الى تعز من جهة الجنوب من صنعاء مسافة ستة أيام (للماشي) ».

وفي عهد الوالي عبد الله باشا المذكور تمردت[٧٥] قبيلة الزرانيق على الحكومة التركية في تهامة وعانت الحكومة التركية متاعب كبيرة في سبيل إخضاعها لبسالتها وعدم استقرارها في مساكن عامرة الى جانب قسوة المناخ الحار في تهامة منطقة القبيلة المذكورة (والتي كانت تعرف قديماً بقبيلة المعازبة من قبائل فضا بيت الفقيه من لواءالحديدة) وهو المنا خ الذي لم تألفه القوات التركية القادمة من مناطق الشمال .

وفي شهر صفر من عام (١٣٢٠ هـ) قدم وفد السلطان عبد الحميد[٧٥] الى صنعاء لإعادة بحث موضوع الصلح بين الحكومة العثمانية وبين الإمام المنصور ، وكان الوفد يتألف من السيد خالد بن محمد أبو الهدى الرفاعي والفريق حسن باشا وغيرهما ، وكان من بين بنود الصلح الذي حمله الوفد معه من السلطان هو ان يكون الإمام كأشراف مكة ، ويتخلى الأتراك عن اليمن .

ثم خرج الوفد من صنعاء نحو الإمام للإجتماع به ، فلم يوافق الإمام المنصور على وصول الوفد اليه ، ولكنه بعث وفداً للإجتماع به مكوناً من السيد محمد بن احمد الشامي وسيف الإسلام احمد بن قاسم حميد الدين ، واجتمع الوفدان في قرية ضحيان اطراف بلاد حاشد ، وبدأ بحث موضوع الصلح بينهما ، ثم افترق الوفدان على أساس عودتهما الى الإجتماع في شهر رجب من نفس العام ، ولم يذكر المصدر اجتماع الوفد في الموعد المذكور .

توفيق باشا (١٣٢٠ - ١٣٢٣ هـ)

ولّما امتد نفوذ الإنكليز الى الضالعفي عام[٧٦] (١٣٢٠ هـ) ولم يقم الوالي عبد الله باشا بالدفاع عنها ، أو بأي رد فعل بعد احتلال الإنكليز لها غضب

---

(٧٥) أئمة اليمن في القرن الرابع عشر ص ٣٦٧ .

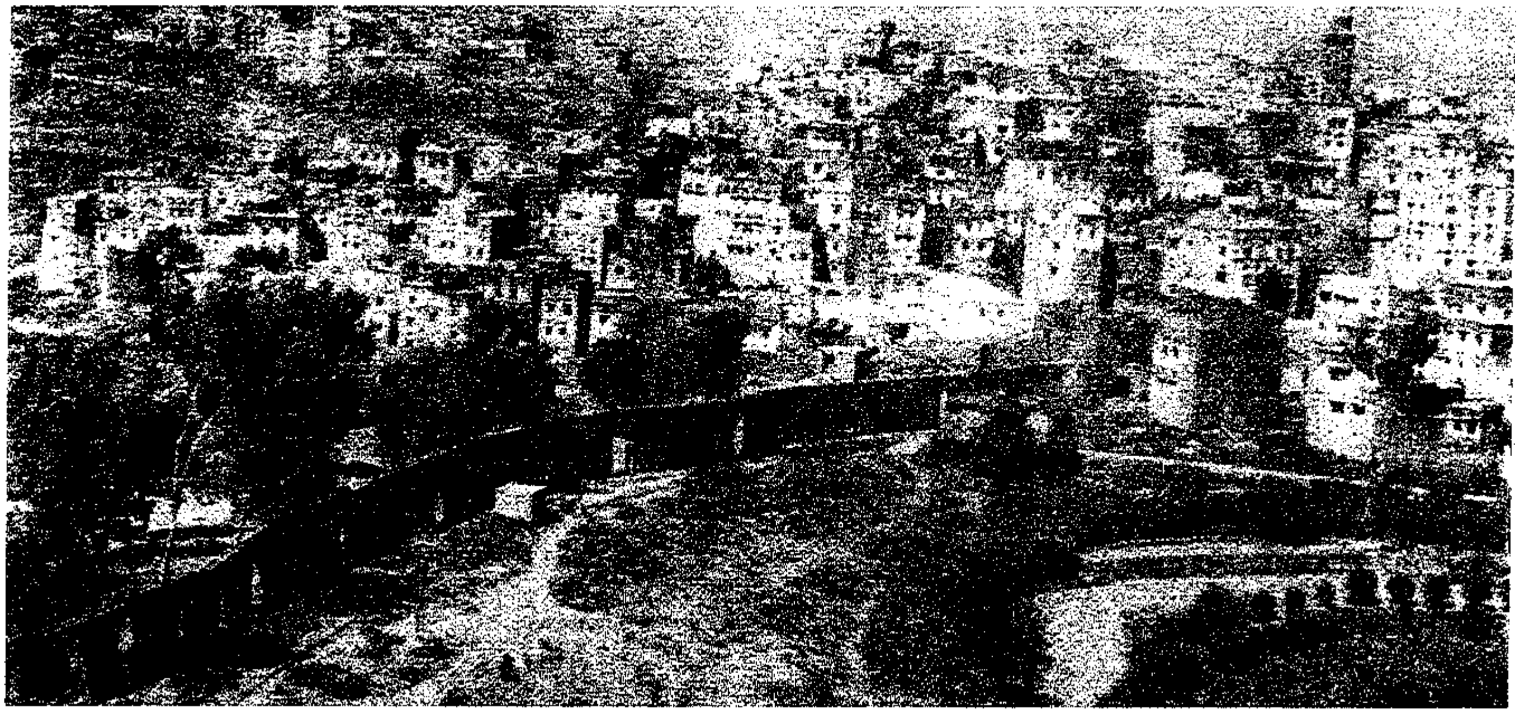
(٧٦) العرشي في (بلوغ المرام آنف الذكر ص ٨٤ .

السلطان عبد الحميد وعزله بالوالي توفيق باشا .

أمّا الإمام المنصور ازاء عدوان الإنكليز على الضالع فإنه انتهز ذلك لاستغلال عواطف اليمنيين في الشمال ضد الأتراك بحجة تساهلهم مع الانكليز وعدم القيام بأي رد فعل ضدهم ، وذلك بهدف المزيد من اثارة حفائظ اليمنيين ضد الأتراك وتشديد هجماتهم على مراكزهم ، ومما جاء(٧٧) في رسالة الإمام المنصور التي بثها بين اليمنيين قوله : « إن طائفة العجم رماهم الله بسهام النقم وأراح المسلمين من شرهم الذي عمّ وطم ، صارت عندهم رقعة الكفر الوبي ، أهون من ظهور شوكة آل النبي العربي ،الذي افترض الله مودتهم وقرناء الكتاب إلى يوم الحساب (هكذا) ، وإنّ الأجانب قد مدوا أعناقهم إلى أطراف اليمن ، والمأمورون من الأتراك راضون على العرب بأنواع المحن ، فمن كان يظن أنهم يدفعونهم أو يحاربونهم فقد أكذبه الظن ، وطال ما أعذرنا وأنذرنا وبذلنا وجهزنا ، وإنّا الآن نجدد الحجة على الناس ، ونلزمهم تجديد العزائم قبل أن يُتبِعهم الأتراك تبع البهائم ومن اعتبر بالتجارب قاده الإعتبار الى حميد العواقب ، وفي كثرة الجيش وخروج الآلات من عدن كشف لما خفي وكمن ، وأنه لو يخرج ثلاثة رجال من كل قرية من قرى اليمن ويعين كل فرد بشيء من النفقات وإن قلّ ، لكفى الله المسلمين شر الفريقين ، ولا يستحقر أحد عمله وإعانته في سبيل الله ، فقد روي أنّ منصور بن عمار وعظ الناس بالإعانة على الجهاد ، فسمعت امرأة بوعظه فقطعت ذوائب رأسها ورمت بها اليه ، وقالت : « والله ما أملك غيرها ، وإني لأرجو الله أن تكون قيد فرس في سبيل الله ، وعسى أن يرحمني الله بذلك ، فضج الناس وارتجوا بالبكاء » . رواه الزمخشري في ربيع الأبرار ، فاغتنموا وجود الإمام لصلاح دينكم ودنياكم ، وحفظ بلادكم وأموالكم والإعانة مبذولة بالمقادمة والذخيرة وحجة الله على من له كلمة مسموعة عند عشيرته وقومه ، اللهم أشهد ، حرر في ١٢ ربيع الأول سنة (١٣٢٠ هـ) » .

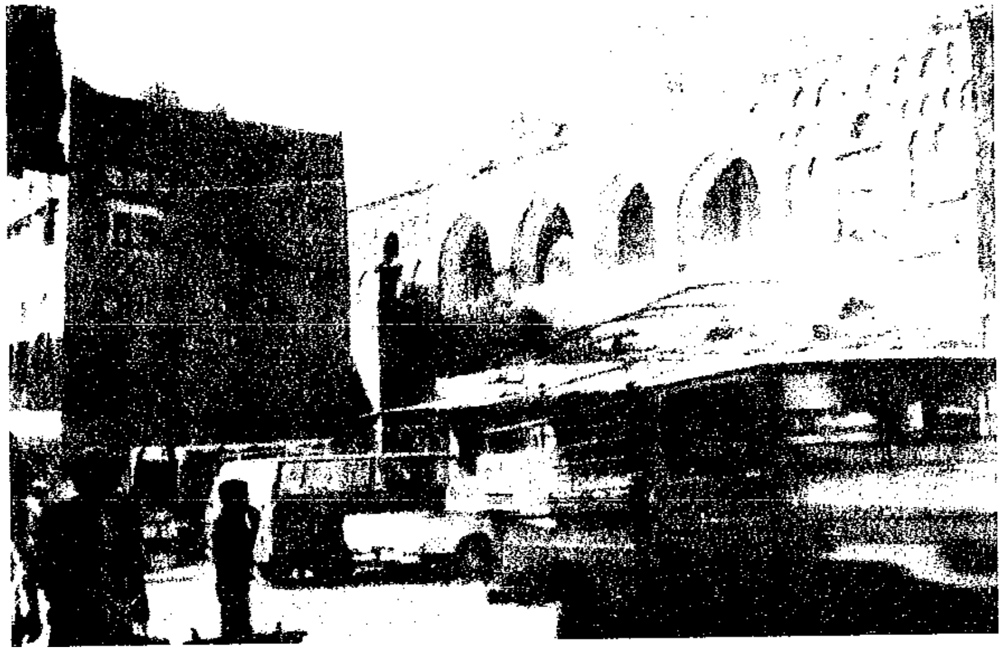
---

(٧٧) أئمة اليمن آنف الذكر ص ٣٦٩ .



٤٤ ـ مدينة إب ومعها بوابة ساقية النشمة التي بناها آل ظاهر لتوصيل ماء الشرب من جبل معدان الى المدينة وقد هدمت عند الاستغناء عنها وامتداد العمران الى مكانها .

44 - The city of Eb with the door of Sakiat Al- Nashmah built by Al-Zaher to connect the potable water from the mountain of Maadan to the city and it was destroyed when it became useless and construction took its place.



٤٥ - منظر آخر لجامع العامرية في مدينة رداع .

45 Another View of the Al-Aamiriah Mosque in the city of Radaa.



٤٦ - باب مدينة رداع وجزء من المدينة وترى القلعة في اعلاها .

46 The door of the city of Radaa and part of the city and we also see the city fortress on top this photo.



٤٧ ـ منظر الباب الغربي لجامع العامرية بمدينة رداع وفوقه الغرفة العليا الخاصة بالملك عامر عبد الوهاب آل طاهر

47 A View of the south door of the Al-Aamiriah Mosque in the city of Radaa and above it is situated he upper room of the king Amer Abdel Wahab Aal-Taher.



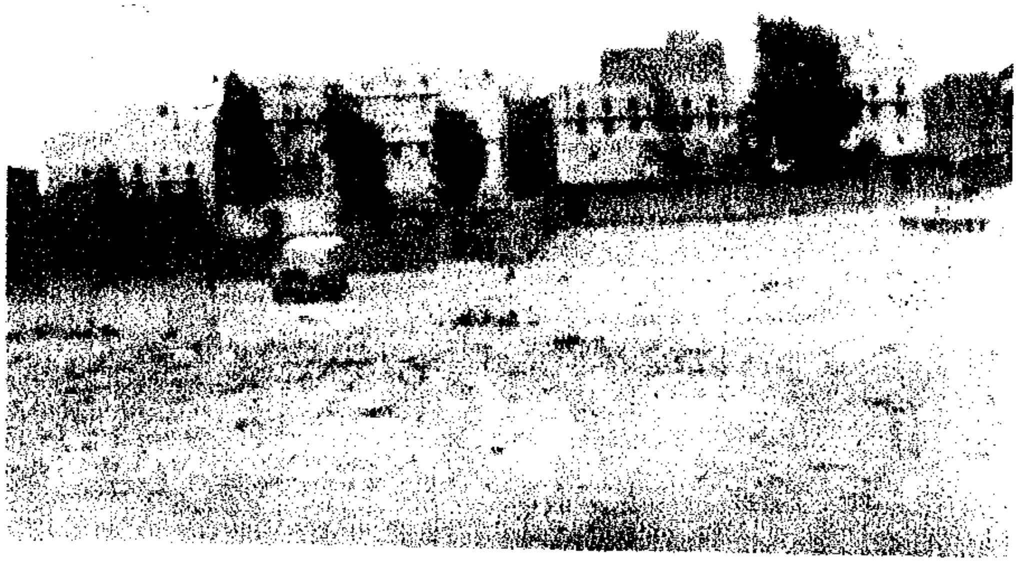
٤٨ - شارع الميدان امام جامع العامرية بمدينة رداع

48 The Al-Midan street in front of the Al-Aamiriah Mosque in the city of Radaa.



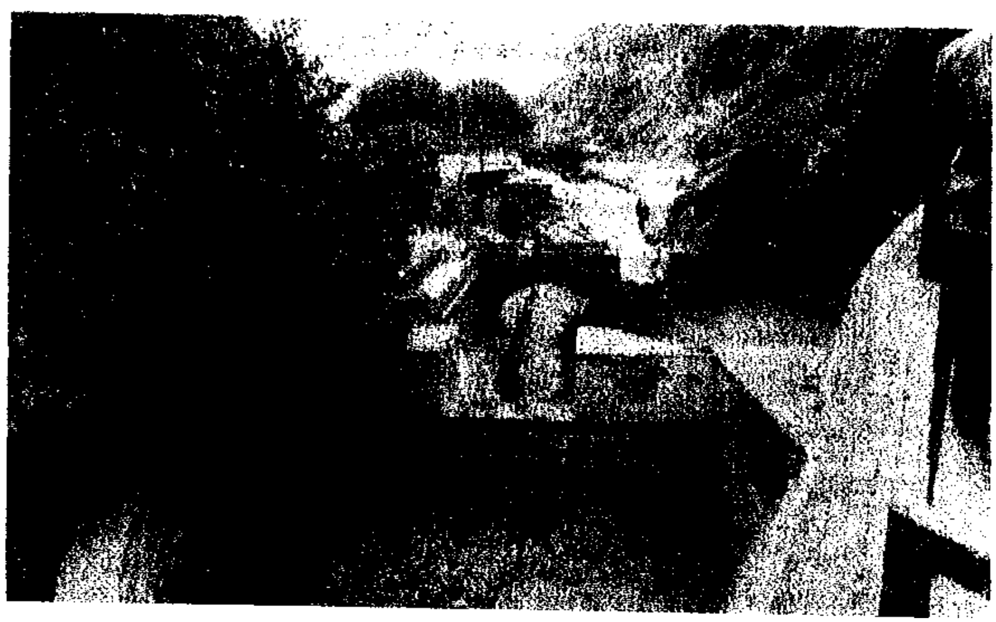
٤٩ - منظر عام لمدينة المصلى خارج رداع .

49 - A general view of the city of Al-Mussalla outside Radaa.



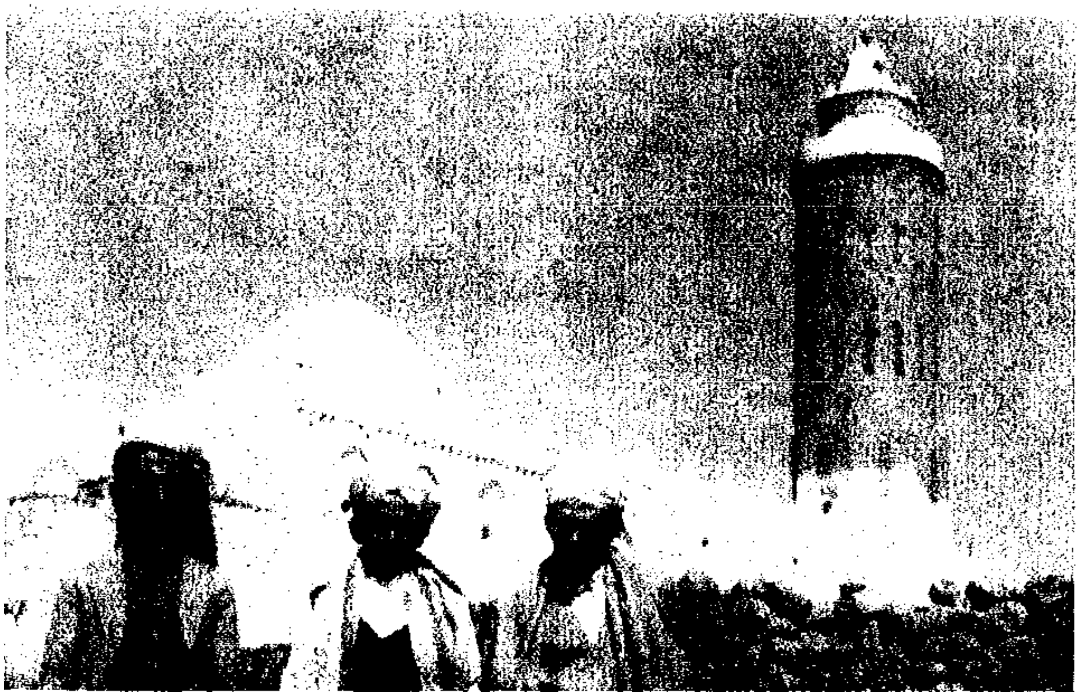
٥٠ ـ منظر عام لمدينة ملاح خارج رداع .

50 - A general view of the city of Malah outside Radaa.



٥١ ـ بعض اجزاء صهاريج عدن .

51 - Some parts of Adan wells.



٥٢ - جامع الدلون من عزلة بلاد الروس مخلاف الشوافي ناحية إب - بناء الفقيه العلامة سعيد بن صالح بن يسين . ويرى حفيد الفقيه في الوسط .

52- The Al-Dallun Mosque from Azla from the country of the Russians, Mikhlaf Al-shawafi on the side of Eb-built by the Al-Fakih Aal-allama Said bin Saleh bin Yassin and his grand- Child is seen in the middle.

الفهرس

جنوب اليمن من الانفصال حتى الاستقلال

الحكم العثماني الثاني في اليمن ومعاصره من الأئمة